مجمع البيان

في تفسير القرآن

للشيخ ابي علي الفضل بن الحسن الطبرسي

تصحيح وتحقيق وتعليق

السيد هاشم الرسولي المحلاتي و السيد فضل الله اليزدي الطباطبائي

عفا الله عنهما

دار المعرفة

مجمع البيان

في

تفسير القرآن

كتابخانه
بنياد دايرة المعارف اسلامى

مجمع البيان

في

تفسير القرآن

لمؤلفه

الشيخ ابى على الفضل بن الحسن الطبرسي

من أكابر علماء الإمامية في القرن السادس

تصحيح وتحقيق وتعليق

السيد هاشم الرسولي المحلاتي و السيد فضل الله اليزدي الطباطبائي

عفا الله عنهما

الجزء الأول

شماره ثبت ٣٥٤٣٩
رده بندى ....
....
تاريخ ١٣٧٦/٤/٢٢

دار المعرفة
للطباعة والنشر

شبكة كتب الشيعة
shiabooks.net
mktba.net رابط بديل

جميع الحقوق محفوظة للناشر

الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م

دار المعرفة
للطباعة والنشر والتوزيع
Publishing & Distributing
DAR EL-MAREFAH

مستديرة المطار - شارع البرجاوي ص.ب ٧٨٧٦ تلفون: ٨٣٤٣٠١ - ٨٣٤٣٣٢ - برقياً معرفكار بيروت - لبنان

مقدمة الحجة محمد جواد البلاغي

وله الحمد وهو المستعان والصلاة والسلام على خيرته من خلقه محمد صلى اللّه عليه وآله سيد المرسلين وآله الطاهرين المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين (وبعد) ففي فجر سعادة البشر وتبلج صبح الهدى ورسالته . أشرق نور القرآن الكريم على العالم من أفق الوحي على الرسول الأمين الصادع بأمر ربه . فكان باعجازه الباهر حجة على وحيه وبفضائله الفائقة دليلاً على فضله وبسناه الوضاح هادياً الى اتباعه . يعرّفك في كل باب من أبواب معارفه السامية أنه تنزيل من ربّ العالمين . ولكن اختلاط اللسان واختلاف الزمان وتشعب الأهواء وتضارب الآراء أثارت من دون أنواره غباراً وجعلت على البصائر من الجهل غشاوة . وقد أوجب الله على عباده أن ينصروا الحقيقة بالبيان ويجلوا غبار المشكوك بالحجة ويميطوا غشاوة الجهل بيد العلم الشافي . وقد نهض جماعة لتفسيره والارشاد الى منهج فهمه . فآثرت وأنا الأقل محمد جواد البلاغي أن أتطفل في هذا الشأن وأتقحم في هذا الميدان جارياً على ما تقتضيه أصول العلم متنكباً ما لا حجة فيه من نقل الأقوال متحرّياً للاختصار مهما أمكن مستعيناً بالله ومستمداً من فضله وما توفيقي إلا باللّه عليه توكلت وإليه أنيب .

﴿ الفصل الأول في اعجازه ﴾

المعجز هو الذي يأتي به مدَّعي النبوَّة بعناية الله الخاصة خارقاً للعادة وخارجاً عن حدود القدرة البشرية وقوانين العلم والتعلم ليكون بذلك دليلاً على صدق النبي وحجته في دعواه النبوة ودعوته .

﴿ وجه شهادة المعجز ﴾

ودلالته على صدق النبي في دعواه ودعوته ليس إلّا أنَّ مدَّعي النبوَّة إذا كان ظاهر الصلاح موصوفاً بالأمانة معروفاً بصدق اللهجة والاستقامة لا يخالف العقل في دعوته

وأساسيّاتها لم يجز عقلاً إظهار المعجز على يده إلاَّ إذا كان صادقاً في دعوى النبوة ودعوتها . ألا ترى أنه لو كان مع صفاته المذكورة كاذباً في دعواه لكان إظهار المعجز على يده وتخصيص الله له بالعناية اغراءً للناس بالجهل وتوريطاً لهم في متاهات الضلال وهذا قبيح ممتنع على جلال الله وقدسه .

﴿ توضيح ذلك ﴾

هو أنَّ الناس بحسب فطرتهم التي لا تدنسها رذائل الأهواء والعصبية إذا ظهر لهم صلاح الشخص وصدقه وأمانته واستقامته فيما يعرفونه من أحواله وأطواره توسموا بباطنه الخير وأنَّ باطنه موافق لظاهره في الصلاح . وكلما زادت خبرتهم بصلاح ظاهره زاد وثوقهم بصلاح باطنه . إلا أنه مهما يكن من ذلك فإنه لا يبلغ بهم مرتبة العلم وثبات الاطمئنان بعصمته عن الكذب في دعواه وتبليغات دعوته فلا ينتظم تصديقهم له ولا يدوم انقيادهم إلى تبليغاته في دعوته . بل لا يزال اختلاج الشكوك يميل بهم يميناً وشمالاً لكن إذا خصته العناية الإلٓهية بكرامة المعجز وخارق العادة حصل العلم الثابت واطمئنت النفوس السليمة بصدقه وعصمته في دعواه وما يأتي به في دعوته . ويثبت اليقين وينتظم أمره بالنظر إلى أنه يمتنع على جلالة الله وقدسه في مثل هذه المزلقة أن يظهر المعجز وعنايته الخاصة على يد الكاذب المدلس بصلاح ظاهره . فإن اظهار المعجز حينئذ يكون مساعدةً للمدلس على تدليسه ومشاركةً له في اغوائه وإغراءً للناس في الجهل الضار المهلك . وذلك لما ذكرنا من مقتضى فطرة الناس السليمة . فالمعجز الشاهد بصدق النبي في دعواه ودعوته وهو ما يقوم بما ذكرنا من الفائدة في مثل ما ذكرناه من المقام والوجه .

﴿ حكمة تنوع المعجز ﴾

ولا يخفى أنَّ حصول الفائدة المذكورة من تنوُّع المعجز المذكور يختلف كثيراً بسبب اختلاف الناس في أطوارهم ومعارفهم ومألوفاتهم . فربَّ خارقٍ للعادة يعرف بعض الشعوب أنه خارق للعادة لا يكون إلا بإرادة إلٓهية خاصة ويكون في بعض الشعوب معرضاً للشك أو الجحود لإعجازه وخرقه للعادة .

كان في عصر موسى النبي (ﷺ) من الرائج بين المصريين صناعة السحر المبتنية

على قوانين عادية يجري عليها التعليم والتعلم . فكانوا يعرفون ما هو جار على نواميس هذه الصناعة وما هو خارج عنها وعن حدود القدرة البشرية . ولأجل ذلك اقتضت الحكمة أن يحتج عليهم بمعجزة العصا التي ألقاها موسى (ع) أمام أعينهم فصارت ثعباناً تلقف ما يأفكون ويسحرون به الناس من الحبال والعصي ثم رجعت بعد ذلك عصا كحالها الأول ولم يبق لحبالهم وعصيهم عين ولا أثر فإنهم بسبب معرفتهم لحدود السحر عرفوا أن أمر العصا خارج عن صناعة السحر وعن حدود القدرة البشرية ولذا آمن السحرة بأن أمرها من الله تعالى .

وكانت فلسطين وسوريا في عصر المسيح مستعمرة لليونان وفيها منهم نزلاء كثيرون . فكان للطبّ فيها رواج ظاهر وكان في الفصل الثالث عشر والرابع عشر من سفر اللاويين من التوراة الرائجة تعليم طويل في تطهير القرع والبرص والقوبا بنحو يختص بروحانية الكهنوت ويوهم أنه من بركات الكهنة والآثار الرُّوحية وإن كان من نحو الحجر الصحي فلأجل ذلك كانت معجزات المسيح بشفاء الأبرص والأعمى والأكمه مما يعرفون أنه خارج عن حدود الطب ومراغم الكهنة وقدرة البشر ومن خارق العادة التي لا يكون إلا بقدرة الله تعالى .

﴿ حكمة كون المعجز للعرب هو القرآن ﴾

وأما العرب الذين ابتدأت بهم دعوة الإسلام في حكمة سيرها في الإصلاح فقد كانت معارفهم نوعاً منحصرة بالأدب العربي وكانوا خالين من سائر العلوم والصنائع الخاضعة للعلم والتعلم . فلم يكونوا يميزون حدودها العادية بحسب موازين العلم والتعلم وأسرار الطبيعيات المنقادة بقوانينها للباحث والممارس والمتعلم والمجرّب والمكتشف والداخلة تحت سطيرة العلم والتعلم . فلا يعرفون من الأعمال ما هو خارج عن هذه الحدود وخارق للعادة ولا يكون إلا بإعجاز إلّهيّ . فكل عمل معجز من غير الأدب العربي بمجرد مشاهدتهم له أو سماعهم به يسبق الى أذهانهم ويستحكم في حسبانهم أنه من السحر أو من مهارة أهل البلاد الأجنبية في الصنائع وتقدُّمهم في العلوم وأسرار الطبيعيات وقوانينها . ولا يذعنون بأنه معجز إلّهي بل يسوقهم شك الجهل الى الجحود خصوصاً إذا كان ذلك يحتج به النبي على دعوى ودعوة ثقيلتين على ضلالتهم باهظتين لعاداتهم الوحشية وأهواء الجهل .

نعم برعوا بالأدب العربي وبلاغة الكلام التي تقدَّموا فيها تقدُّماً باهراً حتى قد زهى في عصر الدعوة روضة الخميل وأينعت حدائقه وفاق بحدّه وقرَّروا له المواسم وعقدوا المحافل للمفاخرة بالرقيّ فيه . فرقت بينهم صناعته إلى أوج مجدها وزهرت بأجمل مظاهرها وأحاطوا بأطرافها وحدَّدوا مقدورها . فعاد المرء منهم جدَّ خبيرٍ بما هو داخل في حدود القدرة البشرية وما هو خارج عنها ولا يصدر على لسان بشر ابتداءً إلا بعناية إلّهية خاصة خارقة للعادة البشرية لحكمة إلّهية شريفة .

ولذا اقتضت الحكمة الإلّهية ﴿ **ولله الحكمة البالغة** ﴾ أن يكون القرآن الكريم هو المعجز المعنون والذي عليه المدار في الحجة لرسالة خاتم النبيين وصفوة المرسلين صلوات الله عليهم أجمعين . فإنه يكون حجة على العرب باعجازه ببلاغته وبعجزهم عن الاتيان بمثله أو بسورة من مثله . وبخضوعهم لاعجازه وهم الخبراء في ذلك يكون أيضاً حجة على غيرهم في ذلك . وأنه هو الذي يدخل في حكمة المعجز والاعجاز في شمول الدَّعوة للعرب وابتدائها بهم بحسب سيرها الطبيعي على الحكمة وبه تتمُّ فائدة المعجز على وجهها .

﴿ امتيازه عن غيره من المعجزات ﴾

مضافاً إلى أنه امتاز عن غيره من المعجزات وفاق عليها بأكبر الأمور الجوهرية في شؤون النبوَّة والرسالة ودعوتها « فمن ذلك » أنه باق مدى السنين ممثل بصورته ومادَّته لكل من يريد أن يطلع عليه ويمارس أمره وينظر في أمره ويعرف كنهه وحقيقته . فهو بادٍ في كل آنٍ ومكان لكل من يطلب الحجة على النبوة والرسالة ويريد النظر في حقيقة معجزها الشاهد لصدقها . ماثل لكل من يريد النظر في الحقائق ولا تحتاج معرفة حقيقته ووجه اعجازه الى أساطير النقل ومماراة قال أو قيل . فلا يحتمل أمره . إنه دبرت دعواه بليل . ولا يستراب من أمره باحتمال التمويه بل ينادي هو بنفسه في كل زمان ومكان (هذا جناي وخياره فيه) وكله خيار فائق متفوق « ومن ذلك » أنه بنفسه ولسانه وصريح بيانه قد تكفل بالاثبات لجميع المقدمات التي تنتظم منها الحجة على الرسالة الخاصة وشهادة اعجازه لها . ولم يوكل أمر ذلك الى غيره مما يختلج فيه الرِّيب وتعرض فيه الشبهات وتطول فيه مسافة الاحتجاج وتكثر صعوباته : فالتفت وأعرف ذلك من أمور .

(**الأول**) أنه تكفل ببيان دعوى النبي للنبوَّة والرّسالة في سائر النبوّات .

(**الثاني**) أنه تكفل في صراحة بيانه بالشهادة للنبوَّة والرّسالة فلم تبق حاجة لدلالة العقل ودفع الشبهات عنها .

(**الثالث**) أنه تكفل في صراحته المتكررة ببيانه لكمالات مدّعي رسالته وأطرى بصلاحه وأخلاقه الفائقة كما هو معروف . فمهد المقدمات اللازمة في البيان وصورة الاحتجاج بأنه لو كان كاذباً لكان ظهور المعجزة له من الاغراء بالجهل القبيح الممتنع لقبحه على جلال الله وقدسه تعالى شأنه . واليك فاسمع بعض ما جاء في القرآن في بيان هذه الأمور الثلاثة . ففي سورة الأعراف ١٥٧ : ﴿ **قل يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعاً** ﴾ وسورة النجم المكية من الآية الثانية الى الخامسة ﴿ **ما ضلّ صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى** ﴾ وفي سورة الفتح ٢٩ : ﴿ **محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار** ﴾ وفي سورة الأحزاب ٤٠ : ﴿ **ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين** ﴾ وفي أوائل سورة القلم المكية ﴿ **ما أنت بنعمة ربك بمجنون وأن لك لأجراً غير ممنون وأنك لعلى خلق عظيم** ﴾ الى قوله تعالى ﴿ **إن ربَّك هو أعلم بمن ضلَّ عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين** ﴾ وقوله تعالى ﴿ **ودّ والوتد من فيدهنون** ﴾ وفي سورة الأعراف ١٥٦ : ﴿ **يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر** ﴾ وفي سورة الأحزاب ٤٤ : و ٤٥ ﴿ **يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً الى الله باذنه وسراجاً منيراً** ﴾ .

(**الأمر الرابع**) أنه تكفل بنفسه دفع الموانع عن الرسالة والنبوَّة إذ بيَّن موادّ الدَّعوة وأساسياتها ومعارفها وقوانينها الجارية بأجمعها على المعقول من عرفانيها وأخلاقيها واجتماعيها وسياسيها فلا يوجد فيها ما يخالف المعقول ليكون مانعاً عن النبوَّة وفي سورة الأسراء المكية ٩ : ﴿ **أنَّ هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم** ﴾ ودونك القرآن الكريم وحقق وتبصر وتنوَّر فيما تضمنه من هذه المواد الشريفة ﴿ **إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم** ﴾ .

(**الأمر الخامس**) أنه زاد على كونه معجزاً بنفسه بأن كرَّر النداء والمصارحة في الاحتجاج باعجازه وتحدّي الناس وأعلن بالحجة وهتف بهم هتافاً مكرّراً مؤكداً بأن يعارضوه لو لم يكن معجزاً ويأتوا بمثله أو بعشر سور أو سورة واحدة من مثله إن كان مما تناله قدرة البشر المحدودة وقد نادى بقرار الإنصاف والمماشاة وجعل لهم أن أتوا بعشر سور أو سورة من مثله أن تسقط عنهم هذه الدعوى ويستريحوا من ثقلها الباهظ لضلالهم ويدعوا من يستطيعون عقلاً أن يدعوه من دون الله لو استطاعوا أو وجدوا إلى ذلك من

المعقـول سبيلاً . جعـل لهم ذلك من بـاب المماشـاة والمجـاراة في الحجـة تعليقـاً على المستحيل ولهم في ذلك المهلة والأنـاة ليعدّوا عـدَّتهم في المظاهـرة والتعاون ففي سـورة هـود المكية ١٦ : ﴿ **أم يقـولون أفتـراه قل فـأتوا بعشـر سور مثله مفتـريـات وادعـوا من استـطعتم من دون الله إن كنتم صادقين** ﴾ ١٧ : ﴿ **فـإن لم يستجيبوا فـاعلموا إنمـا أنزل بعلم الله** ﴾ وفي سورة يونس المكية ٣٩ : ﴿ **أم يقولون أفتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استـطعتم من دون الله إن كنتم صـادقين** ﴾ وفي سـورة البقـرة ٢١ : ﴿ **وإن كنتم في ريب ممـا نزَّلنـا على عبدنـا فأتـوا بسورة من مثله وادعـوا شهدائكم من دون الله إن كنتم صـادقين** ﴾ فيما تـدعونهم وتصفـونهم به «٣٢» ﴿ **فـإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقـوا النـار التي** ﴾ وفي سـورة الأسراء المكيـة ٩٠ : ﴿ **قل لإن اجتمعت الأنس والجن على أن يـأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً** ﴾ هذا وقد مضت لهم عـدة أعوام ودعوة الرسالة والإعذار والأنذار والاحتجاج بإعجاز القرآن دائمة عليهم وهم في أشد الضجر من ذلك والكراهية له والخوف من عاقبته . وفي أشد التألم من آثار الدعوة وتقدُّمها وظهـورها . وفي أشـد الرغبـة في أهوائهم وعـاداتهم الوحشيـة ورئاسـاتهم والعكوف على معبوداتهم ومع ذلك لم يستطيعوا أن يعارضوا شيئاً من القرآن الكريم ولـو بأن يـأتوا بسـورة من مثله لكي تـظهر حجتهم وتسقط عنهم حجـة الرسـول ويستـريحـوا من عنـاهم وقلقهم وآلامهم من دعوته التي شتتت جامعتهم الأوثانيـة وهدَّدت رئـاساتهم الـوحشية وتشـريعاتهم الأهوائية وفرّقت بين الأب منهم وبنيه والأخ وأخيه والزوج وزوجه والقريب وقريبه وكـدّرت صفـائهم ونافـرت بين عواطفهم . وقـد سامهم في دعـوته اصـلاحاً وخضـوعـاً لم يكـونـوا يحتسبونه ولم يجدوا لذلـك حيلة إلا الجحود السخيف والعنـاد الشديـد وقساوة الاضـطهاد والاستشفاع بأبي طالب في ترك الرسول لدعوته أو تمرُّدهم بالمثابرة الوحشية فاقتحموا فيها الأهوال وتجشموا المصاعب وقتال الأقـارب والأخوان ومقـاساة الشـدائد وذلـة المغلوبية . فلماذا لم يتظاهروا بأجمعهم عشر سنوات أو أكثر ويأتـوا بشيء من مثل القرآن الكـريم ولو سورة واحدة ويفاخروا الرسول (ﷺ) ويحاكموه في المواسم والمحافل التي أعدُّوها لمثل ذلك فتكون لهم الحجة والانتصار في الحكومة وقرار النصفة وينادوا بالغلبة ويستريحـوا من عناء هذه الدعوة وتهديدها لضلالهم . فلماذا لم يفعلوا ذلك والقرآن والرسـول قد دَعـواهم إلى ذلك تعجيزاً وهم هم وينابيع فصاحتهم وبلاغتهم غزيرة . وغرائزهم في الأدب العربي متدفقة . وقرائحهم سيالة ومواد القرآن في مفرداتـه وتراكيبـه من لغتهم . وأسلوبه من نحـو

صناعتهم التي لهم فيها الممارسة التامة والمهارة الفائقة والرُّقي المعروف ولله الحجة البالغة .

ولو كان هناك أقلّ قليل من المعارضة والإتيان بسورة واحدة من مثل القرآن لرفعه الضلال ناراً على علم. واحتفلت فيه ألوف الألوف من أضداد الإسلام والقرآن ولسجلته دواوينهم في أقطار الأرض وأجيال الأمم. وتلقوه بأحسن ابتهاج. وصالوا به أكبر صولة لأنه الفيصل السلمي والحجة الأدبية التي ما فوقها حجة لهم في الجدل والبرهان . ولكن هل سمعت أن أحداً نبس في ذلك ببنت شفة أو أجري فيه قلم . وإن أمر ذلك بمعزل عن داخلية الإسلام لكي يقال أنه أخفته شوكة المسلمين أو دسائس تواطيهم . بل إن بذرته ومغرسه وسوره وحفظه وحياطته ترجع إلى ألوف الألوف في كل جيل من أنصاره أضداد الإسلام والقرآن سواء كان ذلك قبل الهجرة أو بعدها أو بعد زمان الرسول (ﷺ) . ألا ترى أنه بعد أن ضرب الإسلام بجرأته في جزيرة العرب بقي في اليمن وسوريا والعراق كثير من اليهود والنصارى وأمثالهم وهم الألوف أو ألوف الألوف من العرب أو من يعرف اللغة العربية ويتكلم بها ويتأدب بآدابها . وأضف إلى ذلك المنافقين الذين كانوا يكيدون الإسلام جهد وسعهم في عصر الرسول وبعده . فهل يخفى على هؤلاء ما هو ضالَّتهم المنشودة . وسلاح سطوتهم . وعدَّة صولتهم وأقطع حجة لهم وأكبر مدافع عن أديانهم . فإنه لا عطر بعد عرس ولكن ماذا يصنعون بالعدم . وعدم القدرة من المتأخر على الاختلاق .

ومما يشهد لما ذكرناه ويجلو تمثيله لبداهة الاعتبار أن اليد الأثيمة غلبت بسنوح الفرصة حتى على المحدثين والمفسرين فدسَّت في كثير من كتب التفسير خرافة الغرانيق وخرافة سبب النزول في آية التمني من سورة الحج كما نجده في أكثر التفاسير . فلوَّنت قدس رسول الله (ﷺ) بما شاءت وسنحت به لها الفرصة . وكذا قدس جميع الأنبياء والمرسلين في حديثهم . وتلاوتهم بحيث لا يبقى بهم أدنى وثوق في ذلك[1] .

هذا في وجهة الاعجاز الذي تقوم به الحجة على العرب . وأن للقرآن المجيد أيضاً وجوهاً من الإعجاز مما يشترك في معرفتها كل بشر ذي رشد اذا أطلع عليها . وهي عديدة

(١) فانظر في الجزء الأول من كتاب الهدى في صفحة ١٢٣ = ١٢٨ و الجزء الأول من الرحلة المدرسية في صفحة ٣٧ و ٣٨ .

نشير إلى بعض منها في هذا المختصر .

﴿ اعجازه من وجهة التاريخ ﴾

لا نقول بذلك بمحض اخباره عن الحوادث الماضية والأمم الخالية وإن كان رسول الله الذي جاء به لا يقرأ ولا يكتب ولم يدخل مدرسة ولم يمارس تعلماً . كما هو المعلوم من تاريخ حياته (ﷺ) . فإنه يمكن أن يقال أن هذا الإخبار المذكور ممكن في العادة لنوع البشر وإن كان معرضاً للعثرات التي لا تقال . بل نقول أن القرآن الكريم اشترك في تاريخه في بعض القصص مع التوراة الرائجة التي اتفق اليهود والنصارى على أنها كتاب الله المنزل على رسوله موسى فأوردت هذه التوراة تلك القصص وهي مملوءة من الخرافات أو الكفر أو عدم الانتظام الذي تشابه فيه كلام المبتلى بالبرسام : فمن ذلك قصة آدم في نهي الله له عن الأكل من الشجرة وما فيها من الخرافات والكفر بنسبة الكذب والخداع إلى الله جلّ وعلا وسائر شؤون القصة على ما جاء في الفصل الثالث من سفر التكوين : ومن ذلك ما جاء في الفصل الخامس عشر منه من شك ابراهيم في وعد الله له باعطائه الأرض في سوريا ومن ذكر العلامة في ذلك : ومن ذلك ما جاء في الفصل الثامن عشر والتاسع عشر في مجيء الملائكة إلى ابراهيم بالبشرى باسحق واخباره بأمر هلاك قوم لوط ومن حكاية ذهابهم إلى لوط وخطابهم معه . ومن ذلك ما جاء في الفصل الثالث من سفر الخروج في خطاب الله لموسى من الشجرة وفي أواخره ما حاصله أن الله جل شأنه افتتح الرسالة لموسى بالتعليم بالكذب : ومن ذلك ما جاء في الفصل الثاني والثلاثين في سفر الخروج في أن هارون هو الذي عمل العجل ليكون إلّهاً لبني اسرائيل ودعى لعبادته وبنى له رسوم العبادة فانظر إلى هذه القصص في مواردها المذكورة من التوراة الرائجة ـ والقرآن الكريم أورد القصة الأولى في سورتي الأعراف وطه ـ والثانية في أواخر سورة البقرة ـ والثالثة في سورتي هود والذاريات ـ والرابعة في سور طه والنمل والقصص ـ والخامسة في سورتي طه والأعراف فجاءت هذه القصص بكرامة الوحي الإلّهي منزّهة عن كل خرافة وكفر وعن كل ما ينافي قدس اللّه وقدس أنبيائه . جارية على المعقول . منتظمة الحجة . شريفة البيان . وذلك مما يقيم الحجة ويوجب اليقين بأنه لا يكون إلا من وحي الله ولا يكون من بشر بما هو بشر مثل رسول الله الذي لم يمارس تعلماً في المعارف الإلّهية ولم يتخرج عن مدرسة ولم يتربَّ إلّا بين أعراب وحشيين وثنيين على أوحش جانب

من الوحشية والوثنية . بل لو مارس جميع التعاليم وتخرّج من جميع الكليات لما أمكنه أن يتنزّه وينزه معارفه وكلامه من أمثال هذه الخرافات الكفرية .

لم يكن في ذلك العصر وما قبله إلا تعاليم اليهود والنصارى . وأساسها في الديانة مبنيّ على ما أشرنا إليه من خرافات التوراة الرائجة فهم عكوف عليها في عبادتهم ومواسمهم وتعاليمهم ومدارسهم . أو تعاليم الوثنيين ومنهم قومه . تلك التعاليم الجهلية الخاسئة . أو تعاليم المجوس المتشعبة من كلا التعليمين المذكورين فإنه صلوات الله عليه لو كان أخذ القصص المذكورة من ذات التوراة الرائجة بالاتقان أو من الروحانيين المسيطرين على تعليمها وأراد أن يتقوَّل بها على الوحي تزلفاً أو مخادعة لهم ليستجيبوا إلى اتباع دعوته لأتى بها على ما في التوراة من الخرافة والكفر . ولو كان أخذها سطحياً من أفواه الرجال كما يأخذ الأمي من ألسن العامة لزاد عليها أضعاف خرافاتها وكفرها كما تستلزمه وتوجبه أميته وتربيته وجهل قومه وبلاده ووحشيتهم ووثنيتهم لكن ﴿ **إن هو إلا وحي يوحى** ﴾ إلى رسول لا تأخذه في تبليغ الحقائق لومة لائم أو مخالفة أمم . فانظر إلى تفصيل ذلك في الجزء الأول من الرحلة المدرسية[1] وعلى هذا النحو يجري الكلام فيما ذكر في العهد القديم الذي يعدُّه أهل الكتاب من الوحي الصادق حيث نسب إلى أيوب أشنع الاعتراض على الله والجزع من قضائه ونسبة الظلم اليه جلَّ وعلا وطلب المحاكمة معه حتى أنه صار يوبخ واعظيه والناهين له عن هذه الجرأة ويسفه رأيهم . ونسب الزنا إلى داود بأشنع وجه . ونسب إلى سليمان أنه تمادى في تأييد الشرك بالله والعبادة الأوثانية وكثر منه بناء المباني لعبادة الأوثان . وقد كثرت مصائب الأناجيل في القدح بقدس المسيح مع صغر حجمها وقلة مكتوبها فنسبت الى قدسه شرب الخمر وتكرّر الكذب والأحوال المنافية للعفة وانتهاره لوالدته وقدحه في قداستها والقول بتعدد الآلهة والأرباب وغير ذلك مما سنشير اليه . وجاء رسول الله صلى الله عليه وآله بوحي قرآنه منزّهاً لهؤلاء الأنبياء ومبرِّئاً لهم عن هذه الوصمات الشنيعة فانظر إلى تفصيل ذلك في الجزء الأول من كتاب الهدى[2] وعلى هذا النحو يجري الكلام أيضاً فيما ذكر في التوراة والعهد القديم من القصص الخرافية المنافية لجلال الله وقدس أنبيائه وشرفهم وشرف عائلاتهم كما في خرافات اختباء

---

(١) صحيفة ٧ = ١١ و ٤١ و ٤٢ و ٤٣ = ٤٦ و ٤٧ و ٥٨ . و ٣٠ = ٣٤ .

(٢) صفحة ١٠٠ = ١١٠ و ١١٢ = ١١٦ و ٢٢٧ = ٢٣٢ .

آدم عن الله . وبرج بابل . وشأن لوط مع الخمر وأبنيته والمصارعة مع يعقوب ومخادعة يعقوب لأبيه وتكرر كذبه عليه . وقصة يهوذا مع كنته ثامار وولادة سبط يهوذا الذي منهم داود وسليمان وكثير من الأنبياء . وقصة أمنون بن داود وابن عمه مع أخته ثامار وملاعب شمشون . ومشورة الله جل شأنه مع جند السماء في أغواء آخاب ملك اسرائيل(١) وكثير من ذلك .

ولأجل أن القرآن الكريم كلام الله القدُّوس ووحيه لم يذكر شيئاً من ذلك ولو كان من اختلاق رسول الله (ﷺ) كما يزعم الظالمون لامتنع في العادة على البشرية وأغراضها وتزلفاتها أن لا يذكر شيئاً من ذلك مع ما فيها من القعقعة التاريخية . وأن البشر الذي يتطلب قصص العهدين ويذكرها في كلامه وأغراضه لا يفوته ما أشرنا اليه .

﴿ اعجازه في وجهة الاحتجاج ﴾

نهض رسول الله صلى الله عليه وآله لتعليم البشر وتنوير بصائرهم في عصر الظلمات والجهل والعمى . ولإرشادهم الى حقائق المعارف التي حجبتها ظلمات الضلال المتراكمة في تلك العصور المظلمة تلك الظلمات التي استولت على أرجاء العالم بحيث لم تدع أن ينقدح من نور الحق للعقول المغلوبة أقل بصيص فجاء (ﷺ) في قرآنه بكثير غزير من الحجج الساطعة على أهمّ المعارف وأشرفها . تلك الحجج الجارية على أحسن نهج وأعمه نفعاً في الاحتجاج والتعليم . جاء بها على أرقى نحو يستلفت العامي الى نور الغريزة الفطرية فيمثله لشعوره . وإلى سناء البديهيات فيجلوه لادراكه . ويجري بمؤدى تلك الحجج مع الفيلاسوف في قوانين المنطق وتنظيم قياساته على أساسيات المعقول . فاحتجَّ على وجود الإلّه ولوازم إلّهيته . وعلمه وقدرته . وتوحيده . وعلى المعاد الجسماني . وعلى أن القرآن وحي إلّهي . وعلى صدق الرسول في دعوته فلا يكاد يوجد في شيء من هذه الحجج خلل عرفاني أو وهن أدبي أو شائبة اختلاف أو شائنة من تناقض . فإذا فرضت أي بشر يكون في ذلك العصر المظلم ومثلت نشأته وتربيته بين

(١) انظر إلى ذلك في سفر التكوين في الاصحاح الثالث. والحادي عشر. والتاسع عشر. والتاسع والعشرين. والثامن والثلاثين. وفي الثالث عشر من صموئيل الثاني. والرابع عشر إلى السابع عشر من سفر القضاة. والثاني والعشرين من الملوك الأول. والثامن عشر من الأيام الثاني .

الأعراب الوحشيين الوثنيين في تلك البلاد الماحلة من كل تعليم والقاحلة من كل فضيلة في المعارف وأنه لم يتعاط تعلماً ولا تأدُّباً على معلم ولا قراءة مكتوب ولا دراسة كتاب علمت أنه يمتنع عليه في العادة بما هو بشر وبلا وحي إلّهي إليه أن يأتي ببيان المعارف الصحيحة والمناقضة للجهل العام في عصره وبيئته وقومه ويحتج عليها بتلك الحجج النيرة القيمة على ذلك المنهاج الممتاز بفضيلته .

وإن شئت أن تزداد بصيرة فيما ذكرناه فانظر الى ما في الأناجيل مما نسبته الى احتجاجات المسيح وحاشا قدسه منه ومما ذكرته من الحجج الساقطة الفاسدة على أمور أكثرها ضلال أو غلط كالاحتجاج على تعدد الآلهة وعلى تعدد الأرباب . وعلى المنع من الطلاق . وانظر الى ما اشتملت عليه من الغلط والتحريف . نعم ذكرت الاحتجاج على القيامة من الأموات ولكن ماذا جاءت به من الغلط والخبط في الحجة وأحوال القيامة . وإن شئت الاطلاع على شيء من ذلك فانظر في الجزء الأول من كتاب الهدى صفحة ١١٢ ـ ١١٦ و ١٩٧ و ٢٠٥ والجزء الأول من الرحلة المدرسية صفحة ٧٣ و ٣٢ ـ ٣٩ .

﴿ اعجازه من وجهة الاستقامة والسلامة من الاختلاف والتناقض ﴾

قد خاض القرآن الكريم في فنون المعارف والإصلاح مما يتخصص فيه الممتازون بالرقي في أبواب الفلسفة والسياسة والخطابة والإصلاح من علم اللاهوت أو الأخلاق أو التشريع المدني والتنظيم الإداري أو الفن الحربي . أو البشري والترغيب بالجزاء أو الانذار والتهديد بالنكال . أو الحجج والأمثال . أو تذكرة المواعظ والعبر . وجرى من ذلك في الميادين الشريفة بأحسن أسلوب وأقوم منهج وبلغ في جميع ذلك أكرم الغايات وأعلاها في الرقي وهو يكرر بحسب الحكمة كثيراً من قصصه ومقاصده وفي جميع ذلك لم تشنه زلة اختلاف ولا عثرة تناقض ولا وهن اضطراب ولا سقوط حجة ولا فساد مضمون ولا سخافة بيان . وها هو بارز في جميع العالم لكل من يريد الهدى والفحص والتدبر ينادي بأبهة الافتخار وجمال السداد وشوكة الاستظهار **﴿ إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ﴾**[١] **﴿ أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً ﴾**[٢] منتشراً في أبوابه ومقاصده . فهل يمكن في العادة أن يكون كل هذا من بشر قد ذكرنا لك

(١) سورة الاسراء : ٩ .

(٢) سورة النساء : ٨٤ .

عصره ونشأته وتربيته وبلاده وقومه وجهلهم الوحشي الوثني ولك العبرة بكتب العهدين وهي التي منذ قرون عديدة يصفق لاستحسانها أكثر العالم المفتخر بالعلم والتمدُّن وينسبونها بكمال الاحتفال الى كرامة الوحي ـ فكم وكم يوجد فيها من الوهن والسقوط والاختلاف والتناقض وقد ذكر شيء من ذلك في كتب اظهار الحق والهدى . والرحلة المدرسية . واعتبر أيضاً بأن كل واحد من الأناجيل لا يزيد على صحيفة أسبوعية وقد كثر فيها الخبط والتناقض والاختلاف الى حد مهول مدهش وقد ذكر شيء منه في الجزء الأول من كتاب الهدى صفحة ١٩٦ ـ ٢٣٤ وأيضاً أن الأناجيل وكتب العهد الجديد مؤسسة على أن كتب العهدين الرائجة هي كتب وحي إلّهي صحيحة . إذن فاعتبر بأنه كم وقع الاختلاف والتناقض بين الأناجيل والعهد الجديد وبين العهد القديم وقد ذكر شيء مما ذكرنا في الجزء الأول من الرحلة المدرسية صفحة ١٣٢ ـ ١٨٤ .

﴿ اعجازه في وجهة التشريع العادل ونظام المدنية ﴾

قدّر رسول الله (ﷺ) بشراً عادياً في مثل ما ذكرناه مراراً في عصره ونشأته وتربيته وبلاده وقومه وجهلهم وعاداتهم الوحشية . ثم انظر هل يمكن في العادة لمثل هذا البشر إذا لم يكن موحى اليه أن يأتي من عنده ومن بشريته بمثل ما أتى به في القرآن الكريم من الشريعة الحقوقية العادلة والقوانين القيمة والأنظمة المعقولة الجارية بأجمعها على ما هو الصالح للبشر في المدنية والاجتماع والسياسة والحرب ومقدماتها ونتائجها . وجرت في عنايتها بالاصلاح من ادارة جميع العالم إلى الإدارة العائلية والبيتية والزوجية بل وإلى شؤون الكاتب والشاهد كما في سورة البقرة آية ٢٨٢ فمنعت فيها من حضارة الكاتب والشاهد ونهت عن أن يحملا من أجل الكتابة والشهادة وأدائها ضرر المشقة والعناء وتضييع وقت أكثر من الوقت الطبيعي لمحض الأداء . وفي ذلك عبرة لأولي الألباب . واليك فانظر ما في القرآن الكريم من الشرائع والقوانين العامة والخاصة واعتبر بكرامتها ومجدها في التشريع الفائق والاصلاح الحميد . ولا تحتاج معرفة مجدها وكرامتها إلى المقايسة والاعتبار بشرائع قطره وقومه تلك الشرائع الجائرة الوحشية الوثنية . نعم تزداد بصيرة إذا نظرت إلى شرائع التوراة الرائجة التي يعتبرها اليهود والنصارى في أجيالهم في أكثر من خمسة وعشرين قرناً ويعدونها كتاب وحي إلهي مقدس فانظر فيما فيها من شريعة تقديس هارون وبنيه وتفصيل ثيابهم وأوضاعها . وشريعة امرأة الأخ الميت . وتفلتها

وولدها البكر من الأخ الثاني . وشريعة من ادعى زوجها أنه لم يجد لها عذرة . وشريعة قتل الأطفال والنساء من البلاد المفتوحة بالحرب فإنك تعرف أن هذه الشرائع لا تكون إلا من بشر سخيف قاسٍ وتزداد بصيرة بمجد القرآن الشريف في تشريعه وإنه لا يكون إلا من وحي إلّهي وقد أشير الى شيء مما ذكرنا في أواخر الجزء الثاني من كتاب الهدى صفحة ٢٨٠ ـ ٢٩٢ والجزء الأول من الرحلة المدرسية صفحة ٢٩ و ٧٩ ـ ٨٢ وانظر إلى العهد الجديد والغائه لنظام المدنية والأخذ أمام الظلم والعدوان بحيث ترك العالم بلا نظام رادع ولا شريعة تأديب عادلة فإنك تزداد بصيرة بأن المتقول على الوحي في أمر التشريع لا بد له من أن يسقط سقطة تشوه التاريخ وتإنّ منها الحقائق جزعاً . فاعرف إذن اعجاز القرآن في تشريعه الممتاز بفضيلة الوحي الإلّهي .

﴿ اعجازه من وجهة الأخلاق ﴾

وإذا نظرت إلى ظلمات العصر والقطر والتربية وشيوع الجهل في الأمة وسوء الأعمال وعدم الدراسة في العلم أو التخرج في الفضيلة على الحكماء الصالحين فإنك ترى هذه الأمور لها أثر كبير في الجهل بالأخلاق الفاضلة والانحراف عن جادتها والخبط في معرفتها وتمييز جدودها . فلا ترد البشر إلى الاستقامة في ذلك تكلفات الفكر المحاط بالجهل العام والجيل المظلم والقطر الوبيء من نزغات الأهواء . ولئن حاول الرجل المريد للصلاح حينئذ شيئاً من تهذيب الأخلاق لم يهتد السبيل في قوله وعمله إلا إلى شيء يشير إليه التداول بين جملة من الناس ولئن تكلف المتفلسف شيئاً من التعليم بالأخلاق خبط فيها خبطاً غلب فيه الجهل والزلل وتتابعت فيه العثرات .

ومن بين تلك الظلمات المذكورة بزغ القرآن الكريم بأنواره وأتى بما لا تسمح به العادة بأن يأتي به في تلك الظلمات بشر من عند نفسه وتقولاً على الوحي فجاء في اجماله وتفصيله مستقصياً للأخلاق الفاضلة على حدودها بالحث على التزين بها بما توجبه الحكمة من البعث والترغيب . ومحصياً للأخلاق الرذيلة بالزجر عن التلوث بها بما يوجبه الإصلاح من الارهاب والتنفير . وأقام لذلك في العالم أشرف مدرسة زاهرة وأعلا فلسفة مرشدة وأبلغ خطابة واعظة واليك بعضاً من جوامعه في ذلك كقوله تعالى في سورة النحل : ٩٢ **﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتآء ذي القربى وينهي عن الفحشاء والمنكر يعظكم لعلكم تذكرون ﴾** . ومن سورة الفرقان ما في الآية الرابعة والستين الى الخامسة

والسبعين . ومن سورة المعارج ما في الآية الثالثة والعشرين الى الثالثة والثلاثين . ومن سورة الحجرات ما في الآيات العاشرة والحادية عشرة والثانية عشرة . وغير ذلك مما لا يكاد أن تخلو منه سورة أو يتخطاه تعليم أو يحابى به قوم دون قوم أو يتجاوز بالافراط الى التفريط والاخلال بنظام المدنية وراحة الاجتماع .

ولك العبرة بأن التوراة الرائجة فيها وشل من تعاليم التوراة الحقيقية ولكن لأنها تلفيق واختلاق بشري كدَّرت ما فيها من ذلك الوشل وذهبت بصفاء التعليم الإلٓهي . فأمرت بني اسرائيل بالحكم بالعدل لقريبهم ونهتهم عن الحقد على أبناء شعبهم وعن السعي بالوشاية وعن شهادة الزور على قريبهم وأن يغدر أحدهم بصاحبه . ويا للأسف على شرف هذا الأمر والنهي إذا شوَّهت جماله بتخصيص تعليمها لبني اسرائيل وبتخصيص المأمور به والمنهي عنه بالقريب والشعب والصاحب .

ولك العبرة أيضاً بأن الأناجيل الرائجة قد أفرطت بتصوفها البارد فنهت عن ردع الظالمين بالانتصاف من الظالم وقطع مادة الفساد بالحدود الشرعية ودفاع الظالمين بل علمت بأن من لطمك على خدك الأيمن فأدر له الآخر أيضاً ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء أيضاً ومن أخذ الذي لك فلا تطالبه .

فلوثت بأفراطها البشري قدس تعاليم المسيح المتلقاة من الوحي الإلٓهي .

﴿ اعجازه في وجهة علم الغيب ﴾

وقد تكرر في القرآن معجزه في اخباره بالغيب اخباراً يقتضي التكهن والفراسة خلافه من حيث النظر الى الحال الحاضر وطغيان الشرك وضعف الدعوة الإسلامية وما يجري من النكال والتشريد والجفاء على ملبيها . فمن ذلك قوله في سورة الحجر المكية في الأمر لرسول الله (ﷺ) بالاعلان بالدعوة والبشرى بنجاحها وارغام معانديها ومعارضيها وكان ذلك عند طغيان الشرك واستفحاله وهيجان المشركين على رسول الله٩٤ ﴿ **فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين** ﴾ : ٩٥ ﴿ **انا كفيناك المستهزئين** ﴾ : ٩٦ ﴿ **الذين يجعلون مع الله إلٓهاً آخر فسوف يعلمون** ﴾ وقد كفاه الله أشرف كفاية لم تكن تعلق بها الآمال بحسب العادة . وقد بان للمشركين وعلموا ما في قوله تعالى في آخر الآية فسوف يعلمون . وقوله في سورة الصف المكية في الحال الذي وصفناه من طغيان الشرك

والمشركين ٩ ﴿ **هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون** ﴾ فأظهره على الدين أعز اظهار ارغمت به آناف المشركين . ومن الأخبار بالغيب قوله تعالى في سورة الروم ﴿ **غلبت الروم ٢ في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون ٣ في بضع سنين** ﴾ فغلبت الروم فارس ودخلت مملكتها قبل مضي عشر سنين وقوله تعالى في سورة تبت في شأن أبي لهب وامرأته ﴿ **سيصلى ناراً ذات لهب وامرأته حمالة الحطب في جيدها حبل من مسد** ﴾ وهو اخبار بأنهما يموتان على الكفر ولا يحظيان بسعادة الإسلام الذي يكفر عنهما آثام الشرك ويحط أوزاره فماتا على الكفر كما أخبر به اخباراً حتمياً .

ولك العبرة في ذلك بأن انجيل متى ذكر اخباراً واحداً غيبياً للمسيح وهو أنه يبقى مدفوناً في قلب الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ . ولكن ما برح انجيل متى أن كذب في أواخره هذا الاخبار فوافق الأناجيل الثلاثة الأخر على أن المسيح في مساء ليلة السبت طلب بعض الناس جثته من بيلاطس فأنزلها عن الصليب وكفنها ودفنها وقبل الفجر من يوم الأحد قام المسيح من الموت وخرج عن قبره . وعلى ذلك لا يكون المسيح بقي في القبر إلا ليلة السبت ونهاره وليلة الأحد وذلك نهار وليلتان .

هذا وإني عند مقايستي للقرآن الكريم بما ينسب إلى الوحي الإلّهي من كتب الأمم المتدينة ومنهم البراهمة والبوذيون وغيرهم لم يحضر عندي الا كتب العهدين فلا ينبغي أن يجعل مقايستي بهما تحاملاً على خصوص اليهود والنصارى . ولي العذر في ذلك فإنه لا يصح للإنسان أن تأخذه في خدمة الحق وإيضاح الحقيقة وتأييدها لومة لائم أو يصده عذل عاذل . فإن خدمة الحق نصرة للبشر جميعاً والله المستعان .

هذا شيء قليل من البيان في الوجهات المذكورة إذ لا يسع هذا المختصر أكثر من ذلك . وهب أن الوساوس تتقحم على الحقائق وتغالط الأذهان بواهيات الشكوك في الاعجاز ببعض الشك في اعجاز الكتاب الجامع بفضيلته لهذه الكرامات الباهرة وخروجه عن طوق البشر مطلقاً وخصوصاً في ذلك العصر وتلك الأحوال وهل يسمح عقله الا بأن يقول ﴿ **ان هو الا وحي يوحى** ﴾ .

﴿ الفصل الثاني في جمعه في مصحف واحد ﴾

لم يزل القرآن الكريم بحسب حكمة الوحي والتشريع والمصالح والمقتضيات

المتجددة آناً فآناً يتدرج في نزوله نجوماً(١) الآية والآيتان والأكثر والسورة . وكلما نزل شيء هفت اليه قلوب المسلمين وانشرحت له صدورهم وهبوا الى حفظه بأحسن الرغبة والشوق وأكمل الاقبال وأشد الارتياح . فتلقوه بالابتهاج وتلقوه بالاغتنام من تلاوة الرسول العظيم الصادع بأمر الله والمسارع إلى التبليغ والدعوة إلى الله،وقرآنه . وتناوله حفظهم بما امتازت به العرب وعرفوا به من قوة الحافظة الفطرية وأثبتوه في قلوبهم كالنقش في الحجر . وكان شعار الإسلام وسمة المسلم حينئذ هو التجمل والتكمل بحفظ ما ينزل من القرآن الكريم . لكي يتبصر بحججه ويتنور بمعارفه وشرائعه وأخلاقه الفاضلة وتاريخه المجيد وحكمته الباهرة وأدبه العربي الفائق المعجز . فاتخذ المسلمون تلاوته لهم حجة الدعوة . ومعجز البلاغة . ولسان العبادة لله . ولهجة ذكره . وترجمان مناجاته . وأنيس الخلوة . وترويح النفس . ودرساً للكمال . وتمريناً في التهذيب . وسلماً للترقي . وتدرباً في التمدُّن . وآية الموعظة . وشعار الإسلام . ووسام الإيمان والتقدّم في الفضيلة . واستمرَّ المسلمون على ذلك حتى صاروا في زمان الرَّسول يعدّون بالألوف وعشراتها ومئاتها . وكلهم من حملة القرآن وحفاظه(٢) وإن تفاوتوا في ذلك بحسب السابقة والفضيلة . . هذا ولما كان وحيه لا ينقطع في حياة رسول الله (ﷺ) لم يكن كله

---

(١) ولا بد من أن تكون كتب الوحي والدعوة والتشريع جارية في كمالها على منهاج هذه الحكمة . ومما يشير إلى ذلك أن التيوراة الرائجة تذكر أن نزول التوراة على موسى عليه السلام كان من زمان تكليمه من الشجرة متدرجاً بحسب الأزمان والحوادث والتاريخ والحكم في التشريع إلى حين وفاته بعد التيه عند عبر الأردن ومتراخياً في أكثر من أربعين سنة . فانظر في شرح هذا المجمل إلى المقدمة الثانية من الجزء الأول من كتاب الهدى صحيفة ٩ إلى ١٢ .

(٢) اخرج ابن سعد وابن عساكر عن محمد بن كعب القرضي قال جمع القرآن أي حفظاً في زمان النبي ﷺ خمسة من الأنصار معاذ بن جبل وعبادة بن الصمت وأبي بن كعب وأبو أيوب الانصاري وأبو الدرداء . وأخرج ابن سعد ويعقوب بن سفيان والطبراني وابن عساكر عن الشعبي قال جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ ستة من الأنصار أبي بن كعب وزيد بن ثابت ومعاذ بن جبل وأبو الدرداء وسعد بن عبيد وأبو زيد وكان مجمع ابن جارية قد أخذه كله إلا سورتين أو ثلاثة . وأخرج ابن عساكر عن محمد بن كعب القرضي قال كان ممن ختم القرآن ورسول الله حيّ عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب وعبد الله بن مسعود . وأخرج عن أنس قرأ القرآن على عهد رسول الله ﷺ معاذ بن أبي وسعد وأبو زيد . وأخرج الحاكم في الصحيح على شرط البخاري ومسلم عن زيد بن ثابت قال كنا عند رسول الله ﷺ نؤلف القرآن من الرقاع . وفي رواية حول رسول الله نؤلف القرآن » فانظر إلى كنز العمال ومنتخبه أقلا » ولم أذكر هذه الروايات احتجاجاً بها للحقيقة المعلومة ولكن لتجبه بالمعارضة بعض الروايات الشاذة الواردة في خلاف ما ذكرناه من حفظ المسلمين في عصر النبي وبعده للقرآن الكريم .

مجموعاً في مصحف واحد وإن كان ما أوحي منه مجموعاً في قلوب المسلمين وكتاباتهم له . . ولما اختار الله لرسوله دار الكرامة وانقطع الوحي بذلك فلا يرجى للقرآن نزول تتمة رأى المسلمون أن يسجلوه في مصحف جامع فجمعوا مادته على حين أشراف الألوف من حفاظه ورتابة مكتوباته الموجودة عند الرسول وكتاب الوحي وسائر المسلمين جملة وابعاضاً وسوراً(١) نعم لم يُترتب على ترتيب نزوله ولم يقدم منسوخه على ناسخه(٢) فاستمرَّ القرآن الكريم على هذا الاحتفال العظيم بين المسلمين جيلاً بعد جيل ترى له في كل آن الوفا مؤلفة من المصاحف والوفا من الحفاظ ولا تزال المصاحف ينسخ بعضها على بعض والمسلمون يقرأ بعضهم على بعض ويسمع بعضهم من بعض . تكون ألوف المصاحف رقيبة على الحفاظ ، وألوف الحفاظ رقباء على المصاحف وتكون الألوف من كلا القسمين رقيبة على المتجدد منهما ، نقول الألوف ولكنها مئات الألوف وألوف الألوف . فلم يتفق لأمر تاريخي من التواتر وبداهة البقاء مثل ما اتفق للقرآن الكريم كما وعد الله جلت آلاؤه بقوله في سورة الحجر ﴿ **إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون** ﴾ وقوله في سورة القيامة ﴿ **إنَّ علينا جمعه وقرآنه** ﴾ ولئن سمعت في الروايات الشاذة شيئاً في تحريف القرآن وضياع بعضه فلا تُقم لتلك الروايات وزناً . وقل ما يشاء العلم في اضطرابها ووهنها وضعف رواتها ومخالفتها للمسلمين وفيما جاءت به في مروياتها الواهية من الوهن . وما

---

(١) ومما يشهد لما ذكرناه ما عن أبي عبيد في فضائله وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه مسنداً عن عمر بن عامر الأنصاري إن عمر بن الخطاب قرأ « والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار الذين اتبعوهم بإحسان » فرفع الأنصار ولم يدخل واو العطف على « الذين » فقال له زيد بن ثابت « والذين اتبعوهم باحسان » فقال عمر « الذين اتبعوهم باحسان » فقال زيد أمير المؤمنين أعلم فقال عمر ايتوني بأبي بن كعب فسأله عن ذلك فقال « والذين اتبعوهم باحسان » فجعل كل واحد منهما يشير إلى أنف صاحبه باصبعه فقال أبي والله أقرأنيها رسول الله ﷺ وأنت تتبع الخبط فقال عمر فنعم إذن فنعم إذن . واخرج أبو عبيد في فضائله وسنيد وابن جرير وأبو الشيخ عن محمد بن كعب القرضي . وأخرج أبو الشيخ في تفسيره والحاكم في المستدرك مصححاً على شرط البخاري ومسلم عن أسامة ومحمد بن إبراهيم التيمي أنه جرى بين عمر وأبي بن كعب في هذه الآية نحو ذلك فانظر في كنز الأعمال ومنتخبه .

(٢) نعم من المعلوم عند الشيعة أن علياً أمير المؤمنين (ع) بعد وفاة رسول الله ﷺ لم يرتد برداء إلا للصلاة حتى جمع القرآن على ترتيب نزوله وتقدم منسوخه على ناسخه . وأخرج ابن سعد وابن عبد البر في الاستيعاب عن محمد بن سيرين قال نبئت أن علياً أبطأ عن بيعة أبي بكر فقال أكرهت إمارتي فقال آليت بيميني أن لا أرتدي برداء إلا للصلاة حتى أجمع القرآن قال فزعموا أنه كتبه على تنزيله قال محمد فلو أصبت ذلك الكتاب كان فيه علم قال ابن عوف فسألت عكرمة عن ذلك الكتاب فلم يعرفه .

ألصقته بكرامة القرآن مما ليس له شبه به واستمع من ذلك لأمور .

﴿ اضطراب الروايات في جمع القرآن ﴾

(**الأمر الأول**) جاء فيها أن أبا بكر هو الذي أدى رأيه أولاً الى جمع القرآن وهو الذي طلب من زيد بن ثابت جمعه فنقل ذلك عليه فلم يزل أبو بكر يراجعه حتى قبلَ . وجاء فيها أيضاً أن زيداً هو الذي أدى رأيه أولاً الى جمع القرآن وعزم عليه وكلم في ذلك عمر فكلم فيه عمر أبا بكر فاستشار أبو بكر في ذلك المسلمين . وجاء فيها أيضاً أن أبا بكر هو الذي جمع القرآن . وجاء فيها أن عمر قتل ولم يجمع القرآن . وجاء فيها أن عثمان هو الذي جمع القرآن في أيامه بأمره . وجاء فيها أن عمر هو الذي أمر زيدِ بن ثابت وسعيد بن العاص لما أراد جمع القرآن أن يملي زيد ويكتب سعيد . وجاء فيها أن ذلك كان من عثمان في أيامه وبعد قتل عمر . وجاء في ذلك أيضاً أن الذي يملي أبيّ بن كعب وزيد يكتبه وسعيد يعربه . وفي رواية أخرى أن سعيداً وعبد الله بن الحرث يعربانه : هذا بعض حال هذه الروايات في تعارضها واضطراباتها ، ومن جملة ما جاء فيها ما مضمونه أن براءة آخر ما نزل من القرآن فما ترى لهذه الرواية من القيمة التاريخية . فانظر الى الجزء الأول من كنز العمال ومنتخبه أقلا .

﴿ بعض ما ألصق بكرامة القرآن الكريم ﴾

(**الثاني**) في الجزء الخامس من مسند أحمد عن أبي بن كعب قال أن رسول الله (ﷺ) قال أن الله أمرني أن أقرأ عليك القرآن قال فقرأ **﴿ لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب ﴾** فقرأ فيها (لو أن ابن آدم سأل وادياً من مال فأعطيه لسأل ثانياً فلو سأل ثانياً فأعطيه لسأل ثالثاً ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب وإن ذلك الدين القيم عند الله الحنيفية غير المشركة ولا اليهودية ولا النصرانية ومن يعمل خيراً فلن يكفره). وفي رواية الحاكم في المستدرك ورواية غيره أيضاً « أن ذات الدين عند الله الحنيفية لا المشركة » وفي رواية « غير المشركة » إلى آخره وعن جامع الأصول لابن الأثير الجزري « أن الدين عند الله الحنيفية المسلمة لا اليهودية ولا النصرانية ولا المجوسية » وذكر في المسند أيضاً بعد هذه الرواية عن أبي قال قال لي رسول الله (ﷺ) أن الله أمرني أن أقرأ عليك فقرأ عليّ **﴿ لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين**

حتى تأتيهم البينة رسول من رسول الله يتلو صحفاً مطهرة فيها كتب قيمة وما تفرَّق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة إن الدين عند الله الحنيفية لا المشركة ولا اليهوديّ ولا النصرانية ومن يفعل خيراً فلن يكفره ﴾ قال شعبة ثم قرأ آيات بعدها ثم قرأ ﴿ **لو أن لابن آدم واديين من مال لسئل وادياً ثالثاً ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب** ﴾ . قال ثم ختمها بما بقي منها انتهى . وهذه الروايات رواها أيضاً أبو داود الطيالسي وسعيد بن منصور في سننه والحاكم في مستدركه كما في كنز العمال . وذكر في المسند أيضاً عن أبي واقد الليثي قال كنا نأتي النبي (ﷺ) إذا أنزل عليه فيحدثنا فقال لنا ذات يوم أن الله عزّ وجلّ (إنا أنزلنا المال لإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ولو كان لابن آدم واد لأحبَّ أن يكون له ثانٍ ولو كان له واديان لأحبَّ أن يكون لهما ثالثاً ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ثم يتوب الله على من تاب انتهى) هب ان المعرفة والصدق لا يطالبان المحدثين « ولا نقول القصاص » ولا يسئلانهم عن هذا الاضطراب الفاحش فيما يزعمون أنه من القرآن ولا يسألانهم عن التمييز بين بلاغة القرآن وعلو شأنه فيها وبين انحطاط هذه الفقرات . ولكن أليس للمعرفة أن تسألهم عن الغلط في قولهم « لا المشركة » فهل يوصف الدين بأنه مشركة . وفي قولهم « الحنيفية المسلمة » وهل يوصف الدين أو الحنيفية بأنه مسلمة وقولهم « أن ذات الدين » وفي قولهم ﴿ **إنا أنزلنا المال لإقام الصلاة** ﴾ ما معنى انزال المال . وما معنى كونه لإقام الصلاة . هذا واستمع لما يأتي ففي الجزء السادس من مسند أحمد مسنداً عن مسروق قال قلت لعائشة هل كان رسول الله يقول شيئاً إذا دخل البيت قالت كان إذا دخل البيت تمثل لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى وادياً ثالثاً ولا يملأ فمه الا التراب وما جعلنا المال إلا لإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ويتوب الله على من تاب . وفي الجزء السادس في اسناده عن جابر قال قال رسول الله (ﷺ) لو أن لابن آدم وادياً من مال لتمنى واديين ولو أن له واديين لتمنى ثالثاً ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب . وباسناده أيضاً قال سئل جابر هل قال رسول الله لو كان لابن آدم وادٍ من نخلٍ تمنى مثله حتى يتمنى أودية ولا يملأجوف ابن آدم إلا التراب انتهى . وهل تجد من الغريب أو الممتنع في العادة أن يكون لابن آدم واد من مال أو من نخل . أو ليس في بني آدم في كل زمان من ملك وادياً من ذلك بل واديان . اذن فكيف يصح في الكلام المستقيم أن يقال لو كان لابن آدم . لو أن لابن آدم . أو ليست لو للامتناع . يا للعجب من الرواة لهذه الروايات ألم يكونوا عرباً أو لهم المام باللغة العربية . نعم يرتفع هذا

الاعتراض بما رواه أحمد في مسند ابن عباس لو كان لابن آدم واديان من ذهب وكذا ما يأتي من رواية الترمذي عن أنس . وأيضاً إن تمني الوادي والواديين والثلاث ليس بذنب يحتاج إلى التوبة إذن فما هو وجه المناسبة بتعقيب ذلك بجملة ﴿ **ويتوب الله على من تاب** ﴾ وإن شئت أن تستزيد مما في هذه الرواية من التدافع والاضطراب فاستمع إلى ما رواه الحاكم في المستدرك أن أبا موسى الأشعري قال كنا نقرأ سورة نشبهها بالطول والشدة ببراءة فأنسيتها غير أني حفظت منها لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى ثالثاً ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب . وذكر في الدر المنثور أنه أخرجه جماعة عن أبي موسى . وأضف إلى ذلك في التدافع والتناقض ما أسنده في الاتقان عن أبي موسى أيضاً قال نزلت سورة نحو براءة ثمَّ رفعت وحفظ منها أن الله سيؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم ولو أن لابن آدم واديين لتمنى إلى آخره . وأسند الترمذي عن أنس بن مالك قال قال رسول الله (ﷺ) لو كان لابن آدم واد من ذهب لأحبَّ أن يكون له ثان ولا يملأ فاه إلا التراب ويتوب الله على من تاب . وها أنت ترى روايات عائشة وجابر وأنس وابن عباس تجعل حديثِ الوادي والواديين من قول رسول الله وتمثله . فهي بسوقها تنفي كونه من القرآن الكريم . ومع ذلك فقد نسبت إلى كلام الرسول (ﷺ) ما يأتي فيه بعض من الاعتراضات المتقدمة مما يجب أن ينزّه عنه ودع عنك الاضطراب الذي يدع الرواية مهزلة .

(**الأمر الثالث**) ومما ألصقوه بكرامة القرآن المجيد قولهم في الرواية عن زيد بن ثابت كنا نقرأ آية الرجم ﴿ **الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة** ﴾ وفي الرواية عن ذرعن أبيّ أن سورة الأحزاب كانت تضاهي سورة البقرة أو هي أطول منها وأن فيها أو في أواخرها آية الرجم وهي ﴿ **الشيخ والشيخة فارجموهما البتة نكالاً من الله والله عزيز حكيم** ﴾ وفي رواية السياري من الشيعة عن أبي عبد الله بزيادة قوله بما قضيا من الشهوة . وفي رواية الموطأ والمستدرك ومسدد وابن سعد عن عمر كما سيأتي ﴿ **الشيخ والشيخة فارجموهما البتة** ﴾ وفي رواية أبي أمامة ابن سهل أن خالته قالت لقد أقرأنا رسول الله (ﷺ) آية الرجم ﴿ **الشيخ والشيخة فارجموهما البتة بما قضيا من اللذة** ﴾ ونحو ذلك رواية سعد بن عبد الله وسليمان بن خالد من الشيعة عن أبي عبد الله (ع) . ويا للعجب كيف رضي هؤلاء المحدثون لمجد القرآن وكرامته أن يلق هذا الحكم الشديد على الشيخ والشيخة بدون أن يذكر السبب وهو زناهما أقلاً فضلاً عن شرط الإحصان . وأن قضاء الشهوة أعمّ من الجماع والجماع أعمُّ من الزنا والزنا يكون كثيراً مع عدم الإحصان .

سامحنا من يزعم أن قضاء الشهوة كناية عن الزنا زد عليه كونه مع الاحصان ولكنا نقول ما وجه دخول الفاء في قوله ﴿ **فارجموهما** ﴾ وليس هناك ما يصحح دخولها من شرط أو نحوه لا ظاهر ولا على وجه يصح تقديره وإنما دخلت الفاء على الخبر في قوله تعالى في سورة النور ﴿ **والزانية والزاني فاجلدوا** ﴾ لأن كلمة اجلدوا بمنزلة الجزاء لصفة الزنا في المبتدأ . والزنا بمنزلة الشرط . وليس الرجم جزاءً للشيخوخة ولا الشيخوخة سبباً له . نعم الوجه في دخول الفاء هو الدلالة على كذب الرواية . ولعلّ في رواية سليمان بن خالد سقطا بأن تكون صورة سؤاله هل يقولون في القرآن رجم . وكيف يرضى لمجده وكرامته في هذا الحكم الشديد أن يقيد الأمر بالشيخ والشيخة مع اجماع الأمة على عمومه لكل زان محصن بالغ الرشد من ذكر أو أنثى . وأن يطلق الحكم بالرجم مع اجماع الأمة على اشتراط الاحصان فيه . وفوق ذلك يؤكد الاطلاق ويجعله كالنص على العموم بواسطة التعليل بقضاء اللذة والشهوة الذي يشترك فيه المحصن وغير المحصن . فتبصر بما سمعته من التدافع والتهافت والخلل في رواية هذه المهزلة . وأضف إلى ذلك ما رواه في الموطأ والمستدرك ومسدد وابن سعد من أن عمر قال قبل موته بأقل من عشرين يوماً فيما يزعمونه من آية الرجم لولا أن يقول الناس زاد عمر بن الخطاب في كتاب الله لكتبتها ﴿ **الشيخ والشيخة فارجموهما البتة** ﴾ وأخرج الحاكم وابن جرير وصححه أيضاً أن عمر قال لما نزلت أتيت رسول الله (ﷺ) فقلت اكتبها « وفي نسخة كنز العمال » اكتبينها فكأنه كره ذلك . وقال عمر ألا ترى أن الشيخ إذا زنى ولم يحصن جلد وإن الشاب إذا زنا وقد أحصن رجم . فالمحدثون يروون أن عمر يذكر أن رسول الله كره أن تكتب آية منزلة وعمر يذكر وجوه الخلل فيها . فيا للعجب منهم . وفي الاتقان أخرج النسائي أن مروان قال لزيد بن ثابت ألا تكتبها في المصحف قال ألا ترى أن الشابين الثيبين يرجمان وقد ذكرنا ذلك لعمر فقال أنا أكفيكم فقال يا رسول الله اكتب لي آية الرجم قال لا تستطيع انتهى . فزيد بن ثابت يعترض عليها . ولما رأوا التدافع بين قول عمر اكتبها لي وبين قول النبي لا تستطيع قالوا أراد عمر بقوله ذلك أأذن لي بكتابتها وكأنهم لا يعلمون أن عمر عربي لا يعبر عن قوله أأذن لي بكتابتها بقوله اكتبها لي ومع ذلك لم يستطيعوا أن يذكروا وجهاً مقبولاً لقوله (ﷺ) لا تستطيع . وفي رواية في كنز العمال عن ابن الضريس عن عمر قلت لرسول الله اكتبها يا رسول الله قال لا أستطيع . وأخرج ابن الضريس عن زيد بن أسلم أن عمر خطب الناس فقال لا تشكوا في الرجم فإنه حق ولقد هممت أن أكتبه في

المصحف فسألت أبي بن كعب فقال اليس اتيتني وأنا استقرئها رسول الله فدفعت في صدري وقلت كيف يستقرئه آية الرجم وهم يتسافدون تسافد الحمر انتهى . فهذه الرواية تقول أن عمر لم يرض بانزال شيء في الرجم . وليت المحدثون يفسرون حاصل الجواب من أبي لعمر وحاصل منع عمر لأبي عن استقرائها ، وأخرج الترمذي عن سعد بن المسيب عن عمر قال رجم رسول الله (ﷺ) ورجم أبو بكر ورجمت ولولا أني أكره أن أزيد في كتاب الله لكتبته في المصحف . نعم يقول أن كتابة الرجم في المصحف زيادة في كتاب الله وهو يكرهها ـ فقابل هذه الروايات الأربع احداهن بالأخرى وأعرف ما جناه المولعون بكثرة الرواية من المحدثين . وإذا نظرت إلى الجزء الثالث من كنز العمال صحيفة : ٩٠ و ٩١ فإنك تزداد بصيرة في الاضطراب والخلل .

هذا ومما يصادم هذه الروايات ويكافحها ما روي من أن علياً (ع) لما جلد شراحة الهمدانية يوم الخميس ورجمها يوم الجمعة قال اجلدها بكتاب الله وارجمها بسنة رسوله كما رواه أحمد والبخاري والنسائي وعبد الرزاق في الجامع والطحاوي والحاكم في مستدركه وغيرهم . ورواه الشيعة عن علي (ع) مرسلاً فعلي (ع) يشهد بأن الرجم من السنة لا من الكتاب .

﴿ الأمر الرابع ﴾

مما ألصقوه بكرامة القرآن المجيد ما رواه في الاتقان والدرر المنثور أنه أخرج الطبراني والبيهقي وابن الضريس أن من القرآن سورتين « وقد سماها الراغب في المحاضرات سورتي القنوت » ونسبوهما الى تعليم علي (ع) وقنوت عمر ومصحفي ابن عباس وزيد بن ثابت وقراءة أبي وأبي موسى (والأولى منهما) بسم الله الرحمن الرحيم اللهم إنا نستعينك ونستغفرك ونثني عليك الخير ولا نكفرك ونخلع ونترك من يفجرك انتهى .

لا نقول لهذا الراوي أن هذا الكلام لا يشبه بلاغة القرآن ولا سوقه فأنا نسامحه في معرفة ذلك ولكنا نقول له كيف يصح قوله يفجرك وكيف تتعدى كلمة يفجر وأيضاً أن الخلع يناسب الأوثان إذن فماذا يكون المعنى وبماذا يرتفع الغلط (والثانية منهما) بسم الله الرحمن الرحيم اللهم إياك نعبد ولك نصلي ونسجد وإليك نسعى ونحفد نرجو رحمتك ونخشى عذابك الجد أن عذابك بالكافرين ملحق انتهى ولنسامح الراوي أيضاً

فيما سامحناه فيه في الرواية الأولى ولكنا نقول له ما معنى الجدّ هنا أهو العظمة أو الغنى أو ضد الهزل أو هو حاجة السجع نعم في رواية عبيد نخشى نقمتك وفي رواية عبد الله نخشى عذابك وما هي النكتة في التعبير بقوله ملحق . وما هو وجه المناسبة وصحة التعليل لخوف المؤمن من عذاب الله بأن عذاب الله بالكافرين ملحق بل أن هذه العبارة تناسب التعليل لأن لا يخاف المؤمن من عذاب الله لأن عذابه بالكافرين ملحق .

﴿ الأمر الخامس ﴾

ومما ألصقوه بالقرآن المجيد ما نقله في فصل الخطاب عن كتاب دبستان المذاهب أنه نسب الى الشيعة أنهم يقولون أن احراق المصاحف سبب اتلاف سور من القرآن نزلت في فضل علي (ع) وأهل بيته (ع) « منها » هذه السورة وذكر كلاماً يضاهي خمساً وعشرين آية في الفواصل قد لفق من فقرات القرآن الكريم على أسلوب آياته . فاسمع ما في ذلك من الغلط فضلاً عن ركاكة أسلوبه الملفق فمن الغلط « واصطفى الملائكة وجعل من المؤمنين أولَئك في خلقه » ماذا اصطفى من الملائكة وماذا جعل من المؤمنين وما معنى أولَئك في خلقه . ومنه ﴿ **مثل الذين يوفون بعهدك اني جزيتهم جنات النعيم** ﴾ ليت شعري ما هو مثلهم . ومنه ﴿ **ولقد أرسلنا موسى وهارون بما استخلف فبغوا هارون فصبر جميل** ﴾ ما معنى هذه الدمدمة وما معنى بما استخلف وما معنى فبغوا هارون ولمن يعود الضمير في بغوا ولمن الأمر بالصبر الجميل . ومن ذلك ﴿ **ولقد أتينا بك الحكم كالذي من قبلك من المرسلين وجعلنا لك منهم وصياً لعلهم يرجعون** ﴾ ما معنى أتينا بك الحكم ولمن يرجع الضمير الذي في منهم ولعلهم . هل المرجع للضمير هو في قلب الشاعر . وما هو وجه المناسبة في لعلهم يرجعون . ومن ذلك «**وأن علياً قانت في الليل ساجد يحذر الآخرة ويرجو ثواب ربه قل هل يستوي الذين ظلموا وهم بعذابي يعلمون**» قل ما محل قوله هل يستوي الذين ظلموا وما هي المناسبة له في قوله وهم بعذابي يعلمون . ولعل هذا الملفق تختلج في ذهنه الآيتان الحادية عشرة والثانية عشرة من سورة الزمر وفي آخرها ﴿ **هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون** ﴾ فأراد الملفق أن يلفق منهما شيئاً بعدم معرفته فقال في آخر ما لفق هل يستوي الذين ظلموا ولم يفهم أنه جيء بالاستفهام الانكاري في الآيتين لأنه ذكر فيهما الذي جعل لله أنداداً ليضل عن سبيله والقانت آناء الليل يرجو رحمة ربه فهما لا يستويان ولا يستوي الذين يعلمون والذين لا

يعلمون . هذا بعض الكلام في هذه المهزلة . وأن صاحب فصل الخطاب من المحدثين المكثرين المجدين في التتبع للشواذ وأنه ليعدّ أمثال هذا المنقول في دبستان المذاهب ضالته المنشودة ومع ذلك قال أنه لم يجد لهذا المنقول أثر في كتب الشيعة . فيا للعجب من صاحب دبستان المذاهب من أين جاء بنسبة هذه الدعوة إلى الشيعة . وفي أي كتاب لهم وجدها أفهكذا يكون النقل في الكتب ولكن لا عجب (شنشنة أعرفها من أخزم) فكم نقلوا عن الشيعة مثل هذا النقل الكاذب كما في كتاب الملل للشهرستاني ومقدمة ابن خلدون وغير ذلك مما كتبه بعض الناس في هذه السنين والله المستعان .

﴿ قول الإمامية بعدم النقيصة في القرآن ﴾

ولا يخفى أن شيخ المحدثين والمعروف بالاعتناء بما يروى وهو الصدوق طاب ثراه قال في كتاب الاعتقاد . اعتقادنا أن القرآن الذي أنزله الله على نبيه (ﷺ) هو ما بين الدفتين وليس بأكثر من ذلك ومن نسب إلينا أنا نقول أنه أكثر من ذلك فهو كاذب انتهى . وحمل الروايات الواردة في النقصان على وجوه أخر . وفي أواخر فصل الخطاب من كتاب المقالات للشيخ المفيد قدس سره إنه قال جماعة من أهل الإمامة أنه (أي القرآن) لم ينقص من كلمة ولا من آية ولا من سورة ولكن حذف ما كان مثبتاً في مصحف أمير المؤمنين (ع) من تأويله وتفسير معانيه على حقيقة تنزيله . وعن السيد المرتضى قدس سرُّه قوله بعدم النقيصة وأن من خالف في ذلك من الإمامية والحشوية لا يعتد بخلافهم فإن الخلاف في ذلك مضاف إلى قوم من أصحاب الحديث نقلوا أخباراً ضعيفة ظنوا صحتها . وفي أول التبيان للشيخ الطوسي (قده) أما الكلام في زيادته ونقصه فمما لا يليق به أيضاً لأن الزيادة فيه مجمع على بطلانها . والنقصان فالظاهر أيضاً من مذهب المسلمين خلافه وهو الأليق بالصحيح من مذهبنا وهو الذي نصره المرتضى وهو الظاهر في الروايات غير أنه رويت روايات كثيرة من جهة الخاصة والعامة بنقصان كثير من آي القرآن ونقل شيء منه من موضع إلى موضع طريقها الآحاد التي لا توجب علماً ولا عملاً والأولى الأعراض عنها انتهى . وتبعه على ذلك في مجمع البيان وفي كشف الغطاء في كتاب القرآن المبحث الثامن في نقصه لا ريب أنه محفوظ من النقصان بحفظ الملك الديان كما دل عليه صريح القرآن واجماع العلماء في كل زمان ولا عبرة بالنادر وما ورد من أخبار النقص تمنع البديهة من العمل بظاهرها إلى أن قال فلا بد من تأويلها بأحد وجوه . وعن السيد القاضي نور الله

في كتابه مصائب النواصب ما نسب إلى الشيعة الإمامية من وقوع التغيير في القرآن ليس مما قال به جمهور الإمامية إنما قال به شرذمة قليلة منهم لا اعتداد بهم فيما بينهم . وعن الشيخ البهائي وأيضاً اختلفوا في وقوع الزيادة والنقصان فيه والصحيح أن القرآن العظيم محفوظ عن ذلك زيادة كان أو نقصاناً ويدل عليه قوله تعالى ﴿ **وإنا له لحافظون** ﴾ وما اشتهر بين الناس من اسقاط اسم أمير المؤمنين عليه السلام منه في بعض المواضع مثل قوله تعالى ﴿ **يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك في عليّ وغير ذلك فهو غير معتبر عند العلماء** ﴾ . وعن المقدس البغدادي في شرح الوافية وإنما الكلام في النقيصة والمعروف بين أصحابنا حتى حكي عليه الاجماع عدم النقيصة أيضاً . وعنه أيضاً عن الشيخ علي بن عبد العالي أنه صنف في نفي النقيصة رسالة مستقلة وذكر كلام الصدوق المتقدم ثمَّ اعترض بما يدل على النقيصة من الأحاديث وأجاب بأن الحديث إذا جاء على خلاف الدليل من الكتاب والسنة المتواترة أو الاجماع ولم يمكن تأويله ولا حمله على بعض الوجوه وجب طرحه . . هذا وإن المحدث المعاصر جهد في كتاب فصل الخطاب في جميع الروايات التي استدل بها على النقيصة وكثر أعداد مسانيدها بأعداد المراسيل عن الأئمة عليهم السلام في الكتب كمراسيل العياشي وفرات وغيرها مع أن المتتبع المحقق يجزم بأن هذه المراسيل مأخوذة من تلك المسانيد . وفي جملة ما أورده من الروايات ما لا يتيسر احتمال صدقها . ومنا ما هو مختلف باختلاف يؤل به إلى التنافي والتعارض وهذا المختصر لا يسع بيان النحوين الأخيرين . هذا مع أن القسم الوافر من الروايات ترجع أسانيده إلى بضعة أنفار وقد وصف علماء الرجال كلاً منهم أما بأنه ضعيف الحديث فاسد المذهب مجفو الرواية . وأما بأنه مضطرب الحديث والمذهب يعرف حديثه وينكر ويروي عن الضعفاء . وأما بأنه كذاب متهم لا أستحل أن أروي من تفسيره حديثاً واحداً وأنه معروف بالوقف وأشدّ الناس عداوة للرضا عليه السلام . وأما بأنه كان غالياً كذاباً . وأما بأنه ضعيف لا يلتفت اليه ولا يعوّل عليه ومن الكذابين . وأما بأنه فاسد الرواية يرمى بالغلوّ . ومن الواضح أن أمثال هؤلاء لا تجدي كثرتهم شيئاً . ولو تسامحنا بالاعتناء برواياتهم في مثل هذا المقام الكبير لوجب من دلالة الروايات المتعددة أن ننزلها على أن مضامينها تفسير للآيات أو تأويل أو بيان لما يعلم يقيناً شمول عموماتها له لأنه أظهر الأفراد وأحقها بحكم العالم . أو ما كان مراداً بخصوصه وبالنص عليه في ضمن العموم عند التنزل . أو ما كان هو المورد للنزول . أو ما كان هو المراد من اللفظ المهم . وعلى أحد

الوجوه الثلاثة الأخيرة يحمل ما ورد فيها أنه تنزيل وأنه نزل به جبريل كما يشهد به نفس الجمع بين الروايات . كما يحمل التحريف فيها على تحريف المعنى ويشهد لذلك مكاتبة أبي جعفر عليه السلام لسعد الخير كما في روضة الكافي ففيها وكان من نبذهم الكتاب أن أقاموا حروفه وحرفوا حدوده . وكما يحمل ما فيها من أنه كان في مصحف أمير المؤمنين عليه السلام أو ابن مسعود وينزل على أنه كان فيه بعنوان التفسير والتأويل . ومما يشهد لذلك قول أمير المؤمنين (ع) للزنديق كما في نهج البلاغة وغيره ولقد جئتهم بالكتاب كملاً مشتملاً على التنزيل والتأويل . ومما أشرنا إليه من الروايات أن المحدث المعاصر أورد في روايات سورة المعارج أربع روايات ذكرت أن كلمة (بولاية علي) مثبتة في مصحف فاطمة وهكذا هي في مصحف فاطمة (ع) ولا يخفى أن مصحفها عليها السلام إنما هو كتاب تحديث بأسرار العلم كما يعرف ذلك من عدة روايات في أصول الكافي في باب الصحيفة والمصحف والجامعة وفيها قول الصادق (ع) ما فيه من قرآنكم حرف واحد . وما أزعم أن فيه قرآناً كما في الصحيح والحسن (ومنها) ما في الكافي في باب أن الأئمة عليهم السلام شهداء على الناس في صحيحة بريد عن أبي جعفر (ع) وروايته عن أبي عبد الله (ع) من قولهما (ع) في قوله تعالى ﴿ **وجعلناكم أمة وسطاً** ﴾ نحن الأمة الوسطى . وفي شرحه عن أمير المؤمنين عليه السلام ونحن الذين قال الله ﴿ **وجعلناكم أمة وسطاً** ﴾ . إذن فما روي مرسلاً في تفسيري النعمان وسعد من أن الأئمة « أئمة وسطاً » لا بد من حمله على التفسير وأن التحريف إنما هو للمعنى (ومنها) كما رواه في الكافي في باب أن الأئمة هم الهداة عن الفضل سألت أبا عبد الله (ع) عن قول الله تعالى ﴿ **ولكل قوم هاد** ﴾ فقال كل إمام هو هادٍ للقرن الذي هو فيهم . ورواية بريد عن أبي جعفر (ع) في قوله تعالى ﴿ **إنما أنت منذر ولكل قوم هاد** ﴾ فقال رسول الله (ﷺ) المنذر ولكل زمان منا هادٍ يهديهم إلى ما جاء به النبي (ﷺ) والهداة من بعده عليّ (ع) ثمَّ الأوصياء واحداً بعد واحد . ونحوها رواية أبي بصير عن أبي عبد الله (ع) ورواية عبد الرحيم القصير عن أبي جعفر عليه السلام أن رسول الله (ﷺ) المنذر وعليّ الهادي وبمضمونها جاءت روايات الجمهور مسندة عن طريق أبي هريرة وأبي برزة وابن عباس وطريق أمير المؤمنين (ع) وصححه الحاكم في مستدركه . وإذا أحطت خبراً بهذا فهل يروق لك التجاء فصل الخطاب في تلفيقه وتكثيره إلى النقل عن بعض التفاسير المتأخرة وعن الداماد في حاشية القبسات من قوله أن الأحاديث من طرقنا وطرقهم متضافرة

بأنه كان التنزيل انما أنت منذر العباد وعليّ لكل قوم هاد انتهى . هذا الشعر الذي ينشده المداحون ولا يرضى العارف باللغة العربية أن ينسب اليه نظمه ولا أظنك تجد من طرقنا وطرق أهل السنة غير ما سمعته أولاً وهو غير ما نقلته فاعتبر (ومنها) رواية الكافي عن أبي حمزة عن أبي جعفر عليه السلام قال قوله عز وجل ربنا ما كنا مشركين يعنون بولاية علي (ع) وهذا صريح في كونه تفسيراً فهي حاكمة ببيانها على ضعيفتي أبي بصير في ظهورهما بأن لفظ « بولاية علي » محذوف من الآية ويسري البيان من رواية أبي حمزة إلى أمثال ذلك (ومنها) رواية عمر بن حنظلة عن أبي عبد الله (ع) في قوله تعالى في سورة البقرة ﴿ **متاعاً إلى الحول غير اخراج** ﴾ . مخرجات . ولا أظن إلا أنك تقول أن الحاق الإمام (ع) لكلمة مخرجات إنما هو تفسير للمراد من كلمة . اخراج . لا بيان للنقيصة من القرآن الكريم ولكن فصل الخطاب أورده بعنوان البيان للنقيصة فاعتبر (ومنها) صحيحة محمد بن مسلم عن أبي عبد الله (ع) كما في الكافي في أول باب منع الزكاة وفيها ثمَّ قال (ع) هو قول الله عزّ وجل سيطوّقون ما بخلوا به يوم القيامة يعني ما بخلوا به من الزكاة فالرواية كالصريحة بأنَّ لفظ « من الزكاة » إنما هو تفسير من الإمام لا من القرآن فهي حاكمة ببيانها على مرسلة ابن أبي عمير عمن ذكره عن أبي عبد الله (ع) في قول الله عزَّ وجل . سيطوقون ما بخلوا به . من الزكاة يوم القيامة وصارفة لها عن كونها بياناً للنقيصة . (ومنها) صحيحة أبي بصير عن أبي عبد الله (ع) كما في الكافي في باب نص الله ورسوله على الأئمة واحداً بعد واحد . وفيها فقلت له أن الناس يقولون فما له لم يسم علياً (ع) وأهل بيته في كتاب الله قال فقولوا لهم أن رسول الله نزلت عليه الصلاة ولم يسم الله لهم ثلاثاً ولا أربعاً حتى كان رسول الله (ﷺ) هو الذي فسر لهم ذلك . وكذا قال (ع) في الزكاة والحج . ومقتضى الرواية تصديق الإمام (ع) لقول الناس أن الله لم يسم علياً في القرآن وأن التسمية كانت من تفسير رسول الله (ﷺ) في حديث من كنت مولاه وحديث الثقلين . ويشهد لك ما رواه في الكافي أيضاً في هذا الباب بعد ذلك بيسير في صحيحة الفضلاء عن أبي جعفر عليه السلام ورواية أبي الجارود عنه (ع) أيضاً ورواية أبي الديلم عن أبي عبد الله (ع) انهما تلوا في مقام الاحتجاج وعدم التقية قوله تعالى ﴿ **يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته** ﴾ ولم يذكرا في تلاوة الآية كلمة ﴿ **في علي** ﴾ وهذا يدلُّ على أنّ ما روي في ذكر اسم علي (ع) في هذا المقام بل وفي غيره إنما هو تفسير وبيان للمراد في وحي القرآن بكون

التفسير والبيان جاء به جبرائيل من عند الله بعنوان الوحي المطلق لا القرآن وما ينطق عن الهوى أن هو إلا وحي يوحي (ومنها) رواية الفضيل عن أبي الحسن الماضي (ع) في باب النكت من التنزيل في الولاية من الكافي قال قلت هذا الذي كنتم به تكذبون قال يعني أمير المؤمنين (ع) قلت تنزيل قال (ع) نعم فإنه (ع) ذكر أمير المؤمنين (ع) بقوله يعني بعنوان التفسير وبيان المراد والمشار اليه في قوله تعالى هذا فقوله في الجواب « نعم » دليل على أن ما كان مراداً بعينه في وحي القرآن يسمونه عليهم السلام تنزيلاً . فتكون هذه الرواية وأمثالها قاطعة لتشبثات فصل الخطاب بما حشده من الروايات التي عرفت حالها اجمالاً وإلى ما ذكرناه وغيره يشير ما نقلناه من كلمات العلماء والأعلام قدست أسرارهم . فإن قيل إن هذه الرواية ضعيفة وكذا جملة من الروايات المتقدمة قلنا أن جل ما حشده فصل الخطاب من الروايات هو مثل هذه الرواية وأشد منها ضعفاً كما أشرنا اليه في وصف رواتها على أن ما ذكرناه من الصحاح فيه كفاية لأولي الألباب .

﴿ الفصل الثالث في قراءته ﴾

ومن أجل تواتر القرآن الكريم بين عامة المسلمين جيلاً بعد جيل استمرت مادته وصورته وقراءته المتداولة على نحو واحد فلم يؤثر شيئاً على مادته وصورته ما يروى عن بعض الناس من الخلاف في قراءته من القراء السبع المعروفين وغيرهم فلم تسيطر على صورته قراءة أحدهم اتباعاً له ولو في بعض النسخ ولم يسيطر عليه أيضاً ما روي من كثرة القراءات المخالفة له مما انتشرت روايته في الكتب كجامع البخاري ومستدرك الحاكم مسندة عن النبي (ﷺ) وعلي (ع) وابن عباس وعمر وأبي وابن مسعود وابن عمر وعائشة وأبو الدرداء وابن الزبير وانظر أقلا الى الجزء الأول من كنز العمال صفحة ٢٨٤ - ٢٨٩ نعم ربما اتبع مصحف عثمان على ما في مجرد رسم الكتابة في بعض المصاحف في كلمات معدودة كزيادة الألف بين الشين والياء من قوله تعالى لشيء من سورة الكهف وزيادتها أيضاً في لأذبحنه من سورة النمل ونحو ذلك في قليل من الكلمات . وأن القراءات السبع فضلاً عن العشر إنما هي في صورة بعض الكلمات لا بزيادة كلمة أو نقصها ومع ذلك ما هي إلا روايات آحاد عن آحاد لا توجب اطمئناناً ولا وثوقاً . فضلاً عن وهنها بالتعارض ومخالفتها للرسم المتداول المتواتر بين عامة المسلمين في السنين المتطاولة . وأن كلا من القراء هو واحد لم تثبت عدالته ولا ثقته يروي عن آحاد حال

غالبهم مثل حاله ويروي عنه آحاد مثله . وكثيراً ما يختلفون في الرواية عنه . فكم اختلف حفص وشعبة في الرواية عن عاصم . وكذا قالون وورش في الرواية عن نافع . وكذا قنبل والبزي في روايتهما عن أصحابهما عن ابن كثير . وكذا رواية أبي عمر وأبي شعيب في روايتهما عن اليزيدي عن أبي عمر . وكذا رواية ابن ذكوان وهشام عن أصحابهما عن ابن عامر . وكذا رواية خلف وخلاد عن سليم عن حمزة . وكذا رواية أبي عمر وأبي الحارث عن الكسائي . مع أن أسانيد هذه القراءات الأحادية لا يتصف واحد منها بالصحة في مصطلح أهل السنة في الاسناد فضلاً عن الإمامية كما لا يخفى ذلك على من جاس خلال الديار . فيا للعجب ممن يصف هذه القراءات السبع بأنها متواترة . هذا وكل واحد من هؤلاء القراء يوافق بقراءته في الغالب ما هو المرسوم المتداول بين المسلمين وربما يشذ عنه عاصم في رواية شعبة . إذن فلا يحسن أن يعدل في القراءة عما هو المتداول في الرسم والمعمول عليه بين عامة المسلمين في أجيالهم الى خصوصيات هذه القراءات . مضافاً إلى أنا معاشر الشيعة الإمامية قد أمرنا بأن نقرأ كما يقرأ الناس أي نوع المسلمين وعامتهم .

ولعلما تقول أن غالب القراءات السبع أو العشر ناش من سعة اللغة العربية في وضع الكلمة وهيئتها نحو عليهم وإليهم ولديهم بكسر الهاء أو ضمها مع سكون الميم أو ضمهما. ونحو تظاهرون بفتح الظاء أو تشديدها. فعلى أي قراءة قرئت أكون قارئاً على العربية. ولكن كيف يخفى عليك أن تلاوة القرآن وقراءته يجب فيها وفي تحققها أن تتبع ما أوحي إلى الرسول وخوطب به عند نزوله عليه وهو واحد فعليك أن تتحراه بما يثبت به وليست قراءة القرآن عبارة عن درس معاجم اللغة .

ولا تتشبث لذلك بما روي من أن القرآن نزل على سبعة أحرف فإنه تشبث واهٍ واهن. أما أولاً فقد قال في الاتقان في المسألة الثانية من النوع السادس عشر اختلف في معنى السبعة أحرف على أربعين قولاً وذكر منها عن ابن حيان خمسة وثلاثين. وما ذاك إلا لوهن روايتها واضطرابها لفظاً ومعنى. وفي الاتقان أيضاً في أواخر النوع السادس عشر وقد ظن كثير من العوام أن المراد بها القراءات السبعة وهو جهل قبيح (وأما ثانياً) فقد روى الحاكم في مستدركه بسند صحيح على شرط البخاري ومسلم عن ابن مسعود عن النبي ﷺ نزل القرآن من سبعة أبواب على سبعة أحرف زاجراً وآمراً وحلالاً وحراماً

ومحكماً ومتشابهاً وأمثالاً فأحلوا حلاله. وروى ابن جرير مرسلاً عن أبي قلابة عن النبي صلى الله عليه وآله أنزل القرآن على سبعة أحرف آمر وزاجر وترغيب وترهيب وجدل وقصص ومثل. وروى ابن جرير والسنجري وابن المنذر وابن الأنباري عن ابن عباس عنه ﷺ أن القرآن على أربعة أحرف حلال وحرام الحديث. وأسند السنجري في الإبانة. علي علي (ع) أنزل القرآن على عشرة أحرف بشير ونذير وناسخ ومنسوخ وعظة ومثل ومحكم ومتشابه وحلال وحرام (وأما ثالثاً) فقد جاء في روايات السبعة أحرف بأسانيد جياد في مصطلحهم ما يعرفك وهنها وإلحاقها بالخرافة ففي رواية أحمد من حديث أبي بكران النبي ﷺ استزاد من جبرئيل في أحرف القراءة حتى بلغ سبعة أحرف قال يعني جبرئيل كلها شاف كاف ما لم تختم آية عذاب برحمة وآية رحمة بعذاب. وزاد في حديث آخر نحو قولك تعال وأقبل وهلم واذهب وأسرع واعجل. ونحوه في رواية الطبراني عن أبي بكرة. وفي الاتقان أخرج نحوه أحمد والطبراني عن ابن مسعود وأخرج أبو داود في سننه عن أبي عن رسول الله ﷺ إلى قوله حتى بلغ سبعة أحرف ثم قال ليس منها إلا شاف كاف إن قلت سميعاً عليماً عزيزاً حكيماً ما لم تختم آية عذاب برحمة أو آية رحمة بعذاب. وفي كنز العمال فيما أخرجه أحمد وابن منيع والغساني وابن أبي منصور وأبو يعلى عن أبي عن النبي ﷺ إن قلت غفوراً رحيماً أو قلت سميعاً عليماً أو عليماً سميعاً فالله كذلك مالم تختم آية عذاب برحمة أو رحمة بعذاب. وأخرج ابن جرير عن أبي هريرة عنه ﷺ أن هذا القرآن نزل على سبعة أحرف فاقرأوا ولا حرج ولكن لا تجمعوا ذكر رحمة بعذاب ولا ذكر عذاب برحمة. وأخرج أحمد من حديث عمر القرآن كله صواب مالم تجعل مغفرة عذاباً أو عذاباً مغفرة. فانظر إلى هذه الروايات المفسرة للسبعة أحرف كيف قد رخصت في التلاعب في تلاوة القرآن الكريم حسبما يشتهيه التالي مالم يختم آية الرحمة بالعذاب وبالعكس (وأما رابعاً) ففي الروايات ما يقطع سند القراءات السبع فعن ابن الأنباري في المصاحف مسند عن عبد الرحمن السلمي قال كانت قراءة أبي بكر وعمر وعثمان وزيد بن ثابت والمهاجرين والأنصار واحدة. وعن ابن أبي داود مسنداً عن انس قال صليت خلف النبي ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان وعلي وكلهم كان يقرأ مالك يوم الدين. وروى أيضاً أن أول من قرأ مالك يوم الدين هو مروان بن الحكم (وأما خامساً) وهو فصل الخطاب فقد روي من طرق الشيعة في الكافي مسنداً عن أبي جعفر الباقر (ع) أن القرآن واحد نزل من عند واحد ولكن الاختلاف يجيء من قبل الروايات. وأرسل الصدوق نحوه

في اعتقاداته عن الصادق (ع) وفي الكافي أيضاً في الصحيح عن الفضيل بن يسار قال قلت لأبي عبد الله (ع) أن الناس يقولون أن القرآن نزل على سبعة أحرف فقال (ع) كذبوا. ولكنه نزل على حرف واحد من عند الواحد. ويؤيد ما ذكرناه رواية السياري له أيضاً عن الباقر والصادق (ع).

﴿ الفصل الرابع في تفسيره ﴾

وللحاجة إليه مقامات (الأول) في مفردات ألفاظه وبيان معناها في العربية ـ قد أنزل القرآن الكريم على أفصح لغات العرب وأكثرها تداولاً ومألوفيةً لنوع العرب فلا تخفى معاني مفرداته على العرب إلا نادراً لبعض الجهات التي لا ينفك عنها نوع الإنسان كما يروى في الأبّ والقضب في قوله تعالى في سورة عبس ﴿ **وفاكهة وأباً وعنباً وقضباً** ﴾. ولكن لما تشرفت الأمم من غير العرب بالإسلام وتطورت اللغة العربية بسبب الاختلاط ومرور الزمان عرض لبعض الألفاظ التي كانت متداولة مأنوسة معروفة المعاني في عصر النزول أن صارت غريبة بعد ذلك في استعمال العامة بعيدة عن فهمهم لمعانيها. ولا زال ذلك يزداد يوماً فيوماً حتى سرى داؤه إلى بعض الخواص. ولاستراحتهم في ذلك إلى الاتباع والتقليد أثر غير هين.

إذن فيرجع في التفسير لمفردات ألفاظه الشريفة إلى ما يحصل به الاطمئنان والوثوق من مزاولة علم اللغة العربية والتدبر في موارد استعمالها مما يعرف أنه من كلام العرب ولغتهم. وإن للتدبر في أسلوب القرآن الكريم وموارد استعماله وقراءتها دخلاً كبيراً في ذلك. وأما محض الركون إلى آحاد اللغويين تعبداً بكلامهم وتقليداً لآرائهم فذاك مما لا مساغ له. فإن الأغلب أو الغالب مما يستندون إليه في أقوالهم ما هو إلا الاعتماد على ما يحصلونه بحسب أفهامهم وتتبعهم لموارد الاستعمال مع الخلط للحقيقة بالمجاز وعدم التثبت بالقرآن ومزايا الاستعمال. ألا ترى كم يشهد بعضهم على بعض بالخطأ والوهم.

ومن شواهد ما ذكرناه ما وقع في تفسير اللمس والمس من الاضطراب والخبط. ففي النهاية مسست الشيء إذا لمسته بيدك. وفي القاموس لمسه مسه بيده ومسسته أي لمسته. وفي المصباح مسسته أفضيت إليه بيدي من دون حائل هكذا قيدوه وقال قبل ذلك لمسه أفضى إليهِ باليد. هكذا فسروه. وقال ابن دريد أصل اللمس باليد ليعرف من الشيء وقال لمست مسست وكل ماس لامس. وقال الفارابي اللمس المس. وفي التهذيب عن ابن

الاعرابي اللمس يكون مس الشيء وقال في باب الميم المس مسُّك الشيء بيدك. وقال الجوهري اللمس المس ثمَّ قال في المصباح وإذا كان اللمس هو المس فكيف يفرق الفقهاء بينهما انتهى. ولعلك تذعن بأن الفقهاء أحذق في استفادة المعنى من تتبع موارد الاستعمال وذلك لما اعتادوه وشحذوا به أذهانهم من بذل الجهد بالبحث والتحقيق فإن الفرق بين معنيي اللمس والمس واضح بحكم التبادر والتتبع لموارد الاستعمال. وغير خفي أن المعروف والمتبادر تبادراً يجزم معه بعدم النقل عن المعنى اللغوي الأصلي هو أن اللمس هو الإصابة بما به الإحساس من البدن بقصد الاحساس للملموس لا خصوص اللمس باليد ولا مطلق المس نعم كثير من موارد اللمس ما يكون باليد باعتبار أنها آلة عادية وأقوى احساساً. كما أن اللمس هو مطلق الإصابة لا بقصد الاحساس وقد صرح جماعة من أساطين علمائنا بأن معنى المس لغة بل وعرفا هو ما ذكرناه كما في المعتبر والمنتهى وروض الجنان والحدائق بل والمهذب البارع وأظن أن الذي يحقق في مراجعة العرف والتبادر وتتبع موارد الاستعمال قديماً وحديثاً لا يشك في أن معنى اللمس هو ما ذكرناه أولاً.

ومن شواهد ما ذكرناه هو الاضطراب في معنى التوفي وما استعمل في لفظه المتكرر في القرآن الكريم. فاللغويون جعلوا الإماتة في معنى التوفي. والكثير من المفسرين في تفسير قوله تعالى في سورة آل عمران ﴿ ٤٨ **يا عيسى إني متوفيك ورافعك إليَّ** ﴾ قالوا أي مميتك. وقال بعض مميتك حتف أنفك. وقال بعض مميتك في وقتك بعد النزول من السماء وكأنهم لم ينعموا الالتفات إلى مادة التوفي واشتقاقه ومحاورات القرآن الكريم والقدر الجامع بينها. وإلى استقامة التفسير لهذه الآية الكريمة واعتقاد المسلمين بأن عيسى لم يمت ولم يقتل قبل الرفع إلى السماء كما صرح به القرآن. وإلى أن القرآن يذكر فيما مضى قبل نزوله أن المسيح قال لله ﴿ **فلما توفيتني** ﴾ ومن كل ذلك لم يفطنوا أن معنى التوفي والقدر الجامع المستقيم في محاورة القرآن فيه وفي مشتقاته إنما هو الأخذ والاستيفاء وهو يتحقق بالإماتة وبالنوم وبالأخذ من الأرض وعالم البشر إلى عالم السماء. وإن محاورة القرآن الكريم بنفسها كافية في بيان ذلك كما في قوله تعالى في سورة الزمر ﴿ ٤٣ : **الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى** ﴾ ألا ترى أنه لا يستقيم الكلام إذا قيل الله يميت الأنفس حين موتها وكيف يصح أن التي لم تمت يميتها في منامها. وكما في قوله تعالى في سورة الأنعام ﴿ ٦٠ : **وهو الذي يتوفيكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه**

ليقضي أجل مسمىً ثمّ إليه مرجعكم ﴾ فإن توفي الناس بالليل إنما يكون بأخذهم بالنوم ثم يبعثهم الله باليقظة في النهار ليقضوا بذلك آجالهم المسماة ثم إلى الله مرجعهم بالموت والمعاد. وكما في قوله تعالى في سورة النساء ﴿ ١٩ : **حتى يتوفيهن الموت** ﴾ فإنه لا يستقيم الكلام إذا قيل يميتهنَّ الموت وحاصل الكلام أن معنى التوفي في موارد استعماله في القرآن وغيره إنما هو أخذ الشيء وافياً أي تاماً كما يقال درهم وافٍ وهذا المعنى ذكره اللغويون للتوفي في معاجمهم وقالوا ان توفاه واستوفاه بمعنى واحد وأنشدوا له قول الشاعر :

إن بني الادرد ليسوا لأحد ولا توفاهم قريش في العدد

أي لا تتوفاهم وتأخذهم تماماً (قلت) لكنَّ بين الاستيفاء والتوفي فرقاً واضحاً من جهة أثر الاشتقاق فإن الاستيفاء استفعال كالاستخراج يشير إلى طلب الآخذ واستدعائه ومعالجته والتوفي يشير إلى القدرة على الآخذ بدون حاجة إلى استدعاء وطلب ومعالجة ولذا اختص القرآن الكريم بلفظ التوفي وعدل عن الأخذ لعدم دلالته على التمام والوفاء كالتوفي الدال على تمام القدرة على نحو المعنى في إنا لله وإنا إليه راجعون. ولك العبرة فيما قلناه بقوله تعالى ﴿ **الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها** ﴾ فإنك إن جعلت قوله تعالى ﴿ **والتي لم تمت** ﴾ معطوفاً على الأنفس لم تقدر أن تقول أن معنى يتوفس يميت. وإن قلت أن التوفي في المنام إماتة مجازية قلنا كيف يكون معنى اللفظ الواحد معنيين معنى حقيقياً ومعنى مجازياً ويتعلق باعتبار كل معنى بمفعول ويعطف أحد المفعولين على الآخر مع اختلاف المعنى العامل به. وهل يكون اللفظ الواحد مرآةً لكل من المعنيين المستقلين كلا لا يكون. وإن جعلت قوله تعالى ﴿ **والتي لم تمت** ﴾ مفعولاً لكلمة ﴿ **يتوفى** ﴾ مقدرة يدل عليها قوله تعالى ﴿ **يتوفى الأنفس** ﴾ قلنا إن دلالة الموجود على المحذوف إنما هي بمعناه كما لا يخفى على من له معرفة بمحاورات الكلام في كل لغة فكيف يجعل التوفي بمعنى الموت دليلاً على توفٍ محذوفٍ هو بمعنى آخر. إذن فليس إلا أن التوفي بمعنى واحد وهو الأخذ تماماً ووافياً. إما من عَالم الحياة. وإما من عالم اليقظة. وإما من عَالم الأرض والاختلاط بالبشر إلى العالم السماوي كتوفي المسيح وأخذه ومن الغريب ما قاله بعض من أن رفع المسيح إلى السماء غير مشتمل على أخذ الشيء تاماً انتهى وليت شعري ماذا بقي من المسيح في الأرض وماذا تعاصى منه على قدرة الله في أخذه فلا يكون رفعه مشتملاً على أخذ الشيء تاماً. هذا ولا يخفى أن القرآن

ناطق بأن المسيح ما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم ورفعه الله إليه وإن عقيدة المسلمين مستمرة كإجماعهم على أنه لم يمت بل رفع إلىٰ السماء إلى أن ينزل في آخر الزمان فلأجل ذلك التجأ بعض من يفسر التوفيٰ بالإماتة إلا أن يفسر قوله تعالى : ﴿ **يا عيسى إني متوفيك** ﴾ أي مميتك في وقتك بعد النزول من السماء ولكني لا أدري ماذا يصنع بحكاية القرآن لما سبق على نزوله في قوله في أواخر سورة المائدة ﴿ ١١٦ و ١١٧ : **وإذ قال الله يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلٰهين من دون الله قال سبحانه ـ ما قلت لهم إلا ما أمرتني به ـ فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم** ﴾ فهل يسوغ أن تفسر هذه الآية بالوفاة بعد النزول وهل يصح القياس في ذلك على قوله تعالى ﴿ **ونفخ في الصور** ﴾ وهل يخفى أن مقتضى كلام المسيح في الآيتين هو أنه بعد أن توفاه الله وانقطعت تبليغاته في دعوة رسالته وكونه شهيداً على أمته تمحض الأمر ورجع إلى أن الله هو الرقيب عليهم. وأن سوق الكلام واتساقه ليدل على اتصال الحالين. وأن الرقيب كيفما فسرته إنما يكون رقيباً في وجود تلك الأمة في الدنيا دار التكليف لا الآخرة التي هي دار جزاء وانتقام. ولا تصح الطفرة في المقام من أيام دعوة المسيح لأمته في رسالته وكونه شهيداً عليهم إلى ما بعد نزوله من السماء في آخر الزمان حيث يكون وزيراً في الدعوة الإسلامية لا صاحب دعوة. ومن الواضح أن المراد في الآيتين من الناس الذين جرى الكلام في شأنهم إنما هم الذين كانوا أمة المسيح وفي عصر رسالته ونوبة دعوته وتبليغه... وأما صرف وجهة الكلام إلى الناس الذين هم في أيام نزوله من السماء فما هو إلا مجازفة فيها ما فيها وتحريف للكلم... وأما قوله تعالى ﴿ **ونفخ في الصور** ﴾ فلم يكن اخباراً ابتدائياً يكون وقوع الفعل الماضي فيه باعتبارحال المتكلم كما في الآيتين بل جاء في سياق قوله تعالى ﴿ **ما ينظرون إلا صيحة واحدة تأخذهم** ﴾ في حوادث زمان البعث والقيامة ومقداماتها فهو في سياقه ناظر إلى ذلك الحين وسياق الكلام يجعله بدلالته في قوة قوله ونفخ حينئذٍ في الصور فهو على حقيقة الفعل الماضي وباعتبار ذلك الحين كما في قوله ﴿ **وجيء يومئذ بجهنم** ﴾ . هذا وبعض المفسرين لقوله تعالى ﴿ **يا عيسى إني متوفيك** ﴾ قال أي مميتك حتف أنفك. وأقول إن أراد الإماتة بعد نزول المسيح من السماء شارك ما سبق من التفسير وورد الاعتراض عليه وإن أراد إماتته قبل ذلك وقبل نزول القرآن خالف المعروف من عقيدة المسلمين وإجماعهم في أجيالهم ويرد عليه السؤال أيضاً بأنه من أين جاء بالإماتةحتف أنفه وماذا يصنع بما جاء في القرآن كثيراً مما بنافي اختصاص

التوفي بالموت حتف الأنف بل المراد منه الأخذ بالموت وإن كان بالقتل كقوله في سورة الحج ٥ والمؤمن ٦٩ في أطوار خلق الإنسان من التراب والنطفة إلى الهرم. ﴿ **ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لتكونوا شيوخاً ومنكم من يتوفى من قبل**﴾ وفي سورة البقرة البقرة ٢٣٤ و ٢٤١ ﴿ **والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً** ﴾ ويونس ١٠٤ ﴿ **ولكن أعبد الله الذي يتوفيكم** ﴾ والنحل ٧٢ ﴿ **والله الذي خلقكم ثم يتوفاكم ومنكم من يرد إلى أرذل العمر** ﴾ والسجدة ١١ ﴿ **قل يتوفاكم ملك الموت** ﴾ والاعراف ٣٥ ﴿ **حتى إذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم** ﴾ والنساء ٩٩ ﴿ **وتتوفاهم الملائكة**﴾ والنحل ٣٠ ـ ٣٣ ﴿ **تتوفاهم الملائكة** ﴾ والانعام ٦١ ﴿ **توفته رسلنا** ﴾ ومحمد ﷺ ٣٩ ﴿ **فكيف إذا توفتهم الملائكة** ﴾ والأنفال ٥٢ ﴿ **ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة** ﴾ والزمر ٤٣ ﴿ **الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها** ﴾ وإنك لا تكاد تجد في القرآن المجيد لفظ المتوفي مستعملاً فيما يراد منه الإماتة حتف الأنف إذن فمن أين جيء بذلك في قوله تعالى ﴿ **إني متوفيك** ﴾ نعم ابتلى لفظ التوفي ومشتقاته بالأخذ بمعناه يمنةً ويسرةً حتى أن العامة حسبوها مرادفة للموت حتى أنهم يقولون في الذي مات توفى بفتح التاء والواو والفاء بالبناء للفاعل ويقولون في الميت متوفي بكسر الفاء وصيغة اسم الفاعل بل يحكى أن أمير المؤمنين علياً (ع) كان يمشي خلف جنازة في الكوفة فسمع رجلاً يسأل عن الميت ويقول من المتوفي بكسر الفاء .

وأما ما نسب إلى ابن عباس من أن معنى قوله تعالى ﴿ **يا عيسى إني متوفيك** ﴾ إني مميتك فما أراه إلا كما نسب إلى ابن عباس في مسائل نافع بن الأزرق كما ذكر في الفصل الثاني من النوع السادس والثلاثين من اتقان السيوطي من أن نافعاً سأله عن قول الله ﴿ **ما أن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة** ﴾ أي بما يرجع إلى معنى تبهظهم وتثقل عليهم كما قال عمر بن كلثوم في معلقته .

(ومتني لدنة سمقت وطالت   روادفها تنوء بما ولينا)

وكما أنشده اللغويون :

(إلا عصا أرزن طالت برايتها   تنوء ضربتها بالكف والعضد)

فذكر أن ابن عباس قال له في الجواب لتثقل أو ما سمعت قول الشاعر :

تمشي فتثقلها عجيزتها مشي الضعيف ينوء بالوسق

أي ينهض بالوسق بتكلف وجهد على عكس المعنى المذكور في القرآن. أفهل ترى ابن عباس يفسر تنوء التي في الآية بغير معناها كما ثار من هذا الاستشهاد المنسوب إليه اعتراض النصارى بأن القرآن جاء بلفظة ﴿ لتنوء ﴾ في غير محلها. وهل ترى ابن عباس لا يعرف أن معنى ينوء بالوسق ليس يثقل بل ينهض به بتكلف . وهل ترى ابن عباس لا يدري ببيت المعلقة ليستشهد به استشهاداً صحيحاً مطابقاً منتظماً. كيف وإن المعلقات كانت للشعر في ذلك العصر كبيت القصيد ولكن « حنّ قدح ليس منها » وقد خرجنا عما نؤثره من الاختصار ولكنا ما خرجنا عن المقصود الأصلي من الكلام في تفسير القرآن الكريم بل سارعنا إلى شيء من الخير والله المسدد الموفق .

﴿ المقام الثاني ﴾

لا يخفى أن القرآن الكريم مبني على أرقى أنحاء البلاغة العربية وتفننها بمحاسن المجاز والاستعارة والكناية والإشارة والتلميح وغير ذلك من مزايا الكلام الراقي ببلاغته مما كان مأنوس الفهم في عصر النزول ورواج الأدب العربي وقيام سوقه. وكان بحيث يفهم المراد منه ومزاياه بأنس الطبع ومرتكز الغريزة كل سامع عربي. ولكن بعد اشتراك الأمم في بركة الإسلام وامتلاء جزيرة العرب من الأمم وتفرق العرب بالتجنيد في غير البلاد العربية تغير أسلوب الكلام العربي في عامة الناس وتبدلت مزايا الكلام وأساليب المحاورات فعاد ذلك المأنوس غريباً في العامة وذلك الطبيعي الغريزي يحتاج في معرفته إلى ممارسة التطبع وكلفة التعلم والتدرب في اللغة العربية وأدبها على النهج السوي. من دون تقليد معرقل ولا وقوف عند الأسماء ولا جمود على قشور القواعد التي مهدها المتدربون في العربية من الخواص اقتباساً بقدر الوسع من ذلك الأدب القديم. فدونوا من مبتذلها شيئاً وفاتهم من أسرارها وحقائقها الشيء الكثير. وربما أدت بهم وعورة البحث والجمود على التقليد إلى عثرات الوهم أو احجام الشكوك .

انظر إلى أن جماعة من النحويين كالشراح لألفية ابن مالك وغيرهم قالوا في قول الراجز « جاؤوا بمذق هل رأيت الذئب قط » أن التقدير بمذق مقول فيه هل رأيت الخ ولا يخفى أن الراجز يريد وصف المذق بما يبين حاله وتبدل كونه بكثرة الماء وماذا يجدي إلى ذلك كونه مقولاً فيه هل رأيت الذئب قط ولم يفطنوا إلى أن الصفة التي يريدها الراجز كما

يقتضيها المقام قد أشار إليها باستفهامه الذي هو بمنزلة التمثيل الحي لها. فكأنه قد جاؤوا بمذق لونه كلون الذئب هل رأيت الذئب يوماً من الأيام فإن لون المذق كلونه فاعرف كيف كان. ومن شواهد ذلك أن صاحب الكشاف مع تضلعه من الأدب العربي ومعرفته بفذلكات الكلام اضطرب كلامه وتفسيره في كلمة واحدة تكررت في القرآن الكريم على نحو واحد وهو قوله تعالى ﴿ **لا أقسم** ﴾ ففي سورة الواقعة في قوله تعالى ﴿ **لا أقسم بمواقع النجوم وإنه لقسم لو تعلمون عظيم** ﴾ قال فأقسم وإن ﴿ **لا** ﴾ مزيدة مثلها في قوله لئلا يعلم أهل الكتاب وفي قوله تعالى ﴿ **لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة** ﴾ قال ادخال لا النافية على فعل القسم مستفيض في كلامهم وأشعارهم قال امرؤ القيس :

(ولا وأبيك ابنة العامري لا يدعي القوم إني أفر)

وقال غوية بن سلمة :

(ألا نادت امامة باحتمال لتحزنني فلا بك لا أبالي)

وفائدتها توكيد القسم وقالوا أنها صلة أي زائدة مثلها في لئلا يعلم أهل الكتاب وقال في ذلك كلاماً فيه ما فيه وقال والوجه أن يقال هو للنفي والمعنى في ذلك أنه لا يقسم بالشيء اعظاماً له يدلك عليه قولك تعالى ﴿ **فلا أقسم بمواقع النجوم وأنه لقسم لو تعلمون عظيم** ﴾ فكأنه بإدخال حرف النفي يقول أن اعظامي له باقسامي به كلا اعظام يعني أن يستأهل فوق ذلك انتهى. ومقتضى بيانه هذا أن يقول اعظاماً للمقسم به فإنه أوضح للبيان من مثله. وليته لم يخلط بين دخول «لا» على فعل القسم كما في الآيتين وبين دخولها على حرف القسم كما في بيتي امرء القيس وغوية وغيرهما مما لا يقع جوابه إلا منفياً فإنه واضح الظهور في أن «لا» فيه نافية موطئة لنفي الجواب لتأكيده وسبيلها سبيل قوله تعالى في سورة النساء ﴿ ٦٨ **فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك** ﴾ . وفي سورة الحاقة في قوله تعالى ﴿ **فلا أقسم بما تبصرون ومالا تبصرون** ﴾ قال اقسام بالأشياء كلها. وفي سورة البلد في قوله تعالى ﴿ **لا أقسم بهذا البلد** ﴾ قال أقسم بالبلد الحرام ولم يقل شيئاً في قوله تعالى ﴿ **لا أقسم** ﴾ في سورة المعارج والتكوير والانشقاق. ومن شواهد ذلك ما سمعته هنا عن صاحب الكشاف في قوله تعالى ﴿ **لئلا يعلم أهل الكتاب** ﴾ ومن أن « لا » في لئلا مزيدة وصرّح أيضاً بذلك في تفسير سورة الحديد حيث قال لئلا يعلم ليعلم ـ ووافقه على ذلك جماعة فاغتنم أعداء القرآن الكريم من ذلك فرصة فاعترضوا على

القرآن بأنه مشتمل على الزيادة اللغوية ولكن الجزء الأول من كتاب الهدى صفحة ٣٥٠ و ٣٥٥ أوضح البطلان في زعم الزيادة كما عليه جماعة من أن المعنى. أن الله وعد الذين آمنوا ويتقون الله ويؤمنون برسوله أن يؤتيهم كفلين من رحمته ويجعل لهم نوراً يمشون به ويغفر لهم ومن فوائد ذلك وغاياته أن لا يعلم أهل الكتاب أن الذين آمنوا لا يقدرون على شيء من فضل الله ولأن الفضل بيد الله الآية وليت شعري لماذا لا تنزه جلالة القرآن المجيد وبراعته عن لغوية هذه الزيادة التي لا غاية فيها إلا الإيهام.

وفي تفسير قوله تعالى في سورة الأعراف ١١ ﴿ **قال ما منعك أن لا تسجد إذ أمرتك قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين** ﴾ قال في الكشاف أيضاً « لا » في أن لا تسجد صلة « أي زائدة » بدليل قوله تعالى أي في سورة (صٓ) ٧٥ ﴿ **ما منعك أن تسجد لما خلقت بيديّ** ﴾ ومثلها لئلا يعلم أهل الكتاب بمعنى ليعلم انتهى. أقول وإن التدبر في آيات الاعراف. و (صٓ) يشهد بأن « لا » غير زائدة بل جيء بها في الأعراف للإشارة إلى أمر قد صرح به في آيات (صٓ) وذلك أن الفعل قد يكون له مانع من ضد أو عذل أو غفلة أو عجز أو كسل وقد يكون له سبب داع وحامل على تركه ومخالفته الأمر به فسأل الله انكاراً أو توبيخاً في سورة (صٓ) عن المانع بقوله تعالى ﴿ **ما منعك أن تسجد وعن السبب والحامل على المخالفة بقوله تعالى استكبرت أم كنت من العالين** ﴾ وأشار جل شأنه في سورة الاعراف بوجود (لا) إلى السؤال عن السبب الحامل على المعصية بعد السؤال عن المانع فكأنه قال ما منعك من أن تسجد وما حملك على أن لا تسجد ولذا وقع الجواب من إبليس في كلا المقامين بيان السبب الحامل له على أن لا يسجد لا التعليل بالمانع فقال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين وكذا الكلام في قوله تعالى في سورة طٰه ٩٤ ﴿ **قال يا هارون ما منعك إذ رأيتهم ضلوا أن لا تتبعني أفعصيت أمري** ﴾ فإن التفريع في قوله أفعصيت أمري يدل على أنه قد سبق السؤال عن المانع عن الاتباع وعن السبب الحامل على المعصية بتركه وأشير إليه بإدخال « لا » ولكن قال في الكشاف لا مزيدة والمعنى ما منعك أن تتبعني. وقال الله في سورة الأنبياء ٩٥ ﴿ **وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون** ﴾ وفي الكشاف فسر الاهلاك بالعزم عليه وفسر الرجوع بالرجوع من الكفر إلى الإسلام وهذا مختاره على الظاهر من الوجوه الثلاثة ثم قال فيه و « لا » صلة مزيدة انتهى وليته أبقى الإهلاك على ظاهره وفسر الرجوع بالرجوع إلى الإيمان والتوبة عند مشاهدة آيات الهلاك وأحوال الموت كإيمان فرعون عند الغرق كما في سورة يونس ٩٠ .

﴿ أو كالذين إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن ﴾ وكما في سورة النساء ٢٢ . وكما ذكره الله في سورة المؤمنين في حال المشركين والظالمين ١٠١ **﴿ حتى إذا جاء أحدهم الموت قال ربّ ارجعوني لعلي أعمل صالحاً فيما تركت ﴾** فإن قولهم هذا رجوع إلى التوبة ولكنها لا تقبل كما قال الله في الموارد الثلاثة ويكون معنى الآية الكريمة هو أن أهل القرى التي أهلكها الله حرام عليهم بسبب مشاهدتهم لآيات الإهلاك وحضور الموت وممتنع في العادة ومنفيّ بالمرة كونهم لا يرجعون إلى التوبة والإيمان بحسب الفطرة وإن كان لا ينفعهم ويستمرون على ما هم فيه حتى إذا جاءت الساعة وصار يوم القيامة وعاينوا ما كانوا يوعدون قالوا يا ويلنا قد كنا في غفلة عن هذا .

وقال الله تعالى في سورة آل عمران **﴿٣٧ ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثمَّ يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ٧٤ ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً﴾** ولا يخفى ان قوله تعالى ولا يأمركم معطوف على يقول المعطوف بثمَّ على المنفي بقوله تعالى ما كان أي ليس له وإن (لا) هنا نافية يؤتى بها لتثبيت النفي في الأمرين مثلها في قولك ليس لك ان تقوم ولا أن تأكل لئلا يتوهم النفي للجمع بين الأمرين والجمع بين القيام والأكل كما قال في الكشاف في ثاني وجهة في الآية. وقال في الكشاف ان في الآية وجهين احدهما ان نجعل «لا» مزيدة والمعنى ثمَّ يأمر الناس بأن يكونوا عباداً له ويأمركم أن تتخذوا النبيين والثاني ان نجعل «لا» نافية غير مزيدة والمعنى ما كان لبشر يستنبئه الله ان يأمر الناس بعبادته وينهاكم عن عبادة الملائكة أي ما كان أن يجمع الأمر والنهي. ويا للعجب ممن سوغ لنفسه في مثل بلاغة القرآن المجيد ان يفسر لا يأمركم بقوله ينهاكم ولو فسر بذلك كلام واحد من الناس لأوسعه من الملام ما أوسعه ـ ولم ينفرد الزمخشري بدعوى زيادة «لا» في هذه الموارد بل ادعى ذلك جماعة من المفسرين والنحويين كما ذكر ابن هشام في المعنى في كلمة «لا» ولو ان زيادة «لا» محققة في كلام العرب متداولة في شعرهم ونثرهم لما ساغ لهؤلاء ان يقولوا بذلك في مثل بلاغة القرآن الكريم ومجدها وفي خصوص الموارد التي ادعوا فيها الزيادة فإن البلاغة بل استقامة الكلام تقتضي تثبيت اثباتها ورفع أوهام النفي عنها لو كانت مثبتة إذن فكيف يقلق مضمونها الشريف بما يوهم النفي ويشوش الكلام. وان المخبر الذي يعرف كيف يتكلم لا يدخل على خبره ما يوهم نقيضه هذا مع

اني لم اجد شاهداً ذكروه من الكلام على زيادة «لا» إلا قوله:

(وتلحينني في اللهو أن لا أحبه ولـلـهـو داع دائـب غـيـر غـافـل)

ولو كان هذا من شعر العرب وكان المراد منه ما فهموه لجاز أن يضمر فيه وتأمرينني بأن لا أحبه أو وتدعينني إلى أن لا أحبه. ومن غرائبهم استشهاد بعضهم أيضاً بقولِ الشاعر

أبى جـوده لا البـخــل واستعجلت بــه نـعـم مـن فتـى لا يمـنــع الجــود قــاتـله

نعم لم يوافقهم الزمخشري على زعمهم لزيادة (لا) في قوله تعالى في سورة الأنعام ﴿١٠٩ **وما يشعركم انها إذا جاءت لا يؤمنون**﴾ وقوله تعالى فيها ﴿١٥٢ **قل تعالوا أتل ما حرم عليكم ان لا تشركوا**». ومن شواهد ذلك انك سمعت كلام الكشاف في دخول لا النافية على القسم واستفاضته في كلامهم وأشعارهم وما ذكره من الشواهد في الشعر ومع ذلك قال في تفسير سورة النساء في قوله تعالى ﴿**فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك**﴾ معناه فوربك كقوله تعالى ﴿**فوربك لنسألنهم**﴾ و «لا» مزيدة لتأكيد معنى القسم كما زيدت في لئلا يعلم لتوكيد وجوب العلم انتهى . . فانظر فيه واعتبر وقل أين ما ذكرته من الاستفاضة واين معنى الاستشهاد بالشعر. ولولا الحمل على التحامل لذكرنا عن الكشاف وغيره اكثر من ذلك وفي ذلك كفاية لأولي الألباب : ومن ذلك ما نقله السيد الرضي في حقائق التأويل من قول بعضهم بزيادة الواو في قوله تعالى في سورة آل عمران ٨٥ ولو افتدى به. وإبراهيم ٥٢ ولينذروا به. والزمر ٧٣ وفتحت ابوابها. أقول ولمثل هذه الواو في القرآن موارد وهي فيها كلها واو العطف على محذوف يدل عليه سياق القرآن بكرامة نهجه وبراعة اسلوبه في مناحي البلاغة ويجلوه المقام باشراق تلك البراعة بأجلى المظاهر كما سيأتي التنبيه عليه في موارده ان شاء الله. ومن شواهد ذلك مما جناه القصور ان جماعة وقفوا عن الوصول في بعض ما في القرآن الكريم من فوائد البراعة وفوائد البلاغة حتى صار يلوح من ترددهم ان ذلك مخالف لقواعد العربية فاغتنم اعداء القرآن من ذلك فرصة الاعتراض وقد ساعد التوفيق على التعرض لتلك الاعتراضات وبيان خطأها بايضاح براعة القرآن الكريم في مواردها بأسرار البلاغة ولباب الأدب العربي وبواهر اساليبه وقد كتب شيء من ذلك في الجزء الأول من كتاب الهدى وفي خصوص المقدمة الثالثة عشرة من صفحة ٣٢١ حتى آخره. ومن شواهد ذلك ان كثيراً من مجازات القرآن الكريم واستعاراته الواضحة العلاقة والفائقة في لحاظ التشبيه ومرمى الإشارة والمؤيدة بأحكام العقل ومحكمات الكتاب هذه الاستعارات التي كانت من ازهار الأدب العربي الغريزي حين ما

كان روضه زاهياً زاهراً عادت بعد ما ذوى خميله معركة للآراء وهدفاً للجحود وإن جامت عنها محكمات الكتاب ونصرتها البراهين العقلية في تقديس الله وتفرده بالكمال. فمن ذلك ما في القرآن من نسبة الاضلال إلى الله جل اسمه في عدة آيات منها السابعة والعشرون من سورة الرعد والثانية والثلاثون من سورة إبراهيم ونحوهما، فإن التعبير في ذلك بالاضلال مجاز فائق في الحسن يمثل ببراعته حماجة الإنسان مع نفسه الأمارة إلى لطف الله به وعنايته في توفيقه ويشير إلى ما في اللطف والتوفيق من الأثر الشريف الكبير في النعمة على الإنسان وينبه إلى ان خذلان الله للإنسان المتمرد برفع العناية في التوفيق وايكاله إلى نفسه شبيه باضلاله في قوة الأثر. كل ذلك لأجل التنويه والامتنان بنعمة الله في توفيقه لعباده ولأجل هذه المزايا الفائقة استعير الاضلال لخذلان الله لعبده المتمرد وإيكاله إلى نفسه والعياذ بالله.

ولقد كان يكفي في القرينة على التجوز في لفظ الاضلال هنا وصرفه عن مقتضى وضعه ما في القرآن من المحكمات مثل قوله تعالى في سورة الاعراف ﴿٢٧ **إن الله لا يأمر بالفحشاء**﴾ وفي سورة النحل ﴿٩٢ **إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون**﴾ فإن تمجد الله بذلك كافٍ في كونه قرينة على ان الإضلال المنسوب لله تعالى شأنه إنما هو مجاز. وإن مجده والطافه جلت آلاؤه تعين المراد منه وهو ما ذكرناه . وكيف يكون الاضلال المنسوب إلى الله على حقيقته مع أن الله يذم الضالين ويعذبهم على ضلالهم ويوبخهم بقوله تعالى: ﴿**كيف تكفرون بالله. لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق. لم تصدون عن سبيل الله فمالكم كيف تحكمون. فمالهم لايؤمنون. فما لهم عن التذكرة معرضين . وماذا عليهم لو آمنوا**» وتمام الكلام في الكتب الكلامية. وقد ذكر شيء منه في الجزء الثالث من الرحلة المدرسية صفحة ٢٩ إلى ٤٢: ومن ذلك ان الفرقة الظاهرية لم تلتفت إلى المجاز ووجهه الواضح في قوله تعالى ﴿**الرحمن على العرش استوى**﴾ ولم يصرفهم عن المعاني الحقيقية لهذه الألفاظ ضرورة العلم من القرآن والبراهين القطعية في ان الله منزه عن الجسم والأين والمكان لكي يعرفوا ان المراد بالعرش هنا هو شأن القدرة والجلال واستيلاء السلطان على الملكوت في الأزل والأبد. ولأجل احضار هذا الشأن العظيم في اذهاننا القاصرة وملأ قلوبنا بعظمته مثل القرآن لتصورنا المحدود بتشبيهه بما نعرفه ونعرف آثاره من العرش الجسماني للملك الأرضي الذي بالصعود عليه صعوداً زمنياً ينفذ سلطانه وتعم قدرته.

ومن آثار الظاهريين العجيبة ما اخرجه ابن مردويه والخطيب في تاريخه وابن منصور في سننه من مسند عمر عن النبي ﷺ في قوله تعالى على العرش استوى قال حتى يسمع له اطيط الرحل. وانظر إلى كنز العمال الجزء الأول صفحة ٢٢٦ وكذا منتخب الكنز واطيط الرحل والقتب صوته أي صوت أخشابه من ضغط ثقل الراكب والحمل وسيأتي شبيه ذلك في تفسير آية الكرسي. وفي ميزان الذهبي من انكر ما جاء عن مجاهد في التفسير في قوله ﴿عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً﴾ قال يجلسه معه على العرش. وفي شواهد الحق كتاب الشيخ يوسف النبهاني صفحة ١٣٠ قال ومن كتب ابن تيمية كتاب العرش قال في كشف الظنون ذكر فيه إن الله يجلس على العرش وقد اخلى فيه مكاناً يقعد معه فيه رسول الله ﷺ كما ذكر ذلك ابو حيان في قوله تعالى وسع كرسيه السماوات والأرض وقال يعني ابا حيان قرأت في كتاب العرش لأحمد بن تيمية بخطه ما صورته ما ذكرناه ونقلها كشف الظنون من طريق آخر عن السبكي انتهى. وعلى هذا الوتر ضرب محمد بن عبد الوهاب في رسالته المطبوعة في ان مجموعة فيها عدة من الرسالة طبعت في مكة فانظر إلى صفحة ١٥٥ و ١٥٦ من المجموعة هذا عبد الرحمن بن حسن الوهابي في صفحة ٣٦ من المجموعة المذكورة.

﴿ المقام الثالث ﴾

جاء في القرآن شيء كثير من الألفاظ العامة التي يراد بها الخاص أو التي نص في خاص باعتبار نزولها في شأنه وغير ذلك مما كان معروفاً في عصر نزوله ثمَّ صارت اسباب الخفاء تختلسه شيئاً فشيئاً وتجعل ضده كما في خرافة الغرانيق وآية التمني.

والمفزع في تفسير ذلك هو ما يحصل به العلم من اجماع المسلمين واتفاقهم في الرواية للتفسير. أو في الرواية عن الرسول ﷺ في الدلالة على من يفزع بعده في تفسير كتاب الله وذلك كحديث الثقلين المتواتر القطعي الذي ذكره اخواننا من اهل السنة في كتبهم وأوردوا من روايته عن الصحابة الذين سمعوه من رسول الله ﷺ أكثر من ثلاثين صحابيا وبقي على ذلك متواتراً في كل عصر إلى العصر الحاضر وهو قوله ﷺ «إني تارك فيكم الثقلين أو الخليفتين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا أبداً فإنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض» وان لفظ العترة والأحاديث الكثيرة الصحيحة الواردة في تعيين اهل البيت يعينان المراد من اهل البيت فضلاً عن دلالة العرف

والمحاورات. وقوله ﷺ ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا ابداً مع قوله ﷺ فإنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض يعينان الأئمة الأثني عشر المعصومين من عترة الرسول وذريته. ومن دلائل ذلك اجماع المسلمين على ان من عدا هؤلاء ليس معصوماً ولا يتصف بانه مثل كتاب الله لا يضل من تمسك به.

وهاك اسماء الصحابة السامعين لهذا الحديث عن رسول الله[١] علي (ع) امير المؤمنين[٢] عبد الله بن عباس[٣] أبو ذر الغفاري[٤] جابر الأنصاري[٥] عبد الله بن عمر[٦] حذيفة بن اسيد[٧] زيد بن ارقم [٨] عبد الرحمن بن عوف[٩] ضميرة الأسلمي[١٠] عاصم ابن ليلى[١١] أبو رافع[١٢] أبو هريرة[١٣] عبد الله بن حنطب[١٤] زيد بن ثابت[١٥] أم سلمة[١٦] أم هانىء أخت امير المؤمنين علي (ع)[١٧] خزيمة بن ثابت[١٨] سهل بن سعد[١٩] عدي بن حاتم[٢٠] عقبة بن عامر[٢١] أبو ايوب الأنصاري[٢٢] أبو سعيد الخدري[٢٣] أبو شريح الخزاعي[٢٤] أبو قدامة الأنصاري[٢٥] أبو ليلى[٢٦] أبو الهيثم بن التيهان. وهؤلاء الذين ذكرنا اسماءهم من بعد أم هانىء قد رواه كل منهم منفرداً كمن تقدمه وقاموا في رحبة الكوفة مع سبعة من قريش فشهدوا انهم سمعوه من رسول الله فهؤلاء ثلاثة وثلاثون. ورواه أبو نعيم الأصبهاني في كتاب منقبة المطهرين مسنداً عن جبير بن مطعم وأسنده أيضاً عن انس بن مالك واسنده عن البراء بن عازب ورواه موفق بن أحمد أخطب خوارزم عن عمرو ابن العاص. وقل ما يخلو عن رواية هذا الحديث مسند أو جامع أو كتاب في الفضائل لأهل السنة من أول ما اخرج الحديث من الحفظ وصدور الحفاظ إلى صحف المحدّثين ولا زال يروى فيها عن صحابي واحد أو أكثر وربما روي في واحد منها عن أكثر من عشرين صحابياً أما مجملاً كما في الصواعق واما مسنداً مفصلاً كما في كتب السخاوي والسيوطي والسمهودي وغيرهم ومن اراد الاطلاع فليرجع إلى الجزأين المكتوبين في أسانيد هذا الحديث من كتاب العبقات.

ورواه الإمامية في كتبهم بأسانيدهم المتكررة عن الباقر (ع) والرضا (ع) والكاظم (ع) والصادق (ع) عن آبائهم (ع) عن رسول الله ﷺ. وبالأسانيد الأخر عن أمير المؤمنين (ع) وعمر وأبي ذر وجابر وأبي سعيد وزيد بن أرقم وزيد بن ثابت وحذيفة بن أسيد وابي هريرة وغيرهم عن رسول الله ﷺ كما في غاية المرام وتفسير البرهان للسيد هاشم البحراني طاب ثراه وغير ذلك.

ولعلك تقول ان البخاري لم يذكر هذا الحديث في جامعه فاعرف إذن ان المحدثين لا يلتفتون إلى استفاضة الحديث وتواتره وافادته للعلم من هذه الجهة كما هو شأن العالم المحقق في حجته وبحثه عن الحقائق. وإنما المهم للمحدث والموضوع في فنه هو الحديث الآحادي الذي يأخذه بما عندهم في طرق الأخذ من رجل آخر على شروط يقررها في السند فكأن البخاري لم يحصل شرطه في سند من اسانيد الحديث الآحادية ولكن الحاكم في مستدركه استدرك عليه وعلى مسلم حديث زيد بن أرقم من طريق حبيب عن أبي الطفيل قال لما رجع رسول الله ﷺ عن حجة الوداع ونزل غدير خم أمر بدوحات فقممن فقال ﷺ إني قد دعيت فأجبت إني قد تركت فيكم الثقلين احدهما أكبر من الآخر كتاب الله وعترتي فانظروا كيف تخلفوني فيهما فإنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض ثم قال إن الله عز وجل مولاي وأنا مولى كل مؤمن ثم اخذ بيد عليّ فقال من كنت مولاه فهذا وليه اللهم وآل من والاه وعاد من عاداه. وقال الحاكم هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بطوله. ومن طريق مسلم بن صبيح عنه قال قال رسول الله ﷺ إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله واهل بيتي وانهما لم يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض. وقال الحاكم أيضاً هذا صحيح الإسناد على شرط الشيخين ولم يخرجاه قلت ولم أجد من تعقب الحاكم على استدراكه بهذين الحديثين فيكون ذلك موافقة ممن عاصر الحاكم ومن بعده على الإستدراك وصحة الحديثين على شرط البخاري ومسلم. ومن طريق سلمة بن كهيل عن أبي الطفيل انه سمع زيد بن أرقم يقول وساق نحو الحديث الأول وفيه إني تارك فيكم امرين لن تضلوا إن اتبعتموهما كتاب الله واهل بيتي عترتي الحديث وتعقبه الذهبي بأن في طريقه محمد بن سلمة وقدوهاه السعدي وذكر له ابن عدي أحاديث منكرة. ومراده من السعدي هو إبراهيم بن يعقوب السعدي الجوزجاني كما ذكره في ترجمة محمد بن سلمة. قلت وما ادراك ما السعدي فإنه معروف بالنصب وفي الميزان عن ابن عدي كان شديد الميل إلى مذهب أهل دمشق في التحامل على علي (ع) وقد قال في إسماعيل ابن ابان الوراق شيخ البخاري انه كان مائلاً عن الحق قال ابن عدي ولم يكن يكذب الجوزجاني يريد به ما عليه الكوفيون من التشيع إذن فاعرف السبب في تحامل الجوزجاني وابن عدي على محمد بن سلمة. ولعمر العلم الحق ان الحديث بتواتره في غنى عن التعرض له في جامع البخاري - هذا واما الرجوع في التفسير وأسباب النزول إلى امثال عكرمة ومجاهد وعطاء وضحاك كما ملئت كتب التفسير بأقوالهم المرسلة فهو مما لا يعذر

فيه المسلم في أمر دينه فيما بينه وبين الله ولا تقوم بـه الحجة. لأن تلك الأقـوال إن كانت روايات فهي مراسيل مقطوعة ولا يكون حجـة من المسانيـد إلا ما ابتنى على قـواعد العلم الديني الرصينة ولو لم يكن من الصـوارف عنهم إلا ما ذكـر في كتب الرجـال لأهل السنـة لكفى . وإن الجرح مقدم على التعديل إذا تعارضا. أما عكرمـة فقد كثـر فيه الـطعن بأنـه كذاب غير ثقة ويرى رأي الخوارج وغير ذلك. وقيل للأعمش ما بال تفسير مجاهد مخالف او شيء نحـوه قال أخـذه من أهل الكتـاب ومما جـاء عن مجاهـد من المنكرات في قـوله تعالى ﴿عسى ان يبعثك ربك مقاماً محموداً﴾ قال يجلسه معه على العرش. وأما عطاء فقد قال أحمد ليس في المراسيل اضعف من مراسيل الحسن وعطا كانا يأخذان عن كل احد وقال يحيى بن القطان مرسلات مجاهد احب إلي من مرسـلات عطا بكثيـر كان عـطا يأخذ من كل ضرب وروي انه تركه ابن جريح وقيس بن سعد. وأمـا الحسن البصري فقـد قيل انه يدلس وسمعت كلام أحمد فيه وفي عـطا. وأما الضحـاك بن مزاحم المفسـر فعن يحيى بن سعيد قوله الضحاك ضعيف عندنا وكـان يروي عن ابن عبـاس وانكر مـلاقاتـه له حتى قيل انه ما رآه قط. وأما قتادة فقد ذكروا انه مدلس. وأما مقاتل بن سليمـان فقد قـال فيه وكيع كان كذاباً. وقال النسائي كان مقاتل يكذب وعن يحيى قال حديثه ليس بشيء وقال ابن حيان كان يأخذ من اليهود والنصارى من علم القرآن الذي يوافق كتبهم. وأما مقاتل بن حيان فعن وكيع انه ينسب إلى الكذب وعن ابن معين ضعيف وعن أحمد بن حنبل لا يعبأ بمقاتل بن حيان ولا بابن سليمان فانظر إلى ميزان الذهبي من كتب الرجال اقلا ودع عنـك ان أصول العلم عندنا تأبى من الركون إلى روايتهم فضلاً عن أقوالهم الا في مقـام الجدل أو التأييد أو حصول الاستقامة والتوافق في الحديث.

هـذا وإن كثيراً من كتب التفسيـر قد لهـج بـأكـذوبـة شنيعـة وهي مـا زعمـوا من ان الرسول ﷺ قرأ سورة النجم في مكـة في محفل من المشركيـن حتى إذا قرأ قـوله تعـالى ﴿أفرأيتم اللات والعزى ومنات الثالثة الأخـرى﴾ قال ﷺ في تمجيـد هذه الأوثـان وحاشـا قدسه ﴿تلك الغرانيق الأولى منها الشفاعة ترتجى﴾ فأخبره جبرائيـل بما قـال فاغتم لـذلك فنزل عليه في تلك الليلة أية تسلية ولكن بماذا تسليه بزعمهم تسلية بما يسلب الثقة من كل نبي وكل رسول في قراءته وتبليغه. والآية هي قوله تعالى في سورة الحج ﴿٥١ وما أرسلنا من قبلك من نبي ولا رسـول إلا اذا تمنى ألقى الشيطان في امنيتـه﴾ فقالـوا معنى ذلك إذا تكلم أو حدث أو تلا وقرأ أدخل الشيطان ضلاله في ذلك.

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمتنا

اعلم أن الأصل في نسختنا هذه هي النسخة المطبوعة بـ « صيدا » إلا أنها لمّا لم تكن خالية من الأغلاط حاولنا تصحيحها فرجعنا فيها إلى عدة من النسخ .

منها : نسخة مخطوطة مصححة عتيقة لخزانة كتب العلامة النسابة الآية الحجة السيد شهاب الدين المرعشي النجفي دامت بركاته العالية .

منها: نسخة مخطوطة عتيقة أتحفنا بها العالم الجليل الحاج الشيخ حسن المصطفوي دام ظله العالي .

منها: النسخة المطبوعة بالطبع الحجري بطهران المعروفة بـ (طبع ملا حسن) .

فما كان من تحريف أو تصحيف أو زيادة أصلحناه في المتنِ وأمّا ما كان من سقط يتعذر فأوردناه بالهامش بين المعقفتين مضافاً إلى بيان المشكلات، وحل المعضلات .

فجاءت بحمد الله نسخة صحيحة لم يطبع مثلها، والكتاب أقوى شاهد وبرهان .

﴿ الفهرس ﴾

ننشره مع الجزء الثاني إن شاء الله ليكون فهرساً للمجلد كله

﴿ ترجمة المؤلف ﴾

هو أمين الدين أو أمين الإسلام أبو علي الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي الطوسي السبزواري الرضوي أو المشهدي رحمه الله تعالى .

[أقوال العلماء في حقه]

عن كتاب نقد الرجال للسيد الأجل الأمير مصطفى التفريشي وفي تعليقة العلامة الآقا محمد باقر البهبهاني على رجال ميرزا محمد الكبير ثقة فاضل دين عين من أجلاء هذه الطائفة. وعن نظام الأقوال للمولى نظام الدين القرشي تلميذ الشيخ البهائي ثقة فاضل دين عين. وعن فهرست الشيخ منتجب الدين علي بن عبيد الله بن بابويه بعد وصفه بالإمام ثقة فاضل دين عين . وفي الوجيزة للعلامة المجلسي ثقة جليل. وفي مستدركات الوسائل فخر العلماء الأعلام وأمين الملة والإسلام المفسر الفقيه الجليل الكامل النبيل صاحب تفسير مجمع البيان الذي عكف عليه المفسرون وغيره من المؤلفات الرائقة الشائع جملة منها. وعن رياض العلماء للشيخ الحافظ المتبحر ملا عبد الله الأصفهاني المعروف بالأفندي أنه وصفه بالشيخ الشهيد الإمام وأنه قال رأيت نسخة من مجمع البيان بخط الشيخ قطب الدين الكيدري قد قرأها نفسه على نصير الدين الطوسي وعلى ظهرها أيضاً بخطه هكذا: تأليف الشيخ الإمام الفاضل السعيد الشهيد انتهى قال في مستدركات الوسائل بعد نقل ذلك ولم يذكر هو ولا غيره كيفية شهادته ولعلها كانت بالسم انتهى. وعن صاحب رياض العلماء أيضاً أنه قال بعد مدحه له بعبارات عالية

كان قدس سره وولده رضي الدين أبو نصر حسن بن الفضل صاحب كتاب مكارم الأخلاق وسبطه أبو الفضل علي بن الحسن صاحب مشكاة الأنوار وسائر سلسلته وأقربائه من أكابر العلماء انتهى. وفي الروضات: الشيخ الشهيد السعيد والحبر الفقيه الفريد الفاضل العالم المفسر الفقيه المحدث الجليل الثقة الكامل النبيل ثم حكى عن صاحب رياض العلماء أنه ترجمه بنحو ذلك. وفي المقابيس لرئيس المحققين الشيخ أسد الله التستري عند ذكر ألقاب العلماء ومنها أمين الإسلام للشيخ الأجل الأوحد الأكمل الأسعد قدوة المفسرين وعمدة الفضلاء المتبحرين أمين الدين أبي علي الخ قدس الله نفسه الزكية وأفاض على تربته المراحم السرمدية. وعن مجالس المؤمنين ما ترجمته: إن عمدة المفسرين أمين الدين ثقة الإسلام أبو علي الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي كان من نحارير علماء التفسير وتفسيره الكبير الموسوم بمجمع البيان بيان كاف ودليل واف لجامعيته لفنون الفضل والكمال انتهى. وسيأتي عند ذكر جملة من آثاره حكاية وصفه بالشيخ الإمام الأجل العالم الزاهد أمين الدين ثقة الإسلام أمين الرؤساء وبالجملة ففضل الرجل وجلالته وتبحره في العلوم ووثاقته أمر غني عن البيان وأعدل شاهد على ذلك كتابه مجمع البيان كما أشار إليه صاحب مجالس المؤمنين بما جمعه من أنواع العلوم وأحاط به من الأقوال المشتتة في التفسير مع الإشارة في كل مقام إلى ما روي عن أهل البيت عليهم السلام في تفسير الآيات بالوجوه البينة المقبولة مع الاعتدال وحسن الاختيار في الأقوال والتأدب وحفظ اللسان مع من يخالفه في الرأي بحيث لا يوجد في كلامه شيء ينفر الخصم أو يشتمل على التهجين والتقبيح وقلَّ ما يوجد في المصنفين من يسلم كلامه من ذلك وانظر إلى كلامه في مقدمة جامع الجوامع في حق صاحب الكشاف وما فيه من التعظيم له والثناء البليغ على علمه وفضله لتعلم أنه من الفضل والانصاف وطهارة النفس في مرتبة عالية.

[مشايخه]

يروي هذا الشيخ الجليل عن جماعة (١) الشيخ أبو علي بن الشيخ الطوسي (٢) الشيخ أبو الوفاء عبد الجبار بن علي المقري الرازي عن الشيخ الطوسي. (٣) الشيخ الأجل الحسن بن الحسين بن الحسن بن بابويه القمي الرازي جد منتجب الدين صاحب الفهرست. (٤) الشيخ الإمام موفق الدين الحسن بن الفتح الواعظ البكرابادي عن أبي علي الطوسي. (٥) السيد أبو طالب محمد بن الحسين الحسيني القصبي الجرجاني. (٦) الشيخ الإمام السعيد الزاهد أبو الفتح عبد الله بن عبد الكريم بن هوازن القشيري

روى عنه صحيفة الرضا المعروفة. (٧) الشيخ أبو الحسن عبيد الله محمد بن الحسين البيهقي الذي قال في حقه صاحب رياض العلماء على ما حكي عنه أنه فاضل عالم محدث من كبار الامامية يروي عنه الشيخ أبو علي الطبرسي على ما يظهر من تفسير سورة طه في مجمع البيان انتهى. (٨) الشيخ جعفر الدوريستي الذي هو من تلامذة المفيد.

[تلامذته]

يروي عنه جماعة من أفاضل العلماء منهم ولده رضي الدين أبو نصر حسن بن الفضل صاحب كتاب مكارم الأخلاق المشهور الذي طبع مرارا في مصر محرفاً تحريفاً قبيحاً ثم تصدى بعض أهل الفضل والغيرة لطبعه طبق أصله في بلاد إيران مع التنبيه على مواضع التحريف في الطبعة المصرية وهو من تلامذته أيضاً كما في المقابيس. ويروي عنه أيضاً رشيد الدين أبو جعفر محمد بن علي بن شهراشوب وهو من تلامذته أيضاً قال في باب الكنى من كتابه معالم العلماء على ما حكي عنه. شيخي أبو علي الطبرسي. والشيخ منتجب الدين صاحب الفهرست وهو من تلامذته أيضاً قال في فهرسته شاهدته وقرأت تفقهاً عليه. والقطب الراوندي والسيد فضل الله الراوندي صاحب كتاب الخرائج والجرائح[1] والسيد أبو الحمد مهدي بن نزار الحسيني القايني. والسيد شرفشاه بن محمد بن زيادة الأفطسي والشيخ عبد الله بن جعفر الدوريستي وشاذان بن جبرئيل القمي وغيرهم. وعن صاحب اللؤلؤة أنه عده من جملة مشايخ برهان الدين بن محمد بن علي القزويني الهمداني.

[مصنفاته]

له مصنفات كثيرة نافعة وجملة منها مشهور. وفي المقابيس له مؤلفات فائقة رائقة وقد سمعت قول الفاضل النوري أن له مؤلفات رائقة وجملة منها شائع. وقال السيد مصطفى التفريشي له مصنفات حسنة. وفي التعليقة له تصانيف حسنة إلى غير ذلك من أقوال العلماء. ونحن نذكر أسماء ما وصل إلينا من مصنفاته وهي (مجمع البيان) لعلوم القرآن فسر به القرآن الكريم في عشر مجلدات المستمد من التبيان لشيخ الطائفة محمد بن الحسن بن علي الطوسي كما المح إلى ذلك في مقدمة مجمع البيان والفائق عليه في الترتيب والتهذيب والتحقيق والتنميق واختصار الفروع الفقهية التي أكثر الشيخ من ذكرها

(١) وصاحب الشرح الكبير على نهج البلاغة.

وهو من أحسن التفاسير وأجمعها لفنون العلم وأحسنها ترتيباً فرغ من تأليفه منتصف ذي القعدة سنة ست وثلاثين وخمسمائة. (قال) في كشف الظنون مجمع البيان في تفسير القرآن للشيخ فقيه الشيعة ومصنفهم أبي جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي المتوفى سنة إحدى وستين وخمسمائة وهو كبير وقد رأيت تفسيره المسمى مجمع البيان وهو على طريقة الشيعة وقد اختصر الكشاف وسماه جوامع الجوامع[1] انتهى. وقال في مقام آخر جوامع الجامع في التفسير للشيخ أبي علي الطرطوشي صاحب مجمع البيان انتهى. فقد اشتبه عليه مصنف مجمع البيان بمصنف التبيان وجعل جوامع الجامع تارة للشيخ أبي جعفر الطوسي وتارة للشيخ أبي علي الطبرسي مع تصحيف الطبرسي بالطرطوشي والاشتباه في تسميته بجوامع الجوامع مع أنه إنما يسمى بجامع الجوامع أو جوامع الجامع كما ستعرف وجعل تاريخ وفاة الطبرسي تاريخاً لوفاة الشيخ الطوسي فإن الطوسي توفي سنة ستين وأربعمائة مع أن التاريخ المذكور لا ينطبق على وفاة الطبرسي أيضاً كما ستعرف من أنه توفي سنة خمسمائة وثمان وأربعين أو اثنتين وخمسين ولم يذكر أحد أنه توفي سنة إحدى وستين وله في بيان كتب الشيعة اشتباهات كثيرة غير هذا يجدها المتتبع . (ولنعد) إلى ذكر بقية مؤلفات الطبرسي وهي (الكاف الشاف) من كتاب الكشاف (جامع الجوامع) أو (جوامع الجامع) صنفه بعد اطلاعه على الكشاف لأنه صنف مجمع البيان قبل أن يطلع على الكشاف فلما اطلع عليه صنف جامع الجوامع ليكون جامعاً بين فوائد الكتابين بوجه الاختصار كما صرح به في مقدمته. وعد الشيخ منتجب الدين على ما نقل عنه في الفهرست في مصنفاته (الوسيط) في التفسير أربع مجلدات (والوجيز) مجلدة وعن نقد الرجال عند ذكر مصنفاته الوسيط أربع مجلدات والوجيز مجلدان وفي المقابيس ان جامع الجوامع هو الوسيط الذي في أربع مجلدات أو الوجيز الذي في مجلد أو مجلدين والظاهر أن الوسيط هو الكاف الشاف إنتهى ويظهر مما تقدم عن كشف الظنون أن الكاف الشاف هو جامع الجوامع (الوافي) في تفسير القرآن أيضاً (أعلام الورى) بأعلام الهدى في فضائل الأئمة (ع) في مجلدين. قيل ومن الغرائب أن السيد رضي الدين بن طاووس ألف كتاب ربيع الشيعة على نهج أعلام الورى وقد وافقه في جميع الأبواب والفصول والمطالب وبالجملة لا تفاوت بينهما أصلاً (تاج المواليد) (الآداب الدينية) (الخزانة المعينية)

---

(١) مختصر الكشاف إنما هو الكاف الشاف لا جامع الجوامع كما لا يخفى على من رآه ولعل الإسمين لمسمى واحد كما سنراه قريباً .

(النور المبين) (الفائق) (غنية العابد) (كنوز النجاح) نسبه إليه فيما قيل رضي الدين بن طاووس في مهج الدعوات والكفعمي في المصباح وحواشيه (عدة السفر وعمدة الحضر) نسبه إليه الكفعمي أيضاً على ما قيل (معارج السؤال) (أسرار الأئمة) أو الإمامة نسبهما إليه بعض العلماء على ما قيل واستظهر صاحب الروضات أن الأخير لولده الحسن بن الفضل (مشكاة الأنوار) في الأخبار نسبه إليه في كتاب دفع المناواة على ما قيل وفي الروضات الظاهر أنه غير مشكاة الأنوار في غرر الأخبار التي هي لسبطه الشيخ أبي الفضل علي بن الشيخ رضي الدين أبي النصر وهو كتاب ظريف يشتمل على أخبار غريبة لأن ماله في الأخبار وما لسبطه في الأدعية انتهى (رسالة) حقائق الأمور (العمدة) في أصول الدين والفرائض والنوافل بالفارسية (كتاب شواهد التنزيل) لقواعد التفضيل ذكره في مجمع البيان في ذيل آية يا أيها الرسول بلغ ما أُنزل إليك (كتاب) الجواهر في النحو ولكن في الروضات ظني أنه من مؤلفات الشيخ شمس الدين الطبرسي النحوي الذي قد ينقل عنه الكفعمي في البلد الأمين. وينسب إليه كتاب (نثر اللآلي) وربما قيل أنه للسيد علي بن فضل الله الحسني الراوندي وهي رسالة مختصرة مجموعة من كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) مرتبة على حروف المعجم على نهج كتاب غرر الحكم ودرر الكلم الذي جمعه عبد الواحد الآمدي التميمي فيما يزيد عن أربعة آلاف بيت[١] ويزيد حجمه عن نهج البلاغة رأيت منه نسخة بدمشق بخط جيد وذكر في مقدمته أن الجاحظ جمع مائة حكمة شاردة من كلام أمير المؤمنين (ع) وافتخر بذلك فجمع هو ما يزيد عليه أضعافاً مضاعفة قال في الروضات مع أن ما جمع في كتاب غرر الحكم هو غير المائة كلمة المشهورة وغير الألف كلمة التي جمعها ابن أبي الحديد في آخر شرح النهج. وقال أيضاً أن كتاب نثر اللآلي المذكور غير كتاب نثر اللآلي في الأخبار والفتاوى لابن أبي جمهور الاحسائي انتهى وبالمناسبة لا بأس أن نذكر هنا ما وجدناه منقولاً عن قطب الدين الكيدري في شرح نهج البلاغة عن صاحب المنهاج أنه قال سمعت بعض العلماء بالحجاز ذكر أنه وجد بمصر مجموعاً من كلام أمير المؤمنين عليه السلام في نيف وعشرين مجلداً انتهى ولا يستغرب ذلك عن باب مدينة العلم. وعد غير واحد من العلماء كتاب الاحتجاج من مصنفاته وهو غلط بل هو من مصنفات أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي كما صرح به ابن شهراشوب في معالم العلماء وغيره على ما حكي. وفي الروضات قد يوجد

(١) يراد بالبيت في اصطلاحهم السطر.

في بعض الفهارس نسبة كتاب (الكافي) إليه ولا يبعد اشتباهه بكتاب الوافي أقول بل الظاهر أنه هو الكاف الشاف الذي تقدم ذكره .

[حكاية غريبة عنه]

عن صاحب رياض العلماء أنه قال مما اشتهر بين الخاص والعام أنه (ره) أصابته السكتة فظنوا به الوفاة فغسلوه وكفنوه ودفنوه وانصرفوا فأفاق ووجد نفسه مدفوناً فنذر إن خلصه الله من هذه البلية أن يؤلف كتاباً في تفسير القرآن واتفق أن بعض النباشين كان قد قصد قبره في تلك الحال وأخذ في نبشه فلما نبشه وجعل ينزع عنه الأكفان قبض بيده عليه فخاف النباش خوفاً عظيماً ثم كلمه فازداد خوف النباش فقال له لا تخف وأخبره بقصته فحمله النباش على ظهره وأوصله إلى بيته فأعطاه الأكفان ووهب له مالاً جزيلاً وتاب النباش على يده ثم وفى بنذره وألف كتاب مجمع البيان انتهى. قال الفاضل الثوري في مستدركات الوسائل بعد نقل هذه الحكاية ومع هذا الاشتهار لم أجدها في مؤلف أحد قبله وربما نسبه إلى العالم الجليل المولى فتح الله الكاشاني صاحب تفسير منهج الصادقين وخلاصته وشرح النهج المتوفى سنة تسعمائة وثمان وثمانين انتهى .

أقول ومما يبعد هذه الحكاية مع بعدها في نفسها من حيث استبعاد بقاء حياة المدفون بعد الإفاقة إنها لو صحت لذكرها في مقدمة مجمع البيان لغرابتها ولاشتمالها على بيان السبب في تصنيفه مع أنه لم يتعرض لها والله أعلم .

[جملة من آثاره]

قال في أمل الآمل ومن رواياته صحيفة الرضا (ع) انتهى. قال صاحب رياض العلماء على ما حكي عنه أن في أول بعض نسخ صحيفة الرضا (ع) هكذا: أخبرنا الشيخ الإمام الأجل العالم الزاهد أمين الدين ثقة الإسلام أمين الرؤساء أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي أطال الله بقاءه يوم الخميس غرة شهر الله الأصم رجب سنة ٥٢٩ قال أخبرنا الشيخ الإمام السيد الزاهد أبو الفتح عبد الله بن عبد الكريم وفي بعضها يروي تلك الصحيفة عن ذلك السيد قراءة عليه داخل القبة التي فيها قبر الرضا (ع) غرة شهر الله المبارك سنة إحدى وخمسمائة قال حدثني الشيخ الجليل العالم أبو الحسن علي بن محمد بن علي الحاتمي الزوزني قراءة عليه سنة ٤٥٧ انتهى موضع الحاجة .

وتفرد بمقالة في الرضاع معروفة مذكورة في كتب فقهائنا وهي قوله بعدم اعتبار اتحاد

الفحل في نشر الحرمة. ويحكى عنه القول بأن المعاصي كلها كبائر وإنما يكون اتصافها بالصغيرة بالنسبة إلى ما هو أكبر منها .

[مدة عمره ومدفنه]

قيل أنه عاش تسعين سنة وولد في عشر سبعين وأبعمائة وتوفي سنة اثنتين وخمسمائة انتهى والظاهر سقوط لفظة خمسين من تاريخ الوفاة وكون الولادة في السنة الثانية من عشر السبعين وأربعمائة ليكون عمره تسعين سنة ولكن عن رجال الأمير السيد مصطفى التفريشي أنه انتقل من المشهد الرضوي إلى سبزوار سنة خمسمائة وثلاث وعشرين وانتقل بها إلى دار الخلود سنة خمسمائة وثمان وأربعين وقد سمعت عند تعداد مصنفاته قول صاحب كشف الظنون أنه توفي سنة إحدى وستين وخمسمائة والله أعلم وفي الروضات كانت وفاته ليلة النحر من تلك السنة أي سنة ٥٤٨ ثم نقل نعشه إلى المشهد المقدس الرضوي وقبره الآن فيه معروف في موضع يقال له (قتلكاه) أي مكان القتل وذلك لما وقع فيه من القتل العام بأمر عبد الله خان أمير الأفغان في أواخر دولة الصفوية انتهى وفي المقابيس قال نقل أنه دفن في مغتسل الرضا (ع) بطوس انتهى وقال بعضهم أن قبره بطوس معروف مشهور يزار ويتبرك به .

[نسبته]

الطبرسي بالطاء المهملة والباء الموحدة المفتوحتين والراء الساكنة بعدها سين مهملة نسبة إلى طبرستان بفتح الطاء والباء وكسر الراء كما في معجم البلدان. وعن رياض العلماء هي بلاد مازندران بعينها وقد يعم بلاد جيلان لاشتراكهم في حمل الطبر انتهى وفي معجم البلدان الطبر بالتحريك هو الذي يشقق به الاحطاب وما شاكله بلغة الفرس واستان الموضع أو الناحية كأنه يقول ناحية الطبر ثم ذكر سبب تسميتها بذلك فقال سببه أن أكثر أهل تلك الجبال كثيرو الحروب وأكثر أسلحتهم بل كلها الاطبار حتى أنك قلَّ أن ترى صعلوكا أو غنياً إلا وبيده الطبر صغيرهم وكبيرهم فكأنها لكثرتها فيهم سميت بذلك ومعنى طبرستان من غير تعريب موضع الاطبار والله أعلم انتهى .

والرضوي والمشهدي نسبة إلى مشهد الرضا (ع) لأنه سكن فيه ثم أن الطبرسي حيث يطلق ينصرف إلى صاحب الترجمة وإن كان يطلق أيضاً على أبي منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي مصنف كتاب الاحتجاج والشيخ محمد بن علي بن شهراشوب

فيكون معاصراً لصاحب الترجمة لأن ابن شهراشوب يروي عن صاحب الترجمة أيضاً كما مر عند تعداد تلامذته ويطلق أيضاً على ولد صاحب الترجمة رضي الدين أبي نصر الحسن بن الفضل الطبرسي صاحب كتاب مكارم الأخلاق المار ذكره ويطلق أيضاً على أبي علي محمد بن الفضل الطبرسي المذكور بهذا العنوان في أمل الآمل والموصوف فيه بأنه كان عالماً صالحاً عابداً يروي ابن شهراشوب عنه عن تلامذة الشيخ الطوسي انتهى فيكون معاصراً لصاحب الترجمة أيضاً . هذا ما تيسر لنا جمعه من ترجمة أحواله والحمد لله وصلى الله على محمد وآله وسلم .

دمشق **محسن الحسيني العاملي (عفي عنه)**

كلمة في التفسير

[اللغة فيه]

التفسير مأخوذ من فسر المشتق بالاشتقاق الكبير من السفر وهو الكشف والظهور يقال أسفر الصبح إذا ظهر وأسفرت المرأة عن وجهها إذا كشفته .

أو هو مأخوذ من فسر يفسر كضرب يضرب أو كنصر ينصر فسراً والفسر هو الإبانة وكشف المغطى تقول فسرت الشيء إذا بيَّنته. وقال اللغويون أيضاً أن التفسير هو كشف معنى اللفظ وإظهاره قاله في مجمع البحرين .

[التأويل]

التأويل مأخوذ من الأَوْل كالقول من آل الأمر إلى كذا يؤول أي صار إليه ورجع ومنه قيل للمرجع مآل. وأوَّل الكلام تأويلاً دبره وقدره وفسره قاله في القاموس المحيط. وقال ثعلب أن التأويل والتفسير واحد. وقال غيره أن التفسير هو كشف المراد عن المشكل والتأويل رد أحد المحتملين إلى ما يطابق الظاهر كما في القاموس ومجمع البحرين .

[ماهيته]

استعمل التفسير في اصطلاح العلماء لمعنيين أولهما التفسير الذي هو قسم من أقسام البديع الراجع إلى المحسنات المعنوية ويراد به عندهم أن يأتي المتكلم بمعنى لا يستقل الفهم بإدراك فحواه ما لم يفسره كلام آخر بعده كما في قول الشاعر :

آراؤهم ووجوههم وسيوفهم في الحادثات إذا دجون نجوم
منها معالم للهدى ومصابح تجلو الدجى والاخريات رجوم

وهذا القسم غير ما نريده الآن .

والمعنى الثاني للتفسير فهو ما نعني بالكلام فيه في مقالنا هذا وقد كثر كلام العلماء في شرح ماهيته فقال بعضهم هو علم بأصول تعرف به معاني كلام الله تعالى من الأوامر والنواهي وغيرها ومثله قول الرازي وهو ما يبحث فيه عن مراد الله تعالى من قرآنه المجيد وقول التفتازاني وهو العلم الباحث عن أحوال ألفاظ كلام الله من حيث الدلالة على مراد الله تعالى وعرفه أبو حيان وأدخل فيه علم التجويد بقوله هو علم يبحث عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها وأحكامها الأفرادية والتركيبية ومعانيها التي هي عنها حالة التركيب وتتمات ذلك. ولكن الزركشي جعل التعريف موضحاً لذكر ما يحتاج إليه علم التفسير فقال هو علم يفهم به كتاب الله تعالى المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو والتصريف والبيان وأحوال الفقه والقرآت ويحتاج إلى معرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ .

وقد دقق العلامة الفناري في هذه التعريفات ولم يرتضها لعدم جمعها ومنعها واختار للتفسير تعريفاً آخر على ما في كشف الظنون فقال هو معرفة أحوال كلام الله تعالى من حيث القرآنية ومن حيث دلالته على ما يعلم أو يظن أنه مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية وأنت تعلم من اختلاف كلماتهم في التعريفات التي مرّ بيانها ومن التأمل فيها أنهم قد اعملوا الفكر ليكون التعريف جامعاً مانعاً ولكن هذا العلم لكونه يطوي في تضاعيف مسائله مسائل من علوم شتى يدخلها بعضهم فيه ويخرجها بعضهم منه وهي داخلة في حدود غيره من العلوم لا تكاد تجد تعريفاً جامعاً لمسائله مانعاً من دخول غيره فيه ولا تكاد تدلنا على جهة وحدة تضبط مسائله إجمالاً .

[موضوعه والغرض منه]

قالوا أن موضوعه كلام الله تعالى والغرض منه حصول القدرة على استنباط الأحكام الشرعية على وجه الصحة ومعرفة معاني النظم .

[فائدته]

لم يخلق الله تعالى الخلق عبثاً وإنما خلقهم ليعملوا بأوامره وطاعته ويجتنبوا نواهيه ومعاصيه وليتعبدوه بما أوحاه إلى رسله من التكليف لا عن حاجة منه تعالى إليهم بل ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حيَّ عن بينة وليفوز المطيع بالطاعة والثواب ويشقى

العاصي بالمعصية والعقاب ويدلنا بذلك على أنه لم يخلق لهم العقول إلا ليفكروا ولم يمنَّ عليهم بالجوارح إلا ليعملوا وأشرف ثمار العقول والأعمال ما أوصل إلى السعادة الأبدية والفوز الأخروي باتباع أوامره تعالى وتجنب معاصيه سواء في ذلك أمر المعاد والمعاش .

وقد بيَّن الله تعالى لعباده طرق الفوز ودلَّهم على ما يرضيه من الأعمال التي تعود عليهم أنفسهم بالصلاح بما أنزله من الشرائع الإلّهية على لسان أنبيائه الكرام عليهم الصلاة والسلام الذين أقام بهم الحجة على العباد فصدعوا بأمره وزجروا عن معصيته فأنزل الله على كل رسول ذي شريعة كتاباً بلسان قومه ليخرجهم من الظلمات إلى النور وليسمعوا كلام ربهم ويعرفوا أحكامه والرسول هو الزعيم بتفصيل ما أجمل في الكتاب وتبيان ما أبهم منه فكان من ذلك الكتاب وكان من ذلك السنة النبوية اللذان هما أول الأدلة عند علماء أصول الفقه ثم علَّم الأنبياء أوصياءهم وأمناءهم وخواص أصحابهم ما إليه يرجعون وبه يهتدون من معاني كتاب ربهم وسنة نبيهم ليكونوا بعده منارا به يهتدي ونبراسا بنوره يستضاء إذا أدلهمَّ ليل الجهالة وادجن ظلام الاهواء لئلا تذهب بالأمة مذاهب الأهواء فتصرف موارد الشريعة عن مجراها ويتأولون أحكام الله على ما يريدون لا على ما يريد الله ميلاً مع الشهوات وجرياً مع الأهواء المضلة ويتكلمون بالرأي في القرآن بلا سند إليه يسندون ولا استمساك بكلام الراسخين في العلم إليه يرجعون كما صرف بعض الصوفية معنى قوله تعالى ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به إلى معنى الحب والعشق وكما ذهب إليه بعض الجاهلين من معنى قوله تعالى : ﴿ **ومن شر غاسق إذا وقب** ﴾ فتكلم فيه بما لا استحسن ذكره وكما تصرف بعض المنتسبين إلى العلم في قوله تعالى : ﴿ **من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه** ﴾ فكتبها ووصل ذا بلام الذي وقطع عين يشفع عنها وجعلها كلمة مستقلة فقال فيها من ذلَّ ذي يشف ع وجعل ذي إشارة إلى النفس ويشف من الشفاء وع أمراً من الوعي فكان معناها (واستغفر الله) من ذل هذه النفس يُشفَ فِع هذا الأمر وأنت خبير بما لهذا الشذوذ من القيمة عند أولي العلم نجانا الله من أمثال هذه الجهالات ولهذا ورد النهي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم برواية ابن عباس بأنه من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار .

وكان الصحابة في عصر النبي صلى الله عليه وآله وسلم يتلقون منه ما يصل بهم إلى فهم كتاب ربهم ومعرفة ما يراد منه في كثير من الآيات فاتسعت دائرة السنة النبوية

والأحاديث الشريفة كل متسع ونشأ من ذلك علم التفسير الذي عني المسلمون به عناية تامة وصرف جل علمائهم معظم أوقاتهم بحثاً فيه وتدقيقاً .

فعلم التفسير هو أجل العلوم قدرا لأنه الموصل إلى فهم مراد الله من كتابه ومعرفة أحكام الله في وحيه وما فرضه على عباده وهذه الغاية كما لا يخفى هي أشرف الغايات وأحسن الطرق لنيل السعادات .

[وجه الحاجة إليه]

انزل القرآن على النبي العربي بلسان عربي مبين فهو عربي الكلام عربي النظم والاسلوب ببلاغة عربية الا ان لغات العرب مختلفة فلغة تميم تخالف لغة قريش ولغة عرب الحجاز تتميز عن لغة أهل اليمن والقرآن الكريم وان نزل بلغة قريش قوم النبي وهم افصح العرب على الاطلاق الا انه تضمن بعض الالفاظ من غير اللغة القرشية وعليه حمل كثير من المحققين منهم الإمام الطبري في مقدمة تفسيرة الكبير معنى قوله عليه الصلاة والتسليم نزل القرآن على سبعة احرف كلها شاف كاف وفي بعض الروايات ان القرآن نزل على سبعة أحرف فلا تماروا في القرآن فإن المراء كفر. حملوه على أن المراد بالأحرف السبعة لغات العرب التي نزل بها القران وقال بعضهم هم قريش والفافها وقال آخر المراد الحان العرب في اقوالهم واختلاف لهجاتهم فأذن لكل قوم ان يقرأوا بلهجاتهم والحانهم المعروفة عندهم وقال آخرون هي القرآت السبع وعليه الاكثر.

وكيفما كان تفسير هذا الحديث فإن القرآن الكريم عربي البيان واعجازه وارد في النظم والاسلوب الذي يطلق عليه الشيخ عبد القاهر امام البيان اسم النظم والصور والخواص والمزايا والكيفيات ونحو ذلك ويحكم قطعاً بان الفصاحة من الاوصاف الراجعة إليها وان الفضيلة التي يستحق بها الكلام ان يوصف بالفصاحة والبلاغة والبراعة وما شاكل ذلك إنما هي فيها لا في الالفاظ المنطوقة التي هي الاصوات والحروف ولا في المعاني التي هي الأغراض التي يريد المتكلم اثباتها او نفيها وهي مطروحة في الطريق يعرفها كل احد.

والنظم والصور هي التي استحسن السعد التفتازاني ان يطلق عليها عند البحث في عبارات الشيخ عبد القاهر اسم الالفاظ والمعاني الاول.

ولكن مراتب الكلام تتفاوت في البلاغة بحسب تفاوتها في هذه الالفاظ والمعاني

الاول وان شئت قل في هذه التراكيب والصور المبنية في الأكثر على المدلولات الالتزامية التي منها البين وغير البين ومع ذلك فانا نجد ان البليغ المتفنن في بيانه قد يسلك لاعتبارات بيانية مسالك الاختصار والإيجاز أو يرد موارد الأطناب والتطويل أو يعتمد على الحذف في بعض الاحوال استناداً إلى قرائن ظاهرة أو خفية حالية أو مقالية أو يهمل طريق استنتاج بعض المقدمات أو يُغفل بعض العلل اعتماداً على قرائن تتفاوت الافهام في ادراكها ويكون في ذلك جارياً على سنة من الفصاحة ظاهرة فيغلق كلامه على من لا يعرف الدقائق البيانية وكم من اللوازم غير البينة بل ومن البينة أيضاً مالا يتنبه لها إلا من راضت البلاغة نفسه وكيفت ذهنه واسست ملكته فالناس إذاً في ادراك ذلك متفاوتو الافهام.

على ان هذه السنة كانت جارية بين فصحاء العرب وكانوا يأتون بالكلام على وجوه يحتملها ومغاز يشير إليها، قال ابن قتيبة في كتابه المعروف بمشكلات القرآن ما نصه: «والخطيب من العرب إذا ارتجل كلاماً في نكاح أو حمالة أو تحضيض أو صلح أو ما اشبه ذلك لم يأت به من واد واحد بل يتفنن فيختصر تارة ارادة التخفيف ويطيل تارة ارادة الافهام ويكرر ارادة التوكيد ويخفي بعض معانيه حتى تغمض على اكثر السامعين ويكشف بعضها حتى يفهمه بعض الأعجمين ويشير إلى الشيء. ويكنى عن الشيء وتكون عنايته بالكلام على حسب الحال وقدر الحفل وكثرة الحشد وجلالة المقام ثم لا يأتي بالكلام كله مهذباً كل التهذيب ولا مصفى كل التصفية بل تجده يمزج ويشوب ليدل بالناقص على الوافر وبالغث على السمين ولو جعله كله من بحر واحد لبخسه بهاه وسلبه ماءه ومثل ذلك الشهاب من القبس يبرزه الشعاع والكوكبان يقترنان فينقص التوازن. والسخاب ينتظم بالياقوت والمرجان والعقيق والعقيان ولا يجعله كله جنساً واحداً من الرفيع ولا النفيس المصون».

وقد سرت هذه السنة إلى المؤلفين فترى بعضهم يتحرى البلاغة مع الاختصار في مؤلفه بحيث يطوي تحت الفاظ قليلة معاني كثيرة وبعضهم يبسط ويطيل وهكذا حتى احتاج كثير من كتب العلم إلى شروح وهوامش تفتح ما استغلق وتفصل ما ابهم بل تجد الخلاف قائماً بين الشراح على تأويل عبارة أو في مؤداها ولذلك عني بعض المؤلفين بشرح كتبهم انفسهم ليدلوا على مقاصدهم ومع ذلك قد يُعترض عليهم بان شرحهم بعض الجمل لا ينطبق على مؤداها وما كان ذلك الا لاختلاف الافهام في ادراك ماهية النظم والاسلوب وانا نجد عناية العلماء كانت مصروفة لعقد المجالس اللغوية لشرح المعاني

البيانية في كلام الخطباء والشعراء شرحاً يفتح مغلقها ويبين مجملها.

وفي كل ذلك لم يتخذ أحد منه قدحاً في الكلام المشروح ولاطعنا فيه ما دام جارياً على سنة التراكيب العربية وعلى مقتضى الاسلوب البياني بل كان ذلك رافعاً من شأن الكلام مظهراً مزيته في عالم البلاغة وهذا مما امتازت به اللغة العربية وكان من أهم خاصياتها والقرآن الكريم وأن كان أنزل بألفاظ عربية يفهم معانيها المخاطبون في عصر صاحب الرسالة صلوات الله عليه وآله وكل من عرف أوضاع اللغة في غير ذلك العصر ولكن نظمه المعجز وأسلوبه العالي لو كان مغسولاً مبذولاً لم يكن له قيمة عند العرب الذين كانت تقام اسواقهم وتعمر منتدياتهم بالتفاخر في افانين الفصاحة والبلاغة وتبريز الخطباء ونشر شعر الشعراء فإذا كان القرآن مبذول الاسلوب بقصد افهام كل احد ممن سلف وخلف ما يراد منه عارفاً بافانين الكلام أو غير عارف كان غير جار على سننهم بل كان دون كلامهم فتنصرف عنه القلوب ولا تذعن له تلك الطبائع الجافية ولا تطأطىء له هذه الرؤوس الشامخة التي اذعنت لبلاغته ووقفت حيرى دون اعجازه وخُلبت الباب‌ها بفصاحته . وعند ذلك تفوت الفائدة المطلوبة ولا يؤثر الأثر المقصود

والله سبحانه أنزله على نبيه الكريم وتحدق البلغاء بمعجز بلاغته فعجزوا عن الاتيان بسورة من مثله بل لو اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا.

وإنما كان معتزاً في نظمه وأسلوبه وللنظم في اللغة العربية المنزلة الفريدة في إلباس الكلام حلة البهاء والنضرة والرواء والبهجة وللتراكيب افانين ومناهج يستطرقها ارباب الفصاحة بما يتخارون لها من متخير الالفاظ وبديع الكنايات ولطائف الاستعارات والمجازات ولطافة الاسلوب كما يجذب اليهم القلوب. والعقول متفاوتة فيما رُزِقَتْهُ من الادراك فرب مستدل على معنى بجملة يستدل غيره بها على ضده فلا بد إذاً من الرجوع إلى الراسخين في العلم بعد انحطاط اللغة لتمحيص ذلك وبمثل هذا احتاج الكتاب الكريم إلى التفسير والبيان وتفسيره من قبيل بسط الالفاظ الوجيزة وكشف معانيها وترجيح بعض الاحتمالات على بعض.

وان في القرآن آيات محكمات هن أم الكتاب وآخر متشابهات وفيه ناسخ ومنسوخ ومجمل ومبين وعام وخاص واحكام وفرائض وسنن وقصص ومواعظ وحكم وأمثال وما اشبه ذلك فما كان راجعاً إلى الاخبار والمواعظ فاللفظ دال بظاهره على معناه وقد كان

اصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم في عصره يأخذون منه بما يفهمون يوم كانت ملكة اللسان عند العرب لا يرجع فيها إلى كتاب أو نقل بل كانت فطرية حتى إذا فسدت اللغة بمخالطة الاعاجم وبُعْد زمن العرب عن أهل اللسان المخاطبين بالقرآن تنوسي ذلك واحتيج في مثله إلى علم التفسير.

وما كان راجعاً إلى الفرائض والسنن والناسخ والمنسوخ وأمثال ذلك فلابد فيه من الوقف حتى زمن نزوله ليعلم النص من قِبَل من شرع الله هذا الدين على لسانه وبذلك كانت السنة النبوية شارحة لمعـاني الكتاب متممة لما فرضه الله أو ندب إليه علم التفسير كافلاً بايضاح ذلك .

وقد تداوله الصحابة في عصره ﷺ حتى دونت العلوم وبوبت ابوابها وجعل كل علم اصلاً برأسه بعد زمن التابعين وكان دخل في الاسلام جماعة من علماء أهل الكتاب مثل عبد الله بن سلام وكعب الاحبار ووهب بن منبه وأمثالهم وكثير من مشركي العرب الذين لُقنوا علومهم عن علماء اليهود وهؤلاء لم تتغير معارفهم فيما يرجع إلى الاخبار والمواعظ التي لم يتوقف القول فيها على نص النبي ﷺ فكانوا يفصلون مجمل القصص واخبار الملاحم وأمثال ذلك بعد عصر النبي على ما هو مغروس في أذهانهم من علومهم الاسرائيلية وكانت العامة يومئذ تنعكف عليهم لاستماع اخبارهم والنفس مولعة بتعلم ما تجهله فكثرت المرويات الاسرائيلية في كتب التفاسير واختلط الغث بالسمين ولم يمحصها العلماء بنقدهم لما هو معروف بينهم من التسامح في ادلة السنن وما جرى مجراها ولانصراف هممهم إلى نقد أدلة الاحكام التكليفية وتمحيصها اللهم الا قليلاً من المحققين لم يغفلوا هذا الأمر ولكنهم لم تكن قـوتهـم هـذه لتصد تياره الجارف فلم يؤثروا الأثر المطلوب.

فاتسعت بذلك دائرة علم التفسير وازدادت في الناس الحاجة إلى الوقوف على المصفى المنقى من الأقوال فيه.

[اختلاف اذواق المفسرين]

قد يتصدى للأمر من لا يحسنه فيعجز عن نيل المراد وقد يتصدى له الضليع فيه ولكنه يغلب على طبعه جهة واحدة منه فيطنب فيها حتى يكاد يهمل ما سواها ويحسن بالمفسر لكتاب الله ان يكون جامعاً للعلوم العربية ولعلوم القرآن قال الزمخشري: «ان

العلماء كما بينوا في التفسير شَرائط بينوا في المفسر ايضاً شرائط لا يحل التعاطي لمن عري عنها أو هو فيها ضالع وهي ان يعرف خمسة عشر علماً على وجه الاتقان والكمال.

(١) اللغة (٢) النحو (٣) التصريف (٤) الاشتقاق (٥) المعاني (٦) البيان (٧) البديع (٨) القراآت (٩) اصول الدين (١٠) اصول الفقه (١١) اسباب النزول والقصص (١٢) الناسخ والمنسوخ (١٣) الفقه (١٤) الأحاديث المبينة لتفسير المجمل والمبهم (١٥) علم الموهبة وهو علم يورثه الله تعالى لمن عمل بما علم».

فإذا كان العالم جامعاً لهذه العلوم مع رسوخ قدم فيها وفضل تحقيق وصلح لأن يكون مفسراً فربما يغلب عليه الجهة التي هو إليها اميل وبها اعرق فينحو في البحث نحوها ويطنب في أمرها اطناباً يكاد يجعل بحثه مقصوراً عليها والزمخشري نفسه مع سعة باعه وجودة تفسيره المعروف بالكشاف قد نحا فيه منحى الجانب البياني من التفسير أكثر من غيره فكان الكشاف بذلك كتاباً بيانياً أكثر منه تفسيرياً.

وقد عني بعض المفسرين بعلوم النحو والاعراب فبحث واطال حتى خرج عن الحد وتمسك بعضهم بعلم الفقه فلم يدع شاردة الا ذكرها وبعضهم نحا منحى الاخباريات وغفل عما عداها وبعضهم شغف بالعلوم الفلسفية فصرف كلامه في التفسير إليها وهكذا حتى اصبحت كتب التفاسير كأن كل كتاب منها الف في غير ما الف فيه الآخر بل تكاد تستخرج من مجموعها دائرة معارف عربية قال صاحب كشف الظنون : «ومنهم من ملأ كتابه بما غلب على طبعه من الفن واقتصر على ما تمهر فيه كأن القرآن أنزل لأجل هذا العلم لا غير مع أن فيه تبيان كل شيء فالنحوي تراه ليس له الا الأعراب وتكثير الاوجه المحتملة فيه وان كانت بعيدة . وينقل قواعد النحو ومسائله وفروعه وخلافياته كالزجاج والواحدي في البسيط وابي حيان في البحر والنهر. والاخباري ليس له شغل إلا القصص واستيفاؤها والاخبار عمن سلف سواء كانت صحيحة أو باطلة ومنهم الثعلبي والفقيه يكاد يسرد فيه الفقه جميعاً وربما استطرد إلى إقامة ادلة الفروع الفقهية التي لا تعلق لها بالآية اصلاً والجواب عن الادلة للمخالفين كالقرطبي . وصاحب العلوم العقلية وخصوصاً الإمام الرازي قد ملأ تفسيره بأقوال الحكماء والفلاسفة وخرج من شيء إلى شيء حتى يقضي الناظر عجباً قال ابو حيان في البحر جمع الإمام الرازي في تفسيره اشياء كثيرة طويلة لا حاجة بها في علم التفسير ولذلك قال بعض العلماء فيه كل شيء الا التفسير».

أما قدماء المفسرين فقد كانوا على طريقة مؤلفي عصرهم من إيراد الاقوال والاحاديث مسندة إلى رواتها منقولة بوجوه متعددة واقتصروا فيها على شرح المعاني وإيراد الاحاديث الدالة على ذلك مع بيان الناسخ والمنسوخ واسباب النزول ومقتضيات الحال وما اشبه ذلك مما كان متداولاً في عصر الصحابة عن النبي صلى الله عليه وآله ولم يعنوا بشرح اللغة ودقائق الاعراب ونكات البيان لأن ملكة اللغة كانت في زمنهم لم تنحط إلى درجتها التي وصلت إليها بعدهم بل كانت علوم اللسان يومئذ غير مدونة وكانت معرفتها إلى السليقة والفطرة أقرب منها إلى التعلم.

ولم تكن هذه المباحث يومئذ معدودة في التفسير حتى إذا دونت الكتب وكثر المؤلفون وبَعُدَ عصر العربية الفصحى اصبح هذا البحث من اركان علم التفسير وعني به المحققون من المفسرين وظهر في العصر السادس الهجري كتاب الكشاف للعلامة الزمخشري جامعاً لعرائب الفنون من علوم اللسان شارحاً دقائق البيان ونكات البلاغة شرح خبير عليم فكان كتاباً ممتعاً في بابه.

ثم ظهر كتاب مجمع البيان للعلامة الطبرسي فكان غاية في الاتقان وحسن الترتيب والتبويب وجمع إلى البحث عن اللغة والاعراب بيان النظم وسبب النزول ثم فصل المعنى تفصيلاً لم يكن فيه اطناب ممل ولا اختصار مخل وهو بذلك من احسن كتب التفسير تنسيقاً وتأليفاً ومع ذلك فهو يورد الاقوال المختلفة غير متعرض لنقد أو اعتراض بل تراه يسرد الأقوال ويترك الحكم فيها للمطالع ليشحذ ذهنه باختيار ما يراه صواباً ويتعود به من لم يتعود ملكة النقد والتمحيص.

[أقسام التفسير]

تقدم معناً البحث انه بعد ان بَعُدَ عصر اللغة الفصيحة وفسدت الملكات اللسانية من العرب اصبح البحث عن ما يرجع إلى اللسان من بيان اللغة والاعراب والبلاغة في تأدية المراد وما اشبه جزءاً من علم التفسير فكان هذا قسماً والقسم الآخر ما كان مستنداً إلى الآثار المنقولة عن السلف كمعرفة الناسخ والمنسوخ وأسباب النزول ومقاصد الآي والقرآت وقصص الأمم واخبار الملاحم وهذا عُزل الرأي عنه وتوقف البحث فيه على ما يرد من الأحاديث المستندة إلى النبي المصطفى ﷺ وأمنائه الكرام وإن كان يمكن في القصص والمواعظ والأخذ بظاهر اللفظ دون أعمال الفكر وملكة الاستنباط.

ثم ان من التفسير ما يجوز للراسخ في العلم ان يأخذه بطريق النظر والاستدلال ومنه مـا لا يجوز مما يتوقف البحث فيه على الآثار النبوية فليس للفكر والاستنباط عليه سبيل لأنه وارد في موارد خاصة لا يعرفها الا من خبرها ليس للرأي فيها مجال البتة ومنه ما لا يتوقف القول فيه على الآثار النبوية وهو ما كان مبناه على الاقيسة والقواعد العلمية كفنون البلاغة وضروب المواعظ والحكم ففي هذا مجال لقوة الاستدلال والاستنباط ومنه استنباط الاحكام الشرعية عما يصلح ان يكون دليلاً لها في الكتاب المبين واما الآيات المتشابهات فقد اختلف في جواز اعمال النظر فيها ورجح المحققون ان يرد الحكم فيها إلى الله ورسوله.

واما ما ورد من النهي عن التفسير بالرأي فقد جعله في كشف الظنون في انواع خمسة أولهـا التفسير من غير حصول العلوم التي يجوز معها التفسير وثانيها تفسير المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله تعالى وثالثها التفسير المقرر للمذاهب الفاسدة بأن يجعل التفسير تابعاً للمذهب فيرده إليه بأي طريق كان وان كان ضعيفاً ورابعها التفسير بأن مراد الله كذا على القطع من غير دليل وخامسها التفسير بالاستحسان والهوى المنهي عنه . وقد قسم ابن عباس (رض) وجـوه التفسير إلى أربعة أقسام تفسير لا يعذر احد بجهالته وتفسير تعرفه العرب بكلامها وتفسير يعلمه العلماء وتفسير لا يعلمه إلا الله فأما الذي لا يعذر احد بجهالته فهو ما يلزم به الكافة من الشرائع التي في القرآن وجل دلائل التوحيد وأما الذي تعرفه العرب بلسانها فهو حقائق اللغة وموضوع كلامهم واما الذي يعلمه العلماء فهو تأويل المتشابه وفروع الاحكام وأما الذي لا يعلمه إلا الله فهو ما يجري مجرى الغيوب وقيام الساعة.

[طبقات المفسرين]

أول من تكلم في تفسير القرآن من أصحاب رسول الله ﷺ مولانا أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب (ع) وهو أعلم المسلمين بكتاب الله وتأويله بلا مدافع بل هو باب مدينة العلم قال ابن مسعود ان القرآن نزل على سبعة أحرف ما منها حرف إلا وله ظهر وبطن وان علياً عنده من الظاهر والباطن.

ثم عبد الله بن العباس حبر الأمة وترجمان القرآن ووارث ثلثي علوم رسول الله وقد دعا له النبي بقوله اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل ولذلك كثرت الرواية في التفسير عنه حتى كان ما يقارب النصف من الاحاديث الواردة في التفسير مسنداً إليه.

ثم عبد الله بن مسعود ذو المقام العالي بين المفسرين وثاني ابن عباس في كثرة الرواية .

وابي بن كعب وهو احد الاربعة الذين جمعوا القرآن على عهد النبي ﷺ والمقدم بين القراء .

وفي الصحابة غير من ذكرنا كثيرون تكلموا في التفسير ولكن الرواية عنهم قليلة .

وفي التابعين اشتهر علي بن أبي طلحة خريج ابن عباس وقيس بن مسلم الكوفي ومجاهد بن جبير المكي وقتادة بن دعامة السدوسي وإسماعيل بن عبدالرحمن السدي الكوفي وعكرمة مولى ابن عباس وهؤلاء هم اشهر التابعين في التفسير وطاوس بن كيسان اليماني وعده ابن تيمية من اعلم الناس في التفسير كما في الاتقان وعطاء بن أبي رباح المكي وجابر بن يزيد الجعفي ومحمد بن السائب الكلبي وهو علامة وقته والحسن البصري وهو اشهر من ان يعرف ومالك بن انس وعامر الشعبي وعطاء بن أبي سلمة وسليمان بن مهران الاعمش وأبو العالية رفيع بن مهرن الرياحي والضحاك بن مزاحم وعطية بن سعيد العوفي وكثير غيرهم ممن لا يسع المقام تعدادهم.

وفي زمن التابعين دوّن التفسير وصنف فيه واول كتاب ظهر في التفسير كان لسعيد ابن جبير المتوفى سنة ٦٤ وكان أعلم التابعين في التفسير نص على ذلك قتادة وحكاه السيوطي في الاتقان .

ثم أبو محمد إسماعيل بن عبد الرحمن الكوفي القرشي المعروف بالسدي المتوفى سنة ١٢٧ قال السيوطي ان تفسيره من امثل التفاسير ثم محمد بن السائب الكلبي المتوفى سنة ١٤٦ صاحب التفسير الكبير وأبو حمزة الثمالي صاحب الإمام أبي محمد علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام ذكر تفسيره ابن النديم ثم أبو بصير الأسدي صاحب الإمام أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق (ع) وله تفسير جليل وهو من تابعي التابعين.

وممن صنف في التفسير من التابعين جابر بن يزيد الجعفي المتوفى سنة ١٢٧ ومنهم شعبة بن الحجاج وسفيان بن عيينة ومجاهد وهؤلاء عدا سعيد بن جبير من اهل المائة الثانية للهجرة.

وعرف بالتصنيف في هذا العلم من أهل هذه المائة عبد الملك بن جريج المكي الأموي بالولاء وزيد بن اسلم العدوي ومقاتل الأزدي ووكيع بن الجراح الكوفي وابو عبد الله محمد بن عمر الواقدي المتوفى سنة ٢٠٧ صاحب كتاب الرغيب في علوم القرآن.

وفي المائة الثالثة اشتهر بالتفسير محمد بن جرير الطبري صاحب التفسير الذي جمع فاوعى وهو البحر الذي ورده اكثر من تأخر عنه من المفسرين ومحمد بن خالد البرقي صاحب كتاب التفسير املاء الإمام أبي محمد الحسن العسكري (ع) حكاه ابن شهر اشوب في معالم العلماء. وعلي بن إبراهيم القمي وابن ماجة محمد بن يزيد القزويني المحدث المشهور والأشج أبو سعيد بن راهويه.

وفي المائة الرابعة عرف النيسابوري وأبو الحسن الاشعري إمام أهل السنة وعلي بن عيسى الرماني النحوي المشهور وأبو هلال العسكري وعبد الله بن محمد الكوفي وابن حبان وابن فورك.

وفي المائة الخامسة عرف شيخ الطائفة الامامية وفقيهها الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي صاحب كتاب البيان الجامع لكل علوم القرآن ثم السيد الشريف الرضي الموسوي صاحب كتاب حقائق التنزيل ودقائق التأويل وإمام الحرمين أبو المعالي الجويني وعبد الملك الثعالبي.

وفي المائة السادسة اشتهر جار الله الزمخشري صاحب الكشاف الذي لم يؤلف في بابه مثله جودة واتقاناً واشتهر أبو علي الفضل بن الحسن الفاضل الطبرسي صاحب كتاب مجمع البيان وهو التفسير المشهور الذي لم ينسج على منواله أبدع منه وأبو البقاء العكبري وأبو محمد البغوي وابن الدهان.

وفي المائة السابعة اشتهر البيضاوي صاحب التفسير المشهور المسمى بانوار التنزيل الذي تناوله العلماء بالشروح والتعاليق واتخذه طلاب التفسير مناراً لهم وعرف ابن زرين والشيخ الاكبر محيي الدين بن العربي صاحب الفتوحات وابن عقيل النحوي ومحمد بن سليمان البلخي المعروف بابن النقيب.

وفي المائة الثامنة عرف الشيخ بدر الدين الزركشي الفقيه الشافعي وابن كثير إسماعيل بن عمر القرشي وأبو حيان الاندلسي صاحب كتابي البحر والنهر في التفسير ومحمد بن عرفة المالكي وابن النقاش.

وفي المائة التاسعة عرف البقاعي صاحب نظم الدرر في تناسب الآي والسور والمولى الجامي وبرهان الدين بن جماعة وعلاء الدين القراماني صاحب بحر العلوم في التفسير والجلال السيوطي صاحب كتاب الاتقان في علوم القرآن.

وفي المائة العاشرة عرف الشيخ علي بن يونس النباطي صاحب مختصر مجمع البيان والعلامة ابن كمال باشا أحمد بن سليمان بن كمال الرومي وأبو السعود العمادي مفتي القسطنطينية صاحب التفسير الكبير المسمى بارشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم الذي اشتهر صيته وانتشرت نسخه والشيخ أبو يحيى زكريا بن محمد الانصاري.

وفي المائة الحادية عشرة عرف الشيخ علي القاري والشيخ حسن البوريني والشيخ بهاء الدين العاملي الكركي صاحب التفسير المسمى بعين الحياة وهو مؤلف الكشكول والشيخ خير الدين الرملي والشهاب الخفاجي.

وفي المائة الثانية عشرة عرف الشيخ العارف عبد الغني النابلسي صاحب التحرير الحاوي في شرح تفسير البيضاوي والسيد هاشم البحراني صاحب البرهان في تفسير القرآن.

وفي المائة الثالثة عشرة اشتهر الالوسي صاحب التفسير المشهور المسمى روح المعاني والسيد محمود الحمزاوي مفتي دمشق الشام بكتابه در الاسرار وهو تفسير بالحرف المهمل وما احوج هذا التفسير إلى تفسير.

وفي المائة الرابعة عشرة اشتهر العلامة المحقق الاستاذ الإمام محمد عبده مفتي الديار المصرية بما كان يلقيه من دروس التفسير المفيدة على طلاب العلوم في الجامع الازهر بالقاهرة سلك فيها مسكلاً رائعاً دل على مزيد تبحر وسلامة ذوق وجامعية كبرى وقد اقتبس دروسه هذه العلامة السيد محمد رشيد رضا فنشرها في مجلة المنار التي تصدر عن مصر وزاد عليها فوائد مهمة في التفسير.

وهذا أنموذج من كتب التفسير واسماء طائفة من علمائه ذكرناها تكملة للبحث والا فإن تعداد مفسري كتاب الله الكريم في كل عصر ومصر وفي كل لغة من لغات البشر الشائعة لمما يفوت الاحصاء والاستقاء جزى الله العاملين على اعلاء كلامه واحياء لغة الضاد التي لا حياة لها الا بحياته وهو الكلمة الباقية الخالدة ما دامت الأرض والسماء.

[النبطية]

أحمد رضا

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الكتاب

الحمد لله الذي ارتفعت عن مطارح الفكر جلالته، وجلت عن مطامح الهمم عزته. وتعالت عن مشابهة الأنام صفته. واعجزت مدارك الأفهام حكمته. وفاقت مبالغ الأوهام عظمته. الذي له في كلِ ما رأته الأبصار اللاحظة. وذكرته الألسن اللافظة. وبلغته العقول الزاكية. وعرفته القلوب الواعية. آيات واضحة على وحدانيته. ودلالات ناطقة على ربوبيته. الواحد لا ثاني له في القدم. والمحدث للأشياء بعد العدم. أنشأها بلا طوية ولا روية آل إليها. ولا قريحة غريزة أضمر عليها. هو الظاهر عليها بسلطانه وقدرته. الباطن لها بعلمه ولطيف صنعته. الأول الذي لا يقدمه قبل. الآخر الذي لا يعقبه بعد. لا مانع لما أعطى. ولا معطي لما منع. ولا ينفع ذا الجد منه الجد. أحمده على آلائه المتوالية المتظاهرة. ونعمه الباطنة والظاهرة. حمداً يستدر شآبيب جوده الهاطلة. ويمتري اخلاف فضله الحافلة. حمداً يدوم ولا يبيد. ويستدعي بمثله المزيد. وأشهد أنه الواحد الأحد الصمد. الذي لم يلد ولم يولد. ولم يكن له كفواً أحد . وأسأله بأوضح بيان. وأفصح لسان. أن يصلي على نبيه وصفيه. وحبيبه ونجيه. محمد سيد الأنبياء والمرسلين. وخير الأولين والآخرين. المؤكد دعوته بالتأييد. المخصوص شريعته بالتأبيد. نسخت بها شرائع الماضين. ولا نبي بعده إلى يوم الدين. وعلى آله وعترته المتفرعين من نبعته. المستودعين لحكمته. الحافظين لشريعته. أعلام الإسلام. وأئمة الأنام. ما اعتقبت الليالي والأيام. واختلف الضياء والظلام.

ثم الحمد لله الذي أنزل القرآن. هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان. نورا يتوقد مصباحه. وضياء يتلألأ صباحه . ودليلاً لا يخمد برهانه. وحقاً لا تخذل أعوانه. وحبلاً وثيقاً عروته. وجبلاً منيعاً ذروته. وشفاء للصدور ليس وراءه شفاء. ودواء للقلوب

ليس مثله دواء. وإماما يقتدي بسمته المقتدون. وعلماً يهتدي بهداه المهتدون. جعله سبحانه لأفئدة الأئمة ربيعاً مربعاً. ولجنوب ذوي المحارب من الأمة جنابا ممرعا. ففيه رياض الحكم وأنوارها. وينابيع العلوم بل بحارها. وأودية الحق وغيطانه. ومراتع العدل وغدرانه. وهو الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

« وبعد » فإن أحق الفضائل بالتعظيم. وأسبقها في استحقاق التقديم. هو العلم إذ لا شرف إلا وهو نظامه. ولا كرم إلا وهو ملاكه وقوامه. ولا سيادة إلا وهو ذروتها وسنامها. ولا سعادة إلا وبه صحتها وقوامها. به يكسب الإنسان رفعة القدر وعلو الأمر في حياته. ويحوز جزيل الأجر وجميل الذكر بعد وفاته. هو الصديق إذا خان كل صديق. والشفيق إذا لم يوثق بكل ناصح شفيق. والعلماء ورثة النبيين. وسادة المسلمين. والدعاة إلى الدين. وقد صح عن النبي ﷺ فيما رواه لنا الثقات بالأسانيد الصحيحة مرفوعاً إلى إمام الهدى وكهف الورى أبي الحسن علي بن موسى الرضا (ع) عن آبائه سيد عن سيد وإمام عن إمام إلى أن اتصل به عليه وآله السلام. إنه قال طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة. فاطلبوا العلم من مظانه. واقتبسوه من أهله فإن تعلمه لله حسنة. وطلبه عبادة والمذاكرة به تسبيح والعمل به جهاد وتعليمه من لا يعلمه صدقةوبذله لأهله قربةإلى الله تعالى لأنه معالم الحلال والحرام ومنار سبيل الجنة. والمؤنس في الوحشة والمصاحب في الغربة والوحدة. والمحدث في الخلوة. والدليل على السراء والضراء. والسلاح على الأعداء. والزين عند الاخلاء يرفع الله به أقواماً فيجعلهم في الخير قادة تقتبس آثارهم. ويقتدى بفعالهم. وينتهى إلى آرائهم. ترغب الملائكة في خلتهم. وبأجنحتها تمسحهم. وفي صلاتها تبارك عليهم. يستغفر لهم كل رطب ويابس حتى حيتان البحر وهوامه. وسباع البر وأنعامه. إن العلم حياة القلوب من الجهل. وضياء الأبصار من الظلمة. وقوة الأبدان من الضعف. يبلغ بالعبد منازل الأخيار. ومجالس الأبرار. والدرجات العلى في الآخرة والأولى. الذكر فيه يعدل بالصيام. ومدارسته بالقيام. به يطاع الرب ويعبد. وبهِ يوصل الأرحام. ويعرف الحلال والحرام. العلم إمام العمل والعمل تابعه. يلهمه السعداء. ويحرمه الأشقياء فطوبى لمن لم يحرمه الله منه حظه. وفي أمثال هذا من الأخبار كثرة لا نطول بذكرها.

ثم ان أشرف العلوم وأسناها. وأبهرها وأبهاها. وأجلها وأفضلها وأنفعها وأكملها علم القرآن فإنه لجميع العلوم الأصل منه تتفرع أفانينها. والعماد عليه تبنى قوانينها. وقد قال أمير المؤمنين وسيد الوصيين علي بن أبي طالب (ع). القرآن ظاهره أنيق وباطنه عميق لا

تفنى عجائبه ولا تنقضي غرائبه. وقد روي عن عبد الله بن مسعود أنه قال إذا أردتم العلم فأثيروا القرآن فإن فيهِ علم الأولين والآخرين وعن سعيد عن قتادة في قولِه عز وجل ﴿ **ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً** ﴾ . قال هو القرآن وعن رجاء بن حياة قال كنا يوماً أنا وأبي عند معاذ بن جبل فقال من هذا يا حياة فقال هذا ابني رجاء فقال معاذ هل علمته القرآن قال لا قال فعلمهُ القرآن فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول ما من رجل علم ولده القرآن إلا توج أبواه يوم القيامة بتاج الملك وكسيا حلتين لم ير الناس مثلهما ثم ضرب بيده على كتفي فقال يا بني إذا استطعت أن تكسو أبويك يوم القيامة حلتين فافعل وروي عن ابن عباس عن النبي ﷺ أنهُ قال من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار وصح عن النبي ﷺ من رواية العام والخاص أنه قال إني تارك فيكم ما أن تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي أهل بيتي وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض.

وإنما أحذف أسانيد أمثال هذه الأحاديث إيثاراً للتخفيف. ولاشتهارها عند أصحاب الحديث. وقد خاض العلماء قديماً وحديثاً في علم تفسير القرآن. واجتهدوا في إبراز مكنونه. وإظهار مصونه . وألّفوا فيه كتبا جمّة غاصوا في كثير منها إلى أعماق لججه . وشققوا الشعر في إيضاح حججه. وحققوا في تفتيح أبوابه. وتغلغل شعابه. إلا أن أصحابنا رضي الله عنهم لم يدونوا في ذلك غير مختصرات نقلوا فيها ما وصل إليهم في ذلك من الأخبار. ولم يعنوا ببسط المعاني وكشف الأسرار. إلا ما جمعه الشيخ الأجل السعيد أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي قدس الله روحه من كتاب التبيان. فإنه الكتاب الذي يقتبس منه ضياء الحق ويلوح عليه رواه الصدق. قد تضمن من المعاني الأسرار البديعة. واحتضن من الألفاظ اللغة الوسيعة. ولم يقنع بتدوينها دون تبيينها. ولا بتنميقها دون تحقيقها. وهو القدوة استضيء بأنواره. وأطأ مواقع آثاره. غير أنه خلط في أشياء مما ذكره في الإعراب والنحو الغث بالسمين. والخاثر بالزباد. ولم يميّز بين الصلاح مما ذكر فيه والفساد. وادى الألفاظ في مواضع من متضمناته قاصرة عن المراد. وأخلّ بحسن الترتيب. وجودة التهذيب. فلم يقع لذلك من القلوب السليمة الموقع المرضي. ولم يعل من الخواطر الكريمة المكان العلي. وقد كنت في عهد ريعان الشباب وحداثة السن وريان العيش ونضارة الغصن. كثير النزاع قلق التشوق. شديد التشوف إلى جمع كتاب في التفسير. ينتظم أسرار النحو اللطيفة ولمع اللغة الشريفة. ويفي موارد القرآت من متوجهاتها. مع بيان حججها الواردة من جميع جهاتها. ويجمع جوامع البيان في المعاني المستنبطة من معادنها. المستخرجة من كوامنها. إلى غير ذلك من علومه الجمة. مطلعة

من الغلف والأكمة. فيعترض لذلك جوائح الزمان. وعوائق الحدثان. وواردات الهموم. وهفوات القدر المحتوم. وهلم جرا إلى الآن. وقد ذرف سني على الستين واشتعل الرأس شيباً. وامتلأت العيبة عيباً. فحداني على تصميم هذه العزيمة ما رأيت من عناية مولانا الأمير السيد الأجل العالم ولي النعم. جلال الدين ركن الإسلام مخلص الملوك والسلاطين سيد نقباء الشرف. تاج أمراء السادة. فخر آل رسول الله ﷺ أبي منصور محمد بن يحيى بن هبة الله الحسيني. أدام الله علاه. وكبت أعداه ـ بعذا العلم وصدق رغبته في معرفة هذا الفن. وقصر همه على تحصيل حقائقه. والاحتواء على جلائله ودقائقه. والله عز اسمه المسؤول أن يحرس للإسلام والمسلمين رفيع حضرته. ويفيض على الفضل والفضلاء سجال سيادته. ويمد على العلم والعلماء امداد سعادته. ويبقي اقباله في دولة شماء السماء لا يرتقي هضباتها. ورفعة سامية البناء لا تبتغي جنباتها. ويوفي آماله في ظلال مجد محلول طلله مطلول حلله. وجلال فضل مزرور عليه حلله. مضروب عليه كلله. ويديم جماله في غبطة رفيعة القلل. وبسطة مريعة الظلل.

حتى يحوز من المنى غاياتها متلقيا بيمينه راياتها
ويفوز بالآمال غير مدافع يتلو عليه سعده آياتها
وتظل شمس المجد في ساحاته تجلو عليه جرمها باناتها

وكل غاية في المجد أدنى درجات قدره. وكل نهاية في الشرف أدون طبقات فخره. فأوجبت على نفسي أجابته إلى مطلوبه. وإسعافه بمحبوبه. واستخرت الله تعالى. ثم قصرت وهمي وهمّي على اقتناء هذه الذخيرة الخطيرة. واكتساب هذه الفضيلة النبيلة. وشمّرت عن ساق الجد وبذلت غاية الجهد والكد. وأسهرت الناظر. وأتعبت الخاطر. وأطلت التفكير. وأحضرت التفاسير. واستمددت من الله سبحانه التوفيق والتيسير. وابتدأت بتأليف كتاب هو في غاية التلخيص والتهذيب. وحسن النظم والترتيب. يجمع أنواع هذا العلم وفنونه. ويحوي نصوصه وعيونه. من علم قراءته وإعرابه ولغاته وغوامضه ومشكلاته. ومعانيه وجهاته. ونزوله وأخباره. وقصصه وآثاره. وحدوده وأحكامه وحلاله وحرامه. والكلام على مطاعن المبطلين فيه وذكر ما يتفرد به أصحابنا رضي الله عنهم من الاستدلالات بمواضع كثيرة منه على صحة ما يعتقدونه من الأصول والفروع. والمعقول والمسموع. على وجه الاعتدال والاختصار فوق الإيجاز ودون الإكثار فإن الخواطر في هذا الزمان. لا تحتمل أعباء العلوم الكثيرة. وضعف عن الاجراء في الحلبات الخطيرة. إذ لم

يبق من العلماء إلا الأسماء. ومن العلوم إلا الذماء. وقدمت في مطلع كل سورة ذكر مكيها ومدنيها. ثم ذكر الاختلاف في عدد آياتها. ثم ذكر فضل تلاوتها. ثم أقدم في كل آية الإختلاف في القراءات ثم ذكر العلل والاحتجاجات. ثم ذكر العربية واللغات. ثم ذكر الأعراب والمشكلات. ثم ذكر الأسباب والنزولات. ثم ذكر المعاني والأحكام والتأويلات. والقصص والجهات. ثم ذكر انتظام الآيات. على أني قد جمعت في عربيته كل غرة لائحة. وفي إعرابه كل حجة واضحة. وفي معانيه كل قول متين. وفي مشكلاته كل برهان مبين. وهو بحمد الله للأديب عمدة. وللنحوي عدة. وللمقرىء بصيرة وللناسك ذخيرة. وللمتكلم حجة وللمحدث محجة. وللفقيه دلالة. وللواعظ آلة.

وسميته كتاب (مجمع البيان لعلوم القرآن) وأرجو إن شاء الله تعالى أن يكون كتاباً كثير الدرر. غزير الغرر. متواصف السمات. متناصف الصفات. سيارا في الإبحار والأغوار. طياراً في الآفاق والأقطار. مهذب الترتيب. مذهب التهذيب. أحكام الشريعة بمعانيه منوطة. وأعلام الحقيقة بمبانيه مربوطة. وبحول الله اعتصم. وبقوته وعونه افتتح واختتم. وإياه أسأل الهداية التي هي أقوم. وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

وقبل أن نشرع في تفسير السور والآيات. فنحن نصدر الكتاب بذكر مقدمات لا بد من معرفتها لمن أراد الخوض في علومه تجمعها فنون سبعة.

[الفن الأول]

في تعداد آي القرآن والفائدة في معرفتها

اعلم أن عدد أهل الكوفة أصح الأعداد وأعلاها إسناداً لأنه مأخوذ عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وتعضده الرواية الواردة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال فاتحة الكتاب سبع آيات إحداهن بسم الله الرحمن الرحيم، وعدد أهل المدينة منسوب إلى أبي جعفر يزيد بن القعقاع القاري، وشيبة بن نصاح وهما المدني الأول وإلى إسماعيل بن جعفر وهو المدني الأخير وقيل المدني الأول هو الحسن بن علي بن أبي طالب وعبد الله بن عمر والمدني الأخير أبو جعفر وشيبة وإسماعيل والأول أشهر وعدد أهل البصرة منسوب إلى عاصم بن أبي الصباح الجحدري وأيوب بن المتوكل لا يختلفان إلا في آية واحدة في ﷺ قوله فالحق والحق أقول عدها الجحدري وتركها أيوب وعدد أهل مكة منسوب إلى مجاهد بن جبر، وإلى إسماعيل المكي، وقيل لا ينسب عددهم إلى أحد بل وجد في مصاحفهم على رأس كل آية ثلاث نقط، وعدد أهل الشام منسوب إلى عبا

الله بن عامر، والفائدة في معرفة آي القرآن ان القارىء إذا عدها بأصابعه كان أكثر ثواباً لأنه قد شغل يده بالقرآن مع قلبه ولسانه، وبالحري أن تشهد له يوم القيامة فإنها مسؤولة ولأن ذلك أقرب إلى التحفظ فإن القارىء لا يأمن من السهو، وقد روى عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ أنه قال تعاهدوا القرآن فإنه وحشي وقال عليه الصلاة والسلام لبعض النساء اعقدن بالأنامل فإنهن مسؤولات ومستنطقات وقال حمزة بن حبيب وهو أحد القراء السبعة العدد مسامير القرآن.

[الفن الثاني]

في ذكر أسامي القراء المشهورين في الأمصار ورواتهم

أما المدني فأبو جعفر يزيد بن القعقاع وليس من السبعة وذكر أنه قرأ على عبد الله بن عباس وعلي مولاه عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة المخزومي وهما قرءآ على أبيّ بن كعب وقرأ أبيّ على النبي ﷺ وله رواية واحدة ونافع بن عبد الرحمٰن وقرأ على أبي جعفر ومنه تعلم القرآن وعلى شيبة بن نصاح وعلى عبد الرحمن بن هرمز الأعرج وقرأ على ابن عباس وله ثلاث روايات رواية ورش وهو عثمان بن سعيد ورواية قالون وهو عيسى بن مينا ورواية إسماعيل بن جعفر وأما المكي فهو عبد الله بن كثير لا غير وقرأ على مجاهد وقرأ مجاهد على ابن عباس وله ثلاث روايات رواية البزي ورواية ابن فليح ورواية أبي الحسين القواس وإذا اجتمع أهل مكة والمدينة قيل حجازي.

وأما الكوفي فأولهم عاصم بن أبي النَجود بَهْدلة وله روايتان رواية حفص بن سليمان البزاز ورواية أبي بكر بن عياش ولأبي بكر بن عياش ثلاث روايات رواية أبي يوسف الأعشى وأبي صالح البرجمي ويحيى بن آدم ولحفص أربع روايات رواية أبي شعيب القواس وهبيرة التمار وعبيد بن الصباح وعمرو بن الصباح ثم حمزة بن حبيب الزيات وله سبع روايات رواية العجلي عبد الله بن صالح ورواية رجاء بن عيسى ورواية حماد بن أحمد ورواية خلاد بن خالد ورواية أبي عمر الدوري ورواية محمد بن سعدان النحوي ورواية خلف بن هشام ثم أبو الحسن علي بن حمزة الكسائي وله ست روايات رواية قتيبة بن مهران ورواية نصير بن يوسف النحوي ورواية أبي الحارث ورواية أبي حمدون الزاهد ورواية حمدون بن ميمون الزجاج ورواية أبي عمر الدوري ثم خلف بن هشام البزاز وليس من السبعة وله اختيار، فأما عاصم فإنه قرأ على أبي عبد الرحمن السلمي وهو قرأ على علي بن أبي طالب (ع) وقرأ أيضاً على زر بن حبيش وهو قرأ على عبد الله بن مسعود وأما

حمزة فقرأ على جعفر بن محمد الصادق (ع) وقرأ أيضاً على الأعمش سليمان بن مهران وقرأ الأعمش على يحيى بن وثاب وهو قرأ على علقمة ومسروق والأسود بن يزيد وقرأوا على عبد الله بن مسعود وقرأ حمزة على حمران بن أعين أيضاً وهو قرأ على أبي الأسود الدؤلي وهو قرأ على علي بن أبي طالب عليه السلام وأما الكسائي فقرأ على حمزة ولقي من مشايخ حمزة ابن أبي ليلى وقرأ عليه وعلى إبان بن تغلب وعيسى بن عمر وغيرهم، وأما البصري فأبو عمرو بن العلاء وله ثلاث روايات رواية شجاع بن أبي نصير ورواية العباس بن الفضل ورواية اليزيدي يحيى بن المبارك ولليزيدي ست روايات رواية أبي حمدون الزاهد وأبي عمر الدوري وأوقية وأبي نعيم غلام شحادة وأبي أيوب الخياط وأبي شعيب السوسي ومن البصرة يعقوب بن إسحاق الحضرمي وأبو حاتم سهل بن محمد السجستاني وليسا من السبعة فأما يعقوب فله ثلاث روايات رواية روح وزيد ورويس وإذا اجتمع أهل البصرة والكوفة قيل عراقي، وأما الشامي فهو عبد الله بن عامر اليحصبي لا غير وقرأ على المغيرة بن أبي شهاب المخزومي وقرأ المغيرة على عثمان بن عفان وله روايتان رواية ابن ذكوان ورواية هشام بن عمار قالوا وإنما اجتمع الناس على قراءة هؤلاء واقتدوا بهم فيها لسببين، أحدهما أنهم تجردوا لقراءة القرآن واشتدت بذلك عنايتهم مع كثرة علمهم ومن كان قبلهم أو في أزمنتهم ممن نسب إليه القراءة من العلماء وعدت قراءتهم في الشواذ لم يتجرد لذلك تجردهم وكان الغالب على أولئك الفقه أو الحديث أو غير ذلك من العلوم والآخر أن قراءتهم وجدت مسندة لفظاً أو سماعاً حرفاً حرفاً من أول القرآن إلى آخره مع ما عرف من فضائلهم وكثرة علمهم بوجوه القرآن فإذ قد تبينت ذلك فاعلم أن الظاهر من مذهب الإمامية أنهم أجمعوا على جواز القراءة بما تتداوله القراء بينهم من القرآت إلا أنهم اختاروا القراءة بما جاز بين القراء وكرهوا تجريد قراءة مفردة والشائع في أخبارهم أن القرآن نزل بحرف واحد، وما روته العامة عن النبي ﷺ أنه قال نزل القرآن على سبعة أحرف كلها شاف كاف اختلف في تأويله فأجرى قوم لفظ الأحرف على ظاهره ثم حملوه على وجهين، أحدهما أن المراد سبع لغات مما لا يغير حكماً في تحليل ولا تحريم مثل هلم واقبل وتعال وكانوا مخيرين في مبتدأ الإسلام في أن يقرأوا بما شاءوا منها ثم أجمعوا على أحدها وإجماعهم حجة فصار ما أجمعوا عليه مانعاً مما أعرضوا عنه، والآخران المراد سبعة أوجه من القراءآت وذكر أن الاختلاف في القرآءة على سبعة أوجه أحدها إختلاف إعراب الكلمة مما لا يزيلها عن صورتها في الكتابة ولا يغير معناها نحو قوله فيضاعفه بالرفع والنصب والثاني الاختلاف في الاعراب مما يغيّر معناها ولا يزيلها عن صورتها

نحو قوله إذ تلقونه وإذا تلقونه والثالث الإختلاف في حروف الكلمة دون إعرابها مما يغيّر معناها ولا يزيل صورتها نحو قوله كيف ننشزها وننشرها بالزاء والراء والرابع الاختلاف في الكلمة مما يغير صورتها ولا يغير معناها نحو قوله إن كانت إلا صيحة والازقية، والخامس الإختلاف في الكلمة مما يزيل صورتها ومعناها نحو طلح منضود وطلع، والسادس الإختلاف بالتقديم والتأخير نحو قوله وجاءت سكرة الموت بالحق وجاءت سكرة الحق بالموت، والسابع الإختلاف بالزيادة والنقصان نحو قوله وما عملت أيديهم وما عملته أيديهم.

وقال الشيخ السعيد أبو جعفر الطوسي قدس الله روحه هذا الوجه أملح لما روي عنهم عليهم السلام من جواز القراءة بما اختلف القراء فيه وحمل جماعة من العلماء الأحرف على المعاني والأحكام التي ينتظمها القرآن دون الألفاظ واختلفت أقوالهم فيها، فمنهم من قال أنها وعدٌ ووعيدٌ وأمرٌ ونهيٌ وجدلٌ وقصص ومثل، وروي عن ابن مسعود عن النبي ﷺ أنه قال نزل القرآن على سبعة أحرف زجر وأمر وحلال وحرام ومحكم ومتشابه وأمثال، وروى أبو قِلابة عن النبي ﷺ أنه قال نزل القرآن على سبعة أحرف أمر وزجز وترغيب وترهيب وجدل وقصص ومثل، وقال بعضهم ناسخ ومنسوخ ومحكم ومتشابه ومجمل ومفصل وتأويل لا يعلمه إلا الله عز وجل.

[الفن الثالث]

في ذكر التفسير والتأويل والمعنى
وتحرير جملة موجزة إليها ينساق أكثر الكلام فيما يأتي من الكتاب

التفسير كشف المراد عن اللفظ المشكل والتأويل رد أحد المحتملين إلى ما يطابق الظاهر والتفسير البيان، وقال أبو العباس المبرد التفسير والتأويل والمعنى واحد، وقيل التفسير كشف المغطى والتأويل انتهاء الشيء ومصيره وما يؤول إليه أمره والمعنى مأخوذ من قولهم عنيت فلاناً أي قصدته فكان المراد من قولهم عنى به كذا قصد بالكلام كذا، وقيل هو من قولهم عُنيت بهذا الأمر أي تكلفته، واعلم أن الخبر قد صح عن النبي ﷺ وعن الأئمة القائمين مقامه (ع) أن تفسير القرآن لا يجوز إلا بالأثر الصحيح، والنص الصريح، وروت العامة أيضاً عن النبي ﷺ أنه قال من فسر القرآن برأيه فأصاب الحق فقد أخطأ، قالوا وكره جماعة من التابعين القول في القرآن بالرأي كسعيد بن المسيّب وعبيدة السلماني ونافع وسالم بن عبد الله وغيرهم والقول في ذلك أن الله سبحانه ندب إلى الاستنباط وأوضح السبيل إليه ومدح أقواما عليه فقال لعَلِمَه الذين يستنبطونه منهم وذم آخرين على

تلك تدبره والإضراب عن التفكر فيه فقال أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب اقفالها وذكر أن القرآن منزل بلسان العرب فقال إنا جعلناه قرآنا عربياً، وقال النبي ﷺ إذا جاءكم عني حديث فاعرضوه على كتاب الله فما وافقه فاقبلوه وما خالفه فاضربوا به عرض الحائط فبين أن الكتاب حجة ومعروض عليه وكيف يمكن العرض عليه وهو غير مفهوم المعنى فهذا وأمثاله يدل على أن الخبر متروك الظاهر فيكون معناه إن صحّ أن من حمل القرآن على رأيه ولم يعمل بشواهد ألفاظه فأصاب الحق فقد أخطأ الدليل وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال القرآن ذلول ذو وجوه فاحملوه على أحسن الوجوه وروي عن عبد الله بن عباس أنه قسم وجوه التفسير على أربعة أقسام تفسير لا يعذر أحد بجهالته وتفسير تعرفه العرب بكلامها وتفسير يعلمه العلماء وتفسير لا يعرفه إلا الله عز وجل، فأما الذي لا يعذر أحد بجهالته فهو ما يلزم الكافة من الشرائع التي في القرآن وجمل دلائل التوحيد، وأما الذي تعرفه العرب بلسانها فهو حقائق اللغة وموضوع كلامهم، وأما الذي يعلمه العلماء فهو تأويل المتشابه وفروع الأحكام وأما الذي لا يعلمه إلا الله فهو ما يجري مجرى الغيوب وقيام الساعة وأقول أن الإعراب أجل علوم القرآن فإن إليه يفتقر كل بيان وهو الذي يفتح من الألفاظ الأغلاق ويستخرج من فحواها الأعلاق إذ الأغراض كامنة فيها فيكون هو المثير لها والباحث عنها والمشير إليها وهو معيار الكلام الذي لا يبين نقصانه ورجحانه حتى يعرض عليه، ومقياسه الذي لا يميز بين سقيمه ومستقيمه حتى يرجع إليه، وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال اعربوا القرآن والتمسوا غرائبه وإذا كان ظاهر القرآن طبقاً لمعناه فكل من عرف العربية والإعراب عرف فحواه ويعلم مراد الله به قطعاً هذا إذا كان اللفظ غير مجمل يحتاج إلى بيان ولا محتمل لمعنيين أو معان وذلك مثل قوله ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق وقوله وإلهكم إله واحد وقوله ولا يظلم ربك أحداً وأشباه ذلك وأما ما كان مجملاً لا ينبىء ظاهره عن المراد به مفصلاً مثل قوله سبحانه أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وآتوا حقه يوم حصاده فإنه يحتاج فيه إلى بيان النبي ﷺ بوحي من الله سبحانه إليه فيبيّن تفصيل أعيان الصلوات وأعداد الركعات ومقادير النصب في الزكاة وأمثالها كثيرة والشروع في بيان ذلك من غير نص وتوقيف ممنوع منه ويمكن أن يكون الخبر الذي تقدم محمولاً عليه وأما ما كان محتملاً لأمور كثيرة أو لأمرين فلا يجوز أن يكون الجميع مراداً بل قد دل الدليل على أنه لا يجوز أن يكون المراد به إلا وجهاً واحداً فهو من باب المتشابه لاشتباه المراد منه بما ليس بمراد فيحمل على الوجه الذي يوافق الدليل وجاز أن يقال أنه هو المراد وإن كان اللفظ مشتركاً بين معنيين أو أكثر ويمكن أن يكون كل واحد من ذلك

مراداً فلا ينبغي أن يقدم عليه بجسارة فيقال أن المراد به كذا قطعاً إلا بقول نبي أو إمام مقطوع على صدقه بل يجوز أن يكون كل واحد مراداً على التفضيل ولا يقطع عليه ولا يقلد أحد من المفسرين فيه إلا أن يكون التأويل مجمعاً عليه فيجب اتباعه لانعقاد الإجماع عليه فهذه الجملة التي لخصتها أصل يجب أن يرجع إليه ويعوّل عليه ويعتبر به وجوه التفسير وما اختلف فيه العلماء من نزول القرآن والمعاني والأحكام .

[الفن الرابع]
في ذكر أسامي القرآن ومعانيها

القرآنْ مَعْناهْ القراءةُ في الأصل وهْو مصدرُ قرَأتُ أيْ تَلوْتُ وهو المَروي عَنْ ابن عباس وقيلَ هْوَ مصدْر قرأت الشيء أي جَمْعَتَ بعضه إلى بعض وقال عمرو بن كلثوم .

ذراعي عيطل أدماء بكر هجان اللون لم تقرء جنينا

أي لم تضم جنينها في رحمها وهو المروي عن قتادة وإنما سمي بالمصدر وهو في الحقيقة المقر وكما سمي المكتوب كتابا والمحسوب حساباً ومن أسمائه الكتاب أيضاً وهو مأخوذ من الجمع أيضاً يقال كتبت السقاء إذا جمعته بالخرز ومن أسمائه الفرقان سمي بذلك لأنه يفرق بين الحق والباطل بأدلته الدالة على صحة الحق فبطلان الباطل عن ابن عباس وقيل سمي بذلك لأنه يؤدي إلى النجاة والمخرج كقوله سبحانه ويجعل لكم فرقانا، ومن أسمائه الذكر قال سبحانه وتعالى : ﴿ **إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون** ﴾ وهو يحتمل أمرين أحدهما أن يريد به أنه ذكر من الله لعباده بالفرائض والأحكام والآخر أنه شرف لمن آمن به وصدق بما فيه كقوله سبحانه وأنه لذكر لك ولقومك فهذه أربعة أسماء وقد شاع في الخبر عن النبي ﷺ أنه قال أعطيت مكان التوراة السبع الطوال ومكان الإنجيل المثاني ومكان الزبور المئين وفضلت بالمفصل، وفي رواية واثلة بن الأسقع وأعطيت مكان الإنجيل المئين ومكان الزبور المثاني وأعطيت فاتحة الكتاب وخواتيم البقرة من تحت العرش لم يعطها نبي قبلي وأعطاني ربي المفصل نافلة فالسبع الطول البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف والأنفال مع التوبة لأنهما يدعيان القرينتين ولذلك لم يفصل بينهما ببسم الله الرحمن الرحيم، وقيل أن السابعة سورة يونس والطول جمع الطولى تأنيث الأطول وإنما سميت هذه السور الطول لأنها أطول سور القرآن، وأما المثاني فهي السورة التالية للسبع الطول وأولها سورة يونس وآخرها النحل وإنما سميت مثاني لأنها ثنت الطول أي تلتها وكأن الطول هي المبادي والمثاني لها ثواني وواحدها مثنى مثل

المعنى والمعاني، وقال الفراء واحدها المثناة وقيل المثاني سور القرآن كلها طوالها وقصارها من قوله تعالى كتاباً متشابهاً مثاني وهو قول ابن عباس وإنما سميت مثاني لأنه سبحانه ثنى فيها الأمثال والحدود والفرائض وقيل أن المثاني في قوله ولقد آتيناك سبعاً من المثاني آيات سورة الحمد وهو المروي عن أئمتنا (ع) وبه قال الحسن البصري وأما المئون فهي كل سورة تكون نحواً من مائة آية أو فويق ذلك أو دوينه وهي سبع أولها سورة بني إسرائيل وآخرها المؤمنون وقيل أن المئين ما ولي السبع الطول ثم المثاني بعدها وهي التي تقصر عن المئين وتزيد على المفصل وسميت المثاني لأن المئين مبادٍ لها وأما المفصل فما بعد الحواميم من قصار السور إلى آخر القرآن سميت مفصلاً لكثرة الفصول بين سورها ببسم الله الرحمن الرحيم.

[الفن الخامس]

في أشياء من علوم القرآن يحال في شرحها وبسط الكلام فيها على المواضع المختصة بها والكتب المؤلفة فيها.

من ذلك العلم بكون القرآن معجزاً خارقاً للعادة والاستدلال به على صدق النبي ﷺ والكلام في وجه اعجازه وهل هو ما فيه من الفصاحة المفرطة او ماله من النظم المخصوص والاسلوب البديع والصرفة وهو ان الله تعالى صرف العرب عن معارضته وسلبهم العلم الذي به يتمكنون من مماثلته في نظمه وفصاحته فموضع ذلك اجمع كتب الاصول وقد دوّنه مشايخ المتكلمين في كتبهم لاسيما السيد الاجل المرتضى علم الهدى ذو المجدين أبو القاسم علي بن الحسين الموسوي قدس الله روحه في كتابه الموضح عن وجه اعجاز القرآن فإنه فرّع الكلام فيه هناك إلى غاية ما يتفرع، ونهاه إلى نهاية ما ينتهي فلا يشق غباره غاية الابد، إذا استولى فيه على الأمد.

ومن ذلك الكلام في زيادة القرآن ونقصانه فإنه لا يليق بالتفسير فأما الزيادة فيه فمجمع على بطلانه وأما النقصان منه فقد روى جماعة من اصحابنا وقوم من حشوية العامة ان القرآن تغيير أو نقصانا والصحيح من مذهب اصحابنا خلافه وهو الذي نصره المرتضى قدس الله روحه واستوفى الكلام فيه غاية الاستيفاء في جواب المسائل الطرابلسيات وذكر في مواضع ان العلم بصحة نقل القرآن كالعلم بالبلدان والحوادث الكبار والوقائع العظام والكتب المشهورة واشعار العرب المسطورة فإن العناية اشتدت والدواعي توفرت على نقله وحراسته وبلغت إلى حد لم يبلغه فيما ذكرناه لأن القرآن معجزة النبوة ومأخذ العلوم

الشرعية والاحكام الدينية وعلماء المسلمين قد بلغوا في حفظه وحمايته الغاية حتى عرفوا كل شيء اختلف فيه من إعرابه وقراءته وحروفه وآياته فكيف يجوز أن يكون مغيراً أو منقوصاً مع العناية الصادقة والضبط الشديد وقال أيضاً قدس الله روحه ان العلم بتفسير القرآن وابعاضه في صحة نقله كالعلم بجملته وجرى ذلك مجرى ما علم ضرورة من الكتب المصنفة ككتاب سيبويه والمزني فإن أهل العناية بهذا الشأن يعلمون من تفصيلهما ما يعلمونه من جملتهما حتى لو ان مدخلاً ادخل في كتاب سيبويه باباً في النحو ليس من الكتاب لَعُرف وميز وعلم انه ملحق وليس من اصل الكتاب وكذلك القول في كتاب المزني ومعلوم ان العناية بنقل القرآن وضبطه اصدق من العناية بضبط كتاب سيبويه ودواوين الشعراء وذكر أيضاً (رض) ان القرآن كان على عهد رسول الله ﷺ مجموعاً مؤلفاً على ما هو عليه الآن واستدل على ذلك بأن القرآن كان يدرس ويحفظ جميعه في ذلك الزمان حتى عين على جماعة من الصحابة في حفظهم له وان كان يعرض على النبي ﷺ ويتلى عليه وان جماعة من الصحابة مثل عبد الله بن مسعود وأبي بن كعب وغيرهما ختموا القرآن على النبي ﷺ عدة ختمات وكل ذلك يدل بأدنى تأمل على انه كان مجموعاً مرتباً غير مبتور ولا مبثوث وذكر أن من خالف في ذلك من الإمامية والحشوية لا يعتد بخلافهم فإن الخلاف في ذلك مضاف إلى قوم من إصحاب الحديث نقلوا اخباراً ضعيفة ظنوا صحتها لا يرجع بمثلها عن المعلوم المقطوع على صحته. ومن ذلك الكلام في النسخ والناسخ والمنسوخ وحدودها وأقسام النسخ وشرائطه والفصل بينه وبين البداء والتخصيص وهل يجوز نسخ العبادة قبل وقت فعلها وهل يجوز نسخ القرآن بالسنة وما يعرف به الناسخ ناسخاً والمنسوخ منسوخاً فإن ذلك اجمع وان كان من العلوم المتعلقة بالقرآن فإن موضعها الكُتب المؤلفة في اصول الفقه وسيأتي منه ما يليق بالتفسير في مظانه من الكتاب مستوفياً ان شاء الله.

[الفن السادس]

في ذكر بعض ما جاء من الاخبار المشهورة في فضل القرآن واهله

انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال أهل القرآن هم أهل الله وخاصته، وعنه انه قال صلى الله عليه وآله وسلم افضل العبادة قراءة القرآن ، وعنه انه قال عليه السلام القرآن غنى لا غنى دونه ولا فقر بعده.

حماد بن سلمة عن ثابت عن انس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله

وسلم حملة القرآن المخصوصون برحمة الله المعلمون كلام الله المقربون إلى الله، ومن والاهم فقد والى الله ، ومن عاداهم فقد عادى الله ، يدفع الله عن مستمع القرآن بلاء الدنيا ويدفع عن قارىء القرآن بلاء الآخرة، يا حملة القرآن تحببوا إلى الله بتوقير كتابه يزدكم حباً ويحببكم إلى عباده وعن مكحول قال أبو ذر إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله إني اخاف ان اتعلم القرآن ولا اعمل به فقال لا يعذب الله قلباً اسكنه القرآن وعن عقبة بن عامر الجهني أن النبي ﷺ قال لو كان القرآن في اهاب ما مسته النار وعن عطاء عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ حملة القرآن عرفاء أهل الجنة يوم القيامة وقال عليه السلام لا ينبغي لحامل القرآن ان يرى ان احداً من أهل الارض اغنى منه ولو ملك الدنيا برحبها وعن عيسى بن قائد قال حدثني من سمع سعد بن عبادة قال قال رسول الله ﷺ ما من احد تعلم القرآن ثم نسيه الالقي الله اجذم. عن عبد الله بن عباس قال: قال رسول الله ﷺ اشراف امتي حملة القرآن. وأصحاب الليل. عن عبد الله بن مسعود عنه صلى الله عليه وآله وسلم قال: ان هذا القرآن مأدبة الله فتعلموا من مأدبته ما استطعتم ان هذا القرآن حبل الله وهو النور المبين والشفاء النافع عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن تبعه لا يعوج فيقوّم ولا يزيغ فيستعتب ولا تنقضي عجائبه ولا يخلق عن كثرة الرد فاتلوه فإن الله يؤجركم على تلاوته بكل حرف عشر حسنات أما اني لا أقول آلم عشر ولكن الف عشر ولام عشر وميم عشر الحديث الحارث بن الأعور عن امير المؤمنين علي عليه السلام قال في حديث طويل سمعت رسول الله ﷺصلى الله عليه وآله وسلم يقول انها ستكون فتن، قلت فما المخرج منها يا رسول الله قال كتاب الله فيه خبر ما قبلكم ونبأ ما بعدكم وحكم ما بينكم هو الفصل ليس بالهزل هو الذي لا تزيغ به الاهواء ولا تشبع منه العلماء ولا يخلق عن كثرة رد ولا تنقضي عجائبه وهو الذي من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله هو حبل الله المتين وهو الصراط المستقيم هو الذي من عمل به اجر ومن حكم به عدل ومن دعا إليه دعا إلى صراط مستقيم عاصم بن ضمرة عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ القرآن حتى يستظهره ويحفظه ادخله الله الجنة وشفعه في عشرة من اهل بيته كلهم قد وجبت لهم النار. عبد الله بن عمر عنه عليه السلام قال: يقال لصاحب القرآن اقرأ وارق ورتّل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلك عند آخر آية تقرأها وعنه عليه السلام انه قال صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ القرآن فرأى ان احداً اعطي افضل مما اعطي فقد حقّر ما عظمه الله وعظم ما حقره الله وعنه عليه السلام انه قال من قرأ القرآن فكأنما ادرجت النبوة بين جنبيه الا انه لا يوحى

إليه. ابو سعيد الخدري عنه عليه السلام قال حملة القرآن في الدنيا عرفاء أهل الجنة يوم القيامة وقال أمير المؤمنين عليه السلام من دخل في الاسلام طائعاً وقرأ القرآن ظاهراً فله في كل سنة مائتا دينار في بيت مال المسلمين، ان منع في الدنيا اخذها يوم القيامة وافية احوج ما يكون إليها ، وهذه الاخبار يسير من كثير، وغيض من فيض ، ونزر من غمر، اقتصرنا عليها ايثاراً للاختصار.

[الفن السابع]
في ذكر ما يستحب للقارىء من تحسين اللفظ وتزيين الصوت بقراءة القرآن

البراء بن عازب قال قال رسول الله ﷺ زيّنوا القرآن باصواتكم، حذيفة بن اليمان قال قال رسول الله ﷺ اقرأوا القرآن بلحون العرب واصواتها وإياكم ولحون اهل الفسق واهل الكتابين وسيجيء قوم من بعدي يرجعون بالقرآن ترجيع الغناء والرهبانية والنوح لا يجاوز حناجرهم مفتونة قلوبهم وقلوب الذين يعجبهم شأنهم .

عقلمة بن قيس قال كنت حسن الصوت بالقرآن فكان عبد الله بن مسعود يرسل إلي فاقرأ عليه فإذا فرغت من قراءتي قال زدنا من هذا فداك ابي فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول ان حسن الصوت زينة للقرآن، انس بن مالك عن النبي ﷺ ان لكل شيء حلية وحلية القرآن الصوت الحسن، عبد الرحمن بن السائب قال قدم علينا سعد بن أبي وقاص فأتيته مسلماً عليه فقال مرحباً يا ابن أخي بلغني أنك حسن الصوت بالقرآن قلت نعم والحمد لله قال فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول ان القران نزل بالحزن فإذا قرأتموه فابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا وتغنّوا به فمن لم يتغن بالقرآن فليس منا وتأول بعضهم تغّنوا به بمعنى استغنوا به وأكثر العلماء على انه تزيين الصوت وتحزينه ، وههنا سياق الكلام في التفسير ، والله سبحانه ولي التسهيل والتيسير، وعليه التكلان في كل الأمور وهو حسبنا وإليه المصير.

سورة فاتحة الكتاب
مكية وآياتها سبع

بسم الله الرحمن الرحيم

مكية عن ابن عباس وقتادة ومدنية عن مجاهد وقيل أُنزلت مرتين مرة بمكة ومرة بالمدينة.

[**اسماؤها**] (فاتحة الكتاب) سميت بذلك لافتتاح المصاحف بكتابتها ولوجوب قراءتها في الصلاة فهي فاتحة لما يتلوها من سورة القرآن في الكتاب والقراءة (الحمد) سميت بذلك لان فيها ذكر الحمد (أم الكتاب) سميت بذلك لأنها متقدمة على سائر سور القرآن والعرب تسمي كل جامع امرٍ أو متقدم لأمر إذا كانت له توابع تتبعه ـ أماً فيقولون أُم الرأس للجلدة التي تجمع الدماغ وأُمّ القرى لأن الارض دحيت من تحت مكة فصارت لجميعها أمًّا وقيل لانها اشرف البلدان فهي متقدمة على سائرها وقيل سميت بذلك لانها اصل القرآن والأم هي الاصل وإنما صارت اصل القرآن لأنّ الله تعالى أودعها مجموع ما في السور لأن فيها اثبات الربوبية والعبودية وهذا هو المقصود بالقرآن (السبع) سميت بذلك لانها سبع إيات لاخلاف في جملتها (المثاني) سميت بذلك لأنها تثني بقرآءتها في كل صلاة فرض ونفل وقيل لانها نزلت مرّتين ، هذه أسماؤها المشهورة ، وقد ذكر في اسمائها (الوافية) لانها لا تنتصف في الصلاة (والكافية) لانها تكفي عما سواها ولا يكفي ماسواها عنها ويؤيد ذلك ما رواه عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ أُمُّ القرآن عوض عن غيرها وليس غيرها عوضاً عنها و (الاساس) لما روي عن ابن عباس ان لكل شيء اساساً وساق الحديث إلى ان قال واساس القرآن الفاتحة واساس الفاتحة بسم الله الرحمن الرحيم و (الشفاء) لما روي عن النبي ﷺ فاتحة الكتاب شفآء من كل داء و (الصلاة) لما روي عن النبي ﷺ قال قال الله تعالى قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين نصفها لي ونصفها لعبدي فإذا قال العبد (الحمد لله رب العالمين) يقول الله حمدني عبدي فإذا قال (الرحمن

الرحيم) يقول الله اثنى عليّ عبدي فإذا قال العبد (مالك يوم الدين) يقول الله مجدّني عبدي فإذا قال (إياك نعبد وإياك نستعين) يقول الله هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل فإذا قال (اهدنا الصراط المستقيم) إلى آخره قال الله هذا لعبدي ولعبدي ما سأل، اورده مسلم ابن الحجاج في الصحيح فهذه عشرة اسماء.

[فضلها] ذكر الشيخ أبو الحسين الخبازي المقري في كتابه في القراءة اخبرنا الإمام أبو بكر احمد بن إبراهيم والشيخ عبد الله بن محمد قالا حدثنا أبو إسحاق إبراهيم ابن شريك قال حدثنا أحمد بن يونس اليربوعي قال حدثنا سلام بن سليمان المدائني قال حدثنا هارون بن كثير عن زيد بن اسلم عن أبيه عن ابي أمامة عن أبي بن كعب قال قال رسول الله ايما مسلم قرأ فاتحة الكتاب اعطي من الأجر كأنما قرأ ثلثي القرآن واعطي من الأجر كإنما تصدق على كل مؤمن ومؤمنة وروي من طريق آخر هذا الخبر بعينه إلا انه قال كأنما قرأ القرآن، وروي غيره عن أبي بن كعب انه قال قرأت على رسول الله ﷺ فاتحة الكتاب فقال والذي نفسي بيده ما أنزل الله في التوراة ولا في الانجيل ولا في الزبور ولا في القرآن مثلها هي أم الكتاب وهي السبع المثاني وهي مقسومة بين الله وبين عبده ولعبده ما سأل، وفي كتاب محمد بن مسعود العياشي بإسناده ان النبي ﷺ قال لجابر بن عبد الله الأنصاري يا جابر الا اعلمك افضل سورة انزلها الله في كتابه قال فقال له جابر بلى بابي انت وأمي يا رسول الله علّمنيها قال فعلّمه الحمد أمّ الكتاب ثم قال يا جابر الا اخبرك عنها قال بلى بإبي أنت وأمي فاخبرني فقال هي شفاء من كل دآء الا السام والسام الموت، وعن سلمة بن محرز عن جعفر بن محمد الصادق قال من لم يبرءه الحمد لم يبرءه شيء وروي عن أمير المؤمنين (ع) قال قال رسول الله ﷺ ان الله تعالى قال لي يا محمد ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم فأفرد الإمتنان عليَّ بفاتحة الكتاب وجعلها بازآء القرآن، وان فاتحة الكتاب اشرف ما في كنوز العرش وإن الله خص محمداً وشرّفه بها ولم يشرك فيها أحداً من انبيائه ما خلا سليمان فإنه اعطاه منها بسم الله الرحمن الرحيم الا تراه يحكي عن بلقيس حين قالت اني القي اليَّ كتاب كريم أنه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم ألا فمن قرأها معتقداً لموالاة محمد وآله منقاداً لأمرها. مؤمناً بظاهرها وباطنها. أعطاه الله بكل حرف منها حسنة كل واحدة منها أفضل له من الدنيا بما فيها من اصناف اموالها وخيراتها ومن استمع الى قارىء يقرؤها كان له قدر ثلث ما للقارىء فليستكثر أحدكم من هذا الخير المعرّض له فإنه غنيمة. لا يذهبن أوانه فتبقى في قلوبكم الحسرة.

[**الاستعاذة**] اتفقوا على التلفظ بالتعوذ قبل التسمية فيقول ابن كثير وعاصم وابو عمرو: ﴿**أعوذُ بِاللَّهِ مِن الشيطانِ الرَّجِيم**﴾ ونـافع وابن عامر والكسائي : ﴿**أعوذُ بِاللَّهِ مِن الشَّيْطانِ الرَّجِيم. إنَّ هُوَ السميعُ العَلِيْمُ،** ﴾ وحمزة: ﴿**نستعيذ بالله مِنَ الشَّيْطَان الرَّجِيم ،** ﴾ وأبو حاتم ﴿**أعوْذُ بالله السَّمِيْع العَلِيْم مِنَ الشَّيْطَان الرَّجيم**﴾.

[**اللغة**] الاستعاذة الاستجارة فمعناه استجير بالله دون غيره والعوذ والعياذ هو اللجا و (الشيطان) في اللغة هو كل متمرد من الجن والانس والدواب ولذلك جاء في القرآن شياطين الانس والجن ووزنه فيعال من شطنت الدار أي بعدت وقيل هو فعلان من شاط يشيط ادا بطل والأول اصحّ لانه قد جاء في الشعر شاطن بمعناه قال أمية بن أبي الصلت

أيَّمـا شَـاطِنٍ عَـصَـاهُ عَكَـاهُ ثُمَّ يَلقى في السِّجنِ والأغْلال

والرجيم فعيل بمعنى مفعول من الرجم وهو الرمي.

[**المعنى**] أمر الله بالاستعاذة من الشيطان إذ لا يكاد يخلو من وسوسته الإنسان فقال فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ، ومعنى اعوذ الجأ إلى الله من شر الشيطان أي البعيد من الخير المفارق اخلاقه اخلاق جميع جنسه وقيل المبعد من رحمة الله (الرجيم) أي المطرود من السماء المرمي بالشهب الثاقبة وقيل المرجوم باللغة (ان الله هو السميع)ـ السميع لجميع المسموعات (العليم) بجميع المعلومات .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾

اتفق اصحابنا انها آية من سورة الحمد ومن كل سورة وانَّ مَن تركها في الصلاة بطلت صلاته سوآء كانت الصلاة فرضاً أو نفلاً وأنه يحب الجهر بها فيما يجهر فيه بالقراءة ويستحب الجهر بما فيما يخافت فيه بالقراءة وفي جميع ما ذكرناه خلاف بين فقهاء الأمة ولا خلاف في انها بعض آية من سورة النمل وكل مَن عدَّها آية جعل من قوله صراط الذين إلى آخر السورةَ آيةٌ ومَن لَم يعدها آية جعل صراط الذين انعمت عليهم آية وقال انها افتتاح للتيمّن والتبّرك واما القراء فإن حمزة وخلفا ويعقوب واليزيدي تركوا الفصل بين السور بالتسمية والباقون يفصلون بينها بالتسمية اِلّا بين الانفال والتوبة .

[**فضلها**] روي عن علي بن موسى الرضا (ع) انه قال بسم الله الرحمن الرحيم أقرب إلى اسم الله الاعظم من سواد العين إلى بياضها، وروي عن ابن عباس عن

النبي ﷺ انه قال إذا قال المعلم للصبي قل بسم الله الرحمن الرحيم فقال الصبي بسم الله الرحمن الرحيم كتب الله براءة للصبي وبراءة لأبويه وبرآءة للمعلم وعن ابن مسعود قال من اراد ان ينجيه الله من الزبانية التسعة عشر فليقرء بسم الله الرحمن الرحيم فإنها تسعة عشر حرفاً ليجعل الله كل حرف منها جنة من واحد منهم. وروي عن الصادق (ع) انه قال ما لهم قاتلهم الله عمدوا إلى اعظم آية في كتاب الله فزعموا أنها بدعة إذا اظهروها وهي بسم الله الرحمن الرحيم.

[اللغة] الاسم مشتق من السُمو وهو الرفعة اصله سِمو بالواو لأنّ جمعه اسمآء مثل قنو واقنآء. وحنو واحنآء وتصغيره سُمَي قال الراجز (باسم الذي في كل سورة سِمه) وسُمه أيضاً ذكره أبو زيد وغيره وقيل انه مشتق من الوسم والسمة والأول اصحّ لأنّ المحذوف الفـآء نحو صلة ووصل وعدة ووعد لاتدخله همزة الوصل ولانه كان يجب ان يقال في تصغيره وسيم، كما يقال وَعيدة ووصيلة في تصغير عدة وصلة والامر بخلافه (الله) اسم لا يطلق الا عليه سبحانه وتعالى وذكر سيبويه في اصله قولين (احدهما) انه الاه على وزن فعال فحذفت الفاء التي هي الهمزة وجعلت الالف واللام عوضاً لازماً عنها بدلالة استجازتهم قطع هذه الهمزة الداخلة على لام التعريف في القسم والنداء في نحو قوله ﴿ أفألله لتفعلنَّ ويالله اغفر لي ﴾ولو كانت غير عوض لم تثبت الهمزة في الوصل[1] كما لم تثبت في غير هذا الاسم والقول الآخر أنّ أصله لاه ووزنه فعل فألحق به الألف واللام. يدل عليه قول الأعشى.

كَحلْفَةٍ مِن أَبيْ رِباحٍ   يَسْمَعُها لاهُهُ الكُبارُ

وإنما ادخلت عليه الألف واللام للتفخيم والتعظيم فقط ومن زعم أنها للتعريف فقد اخطأ لانّ اسماء الله تعالى معارف والالف من لاه منقلبة عن ياء فأصله إليه كقولهم في معناه لهي ابوك قال سيبويه نقلت العين إلى موضع اللام وجعلت اللام ساكنة إذ صارت في مكان العين كما كانت العين ساكنة وتركوا آخر الاسم الذي هو لهي مفتوحاً كما تركوا آخر انّ[2] مفتوحاً وإنما فعلوا ذلك حيث غيروه لكثرته في كلامهم فغيروا اعرابه كما غيروا بناءه وهذه دلالة قاطعة لظهور الياء في لهي والالف على هذا القول منقلبة كما ترى

(١) [الموصولة].
(٢) وفي جملة من نسخنا «ابن» بدل «ان».

وفي القول الاول زائدة لانها الف فعال وتقول العرب أيضاً لاه أبوك تريد لله أبوك قال ذو الاصبع العدواني.

لاهِ ابنُ عَمِّكَ لا أَفْضَلْتَ في حَسَبٍ عَنِّيْ وَلَا أَنْتَ دَيَّاني فَتَخْزُوْني

أي تسوسني قال سيبويه حذفوا لام الاضافة واللام الأخرى ولم ينكر بقاء عمل اللام بعد حذفها فقد حكى سيبويه من قولهم الله لاخرجنَّ يريدون والله ومثل ذلك كثير يطول الكلام بذكره فاما الكلام في اشتقاقه فمنهم من قال انه اسم موضع غير مشتق إذ ليس يجب في كل لفظ ان يكون مشتقاً لانه لو وجب ذلك لتسلسل هذا قول الخليل ومنهم من قال انه مشتق ثم اختلفوا في اشتقاقه على وجوه: فمنها[1] انه مشتق من الألوهية التي هي العبادة وانتأله التعبد قال رؤبة.

لِلَّهِ دَرُّ الغَانِيَاتِ آلمُدَّهِ سَبَّحْنَ وَاسْتَرْجعْنَ مِنْ تَأَلُّهي

اي تعبدي وقرأ ابن عباس ويذرك وإلاهتك أي عبادتك ويقال آله الله فلان إلاهة كما يقال عبده عبادة فعلى هذا يكون معناه الذي يحق له العبادة ولذلك لا يسمى به غيره ويوصف فيما لم يزل بأنه آله (ومنها) انه مشتق من الوله وهو التحير يقال آله يأله إذا تحير - عن ابي عمرو - فمعناه انه الذي تتحير العقول في كنه عظمته (ومنها) انه مشتق من قولهم الهت إلى فلان أي فزعت إليه لأن الخلق يألهون إليه اي يفزعون إليه في حوائجهم فقيل للمألوه آله كما يقال للمؤتم به إمام (ومنها) انه مشتق من الهت إليه أي سكنت إليه عن المبرِّد ومعناه أن الخلق يسكنون إلى ذكره ومنها انه من لاه اي احتجب فمعناه انه المحتجب بالكيفية عن الأوهام، الظاهر بالدلائل والأعلام، ﴿الرحمن الرحيْم﴾ اسمان وضعا للمبالغة، واشتقا من الرحمة، وهي النعمة ، الا ان فعلان اشدُّ مبالغة من فعيل وحكي عن أبي عبيدة انه قال: الرحمن ذو الرحمة والرحيم هو الراحم وكرّر لضرب من التأكيد واما ما روي عن ابن عباس انهما اسمان رقيقان احدهما ارقُّ من الآخر فالرحمن الرقيق والرحيم العطاف على عباده بالرزق والنعم فمحمول على أنه يعود عليهم بالفضل بعد الفضل، والنعمة بعد النعمة، فعبَّر عن ذلك بالرقة ، لأنه لا يوصف بالرقة، وما حكي عن تغلب ان لفظة الرحمن ليست بعربية وإنما هي ببعض اللغات مستدلاً بقوله تعالى ﴿قالوا وما الرحمن﴾ انكاراً منهم لهذا الاسم فليس بصحيح لأن هذه اللفظة مشهورة عند العرب

(١) [قولهم].

موجودة في أشعارها قال الشنفري:

أَلا ضَرَبَتْ تِلْكَ الفَتَاةُ هَجِيْنَها ... الا قَضَبَ الرَّحْمٰنُ رَبِّي يَمِيْنَها

وقال سلامة بن جندل. (وما يشأ الرحمن يعقد ويطلق).

[**الاعراب**] ﴿**بسم الله**﴾ الباء حرف جرٍ اصله الالصاق والحروف الجارة موضوعة لمعنى المفعولية الا ترى أنها توصل الافعال إلى الاسماء وتوقعها عليها فإذا قلت مررت بزيد اوقعت الباء المرور على زيد فالجالب للباء فعل محذوف نحو إبدأوا بسم الله أو قولوا بسم الله فحمله نصب لانه مفعول به وإنما حذف الفعل الناصب لأن دلالة الحال أغنت عن ذكره وقيل ان محل الباء رفع على تقدير مبتدأ محذوف وتقديره ابتدائي بسم الله فالباء على هذا متعلقة بالخبر المحذوف الذي قامت مقامه اي ابتدائي ثابت بسم الله أو ثبت ثم حذف هذا الخبر فأفضى الضمير إلى موضع الباء وهذا بمنزلة قولك زيد في الدار ولا يجوز ان يتعلق الباء بابتدائي المضمر لأنه مصدر وإذا تعلقت به صارت من صلته وبقي المبتدأ بلا خبر وإذا سأل عن تحريك الباء مع ان أصل الحروف البناء وأصل البناء السكون فجوابه أنه حُرّك للزوم الابتداء به ولا يمكن الابتداء بالساكن وإنما حُرّك بالكسر ليكون حركته من جنس ما يحدثه وإذا لزم كاف التشبيه في كزيد فجوابه ان الكاف لا يلزم الحرفية وقد تكون اسماً في نحو قوله ﴿**يضحكن عن كالبَردَ المنهمِّ**﴾ فخولف بينه وبين الحروف التي لا تفارق الحرفية وهذا قول ابي عمرو الجرمي وأصحابه فاما أبو علي الحسن بن عبد الغفار الفارسي فقال انهم لو فتحوا أو ضمُّوا لجاز لأن الغرض التوصل إلى الابتداء فبأي حركة توصل إليه جاز وبعض العرب يفتح هذه الباء وهي لغة ضعيفة وإنما حذفت الهمزة من بسم الله في اللفظ لأنها همزة الوصل تسقط في الدرج وحذفت هاهنا في الخط ايضاً لكثرة الاستعمال ولوقوعها في موضع معلوم لا يخاف فيه اللبس ولا تحذف في نحو قوله ﴿**اقرأ باسم ربك**﴾ لقلة الاستعمال وإنما تغلظ لام الله إذا تقدمته الضمة أو الفتحة تفخيماً لذكره، واجلالاً لقدره، وليكون فرقاً بينه وبين ذكر اللات. ﴿**الله**﴾ مجرور بالاضافة و ﴿**الرحمن الرحيم**﴾ مجروران لأنهما صفتان لله.

[**المعنى**] ﴿**بسم الله**﴾ قيل المراد به تضمين الاستعانة فتقديره استعينوا بأن تسمُّوا الله باسمائه الحسنى، وتصفوه بصفاته العلي، وقيل المراد استعينوا بالله ويلتفت إليه قول ابي عبيدة أن الاسم صلة والمراد هو الله كقوله لبيد:

إِلَى الحوْلِ ثمَّ اسمُ السَّلَامُ عليْكُما ومَنْ يَبْكِ حَوْلاً كامِلاً فقدِ اعتَذَرْ

أي ثمّ السلام عليكما والاسم قد يوضع موضع المُسمّى لما كان المعلّق على الاسم ذكراً أو خطاباً معلّقاً على المسمى تقول رأيت زيداً فتعلق الرؤية على الاسم وفي الحقيقة تعلقها بالمُسمّى فإن الاسم لا يرى فحسن إقامة الاسم مقام المسمى وقيل المراد به ابتدىء بتسمية الله فوضع الاسم موضع المصدر كما يقال أكرمته كرامة أي إكراماً واهنته هواناً أي إهانة ومنه قول الشاعر: (١)

أكفراً بَعْدَ رَدِّ المـوْتِ عَنِّي وَبَعْدَ عَطَائِكَ المائة الرِّتاعا

أي بعد اعطائك ، وقال الآخر :

فإنْ كَانَ هذَا الْبُخْلُ مِنْكَ سَجِيَّةً لَقَدْ كُنْتُ فِي طُوْلى رَجائِكَ أَشْعبَا

أراد في إطالتي رجائك فعلى هذا يكون تقدير الكلام ابتداء قراءتي بتسمية الله أو أقرأ مبتدئاً بتسمية الله وهذا القول أولى بالصواب لأنا إنما أمرنا بأن نفتتح أمورنا بتسمية الله لا بالخبر عن كبريائه وعظمته كما أمرنا بالتسمية على الأكل والشرب والذبائح ألا ترى أن الذابح لو قال بالله ولم يقل باسم الله لكان مخالفاً لما أمر به ومعنى الله والإلّه أنه الذي تحق له العبادة وإنما تحق له العبادة لأنه قادر على خلق الأجسام وإحيائها والأنعام عليها بما يستحق به العبادة وهو تعالى إلّه للحيوان والجماد لأنه قادر على أن ينعم على كل منهما بما معه يستحق العبادة فأما من قال معنى الإلّه المستحق للعبادة يلزمه أن لا يكون إلّهاً في الأزل لأنه لم يفعل الانعام الذي يستحق به العبادة وهذا خطأ وإنما قدم الرحمٰن على الرحيم لأن الرحمن بمنزلة إسم العلم من حيث لا يوصف به إلا الله فوجب لذلك تقديمه بخلاف الرحيم لأنه يطلق عليه وعلى غيره وروى أبو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وآله أن عيسى بن مريم قال الرحمن رحمن الدنيا والرحيم رحيم الآخرة وعن بعض التابعين قال الرحمن بجميع الخلق والرحيم بالمؤمنين خاصة ووجه عموم الرحمن بجميع الخلق مؤمنهم وكافرهم وبَرُّهم وفاَجَرْهُمْ هُوَ انشاؤه إياهم وخلقهم أحياءً قادرين ورزقه إياهم ووجه خصوص الرحيم بالمؤمنين هو ما فعله بهم في الدنيا من التوفيق

---

(١) قائلة: القطامي واسمه عمير بن شييم.

وفي الآخرة من الجنة والإكرام، وغفران الذنوب والآثام، وإلى هذا المعنى يؤول ما روي عن الصادق عليه السلام أنه قال الرحمن اسم خاص بصفة عامة والرحيم إسم عام بصفة خاصة وعن عكرمة قال الرحمن برحمة واحدة والرحيم بمائة رحمة وهذا المعنى قد اقتبسه من قول الرسول أن الله عز وجل مائة رحمة وأنه أنزل منها واحدة إلى الأرض فقسمها بين خلقه بها يتعاطفون ويتراحمون وأخّر تسعاً وتسعين لنفسه يرحم بها عباده يوم القيامة وروي أن الله قابض هذه إلى تلك فيكملها مائة يرحم بها عباده يوم القيامة.

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾

[القراءة] اجمع القراء على ضمّ الدال من الحمد وكسر اللام من لله وروي في الشواذ بكسر الدال واللام. وبفتح الدال وكسر اللام. وبضم الدال واللام. وأجمعوا على كسر الباء من رب. وروي عن زيد بن علي نصب البآء ويحمل على أنه بيَّن جوازه لا إنه قرآءة.

[اللغة] الحمد والمدح والشكر متقاربة المعنى والفرق بين الحمد والشكر أنَّ الحمد نقيض الذَم كما أنَّ المدح نقيض الهجاء. والشكر نقيض الكفران. والحمد قد يكون مِنْ غير نعمة والشكر يختص بالنعمة إلّا أن الحمد يوضع موضع الشُكْر ويُقال الحمد لله شكراً فينصب شكراً على المَصدر ولو لَمْ يكُن الحَمد في معنى الشكر لما نصبه فإذا كان الحمد يقع موقع الشكر فالشكر هو الاعتراف بالنعمة مع ضرب من التعظيم ويكون بالقلب وهو الأصل ويكون أيضاً باللسان وإنما يجب باللسان لنفي تهمة الجحود والكفران وأما المدح فهو القول المنبيء عن عظم حال الممدوح مع القصد إليه (وأما الرب) فله معان (منها) السيد المطاع كقول لبيد:

وَأَهْلَكنَ قِدْماً[1] ربَّ كِنْدَةَ وَابْنَه ... وربَّ مَعَدّ بَينَ خَبتِ وَعَرْعَرِ

أي سيد كِندة (ومنها) المالك نحو قول النبي لرجل[2] أرَبّ غَنم أم رَبّ إبل فقال من كلّ ما آتاني الله فأكثر وأطيب.

(ومنها) الصاحب نحو قول أبي ذؤيب:

(١) وفي نسخة «قوماً» وفي أخرى «يوماً» بدل «قدما»

(٢) [أنت].

قَـدْ نَـالـهُ رَبُّ الكِـلاَبِ بِكَفِّـهِ   بِـيْضٌ رِهـابٌ رِيْشُـهُـنَّ مُـقَـزَّعُ

أي صاحب الكِلاب (ومنها) المربِّب (ومنها) المصلح واشتقاقه من التربية يقال ربيته وربّبته بمعنى وفلان يرب صنيعته[1] إذا كان ينمّمها[2] ولا يطلق هذا الإسم إلا على الله ويقيد في غيره فيقال ربّ الدار ورب الضيعة و(العالمون) جمع عالَمُ والعالم جمع لا واحد لَه من لفظه كالنفر والجيش وغيرهما واشتقاقه من العلامة لأنه يدل على صانعه وقيل أنه من العلم لأنه اسم يقع علىٰ ما يعلم وهو في عرف اللغة عبارة عن جماعة من العقلاء لأنهم يقولون جاءني عالم من الناس ولا يقولون جاءني عالم من البقر وفي المتعارف بين الناس هو عبارة عن جميع المخلوقات وتدل عليه الآية ﴿ **قال وما ربُّ العالمين قال ربُّ السموات والأرض وما بينهما** ﴾ وقيل أنه اسم لكل صنف من الأصناف وأهل كل قرن من كل صنف يسمى عالما ولذلك جمع فقيل عالمون لعالم كل زمان وهذا قول أكثر المفسرين كابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة وغيرهم وقيل العالم نوع ما يعقل وهم الملائكة والجن والانس وقيل الجن والإنس لقوله تعالى : ﴿ **ليكون للعالمين نذيراً** ﴾ وقيل هم الإنس لقوله تعالى : ﴿ **أتأتون الذكران من العالمين** ﴾ .

[**الاعراب**] الحمد رفع بالابتداء والابتداء عامل معنوي غير ملفوظ به وهو خلوُّ الإسم عن العوامل اللفظية ليسند إليه خبر وخبره في الأصل جملة هي فعل مسند إلى ضمير المبتدأ وتقديره الحمد حقَّ أو استقر لله إلا أنه قد استغنى عن ذكرها لدلالة قوله لله عليها فانتقل الضمير منها إليه حيث سدّ مسدّها وتسمى هذه جملة ظرفية هذا قول الأخفش وأبي علي الفارسي وأصل اللام للتحقيق والملك، وأما من نصب الدال فعلى المصدر تقديره أحمد الحمد لله أو أجعل الحمد لله إلا أن الرفع بالحمد أقوى وأمدح لأن معناه الحمد وجب لله أو استقرَّ لله وهذا يقتضي العموم لجميع الخلق وإذا نصب الحمد فكان تقديره أحمد الحمد كان مدحاً من المتكلم فقط فلذلك اختير الرفع ومن كسر الدال واللام أَتْبَعَ حركة الدال حركة اللام ومن ضمهما أَتْبَعَ حركة اللام حركة الدال وهذا أيسر من الأول لأنه اتبع حركة المبني حركة الإعراب والأول اتبع حركة المعرب حركة البناء واتبع التاني الأول وهو الأصل في الإتباع والذي كسر أتبع الأول الثاني وهذا ليس بأصل وأكثر النحويين ينكرون ذلك لأن حركة الإعراب غير لازمة فلا يجوز لأجلها الإتباع ولأنّ الإتباع

(١) وفي بعض النسخ « ضيعته » مكان « صنيعته » .

(٢) وفي بعض النسخ « يتمها » عوض «ينمّمها».

في الكلمة الواحدة ضعيف نحو الحُلُم فكيف في الكلمتين وقال أبو الفتح بن جني في كسر الدال وضم اللام هنا دلالة على شدة ارتباط المبتدأ بالخبر لأنه اتبع فيهما ما في أحد الجزءين ما في الجزء الآخر وجعل بمنزلة الكلمة الواحدة نحو قولك أخوك وأبوك وأصل هذه اللام الفتح لأنّ الحرف الواحد لا حظّ له في الإعراب ولكنه يقع مبتدأ في الكلام ولا يبتدء بساكن فاختير له الفتح لأنه أخفّ الحركات تقول رأيت زيداً وعمراً قالوا ومن عمراً ـ مفتوحةً ـ وكذلك الفاء من فعمراً إلا أنهم كسروها لأنهم أرادوا أن يفرقوا بين لام الملك ولام التوكيد إذا قلت أن المال لهذا أي في ملكه وأن المال لهذا أي هو هو وإذا أدخلوا هذه اللام على مضمر ردوها إلى أصلها وهو الفتح قالوا لك وله لأن اللبس قد ارتفع وذلك لأن ضمير الجر مخالف لضمير الرفع إذا قلت أن هذا لك وان هذا لأنت إلا أنهم كسروها مع ضمير المتكلم نحو لي لأن هذه الياء لا يكون ما قبلها إلا مكسوراً نحو غلامي وفرسي وهذا كله قول سيبويه وجميع النحويين المحققين وليس من الحروف المبتدأ بها مما هو على حرف واحد حرف مكسور إلا الباء وحدها وقد مضى القول فيه وأما لام الجزم في ليفعل فإنما كسرت ليفرق بينها وبين لام التوكيد نحو ليفعل فاعلم و ﴿ **رب العالمين** ﴾ مجرور على الصفة والعامل في الصفة عند أبي الحسن الأخفش كونه صفة فذلك الذي يرفعه وينصبه ويجرُّه وهو عامل معنوي كما أن المبتدأ إنما رفعه الابتداء وهو معنى عمل فيه واستدلَّ على أن الصفة لا يعمل فيه ما يعمل في الموصوف بأنك تجد في الصفات ما يخالف الموصوف في إعرابه نحو أيا زيد العاقل لأن المنادى مبني والعاقل الذي هو صفته معرب ودليل ثان وهو أن في هذه التوابع ما يعرب بإعراب ما يتبعه ولا يصح أن يعمل فيه ما يعمل في موصوفه وذلك نحو أجمع وجمع وجمعاء ولما صحَّ وجوب هذا فيها دلَّ على أن الذي يعمل في الموصوف غير عامل في الصفة لاجتماعهما في أنهما تابعان وقال غيره من النحويين العامل في الموصوف هو العامل في الصفة ومن نصب رب العالمين فإنما ينصبه على المدح والثناء كأنه لما قال الحمد لله استدل بهذا اللفظ على أنه ذاكر لله فكأنه قال اذكر رب العالمين فعلى هذا لو قرىء في غير القرآن رب العالمين مرفوعاً على المدح أيضاً لكان جائزاً على معنى هو رب العالمين قد الشاعر[1]:

لا يَبْعُدَنْ قَوْمِي الَّذيْنَ هُمُ ... سُمُّ العِداةِ وآفَةُ الجُزْرِ
النَّازلينَ بِكلِّ مُعتَرَكٍ ... والطَّيِّبون معاقِدُ الأُزْرِ

(١) قائله: خرنق بنت هفان القيسية .

وقد روي النازلون والنازلين والطيبون والطيبين والوجه في ذلك ما ذكرناه و ﴿ **العالمين** ﴾ مجرور بالإضافة والياء فيه علامة الجر وحرف الإعراب وعلامة الجمع والنون هنا عوض عن الحركة في الواحد وإنما فتحت فرقاً بينها وبين نون التثنية تقول هذان عالمان فتكسر نون الإثنين لالتقاء الساكنين وقيل إنما فتحت نون الجمع وحقها الكسر لثقل الكسرة بعد الواو كما فتحت الفاء من سوف والنون من أين ولم تكسر لثقل الكسرة بعد الواو والياء .

[**المعنى**] معنى الآية أن الأوصاف الجميلة والثناء الحسن كلها لله الذي تحق له العبادة لكونه قادراً على أصول النعم وفاعلاً لها ولكونه منشئاً للخلق ومربّياً لهم ومصلحاً لشأنهم، وفي الآية دلالة على وجوب الشكر لله على نعمه وفيها تعليم للعباد كيف يحمدونه .

﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ ﴾

قد مضى تفسيرها وإنما أعاد ذكر الرحمن والرحيم للمبالغة وقال علي بن عيسى الرمّاني في الأول ذكر العبودية فوصل ذلك بشكر النعم التي بها يستحق العبادة وهاهنا ذكر الحمد فوصله بذكر ما به يستحق الحمد من النعم فليس فيه تكرار .

﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ ﴾

[**الحجة**] اختلفوا في أن أي القراءتين أمدح فمن قرأ مالك قال إن هذه الصفة أمدح لأنه لا يكون مالكاً للشيء إلا وهو يملكه وقد يكون مِلكاً للشيء ولا يملكه كما يقال ملك العرب وملك الروم وإن كان لا يملكهم وقد يدخل في المالك ما لا يصح دخوله في الملك يقال فلان مالك الدراهم ولا يقال ملك الدراهم فالوصف بالمالك أعم من الوصف بالملك. والله مالك كل شيء وقد وصف نفسه بأنه مالك الملك يؤتي الملك من يشاء فوصفه بالمالك أبلغ في الثناء والمدح من وصفه بالملك ومن قرأ الملك قال أن هذه الصفة أمدح لأنه لا يكون إلا مع التعظيم والاحتواء على الجمع الكثير واختاره أبو بكر محمد بن السري السراج وقال أن الملك الذي يملك الكثير من الأشياء ويشارك غيره من الناس في ملكه بالحكم عليه وكل ملك مالك وليس كل مالك ملكاً وإنما قال تعالى ﴿ **مالك الملك** ﴾ لأنه تعالى يملك مُلوك الدُنيا وما ملكوا فمعناه أنه يملك مُلك الدنيا فيؤتي الملك فيها من يشاء فأما يوم الدّين فليس إلا ملكه وهو ملك الملوك

يملكهُمْ كُلّهُمْ وقد يَستعمل هذا في الناس،يُقال فلان ملك الملوك وأمير الأمراء ويُراد بذلك أن مِنْ دونه مُلوكاً وأمراء ولا يُقال مَلِك الملك ولا أمير الإمارة لأن أميراً وملكاً صفة غيرجارية على فعل فلا معنى لإضافتها إلى المصدر فأما إضافة ملك إلى الزمان فكما يقال ملك عام كذا وملوك الدهر الأول وملك زمانه وسيد زمانه فَهُوَ في المدح أبلغ والآية إنّما نزلت في الثناء والمَدْح لله ألا ترىٰ إلى قوله رب العالمين والرُبوبية والملك متشابهان وقال أبو علي الفارسي يشهد لمن قرأ مالك من التنزيل قوله تعالى ﴿ **والأمر يومئذ لله** ﴾ لأن قولك الأمر له وهُوَ مالك الأمر بمعنىً ألا ترى أن لام الجر معناها المِلك والاستحقاق وكذلك قوله تعالى : ﴿ **يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً** ﴾ يقوّي ذلك ويشهد لقراءة مَن قرأ ملك قوله تعالى : ﴿ **لمن الملك اليوم** ﴾ لأن اسم الفاعل من المُلك المِلك فإذا قال المُلك له ذات اليوم كان بمنزلة قوله هو مَلِك ذلك اليوم وهذا مع قوله فتعالى الله المَلِك الحق والملك القدوس ومَلِك الناس .

[**اللغة**] (الملك) القادر الواسع المقدرة الذي له السياسة والتدبير (والمالك) القادر على التصرف في ماله وله أن يتصرف فيه على وجه ليس لأحد منعه منه ويوصف العاجز بأنه مالك من جهة الحكم يقال مَلِك بيّن الملك بضم الميم ومالك بيّن الملك والملك بكسر الميم وفتحها وضم الميم لغة شاذة ويقال طالت مملكتهم الناس ومملكتهم بكسر اللام وفتحها ولي في هذا الوادي مُلك ومِلك وَمَلك ذكرها أبو علي الفارسي وقال الملك للشيء اختصاص من المالك به وخروجه من أن يكون مباحاً لغيره ومعنى الإباحة في الشيء كالاتساع فيه وخلاف الحصر والقصر على الشيء ألا تراهم قالوا باح السر وباحت الدار وقال أبو بكر محمد بن السري السراج الملك والملك يرجعان إلى أصل واحد وهو الربط والشد كما قالوا ملكت العجين أي شددته قال الشاعر :[١]

مَلَكْتُ بِهـا كَفِّي فَـأَنْهـرْتُ فَـتْقَـهـا يَـرَى قَـائمٌ مِن دُوْنِهـا مَـا وَرَاءَهَـا

يقول شددت بهذه الطعنة كفّي ومنه الأملاك ومعناه رباط الرجل بالمرأة و ﴿ **الدين** ﴾ معناه في الآية الجزاء قال الشاعر (واعلَمْ بأنّك ما تَدين تُدان) وهو قول سعيد بن جبير وقتادة وقيل الدين الحساب وهو المرويُّ عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليهما السلام

(١) قائله: قيس بن الحطيم الأوسي .

وابن عباس والدين الطاعة قال عمرو بن كلثوم :

وأيَّامٍ لَنَا غُرٍّ طِوَالٍ عَصَيْنَا المَلْكَ فيها أَمْ نَدِيْنا

والدين العادة قال الشاعر:(١)

تَقُوْلُ إِذَا دَرَأْتُ لَهَا وَضَيْنِي أَهَذا دِيْنُهُ أبداً ودَيْنِي

والدين القهر والاستعلاء قال الأعشى :

هُو دَانَ الرِبابَ إِذْ كَرِهُوا الدِّيْنِ دِرَاكاً بِغَزْوَةٍ واحْتِيَالِ (٢)
ثمَّ دانت بَعْدُ الرِّبَابُ وَكَانَتْ كَعَذَابٍ عَقُوْبَةُ الأقْوَالِ

ويدل على أن المراد به الجزاء والحساب قوله تعالى : ﴿ **اليوم تجزى كل نفس ما كسبت واليوم تجزون ما كنتم تعملون** ﴾ .

[**الاعراب**] ﴿ **مالك** ﴾ مجرور على الوصف لله تعالى وما جاء من النصب فعلى ما ذكرناه من نصب رب العالمين ويجوز أن ينصب رب العالمين ومالك يوم الدين على النداء كأنك قلت لك الحمد يا رب العالمين ويا مالك يوم الدين ومن قرأ ملك يوم الدين بإسكان اللام فاصله ملك فخفف كما يقال فخِذ وفخْذ ومن قرأ ملك يوم الدين جعله فعلاً ماضياً ويوم مجرور بإضافة ملك أو مالك إليه وكذلك الدين مجرور بإضافة يوم إليه وهذه الإضافة من باب يا سارق الليلة أهل الدار اتسع في الظرف فنصب نصب المفعول به ثم أضيف إليه على هذا الحد كما قال الشاعر أنشده سيبويه :

وَيَوْمٍ شَهِدْنَاهُ سُليما وعَامِراً قَلَيْلٍ سِوى الطَّعْنِ النّهالِ نَوَافِلُه

فكأنه قال هو ملك ذلك اليوم ولا يؤتي أحداً الملك فيه كما آتاه في الدنيا فلا ملك يومئذ غيره ومن قرأ مالك يوم الدين فإنه قد حذف المفعول به من الكلام للدلالة عليه وتقديره مالك يوم الدين الاحكام والقضاء لا يملك ذلك ولا يليه سواه [أي لا يكون أحد والياً سواه](٣) إنما خص يوم الدين بذلك لتفرده تعالى بذلك في ذلك اليوم وجميع

---

(١) قائله: خالد بن نوفل الكلابي .

(٢) وفي جملة من النسخ « صيال » بدل « احتيال » .

(٣) ما بين المعقفتين إنما هو في نسخة صيدا دون غيرها .

الخلق يضطرون إلى الإقرار والتسليم وأما الدنيا فليست كذلك فقد يحكم فيها ملوك ورؤساء وليست هذه الإضافة مثل قوله تعالى وعنده علم الساعة لأن الساعة مفعول بها على الحقيقة وليست مفعولاً بها على السعة لأن الظرف إذا جعل مفعولاً على السعة فمعناه معنى الظرف ولو كانت الساعة ظرفاً لكان المعنى يعلم في الساعة وذلك لا يجوز لأنه تعالى يعلم في كل وقت والمعنى أنه يعلم الساعة أي يعرفها.

[**المعنى**] أنه سبحانه لما بيَّن ملكه في الدنيا بقوله رب العالمين بيَّن أيضاً ملكه في الآخرة بقوله مالك يوم الدين وأراد باليوم الوقت وقيل أراد به امتداد الضياء إلى أن يفرغ من القضاء ويستقر أهل كل دار فيها وقال أبو علي الجبائي أراد به يوم الجزاء على الدين وقال محمد بن كعب أراد يوم لا ينفع إلا الدين وإنما خصَّ يوم القيامة بذكر الملك فيه تعظيماً لشأنه وتفخيماً لأمره كما قال رب العرش وهذه الآية دالة على إثبات المعاد وعلى الترغيب والترهيب لأن المكلف إذا تصور ذلك لا بد أن يرجو ويخاف .

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝﴾

[**اللغة**] العبادة في اللغة هي الذلة يقال طريق معبّد أي مذلل بكثرة الوطء قال طرفة :

تُبَارِي عِتَاقاً ناجِياتٍ وَأَتْبعَت ... وَظِيفاً وظِيفاً فَوْقَ مَورٍ مُعبَّد

وبعير معبّد إذا كان مطلياً بالقطران وسُمّي العَبد عبداً لذلته وانقياده لمولاه والاستعانة طلب المعونة يقال استعنته واستعنت به .

[**الإعراب**] قال أبو إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج موضع إياك نصب بوقوع الفعل عليه وموضع الكاف في إياك خفض بإضافة إيا إليها وإيا اسم للضمير المنصوب إلا أنه ظاهر يضاف إلى سائر المضمرات نحو قولك إيّاك ضربت وإيّاه ضربت وإيّاي حدثت ولو قلت ايّا زيد حدثت كان قبيحاً لأنه خص به المضمر وقد روى الخليل عن العرب إذا بلغ الرجل الستين فايّاه وايّا الشوابّ وهذا كلام الزجاج ورد عليه الشيخ أبو علي الفارسي فقال ان ايّا ليس بظاهر بل هو مضمر يدل على ذلك تغير ذاته وامتناع ثباته في حال الرفع والجر وليس كذلك الإسم الظاهر ألا ترى أنه يعتقب عليه الحركات في آخره ويحكم له بها في موضعه من غير تغير نفسه فمخالفته للمظهر فيما وصفناه يدل على أنه مضمر ليس

بمظهر قال وحكى السراج عن المبرد عن أبي الحسن الأخفش أنه اسم مفرد مضمر يتغير آخره كما تتغير أواخر المضمرات لاختلاف أعداد المضمرين والكاف في إياك كالتي في ذلك وهي دالة على الخطاب فقط مجردة عن كونها علامة للمضمر فلا محل لها من الإعراب وأقول وهكذا الحكم في إياي وإيانا وإياه وإياها في أنها حروف تلحق ايّا فالياء في إياي دليل على التكلم والهاء في إياه تدل على الغيبة لا على نفس الغائب ويجري التأكيد على إيّا منصوباً تقول إياك نفسك رأيت وإياه نفسه ضربت وإياهم كلهم عنيت فاعرفه ولا يجيز أبو الحسن إياك وايّا زيد ويستقل روايتهم عن العرب إذا بلغ الرجل الستين فإياه وإيّا الشواب ويحمله على الشذوذ لأن الغرض في الإضافة التخصيص والمضمر على نهاية التخصيص فلا وجه إذاً لإضافته والأصل في نستعين نستعوِن لأنه من المعونة والعون لكن الواو قلبت ياء لثقل الكسرة عليها فنقلت كسرتها إلى العين قبلها فتصير الياء ساكنة لأن هذا من الإعلال الذي يتبع بعضه بعضاً نحو أعان يعين وقام يقوم وفي شرحه كلام وربما يأتي مشروحاً فيما بعد إن شاء الله وقوله نعبد ونستعين مرفوع لوقوعه موقعاً يصلح للإسم ألا ترى أنك لو قلت أنا عابدك وأنا مستعينك لقام مقامه وهذا المعنى عمل فيه الرفع وأما الإعراب في الفعل المضارع فلمضارعته الإسم لأن الأصل في الفعل البناء وإنما يعرب منه ما شابه الأسماء وهو ما لحقت أوله زيادة من هذه الزيادات الأربع التي هي الهمزة والنون والتاء والياء .

[**المعنى**] قوله تعالى : ﴿ **إياك نعبد وإياك نستعين** ﴾ أدل على الاختصاص من أن نقول نعبدك ونستعينك لأن معناه نعبدك ولا نعبد سواك ونستعينك ولا نستعين غيرك كما إذا قال الرجل إياك أعني فمعناه لا أعني غيرك ويكون أبلغ من أن يقول أعنيك والعبادة ضرب من الشكر وغاية فيه لأنها الخضوع بأعلى مراتب الخضوع مع التعظيم بأعلى مراتب التعظيم ولا يستحق إلا بأصول النعم التي هي خلق الحياة والقدرة والشهوة ولا يقدر عليه غير الله تعالىٰ فلذلك اختص سبحانه بأن يعبد ولا يستحق بعضنا على بعض العبادة كما يستحق بعضنا على بعض الشكر وتحسن الطاعة لغير الله تعالى ولا تحسن العبادة لغير وقول من قال أن العبادة هي الطاعة للمعبود يفسد بأن الطاعة موافقة الأمر وقد يكون موافقاً لأمره ولا يكون عابداً له ألا ترى أن الإبن يوافق أمر الأب ولا يكون عابداً له وكذلك العبد يطيع مولاه ولا يكون عابداً له بطاعته إياه والكفار يعبدون الأصنام ولا يكونون مطيعين لهم إذ لا يتصور من جهتهم الأمر ومعنى قوله إياك نستعين إياك نستوفق ونطلب المعونة على عبادتك وعلى أمورنا كلها والتوفيق هو أن يجمع بين جميع الأسباب التي يحتاج إليها في

حصول الفعل ولهذا لا يقال فيمن أعان غيره وفّقه لأنه لا يقدر أن يجمع بين جميع الأسباب التي يحتاج إليها في حصول الفعل وأما تكرار قوله إياك فلأنه لو اقتصر على واحد رُبّما توهم مُتَوّهم أنه لا يَتقرب إلى الله تعالى إلا بالجمع بينهما ولا يمكنه أن يفصل بينهما وُهَو إذا تفكر في عظمة الله تعالى كان عبادة وإن لم يستعن به وقيل أنه جمع بينهما للتأكيد كما يقال الدار بين زيد وبين عمرو ولو اقتصر على واحد فقيل بين زيد وعمرو كان جائزاً قال عدي بن زيد :

وجَاعِلُ الشَّمْسِ مِصْراً لَا خَفَاءَ بِهِ ... بَيْنَ النَّهـارِ وبَينَ اللَّيْلِ قَـدْ فَصَـلا

وقال أعشى همدان :

بَـينَ الأَشَـجِّ وبَـيـنَ قَـيْسٍ بـاذِخٌ ... بَـخْ بَـخْ لِـوَالـدِه وَلِـلْـمَـوْلـود

وهذا القول فيه نظر لأن التكرير إنما يكون تأكيداً إذا لم يكن محمولاً على فعل ثان وإياك الثاني في الآية محمول على نستعين ومفعول له فكيف يكون تأكيداً وقيل أيضاً أنه تعليمَ لنا في تجديد ذكره تعالى عِند كل حاجة فإن قيل أن عبادة الله تعالى لا تتأتى بغير إعانة مِنه فكان يجب أن يقدم الإستعانة على العبادة فالجواب أنه قدم العبادة على الإستعانة لا على الإعانة وقد تأتي بغير استعانة وأيضاً فإن أحدهما إذا كان مرتبطاً بالآخر لم يختلف التقديم والتأخير كما يقال قضيت حقي فأحسنت إلي وأحسنت إلي فقضيت حقّي وقيل أن السؤال للمعونة إنما يقع على عبادة مستأنفة لا على عبادة واقعة منهم وإنما حسن طلب المعونة وإن كان لا بد منها مع التكليف عَلىٰ وجْه الإنْقِطاع إليه تعالى كقوله رب احكم بالحِق ولأنه ربما لا يكون اللطف في إدامة التكليف ولا في فعل المعونة به إلا بعد تقديم الدعاء من العبد وقد أخطأ من استدل بهذه الآية على أن القدرة مع الفعل من حيث أن القدرة لو كانت متقدمة لما كان لطلب المعونة وجه لأن للرغبة إلى الله تعالى في طلب المعونة وَجْهين أَحَدهُما أن يسأل الله تعالى من ألطافه وما يقوي دواعيه ويسهل الفعل عليه ما ليس بحاصل ومتى لطف له بأن يعلمه أن له في فعله الثواب العظيم زاد ذلك في نشاطه ورغبته والثاني أن يطلب بقاء كونه قادراً على طاعته المستقبلة بأن تجدد له القدرة حالاً بعد حال عند من لا يقول ببقائها وأن لا يفعل ما يضادها وينفيها عند من قال ببقائها وأما العدول عن الخبر إلى الخطاب في قوله إياك نعبد إلى آخر السورة فعلى عادة العرب المشهورة وأشعارهم من ذلك مملوءة قال لبيد :

بَـاتَتْ تَشكّـى إليَّ النَّفْسَ مُجْهِشَـةً ... وقَـدْ حَمَلْتُـكِ سَبْعـاً بَعْدَ سَبْعِينـا

وقال أبو كثير الهذلي :

يَـا لَهْفَ نَفْسِي كـانَ جِـدَّةُ خـالِـدٍ وبَـيـاضُ وَجْهِـكَ لِلتُّرَابِ الأعْفَـرِ

فرجع من الاخبار عن النفس إلى مخاطبتها في البيت الأول ومن الأخبار عن خالد إلى خطابه في البيت الثاني وقال الكسائي تقديره قولوا إياك نعبد أو قل يا محمد هذا كما قال الله تعالى ﴿ **ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم عند ربهم ربنا أبصرنا** ﴾ وقال ﴿ **والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام** ﴾ أي يقولون سلام .

﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ ﴾

[**القراءة**] قرأ حمزة باشمام الصاد الزاي إلا العجلي وبرواية خلاد وابن سعدان يشم هٰهنا في الموضعين فقط وقرأ الكسائي من طريق أبي حمدون باشمام السين ويعقوب من طريق رويس بالسين والباقون بالصاد .

[**الحجة**] الأصل في الصراط السين لأنه مشتق من السرط ومسترط الطعام ممره ومنه قولهم سر طراط والأصل سريط فمن قرأ بالسين راعى الأصل ومن قرأ بالصاد فلما بين الصاد والطاء من المؤاخاة بالاستعلاء والإطباق ولكراهة أن يتسفل بالسين ثم يتصعد بالطاء في السراط وإذا كانوا قد أبدلوا من السين الصاد مع القاف في صقب وصويق ليجعلوها في استعلاء القاف مع بعد القاف من السين وقرب الطاء منها فأن يبدلوا منها الصاد مع الطاء أجدر من حيث كان الصاد إلى الطاء أقرب ألا ترى أنهما جميعاً من حروف طرف اللسان وأصول الثنايا وأن الطاء تدغم في الصاد ومن قرأ باشمام الزاي فللمؤاخاة بين السين والطاء بحرف مجهور من مخرج السين وهو الزاي من غير إبطال الأصل .

[**اللغة**] الهداية في اللغة الإرشاد والدلالة على الشيء يقال لمن يتقدم القوم ويدلهم على الطريق هاد خريت أي دال مرشد قال طرفة :

لِـلْفَتـى عَقْـلٌ يَـعِيشُ بـهِ حَيْثُ تَهْـدِي سَـاقَـهُ قَـدَمُـه

والهداية التوفيق قال :

فَـلَا تَعْجَلَنَّ هَداكَ الْمَلِيكْ فَـإنَّ لِكُـلِّ مَقَـامٍ مَقـالا

أي وفقك والصراط الطريق الواضح المتسع وسمي بذلك لأنه يسرط المارة أي

يبتلعها والمستقيم المستوي الذي لا اعوجاج فيه قال جرير :

أَمِيرُ ٱلْمُؤمِنِينَ عَلى صِراطٍ إِذَا ٱعْوَجَّ الْمَوارِدُ مُسْتَقِيمِ

[**الإعراب**] إهدِنا مبني على الوقف وفاعله الضمير المستكن فيه لله تعالى والهمزة مكسورة لأن ثالث المضارع مِنْهُ مَكسور وَموْضع النُون والألف من اهْدنا نصب لأنه مفعول به والصِراط منصوبُ لأنه مفعول ثان.

[**المعنى**] قيل في معنى اهدنا وجوه (أحدها) أن معناه ثبتنا على الدين الحق لأن الله تعالى قد هدى الخلق كلهم إلا أن الإنسان قد يزلُّ وترد عليه الخواطر الفاسدة فيحسن أن يسأل الله تعالى أن يثبته على دينه ويديمه عليه ويعطيه زيادات الهدى التي هي إحدى أسباب الثبات على الدين كما قال الله تعالى **﴿والذين اهتدوا زادهم هدى﴾** وهذا كما يقول القائل لغيره وهو يأكل كل أي دُم على الأكل (وثانيها) أن الهداية هي الثواب لقوله تعالى : **﴿ يهديهم ربهم بإيمانهم ﴾** فصار معناه إهْدِنا إلىٰ طَريق الجَنّة ثواباً لنا ويؤيّدُه قوله **﴿ الحمد لله الذي هدانالهذا ﴾** (وثالثها) أن المراد دلنا على الدين الحق في مستقبل العمر كما دللتنا عليه في الماضي ويجوز الدعاء بالشيء الذي يكون حاصلاً كقوله تعالى : **﴿ قل رب احكم بالحق ﴾** وقوله حكاية عن إبراهيم عليه السلام : **﴿ ولا تخزني يوم يبعثون ﴾** وذلك أن الدعاء عبادة وفيه إظهار الانقطاع إلى الله تعالى فإن قيل ما معنى المسألة في ذلك وقد فعله الله بجوابه أنه يجوز أن يكون لنا في الدعاء به مصلحة في ديننا وهذا كما تعبّدنا بأن نكرر التسبيح والتحميد والإقرار لربنا عزَّ اسمه بالتوحيد وإن كنا معتقدين لجميع ذلك ويجوز أن يكون الله تعالى يعلم أن أشياء كثيرة تكون أصلح لنا إذا سألناه وإذا لم نسأله لا تكون مصلحة فيكون ذلك وجهاً في حسن المسألة ويجوز أن يكون المُراد اِستمرار التكليف والتعريض لِلثواب لأن إدامته لَيس بواجب بَلْ هُو تفضل محض فجاز أن يرغب إليه فيه بالدعاء وقيل في معنى الصراط المستقيم وجوه .

(أحدها) أنه كتاب الله وهو المروي عن النبي صلى الله عليه وآله وعن علي عليه السلام وابن مسعود (وثانيها) أنه الإسلام وهو المروي عن جابر وابن عباس (وثالثها) أنه دين الله الذي لا يقبل من العباد غيره عن محمد بن الحنفية (والرابع) أنه النبي ﷺ والأئمة القائمون مقامه وهُوَ المَروي في أخبارنا والأولى حمل الآية على العموم حتى يدخل جميع ذلك فيه لأن الصراط المستقيم هو الدين الذي أمر الله به من التوحيد والعدل وولاية من أوجب الله طاعته .

﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧ ﴾

[القراءة] قرأ حمزة عليهم بضم الهاء وإسكان الميم وكذلك لديهم وإليهم وقرأ يعقوب بضم كل هاء قبلها ياء ساكنة في التثنية والجمع المذكر والمؤنث نحو عليهما وفيهما وعليهم وفيهم وعليهن وفيهن وقرأ الباقون عليهم وأخواتها بالكسر وقرىء في الشواذ عليهموا قراءة ابن أبي إسحاق وعيسى الثقفي وعليهمي قراءة الحسن البصري وعمر بن قايد وعليهم مكسورة الهاء مضمومة الميم بغير واو وعليهم مضمومة الهاء والميم من غير بلوغ واو مرويتان عن الأعرج فهذه سبع قراءات ثم اختلف القراء في الميم فأهل الحجاز وصلوا الميم بواو انضمت الهاء قبلها أو انكسرت قالوا عليهموا وعلى قلوبهموا وعلى سمعهموا ومنهموا ولهموا إلا أن نافعاً اختلف عنه فيه والباقون بسكون(١) الميم فأما إذا لقي الميم حرف ساكن فإن القراء اختلفوا فأهل الحجاز وعاصم وابن عامر يضمون على كسر الهاء ويضمون الميم نحو عليهم الذلة ومن دونهم امرأتين وأبو عمرو يكسر الهاء والميم وحمزة والكسائي يضمان الهاء والميم معا وكل هذا الاختلاف في الهاء التي قبلها كسرة أو ياء ساكنة فإذا جاوزت هذين الأمرين لم يكن في الهاء إلا الضم وقرأ صراط من أنعمت عليهم عمر بن الخطاب وعمرو بن عبد الله الزبيري وروي ذلك عن أهل البيت عليهم السلام وقرىء أيضاً في الشواذ غير المغضوب عليهم بالنصب وقرأ غير الضالين عمر بن الخطاب وروي ذلك عن علي عليه السلام .

[**الحجة**] من قرأ عليهم بضم الهاء فإنه رده إلى الأصل لأنه إذا انفرد من حروف يتصل بها قيل هم فعلوا بضم الهاء قال السراج وهي القراءة القديمة ولغة قريش وأهل الحجاز ومن حولهم من فصحاء اليمن وإنما خص حمزة هذه الحروف الثلاثة بالضم لأن الياء قبلها كانت ألفاً مثل على القوم ولدى القوم وإلى القوم ولا يجوز كسر الهاء إذا كان قبلها ألف ومن قرأ عليهموا فإنه اتبع الهاء ما أشبهها وهو الياء وترك ما لا يشبه الياء والألف على الأصل وهو الميم ومن قرأ عليهم فكسر الهاء وأسكن الميم فلأنه أمن اللبس إذا كانت الألف في التثنية قد دلّت على الإثنين ولا ميم في الواحد فلما لزمت الميم الجمع حذفوا الواو وأسكنوا الميم طلباً للتخفيف إذا كان ذلك لا يشكل وإنما كسر الهاء مع أن

(١) وفي بعض النسخ «يسكنون» بدل «بسكون».

الأصل الضم للياء التي قبلها ومن قرأ عليهموا فلأنه الأصل لأن وسيلة هذه الواو في الجمع وسيلة لألف في التثنية أعني أن ثبات الواو كثبات الألف ومن قرأ عليهمي فإنه كسر الهاء لوقوع الياء قبلها ساكنة وكسر الميم كراهة للخروج من كسرة الهاء إلى ضمة الميم ثم انقلبت الواو ياء لسكونها وانكسار ما قبلها ومن كَسَر الهاء وضم الميم وحذف الواو فإنه احتمل الضمة بعد الكسرة لأنها غير لازمة إذا كانت ألف التثنية تفتحها لكنه حذف الواو تفادياً من ثقلها مع ثقل الضمة ومن قرأ عليهم فإنه حذف الواو استخفافاً واحتمل الضمة قبلها دليلاً عليها وأما من ضم الميم إذا لقيها ساكن وكسر الهاء فإنما يحتج بأن يقول لما احتجت إلى الحركة رددت الحرف إلى أصله فضممت وتركت الهاء على كسرها لأنه لم تأت ضرورة تحوج إلى ردها إلى الأصل ولأن الهاء إنما تبعت الياء لأنها شبّهت بها ولم يتبعها الميم لبعدها منه واحتج من كسر الميم والهاء بأن قال أتبعت الكسر الكسر لثقل الضم بعد الكسر قال سيبويه الهاء تكسر إذا كان قبلها ياء أو كسرة لأنها خفيفة وهي من حروف الزيادة كما أن الياء من حروف الزيادة وهي من موضع الألف وهي أشبه الحروف بالياء وكما أمالوا الألف في مواضع استخفافاً كذلك كسروا هذه الهاء وقلبوا الواو ياء لأنه لا تثبت واو ساكنة وقبلها كسرة كقولك مررت بهي ومررت بدارهي قبل .

[الإعراب] ﴿ صراط الذين ﴾ صفة لقوله ﴿ الصراط المستقيم ﴾ ويجوز أن يكون بدلاً عنه الفصل بين الصفة والبدل أن البدل في تقدير تكرير العامل بدلالة تكرير حرف الجر في قوله تعالى : ﴿ قال الذين استكبروا للذن استضعفوا لمن آمن منهم ﴾ وليس كذلك الصفة فكما أعيدت اللام الجارة في الإسم فكذلك العامل الرافع أو الناصب في تقدير التكرير فكأنه قال اهدنا صراط الذين وليس يخرج البدل وإن كان كذلك عن أن يكون فيه تبيين للأول كما أن الصفة كذلك ولهذا لم يجز سيبويه المسكين بي[1] كان الأمر ولا بك المسكين كما أجاز ذلك في الغائب نحو مررت به المسكين والذين موصول وأنعمت عليهم صلة وقد تم بها اسماً مفرداً يكون في موضع جر بإضافة صراط إليه ولا يقال في موضع الرفع اللذون لأنه اسم غير متمكن وقد حكي اللذون شاذاً كما حكي الشياطون في حال الرفع وأما غير المغضوب عليهم ففي الجر فيه ثلاثة أوه (أحدها) أن يكون بدلاً من الهاء والميم في عليهم كقول الشاعر :

عَلَى حَالَةٍ لَوْ أَنَّ في ٱلقَوْمِ حاتماً عَلَى جُودِهِ لَضنَّ بِالْمَاءِ حَاتم

(١) والصحيح « بي المسكين » بتقديم الجار .

فجر حاتم على البدل من الهاء في جوده (وثانيها) أن يكون بدلاً من الذين (وثالثها) أن يكون صفة للذين وإن كان أصل غير أن يكون صفة للنكرة تقول مررت برجل غيرك كأنك قلت مررت برجل آخر أو برجل ليس بك قال الزجاج وإنما جاز ذلك لأن الذين ههنا ليس بمقصود قصدهم فهو بمنزلة قولك إني لأمُرُّ بالرجل مثلك فأكرمه وقال علي بن عيسى الرماني إنما جاز أن يكون نعتاً للذين لأن الذين بصلتها ليست بالمعرفة الموقتة كالاعلام نحو زيد وعمرو وإنما هي كالنكرات إذا عرِّفت نحو الرجل والفرس فلما كانت الذين كذلك كانت صفتها كذلك أيضاً كما يقال لا أجلس إلا إلى العالم غير الجاهل ولو كانت بمنزلة الإعلام لما جاز كما لم يجز مررت بزيد غير الظريف بالجر على الصفة وقال أبوبكر السراج والذي عندي أن غير في هذا الموضع مع ما أضيف إليه معرفة لأن حكم كل مضاف إلى معرفة أن يكون معرفة وإنما تنكرت غير ومثل مع اضافتهما إلى المعارف من أجل معناهما وذلك أنك إذا قلت رأيت غيرك فكل شيء ترى سوى المخاطب فهو غيره وكذلك إذا قلت رأيت مثلك فما هو مثله لا يحصى فأما إذا كان شيئاً معرفة له ضد واحد وأردت اثباته ونفي ضده فعلم ذلك السامع فوصفته بغير وأضفت غير إلى ضده فهو معرفة وذلك نحو قولك عليك بالحركة غير السكون فغير السكون معرفة وهي الحركة فكأنك كررت الحركة تأكيداً فكذلك قوله تعالى : ﴿ الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ﴾ فغير المغضوب هم الذين أنعم الله عليهم فمتى كانت غير بهذه الصفة فهي معرفة وكذلك إذا عرف إنسان بأنه مثلك في ضرب من الضروب فقيل فيه قد جاء مثلك كان معرفة إذا أردت العروف بشبهك قال ومن جعل غير بدلاً استغنى عن هذا الاحتجاج لأن النكرة قد تبدل من المعرفة وفي نصب غير ثلاثة أوجه أيضاً (أحدها) أن يكون نصباً على الحال من المضمر في عليهم والعامل في الحال أنعمت فكأنه قال صراط الذين أنعمت عليهم لا مغضوباً عليهم (وثانيها) أن يكون نصباً على الاستثناء المنقطع لأن المغضوب عليهم من غير جنس المنعم عليهم (وثالثها) أن يكون نصباً على أعني كأنّه قال أعني غير المغضوب عليهم ولم يجز أن يقال غير المغضوبين عليهم لأن الضمير قد جمع في عليهم فاستغنى عن أن يجمع المغضوب وهذا حكم كل ما تعدى بحرف جر تقول رأيت القوم غير المذهوب بهم استغنيت بالضمير المجرور في بهم عن جمع المذهوب وأما لا من قوله ﴿ ولا الضالين ﴾ فذهب البصريون إلى أنها زائدة لتوكيد النفي وذهب الكوفيون إلى أنها بمعنى غير ووجه قول البصريين أنك إذا قلت ما قام زيد وعمرو احتمل أن تريد ما قاما معاً ولكن قام كل واحد منهما بانفراده فإذا قلت ما قام زيد ولا عمرو زال الاحتمال وغير متضمن معنى

النفي ولهذا أجاز النحويون أنت زيداً غير ضارب لأنه بمنزلة قولك أنك أنت زيداً لا ضارب ولا يجوّزون أنت زيداً مثل ضارب لأن زيداً من صلة ضارب ولا يتقدم عليه وقال علي بن عيسى الرماني من نصب على الاستثناء جعل لا صلة كما أنشد أبو عبيدة (في بِئْرٍ لا حُورٍ سَرىٰ وَمَا شَعَرَ) ي في بئر هلكة وتقديره غير المغضوب عليهم والضالين كما قال ما منعك أن لا تسجد بمعنى أن تسجد .

[**المعنى واللغة**] معنى الآية بيان الصراط المستقيم أي صراط من أنعمت عليهم بطاعتك وهم الذين ذكرهم الله تعالى في قوله ﴿ **مَنْ يطِع الله والرّسول فأولٰئكَ مَعَ الذين أنعَمَ اللهُ عَلَيهِم مِنَ النَّبيينَ والصِّديقينَ والشُهداءِ والصَّالحِينَ** ﴾ وأصل النعمة المبالغة والزيادة يقال دققت الدواء فأنعمت دقه أي بالغت في دقه وهذه النعمة وإن لم تكن مذكورة في اللفظ فالكلام يدل عليها لأنه لما قال اهدنا الصراط المستقيم وقد بينا المراد بذلك بيّن أن هذا صراط من أنعم عليهم به ولم يحتج إلى إعادة اللفظ كما قال النابغة :

كَـأنَّـكَ مِن جِمَـالِ بَني أُقَيْشٍ　　يُـقَعْـقَـعُ خَـلْـفَ رَجْـلَـيْـهِ بِـشَـنِّ

أي كأنك من جمالهم جمل يقعقع خلف رجليه وأراد بالمغضوب عليهم اليهود عند جميع المُفسّرين الخاص والعام ويدل عليه قوله تعالى ﴿**من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القِرَدَةَ والخَنازيرَ**﴾ وهؤلاء هم اليهود بدلالة قوله تعالى ﴿**ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين**﴾ وأراد بالضالين النصارى بدلالة قوله تعالى : ﴿ **ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل** ﴾ وقال الحسن البصري أن الله تعالى لم يبرء اليهود من الضلالة بإضافة الضلالة إلى النصارى ولم يبرء النصارى من الغضب بإضافة الغضب إلى اليهود بل كل واحدة من الطائفتين مغضوب عليهم وَهُمْ ضالون إلا أن الله تعالى يخص كل فريق بسمة يعرف بها ويميز بينه وبين غيره بها وإن كانوا مشتركين في صفات كثيرة وقيل المراد بالمغضوب عليهم والضالين جميع الكفار وإنما ذكروا بالصفتين لاختلاف[1] الفائدتين واختار الإمام عبد القاهر الجرجاني قولاً آخر قال إن حق اللفظ فيه أن يكون خرج مخرج الجنس كما تقول نعوذ بالله أن يكون حالنا حال المغضوب عليهم فإنك لا تقصد به قوماً بأعيانهم ولكنك تريد ما تريده بقولك إذا قلت اللهم اجعلني ممن أنعمت عليهم ولا تجعلني مِمّن غضبت عليهم فلا تريد أن هٰهنا

(١) [المخالفة له] .

قوماً بأعيانهم قد اختصوا بهذه الصفة التي هي كونهم منعماً عليهم وليس يخفى على من عرف الكلام أن العقلاء يقولون اجعلني ممن تديم له النعمة وهم يريدون أن يقولوا أدم عليَّ النعمة ولا يشك عاقل إذا نظر لقول عنترة :

وَلَقَدْ نَزَلْتِ فَلا تَظُنِّي غَيْرَهُ مِنِّي بِمنزِلَةِ المُحَبِّ المُكْرَمِ

إنه لم يرد أن يشبهها بإنسان هو محب مكرم عنده أو عند غيره ولكنه أراد أن يقول أنك محبة مكرمة عندي وأما الغضب من الله تعالى فهو إرادته انزال العقاب المستحق بهم ولعنهم وبراءته منهم وأصل الغضب الشدة ومنه الغضبة وهي الصخرة الصلبة الشديدة المركبة في الجبل والغضوب الحية الخبيثة والناقة العبوس وأصل الضلال الهلاك ومنه قوله **﴿أإذا ضللنا في الأرض﴾** أي هلكنا ومنه قوله **﴿وأضل أعمالهم﴾** أي أهلكها والضلال في الدّين الذهاب عن الحّق وإنما لم يقل الذين أنعمت عَلَيهِمْ غير الذين غضبت عليهم مراعاة للأدب في الخِطاب واختياراً لِحُسن اللفظ المُسْتطاب وفي تفسير العَياشي رحمه الله روى محمد بن مسلم عن أبي عبد الله عليه السلام قال سألته عن قوله تعالى : **﴿ ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم ﴾** قال فاتحة الكتاب يثني فيها القول قال وقال رسول الله صلى الله عليه وآله أن الله تعالى منَّ عليَّ بفاتحة الكتاب من كنز الجنة فيها بسم الله الرحمن الرحيم الآية التي يقول الله فيها : **﴿ وإذا ذكرت ربك في القرآن وَحده ولّوا على أدبارهم نفوراً والحمد لله رب العالمين ﴾** دعوى أهل الجنة حين شكروا لله حسن الثواب ومالك يوم الدين قال جبرائيل عليه السلام ما قالها مسلم إلا صدّقه الله تعالى وأهل سمائه إياك نعبد اخلاص للعبادة وإياك نستعين أفضل ما طلب به العباد حوائجهم اهدنا الصراط المستقيم صراط الانبياء وهم الذين أنعم الله عليهم غير المغضوب عليهم اليهود ولا الضالين النصارى وروى محمد الحلبي عن أبي عبد الله عليه السلام أنه كان يقرأ ملك[1] يوم الدين ويقرأ اهدنا صراط[2] المستقيم وفي رواية أخرى يعني أمير المؤمنين (ع) وروى جميل عن أبي عبد الله عليه السلام قال إذا كنت خلف امام ففرغ من قراءة الفاتحة فقل أنت من خلفه الحمد لله رب العالمين وروى فضيل بن يسار عنه عليه السلام قال إذا قرأت الفاتحة ففرغت من قراءتها فقل الحمد لله رب العالمين .

(١) كذا في نسختنا المخطوطة والمطبوعة لكن في نسخة صيدا « مالك » بدل « ملك » .

(٢) كذا في نسخة مخطوطة وهو الظاهر لكن في نسخة صيدا كغيرها « الصراط » بالألف واللام .

[النظم] وأما نظم هذه السورة فأقول فيه ان العاقل المميز إذ عرف نعم الله سبحانه بالمشاهدة وكان له من نفسه بذلك أعدل شاهد وأصدق رائد ابتدأ بآية التسمية استفتاحاً باسم المنعم واعترافاً بآلهيته واسترواحاً إلى ذكر فضله ورحمته ولما اعترف بالمنعم الفرد اشتغل بالشكر له والحمد فقال الحمد لله ولمّا رأى نعم الله تعالى على غيره واضحة كما شاهد آثارها على نفسه لائحة عرف أنه رب الخلائق أجمعين فقال رب العالمين ولما رأى شمول فضله للمربوبين وعموم رزقه للمرزوقين قال الرحمن ولمّا رأى تقصيرهم في واجب شكره وتعذيرهم في الانزجار عند زجره واجتناب نهيه وامتثال أمره وأنه تعالى يتجاوز عنهم بالغفران ولا يؤاخذهم عاجلاً بالعصيان ولا يسلبهم نعمه بالكفران قال الرحيم ولما رأى ما بين العباد من التباغي والتظالم والتكالم والتلاكم وان ليس بعضهم من شر بعض بسالم على أن وراءهم يوماً ينتصف فيه للمظلوم من الظالم فقال مالك يوم الدين وإذا عرف هذه الجملة فقد علم ان له خالقاً رازقاً رحيماً يحيي ويميت ويبدىء ويعيد وهو الحيّ لا يشبهه شيء والإله الذي لا يستحق العبادة سواه ولما صار الموصوف بهذا الوصف كالمدرك له بالعيان المشاهد بالبرهان تحول عن لفظ الغيبة إلى لفظ الخطاب فقال إياك نعبد وهذا كما ان الإنسان يصف الملك بصفاته فإذا رآه عدل عن الوصف إلى الخطاب ولما رأى اعتراض الاهواء والشبهات وتعاور الآراء المختلفات ولم يجد معيناً غير الله تعالى سأله الاعانة على الطاعات بجميع الاسباب لها والوصلات فقال وإياك نستعين ولما عرف هذه الجملة وتبين له انه بلغ من معرفة الحق المدى واستقام على منهج الهدى ولم يأمن العثرة لارتفاع العصمة سأل الله تعالى التوفيق للدوام عليه والثبات والعصمة من الزلات فقال اهدنا الصراط المستقيم وهذا لفظ جامع يشتمل على مسألة معرفة الاحكام والتوفيق لاقامة شرائع الاسلام والاقتداء بِمَن أوجب الله طاعته من أئمة الانام واجتناب المحارم والآثام وإذا علم ذلك علـم أن لله سبحانه عباداً خصَّهم بنعمته واصطفاهُمْ على بريّته وجعلهم حججاً على خليقته فسأله أن يلحقه بِهِمْ ويسلك به سبيلهم وأن يعصمه عن مثل احوال الزالين المزلين والضالين المضلين ممن عاند الحق وعمي عن طريق الرشد وخالف سبيل القصد فغضب الله عليه ولعنه واعدّ له الخزي المقيم والعذاب الأليم أوشك في واضح الدَليل فضلَّ عَنْ سَواء السبيل فقال صراط الذّين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين .

(١) [وأنت في الصلاة] .

سُورَةُ البَقَرَةِ مَدَنِيَّةٌ
وَآيَاتهَا سِتٌّ وَثَمَانون وَمَائتَان

مدنية كُلّها إلا آية واحدة منها وهي قوله ﴿واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله﴾ الآية فإنها نزلت في حجة الوداع بمِنى عدد آيها مائتان وست وثمانون آية في العدد الكوفي وهو ٢٨٦ العدد المروي عن أمير المؤمنين علي عليه السلام وسبع في العدد البصري وخمس ٢٨٧ حجازي وأربع شامي خلافها إحدى عشر آية عد الكوفي الم آية وعد البصري الا خائفين آية وقولاً معروفاً بصريّ عذاب اليم شاميّ مصلحون غيرهم يا أولي الألباب عراقيّ والمدني الأخير من خلاف الثاني غير المدني الاخير يسألونك ماذا ينفقون مكّي والمدني الأول تتفكرون كوفيّ وشاميّ والمدني الأخير الحي القيوم مكيّ بصريّ والمدني الأخير من الظلمات إلى النور المدني الأول وروي عن أهل مكة ولا يضار كاتب ولا شهيد .

[فَضْلُها] أُبيٌّ بن كعب عَن النبّي صَلّى الله عَليه وآلهِ قال من قرأها فَصَلَوات الله عَليه ورحمته وأعطي من الأجر كالمرابط في سبيل الله سنة لا تُسكن رَوعته وقال لي يا أبيُّ مر المسلمين ان يتعلموا سورة البقرة فإن تعلمها بركة وتركها حسرة ولا يستطيعها البطلة قلت يا رسول الله ما البطلة قال السحرة وروى سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله أن لكل شيء سناماً وسنام القرآن سورة البقرة من قرأها في بيته نهاراً لم يدخل بيته شيطان ثلاثة أيام ومن قرأها في بيته ليلاً لَمْ يدخله شيطان ثلاث ليال وروي أن النبي صلى الله عليه وآله بعث بعثاً ثم تتبعهم يستقرئهم فجاء انسان منهم فقال ماذا معك من القرآن حتى أتى على احدثهم سناً فقال له ماذا معك من القرآن قال كذا وكذاوسورة البقرة فقال أخرجوا وهذا عليكم أميرٌ قالوا يا رسول الله صلى الله عليه وآله هو أحدثنا سناً قال معه سورة البقرة وسئل النبّي صَلّى الله عليه وآله أيّ سور القرآن أفضل؟ قال البقرة قيل أي آي البقرة أفضل قال آية الكرسي؟ فقال الصادق عليه السلام من قرأ البقرة وآل عمران جاءا يوم القيامة تظلانه على رأسه مثل الغمامتين أو مثل الغيابتين[1] .

(١) الغيابة من كل شيء: ما سترك منه.

[تفسيرها]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾

(كوفيّ) اختلف العلماء في الحروف المعجمة المفتتحة بها السور فذهب بعضهم إلى أنها من المتشابهات التي استأثر الله تعالى بعلمها ولا يعلم تأويلها إلا هُو هذا هو المروي عن أئمتنا عليهم السلام وروت العامة عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال إنّ لكل كتاب صفوة وصفوة هذا الكتاب حروف التهجيّ وعن الشعبي قال: لله في كل كتاب سرٌّ وسره في القرآن سائر حروف الهجاء المذكورة في أوائل السور وفسرها الآخرون على وجوه .

(أحدها) إنها أسماء السور ومفاتحها عن الحسن وزيد بن أسلم (وثانيها) أن المراد بها الدلالة على أسماء الله تعالى فقوله تعالى ﴿الم﴾ معناه أنا الله أعلم ﴿والمر﴾ معناه أنا الله أعلم وأرى ﴿والمص﴾ معناه أنا الله أعلم وأفصل والكاف في كهيعص من كاف والهاء من هادٍ والياء من حكيم والعين من عليم والصاد من صادق عن ابن عباس وعنه أيضاً أن الم الألف منه تدل على اسم الله واللام تدل على اسم جبرائيل والميم تدل على اسم مُحّمد صلى الله عليه وآلِهِ وروى أبو إسحاق الثَّعْلَبي في تفسيره مسنداً إلى علي ابن موسى الرضا عليه السلام قال سئل جعفر بن محمد الصادق عن قوله الم فقال في الألف ست صفات من صفات الله تعالى (الابتداء) فإن الله ابتدأ جميع الخلق والألف ابتداء الحروف و (الاستواء) فهو عادل غير جائر والألف مستو في ذاته و (الانفراد) فالله فرد والألف فرد و (اتصال الخلق بالله) والله لا يتصل بالخلق وكلهم محتاجون إلى الله والله غني عنهم وكذلك الألف لا يتصل بالحروف والحروف متصلة به وهو منقطع من غيره والله عز وجل باين بجميع صفاته من خلقه ومعناه من الالفة فكما أن الله عز وجل سبب الفة الخلق فكذلك الألف عليه تألفت الحروف وهو سبب الفتها (وثالثها) أنها أسماء الله تعالى منقطعة لو احسن الناس تأليفها لعلموا اسم الله الأعظم تقول الر وحم ون فيكون الرحمن وكذلك سائرها إلا أنا لا نقدر على وصلها والجمع بينها عن سعيد بن جبير (ورابعها) أنها أسماء القرآن عن قتادة (وخامسها) أنها أقسام أقسم الله تعالى بها وهي من أسمائه عن ابن عباس وعكرمة قال الأخفش وانما أقسم الله تعالى بالحروف المعجمة

لشرفها وفضلها ولأنها مباني كتبه المنزلة بالألسنة المختلفة وأسمائه الحسنى وصفاته العليا وأصول كلام الأمم كلها بها يتعارفون ويذكرون الله عز اسمه ويوحدونه فكأنه هُوَ أقسم بهذه الحروف ان القرآن كتابه وكلامه (وسادسها) أن كل حرف منها مفتاح اسم من أسماء الله تعالى وليس فيها حرف الا وهو في آلائه وبلائه وليس فيها حرف إلا وهو في مدة قوم وآجال آخرين عن أبي العالية وقد ورد أيضاً مثل ذلك في أخبارنا (وسابعها) ان المراد بها مدة بقاء هذه الأمة عن مقاتل بن سليمان قال مقاتل حسبنا هذه الحروف التي في أوائل السور باسقاط المكرر فبلغت سبع مائة وأربعاً وأربعين سنة وهي بقية مدة هذه الأمة قال علي بن فضال المجاشعي النحوي وحسبت هذه الحروف التي ذكرها مقاتل فبلغت ثلاثة آلاف وخمساً وستين فحذفت المكررات فبقي ستمائة وثلاث وتسعون والله أعلم بما فيها وأقول قد حسبتها أنا أيضاً فوجدتها كذلك ويروى أن اليهود لما سمعوا الم قالوا مدة ملك محمد صلى الله عليه وآله قصيرة انما تبلغ احدى وسبعين سنة فلما نزلت الر المر والمص وكهيعص اتسع عليهم الأمر هذه اقوال أهل التفسير (وثـامنها) ان المراد بها حروف المعجم استغني بذكر ما ذكر منها في أوائل السور عن ذكر بواقيها التي هي تمام الثمانية والعشرين حرفاً كما يستغنى بذكر قِفانَبَكِ عن ذكر باقي القصيدة وكما يقال اب في أبجد وفي أ ب ت ث ولم يذكروا باقي الحروف قال الراجز :

لَمَّـا رَأيْتُ أنهـا في حُـطِّي أَخَـذْتُ مِنْهـا بقُـرُونٍ شُمْط

وإنما أراد الخبر عن المراءة بأنها في أبجد فأقام قوله حطي مقامه لدلالة الكلام عليه (وتاسعها) انها تسكيت للكفار لأن المشركين كانوا تواصوا فيما بينهم ان لا يستمعوا لهذا القرآن وأن يلغوا فيه كما ورد به التنزيل من قوله **﴿لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه﴾** الآية فربما صفروا وربما صفقوا وربما لغطوا ليُغلِّطوا النبي صلى الله عليه وآله فأنزل الله تعالى هذه الحروف حتى إذا سمعوا شيئاً غريباً استمعوا إليه وتفكروا واشتغلوا عن تغليطه فيقع القرآن في مسامعهم ويكون ذلك سبباً موصلاً لهم الى درك منافعهم (وعاشرها) أن المراد بها أن هذا القرآن الذي عجزتم عن معارضته من جنس هذه الحروف التي تتحاورون بها في خطبكم وكلامكم فإذا لم تقدروا عليه فاعلموا أنه من عند الله لأن العادة لم تجرِ بأن الناس يتفاوتون في القدر هذا التفاوت العظيم وانما كررت في مواضع استظهاراً في الحجة وهو المحكي عن قطرب واختاره أبو مسلم محمد بن بحر الاصفهاني .

[اللغة] أجود هذه الأقوال القول الأول المحكي عن الحسن لأن أسماء الاعلام

منقولة إلى التسمية عن أصولها للتفرقة بين المسميات فتكون حروف المعجم منقولة إلى التسمية ولهذا في أسماء العرب نظير قالوا[١] اوس بن حارثة بن لام الطائي ولا خلاف بين النحويين أنه يجوز ان يسمى بحروف المعجم كما يجوز أن يسمى بالجمل نحو تأبط شراً وبرق نحره وكل كلمة لم تكن على معنى الأصل فهي منقولة إلى التسمية للفرق نحو جعفر إذا لم يرد به معنى النهر لم يكن إلّا منقولاً إلى العلمية وكذلك اشباهه ولو سميت بألم لحكيت جميع ذلك وأما قول ابن عباس أنه اختصار من أسماء يعلم النبي صلى الله عليه وآله تمامها فنحوه قول الشاعر [٢] :

نَـادَوهُـمُ أنْ أَلْـجِمُـوا ألاَتـا قَـالُـوا جَمِيعـاً كُلُّهُـمْ ألافَـا

يريد الا تركبون قالوا الا فاركبوا وقول الآخر :

قُلْنَـا لَهَـا قِفِي قَـالَتْ قَـاف لا تَحْسَبِي أَنَّا نَسِينَا الايجَـاف

يريد قالت أنا واقفة .

[**الاعراب**] أما موضع الم من الاعراب فمختلف على حسب اختلاف هذه المذاهب إما على مذهب الحسن فموضعها رفع على اضمار مبتدأ محذوف كأنه قال هذه الم وأجاز الرماني أن يكون الم مبتدأ وذلك الكتاب خبره وتقديره حروف المعجم ذلك الكتاب وهذا فيه بعد لأن حكم المبتدأ أن يكون هو الخبر في المعنى ولم يكن الكتاب هو حروف المعجم ويجوز أن يكون ألم في موضع نصب على اضمار فعل تقديره اتلُ الم واما على مذهب من جعلها قسماً فموضعها نصب باضمار فعل لأن حرف القسم إذا حذف يصل الفعل إلى المقسم به فينصبه فإن معنى قولك بالله اقسم بالله ثم حذفت اقسم فبقي بالله فلو حذفت الباء لقلت الله لأفعلنّ واما على مذهب من جعل هذه الحروف اختصاراً من كلام أو حروفاً مقطعة فلا موضع لها من الاعراب لأنها بمنزلة قولك زيد قائم في أن موضعه لاحظ له في الاعراب وإنما يكون للجملة موضع إذا وقعت موقع الفرد كقولك زيد أبوه قائم وان زيداً أبوه قائم لأنه بمنزلة قولك زيد قائم وان زيداً قائم وهذه الحروف موقوفة على الحكاية كما يفعل بحروف التهجي لأنها مبنية على السكت كما أن العدد مبني

(١) في بعض النسخ قال وفي مختصر مجمع البيان ما نصه وسمي في العرب لام الطائي والمناسب كذلك هنا أن تكون قالوا .

(٢) وهو أبو النجم العجلي .

على السكت يدل على ذلك جمعك بين ساكنين في قولك لام ميم وتقول في العدد واحد اثنان ثلاثة اربعة فتقطع الف اثنين وألف اثنيـن ألف وصل وتذكر الهاء في ثلاثة وأربعة ولولا أنك تقدر السكت لقلت ثلاثة بالتاء ويدل عليه قول الشاعر :[١]

أَقْبَلْتُ مِنْ عِنْدِ زِيادٍ كالخَرفِ تَخُطُّ رِجْلايَ بِخَطٍّ مُخْتَلِف تُكتِبانِ في الطَّريقِ لامَ الِفِ

كأنه قال لام ألف ولكنه ألقى حركة همزة الألف على الميم ففتحها وإذا أخبرت عن حروف الهجاء أو أسماء الأعداد أعربتها لأنك أدخلتها بالاخبار عنها في جملة الأسماء المتمكنة وأخرجتها بذلك من حيّز الأصوات كما قال الشاعر (كما بُيّنت كافٌ تلوح وميمُها)
وقال آخر :

إذا اجْتَمَعُوا عَلَى أَلِفٍ وبَاءٍ وَواوٍ هَاجَ بَينَهُمْ جِدالُ

وتقول هذا كاف حسن وهذه كاف حسنة من ذكَّره فعلى معنى الحرف ومن أنَّثه فعلى معنى الكلمة .

﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ﴾

[**القراءة**] قرأ ابن كثير فيهي هدى يوصل الهاء بياء في اللفظ وكذلك كل هاء كناية قبلها ياء ساكنة فإن كان قبلها ساكن غير الياء وصلها بالواو ووافقه حفص في قوله فيهي مهاناً وقتيبة في قوله فملاقيه وسأصليه[٢] والباقون لا يُشبعون وإذا تحرك ما قبل الهاء فهم مجمعون على اشباعه .

[**الحجة**] اعلم أنه يجوز في العربية في فيه أربعة أوجه فيهو وفيهي وفيهُ وفيهِ والأصل فيهو كما قيل لهو مال فمن كسر الهاء من فيه ونحوه مع أن الأصل الضم فلأجل الياء أو الكسرة قبل الهاء والهاء تشبه الألف لكونها من حروف الحلق ولما فيها من الخفاء فكما نحوا بالألف نحو الياء بالامالة لأجل الكسرة أو الياء كذلك كسروا الهاء للكسرة أو الياء ليتجانس الصوتان ومن ترك الاشباع فلكراهة اجتماع المشابهة فإن الهاء حرف خفي فإذا اكتنفها ساكنان من حروف اللين كان كأنّ الساكنين التقيا لخفاء الهاء فإنهم لم يعتدوا

(١) وهو الراعي .
(٢) وفي بعض النسخ « فلا هيهي وسأصليهي » بإثبات الياء في الكتابة .

بها حاجزاً في نحو فيهي وخُذُوهُو كما لم يعتد بها في نحو ردّ من أتبع الضم الضم إذا وصل الفعل بضمير المؤنث فقال ردها بالفتح لا غير ولم يتبع الضم الضم وجعل الدال كأنها لازقة بالألف واما من أشبع واتبعها الياء قال الهاء وان كانت خفية فليس يخرجها ذلك من أن تكون كغيرها من حروف المعجم التي لا خفاء فيها فإذا كان كذلك كان حجزها بين الساكنين كحجز غيرها من الحروف التي لا خفاء فيها .

[**اللغة**] ذلك لفظة يشار بها إلى ما بَعُدَ وهذا إلى ما قرب والاسم من ذلك ذا والكاف زيدت للخطاب ولا حظٌ لها من الاعراب واللام تزاد للتأكيد وكسرت لالتقاء الساكنين وتسقط معها هاء تقول ذاك وذلك وهذاك ولا تقول هذالك والكتاب مصدر وهو بمعنى المكتوب(١) كالحساب قال الشاعر(٢):

بَشَـرْتُ عِيـالي إذ رَأَيْتُ صَحِيفَـةً أَتَتْـكَ مِنَ الحَجَّاجِ يُتْلى كِتَـابُها

أي مكتوبها وأصله الجمع من قولهم كتبت القِربة إذا خرزتها والكتبة الخرزة وكتبت البغلة إذا جمعت بين شفريها بحلقة ومنه قيل للجند كَتِيبَة لانضمام بعضهم إلى بعض والريب الشك وقيل هو أسوأ الشك وهُوَ مصدر رابني الشيء من فلان يريبني إذا كانت مستيقناً منه بالريبة فإذا أسأت به الظن ولم تستيقن بالريبة منه قلت أرابني من فلان أمر ارابة وأراب الرجل إذا صار صاحب ريبة كما قيل الام أي استحق ان يلام والهدى الدلالة مصدر هديته وفُعَل قليل في المصادر قال أبو علي يجوز أن يكون فعل مصدر اختص به المعتل وان لم يكن في المصادر كما كان كينونة ونحوه لا يكون في الصحيح والفعل منه يتعدى الى مفعولين يتعدى إلى الثاني منهما بأحد حرفي جر إلى أو اللام كقوله ﴿**واهدنا إلى سواء الصراط والحمد لله الذي هدانا لهذا**﴾ وقد يحذف منه حرف الجر فيصل الفعل الى المفعول نحو اهدنا الصراط المستقيم أي دلنا عليه واسلك بنا فيه وكأنه استنجازٌ لما وعدوا به في قوله ﴿**يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام**﴾ أي سبل دار السلام والأصل في المتقين الموتقين مفتعلين من الوقاية فقلبت الواو تاء وأدغمتها في التاء التي بعدها وحذفت الكسرة من الياء استثقالاً لها ثم حذفتها لالتقاء الساكنين فبقي متقين والتقوى أصله وقوى قلبت الواو تاء كالتراث أصله وراث واصل الاتقاء الحجز بين الشيئين يقال اتقاه بالترس أي جعله حاجزاً بينه وبينه قال الشاعر(٣):

---

(١) [بمعنى المحسوب] .
(٢) هو أبو حية النميري .
(٣) هو: رؤبة العجاج .

فَـأَلْقَتِ قِنَاعـاً دُونَها الشَّمْسُ واتَّقَتْ   بِـأَحْسَـنِ مَـوْصُـولَيْـن كفٍّ ومِعْصَمِ
ومنه الوقاية لأنها تمنع رؤية الشعر .

[الاعراب] ذلك في موضع رفع من وجوه (أحدها) ان تجعله خبراً عن الم كما مضى القول فيه (وثانيها) أن يكون مبتدأ والكتاب خبره (وثالثها) أن يكون مبتدأ والكتاب عطف بيان أو صفة له أو بدل منه ولا ريب فيه جملة في موضع الخبر (ورابعها) أن يكون مبتدأ وخبره هدىً ويكون لا ريب في موضع الحال والعامل في الحال معنى الاشارة (وخامسها) أن يكون لا ريب فيه وهدى جميعاً خبراً بعد خبر كقولك هذا حلو حامض أي جمع الطعمين ومنه قول الشاعر :

مَنْ يَـكُ ذا بَتٍّ فَهـذَا بَتّي   مُـقَيِّـظٌ مُـصَـيِّفٌ مُـشَتّي

(وسادسها) أن يكون خبر مبتدأ محذوف تقديره هذا ذلك الكتاب وإن حملت على هذا الوجه أو على أنه مبتدأ ولا ريب فيه الخبر أو على أنه خبر ألم أو على أن الكتاب خبر عنه كان قوله هدى في موضع نصب على الحال أي هادياً للمتقين والعامل فيه معنى الاشارة والاستقرار الذي يتعلق به فيه وقوله ﴿لا ريب﴾ قال سيبويه لا تعمل فيما بعدها فتنصبه بغير تنوين وقال غيره من حذاق النحويين جعل لامع النكرة الشائعة مركباً فهو اوكد من تضمين الاسم معنى الحرف لأنه جعل جزءاً من الاسم بدلالة انك تضيف إليه مجموعاً وتدخل عليه حرف الجر فتقول جئتك بلا مال ولا زاد فلما صار كذلك بني على الفتح وهما جميعاً في موضع الرفع على الابتداء فموضع خبره موضع خبر المبتدأ وعلى هذا فيجوز أن تجعل فيه خبر ويجوز أن تجعله صفة فإن جعلته صفة اضمرت الخبر وان جعلته خبراً كان موضعه رفعاً في قياس قول سيبويه من حيث يرتفع خبر المبتدأ وعلى قول أبي الحسن الأخفش موضعه رفع والموضع للظرف نفسه لا لما كان يتعلق به لأن الحكم له من دون ما كان يكون الظرف منتصباً به في الأصل الا ترى أن الضمير قد صار في الظرف واما قوله ﴿هدى﴾ فيجوز أن يكون في موضع رفع من ثلاثة أوجه غير الوجه الذي ذكرناه قبل وهو أن يكون خبراً عن ذلك احدها أن يكون مبتدأ وفيه الخبر على أن تضمر للا ريب خبراً كأنك قلت لا ريب فيه فيه هدى والوقف على هذا الوجه يكون على قوله لا ريب ويبتدىء فيه هدى للمتقين وان شئت جعلت فيه هذه الظاهرة خبراً عن لا ريب وأضمرت لهدى خبراً كأنك قلت لا ريب فيه فيه هدى والوقف على هذا الوجه على قوله لا ريب فيه ويبتدىء هدى للمتقين والوجه الثاني أن يكون خبراً عن ألم على قول من جعله اسما

للسورة والوجه الثالث ان يكون خبراً لمبتدأ محذوف تقديره هو هدى .

[**المعنى**] المراد بالكتاب القرآن وقال الأخفش ذلك بمعنى هذا لأن الكتاب كان حاضراً وأنشد لخفاف بن ندبة

أَقُولُ لَهُ والرُّمْحُ يأطِرُ مَتْنَهُ تأمَّل خُفَافاً إنَّني أنا ذلِكا

أي إنا هذا وهذا البيت يمكن اجراؤه على ظاهره أي انني أنا ذلك الرجل الذي سمعت شجاعته وإذا جرى للشيء ذكر يجوز أن يقول السامع هذا كما قلت وذلك كما قلت وتقول أنفقت ثلاثة وثلاثة فهذا ستة أو فذلك ستة وإنما تقول هذا لقربه بالاخبار عنه وتقول ذلك لكونه ماضياً وقيل ان الله وعد نبيه أن ينزل عليه كتاباً لا يمحوه الماء ولا يخلق على كثرة الرد فلما أنزل القرآن قال هذا القرآن ذلك الكتاب الذي وعدتك عن الفراء وأبي علي الجبائي وقيل معناه هذا القرآن ذلك الكتاب الذي وعدتك به في الكتب السالفة عن المبّرد ومن قال ان المراد بالكتاب التوراة والانجيل فقوله فاسد لأنه وصف الكتاب بأنه لا ريب فيه وانه هدى ووصف ما في أيدي اليهود والنصارى بأنه محرّف بقوله يحرفون الكلم عن مواضعه ومعنى قوله لا ريب فيه أي أنه بيان وهدى وحق ومعجز فمن ههنا استحق الوصف بأنه لا شك فيه لا[1] على جهة الاخبار بنفي شك الشاكين وقيل أنه على الحذف كأنه قال لا سبب شك فيه لأن الأسباب التي توجب الشك في الكلام هي التلبيس والتعقيد والتناقض والدعاوي العارية من البرهان وهذه كلها منفية عن كتاب الله تعالى وقيل إن معناه النهي وإن كان لفظه الخبر أي لا ترتابوا أولا تشكوا فيه كقوله تعالى **﴿لا رفث ولا فسوق﴾** وأما تخصيص المتقين بأن القرآن هدى لهم وان كان هدى لجميع الناس فلأنهم هم الذين انتفعوا به واهتدوا بهداه كما قال إنّما أنْتَ مُنذرٌ مَنْ يَخشاها وان كان صلى الله عليه وآله منذراً لكل مكلف لأنه إنما انتفع بانذاره من يخشى نار جهنم على أنه ليس في الاخبار بأنه هدى للمتقين ما يدل على أنه ليس بهدى لغيرهم وبيّن في آية أخرى أنه هدى للناس .

[فصل في التقوى والمتقي]

روي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال جماع التقوى في قوله تعالى : **﴿أن الله يأمر بالعدل والأحسان﴾** الآية وقيل المتقي الذي اتقى ما حرم عليه وفعل ما أوجب عليه

(١) ولا جهة للاخبار، كذا في بعض النسخ ولعله أنسب .

وقيل هو الذي يتقي بصالح اعماله عذاب الله وسأل عمر بن الخطاب كعب الاحبار عن التقوى فقال هل أخذت طريقاً ذا شوك فقال نَعَمْ، قال فما عملت فيه قال حذرت وتشمرت فقال كعب ذلك التقوى ونظمه بعض الناس فقال.

خَلِّ الذنوبَ صغيرَها وكبيرَها فهو التُقى واصنع كماشٍ فوق أرض الشَوك يحذر ما يَرى
لا تَحقِرنَّ صغيرة ان الجبال من الحصى

وروي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال إنما سمي المتقون لتركهم ما لا بأس به حذراً للوقوع فيما به بأس وقال عمر بن عبد العزيز التقي ملجم كالمجرم في الحرم وقال بعضهم التقوى أن لا يراك الله حيث نهاك ولا يفقدك حيث أمرك.

﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾

[**القراءة**] قرأ أبو جعفر وعاصم في رواية الأعشى عن أبي بكر بترك كل همزة ساكنة مثل يؤمنون ويأكلون ويؤتون وبئس ونحوها ويتركان كثيراً من المتحركة مثل يؤده ولا يؤاخذكم ويؤيد بنصره ومذهب أبي جعفر فيه تفصيل يطول ذكره واما أبو عمرو فيترك كل همزة ساكنة الا ان يكون سكونها علامة للجزم مثل ننسئها وتسؤكم ويهيء لكم ومن يشأ وينبئهم واقرأ كتابك ونحوها فإنه لا يترك الهمزة فيها وروي عنه الهمزة أيضاً في الساكنة وأما نافع فيترك كل همزة ساكنة ومتحركة إذا كانت فاءً من الفعل نحو يؤمنون ولا يؤاخذكم واختلفت قراءة الكسائي وحمزة ولكل واحد منهم مذهب فيه يطول ذكره فالهمز على الأصل وتركه للتخفيف.

[**اللغة والأعراب**] الذين جمع الذي واللائي واللاتي جمع التي وتثنيتهما اللذان واللتان في حال الرفع واللذين واللتين في حال الجر والنصب وهي من الاسماء التي لا تتم الا بصلاتها نحو من وما وأي وصلاتها لا تكون إلا جملاً خبرية يصح فيها الصدق والكذب ولابد أن يكون فيها ضمير يعود إلى الموصول فإذا استوفت الموصولات صلاتها كانت في تأويل اسم مفرد مثل زيد وعمرو ويحتاج إلى جزء آخر تصير به جملة فقوله الذين موصول ويؤمنون صلته ويحتمل أن يكون محله نصباً وجراً ورفعاً فالنصب على المدح تقديره اعني الذين يؤمنون واما الجر فعلى انه صفة للمتقين واما الرفع فعلى المدح أيضاً كأنه لما قيل هدى للمتقين قيل من هم قيل هم الذين يؤمنون بالغيب فيكون خبرَ مبتدأ محذوف ويؤمنون

معناه يصدقون والواو في موضع الرفع بكونه ضمير الفاعلين والنون علامة الرفع والاصل في يُفعل يؤفعل ولكن الهمزة حذفت لأنك إذا أنبأت عن نفسك قلت انا أُفعل فكانت تجتمع همزتان فاستثقلتا فحذفت الهمزة الثانية فقيل أفعل ثم حذفت من الصيغ الآخر نفعل وتفعل ويفعل كما أن باب يعد حذفت منه الواو لوقوعها بين ياء وكسرة إذ الاصل يوعد ثم حذفت في تعد واعد ونعد ليجري الباب على سنن واحد قال الأزهري اتفق العلماء على ان الإيمان هو التصديق قال الله تعالى وما انت بمؤمن لنا أي ما انت بمصدق لنا قال أبو زيد وقالوا ما أُمنت ان أجد صحابة أي ما وثقت فالإيمان هو الثقة والتصديق قال الله تعالى ﴿ **الذين آمنوا بآياتنا** ﴾ أي صدقوا ووثقوا بها وقال الشاعر أنشده ابن الأنباري .

وَمِنْ قَبـلُ آمَنَّا وَقَـد كانَ قَـومُنـا يُصلُّونَ لـلأوْثـانِ قَبـلُ مُحمَّـداً

ومعناه آمنا محمداً أي صدّقناه ويجوز ان يكون آمن من قياس فعلته فافعل تقول امنته فأمن مثل كببته فاكب والأمن خلاف الخوف والأمانة خلاف الخيانة والأمون الناقة القوية كأنها يؤمن عثارها وكلالها ويجوز أن يكون آمن بمعنى صار ذا آمنٍ على نفسه باظهار التصديق نحو أجرب واعاهَ واصح واسلم صار ذا سلم أي خرج عن أن يكون جرباً هذا في اصل اللغة أما في الشريعة فالإيمان هو التصديق بكل ما يلزم التصديق به من الله تعالى وانبيائه وملائكته وكتبه والبعث والنشور والجنة والنار وأما قولنا في وصف القديم تعالى المؤمن فإنه يحتمل تأويلين أحدهما أن يكون من آمنت المتعدي إلى مفعول فنقل بالهمزة فتعدى إلى مفعولين فصار من أمن زيد العذاب وآمنته العذاب فمعناه المؤمن عذابه من لا يستحقه من أوليائه ومن هذا وصفه سبحانه بالعدل كقوله قائماً بالقسط وهذا الوجه مروي في اخبارنا والآخر أن يكون معناه المصدق أي يصدق الموحدين على توحيدهم اياه يدل عليه قوله شهد الله أنه لا إلـه إلا هو لأن الشاهد مصدق لما يشهد به كما انه مصدق من يشهد له فإذا شهد بالتوحيد فقد صدق الموحدين واما الغيب فهو كلما غاب عنك ولم تشهده وقوله بالغيب كأنه اجمال لما فصل في قوله ﴿**كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله**﴾ أي يؤمنون بما كفر به الكفار من وحدانية الله وانزال كتبه وارسال رسله فكل هذا غيب فعلى هذا يكون الجار والمجرور في موضع نصب بأنه مفعول به وفيه وجه آخر وهو ان يكون أراد يؤمنون إذا غابوا عنكم ولم يكونوا كالمنافقين ومثله قوله وخشي الرحمن بالغيب فعلى هذا يكون الجار والمجرور في موضع الحال أي يؤمنون غائبين عن مراءة الناس لا يريدون بإيمانهم تصنعاً لأحد ولكن يخلصونه لله ويقيمون الصلواة يؤدونها بحدودها وفرائضها يقال

اقام القوم سوقهم إذا لم يعطلوها من البيع والشراء وقال الشاعر.

أَقَامَتْ غَزالَةُ سُوقَ الضِّرابِ لأهْلِ العِراقِين حَوْلاً قَميطاً

وقال أبو مسلم يقيمون الصلاة أي يديمون اداء فرائضها يقال للشيء الراتب قايم ويقال فلان يقيم ارزاق الجند والصلوٰة في اللغة الدعاء قال الاعشى.

وأَقْبَلها[(١)] الرِّيحَ في ظِلِّها وصَلَّى عَلى دَنِّها وارْتَسَمْ

أي دعا لها ومنه الحديث إذا دعي احدكم إلى طعام فليجب وان كان صائماً فليصل أي فليدعُ له بالبركة والخير وقيل اصله رفع الصلا في الركوع وهو عظم في العجز وقوله ومما رزقناهم ينفقون ما هذه حرف موصول ورزقناهم صلته وهما جميعاً بمعنى المصدر تقديره ومن رزقنا اياهم ينفقون أو اسم موصول والعائد من الصلة إلى الموصول محذوف والتقدير ومن الذي رزقناهموه ينفقون فيكون ما رزقناهم في موضع جر بمن والجار والمجرور في موضع نصب بأنه مفعول ينفقون والرزق هو العطاء الجاري وهو نقيض الحرمان والانفاق اخراج المال يقال انفق ماله أي اخرجه عن ملكه ونفقت الدابة إذا خرج روحها والنافقاء جُحر اليربوع لانه يخرج منها ومنه النفاق لأن المنافق يخرج إلى المؤمن بالإيمان وإلى الكافر بالكفر.

[**المعنى**] لما وصف القرآن بأنه هدى للمتقين بيَّن صفة المتقين فقال الذين يؤمنون بالغيب أي يصدّقون بجميع ما اوجبه الله تعالى أو ندب إليه أو اباحه وقيل يصدقون بالقيامة والجنة والنار عن الحسن وقيل بما جاء من عند الله عن ابن عباس وقيل بما غاب عن العباد علمه عن ابن مسعود وجماعة من الصحابة وهذا أولى لعمومه ويدخل فيه ما رواه اصحابنا من زمان غيبة المهدي عليه السلام ووقت خروجه وقيل الغيب هو القرآن عن زرّ ابن حبيش وقال الرماني الغيب خفاء الشيء عن الحسن قرب أو بعد إلا انه كثرت صفة غايب على البعيد الذي لا يظهر للحس وقال البلخي الغيب كل ما أدرك بالدلائل والآيات مما يلزم معرفته وقالت المعتزلة باجمعها الإيمان هو فعل الطاعة ثم اختلفوا فمنهم من اعتبر الفرائض والنوافل ومنهم من اعتبر الفرائض حسب واعتبروا اجتناب الكبائر كلها وقد روى الخاص والعام عن علي بن موسى الرضا عليه السلام ان الإيمان هو التصديق بالقلب

---

(١) في لسان العرب وتفسير الطبري (وقابلها) ولعله الأصح.

والاقرار باللسان والعمل بالاركان وقد روي ذلك على لفظ آخر عنه أيضاً الإيمان قول مقول وعمل معمول وعرفان بالعقول واتباع الرسول وأقول أن اصل الإيمان هو المعرفة بالله وبرسله وبجميع ما جاءت به رسله وكل عارف بشيء فهو مصدق به يدل عليه هذه الآية فإنه تعالى لما ذكر الإيمان علقه بالغيب ليعلم انه تصديق للمخبر به من الغيب على معرفة وثقة ثم افرده بالذكر عن سائر الطاعات البدنية والمالية وعطفهما عليه فقال ويقيمون الصلوٰة ومما رزقناهم ينفقون والشيء لا يعطف على نفسه وإنما يعطف على غيره ويدل عليه أيضاً انه تعالى حيث ذكر الإيمان اضافة إلى القلب فقال وقلبه مطمئن بالإيمان وقال اولٓئك كتب في قلوبهم الإيمان وقال النبي صلى الله عليه وآله الإيمان سر واشار إلى صدره والاسلام علانية وقد يسمى الاقرار إيماناً كما يسمى تصديقاً الا انه متى صدر عن شك أو جهل كان إيماناً لفظياً لا حقيقياً وقد تسمى اعمال الجوارح أيضاً إيماناً استعارة وتلويحاً كما تسمى تصديقاً كذلك فيقال فلان تصدق افعاله مقاله ولا خير في قول لا يصدقه الفعل والفعل ليس بتصديق حقيقي باتفاق اهل اللغة وإنما استعير له هذا الاسم على الوجه الذي ذكرناه فقد آل الأمر تسليم صحة الخبر وقبوله إلى ان الإيمان هو المعرفة بالقلب والتصديق به على نحو ما تقتضيه اللغة ولا يطلق لفظه الا على ذلك إلا انه يستعمل في الاقرار باللسان والعمل بالاركان مجازاً واتساعاً وبالله التوفيق وقد ذكرنا في قوله ويقيمون الصلوٰة وجهين اقتضاهما اللغة وقيل أيضاً انه مشتق من القيام في الصلوٰة ولذلك قيل قد قامت الصلاة وإنما ذكر القيام لانه اول اركان الصلاة وامدُّها وان كان المراد به هو وغيره والصلاة في الشرع عبارة عن افعال مخصوصة على وجوه مخصوصة وهذا يدل على ان الاسم ينقل من اللغة إلى الشرع وقيل ان هذا ليس بنقل بل هو تخصيص لانه يطلق على الذكر والدعاء في مواضع مخصوصة وقوله تعالى **﴿ومما رزقناهم ينفقون يريد ومما اعطيناهم وملكناهم يخرجون على وجه الطاعة﴾** وحكي عن ابن عباس انه الزكاة المفروضة وعن ابن مسعود انه نفقة الرجل على اهله لان الآية نزلت قبل وجوب الزكاة وعن الضحاك هو التطوع بالنفقة وروي محمد بن مسلم عن الصادق عليه السلام ان معناه ومما علمناهم يبثون والاولى حمل الآية على عمومها وحقيقة الرزق هو ما صح ان ينتفع به المنتفع وليس لاحد منعه منه وهذه الآية تدل على ان الحرام لا يكون رزقاً لأنه تعالى مدحهم بالانفاق مما رزقهم والمنفق من الحرام لا يستحق المدح على الانفاق بالاتفاق فلا يكون رزقاً.

[النزول] قال بعضهم هذه الآية تناولت مؤمني العرب خاصة بدلالة قوله فيما بعد **﴿والذين يؤمنون بما أنزل إليك﴾** الآية فهذا في مؤمني أهل الكتاب إذ لم يكن للعرب كتاب

قبل القرآن وهذا غير صحيح لأنه لا يمتنع ان تكون الآية الاولى عامة في جميع المؤمنين وان كانت الثانية خاصة في قوم منهم ويجوز ان يكون المراد بالآيات قوماً واحداً وصفوا بجميع ذلك بأن جمع بين أوصافهم بواو العطف كقول الشاعر.

إلى ٱلْمَلِكِ ٱلقَرْمِ وٱبنِ ٱلهُمام وَلَيْثِ ٱلْكَتِيبَةِ في المُزْدَحم

﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْأَخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ ﴿٤﴾

[**القراءة**] أهل الحجاز غير ورش وأهل البصرة لا يمدون حرفاً لحرفٍ وهو ان تكون المدة من كلمة والهمزة من أخرى نحو بما أنزل إليك ونحوه واما أهل الكوفة وابن عامر وورش عن نافع فانهم يمدون ذلك وورش اطولهم مداً ثم حمزة ثم عاصم برواية الاعشى والباقون يمدون مداً وسطاً من غير افراط فالمد للتحقيق وحذفه للتخفيف واما السكتة بين المدة والهمزة فعن حمزة ووافقه عاصم والكسائي على اختلاف عنهما وكان يقف حمزة قبل الهمزة ايضاً فيسكت على اللام شيئاً من قوله بالآخرة ثم يبتدىء بالهمزة وكذلك يقطع على الياء من شيء كأنه يقف ثم يهمز والباقون بغير سكتة .

[**الاعراب**] إليك ولديك وعليك الاصل فيها الاك وَعلاك وَلَدَاك الا ان الألف غيرت مع المضمر فابدلت ياء ليفصل بين الالف في آخر الاسم المتمكن وبينها في آخر غير المتمكن الذي الاضافة لازمة له الا ترى ان إلى وعلى ولدى لا تنفرد من الاضافة فشبهت بها كلا إذا اضيفت إلى الضمير لأنها لا تنفرد ولا تكون كلاماً الا بالاضافة وما موصول وانزل صلته وفيه ضمير يعود إلى ما والموصول مع صلته في موضع جر بالباء والجار والمجرور في موضع نصب بأنه مفعول يؤمنون ويؤمنون صلة للذين والذين يؤمنون في موضع جر بالعطف والعطف فيه على وجهين احدهما ان يكون عطف أحد الموصوفين على الآخر والآخر ان يكون جمع الاوصاف لموصوف واحد.

[**المعنى**] ثم بيّن تعالى تمام صفة المتقين فقال والذين يؤمنون بما أنزل إليك يعني القرآن وما انزل من قبلك يعني الكتب المتقدمة وقوله وبالآخرة اي بالدار الآخرة لأن الآخرة صفة فلا بدلها من موصوف وقيل اراد به الكَرَّة الآخرة وإنما وصفت بالآخرة لتأخرها عن الدنيا كما سميت الدنيا دنيا لدنوها من الخلق وقيل لدناءتها هم يوقنون يعلمون وسمي

العلم يقينا لحصول القطع عليه وسكون النفس إليه فكل يقين علم وليس كل علم يقيناً وذلك ان اليقين كأنه علم يحصل بعد الاستدلال والنظر لغموض المعلوم المنظور فيه أو لاشكال ذلك على الناظر ولهذا لا يقال في صفة الله تعالى موقن لأن الاشياء كلها في الجلاء عنده على السواء وإنما خصهم بالايقان بالآخرة وان كان الإيمان بالغيب قد شملها لما كان من كفر المشركين بها وجحدهم إياها في نحو ما حكي عنهم في قوله وقالوا ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا فكان في تخصيصهم بذلك مدح لهم.

﴿ أُولَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾

[**اللغة**] اولَئك اسم مبهم يصلح لكل حاضر تعرفه الاشارة وهو جمع ذلك في المعنى واولاء جمع ذا في المعنى ومن قصر قال أولا والاك واولالك وإذا مدَّ لم يجز زيادة اللام لئلا يجتمع ثقل الزيادة وثقل الهمزة قال الشاعر:

ألالِكَ قَوْمٌ لَمْ يَكُونُوا أُشَابَةً وَهَلْ يَعِظُ آلضَّلِّيلَ إلا أُولالِكا

والمفلحون المنجحون الفائزون والفلاح النجاح قال الشاعر:

إعْقِلِي إن كُنْتِ لَمَّا تَعْقِلِي فَلَقَدْ أَفْلَحَ مَنْ كَانَ عَقَل

أي ظفر بحاجته والفلاح أيضاً البقاء قال لبيد :

نَحُلُّ بِلاداً كُلُّها حُلَّ قَبْلَنَا وَنَرْجُو الفَلاحَ بَعْدَ عادٍ وَتُبَّعَا

واصل الفلح القطع ومنه قيل الفلاح للأكّار [الحراث] لأنه يشق الارض وفي المثل الحديد بالحديد يفلح فالمفلح على هذا كأنه قطع له بالخير.

[**الاعراب**] موضع أولئك رفع بالابتداء والخبر على هدىً من ربهم وهو اسم مبني والكاف حرف خطاب لا محل له من الاعراب وكسرت الهمزة فيه لالتقاء الساكنين وكذلك قوله واولئك هم المفلحون الا ان قوله هم فيه وجهان (أحدهما) انه فصل يدخل بين المبتدأ أو الخبر وما كان في الاصل مبتدأ وخبراً للتأكيد ولا موضع له من الاعراب والكوفيون يسمونه عماداً وإنما يدخل ليؤذن أن الاسم بعده خبر وليس بصفة وإنما يدخل أيضاً إذا كان الخبر معرفة أو ما أشبه المعرفة نحو قوله تعالى **﴿تجدوه عند الله هو خيراً﴾**

(١) ما بين المعقوفتين إنما هو نسخة صيدا دون غيرها.

والوجه الآخر ان يكون هم مبتدأ ثانياً والمفلحون خبره والجملة في موضع رفع بكونها خبر أولئك.

[**المعنى**] لما وصف المتقين بهذه الصفات بيَّن مالهم عنده تعالى فقال أولئك اشارة إلى الموصوفين بجميع الصفات المتقدمة وهم جملة المؤمنين على هدى من ربهم أي من دين ربهم وقيل على دلالة وبيان من ربهم وإنما قال من ربهم لأن كل خير وهدى فمن الله تعالى أما لأنه فعله وأما لأنه عرض له بالدلالة عليه والدعاء إليه والاثابة على فعله وعلى هذا يجوز ان يقال الإيمان هداية منه تعالى وان كان من فعل العبد ثم كرّر تفخيماً فقال واولئك هم المفلحون أي الظافرون بالغية والباقون في الجنة .

[**النزول**] قال مجاهد اربع آيات من أول السورة نزلت في المؤمنين وآيتان بعدها نزلت في الكافرين وثلاث عشرة آية بعدها نزلت في المنافقين.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾

[**القراءة**] قوله تعالى : **﴿أأنذرتهم فيه ثلاث قراءات﴾** قرأ عاصم وحمزة والكسائي إذا حقق بهمزتين وقرأ أهل الحجاز وأبو عمر بالهمزة والمد وتليين الهمزة الثانية والباقون يجعلونها بين بين وكذلك قراءة الكسائي إذا خففت وأبو عمرو اطول مدًّا من ابن كثير واختلف في المد عن نافع وقرأ ابن عامر بالف بين همزتين ويجوز في العربية ثلاثة أوجه غيرها أأنذرتهم بتحقيق الهمزة الاولى وتخفيف الثانية بجعلها بين بين وانذرتهم بهمزة واحدة وعليهم أنذرتهم على القاء حركة الهمزة على الميم نحو قد افلح فيما روي عن نافع.

[**الحجة**] أما وجه الهمزتين فهو أنه الاصل لأن الاولى همزة الاستفهام والثانية همزة افعل وأما ادخال الالف بين الهمزتين فمن قرأه أراد ان يفصل بين الهمزتين استثقالاً لاجتماع المثلين كما فصل بين النونين في نحو اضربنانّ استثقالاً لاجتماع النونات ومنه قول ذي الرمة.

فَيَـاظَبْيَـةَ الـوَعْسـاءِ بَيْنَ جَـلاْجِـلٍ   وبَيـنَ الـنَّقَـاء أَنْـتِ أَمْ أُمُّ سَـالِمِ

واما من فصل بين الهمزتين وليّن الثانية فوجهه التخفيف من جهتين الفصل والتليين لأنك إذا لينتها فقد امتّها وصار اللفظ كأنه لا استفهام فيه ففي المد توكيد الدلالة على

الاستفهام كما في تحقيق الهمزة وأما من حقق الاولى ولين الثانية من غير فصل بالالف فهو القياس لأنه جعل التليين عوضاً عن الفصل وأما من اكتفى بهمزة واحدة فإنه طرح همزة الاستفهام وهو ضعيف وقد جاء في الشعر قال عمر بن ابي ربيعة:

لَعَمْرُكَ مَا أَدْرِي وَإِنْ كُنْتُ دَارِيا بِسَبْعٍ رَمينَ ٱلْجَمْرَ أَمْ بِثمانِ

واما من القى حركة الهمزة على الميم فأنه على تليين الاولى وتحقيق الثانية والعرب إذا لينوا الهمزة المتحركة وقبلها ساكن ألقوا حركتها على ما قبلها قالوا مَنَ بوك ومنُ مُّك وكم بلك.

[**اللغة**] الكفر خلاف الشكر كما ان الحد خلاف الذم فالكفر ستر النعمة واخفاؤها والشكر نشرها واظهارها والشكر نشرها واظهارها وكل ما ستر شيئاً فقد كفره قال لبيد (في لَيْلةٍ كَفَرَ النُجومَ غَمامُها) اي سترها وسواء مصدر اقيم مقام الفاعل كقولك زور وصوم ومعنل مستو والاستواء الاعتدال والسواء العدل قال زهير.

أُرُونِيَ خطَّةً لَا خَسْفَ فِيها يُسَوِّي بَيْنَنا فِيهَا السَّوَاءُ

وقالوا سي بمعنى سواء كما قالوا قي وقواء وسيان أي مثلان والانذار اعلام معه تخويف فكل منذر معلم وليس كل معلم منذراً ويوصف القديم تعالى بأنه منذر لأن الاعلام يجوز وصفه به والتخويف أيضاً كذلك لقوله ذلك يُخوّف الله به عباده فإذا جاز وصفه بالمعنيين جاز وصفه بما يشتمل عليهما وانذرت يتعدى إلى مفعولين كقوله ﴿**انا انذرناكم عذاباً قريباً**﴾ وقد ورد الى المفعول الثاني بالباء في قوله قل إنما انذركم بالوحي وقيل الانذار هو التحذير من مُخّوف يتسع زمانه للاحتراز منه فإن لم يتسع فهو اشعار.

[**الاعراب**] إنّ حرف توكيد وهي تنصب الاسم وترفع الخبر وإنما نصبت ورفعت لانها تشبه الفعل لكونها على وزنه ولانها توكيد والتوكيد من معاني الفعل وتشبهه في اتصال ضمير المتكلم نحو انني وهي مبنية على الفتح كالفعل الماضي وإنما الزمت تقديم المنصوب على المرفوع ليعلم انها إنما عملت على جهة التشبيه فجعلت كفعل قُدّم مفعوله على فاعله والذين كفروا في موضع نصب لكونه اسم إنّ وكفروا صلة الذين وأما خبرها ففيه وجهان (أحدهما) ان يكون الجملة التي هي سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم فعلى هذا يكون سواء يرتفع بالابتداء وكما بعده مما دخل عليه حرف الاستفهام في موضع الخبر والجملة في موضع رفع بأنها خبر إنّ ويكون قوله لا يؤمنون حالا من الضمير المنصوب

على حد معه صقر صائداً به وبالغ الكعبة ويستقيم ان يكون ايضاً استئنافاً والوجه الثاني ان يكون لا يؤمنون خبر إنّ ويكون قوله ﴿سواءٌ عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم﴾ اعتراضاً بين الخبر والاسم فلا يكون له موضع من الأعراب كما حكم على موضعه بالرفع بالوجه الاول فأما إذا قَدّرت هذا الكلام على ما عليه المعنى فقلت سواءٌ عليهم الأنذار وتركه كان سواء خبر المبتدأ لأنه يكون تقديره الانذار وتركه مستويان عليهم وإنما قلنا أنه مرتفع بالابتداء على ما عليه التلاوة لأنه لا يجوز ان يكون خبراً فأنه ليس في ظاهر الكلام مخبر عنه وإذا لم يكن مخبر عنه بطل ان يكون خبراً فإذا فسد ذلك ثبت انه مبتدأ وأيضاً فإنه قبل الاستفهام وما قبل الاستفهام لا يكون داخلاً في حَيّز الاستفهام فلا يجوز إذاً ان يكون الخبر عما في الاستفهام متقدماً على الاستفهام ونظير ما في الآية من أنّ خبر المبتدأ ليس المبتدأ ولا له فيه ذكر ما أنشده أبو زيد .

فَإنَّ حَرَاماً لا أَرَى الدَّهرَ باكياً عَلى شَجْوَةٍ إلا بَكَيْتُ عَلى عَمْرو

وقوله ﴿ءَأنذرتهم أم لم تنذرهم﴾ لفظه لفظ الاستفهام ومعناه الخبر وهذه الهمزة تسمى الف التسوية والتسوية آلتها همزة الاستفهام وأم تقول أزيد عندك أم عمرو تريد ايهما عندك ولا يجوز في مكانها أو لأنّ أو لا يكون معادلة الهمزة وتفسير المعادلة أن تكون أم مع الهمزة بمنزلة أي فإذا قلت أزيد عندك أو عمرو كان معناه أحد هذين عندك ويدل على ذلك ان الجواب مع زيد أم عمرو يقع بالتعيين ومع أزيد أو عمرو يقع بنعم أو لا وإنما جرى عليه لفظ الاستفهام وان كان خبراً لأن فيه التسوية التي في الاستفهام الا ترى انك إذا قلت سواء عَليّ أقمت أم قعدت فقد سويت الامرين عليك كما إنك إذا استفهمت فقلت اقام زيد أم قعد فقد استوى الأمران عندك في الاستفهام وعدم علم أحدهما بعينه فلما عَمّتهما التسوية جرى على هذا الخبر لفظ الاستفهام لمشاركته له في الابهام فكل استفهام تسوية وان لم يكن كل تسوية استفهاماً وقال النحويون إنَّ نظير سواء في هذا قولك ما ابالي اقبلت ام ادبرت لأنه وقع موقع أيّ فكأنك قلت ما ابالي أيّ هذين كان منك وما ادري احسنت أم أسأت وليت شعري اقام أم قعد وقال حسان.

مَا أُبَالي أَنبَّ بِالحَزْنِ تَيسٌ أَمْ لَحَانِي بِظَهْرِ غَيْبٍ لَئِيمُ

ومثله في انه في صورة الاستفهام وهو خبر قول جرير:

أَلَسْتُم خَيرَ مَنْ رَكِبَ المَطَايا وَأَنْدَى ٱلْعَالَمينَ بُطُونَ رَاحِ

ولو كان استفهاماً لم يكن مدحاً وقول الآخر :

سَـوَاءٌ عَلَيْـهِ أيَّ حِينٍ أَتَيْتَـهُ   أَسَاعَةَ نَحْسٍ تُتَّقىٰ أمْ بِأَسْعَـدِ

[**النزول**] قيل نزلت في أبي جهل وخمسة من أهل بيته قتلوا يوم بدر عن الربيع بن انس واختاره البلخي وقيل نزلت في قوم بأعيانهم من أحبار اليهود ممن كفر بالنبي صلى الله عليه وآله عناداً وكتم أمره حسداً عن ابن عباس وقيل نزلت في أهل الختم والطبع الذين علم الله انهم لا يؤمنون عن أبي علي الجبائي وقيل نزلت في مشركي العرب عن الأصم وقيل هي عامة في جميع الكفار أخبر تعالى بأن جميعهم لا يؤمنون ويكون كقول القائل لا يقدم جميع اخوتك اليوم فلا ينكر ان يقدم بعضهم واختار الشيخ أبو جعفر قدس الله روحه أن يكون على الاختصاص وتجويز كل واحد من الأقوال الآخر وهذا أظهر وأسبق إلى الفهم .

[**المعنى**] لمّا بين تعالى حال المؤمنين وصله بذكر الكافرين والكفر في الشرع عبارة عن جحد ما أوجب الله تعالى معرفته من توحيده وعدله ومعرفة نبيه وما جاء به من أركان الشرع فمن جحد شيئاً من ذلك كان كافراً وهذه الآية تدل على أن في المكلفين من لا لطف له لأنه لو كان لفَعَل ولآمنوا فلما أخبر أنهم لا يؤمنون علم أنهم لا لطف لهم وتدل على صدق النبي صلى الله عليه وآله لأنه أخبر بأنهم(١) لا يؤمنون فكان كما أخبر وتدلّ أيضاً على أنه يجوز أن يخاطب الله تعالى بالعام والمراد به الخاص في قول من قال الآية عامة لأنا نعلم أن في الكفار من آمن وانتفع بالانذار .

[**سؤال**] ان قال قائل إذا علم الله تعالى بأنهم لا يؤمنون وكانوا قادرين على الإيمان عندكم فما أنكرتم أن يكونوا قادرين على ابطال علم الله بأنهم لا يؤمنون .

[**الجواب**] أنه لا يجب ذلك كما أنه لا يجب إذا كانوا مأمورين بالإيمان أن يكونوا مأمورين بابطال علم الله كما لا يجب إذا كان الله تعالى قادراً على أن يقيم القيامة الساعة أن يكون قادراً على ابطال علمه بأنه لا يقيمها الساعة والصحيح أن نقول ان العلم يتناول الشيء على ما هو به ولا يجعله على ما هو به فلا يمتنع أن يعلم حصول شيء بعينه وان كان غيره مقدوراً .

---

(١) وفي النسخ الموجودة عندنا « ان هؤلاء » مكان « بأنّهم » .

﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝٧﴾

[**القراءة**] القراءة الظاهرة غشاوة بكسر الغين ورفع الهاء وروي عن عاصم في الشواذ غشاوة بالنصب وعن الحسن بضم الغين وعن بعضهم بفتح الغين وعن بعضهم غشوة بغير ألف وقرأ أبو عمرو والكسائي على أبصارهم بالامالة والباقون بالتفخيم وللقُرّاء في الامالة مذاهب يطول شرحها.

[**الحجة**] حجة من رفع غشاوة أنه لم يحمله على ختم كما في الآية الأخرى وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فإذا لم يحملها عليه قطعها عنه فكانت مرفوعة اما بالظرف وأما بالابتداء وكذلك قوله ﴿ولهم عذاب عظيم﴾ فإن عند سيبويه ترتفع غشاوة وعذاب بأنه مبتدأ فكأنه قال غشاوة على أبصارهم وعذاب لهم وعند الأخفش يرتفع بالظرف لأن الظرف يضمر فيه فعل وستعرف فائدة اختلافهما في هذه المسألة بعدُ إن شاء الله تعالى ومَن نصب غشاوة فإمّا ان يحملها على ختم كأنه قال وختم على أبصارهم بغشاوة فلما حذف حرف الجر وصل الفعل اليها فنصبها وهذا لا يحسن لأنه فصل بين حرف العطف والمعطوف به وذلك إنما يجوز في الشعر وإمّا أن يحملها على فعل مضمر كأنه قال وجعل على أبصارهم غشاوة نحو قول الشاعر (عَلّفتها تبناً وماءً بارداً) أي وسقيتها وقول الآخر:

يَـا لَـيْـتَ بَـعـلَـكِ قَـدْ غَـزا[1] مُـتَـقَـلِّـداً سَـيْـفـاً ورُمـحـا

أي وحاملاً رمحاً وهذا أيضاً لا يوجد في حال الاختيار فقد صح أن الرفع أولى وتكون الواو عاطفة جملة على جملة والغشاوة فيها ثلاث لغات فتح الغين وضمها وكسرها وكذلك الغشوة فيها ثلاث لغات.

[**اللغة**] الختم نظير الطبع يقال طبع عليه بمعنى ختم عليه ويقال طبعه أيضاً بغير حرف ولا يمتنع في ختم ذلك قال:

كَـأَنَّ قُـرَادى زَوْرِهِ طَـبَـعْـتُـهـمـا بِطِينٍ مِنَ ٱلْجَوْلَانِ كُتَّابُ أَعْجَمِ

وقوله ختامه مسك أي آخره ومنه ختم الكتاب لأنه آخر حال الفراغ منه وقوله على سمعهم يريد على أسماعهم والسمع مصدر تقول يعجبني ضربكم أي ضروبكم فيوحّد لأنه مصدر ويجوز أن يريد على مواضع سمعهم فحذفت مواضع ودل السمع عليها كما يقال

(١) وفي جملة من النسخ « غدا » بالدال المهملة بدل الزاي.

أصحابك عدل أي ذَوُو عدلٍ ويجوز أن يكون لما أضاف السمع إليهم دلَّ على معنى أسماعهم قال الشاعر :

بِهَا جِيَفُ ٱلْحَسْرَى فأمَّا عِظَامُها فَبِيضٌ وأَمَّـا جِلْدُهـا فَصَلِيبُ

وقال الآخر (في حَلْقِكُم عَظمٌ وقد شَجينا) أي في حلوقكم والغشاوة الغطاء وكل ما اشتمل على الشيء بُني على فِعالة نحو العِمامة والقِلادة والعِصابة وكذلك أسماء الصناعات كالخياطة والقصارة والصياغة لأن معنى الصناعة الاشتمال على كل ما فيها وكذلك كل من استولى على شيء فاسم ما استولى عليه الفعالة كالامارة والخلافة وغير ذلك وسُمّيَ القلب قلباً لتقلبه بالخواطر قال الشاعر(١) :

مَـا سُمّيَ القَلْبُ إلاّ مِنْ تَقَلُّبِهِ والـرَّأيُ يَعْـزُبُ وَالإنْسَـانُ أَطْوَارُ

والفؤاد محل القلب والصدر محل الفؤاد وقد يُعبّر عن القلب بمحله كقوله ﴿**لنثبت به فؤادك**﴾ وقال ﴿**ألم نشرح لك صدرك**﴾ يعني به القلب في الموضعين والعذاب استمرار الألم يقال عذبته تعذيباً وعذاباً ويقال عذب الماء إذا استمر في الحلق وحمار عاذب وعذوب إذا استمر به العطش فلم يأكل من شدة العطش وفرس عذوب مثل ذلك وأعذبته عن الشيء بمعنى فطمته والعظيم الكبير يقال هو عظيم الجثة وعظيم الشأن سُمّيَ سبحانه عظيماً وعظمته كبرياؤه .

[**المعنى**] قيل في معنى الختم وجوه (أحدها) أن المراد بالختم العلامة واذا انتهى الكافر من كفره إلى حالة يعلم الله تعالى أنه لا يؤمن فإنه يُعَلّمَ على قلبه علامة وقيل هي نكتة سوداء تشاهدها الملائكة فيعلمون بها أنه لا يؤمن بعدها فيذمونه ويدعون عليه كما أنه تعالى يكتب في قلب المؤمن الإيمان ويُعَلّمَ عليه علامة تعلم الملائكة بها أنه مؤمن فيمدحونه ويستغفرون له وكما طبع على قلب الكافر وختم عليه فوسمه بسمة تعرف بها الملائكة كفره فكذلك وسم قلوب المؤمنين بسمات تعرفهم الملائكة بها وقد تأول على مثل هذا مناولة الكتاب باليمين والشمال في أنها علامة أن المناول باليمين من أهل الجنة والمناول بالشمال من أهل النار وقوله تعالى ﴿**بل طبع الله عليها بكفرهم**﴾ يحتمل أمرين أحدهما أنه طبع عليها جزاء للكفر وعقوبة عليه والآخر أنه طبع عليها بعلامة كفرهم كما تقول طبع عليه بالطين وختم عليه بالشمع (وثانيها) أن المراد بالختم على القلوب ان الله شهد عليها وحكم بأنها لا تقبل الحق كما يقال أراك تختم على كل ما يقوله فلان أي تشهد

(١) الشاعر: عديّ بن الرقاع العاملي .

به وتصدّقه وقد ختمت عليك بأنك لا تفلح أي شهدت وذلك استعارة (وثالثها) ان المراد بذلك أنه تعالى ذمّهم بأنها كالمختوم عليها في أنه لا يدخلها الإيمان ولا يخرج عنها الكفر كقوله صم بكم عمي وكقول الشاعر (أصَمُّ عمّا ساءَهُ سَمِيعٌ) وقول الآخر :

لَقَدْ أَسْمَعْتَ لَوْ نَادَيت حَيّاً وَلٰكِنْ لا حَيَاةَ لِمَنْ تُنَادِي

والمعنى أن الكفر تمكن من قلوبهم فصارت كالمختوم عليها وصاروا بمنزلة من لا يفهم ولا يبصر ولا يسمع عن الاصم وأبي مسلم الاصفهاني (ورابعها) ان الله وصف من ذمه بهذا الكلام بأن قلبه ضاق عن النظر والاستدلال فلم ينشرح له فهو خلاف من ذكره في قوله أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربهٗ ومثل قوله **﴿ أم على قلوب اقفالها﴾** وقوله **﴿وقالوا قلوبنا غلف وقلوبنا في أكنة﴾** ويقوي ذلك أن المطبوع على قلبه وُصِف بقلة الفهم بما يسمع من أجل الطبع فقال بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلاً وقال وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون ويبين ذلك قوله تعالى **﴿قل أرأيتم ان أخذ الله سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم﴾** فعدل الختم على القلوب بأخذه السمع والبصر فدل هذا على أن الختم على القلب هو أن يصير على وصف لا ينتفع به فيما يحتاج فيه إليه كما لا ينتفع بالسمع والبصر مع أخذهما وإنما يكون ضيّقه بأن لا يتسع لما يحتاج إليه فيه من النظر والاستدلال الفاصل بين الحق والباطل وهذا كما يوصف الجبان بأنه لا قلب له إذا بولغ في وصفه بالجبن لأن الشجاعة محلها القلب فإذا لم يكن القلب الذي هو محل الشجاعة لو كانت فإن لا تكون الشجاعة أولى قال طرفة :

فَالهَبِيتُ لا فُؤادَ لَهُ وَالثَّبِيتُ قَلْبُهُ قِيَمُهْ

وكما وصف الجبان بأنه لا فؤاد له وانه يَراعة وأنه مجوف كذلك وصف من بعد عن قبول الاسلام بعد الدعاء إليه واقامة الحجة عليه بأنه مختوم على قلبه ومطبوع عليه وضيق صدره وقلبه في كنان وفي غلاف وهذا من كلام الشيخ أبي علي الفارسي وانما قال ختم الله وطبع الله لأن ذلك كان لعصيانهم الله تعالى فجاز ذلك اللفظ كما يقال أهلكته فُلَانَةٌ إذا أعجب بها وهي لا تفعل به شيئاً لأنه هلك في اتباعها .

[**سؤال**] ان قيل لم خصّ هذه الأعضاء بالذكر .

[**فالجواب**] قيل انها طرق العلم فالقلب محل العلم وطريقه إمّا السماع أو الرؤية .

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾

[**اللغة**] الناس والبشر والأنس نظائر وهي الجماعة من الحيوان المتميزة بالصورة الانسانية وأصله أناس من الانس ووزنه فعال فأسقطت الهمزة منها لكثرة الاستعمال إذا دخلها الألف واللام للتعريف ثم أدغمت لام التعريف في النون كما قيل لكنا والاصل لكن انا وقيل الناس مأخوذة من النوس وهو الحركة وتصغيره نويس ووزنه فعل وقيل أخذ من الظهور فسمي ناساً وانساناً لظهوره وادراك البصر إياه يقال آنست ببصري شيئاً وقال الله سبحانه إني آنست ناراً والانسان واحد والناس جمعه لا من لفظه وقيل أخذ من النسيان لقوله تعالى ﴿**فنسي ولم نجد له عزماً**﴾ واصل الانسان انسيان ولذلك قيل في تحقيره وتصغيره انيسيان فردّ إلى الأصل واليوم الآخر يوم القيامة وإنما سمي آخراً لأنه يوم لا يوم بعده سواه إذ ليس بعده ليلة وقيل لأنه متأخر عن أيام الدنيا وإنما فتح نون من عند التقاء الساكنين استثقالاً لتوالي الكسرتين لو قلت من الناس فأما عن الناس فلا يجوز فيه إلا الكسر لأن أول عن مفتوحٌ ومن يقول النون تدغم في الياء فمنهم من يدغم بغنّه ومنهم من يدغم بغير غنّة .

[**الاعراب**] من يقول موصول وصلة وهو مرفوع بالابتداء أو بالظرف على ما تقدم بيانه وقوله ﴿**آمنا بالله وباليوم الآخر**﴾ حديث يتعلق بقوله يقول وما حرف شبه بليس من حيث يدخل على المبتدأ والخبر كما يدخل ليس عليهما وفيه نفي الحال كما في ليس فاجري مجراه في العمل في قول أهل الحجاز على ما جاء به التنزيل وهم مرفوع لأنه اسم ما والباء في قوله بمؤمنين مزيدة دخلت توكيداً للنفي وهو حرف جار ومؤمنين مجرور به وبمؤمنين في موضع نصب بكونه خبر ما ولفظة من تقع على الواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث ولذلك عاد الذكر اليه مجموعاً على المعنى ومنه قول الفرزدق :

تَعَالَ فَإنْ عَاهَدْتَني لا تَخُونَني ... نَكُنْ مِثْلَ مَنْ يَا ذِئبُ يَصْطَحِبَانِ

فثني الضمير العائد إلى من على المعنى .

[**النزول**] نزلت في المنافقين وهم عبد الله بن أبي بن سلول وجد بن قيس ومعتب ابن قشير وأصحابهم وأكثرهم من اليهود .

[**المعنى**] بيَّن الله تعالى حالهم فأخبر سبحانه أنهم يقولون صدّقنا بالله وما أنزل على رسوله من ذكر البعث فيظهرون كلمة الإيمان وكان قصدهم ان يطلعوا على أسرار

المسلمين فينقلوها إلى الكفار أو تقريب الرسول إياهم كما كان يقرب المؤمنين ثم نفى عنهم الإيمان فقال وما هم بمؤمنين وفي هذا تكذيبهم فيما أخبروا عن اعتقادهم من الايمان والاقرار بالبعث فبيَّن أنَّ ما قالوه بلسانهم مخالف لما في قلوبهم وهذا يدل على فساد قول من يقول الإيمان مجرد القول .

﴿ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ۝٩ ﴾

[**القراءة**] قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وما يخادعون إلا أنفسهم والباقون ومايخدعون .

[**الحجة**] حجة من قرأ يخدعون ان فعل هنا اليق بالموضع من فاعل الذي هو في أكثر الأمر يكون لفاعلين ويدل عليه قوله في الآية الأخرى **﴿يخادعون الله وهو خادعهم﴾** وحجة من قرأ يخادعون هو أن ينزل ما يخطر بباله من الخدع منزلة آخر يجازيه ذلك ويعاوضه إياه فيكون الفعل كأنه من اثنين فيلزم ان يقول فاعل كقول الكميت وذكر حماراً أراد الورود

يُـذَكِّـرُ مَنْ أَنَّىٰ وَمَنْ أَيْنَ شُـرْبُـهُ   يُؤامِـرُ نَفْسَيْه كَـذي الهَجْمَـةِ الإبِـلِ

فجعل ما يكون منه من وروده الماء أو تركه الورود والتمثيل بينهما بمنزلة نفسين .

[**اللغة**] أصل الخدع الاخفاء والابهام بخلاف الحق والتزوير يقال خدعت الرجل اخدعه خدعاً بالكسر وخديعة وقالوا أنك لأخدع من ضبّ حرشته وخادعت فلاناً فخدعته والنفس في الكلام على ثلاثة أوجه النفس بمعنى الروح والنفس بمعنى التأكيد تقول جاءني زيد نفسه والنفس بمعنى الذات وهو الأصل ويقال النفس غير الروح ويقال هما اسمان بمعنى واحد ويشعرون يعلمون واصل الشعر الاحساس بالشيء من جهة تدق ومن هذا اشتقاق الشعر لأن الشاعر يفطن لما يدق من المعنى والوزن ولا يوصف الله تعالى بأنه يشعر لما فيه من معنى التلطف والتخيل .

[**الاعراب**] يخادعون فعل وفاعل والنون علامة الرفع والجملة في موضع نصب بكونها حالاً وذو الحال الضمير الذي في قوله آمنّا العائد إلى من والله نصب بيخادعون

والذين آمنوا عطف وما نفي وإلا ايجاب وأنفسهم نصب بأنه مفعول يخادعون الثانية وما نفي ويشعرون فعل وفاعل وكل موضع يأتي فيه الا بعد نفي فهو ايجاب ونقض للنفي .

[**المعنى**] معنى قوله ﴿ **يخادعون الله** ﴾ أي يعملون عمل المخادع لأن الله تعالى لا يصح ان يخادعه من يعرفه ويعلم أنه لا يخفى عليه خافية وهذا كما تقول لمن يزين لنفسه ما يشوبه بالرياء في معاملته ما أجهله يخادع الله وهو أعلم به من نفسه أي يعمل عمل المخادع وهذا يكون من العارف وغير العارف وقيل المعنى يخادعون رسول الله لأن طاعته طاعة الله ومعصيته معصية الله فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه وهذا كقوله تعالى ﴿**وإن يريدوا أن يخدعوك**﴾ والمفاعلة قد تقع من واحد كقولهم عافاه الله وعاقبت اللص وطارقت النعل فكذلك يخادعون إنما هو من واحد فمعنى يخادعون يظهرون غير ما في نفوسهم وقوله ﴿**والذين آمنوا**﴾ أي ويخادعون المؤمنين بقولهم إذا رأوهم قالوا آمنا وهم غير مؤمنين أو بمجالستهم ومخالطتهم إياهم حتى يفشوا إليهم أسرارهم فينقلوها إلى أعدائهم والتقية أيضاً تسمى خِداعاً فكأنهم لما أظهروا الاسلام وأبطنوا الكفر صارت تقيتهم خداعاً من حيث أنهم نجوا بها من اجراء حكم الكفر عليهم ومعنى قوله ﴿**وما يخدعون إلا أنفسهم**﴾ انهم وان كانوا يخادعون المؤمنين في الظاهر فهم يخادعون أنفسهم لأنهم يظهرون لها بذلك أنهم يعطونها ما تمنت وهم يوردونها به العذاب الشديد فوبال خداعهم راجع إلى أنفسهم وما يشعرون أي ما يعلمون أنه يرجع عليهم بالعذاب فهم في الحقيقة إنما خدعوا أنفسهم كما لو قاتل انسان غيره فقتل نفسه جاز أن يقال أنه قاتل فلاناً ولم يقتل الا نفسه وقوله ﴿**وما يشعرون**﴾ يدل على بطلان قول أصحاب المعارف لأنه تعالى أخبر عنهم بالنفاق وبأنهم لا يعلمون ذلك .

﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾

[**القراءة**] قرأ ابن عامر وحمزة فزادهم الله باصالة الزاي وكذلك شاء وجاء وقرأ أهل الكوفة يكذبون بفتح الياء مخففاً والباقون يُكذّبون .

[**الحجة**] حجة من امال الالف مِن زاد أنه يريد أن يدل بالامالة على أن العين ياء كما أبدلوا من الضمة كسرة في عِين وبِيض جمع أعين وأبيض(١) لتصح الياء ولا تقلب إلى

(١) على صيغة افعل التعجب .

الواو وحجة من قرأ يكذبون أن يقول ان ذلك أشبه بما قبل الكلمة وما بعدها لأن قولهم آمنا بالله كذب منهم فلهم عذاب اليم بكذبهم وما وصلته بمعنى المصدر وفي قولهم فيما بعد إذا خلوا إلى شياطينهم أنا معكم دلالة أيضاً على كذبهم فيما آدّعوه من إيمانهم وإذا كان أشبه بما قبله وما بعده كان أولى وحجة من قرأ يُكذبون بالتشديد قوله **﴿ولقد كذّبت رسل﴾** وقوله **﴿وإن كذّبوك فقل لي عملي﴾** وقوله **﴿بل كذّبوا بما لم يُحيطوا بِعلمه وإن يكذّبوك فقد كُذّبت رسل من قبلك﴾** ونحو ذلك والتكذيب اكثر من الكذب لأن كل من كَذّب صادقاً فقد كذب وليس كل من كذب مُكذّباً فكأنه قال ولهم عذاب أليم بتكذيبهم وأدخل كان ليدل على أن ذلك كان فيما مضى .

[**اللغة**] المرض العلة في البدن ونقيضه الصحة قال سيبويه أمرضته جعلته مريضاً ومَرَّضته قمت عليه ووليته وزاد فعل يتعدى إلى مفعولين قال الله تعالى **﴿وزدناهم هدىً وزاده بسطة﴾** ومصدره الزيادة والزيد قال (كذلك زيد المرء بعد انتقاصه) والأليم الموجع فعيل بمعنى مُفعل كالسميع بمعنى المُسمع والنذير بمعنى المُنذر والبديع بمعنى المبدع قال ذو الرّمة (يصكّ وجوهَها وَهَجٌ أليم) والكذب ضد الصدق وهو الاخبار عن الشيء لا على ما هو به والكذب ضرب من القول وهو نطق فإذا جاز في القول ان يتسع فيه فيجعل غير نطق في نحو قوله(١) (قد قالتِ الانساعُ للبطن الحقي) جاز أيضاً في الكذب أن يُجعل غير نطق في نحو قوله(٢) :

وذِبْيَانِيَّةٍ وَصَّتْ بَنِيْهَا ... بِأَنْ كَذِبَ القَرَاطِفُ والقُرُوفُ

فيكون في ذلك انتفاء لها كما أنه إذا أخبر عن الشيء بخلاف ما هو به كان فيه انتفاء للصدق أي كذب القراطف فأوجدوها بالغارة .

[**المعنى**] في قلوبهم مرض المراد بالمرض في الآية الشك والنفاق بلا خلاف وإنما سمي الشك في الدين مرضاً لأن المرض هو الخروج عن حدّ الاعتدال فالبدن ما لم تصبه آفة يكون صحيحاً سوياً وكذلك القلب ما لم تصبه آفة من الشك يكون صحيحاً وقيل أصل المرض الفتور فهو في القلب فتوره عن الحق كما أنّه في البدن فتور الاعضاء وتقدير الآية في اعتقاد قلوبهم الذي يعتقدونه في الله ورسولِه مرض أي شك حذف المضاف

---

(١) قائله : أبو النجم العجليّ . والانساع جمع النسع بكسر النون وهو سير أو حبل عريض طويل تشد به الرّحال .
(٢) القائل : معقر بن حمار البارقي .

وأقيم المضاف إليه مقامه وقوله ﴿**فزادهم الله مرضاً**﴾ قيل فيه وجوه (أحدها) أن معناه ازدادوا شكاً عندما زاد الله من البيان بالآيات والحجج إلا أنه لما حصل ذلك عند فعله نسب إليه كقوله تعالى في قصة نوح (ع) ﴿**لم يزدهم دعائي إلا فراراً**﴾ لما ازدادوا فراراً عند دعاء نوح (ع) نسب إليه وكذلك قوله ﴿**وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجساً إلى رجسهم**﴾ الآيات لم تزدهم رجساً وإنما ازدادوا رجساً عندها (وثانيها) ما قاله ابو علي الجبائي أنه أراد في قلوبهم غم بنزول النبي صلى الله عليه وآله المدينة وبتمكنه فيها وظهور المسلمين وقوّتهم فزادهم الله غماً بما زاده من التمكين والقوة وأمدّه به من التأييد والنصرة (وثالثها) ما قاله السُدّي ان معناه زادتهم عداوة الله مرضاً وهذا في حذف المضاف مثل قوله تعالى ﴿**فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله**﴾ أي من ترك ذكر الله (ورابعها) أن المراد في قلوبهم حزن بنزول القرآن بفضائحهم ومخازيهم فزادهم الله مرضاً بأن زاد في اظهار مقابحهم ومساويهم والاخبار عن خبث سرائرهم وسوء ضمائرهم وسُمّيَ الغم مرضاً لأنه يُضيّق الصدر كما يُضيّقه المرض (وخامسها) ما قاله أبو مسلم الاصفهاني أن ذلك على سبيل الدعاء عليهم كقوله تعالى ﴿**ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم**﴾ فكأنه دعاءٌ عليهم بأن يُخلّيَهم الله وما اختاروه ولا يعطيهم من زيادة التوفيق والالطاف ما يعطي المؤمنين فيكون خذلاناً لهم وهو في الحقيقة اخبار عن خذلان الله إياهم وان خرج في اللفظ مخرجَ الدعاء عليهم ثم قال ولهم عذاب أليم وهو عذاب النار بما كانوا يكذبون أي بتكذيبهم الله ورسوله فيما جاء به من الدين أو بكذبهم في قولهم ﴿**آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين**﴾ .

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾
أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾

[**القراءة**] قرأ الكسائي قُيل وغُيض وسُيء وسُيئت وحُيل وسُيق وجَيء بضم أوائل ذلك كله وروي عن يعقوب مثل ذلك ووافقهما نافع في سيء وسيئت وابن عامر فيهما وفي حيل وسيق والباقون يكسرون كلها .

[**الحجة**] في هذه كلها[1] ثلاث لغات الكسر واشمام الضم وقول بالواو فأما قيل بالكسر فعلى نقل حركة العين إلى الفاء لأن أصله قول ثم قلبت الواو ياء لسكونها وانكسار ما قبلها وهو قياس مطرد في كل ما اعتلّت عينه وأما الاشمام فلأجل الدلالة على الأصل

(١) [الكلمات] .

مع التخفيف .

[**اللغة**] الإفساد إحداث الفساد وهو كل ما تغير عن استقامة الحال والصلاح نقيض الفساد والأرض مستقر الحيوان ويقال لقوائم الفرس أرض لأنه يستقر عليها قال[١] :

إِذَا مَا ٱسْتَحَمَّتْ أَرْضُهُ مِنْ سَمائِهِ جَرَى وَهْوَ مَوْدُوعٌ وَوَاعِدُ مُصَـدَقِ

[**الإعراب**] إذا لفظة وضعت للوقت بشرط أن يكون ظرفاً زمانياً وفيها معنى الشرط وإنما يعمل فيها جوابها ففي هذه الآية إذا في محل نصب لأنه ظرف قالوا لأنه الجواب ولا يجوز أن يعمل فيه قيل لهم لأن إذا في التقدير مضاف إلى قيل والمضاف إليه لا يعمل في المضاف وكذلك قوله ﴿ **وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا** ﴾ وإذا مبني وإنما بني لتضمّنه معنى في ولزومه إياه وقد يكون إذا ظرفاً مكانياً في نحو قولك خرجت فإذا الناس وقوف أي ففي المكان الناس وقوف ويجوز أن ينصب وقوفاً على الحال لأن ظرف المكان يجوز أن يكون خبراً عن الجثة وقيل مبني على الفتح وكذلك كل فعل ماض فمبني على الفتح ولا حرف نهي وهي تعمل الجزم في الفعل وتُفْسدوا مجزوم بلا وعلامة الجزم فيه سقوط النون والواو ضمير الفاعلين وما في قوله إنما كافة كفّت إنّ عن العمل فعاد ما بعدها إلى ما كان عليه في الأصل من كونه مبتدأ وخبراً وهو قوله نحن مصلحون فنحن مبتدأ ومصلحون خبره وموضع الجملة نصب بقالوا كما تقول قلت حقاً أو باطلاً ونحن مَبنيّة لمشابهتها للحروف وبنيت على الضم لأنها من ضمائر الرفع والضمة علامة الرفع لأنها ضمير الجمع والضمة بعض الواو والواو علامة الجمع في نحو ضاربون ويضربون وقوله ﴿ **لا تُفسدوا في الأرض**﴾ جملة في موضع رفع على تقدير قيل لهم شيء فهي اسم ما لم يسمَّ[٢] وقوله إلا كلمة تنبيه وافتتاح للكلام تدخل على كل كلام مكتف بنفسه نحو قوله إلا أنهم من أفكهم ليقولون ولد الله وأصله لا دخل عليه ألف الاستفهام والألف إذا دخل على الجحد أخرجه إلى معنى التقرير والتحقيق كقوله ﴿ **أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى** ﴾ لأنه لا يجوز للمجيب إلا الإقرار ببلى وهم في إنّهم في موضع نصب بإنّ وهم الآخر يجوز أن يكون فصلاً على ما فسرناه قبل ويجوز أن يكون مبتدأ والمفسدون خبره والجملة خبر إنّ وضم الميم من هم لالتقاء الساكنين ردّوه إلى الأصل .

---

(١) قائله : خفاف بن ندبة السلمي .

(٢) [فاعله] .

[**النزول**] الآية نزلت في المنافقين الذين نزلت فيهم الآيات المتقدمة وروي عن سلمان رضي الله عنه أن أهل هذه الصفة لم يأتوا بعد والأول يقتضيه نظم الكلام ويجوز أن يراد بها من صورتهم صورة هؤلاء فيكون قول سلمان محمولاً على أنه أراد بعد انقراض المنافقين الذين تناولتهم الآية .

[**المعنى**] المراد وإذا قيل للمنافقين لا تُفسدوا في الأرض بعمل المعاصي وصدّ الناس عن الإيمان على ما روي عن ابن عباس أو بممالأة(١) الكفار فإن فيه توهين الإسلام على ما قاله أبو علي أو بتغيير الملة وتحريف الكتاب على ما قاله الضحاك قالوا إنما نحن مصلحونِ وهو يحتمل أمرين أحدهما أنّ الذي يسمّونه فسادا هو عندنا صلاح لأنا إنما نفعل ذلك كي نسلم من الفريقين والآخر أنهم جحدوا ذلك وقالوا أنا لا نعمل بالمعاصي ولا نمالىء الكفار ولا نحرف الكتاب وكان ذلك نفاقاً منهم كما قالوا ﴿ **آمنا بالله** ﴾ ولم يؤمنوا ثم قال إلا أنهم أي إعْلموا أن هؤلاء المنافقين الذين يعدّون الفساد صلاحاً ﴿**هم المفسدون**﴾ وهذا تكذيب من الله تعالى لهم ﴿**ولكن لا يشعرون**﴾ أي لا يعلمون أن ما يفعلونه فسادٌ وليس بصلاح ولو علموا ذلك لرجي صلاحهم وقيل لا يعلمون ما يستحقونه من العقاب وهذه الآية تدل على بطلان مذهب أصحاب المعارف لقوله ﴿ **لا يعلمون** ﴾ وإنما جاز تكليفهم وإن لم يشعروا أنهم على ضلال لأن لهم طريقاً إلى العلم بذلك .

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾

[**القراءة**] السفهاءُ إلا أهلُ الكوفة وابن عامر حققوا الهمزتين وأهل الحجاز وأبو عمرو همزوا الأولى وليَّنوا الثانية وكذا كل همزتين مختلفتين من كلمتين وقد ذكرنا الوجه فيها حيث ذكرنا اجتماع الهمزتين في كلمة واحدة وهو قوله : ﴿ **أنذرتهم** ﴾ .

[**اللغة**] السفهاء جمع سفيه والسفيه الضعيف الرأي الجاهل القليل المعرفة بمواضع المنافع والمضار ولذلك سمى الله الصبيان والنساء سفهاء بقوله ﴿ **ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياماً** ﴾ وقال قُطْرُب السفيه العجول الظلوم القائل خلاف الحق

(٤) الممالاة : المساعدة .

وقال مُوءرِّج السفيه الكذاب البهات المتعمد بخلاف ما يعلم وقيل السفه خفة الجلم وكثرة الجهل يقال ثوب سفيه إذا كان رقيقاً بالياً وسفهته الرياح أي طيرته وقد جاء في الأخبار أن شارب الخمر سفيه والألف واللام في الناس وفي السفهاء للعهد لا للجنس والمراد بهم المؤمنون من أصحاب النبي ﷺ وإنما سموا الناس لأن الغلبة كانت لهم .

[**الإعراب**] قوله كما آمن الكاف في موضع نصب بكونه صفة لمصدر محذوف وما مع صلته بمعنى المصدر أي آمِنوا إيماناً مثل إيمان الناس فحذف الموصوف وأقام الصفة مقامه والهمزة في أنؤمن للإنكار وأصلها الاستفهام ومثله أنطعم من لو يشاء الله أطعمه وإذا ظرف لقوله ﴿ **قالوا أنؤمن** ﴾ وقد مضى الكلام فيه .

[**المعنى**] المراد بالآية وإذا قيل للمنافقين صَدِقُوا بمحمد صلى الله عليه وآله وما أنزل عليه كما صدَّقه أصحابه وقيل كما صدق عبد الله بن سلام ومن آمن معه من اليهود قالوا أنصدق كما صدق الجهال ثم كذبهم الله تعالى وحكم عليهم بأنهم هم الجهال في الحقيقة لأن الجاهل إنما يسمى سفيهاً لأنه يضيع من حيث يرى أنه يحفظ فكذلك المنافق يعصي ربه من حيث يظن أنه يطيعه ويكفر به من حيث يظن أنه يؤمن به .

﴿ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَـٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾

[**القراءة**] بعض القراء ترك الهمزة من مستهزؤون وقوله خلوا إلى قراءة أهل الحجاز خَلَوِلى حذفوا الهمزة وألقوا حركتها على الواو قبلها وكذلك أمثاله والباقون أسكنوا الواو وحققوا الهمزة .

[**الحجة**] قال سيبويه الهمزة المضمومة المكسور ما قبلها تجعلها إذا خففتها بين بين وكذلك الهمزة المكسورة إذا كان ما قبلها مضموماً نحو مرتع إبلك تجعلها بين بين وذهب الأخفش إلى أن تقلب الهمزة ياء في مستهزيون قلباً صحيحاً من أجل الكسرة التي قبلها ولا تجعلها بين بين ولا تقلبها واوا مع تحركها بالضمة لخروجه إلى ما لا نظير له ألا ترى أنه واو مضمومة قبلها كسرة وذلك مرفوض عندهم .

[**اللغة**] اللقاء نقيض الحجاب قال الخليل كل شيء استقبل شيئاً أو صادفه فقد لقيه وأصل اللقاء الإجتماع مع الشيء على طريق المقاربة والاجتماع قد يكون لا على

طريق المجاورة كاجتماع العرين في محل والخلاء نقيض الملاء ويقال خلوت إليه وخلوت معه ويقال خلوت به على ضربين أحدهما بمعنى خلوت معه والآخر بمعنى سخرت منه وقد ذكرنا معنى الشيطان في مفتتح سورة الفاتحة ويستهزئون أي يهزءون ومثله يستسخرون أي يسخرون وقرَّ واستقرَّ وعلا قرنه واستعلى قرنه ورجل هُزَاءَة يهزء بالناس وهُزْءَة يهزء به الناس وهذا قياس .

[**الإعراب**] انا أصله اننا لكن النون حذفت لكثرة النونات والمحذوفة النون الثانية من إن لأنها التي تحذف في نحو وإن كل لما جميع وقد جاء على الأصل في قوله ﴿ **انني معكما ومعكم** ﴾ انتصب انتصابَ الظروف نحو إنا خلفكم أي إنا مستقرون معكم والقراءة بفتح العين ويجوز للشاعر(١) إسكان العين قال:

وَرِيشي مِنْكُمْ وَهَوَايَ مَعْكُم　　وَإِنْ كَانَتْ زِيارَتُكُمْ لِمامَا

[**المعنى**] وإذا لقوا الذين آمنوا يعني أن المنافقين إذا رأوا المؤمنين قالوا آمنا أي صدقنا نحن بما أنزل على محمد صلى الله عليه وآله كما صدقتم أنتم وإذا خلوا إلى شياطينهم قيل رؤساؤهم من الكفار عن ابن عباس وقيل هم اليهود الذين أمروهم بالتكذيب وروي عن أبي جعفر الباقر عليه السلام أنهم كَهَّانُهم قالوا إنا معكم أي على دينكم إنما نحن مستهزئون أي نستهزىء بأصحاب محمد صلى الله عليه وآله ونسخر بهم في قولنا آمنا .

﴿ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾

[**اللغة**] المدّ أصله الزيادة في الشيءِ والمد الجذب لأنه سبب الزيادة في الطول والمادة كل شيء يكون مدداً لغيره وقال بعضهم كل زيادة حدثت في الشيء من نفسه فهو مددت بغير ألف كما تقول مدّ النهر ومدّه نهر آخر وكل زيادة أحدثت في الشيء من غيره فهو أمددت بالالف كما يقال أمدّ الجرحُ لأن المِدة من غير الجرح وأمددت الجيش والطغيان من قولك طغى الماء يطغى إذا تجاوز الحد والطاغية الجبار العنيد والعمه التحيّر يقال عمه يعمه فهو عمه وعامه قال رؤبة :

(١) قائله: جرير : يمدح هشام بن عبد الملك .

ومَهْمَـهٍ أَطْـرَافُهُ فـي مَهْـمَـهِ ... أَعْمَى ٱلْهُـدَى بِالحَـائِـرِيـنَ العُمَّـهِ

[الإعراب] يعمهون جملة في موضع الحال .

[والمعنى] قيل في معنى الآية وتأويلها وجوه أحدها أن يكون معنى الله يستهزىء بهم يجازيهم على استهزائهم والعرب تسمي الجزاء على الفعل باسمه وفي التنزيل وجزاء سيئة سيئة مثلها وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به وقال عمرو بن كلثوم :

أَلَا لَا يَجْهَـلَنْ أَحَـدٌ عَلَيْنَـا ... فَنَجْهَـلَ فَوْقَ جَهْـلِ الجَاهِلِينَا

وإنما جاز ذلك لأن حكم الجزاء أن يكون على المساواة (وثانيها) أن يكون معنى استهزاء الله تعالى بهم تخطئته إياهم وتجهيله لهم في إقامتهم على الكفر وإصرارهم على الضلال والعرب تقيم الشيء مقام ما يقاربه في معناه قال الشاعر[1]:

إنَّ دَهـراً يَلُفُّ شَمْلِي بِجُمْـلٍ ... لَـزَمـانٌ يَـهُـمُّ بِـالإحـسَانِ

وقال آخر :

كَمْ أُنَـاسٍ في نَعِيمٍ عُمِّـرُوا ... في ذَرَى مُلْكٍ تَعَـالى فَبَسَـق

سَكَتَ الـدَّهـرُ زَمـانـاً عَنْهُمُ ... ثُمَّ أَبْكَـاهُمْ دَماً حِينَ نَـطَقَ

والدهر لا يوصف بالسكوت والنطق والهم وإنما ذكر ذلك على الاستعارة والتشبيه (وثالثها) أن يكون معنى الاستهزاء المضاف إليه تعالى أن يستدرجهم ويهلكهم من حيث لا يعلمون وقد روي عن ابن عباس أنه قال في معنـى الاستدراج أنهم كلما أحدثوا خطيئة جدد الله لهم نعمة وإنما سمي هذا الفعل استهزاء لأن ذلك في الظاهر نعمة والمراد به استدراجهم إلى الهلاك والعقاب الذي استحقوه بما تقدم من كفرهم (ورابعها) أن معنى استهزائه بهم أنه جعَلَ لهم بما أظهروه من موافقة أهل الإيمان ظاهر أحكامهم من الموارثة والمناكحة والمدافنة وغير ذلك من الأحكام وإن كان قد أعدَّ لهم في الآخرة أليم العقاب بما أبطنوه من النفاق فهو سبحانه كالمستهزىء بهم من حيث جعل لهم أحكام المؤمنين ظاهراً ثم ميّزهم منهم في الآخرة (وخامسها) ما روي عن ابن عباس أنه قال يفتح لهم وهم في النار باب من الجنة فيقبلون من النار إليه مسرعين حتى إذا انتهوا إليه سُدَّ عليهم وفتح لهم باب آخر في موضع آخر فيقبلون من النار إليه مسرعين حتى إذا انتهوا إليه سد

(١) وهو: حسان بن ثابت الأنصاري. جمل بالضم : اسم محبوبته .

عليهم فيضحك المؤمنون منهم فلذلك قال الله عز وجل : ﴿ **فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون** ﴾ وهذه الوجوه الذي ذكرناها يمكن أن تذكر في قوله تعالى : ﴿ **ويمكرون ويمكر الله ويخادعون الله وهو خادعهم** ﴾ وأما قوله ﴿ **ويمدهم في طغيانهم يعمهون** ﴾ ففيه وجهان :

(أحدهما) أن يريد أن يملي لهم ليؤمنوا وهم مع ذلك متمسكون بطغيانهم وعمههم والآخر أنه يريد أن يتركهم من فوائده ومنحه التي يؤتيها المؤمنين ثواباً لهم ويمنعها الكافرين عقاباً لهم كشرح الصدر وتنوير القلب فهم في طغيانهم أي كفرهم وضلالهم يعمهون أي يتحيرون لأنهم قد أعرضوا عن الحق فتحيروا وترددوا .

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ١٦ ﴾

قرأ جميع القراء اشتروا الضلالة بضم الواو وفي الشواذ عن يحيى بن يعمر أنه كسرها تشبيهاً بواو لو في قوله لو استطعنا وروي عن يحيى بن وثاب أنه ضم واو لو واو تشبيهاً بواو الجمع .

[**الحجة**] الواو في اشتروا ساكنة فإذا سقطت همزة الوصل التقت مع الساكن المبدل من لام المعرفة فالتقى ساكنان فحرك الأول منهما لالتقائهما وصار الضم أولى بها ليفصل بالضم بينها وبين واو « لو » و « أو » يدل على ذلك اتفاقهم على التحريك بالضم في نحو قوله ﴿ **لتبلُونّ ولترونّ الجحيم ومصطفوّ الله** ﴾ للدلالة على الجمع ويدل على تقرير ذلك في هذه الواو أنهم شبهوا بها الواو التي في أو ولو فحركوها بالضم تشبيهاً بها فكما شبهوا الواو التي في أو بالتي تدل على الجمع كذلك شبهوا هذه بها فأجازوا فيها الكسر ألا ترى أنهم أجازوا الضم في لو استطعنا تشبيهاً بالتي للجمع ومثل هذا إجازتهم الجر في الضارب الرجل تشبيهاً بالحسن الوجه وإجازتهم النصب في الحسن الوجه تشبيهاً بالضارب الرجل .

[**اللغة**] حقيقة الاشتراء الاستبدال والعرب تقول لمن تمسك بشيء وترك غيره قد اشتراه وليس ثَمَّ شراء ولا بيع قال الشاعر[1]:

أَخَـذْتُ بـالجُمَّـةِ رَأسـاً إزْعَـرَا وَبِـالثَّنَـايَـا الـواضِحَـاتِ الـدُّرْدُرَا
وَبِـالطَّوِيـلِ العُمْـرِ عمـراً جَيـدَرا كَمَـا ٱشْتَرَى المُسْلِمُ إذْ تَنَصَّرا

(١) هو أبو النجم العجليّ.

والربح الزيادة على رأس المال ومنه (وَمَنْ نَجا بِرَأْسِه فَقَدْ رَبَح) والتجارة التعرض للربح في البيع وقوله ﴿ **فما ربحت تجارتهم**﴾ أي فما ربحوا في تجارتهم والعرب تقول ربح بيعك وخسر بيعك وخاب بيعك[١] على معنى ربحت في بيعك وإنما أضافوا الربح إلى التجارة لأن الربح يكون فيها.

[**الإعراب**] أولئك موضعه رفع بالابتداء وخبره الذين اشتروا الضلالة بالهدى وما حرف نفي وكان صورته صورة الفعل ويستعمل على نحوين أحدهما أن لا يدل على حدث بل يدل على زمان مجرد مثل كان زيد قائماً فإذا استعمل على هذا فلا بد له من خبر لأن الجملة غير مكتفية بنفسها فيزداد خبر حديثاً عن الإسم ويكون اسمه وخبره في الأصل مبتدأ وخبراً فيجب لذلك أن يكون خبره هو الإسم أو فيه ذكر منه كما أن في الآية الواو في موضع الرفع لأنه اسم كان ومهتدين منصوب بأنه خبره والياء فيه علامة النصب والجمع وحرف الإعراب والنون عوض من الحركة والتنوين في الواحد وكان في الأصل مهتديين سكنت الياء الأولى التي هي لام الفعل استثقالاً للحركة عليها ثم حذفت لالتقاء الساكنين وفتحت النون فرقاً بينها وبين نون التثنية والآخر من نَحْوَيْ كان ما هو فعل حقيقي يدل على زمان وحدث كقوله تعالى: ﴿ **إلا أن تكون تجارة** ﴾ أي تحدث فإذا استعمل هكذا فهي جملة مستقلة لا تحتاج إلى خبر .

[**المعنى**] أشار إلى من تقدم ذكرهم من المنافقين فقال : ﴿ **أولٓئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى** ﴾ قال ابن عباس أخذوا الضلالة وتركوا الهدى ومعناه استبدلوا الكفر بالإيمان ومتى قيل كيف قال ذلك وإنما كانوا منافقين ولم يتقدم نفاقهم إيماناً فنقول للعلماء فيه وجوه (أحدها) أن المراد باشتروا استحبوا واختاروا لأن كل مشترٍ مختار ما في يدي صاحبه على ما في يديه عن قَتادة (وثانيها) أنهم ولدوا على الفطرة كما جاء في الخبر فتركوا ذلك إلى الكفر فكأنهم استبدلوه به (وثالثها) أنهم استبدوا بالإيمان الذي كانوا عليه قبل البعثة كفراً لأنهم كانوا يبشرون بمحمد ويؤمنون به صلى الله عليه وآله فلما بعث كفروا به فكأنهم استبدلوا الكفر بالإيمان عن الكلبي ومقاتل وقوله ﴿ **فما ربحت تجارتهم** ﴾ أي خسروا في استبدالهم الكفر بالإيمان والعذاب بالثواب وقوله: ﴿ **وما كانوا مهتدين** ﴾ أي مصيبين في تجارتهم كأصحاب محمد صلى الله عليه وآله وقيل أراد سبحانه أن ينفي عنهم

(١) وفي نسختين « خاب سعيك » مكان « خاب بيعك » وهو الظاهر .

الربح والهداية فإن التاجر قد يخسر ولا يربح ويكون على هدى فإن قيل كيف قال فما ربحت تجارتهم في موضع ذهبت فيه رؤوس أموالهم فالجواب أنه ذكر الضلالة والهدى فكأنه قال طلبوا الربح فلم يربحوا وهلكوا والمعنى فيه أنه ذهبت رؤوس أموالهم ويحتمل أن يكون ذكر ذلك على التقابل وهو أن الذين اشتروا الضلالة بالهدى لم يربحوا كما أن الذين اشتروا الهدى بالضلالة ربحوا .

﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾

[**اللغة**] المثل والمثل والشبه والشبه نظائر وحقيقة المثل ما جعل كالعلم على معنى سائر يشبه فيه الثاني بالأول ومثاله قول كعب بن زهير :

كَانَتْ مَوَاعِيدُ عُرْقُوبٍ لَنَا مَثَلاً وَمَا مَوَاعِيدُهُ إلَّا الأَبَاطِيلُ

فمواعيد عرقوب علم في كل ما لا يصح من المواعيد ومنه التمثال لأنه يشبه الصورة والذي قد يوضع موضع الجمع كقوله تعالى : ﴿ **والذي جاء بالصدق وصدّق به** ﴾ ثم قال ﴿ **أولئك هم المتقون** ﴾ قال الشاعر[1] :

وَإنَّ ٱلَّذِي حَانَتْ بِفَلْجٍ دِمَاؤُهُمْ هُمُ ٱلْقَوْمُ كُلُّ القَوْمِ يَا أُمَّ خَالِدِ

واستوقد بمعنى أوقد مثل استجاب بمعنى أجاب وقيل استوقد أي طلب الوقود والوقود بفتح الواو الحطب والنار جوهر مضيء حار محرق وأصله من النور يقال نار وأنار واستنار بمعنى والمنارات العلامات وأضاء يكون لازماً ومتعدياً يقال أضاء الشين بنفسه وأضاء غيره والذي في الآية متعدّ والترك للشيء والكف عنه والإمساك نظائر والظلمات جمع ظلمة وأصلها انتقاص الحق من قوله ولا تظلم منه شيئاً أي لم تنقص ومنه ومن أشبه أباه فما ظلم أي ما انتقص حق الشبه والابصار إدراك الشيء بحاسة البصر يقال أبصر بعينه والابصار بالقلب مشبه به .

[**الإعراب**] مثلهم مبتدأ وكمثل الذي خبره والكاف زائدة تقديره مثلهم مثل الذي استوقد ناراً ونحوه قوله ﴿ **ليس كمثله** ﴾ أي ليس مثله شيء واستوقد ناراً وما اتصل به من

(١) هو أشهب بن زميلة النهشلي .

صلة الذي والعائد إلى الذي المضمر الذي في استوقد ولما يدل على وقوع الشيء لوقوع غيره وهو بمعنى الظرف والعامل فيه جوابه وتقديره فلما أضاءت ما حوله طفئت أي طفئت حين أضاءت وما في قوله ما حوله اسم موصول منصوب بوقوع الإضاءة عليه وحوله نصب على الظرف وهو صلة ما يقال هم حولَه وحولَيْه وحوالَه وحوالَيْه وقوله ذهب الله بنورهم أي أذهب الله نورهم والفعل الذي لا يتعدى يتعدى إلى المفعول بحرف الجر وبهمزة النقل والباء في قوله بنورهم يتعلق بذهب وفي ظلمات يتعلق بتركهم وقوله لا يبصرون في موضع نصب على الحال والعامل فيه تركهم أي تركهم غير مبصرين .

﴿ **مثلهم** ﴾ أي مثل هؤلاء المنافقين لما أظهروا الإيمان وأبطنوا الكفر ﴿ **كمثل الذي استوقد** ﴾ أي أوقد نارا أو كمثل الذي طلب الضياء بإيقاد النار في ليلة مظلمة فاستضاء بها واستدفأ ورأى ما حوله فاتقى ما يحذر ويخاف وأمن فبينا هو كذلك إذا طفِئت ناره فبقي مظلماً خائفاً متحيراً كذلك المنافقون لما أظهروا كلمة الإيمان واستناروا بنورها واعتزّوا بعزّها فناكحوا المسلمين ووارثوهم وأمنوا على أموالهم وأولادهم فلما ماتوا عادوا إلى الظلمة والخوف وبقوا في العذاب وذلك معنى قوله ﴿ **فلما أضاءَت ما حوله ذهب الله بنورهم** ﴾ وهذا هو المروي عن ابن عباس وقتادة والضحاك والسُدّي وكان يجب في حق النظم أن يكون اللفظ فلما أضاءَت ما حوله أطفأ الله ناره ليشاكل جواب لمّا معنى هذه القضية ولكن لما كان اطفاء هذه النار مثلاً لإذهاب نورهم أقيم اذهاب النور مقام الإطفاء وحذف جواب لما إيجازاً واختصاراً لدلالة الكلام عليه كما قال أبو ذؤيب .

دَعـانِي إِلَيْهَـا القَلْبُ إِنّي لأمـره[1] مُـطِيْعٌ فَمَـا أَدْرِي أَرُشْدٌ طِـلابُهَـا

وتقديره أرشد أم غيٌّ طلابها فحذف للإيجاز ومعنى إذهاب الله نورهم هو أن الله تعالى يسلبهم ما أعطوا من النور مع المؤمنين في الآخرة وذلك قوله تعالى فيما أخبر عنهم ﴿ **انظرونا نقتبس من نوركم** ﴾ قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نوراً وقيل في معنى إذهاب نور المنافقين وجه آخر وهو اطلاع الله المؤمنين على كفرهم فقد ذهب منهم نور الإسلام بما أظهر الله من كفرهم وقال سعيد بن جبير ومحمد بن كعب وعطا الآية نزلت في اليهود وانتظارهم خروج النبي صلى الله عليه وآله وإيمانهم به واستفتاحهم به على مشركي العرب فلما خرج كفروا به وذلك أن قريظة والنضير وبني قَنيقاع قدموا من الشام إلى يثرب حين انقطعت النبوة من بني إسرائيل وأفضت إلى العرب فدخلوا المدينة يشهدون لمحمد صلى

(١) وفي جملة من النسخ « عصاني إليها القلب إني لأمرها » .

الله عليه وآله بالنبوة وأن أمته خير الأمم وكان يغشاهم رجل من بني إسرائيل يقال له عبد الله بن هيبان قبل أن يوحى إلى النبي ﷺ كل سنة فيحضّهم على طاعة الله عز وجل وإقامة التوراة والإيمان بمحمد صلى الله عليه وآله ويقول إذا خرج فلا تفرقوا عليه وانصروه وقد كنت أطمع أن أدركه ثم مات قبل خروج النبي صلى الله عليه وآله فقبلوا منه ثم لما خرج النبي صلى الله عليه وآله كفروا به فضرب الله لهم هذا المثل .

[**سؤال**] كيف الله شبه المنافقين أو اليهود وهم جماعة بالذي استوقد ناراً وهو واحد.

[**الجواب**] على وجوه (أحدها) ان الذي في معنى الجمع كما قيل في الآية الأخرى والذي جاء بالصدق وَصّدق به (وثانيها) ان يقال النون محذوفة من الذي كما جاء في قول الاخطل:

أبـنـي كُـلَيْـبٍ إنَّ عَـمَّـيَّ الـلّذَا قَتَـلا آلمُلُوكَ وفَكَّـكَـا آلأغْـلالا

(وثالثها) ان يكون الكلام على حذف كأنه قال مثلهم كمثل اتباع الذي استوقد ناراً ثم حذف المضاف واقام المضاف إليه مقامه كما قال الجعدي.

وكَيْفَ تُـوَاصِـلُ مَنْ أَصْبَحَتْ خِـلالَتُـهُ كـأبِـي مَـرَحَـبِ

يريد كخلالة أبي مرحب (ورابعها) ان يقال اراد بالمستوقد الجنس لما في الذي من الابهام إذ ليس يراد به تعريف واحد بعينه وعلى هذا يكون جواب لما اضاءت ما حوله محذوفاً كأنه قال طفئت والضمير في قوله ذهب الله بنورهم يعود إلى المنافقين (وخامسها) ان يقال هذا تشبيه الحال بالحال فتقديره حال بالحال فتقديره حال هؤلاء المنافقين في جهلهم كحال المستوقد ناراً وتشبيه الحال بالحال جائز كما يقال بلادة هؤلاء كبلادة الحمار ولو قلت هؤلاء كالحمار لم يجز ومعنى قوله ﴿**وتركهم في ظلمات لا يبصرون**﴾ معناه لم يفعل الله لهم النور إذ الترك[1] هو الكفّ عن الفعل بالفعل وهذا إنما يصح فيمن حلّه فعله والله سبحانه منزه عن ان يحلّه فعله فمعناه أنه لم يفعل لهم النور حتى صاروا في ظلمة اشد مما كان قبل الايقاد وقوله لا يبصرون أي لا يبصرون الطريق .

﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾

(١) قد سقطت من نسخة صيدا جملة وها هي [إذا جاء في صفات الله تعالى فالمعنى ان لا يفعل لان الترك].

[**اللغة**] الاصمّ هو الذي ولد كذلك وكذلك الابكم هو الذي ولد اخرس واصل الصمّ السدّ والصمم سدّ الاذن بما لا يقع منه سمع وقناة صماء صلبة مكتنزة الجوف لسدّ جوفها بامتلائها وحجر اصم صلب وفتنة صّماء شديدة والصِمام ما يسدّ به رأس القارورة واصل البكم الاعتقال في اللسان وهو آفة تمنع من الكلام واصل العمى ذهاب الادراك بالعين والعمى في القلب مثل العمى في العين آفة تمنع من الفهم ويقال ما اعماه من عمى القلب ولا يقال ذلك في العين وإنما يقال ما اشد عماه وما جرى مجراه والعماية الغواية والعماء السحاب الكثيف المطبق والرجوع قد يكون عن الشيء أو إلى الشيء فالرجوع عن الشيء هو الانصراف عنه بعد الذهاب إليه والرجوع إلى الشيء هو الانصراف إليه بعد الذهاب عنه.

[**الاعراب**] صم بكم عمي رفع على خبر مبتدأ محذوف أي هؤلاء الذين قصتهم هذه صم بكم عمي.

[**المعنى**] قال قتادة صم لا يسمعون الحق بكم لا ينطقون به عمي لا يبصرونه فهم لا يرجعون عن ضلالتهم ولا يتوبون وإنما شبَّههم الله بالصم لأنهم لم يُحسنوا الاصغاء إلى أدلة الله تعالى فكأنهم صم وإذا لم يقروا بالله وبرسوله فكأنهم بكم وإذا لم ينظروا في ملكوت السماوات والأرض فكأنهم عمي لما لم تصل اليهم منفعة هذه الاعضاء فكأنهم ليس لهم هذه الاعضاء. وهذا يدل على ان معنى الختم والطبع ليس على وجه الحيلولة بينهم وبين الإيمان لأنه جعل الْفَهم بالكفر واستثقالهم للحق بمنزلة الصمم والبكم والعمي مع صحة حَواسهم وكذلك قوله طبع الله على قلوبهم واضلهم واصمّهم واعمى ابصارهم وازاغ الله قلوبهم فإن جميع ذلك اخبار عما احدثوه عند امتحان الله إياهم وامره لهم بالطاعة والإيمان لا انه فعل بهم ما مَنَعهم به عن الإيمان وهذا كما قيل في المثل حبّك الشيء يُعمي ويصمّ قال مسكين الدارمي :

أَعْمَى إِذَا مَا جارَتِيْ خَرَجَتْ ... حَتَّى يُوَارِي جارَتي الْخِدْرُ
وَتَصَمُّ عمّا كانَ بَيْنَهُما ... أُذْني وَما في سَمْعِها وَقَرُ

وفي التنزيل ﴿**وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون**﴾ وقوله ﴿**فهم لا يرجعون**﴾ يحتمل أمرين أحدهما أنه على الذم والاستبطاء عن ابن عباس والثاني أنهم لا يرجعون إلى الاسلام عن ابن مسعود .

﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾

[**القراءة**] ظلمات اجمع القراء على ضم اللام منه على الاتباع وروي في الشواذ عن الحسن وأبي السماك بسكون اللام وعن بعضهم بفتح اللام وأبو عمرو يميل الكاف من الكافرين في موضع[1] الخفض والنصب وروي ذلك عن الكسائي والباقون لا يميلون.

[**ؤالحجة**] الوجه في ذلك انهم كرهوا اجتماع الضمتين فتارةً عدلوا إلى الفتح فقالوا ظلمات وتارةً عدلوا إلى السكون فقالوا ظلمات وكلا الأمرين حسن في اللغة وإنما امالوا الكاف من الكافرين للزوم كسرة الراء بعد الفاء المكسورة والراء لما فيها من التكرير تجري مجرى الحرفين المكسورين وكلما كثرت الكسرات غلبت الامالة وحَسَّنتها وللقراء في الامالة مذاهب واختلافات يطول استقصاؤها وأبو علي الفارسي رحمه الله قد بلغ الغاية وجاوز النهاية في احتجاجاتهم وذكر من التحقيق فيها والتدقيق ما ينبو عنه فهم كثير من علماء الزمان فالتعمق في ايراد ابوابها وحججها والغوص إلى لججها لا يليق بتفسير القرآن وكذلك كا يتعلق بفن القراءة من علوم الهمزة والادغام والمد فإن لذلك كتباً مؤلفة يرجع إليها ويعول عليها فالرأي أن نُلِمّ باطرافها ونقتصر على بعض اوصافها فيما يأتي من الكتاب أن شاء الله تعالى

[**اللغة**] الصيب المطراصلة صيْوب فيعل من الصواب لكن اجتمعت الواو والياء واولاهما ساكنة فصارتا ياء مشددة ومثله سيد وجيّد والسماء: المعروف وكل ما علاك وأظلّك فهو سماء وسماء البيت سقفه واصابهم سماء أي مطر وأصله سما من سموت فقلبت الواو همزة لوقوعها طرفاً بعد الف زائدة وجعل يكون على وجوه (أحدها) ان يتعدى إلى مفعولين نحو جعلت الطين خزفاً اي صيرت (وثانيها) أن يأتي بمعنى صنع يتعدى إلى مفعول واحد نحو قوله **﴿وجعل الظلمات والنور﴾** (وثالثها) ان يأتي بمعنى التسمية كقوله تعالى **﴿وجعلوا لله أنداداً﴾** أي سمّوا له (ورابعها) ان يأتي بمعنى افعال المقاربة نحو جعل زيد

---

(١) [في الموضعين].

يفعل كذا والصواعق جمع صاعقة وهي الوقع الشديد من السحاب يسقط معه نار تحرق والصاعقة صيحة العذاب والحذر طلب السلامة مما يخاف.

[**الاعراب**] أو ههنا للاباحة إذا قيل لك جالس الفقهاء أو المحدثين فكلا الفريقين اهل ان يجالس فإن جالست أحدهما فانت مطيع وان جالست الآخر فأنت مطيع وان جالستهما فأنت مطيع فكذلك ههنا ان مثّلت المنافقين بالمستوقد كنت مصيباً وان مثلّتهم باصحاب الصيب فأنت مصيب وان مثلتهم بكلا الفريقين فأنت مصيب وتقديره أو كأصحابِ صيب حذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه لأن هذا عطف على قوله **﴿كمثل الذي استوقدناراً﴾** والصَيّب ليس بعاقل فلا يعطف على العاقل ويجعلون في موضع الحال من اصحاب الصيب وقوله فيه ظلمات جملة في موضع الجر بأنها صفة صيب والضمير المتصل بفي عائد إلى صيب أو إلى السماء وحذر الموت منصوب بأنه مفعول له لأن المعنى يفعلون ذلك لحذر الموت قال الزجاج وإنما نصبه الفعل لأنه في تأويل مصدره لأن جعلهم اصابعهم في آذانهم يدل على حذرهم الموت قال الشيخ أبو علي المفعول له لا يكون الا مصدراً لأنه يدل على أنه فُعِل لاجل ذلك الحدث والحدث مصدر لكنه ليس مصدراً عن هذا الفعل بل عن فعل آخر .

[**المعنى**] مثل هؤلاء المنافقين في جهلهم وشدة تحيرهم « كصيب» أي كاصحاب مطر «من السماء» أي منزل من السماء «فيه» أي في هذا المطر أو في السماء لأن المراد بالسماء السحاب فهو مذكر «ظلمات» لأن السحاب يغشي الشمس بالنهار والنجوم بالليل فيظلم الجو «ورعد» قيل ان الرعد صوت ملك يزجر السحاب وقيل الرعد هو ملك موكل بالسحاب يسبح روي ذلك عن ابن عباس ومجاهد وهو المروي عن ائمتنا عليهم السلام وقيل هو ريح تختنق تحت السماء رواه أبو الجلد عن ابن عباس وقيل هو صوت اصطكاك اجرام السحاب ومن قال أنه ملك قدر فيه صوت كأنه قال فيه ظلمات وصوت رعد لأنه روي أنه يزعق الراعي بغنمه وقوله «وبرق» قيل أنه مخاريق الملائكة من حديد تضرب به السحاب فتنقدح عنه النار عن علي (ع) وقيل أنه سوط من نور يزجر به الملك السحاب عن ابن عباس وقيل هو مصع ملك من مجاهد والمصاع المجالدة بالسيوف وغيرها قال الاعشى .

إذا هُـنَّ نَـازَلْـنَ أَقْـرانَـهُـنَّ   كَـانَ ٱلمِصَـاعُ بِمــا في ٱلْجُؤنْ

وقيل أنه نار تنقدح من اصطكاك الأجرام وفي تأويل الآية وتشبيه المثل اقوال

(أحدها) انه شبه المطر المنزل من السماء بالقرآن وما فيه من الظلمات بما في القرآن من الابتلاء وما فيه من الرعد بما في القرآن من الزجر وما فيه من البرق بما فيه من البيان وما فيه من الصواعق بما في القرآن من الوعيد آجلا والدعاء إلى الجهاد عاجلاً عن ابن عباس (وثانيها) أنه مثل للدنيا شبّه ما فيها من الشدة والرخاء بالصيب الذي يجمع نفعاً وضرراً وان المنافق يدفع عاجل الضرر ولا يطلب آجل النفع (وثالثها) أنه مثل للاسلام لأن فيه الحياة كما في الغيث الحياة وشبّه ما فيه من الظلمات بما في اسلامهم من ابطان الكفر وما فيه من الرعد بما في الاسلام من فرض الجهاد وخوف القتل وبما يخافونه من وعيد الآخرة لشكهم في دينهم وما فيه من البرق بما في اظهار الاسلام من حقن دمائهم ومناكحتهم وموارثتهم وما فيه من الصواعق بما في الاسلام من الزواجر بالعقاب في العاجل والآجل ويقوي ذلك ما روي عن الحسن أنه قال مثل اسلام المنافق كصيب هذا وصفه (ورابعها) ما روي عن ابن مسعود وجماعة من الصحابة ان رجلين من المنافقين من اهل المدينة هرباً من رسول الله ﷺ فاصابهما المطر الذي ذكره الله تعالى فيه رعد شديد وصواعق وبرق وكلما اضاء لهما الصواعق جعلا اصابعهما في آذانهما مخافة ان تدخل الصواعق في آذانهما فتقتلهما وإذا لمع البرق مشياً في ضوئه وإذا لم يلمع لم يبصرا فاقاما فجعلا يقولان ياليتنا قد اصبحنا فنأتي محمداً فنضع ايدينا في يديه فاصبحا فاتياه فاسلما وحسن اسلامهما فضرب الله شأن هذين الرجلين مثلاً لمنافقي المدينة وانهم إذا حضروا النبي جعلوا اصابعهم في آذانهم فَرَقاً من كلام النبي ﷺ ان ينزل فيهم شيء كما كان ذانك الرجلان يجعلان اصابعهما في آذانهما وكلما اضاء لهم مشوا فيه يعني إذا كثرت أموالهم واصابوا غنيمة أو فتحا مشوا فيه وقالوا دين محمد صحيح وإذا اظلم عليهم قاموا يعني إذا هلكت اموالهم واصابهم البلاء قالوا هذا من اجل دين محمد فارتدوا كما قام ذانك الرجلان إذا اظلم البرق عليهما وقوله **﴿والله محيط بالكافرين﴾** يحتمل وجوها.

(أحدها) أنه عالم بهم فيعلم سرائرهم ويطلع نبّيه على ضمائرهم عن الاصم (وثانيها) أنه قادر عليهم لا يستطيعون الخروج عن قدرته قال الشاعر:

أَحَـطْنَـا بِهِمْ حتَّى إذَا مَـا تَيَقَّنُـوا   بِما قَدْ رَأوا مَالُوا جَميعاً إلى السِّلْم

أي قدرنا عليهم (وثالثها) ما روي عن مجاهد أنه جامعهم يوم القيامة يقال احاط بكذا إذا لم يشذّ منه شيء ومنه احاط بكل شيء علماً أي لم يشذ عن علمه شيء (ورابعها) أنه مهلكهم يقال أحيط بفلان فهو محاط به إذا دنا هلاكه قال سبحانه واحيط

بثمرة أي أصابه ما اهلكه وقوله ﴿إلّا أن يحاط بكم معناه ان تهلكوا جميعاً﴾.

﴿ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾

[**اللغة**] الخطف اخذ في استلاب يقال خطف يخطِف وخطِف يخطَف لغتان والثاني افصح وعليه القراءة ومنه الخطاف ويقال للذي يخرج به الدلو من البئر خطاف لاختصافه قال النابغة.

خَطَاطِيْفُ حُجْنٌ في حِبَالٍ مَتِينَةٍ تُمَدُّ بِهَا أَيْدٍ إِلَيْكَ نَوازع

وقاموا أي وقفوا والمشيئة الارادة والشيء ما يصح ان يعلم ويخبر عنه قال سيبويه هو أول الاسماء واعمها وابهمها لأنه يقع على المعدوم والموجود وقيل أنه لا يقع الا على الموجود والصحيح الاول وهو مذهب المحققين من المتكلمين ويؤيده قوله تعالى في هذه الآية ﴿أن الله على كل شيء قدير﴾ فإن كل شيء سواه محدث وكل محدث فله حالتان حالة عدم وحالة وجود وإذا وجد حرج عن ان يكون مقدوراً للقادر لأن من المعلوم ضرورة ان الموجود لا يصح أن يوجد فعلمنا أنه إنما يقدر عليه في حال عدمه ليخرجه من العدم إلى الوجود وعلى هذه المسألة يدور أكثر مسائل التوحيد.

[**الاعراب**] كاد من أفعال المقاربة ولا يتم بالفاعل ويحتاج إلى خبر وخبره الفعل المضارع فقوله يكاد فعل والبرق مرفوع بأنه اسم يكاد وفاعله ويخطف ابصارهم في موضع نصب بانه خبر يكاد وكلما اصله كل وضم إليه ما الجزاء وهو منصوب بالظرف والعامل فيه اضاء ومعناه متى ما اضاء لهم مشوا فيه واضاء في موضع جزم بالشرط ومشوا في موضع الجزاء وإذا اظلم قد تقدم اعراب مثله ولو حرف معناه امتناع الشيء لامتناع غيره وإذا وقع الفعل بعده وهو منفي كان مثبتاً في المعنى وإذا وقع مثبتاً كان منفياً في المعنى فقوله **﴿ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم﴾** قد انتفى فيه ذهاب السمع والأبصار بسبب انتفاء المشيئة.

[المعنى] ﴿**يكاد البرق يخطف أبصارهم**﴾ المراد يكاد ما في القرآن من الحجج النيرة ويخطف قلوبهم من شدة ازعاجها إلى النظر في امور دينهم كما أن البرق يكاد يخطف ابصار أولئك كلما اضاء لهم مشوا فيه لاهتدائهم إلى الطريق بضوء البرق كذلك المنافقون كلما دعوا إلى خيرو وغنيمة اسرعوا وإذا وردت شدة على المسلمين تحيّروا لكفرهم ووقفوا كما وقف اولئك في الظمات متحيّرين وقيل إذا آمنوا صار الإيمان لهم نوراً فإذا ماتوا عادوا إلى ظلمة العقاب وقيل هم اليهود لما نصر المسلمون ببدر قالوا هذا الذي بشرّ به موسى فلما نكبوا باحد وقفوا وشكوا وقوله ﴿**ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم**﴾ إنما خص السمع والبصر بالذكر لما جرى من ذكرهما في الآيتين فقال ﴿**ولو شاء الله اذهبهما من المنافقين عقوبة لهم على نفاقهم وكفرهم وهذا وعيد لهم بالعقاب**﴾ كما قال في الآية الاولى ﴿**والله محيط بالكافرين**﴾ وقوله بسمعهم مصدر يدل على الجمع أو واحد موضوع للجمع كقول الشاعر:

كُلُوْا في بَعْضِ بَطْنِكُمْ تَعِيشُوْا فَـإِنَّ زَمـانَـكُـمْ زَمَـنٌ خَـمصُ

أي بطونكم والمعنى ولو شاء الله لاظهر على كفرهم فاهلكهم ودمّر عليهم لأنه على شيء قدير وهو مبالغة القادر وقيل ان قوله سبحانه ﴿**أن الله على كل شيء قدير**﴾ عام فهو قادر على الأشياء كلها على ثلاثة اوجه على المعدومات بأن يوجدها وعلى الموجودات بأن يفنيها وعلى مقدور غيره بأن يقدر عليه ويمنع منه وقيل هو خاص في مقدوراته دون مقدور غيره فإن مقدوراً واحداً بين قادرين لا يمكن ان يكون لأنه يؤدي إلى ان يكون الشيء الواحد موجوداً معدوماً ولفظة كل قد يستعمل على غير عموم نحو قوله تعالى ﴿**تدمّرِ كل شيء بأمر ربها**﴾.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾

[**اللغة**] الخلق الفعل على تقدير وخلق السموات فعلها على تقدير ما تدعو إليه الحكمة من غير زيادة ونقصان والخلق الطبع والخليقة الطبيعة والخَلاق النصيب.

[**الاعراب**] يا حرف النداء وأي اسم مبهم يقع على اجناس كثيرة لأنه إنما يتم بأن

يوصف وصفته تكون باسم الجنس لأنه[١] لما كان لا يتم إلا بصفة وهي لفظة دالة على ما دلّ أي عليه مخصصة له وكان التخصيص في الاشارة يقع بالجنس ثم بالوصف وصف باسماء الاجناس كالناس في قوله ﴿**يا أيها الناس**﴾ فاي منادى مفرد معرفة مبني لأنه وقع موقع حرف الخطاب وهو الكاف وإنما بني على الحركة مع ان الاصل في البناء السكون ليعلم أنه ليس بعريق[٢] في البناء والبناء عارض فيه وإنما حرّك بالضم لأنه كان في أصله التنوين فلما سقط التنوين في البناء اشبه قبل وبعد الذي قطع عنه الغاية فارتفع وقد ذكر فيه وجوه آخر توجد في مظانها والناس مرفوع لأنه صفة لأي فتبعه على حركة لفظه ولا يجوز هنا النصب وان كانت الاسماء المناديات المفردة المعرفة يجوز في صفاتها النصب والرفع لأن هنا الصفة هو المنادى في الحقيقة واي وصلة اليه ويدل على ذلك لزوم ها وهو حرف التنبيه قبل الناس ونباتها وامتناعهم من حذفها فصار ذلك كالايذان باستئناف نداء والعلم لأن لا يجوز الاقتصار على المنادى قبله كما جاز في سائر المناديات واجاز المازني في يا أيها الرجل النصب وذلك فاسد لما ذكرناه ولأنه لا مجاز لذلك في كلام العرب ولم يرو عنها غير الرفع والذين من قبلكم في موضع نصب لأنه عطف على الكاف والميم في قوله ﴿**خلقكم**﴾ وهو مفعول به ومن قبلكم صلة الذين ولعل حرف ناصب من اخوات إنّ وقد ذكرنا القول في مشابهته الفعل وعمله النصب والرفع فيما تقدم وكذلك حكم لعل وشبه بالفعل اظهر لأن معناه الترجي وكم في موضع نصب بكونه اسم لعل وتتقون جملة في موضع الرفع بأنه خبره.

[**المعنى**] هذا الخطاب متوجه إلى جميع الناس مؤمنهم وكافرهم الا من ليس بمكلف من الاطفال والمجانين وروي عن ابن عباس والحسن ان ما في القرآن من ﴿**يا أيها الناس**﴾ فإنه نزل بمكة وما فيه من ﴿**يا أيها الذين آمنوا**﴾ فأنه نـزل بالمـدينة ﴿**اعبـدوا ربكم**﴾ اي تقربوا إليه بفعل العبادة وعن ابن عباس أنه قال معناه وَحِّدوه وقوله ﴿**الذي خلقكم**﴾ أي أوجدكم بعد ان لم تكونوا موجودين وأوجد من تقدم زمانكم من الخلائق والبشر بيّن سبحانه نعمه عليهم وعلى آبائهم لأن نعمه عليهم لا تتم الا بنعمه على آبائهم ﴿**لعلّكم تتقون**﴾ أي خلقكم لتتقوه وتعبدوه كقوله[٣] تعالى ﴿**وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون**﴾ وقيل معناه اعبدوه لتتقوا وقيل معناه لعلكم تتقون الحرمات بينكم وتكفون عمّا حرّم الله وهذا كما يقول القائل اقبل قولي لعلك ترشد فليس أنه من ذلك على شك وإنما

(١) وفي بعض نسخنا «لكنه» بدل «لانه».
(٢) العريق ذو العرق والاصل.
(٣) وفي نسختين «لقوله» باللام بدل الكاف.

يريد اقبله ترشد وإنما ادخل الكلام لعل ترقيقاً للموعظة وتقريباً لها من قلب الموعوظ ويقول القائل لأجيره اعمل لعلك تأخذ الأجرة وليس يريد بذلك الشك وإنما يريد لتأخذ اجرتك ومثله قول الشاعر :

وَقُلْتُم لَنَا كُفُّوا الْحُرُوبَ لَعَلَّنَا نَكُفُّ وَوَثَّقْتُمْ لَنَا كُلَّ مَوْثِقِ
فَلَمَّا كَفَفْنَا الحَرْبَ كَانَتْ عُهُودُكُم كَلَمْحِ سَرَابٍ في المْلاَ مُتَأَلِقَ

اراد قلتم لنا كفوا لنكف لأنه لو كان شاكاً لما قال وثقتم كل موثق وقال سيبويه إنما وردت لفظة لعل على أنه ترج للمخاطبين كما قال ﴿فقولا له قولاً ليناً لعله يتذكر أو يخشى﴾ واراد بذلك الابهام على موسى وهارون فكأنهُ قال اذهبا انتما على رجائكما وطعمكما والله عز وجل من وراء ذلك وعالم بما يؤول اليه امر فرعون وقيل فائدة إيراد لفظة لعل هي ان لا يحل العبد ابداً محل الآمن المدل بعمله[1] بل يزداد حالاً بعد حال حرصاً على العمل وحذراً من تركه واكثر ما جاءت لفظة لعل وغيرها من معاني الشك فيما يتعلق بالآخرة في دار الدنيا فإذا ذكرت الآخرة مفردة جاء اليقين وقيل معناه لعلكم توقون النار في ظنكم ورجائكم واجرى لعل على عباده دون نفسه وهذا قريب مما قاله سيبويه .

﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾

[**القراءة**] ادغم جماعة من القراء قوله جعل لكم فقالوا جعلّكم والباقون يظهرون.

[**الحجة**] فمن ادغم فلاجتماع حرفين من جنس واحد وكثرة الحركات ومن اظهر وعليه اكثر القراء فلأنهما منفصلان من كلمتين وفي الادغام واختلاف القراء فيه والاحتجاجات لهم كلام كثير خارج عن الغرض بعلوم تفسير القرآن فمن اراد ذلك فليطلبه من الكتب المؤلفة فيه.

[**اللغة**] الجعل والخلق والاحداث نظائر والأرض هي المعروفة والارض قوائم الدابة ومنه قول الشاعر:

---

(١) وفي النسخ التي عندنا «بعلمه» بتقديم اللام على الميم.

وَإِحْمَرُ كَالْدِّيبَاجِ أَمَّا سَمَاؤُهُ   فَرِيًا وَأَمَّا أَرْضُهُ فَمُحُولُ

والأرض الرعدة وفي كلام ابن عباس أزلزلت الارض أم بي ارض والفراش والبساط والمهاد نظائر وسمي السماء سماء لعلوها على الأرض وكل شيء كان فوق شيء فهو لما تحته سماء وسما فلان لفلان إذا قصد نحوه عالياً عليه قال الفرزدق.

سَمَونا لِنَجْرَانِ اليَمَانِ وَأَهْلِهِ   ونَجْرَانُ أَرْضٌ لم تُدَبَّثْ مَقَاوِلُه

قال الزجاج كل ما علا الأرض فهو بناء والماء أصله مَوَه وجمعه أمواه وتصغيره مُويه وأنزل من السماء أي من ناحية السماء قال الشاعر : (أَمِنْكِ البَرْقَ أَرْقُبُهُ فَهَاجَا) أي من ناحيتك والندّ المثل والعدل قال حسان بن ثابت :

أَتَهْجُوهُ وَلَسْتَ لَهُ بِنِدٍّ   فَشَرُّكُما لِخَيْرِكُما الفِدَاءُ

وقال جرير :

أَتَيْماً تَجْعَلُونَ إِلَيَّ نِدًّا   وَمَا تَيْمٌ لِذِي حَسَبٍ نَدِيدُ

وقيل الند الضد .

[**المعنى**] معنى هذه الآية يتعلق بما قبلها لأنه تعالى أمرهم بعبادته والاعتراف بنعمته ثم عدّد لهم صنوف نعمه ليستدلوا بذلك على وجوب عبادته فإن العبادة إنما تجب لأجل النعم المخصوصة فقال سبحانه : ﴿ **الذي جعل لكم الأرض فراشاً** ﴾ أي بساطاً يمكنكم أن تستقروا عليها وتفترشوها وتتصرفوا فيها وذلك لا يمكن إلا بأن تكون مبسوطة ساكنة دائمة السكون ﴿ **والسماء بناء** ﴾ أي سقفاً مرفوعاً مبنياً ﴿ **وأنزل من** ﴾ نحو ﴿ **السماء** ﴾ أي من السحاب ﴿ **ماء فأخرج به** ﴾ أي بالماء ﴿ **من الثمرات رزقاً لكم** ﴾ أي عطاء لكم وملكاً لكم وغذاء لكم وهذا تنبيه على أنه هو الذي خلقهم والذي رزقهم دون من جعلوه نِدّاً له من الأوثان ثم زجرهم عن أن يجعلوا له ندا مع علمهم بأن ذلك كما أخبرهم به بقولِهِ ﴿ **فلا تجعلوا لله أنداداً** ﴾ وقوله ﴿ **أنتم تعلمون** ﴾ يحتمل وجوها (أحدها) أن يريد أنكم تعلمون أن الأصنام التي تعبدونها لم تنعم عليكم بهذه النعم التي عددناها ولا بأمثالها وأنها لا تضر ولا تنفع (وثانيها) أن يريد أنكم تعقلون وتميزون ومن كان بهذه الصفة فقد استوفى شرائط التكليف ولزمته الحجة وضاق عذره في التخلف عن النظر وإصابة الحق (وثالثها) ما قاله مجاهد وغيره أن المراد بذلك أهل التوراة والإنجيل

دون غيرهم أي تعلمون ذلك في الكتابين وقال الشريف الأجل المرتضى قدس الله روحه استدل أبو علي الجبائي بقوله تعالى : ﴿ **الذي جعل لكم الأرض فراشاً** ﴾ وفي آية أخرى ﴿ **بساطاً** ﴾ على بطلان ما يقوله المنجمون من أن الأرض كروية الشكل قال وهذا القدر لا يدل لأنه يكفي من النعمة علينا أن يكون في الأرض بسائط ومواضع مفروشة ومسطوحة وليس يجب أن يكون جميعها كذلك ومعلوم ضرورة أن جميع الأرض ليس مسطوحاً مبسوطاً وإن كان مواضع التصرف فيها بهذه الصفة والمنجمون لا يدفعون أن يكون في الأرض سطوح يتصرف فيها ويستقر عليها وإنما يذهبون إلى أن جملتها كروية الشكل.

﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾

[**اللغة**] إن دخلت ههنا لغير شك لأن الله تعالى علم أنهم مرتابون ولكن هذا على عادة العرب في خطابهم كقولهم إن كنت إنساناً فافعل كذا وإن كنت ابني فأطعني وإن كان كونه إنساناً وابناً معلوماً وإنما خاطبهم الله تعالى على عادتهم في الخطاب والريب الشك مع تهمة والعبد المملوك من جنس ما يعقل ونقيضه الحرّ من التعبيد وهو التذليل لأن العبد يذل لمولاه والعبودية من أحكام الشرع لأنه بمنزلة ذبح الحيوان ويستحق عليها العوض وليست بعقوبة ولذلك يسترق المؤمن والصبي والسورة غير مهموزة مأخوذة من سورة البناء وكل منزلة رفيعة فهي سورة ومنه قول النابغة :

أَلَـمْ تَـرَ أَنَّ اللهَ أَعْـطَاكَ سُـورَةً تَـرَى كُـلَّ مُلْكٍ دُونَهَـا يَتَـذَبْـذَبُ

هذا قول أبي عبيدة وابن الأعرابي في تفسير السورة فكل سورة من القرآن بمنزلة درجة رفيعة ومنزل عال رفيع يرتفع القارىء منها إلى منزلة أخرى إلى أن يستكمل القرآن وقيل السورة مهموزة والمراد بها القطعة من القرآن انفصلت عما سواها وأبقيت وسؤر كل شيء بقيته وأسأرتِ في الإناء أبقيت فيه قال الأعشى يصف امرأة :

فَبـانَتْ وَقَـدْ أَسْـأَرَتْ في الفُـؤَا دِ صَـدْعـاً عَـلى نَـأْيِها مُسْتَطِيراً

[**الإعراب**] ان حرف شرط تجزم الفعل المضارع وتدخل على الفعل الماضي فتصرفه إلى معنى الاستقبال ولا بد للشرط من جزاء وهما جملتان ربطت إحداهما بالأخرى

نحو إن تفعل أفعل فقولك إن تفعل شرط وهو مجزوم بأن وقولك أفعل جزاء وهو مجزوم بالشرط لا بأن وحدها ولا بالفعل فإن كان الجزاء جملة من فعل وفاعل كان مجزوماً وإن كان جملة من مبتدأ وخبر فلا بد من الفاء وكانت الجملة في موضع الجزم فقوله كنتم في موضع الجزم بأن وقوله ﴿ **فأتوا بسورة** ﴾ أئتوا مبني على الوقف لأنه أمر المخاطبين والواو فاعل والفاء وما بعده في موضع جزم بأنه جزاء وما قبل الفاء لا يعمل فيما بعده ومن يقع على أربعة أوجه (أحدها) أن يكون بمعنى ابتداء الشيء من مكانٍ مّا كقولك خرجت من البصرة . (وثانيها) بمعنى التبعيض كقولك أخذت من الطعام قفيزا (وثالثها) بمعنى التبيين كقوله تعالى : ﴿ **فاجتنبوا الرجس من الأوثان** ﴾ وهي في التبيين تخصص الجملة التي قبلها كما أنها في التبعيض تخصص الجملة التي بعدها (ورابعها) أن تقع مزيدة نحو ما جاءني من رجل فإذا قد عرفت هذا فقوله تعالى : ﴿ **من مثله** ﴾ قال بعضهم أن من بمعنى التبعيض وتقديره فأتوا ببعض ما هو مثل له وهو سورة وقيل هو لتبيين الصفة وقيل أن من مزيدة لقوله في موضع آخر بسورة ﴿ **مثله** ﴾ أي مثل هذا القرآن وتعود الهاء في مثله إلى ما من قوله ﴿ **مما نزلنا على عبدنا** ﴾ في الأقوال الثلاثة وقيل أن من بمعنى ابتداء الغاية والهاء من مثله يعود إلى عبدنا فيكون معناه بسورة من رجل مثله والأول أقوى لما نذكره بعد .

[**المعنى**] لما احتج الله تعالى للتوحيد عقّبه من الاحتجاج للنبوة بما قطع عذرهم فقال ﴿ **وإن كنتم في شك** ﴾ من صدق هذا الكتاب الذي أنزلنا على محمد صلى الله عليه وآله وقلتم لا ندري هل هو من عند الله أم لا ﴿ **فأتوا بسورة من مثله** ﴾ أي من مثل القرآن وعلى قول من يقول الضمير في مثله عائد إلى عبدنا فالمعنى فأتوا بسورة من بشر أُمّي مثله لا يحسن الخط والكتابة ولا يدري الكتب والصحيح هو الأول لقوله تعالى في سورة أخرى : ﴿ **فليأتوا بحديث مثله** ﴾ وقوله ﴿ **فأتوا بسورة مثله** ﴾ وقوله ﴿ **لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله** ﴾ يعني فاتوا بسورة مثلما أتى به محمد في الإعجاز من حسن النظم وجزالة اللفظ والفصاحة التي اختصت به والاخبار عمّا كان وعمّا يكون دون تعلم الكتب ودراسة الأخبار وقوله : ﴿ **وادعوا شهداءكم** ﴾ قال ابن عباس يعني أعوانكم وأنصاركم الذين يظاهرونكم على تكذيبكم وسمي أعوانهم شهداء لأنهم يشاهدونهم عند المعاونة والشهيد يكون بمعنى المشاهد كالجليس والاكيل ويسمى الشاهد على الشيء لغيره بما يحقق دعواه بأنه شهيد أيضاً وقوله ﴿ **من دون الله** ﴾

أي من غير الله كما يقال ما دون الله مخلوق يريد وادعوا من اتخذتموهم معاونين من غير الله ﴿ **إن كنتم صادقين** ﴾ في أن هذا الكتاب يقوله محمد من نفسه وقال الفراء أراد وادعوا آلهتكم وقال مجاهد وابن جريج أراد قوماً يشهدون لكم بذلك ممن يقبل قولهم وقول ابن عباس أقوى لأن معناه استنصروا أعوانكم على أن يأتوا بمثله لأن الدعاء بمعنى الاستعانة كما قال الشاعر(١):

فَلَمَّا ٱلْتَقَتْ فُرْسَانُنـا وَرِجَالُنَـا   دَعَوْا يا لَكَعْبٍ وٱعْتَزَيْنَا لِعـامِرِ

وقال آخر :

وَقَبْلَكَ رُبَّ خَصْمٍ قَدْ تَمالُـوا   عَلَيَّ فَما جَزَعْتُ وَلَا دَعَوْتُ(٢)

وأما قول مجاهد فلا وجه له لأن الشاهدين لا يخلو إما أن يكونوا مؤمنين أو كفاراً فالمؤمنون لا يكونون شهداء للكفار والكفار لا بدّ أن يسارعوا إلى إبطال الحق أو تحقيق الباطل إذا دعوا إليه فمن أيّ الفريقين يكون شهداؤهم ولكن ينبغي أن يجري ذلك مجرى قوله تعالى : ﴿ **قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهـم لبعض ظهيراً** ﴾ وقال قوم أن هذا الوجه جائز أيضاً صحته لأن العقلاء لا يجوز أن يحمـلوا نفوسهم على الشهادة بما يفتضحون به في كلام أنه مثل القرآن ولا يكون مثله كما لا يجوز أن يحمّلوا نفوسهم على أن يعارضوا ما ليس بمعارض على الحقيقة وهذه الآية تدلّ على صحة نبوة نبينا محمدﷺ وأن الله تعالى تَحدّى(٣) بالقرآن وببعضه ووجه الاستدلال بها أنه تعالى خاطب قوماً عقلاء فصحاء قد بلغوا الغاية القصوى من الفصاحة وتسنموا الذروة العليا من البلاغة فأنزل إليهم كلاماً من جنس كلامهم وَتَحدَّاهم بالإتيان بمثله أو ببعضه بقوله : ﴿ **فأتوا بعشر سور مثله وبسورة مثله** ﴾ وجعل عجزهم عن ذلك حجة عليهم ودلالة على صدق رسولهﷺ وهم أهل الحمية والانفة فبذلوا أموالهم ونفوسهم في إطفاء أمره ولم يتكلفوا في معارضة القرآن بسورة ولا خطبة فعلمنا أن المعارضة كانت متعذرة عليهم فدل ذلك على أن القرآن معجز دالّ على صحة نبوته .

﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي

(١) هو : الراعي .

(٢) قائله : بسنان بن العجل. وفي أكثر النسخ « هلعت » بدل « جزعت » . (٣) تحدى الرجل : باراه وغالبه .

وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾

[الإعراب] إن حرف شرط ولم حرف يدخل على الفعل المضارع فينفيه ويجعله بمعنى الماضي ويعمل فيه الجزم وتفعلوا فعل وفاعل وهو مجزوم بلم وعلامة الجزم فيه سقوط النون ولم تفعلوا في موضع جزم أيضاً بأن ولن حرف يدخل على الفعل المضارع فيخصه بالاستقبال وينفيه ويعمل فيه النصب وعلامة النصب في تفعلوا سقوط النون أيضاً وقال سيبويه في لن زعم الخليل أنها لا أن ولكنهم حذفوا لكثرته في كلامهم كما قالوا وَيْلُمِّه وجعِلت بمنزلة حرف واحد كما جعلوا هلاَّ بمنزلة حرف واحد وإنما هي هل ولا قال وهذا ليس بجيد لأنه لو كان كذلك لم يجز زيداً لن أضرب وأقول أن معنى هذا القول هو أنه لو كان أصل لن لا أن وما بعد أن يكون صلة لها ولا يجوز تقديم معمول ما في الصلة على الموصول فكان يجب أن لا يجوز تقديم زيداً في قولك لن أضرب زيداً على لن كما لم يجز تقديمه على أن فلا تقول زيداً أن أضرب وزيداً لا أن أضرب ولا خلاف بين النحويين في جواز التقديم هناك وقوله ﴿ ولن تفعلوا ﴾ لا موضع له من الإعراب لأنه اعتراض وقع بين الشرط والجزاء كما يقع بين المبتدأ والخبر في قولك زيد فافهم ما أقول لك عالم والاعتراض غير واقع موقع المفرد فيكون له موضع إعراب .

[المعنى]﴿ فإن لم تفعلوا ﴾ أي فإن لم تأتوا بسورة من مثله وقد تظاهرتم أنتم وشركاؤكم عليه وأعوانكم وتَبيّن لكم عجزكم وعجز جميع الخلق عنه وعلمتم أنه من عندي فلا تقيموا على التكذيب به ومعنى ﴿ ولن تفعلوا ﴾ أي ولن تأتوا بسورة مثله أبداً لأن لن تنفي على التأبيد في المستقبل وفيه دلالة على صحة نبوة نبينا محمد ﷺ لأنه يتضمن الإخبار عن حالهم في مستقبل الأوقات بأنهم لا يأتون بمثله فوافق المخبر عنه الخبر وقوله : ﴿ فاتقوا النار ﴾ أي فاحذروا أن تصلوا النار بتكذيبكم وإنما جاز أن يكون قوله ﴿ فاتقوا النار ﴾ جواب الشرط مع لزوم اتقاء النار كيف تصرفت الحال لأنه لا يلزمهم الإتقاء إلا بعد التصديق بالنبوة ولا يصح العلم بالنبوة إلا بعد قيام المعجزة فكأنه قال : ﴿ فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا ﴾ فقد قامت الحجة ووجب اتقاء النار التي ﴿ وقودها ﴾ أي حطبها ﴿ الناس والحجارة ﴾ وهي جمع حجر وقيل أنها حجارة الكبريت لأنها أحرُّ شيء إذا أحميت عن ابن مسعود وابن عباس والظاهر أن الناس والحجارة وقود النار أي حطبها يريد بها أصنامهم المنحوتة من الحجارة كقوله تعالى : ﴿ إنكم وما تعبدون من دون الله

حصب جهنم ﴾ وقيل ذكر الحجارة دليل على عظم تلك النار لأنها لا تأكل الحجارة ألا وهي في غاية الفظاعة والهول وقيل معناه أن أجسادهم تبقى على النار بقاء الحجارة التي توقد بها النار بتبقية الله إياها ويؤيد ذلك قوله ﴿ كلما نضجت جلودهم ﴾ الآية وقيل معناه أنهم يعذبون بالحجارة المحمية بالنار وقوله تعالى : ﴿ أعدت للكافرين ﴾ معناه خلقت وهُيِّئت للكافرين لأنهم الذين يخلدون فيها ولأنهم أكثر أهل النار فأضيفت إليهم وقيل إنما خص النار بكونها معدة للكافرين وإن كانت معدة للفاسقين أيضاً لأنه يريد بذلك ناراً مخصوصة لا يدخلها غيرهم كما قال : ﴿ إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ﴾ وهذه الآية تدلّ على بطلان قول من حرم النظر والحجاج العقلي لأن الله عز اسمه احتج على الكفار بما ذكره في هذه الآية وألزمهم به تصديق نبيه عليه الصلاة والسلام وقرّرهم بأن القرآن كلامه إذ قال إن كان هذا القرآن كلام محمد فأتوا بسورة من مثله لأنه لو كان كلام البشر لتهيأ لكم مع تقدمكم في البلاغة والفصاحة الإتيان بمثله أو بسورة منه مع قوة دواعيكم إليه فإذا لم يتأتَ لكم ذلك فاعلموا بعقولكم أنه كلام الله تعالى وهذا هو المراد بالاحتجاج العقلي واستدل بقوله ﴿ أعدّت للكافرين ﴾ على أن النار مخلوقة الآن لأن المعدّ لا يكون إلا موجوداً وكذلك الجنة بقوله ﴿ اعدّت للمتقين﴾ والفائدة في ذلك أنّا وأن لم نشاهدهما فإن الملائكة يشاهدونهما وهم من أهل التكليف والاستدلال فيعرفون ثواب الله للمتقين وعقابه للكافرين .

﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ
مِنۡهَا مِن ثَمَرَةٖ رِّزۡقٗا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَأُتُواْ بِهِۦ
مُتَشَٰبِهٗاۖ وَلَهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَهُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾

[اللغة] البشارة هي الإخبار بما يسر المخبر به إذا كان سابقاً لكل خبر سواه لأن الثاني لا يسمى بشارة وقد قيل للاخبار بما يعمّ أيضاً بشارة كقوله تعالى : ﴿ وبشّرهم بعذاب أليم ﴾ وذلك على سبيل التوسع وهي مأخوذة من البَشَرة وهي ظاهر الجلد لتغيرها

بأول خبر وتباشير الصبح أوله والجنات جمع الجنة وهي البستان والمراد بذلك الجنة ما في الجنة من أشجارها وثمارها دون أرضها فلذلك قال ﴿ **تجري من تحتها الأنهار** ﴾ لأن من المعلوم أنه أراد الخبر عن ماء أنهارها بأنه جار تحت الأشجار لأن الماء إذا كانت تحت الأرض فلاحظ فيها للعيون على أنه روي عن مسروق أن أنهار الجنة جارية في غير أخاديد[١] لأواه عنه أبو عبيدة وغيره وأصلها من الجَنّ وهو الستر ومنه الجن لتسترها عن عيون الناس والجنون لأنه يستر العقل والجُنة لأنها تستر البدن والجنين لتستره بالرحم قال المفضل البستان إذا كان فيه الكرم فهو فردوس سواء كان فيه شجر غيره أو لم يكن والجنة كل بستان فيه نخل وإن لم يكن فيه غيره والأزواج جمع زوج والزوج يقع على الرجل والمرأة ويقال للمرأة زوجة أيضاً وزوج كل شيء شكله والخلود الدوام والبقاء .

[**الإعراب**] موضع أنّ مع اسمه وخبره نصب معناه بشر المؤمنين بأن لهم جنات فلما سقطت الباء أفضى الفعل إلى أنّ فنصبه وعلى قول الخليل يكون أن في موضع جر وإن سقطت الباء وجنات منصوب بأنه اسم أنّ ولهم الجار والمجرور في موضع خبره والتاء تاء جماعة المؤنث تكون في حال النصب والجر على صورة واحدة كما أن ياء جماعة الذكور في الزيدين ونحوه يكون في حال النصب والجر على صورة واحدة وقوله﴿**تجري**﴾ مع ما اتصل به جملة منصوبة الموضع بكونها صفة لجنات وكُلَّما ضم كل إلى ما الجزاء فصارا أداة للتكرار وهو منصوب على الظرف والعامل فيه رزقوا منها من ثمرة من مزيدة أي ثمرة وقال علي بن عيسى هي بمعنى التبعيض لأنهم يرزقون بعض الثمرات في كل وقت ويجوز أن يكون بمعنى تبيين الصفة وهو أن يبين الرزق من أي جنس هو ومن قبل تقديره أي من قبل هذا الزمان أو هذا الوقت فحذف المضاف إليه منه لفظاً مع أن الإضافة مرادة معنى فبني لأجل مشابهته الحرف وإنما بني على الحركة ليدلّ على تمكنه في الأصل وإنما خص بالضم لأن إعرابه عند الإضافة كان بالفتح أو الجر نحو من قبلِك وقبلَك لكونه ظرفاً فبني على حركة لم تكن تدخلها في الإعراب وهي الضمة وموضعه نصب على الظرف ومتشابهاً نصب على الحال وأزواج رفع أما بالابتداء أو بالظرف .

[**المعنى**] قرن الله تعالى الوعد في هذه الآية بالوعيد فيما قبلها ليحصل الترغيب والترهيب فقال « وبَشّر » أي أخبر بما يسر ﴿ **الذين آمنوا** ﴾ أي صدقوا ﴿ **وعملوا الصالحات** ﴾ فيما بينهم وبين ربهم عن ابن عباس بأن لهم ﴿ **جنات تجري من تحتها** ﴾

(١) الأخاديد جمع الأخدود وهي الحفرة المستطيلة .

أي من تحت أشجارها ومساكنها ﴿ **الأنهار** ﴾ والنهر لا يجري وإنما يجري الماء فيه ويستعمل الجري فيه توسعاً لأنه موضع الجري وقوله : ﴿ **كلما رزقوا منها** ﴾ أي من الجنات والمعنى من أشجارها وتقديره كلما رزقوا من أشجار البساتين التي أعدها الله للمؤمنين ﴿ **من ثمرة رزقاً** ﴾ أي أعطوا من ثمارها عطاء وأطعموا منها طعاماً لأن الرزق عبارة عما يصح الإنتفاع به ولا يكون لأحد المنع منه ﴿ **قالوا هذا الذي رزقنا من قبل** ﴾ فيه وجوه (أحدها) أن ثمار الجنة إذا جنيت من أشجارها عاد مكانها مثلها فيشتبه عليهم فيقولون هذا الذي رزقنا من قبل هذا قول أبي عبيدة ويحيى بن كثير (وثانيها) أن معناه هذا الذي رزقنا من قبل في الدنيا عن ابن عباس وابن مسعود وقيل هذا الذي وعدنا به في الدنيا (وثالثها) معناه هذا الذي رزقناه من قبل في الجنة أي كالذي رزقنا وهم يعلمون أنه غيره ولكنهم شَبّهوه به في طعمه ولونه وريحه وطيبه وجودته عن الحسن وواصل قال الشيخ أبو جعفر رحمه الله وأقوى الأقوال قول ابن عباس لأنه تعالى قال : ﴿ **كلما رزقوا منها من ثمرة رزقاً قالوا هذا الذي رزقنا من قبل** ﴾ فعَمّ ولم يخص فأول ما أُتوا به لا يتقدر فيه هذا القول إلا بأن يكون إشارة إلى ما تقدم رزقه في الدنيا ويكون التقدير هذا مثل الذي رزقناه في الدنيا لأن ما رزقوه في الدنيا قد عدم فأقام المضاف إليه مقام المضاف كما أن القائل إذا قال لغيره أعددت لك طعاماً ووصفه له يحسن أن يقول هذا طعامي في منزلي يريد مثله ومن جنسه وقوله ﴿ **وأتوا به** ﴾ أي جيئوا به وليس معناه أعطوه وقوله ﴿ **متشابها** ﴾ فيه وجوه (أحدها) أنه أراد متشابهاً في اللون مختلفاً في الطعم عن ابن عباس ومجاهد (وثانيها) أن كلها متشابه في الجودة خيار لا رذل فيه عن الحسن وقتادة واختاره الأخفش قال وهذا كما يقول القائل وقد جيء بأشياء فاضلة فاشتبهت عليه في الفضل لا أدري ما اختار منها كلها عندي فاضل كقول الشاعر[1]:

مَنْ تَلْقَ مِنْهُمْ تَقُلْ لاقَيْتُ سَيِّدَهُمْ　　　مِثْلَ النُّجُومِ ٱلَّتي يَسْرِي بِهَا السَّارِي

يعني أنهم قد تساووا في الفضل (وثالثها) أنه يشبه ثمر الدنيا غير أن ثمر الجنة أطيب عن عكرمة (ورابعها) أنه يشبه بعضه بعضاً في اللذة وجميع الصفات عن أبي مسلم (وخامسها) أن التشابه من حيث الموافقة فالخادم يوافق المسكن والمسكن يوافق الفرش وكذلك جميع ما يليق به وقوله ﴿ **ولهم فيها أزواج** » قيل هن الحور العين وقيل هن

(١) هو العرندس أحد بني بكر بن كلاب .

من نساء الدنيا قال الحسن هن عجائزكم الغُمْص الرُمْص العُمْش[١] طهرن من قذرات الدنيا ﴿ مطهرة ﴾ قيل في الأبدان والأخلاق والأعمال فلا يحضن ولا يلدن ولا يتغوطن ولا يبلن قد طهرن من الأقذار والآثام وهو قول جماعة المفسرين ﴿ وهم فيها ﴾ أي في الجنة ﴿ خالدون ﴾ يعني دائمون يبقون بقاء الله لا انقطاع لذلك ولا نفاد لأن النعمة تتم بالخلود والبقاء كما تنتقص بالزوال والفناء والخلود هو الدوام .من وقت مبتدإٍ ولهذا لا يقال لله تعالى خالد .

﴿ * إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلٗاۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرٗا وَيَهۡدِي بِهِۦ كَثِيرٗاۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقِينَ ٢٦ ﴾

[**القراءة**] يستحيي ببائين وروي عن ابن كثير يستحي بياء واحدة ووجه هذه القراءة أنه استثقل اجتماع اليائين فحذف إحداهما وهي لغة بني تميم .

[**اللغة**] الاستحياء من الحياء ونقيضه القِحَة. والضرب يقع على جـميع الأعمال إلا قليلاً يقال ضرب في التجارة وضرب في الأرض وضرب في سبيل الله وضرب بيده إلى كذا وضرب فلان على يد فلان إذا أفسد عليه أمراً أخذ فيه وضرب الأمثال إنما هو جعلها لتسير في البلاد يقال ضربت القول مثلاً وأرسلته مثلاً وما أشبه ذلك والبعوض القِرقِس وهو صغار البق الواحدة بعوضة والمثل والمثل كالشبه والشبه قال كعب بن زهير .

كَـانَتْ مَـوَاعِيـدُ عُـرقُـوبٍ لَنَـا مَثَـلاً وَمَـا مَـوَاعِـيـدُهُ إِلَّا ٱلْأَبَـاطِـيـلُ

والفسق والفسوق الترك لأمر الله وقال الفراء الفسق الخروج عن الطاعة تقول العرب فسقت الرطبة عن قشرها إذا خرجت ولذلك سميت الفأرة فويسقة لخروجها من جُحرها .

[**الإعراب**] ما في قوله ﴿ ما بعوضة ﴾ بالنصب فيه وجوه (أحدها) أن تكون ما

---

(١) الغمص: ما سال من الرمص وهو وسخ أبيض يجتمع في مجرى الدمع من والعمش في العين : ضعف الرؤية مع سيلان دمعها.

(٢) القحة كعدة من وقح الرجل إذا قل حياؤه .

مزيدة ومعناها التوكيد كما في قوله **﴿فبما رحمة من الله لِنت لهم﴾** وتقديره أن الله لا يستحي أن يضرب بعوضة مثلاً أو مثلاً بعوضة فيكون بعوضة مفعولاً ثانياً ليضرب (وثانيها) أن يكون ما نكرة مفسرة ببعوضة كما يكون نكرة موصوفة في قوله تعالى : **﴿ هذا ما لديّ عتيد ﴾** فيكون تقديره لا يستحيي أن يضرب مثلاً شيئاً من الأشياء بعوضة فتكون بعوضة بدلًا من شيئاً (وثالثها) ما يحكى عن الفراء أن معناه ما بين بعوضة إلى ما فوقها كما يقال مطرنا ما زبالة إلى التعلبية وله عشرون ما ناقة فجملاً وهي أحسن الناس ما قرنا فقدما يعنون ما بين في جميع ذلك والاختيار عند البصريين الوجه الأول وإنما اختير هذا الوجه لأن ضَرَب ههنا بمعنى جعل فجاز أن يتعدى إلى مفعولين ويدخل على المبتدإ والخبر وفي التنزيل ما يدل عليه وهو قوله تعالى : **﴿ إنما مثل الحياة الدنيا كما أنزلناه من السماء ﴾** فمثل الحياة مبتدأ وكماء خبره وفي موضع آخر واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء فدخل إضرب على المبتدأ والخبر فصار بمنزلة قولك ظننت زيداً كعمرو ويجوز في الإعراب الرفع في بعوضة وإن لم تجز القراءة به وفيه وجهان (أحدهما) أن يكون خبراً لمبتدإ محذوف في صلة ما فكأنه قال الذي هو بعوضة كقراءة من قرأ تماماً على الذي أحسنُ بالرفع وهذا عند سيبويه ضعيف وهو في الذي أقوى لأن الذي أطول وليس للذي مذهب غير الأسماء . (والثاني) على الجواب كأنه لما قيل **﴿ أن الله لا يستحيي أن يضرب مثلاً ما ﴾** قيل ما هو فقيل **﴿ بعوضة ﴾** أي بعوضة كما تقول مررت برجل زيد أي هو زيد فتكون ما على هذا الوجه نكرة مجردة من الصفة والصلة وقوله **﴿فأما الذين آمنوا﴾** لغة العرب جميعاً بالتشديد وكثير من بني تميم يقولون إيما فلان فيفعل كذا وأنشد بعضهم[1]:

مُبَتَّلَةٌ هَيْفَاءُ أَيْـمـا وِشَـاحُـها فَيَجْرِي وَأَيْما الحِجْلُ مِنْها فَلا يَجْرِي

وهي كلمة تجيء في شيئين أو أشياء يفصل القول بينهما كقولك أمّا زيد فمحسن وأمّا عمرو فمسيء فزيد مبتدأ ومحسن خبره وفيها معنى الشرط والجزاء وتقديره مهما يكن من شيء فزيد محسن ثم أقيم أمّا مقام الشرط فيحصل أما فزيد محسن ثم أخّر الفاء إلى الخبر لاصلاح اللفظ ولكراهة أن تقع الفاءُ التي للتعقيب في أول الكلام فقوله **﴿ الذين آمنوا ﴾** على هذا يكون مبتدأ ويعلمون خبره وكذلك **﴿ الذين كفروا ﴾** مبتدأ ويقولون خبره وقوله **﴿ ماذا أراد الله بهذا مثلاً ﴾** ما استفهام وهو اسم في موضع الرفع بالابتداء وذا بمعنى الذي وصلته ما بعده وهو في موضع رفع بأنه خبر المبتدإ تقديره أي شيء الذي أراد

---

(١) والقائل: هو الأختل .

الله فعلى هذا يكون الجواب رفعاً كقولك البيان لحال الذي ضرب له المثل ويحتمل أن يكون ما وذا بمنزلة اسم واحد تقديره أي شيء أراد الله فيكون في موضع نصب بأنه مفعول أراد فعلى هذا يكون الجواب نصباً كقولك البيان لحال من ضرب له المثل ومثال الأول قوله تعالى : ﴿ **ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الأولين** ﴾ ومثال الثاني قوله ﴿ **ماذا أنزل ربكم قالوا خيراً ومثلا** ﴾ منصوب على الحال وقيل على القطع وقيل على التفسير .

[**النزول**] روي عن ابن مسعود وابن عباس ان الله تعالى لما ضرب المثلين قبل هذه الآية للمنافقين يعني قوله ﴿**مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً**﴾ وقوله ﴿**أو كصيب من السماء**﴾ قال المنافقون الله أعلى وأجلّ من أن يضرب هذه الأمثال فأنزل الله تعالى هذه الآية وروي عن قتادة والحسن لما ضرب المثل بالذباب والعنكبوت تكلم فيه قوم من المشركين وعابوا ذكره فأنزل الله هذه الآية .

[**المعنى**] ﴿**إن الله لا يستحيي**﴾ أي لا يدع وقيل لا يمتنع لأن أحدنا إذا استحيى من شيء تركه وامتنع منه ومعناه أن الله لا يدع ضرب المثل بالأشياء الحقيرة لحقارتها إذا رأى الصلاح في ضرب المثل بها وقيل معناه هو أن الذي يستحيي منه ما يكون قبيحاً في نفسه ويكون لفاعله عيب في فعله فأخبر الله تعالى أنّ ضرب المثل ليس بقبيح ولا عيب حتى يستحيي منه وقيل معناه أنه لا يخشى أن يضرب مثلاً كما قال ﴿**وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه**﴾ أي تستحيي الناس والله أحق أن تستحييه فالاستحياء بمعنى الخشية هنا كما أن الخشية بمعنى الاستحياء هناك وأصل الاستحياء الانقباض عن الشيء والامتناع منه خوفاً من مواقعة القبيح وقال علي بن عيسى معناه أنه ليس في ضرب المثل بالحقير للحقير عيب يستحيي منه فكأنه قال لا يحل ضرب المثل بالبعوض محل ما يستحيي منه فوضع قوله ﴿**إن الله لا يستحيي موضعه**﴾ وقوله ﴿**ما بعوضة فما فوقها**﴾ أي ما هو أعظم منها عن قتادة وابن جريج وقيل فما فوقها في الصغر والقلة لأن الغرض ههنا الصغر وقال الربيع بن أنس أن البعوضة تحيى ما جاعت فإذا سمنت ماتت فكذلك القوم الذين ضرب لهم هذا المثل إذا امتلأوا من الدنيا ريّاً أخذهم الله عند ذلك ثم تلا ﴿**حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة**﴾ وروي عن الصادق عليه السلام أنه قال انما ضرب الله المثل بالبعوضة لأن البعوضة على صغر حجمها خلق الله فيها جميع ما خلق في الفيل مع كبره وزيادة عضوين آخرين فأراد الله تعالى أن ينبِّه بذلك المؤمنين على لطيف خلقه وعجيب صنعه وقد استشهد على استحسان ضرب المثل بالشيء الحقير في كلام العرب بقول الفرزدق :

ضَـرَبَتْ عَلَيْكَ العَنْكَبُوتُ بِنَسْجِها وقَضَى عَلَيْكَ بِهِ الكِتَـابُ ٱلْمُنْزَلُ

وبقوله أيضاً

وَهَـلْ شَـيْءٌ يَكُـونُ أذَلَّ بَيْتـاً مِنَ اليَـرْبُـوعِ يَـحْتَـفِرُ التُّـرابَا

وقوله ﴿**فأما الذين آمنوا**﴾ أي صدقوا محمداً والقرآن وقبلوا الاسلام ﴿**فيعلمون أنه الحق من ربهم**﴾ مدحهم الله تعالى بأنهم تدبّروا حتى علموا أنه من ربهم وان المثل وقع في حقه ﴿**وأما الذين كفروا**﴾ بالقرآن ﴿**فيقولون**﴾ أي فلاعراضهم عن طريق الاستدلال وانكارهم الحق قالوا ﴿**ماذا أراد الله بهذا مثلاً**﴾ أي ماذا أراد الله بهذا المثل فحذف الألف واللام وقوله ﴿**يُضِلّ به كثيراً ويهدي به كثيرا**﴾ فيه وجهان (أحدهما) حكي عن الفراء أنه قال أنه حكاية عمّن قال ماذا أراد الله بهذا مثلاً يضل به كثيراً ويهدي به كثيراً أي يضل به قوم ويهتدي به قوم ثم قال الله تعالى ﴿**وما يضل به إلا الفاسقين**﴾ فبيّن تعالى أنه لا يضل إلا فاسقاً ضالاً وهذا وجه حسن والآخر أنه كلامه تعالى ابتداء وكلاهما محتمل وإذا كان محمولاً على هذا فمعنى قوله ﴿**يضل به كثيراً**﴾ ان الكفار يكذبون به وينكرونه ويقولون ليس هو من عند الله فيضلون بسببه وإذا حصل الضلال بسببه أضيف إليه وقوله ﴿**ويهدي به كثيراً**﴾ يعني الذين آمنوا به وصدقوه وقالوا هذا في موضعه فلما حصلت الهداية بسببه أضيف إليه فمعنى الاضلال على هذا تشديد الامتحان الذي يكون عنده الضلال وذلك بأن ضرب[(1)] لهم الأمثال لأن المحنةإذا اشتدت على الممتحن فضلَّ عندها سميت اضلالاً وإذا سهلت فاهتدى سميت هداية فالمعنى إن الله تعالى يمتحن بهذه الأمثال عباده فيضل بها قوم كثير ويهتدي بها قوم كثير ومثله قوله ﴿**رب انهنّ أضللن كثيراً من الناس**﴾ أي ضلوا عندها وهذا كما يقال للرجل إذا أدخل الفضة النار لينظر فسادها من صلاحها فظهر فسادها أفسدتَ فضّتَك وهو لم يفعل فيها الفساد وإنما يـراد أن فسادها ظهر عند محنته وقريب من ذلك قولهم فلان أضل ناقته ولا يريدون أنه أراد أن يضل وإنما يريدون ضلت منه لا من غيره وقولهم أفسدت فلانة فلاناً وأذهبت عقلَه وهي ربما لم تعرفه ولكن لما ذهب عقله وفسد من أجلها أضيف الفساد إليها وقد يكون الاضلال بمعنى التخلية على جهة العقوبة وترك المنع بالقهر ومنع الالطاف التي يفعل بالمؤمنين جزاء على إيمانهم وهذا كما يقال لمن لا يصلح سيفه أفسدت سيفك أريد به انك لم تحدث فيه الاصلاح في كل وقت

(١) [الله] .

بالصقل والاحداد وقد يكون[١] الاضلال بمعنى التسمية بالضلال والحكم به كما يقال اضله إذا نسبه الى الضلال وأكفره إذا نسبه إلى الكفر قال الكميت :

فَـطَائِفَـةٌ قَـدْ أَكْفَـرُونِي بِحُبِّكُمْ وَطَـائِفَـةٌ قَـالُـوا مُسِيءٌ ومُـذْنِبُ

وقد يكون الاضلال بمعنى الاهلاك والعذاب والتدمير ومنه قوله تعالى ﴿إن المجرمين في ضلال وسعر يوم يسحبون في النار على وجوههم﴾ ومنه قوله تعالى ﴿أئذا ضللنا في الأرض﴾ أي هلكنا وقوله ﴿والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم﴾ أي لن يبطل سيهديهم ويصلح بالهم فعلى هذا يكون المعنى أن الله تعالى يهلك ويعذب بالكفر به كثيراً بأن يضلهم عن الثواب وطريق الجنة بسببه فيهلكوا ويهدي إلى الثواب وطريق الجنة بالإيمان به كثيراً عن أبي علي الجبائي ويدل على ذلك قوله ﴿وما يضل به إلا الفاسقين﴾ لأنه لا يخلو من ان يكون أراد به العقوبة على التكذيب كماقلناه[٢] أو يكون أراد به التحيير والتشكيك فإن أراد الحيرة فقد ذكر أنه لا يفعل إلا بالفاسق المتحير الشاك فيجب أن لا تكون الحيرة المتقدمة التي بها صاروا فساقاً من فعله إلا إذا وجدت حيرة قبلها أيضاً وهذا يوجب وجود ما لا نهاية له من حيرة قبل حيرة لا إلى أول أو ثبوت اضلال لا اضلال قبله واذا كان ذلك من فعله فقد أضل من لم يكن فاسقاً وهو خلاف قوله ﴿وما يضل به إلا الفاسقين﴾ وعلى هذا الوجه فيجوز أن يكون حكم الله تعالى عليهم بالكفر وبراءته منهم ولعنته عليهم إهلاكاً لهم ويكون اهلاكه اضلالاً وكل ما في القرآن. من الاضلال المنسوب إلى الله تعالى فهو بمعنى ما ذكرناه من الوجوه ولا يجوز أن يضاف الى الله تعالى الاضلال الذي أضافه إلى الشيطان وإلى فرعون والسامري بقوله ولقد أضل منكم جبلاً كثيراً وقوله ﴿وأضل فرعون قومه﴾ وقوله ﴿وأضلهم السامري﴾ وهو ان يكون بمعنى التلبيس والتغليط والتشكيك والايقاع في الفساد والضلال وغير ذلك ممّا يؤدّي إلى التظليم والتجوير على ما يذهب إليه المجبرة تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً .

[فصل في حقيقة الهداية والهدى]

وإذ قد ذكرنا اقسام الاضلال وما يجوز إضافته إلى الله تعالى منها وما لا يجوز

(١) [عندها] . (٢) [قال] .

فلنذكر أقسام الهداية التي هي ضدّه اعلم أن الهداية في القرآن تقع على وجوه (أحدها) أن تكون بمعنى الدلالة والارشاد يقال هداه الطريق وللطريق والى الطريق إذا دلّه عليه وهذا الوجه عام لجميع المكلفين فإنّ الله تعالى هدى كل مكلف الى الحق بأن دلّه عليه وأرشده إليه لأنه كلفه الوصول إليه فلو لم يدله عليه لكان قد كلّفه بما لا يطيق ويدل عليه قوله تعالى **﴿ولقد جاءهم من ربهم الهدى﴾** وقوله **﴿إنا هديناه السبيل﴾** وقوله **﴿أنزل فيه القرآن هدى للناس﴾** وقوله **﴿وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى﴾** وقوله **﴿وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم﴾** وقوله **﴿وهديناه النجدين﴾** وما أشبه ذلك من الآيات (وثانيها) أن يكون بمعنى زيادة الألطاف التي بها يثبت على الهدى ومنه قوله تعالى **﴿والذين اهتدوا زادهم هدى﴾** أي شرح صدورهم وثبّتها (وثالثها) أن يكون بمعنى الاثابة ومنه قوله تعالى **﴿يهديهم ربهم بإيمانهم تجري من تحتهم الأنهار في جنات النعيم﴾** وقوله **﴿والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضلّ أعمالهم سيهديهم ويصلح بالهم﴾** والهداية التي تكون بعد قتلهم هي اثابتهم لا محالة لأنه ليس بعد الموت تكليف (ورابعها) الحكم بالهداية كقوله تعالى **﴿ومن يهد الله فهو المهتد﴾** وهذه الوجوه الثلاثة خاصة بالمؤمنين دون غيرهم لأنه تعالى إنما يثيب من يستحق الاثابة وهم المؤمنون ويزيدهم بإيمانهم وطاعاتهم الطافاً ويحكم لهم بالهداية لذلك أيضاً (وخامسها) أن تكون الهداية بمعنى جعل الانسان مهتدياً بأن يخلق الهداية فيه كما يجعل الشيء متحركاً بخلق الحركة فيه والله تعالى يفعل العلوم الضرورية في القلوب فذلك هداية منه تعالى وهذا الوجه أيضاً عام لجميع العقلاء كالوجه الأول فأما الهداية التي كلّف الله تعالى العباد فعلها كالإيمان به وبأنبيائه وغير ذلك فإنها من فعل العباد ولذلك يستحقون عليها المدح والثواب وان كان الله سبحانه قد أنعم عليهم بدلالتهم على ذلك وارشادهم اليه ودعائهم الى فعله وتكليفهم إياه وأمرهم به فهو من هذا الوجه نعمة منه سبحانه عليهم ومنّة منه واصلة اليهم وفضل منه واحسان لديهم فهو سبحانه مشكور على ذلك محمود اذ فعل بتمكينه والطافه وضروب تسهيلاته ومعوناته .

﴿ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾

[**اللغة**] النقض نقيض الابرام والعهد العقد والعهد الموثق والعهد الالتقاء وهو قريب العهد بكذا وعهد الله وصيته وأمره يقال عهد الخليفة إلى فلان بكذا أي أمره وأوصاه به ومنه قوله تعالى ﴿**ألم أعهد إليكم يا بني آدم**﴾ والميثاق ما وقع التوثيق به كما أن الميقات ما وقع التوقيت به ويقال فلان ثقة يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث ويقال ثقات في الرجال والنساء والقطع الفصل بين الشيئين واصل ذلك في الأجسام ويستعمل ذلك أيضاً في الاعراض تشبيهاً به يقال قطع الحبل وقطع الكلام والأمر هو قول القائل لمن دونه افعل هذه صيغته ثم يصير امراً بارادة الآمر المأمور به وصيغة الأمر تستعمل في الاباحة نحو قوله فاصطادوا وفي التهديد نحو قوله ﴿**اعملوا ما شئتم**﴾ وفي التحدي نحو قوله ﴿ **فأتوا بسورة من مثله**﴾ وفي التكوين كقوله ﴿**كن فيكون**﴾ والأصل في الجميع الطلب والوصل نقيض الفصل وهو الجمع بين شيئين من غير حاجز والخسران النقصان والخسار الهلاك والخاسرون الهالكون واصل الخسران ذهاب رأس المال .

[**الإعراب**] ﴿**الذين ينقضون**﴾ في موضع النصب لأنها صفة الفاسقين وأولئك مبتدأ والخاسرون خبره وهم فصل ويجوز أن يكون مبتدءاً والخاسرون خبره والجملة خبر أولئك وقوله من بعد ميثاقه من مزيدة وقيل معناه ابتداء الغاية والهاء في ميثاقه عائد إلى العهد ويجوز أن يكون عائداً إلى اسم الله تعالى وقوله أن يوصل بدل من الهاء التي في به أي ما أمر الله بأن يوصل فهو في موضع جَرٍ به.

[**المعنى**] ثم وصف الله الفاسقين المذكورين في الآية فقال هم ﴿**الذين ينقضون عهد الله**﴾ أي يهدمونه لا يفون به وقيل في عهد الله وجوه (أحدها) أنه ما ركّب في عقولهم من أدلة التوحيد والعدل وتصديق الرسل وما احتج به لرسله من المعجزات الشاهدة لهم على صدقهم ونقضهم لذلك تركهم الاقرار بما قد بُيّنت لهم صحته بالأدلة (وثانيها) انه وصية الله الى خلقه على لسان رسوله بما أمرهم به من طاعته ونهاهم عنه من معصيته ونقضهم لذلك تركهم العمل به (وثالثها) ان المراد به كفار أهل الكتاب وعهد الله الذي نقضوه ﴿**من بعد ميثاقه**﴾ هو ما أخذه عليهم في التوراة من اتباع محمد ﷺ والتصديق بما جاء به من عند ربه ونقضهم لذلك هو جحودهم به بعد معرفتهم بحقيقته وكتمانهم ذلك عن الناس بعد أن أخذ الله ميثاقهم ليبيّننه للناس ولا يكتمونه وانهم ان جاءهم نذير آمنوا به فلما جاءهم النذير ازدادوا نفوراً ونبذوا العهد وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً واختار هذا الوجه الطبري (ورابعها) أنه العهد الذي أخذه عليهم حين أخرجهم من صلب

آدم كما وردت به القصة وهذا الوجه ضعيف لأنه لا يجوز أن يحتج على عباده بعهد لا يذكرونه ولا يعرفونه ولا يكون عليه دليل وقوله تعالى ﴿**ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل**﴾ معناه أمروا بصلة النبي ﷺ والمؤمنين فقطعوهم عن الحسن وقيل امروا بصلة الرحم والقرابة فقطعوها عن قتادة وقيل أمروا بالإيمان بجميع الأنبياء والكتب ففرقوا وقطعوا ذلك وقيل امروا بأن يصلوا القول بالعمل ففرقوا بينهما بأن قالوا ولم يعملوا وقيل معناه الأمر بوصل كل من أمر الله بصلته من أوليائه والقطع والبراءة من أعدائه وهذا أقوى لأنه أعم ويدخل فيه الجميع وقوله ﴿**ويفسدون في الأرض**﴾ قال قوم استدعاؤهم إلى الكفر هو الفساد في الأرض وقيل اخافتهم السبيل وقطعهم الطريق وقيل نقضهم العهد وقيل أراد كل معصية تعدى ضررها إلى غير فاعلها والأولى حمله على العموم ﴿**أولئك هم الخاسرون**﴾ أي اهلكوا أنفسهم فهم بمنزلة من هلك رأس ماله وروي عن ابن عباس ان كل ما نسبه الله تعالى من الخسار إلى غير المسلمين فإنما عنى به الكفر وما نسبه إلى المسلمين فإنما عنى به الدنيا .

﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾

[**القراءة**] قرأ يعقوب ترجعون بفتح التاء على أن الفعل لهم والباقون بضم التاء وفتح الجيم على ما لم يسم فاعله .

[**الاعراب**] كيف في الأصل سؤال عن الحال ويتضح ذلك في الجواب إذا قيل كيف رأيت زيداً فتقول مسروراً أو مهموماً وما أشبه ذلك فتجيب بأحواله فكيف ينتظم جميع الأحوال كما أن كم ينتظم جميع العدد وما ينتظم جميع الجنس وأين ينتظم جميع الأماكن ومن ينتظم جميع العقلاء ومعناه في الآية التوبيخ وتقديره أمتعلقين بحجة تكفرون فيكون منصوب الموضع على الحال والعامل فيه تكفرون وقال الزجاج هو استفهام في معنى التعجب(١) وهذا التعجب إنما هو للخلق أو للمؤمنين أي اعجبوا من هؤلاء كيف يكفرون وقد ثبتت حجة الله عليهم ومعنى وكنتم وقد كنتم والواو واو الحال واضمار قد جائز إذا كان في الكلام دليل عليه ومثله قوله تعالى ﴿**أو جاؤوكم حصرت صدورهم**﴾ أي قد حصرت صدورهم وهي جملة في موضع الحال وانما وجب اظهار قد في مثل هذا او

(١) وفي نسختنا المخطوطة « تعجيب » على بناء التفعيل .

تقديرها لأن الماضي لا يكون حالاً وقد انما يكون لتقريب العهد ولتقريب الحال فبدخوله يصلح ان يكون الفعل الماضي حالاً .

[**المعنى**] ثم عاد الله تعالى إلى الاحتجاج على الكفار في انكارهم البعث وجحودهم لرسله وكتبه بما أنعم به عليهم فقال ﴿**كيف تكفرون بالله**﴾ ومن قال هو توبيخ قال معناه ويحكم كيف تكفرون كما يقال كيف تكفر نعمة فلان وقد أحسن إليك ومن قال هو تعجب قال تقديره عجباً منكم على أي حال يقع منكم الكفر بالله مع الدلائل الظاهرة على وحدانيته والمعجزات القاهرة على صدق من اختصه برسالته وقيام الحجج الباهرة على وجوب طاعته وشكر نعمته ثم ذكر سبحانه بعض نعمه عليهم فقال ﴿**وكنتم أمواتاً فأحياكم**﴾ أي وحالكم انكم كنتم امواتاً وفيه وجوه (أحدها) انهم كانوا أمواتاً في أصلاب آبائهم يعني نطفاً فأحياهم الله ثم أماتهم الموتة التي لا بد منها ثم أحياهم بعد الموت فهما حياتان وموتتان عن قتادة (وثانيها) ان معناه لم تكونوا شيئاً فخلقكم ثم يميتكم ثم يحييكم يوم القيامة عن ابن عباس وابن مسعود (وثالثها) ان معناه كنتم امواتاً يعني خاملي الذكر فأحياكم بالظهور ثم يميتكم عند تقضي آجالكم ثم يحييكم للبعث والعرب تسمي كل امرىء خامل ميتاً وكل امرىء مشهور حيّاً كما قال أبو نخيلة السعدي

فأَحْيَيْتَ مِنْ ذِكْرِي وَمَا كَانَ خـامِلاً   وَلَكِنَّ بَعْضَ الذِّكْرِ أَنْبَهُ مِنْ بَعْضِ

(ورابعها) أن معناه كنتم نطفاً في أصلاب آبائكم وبطون أمهاتكم والنطفة موات فأخرجكم الى دار الدنيا احياء ﴿**ثم يميتكم ثم يحييكم**﴾ في القبر للمساءلة ﴿**ثم إليه ترجعون**﴾ أي يبعثكم يوم الحشر للحساب والمجازاة على الأعمال وسمي الحشر رجوعاً إلى الله تعالى لأنه رجوع إلى حيث لا يكون أحد يتولى الحكم فيه غير الله كما يقال رجع أمر القوم إلى الأمير ولا يراد به الرجوع من مكان الى مكان وانما يراد به ان النظر صار له خاصة دون غيره وانما بدأ الله تعالى بذكر الحياة ومن بين سائر النعم التي أنعم بها على العبد لأن أول نعمة انعم الله بها عليه خلقه إياه حيّاً لينفعه وبالحياة يتمكن الانسان من الانتفاع والالتذاذ وانما عدّ الموت من النعم وهو يقطع النعم في الظاهر لأن الموت يقطع التكليف فيصل المكلف بعده إلى الثواب الدائم فهو من هذا الوجه نعمة وقيل إنما ذكر الموت لتمام الاحتجاج لا لكونه نعمة وفي هذه الآية دلالة على أنه تعالى لم يرد من عباده الكفر ولا خلقه فيهم لأنه لو أراده منهم أو خلقه فيهم لم يجز ان يضيفه اليهم بقوله كيف تكفرون بالله كما لا يجوز ان يقول لهم كيف او لم كنتم طوالاً أو قصاراً وما أشبه ذلك مما

هو من فعله تعالى فيهم .

﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾

[**اللغة**] أصل الخلق التقدير والجمع الضم ونقيضه الفرق وسميت الجمعة جمعة لاجتماع الناس والاستواء الاعتدال والاستقامة ونقيضه الاعوجاج والسبع للمؤنث والسبعة للمذكر والسبع مشتق من ذلك لأنه مضاعف القوى كأنه ضوعف سبع مرات والعليم في معنى العالم قال سيبويه اذا أرادوا المبالغة عدوا الى فعيل نحو عليم ورحيم .

[**المعنى**] قال المفسرون لما استعظم المشركون أمر الاعادة عرفهم الله تعالى خلق السموات والأرض ليدلّهم بذلك على قدرته على الاعادة فقال **﴿هو الذي خلق لكم﴾** أي لأجلكم **﴿ما في الأرض جميعاً﴾** ما في موضع نصب بأنه مفعول بها ومعناه أن الأرض وجميع ما فيها نعم من الله تعالى مخلوقة لكم اما دينية فتستدلون بها على معرفته واما دنياوية فتنتفعون بها بضروب النفع عاجلاً وقوله **﴿ثم استوى الى السماء﴾** فيه وجوه (أحدها) ان معناه قصد للسماء ولتسويتها كقول القائل كان الأمير يدبر أمر الشام ثم استوى الى أهل الحجاز أي تحول تدبيره وفعله إليهم (وثانيها) انه بمعنى استولى على السماء بالقهر كما قال لتستووا على ظهوره أي تقهروه ومنه قوله **﴿ولما بلغ أشدَّه واستوى﴾** أي تمكن من أمره وقهر هواه بعقله فعلى هذا يكون معناه ثم استوى الى السماء في تفرده بملكها ولم يجعلها كالأرض ملكاً لخلقه ومنه قول الشاعر :

فَلمّـا عَلَوْنـا وَٱسْتَـوَيْنـا عَلَيْهِـمُ   تَـرَكْنَاهُمُ صُـرْعَى لِنَسْرٍ وكـاسِرِ[١]

وقال آخر[٢] :

ثُمّ اسْتَـوَى بُشْـرٌ على العِـراقِ   مِنْ غَيْـرِ سَـيْفٍ ودَمٍ مِهْـراقِ

(وثالثها) ان معناه ثم استوى امره وصعد إلى السماء لأن أوامره وقضاياه تنزل من السماء إلى الأرض عن ابن عباس (ورابعها) ما روى عن ثعلب احمد بن يحيى أنه سئل

(١) الكاسر: العقاب .

(٢) القائل: البعيث .

عن معنى الاستواء في صفة الله عز وجل فقال الاستواء الاقبال على الشيء يقال كان فلان مقبلاً على فلان [يشتمه] ثم استوى عليّ وإليّ يكلمني على معنى اقبل إليّ وعليّ فهذا معنى قوله **﴿ثم استوى إلى السماء﴾** وقوله **﴿فسواهن سبع سماوات﴾** التسوية جعل الشيئين أو الأشياء على استواء يقال سويت الشيئين فاستويا وانما قال فسواهن فجمع الضمير العائد إلى السماء لأن السماء اسم جنس يدل على القليل والكثير كقولهم اهلك الناس الدينار والدرهم وقيل السماء جمع سماوة وسماءة ولذلك يؤنث مرّة ويذكر اخرى فقيل السماء منفطر به كما يفعل ذلك بالجمع الذي بينه وبين واحده الهاء نحو نخل ونخلة وبقر وبقرة وقيل ان السماوات كانت سماء فوق سماء فهي في التقدير واحدة وتكون الواحدة جماعة كما يقال ثوب اخلاق واسمال وبُرقة أعشار(١) وأرض أعقال والمعنى أن كل ناحية منها كذلك فجمع على هذا المعنى جعلهن سبع سموات مستويات بلا فطور ولا امتٍ قال علي بن عيسى ان السموات غير الافلاك لأن الأفلاك تتحرك وتدور والسموات لا تتحرك ولا تدور لقوله **﴿إن الله يمسك السموات والأرض ان تزولا﴾** وهذا قول ضعيف لأن قوله ان تزولا معناه لا تزول عن مراكزها التي تدور عليها ولولا امساكه لزالت عنها .

[سؤال] ظاهر قوله تعالى **﴿ثم استوى إلى السماء﴾** يوجب أنه خلق الأرض قبل السماء لأن ثم للتعقيب والتراخي وقوله في سورة اخرى **﴿والأرض بعد ذلك دحاها﴾** بخلافه فكيف يجمع بينهما الجواب معناه أن الله خلق الأرض قبل السماء غير أنه لم يدحها فلما خلق السماء دحاها بعد ذلك ودحوها بسطها ومدها عن الحسن وعمرو بن عبيد وقد يجوز أيضاً أن لا يكون معنى ثم وبعد في هذه الآيات الترتيب في الأوقات وانما هو على جهة تعداد النعم والتنبيه عليها والاذكار لها كما يقول القائل لصاحبه أليس قد أعطيتك ثم رفعت منزلتك ثم بعد هذا كله فعلت بك وفعلت وربما يكون بعض ما ذكره متقدماً في اللفظ كان متأخراً لأن المراد لم يكن الاخبار عن أوقات الفعل وإنما المراد التذكير كما ذكره وقوله **﴿وهو بكل شيء عليم﴾** ولم يقل قدير لأنه لما وصف نفسه بالقدرة والاستيلاء وصل ذلك بالعلم إذ بهما يصح وقوع الفعل على وجه الاتقان والاحكام وايضاً فإنه أراد ان يبيّن انه عالم بما يؤول اليه حاله وحال المنعم به عليه فتتحقق بذلك النعمة وفي هذه الآية دلالة على ان صانع السماء والأرض قادر وعالم وانه تعالى انما يفعل الفعل لغرض وان له تعالى

---

(١) وفي نسختنا المطبوعة والمخطوطة « برمة » وهي بالضم : القدر من الحجارة ومعنى برمة اعشار : القدر المكسور على عشر قطع .

على الكفار نعماً يجب شكره عليهم بها وفيها ايضاً دلالة على أن الأصل في الأشياء الاباحة لأنه ذكر انه خلق ما في الأرض لمنفعة العباد ثم صار حظاً لكل واحد منهم فما يتفرد كل منهم بالتصرف فيه يحتاج إلى دليل .

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾

[**اللغة**] القول موضوع في كلام العرب للحكاية نحو قولك قال زيد خرج عمرو والربّ السيد يقال ربّ الدار ورب الفرس ولا يقال الرب بالألف واللام إلا لله تعالى وأصله من ربّيته إذا قمت بأمره ومنه قيل للعالم ربّاني لأنه يقوم بأمر الأمة والملائكة جمع ملك واختلف في اشتقاقه فذهب اكثر العلماء الى أنه من الالوكة وهي الرسالة وقال الخليل الألوك الرسالة وهي المألكة والمألكة على مفعلة وقال غيره انما سميت الرسالة الوكاً لأنها تولك في الفم اي تمضغ والفرس تألك اللجام وتعلك قال عدي بن زيد .

أَبلِغَا النُّعْمَانَ عَنّي مَألُكاً ... أنَّهُ قَدْ طَالَ حسْبي وانْتِظارِي

ويروى ملاءكاً وقال لبيد :

وَغُلامٍ أرْسَلْتُهُ أُمُّهُ ... بِأَلُوكٍ فَبَذلْنَا ما سَأل

وقال الهذلي :

أَلِكْني إِلَيْهَا وَخيرُ الرْسولِ ... إعْلَمُهُمْ بِنَواحِي الخَبَرْ

فالملائكة على هذا وزنها معافلة لأنها مفاعلة مقلوبة جمع مَلأَك في معنى مالك قال الشاعر :

فَلَسْتُ لإنْسِيٍ وَلَكِنْ لِمَلأكٍ ... تَنَزَّلَ مِنْ جوِ السماءِ يَصوبُ

فوزن ملأك معفل مقلوب مألك مفعل ومن العرب من يستعمله مهموزاً والجمهور منهم على القاء حركة الهمزة على اللام وحذفها فيقال ملك وذهب أبو عبيدة إلى ان اصله من لاك إذا ارسل فملأك على هذا القول مفعل وملائكة مفاعلة غير مقلوبة والميم في هذين الوجهين زائدة وذهب ابن كيسان إلى أنه من الملك وان وزن مَلأَكَ فَعْأل مثل شَمْأل وملائكة فعائلة فالميم على هذا القول اصلية والهمزة زائدة والملك وان كان اصله الرسالة فقد صار صفة غالبة على صنف من رسل الله غير البشر كما ان السماء وان كان اصله الارتفاع فقد صار غالباً على السماوات المعروفة وقال اصحابنا رضي الله عنهم ان جميع الملائكة ليسوا برسل الله بدلالة قوله تعالى **﴿يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس﴾** فلو كانوا كلهم رسلاً لكان جميعهم مصطفين فعلى هذا يكون الملك اسم جنس ولا يكون من الرسالة والجعل والخلق والفعل والاحداث نظائر الا ان الجعل قد يتعلق بالشيء لا على سبيل الايجاد بخلاف الفعل والاحداث تقول جعلته متحركاً وحقيقة الجعل تغيير الشيء عما كان عليه وحقيقة الفعل والاحداث الايجاد والخليفة والإمام واحد في الاستعمال الا ان بينهما فرقاً فالخليفة استخلف في الأمر مكان من كان قبله فهو مأخوذ من أنه خلف غيره وقام مقامه والإمام مأخوذ من التقدم فهو المتقدم فيما يقتضي وجوب الاقتداء به وفرض طاعته فيما تقدم فيه والسفك صب الدم والدم قد اختلف في وزنه فقال بعضهم دَمَيٌ على وزن فَعَل قال الشاعر:

فَلَوْ أَنَّا على حَجَرٍ ذُبُحْنَا   جَرَى الدَّمَيانِ بِالْخَبَرِ ٱلْيَقِين

وقيل اصله دَمْيٌ على وزن فعل والشاعر لما ردَّ الياء في التثنية لقلة الاسم حركه ليعلم أنه متحركاً قبل ذلك والتسبيح التنزيه لله تعالى عن السوء وعما لا يليق به والسبوح المستحق للتنزيه والتعظيم والقدوس المستحق للتطهير والتقديس التطهير ونقيضه التنجيس والقدس السطل الذي يتطهر منه وقد حكى سيبويه ان منهم من يقول سَبّوح قَدّوس بالفتح والضم أكثر في الكلام والفتح أقيس لأنه ليس في الكلام فُعّولِ الآذُ روح وسبحان اسم المصدر قال سيبويه سبحان الله معناه براءة الله من كل سوء وتنزيه الله قال الاعشى.

أَقُولُ لَمَّا جاءَني فَخْرُه   سُبْحَانَ مِن عَلْقَمَةِ الفَاخِرِ

أي براءة منه قال وهو معرفة علم خاص لا ينصرف للتعريف والزيادة وقد اضطر الشاعر فنونّه قال امية

سُبْحَانَهُ ثُمَّ سُبْحَاناً يَعُودُ لَهُ وقَبْلَهُ[١] سَبَّحَ الجُودِيُّ وَالجُمُدُ

وهو مشتق من السبح الذي هو الذهاب ولا يجوز ان يسبَّح غير الله وان كان منزهاً لأنه صار علماً في الدين على اعلى مراتب التعظيم التي لا يستحقها سواه كما ان العبادة هي غاية في الشكر لا يستحقها سواه.

[**الاعراب**]قال أبو عبيدة إذ ههنا زائدة وانكر الزجاج وغيره عليه هذا القول وقالوا أن الحرف إذا افاد معنى صحيحاً لم يجز الغاوه قال الزجاج ومعناه الوقت ولما ذكر الله تعالى خلق الناس وغيرهم فكأنه قال ابتداء خلقكم إذ قال ربك للملائكة وقال علي بن عيسى تقديره إذكر إذ قال ربك للملائكة فموضع إذ نصب على اضمار فعل والواو عاطفة جملة على جملة واني جاعل في الأرض خليفة جملة في موضع نصب بقال وقوله اتجعل فيها إلى قوله ونقدس لك في موضع نصب بقالوا والواو في قوله ونحن واو الحال وتسمى واو القطع وواو الاستئناف وواو الابتداء وواو إذ كذا كان يمثلها سيبويه ومثله الواو في قوله ﴿يعشي طائفة منكم وطائفة قد اهمتهم أنفسهم﴾ أي إذ طائفة وكذا ههنا إذ نحن نسبح والعامل في الحال ههنا اتجعل كأنه قال اتجعل فيها من يفسد فيها وهذه حالنا والباء في بحمدك تتعلق بنسبح واللام من لك تتعلق بنقدس وما موصولة وصلته لا تعلمون والعائد ضمير المفعول حذف لطول الكلام أي لا تعلمونه وهو في موضع النصب باعلم.

[**المعنى**] اذكر يا محمد ﴿**إذ قال ربك للملائكة**﴾ قيل أنه خطاب لجميع الملائكة وقيل خطاب لمن اسكنه الأرض بعد الجان من الملائكة عن ابن عباس ﴿**اني جاعل**﴾ أي خالق ﴿**في الأرض خليفة**﴾ اراد بالخليفة آدم (ع) فهو خليفة الله في ارضه يحكم بالحق الا انه تعالى كان اعلم ملائكته انه يكون من ذريته من يفسد فيها عن ابن عباس وابن مسعود وقيل انما سمى الله تعالى آدم خليفة لأنه جعل آدم وذريته خلفاء للملائكة لأن الملائكةكانوا من سكان الأرض وقيل كان في الأرض الجن فافسدوا فيها وسفكوا الدماء فاهلكوا فجعل آدم وذريته بدلهم عن ابن عباس وقيل عنى بالخليفة ولد آدم يخلف بعضهم بعضاً وهم خلفوا اباهم آدم في اقامة الحق وعمارة الأرض عن الحسن البصري وقيل اراد بالأرض مكة لأن النبي ﷺ قال دحيت الأرض من مكة ولذلك سميت أمالقرى وروي أن قبر نوح وهود وصالح وشعيب بين زمزم والركن والمقام والظاهر انها الأرض

(١) هكذا في النسخ المخطوطة والمطبوعة وفي لسان العرب وقبلنا ولعله الاصح.

المعروفة وهو الصحيح وقوله قالوا يعني الملائكة لله تعالى اتجعل فيها أي في الأرض من يفسد فيها بالكفر والمعاصي ويسفك الدماء بغير حق وذكر فيه وجوه (احدها) أن خلقاً يقال لهم الجان كانوا في الأرض فافسدوا فيها فبعث الله ملائكة اَجْلَتْهم من الأرض وكان هؤلاء الملائكة سكان الأرض من بعدهم فقالوا يا ربنا **﴿اتجعل فيها من يفسد فيها﴾** كما فعل بنو الجان قاسوا بالشاهد على الغائب وهو قول كثير من المفسرين (وثانيها) ان الملائكة إنما قالت ذلك على سبيل الاستفهام وعلى وجه الاستخبار والاستعلام عن وجه المصلحة والحكمة لا على وجه الانكار ولا على سبيل الاخبار فكأنهم قالوا يا الله ان كان هذا كما ظننا فَعَرِّفنا ما وجه الحكمة فيه (وثالثها) ان الله تعالى اخبر الملائكة بأنه سيكون من ذرية هذا الخليفة من يعصي ويسفك الدماء على ما روي عن ابن عباس وابن مسعود والغرض في اعلامه اياهم ان يزيدهم يقيناً على وجه علمه بالغيب لأنه وجد بعد ذلك على ما اخبرهم به وقيل ليعلم آدم أنه خلق للأرض لا للجنة فقالت الملائكة اتجعل فيها من يفعل كذا وكذا على وجه التعرف لما في هذا من التدبير والاستفادة لوجه الحكمة فيه وهذا الوجه يقتضي ان يكون في اول الكلام حذف ويكون التقدير اني جاعل في الأرض خليفة واني عالم بأنه سيكون في ذريته من يفسد فيها ويسفك الدماء فحذف اختصاراً وكذلك قوله **﴿اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك﴾** في ضمنه اختصار شديد أي فنحن على ما نظنه ويظهر لنا من الأمر اولى بالخلافة في الأرض لأنا نطيع وغيرنا يعصي وفي قوله **﴿اني اعلم ما لا تعلمون﴾** اختصار أيضاً لأنه يتضمن أني اعلم من مصالح المكلفين ما لا تعلمونه وما يكون مخالفاً لما تظنونه على ظواهر الأمور ومثل هذه الحذوف العجيبة والاختصارات البديعة كثيرة في القرآن والحذف معدود في انواع الفصاحة إذا كان فيما ابقي دليل على ما القي ومما جاء منه في الشعر قول الشنفرى.

ولا تَقْبِـرُوني إنَّ قَبـرِي مُحَـرَّمٌ عليْكُمُ وَلَكِنْ خامِرِي أُمَّ عامِـر

أي لا تدفنوني بل دعوني تأكلني التي يقال لها خامري أُمّ عامر يعني الضبع وقول أبي داود[1].

إنَّ مِـنْ شِيـمَـتـي لَبَـذْلُ تِلادِي دُون عِـرْضي فإنْ رَضيتِ فَكُـوني

(١) كذا في نسختنا المخطوطة والمطبوعة لكنه محرف أبو دؤاد راجع شرح شواهد مجمع البيان ج ١ ص ١٩٦.

أي فكوني على ما انت عليه وان سخطت فبيني فحذف وقال عنترة.

هَـل تـبْلِغَـنْي دَارَهـا شَـدَنِّـيـةٌ لُعِنَتْ بِمْحـرُوم الشَّرَابِ مُصَـرَّم

أي دُعِي عليها بانقطاع لبنها وجفاف ضرعها فصارت كذلك والناقة إذا كانت لا تنتج كانت أقوى على السير وإنما أرادات الملائكة بقولهم **﴿اتجعل فيها من يفسد فيها﴾** ولد آدم الذين ليسوا بأنبياء ولا معصومين لا آدم نفسه ومن يجري مجراه من الانبياء والمعصومين ومعنى قولهم **﴿ونحن نسبح بحمدك﴾** نتكلم بالحمد لك والنطق بالحمد لله تسبيح له كقوله تعالى **﴿والملائكة يسبحون بحمد ربهم﴾** وإنما يكون حمد الحامد سبحانه تسبيحاً لأن معنى الحمد لله الثناء عليه والشكر له وهذا تنزيه له واعتراف بأنه أهل لأن ينزه ويعظم ويثني عليه عن مجاهد وقيل معنى نسبح بحمدك نصلي لك كقوله **﴿فلولا أنه كان من المسبحين﴾** أي من المصلين عن ابن عباس وابن مسعود وقيل هو رفع الصوت بذكر الله عن المفضل ومنه قول جرير.

قَبَـحَ الإلَـهُ وُجـوهَ تَغْـلِبَ كُلَّمَـا سَبَـحَ الحَجِيـجُ وكَبَّـرُوا إهْـلالا

وقوله **﴿ونقدس لك﴾** أي ننزهك عما لا يليق بك من صفات النقص ولا نضيف اليك القبائح فاللام على هذا زائدة نقدسك وقيل نقدس لك اي نصلي لاجلك وقيل نطهر انفسنا من الخطايا والمعاصي قوله **﴿اني اعلم مالا تعلمون﴾** قيل اراد ما اضمره ابليس من الكبر والعجب والمعصية لما امره الله سبحانه بالسجود لآدم عن ابن عباس وابن مسعود وقيل اراد اعلم مَن في ذرية آدم من الانبياء والصالحين عن قتادة وقيل اراد به ما اختص الله تعالى بعلمه من تدبير المصالح وروي عن ابي عبد الله قال ان الملائكة سألت الله تعالى ان يجعل الخليفة منهم وقالوا نحن نقدسك ونطيعك ولا نعصيك كغيرنا قال فلما اجيبوا بما ذكر في القرآن علموا انهم تجاوزوا مالهم فلاذوا بالعرش استغفاراً فأمر الله تعالى آدم بعد هبوطه ان يبني له في الأرض بيتاً يلوذ به المخطئون كما لاذ بالعرش الملائكة المقربون فقال الله تعالى للملائكة أني أعرف بالمصلحة منكم وهو معنى قوله **﴿اعلم ما لا تعلمون﴾** وهذا يدل على أنه تعالى لا يفعل القبيح لأنه لو كان يحسن منه كل شيء لم يكن لهذا الكلام معنى لأنه إنما يفيد في الجواب متى حمل على أنه اراد اني اعلم بالمصالح فافعل ما هو الاصلح.

[**النظم**] واتصال هذه الآية بما قبلها ان الله تعالى ذكر اول النعم له علينا وهي نعمة

الحياة ثم ذكر بعده انعامه علينا بخلق الأرض وما فيها وبخلق السماء ثم اراد ان يذكر نعمته علينا بخلق ابينا آدم عليه السلام وما اعطاه من الفضيلة فكأنه قال اذكر لهم كيف تكفرون بالله وقد فعل بكم كذا وكذا وانعم عليكم بكذا أو كذا.

﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمۡ عَلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾

[**القراءة**] قرأ أهل المدينة واهل البصرة هؤلاء بمدة واحدة لا يمدّونها الا على قدر خروج الألف ويمدّون اولاء كأنهم يجعلونه كلمتين والباقون يمدّون مدّتين في كل القرآن فأما الهمزتان من كلمتين نحو هؤلاء ان كنتم صادقين ونحوها فأبو جعفر ونافع برواية ورش وابن كثير برواية القواس ويعقوب يهمزون الاولى ويخففون الثانية ويشيرون بالكسرة اليها وكذلك يفعلون في كل همزتين متفقتين تلتقيان من كلمتين مكسورتين كانتا أو مضمومتين او مفتوحتين فالمكسورتان على البغاء إن اردن والمضمومتان أولياءُ اولئك ليس في القرآن غيره والمفتوحتان جاء احدكم وشاءَ أنشره وأبو عمرو والبزي بهمزة واحدة فيتركان احديهما اصلاً إذا كانتا متفقتين ونافع برواية إسماعيل وابن كثير برواية ابن فليح بتليين الأولى وتحقيق الثانية وإذا اختلفتا فاتفقوا على همز الاولى وتليين الثانية نحو السفهاءُ الا والبغضاء إلى يوم القيامة فأما ابن عامر وعاصم والكسائي فأنهم يهمزون همزتين في جميع ذلك متفقتين كانتااو مختلفتين أما الحذف والتليين فللتخفيف وأما الهمز فللحمل على الأصل.

[**اللغة**] في اشتقاق آدم قولان (احدهما) أنه مأخوذ من اديم الأرض فإذا سميْت به في هذا الوجه ثم نكّرته صرفته (والثاني) أنه مأخوذ من الأدمة على معنى اللون والصفة فإذا سميت به فى هذا الوجه ثم نكرته لم تصرفه والأدْمة والسُمْرة والدُكْتة والوُرَقة متقاربة المعنى وآدم أبو البشر عليه السلام قال صاحب العين الادمة في الناس شُرْبة من سواد وهي السمرة وفي الابل والظباء بياض وكل لفظة عموم على وجه الاستيعاب وحقيقته للأحاطة بالأبعاض يقال ابَعْضُ القوم جآءك أم كلهم ويكون تأكيداً مثل اجمعون الا انه يبدأ في الذكر بكل كقوله تعالى ﴿**فسجد الملائكة كلهم اجمعون**﴾ لأن كلا قد يلي العوامل واجمعون لا يكون الا تابعاً والعرض من قولهم عرضت الشيء عليه وعرضت الجند قال الزجاج اصله في اللغة الناحية من نواحي الشيء فمن ذلك العرض خلاف الطول وعرض

الرجل ما يمدح به او يذم ويقال عرضه خليقته المحمودة ويقال عرضه حسبه وقال علي بن عيسى هو ناحيته التي يصونها عن المكروه والسّب، والعرض وما يعرض في الجسم ويغير صفته ويقال عرضت المتاع على البيع عرضاً أي اظهرته حتى عرفت جهته والانباء والاعلام والأخبار واحد والنبأ الخبر ويقال منه انبأته ونبّأته وانبئوني باسماء هؤلاء أي اخبروني بها أما المتعدي إلى ثلاثة مفاعيل نحو انبأت زيداً عمراً خير الناس وكذلك نبأت فهو هذا في الاصل الا انه حمل على المعنى فعدّي إلى ثلاثة مفاعيل لأن الإنباء بمعنى الاعلام ودخول هذا المعنى فيه وحصول مشابهته للاعلام لم يخرجه عن الاصل الذي هو له من الاخبار وعن ان يتعدى إلى مفعولين احدهما بالباء أو بعن نحو نَبِئهم عن ضيف إبراهيم والنبوة إذا اخذت من الانباء فهي مهموزة وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال لا تنبئن باسمي لرجل قال له يا نبيء الله مهموزاً والنبي بغير همز الطريق الواضح يأخذ بك الى حيث تريد والفرق بين الاعلام والأخبار ان الاعلام قد يكون بخلق العلم الضروري في القلب كما خلق الله من كمال العقل والعلم بالمشاهدات وقد يكون بنصب الأدلة على الشيء والاخبار هو اظهار الخبر علم به أو لم يعلم ولا يكون مخبراً بما يحدثه من العلم في القلب كما يكون معلماً بذلك .

[**المعنى**] ثم ابان سبحانه وتعالى لملائكته فضل آدم عليهم وعلى جميع خلقه بما خصه به من العلم فقال سبحانه وتعالى **﴿وعلم آدم الأسماء كلها﴾** أي علمه معاني الأسماء إذ الاسماء بلا معان لا فائدة فيها ولا وجه لاشارة الفضيلة بها وقد نبه الله تعالى الملائكة على ما فيها من لطيف الحكمة فاقروا عندما سُئلوا عن ذكرها والاخبار عنها أنه لا علم لهم بها فقال الله تعالى **﴿يا آدم أنْبِئهم باسمائهم﴾** عن قتادة وقيل أنه سبحانه علمه جميع الاسماء والصناعات وعمارة الأرضين والاطعمة والادوية واستخراج المعادن وغرس الاشجار ومنافعها وجميع ما يتعلق بعمارة الدين والدنيا عن ابن عباس ومجاهد بن جبير وعن أكثر المتأخرين وقيل أنه علمه اسماء الاشياء كلها ما خلق وما لم يخلق بجميع اللغات التي يتكلم بها ولده بعده عن ابي علي الجبائي وعلي بن عيسى وغيرهما قالوا فأخذ عنه ولده اللغات فلما تفرقوا تكلم كل قوم بلسان الفوه واعتادوه وتطاول الزمان على ما خالف ذلك فنسوه ويجوز ان يكونوا عالمين بجميع تلك اللغات إلى زمن نوح (ع) فلما اهلك الله الناس الا نوحاً ومن تبعه كانوا هم العارفين بتلك اللغات فلما كثروا وتفرقوا اختار كل قوم منهم لغة تكلموا بها وتركوا ما سواه ونسوه وقد روي عن الصادق (ع) أنه سُئل عن هذه الآية فقال الارضين والجبال والشعاب والاودية ثم نظر إلى بساط تحته فقال

وهذا البساط مما علمه وقيل أنه علمه اسماء الملائكة واسماء ذريته عن الربيع وقيل أنه علمه القاب الاشياء ومعانيها وخواصها وهو ان الفرس يصلح لماذا والحمار يصلح لماذا وهذا أبلغ لأن معاني الأشياء وخواصها لا تتغير بتغير الأزمنة والأوقات والقاب الأشياء تتغير على طول الازمنة وقال بعضهم أنه تعالى لم يعلمه اللغة العربية فإن أول من تكلم بالعربية إسماعيل (ع) وقالوا أن الله جعل الكلام معجزة لثلاثة من الانبياء آدم وإسماعيل ومحمد ﷺ ثم اختلف في كيفية تعليم الله تعالى آدم الاسماء فقيل علمه بأن اودع قلبه معرفة الاسماء وفتق لسانه بها فكان يتكلم بتلك الاسماء كلها وكان ذلك معجزة له لكونه ناقصاً للعادة وقيل علّمه إياها بأن اضطره إلى العلم بها وقيل علّمه لغة الملائكة ثم علّمه بتلك اللغة سائر اللغات وقيل إنما علّمه اسماء الاشخاص بأن احضر تلك الاشياء وعلّمه اسماءها في كل لغة وأنه لأي شيء يصلح وأيّ نفع فيه وأيّ ضرر وقوله **﴿ثم عرضهم على الملائكة﴾** روي عن ابن عباس أنه قال عرض الخلق وعن مجاهد قال عرض اصحاب الاسماء وعلى هذا فيكون معناه ثم عرض المسميات على الملائكة وفيهم من يعقل وفيهم من لا يعقل فقال عرضهم غلّب العقلاء فأجرى على الجميع كناية من يعقل كقوله **﴿والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على اربع﴾** اجرى عليهم كناية من يعقل وفي قراءة أبيّ ثم عرضها وفي قراءة ابن مسعود ثم عرضهن وعلى هاتين القراءتين يصلح ان يكون عبارة عن الاسماء دون المسميات واختلف في كيفية العرض على الملائكة فقيل إنما عرضها على الملائكة بأن خلق معاني الاسماء التي علّمها آدم حتى شاهدتها الملائكة وقيل صوّر في قلوبهم هذه الاشياء فصارت كأنهم شاهدوها وقيل عرض عليهم من كل جنس واحد واراد بذلك تعجيزهم فإن الانسان إذا قيل له ما اسم شيء صفته كذا وكذا فلم يعلم كان ابلغ عذراً ممّن عرض عليه شيء بعينه وسُئل عن اسمه فلم يعرفه وبين بذلك ان آدم عليه السلام اصلح لكدخدائية الأرض وعمارتها لاهتدائه إلى مالا تهتدي الملائكة إليه من الصناعات المختلفة وحرث الارض وزراعتها وانباط الماء واستخراج الجواهر من المعادن وقعر البحار بلطائف الحكمة وهذا يقوي قول من قال أنه علّمه خواص الاشياء واراد به انكم إذا عجزتم عن معرفة هذه الأشياء مع مشاهدتكم لها فأنتم عن معرفة الأمور المغيبة عنكم اعجز فقال **﴿انبئوني بأسماء هؤلاء أن كنتم صادقين﴾** أن سأل فقيل ما الذي ادعت الملائكة حتى خوطبوا بهذا وكيف أمرهم الله سبحانه ان يخبروا بما لا يعلمون فالجواب ان للعلماء فيه وجوهاً من الكلام (احدها) أن الله تعالى لما اخبر الملائكة بأنه جاعل في الأرض خليفة هجس[1] في نفوسها

أنه إن كان الخليفة منهم بدلاً من آدم وذريته لم يكن في الأرض فساد ولا سفك دم كما يكون في ولد آدم وان كان الله لا يفعل الا ما هو الاصلح في التدبير والاصوب في الحكمة فقال الله تعالى ﴿انبئوني بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين﴾ فيما ظننتم من هذا المعنى ليدلهم على انهم إذا لم يعلموا باطن ما شاهدوا فهم من ان يعلموا باطن ما غاب عنهم أبعد (وثانيها) انه خطر ببالهم أنه لن يخلق الله خلقاً الا وهم اعلم منه وافضل في سائر انواع العلم فقيل ﴿ان كنتم صادقين﴾ في هذا الظن فاخبروا بهذه الأسماء (وثالثها) ان المراد أن كنتم صادقين في أنكم تعلمون لم اجعل في الأرض خليفة انبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين لأن كل واحد من الأمرين من علم الغيب فكما لم تعلموا احدهما لا تعلمون الآخر عن ابن عباس (ورابعها) ما قاله الاخفش والجبائي وعلي بن عيسى وهو ان المراد ﴿ان كنتم صادقين﴾ فيما تخبرون به من أسمائهم فاخبروا بها وهذا كقول القائل لغيره ﴿اخبر بما في يدي ان كنت صادقاً﴾ أي ان كنت تعلم فاخبر به لأنه لا يمكنه ان يصدق في مثل ذلك الا إذا اخبر عن علم منه ولا يصح ان يكلف ذلك الا مع العلم به ولابد إذا استدعوا إلى الاخبار عما لا يعلمون من أن يشترط هذا الشرط وعلى هذا فيكون لفظه الأمر ومعناه التنبيه أو يكون أمراً مشروطاً كما يقول العالم للمتعلم ما تقول في كذا ويعلم أنه لا يحسن الجواب لينبهه عليه ويحثه على طلبه والبحث عنه ولو قال له اخبر بذلك أن كنت تعلم أو ان كنت صادقاً لكان حسناً فإذا تنبه على أنه لا يمكنه الجواب اجابه حينئذ فيكون جوابه بهذا التدريج اثبت في قلبه واوقع في نفسه ولا يجوز أن يكون ذلك تكليفاً لأنه لو كان تكليفاً لم يكن تبييناً لهم ان آدم يعرف اسماء هذه الاشياء بتعريف الله اياه وتخصيصه من ذلك بما لا يعرفونه هم فلما اراد تعريفهم ما خص به آدم من ذلك علمنا انه ليس بتكليف وفي هذه الآية دلالة على شرف العلم واهله من حيث ان الله سبحانه لما اراد تشريف آدم (ع) اختصه بعلم ابانه به من غيره وفضّله به على من سواه.

﴿ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾

الحكمة نقيض السفه والاحكام الاتقان والحكيم المانع من الفساد ومنه حكمة اللجام لانها تمنع الفرس من الجري الشديد قال جرير:

---

(١) هجس الشيء في صدره: خطر بباله.

أَبَنِي حَنِيْفَـةَ احْكِمُـوْا سُفَهَـاءَكُمْ إِنِّي أَخَـافُ عَلَيْكُمُ أَنْ أَغْضَبَـا

أي امنعوهم والحكمة هي التي تقف بك على مُرّ الحق الذي لا يخلطه باطل والصدق الذي لا يشوبه كذب ومنه قوله حكمة بالغة ورجل حكيم إذا كان ذلك شأنه وكانت معه اصول من العلم والمعرفة ويقال حكم يحكم في الحكم بين الناس وحكم يحكم إذا صار حكيماً والحكمة في الانسان هي العلم الذي يمنع صاحبه من الجهل.

[**الاعراب**] سبحانك نصب على المصدر قال سيبويه سبحت الله تسبيحاً وسبحاناً فالمصدر تسبيح وسبحان اسم يقوم مقام المصدر واللام من قوله لنا يتعلق بمحذوف فيكون جملةِ ظرفية في موضع رفع بالخبر لأن لا علم في موضع رفع بالابتداء وما علمتنا موصول وصلة والضمير من علمتنا العائد إليه محذوف تقديره ما علمتنا وهو في موضع رفع بدل من موضع لا علم وأنت يجوز ان يكون فصلاً فيكون لا موضع له من الاعراب وخبر ان العليم الحكيم ويجوز ان يكون مبتدأً والجملة خبر إنّ.

[**المعنى**] ثم أخبر سبحانه عن الملائكة بالرجوع إليه والتسليم لأمره وقال ﴿**قالوا**﴾ أي الملائكة ﴿**سبحانك**﴾ أي تنزيهاً لك وتعظيماً عن أن يعلم الغيب أحد سواك عن ابن عباس وقيل تنزيهاً لك عن الاعتراض عليك في حكمك وقيل أنهم ارادوا ان يخُرجوا الجواب مخرج التعظيم فقالوا تنزيهاً لك عن فعل كل قبيح وأن كنا لا نعلم وجه الحكمة في أفعالك وقيل أنه على وجه التعجب لسؤالهم عمّا لا يعلمونه وقوله ﴿**لا علم لنا الا ما علمتنا**﴾ معناه انا لا نعلم إلا بتعليمك وليس هذا فيما علمتنا ولو أنهم اقتصروا على قولهم لا علم لنا لكان كافياً في الجواب لكن ارادوا ان يضيفوا إلى ذلك التعظيم له والاعتراف بأنعامه عليهم بالتعليم وان جميع ما يعلمونه إنما يعلمونه من جهته وان هذا ليس من جملة ذلك وإنما سألهم سبحانه عما علم انهم لا يعلمونه ليقررهم على أنهم لا يملكون الا ما علّمهم الله وليرفع به درجة آدم عندهم بأنه علّمه ما لم يعلموه وقوله ﴿**أنك أنت العليم**﴾ أي العالم بجميع المعلومات لأنه من صفات ذاته وهو مبالغة العالم وقيل أنهم اثبتوا له ما نفوه عن انفسهم أي أنت العالم من غير تعليم ونحن المعلَّمون وقوله ﴿**الحكيم**﴾ يحتمل أمرين (احدهما) أنه بمعنى العالم لأن العالم بالشيء يسمى بأنه حكيم فعلى هذا يكون من صفات الذات مثل العالم ويوصف بهما فيما لم يزل لأن ذلك واجب في العالم لنفسه (والثاني) أن معناه المُحكِمْ لأفعاله ويكون فعيلاً بمعنى مفعل وعلى هذا يكون من صفات الافعال ومعناه ان افعاله كلها حكمة وصواب وليس فيها تفاوت ولا وجه من وجوه القبح

وعلى هذا فلا يوصف بذلك فيما لم يزل وروي عن ابن عباس أنه قال ﴿**العليم**﴾ الذي كمل في علمه ﴿**والحكيم**﴾ الذي كمل في حكمته وفي هذه الآية دلالة على ان العلوم كلها من جهته تعالى وإنما كان كذلك لأن العلوم لا تخلوا اما ان تكون ضرورية فهو الذي فعلها وأما ان تكون استدلالية فهو الذي اقام الأدلة عليها فلا علم لأحد الا ما علّمه الله تعالى.

﴿ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَأَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ ٣٣ ﴾

[**القراءة**] روي عن ابن عامر انبئهم بالهمزة وكسر الهاء والباقون بضم الهاء .

[**الحجة**] من ضمّ الهاء حملها على الأصل لأن الأصل أن تكون هاء الضمير مضمومة وإنما تكسر الهاء إذا وليها كسرة أو ياء نحو بهم وعليهم ومع هذا فقد ضمّه قوم حملاً على الأصل ومن كسر الهاء التي قبلها همزة مخففة فإن لذلك وجهاً من القياس وهو أنه اتبع كسرة الهاء الكسرة التي قبلها ولم يعتد بالحاجز الساكن كما حكي عنهم هذا المرْءُ ورأيت المَرْءَ ومررت بالمِرْءِ فاتبعوا مع هذا الفصل كما اللغة في اللغة الأخرى هذا امرُؤٌ ورأيت أمرَءاً ومررت بامرِىء وحكى أبو زيد عن بعض العرب أخذت هذا منهِ ومنهِما ومنهِمي فكسر المضمر في الإدراج والوقف ولم أعرفهِ ولم أضربهِ .

[**اللغة**] الابداء والإظهار والإعلان بمعنى واحد وضد الابداء الكتمان وضد الإظهار الإبطان وضد الاعلان الإسرار ويقال بدا يبدو بدواً من الظهور وبدأ يبدأ بدأً بالهمزة بمعنى استأنف وقال علي بن عيسى الرماني حد الظهور الحصول على حقيقة يمكن أن تعلم بسهولة والله سبحانه ظاهر بأدلته باطن عن احساس خلقه وكل استدلال فإنما هو ليظهر شيء بظهور غيره .

[**الإعراب**] آدم منادى مفرد معرفة مبني على الضم ومحله النصب لأن المنادى مدعو والمدعو مفعول .

[**المعنى**] ثم خاطب الله تعالى آدم فقال : ﴿ **يا آدم أنبئهم** ﴾ أي أخبر الملائكة

﴿ **بأسمائهم** ﴾ يعني بأسماء الذين عرضهم عليهم وهم كناية عن المرادين بقوله أسماء هؤلاء وقد مضى بيانه ﴿ **فلما أنبأهم** ﴾ يعني أخبرهم آدم ﴿ **بأسمائهم** ﴾ أي بإسم كل شيء ومنافعه ومضاره قال الله تعالى للملائكة ﴿**ألم أقل لكم**﴾ الألف للتنبيه وإن كان أصلها الاستفهام كقول القائل (أما ترى اليوم ما أطيبه) لمن يعلم ذلك وحكى سيبويه أما ترى أي برق هٰهنا ومن الناس من قال أن هذه الألف معناها التوبيخ ومن لم يُجز على الملائكة المعصية منع من ذلك ﴿ **إني أعلم غيب السماوات والأرض** ﴾ أي أعلم ما غاب فيهما عنكم فلم تشاهدوه كما أعلم ما حضركم فشاهدتموه ﴿ **وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون** ﴾ قيل فيه أقوال : (أحدها) أنه أراد أعلم سرّكم وعلانيتكم وذكر ذلك تنبيهاً لهم على ما يحيلهم عليه من الاستدلال لأنّ الأصول الأول التي يستدل بها إنما تذكر على وجه التنبيه ليستخرج بها غيرها فيستدل بعلمه الغيب على أنه خلق عباده على ما خلقهم عليه للإستصلاح في التكليف وما توجبه الحكمة (وثانيها) أنه أراد أعلم ﴿ **ما تبدون** ﴾ من قولكم أتجعل فيها من يفسد فيها ﴿ **وما كنتم تكتمون** ﴾ من إضمار إبليس المعصية والمخالفة قال علي بن عيسى وهذا ليس بالوجه لأن الخطاب للملائكة وليس إبليس منهم ولأنه عام فلا يخص إلا بدليل وجوابه أن إبليس لما دخل معهم في الأمر بالسجود جاز أن يذكر في جملتهم وقد رويت روايات تؤيد هذا القول واختاره الطبري (وثالثها) أن الله تعالى لما خلق آدم مرت به الملائكة قبل أن ينفخ فيه الروح ولم تكن رأت مثله فقالوا لن يخلق الله خلقاً إلا كنا أكرم منه وأفضل عنده فهذا ما أخفوه وكتموه وأما ما أبدوه فقولهم ﴿ **أتجعل فيها من يفسد فيها** ﴾ روي ذلك عن الحسن والأول أقوى لأنه أعم ومما يسأل في هذه الآية أن يقال ما وجه ذكره تعالى لهم الأسرار من علم الغيب والجواب أنه على معنى الجواب فيما سألوا عنه من خلق من يفسد ويسفك الدماء على وجه التعريض دون التصريح لأنه لو صرح بذلك لقال خلقت من يفسد ويسفك الدماء لما أعلم في ذلك من المصلحة لعبادي فيما كلفتهم إياه فدلّ سبحانه الإحالة في الجواب على العلم بباطن الأمور وظاهرها أنه خلقهم لأجل علمه بالمصلحة في ذلك ودلّهم بذلك على أن عليهم الرضا بأمر الله والتسليم لقضاء الله لأنه يعلم من الغيب ما لا يعلمونه ويعلم من مصالحهم في دينهم ودنياهم ما لا يطلعون عليه فإن قيل فأيّ شيء في تعليم الله تعالى آدم الأسماء كلها مما يدل على علمه بالغيب فالجواب قيل أنه تعالى علمه الأسماء كلها بما فيها من المعاني التي تدل عليها على جهة فتق لسانه بذلك والهامه إياها فهي معجزة أقامها الله تعالى للملائكة تدل على نبوته وجلالة قدره وارتفاع شأنه بما اختصه الله به من العلم الذي لا

يوصل إليه إلا بتعليم الله عز وجل ودلهم على ذلك بأن قررهم أولاً فأقروا بأن لا علم لهم به ثم أظهر لهم أن آدم يعلمه بتعليم الله إياه فبان بذلك الإعجاز بالإطلاع على ما لا سبيل إلى علمه إلا من علام الغيوب وفيه[١] من المعجزة أنه فتق لسانه على خلاف مجرى العادة وأنه علّمه من لطائف الحكمة ما لا تعلمه الملائكة مع كثرة علومها وأنها أعرف الخلق بربها فعرفوا ما دلّهم على علم الغيب بالمعجزة مؤكداً لما يعلمونه من ذلك بالأدلة العقلية ولذلك نبّههم فقال ﴿ **ألم أقل لكم اني أعلم غيب السماوات والأرض** ﴾ أي قد دللتكم على ذلك قبل وهذه دلالة بعد وقد افتتح الله تعالى الدلالة على الإعجاز بالكلام في آدم ثم ختم به في محمد ﷺ قال السيد الأجل المرتضى قدس الله روحه وفي هذه الآية سؤال لم أجد أحداً من مفسري القرآن تعرض له وذلك أن يقال من أين علمت الملائكة صحة قول آدم ومطابقة الأسماء المسميات وهي لم تكن عالمة بذلك من قبل والكلام يقتضي أنهم لما أنبأهم آدم بالأسماء علموا صحتها ولولا ذلك لم يكن لقوله تعالى : ﴿ **ألم أقل لكم إني أعلم غيب السماوات والأرض** ﴾ معنى ولا كانوا أيضاً مستفيدين نبوته وتميزه واختصاصه بما ليس لهم لأن كل ذلك إنما يتم مع العلم والجواب أنه غير ممتنع أن يكون الله تعالى جعل لهم العلم الضروري بصحة الأسماء ومطابقتها للمسميات أما عن طريق أو ابتداء بلا طريق فعلموا بذلك تمييزه واختصاصه وليس في علمهم بصحة ما أخبر به ما يقتضي العلم بنبوته ضرورة بل بعده درجات ومراتب لا بد من الاستدلال عليها حتى يحصل العلم بنبوته ضرورة[٢]. ووجه آخر وهو أنه لا يمتنع أن يكون للملائكة لغات مختلفة وكل قبيل منهم يعرف أسماء الأجناس في لغته دون لغة غيره إلا أنه يكون إحاطة عالم واحد بأسماء الأجناس في جميع لغاتهم خارقة للعادة فلما أراد الله تعالى التنبيه على نبوة آدم علّمه جميع تلك الأسماء فلما أخبرهم بها علم كل فريق مطابقة ما أخبر به من الأسماء للغته وعلم مطابقة ذلك لباقي اللغات بخبر كل قبيل وعلى هذا الجواب فيكون معنى انبئوني بأسماء هؤلاء ليخبرني كل قبيل منكم بجميع الأسماء وهذان الجوابان مبنيان على أنه لم يتقدم لهم العلم بنبوة آدم وأن أخباره بالأسماء كان مفتتح معجزاته لأنه لو كان نبياً قبل ذلك وكانوا قد علموا نبوته بمعجزات تقدم ظهورها على يده لم يحتج إلى هذين الجوابين لأنهم يعلمون مطابقة الأسماء للمسميات بعد أن لم يعلموا بقوله الذي علموا أنه حق وصدق .

---

(١) [فيه] .

(٢) [ضرورة] .

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾

[**القراءة**] قرأ أبو جعفر وحده للملائكةُ اسجدوا بضم التاء حيث وقع وكذلك قل رب احكم بضم الباء .

[**الحجة**] اتبع التاء ضمة الجيم وقيل أنهُ نقل ضمة الهمزة لو ابتدىء بها والأول أقوى لأن الهمزة تسقط في الدرج فلا يبقى فيها حركة تنقل .

[**اللغة**] السجود الخضوع والتذلل في اللغة وهو في الشرع عبارة عن عمل مخصوص في الصلاة كالركوع والقنوت وغيرهما وهو وضع الجبهة على الأرض ويقال سَجَدَ وأسْجَدَ إذا خضع قال الأعشى :

مَن يَلْقَ(١) هَوذَةَ يَسْجُدْ غَيْرَ مُتَّئِبٍ إذَا تَعَمَّمَ فَوْقَ الرَّأْسِ أَوْ خَضَعَا

وقال آخر(٢) :

فَكِلْتَاهُمَا خَرَّتْ وَأَسجدَ رَأسُهَا كَمَا سَجَدَتْ نَصْرَانَةُ لَمْ تَحَنَّفِ

ونساء سجد إذا كن فاترات الأعين قال (وَلَهْوِي إلى حُوْرِ المَدامعِ سُجَد) والاسجاد الإطراق وإدامة النظر في فتور وسكون قال(٣) :

أَغَرَّكِ مِنِّي أنَّ دَلَّكِ عِنْدَنَا وإسجَادَ عَيْنَيْكِ الصَّيُودَيْنِ رَابحُ

وأبى معناه ترك الطاعة وامتنع والإباء والترك والامتناع بمعنى ونقيض أبى أجاب ورجل أبيّ من قوم أُباة وليس الإباء بمعنى الكراهة لأن العرب تتمدح أنها تأبى الضيم ولا مدح في كراهية الضيم وإنما المدح في الامتناع منه كقوله تعالى : ﴿ **ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون** ﴾ أي يمنع الكافرين من إطفاء نوره والاستكبار والتكبر والتعظم والتجبر نظائر وضده التواضع وحقيقة الاستكبار الأَنَفَة مما لا ينبغي أن يؤنف منه وقيل حده الرفع للنفس إلى منزلة لا تستحقها فأصل الباب الكبر وهو العِظَم ويقال على وجهين كبر

---

(١) وفي النسخ التي عندنا « يَرَ » بدل « يلق » .

(٢) والقائل: أبو الأسود الحُمّاني .

(٣) القائل : كثير بن عبد الرحمن .

الجثة وكبر الشأن والله سبحانه الكبير من كبر الشأن وذلك يرجع إلى سعة مقدوراته ومعلوماته فهو القادر على ما لا يتناهى من جميع أجناس المقدورات والعالم بجميع المعلومات وإبليس إسم أعجمي لا ينصرف في المعرفة للتعريف والعجمة قال الزجاج وغيره من النحويين هو اسم أعجمي معرب واستدلوا على ذلك بامتناع صرفه وذهب قوم إلى أنه عربي مشتق من الإبلاس ووزنه أفعيل وأنشدوا للعجاج :

يَا صاحِ هَلْ تَعْرِفُ رَسْماً مُكْرَسا قَالَ نَعَمْ أَعْرِفُهُ وَأَبْلَسَا

وزعموا أنه لم يصرف استثقالاً له من حيث أنه إسم لا نظير له في أسماء العرب فشبهته العرب بأسماء العجم التي لا تنصرف وزعموا أن إسحاق من أسحقه الله تعالى إسحاقاً وأيوب من أب يؤب وإدريس من الدرس في أشباه ذلك وغلطوا في جميع ذلك لأن هذه الألفاظ معرّبة وافقت الألفاظ العربية وكان أبو بكر السراج يمثل ذلك على جهة التبعيد بمن زعم أن الطير ولدت الحوت وغلطوا أيضاً في أنه لا نظير له في أسماء العرب لأنهم يقولون إزْمِيل للشَفْرَة وإغريض للطلع وإحْرِيض لصبغ أحمر ويقال هو العُصْفُر وسيف إصليت ماض كثير الماء وثوب إضرِيج مُشْبَع الصبغ وقالوا هو من الصفرة خاصة ومثل هذا كثير وسبيل إبليس سبيل إنجيل في أنه معرّب غير مشتق .

[**الإعراب**] قوله وإذ في موضع نصب لأنها معطوفة على إذ الأولى وقوله لآدم آدم في موضع جر باللام لا ينصرف لأنه على وزن افعل فإذا قلت مررت بآدم وآدم آخر فإن سيبويه والخليل يقولان أنه لا ينصرف في النكرة لأنك إذا نكرته فقد أعدته إلى حال كان فيها لا ينصرف قال الأخفش إذا سميت به فقد أخرجته من باب الصفة فيجب إذا نكرته أن تصرفه فتقول وآدمٍ آخر وقوله اسجدوا الأصل في همزة الوصل أن تكسر لالتقاء الساكنين ولكنها ضمت لاستثقال الضمة بعد الكسرة وكذلك كل ما كان ثالثه مضموماً في الفعل المستقبل نحو قوله انظرونا واقتلوا يوسف وليس في كلام العرب فعل لكراهتهم الضمة بعد الكسرة وإبليس نصب على الاستثناء المتصل من الكلام الموجب وهو في مذهب من جعله من الملائكة وعلى الاستثناء المنقطع على مذهب من جعله من غير الملائكة .

[**المعنى**] ثم بيّن سبحانه ما آتاه آدم عليه السلام من الإعظام والإجلال والإكرام فقال واذكر يا محمد ﴿**إذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم**﴾ والظاهر يقتضي أن الأمر بالسجود له كان لجميع الملائكة حتى جبرائيل وميكائيل لقوله ﴿**فسجد الملائكة كلهم أجمعون**﴾ وفي هذا

تأكيد للعموم وقال قوم أن الأمر كان خاصاً لطائفة من الملائكة كانوا مع بليس طهّر الله بهم الأرض من الجن واختلف في سجود الملائكة لآدم على أيّ وجه كان فالمروي عن أئمتنا عليهم السلام أنه على وجه التكرمة لآدم والتعظيم لشأنه وتقديمه عليهم وهو قول قتادة وجماعة من أهل العلم واختاره علي بن عيسى الرماني ولهذا جعل أصحابنا رضي الله عنهم هذه الآية دلالة على أن الأنبياء أفضل من الملائكة من حيث أنه أمرهم بالسجود لآدم وذلك يقتضي تعظيمه وتفضيله عليهم وإذا كان المفضول لا يجوز تقديمه على الفاضل علمنا أنه أفضل من الملائكة وقال الحبائي وأبو القاسم البلخي وجماعة أنه جعله قبلة لهم فأمرهم بالسجود إلى قبلتهم وفيه ضرب من التعظيم وهذا غير صحيح لأنه لو كان على هذا الوجه لما امتنع إبليس من ذلك ولما استعظمته الملائكة وقد نطق القرآن بان امتناع إبليس عن السجود إنما هو لاعتقاده تفضيله به وتكرمته مثل قوله ﴿ **أرايتك هذا الذي كرمت علي لئن أخرتن** ﴾ وقوله ﴿ **أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين** ﴾ ولو لم يكن الأمر على هذا الوجه لوجب أن يعلمه الله تعالى بأنه لم يأمره بالسجود على جهة تعظيمه وتفضيله عليه وإنما أمره على الوجه الآخر الذي لا تفضيل فيه ولا يجز إغفال ذلك فإنه سبب معصية إبليس وضلالته فلما لم يقع ذلك علمنا أن الأمر بالسجود له لم يكن إلّا على وجه التعظيم والتفضيل والإكرام والتبجيل ثم اختلف في إبليس هل كان من الملائكة أم لا فذهب قوم أنه كان منهم وهو المروي عن ابن عباس وابن مسعود وقتادة واختاره الشيخ السعيد أبو جعفر الطوسي قدس الله روحه قال وهو المروي عن أبي عبد الله (ع) والظاهر في تفاسيرنا ثم اختلف من قال أنه[1] من الملائكة فمنهم من قال أنه كان خازناً على الجنان ومنهم من قال كان له سلطان سماء الدنيا وسلطان الأرض ومنهم من قال أنه كان يسوس ما بين السماء والأرض وقال الشيخ المفيد أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان قدس الله روحه أنه كان من الجن ولم يكن من الملائكة قال وقد جاءت الأخبار بذلك متواترة عن أئمة الهدى عليهم السلام وهو مذهب الإمامية وهو المروي عن الحسن البصري وهو قول علي بن عيسى والبلخي وغيره واحتجوا على صحة هذا القول بأشياء (أحدها) قوله تعالى: ﴿ **إلا إبليس كان من الجن** ﴾ ومن أطلق لفظ الجن لم يجز أن يعني به إلا الجنس المعروف وكل ما في القرآن من ذكر الجن مع الإنس يدل عليه (وثانيها) قوله تعالى: ﴿ **لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون** ﴾ فنفى المعصية عنهم نفياً

(١) [كان].

عاماً (وثالثها) أن إبليس له نسل وذرية قال الله تعالى ﴿ **أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو** ﴾ وقال الحسن إبليس أب الجن كما أن آدم أب الإنس وإبليس مخلوق من النار والملائكة روحانيون خلقوا من الريح في قول بعضهم ومن النور في قول الحسن لا يتناسلون ولا يطعمون ولا يشربون (ورابعها) قوله تعالى : ﴿ **جاعل الملائكة رسلاً** ﴾ ولا يجوز على رسل الله الكفر ولا الفسق ولو جاز عليهم الفسق لجاز عليهم الكذب وقالوا إن استثناء الله تعالى إياه منهم لا يدل على كونه من جملتهم وإنما استثناه منهم لأنه كان مأموراً بالسجود معهم فلما دخل معهم في الأمر جاز إخراجه بالاستثناء منهم وقيل أيضاً أن الاستثناء هنا منقطع كقوله تعالى ﴿ **ما لهم به من علم إلا اتباع الظن** ﴾ وأنشد سيبويه :

وَٱلحَرْبُ لا يَبْقى لِجَا حِمِهَا التَخَيُّلُ وَٱلمِرَاحُ
إلَّا الفَتى الصَّبَّارُ في النَّـ ـجَداتِ وَالفَرَسُ الوَقَاحُ

وكقول النابغة (وما بالربع من أحد) (إلا الأواري) ويؤيّد هذا القول ما رواه الشيخ أبو جعفر بن بابويه رحمه الله في كتاب النبوة بإسناده عن ابن أبي عمير عن جميل بن دراج عن أبي عبد الله (ع) قال سألته عن إبليس أكان من الملائكة أو كان يلي شيئاً من أمر السماء فقال لم يكن من الملائكة ولم يكن يلي شيئاً من أمر السماء وكان من الجن وكان مع الملائكة وكانت الملائكة ترى أنه منها وكان الله سبحانه يعلم أنه ليس منها فلما أمر بالسجود لآدم كان منه الذي كان وكذا رواه العياشي في تفسيره وأما من قال أنه كان من الملائكة فإنه احتج بأنه لو كان من غير الملائكة لما كان ملوماً بترك السجود فإن الأمر إنما يتناول الملائكة دون غيرهم وقد مضى الجواب عن هذا ويزيده بياناً قوله تعالى : ﴿ **ما منعك أن لا تسجد إذ أمرتك** ﴾ فعلمنا أنه من جملة المأمورين بالسجود وإن لم يكن من جملتهم وهذا كما إذا قيل أمر أهل البصرة بدخول الجامع فدخلوا إلا رجلاً من أهل الكوفة فإنه يعلم من هذا أن غير أهل البصرة كان مأموراً بدخول الجامع غير أن أهل البصرة خصوا بالذكر لكونهم الأكثر فكذلك القول في الآية وأجاب القوم عن الاحتجاج الأول وهو قوله تعالى ﴿ **كان من الجن** ﴾ بان الجن جنس من الملائكة سموا بذلك لاجتنانهم عن العيون قال الأعشى قيس بن ثعلبة :

ولَوْ كَانَ شَيءٌ خَالِداً أَو مُعَمَّراً لَكَانَ سُلَيْمَانُ البرِيَّ مِنَ الدَّهْرِ
بَرَاه إلَهي وَٱصْطَفَاهُ عِبَادَهُ ومَلَّكَهُ مَا بَينَ تُونَا إلى مِصْرِ
وَسَخَّرَ مِنْ جِنِّ الْمَلاَئِكِ تِسْعَةً قِيَاماً لَدَيْهِ يَعْمَلُوْن بِلاَ أَجْرِ

وقد قال الله تعالى : ﴿ **وجعلوا بينه وبين الجنة نسباً** ﴾ لأنهم قالوا الملائكة بنات الله وأجابوا عن الثاني وهو قوله تعالى : ﴿ **لا يعصون الله ما أمرهم** ﴾ الآية بأنه صفة لخزنة النيران لا لجميع الملائكة فلا يوجب عصمة لغيرهم من الملائكة وأجابوا عن الثالث بأنه يجوز أن يكون الله تعالى ركب في إبليس شهوة النكاح تغليظاً عليه في التكليف وإن لم يكن ذلك في باقي الملائكة ويجوز أن يكون الله تعالى لما أهبطه إلى الأرض تغيرت حاله عن حال الملائكة قالوا وأما قولكم أن الملائكة خلقوا من الريح وهو مخلوق من النار فإن الحسن قال خلقوا من النور والنار والنور سواء وقولكم إن الجن يطعمون ويشربون فقد جاء عن العرب ما يدل على أنهم لا يطعمون ولا يشربون أنشد ابن دريد قال أنشد أبو حاتم :

وَنَارٍ قَدْ حَضَأْتُ بُعيدَ وَهْنٍ ... بِدَارٍ مَا أُرِيدُ بِهَا مُقَامَا
سِوى تَرْحِيلِ رَاحِلَةٍ وعَيْنٍ ... أُكَالِئُهَا مَخَافَةَ أنْ تَنَامَا
أتَوْا نَارِي فَقُلْتُ مَنُونَ أَنْتم ... فَقَالُوا الْجِنُّ قُلْتُ عِمُوا ظَلاماً
فَقُلْتُ إلى الطَّعَامِ فقَالَ مِنْهُم ... زَعِيمٌ نَحْسدُ الإنسَ الطَّعَامَا
لَقَدْ فُضلْتُم بِالأَكلِ فِينَا ... وَلَكِنْ ذَاكَ يُعْقِبُكُمْ سِقَامَا

فهذا يدل على أنهم لا يأكلون ولا يشربون لأنهم روحانيون وقد جاء في الأخبار النهي عن التمسح بالعظم والروث لأن ذلك طعام الجن وطعام دوابهم وقد قيل أنهم يتشممون ذلك ولا يأكلونه وأجابوا عن الرابع وهو قوله : ﴿ **جاعل الملائكة رسلاً** ﴾ بأن هذه الآية معارضة بقوله تعالى : ﴿ **الله يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس** ﴾ لأن من للتبعيض وكلا القولين مرويّ عن ابن عباس وروي عنه أنه قال أن الملائكة كانت تقاتل الجن فسبي إبليس وكان صغيراً فكان مع الملائكة فتعبد معها بالأمر بالسجود لآدم فسجدوا وأبى إبليس فلذلك قال الله تعالى : ﴿ **إلا إبليس كان من الجن** ﴾ وروى مجاهد وطاووس عنه أيضاً أنه قال كان إبليس قبل أن يرتكب المعصية ملكاً من الملائكة اسمه عزازيل وكان من سكان الأرض وكان سكان الأرض من الملائكة يسمون الجن ولم يكن من الملائكة أشد اجتهاداً ولا أكثر علماً منه فلما تكبر على الله وأبى السجود لآدم وعصاه لعنه وجعله شيطاناً وسماه إبليس وأما قوله تعالى : ﴿ **وكان من الكافرين** ﴾ قيل معناه كان كافراً في الأصل وهذا القول يوافق مذهبنا في الموافاة وقيل أراد كان في علم الله تعالى من الكافرين وقيل معناه صار من الكافرين كقوله تعالى : ﴿ **فكان من المغرقين** ﴾ واستدل بعضهم بهذه الآية على أن أفعال الجوارح من الإيمان فقال لو لم يكن كذلك لوجب أن يكون إبليس

مؤمناً بما معه من المعرفة بالله تعالى وإن فسق بإبائه وهذا ضعيف لأنا إذا علمنا كفره بالإجماع علمنا أنه لم يكن معه إيمان أصلاً كما أنا إذا رأينا من يسجد للصنم علمنا أنه كافر وإن كان نفس السجود ليس بكفر واختلفوا في صفة أمر الله سبحانه الملائكة بالسجود فقيل كان بخطاب من الله تعالى للملائكة ولإبليس وقيل بوحي من الله إلى من بعثه إليهم من رسله لأن كلام الرسول كلام المرسل وقيل أن الله تعالى أظهر فعلاً دلهم به على أنه أمرهم بالسجود فإن قيل لم حكم الله بكفره مع أن من ترك السجود الآن لا يكفر قلنا لأنه جمع إلى ترك السجود خصالاً من الكفر منها أنه اعتقد أن الله تعالى أمره بالقبيح ولم ير أمره بالسجود حكمة ومنها أنه امتنع من السجود تكبراً وردًّا على الله تعالى أمره ومن تركه الآن كذلك يكفر أيضاً ومنها أنهُ استخف بنبي الله وازدراه(١) وهذا لا يصدر إلا من معتقد الكفر وفي هذه الآية دلالة على بطلان مذهب الجبر من وجوه منها قوله أبى فدل على قدرته على السجود الذي أباه وتركه وإلا لم يصح وصفه بالإباء ومنها قوله ﴿ **فسجدوا** ﴾ فدل على أن السجود فعلهم ومنها أنه مدح الملائكة بالسجود وذم إبليس بترك السجود وعندهم إنما لم يسجد لأنه لم يخلق فيه السجود ولا القدرة الموجبة له .

﴿ وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾

[**اللغة**] السكون والاطمئنان والهُدُو نظائر والسكن بسكون الكاف العيال وأهل البيت والسكن بالفتح المنزل والسكن الرحمة والبركة في قوله ﴿ **إن صلاتك سكن لهم** ﴾ والزوج بطرح الهاء قال الأصمعي هو أكثر كلام العرب والأكل والمضغ واللَقْم متقارب وضد الأكل الأَزم وسأل عمر بن الخطاب الحارِث بن كَلْدة طبيب العرب فقال يا حار ما الدواء فقال الأَزْم أي ترك الأكل والرَغَد النفع الواسِع الكثير الذي ليس فيه عناء قال ابن دريد الرغد السعة في العيش والمشيئة من قبيل الإرادة وكذلك المحبة والاختيار والإيثار وإن كان لها شروط ذكرت في أصول الكلام والقرب الدنو قرُب الشيء يقرُب قرباً وقرِب فلان أهله يقرَب قِرباناً إذا غشيها وما قربت هذا الأمر قربانا وقربا والشجرة ما قام على ساق وجمعها أشجار وشجرات وشجر وتشاجر القوم اختلفوا أخذ من الشجر لاشتباك أغصانه

(١) ازدراه : استهزأ به .

والظلم والجور والعدوان متقارب وضد الظلم الانصاف وضد الجور العدل وأصل الظلم انتقاص الحق قال الله تعالى كلتا الجنتين أتت أكلها ولم تظلم منه شيئاً أي لم تنقص وقيل أصله وضع الشيء في غير موضعه من قولهم من اشبه أباه فما ظلم أي فما وضع الشبه في غير موضعه وكلاهما مطرد وعلى الوجهين فالظلم إسم ذم لا يجوز إطلاقه على الأنبياء والمعصومين .

[**الإعراب**] قوله : ﴿ **اسكن أنت وزوجك** ﴾[1] استقبح عطف الظاهر على الضمير المستكن والمتصل فقال ﴿ **اسكن أنت وزوجك الجنة** ﴾ فأنت تأكيد للضمير المستكن في اسكن الذي هو فاعله وزوجك معطوف على موضع أنت فلو عطفه على الضمير المستكن لكان أشبه في الظاهر عطفَ الإسم على الفعل فأتى بالضمير المنفصل فعطفه عليه ورغداً منصوب لأنه صفة لمصدر محذوف كأنه قال أكلاً رغداً أي واسعاً كثيراً ويجوز أن يكون مصدراً وضع موضع الحال من قوله كلا قال الخليل يقال قوم رَغَدْ ونساء رَغَدْ وعيش رَغَدْ ورغيد قال امرؤ القيس :

بَيْنَمَا الْمَرْءُ تَراهُ نَاعِماً يَأْمَنُ الأَحْدَاثَ في عَيْشٍ رَغِد

فعلى هذا يكون تقديره وكلا منها متوسعين في العيش وحيث مبني على الضم كما تبنى الغاية نحو من قبل ومن بعد لأنه منع من الإضافة إلى مفرد كما منعت الغاية من الإضافة وإنما يأتي بعده جملة اسمية أو فعلية في تقدير المضاف إليه ولا تقربا مجزوم بالنهي والألف ضمير الفاعلَيْن وقوله فتكونا يحتمل أمرين أحدهما أن يكون جواباً للنهي فيكون منصوباً بأضمار أن وأن مع الفعل في تأويل اسم مفرد وإذا قدر إضمار أن بعد الفاء كان ذلك عطفاً على مصدر الفعل المتقدم فيكون تقديره لا يكون منكما قرب لهذه الشجرة فتكونا من الظالمين فيكون الكلام جملة واحدة لأن المعطوف يكون من جملة المعطوف عليه وإنما سميناه جواباً لمشابهته الجزاء في أن الثاني سببه الأول لأن معنى الكلام أن تقربا هذه الشجرة تكونا من الظالمين والثاني أن يكون معطوفاً على النهي فيكون مجزوماً وتكون الفاء عاطفة جملة على جملة فكأنه قال فلا تكونا من الظالمين .

[**المعنى**] ثم ذكر سبحانه ما أمر به آدم (ع) بعد ان انعم عليه بما اختصه من العلوم لما اوجب له به من الاعظام واسجد له الملائكة الكرام فقال عز اسمه ﴿**وقلنا**﴾ وهذه

---

(١) [لما] .

نون الكبرياء والعظمة لا نون الجمع **﴿يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة﴾** أي اتخذ أنت وامرأتك الجنة مسكناً ومأوى لتأوي اليه وتسكن فيه انت وامرأتك واختلف في هذا الامر فقيل أنه أمر تعبد وقيل هو اباحة لأنه ليس فيه مشقة فلا يتعلق به تكليف وقوله **﴿وكلا﴾** اباحة وقوله **﴿ولا تقربا﴾** تعبد بالاتفاق وروي عن ابن عباس وابن مسعود أنه لما اخرج ابليس من الجنة ولعن وبقي آدم وحده استوحش إذ ليس معه من يسكن إليه فخلقت حواء ليسكن إليها وروي أن الله تعالى القى على آدم النوم واخذ منه ضلعاً فخلق منه حواء فاستيقظ آدم فإذا عند رأسه امرأة فسألها من أنت قالت أمرأة قال لِمَ خلقت قالت لتسكن إليّ فقالت الملائكة ما سمها يا آدم قال حواء قالوا ولم سميت حواء قال لأنها خلقت من حيّ فعندها قال الله تعالى **﴿اسكن أنت وزوجك الجنة﴾** وقيل أنها خلقت قبل ان يسكن آدم الجنة ثم ادخلا معاً الجنة وفي كتاب النبوة ان الله تعالى خلقَ آدم من الطين وخلق حواء من آدم فهمة الرجال الماء والطين وهمة النساء الرجال قال أهل التحقيق ليس يمتنع ان يخلق الله حواء من جملة جسد آدم بعد ان لا يكون مما لا يتم الحي حياً الا معه لأن ما هذه صفته لا يجوز ان ينقل إلى غيره أو يخلق منه حيّ آخر من حيث يؤدي إلى ان لا يمكن ايصال الثواب إلى مستحقه لأن المستحق لذلك هو الجملة باجمعها وإنما سميت حواء لأنها خلقت من حي على ما ذكرناه قبل وقيل لأنها أُمّ كل حي واختلف في الجنة التي اسكن فيها آدم فقال أبو هاشم هي جنة من جنان السماء غير جنة الخلد لأن جنة الخلد آكُلها دائم ولا تكليف فيها وقال أبو مسلم هي جنة من جنان الدنيا في الأرض وقال أن قوله **﴿اهبطوا منها﴾** لا يقتضي كونها في السماء لأنه مثل قوله **﴿اهبطوا مصراً﴾** واستدل بعضهم على أنها لم تكن جنة الخلد بقوله تعالى حكاية عن ابليس **﴿هل ادلك على شجرة الخلد﴾** فلو كانت جنة الخلد لكان آدم عالماً بذلك ولم يحتج إلى دلالة وقال أكثر المفسرين والحسن البصري وعمرو بن عبيد وواصل بن عطاء وكثير من المعتزلة كالجبائي والرماني وابن الاخشيد انها كانت جنة الخلد لأن الألف واللام للتعريف وصارا كالعلم عليها قالوا ويجوز ان تكون وسوسة ابليس من خارج الجنة من حيث يسمعان كلامه قالوا وقول من يزعم ان جنة الخلد من يدخلها لا يخرج منها غير صحيح لأن ذلك إنما يكون إذا استقرّ أهل الجنة فيها للثواب فأما قبل ذلك فأنها تفنى لقوله تعالى **﴿كلُ شيء هالك إلا وجهه﴾** وقوله **﴿وكلا منها رَغداً﴾** أي كلا من الجنة كثيراً واسعاً لاعناء فيه **﴿حيث شئتما﴾** من بقاع الجنة وقيل منها أي من ثمارها الا ما استثناه **﴿ولا تقربا هذه الشجرة﴾** أي لا تأكلا منها وهو المروي عن الباقر (ع) فمعناه لا تقرباها بالاكل ويدل عليه ان المخالفة وقعت بالاكل

بلا خلاف لا بالدنو منها ولذلك قال فاكلا منها فبدت لهما سوآتهما واختلف في هذا النهي فقيل أنه نهي التحريم وقيل أنه نهي التنزيه دون التحريم كمن يقول لغيره لا تجلس على الطرق وهو قريب من مذهبنا فإن عندنا ان آدم كان مندوباً إلى ترك التناول من الشجرة وكان بالتناول منها تاركاً نفلاً وفضلاً ولم يكن فاعلاً لقبيح فإن الانبياء عليهم السلام لا يجوز عليهم القبائح لا صغيرها ولا كبيرها وقالت المعتزلة كان ذلك صغيرة من آدم (ع) على اختلاف بينهم في أنه وقع منه على سبيل العمد أو السهو أو التأويل وإنما قلنا أنه لا يجوز مواقعة الكبائر على الأنبياء عليهم السلام من حيث ان القبيح يستحق فاعله به الذم والعقاب لأن المعاصي عندنا كلها كبائر وإنما تسمى صغيرة باضافتها إلى ما هو أكبر عقاباً منها لأن الاحباط قد دل الدليل عندنا على بطلانه وإذا بطل ذلك فلا معصية الا ويستحق فاعلها الذم والعقاب وإذا كان الذم والعقاب منفيين عن الانبياء عليهم السلام وجب ان ينتفي عنهم سائر الذنوب ولأنه لو جاز عليهم شيء من ذلك لنفّر عن قبول قولهم والمراد بالتنفير ان النفس إلى قبول قول من لا تُجوّز عليه شيئاً من المعاصي آسْكَن منها إلى قول من يجوز عليه ذلك ولا يجوز عليهم كل ما يكون منفرّاً عنه من الخلق المشوهة والهيئات المستنكرة وإذا صح ما ذكرناه علمنا ان مخالفة آدم (ع) لظاهر النهي كان على الوجه الذي بيّناه واختلف في الشجرة التي نهي عنها آدم فقيل هي السنبلة عن ابن عباس وقيل هي الكرمة عن ابن مسعود والسُدّي وقيل هي التينة عن ابن جريج وقيل هي شجرة الكافور يروي عن علي (ع) وقيل هي شجرة العلم علم الخير والشر عن الكلبي وقيل هي شجرة الخلد التي كانت تأكل منها الملائكة عن ابن جذعان وقوله ﴿**فتكونا من الظالمين**﴾ أي تكونا بأكلها من الظالمين لانفسكما ويجوز ان يقال لمن بخس نفسه الثواب أنه ظالم لنفسه كقوله تعالى حكاية عن ايوب أني كنت من الظالمين حيث بخس نفسه الثواب بترك المندوب إليه واختلفوا هل كان يجوز ابتداء الخلق في الجنة فجوز البصريون من أهل العدل ذلك قالوا يجوز ان ينعمهم الله في الجنة مؤبداً تفضلاً منه لا على وجه الثواب لأن ذلك نعمة منه تعالى كما ان خلقهم وتعريضهم للثواب نعمة وقال أبو القاسم البلخي لا يجوز ذلك لأنه لو فعل ذلك لا يخلو إما ان يكونوا متعبدين بالمعرفة أولاً يكونوا كذلك فلو كانوا متعبدين لم يكن بدٌّ من ترغيب وترهيب ووعد ووعيد وكان يكون لا بد من دار اخرى يجازون فيها ويخلّدون وان كانوا غير متعبدين كانوا مهملين وذلك غير جائز وجوابه انه سبحانه لو ابتدأ خلقهم في الجنة لكان يضطرهم إلى المعرفة ويلجئهم إلى فعل الحسن وترك القبيح ومتى راموا القبيح منعوا منه فلا يؤدي إلى ما قاله وهذا كما يدخل الله الجنة

الاطفال وغير المكلفين لا على وجه الثواب.

﴿ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾

[**القراءة**] قرأ حمزة فأزالهما بالألف والباقون فأزلّهما.

[**الحجة**] من قرأ أزالهما قال ان قوله ﴿ **اسكن انت وزوجك**﴾ معناه اثبتا فثبتا فازالهما الشيطان فقابل الثبات بالزوال الذي هو خلافه وحجة من قرأ فأزلهما أنه يحتمل تأويلين أحدهما كسبهما الزلّة والآخر ازلّ من ازلّ أي عثر ويدل على الوجه الأول ما جاء في التنزيل من قوله ﴿**ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين**﴾ وقوله ﴿**فوسوس لهما الشيطان**﴾ الآية وقد نسب كسب الشيطان الزلّة إلى الشيطان في قوله ﴿ **إنما استزلهما الشيطان**﴾ واستزلّ وازلّ بمعنى واحد ويدل على الوجه الثاني قوله فاخرجهما مما كانا فيه فكما ان خروج الانسان عن الموضع الذي هو فيه انتقال منه إلى غيره كذلك عثاره وزلله.

[**اللغة**] الزلة والخطيئة والمعصية والسيئة بمعنى واحد وضد الخطيئة الإصابة يقال زَّلت قدمه زلاّ وزلّ في مقالته زلّة والمَزلّة المكان الدَحْض والمَزِلّة الزلل في الدحض وازللت إلى فلان نعمة أي اسديت وفي الحديث من أُزِلَّت إليه نعمة فليشكرها قال كُثيرّ.

وَإِنِّي وَإِنْ صَـدَّتْ لَمُـثْنٍ وصـادِقٌ عَلَيْهـا بِـمـا كَـانَتْ إِلَيْنـا أَزَلَّـتِ

والأصل في ذلك الزوال والزلّة زوال عن الحق وازَلّه الشيطان إذا ازاله عن الحق والهبوط والنزول والوقوع نظائر وهو التحرك من علو إلى سفل ويقال هبطته واهبطته والهبوط كالحدور وهو الموضع الذي يهبطك من أعلى إلى اسفل وقد يستعمل الهبوط بمعنى الحلول في المكان والنزول به قال الله تعالى اهبطوا مصراً ويقول القائل هبطنا بلد كذا يريد حللنا قال زهير.

مَـا زِلْتُ أَرْمُقُهُمْ حَتَّى إِذَا هَـبَطَتْ أَيْدِي الرِّكابِ بِهِم مِنْ رَاكِسٍ فَلَقَا

والعدّو نقيض الولي والعداوة المصدر واصله من المجاوزة والقرار الثبات والبقاء

وضد القرار الانزعاج وضد الثبات الزوال وضد البقاء الفناء والاستقرار الكون اكثر من وقت واحد على حال والمستقر يحتمل أن يكون بمعنى الاستقرار ويحتمل ان يكون بمعنى المكان الذي يستقر فيه والمتاع والتمتع والمتعة والتلذذ متقاربة المعنى وكل شيء تمتعت به فهو متاع والحين والمدة والزمان متقارب والحين في غير هذا الموضع ستة أشهر يدل عليه قوله تعالى ﴿**تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها**﴾ والحين يصلح للأوقات كلها الا أنه في الاستعمال في الكثير منها أكثر.

[**المعنى**] ثم بين سبحانه حال آدم عليه السلام قال ﴿**فازلهما الشيطان**﴾ أي حملهما على الزلة نسب الازلال إلى الشيطان لما وقع بدعائه ووسوسته واغوائه عنها أي عن الجنة وما كانا فيه من عظيم الرتبة والمنزلة والشيطان المراد به ابليس فاخرجهما مما كانا فيه من النعمة والدعة ويحتمل أن يكون اراد اخراجهما من الجنة حتى اهبطا ويحتمل أن يكون اراد من الطاعة إلى المعصية واضاف الاخراج إليه لأنه كان السبب فيه كما يقال صرفني فلان عن هذا الأمر ولم يكن اخراجهما من الجنة واهباطهما إلى الأرض على وجه العقوبة لأن الدليل قد دل على ان الانبياء عليهم السلام لا تجوز عليهم القبائح على حال ومن اجاز العقاب على الأنبياء فقد اساء عليهم الثناء واعظم الفرية على الله سبحانه وتعالى وإذا صح ما قلناه فإنما اخرج الله آدم من الجنة لأن المصلحة قد تغيرت بتناوله من الشجرة فاقتضت الحكمة والتدبير الآلهي اهباطه إلى الأرض وابتلاءه بالتكليف والمشقة وسلبه ما ألبسه اياه من ثياب الجنة لأن انعامه عليه بذلك كان على وجه التفضل والامتنان فله ان يمنع ذلك تشديداً للبلوى والامتحان كما له ان يفقر بعد الاغناء ويميت بعد الاحياء ويسقم بعد الصحة ويعقب المحنة بعد المحنة واختلف في كيفية وصول ابليس إلى آدم وحواء حتى وسوس اليهما وابليس كان قد اخرج من الجنة حين أبى السجود وهما في الجنة فقيل ان آدم كان يخرج إلى باب الجنة وابليس لم يكن ممنوعاً من الدنّو منه فكان يكلّمه وكان هذا قبل أن اهبط إلى الأرض وبعد ان اخرج من الجنة عن أبي علي الجبائي وقيل أنه كلمهما من الأرض بكلام عرفاه وفهماه منه وقيل أنه دخل في فُقْم الحية وخاطبهما من فقمها والفقم جانب الشدق[1] وقيل أنه راسلهما بالخطاب وظاهر القرآن يدل على أنه شافههما بالخطاب وقوله ﴿**وقلنا اهبطوا**﴾ خاطب بخطاب الجمع وفيه وجوه (أحدها) أنه خاطب آدم وحواء وابليس وهو اختيار الزجاج وقول جماعة من المفسرين وهذا غير منكر وان ابليس قد

---

(١) الشدق بفتح الشين وكسرها : زاوية الفم من باطن الخدين.

اخرج قبل ذلك بدلالة قوله اخرج منها فإنك رجيم فجمع الخبر للنبي ﷺ لانهم قد اجتمعوا في الهبوط وان كانت أوقاتهم متفرقة فيه كما يقال أخرج جميع من في الحبس وان اخرجوا متفرقين والثاني أنه اراد آدم وحواء والحية وفي هذا الوجه بُعد لأن خطاب من لا يفهم الخطاب لا يحسن ولأنه لم يتقدم للحية ذكر والكناية عن غير مذكور لا تحسن الا بحيث لا يقع لبس مثل قوله ﴿ **حتى توارت بالحجاب** ﴾ وقوله ﴿ **ما ترك على ظهرها من دابة** ﴾ وقول خاتم.

آماوِيُّ مَا يُغْنِي الثَّراءُ عنِ الفَتى إذَا حَشْرَجَت[١] يَوْماً وَضاقَ بِها الصَّدْرُ

(والثالث) أنه اراد آدم وحواء وذريتهما لأن الوالدين يدلان على الذرية ويتعلق بهما (والرابع) ان يكون الخطاب يختص بآدم وحواء عليهما السلام وخاطب الاثنين على الجمع على عادة العرب وذلك لأن الاثنين أول الجمع قال الله تعالى ﴿**إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين**﴾ اراد حكم داود وسليمان وقد تأول قوله تعالى ﴿**فإن كان له أخوة على معنى فإن كان له اخوان**﴾ (والخامس) آدم وحواء والوسوسة عن الحسن وهذا ضعيف وقوله ﴿**بعضكم لبعض عدو**﴾ يعني آدم وذريته وابليس وذريته ولم يكن من آدم إليه ما يوجب عداوته اياه ولكن حسده الملعون وخالفه فنشأت بينهما العداوة ثم ان عداوة آدم له إيمان وعداوة ابليس له كفر وقال الحسن يريد بني آدم وبني ابليس وليس ذلك بأمر بل هو تحذير يعني ان الله تعالى لا يأمر بالعداوة فالأمر مختص بالهبوط والمعاداة يجري مجرى الحال لأن الظاهر يقتضي أنه أمرهما بالهبوط في حال عداوة بعضهم بعضاً فأما على الوجه الذي يتضمن أن الخطاب يختص بآدم وحواء فالمراد به انّ ذريتهما يعادي بعضهم بعضاً وعلق الخطاب بهما للاختصاص بين الذرية وبين اصلها وقوله ﴿**ولكم في الأرض مستقر**﴾ أي مقرّ ومقام وثبوت بأن جعل الأرض قراراً لكم ﴿**ومتاع**﴾ أي استمتاع ﴿**إلى حين**﴾ إلى وقت الموت وقيل إلى يوم القيامة وقيل إلى فناء الآجال أي كل أمرىءٍ[٢] مستقر إلى فناء اجله وقال أبو بكر السراج لو قال ولكم في الأرض مستقر ومتاع لظن انه غير منقطع فقال ﴿**إلى حين**﴾ أي إلى حين انقطاعه والفرق بين قول القائل أن هذا لكم حيناً وبين قوله إلى حين إلى أن يدل على الانتهاء ولابد أن يكون له ابتداء وليس كذلك الوجه الآخر وفي هذه الآية دلالة على أن الله تعالى لا يريد المعصية ولا يصدّ أحداً عن الطاعة ولا يخرجه عنها

(١) ماوى اسم روجه حاتم على ما قيل. والحشرجة: تردد صوت النفس والغرغرة عند الموت.

(٢) وفي نسختين مخطوطتين «امر» بدل «امرىء» ولعله انسب.

ولا يسبب المعصية ذلك إلى الشيطان جل ربنا وتقدس عما نسبه إلى ابليس والشياطين ويدل ايضاً على ان لوسوسة ابليس تأثيراً في المعاصي .

﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ٣٧ ﴾

[**القراءة**] قرأ ابن كثير آدم بالنصب وكلمات بالرفع وقرأ الباقون برفع آدم ونصب كلمات .

[**الحجة**] حجة ابن كثير في نصب آدم أنه في المعنى كالقراءة الأخرى فإن الافعال المتعدية على ثلاثة اضرب منها ما يجوز فيه ان يكون الفاعل له مفعولاً به والمفعول فاعلاً نحو ضرب زيد عمرو أو منها ما لا يجوز لك فيه نحو اكلت الخبز ونحوه ومنها ما يكون اسناده إلى الفاعل في المعنى كإسناده إلى المفعول به نحو نلت واصبت وتلقيت تقول نالني خير ونلت خيراً وأصابني شيء واصبت شيئاً وتلقاني زيد وتلقيت زيداً ومثل هذه الآية قوله تعالى ﴿ **لا ينال عهدي الظالمين** ﴾وفي حرف عبد الله فيما قيل ﴿ **لا ينال عهدي الظالمون** ﴾ .

[**اللغة**] التلقي نظير التلقن يقال تلقيت منه أي اخذت وقبلت واصله من لقيت خيراً فتعدى إلى مفعول واحد ثم يعدّى إلى مفعولين بتضعيف العين نحو لَقّيت زيداً خيراً كقوله تعالى ﴿**ولقّاهم نضرة وسروراً ومطاوعة تلقيته بالقبول أي قبلته منه**﴾ ومن ذلك قول ابي مهدية في آيات من القرآن تلقيتها مِن عمّي تلقاها من ابي هريرة تلقاها من رسول الله وتلقيت الرجل استقبلته وتلقاني استقبلني وكلمات جمع كلمة والكلمة اسم جنس لوقوعها على الكثير من ذلك والقليل قالوا قال امرؤ القيس في كلمته يعنون في قصيدته وقال قُسٌّ في كلمته يعنون خطبته فقد وقعت على الكثير وقيل لكل واحد من الكلم الثلاث كلمة فوقعت على القليل من الاسم المفرد والفعل المفرد والحرف المفرد وأما الكلام فإن سيبويه قد استعمله فيما كان مؤلّفاً من هذه الكلم وعلى هذا جاء التنزيل قال الله تعالى ﴿**يريدون أن يبدّلوا كلام الله**﴾ يعني به قوله تعالى ﴿**فإن رجعك الله إلى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي أبداً**﴾ ألا ترى إلى قوله كذلكم قال الله من قبل يقال كلّمه تكليماً وكلاماً وتكلم تكلماً والكلم الجرح يقال كلمته أكلمه وأصل الباب التأثر والكلم أثر دال على الجارح والكلام أثر دال على المعنى الذي تحته والذي حرره المتكلمون في حد الكلام هو أنه ما انتظم من حرفين فصاعداً من هذه الحروف المعقولة إذا وقع ممن يصح منه أو من قبيله الافادة وقال بعضهم هو ما انتظم من الحروف المسموعة المتميزة ليتميز من

الكتابة التي ليست بمسموعة ويتميز من اصوات كثير من الطيور لانها ليست بمتميزة وينقسم الكلام إلى مهل ومستعمل وإنما اراد سيبويه بقوله ان المهمل لا يكون كلاماً أنه لا يكون مفيداً إذ الكلام عنده لا يقع الا على المفيد وبه قال أبو القاسم البلخي والتوبة والاقلاع والانابة في اللغة نظائر وضد التوبة الاصرار والله تعالى يوصف بالتوّاب ومعناه أنه يقبل التوبة عن عباده واصل التوبة الرجوع عما سلف والندم على ما فرّط فالله تعالى تائب على العبد بقبول توبته والعبد تائب إلى الله تعالى بندمه على معصيته.

[**المعنى**] قوله ﴿**فتلقى آدم**﴾ أي قبل وأخذ وتناول على سبيل الطاعة ﴿**من ربه**﴾ ورب كل شيء ﴿**كلمات**﴾ واغنى قوله فتلقى عن ان يقول فرغب إلى الله بهن أو سأله بحقهن لأن معنى التلقي يفيد ذلك وينبىء عما حذف من الكلام اختصاراً ولهذا قال تعالى ﴿**فتاب عليه**﴾ لأنه لا يتوب عليه الا بأن سأل بتلك الكلمات وعلى قراءة من قرأ فتلقى آدمَ من ربه كلماتُ لا يكون معنى التلقي القبول بل معناه ان الكلمات تداركته بالنجاة والرحمة واختلف في الكلمات ما هي فقيل هي قوله ربنا ظلمنا انفسنا الآية عن الحسن وقتادة وعكرمة وسعيد بن جبير وان في ذلك اعترافاً بالخطيئة فلذلك وقعت موقع الندم وحقيقته الانابة وقيل هي قوله ﴿**اللهم لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي أنك خير الغافرين**﴾ ﴿ **اللهم لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك رب اني ظلمت نفسي فارحمني انك خير الراحمين** ﴾ ﴿**اللهم لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك رب اني ظلمت نفسي فتب علي إنك انت التواب الرحيم** ﴾ عن مجاهد وهو المروي عن أبي جعفر الباقر عليه السلام وقيل بل هي سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر وقيل وهي رواية تختص بأهل البيت عليهم السلام ان آدم رأى مكتوباً على العرش اسماء معظمة مكرمة فسأل عنها فقيل له هذه اسماء اجل الخلق منزلة عند الله تعالى والاسماء محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين فتوسلّ آدم عليه السلام إلى ربّه بهم في قبول توبته ورفع منزلته قوله ﴿**فتاب عليه**﴾ فيه حذف أي تاب آدم فتاب الله عليه أي قبل توبته وقيل تاب عليه أي وفقّه للتوبة وهداه اليها بأن لقنه الكلمات حتى قالها فلما قالها قبل توبته ﴿**أنه هو التواب**﴾ أي كثير القبول للتوبة يقبل مرة بعد مرة وهو في صفة العباد الكثير التوبة وقيل ان معناه أنه يقبل التوبة وان عظمت الذنوب فيسقط عقابها قوله ﴿**الرحيم**﴾ إنما ذكره ليدل به على أنه متفضل بقبول التوبة ومنعم به وان ذلك ليس على وجه الوجوب وإنما قال فتاب عليه ولم يقل عليهما لأنه اختصر وحذف للايجاز والتغليب كقوله سبحانه وتعالى ﴿**والله ورسوله له أحق ان يرضوه** ﴾ ومعناه أن يرضوهما وقوله ﴿**وإذا رأوا تجارة أو لهواً انفضوا**

اليها﴾ وكقول الشاعر

رَمَاني بِأَمْرٍ كُنْتُ مِنْهُ ووَالِدي بَرِيًا وَمِنْ جُوْلِ الطَّوِيِّ رَمَاني(١)

وقال الآخر:

نَحْنُ بِما عِنْدَنا وَأَنْتَ بِما عِنْدَكَ رَاضٍ وَالرَّأيُ مُخْتَلِفُ

فكذلك معنى الآية فتاب عليهما وقال الحسن البصري لم يخلق الله آدم الا للأرض ولو لم يعص لأخرجه إلى الأرض على غير تلك الحال وقال غيره يجوز أن يكون خلقه للأرض ان عصى ولغيرها ان لم يعص وهو الأقوى.

[فصل مختصر في التوبة وشروطها والاختلاف فيها]

اعلم ان من شروط التوبة الندم على ما مضى من القبيح والعزم على ان لا يعود إلى مثله في القبح فإن هذه التوبة اجمع المسلمون على سقوط العقاب عندها واختلفوا فيما عداها وكل معصية لله تعالى فإنه يجب التوبة منها والطاعة لا يصح التوبة منها وعندنا يصح التوبة إذا كانت من ترك الندب ويكون ذلك على وجه الرجوع إلى فعله وعلى هذا يحمل توبة الانبياء عليهم السلام في جميع ما نطق به القرآن وقبول التوبة واسقاط العقاب عندها تفضل من الله تعالى غير واجب عليه عندنا وعند جميع المعتزلة واجب وقد وعد الله تعالى بذلك وإن كان تفضلاً وعلمنا أنه لا يخلف الميعاد واما التوبة من قبيح مع الاقامة على قبيح آخر يعلم أو يعتقد قبحه فعند أكثر المتكلمين هي صحيحة وعند أبي هاشم واصحابه لا يصح واعتمد الاولون على ان قالوا كما يجوز ان يمتنع عن قبيح لقبحه مع أنه يفعل قبيحاً آخر وان علم قبحه كذلك يجوز أن يندم من قبيح مع المقام على قبيح آخر يعلم قبحه واختلفوا في التوبة عند ظهور اشراط الساعة هل تصح أم لا فقال الحسن يحُجب عنها عند الآيات الست وروي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال بادروا بالاعمال ستاً طلوعَ الشمس من مغربها والدجالَ والدخانَ ودابةَ الارض وخُوَيْصة احدكم يعني الموت وأمْرَ العامة يعني القيامة وقيل لا شك ان التوبة عند بعض هذه الآيات تحجب وعند بعضها يجوز أن لا تحجب والله أعلم.

(١) الجول بضم الجيم: جدار البئر. الضوى كغنى: البئر المضوية اي المبنية بالحجر ونحوه.

﴿ قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾

[القراءة] قرأ يعقوب فلا خوف بنصب الفاء في جميع القرآن وقرأ الباقون بالرفع والتنوين واجمعوا على اثبات الالف في هداي وتحريك الياء وروي عن الاعرج بسكون الياء وهو غلط الا ان يكون نُوى الوقف وروى بعضهم هُدَيَّ وهي لغة هذيل يقلبون الالف إلى الياء للياء التي بعدها لأن شأن ياء الاضافة ان يكسر ما قبلها فجعل قلب الالف ياء بدل كسرِها إذ الالف لا يتحرك فهو مثل عَلَيَّ ولَدَيَّ وقالوا هَوَيَّ قال أبو ذؤيب.

سَبَقُوا هَوَيَّ وَأَعْنَقُوا لِسَبِيلِهِمْ[1] فَتُخُرِّمُوا وَلِكُلِّ جَنْبٍ مَضْجَعُ

[اللغة] الهبوط النزول من موضع عال إلى استفال وقد يستعمل في هبوط المنزلة قال لبيد:

كُلُّ بني حُرَّةٍ مَصِيرُهُم قُلٌّ وَإِنْ أَكْثَرُوا مِنَ العَدَدِ
إِنْ يُغْبَطُوا يَهْبِطُوا وَإِنْ أُمِرُوا يَوْماً فَهُمْ لِلْفَنَاءِ والفَنَدِ[2]

والاتيان والمجيء والاقبال نظائر ونقيضه الذهاب والانصراف والاتباع والاقتداء والاحتذاء نظائر والتابع التالي وفي الحديث القادرة والاتباع فالقادة السادة والاتباع الذين يتبعونهم والتبيع ولد البقرة وثلاثةُ اتبعة والجمع اتابيع والتُّبَّع الظل والخوف والجزع والفزع نظائر ونقيض الخوف الأمن وطريق مخوف يخافه الناس ومُخيفٌ يُخيف الناس والحزن والغم والهم نظائر ونقيضه السرور يقال حزِن حُزناً وحَزَنه حُزناً ويقال حَزَنه وأحزنه وهو محزون ومُحْزَن وقال قوم لا يقولون حَزَنه الأمر ويقولون يَحزُنُه فإذا صاروا إلى الماضي قالوا احزنه وهذا شاذ نادر لأنه استعمل احزن واهمل يُحْزِن واستعمل يَحْزُن واهمل حَزَن واصل الباب غِلظ الهمُّ مأخوذ من الحَزْن وهو ما غلظ من الأرض.

[الاعراب] إما هو ان الجزاء دخلت عليها «ما» ليصح دخول نون التأكيد في الفعل ولو اسقطت لم يجز دخول النون لأنها لا تدخل في الخبر الواجب الا في القسم او ما أشبه

---

(١) هكذا في النسخ والمحفوظ كما في لسان العرب وغيره لهو اهم وبدل مضجع مصرع.
(٢) الفند: الفناء وضعف الرأى من الهرم.

القسم كقولك زيد ليأتينك ولو قلت بغير لام لم يجز وكذلك تقول بعين ما ارَيَنَّكَ وبجهد ما تبلُغنَّ وفي عِضة ما ينبتن شكيرها[١] ولو قلت بعين ارينك بغير ما لم يجز فدخول ما هاهنا كدخول اللام في انها تؤكدّ اول الكلام وتؤكّد النون آخره والأمر والنهي والاستفهام تدخل النون فيه وان لم يكن معه ما إذ كان الأمر والنهي مما يشتد الحاجة إلى التوكيد فيه والاستفهام مشبه به إذ كان معناه اخبرني والنون إنما تلحق للتوكيد فلذلك كان من مواضعها قال الله تعالى **﴿لا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غداً﴾** قال الزجاج وإنما فتح ما قبل النون في قوله يأتينكم لسكون الياء وسكون النون الاولى قال أبو علي ولو كان كذلك لما حرّك في نحو هل تضربن ونحوه من الصحيح لأن الساكنين لا يلتقيان في هذا النحو وفي هذا ما يدل على ان هذه الحركة للبناء دون ما ذكره من التقاء الساكنين وجواب الشرط في الفاء مع الشرط الثاني وجزائه لأن الشرط وجوبه بمنزلة المبتدأ والخير فكما ان المبتدأ لا يتم الا بخبره فكذلك الشرط لا يتم الا بجزائه ولك ان تجعل خبر المبتدأ جملة هي مبتدأ وخبر كقولك زيد أبوه منطلق فكذلك ان التي للجزاء إذا كان جوابه بالفاء ووقع بعد الفاء الكلام مستأنفاً صلح ان يكون جزاء وغير جزاء تقول ان تأتني فأنت مكرم ولك ان تقول أن تأتني فمن يكرمك اكرمه فقوله **﴿أما يأتينكم شرط﴾** ويأتينكم في موضع الجزم بأن وجزاؤه الفاء وما بعده من قوله **﴿فمن تبع هداي﴾** الآية ومَنْ في موضع الرفع بالابتداء وتبع في موضع الجزم بالشرط وجزاؤه الفاء وما بعده وهو قوله **﴿ فلا خوف عليهم ولا خوف عليهم﴾** جملة اسمية ولا هم يحزنون جملة اسمية معطوفة على الجملة التي قبلها والفاء مع ما بعده في موضع جزم بالجزاء لقوله من تبع هداي والشرط والجزاء مع معنى حرف الشرط الذي تضمنته من في موضع رفع بأنها خبر المبتدأ الذي هو مَنْ ثم الفاء وما بعده من قوله **﴿فمن تبع هداي﴾** الآية في موضع جزم بأنه جزاء لقوله أما يأتينكم وهذا في المقدمات القياسية يسمى الشرطية المركبة وذلك ان المقدم فيها إذا وجب وجب التالي المركب عليه[٢].

[المعنى] ثم بيّن تعالى اهباطهم الى الأرض فقال **﴿اهبطوا﴾** أي انزلوا والخطاب لآدم وحواء على ما ذكرناه من الاختلاف فيه فيما تقدم واختلف في تكرار الهبوط فقيل الهبوط الأول من الجنة إلى السماء وهذا الهبوط من السماء إلى الأرض عن أبي علي وقيل إنما كرّر للتأكيد وقيل إنما كرّر لاختلاف الحالين فقد بين بقوله **﴿وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو﴾** ان الاهباط إنما كان في حال عداوة بعضهم لبعض وبين بقوله **﴿قلنا اهبطوا**

---

(٣) العضة: شجر الشوك. شكير: ما ينبت حول الشجرة من اصله. (٢) الجمار متعلق بالتالي.

منها جميعاً فإما يأتينكم مني هدى﴾ ان الاهباط إنما كان للابتلاء والتكليف كما يقال اذهب سالماً معافى اذهب مصاحباً وان كان الذهاب واحداً لاختلاف الحالين فإما يأتينكم مني هدى أي بيان ودلالة وقيل أنبياء ورسل وعلى هذا القول الأخير يكون الخطاب في قوله اهبطوا لآدم وحواء وذريتهما كقوله تعالى **﴿فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين﴾** أي أتينا بما فينا من الخلق طائعين **﴿فمن تبع هداي﴾** اي اقتدى برسلي واحتذى ادلتي فلا يلحقهم خوف من أهوال يوم القيامة من العقاب ولا هم يحزنون على فوات الثواب فأما الخوف والحزن في الدنيا فإنه يجوز أن يلحقهم لأن من المعلوم أن المؤمنين لا ينفكون منه وفي هذه الآية دلالة على أن الهدى قد يثبت ولا اهتداء وان الاهتداء انما يقع بالاتباع والقبول .

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٩﴾

[**اللغة**] الكفر والتكذيب قد مضى معناهما فيما تقدم ذكره والآيات جمع آية ومعنى الآية في اللغة العلامة ومنه قوله تعالى **﴿عيداً لأولنا وآخرنا وآية منك﴾** أي علامة لأجابتك دعاءنا وكل آية من كتاب الله علامة ودلالة على المضمون فيها وقال أبو عبيدة معنى الآية انها علامة لانقطاع الكلام الذي قبلها وانقطاعه من الذي بعدها وقيل ان الآية القصة والرسالة قال كعب بن زهير :

أَلاَ أَبْلِغَا هَذَا المُعَرِّضَ آيَةً أَيقْظَانَ قَالَ القَوْلَ إِذْ قَال أَمْ حُلْمُ

أي رسالة فعلى هذا يكون معنى الآيات القصص أي قصة تتلو قصة وقال ابن السكيت خرج القوم بآيتهم أي بجماعتهم لم يدعوا وراءهم شيئاً وعلى هذا يكون معنى الآية من كتاب الله جماعة حروف دالة على معنى مخصوص والاصحاب جمع الصاحب وهو القرين وأصل الصحبة المقارنة فالصاحب هو الحاصل مع آخر مدة لأنه اذا اجتمع معه وقتاً واحداً لم يكن صاحباً له لكن يقال صحبه وقتاً من الزمان ثم فارقه .

[**الاعراب**] موضع أولئك يحتمل ثلاثة أوجه (أحدها) أن يكون بدلاً من الذين أو عطف بيان وأصحاب النار بيان عن أولئك مجراه مجرى الوصف والخبر هم فيها خالدون والثاني أن يكون ابتداء وخبراً في موضع الخبر الأول والثالث أن يكون على خبرين بمنزلة خبر واحد كقولك هذا حلو حامض فإن قيل فلم دخلت الفاء في موضع آخر مثل قوله

﴿فأولئك لهم عذاب مهين﴾ ولم يدخل ها هنا قلنا لأن ما دخل فيه الفاء من خبر الذي وأخواته مشبّه بالجزاء وما لم يكن فيه فاء فهو على أصل الخبر وإذا قلت ما لي فهو لك ان أردت ما بمعنى الذي جاز وان أردت به المال لم يجز .

[**المعنى**] ﴿**الذين كفروا**﴾ أي جحدوا ﴿**وكذبوا بآياتنا**﴾ أي دلالاتنا وما أنزلناه على الأنبياء فـ ﴿**أولئك اصحاب النار**﴾ أي الملازمون للنار ﴿**هم فيها خالدون**﴾ أي دائمون وفي هذه الآية دلالة على أن من مات مصرّاً على كفره غير تائب منه وكذب بآيات ربه فهو مخلد في نار جهنم وآيات الله دلائله وكتبه المنزلة على رسله والآية مثل الحجة والدلالة وان كان بينهما فرق في الأصل يقال دلالة هذا الكلام كذا ولا يقال آيته ومن استدل بهذه الآية على أن عمل الجوارح قد يكون من الكفربقوله﴿ **وكذبوا بآياتنا** ﴾ فقوله يفسد بأن التكذيب نفسه وان لم يكن كفراً فهو دلالة على الكفر لأنه لا يقع إلا من كافر كالسجود للشمس وغيره .

﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴿٤٠﴾

[**القراءة**] القراءة المشهورة اسرائيل مهموز ممدود مشبع وهو الفصيح وروي في الشواذ عن الحسن والزهري اسرايل بلا همز ولا مد وعن الأعمش وعيسى بن عمر كذلك وحكي عن الأخفش اسرائل بكسر الهمزة من غير ياء وحكى قطرب اسرالِ من غير همز ولا ياء واسرئين بالنون قال أبو علي العرب إذا نطقت بالاعجمي خلطت فيه وأنشد :

هَلْ تَعْرِفُ الدارَ لأُمِّ ٱلْخَزْرَجِ ... مِنْهَا فَظَلْتَ اليَوْمَ كَالمُزَرَّجِ

يريد المُزَرْجن وهو الخمر من الزَرَجون قال والنون في زرجون أصل كالسين في قَرَبوس فإذا جاز للعرب أن تخلط فيما هو لغتها فكيف فيما ليس من لغتها واختير تحريك الياء في قوله نعمتي التي أنعمت لأنه لقيها ألف الوصل واللام فلم يكن بُدّ من إسقاطها أو تحريكها فكان التحريك أولى لأنه أدل على الأصل واشكَلَ بما يلحق اللام في الاستئناف من فتح ألف الوصل واسكان الياء من قوله ﴿**يا عبادي الذين أسرفوا**﴾ أي الأسقاط ههنا أجود لأن من حق ياء الاضافة الا تثبت في النداء وإذا لم تثبت فلا طريق إلى تحريكها والاختيار

في قوله ﴿**فبشر عبادي الذين يستمعون القول**﴾ حذف الياء لأنه رأس آية ورؤوس الآي لا تثبت فيها الياء لأنها فواصل ينوي فيها الوقف كما يفعل ذلك في القوافي وأجمعوا على إسقاط الياء من قوله فارهبون إلا ابن كثير فإنه أثبتها في الوصل دون الوقف والوجه حذفها لكراهية الوقف على الياء وفي كسر النون دلالة على ذهاب الياء .

[**اللغة**] الابن والولد والنسل والذرية متقاربة المعاني إلا أن الابن للذكر والولد يقع على الذكر والأنثى والنسل والذرية يقع على جميع ذلك وأصله من البناء وهو وضع الشيء على الشيء فالابن مبني على الأب لأن الأب أصل والأبن فرع وال والنبوة مصدر الابن وان كان من الياء كالفتوة مصدر الفتى وتثنيته فتيان واسرائيل هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم وقيل أصله مضاف لأن أسر معناه عبد وايل هو الله بالعبرانية فصار مثل عبد الله وكذلك جبرائيل وميكائيل والذكر الحفظ للشيء بذكره وضده النسيان والذكر جري الشيء على لسانك والذكر الشرف في قوله ﴿ **وانه لذكر لك ولقومك** ﴾ والذكر الكتاب الذي فيه تفصيل الدين وكل كتاب من كتب الأنبياء ذكر والذكر الصلاة والدعاء وفي الأثر كانت الأنبياء إذا أحزنهم أمر فزعوا إلى الذكر أي إلى الصلاة وأصل الباب التنبيه على الشيء قال صاحب العين(١) تقول وفيت بعهدك وفاء وأوفيت لغة تهامة قال الشاعر في الجمع بين اللغتين :

أَمَّـا ابنُ عَـوْفٍ فَقَـدْ أَوْفَى بِـذمَّتِـهِ ... كَمَا وَفَى بِقلاصِ النَّجْـرِ حادِيْهَـا(٢)

يعني به الدَبَران(٣) وهو التالي والعهد الوصية والرهبة الخوف وضدها الرغبة وفي المثل رهبوت خير من رحموت أي لأن ترهب خير من أن ترحم .

[**الاعراب**] يا حرف النداء وهي في موضع نصب لأنه منادى مضاف واسرائيل في موضع جر لأنه مضاف إليه وفتح لأنه غير منصرف وفيه سببان العجمة والتعريف وقوله وإياي ضمير منصوب ولا يجوز أن يكون منصوباً بقوله فارهبون لأنه مشغول كما لا يجوز أن يقول ان زيداً في قولك زيداً فاضربه منصوب باضربه ولكنه يكون منصوباً بفعل يدل عليه ما هو مذكور في اللفظ وتقديره وإياي ارهبوا فارهبون ولا يظهر ذلك لأنه استغني عنه بما يفسره وان صح تقديره ولا يجوز في مثل ذلك الرفع على أن يكون الخبر فارهبون إلا

---

(١) أي صاحب كتاب العين في اللغة وهو خليل بن أحمد [illegible] .
(٢) الفلاص جمع القلوص وهي الشابة من النوق .
(٣) الدبران: هو كوكب وقاد تسمى القلاص وقيل له الدبران لأنه دبر الثريا أي جاء خلقها.

على تقدير محذوف كما أنشد سيبويه :

وَقَـائِلَةٍ خَـوْلانُ فـانْكَحْ فَتَـاتَهُمْ وَأُكْرُومَـةُ الحَيَّيْنِ خِلْوٌ كَمـا هِيـا

تقديره هؤلاء خولان فانكح فتاتهم وعلى ذلك حمل قوله تعالى **﴿والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما والزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة﴾** وتقديره وفيما يتلى عليكم السارق والسارقة فاقطعوا أيديهما وفيما فرض عليكم الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما .

[**المعنى**] لما عمَّ الله تعالى جميع الخلق بالحجج الواضحة على توحيده وذكّرهم ما أنعم به عليهم في أبيهم آدم عليه السلام خص بني إسرائيل بالحجج وذكرهم ما أسدى إليهم والى آبائهم من النعم فقال **﴿يا بني إسرائيل﴾** يعني يا بني يعقوب نسبهم إلى الأب الأعلى كما قال يا بني آدم والخطاب لليهود والنصارى وقيل هو خطاب لليهود الذين كانوا بالمدينة وما حولها عن ابن عباس **﴿اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم﴾** أراد بذلك النعم التي أنعم بها على أسلافهم من كثرة الأنبياء فيهم والكتب وانجائهم من فرعون ومن الغرق على أعجب الوجوه وانزال المن والسلوى عليهم وكون الملك فيهم في زمن سليمان عليه السلام وغير ذلك وعدّ النعمة على آبائهم نعمة عليهم لأن الاولاد يتشرفون بفضيلة الآباء وهذا كما يقال في المفاخرة قتلناكم يوم الفخار وهزمناكم يوم ذي قار وغلبناكم يوم النسار وذكر النعمة بلفظ الواحد والمراد بها الجنس كقوله تعالى **﴿وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾** والواحد لا يمكن عدّه وقيل المراد بها النعم الواصلة إليهم مما اختصوا به دون آبائهم واشتركوا فيه مع آبائهم فكان نعمة على الجميع فمن ذلك تبقية آبائهم حتى تناسلوا فصاروا من أولادهم ومن ذلك خلقه إياهم على وجه يمكنهم معه الاستدلال على توحيده والوصول الى معرفته فيشكروا نعمه ويستحقوا ثوابه ومن ذلك ما يوصل إليهم حالاً بعد حال من الرزق ويدفع عنهم من المكاره والأسواء وما يسبغ عليهم من نعم الدين والدنيا فعلى القول الأول تكون الآية تذكيراً بالنعم عليهم في اسلافهم وعلى القول الثاني تكون تذكيراً بالمنعم عليهم ، ومن النعم على أسلافهم ما ذكره في قوله **﴿وإذ قال موسى لقومه يا قومي اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكاً وآتاكم ما لم يؤت أحداً من العالمين﴾** وقال ابن الأنباري اراد اذكروا ما أنعمت به عليكم فيما استودعتكم من علم التوراة وبيّنت لكم من صفة محمد صلى الله عليه وآله والزمتكم من تصديقه واتباعه فلما بعث ولم يتبعوه كانوا كالناسين لهذه النعمة وقوله **﴿وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم﴾** قيل فيه

وجوه (أحدها) ان هذا العهد هو أن الله تعالى عهد إليهم في التوراة أنه باعث نبياً يقال له محمد فمن تبعه كان له أجران اثنان أجر باتباعه موسى وإيمانه بالتوراة وأجر باتباعه محمداً وإيمانه بالقرآن من كفر به تكاملت أوزاره وكانت النار جزاءه فقال اوفوا بعهدي في محمد أوف بعهدكم أدخلكم الجنة عن ابن عباس فسمى ذلك عهداً لأنه تقدم به إليهم في الكتاب السابق وقيل إنما جعله عهداً لتأكيده بمنزلة العهد الذي هو اليمين كما قال سبحانه وإذ أخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه (وثانيها) انه العهد الذي عاهدهم عليه حيث قال خذوا ما آتيناكم بقوة أي بجدٍّ واذكروا ما فيه أي ما في الكتاب عن الحسن (وثالثها) أنه ما عهد إليهم في سورة المائدة حيث قال ﴿**ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيباً**﴾ وقال الله ﴿**إني معكم لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلي**﴾ الآية عن قتادة (ورابعها) انه أراد جميع الأوامر والنواهي (وخامسها) أنه جعل تعريفه إياهم نعمة عهداً عليهم وميثاقاً لأنه يلزمهم القيام بما يأمرهم به من شكر هذه النعم كما يلزمهم الوفاء بالعهد والميثاق الذي يؤخذ عليهم والأول أقوى لأن عليه أكثر المفسرين وبه يشهد القرآن وقوله ﴿**وإياي فارهبون**﴾ أي خافوني في نقض العهد وفي هذه الآية دلالة على وجوب شكر النعمة وفي الحديث التحدث بالنعم شكر وفيها دلالة على عظم المعصية في جحود النعم وكفرانها ولحوق الوعيد الشديد بكتمانها ويدل أيضاً على ثبوت أفعال العباد إذ لو لم تكن لهم افعال لما صح العهد والأمر والنهي والوعد والوعيد ولأدّى الى بطلان الرسل والكتب .

﴿ وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾

[**اللغة**] قوله أول كافر قال الزجاج يعني أول الكافرين وفيه قولان قال الأخفش معناه أول من كفر به وقال غيره من البصريين معناه أول فريق كافر به أي بالنبي صلى الله عليه وآله وقال وكلا القولين صواب حسن ونظير قوله أول كافر به قال الشاعر :

وَإِذَا هُمُ طَعِمُوا فَـالأَمُّ طَـاعِمٍ وَإِذَا هُمُ جَـاعُـوا فَشَـرُّ جِيَـاعِ

والثمن والعوض والبدل نظائر وبينها فروق فالثمن هو البدل في البيع من العين أو الورق وإذا استعمل في غيرهما كان مشبهاً بهما ومجازاً والعوض هو البدل الذي ينتفع به

كائناً ما كان والبدل هو الشيء الذي يجعل مكان غيره وثوب ثمين كثير الثمن والثمين الثمن والفرق بين الثمن والقيمة ان الثمن قد يكون وفقاً وقد يكون بخساً وقد يكون زائداً والقيمة لا تكون الا مساوية المقدار للثمن من غير نقصان ولا زيادة .

[**الاعراب**] مصدقاً نصب لأنه حال من الهاء المحذوفة من أنزلتُ كأنه قال أنزلته مصدقاً ويصلح ان ينتصب بآمنوا كأنه قال آمنوا بالقرآن مصدقاً ومعكم صلة لما والعامل فيه الاستقرار أي الذي استقر معكم والهاء في به عائد إلى ما في قوله بما أنزلت إلى ما في قوله لما معكم ونصب أول كافر لأنه خبر كان .

[**المعنى**] ثم قال مخاطباً لليهود ﴿**وآمنوا**﴾ أي صَدّقوا ﴿**بما أنزلت**﴾ على محمد صلى الله عليه وآله من القرآن لأنه منزل من السماء إلى الأرض ﴿**مصدقاً لما معكم**﴾ من التوراة أمرهم بالتصديق بالقرآن وأخبرهم أن في تصديقهم بالقرآن تصديقاً منهم للتوراة لأن الذي في القرآن من الأمر بالاقرار بالنبوة لمحمد صلى الله عليه وآله وتصديقه نظير الذي في التوراة والانجيل فإن فيهما البشارة بمحمد وبيان صفته فالقرآن مصدق لهما وقيل معناه انه يصدق بالتوراة لأن فيه الدلالة على أنه حق وأنه من عند الله والأول أوجه لأنه يكون حجة عليهم بأن جاء القرآن بالصفة التي تقدمت بها بشارة موسى وعيسى عليهما السلام وقوله ﴿**ولا تكونوا أول كافر به**﴾ أي بالقرآن من أهل الكتاب لأن قريشاً قد كانت قد كفرت به بمكة قبل اليهود وقيل المعنى ولا تكونوا السابقين إلى الكفر به فيتبعكم الناس أي لا تكونوا أئمة في الكفر به عن أبي العالية وقيل المعنى ولا تكونوا أول جاحدين(١) صفة النبي في كتابكم فعلى هذا تعود الهاء في به إلى النبي صلى الله عليه وآله عن ابن جريج وقيل المعنى ولا تكونوا أول كافر بما معكم من كتابكم لأنكم إذا جحدتم ما فيه من صفة النبي ﷺ فقد كفرتم به قال الزجاج وقواه بأن الخطاب وقع على علماء أهل الكتاب فإذا كفروا كفر معهم الأتباع فلذلك قيل لهم ولا تكونوا أول كافر به قال ولو كان الهاء في به للقرآن فلا فائدة فيه لأنهم كانوا يظهرون أنهم كافرون بالقرآن وقال علي بن عيسى يحتمل أن يكون أول كافر بالقرآن أنه حق في كتابكم وإنما عظم أول الكفر لأنهم إذا كانوا أئمة لهم وقدوة في الضلالة كانت ضلالتهم أعظم نحو ما روي عن النبي ﷺ من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة ومن سنّ سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة وليس في نهيه عن ان يكونوا أول كافر به دلالة على أنه

(١) وفي النسخ التي عندنا « اول جاهد ان صفة النبي في كتابكم » .

يجوز أن يكونوا آخر كافر لأن المقصود النهي عن الكفر على كل حال وخص أولاً بالذكر لما ذكرناه من عظم موقعه كما قال الشاعر[١]

مِنْ أُنَـاس لَيْسَ في أخْـلاَقِهِـم عَاجِلُ الفُحْشِ ولاَ سُوْءُ الجزَع

وليس يريدان فيهم فحشاً آجلاً وقوله ﴿ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً﴾ روي عن أبي جعفر عليه السلام في هذه الآية قال كان حيي بن أخطب وكعب بن الأشرف وآخرون من اليهود لهم مأكلة على اليهود في كل سنة فكرهوا بطلانها بأمر النبي ﷺ فحرفوا لذلك آيات من التوراة فيها صفته وذكره فذلك الثمن الذي أريد في الآية قال الفراء إنما أدخل الباء في الآيات دون الثمن في سورة يوسف أدخله في الثمن في قوله ﴿وشروه بثمن بخس دراهم معدودة﴾ لأن العُروض[٢] كلّها أنت مخيّر فيها إن شئت قلت اشتريت الثوب بكساء وإن شئت قلت اشتريت بالثوب كساء أيهما جعلت ثمناً لصاحبه جاز فإذا جئت إلى الدراهم والدنانير وضعت الباء في الثمن كقوله ﴿وشروه بثمن بخس دراهم﴾ لأن الدراهم ثمن أبداً والمعنى لا تستبدلوا بآياتي أي بما في التوراة من بيان صفة محمد ونعته ثمناً قليلاً أي عرضاً يسيراً من الدنيا ﴿وإياي فاتقون﴾ فاخشوني في أمر محمد ﷺ لا ما يفوتكم من المآكل والرئاسة وتقييده الثمن بالقلة لا يدل على انه إذا كان كثيراً يجوز شراؤه به لأن المقصود أنّ أي شيء باعوا به آيات الله كان قليلاً وأنه لا يجوز أن يكون ثمن يساويه كقوله ﴿ومن يدع مع الله إلّهاً آخر لا برهان له به﴾ وإنما أراد بذلك نفي البرهان عنه على كل حال وانه لا يجوز أن يكون عليه برهان ومثله قوله ﴿ويقتلون النبيين بغير حق﴾ وإنما أراد أن قتلهم لا يكون إلا بغير حق ونظائر ذلك كثيرة ومنه قول امرىء القيس :

عَـلى لاَحِبٍ لا يُـهْـتَـدى بِـمَـنـارِهِ إذَا سَـافَـهُ العَـودُ الـدِّيـافِيُّ جَـرْجَـرا

وإنما أراد أنّه لا منار هناك فيهتدى به وفي هذه الآية دلالة على تحريم اخذ الرشى في الدين لأنه لا يخلو إمّا أن يكون أمراً يجب اظهاره أو يحرم اظهاره فالأخذ على مخالفة كلا الوجهين حرام وهذا الخطاب يتوجه أيضاً على علماء السوء من هذه الأمة إذا اختاروا الدنيا على الدين فتدخل فيه الشهادات والقضايا والفتاوى وغير ذلك .

﴿ وَلَا تَلْبِسُواْ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُواْ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾

(١) وهو سويد بن أبي كاهل .
(٢) العروض بالضم جمع العروض : المتاع وكل شيء سوى الدراهم والدنانير .

[**اللغة**] اللبس والتغطية والتعمية نظائر والفرق بين التغطية والتعمية ان التغطية تكون بالزيادة والتعمية قد تكون بالنقصان والزيادة وضد اللبس الأيضاح واللباس ما ورأيت به جسدك ولباس التقوى الحياء واللبس خلط الأمور بعضها ببعض والفعل لَبَس الأمرُ يَلبِس لَبسا ولَبِس الثوب يَلْبَسه لُبساً والفرق بين اللبس والاخفاء ان الاخفاء يمكن ان يدرك معه المعنى ولا يمكن مع اللبس ادراك المعنى والاشكال قد يدرك معه المعنى إلا أنه بصعوبة لأجل التعقيد وقال أمير المؤمنين عليه السلام للحرث بن حوط يا حار انه ملبوس عليك أن الحق لا يعرف بالرجال أعرف الحق تعرف أهله والباطل والبُطل واحد وهو ضد الحق والبطلان والفساد والكذب والزور والبهتان نظائر وأبطلت الشيء جعلته باطلاً وأبطل الرجل جاء بباطل .

[**الاعراب**] قوله وتكتموا الحق يحتمل وجهين من الاعراب أحدهما الجزم على النهي كأنه قال لا تلبسوا الحق ولا تكتموا فيكون عطف جملة على جملة والآخر النصب على الظرف باضمار ان فيكون عطف الاسم على مصدر الفعل الذي قبله وتقديره لا يكن منكم لبس الحق وكتمانه ودلّ تلبسوا على لبس كما يقال من كَذَب كان شراً له فكذب يدل على الكذِب فكأنه قال من كذب كان الكذب شراً قال الشاعر في مثله

لا تَنْـهَ عَنْ خُلُقٍ وتَـأْتِي مِثْلَهُ عَارٌ عـلَيْـكَ إذَا فَعَلْتَ عَـظِيمُ

أي لا تجمع بين النهي عن خلق والاتيان بمثله .

[**المعنى**] **﴿لا تلبسوا﴾** أي لا وتخلطوا **﴿الحق بالباطل﴾** ومعنى لبسهم الحق بالباطل أنهم آمنوا ببعض الكتاب وكفروا ببعض لأنهم جحدوا صفة النبي صلى الله عليه وآله فذلك الباطل وأقرّوا بغيره مما في الكتاب وقيل معناه لا تحرّفوا الكلم عن مواضعه فالتحريف هو الباطل وتركهم ما في الكتاب على ما هو به هو الحق وقال ابن عباس لا تخلطوا الصدق بالكذب وقيل الحق التوراة التي أنزلها الله على موسى والباطل ما كتبوه بأيديهم وقيل الحق اقرارهم ان محمداً مبعوث إلى غيرهم والباطل إنكارهم أن يكون بعث إليهم وقوله **﴿وتكتموا الحق وأنتم تعلمون﴾** أي لا تكتموا صفة النبي ﷺ في التوراة وأنتم تعلمون أنه حق والخطاب متوجه إلى رؤساء أهل الكتاب كما وصفهم بأنهم يحرّفون الكلم عن مواضعه للتلبيس على أتباعهم وهذا تقبيح لما يفعلونه أي يجحدون ما يعلمون وجحد العالم أعظم من جحد الجاهل وقيل معناه وأنتم تعلمون البعث والجزاء وقيل معناه وأنتم تعلمون ما أنزل ببني اسرائيل وما سينزل بمن كذب على الله تعالى وقيل معناه وأنتم

تعلمون ما نزل ببني اسرائيل من المسخ وغيره فإن قيل كيف يجوز أن يكون هؤلاء عارفين بنبوة محمد وذلك مبني على معرفة الله وعندكم ان من عرف الله لا يجوز أن يكفر وهؤلاء صاروا كفاراً وماتوا على كفرهم قلنا لا يمتنع ان يكونوا عرفوا الله على وجه لا يستحقون به الثواب لأن الثواب انما يستحق بأن ينظروا من الوجه الذي يستحق به الثواب فإذا نظروا على غير ذلك الوجه لا يستحقون الثواب فعلى هذا يجوز أن يكونوا عارفين بالله والتوراة وبصفات النبي ﷺ وان لم يستحقوا الثواب فلا يمتنع ان يكفروا وقال بعض أصحابنا استحقاقهم الثواب على ايمانهم مشروط بالموافاة فإذا لم يوافوا بالايمان لم يستحقوا الثواب فعلى هذا يجوز أن يكونوا عارفين وان لم يكونوا مستحقين لثواب يبطل بالكفر والمعتمد الأول .

﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾

[**اللغة**] أصل الصلاة عند أكثر أهل اللغة الدعاء على ما ذكرناه قبل ومنه قول الأعشى :

تَقُولُ بِنْتِي وَقَدْ قَرَّبْتُ مُرْتَحِلاً يَا رَبِّ جَنِّبْ أبي الأوْصابَ والوَجَعا
عَلَيْكِ مِثْلُ الذي صَلَّيْتِ فاغْتَمِضي نَوماً فإنَّ لِجَنْبِ المرْءِ مُضْطَجَعا

أي دعوت وقيل أصلها اللزوم من قول الشاعر

لَمْ أكُنْ مِنْ جُنَاتِها عَلِمَ الله وَإنِّي لِحَرِّها اليَوْمَ صَالِ

أي ملازم لحرها فكأن معنى الصلاة ملازمة العبادة على الحد الذي أمر الله تعالى به وقيل أصلها من الصلا وهو عظم العجُز لرفعه في الركوع والسجود ومنه قول النابغة :

فَآبَ مُصَلُّوهُ بِعَيْنٍ[1] جَلِيَّةٍ وَغُودِرَ بِالجَوْلانِ حَزْمٌ ونَائِلُ

أي الذين جاءوا في صلا السابق وعلى القول الأول أكثر العلماء وقد بينا معنى إقامة الصلاة فيما مضى والزكاة والنماء والزيادة نظائر في اللغة وقال صاحب العين الزكاة زكاة المال وهو تطهيره وزكا الزرع وغيره يزكو زكاء ممدوداً أي نما وازداد وهذا لا يزكو بفلان أي لا يليق به والزكا الشفع والخَسا الوتر وأصله تثمير المال بالبركة التي يجعلها الله فيه

(١) وفي نسختنا المخطوطة والمطبوعة « بغير » بدل « بعين » .

والركوع والانحناء والانخفاض نظائر في اللغة قال ابن دريد الراكع الذي يكبو على وجهه ومنه الركوع في الصلاة قال الشاعر[١]:

وَأفلَتَ حَاجِبٌ فَوْقَ العَوَالي عَلى شَقَّاءَ تَركَعُ في الظِّرَابِ

وقال صاحب العين كل شيء ينكب لوجهه فتمس ركبته الأرض أو لا تمس بعد أن يطأطىء رأسه فهو راكع قال الشاعر :

وَلٰكِنّي أنُصُّ العِيْسَ تَدْمَى أيَاطِلُهَا وَتركَعُ بالْحُزُونِ[٢]

وقال لبيد :

أُخَبِّرُ أخْبَارَ القُرُونِ آلَّتي مَضَتْ أدِبُّ كَأنّي كُلَّما قُمْتُ رَاكِعُ

وقيل أنه مأخوذ من الخضوع قال الشاعر :

لا تُهِينَ الفَقِيرَ عَلَّكَ أنْ تَرْكَعَ يَوْماً والدَّهرُ قَدْ رَفَعه

والأول أقوى وإنما يستعمل في الخضوع مجازاً وتوسعاً .

[المعنى] ﴿ وأقيموا الصلاة ﴾ أي أدّوها بأركانها وحدودها وشرائطها كما بيّنها النبي ﷺ ﴿ وآتوا الزكاة ﴾ أي أعطو ما فرض الله عليكم في أموالكم على ما بينه الرسول لكم وهذا حكم جميع ما ورد في القرآن مجملاً فإن بيانه يكون موكولاً إلى النبي ﷺ كما قال سبحانه وتعالى : ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾ فلذلك أمرهم بالصلاة والزكاة على طريق الإجمال وأُحال في التفصيل على بيانه وقوله ﴿واركعوا مع الراكعين﴾ إنما خص الركوع بالذكر وهو من أفعال الصلاة بعد قوله ﴿وأقيموا الصلاة﴾ لأحد وجوه . (أحدها) أن الخطاب لليهود ولم يكن في صلاتهم ركوع وكان الأحسن ذكر المختص دون المشترك لأنه أبعد من اللبس (وثانيها) أنه عبر بالركوع عن الصلاة يقول القائل فرغت من ركوعي أي صلاتي وإنما قيل ذلك لأن الركوع أول ما يشاهد من الأفعال التي يستدل بها على أن الإنسان يصلي فكأنه كرر ذكر الصلاة تأكيداً عن أبي مسلم ويمكن أن يكون فيه فائدة تزيد على التأكيد وهو أن قوله ﴿أقيموا الصلاة﴾ إنما يفيد وجوب إقامتها

(١) قائله: بشر بن أبي حازم الشقاء: تأنيث الإشقاء الطويل .
(٢) نصّ العيسَ: استحثّه شديداً. أياطلها أي خواصرها .

ويحتمل أن يكون إشارة إلى صلاتهم التي يعرفونها وأن يكون الصلاة إشارة إلى الصلاة الشرعية وقوله واركعوا مع الراكعين يكون معناه صلوا مع هؤلاء المسلمين الراكعين فيكون متخصصاً بالصلاة المتقررة في الشرع فلا يكون تكراراً بل يكون بياناً (وثالثها) أنه حثّ على صلاة الجماعة لتقدم ذكر الصلاة في أول الآية .

﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (٤٤)

[**اللغة**] البر في اللغة والإحسان والصلة نظائر يقال فلان بار وصول محسن وضد البـر العُقوق ورجل بَرّ وبارٌّ وبر صدقت وبَرَّ حجه وبُرَّ لغتان وقولهم فلان لا يعرف الهِرَّ من البِرّ قال الأخفش معناه لا يعرف من يَهُرّ عليه ممن يَبُرّه وقال المازني الهرّ السنّور والبرّ الفأرة أو دويبة تشبهها والفرق بين البر والخير أن البر يدل على قصد والخير قد يقع على وجه السهو والنسيان والسهو والغفلة نظائر وضد النسيان الذكر وحقيقته غروب الشيء عن النفس بعد حضوره وهو عدم علم ضروري من فعل الله تعالى والسهو قد يقع عما كان الإنسان عالماً به وعما لم يكن عالماً به وقد يكون النسيان بمعنى الترك نحو قوله ﴿**نسوا الله فنسيهم**﴾ أي تركوا ذكر الله فخذلهم والتِلاوة القراءة تلا يتلو تلاوة أي قرأ وتلا يتلو تُلُوّاً أي تبع وأصل التلاوة منه لاتباع بعض الحروف فيها بعضاً والفرق بين التلاوة والقراءة أن أصل القراءة جمع الحروف وأصل التلاوة اتباع الحروف والعقل والفهم والمعرفة واللب نظائر ورجل عاقل فهم لبيب ذو معرفة وضد العقل الحمق يقال عقل الشيء عقلاً وأعقله غيره وقيل لابن عباس أنى لك هذا العلم قال قلب عقول ولسان سؤول وقال صاحب كتاب العين العقل ضد الجهل يقال عقل الجاهل إذا علم وعقل المريض بعد أن اهجر وعقل المعتوه ونحوه والعقال الرباط يقال عقلت البعير أعقِلُه عقلاً إذا شددت يده بالعقال والعقل مجموع علوم لأجلها يمتنع الحي من كثير من المقبحات ويفعل كثيراً من الواجبات وإنما سميت تلك العلوم عقلاً لأنها تعقل عن القبيح وقيل لأنها تعقل العلوم المكتسبة ولا يوصف القديم تعالى بأنه عاقل لأنه لا يعقله شيء عن فعل القبيح وإنما لا يختاره لعلمه بقبحه وبأنه غني عنه ولأنه لا يكتسب علماً بشيء فيثبت بعض علومه ببعض وقال علي بن عيسى العقل هو العلم الذي يزجر عن قبيح الفعل[1] ومن كان زاجره أقوى فهو أعقل وقيل العقل معرفة يفصل بها بين القبيح والحسن في الجملة وقيل هو التمييز الذي له فارق الإنسان جميع الحيوان وهذه العبارات قريبة معاني بعضها من بعض والفرق بين العقل

(١) [فعل] .

والعلم أن العقل قد يكمل لمن فقد بعض العلوم ولا يكمل العلم لمن فقد بعض عقله فإن قيل إذا كان العقل مختلفاً فيه فكيف يجوز أن يستشهد به قلنا أن الاختلاف في ماهية العقل لا يوجب الاختلاف في قضاياه ألا ترى أن الاختلاف في ماهية العقل حتى أن بعضهم قال معرفة وبعضهم قال قوة لا توجب الاختلاف في أن المائة أكثر من واحد وأن الكل أعظم من الجزء وغير ذلك من قضايا العقول .

[**المعنى**] هذه الآية خطاب لعلماء اليهود وكانوا يقولون لأقربائهم من المسلمين اثبتوا على ما أنتم عليه ولا يؤمنون هم والألف للاستفهام ومعناه التوبيخ والمراد بالبر الإيمان بمحمد ﷺ [(١)] وبّخهم الله تعالى على ما كانوا يفعلون من أمر الناس بالإيمان بمحمد ﷺ وترك أنفسهم عن ذلك قال أبو مسلم كانوا يأمرون العرب بالإيمان بمحمد ﷺ إذا بعث فلما بعث كفروا به وروي عن ابن عباس أن المراد أنهم كانوا يأمرون اتباعهم بالتمسك بالتوراة وتركوا هم التمسك به لأن جحدهم النبي ﷺ وصفته فيه ترك للتمسك به وعن قتادة كانوا يأمرون الناس بطاعة الله وهم يخالفونه وروى أنس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ مررت ليلة أسري بي على أُناس تقرض شفاههم بمقاريض من نار فقلت من هؤلاء يا جبرائيل فقال هؤلاء خطباء من أهل الدنيا ممن كانوا يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم وقال بعضهم أتأمرون الناس بالصدقة وتتركونها أنتم وإذا أتتكم الضعفاء بالصدقة لتفرقوها على المساكين خُنتم فيها وقوله ﴿**وأنتم تتلون الكتاب**﴾ معناه وأنتم تقرأون التوراة وفيها صفته ونعته عن ابن عباس وقوله ﴿ **أفلا تعقلون** ﴾ أفلا تفقهون أن ما تفعلونه قبيح في العقول وعن أبي مسلم أنَّ معناهُ هذا ليس بفعل من يعقل وقيل معناه أفلا تعلمون أن الله يعذبكم ويعاقبكم على ذلك وقيل أفلا تعلمون أن ما في التوراة حق فتصدقوا محمداً وتتبعوه فإن قيل إن كان فعل البر واجباً والأمر به واجباً فلماذا وبّخهم الله تعالى على الأمر بالبر قلنا لم يوبّخهم الله على الأمر بالبر وإنما وبّخهم على ترك فعل البر المضموم إلى الأمر بالبر لأن ترك البر ممن يأمر به أقبح من تركه ممن لا يأمر به فهو كقول الشاعر :

لا تَنْهَ عَنْ خُلُقٍ وَتَأْتِيَ مِثْلَهُ عَارٌ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمُ

ومعلوم أنه لم يرد به النهي عن الخلق المذموم وإنما أراد النهي عن إتيان مثله .

﴿ وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ج وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾

(١) [أي]

[**اللغة**] الصبر منع النفس عن محابها وكفها عن هواها ومنه الصبر على المصيبة لكف الصابر نفسه عن الجزع ومنه جاء في الحديث وهو شهر الصبر لشهر رمضان لأن الصائم يصبّر نفسه ويكفها عما يفسد الصيام وقتل فلان صبراً وهو أن ينصب للقتل ويحبس عليه حتى يقتل وكل من حبسته لقتل أو يمين يقال فيه قتل صبر ويمين صبر وصبرته أي حلفته بالله جهد القسم وفي الحديث اقتلوا القاتل واصبروا الصابر وذلك فيمن أمسكه حتى قتله آخر فأمر بقتل القاتل وحبس الممسك والخشوع والخضوع والتذلل والإخبات نظائر وضد الخشوع الاستكبار وخشع الرجل إذا رمى ببصره إلى الأرض واختشع إذا طأطأ رأسه كالمتواضع والخشوع قريب المعنى من الخضوع إلا أن الخضوع في البدن والإقرار بالاستخدام والخشوع في الصوت والبصر قال سبحانه خاشعة أبصارهم وخشعت الأصوات أي سكنت وأصل الباء من اللين والسهولة والخاشع والمتواضع والمتذلل والمستكين بمعنى قال الشاعر(١):

لَمَّا أَتى خَبَرُ الزُّبيْرِ تَـواضَعَتْ سُورُ ٱلْمَدِينَـةِ وَالجِبَالُ الخُشَّـعُ

[**الإعراب**] قوله ﴿**وإنها لكبيرة**﴾ اللام تدخل في خبر إن ولا تدخل في خبر أخواتها لأنها لام التأكيد فهي شبيهة بأن في أنها تدخل على المبتدأ وخبره كما تدخل إن وتدخل بمعنى القسم كما تدخل إن تقول والله لتخرجن كما تقول والله إنك خارج فإذا كان بينهما هذه المجانسة فإذا دخلت على أن في نحو لأنها كبيرة كرهوا أن يجمعوا بين حرفين متشاكلين متفقين في المعنى فأخّر اللام إلى الخبر ليفصل بين اللام وبين إن بالإسم نحو إنها لكبيرة فأما سائر أخوات إن فمتى تركب مع المبتدأ وخبره خرج المبتدأ من صورة المبتدأ ويصير قسماً آخر فلا يدخل اللام عليه وإذا لم يدخل عليه كان بالحري أن لا يدخل على خبره .

[**النزول**] قال الجبائي أنه خطاب للمسلمين دون أهل الكتاب وقال الرماني وغيره هو خطاب لأهل الكتاب ويتناول المؤمنين على وجه التأديب والأولى أن يكون خطاباً لجميع المكلفين لفقد الدلالة على التخصيص ويؤيد قول من قال أنه خطاب لأهل الكتاب إن ما قبل الآية وما بعدها خطاب لهم .

[**المعنى**] من قال أنه خطاب لليهود قال إن حب الرياسة كان يمنع علماء اليهود عن

---

(١) هو: جرير .

اتباع النبي ﷺ لأنهم خافوا زوال الرياسة إذا اتبعوه فأمرهم الله تعالى فقال: ﴿ **واستعينوا** ﴾ على الوفاء بعهدي الذي عاهدتكم في كتابكم عليه من طاعتي واتباع أمري وترك ما نهيتكم عنه والتسليم لأمري واتباع رسولي محمد ﷺ بالصبر على ما أنتم فيه من ضيق المعاش الذي تأخذون الأموال من عوامكم بسببه وروي عن أئمتنا عليهم السلام أن المراد بالصبر الصوم فيكون فائدة الإستعانة به أنه يذهب بالشره وهوى النفس كما قال ﷺ: الصوم وِجاء[1] وفائدة الاستعانة بالصلاة أنه يتلى فيها ما يرغب فيما عند الله تعالى ويزهد في الدنيا وحب الرياسة كما قال سبحانه ﴿**أن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر**﴾ ولأنها تتضمن التواضع لله تعالى فيدفع حب الرياسة وكان النبي ﷺ إذا حزنه أمر استعان بالصلاة والصوم ومن قال أنه خطاب للمسلمين قال المراد به استعينوا على تنجز ما وعدته لمن اتبع النبي ﷺ أو على مشقة التكليف بالصبر أي بحبس النفس على الطاعات وحبسها عن المعاصي والشهوات وبالصلاة لما فيها من تلاوة القرآن والتدبر لمعانيه والاتعاظ بمواعظه والائتمار بأوامره والانزجار عن نواهيه ووجه آخر أنه ليس في أفعال القلوب أعظم من الصبر ولا في أفعال الجوارح أعظم من الصلاة فأمر بالاستعانة بهما وروي عن الصادق عليه السلام أنه قال ما يمنع أحدكم إذا دخل عليه غمّ من غموم الدنيا أن يتوضأ ثم يدخل المسجد فيركع ركعتين يدعو الله فيها أما سمعت الله تعالى يقول: ﴿ **واستعينوا بالصبر والصلاة** ﴾ وقوله تعالى: ﴿ **وإنها لكبيرة** ﴾ قيل في الضمير في وإنها وجوه (أحدها) أنها عائد إلى الصلاة لأنها الأغلب والأفضل وهو قول أكثر المفسرين وعلى هذا ففي عود الضمير إلى واحد وقد تقدم ذكر اثنين قولان . (أحدهما) أن المراد به الصلاة دون غيرها وخصها بالذكر لقربها منه ولأنها الأهم والأفضل ولتأكيد حالها وتفخيم شأنها وعموم فرضها (والآخر) أن المراد الإثنان وإن كان اللفظ واحداً ويشهد لذلك قوله تعالى: ﴿ **والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله وإذا رأوا تجارة أو لهواً انفضوا إليها والله ورسوله أحق أن يرضوه** ﴾ وقول الشاعر[2]:

إنَّ شَـرْخَ الشَّبَابِ والشَّعَـرَ الأسـ ـوَدَ مَـا لَم يُعَـاصَ كَـانَ جُنُونَـا

ولم يقل يعاصيا وقول الآخر:

(١) قال الجزري الوجاء: ان ترض أشياء الفحل رضّا شديداً يذهب شهوة الجماع ويتنزل في قطعه منزلة الخصي ، أراد أن الصوم يقطع النكاح كما يقطع الوجاء .

(٢) هو حسان بن ثابت .

فَمَنْ يَكُ أَمْسَى بِالْمَدِينَةِ رَحلُه فَإِنّي وَقَيَّاراً بِهَا لَغَرِيبُ

ويروى وقيارٌ وقول آخر :

نَحْنُ بِما عِنْدَنا وَأَنْتَ بِما عِنْـ ـدَكَ رَاضٍ وَالرَّأيُ مُخْتَلِفُ

وقول الآخر :

أَمّا الوَسَامَةُ أوْ حُسْنُ النِّسَاءِ فَقَدْ أُتِيْتَ مِنْهُ أوْ آنَّ العَقْلَ مُحْتَنِكُ

ونحو ذا كثير في الكلام (وثانيها) أنه عائد إلى الإستعانة يعني أن الاستعانة بهما لكبيرة وقوله استعينوا يدل على الاستعانة ومثله قول الشاعر(١):

إذَا نُهِيَ السَّفِيْهُ جَرَى إلَيْهِ وَخَالَفَ وَالسَّفِيْهُ إلى خِلافِ

أي جرى إلى السفه ودل السفيه على السفه (وثالثها) أن الضمير عائد إلى محذوف وهو الإجابة للنبي ﷺ عن الأصم أو مؤاخذة النفس بهما أو تأدية ما تقدم أو تأدية الصلاة وضروب الصبر عن المعاصي(٢) أو هذه الخطيئة عن أبي مسلم وهذه الوجوه الأخيرة كلها ضعيفة لأنها لم يجر لها ذكر وقوله ﴿ **لكبيرة** ﴾ أي لثقيلة عن الحسن وغيره والأصل فيه أن كل ما يكبر يثقل على الإنسان حمله فيقال لكل ما يصعب على النفس وإن لم يكن من جهة الحمل يكبر عليها تشبيهاً بذلك وقوله : ﴿ **إلا على الخاشعين** ﴾ أي على المتواضعين لله تعالى فإنهم قد وطّنوا أنفسهم على فعلها وعَوّدوها إياها فلا يثقل عليهم وأيضاً فإن المتواضع لا يبالي بزوال الرياسة إذا حصل له الإيمان وقال مجاهد أراد بالخاشعين المؤمنين فإنهم إذا علموا ما يحصل لهم من الثواب بفعلها لم يثقل عليهم ذلك كما أن الإنسان يتجرّع مرارة الدواء لما يرجو به من نيل الشفاء وقال الحسن أراد بالخاشعين الخائفين .

﴿ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾

[**اللغة**] الظن المذكور في الآية بمعنى العلم واليقين كما قال دريد بن الصمة :

فَقُلْتُ لَهُمْ ظُنُّوا بِألفَيْ مُدَجَّجٍ سَرَاتُهُمُ في الفَارِسيِّ ٱلْمُسَرَّدِ

(١) القائل هو ضابىء بن الحارث البرجمي .

(٢) وفي نسختين مخطوطتين « القاضي » بدل « المعاصي » .

وقال أبو داود :

رُبَّ هَمٍّ فَرَّجْتُهُ بِعَزِيمٍ وَغُيوبٍ كَشَفْتُهَا بِظُنونِ

وقال المبرد ليس من كلام العرب أظن عند زيد مالاً بمعنى أعلم لأن العلم المشاهد لا يناسب باب الظن وقد أفصح عن ذلك أوس بن حجر في قوله :

الألْمَعِيُّ آلَّذِي يظُنُّ بِكَ الظَّنَّ كَأنْ قَدْ رَأى وَقَدْ سَمِعَا

وقال آخر (١) :

فَإلَّا يأْتِكُمْ خَبَرٌ يَقِينٌ فَإنَّ الظَّنَّ يَنْقُصُ أوْ يَزِيدُ

وقال بعض المحققين أصل الظن ما يجول في النفس من الخاطر الذي يغلب على القلب كأنه حديث النفس بالشيء ويؤول جميع ما في القرآن من الظن بمعنى العلم على هذا والظن والشك والتجويز نظائر إلا أن الظن فيه قوة على أحد الأمرين دون الآخر وحدّه ما قوي عند الظان كون المظنون على ما ظنه مع تجويزه أن يكون على خلافه فبالتجويز ينفصل من العلم وبالقوة ينفصل من الشك والتقليد وغير ذلك وهو من جنس الاعتقاد عند أبي هاشم وجنس برأسه سوى الاعتقاد عند أبي علي والقاضي وإليه ذهب المرتضى قدس الله روحه وضد الظن اليقين والظنين المتهم ومصدره الظنة والظنون الرجل السيء الظن بكل أحد والظنون البئر التي يظن أن بها ماء ولا يكون ومظنة الرجل حيث يألفه ويكون فيه وأصل الملاقاة الملاصقة من قولك التقى الختانان إذا تلاصقا ثم كثر حتى قيل التقى الفارسان إذا تحاذيا ولم يتلاصقا ويقال رجع الرجل ورجعته أنا لازم ومتعد وأصل الرجوع العود إلى الحال الأولى .

[**الإعراب**] الذين يظنون في موضع الجر صفة للخاشعين وأنهم بفتح الألف لا يجوز غيره لأن الظن فعل واقع على معنى أنه متعد يتعلق بالغير فما يليه يكون مفعولاً له وأنَّ المفتوحة الهمزة يكون مع الإسم والخبر في تأويل اسم مفرد وهاهنا قد سدّ مسدّ مفعولي يظن ويكون المفعول الثاني مستغنى عنه مختزلاً من الكلام غير مضمر كما أن الفاعل في أقائم الزيدان سد مسد الخبر لطول الكلام والاستغناء به عنه وهذا القول هو المختار عند أبي علي وفيه قول آخر وهو أن مع الإسم والخبر في موضع المفعول الأول

---

(١) قيل إن القائل تأبط شراً .

والمفعول الثاني مضمر محذوف لعلم المخاطب به فكأنه قال الذين يظنون ملاقاة ربهم واقعة وحذفت النون من ملاقوا ربهم تخفيفاً عند البصريين والمعنى على اثباتها فإن المضاف إليه هنا وإن كان مجروراً في اللفظ فهو منصوب في المعنى فهي إضافة لفظية غير حقيقية ومثله قوله ﴿ **إنا مرسلوا الناقة وكل نفس ذائقة الموت** ﴾ وقال الشاعر :

هَــلْ أَنْتَ بَـاعِثُ دِينَـارٍ لِحَـاجَتِنَـا أَوْ عَبْدَ رَبٍّ أَخَا عَوْنِ بْنِ مِخْرَاقِ

ولو أردت معنى الماضي لتعرف الإسم بالإضافة لم يجز فيه إظهار النون البتة وقوله ﴿ **وأنهم إليه راجعون** ﴾ في موضع النصب عطفاً على الأول .

[**المعنى**] لما تقدمَ ذكر الخاشعين بيَّن صفتهم فقال ﴿ **الذين يظنون** ﴾ أي يوقنون ﴿**أنهم ملاقوا**﴾ ما وعدهم ﴿**ربهم**﴾ عن الحسن ومجاهد وغيرهما ونظيره قوله ﴿**إني ظننت أني ملاق حسابيه**﴾ وقيل أنه بمعنى الظن غير اليقين والمعنى أنهم يظنون أنهم ملاقوا ربهم بذنوبهم لشدة اشفاقهم من الإقامة على معصية الله قال الرماني وفيه بعد لكثرة الحذف وقيل الذين يظنون انقضاء آجالهم وسرعة موتهم فيكونون أبداً على حذر ووجل ولا يركنون إلى الدنيا كما يقال لمن مات لقي الله ويدل على أن المراد بقوله ﴿**ملاقوا ربهم**﴾ ملاقون جزاء ربهم قوله تعالى في صفة المنافقين ﴿ **فأعْقَبهم نفاقاً في قلوبهم إلى يوم يلقونه** ﴾ ولا خلاف في أن المنافق لا يجوز أن يرى ربه وكذلك قوله ﴿ **ولو ترى إذ وقفوا على ربهم قال أليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون** ﴾ وجاء في الحديث من حلف على مال أمرىء مسلم كاذباً لقي الله وهو عليه غضبان وليس اللقاء من الرؤية في شيء يقال لقاك الله محابك ولا يراد به أن يرى أشخاصاً وإنما يراد به لقاء ما يسره وقوله ﴿ **وإنهم إليه راجعون** ﴾ يُسأل هنا فيقال ما معنى الرجوع في الآية وهم ما كانوا قط في الآخرة فيعودوا إليها وجوابه من وجوه . (أحدها) أنهم راجعون بالإعادة في الآخرة عن أبي العالية (وثانيها) أنهم يرجعون بالموت كما كانوا في الحال المتقدمة لأنهم كانوا أمواتاً فأحيوا ثم يموتون فيرجعون أمواتاً كما كانوا (وثالثها) أنهم يرجعون إلى موضع لا يملك أحد لهم ضراً ولا نفعاً غيره تعالى كما كانوا في بدء الخلق لأنهم في أيام حياتهم قد يملك غيرهم الحكم عليهم والتدبير لنفعهم وضرهم يبين ذلك قوله ﴿ **مالك يوم الدين** ﴾ وتحقيق معنى الآية أنه يُقِرّون بالنشأة الثانية فجعل رجوعهم بعد الموت إلى المحشر رجوعاً إليه .

﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾

[المعنى] قد مضى تفسير أول الآية فيما تقدم وقوله : ﴿ وأنّي فضلتكم على العالمين ﴾ قال ابن عباس أراد به عالمي أهل زمانهم لأن أمّتنا أفضل الأمم بالإجماع كما أن نبينا عليه أفضل الصلاة والسلام أفضل الأنبياء وبدليل قوله ﴿كنتم خير أُمة أُخرجت للناس﴾ وقيل المراد به تفضيلهم في أشياء مخصوصة وهي إنزال المن والسلوى وما أرسل الله فيهم من الرسل وأنزل عليهم من الكتب إلى غير ذلك من النعم العظيمة من تغريق فرعون والآيات الكثيرة التي يخفّ معها الاستدلال ويسهل بها الميثاق[١] وتفضيل الله إياهم في أشياء مخصوصة لا يوجب أن يكونوا أفضل الناس على الإطلاق كما يقال حاتم أفضل الناس في السخاء ونظير هذه الآية قوله ﴿ وإذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب ﴾ إلى قوله ﴿ وأنتم تنظرون ﴾ فإن قيل فما الفائدة في تكرار قوله ﴿ يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم ﴾ قلنا لأنه لما كانت نعم الله هي الأصل فيما يجب شكره احتيج إلى تأكيدها كما يقول القائل اذهب اذهب عجل عجل وقيل أيضاً أن التذكير الأول ورد مجملاً والثاني ورد مفصلاً وقيل أنه في الأول ذكرهم نعمه على أنفسهم وفي الثاني ذكرهم نعمه على آبائهم .

﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾

[القراءة] قرأ أهل مكة والبصرة لا تقبل بالتاء والباقون بالياء .

[الحجة] فمن قرأ بالتاء الحق علامة التأنيث لتؤذن بأن الإسم الذي أسند إليه الفعل وهو الشفاعة مؤنث ومن قرأ بالياء فلأن التأنيث في الإسم ليس بحقيقي فحمل على المعنى فَذُكِّر لأن الشفاعة والتشفع بمنزلة كما أن الوعظ والموعظة والصيحة والصوت كذلك وقد قال تعالى : ﴿ فمن جاءه موعظة وأخذ الذين ظلموا الصيحة ﴾ ويقوّي التذكير

(١) وفي نسخة مخطوطة « المشاق » بدل « الميثاق » ولعله أنسب .

أيضاً أنه فصل بين الفعل والفاعل بقوله منها والتذكير يحسن مع الفصل كما يقال في التأنيث الحقيقي حضر القاضيَ اليوم امرأةٌ .

[**اللغة**] الجزاء والمكافأة والمقابلة نظائر يقال جزى يجزي جزاء وجازاه مجازاة وفلان ذو جزاء أي ذو غناء فكان قوله ﴿ **لا تجزي نفس عن نفس شيئاً** ﴾ أي لا تقابل مكروهها بشيء يدرأه عنها ومنه الحديث أنه ﷺ قال لأبي بردة في الجذعة التي أمره أن يضحي بها ولا تجزي عن أحد بعدك وقال البقرة تجزي عن سبعة أي تقضي وتكفي قال أبو عبيدة هو مأخوذ من قولك جزا عني هذا الأمر فأما قولهم اجزأني الشيء أي كفاني فمهموز وقبول الشيء هو تلقيه والأخذ به خلاف الإعراض عنه ومن ثم قيل لِتِجاه الشيء قبالته وقالوا أقبلت المكواة[1] الداء أي جعلتها قبالته قال ﴿**وأُقبلتُ أفواهَ العروق المَكاويا** ﴾ والقبول والانقياد والطاعة والإجابة نظائر ونقيضه الامتناع والشفاعة مأخوذة من الشفع فكأنه سؤال من الشفيع يشفع سؤال المشفوع له والشفاعة والوسيلة والقربة والوصلة نظائر والشفعة في الدار وغيرها معروفة وإنما سميت شفعة لأن صاحبها يشفّع ماله بها ويضمها إلى ملكه والعدل والحق والإنصاف نظائر ونقيض العدل الجور والعدل المرضي من الناس الذكر والأنثى والجمع والواحد فيه سواء والعدل الفدية في الآية والفرق بين العِدل والعَدل إن العِدل هو مثل الشيء من جنسه والعَدل هو بدل الشيء وقد يكون من غير جنسه قال سبحانه ﴿**أو عدل ذلك صياماً**﴾ والنصرة والمعونة والتقوية نظائر وفي الحديث أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً أي امنعه من الظلم إن كان ظالماً وامنع عنه الظلم إن كان مظلوماً وأنصار الرجل أعوانه ونصرتِ السماء إذا أمطرت .

[**إعراب**] يوماً إنتصابه انتصاب المفعول لا انتصاب الظروف لأن معناه اتقوا هذا اليوم واحذروه وليس معناه اتقوا في هذا اليوم لأن ذلك اليوم لا يؤمر فيه بالإتقاء وإنما يؤمر في غيره من أجله وموضع لا تجزي نصب لأنه صفة يوم والعائد إلى الموصوف فيه اختلاف ذهب سيبويه إلى أن فيه محذوف من الكلام أي لا يجزي فيه وقال آخرون لا يجوز إضمار فيه لأنك لا تقول هذا رجل قصدت أو رغبت وأنت تريد إليه أو فيه فهو محمول على المفعول على السعة كأنه قيل واتقوا يوماً لا تجزيه ثم حذف الهاء كما يقال رأيت رجلاً أُحِبّ أي أُحبّه وهو قول السراج قال أبو علي حذف الهاء من الصفة كما يحذف من الصلة لما بينهما من المشابهة فإن الصفة تخصص الموصوف كما أن الصلة

(١) المكواة : حديدة يكوى بها .

تخصص الموصول ولا يعمل في الموصوف ولا يتسلط عليه كما لا يعمل الصلة في الموصول ومرتبتها أن تكون بعد الموصوف كما أن مرتبة الصلة أن تكون بعد الموصول وقد يلزم الصفة في أماكن كما يلزم الصلة وذلك إذا لم يعرف الموصوف إلا بها ولا تعمل الصلة فيما قبل الموصول كما لا تعمل الصفة فيما قبل الموصوف فإذا كان كذلك حسن الحذف من الصفة كما يحسن من الصلة في نحو قوله ﴿ **أهذا الذي بعث الله رسولاً** ﴾ وقال الأخفش شيئاً في موضع المصدر كأنه قال لا تجزي جزاء ولا تغني غناء وقال الرماني الأقرب أن يكون شيئاً في موضع حقاً كأنه قال لا يؤدي عنها حقاً وجب عليها وقوله ﴿**ولا يقبل منها شفاعة**﴾ موضع هذه الجملة نصب بالعطف على الجملة التي هي وصف قبلها ومن ذهب إلى أنه حذف الجار وأوصل الفعل إلى المفعول ثم حذف الراجع من الصفة كان مذهبه في لا يقبل أيضاً مثله فمما حذف منه الراجع إلى الصفة قول الشاعر[١] (وما شيءٌ حَمَيْتَ بمُسْتباح) والضمير في منها عائد إلى نفس على اللفظ وفي قوله ﴿**ولا هم ينصرون**﴾ على المعنى لأنه ليس المراد به المفرد فلذلك جمع .

[**المعنى**] لما بيّن سبحانه نعمه العظام عليهم أنذرهم في كفرانها بيوم القيامة فقال ﴿ **واتقوا** ﴾ أي احذروا واخشوا ﴿ **يوماً لا تجزي** ﴾ أي لا تغني أو لا تقضي فيه ﴿ **نفس عن نفس شيئاً** ﴾ ولا تدفع عنها مكروهاً وقيل لا يؤدي أحد عن أحد حقاً وجب عليه لله أو لغيره وإنما نكّر النفس ليبين أن كل نفس فهذا حكمها وهذا مثل قوله سبحانه ﴿ **واخشوا يوماً لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً** ﴾ وقوله ﴿ **ولا يقبل منها شفاعة** ﴾ قال المفسرون حكم هذه الآية مختص باليهود لأنهم قالوا نحن أولاد الأنبياء وآباؤنا يشفعون لنا فأيأسهم الله عن ذلك فخرج الكلام مخرج العموم والمراد به الخصوص ويدل على ذلك أن الأمة اجتمعت على أن للنبي ﷺ شفاعة مقبولة وإن اختلفوا في كيفيتها فعندنا هي مختصة بدفع المضار وإسقاط العقاب عن مستحقيه من مذنبي المؤمنين وقالت المعتزلة هي في زيادة المنافع للمطيعين والتائبين دون العاصين وهي ثابتة عندنا للنبي ﷺ ولأصحابه المنتجبين والأئمة من أهل بيته الطاهرين ولصالحي المؤمنين وينجي الله تعالى بشفاعتهم كثيراً من الخاطئين ويؤيده الخبر الذي تلقته الأمة بالقبول وهو قوله ادخرت شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي وما جاءَ في روايات أصحابنا رضي الله عنهم مرفوعاً إلى النبي ﷺ أنه قال إني أَشْفَع يوم القيامة فأُشَفَّع ويَشْفَع عليٌّ فيُشفَّع ويشفع أهل

(١) هو جرير بن الخطفي يمدح يزيد بن عبد الملك بن مروان .

بيتي فيُشفّعون وإن أدنى المؤمنين شفاعة ليشفع في أربعين من إخوانه كل قد استوجب النار وقوله تعالى مخبراً عن الكفار عند حسراتهم على الفائت لهم مما حصل لأهل الإيمان من الشفاعة فما لنا من شافعين ولا صديق حميم وقوله ﴿ **ولا يؤخذ منها عدل** ﴾ أي فدية وإنما سمي الفداء عدلاً لأنه يعادل المفدى ويماثله وهو قول ابن عباس ومعناه لا يؤخذ من أحد فداء يكفّر عن ذنوبه وقيل لا يؤخذ منه بدل بذنوبه وأما ما جاء في الحديث لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً فاختلف في معناه قال الحسن الصرف العمل والعدل الفدية وقال الأصمعي الصرف التطوع والعدل الفريضة وقال أبو عبيدة الصرف الحيلة والعدل الفدية وقال الكلبي الصرف الفدية والعدل رجل مكانه وقوله ﴿ **ولا هم ينصرون** ﴾ أي لا يعاونون حتى ينجوا من العذاب وقيل ليس لهم ناصر ينتصر لهم من الله إذا عاقبهم .

﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ج وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾

[**القراءة**] في الشواذ قرأ ابن مُحيصَن[١] يذبحون أبناءكم .

[**الحجة**] قال ابن جني وجه ذلك أنَّ فعلت بالتخفيف قد يكون فيه معنى التكثير وذلك لدلالة الفعل على مصدره والمصدر اسم الجنس وحسبك بالجنس سعة وعموماً وأنشد أبو الحسن :

أَنْتَ الفِـدَاءُ لِقِبْلَةٍ هَـدَّمتَـهَـا ونَقَـرْتَهَـا بِيَـدَيـكَ كُـلَّ مُنَقَّـرِ

فكأنه قال ونَقْرتها لأن قوله كل منقّر عليه جاء ولما في الفعل من معنى المصدر الدال على الجنس لم يجز تثنيته ولا جمعه لاستحالة كل واحد من التثنية والجمع في الجنس .

[**اللغة**] الإنجاء والتنجية والتخليص واحد والنجاة والخلاص والسلامة والتخلص واحد ويقال للمكان المرتفع نجوة لأن الصائر إليه ينجو من كثير من المضار وفرق بعضهم

(١) مُحيصن بمهملتين مصغراً اسمه عمر بن عبد الرحمن بن محيصن وهو قارىء أهل مكة مات سنة ١٢٣ راجع تهذيب التهذيب ج ٧ ص ٤٧٤ .

بين الإنجاء والتنجية فقال الإنجاء يستعمل في الخلاص قبل وقوعه في الهلكة والتنجية يستعمل في الخلاص بعد وقوعه في الهلكة والآل والأهل واحد وقيل أصل آل أهل لأن تصغيره أهيل وحكى الكسائي أويل فزعموا أنها أبدلت كما قالوا هيهات وايهات وقيل لا بل هو أصل بنفسه والفرق بين الآل والأهل أن الأهل أعم منه يقال أهل البصرة ولا يقال آل البصرة ويقال آل الرجل قومه وكل من يؤول إليه بنسب أو قرابة مأخوذ من الأول وهو الرجوع وأهله كل من يضمه بيته وقيل آل الرجل قرابته وأهل بيته وآل البعير الواحة وآل الخيمة عمده وآل الجبل أطرافه ونواحيه وقال ابن دريد آل كل شيء شخصه وآل الرجل أهله وقرابته قال الشاعر(١) :

وَلَا تَبْـكِ مَيْتاً بَعْـدَ مَيْتٍ أَجَنَّـهُ عَـلِيٌّ وعَـبَّـاسٌ وَآلُ أَبِي بَـكْـرِ

وقال أبو عبيدة سمعت أعرابياً فصيحاً يقول أهل مكة آل الله فقلنا ما تعني بذلك قال أليسوا مسلمين المسلمون آل الله قال وإنما يقال آل فلان للرئيس المتبع وفي شبه مكة لأنها أم القرى ومثل فرعون في الضلال واتّباع قومه له فإذا جاوزت هذا فإن آل الرجل أهل بيته خاصة فقلنا له أفتقول لقبيلته آل فلان قال لا إلا أهل بيته خاصة وفرعون اسم لملك العمالقة كما يقال لملك الروم قيصر ولملك الفرس كسرى ولملك الترك خاقان ولملك اليمن تُبّع فهو على هذا بمعنى الصفة وقيل أن اسم فرعون مصعب بن الريان وقال محمد بن اسحاق هو الوليد بن مصعب يسومونكم يكلفونكم من قولهم سامه خُطَة خَسف (٢) إذا كلفه إياه وقيل يولونكم سوء العذاب وسامه خسفاً إذا أولاه ذلا قال الشاعر (إنْ سيمَ خَسْفاً وَجْهُهُ تَرَبَّدَا) وقيل يُحشمونكم(٣) وقيل يعذبونكم وأصل الباب السوم الذي هو إرسال الإبل في الرعي وسوء العذاب وأليم العذاب وشديد العذاب نظائر قال صاحب العين السوء اسم العذاب الجامع للآفات والداء يقال سُؤتُ فلاناً أسوؤه مساءة ومسائية واستاء فلان من السوء مثل اهتمّ من الهم والسوأة الفعلة القبيحة والسوأة الفرج والسوأة أيضاً كل عمل شين وتقول في النكرة رجل سَوء كما يقال رجل صدق فإذا عرّفت قلت الرجل السوء فلا تضيفه ولا تقول الرجل الصدق وقوله بيضاء من غير سوء أي من غير بَرص والذبح والنحر والشق نظائر والذبح فري الأوداج والتذبيح التكثير منه وأصله الشق يقال ذبحت

(١) هو ابن اراكة الثقفي .

(٢) الخُطّة : الأمر والحال. الخسف: النقصان والهوان .

(٣) حَشَمه: أغضبه. أخجله. آذاه .

المسك إذا فتقت عنه قال :

كَأنَّ بَينَ فَكِّهَا وَالفَكِّ فَارَةُ مِسْكٍ ذُبِحَتْ في سَكِّ

والذبح الشيء المذبوح والذباح والذُبحة بفتح الباء وتسكينها داء يصيب الإنسان في حلقه ويستحيون أي يستبقون ومنه قول النبي ﷺ اقتلوا شيوخ المشركين واستحيوا شرخهم أي استبقوا شبابهم والنساء والنسوة والنسوان لا واحد لها من لفظها والبلاء والنعمة والإحسان نظائر في اللغة والبلاء يستعمل في الخير والشر قال سبحانه ونبلوكم بالشر والخير والإبلاء في الأنعام قال وليبلي المؤمنين منه بلاء حسناً وقال زهير :

جَزَى الله بالإحْسَانِ مَا فَعَلا بِكُمْ وَأبْلاهُمَا خَيْرَ البَلاءِ الَّذِي يَبْلُو

فالبلاء يكون بالأنعام كما يكون بالانتقام وأصل البلاء الامتحان والاختبار قال الاحنف البلاء ثم الثناء .

[**الاعراب**] العامل في إذ من قوله ﴿ **وإذ نجيناكم** ﴾ قوله اذكروا من قوله ﴿ **يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي** ﴾ فهو عطف على ما تقدم وقوله ﴿ **يسومونكم** ﴾ يجوز أن يكون في موضع نصب على الحال من آل فرعون والعامل فيه نجيناكم ويجوز أن يكون للإستئناف والأبناء جمع ابن واصل ابن بنو بفتح الفاء والعين ويدل على أن الفاء كانت مفتوحة قولهم في جمعه أبناء على وزن أفعال وأفعال بابه أن يكون لفعل نحو جبل وأجبال كما كان فعل بتسكين العين بابه أفعل نحو فرخ وأفرخ والمحذوف من الإبن الواو على ما قلناه لأنها أثقل فهي بالحذف أولى وإليه ذهب الأخفش وأبو علي الفسوي .

[**المعنى**] ثم فصل سبحانه في هذه الآية النعم التي أجملها فيما قبل فقال واذكروا ﴿ **إذ نجيناكم** ﴾ أي خلصناكم من قوم ﴿ **فرعون** ﴾ وأهل دينه ﴿ **يسومونكم** ﴾ يلزمونكم ﴿ **سوء العذاب** ﴾ وقيل يذيقونكم ويكلفونكم ويعذبونكم والكل متقارب واختلفوا في العذاب الذي نجاهم الله تعالى منه فقال بعضهم ما ذكر في الآية من قوله ﴿ **يذبّحون أبناءَكم ويستحيون نساءَكم** ﴾ وهذا تفسيره وقيل أراد به ما كانوا يكلفونهم من الأعمال الشاقة فمنها أنهم جعلوهم أصنافاً فصنف يخدمونهم وصنف يحرثون لهم ومن لا يصلح منهم للعمل ضربوا عليهم الجزية وكانوا يذبحون أبناءهم ويستحيون نساءهم مع ذلك ويدل عليه قوله تعالى في سورة إبراهيم ﴿ **يسومونكم سوءَ العذاب ويذبحون أبناءَكم** ﴾

فعطفه على ذلك يدل على أنه غيره وقوله ﴿ **يذبحون أبناءَكم ويستحيون نساءَكم** ﴾ معناه يقتلون أبناءَكم ويستحيون بناتكم يستبقونهن ويدعونهن أحياء ليستعبدن وينكحن على وجه الاسترقاق وهذا أشد من الذبح وإنما لم يقل بناتكم لأنه سماهن بالإسم الذي يؤول حالهن إليه وقيل إنما قال نساءَكم على التغليب فإنهم كانوا يستبقون الصغار والكبار يقال أقبل الرجال وإن كان فيهم صبيان ويجوز أيضاً أن يقع اسم النساء على الصغار والكبار كالأبناء وقوله ﴿ **وفي ذلكم** ﴾ أي وفي سومكم العذاب وذبح الأبناء ﴿ **بلاء من ربكم عظيم** ﴾ أي لما خلى بينكم وبينه حتى فعل بكم هذه الأفاعيل وقيل في نجاتكم من فرعون وقومه نعمة عظيمة من الله عليكم .

[**القصة**] والسبب في قتل الأبناء أن فرعون رأى في منامه كأن ناراً أقبلت من بيت المقدس حتى اشتملت على بيوت مصر فأحرقتها وأحرقت القبط وتركت بني إسرائيل فهاله ذلك ودعا السحرة والكهنة والقافة فسألهم عن رؤياه فقالوا أنه يولد في بني اسرائيل غلام يكون على يده هلاكك وزوال ملكك وتبديل دينك فأمر فرعون بقتل كل غلام يولد في بني إسرائيل وجمع القوابل من أهل مملكته فقال لهن لا يسقط على أيديكن غلام من بني إسرائيل إلا قتل ولا جارية إلا تركت ووكل بهن فكنّ يفعلن ذلك وأسرع الموت في مشيخة بني إسرائيل فدخل رؤوس القبط على فرعون فقالوا له أن الموت قد وقع في بني إسرائيل فتذبح صغارهم ويموت كبارهم فيوشك أن يقع العمل علينا فأمر فرعون أن يذبحوا سنة ويتركوا سنة فولد هارون في السنة التي لا يذبحون فيها فترك وولد موسى في السنة التي يذبحون فيها .

﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَـٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾

[**القراءة**] في الشواذ قرأ الزهري وإذ فرقنا بكم مشددة قال ابن جني فرقنا أشد تفريقاً من فرقنا فمعنى فرّقنا بكم البحر جعلناه فرقاً ومعنى فرقنا بكم البحر شققنا بكم البحر .

[**اللغة**] الفرق هو الفصل بين شيئين إذا كانت بينهما فرجة والفِرق الطائفة من كل شيء ومن الماء إذا انفرق بعضه عن بعض فكل طائفة من ذلك فرق ومنه كل فرق كالطود العظيم والفَرَق الخوف وفي الحديث ما أسكر الفرق فالجرعة منه حرام وهو مكيال يعرف

بالمدينة والبحر يسمى بحراً لاستبحاره وهو سعته وانبساطه يقال استبحر في العلم وتبحر فيه وتبقر إذا اتسع وتمكن والباحر الأحمق الذي إذا كلم بقي كالمبهوت والعرب تسمي الماء الملح والعذب بحراً إذا كثر ومنه قوله ﴿ **مرج البحرين يلتقيان** ﴾ يعني الملح والعذب وأصل الباب الاتساع وأما اللُجُّ فهو الذي لا يرى حافتيه مَنْ في وسطه لكثرة مائه وعظمه ودِجْلة بالإضافة إلى الساقية بحر وبالإضافة إلى جُدّة ونحوها ليست ببحر والغرق الرسوب في الماء والنجاة ضد الغرق كما أنها ضد الهلاك وأغرق في الأمر إذا جاوز الحد فيه وأصله من نزع السهم حتى يخرج عن كبد القوس واغرورقت عينه شرقت بدمعها والنظر النظر بالعين يقال نظرت إلى كذا ونظرت في الكتاب وفي الأمر وقول القائل أَنْظُر إلى الله ثم إليك معناه أتوقع فضل الله ثم فضلَك ونظرته وانتظرته بمعنى واحد والنظر التفكر وأصل الباب كله الإقبال نحو الشيء بوجه من الوجوه فالنظر بالعين الإقبال نحو المبصر والنظر بالقلب الإقبال بالفكر به نحو المفكر فيه والنظر بالرحمة هو الإقبال بالرحمة وحقيقة النظر هو تقليب الحدقة الصحيحة نحو المرئي طلباً لرؤيته .

[**المعنى**] ثم ذكر سبحانه نعمة أخرى فقال واذكروا ﴿ **إذ فرقنا بكم البحر** ﴾ أي فرقنا بين المائين حتى مررتم فيه فكنتم فرقاً بينهما تمرون في طريق يبس وقيل معناه فرقنا البحر بدخولكم إياه فوقع بين كل فريقين من البحر طائفة منكم يسلكون طريقاً يابساً فوقع الفرق بينكم وقيل فرقنا بكم أي بسببكم البحر لتمروا فيه ﴿ **فأنجيناكم** ﴾ يعني من البحر والغرق وقوله ﴿ **وأغرقنا آل فرعون** ﴾ ولم يذكر غرق فرعون لأنه قد ذكره في مواضع كقوله ﴿ **فأغرقناه ومن معه** ﴾فاختصر لدلالة الكلام عليه لأن الغرض مبني على إهلاك فرعون وقومه ونظيره قول القائل (دخل جيش الأمير البادية) ويكون الظاهر أن الأمير معهم ويجوز أن يريد بآل فرعون نفسه كقوله مما ترك آل موسى وآل هارون يعني موسى وهارون وقوله ﴿ **وأنتم تنظرون** ﴾ معناه وأنتم تشاهدون أنهم يغرقون وهذا أبلغ في الشماتة وإظهار المعجزة وقيل معناه وأنتم بمنظر ومشهد منهم حتى لو نظرتم إليهم لأمكنكم ذلك لأنهم كانوا في شغل من أن يروهم كما يقال دور بني فلان تنظر إلى دور آل فلان أي هي بإزائها وبحيث لو كان مكانها ما ينظر لأمكنه أن ينظر إليه وهو قول الزجاج وقريب مما قاله الفراء والأول أصح لأنهم لم يكن لهم شغل شاغل عن الرؤية فإنهم كانوا قد جاوزوا البحر وتظاهرت أقوال المفسرين على أن أصحاب موسى (ع) رأوا انفراق البحر والتطام أمواجه بآل فرعون حتى غرقوا فلا وجه للعدول عن الظاهر .

[**القصة**] وجملة قصة فرعون مع بني إسرائيل في البحر ما ذكره ابن عباس ان الله تعالى أوحى إلى موسى أن يسري ببني إسرائيل من مصر فسرى موسى ببني إسرائيل ليلاً فاتبعهم فرعون في ألف ألف حصان سوى الاناث وكان موسى في ستمائة ألف وعشرين ألفاً فلما عاينهم فرعون قال ان هؤلاء لشرذمة قليلون وأنهم لنا لغائظون وانا لجميع حاذرون فسرى موسى ببني إسرائيل حتى هجموا على البحر فالتفتوا فإذا هم برهُج[١] دواب فرعون فقالوا يا موسى أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا هذا البحر امامنا وهذا فرعون قد رهقنا بمن معه فقال موسى (ع) عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون فقال له يوشع بن نون بم امرت قال أمرت أن اضرب بعصاي البحر قال اضرب وكان الله تعالى أوحى إلى البحر أن اطع موسى إذا ضربك قال فبات البحر له أفكل أي رعدة لا يدري في أي جوانبه يضربه فضرب بعصاه البحر فانفلق وظهر اثنا عشر طريقاً فكان لكل سبط منهم طريق يأخذون فيه فقالوا انا لا نسلك طريقاً ندياً فأرسل الله ريح الصبا حتى جففت الطريق كما قال فاضرب لهم طريقاً في البحر يبساً فجروا فيه فلما أخذوا في الطريق قال بعضهم لبعض ما لنا لا نرى اصحابنا فقالوا لموسى أين اصحابنا فقال في طريق مثل طريقكم فقالوا لا نرضى حتى نراهم فقال[٢] (ع) اللهم اعني على أخلاقهم السيئة فأوحى الله تعالى إليه ان مل بعصاك هكذا وهكذا يميناً وشمالاً فأشار بعصاه يميناً وشمالاً فظهر كالكُوى[٣] ينظر منها بعضهم إلى بعض فلما انتهى فرعون إلى ساحل البحر وكان على فرس حصان أدهم فهاب دخول الماء تمثّل له جبريل على فرس انثى وديق[٤] وتقحم البحر فلما رآها الحصان تقحم خلفها ثم تقحم قوم فرعون فلما خرج آخر من كان مع موسى من البحر ودخل آخر من كان مع فرعون البحر اطبق الله عليهم الماء فغرقوا جميعاً ونجا موسى ومن معه ومما يُسأل عن هذا ان يقال كيف لم يُعط الله تعالى كل نبي مثل ما أعطى موسى من الآيات الباهرات لتكون حجة أظهر والشبهة أبعد والجواب أن الله ينصب الأعلام الباهرة والمعجزات القاهرة لاستصلاح الخلق على حسب ما يرى لهم من الصلاح وقد كان في قوم موسى من بلادة النفس وكلالة الحدس ما لم يمكنه معه الاستدلال بالآيات الحقيقية الا ترى أنهم لما عبروا البحر وأتوا على قوم

---

(١) الرهج: ما اثير من الغبار.

(٢) [موسى].

(٣) جمع الكوة وهو الخرق في الحائط.

(٤) ودقت ذات الفحل فهي وديق.

يغكفون على أصنام لهم قالوا بعدما شاهدوه من هذه الآيات اجعل لنا آلهاً كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون وكان في العرب وأمة نبينا ﷺ من جودة القريحة وحدة الفطنة وذكاء الذهن وقوة الفهم ما كان يمكنهم معه الاستدلال بما يحتاج فيه إلى التأمل والتدبر والاستضاءة بنور العقل في التفكر فجاءت آياتهم متشاكلة لطباعهم المتوقـدة ومجانسة لما ركب في أذهانهم من الدقة والحدة على أن في جميعها من الحجة الظاهرة والبينة الزاهرة ما ينفي خارج الشك عن[1] قلب الناظر المستبين ويفضي به الى فضاء العلم اليقين ويوضح له مناهج الصدق ويولجه موالج الحق وما يستوي الأعمى والبصير ولا ينبئك مثل خبير .

﴿ وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٥١﴾

[**القراءة**] قرأ أهل البصرة وأبو جعفر ها هنا وعدنا بغير ألف وفي الاعراف وطه وقرأ الباقون واعدنا بالألف وقرأ ابن كثير وحفص والبرجمي ورويس اتخذتم واخذتم وما جاء منه باظهار الذال ووافقهم الأعشى فيما كان على افتعلت والباقون يدغمون .

[**الحجة**] حجة من قرأ باثبات الألف أنه قال لا يخلو أن يكون قد كان موسى وعد أو لم يكن فإن كان منه وعد فلا اشكال في وجوب القراءة بواعدنا وان لم يكن منه وعد فان ما كان منه من قبول الوعد والتحري لانجازه والوفاء به يقوم مقام الوعد والقراءة بواعدنا دلالة من الله على وعده وقبول موسى ولأنه إذا حسن في مثل قوله بما اخلفوا الله ما وعدوه الاخبار بالوعد منهم لله تعالى كان هنا الاختيار واعدنا ومن قرأ وعدنا بغير ألف وهو اشد مطابقة للمعنى اذ كان القبول ليس بوعد في الحقيقة اذا الوعد انما هو اخبار الموعود بما يفعل به من خير وعلى هذا فيكون قوله بما أخلفوا الله ما وعدوه مجازاً حقيقته بما أخبروا انهم فاعلوه[2] وقال بعضهم أن المواعدة في الحقيقة لا تكون إلا بين البشر والله تعالى هو المتفرد بالوعد والوعيد كما قال وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات واذ يعدكم الله[3] احدى الطائفتين انها لكم والقراءتان جميعاً قويتان وحجة من أدغم الذال في التاء من اتخذتم ان مخرج الذال قريب من مخرج التاء وحجة من لم يدغم ان مخرجيهما متغايران .

---

(١) [من] . (٢) أي حقيقة باخبارهم انهم فاعلوه . (٣) [وعد الله الذين آمنوا منكم] .

[اللغة] الوعد والموعد والوعيد والعدة والموعدة مصادر وعدته أعده ووعدت يتعدى إلى مفعولين يجوز فيه الاقتصار على أحدهما كأعطيت قال ﴿وواعدناكم جانب الطور الأيمن﴾ فجانب مفعول ثان والعدة والوعد قد يكونان اسمين أيضاً والوعد في الخير والوعيد في الشر ويجمع العدة على العدات ولا يجمع الوعد والموعد قد يكون موضعاً ووقتاً ومصدراً والميعاد لا يكون إلا وقتاً أو موضعاً وقد يقال وعدته في الشر كقوله تعالى ﴿النار وعدها الله الذين كفروا﴾ وأوعدته لا يكون إلا في الشر والمكاره ويقال أوعدته بالشر ولا يقال أودعته الشر وحقيقة الوعد هو الخبر عن خير يناله المخبر في المستقبل او شر وموسى اسم مركب من اسمين بالقبطية فموهو الماء وسي الشجر وسمي بذلك لأن التابوت الذي كان فيه موسى وجد عند الماء والشجر وجده جواري آسية امرأة فرعون وقد خرجن ليغتسلن بالمكان الذي وجد فيه عن السُديّ وهو موسى بن عمران بن يصهر بن فاهث بن لاوي بن يعقوب بن اسحاق بن إبراهيم عن محمد بن إسحاق بن يسار وانما قال أربعين ليلة ولم يقل أربعين يوماً لتضمن الليالي الأيام على قول المبرد عني بذلك انك إذا ذكرت الليالي دخل فيها الأيام وإذا ذكرت الأيام لا يدخل فيها الليالي والصحيح ان العرب كانت تراعي في حسابها الشهور والأيام والاهلة فأول الشهر الليالي فلذلك أرّخت بالليالي وغلبتها على الأيام واكتفت بذكر الليالي عن الأيام فقالت لعشر خلون ولخمس بقين جرياً على الليالي والليلة الوقت من غروب الشمس الى طلوع الفجر الثاني واليوم من طلوع الفجر الثاني الى غروب الشمس وليلة ليلاء اذا اشتدت ظلمتها ولييلة تصغير ليلة اخرجوا الياء الاخيرة مخرجها في الليالي وقال بعضهم اصل ليلة ليلاة فقصّر واتخذ افتعل وفعلت فيه تخذت قال

وَقَدْ تخِذَتْ رِجلي إلى جَنْبِ غَرْزِها   نَسِيفاً كـأُفْحُـوصِ القَـطَاةِ آلْمُـطَرِّقِ

قال أبو علي وليس اتخذت من اخذت لأن الهمزة لا تبدل من التاء ولا تبدل منها التاء والعجل البقرة الصغيرة يقال عجل وعجول وهو من العجلة لأن قصر المدة كالعجل في الشيء وقال بعضهم انما سمي عجلاً لأنهم عجلوا فاتخذوه آلهاً قبل أن يأتيهم موسى .

[الاعراب] قوله وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة لا يخلو تعلق الأربعين بالوعد من أن يكون على أنه ظرف أو مفعول ثان فلا يجوز أن يكون ظرفاً لأن الوعد ليس فيها كلها فيكون جواب كم ولا في بعضها فيكون جواباً لمتى وانما الموعدة تقضي الأربعين فإذا لم يكن ظرفاً كان انتصابه بوقوعه موقع المفعول الثاني والتقدير وعدنا موسى انقضاء أربعين

ليلة أو تتمة أربعين ليلة فحذف المضاف كما تقول اليوم خمسة عشر من الشهر أي تمام خمسة عشر فأما انتصاب أربعين في قوله **﴿فتم ميقات ربه أربعين ليلة﴾** فالميقات هو الأربعون وإنما هو ميقات وموعد فيكون كقولك تمَّ القوم عشرين رجلاً والمعنى تم القوم معدودين هذا العدد وتم الميقات معدوداً هذا العدد وقد جاء الميقات في موضع الميعاد كما جاء الوقت موضع الوعد في قوله **﴿إلى يوم الوقت المعلوم﴾** وفي موضع آخر واليوم الموعود ويبين ذلك قوله **﴿فتم ميقات ربه أربعين ليلة﴾** وفي الآية **﴿وإذا واعدنا موسى أربعين ليلة﴾** وليلة تنتصب على التبيين والتمييز للعدد والأصل في بيان العدد أن يبين بذكر المعدود وانما انتصب بالاسم التام الذي هو أربعون وهو مشبه بالكلام التام الذي ينتصب بعده ما يكون فضلة عنه ومعنى تمام الاسم ها هنا هو تركيب هذا[1] النون الذي تتمّه معه فأشبه الجملة المركبة من فعل وفاعل من جهة أنه متمم بشيء آخر وبينهما شبه آخر وهو أن في الجملة التي من فعل وفاعل معنى يقتضي المفعول وهو ذكر الفعل وفي العدد ابهام يقتضي التفسير والبيان ليفيد أيّ نوع من الأنواع هو فينصب على هذا المعنى ولذلك قال سيبويه ان في هذا الضرب وهو تمام الاسم معنى يحجز بين الاسم الأول وما يجيء بعد التمام فالنون في أربعين هو بمنزلة الفاعل الذي يحجز من ان يسند الفعل الى المفعول فيسند الى الفاعل وينتصب المفعول لذلك والنون يتم الاسم الأول فينتصب الاسم الذي بعده وأما قوله **﴿اتخذتم﴾** فإن اتخذت على ضربين أحدهما يتعدى إلى مفعول واحد كقوله **﴿واتخذوا من دون الله آلهة﴾** وقوله **﴿ام اتخذ مما يخلق بنات﴾** والآخر يتعدى إلى مفعولين كقوله تعالى **﴿ اتخذوا إيمانهم جنة﴾** فاتخذتموهم سخرياً **﴿ لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء﴾** فقوله **﴿ ثم اتخذتم العجل من بعده ﴾** تقديره واتخذتم العجل آلهاً فحذف المفعول الثاني لأن من صاغ عجلاً أو عمله لا يستحق الوعيد والغضب من الله تعالى.

[**المعنى**] واذكروا **﴿إذ واعدنا موسى﴾** أن نؤتيه الألواح فيها التوراة والبيان والشفاء على رأس **﴿ أربعين ليلة ﴾** أو عند انقضاء أربعين ليلة أو عند تمام اربعين ليلة وانما قلنا أن قوله اذكروا مضمر فيه لأن الله تعالى قال قبل هذا **﴿ يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم﴾** فإذ هاهنا معطوفة على الآيات المتقدمة وهذه الأربعون ليلة هي التي ذكرها الله في سورة الأعراف فقال **﴿وواعدنا موسى ثلاثين ليلة واتممناها بعشر﴾** وهي ذو

(١) هذا هو الظاهر لكن في النسخ التي عندنا «هذه» مكان «هذا» اي تركيب هذا النون الذي تتمّم ذلك الاسم معه.

القعدة وعشر من ذي الحجة قال المفسرون لما عاد بنو اسرائيل الى مصر بعد انجائهم من البحر وهلاك فرعون وقومه وعدهم الله انزل التوراة والشرائع فخلف موسى اصحابه واستخلف هارون عليهم فمكث على الطور أربعين ليلة وأنزل عليه التوراة في الألواح وقوله ﴿ثم اتخذتم العجل﴾ أي اتخذتموه آلهاً لأن بنفس فعلهم لصورة العجل لا يكونون ظالمين لأن فعل ذلك ليس بمحظور وانما هو مكروه واما الخبر الذي روي انه ﷺ لعن المصورين فالمراد به من شبه الله بخلقه أو اعتقد فيه أنه صورة وقوله ﴿من بعده﴾ أي من بعد غيبة موسى وخروجه وقيل من بعد وعد الله إياكم بالتوراة وقيل من بعد غرق فرعون وما رأيتم من الآيات والكل محتمل ﴿أنتم ظالمون﴾ أي مضرون بأنفسكم بما استحققتم من العقاب على اتخاذكم العجل آلهاً .

[**القصة**] روي عن ابن عباس قال كان السامري رجلاً من أهل باجرمي قيل كان اسمنسيا وقال ابن عباس اسمه موسى بن ظفر وكان من قوم يعبدون البقر وكان حب عبادة البقر في نفسه وقد كان أظهر الاسلام في بني اسرائيل فلما قصد موسى إلى ربه وخلّف هارون في بني إسرائيل قال هارون لقومه قد حملتم اوزاراً من زينة القوم يعني آل فرعون فتطهروا منها فإنها نجس يعني انهم استعاروا من القبط حلياً واستبدوا بها فقال هارون طهروا أنفسكم منها فإنها نجسة وأوقد لهم ناراً فقال اقذفوا ما كان معكم فيها فجعلوا يأتون بما كان معهم من تلك الامتعة والحلي فيقذفون به فيها قال وكان السامري رأى أثر فرس جبرائيل (ع) فأخذ تراباً من أثر حافره ثم أقبل الى النار فقال لهارون يا نبيّ الله أألقي ما في يدي قال نعم وهو لا يدري ما في يده ويظن انه مما يجيء به غيره من الحلي والأمتعة فقذف فيها وقال كن عجلاً جسداً له خوار فكان البلاء والفتنة فقال هذا آلهكم وآله موسى فعكفوا عليه وأحبوه حباً لم يحبوا مثله شيئاً قط قال ابن عباس فكان البلاء والفتنة ولم يزد على هذا وقال الحسن صار العجل لحماً ودماً وقال غيره لا يجوز ذلك لأنه من معجزات الأنبياء ومن وافق الحسن قال ان القبضة من اثر الملك كان الله قد أجرى العادة بأنها إذا طرحت على أي صورة كانت حييت فليس ذلك بمعجزة إذ سبيل السامري فيه سبيل غيره ومن لم يجز انقلابه حيّاً تأوّل الخوار على أن السامري صاغ عجلاً وجعل فيه خروقاً يدخلها الريح فيخرج منها صوت كالخوار ودعاهم الى عبادته فأجابوه وعبدوه عن أبي علي الجبائي .

﴿ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (٥٢)

[**اللغة**] العفو والصفح والمغفرة والتجاوز نظائر قال ابن الانباري عفا الله عنك معناه

محا الله عنك مأخوذ من قولهم عفت الريح الأثر إذا درسته ومحته فعفو الله محوه الذنوب عن العبد وقال الرماني اصل العفو الترك ومنه قوله فمن عفي له من أخيه شيء اي ترك فالعفو ترك العقوبة والعفو أحلّ المال وأطيبه والعفو المعروف والعفاة والمعتفون طلاب المعروف والعافية من الطير والدواب طلاب الرزق ومنه الحديث من غرس شجرة مثمرة فما أكلت العافية منها إلا كتب له صدقة والعافية دفاع الله عن العبد والعفاء التراب قال زهير (على آثارِ مَنْ ذَهَبَ العفاءُ) والشكر الاعتراف بالنعمة مع ضرب من التعظيم قال الرماني الشكر هو الاظهار للنعمة .

[**المعنى**] ﴿**ثم عفونا عنكم**﴾ أي وضعنا عنكم العقاب الذي استحققتموه بقبول توبتكم من عبادة العجل من بعد ذلك أي من بعد اتخاذكم إياه إلّهاً وقيل معناه تركنا معاجلتكم بالعقاب من بعد اتخاذكم العجل إلّهاً ﴿**لعلّكم تشكرون**﴾ لكي تشكروا الله على عفوه عنكم وسائر نعمه عليكم وقيل معناه التعريض أي عرفناكم للشكر وفي هذه الآية دلالة على وجوب شكر النعمة وعلى أن العفو عن الذنب بعد التوبة نعمة من الله على عباده ليشكروه ومعنى قولنا في الله أنه غفور شكور انه يجازي العبد على طاعاته من غير ان ينقصه شيئاً من حقه فجعل المجازاة على الطاعة شكراً في مجاز اللغة ولا يستحق الانسان الشكر على نفسه لأنه لا يكون منعماً على نفسه فالنعمة تقتضي منعماً غير المنعم عليه كما ان القرض يقتضي مستقرضاً غير المقرض وقد يصح لن يحسن الانسان الى نفسه كما يصح ان يسيء اليها لأن الاحسان من الحسن فإذا فعل بها فعلاً حسناًينتفع به كان محسناً اليها بذلك الفعل واذا فعل بها فعلا قبيحاً تستيضر به كان مسيئاً اليها ولا يستحق الكافر الشكر على الوجه الذي يستحقه المؤمن لأن المؤمن من يستحق الشكر على وجه الاجلال والاعظام والكافر لا يستحقه كذلك وانما يجب له مكافأة نعمته كما يجب قضاء دينه على وجه الخروج منه اليه من غير تعظيم له والفرق بين الشكر والمكافأة ان المكافأة من التكافي وهو التساوي وليس كذلك الشكر ففي المكافأة للنعمة دلالة على أنه قد استوفى حقها وقد يكون الشكر مقصراً عنها وان كان ليس على المنعم عليه أكثر منه إلا أنه كلما ازداد من الشكر حسن الازدياد وان لم يكن واجباً لأن الواجب لا يكون الا متناهياً وذلك كالشكر لنعمة الله تعالى لو استكثر به غاية الاستكثار لم يكن لينتهي الى حد لا يجوز له الازدياد لعظم نعمة الله سبحانه وصغر شكر العبد .

﴿ وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾

[**اللغة**] الفرقان مصدر فرقت بين الشيئين افرق فرقاً وفرقاناً ويسمى كل فارق فرقاناً كما سمّي كتاب الله فرقاناً لفصله بين الحق والباطل وسمى الله تعالى يوم بدر الفرقان لأنه فرق في ذلك اليوم بين الحق والباطل وقال ﴿ **إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً** ﴾ أي يفرق بينكم وبين ذنوبكم .

[**المعنى**] ﴿**واذكروا**﴾ ﴿**اذ اتينا**﴾ أي اعطينا ﴿**موسى الكتاب**﴾ وهو التوراة ﴿**والفرقان**﴾ اختلفوا فيه على وجوه (أحدها) وهو قول ابن عباس ان المراد به التوراة أيضاً وإنما عطفه عليه لاختلاف اللفظين كقول عنترة (أقوَى وأقفَرَ بعدَ أم الهَيْثَمِ) وقال عدي ابن زيد:

وَقدَّدَتِ الأدِيْمَ لِراهِشَيْهِ وَألْفىٰ قوْلَها كَذِباً وَميْنَا

والميْن الكذب (وثانيها) أن الكتاب عبارة عن التوراة والفرقان انفراق البحر الذي أتاه موسى عليه السلام (وثالثها) ان المراد بالفرقان بين الحلال والحرام والفرق بين موسى وأصحابه المؤمنين وبين فرعون وأصحابه الكافرين بأشياء كثيرة منها أنه نجى هؤلاء وأغرق هؤلاء (ورابعها) أن المراد بالفرقان القرآن ويكون تقديره وآتينا موسى التوراة وآتينا محمداً الفرقان فحذف ما حذف لدلالة ما ابقاه عليه كما حذف الشاعر في قوله:

تَـرَاهُ كَـأَنَّ اللَّهَ يَجْـدَعُ أنْـفَـهُ وعَيْنَيْهِ إنْ مَوْلاهُ كانَ لَهُ وَفْـرُ

يريد ويفقأ عينيه لأن الجدع لا يكون للعينين واكتفى بيجدع عن يفقأ وقال آخر

يَـا لَيْـتَ بَعْلِـكَ قَـدْ غَـدَا مُـتَـقَـلِّـداً سَيْفاً ورُمـحـا

أراد وحاملاً رمحاً وهو قول الفراء وقطرب وثعلب وضعَّف قوم هذا الوجه لأن فيه حمل القرآن على المجاز من غير ضرورة مع أنه تعالى أخبر أنه أتى موسى الفرقان في قوله ﴿ **ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان** ﴾ وقوله ﴿ **لعلكم تهتدون** ﴾ أي لكي تهتدوا بما في التوراة من البشارة بمحمد صلى الله عليه وآله وبيان صفته.

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ

بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾

[**القراءة**] قرأ أبو عمرو وبارئكم ويأمركم وينصركم باختلاس الحركة وروي عنه السكون أيضاً والباقون بغير اختلاف ولا تخفيف .

[**الحجة**] قال أبو علي حروف المعجم على ضربين ساكن ومتحرك والساكن على ضربين (أحدهما) ما أصله السكون في الاستعمال والآخر ما أصله الحركة فما أصله الحركة يسكن على ضربين (أحدهما) أن تكون حركة بناء والآخر أن تكون حركة اعراب وحركة البناء تسكن على ضربين (أحدهما) أن يكون الحرف المسكن من كلمة مفردة نحو فخذ وسَبُع وابِل وضُرِب وعُلِم فمن خفف قال فَخْذ وسَبع وإبْل وضُرْب وعلم والآخر أن يكون من كلمتين فيُسكن على تشبيه المنفصل بالمتصل نحو قراءة من قرأ ويخشَ الله ويتّقه ومنه قول العجاج (فبَاتَ مُنْتصباً وما تكرْدَسا) ألا ترى آن تَقِه من يَتّقه مثل كتف ومنه قول الشاعر (قالت سُلَيمىٰ اشتر لنا سُويقا) ولا خلاف في تجويز اسكان حركة البناء في نحو ما ذكرناه من قول العرب والنحويين واما حركة الاعراب فمختلف في تجويز اسكانها فمن الناس من يقول ان اسكانها لا يجوز من حيث كان علماً للاعراب واما سيبويه فيجوز ذلك لا يفصل بين القبيلتين وروى قول امرىء القيس :

فَـالْيَـوْمَ أَشْـرَبُ غَيْـرَ مُسْتَـحْـقِـبٍ إِثْـمـاً مِـنَ الـلَّـهِ وَلَا وَاغِـلِ

وقول الآخر (وقد بدا هنكِ من الميزر) ومن هذا النحو قول جرير :

سِيرُوا بني العَمِّ فالأهْوازُ منزِلُكُم ونَهْـرُ تِيـري ولا تَعْـرِفُكُم العـرَبُ

فشبه ما يدخل على المعرب بما يدخل على المبني كما شبّهوا حركات البناء بحركات الاعراب فمِن ثمَّ ادغم نحو رُدّ وفِرّ وعضّ كما أدغموا نحو يردّ ويفرّ ويعضّ واعلم أن الحركات التي تكون للبناء والاعراب قد يستعملون في الضمة والكسرة منها الاختلاس والتخفيف كما يستعملون الاشباع والتمطيط فأما الفتحة فليس فيها الاشباع فقط ولم يخفف نحو جَبَل كما خفّف مثل سَبُع وكَتِف وعلى هذا المذهب حمل سيبويه قول أبي عمرو الى بارئكم فذهب الى أنه اختلس الحركة ولم يشبعها فهو بزنة حرف متحرك فمن

روى عن أبي عمرو الاسكان في هذا النحو فلعله سمعه يختلس فحسبها اسكاناً لضعف الصوت به والخفاء وعلى هذا قوله ولا يأمركم وغيره .

[**اللغة**] الباريء هو الخالق الصانع وبرأ الله الخلق يبرؤهم برأً أي خلقهم قال امية ابن الصلت :

أَلْخَالِقُ البَارِئُ المُصَوِّرُ في الـ أرحَامِ ماءً حتَّى يَصيرْ دَما

والفرق بين الباريء والخالق ان الباريء هو المبديء المحدث والخالق هو المقدر الناقل من حال الى حال وبرىء من المرض يبرأ برأ فهو باريء والبراءة من العيب والمكروه لا يقال منه الابريء بالكسر وفاعله بريء ورجل براء بمعناه وامرأة براء ونسوة براء واما قوله انا براء فهو جمع بريء وأصل الباب انفصال الشيء من الشيء ومنه برأ الله الخلق أي فطرهم كأنهم انفصلوا من العدم الى الوجود والبريّة فعيلة بمعنى مفعول ولا تهمز كما لا يهمز ملك وان كان أصله الهمزة وقيل البرية مشتقة من البَري وهو التراب فلذلك لم يهمز وقيل مأخوذة من بريت العود فذلك لم يهمز والقتل والذبح والموت نظائر والفرق بينهما ان القتل نقض بنية الحياة والذبح فري الأوداج والموت عند من أثبته عرض يضاد الحياة والقتل العدو وجمعه اقتال والقتال النفس وناقة ذات قتال اذا كانت وثيقة وقتلت الشيء علماً إذا أيقنته وتحققته وفي المثل قتلت أرضٌ جاهِلَها وقتل أرضاً عالمها[1] وتقتلت الجارية للفتى حتى عشقها كأنها خضعت له قال:

تَقَتَّلتِ لِي حتَّى إذَا ما قَتَلتِني تَنسَّكتِ ما هذا بِفِعْلِ النَّواسِكِ

[**الاعراب**] ﴿يا قوم﴾ القراءة بكسر الميم وهو الاختيار لأنه منادى مضاف والندا باب حذف فحذف الياء لأنه حرف واحد وهو في آخر الاسم كما ان التنوين في آخره وبقيت الكسرة تدل عليه ولما كان ياء الاضافة قد تحذف في غير النداء لزم حذفه في النداء ويجوز في الكلام أربعة وجوه يا قوم كما قرىء ولا يجوز غيره في القرآن لأن القراءة سنة متبعة ويجوز يا قومي انكم باثبات الياء واسكانه ويجوز يا قومي باثبات الياء وتحريكه فهذه ثلاثة أوجه في الاضافة ويجوز يا قومُ على أنه منادى مفرد واما قوله يا ليت قومي فإن الياء ثبتت فيه لأنه لم يلحقه ما يوجب حذفه كما لحق في الندا .

---

(١) قوله : ﴿قتلت أرض جاهلها﴾ يضرب لمن يباشر امرأ لا علم له به . قوله : ﴿قتل ارضاً عالمها﴾ . يراد بالمثل ان الرجل العالم بالأرض عند سلوكها يذلّل الأرض ويغلبها بعلمه» يضرب في مدح العلم .

[المعنى] «و» اذكروا ﴿إذ قال موسى لقومه﴾ الذين عبدوا العجل عند رجوعه اليهم ﴿يا قوم انكم ظلمتم انفسكم﴾ أي اضررتم بأنفسكم ووضعتم العبادة غير موضعها ﴿باتخاذكم العجل﴾ معبوداً وظلمهم اياها فعلهم بها ما لم يكن لهم أن يفعلوه مما يستحق به العقاب وكذلك كل من فعل فعلاً يستحق به العقاب فهو ظالم لنفسه ﴿فتوبوا إلى ربكم﴾ أي ارجعوا إلى خالقكم ومُنشئكم بالطاعة والتوحيد وجعل توبتهم الندم مع العزم وقتل النفس جميعاً وهنا اضمار باختصار كأنه لما قال لهم فتوبوا إلى بارئكم قالوا كيف قال ﴿فاقتلوا انفسكم﴾ أي ليقتل بعضكم بعضاً بقتل البريء المجرم عن ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وغيرهم وهذا كقوله سبحانه﴿ فإذا دخلتم بيوتاً فسلموا على انفسكم أي ليسلم بعضكم على بعض﴾ وقيل معناه استسلموا للقتل فجعل استسلامهم للقتل قتلاً منهم لأنفسهم على وجه التوسع عن ابن إسحاق واختاره الجبائي واختلفوا في المأمور بالقتل فروي أن موسى أمرهم أن يقوموا صفين فاغتسلوا ولبسوا أكفانهم وجاء هارون باثني عشر ألفاً ممن لم يعبدوا العجل ومعهم الشفار المرهَفَةُ(١) وكانوا يقتلونهم فلما قتلوا سبعين ألفاً تاب الله على الباقين وجعل قتل الماضين شهادة لهم وقيل أن السبعين الذين كانوا مع موسى في الطور هم الذين قتلوا ممن عبد العجل سبعين الفاً وقيل أنهم قاموا صفين فجعل يطعن بعضهم بعضاً حتى قتلوا سبعين الفاً وقيل غشيتهم ظلمة شديدة فجعل بعضهم يقتل بعضاً ثم انجلت الظلمة فاجلوا عن سبعين الف قتيل وروي أن موسى وهارون وقفا يدعوان الله ويتضرعان إليه وهم يقتل بعضهم بعضاً حتى نزل الوحي برفع القتل وقبلت توبة من بقي وذكر ابن جريج ان السبب في أمرهم بقتل انفسهم ان الله تعالى علم ان ناساً منهم ممن لم يعبد العجل لم ينكروا عليهم ذلك مخافة القتل مع علمهم بأن العجل باطل فذلك ابتلاهم الله بأن يقتل بعضهم بعضاً وإنما امتحنهم الله تعالى بهذه المحنة العظيمة لكفرهم بعد الدلالات والآيات العظام وقال الرماني لابد أن يكون في الأمر بالقتل لطف لهم ولغيرهم كما يكون في استسلام القاتل لطف له ولغيره فإن قيل كيف يكون في قتلهم نفوسهم لطف لهم ولا تكليف عليهم بعد القتل واللطف لا يكون لطفاً فيما مضى ولا فيما يقارنه فالجواب ان القوم إذا كلفوا ان يقتل بعضهم بعضاً فكل واحد منهم يقصد قتل غيره ويجوز ان يبقى بعده(٢) فيكون القتل لطفاً له فيما بعد ولو كان بمقدار زمان يفعل فيه واجباً أو يمتنع عن قبيح وهذا(٣) كما تقول في عباداتنا بقتال المشركين وان الله تعبدّنا بأن نقاتل حتى

(١) ارهف السيف: رقق حده. (٢) [واحد]. (٣) [وهو].

نقتل أو نقتل ومدحنا على ذلك وكذلك روى اهل السير أن الذين عبدوا العجل تعبدّوا بأن يصبروا على القتل حتى يقتل بعضهم بعضاً فكان القتل شهادة لمن قتل وتوبة لمن بقي وإنما تكون شبهة لو أمروا بأن يقتلوا نفوسهم بأيديهم ولو صح ذلك لم يتمنع أن يكونوا امروا بأن يفعلوا بنفوسهم الجراح التي تفضي إلى الموت وان لم يزل معها العقل فينا في التكليف واما على القول الآخر أنهم امروا بالاستسلام للقتل والصبر عليه فلا مسألة لأنهم ما أمروا بقتل نفوسهم فعلى هذا يكون قتلهم حسناً لأنه لو كان قبيحاً لما امروا بالاستسلام له ولذلك نقول لا يجوز ان يتعبّد نبي ولا إمام بأن يستسلم للقتل مع قدرته على الدفع عن نفسه فلا يدفعه لأن في ذلك استسلاماً للقبيح مع القدرة على دفعه وذلك لا يجوز وإنما كان يقع قتل الأنبياء والأئمة عليهم السلام على وجه الظلم وارتفاع التمكن من المنع غير أنه لا يمتنع من أن يتعبد بالصبر على الدفاع وتحملّ المشقة في ذلك وان قتله غيره ظلماً والقتل وان كان قبيحاً بحكم العقل فهو مما يجوز تغيره بأن يصير حسناً لأنه جارٍ مجرى سائر الآلام وليس يجري ذلك مجرى الجهل والكذب في أنه لا يصير حسناً قطْ ووجه الحسن في القتل أنه لطف على ما قلناه وأيضاً فكما يجوز من الله تعالى أن يميت الحي فكذلك يجوز أن يأمرنا بأماتته ويعوضه على الآلام التي تدخل عليه ويكون فيه لطف على ما ذكرناه وقوله ﴿**ذلكم خير لكم عند بارئكم**﴾ اشارة إلى التوبة مع القتل لأنفسهم على ما أمرهم الله به بدلالة قوله ﴿**فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم**﴾ فقوله ﴿**توبوا**﴾ دال على التوبة فكأنها مذكورة وقوله ﴿ **فاقتلوا**﴾ دال على القتل فكأنه قال أن التوبة وقتل النفس في مرضاة الله كما امركم به وان كان فيه مشقة عظيمة خير لكم عند خالقكم من ايثار الحياة الدنيا لأن الحياة الدنيا لا تبقى بل تفنى وتحصلون بعد الحياة على عذاب شديد وإذا قتلتم انفسكم كما امركم الله به زالت مشقة القتل عن قريب وبقيتم في نعيم دائم لا يزول ولا يبيد وكرر ذكر بارئكم تعظيماً لما اتوابه مع كونه خالقاً لهم وقوله ﴿**فتاب عليكم**﴾ هاهنا اضمار تقديره ففعلتم ما امرتم به فتاب عليكم أو فقتلتم أنفسكم فتاب عليكم أي قبل توبتكم ﴿**إنه هو التواب**﴾ أي قابل التوبة عن عباده مرة بعد مرة وقيل معناه قابل التوبة عن الذنوب العظام ﴿**الرحيم**﴾ يرحمكم إذا تبتم ويدخلكم الجنة وفي هذه الآية دلالة على أنه يجوز ان يشترط في التوبة سوى الندم ما لا يصح التوبة الا به كما أمروا بالقتل.

﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّـٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾

[**اللغة**] لن نؤمن لك أي لن نصدقك يقال آمن به وآمن له بدلالة قول تعالى ﴿**قال فرعون آمنتم به**﴾ وفي موضع آخر آمنتم له والرؤية الادراك بالبصر ثم يستعل بمعنى العلم يقال رأى ببصره رؤية ورأى من الرأي رأياً ورأيت رؤياً حسنة والرُواء المنظر في البهاء والجمال والمرآة التي ينظر فيها وجمعها المرائي وتراءيت بالمرآة إذا نظرت فيها وجاء في الحديث لا ويتراءى أحدكم بالماء أي لا ينظر فيه وتراءى القوم إذا رأى بعضهم بعضاً وتراءى فلان لفلان إذا تصدى له ليراه ويحذفون الهمزة من رأيت في كل كلمة تكون راوءها ساكنة تقول رأيت أرى والأصل أرأى واريته فلاناً أريه فأنا مُرى ٍ وهو مُرىً والأصل أرْأيتُه أرْأيْه واثبتوها في موضعين مرئي وارأت الناقة والشاة إذا عرف في لون ضرعها أنها قد اقربت والرأي حسن الشارَة والهيئة قال جرير.

وَكُــلُّ قَــوْمٍ لَـهُمْ رِأيٌ ومُـخْـتَـبَــرُ وَلَـيْسَ في تَـغْلِبَ رِأيٌ وَلا خَـبَــرُ

والجهر والعلامة والمعاينة نظائر يقال جهر بكلامه وبقراءته جهراً إذا اعلن ورجل جهير ذو رواء وكلام جهير وصوت جهير أي عال والفعل منه جهر جهارة وجهرني الرجل اي راعني جماله وضد الجهر السر واصل الباب الظهور وحقيقة الجهر ظهور الشيء معاينة والفرق بين الجهر والمعاينة ان المعاينة ترجع إلى حال المدرك والجهرة ترجع إلى حال المدرَك وقد تكون الرؤية غير جهرة كالرؤية في النوم والرؤية بالقلب فإذا قال جهرة لم يكن الا رؤية العين على التحقيق دون التخييل والصاعقة على ثلاثة اوجه (أحدها) نار تسقط من السماء كقوله ﴿ **ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء** ﴾ (والثاني) الموت في قوله ﴿ **فصعق من في السماوات**﴾ وقوله ﴿ **فأخذتكم الصاعقة** ﴾ و (الثالث) العذاب في قوله ﴿ **انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود** ﴾ .

[**الاعراب**] حتى نرى حتى بمعنى إلى وهي الجارة للأسم وانتصب نرى بعدها باضمار ان كما ينتصب الفعل بعد اللام باضمار ان وان مع الفعل في تأويل المصدر وفي موضع جر بحتى ثم أن الجار والمجرور في موضع نصب بأنه مفعول لن نؤمن وجهرة مصدر وضع موضع الحال.

[**المعنى**] ﴿**وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك**﴾ اي لن نصدقك في قولك انك نبي مبعوث ﴿**حتى نرى الله جهرة**﴾ أي علانية فيخبرنا بأنك نبي مبعوث وقيل معناه أنا لا نصدقك فيما تخبر به من صفات الله تعالى وما يجوز عليه وما لا يجوز عليه حتى نرى الله جهرة أي علانية وعياناً فيخبرنا بذلك وقيل أنه لما جاءَهم بالالواح وفيها التوراة قالوا لن

نؤمن بأن هذا من عند الله حتى نراه عياناً وقال بعضهم ان قوله جهرة صفة لخطابهم لموسى انهم جهروا به واعلنوه وتقديره وإذا قلتم جهرة لن نؤمن لك حتى نرى الله والاول اقوى ﴿**فأخذتكم الصاعقة**﴾ أي الموت ﴿**وأنتم تنظرون**﴾ إلى أسباب الموت وقيل إلى النار وإنما قرع الله سبحانه اليهود بسؤال اسلافهم الرؤية من حيث أنهم سلكوا طريقتهم في المخالفة للنبي الذي لزمهم اتباعه والتصديق بجميع ما أتى به فجروا على عادة اسلافهم الذين كانوا يسألون تارة نبيهم أن يجعل لهم إلّهاً غير الله ومرة يعبدون العجل من دون الله وطوراً يقولون لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة واستدل أبو القاسم البلخي بهذه الآية على أن الرؤية لا تجوز على الله تعالى قال لأنها انكار تضمن امرين ردهم على نبيهم وتجويزهم الرؤية على ربهم ويؤيد ذلك قوله تعالى فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا ارنا الله جهرة فدل ذلك على أن المراد انكار الأمرين وتدل هذه الآية أيضاً على أن قول موسى رب ارني انظر اليك كان سؤالاً لقومه لأنه لاخلاف بين أهل التوراة ان موسى عليه السلام لم يسأل الرؤية الا دفعة واحدة وهي التي سألها لقومه.

﴿ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾

[**اللغة**] البعث اثارة الشيء من محله ومنه يقال بعث فلان راحلته إذا أثارها من مبركها للسير وبعثت فلاناً لحاجتي إذا اقمته من مكانه الذي هو فيه للتوجيه إليها ومنه يقال ليوم القيامة يوم البعث لأنه يوم يثار الناس فيه من قبورهم لموقف الحساب وبعثته من نومه فانبعث أي نبهّته فانتبه والبعث الجند يبعثون إلى وجه أو في أمر واصل البعث الإرسال.

[**المعنى**] ﴿**ثم بعثناكم**﴾ أي ثم احييناكم ﴿**من بعد موتكم**﴾ لاستكمال آجالكم عن الحسن وقتادة وقيل أنهم سألوا بعد الافاقة أن يبعثوا انبياء فبعثهم الله انبياء عن السدي فيكون معناه بعثناكم انبياء واجمع المفسرون الأشرذمة يسيرة ان الله لم يكن امات موسى كما امات قومه ولكن غشي عليه بدلالة قوله فلما افاق قال سبحانك تبت إليك والافاقة إنما تكون من الغشيان وقوله ﴿**لعلكم تشكرون**﴾ أي لكي تشكروا الله على نعمه التي منها رده الحياة اليكم وفي هذا اثبات لمعجزة نبينا محمد ﷺ واحتجاج على مشركي العرب الذين كانوا غير مؤمنين بالبعث لأنه كان يذكر لهم من اخبار الذين بعثهم الله في الدنيا فكان يوافقه على ذلك من يخالفه من اليهود والنصارى ويجب أن يكون هؤلاء القوم وان اماتهم الله ثم احياهم غير مضطرين إلى معرفة الله عند موتهم كما يضطر الواحد منا اليوم إلى

معرفته عند الموت بدليل أن الله أعادهم إلى التكليف والمعرفة في دار التكليف لا تكون ضرورية بل تكون مكتسبة ولكن موتهم انما كان في حكم النوم فاذهب الله عنهم الروح من غير مشاهدة منهم لأحوال الآخرة وليس في الاحياء بعد الإماتة ما يوجب الاضطرار الى المعرفة لأن العلم بأن الاحياء بعد الاماتة لا يقدر عليه غير الله طريقه الدليل وليس الاحياء بعد الاماتة الا قريباً من الانتباه بعد النوم والافاقة بعد الاغماء في أن ذلك لا يوجب علم الاضطرار واستدل قوم من اصحابنا بهذه الآية على جواز الرجعة وقول من قال ان الرجعة لا تجوز إلا في زمن النبي ﷺ ليكون معجزاً له ودلالة على نبوته باطل لأن عندنا بل عند أكثر الأمة يجوز اظهار المعجزات على ايدي الأئمة والأولياء والأدلة على ذلك مذكورة في كتب الأصول وقال أبو القاسم البلخي لا تجوز الرجعة مع الاعلام بها لأن فيها اغراءً بالمعاني من جهة الأتكال على التوبة في الكَرَّة الثانية وجوابه ان من يقول بالرجعة لا يذهب إلى ان الناس كلهم يرجعون فيصير اغراءً بأن يقع الاتكال على التوبة فيها بل لا أحد من المكلفين الا ويجوز أن لا يرجع وذلك يكفي في باب الزجر.

﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾

[**اللغة**] الظلة الغمامة والسترة نظائر يقال ظللت تظليلاً والظل ضد الضحّ ونقيضه وظل الشجرة سترها ولا ازال الله عنا ظل فلان أي ستره ويقال لسواد الليل ظل لأنه يستر الأشياء قال الله تعالى **﴿ألم تر إلى ربك كيف مدّ الظل﴾** والغمام السحاب والقطعة منها غمامة وإنما سمي غماماً لأنه يغمّ السماء أي سيترها وكل ما يستر شيئاً فقد غمّه وقيل هو ما ابيضّ من السحاب والغُمّة الغطاء على القلب من الغمّ وفلان في غمة من أمره إذا لم يهتد له والمنّ الاحسان إلى من لا يستثيبه والاسم المنة والله تعالى هو المنان علينا والرحيم بنا والمن قطع الخير ومنه قوله **﴿ أجر غير ممنون﴾** أي غيرمقطوع والمُنّة قوة القلب وفلان ضعيف المنة واصل الباب الاحسان فالمن الذي كان يسقط على بني اسرائيل هو مما منَّ الله به عليهم أي أحسن به اليهم والسلوى طائر كالسُمانَى قال الأخفش هو للواحد والجمع كقولهم دِفْلَى وقال الخليل واحده سلواة قال (كما انتفض السَلواة مَن بَلَلِ القَطْر) قال الزجاج

غلط خالد بن زهير في قوله(١).

وَقَاسَمَهَا بِاللَّهِ جَهْداً لأنتُمُ أَلَذُّ مَن السَّلْوى إذَا مَا نَشُورُهَا

فظن ان السلوى العسل وإنما هو طائر قال أبو علي الفارسي وقرىءَ على الزجاج في مصنف أبي عبيد أنه العسل قال والذي عندي فيه أَنَّ السلوى كأنه ما يسلي عن غيره لفضيلة فيه من فرط طيبه أو قلة معاناة وعلاج في اقتنائه فالعسل لا يمتنع أن يسمى سلوى لجمعه الأمرين كما سمي الطائر الذي كان يسقط مع المن به ويقال سلا فلان عن فلان يَسْلو سَلْواً إذا تَسَلّى عنه وفلان في سُلْوة من العيش إذا كان في رَغَد يُسليه الهم والسُلْوان ماء مَن شربه ذهب همّه فيما زعموا قال (لو اشرب السُلوان ما سَلَيتُ)(٢).

[الإعراب] موضع كلوا نصب بمحذوف كأنه قال وقلنا لهم كلوا وموضع السلوى نصب لأنه معطوف على المن وقوله ﴿ وما ظلمونا ﴾ إنما يتصل بما قبله أيضاً بتقدير محذوف كأنه قال فخالفوا ما أمروا به وكفروا هذه النعمة وما ظلمونا.

[المعنى] **﴿وظللنا عليكم الغمام﴾** أي جعلنا لكم الغمام ظلة وسترة تقيكم حر الشمس في التيه عن جماعة المفسرين **﴿وانزلنا عليكم المن﴾** فيه وجوه (احدها) أنه المن الذي يعرفه الناس يسقط على الشجر عن ابن عباس و (ثانيها) أنه شيء كالصمغ كان يقع على الاشجار وطعمه كالشهد والعسل عن مجاهد و (ثالثها) أنه الخبز المرقق عن وهب و(رابعها) أنه جميع النعم التي اتتهم مما منّ الله به عليهم مما لا تعب فيه ولا نصب وروي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال الكَمْأَةُ من المن وماؤها شفاء للعين **﴿والسَلوى﴾** قيل هو السُمانَي وقيل هو طائر أبيض يشبه السماني عن ابن عباس وقوله **﴿كلوا من طيبات ما رزقناكم﴾** معناه قلنا لهم كلوا من الشيء اللذيذ وقيل المباح الحلال وقيل المباح الذي يستلذّ أكله الذي رزقناكم أي اعطيناكم وجعلناه رزقاً لكم وقوله **﴿وما ظلمونا﴾** أي فكفروا هذه النعمة وما نقصونا بكفرانهم أَنْعُمَنا **﴿ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾** أي يسمون وقيل معناه وما ضرّونا ولكن كانوا انفسهم يضرّون وهذا يدل على ان الله تعالى لا ينفعه طاعة من اطاعه ولا يضره معصية من عصاه وإنما تعود منفعة الطاعة إلى المطيع ومضرة المعصية إلى العاصي.

---

(١) قائله أبو صخر الهذلي وصدره « واني لتعروني لذكراك ففضة ».

(٢) قائله رؤبة وعجزه (ما بي غنى عنك وان غنيت».

[**القصة**] وكان سبب انزال المن والسلوى عليهم أنه لما ابتلاهم الله بالتيه ـ إذ قالوا لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا أنا هاهنا قاعدون حين أمرهم بالمسير إلى بيت المقدس وحرب العمالقة بقوله ﴿**ادخلوا الأرض المقدسة**﴾ فوقعوا في التيه فصاروا كلما ساروا تاهوا في قدر خمسة فراسخ أو ستة فكلما اصبحوا ساروا غادين فامسوا فإذا هم في مكانهم الذي ارتحلوا منه كذلك حتى تمت المدة وبقوا فيها اربعين سنة وفي التيه توفي موسى وهارون ثم خرج يوشع بن نون وقيل كان الله تعالى يرد الجانب الذي انتهوا إليه من الأرض إلى الجانب الذي ساروا منه فكانوا يضلون عن الطريق لأنهم كانوا خلقاً عظيماً فلا يجوز ان يضلوا كلهم عن الطريق في هذه المدة المديدة في هذا المقدار من الأرض ولما حصلوا في التيه ندموا على ما فعلوا فالطف الله لهم بالغمام لما شكوا حرَّ الشمس وأنزل عليهم المنَّ والسلوى فكان يسقط عليهم المن من وقت طلوع الفجر إلى طلوع الشمس فكانوا يأخذون منها ما يكفيهم ليومهم وقال الصادق عليه السلام كان ينزل المن على بني اسرائيل من بعد الفجر إلى طلوع الشمس فمن نام في ذلك الوقت لم ينزل نصيبه فلذلك يكره النوم في هذا الوقت إلى بعد طلوع الشمس قال ابن جرير وكان الرجل منهم إذا أخذ من المن والسلوى زيادة على طعام يوم واحد فسد الا يوم الجمعة فإنهم إذا اخذوا طعام يومين لم يفسد وكانوا يأخذون منها ما يكفيهم ليوم الجمعة والسبت لأنه كان لا يأتيهم يوم السبت وكانوا يخبزونه ممثل القرصة ويوجد له طعم كالشهد المعجون بالسمن وكان الله تعالى يبعث لهم السحاب بالنهار فيدفع عنهم حر الشمس وكان ينزل عليهم في الليل من السماء عمود من نور يضيء لهم مكان السراج وإذا ولد فيهم مولود يكون عليه ثوب يطول بطوله كالجلد.

﴿ وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾

[**القراءة**] قرأ أبو جعفر ونافع يغفر(١) بالياء مضمومة والباقون نغفر لكم بالنون وهو الاختيار لأنه اشبه بما تقدم من قوله وظللنا وانزلنا ولأن اكثر القراء عليه واجمع القراء على

(١) وقرأ ابن عامر تغفر بالتاء مضمومة.

اظهار الراء عند اللام الا ما روي عن أبي عمرو وفي رواية اليزيدي الاستجادة من ادغام الراء في اللام واتفق القراء على خطاياكم هنا وان اختلفوا في الاعراف ونوح فقرأ بعضهم هناك خطيئاتهم وذلك لأن اللتين في الاعراف ونوح كتبتا في المصحف بغير الف وهاهنا كتبت بالألف.

[**اللغة**] الدخول والولوج والاقتحام نظائر والفرق بين الدخول والاقتحام ان الاقتحام دخول على صعوبة وفي الأمر دَخَلٌ أي فساد ودَخِل أمره إذا فسد وفلان دخيل في بني فلان إذا كان من غيرهم واطلعته على دِخلة امري إذا بثثته مكتومك وفلان مدخول إذا كان في عقله أو في حسبه دَخَلٌ والقرية والبلدة والمدينة نظائر قال أبو العباس واصله الجمع وقريت الماء في الحوض اقريه قَرْيا وقريتُ الضيفَ اقريه قِرىً والمِقراةُ الجفنة التي يعدّ فيها الطعام للأضياف قال (عظامُ المَقاري جارُهم لا يُفزّع) وقال الخليل القَرية والقِرية لغتان والكسر لغة يمانية والقرى الظهر من كل شيء وجمعه الاقراء والسجود شدة الانحناء ومنه السُجَّد من النساء وهن الفاترات الأعين قال الشاعر (ولهوي إلى حُور المَدامِع سُجَّد) وقال الآخر[1] (ترى الأُكْم فيها سُجّداً للحوافر) وحطة مصدر مثل ردة وجدة من رددت وجددت قال الخليل الحط وضع الأحمال عن الدواب والحط والوضع والخفض نظائر والحط الحدر من العلو قال امرىء القيس.

كَجُلْمُودِ صَخْرٍ حَطَّه السَّيْلُ مِنْ عَلِ

وجارية محطوطة المتنين ممدودة حسنة والغفران والعفو والصفح نظائر يقال غفر الله له غفراناً أي ستر الله على ذنوبه والغفر التغطية وثوبٌ ذو غَفْر إذا كان له زِتبِر يستر نسجه ويقال المغفر لتغطيته العنق والغفيرة والمغفرة بمعنى والغفارة خرقة تلّف على سِيَة القوس والمغفور والمغفار صمغ العرفط واغفر الشجر إذا ظهر ذلك فيه ومنه الحديث انه ﷺ دخل على عائشة فقالت يا رسول الله أكلت مغافير يعني هذا الصمغ ومنهم من يقول مغاثير كما قيل جدث وجدف ويقال جاءوا والجماء الغفير وجاءوا جماً غفيراً وجماء الغفير أي مجتمعين جمعاً يغطي الأرض والغفر ولد الأرويّة لأنه يأوي الجبال ويتستر عن الناس ويقال اصبغ ثوبك فإنه اغفر للوسخ اي استر له واصل الباب الستر وحد المغفرة ستر الخطيئة برفع العقوبة والخطيئة والزلة والمعصية نظائر يقال خطا الشيء خطا إذا لم يرده واصابه واخطاه اخطاء إذا اراده فلم يصبه والاول خاطىء والثاني مخطىء والخطيئات جمع

(٢) قائله : زيد الخيل وصدره «بجيش تضل البلق في حجراته».

خطيئة مثل صحيفات جمع صحيفة وسفينات جمع سفينة والخطايا أيضاً جمع خطيئة والمحسن الفاعل للاحسان أو الفاعل للحسن يقال أحسن إلى غيره واحسن في فعله والفرق بينهما ان أحسن إليه لا يقال الا في النفع فلا يقال احسن الله إلى اهل النار بتعذيبهم ويقال احسن في تعذيبهم بالنار بمعنى احسن في فعله وتدبيره ويقال امرأة حسناء ولا يقال رجل احسن وحد الحسن ومن طريق الحكمة هو الفعل الذي يدعو إليه العقل وضده القبيح وهو الفعل الذي يزجر عنه العقل وحدّ الاحسان هو النفع الحسن وحدّ الاساءة هو الضرر القبيح وهذا إنما يصح على مذهب من يقول إنَّ الانسان يكون محسناً إلى نفسه ومسيئاً إليها ومن لم يذهب إليه يزيد فيه الواصل الى الغير مع قصده إلى ذلك والاولى في حد الحسن أن يقال هو الفعل الذي إذا فعله العالم به على وجه لم يستحق الذم.

[الاعراب] حيث ظرف مكان مبني على الضم وذكرنا في بنائه فيما قبل والجملة بعده في تقدير المضاف إليه ومما يسأل فيه ان يقال كيف بني على الضم وهو مضاف إلى الجملة على التشبيه بما حذف منه الاضافة وهو قبل وبعد وجوابه ان حيث مع اضافته إلى الجملة لا يمتنع ان يكون شبه قبل ونحوه قائماً فيه لأنه قد منع الاضافة إلى المفرد وان كان قد أضيف إلى الجملة وحق الاضافة ان تقع إلى المفرد وإذا كان كذلك فكأن المضاف إليه محذوف منه كقبل وبعد هذا على قول من بناه على الضم ومن بناه على غير الضم فقال حيث فلا يدخل عليه هذا السؤال ولا يجوز في القرآن الا الضم واما حطة فإنما ارتفع على الحكاية وقال الزجاج تقديره مسألتنا حطة أي حط ذنوبنا عنا وقيل تقديره دخولنا الباب سجداً حطة لذنوبنا ولو جاز قراءته بالنصب لكان وجهه في العربية حط عنا ذنوبنا حطة كما يقال سمعاً وطاعة أي اسمع سمعاً واطيع طاعة ومعاذ الله أي نعوذ بالله معاذاً وقوله نغفر لكم مجزوم لأنه جواب الأمر وإنما انجزم بالشرط فإن المعنى ان تقولوا نغفر لكم فحذف الشرط لدلالة الجزاء عليه ووقوع الأمر في الكلام وطوله به وحسن حذفه معه لأنه صار كالمعاقب له من حيث اجتمعا في أنهما غير موجبين وغير خبرين وهذا كما يحذف المبتدأ لدلالة الخبر عليه وقد يحذف الجزاء أيضاً لدلالة الشرط عليه في نحو قولهم أنت ظالم ان فعلت كما يحذف خبر المبتدأ لدلالة المبتدأ عليه قال سيبويه كان أصل خطايا خطائي مثل خطائع فإبدل من الياء همزة فصار خطائي مثل خطاعع فتجتمع همزتان فقلبت

الثانية ياء فصار خطائي مثل خطاعي ثم قلبت الياء والكسرة إلى الالف والفتحة فقيل خطاءاً مثل خطاعا كما فعل بمداري فقيل مدارىٰ ثم استثقل همزة بين الفين لأن الهمزة مجانسة للألِفات فكان كأنما اجتمعت ثلاث الفات فابدلت الهمزة ياء فقيل خطايا وقال الخليل اصل خطايا فعايل فقلبت إلى فعالى ثم قلب بعدُ على ما تبينت في المذهب الاول وإنما أُعِلَّ هذا الاعلال لأن الهمزة التي بعد الالف عارضة غير اصلية وتقول في جمع مِرآة مرائي فلا تُعِلّ لأن الهمزة عين الفعل.

[**المعنى**] أجمع المفسرون على أن المراد بالقرية هاهنا بيت المقدس ويؤيده قوله في موضع آخر ادخلوا الأرض المقدسة وقال ابن زيد أنها أريحا قرية قرب بيت المقدس وكان فيها بقايا من قوم عاد وهم العمالقة وراسهم عوج بن عنق يقول اذكروا ﴿ **إذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم** ﴾ أي أين شئتم ﴿ **رغداً** ﴾ أي موسعاً عليكم مستمتعين بما شئتم من طعام القرية بعد المن والسلوى وقد قيل أن هذه إباحة لهم منه لغنائمها وتملك أموالها إتماماً للنعمة عليهم ﴿ **وادخلوا الباب** ﴾ يعني الباب الذي أمروا بدخوله وقيل هو باب حطة من بيت المقدس وهو الباب الثامن عن مجاهد وقيل باب القبة التي كان يصلي إليها موسى وبنو إسرائيل وقال قوم هو باب القرية التي أمروا بدخولها قال أبو علي الجبائي والآية على قول من يزعم أنه باب القبة أدل منها على قول من يزعم أنه باب القرية لأنهم لم يدخلوا القرية في حياة موسى وآخر الآية يدل على أنهم كانوا يدخلون هذا الباب على غير ما أمروا به في أيام موسى لأنه قال ﴿ **فبدل الذين ظلموا قولاً غير الذي قيل لهم** ﴾ والعطف بالفاء التي هي للتعقيب من غير تراخ يدل على أن هذا التبديل منهم كان في أثر الأمر فدل ذلك على أنه كان في حياة موسى وقوله ﴿ **سجدا** ﴾ قيل معناه ركعاً وهو شدة الانحناء عن ابن عباس وقال غيره أن معناه ادخلوا خاضعين متواضعين يدل عليه قول الأعشى :

يُـرَاوِحُ مِـنْ صَـلَوَاتِ آلْـمَـلِيـك   طَـوْراً سُـجُـوداً وَطَـوْراً جُـؤَارا

وقيل معناه ادخلوا الباب فإذا دخلتموه فاسجدوا لله سبحانه شكراً عن وهب وقوله ﴿ **حطة** ﴾ قال الحسن وقتادة وأكثر أهل العلم معناه حط عنا ذنوبنا وهو أمر بالاستغفار وقال ابن عباس أمروا أن يقولوا هذا الأمر حق وقال عكرمة أمروا أن يقولوا لا إلٰه إلا الله لأنها تحط الذنوب وكل واحد من هذه الأقوال مما يحط الذنوب فيصح أن يترجم عنه بحطة وروي عن الباقر (ع) أنه قال نحن باب حطتكم وقوله ﴿ **نغفر لكم خطاياكم** ﴾ أي نصفح

ونعف عن ذنوبكم ﴿ **وسنزيد المحسنين** ﴾ أي وسنزيدهم على ما يستحقونه من الثواب تفضلاً كقوله تعالى ﴿**ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله**﴾ وقيل أن المراد به أن يزيدهم الإحسان على ما سلف من الإحسان بإنزال المن والسلوى وتظليل الغمام وغير ذلك .

﴿ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾

[**اللغة**] التبديل تغيير الشيء إلى غير حاله والرجز بكسر الراء العذاب في لغة أهل الحجاز وهو غير الرجس لأن الرجس النتن وقال النبي صلى الله عليه وآلهِ في الطاعون أنه رجز عذب به بعض الأمم قبلكم وقال أبو عبيدة الرجس والرجز لغتان مثل البزاق والبساق والزرع والسرع والرجز بضم الراء عبادة الأوثان وفسق يفسق والضم أشهر وعليه القراءة ومعنى الفسق في اللغة الخروج من العقيدة وكل من خرج عن شيء فقد فسق إلا أنه في الشرع مخصوص بالخروج عن أمر الله تعالى أو طاعته .

[**الإعراب**] غير الذي انتصب غير بأنه صفة لقول واصل غير أن يكون صفة تجري مجرى مثل وإذا أضيفا إلى المعارف لم يتعرفا لما فيها من الابهام لأن مثل الشيء يكون على وجوه كثيرة وكذلك غير الشيء يكون أشياء كثيرة غير مختلفة .

[**المعنى**] ثم بين سبحانه أنهم قد عصوا فيما أمروا به فقال ﴿ **فبدل الذين ظلموا قولاً غير الذي قيل لهم** ﴾ أي فخالف الذين عصوا والذين فعلوا ما لم يكن لهم أن يفعلوه وغَيّروا ما أمروا به فقالوا غير ذلك واختلف في ذلك الغير فقيل أنهم قالوا بالسريانية هاطا سماقاتا وقال بعضهم حطا سماقاتا ومعناه حنطة حمراء فيها شعيرة وكان قصدهم في ذلك الاستهزاء ومخالفة الأمر وقيل أنهم قالوا حنطة تجاهلاً واستهزاءً وكانوا قد أمروا أن يدخلوا الباب سجداً وطؤطىءَ لهم الباب ليدخلوه كذلك فدخلوه زاحفين على استاههم فخالفوا في الدخول أيضاً وقوله ﴿ **فأنزلنا على الذين ظلموا** ﴾ أي فعلوا ما لم يكن لهم فعله من تديلهم ما أمر الله به بالقول والفعل ﴿ **رجزاً** ﴾ أي عذاباً من السماءِ عن ابن عباس وقتادة والحسن ﴿ **بما كانوا يفسقون** ﴾ أي بكونهم فاسقين أو بفسقهم كقوله ﴿ **ذلك بما عصوا** ﴾ أي بعصيانهم وقال ابن زيد أهلكوا بالطاعون فمات منهم في ساعة واحدة أربعة وعشرون ألفاً من كبرائهم وشيوخهم وبقي الأبناء فانتقل عنهم العلم والعبادة كأنه يشير إلى أنهم

عوقبوا بإخراج الأفاضل من بينهم .

﴿ * وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾

[**اللغة**] الاستسقاءُ طلب السُقيا ويقال سقيته وأسقيته بمعنى وقيل سقيته من سقي الشفة وأسقيته دللته على الماء ويقال عصا وعصوان وثلاث أعص وجمعه عصي والانفجار الانشقاق والانبجاس أضيق منه فيكون أولاً انبجاساً ثم يصير انفجاراً والعين من الأسماء المشتركة فالعين من الماء مشبهة بالعين من الحيوان لخروج الماء منها كخروج الدمع من تيك[1] وبلد قليل العين أي قليل الناس وما بالدار عَيَنٌ متحركة الياء والعين مطر أيام لا يُقْلِع والعين الذهب والعين الميزان والعين الشمس والعين المتجسس للأخبار وقد تقدم ذكر أناس وأنه لا واحد له من لفظه ولا تعثوا أي ولا تفسدوا ولا تطغوا والعُثِيّ شدة الفساد يقال عثا يعثو عُثوًا وعثى يعثي عثى وعاث يعيث عيثاً وعيوثاً وعيثاناً قال رؤبة (وَعَاثَ فينا مُسْتَحِلٌ عَايِثُ) .

[**الإعراب**] إذا متعلق بكلام محذوف فكأنه قال واذكروا إذا استسقى ويجوز أن يكون معطوفاً على ما تقدم ذكره في الآيات المتقدمة وقوله اثنتا عشرة عيناً الشين ساكنة عند جميع القراء وكان يجوز كسرها في اللغة والكسر لغة ربيعة وتميم والإسكان لغة أهل الحجاز قال ابن جني أن ألفاظ العدد قد كثر فيها الإنحرافات وذلك أن لغة أهل الحجاز في غير العدد في نظير عَشْرة عَشِرَة فيقولون نَبِقة وفَخِذ يكسرون الثاني وبنو تميم يسكنون فيقولون نَبْقة وفخْذ فلما ركب الإسمان استحال الوزن فقال بنو تميم إحدى عشِرة واثنتا عشِرة بكسر الشين وقال أهل الحجاز عشْرة بسكونها وعينا منصوب على التمييز والإسم الثاني من اثنتا عشرة قام مقام النون في عشرون بدلالة سقوط النون من اثنتان وأن عشرة تعاقبها وكذلك التقدير في جميع ذلك وهو الثلاثة والثلاث من ثلاثة عشر وثلاث عشرة إلى

(١) تيك: إشارة إلى العين من الحيوان .

تسعة عشر وتسع عشرة أن يكون فيها نون فقام عشرة مقامها فلذلك لم يدخلها التنوين وإذا لم يدخلها تنوين لم تبن ومفسدين منصوب على الحال .

[**المعنى**] ثم عدّ سبحانه وتعالى على بني إسرائيل نعمة أخرى إضافة إلى نعمه العلى الأولى فقال ﴿ **وإذ استسقى موسى** ﴾ أي سأل موسى[١] قومه ماءً والسين سين الطلب وترك ذكر المسؤول ذلك إذ كان فيما ذكر من الكلام دلالة على معنى ما ترك وكذلك قوله ﴿ **فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت** ﴾ لأن معناه فضربه فانفجرت فترك ذكر الخبر عن ضرب موسى الحجر لأن فيما أبقاه من الكلام دلالة على ما ألقاه وهذا كما يقال أمرت فلاناً بالتجارة فاكتسب مالاً أي فأتجر واكتسب مالاً وقوم موسى هم بنو إسرائيل وإنما استسقى لهم ربه الماء في الحال التي تاهوا فيها في التيه فشكوا إليه الظمأ فأوحى الله تعالى إليه أن اضرب بعصاك وهو عصاه المعروفة وكان من آس الجنة دفعها إليه شعيب وكان آدم حمله من الجنة معه إلى الأرض وكان طوله عشرة أذرع على طول موسى وله شعبتان تتقدان في الظلمة نوراً وبه ضرب البحر فانفلق وهو الذي صار ثعباناً وأما الحجر فاختلف فيه فقيل كان يقرع لهم حجراً من عرض الحجارة فينفجر عيوناً لكل سبط عيناً وكانوا اثني عشر سبطاً ثم يسير كل عين في جدول إلى السبط الذي أمر بسقيهم عن وَهَب بن مُنبه وقيل كان حجراً بعينه خفيفاً إذا رحلوا حمل في مخلاة فإذا نزلوا ضربه موسى بعصاه فانفجر منه الماء عن ابن عباس وهذا أولى لدلالة الألف واللام للعهد عليه وقيل كانت حجرة فيها اثنتا عشرة حفرة وكان الحجر من الكذّان[٢] وكان يخرج من كل حفرة عين ماء عذب فرات فيأخذونه فإذا فرغوا أراد موسى حمله ضربه بعصاه فيذهب الماء وكان يسقي كل يوم ستمائة ألف عن أبي مسروق[٣] وروي أنه كان حجراً مربعاً وروي أنه كان مثل شكل الرأس وكان موسى إذا ضربه بعصاه انفجرت منه في كل ناحية ثلاث عيون لكل سبط عين وكانوا لا يرتحلون مرحلة إلا وجدوا ذلك الحجر[٤] بالمكان الذي كان به منهم في المنزل الأول وقوله ﴿ **فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً** ﴾ لا ينافي قوله في سورة الاعراف فانبجست لأن الانبجاس هو الانفجار إلا أنه أقل وقيل أنه لا يمتنع أن يكون أول ما يضرب عليه

(١) [أن يسقى] .

(٢) الكذّان: حجارة رخوة كأنّها مدر .

(٣) وفي نسختين مخطوطتين « أبي روق » بدل « أبي مسروق » وهو الظاهر .

(٤) [منهم] .

العصا كان ينبجس ثم يكثر حتى يصير انفجار وقيل كان ينبجس عند الحاجة وينفجر عند الحاجة وقيل كان ينبجس عند الحمل وينفجر عند الوضع وقوله ﴿ **قد علم كل أناس مشربهم** ﴾ أي قد علم كل سبط وفريق منهم موضع شربهم وقوله ﴿ **كلوا واشربوا** ﴾ أي وقلنا لهم كلوا واشربوا وهذا كلام مبتدأ وقوله ﴿ **من رزق الله** ﴾ أي كلوا من النعم التي مَنَّ الله بها عليكم من المنّ والسلوى وغير ذلك واشربوا من الماء فهذا كله من رزق الله الذي يأتيكم بلا مشقة ولا مؤنة ولا تبعة فإن الرزق ما للمرزوق أن ينتفع به وليس لأحد منعه منه وقوله ﴿ **ولا تعثوا** ﴾ أي لا تسعوا في الأرض فساداً وإنما قال ﴿ **لا تعثوا في الأرض مفسدين** ﴾ وإن كان العثي لا يكون إلا فساداً لأنه يجوز أن يكون فعل ظاهره الفساد وباطنه المصلحة فبين أن فعلهم هو العيث الذي هو الفساد ظاهراً وباطناً ومتى سئل فقيل كيف يجتمع ذاك الماء الكثير في ذلك الحجر الصغير وهل يمكن ذلك فالجواب أن ذلك من آيات الله الباهرة والأعاجيب الظاهرة الدالة على أنها من فعل الله تعالى المنشىء للأشياء القادر على ما يشاء الذي تذل له الصعاب ويتسبب له الأسباب فلا بدع من كمال قدرته وجلال عزته أن يبدع خلق المياه الكثيرة ابتداءاً معجزة لموسى ونعمة عليه وعلى قومه ومن استبعد ذلك من الملاحدة الذين ما قدروا الله حق قدره ولم يعرفوه حقيقة معرفته فالكلام عليهم إنما يكون في وجود الصانع وإثبات صفاته واتساع مقدوراته ولا معنى للتشاغل بالكلام معهم في الفرع مع خلافهم في الأصل .

﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ
يَـٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا
مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ
قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ
لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ
مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ
بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾

[**القراءة**] قرأ أهل المدينة النبيئين بالهمزة والباقون بغير همز .

[**الحجة**] قال أبو علي الحجة لمن همز النبيء أن يقول هو أصل الكلمة ألا ترى أن ناساً من أهل الحجاز حققوا الهمزة في الكلام ولم يبدلوه فلم يكن كماضي يدع ونحوه مما رفض استعماله فأما ما روي في الحديث من أن بعضهم قال يا نبيء الله فقال ﷺ لست نبيء الله ولكني نبيّ الله فأظن أن من أهل النقل من ضعّف اسناد هذا الحديث ويقوي ضعفه أن من مدح النبي ﷺ فقال :

يَـا خَـاتَمَ النُّبَّـاءِ إِنَّـكَ مُـرْسَلٌ   بِـالْحَقِّ خَيْرُ هُـدى آلإِلَهِ هُـدَاكَـا

لم يؤثر عنه انكار عليه فيما علمنا ولو كان في واحده نكير لكان الجمع كالواحد وحجة من أبدل ولم يحقق مجيء الجمع في التنزيل على أنبياء الذي هو في أكثر الأمر للمعتل اللام نحو صفي وأصفياء وغني وأغنياء فدل على أن الواحد قد ألزم فيه البدل فإذا ألزم فيه البدل ضعف فيه التحقيق ولا يجوز أن يكون اشتقاق النبي من النَبْوَة التي هي الارتفاع أو من النَباوة لأن سيبويه حكى أن جميع العرب يقولون تنبأ مسيلمة بالهمزة فدل على أن أصله الهمز وقال الزجاج يجوز أن يكون نبي من أنبأت فترك همزته لكثرة الاستعمال ويجوز أن يكون من نبا ينبو إذا ارتفع فيكون فعيلاً من الرفعة .

[**اللغة**] الطعام ما يتغذّى به والطعم بضم الطاء الأكل والطعم عرَض يدرك بحاسة الذوق والطعام من قبيل الأجسام والواحد أول عدد الحساب وحدُّه مالا يتجزى والله تعالى واحد لتفرده بصفاته الحسنى والدعاء أصله النداء عن ابن السراج وكل من يدعو ربه فهو يناديه وحقيقة الدعاء قول القائل لمن فوقه افعل والفرق بينه وبين الأمر يظهر بالرتبة والانبات إخراج النبات وأصله من الظهور فكأنه ظهر إذا نبت والبقل ما ينبته الربيع يقال بقلت الأرض وأبقلت لغتان فصيحتان إذا أنبتت البقل فالبقل كل نبات ليس له ساق وفي القثاء لغتان ضم القاف وكسرها والكسر أجود وهي لغة القرآن وقد روي عن عيسى الثقفي في الشواذ بالضم والفوم هو الحنطة عن ابن عباس وقتادة والسدي وهو المروي عن أبي جعفر الباقر عليه السلام وأنشد ابن عباس قول أُحيحة بن الجُلاح :

قَدْ كُنْتُ أَغْنى النَّاسِ شَخْصاً وَاحِداً   وَرَدَ آلْمَـدِيْنَـةَ عَـنْ زِرَاعَـةِ فُـوْمِ

وقال الفراء والأزهري هو الحنطة والخبز تقول العرب فوموا لنا أي اختبزوا وقال قوم هو الحبوب التي تخبز وقال الكسائي هو الثوم أبدل من الثاء فاءً كما قالوا جدث وجدف

قال الفراء وهذا أشبه بما ذكره بعده من البصل قال الزجاج وهذا بعيد لأنه لا يعرف الثوم بمعنى الفوم لأن القوم لا يجوز أن يطلبوا الثوم ولا يطلبون الخبز الذي هو الأصل وهذا ضعيف لأنه قد روي في الشواذ عن ابن مسعود وابن عباس وثومها بالثاء والعدس حب معروف وقوله أدنى أي أقرب وأدون كما تقول هذا شيءٌ مقارب أو دون ويجوز أن يكون أدنى من الدِناءَة وهي الخِسة يقال دَنأَ دَناءَة فهو دني وهو أدنى منه فتركت همزتها وهو اختيار الفراء وحكى الأزهري عن ابن زيد الدني بلا همز الخسيس والدنيء بالهمزة الماجن وأما اشتقاق مصر فقال بعضهم هو من القطع لانقطاعه بالعمارة عما سواه ومنهم من قال هو مشتق من الفصل بينه وبين غيره وقال عدي بن زيد :

وَجَاعِلُ الشَّمْسِ مِصْراً لا خَفَاءَ بِهِ ... بَيْنَ النَّهَارِ وبَيْنَ اللَّيْلِ قَدْ فَصَلاَ

وضربت عليهم الذلة أي فرضت ووضعت عليهم الذلة والزموها من قولهم ضرب الإمام الجزية على أهل الذمة وضرب الأمير على عبيده الخراج وقيل ضربت عليهم الذلة أي حلوا بمنزل الذل والمسكنة مأخوذ من ضرب القباب قال الفرزدق :

ضَرَبَتْ عَلَيْكَ العَنْكَبُوتُ بِنَسْجِهَا ... وَقَضَى عَلَيْكَ بِهِ ٱلْكِتَابُ المُنْزَلُ

وأما الذلة فمشتقة من قولهم ذل فلان يذل ذُلّا وذلّة والمسكنة مصدر المسكين يقال ما فيهم أسكن من فلان وما كان مسكيناً ولقد تمسكن تمسكنا ومنهم من يقول تَسَكَّنَ تَسَكُّنا والمسكنة هاهنا مسكنة الفاقة والحاجة وهي خشوعها وذلها وقوله وباؤوا بغضب أي انصرفوا ورجعوا ولا يقال باء إلا موصولاً أما بخير وأما بشر وأكثر ما يستعمل في الشر ويقال باءَ بذنبه يبوء به قال المبرد وأصله المنزلة أي نزلوا منزلة غضب الله وروي أن رجلاً جاء برجل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال هذا قاتل أخي وهو بواءٌ به أي مقتول به ومنه قول ليلى الأخيلية :

فَإِنْ تَكُن القَتْلَى بَواءً فَإِنَّكُمْ ... فتىً مَا قَتَلْتُمْ آلَ عَوْفِ بنِ عَامِرِ

قال الزجاج أصل ذلك التسوية ومنه ما روي عن عبادة بن الصامت قال جعل الله تعالى الأنفال إلى نبيه فقسمها بينهم على بواء أي على سواء بينهم في القسم ومنه قول الشاعر(١) :

---

(١) قائلته : امرأة من طيّ .

فَيَقْتُلَ جَبْراً بِامرىءٍ لَمْ يَكُنْ لَـهُ بَـواءً ولٰكِنْ لا تَكَـايُـلَ بِـالـدَّمِ

وقال قوم هو الاعتراف ومعناه أنهم اعترفوا بما يوجب غضب الله ومنه قول الشاعر :

إنّي أَبُــوءُ بِعَثْــرَتِي وخَــطِيْئَتِي رَبّي وَهَـلْ إلَّا إلَيْكَ المَهْـرَبُ

والغضب إرادة إيصال الضرر إلى من غضب عليه فإذا أضيف إلى الله تعالى فالمراد به أنه يريد إنزال العقوبة بالمغضوب عليه نعوذ بالله من غضبه والنبي اشتقاقه من النبأ الذي هو الخبر لأنه المخبر عن الله سبحانه فإن قلت لم لا يكون من النباوة ومما أنشده أبو عثمان قال أنشدني كيسان :

مَحْضُ الضَّرِيبَةِ فـي البَيْتِ الَّذِي وُضِعَتْ فِيْــهِ النَّبَـاوَةُ حـلْـواً غَـيْـرَ مَمْـذُوْقِ(١)

فالقول فيه أنه لا يجوز أن يكون منها لأن سيبويه زعم أنهم يقولون في تحقير النبوة كان مسيلمة نُبَيئة سوء وكلهم يقول تنبأ مسيلمة فلو كان يحتمل الأمرين لما اجتمعوا على ذلك قال أبو علي ومما يقوي أنه من النبأ الذي هو الخبر أن النباوة الرفعة وكأنه قال في البيت الذي وضعت فيه الرفعة وليس كل رفعة نبوة وقد يكون في البيت رفعة ليست بنبوة والمخبر عن الله تعالى المبلغ عنه نبي ورسول فهذا الإسم أخص به وأشد مطابقة للمعنى المقصود إذا أخذ من النبأ والاعتداء تجاوز الحد الذي حده الله لعباده إلى غيره وكل مجاوز حد شيء إلى غيره فقد تعداه إلى ما تجاوز إليه .

[**الإعراب**] قوله يخرج لنا مجزوم لأنه جواب أمر محذوف لأن تقديره أدع لنا ربك وقل له أخرج لنا يخرج لنا وقد ذكرنا فيما قبل أن الأصل فيه أنه مجزوم بالشرط وحذف الشرط لأن الكلام يدل عليه وقيل أن تقديره أن يكون يخرج مجزوماً بإضمار اللام أي ليخرج لنا نحو قوله :﴿ **قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلاة** ﴾ أي ليقيموا فحذف اللام وأنشد أبو زيد :

فَيُضْحِي صَـرِيْعـاً مـا يَقُوْمُ لحاجَـةٍ وَلَا يَسْمَعُ الدَّاعِي ويُسْمِعْكَ منْ دَعَا

وأنشد غيره :

فَـقُـلْ آدْعِـي وأَدْعُ فإنَّ أَنْدَى لِصَــوتٍ أَنْ يُنَـادِيَ داعِـيَـانِ

(١) الضريبة : الطبيعة والسجيّة وفي شرح شواهد المجمع الضريبة بالمهملة وجلواً بالجيم .

أي ولأدع وقال آخر(١):

مُحَمَّدُ تَفْدِ نَفْسَكَ كلُّ نفسٍ إِذَا ما خِفْتَ مِنْ أمرٍ تَبالا

أي لِتَفد قال المبرد حدثني المازني قال جلست في حلقة الفراء فسمعته يقول لأصحابه لا يجوز حذف لام الأمر إلا في الشعر ثم أنشد:

مَنْ كَانَ لَا يَزْعَمُ أَنِّي شَاعِرُ فَيدْنُ مِنِّي يَنْهَهُ الزواجرُ

فقلت له لم جاز في الشعر ولم يجز في الكلام قال لأن الشعر يضطر فيه الشاعر فيحذف قال فقلت فما اضطره هاهنا وهو يمكنه أن يقول فليدن مني قال فسأل عني فقيل المازني فأوسع لي وقوله ﴿ **مما تنبت الأرض**﴾ من هنا للتبعيض لأن المراد يخرج لنا بعض ما تنبته الأرض وقال بعضهم أن من هنا زائدة نحو قولهم ما جاءني من أحد والصحيح الأول لأن من لا تزاد في الإيجاب وإنما تزاد في النفي ولأن من المعلوم أنهم لم يريدوا جميع ما تنبته الأرض ونَوّنَ جمع القراء مصراً لأنه أراد مصراً من الأمصار بغير تعيين لأنهم كانوا في تيه ويجوز أن يكون المراد مِصْرَ بعينها البلدة المعروفة وصرفه لأنه مذكر وروي عن ابن مسعود أنه قرأ بغير ألف ويجوز أن يكون المراد مصر هذه بعينها كما قال ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين وإنما لم يصرفه لأنه اسم المدينة فهو مذكر سمي به مؤنث ويمكن أن يكون إنما نَوَّنه مَنْ نَوَّنه اتباعاً للمصحف لأنه مكتوب في المصحف بألف وقوله ذلك بأنهم كانوا يكفرون قال الزجاج معناه والله أعلم الغضب حلّ بهم بكفرهم وأقول في بيانه أن ذلك إشارة إلى الغضب في قوله ﴿**وباؤوا بغضب**﴾ فهو في موضع الرفع بالابتداء وإن مع صلته من الإسم والخبر في موضع جر بالباء والجار يتعلق بخبر المبتدأ وهي جملة من الفعل والفاعل حذفت لدلالة ما يتصل بها عليها وكذلك قوله ﴿**ذلك بما عصوا**﴾ فإن ما مع صلته في تأويل المصدر .

[**المعنى**] لما عدد سبحانه فيما قبل ما أسداه إليهم من النعم والإحسان ذكر ما قابلوا به تلك النعم من الكفران وسوء الاختيار لنفوسهم بالعصيان فقال ﴿ **وإذ قلتم** ﴾ أي قال أسلافكم من بني إسرائيل ﴿ **يا موسى لن نصبر على طعام واحد** ﴾ أي لن نطيق حبس أنفسنا على طعام واحد وإنما قال على طعام واحد وإن كان طعامهم المن والسلوى وهما شيآن لأنه أراد به أن طعامهم في كل يوم واحد أي يأكلون في اليوم ما كانوا يأكلونه في الأمس كما يقال أن طعام فلان في كل يوم واحد وإن كان يأكل ألواناً إذا حبس نفسه على

(١) القائل: أبو طالب بن عبد المطلب .

ألوان من الطعام لا يعدوها إلى غيرها وقيل أنه كان ينزل عليهم المن وحده فَملّوه فقالوا ذلك فأنزل عليهم السلوى من بعد ذلك وقوله ﴿ **فادع لنا ربك** ﴾ أي فاسأل ربك وادعه لأجلنا ﴿ **يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها** ﴾ أي مما تنبته الأرض من البقل والقثاء ومما سماه الله مع ذلك وكان سبب مسألتهم ذلك ما رواه قتادة قال كان القوم في البرية قد ظلل عليهم الغمام وأنزل عليهم المن والسلوى فمَلّوا ذلك وذكروا عيشاً كان لهم بمصر فسألوا موسى فقال الله ﴿ **اهبطوا مصراً فإن لكم ما سألتم** ﴾ وتقديره فدعا موسى فاستجبنا له فقلنا لهم اهبطوا مصراً وقيل إنهم قالوا لا نصبر على الغنى بأن يكون جميعنا أغنياء فلا يقدر بعضنا على الاستعانة ببعض فلذلك قالوا يخرج لنا مما تنبت الأرض ليحتاجوا فيه إلى أعوان فيكون الفقير عوناً للغني وقوله ﴿ **أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير** ﴾ معناه قال لهم موسى وقيل بل قال الله لهم أتتركون ما اختار الله لكم وتؤثرون ما هو أدون وأردى على ذلك وقيل أنه أراد أتستبدلون ما تبتذلون في زراعته وصناعته بما أعطاه الله إياكم عفواً من المن والسلوى وقيل المراد تختارون الذي هو أقرب أي أقل قيمة على الذي هو أكثر قيمة وألذ واختلف في سؤالهم هذا هل كان معصية فقيل لم يكن معصية لأن الأول كان مباحاً فسألوا مباحا آخر وقيل بل كان معصية لأنهم لم يرضوا بما اختاره الله لهم ولذلك ذمهم على ذلك وهو أوجه وقوله ﴿ **اهبطوا مصراً** ﴾ اختلف فيه فقال الحسن والربيع أراد مصر فرعون الذي خرجوا منه وقال أبو مسلم أراد بيت المقدس وروي ذلك عن ابن زيد وقال قتادة والسُدّي ومجاهد أراد مصرا من الأمصار يعني أن ما تسألونه إنما يكون في الأمصار ولا يكون في المفاوز أي إذا نزلتم مدينة ذات طول وعرض ﴿ **فإن لكم** ﴾ فيها ﴿ **ما سألتم** ﴾ من نبات الأرض وقد تم الكلام هاهنا ثم استأنف حكم الذين اعتدوا في السبت ومن قتل الأنبياء فقال ﴿ **وضربت عليهم الذلة والمسكنة** ﴾ أي الزموا الذلة الزاماً لا يبرح عنهم كما يضرب المسمار على الشيء فيلزمه وقيل المراد بالذلة الجزية لقوله ﴿ **حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون** ﴾ عن الحسن وقتادة وقيل هو الكُسْتيج[1] وزيّ اليهود عن عطا وقوله ﴿ **والمسكنة** ﴾ يعني زي الفقر فترى المثري منهم يتباءس مخافة أن يضاعف عليه الجزية وقال قوم هذه الآية تدل على فضل الغنى لأنه ذَمَّهم على الفقر وليس ذلك بالوجه لأن المراد به فقر القلب لأنه قد يكون في اليهود مياسير ولا يوجد يهودي غَنّي النفس وقال

(١) الكستيج بالضم : خيط غليظ يشُدّه الذِمّي فوق ثيابه دون الزنار وهو معرّب كستي .

النبي ﷺ الغنى غنى النفس وقال ابن زيد أبدل الله اليهود بالعز ذلاً وبالنعمة بؤساً وبالرضا عنهم غضباً جزاء لهم بما كفروا بآياته وقتلوا أنبياءه ورسله اعتداء وظلماً ﴿ **وباءوا بغضب من الله** ﴾ أي رجعوا منصرفين متحملين غضب الله قد وجب عليهم من الله الغضب وحل بهم منه السخط وقال قوم الغضب هو ما حَلَّ بهم في الدنيا من البلاء والنقمة بدلاً من الرخاء والنعمة وقال آخرون هو ما ينالهم في الآخرة من العقاب على معاصيهم ثم أشار إلى ما تقدم ذكره فقال ﴿ **ذلك** ﴾ أي ذلك الغضب وضرب الذلة والمسكنة حل بهم لأجل ﴿ **أنهم كانوا يكفرون بآيات الله** ﴾ أي يجحدون حجج الله وبيناته وقيل أراد بآيات الله الإنجيل والقرآن ولذلك قال فباءوا بغضب على غضب الأول لكفرهم بعيسى والإنجيل والثاني لكفرهم بمحمد والقرآن وقيل آيات الله صفة محمد ﷺ وقوله ﴿ **ويقتلون النبيين بغير الحق** ﴾ أي بغير جرم كزكريا ويحيى وغيرهما وقوله بغير الحق لا يدل على أنه قد يصح أن يقتل النبيون بحق لأن هذا خرج مخرج الصفة لقتلهم وأنه لا يكون إلا ظلماً بغير حق كقوله تعالى ﴿ **ومن يدع مع الله إلَهاً آخر لا برهان له به** ﴾ ومعناه أن ذلك لا يمكن أن يكون عليه برهان وكقول الشاعر (على لاحبٍ لا يُهتدىٰ بمَناره) ومعناه ليس هناك منار يهتدى به وفي أمثاله كثرة وقوله ﴿ **ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون** ﴾ ذلك إشارة إلى ما تقدم أيضاً بعصيانهم في قتل الأنبياء وعدوهم السبت وقيل بنقضهم العهد واعتدائهم في قتل الأنبياء والمراد إني فعلت بهم ما فعلت من ذلك بعصيانهم أمري وتجاوزهم حدي إلى ما نهيتهم عنه .

[**سؤال**] إن قيل كيف يجوز التخلية بين الكفار وقتل الأنبياء [**فالجواب**] إنما جاز ذلك لتنال أنبياء الله سبحانه من رفع المنازل والدرجات مالا ينالونه بغير القتل وليس ذلك بخذلان لهم كما أن التخلية بين المؤمنين والأولياء والمطيعين وبين قاتليهم ليست بخذلان لهم وقال الحسن أن الله تعالى لم يأمر نبياً بالقتال فقتل فيه وإنما قتل من الأنبياء من قتل في غير قتال والصحيح أن النبي إن كان لم يؤد الشرع الذي أمر بتأديته لم يجز أن يمكّن الله سبحانه من قتله لأنه لو مكّن من ذلك لأدى إلى أن يكون المكلفون غير مزاحي العلة في التكليف وفيما لهم من الألطاف والمصالح فأما إذا أدى الشرع فحينئذ يجوز أن يخلي الله بينه وبين قاتليه ولم يجب عليه المنع من قتله وروى أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال اختلفت بنو إسرائيل بعد موسى بخمسمائة سنة حتى كثر فيهم أولاد السبايا واختلفوا بعد عيسى بمائتي سنة .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾

[**القراءة**] قرأ نافع بترك الهمزة من الصابئين والصابئون في كل القرآن والباقون يهمزون .

[**الحجة**] ترك الهمزة يحتمل وجهين (أحدهما) أن يكون من صبا يصبو إذا مال إلى الشيء والآخر قلب الهمزة قال أبو علي ولا يسهل أن يأخذه من صبا يصبو لأنه قد يصبو الإنسان إلى الدين فلا يكون منه تدين به مع صبوّه إليه فإذا بعد هذا وكان الصابئون منتقلين من دينهم الذي أخذ عليهم إلى سواه لم يستقم أن يكن إلا من صبأت الذي معناه انتقال من دينهم إلى دين لم يشرع لهم فيكون على قلب الهمز وقلب الهمز على هذا الحد لا يجيزه سيبويه إلا في الشعر فدل على أن القائل لذلك غير فصيح وأنه مخلط في لغته فالإختيار الهمز ولأنه قراءة الأكثر وإلى التفسير أقرب .

[**اللغة**] هادوا أي صاروا يهوداً ودانوا باليهودية وهاد يهود هوداً أي تاب واختلف في اشتقاق اسم اليهود فقيل هو من الهود أي التوبة ومنه قوله ﴿ **إنا هُدنا إليك** ﴾ عن ابن جريج وسموا بذلك لتوبتهم عن عبادة العجل وقال زهير :

سِوَى مَرْبَعٍ لَمْ يَأتِ فِيْهِ مَخَافَةً وَلَا رَهَقاً مَنْ عَابِدٍ مُتَهَوِّدِ

أي تائب وقيل إنما سموا يهوداً لأنهم نسبوا إلى يهوذا أكبر ولد يعقوب فعربت الذال دالاً وقيل إنما سموا يهوداً لأنهم هادوا أي مالوا عن الإسلام وعن دين موسى وقيل سموا بذلك لأنهم يتهودون أي يتحركون عند قراءة التوراة ويقولون أن السماوات والأرض تحركت حين آتى الله موسى (ع) التوراة واليهود اسم جمع واحدهم يهودي كالزنجي والزنج والرومي والروم والنصارى جمع نصران كقولهم سكران وسكارى وندمان وندامى

هذا قول سيبويه قال الشاعر :

تَـرَاهُ إذَا كَـانَ العَشِيُّ مُحَـنَّفـاً   يُضَحَّى لَدَيْهِ وَهُوَ نَصْرَانُ شَـامِسُ

وهو الممتلىء نصراً كما أن الغضبان هو الممتلىء غضباً وقيل في مؤنثه نصرانة كما قال (كما سجدت نصرانة لم تحنف) .

وقيل أن واحد النصارى نصرى مثل مهرى ومهارى واختلفوا في اشتقاق هذا الإسم فقال ابن عباس هو من ناصرة قرية كان يسكنها عيسى (ع) فنسبوا إليها وقيل سموا بذلك لتناصرهم أي نصرة بعضهم بعضاً وقيل إنما سموا بذلك لقوله **﴿من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله﴾** والصابئون جمع صابىء وهو من انتقل[1] إلى دين آخر وكل خارج من دين كان عليه إلى آخر غيره سمي في اللغة صابئاً قال أبو علي قال أبو زيد صبأ الرجل في دينه يصبأ صبوباً إذا كان صابئاً وصبأ ناب الصبي يصبأ صبأً إذا طلع وصَبَأَتْ عليهم تَصْبأ صبأ وصُبوءاً إذا طلعت عليهم وطرأت مثله فكأن معنى الصابىء التارك دينه الذي شرع له إلى دين غيره كما أن الصابىء على القوم تارك لأرضه ومنتقل إلى سواها والدين الذي فارقوه هو تركهم التوحيد إلى عبادة النجوم أو تعظيمها قال قتادة وهم قوم معروفون ولهم مذهب يتفردون به ومن دينهم عبادة النجوم وهم يقرون بالصانع وبالمعاد وببعض الأنبياء وقال مجاهد والحسن الصابئون بين اليهود والمجوس لا دين لهم وقال السدي هم طائفة من أهل الكتاب يقرأون الزبور وقال الخليل هم قوم دينهم شبيه بدين النصارى إلا أن قبلتهم نحو مهبّ الجنوب حيال منتصف النهار يزعمون أنهم على دين نوح وقال ابن زيد هم أهل دين من الأديان كانوا بالجزيرة جزيرة الموصل يقولون لا إلّه إلا الله ولم يؤمنوا برسول الله فمن أجل ذلك كان المشركون يقولون للنبي (ع) ولأصحابه هؤلاء الصابئون يشبهونهم بهم وقال آخرون هم طائفة من أهل الكتاب والفقهاء بأجمعهم يجيزون أخذ الجزية منهم وعندنا لا يجوز ذلك لأنهم ليسوا بأهل كتاب .

[الإعراب] خبر إنّ جملة قوله **﴿من آمن بالله واليوم الآخر﴾** الآية لأن معناه من آمن منهم بالله واليوم الآخر فترك ذكر منهم لدلالة الكلام عليه وقوله **﴿فلهم أجرهم عند ربهم﴾** إلى آخر الآية في موضع الجزاء وإنما رفع ولا خوف لتكرير لا كقول الشاعر :

(١)] من دين [.

وما صرمتك حتى قلت معلنة لا ناقة لي في هذا ولا جمل(١)

وهذا كأنه جواب لمن قال أناقة لك في هذا أم جمل فأما النكرة المفردة ففيه الفتح لا غير نحو لا رجل في الدار وهو جواب هل من رجل في الدار، وإنما قال من آمن فوحّد ثم قال ﴿ **فلهم أجرهم** ﴾ فجمع لأنّ مَن موحّد اللفظ مجموع المعنى على ما تقدم بيانه .

[**المعنى**] ﴿ **إن الذين آمنوا** ﴾ اختلف في هؤلاء المؤمنين مَن هم فقال قوم هم الذين آمنوا بعيسى ثم لم يتهودوا ولم يتنصروا ولم يصبأوا وانتظروا خروج محمد صلى الله عليه وآله وقيل هم طلاب الدين منهم حبيب النجار وقَسّ بن ساعدة وزيد بن عمرو بن نفيل ورقة بن نوفل والبراء الشنّي وأبو ذر الغفاري وسلمان الفارسي وبحير الراهب ووفد النجاشي آمنوا بالنبي صلى الله عليه وآله قبل مبعثه فمنهم من أدركه وتابعه ومنهم من لم يدركه وقيل هم مؤمنوا الأمم الماضية وقيل هم المؤمنون من هذه الأمة وقال السدي هو سلمان القارسي وأصحابه النصارى الذين كان قد تنصر على أيديهم قبل مبعث رسول الله وكانوا قد أخبروه بأنه سيبعث وأنهم يؤمنون به أن أدركوه واختلفوا في قوله ﴿ **من آمن بالله واليوم الآخر**﴾ فقال قوم هو خبر عن الذين هادوا والنصارى والصابئين والضمير يرجع إليهم لأن الذين آمنوا قد كانوا مؤمنين فلا معنى أن يشرط فيهم استئناف الإيمان فكأنه قال أن الذين آمنوا ومن آمن من اليهود والنصارى والصابئين بالله واليوم الآخر فلهم أجرهم وقال آخرون من آمن منهم الضمير راجع إلى الكل ويكون رجوعه إلى الذين آمنوا بمعنى الثبات منهم إيمانهم والاستقامة وترك التبديل وإلى الذين هادوا والنصارى والصابئين بمعنى استئناف الإيمان بالنبي ﷺ وما جاء به وقال بعضهم أراد من آمن بمحمد ﷺ بعد الإيمان بالله وبالكتب المتقدمة لأنه لا يتم أحدهما إلا بالآخر ونظيره قوله ﴿**والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزّل على محمد**﴾ وروي عن ابن عباس أنه قال أنها منسوخة بقوله ﴿**ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه**﴾ وهذا بعيد لأن النسخ لا يجوز أن يدخل الخبر الذي هو متضمن للوعد وإنما يجوز دخوله في الأحكام الشرعية التي يجوز تغيرها وتبدلها بتغير المصلحة فالأولى أن يحمل على أنه لم يصح هذا القول عن ابن عباس وقال قوم أن حكمها ثابت والمراد بها أن الذين آمنوا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم من المنافقين واليهود والنصارى والصابئين إذا آمنوا بعد النفاق وأسلموا بعد العناد كان لهم أجرهم عند ربهم كمن آمن في أول استدعائه إلى الإيمان من غير نفاق ولا عناد لأن قوماً من المسلمين قالوا

(١) قائله : الراعي عبيد بن حصين وفي النسخ المخطوطة والمطبوعة « هجرتك » بدل « صرمتك » .

أن من أسلم بعد نفاقه وعناده كان ثوابه انقص وأجره أقلّ فأخبر الله بهذه الآية أنهم سواء في الأجر والثواب وقوله ﴿بالله﴾ أي بتوحيد الله وصفاته وعدله ﴿واليوم الآخر﴾ يعني يوم القيامة والبعث والنشور والجنة والنار ﴿ وعمل صالحاً ﴾ أي عمل ما أمره الله به من الطاعات وإنما لم يذكر ترك المعاصي لأن تركها من الأعمال الصالحة ﴿ فلهم أجرهم ﴾ أي جزاؤهم وثوابهم ﴿ عند ربهم ﴾ أي معدٌّ لهم عنده وقوله ﴿ ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ مضى تفسيره قبل وقيل معناه لا خوف عليهم فيما قدّموا ولا هم يحزنون على ما خلّفوا وقيل لا خوف عليهم في العقبى ولا يحزنون على الدنيا وفي هذه الآية دلالة على أن الإيمان هو التصديق والاعتقاد بالقلب لأنه تعالى قال : ﴿ من آمن بالله ﴾ ثم عطف عليه بقوله ﴿وعمل صالحاً﴾ ومن حمل ذلك على التأكيد أو الفضل فقد ترك الظاهر وكل شيء يذكرونه مما عطف على الأول بعد دخوله فيه مثل قوله ﴿فيهما فاكهة ونخل ورمان﴾ وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح فإن جميع ذلك على سبيل المجاز والاتساع ولو خلينا والظاهر لقلنا أنه ليس بداخل في الأول .

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَـٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾

[**اللغة**] الميثاق هو مفعال من الوثيقة أما بيمين وأما بعهد أو غير ذلك من الوثائق والطور الجبل في اللغة قال العجاج :

دَانَى جَنَـاحَيْـهِ مِنَ الـطُّوْرِ فَمَـرْ   تَقَضِّيَ البَـازِي إِذِ البَـازِي كَسَـر

وقيل أنه اسم جبل بعينه ناجى الله عليه موسى عليه السلام عن ابن عباس والقوة القدرة وهي عَرَض يصير به الحي قادراً وكل جسم قادر بقدرة لا يصح منه فعل الجسم والأخذ ضد الاعطاء وأصل خذ أؤخذ وكذا كل أصله أؤكل وإنما لزم الحذف فيها تخفيفاً لكثرة الاستعمال وكذلك مر وقد جاء فيه أؤمر على الأصل .

[**الإعراب**] خذوا ما آتيناكم محله نصب على تقدير رتلنا لكم خذوا كما تقول أوجبت عليه قم أي أوجبت عليه فقلت قم قال الفراء أخذ الميثاق قول ولا حاجة بالكلام

إلى إضمار القول فيه غير أنه ينبغي لكل ما خالف القول من الكلام الذي هو بمعنى القول أن يكون معه أن كقوله ﴿ **انا أرسلنا نوحاً إلى قومه أن أنذر قومك** ﴾ قال ويجوز حذف أن وموضع ما هاهنا نصب .

[**المعنى**] ثم عاد إلى خطاب بني إسرائيل فقال ﴿ **و** ﴾ اذكروا ﴿ **إذ أخذنا ميثاقكم** ﴾ أي عهدكم والعهد هو الذي فطر الله الخلق عليه من التوحيد والعدل ونصب لهم من الحجج الواضحة والبراهين الساطعة الدالة على ذلك وعلىَ صدق الأنبياء والرسل وقيل أنه أراد به الميثاق الذي أخذه الله على الرسل في قوله وإذا أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءَكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه الآية وقيل هو أخذ التوراة عن موسى ﴿ **ورفعنا فوقكم الطور** ﴾ قال أبو زيد هذا حين رجع موسى من الطور فأتى بالألواح فقال لقومه جئتكم بالألواح وفيها التوراة والحلال والحرام فاعملوا بها قالوا ومن يقبل قولك فأرسل الله عز وجل الملائكة حتى نتقوا الجبل فوق رؤوسهم فقال موسى عليه السلام إن قبلتم ما آتيتكم به وإلا أرسلوا الجبل عليكم فأخذوا التوراة وسجدوا لله تعالى ملاحظين إلى الجبل فمن ثم يسجد اليهود على أحد شقي وجوههم قيل وهذا هو معنى أخذ الميثاق وكان في حال رفع الجبل فوقهم لأن في هذه الحال قيل لهم ﴿ **خذوا ما آتيناكم** ﴾ يعني التوراة ﴿ **بقوة** ﴾ أي بجدّ ويقين لا شك فيه وهو قول ابن عباس وقتادة والسدي وقريب منه ما روى العياشي أنه سئل الصادق عليه السلام عن قول الله عز وجل ﴿ **خذوا ما آتيناكم بقوة** ﴾ أبقوة بالابدان أم بقوة بالقلوب فقال بهما جميعاً وقيل أخذه بقوة هو العمل بما فيه بعزيمة وجِدّ وقيل بقدرة وأنتم قادرون على أخذه عن أبي علي والأصم ﴿ **واذكروا ما فيه** ﴾ يعود الضمير من فيه إلى ما من قوله ما آتيناكم وهو التوراة يعني احفظوا ما في التوراة من الحلال والحرام ولا تنسوه وقيل معناه اذكروا ما في تركه من العقوبة وهو المروي عن أبي عبد الله عليه السلام وقيل معناه اعملوا بما فيه ولا تتركوه وقيل المعنى في ذلك أن ما آتيناكم فيه من وعد ووعيد وترغيب وترهيب تدبروه واعتبروا به واقبلوه ﴿ **لعلكم تتقون** ﴾ أي كي تتقوني إذا فعلتم ذلك وتخافوا عقابي وتنتهوا إلى طاعتي وتنزعوا[1] عما أنتم عليه من المعصية .

﴿ ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّن

(١) وفي نسختين من نسخنا « تورّعوا » بدل « تنزعوا » .

بَعْدِ ذَٰلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٤﴾

[**اللغة**] توليتم أعرضتم وهو مطاوع قولهم ولاه فلان دبره إذا استدبر عنه وجعله خلف ظهره ثم يستعمل ذلك في كل تارك طاعة آمر ومعرض بوجهه عنه فيقال تولى فلان عن طاعة فلان وتولى عن صداقته ومنه قوله ﴿ **فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا** ﴾ أي خالفوا ما وعدوا الله من قولهم لنصدقنّ ولنكوننّ من الصالحين والخاسر هو الذي ذهب رأس ماله ورأس مال الإنسان نفسه وما سواها مما يحصل له من المنافع فهو كله ربح .

[**المعنى**] معنى الآية ثم نبذتم العهد الذي أخذناه عليكم بعد إعطائكم المواثيق وراء ظهوركم وأعرضتم عنه ﴿ **فلولا فضل الله عليكم** ﴾ أي فلولا أن الله تفضّل عليكم بالتوبة بعد نكثكم الميثاق الذي واثقتموه إذ رفع فوقكم الطور وأنعم عليكم بالإسلام ورحمته التي رحمكم بها فتجاوز منكم خطيئتكم بمراجعتكم طاعة ربكم ﴿ **لكنتم من الخاسرين** ﴾ وقال أبو العالية فضل الله الإيمان ورحمته القرآن فيكون معناه لولا إقداري لكم على الإيمان وإزاحة علتكم فيه حتى فعلتم الإيمان لكنتم من الخاسرين وإنما جعل الإيمان فضلاً وتوبته التي بها نجوا ولم يكونوا بها خاسرين فضلاً منه من حيث كان هو الداعي إليه والمُقدّر عليه والمُرغّب فيه ويحتمل أن يكون المعنى فلولا فضل الله عليكم بإمهاله إياكم بعد توليكم عن طاعته حتى تاب عليكم برجوع بعضكم عن ذلك وتوبته لكنتم من الخاسرين ويحتمل أن يريد فلولا فضلي عليكم في رفع الجبل فوقكم للتوفيق واللطف الذي تبتم عنده حتى زال العذاب عنكم وسقوط الجبل لكنتم من الخاسرين .

﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾

[**اللغة**] علمتم أي عرفتم هنا تقول علمت أخاك ولم أكن أعلمه أي عرفته ولم أكن أعرفه كقوله تعالى : ﴿ **وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم** ﴾ أي لا تعرفونهم الله يعرفهم والذين اعتدوا في موضع نصب لأنه مفعول به والفرق بينه وبين ما يتعدى إلى مفعولين إن المعرفة تنصرف إلى ذات المسمى والعِلْم ينصرف إلى أحواله فإذا قلت علمت زيداً فالمراد عرفت شخصه وإذا قلت علمت زيداً كريماً أو لئيماً فالعلم يتعلق بأحواله من

فضل ونقص واعتدوا أي ظلموا وجاوزوا ما حدَّ لهم والسبت من أيام الأسبوع قال الزجاج السبت قطعة من الدهر فسمي بذلك اليوم وقال أبو عبيدة سمي بذلك لأنه يوم سبت فيه خلق كل شيء أي قطع وفرغ قوله منكم في موضع نصب حالاً من الذين اعتدوا أي المعتدين كائنين منكم قوله في السبت متعلق باعتدوا وأصل السبت مصدر يقال يسبِت سبتاً إذا قطع ثم سمي اليوم سبتاً وقد يقال يوم السبت فيخرج مصدراً على أصله وقد قالوا اليوم السبت فجعلوا اليوم خبراً عن السبت كما يقال اليوم القتال فعلى ما ذكرنا يكون في الكلام حذف تقديره في يوم السبت وقال قوم إنما سمي بذلك لأن اليهود يسبتون فيه أي يقطعون فيه الأعمال وقال آخرون سمي بذلك لما لهم فيه من الراحة لأن أصل السبت هو السكون والراحة ومنه قوله ﴿ **وجعلنا نومكم سباتاً** ﴾ ويقال للنائم مسبوت لاستراحته وسكون جسده والقِرَدة جمع قِرْد والأنثى قِرْدَة والخاسيء المبعَد المطرود يقال خسأت الكلب أخسَأه خسْأً وخَسِيء الكلبُ يخسؤ خَسَأً تقول خَسَأته وخَسِيء وانخسأ قال الراجز (كَالْكَلْبِ إنْ قُلْتَ لَهُ إخْسَأْ إنْخَسَأ) أي إن طردته انطرد .

[**المعنى**] خاطب اليهود فقال ﴿ **ولقد علمتم** ﴾ أي عرفتم ﴿ **الذين اعتدوا منكم في السبت** ﴾ أي الذين جاوزوا ما أمروا به من ترك الصيد يوم السبت وكان الحيتان تجتمع في يوم السبت لأمنها فحبسوها في السبت وأخذوها في الأحد فاعتدوا في السبت أي ظلموا وتجاوزوا ما حدَّ لهم لأن صيدها هو حبسها وروي عن الحسن أنهم اصطادوا يوم السبت مستحلين بعدما نهوا عنه ﴿ **فقلنا لهم كونوا قردة** ﴾ وهذا اخبار عن سرعة فعله ومسخه إياهم لا أن هناك أمراً ومعناه وجعلناهم قردة كقوله تعالى : ﴿ **فقال لها وللأرض أئتيا طوعاً أو كرها قالتا أتينا طائعين** ﴾ ولم يكن هناك قول وإنما أخبر عن تسهل الفعل عليه وتكوينه بلا مشقة قال ابن عباس فمسخهم الله تعالى عقوبة لهم وكانوا يتعاوون وبقوا ثلاثة أيام لم يأكلوا ولم يشربوا ولم يتناسلوا ثم أهلكهم الله تعالى وجاءت ريح فهبّت بهم وألقتهم في الماء وما مسخ الله أمة إلا أهلكها وهذه القردة والخنازير ليست من نسل أولَئك ولكن مسخ أولَئك على صورة هؤلاء يدل عليه إجماع المسلمين على أنه ليس في القردة والخنازير من هو من أولاد آدم ولو كانت من أولاد الممسوخين لكانت من بني آدم وقال مجاهد لم يمسخوا قردة وإنما هو مثل ضربه الله كما قال كمثل الحمار يحمل أسفاراً وحكي عنه أيضاً أنه مسخت قلوبهم فجعلت كقلوب القردة لا تقبل وعظاً ولا تتقي زجراً وهذان القولان يخالفان الظاهر الذي أكثر المفسرين عليه من غير ضرورة تدعو إليه وقوله ﴿**خاسئين**﴾ أي مبعدين عن الخير وقيل أذلاء صاغرين مطرودين عن مجاهد وفي هذه

الآيات احتجاجات من الله تعالى على اليهود بنعمه المترادفة على آبائهم وإخبار الرسول ﷺ عن عناد أسلافهم مرة بعد أخرى وكفرانهم وعصيانهم ثانية بعد أولى مع ظهور الآيات اللائحة والمعجزات الواضحة تعزية له ﷺ وتثبيتاً لفؤاده وتسليته إياه عما يقاسيه من مخالفة اليهود وكيدهم[1] وبراءة من جحودهم وكفرهم وعنادهم وليكون وقوفه على ما وقف عليه من أخبار سلفهم تنبيهاً لهم وحجة عليهم في أخلادهم إلى الهوى وإلحادهم وتحذيراً لهم من أن يحل بهم ما حل بآبائهم وأجدادهم .

﴿ فَجَعَلْنَـٰهَا نَكَـٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾

[**اللغة**] النكال الإرهاب للغير وأصله المنع لأنه مأخوذ من النكل وهو القيد وهو أيضاً اللجام وسميت العقوبة نكالاً لأنها تمنع عن ارتكاب مثله ما ارتكبه من نزلت به ونكّل فلان بفلان تنكيلاً ونكالاً والموعظة الوعظ وأصله التخويف يقال وعظت فلاناً موعظة وعِظة .

[**المعنى**] ﴿ **فجعلناها** ﴾ الضمير يعود إلى الأمة التي مسخت وهم أهل إيلة قرية على شاطىء البحر وهو المروي عن أبي جعفر (ع) أو إلى المسخة عن الزجاج أو إلى العقوبة أي جعلنا تلك العقوبة عن ابن عباس أو إلى القرية التي اعتدى أهلها فيها ﴿ **نكالاً** ﴾ أي عقوبة وقيل اشتهار أو فضيحة وقيل تذكرة وعبرة وقوله ﴿ **لما بين يديها وما خلفها** ﴾ ذكر فيه وجوه (أحدها) ما روي عن ابن عباس رواه الضحاك عنه لما بين يديها للأمم التي تراها وما خلفها ما يكون بعدها وهو يقارب المأثور المروي عن الباقر والصادق عليهما السلام أنهما قالا لما بين يديها أي لما معها ينظر إليها من القرى وما خلفها نحن ولنا فيها موعظة فعلى هذا يكون ما بمعنى مَن أي نكالاً للخلق الذين كانوا معهم ولجميع من يأتي بعدهم إلى يوم القيامة لئلا يفعلوا مثل فعلهم (وثانيها) أن يكون معناه جعلناها عقوبة للذنوب التي تقدمت على الاصطياد والذنوب التي تأخرت عنه وهذا يقتضي أن يكون الله تعالى لم يعاجلهم بالعقوبة عقيب الاصطياد عن ابن عباس أيضاً فيكون اللام بمعنى السبب أي بسبب ذلك (وثالثها) أن يكون المراد لما بين يديها من القرى وما

(١) وفي النسخ التي عندنا « كيادهم » بدل « كيدهم » .

خلفها من القرى عن عكرمة [عن ابن عباس][١] (ورابعها) أن يكون المراد لما بين يديها ما مضى من خطاياهم وبما خلفها خطاياهم التي أهلكوا بها ﴿ وموعظة للمتقين ﴾ معناه أنه إنما يتعظ بها المتقون فكأنها موعظة لهم دون غيرهم وهذا كقوله سبحانه ﴿هدى للمتقين﴾ وفي هذه الآية دلالة على أن من فعل مثل أفعال هؤلاء ممن تقدمهم أو تأخر عنهم يستحق من العقاب مثل ما حلّ بهم من التشويه وتغيير الخلقة إذ كان نكالاً لهم جميعاً وتحذيراً وتنبيهاً للمتقين لكي لا يواقعوا من المعاصي ما واقع أولئك فيستحقوا ما استحقوه نعوذ بالله من سخطه .

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَٱفْعَلُوا۟ مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُوا۟ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾

[القراءة] قرأ حمزة وإسماعيل عن نافع وعباس[٢] عن أبي عمرو هزءاً وكفوءاً

---

(١) ما بين المعقفتين إنما هو في نسخة صيدا دون غيرها .

(٢) [عن مجاهد] .

بالتخفيف والهمز في كل القرآن وقرأ حفص عن عاصم بضم الزاي والفاء غير مهموز وقرأ يعقوب هزواً بضم الزاي كفواً بسكون الفاء والباقون بالتثقيل والهمز .

[**الحجة**] قال أبو الحسن زعم عيسى أن كل اسم على ثلاثة أحرف أوله مضموم فمن العرب من يثقّله ومنهم من يخفّفه نحو العسر واليسر والحلم ومما يقوي هذه الحكاية ان ما كان على فُعل من الجموع مثل كُتُب ورُسُل قد استمر فيه الوجهان حتى جاء ذلك في المعتل العين الواوي نحو سُوُكُ الإسحِل قال (وفي الأكُفّ اللامِعاتِ سُوُرٌ) وحكى أبو زيد قُوُلٌ قَوْمٌ وأما فُعْل في جمع أفْعَلَ نحو أحمر وحُمْر فكأنهم الزموه الاسكان للفصل بين الجمعين وقد جاء فيه التحريك في الشعر فإذا كان الأمر على هذا وجب أن يكون ذلك مستمراً في نحو الكفء والهزء فإذا خفّف الهمزة وثقّل العين لزم ان تقلب الهمزة واو فيقول هزواً ولم يكن له كفواً أحد وان خفّف فأسكن العين قال هزواً فأبقى الواو التي انقلبت عن الهمزة لانضمام ما قبلها وان لم تكن ضمة العين في اللفظ لأنها مرادة في المعنى كما قالوا لَقضو[1] الرجلُ فأبقوا الواو ولم يَردّوا اللام التي هي ياء من قضيت لأن الضمّة مرادة في المعنى وكذلك قالوا رُضي زيدٌ فيمن قال عُلْمَ زيدٌ فلم يردوا الواو التي هي لام لزوال الكسرة لأنها مقدرة مرادة وان كانت محذوفة من اللفظ وكذلك تقول هُزُواً وكُفُواً فتثبت الواو وإن كنت حذفت الضمة الموجبة لاجتلابها واذا كان الأمر على هذا فقراءة من قرأ بالضم وتحقيق الهمز في الجواز والحسن كقراءة من قرأ بالاسكان وقلب الهمزة واواً لأنه تخفيف قياسي وقد روى ابو زيد عن أبي عمرو أنّه خير بين التخفيف والتثقيل .

[**اللغة**] البقرة اسم للمؤنث من هذا الجنس واسم الذكر منه الثور وهذا[2] يخالف صيغة المذكر منه صيغة الانثى كالحمل والناقة والرجل والمرأة والجدي والعناق وأصل البقر الشق يقال بقرت بطنه أي شققته وسمي البقر بقراً لأن من شأنه شق الأرض بالكِراب والهزء اللعب والسخرية يقال هَزِأت به هزءاً ومَهزأة وأعوذ بالله الجأ إلى الله عوذا وعياذاً وحقيقة العياذ استدفاع ما يخاف من شره بما يطمع ذلك منه والجهل نقيض العلم وقيل هو نقيض الحلم والصحيح انه اعتقاد الشيء على خلاف ما هو به كما ان العلم اعتقاد الشيء على ما هو والتبيين التعريف وأصله من البين وهو الفراق فكلّ من بيّن شيئاً فقد ميّزه

---

(١) أصله قضو - بضم الضاد - وانما نقل الى فعل - مضموم العين للتعجب أو المدح .

(٢) [مما] .

عما يلتبس به حتى يعرفه غيره قال سيبويه ابان الشيء وابنته وبيّن وبينته واستبان واستبنته والمعنى واحد والفارض الكبيرة المسنة يقال فَرضتُ البقرة تفرِضُ فُروضاً اذا اسنّت قال الشاعر :

لَعَمْري قَدْ أعْطَيْتَ جارَكَ فَارِضاً تُساقُ إلَيْهِ مَا تَقُومُ عَلى رِجْلِ

وقيل ان الفارض التي ولدت بطوناً كثيرة فيتسع لذلك جوفها لأن معنى الفارض في اللغة الواسع الضخم وهو قول بعض المتأخرين واستشهد بقول الراجز:

يَا رُبَّ ذِي ضِغْنٍ عَليَّ فارِضِ لَهُ قُروءٌ كَقُروءِ الحَائِضِ

ويقال لحيته فارضة أي عظيمة والبكر الصغيرة التي لم تحمل والبكر من بني آدم ومن البهائم ما لم يفتحله الفحل والبكر من كل شيء اوله والبكر التي ولدت واحداً وبكرها أول أولادها قال :

يَا بِكْرَ بِكْرَيْنِ ويَا خلْبَ الكَبِد أَصْبَحْتَ مِنِّي كَذِراعٍ مِن عَضُدْ

وضربة بكر أي قاطعة لا تنثني وحدث ابن عائشة عن أبيه عن جده قال كانت ضربات علي بن أبي طالب عليه السلام أبكاراً كان إذا اعتلى قدّ وإذا اعترض قطّ ذكره ابن فارس في مجمل اللغة والبكر بفتتح الباء الفتي من الابل والعوان دون المسنة وفوق الصغيرة وهي النصف التي ولدت بطناً أو بطنين قال الفراء يقال من العوان عونّتِ المرأة تعويناً إذا بلغت ثلاثين سنة ومنه قيل للحرب عوان إذا لم يكن أول حرب بين القوم وكانوا قد قاتلوا قبله وبين اسم يستعمل على ضربين مصدر وظرف قال أبو علي وهما عندي وجميع بابهما يرجعان الى أصل واحد وهو الافتراق والانكشاف وسيأتيك بيانه في الاعراب ان شاء الله واللون عرض يتعاقب على الجوهر تعاقب المتضاد وهو عبارة عما إذا وجد حصلت به الجواهر على هيئة مخصوصة لولاه لما حصلت على تلك الهيئة ولا يدخل تحت مقدور العباد فاقع لونها أي شديدة الصفرة يقال اصفر فاقع وأحمر ناصع واخضر ناضر وأحمر قانيء وأبيض يقق ولهَق ولهاق وأسود حالك وحلوك وحَلَكوك وغربيب ودجوجي فهذه كلها صفات مبالغة في الألوان وقيل انه اراد بصفراء ها هنا سوداء شديدة السواد كما يقال صفراء أي سوداء وقال الشاعر :

تِلْكَ خَيْلِي مِنْهُ وتِلْكَ رِكَابِي   هُنَّ صُفْرٌ أوْلَادُها كالزَّبِيبِ

والأول أصح فإن الابل(١) إن وصفت به فلا يوصف البقر به وأيضاً فإن السواد لا يوصف بالفقوع وإنما يوصف بالحلوكة وغيرها على ما ذكرناه والبقر جمع بقرة وكذلك الباقر جمع كالجامل جمع جمل قال الأعشى :

وَمَا ذَنْبُهُ إنْ عافَتِ المَاءَ باقِرٌ   وَمَا إنْ تَعافُ المَاءَ إلَّا لِيُضْرَبا

وقال آخر (لهم جاملٌ لا يَهدأ الليلَ سامِرهُ) أي جِمالٌ ونحو هذا عندهم اسم مفرد مصوغ للكثرة كاسم الجنس ومثله العبيد والكَليب والضَئين في جمع عبد وكلب وضأن وقوله لا ذلول يقال للدابة قد ذللها الركوب والعمل دابة ذلول بين الذل بكسر الذال ويقال في مثله من بني آدم رجل ذليل بين الذُّل بضم الذال والذلة بكسرها والمذلة والاثارة اظهار الشيء بالكشف واثار الأرض اي كربها وقلبها والحرث كل أرض ذللته للزرع قال الخليل الحرث قذف البذر في الأرض للازدراع والزرع الانبات والانماء قال عز اسمه **﴿أفرأيتم ما تحرثون أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون﴾** مُسلَّمة مبرأة من العيوب مُفعلّة من السلامة الشية اللون في المشي يخالف عامة لونه والوشي خلط اللون باللون ولاشية فيها أي لا وضح فيها يخالف لون جلدها يقال وَشَيتُ الثوبَ أشيه شِيَة ووشياً ومنه قيل لمن يسعى بالرجل الى السلطان واش لكذبه عليه عنده وتحسينه كذبه بالاباطيل ويقال منه وشيت به وشاية قال كعب بن زهير :

تَسْعَى الوُشَاةُ بِجَنْبَيْها وقَوْلُهُمُ   إنَّكَ يا ابْنَ أبي سُلْمَى لمقْتُولُ

يعني أنهم يتقولون بالاباطيل ويقولون انه ان لحق بالنبي صلى الله عليه وآله والذبح فري الاوداج وذلك في البقر والغنم والنحر في الابل ولا يجوز فيها عندنا غير ذلك وفيه خلاف بين الفقهاء وقيل للصادق عليه السلام إن أهل مكةيذبحون البقرة في اللّبة(٢) فما ترى في أكل لحومها فسكت هنيهة ثم قال قال الله تعالى **﴿فذبحوها وما كادوا يفعلون﴾** لا تأكل الا ما ذبح من مذبحه .

[**الاعراب**] حذفت الفاء من قوله **﴿قالوا اتتخذنا هزواً﴾** لاستغناء ما قبله من الكلام عنه وحسن الوقف على قوله **﴿ان تذبحوا بقرة كما حسن اسقاطها﴾** من قوله قال **﴿فما خطبكم**

---

(١) [ناقة] .

(٢) اللّبة: المنحر .

أيها المرسلون قالوا انا أرسلنا﴾ ولم يقل فقالوا ولو قيل بالفاء لكان حسناً ولو قلت قمت ففعلت لم يجز اسقاط الفاء لأنها عطف لا استفهام يحسن السكوت عليه وقوله هزواً لا يخلو من أحد أمرين (أحدهما) ان يكون المضاف محذوفاً لأن الهزء حدث والمفعول الثاني من تتخذ يكون الأول نحو قوله **﴿لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء﴾** (والثاني) أن يكون الهزؤ بمعنى المهزوء به مثل الصيد في قوله تعالى **﴿أحل لكم صيد البحر﴾** ونحوه وكما يقال رجل رضي أي مرضي أقام المصدر مقام المفعول وأما قوله تعالى **﴿لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزواً ولعباً﴾** فلا يحتاج فيه إلى تقدير(١) محذوف لأن الدين ليس بعين وقوله اعوذ بالله أصله أعْوُذُ فنقلت الضمة من الواو الى الساكن قبلها من غير استثقال لذلك غير أنه لما أُعِلَّت عين الماضي لتحركها وانفتاح ما قبلها اعلت عين المضارع أيضاً ليحري الباب على سُنَن واحد وكذلك القول في أعاذ يعيذ واستعاذ يستعيذ والأصل أعوذُ يُعود واستعوذ يستعوذ وقوله **﴿لا فارض ولا بكر﴾** قال الأخفش ارتفع ولم ينتصب كما ينتصب المنفي لأنه صفة لبقرة وقوله عوان مرفوع على أنه خبر مبتدأ محذوف كأنه قال هي عوان وقال الزجاج ارتفع فارض باضمار هي أي هي لا فارض ولا بكرقال وانما جاز «بين ذلك» وبين لا يكون الا مع اثنين او أكثر لأن ذلك ينوب عن الحمل تقول ظننت زيداً قائماً فيقول القائل قد ظننت ذاك وظننت ذلك قال أبو علي لا يخلو ذلك فيما ذكره من قولهم ظننت ذلك من ان يكون اشارة الى المصدر كما ذهب اليه سيبويه أو يكون اشارة الى أحد مفعولي ظننت وأن تكون نائبة عن الجملة كما قاله ابو إسحاق ولا يجوز ان يكون اشارة الى أحد المفعولين لأنه لو كان كذلك للزم ان يذكر الآخر كما لو أنك ذكرت اسم المشار اليه للزم فيه ذلك وكما انك إذا ذكرت المبتدأ لزمك ذكر الخبر أو يعلم من الحال ما يقوم مقام ذكرك له ولا يجوز أن تكون نائبة عن الجملة هنا ولا اشارة اليها كما لم يتب عن الجملة في غير هذا الموضع من المواضع التي تقع فيها الجملة نحو صلة الذي ووصف النكرات فثبت ان ذلك في قولهم ظننت ذاك اشارة الى المصدر الذي هو الظن ولا يجوز أن يقع اسم مفرد موقع جملة ولو كان سائغاً ان ينوب ذلك عن الحمل لما جاز وقوعه هنا لأن هذا الموضع ليس من مواضع الجمل ألا ترى أن ذلك إشارة إلى ما تقدم مما دلَّ عليه قوله **﴿ لا فارض ولا بكر﴾** وهو البكارة والفروض فإنما يدل قوله ذلك عليهما فلو كان واقعاً موقع جملة ما دل عليهما لأن الجملة يسند فيها الحدث الى المحدث عنه وليس واحد من الفروض والبكارة يسند

---

(١) [مضاف] .

الى الآخر الا ترى ان المعنى بين هذين الوصفين وهذا واضح واعلم ان الاسم الذي يضاف اليه بين لا يخلو من أن يكون دالاً على واحد أو على أكثر من الواحد فإذا كان دالاً على الواحد غير دال على أكثر منه عطف عليه اسم آخر لما ذكرنا من ان أصله الافتراق فكما يمتنع أن يقول افتراق واجتماع زيد حتى تضيف اليه ما يزيد به على الافراد لذلك لا تقول بين زيد حتى تضيف اليه آخر(١) بالواو دون غيرها من الحروف العاطفة وإذا كان الاسم دالاً على الكثرة وان كان مفرداً جاز أن يضاف بين اليه واما قوله عوان بين ذلك فإنما أضيف فيه بين إلى ذلك من حيث جاز اضافته الى القوم وما أشبه ذلك من الأسماء التي تدل على الكثرة وانما جاز ان يكون قولنا ذلك يراد به مرة الانفراد ومرة الجمع والكثرة لمشابهته الموصولة كالذي وما الا ترى ان البابين يشتبهان في دلالة كل واحد منهما على غير شيء بعينه فجاز أن يراد به الواحد مرة واكثر من الواحد مرة ويدل على ما ذكرناه من قصدهم بذلك الجمع وما زاد على الواحد ان رؤبة لما قال له أبو عبيدة في قوله :

فِيهِ خُطُوْطٌ مِنْ سَوادٍ وبَلَقْ كَأَنَّهُ في الجِلْدِ تَوْلِيعُ البَهَقْ

إن أردت الخطوط وجب أن تقول كأنها وان أردت السواد والبلق وجب أن تقول كأنهما قال أردت كان ذلك فعلم به انهم يقصدون ذلك غير المفرد ويدل عليه ايضاً قول القائل:

إنَّ لِلْخَيرِ ولِلشرِّ مدى وكِلاَ ذلِكَ وَجْهٌ وَقَبَلْ

ألا ترى أن كلا لا تضاف الى المفرد فلولا أن المراد بذلك غير الافراد لما اضيف كلا إليه فكذلك القول في عوان بين ذلك والمراد بذلك الزيادة على الواحد ألا ترى انه اشارة الى ما تقدم من قوله مما دل على الفروض والبكارة وموضع ما من قوله ما هي وما لونها رفع لأنه خبر المبتدأ لأن تأويله الاستفهام اي اي شيء هو وأيُّ لون لونها قال انه يقول انها ما بعد القول من باب ان مكسورة ابداً كأنك لم تذكر القول في صدر كلامك وانما وقعت قلت في كلام العرب على ان يحكى بها ما كان كلاماً يقوم بنفسه قبل دخولها فيؤدي مع ذكرها ذلك اللفظ تقول قلت زيد منطلق كأنك حكيت زيد منطلق وكذلك ان زيداً منطلق اذا حكيته تقول قلت ان زيداً منطلق وقوم من العرب وهم بنو سليم يجعلون باب قلت كباب ظننت فيقولون قلت زيداً منطلقاً وقوله فاقع لونها ارتفع لونها بأنه فاعل فاقع وهو صفة البقرة مثل صفراء وكذلك تسر الناظرين جملة مرفوعة الموضع بكونها صفة

(١) [زيد] .

لبقرة ويقال فقَعَ لونه فقوعاً وفَقَع يفقَعُ إذا خلصت صفرته وقـوله ان البقر تشابه علينا كل جمع يكون واحده بالهاء. نحو البقر والنخل والسحاب فإنه يؤنث ويذكر قال الله تعالى ﴿كأنهم اعجاز نخل خاوية﴾ وفي موضع آخر نخل منقعر والتذكير الغالب وقوله تثير الأرض في موضع رفع بكونه صفة لذلول وهو داخل في معنى النفي اي بقرة ليست بذلول مثيرة للأرض ولا ساقية للحرث ومسلمة صفة لبقرة أيضاً ولا شية فيها جملة في موضع رفع أيضاً بأنها صفة البقرة وشية مصدر من وشيت وأصلها وشي فلما اسقطت الواو منها عوضت الهاء في آخرها قالوا وشيتـه شية كما قالوا وزنته زنة ووصلته صلة فوزنها علة قالوا الآن وفيه وجوه أجودها اسكان اللام من الآن وحذف الواو من اللفظ ويجوز قال لأن على الغاء الهمزة وفتح اللام من الآن وترك الواو محذوفة لالتقاء الساكنين ولا يعتد بفتح اللام ويجوز قالوا لأن باظهار الواو لحركة اللام لأنهم انما حذفوا الواو لسكونها فلما تحركت ردوها والاجود في العربية حذفها ولا ينبغي ان يقرأ الا بما وردت به رواية صحيحة فإن القراءة سنة متبعة قال أبو علي انما بني الآن لتضمنه معنى الحرف وهو تضمن معنى التعريف لأن التعريف حكمه أن يكون بحرف وليس تعرفه بما فيه من الألف واللام لأنه لو كان كذلك للزم ان يكون قبل دخول اللام عليه نكرة كرجل والرجل وكذلك الذي فإن فيه الالف واللام وليس تعرف الاسم بهما انما تعرفه بغيرهما وهو كونه موصولاً مخصوصاً ولو كان تعرفه باللام لوجب ان يكون سائر الموصولات المتعرفة بالصلات نحومن وما غير متعرفة ويقوي زيادة اللام ما رواه المبرد عن المازني قال سألت الأصمعي عن قول الشاعر :

وَلَقَـدْ جَنَيْتُـكَ أكْمُـوءاً وعَسَـاقِـلاً ولَقَـدْ نَهَيْتُـكَ عَـنْ بَنـاتِ الأوبِـرَ

لم أدخل اللام قال ادخله زيادة للضرورة كقول الآخر (باعَدَام العمرو عن اسيرِها) وانشد ابن الأعرابي

يَـا لَيتَ أمَّ العَمْـرِو كَـانَتْ صَـاحِبي مَكَـانَ من أَنشَـا عَلَى الـرَّكَـائِبِ

فكما أن اللام في الذي وفي هذه الحكاية زائدة كذلك في الآن زائدة وقوله ﴿وما كادوا يفعلون﴾ كاد يدل على مقاربة مباشرة ويفعلون في موضع نصب بأنه خبر كاد والفصيح لا يدخل عليه ان لأن ان حرف يركب مع الفعل فيقوم مقام المصدر وانما يسند إلى أن أفعال غير ثابتة ولا مستقرة مثل الطمع والرجا نحو عسى ان تفعل ودليل على ذلك أنّ ان لا تدخل على فعل الحال بل على ما يتوقع في المستأنف فلهذا كانت ان لازمة لعسى ولا

يلزم كاد لأن كاد قريب من الحال وقد استعمل كاد مع أنْ في الشعر انشد الأصمعي:

كـادَتِ الـنَّفْسُ أنْ تَفِيضَ عَلَيْهِ إذْ ثَـوَى حَشْوَ رَيْطَةٍ وبُرُودِ

[**القصة**] كان السبب في أمر الله تعالى بذبح البقرة فيما رواه العياشي مرفوعاً الى الرضا (ع) ان رجلاً من بني اسرائيل قتل قرابة له ثم أخذه وطرحه على طريق افضل سبط من اسباط بني إسرائيل ثم جاء يطلب بدمه فقالوا لموسى سبط آل فلان قتل فأخبرنا من قتله قال ائتوني ببقرة ﴿**قالوا اتتخذنا هزواً**﴾ الآية ولو أنهم عمدوا إلى بقرة أجزأتهم ولكن شددوا فشدد الله عليهم قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي قال انه يقول أنها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك أي لا صغيرة ولا كبيرة الى قوله قالوا الآن جئت بالحق فطلبوها فوجدوها عند فتى من بني اسرائيل فقال لا أبيعها الا بملء مسكها ذهبا فجاؤوا الى موسى فقالوا له قال فاشتروها قال وقال لرسول الله ﷺ بعض أصحابه أن هذه البقرة ما شأنها فقال إن فتىً من بني إسرائيل كان باراً بأبيه وأنه اشترى سلعة فجاء إلى أبيه فوجده نائماً والاقليد تحت رأسه فكره أن يوقظه فترك ذلك واستيقظ ابوه فأخبره فقال له احسنت خذ هذه البقرة فهي لك عوض لما فاتك قال فقال رسول الله ﷺ انظروا الى البر ما بلغ بأهله وقال ابن عباس كان القتيل شيخاً مثرياً قتله بنو أخيه والقوه على باب بعض الاسباط ثم ادعوا عليهم القتل فاحتكموا الى موسى (ع) فسأل من عنده في ذلك علم فقالوا أنت نبي الله وأنت أعلم منا فأوحى الله تعالى إليه أن يأمرهم بذبح بقرة فأمرهم موسى (ع) أن يذبحوا بقرة ويضرب القتيل ببعضها فيحيي الله القتيل فيبين من قتله وقيل قتله ابن عمه استبطاء لموته فقتله ليرثه وقيل انما قتله ليتزوج بنته وقد خطبها فلم ينعم له وخطبها غيره من خيار بني اسرائيل فأنعم له فحسده ابن عمه الذي لم ينعم له فقعد له فقتله ثم حمله إلى موسى فقال يا نبي الله هذا ابن عمي قد قتل فقال موسى من قتله قال لا أدري وكان القتل في بني إسرائيل عظيماً فعظم ذلك على موسى (ع) وهذا هو المروي عن الصادق (ع) .

[**المعنى**] هذه الآيات معطوفة على ما تقدمها من الآيات الواردة في البيان لنعم الله تعالى على بني اسرائيل ومقابلتهم لها بالكفران والعصيان فقال واذكروا أيضاً من نكثكم ميثاقي الذي أخذته عليكم بالطاعة ﴿**إذ قال موسى لقومه ان الله يأمركم ان تذبحوا بقرة قالوا اتتخذنا هزواً**﴾ قال قوم موسى له أتسخر بنا حيث سألناك عن القتيل فتأمرنا بذبح بقرة وانما قالوا ذلك لتباعد ما بين الأمرين في الظاهر مع جهلهم بوجه الحكمة فيما أمرهم به لأن موسى عليه السلام أمرهم بالذبح ولم يبين لهم ان الذبح لأي معنى فقالوا اي اتصال لذبح البقرة بما ترافعنا فيه اليك فهذا استهزاء بنا ﴿**قال اعوذ بالله أن أكون من**

الجاهلين﴾ أي معاذ الله ان أكون من المستهزئين وانما قال من الجاهلين ليدل على ان الاستهزاء لا يصدر الا عن جاهل فإن من استهزأ بغيره لا يخلو اما ان يستهزىء بخلقته او بفعل من أفعاله فأما الخلقة فلا معنى للاستهزاء بها واما الفعل فإذا كان قبيحاً فالواجب ان ينبه فاعله على قبحه لينزجر عنه فأما ان يستهزىء به فلا فالاستهزاء على هذا يكون كبيرة لا يقع الا عن جاهل به او محتاج إليه فإذا قيل لم امروا بذبح البقرة دون غيرها فقد قيل فيه لأنها من جنس ما عبدوه من العجل ليهون عندهم ما كانوا يرونه من تعظيمه فيزول ما كان في نفوسهم من عبادته وانما أحيا الله القتيل بقتل حي ليكون اظهر لقدرته في اختراع الاشياء من اضدادها فلما علموا ان ذبح البقرة فرض من الله تعالى سألوا عنها فبدأوا بسنها فقالوا **﴿ادع لنا ربك﴾** أي سل من أجلنا ربك **﴿يبين لنا ما هي﴾** ولم يظهر في السؤال ان المسؤول عنه سن البقرة وإنما ظهر ذلك في الجواب **﴿قال﴾** موسى عليه السلام **﴿انه يقول﴾** اي ان الله عز اسمه **﴿يقول انها بقرة لا فارض ولا بكر﴾** أي ليست بكبيرة هرمة ولا صغيرة **﴿عوان بين ذلك﴾** أي هي وسط بين الصغيرة والكبيرة وهي اقوى ما يكون وأحسن من البقر والدواب عن ابن عباس وقيل وسط ولدت بطناً أو بطنين عن مجاهد **﴿فافعلوا ما تؤمرون﴾** أي اذبحوا ما أمرتم بذبحه فلما بين سبحانه سن البقرة سألوا عن لونها **﴿قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها﴾** أي سل ربك يبين لنا ما لون البقرة التي امرنا بذبحها **﴿قال﴾** موسى **﴿انه﴾** سبحانه وتعالى **﴿يقول انها بقرة صفراء﴾** حتى قرنها وظلفها اصفران عن الحسن وسعيد بن جبير **﴿فاقع لونها﴾** أي شديدة صفرة لونها وقيل خالص الصفرة وقيل حسن الصفرة وقوله **﴿تسر الناظرين﴾** أي تعجب الناظرين وتفرحهم بحسنها عن قتادة وغيره وروي عن الصادق (ع) انه قال من لبس نعـلاً صفراء لم يزل مسروراً حتى يبليها كما قال الله تعالى **﴿صفراء فاقع لونها تسر الناظرين﴾** ولما بين سبحانه سن البقرة ولونها سألوا عن صفتها **﴿فقالوا﴾** يا موسى **﴿ادع لنا ربك يبين لنا ما هي﴾** أي من العوامل أم من السوائم **﴿ان البقر تشابه علينا﴾** أي اشتبه علينا صفة البقرة التي امرنا الله بذبحها **﴿وانا ان شاء الله لمهتدون﴾** إلى صفة البقرة بتعريف الله إيانا وبما يشاؤه لنا من اللطف والزيادة في البيان وروى ابن جريج وقتادة عن ابن عباس عن النبي ﷺ أنهم أمروا بأدنى بقرة ولكنهم لما شددوا على أنفسهم شدد الله عليهم وأيم الله لو لم يستثنوا ما بينت لهم إلى آخر الأبد قال يعني موسى (ع) أنه يعني الله تعالى يقول أنها بقرة أي البقرة التي امرتم بذبحها **﴿لا ذلول تثير الأرض﴾** أي لم يذللها العمل باثارة الأرض بأظلافها **﴿ولا تسقي الحرث﴾** أي لا يستقي عليها الماء فتستقي الزرع **﴿مسلمة﴾** أي بريئة من العيوب

عن قتادة وعطاء وقيل مسلمة من الشية ليس لها لون يخالف لونها عن مجاهد وقيل سليمة من آثار العمل لأن ما كان من العوامل لا يخلو من آثار العمل في قوائمه وبدنه وقال الحسن أنها كانت وحشية ﴿لا شية فيها﴾ قال أهل اللغة لا وضح فيها يخالف لون جلدها وقيل لا لون فيها سوى لونها عن قتادة ومجاهد ﴿قالوا الآن جئت بالحق﴾ أي ظهر لنا الحق الآن وهي بقرة فلان وهذا يدل على أنهم جوزوا أنه قبل ذلك لم يجيء بالحق على التفصيل وإنما أتى به على وجه الجملة وقال قتادة الآن بينت[1] الحق وهذا يدل على أنه كان فيهم من يشك في أن موسى (ع) ما بين الحق ﴿فذبحوها﴾ يعني ذبحوا البقرة على ما أمروا به ﴿وما كادوا يفعلون﴾ أي قرب أن لا يفعلوا ذلك مخافة اشتهار فضيحة القاتل وقيل كادوا لا يفعلون ذلك لغلاء ثمنها فقد حكي عن ابن عباس انهم اشتروها بملء جلدها ذهباً من مال المقتول وعن السدي بوزنها عشر مرات ذهباً قال عكرمة وما ثمنها الا ثلاثة دنانير ونذكرها هنا فصلاً موجزاً ينجذب الى الكلام في أصول الفقه اختلف العلماء في هذه الآيات فمنهم من ذهب إلى أن التكليف فيها متغاير وأنهم لما قيل لهم اذبحوا بقرة لم يكن المراد منهم الا ذبح أي بقرة شاءوا من غير تعيين بصفة ولو أنهم ذبحوا أي بقرة اتفقت لهم كانوا قد امتثلوا الامر فلما لم يفعلوا كان المصلحة ان يشدد عليهم التكليف ولما راجعوا المرة الثانية تغيرت مصلحتهم الى تكليف ثالث ثم اختلف هؤلاء من وجه آخر فمنهم من قال في التكليف الأخير انه يجب ان يكون مستوفياً لكل صفة تقدمت فعلى هذا القول يكون التكليف الثاني والثالث ضم تكليف الى تكليف زيادة في التشديد عليهم لما فيه من المصلحة ومنهم من قال انه يجب ان يكون بالصفة الأخيرة فقط دون ما تقدم وعلى هذا القول يكون التكليف الثاني نسخاً للأول والتكليف الثالث نسخاً للثاني وقد يجوز نسخ الشيء قبل الفعل لأن المصلحة تجوز ان يتغير بعد فوات وقته وانما لا يجوز نسخ الشيء قبل وقت الفعل لأن ذلك يؤدي إلى البداء وذهب آخرون الى أن التكليف واحد وان الاوصاف المتأخرة هي للبقرة المتقدمة وانما تأخر البيان وهو مذهب المرتضى قدس الله روحه واستدل بهذه الآية على جواز تأخير البيان عن وقت الخطاب الى وقت الحاجة قال أنه تعالى لما كلفهم ذبح بقرة قالوا لموسى عليه السلام ﴿ادع لنا ربك يبين لنا ما هي﴾ فلا يخلو قولهم ما هي من ان يكون كناية عن البقرة المتقدم ذكرها أو عن التي امروا بها ثانياً والظاهر من قولهم ما هي يقتضي ان يكون السؤال عن صفة البقرة المأمور بذبحها لأنه لا

(١) وفي النسخ التي عندنا «ثبت» بدل «بيّنت».

علم لهم بتكليف ذبح بقرة أخرى فيستفهموا عنها وإذا صح ذلك فليس يخلو قوله ﴿**أنها بقرة لا فارض ولا بكر**﴾ من أن يكون الهاء فيه كناية عن البقرة الأولى أو عن غيرها وليس يجوز أن يكون كناية عن بقرة ثانية لأن الظاهر يقتضي أن تكون الكناية متعلقة بما تضمنه سؤالهم ولأنه لو لم يكن الأمر على ذلك لم يكن جواباً لهم وقول القائل في جواب من سأله ما كذا وكذا انه بالصفة الفلانية صريح في أن الهاء كناية عما وقع السؤال عنه هذا مع قولهم ان البقر تشابه علينا فإنهم لم يقولوا ذلك إلا وقد اعتقدوا ان خطابهم مجمل غير مبين ولو كان الأمر على ما ذهب اليه القوم فلم لم يقل لهم وأي تشابه عليكم وانما أمرتم في الابتداء بذبح بقرة أي بقرة كانت وفي الثاني بما يختص بالسن المخصوص وفي الثالث بما يختص باللون المخصوص من أي البقر كان واما قوله ﴿**فذبحوها وما كادوا يفعلون**﴾ فالظاهر أن ذمهم مصروف الى تقصيرهم أو تأخيرهم امتثال الأمر بعد البيان التام وهو غير مقتضٍ ذمهم على ترك المبادرة في الأول إلى ذبح بقرة فلا دلالة في الآية على ذلك .

﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَءْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِ اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾

[**اللغة**] ادّارأتم اختلفتم وأصله تدارأتم فأدغمت التاء في الدال بعد ان سكنت ثم جعلوا قبلها همزة الوصل ليمكن النطق بالساكن وأصل الدرء الدفع ومنه الحديث ادرأوا الحدود بالشبهات ومنه قوله ويدرأ عنها العذاب وقال رؤبة :

أدْرَكْتُهَا قُدَّامَ كلِّ مِدْرَهِ ... بِالدَّفْعِ عَنّي دَرءَ كلِّ عُنْجُهِ(١)

وقيل الدارأ العوج ومنه قول الشاعر(٢):

فَنَكَّبَ عَنْهُمُ درءَ الأعادِي ... وداوُوا بِالْجُنُونِ مِن الْجُنُونِ

(١) المِدرَه: رئيس القوم وزعيمهم والعُنجُه: الجافي من الرجال . (٢) وهو أبو الغول.

[**المعنى**] ثم بين الله سبحانه المقصود من الأمر بالذبح فبدأ بذكر القتل وقال ﴿**وإذ قتلتم نفساً**﴾ ذكر فيه وجهان (أحدهما) أنه متقدم في المعنى على الآيات المتقدمة في اللفظ فعلى هذا يكون تأويله وإذ قتلتم نفساً ﴿**فادَّرأتم فيها**﴾ فسألتم موسى فقال لكم ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة فقدّم المؤخر وأخّر المقدم ونحو ذا كثير في القرآن والشعر قال سبحانه ﴿**الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عِوَجا قيّماً**﴾ تقديره أنزل على عبده الكتاب قَيما ولم يجعل له عوجاً وقال الشاعر :

إنَّ ٱلْفَـرَزْدَقَ صَخْـرَةٌ مَـلْمُـومَـةٌ طَـالَتْ فلَيسَ يَنـالُهَـا الأوْعَـالا

أي طالت الأوعال (والوجه الآخر) أن الآية قد تعلقت بما هو متأخر في الحقيقة وهو قوله ﴿**فقلنا اضربوه ببعضها**﴾ الآية فكأنه قال فذبحوها وما كادوا يفعلون ولأنكم قتلتم نفساً **فادارأتم فيها** أمرناكم أن تضربوه ببعضها لينكشف أمره والمراد واذكروا إذ قتلتم نفساً وهذا خطاب لمن كان على عهد النبي ﷺ والمراد به اسلافهم على عادة العرب في خطاب الأبناء والاحفاد بخطاب الاسلاف والاجداد وخطاب العشيرة بما يكون من أحدها فقالت فعلت بنو تميم كذا وان كان الفاعل واحداً ويحتمل أن يكون خطاباً لمن كان في زمن موسى (ع) وتقديره وقلنا لهم وإذ قتلتم نفساً وقيل ان اسم المقتول عاميل **فادارأتم فيها** الهاء من فيها يعود إلى النفس أي كل واحد دفع قتل النفس عن نفسه وقيل انها تعود إلى القتلة أي اختلفتم في القتلة لأن قوله قتلتم يدل على المصدر وعودها الى النفس أولى وأشبه بالظاهر ﴿**والله مخرج ما كنتم تكتمون**﴾ أي مظهر ما كنتم تسرون من القتل وقيل معناه أنه مخرج من غامض أخباركم ومطلع من معايبكم ومعايب اسلافكم على ما تكتمونه أنتم وهو خطاب لليهود في زمن النبي ﷺ ﴿**فقلنا اضربوه ببعضها**﴾ أي قلنا لهم اضربوا القتيل ببعض البقرة واختلفوا في البعض المضروب به القتيل فقيل ضرب بفخذ البقرة فقام حياً وقال قتلني فلان ثم عاد ميتاً عن مجاهد وقتادة وعكرمة وقيل ضرب بذَنَبها عن سعيد بن جبير وقيل بلسانها عن الضحاك وقيل ضرب بعظم من عظامها عن أبي العالية وقيل بالبضعة التي بين الكتفين عن السدي وقيل ضرب ببعض آرابها[١] عن أبي زيد وهذه الأقاويل كلها محتملة الظاهر والمعلوم أن الله سبحانه وتعالى أمر أن يضرب القتيل ببعض البقرة ليحيا القتيل إذا فعلوا ذلك فيقول فلان قتلني ليزول الخلف والتدارؤ بين القوم

---

(١) الآراب جمع الارِب: العضُو .

والصانع عز اسمه وان كان قادراً على احيائه من دون ذلك فإنما أمرهم بذلك لأنهم سألوا موسى أن يبيّن لهم حال القتيل وهم كانوا يعدّون القربان من أعظم القربات وكانوا جعلوا له بيتاً على حدة لا يدخله إلا خيارهم فأمرهم الله بتقديم هذه القربة تعليماً منه لكل من اعتاص عليه امر من الأمور ان يقدم نوعاً من القرب قبل أن يسأل الله تعالى كشف ذلك عنه ليكون أقرب الى الإجابة وانما أمرهم بضرب القتيل ببعضها بعد أن جعل اختيار وقت الاحياء يهم ليعلموا أن الله سبحانه وتعالى قادر على احياء الأموات في كل وقت من الأوقات والتقدير في الآية فقلنا اضربوه ببعضها فضربوه فحيي كما قال سبحانه ﴿اضرب بعصاك البحر فانفلق﴾ تقديره فضرب فانفلق وقوله ﴿كذلك يحيي الله الموتى﴾ يحتمل أن يكون حكاية عن قول موسى (ع) لقومه أي اعلموا بما عاينتموه أن الله تعالى قادر على احياء الموتى للجزاء ويحتمل أن يكون خطاباً من الله تعالى لمشركي قريش والاشارة وقعت إلى قيام المقتول عند ضربه ببعض أعضاء البقرة لأنه روي أنه قام حياً وأوداجُه تَشخب دماً فقال قتلني فلان ابن عمي ثم قُبض ﴿ويريكم آياته﴾ يعني المعجزات الباهرة الخارقة للعادة من احياء ذلك الميت وغيره وقيل أراد الاعلام الظاهرة الدالة على صدق محمد ﷺ ﴿لعلكم تعقلون﴾ أي لكي تستعملوا عقولكم فإن من لم يستعمل عقله ولم يبصر رشده فهو كمن لا عقل له وقيل لكي تعقلوا ما يجب عليكم من أمور دينكم واحتج الله تعالى بهذه الآيات على مشركي العرب فيما استبعدوه من البعث وقيام الأموات بقولهم ﴿ أإذا كنا عظاماً ورفاتاً أإنا لمبعوثون خلقاً جديداً﴾ فأخبرهم سبحانه بأن الذي انكروه واستبعدوه لا يتعذر[١] في اتساع قدرته ونبَّههم على ذلك بذكر المقتول واحيائه بعد خروجه من الحياة وأبطنوا خبر قتله وكيفيته وقيامه بعد القتل حياً مخاطباً باسم قتلته مؤذناً لهم ان احياء جميع الأموات بعد أن صاروا عظاماً باليات لا يصعب عليه ولا يتعذر بل يهون عنده ويتيسر وفيها دلالة على صدق نبوة نبينا محمد ﷺحيث أخبرهم بغوامض اخبارهم التي لا يجوز ان يعلمها إلا من قرأ كتب الأولين أو أوحي اليه من عند رب العالمين وقد صدَّقه مخالفوه من اليهود فيما أخبر به من هذه الأقاصيص وقد علموا أنه أُمّي لم يقرأ كتاباً ولم يرتابوا في ذلك وهذه آية صادعة وحجة ساطعة في تثبيت نبوته ﷺ.

﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ

---

(١) [عليه] .

أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾

[**القراءة**] قرأ ابن كثير وحده ها هنا عما يعملون بالياء والباقون بالتاء واختلفوا في قوله تعالى ﴿**وما الله بغافل عما تعملون وما ربك بغافل عما تعملون**﴾ قرأهما أبو جعفر وحده بالتاء في كل القرآن إلا في الأنعام وقرأ ابن عامر بالياء في كل القرآن وقرأ حمزة والكسائي الأول بالتاء والثاني بالياء في كل القرآن واختلف عن ابن كثير ونافع وعاصم وأبي عمرو .

[**الحجة**] قال أبو علي القول في ذلك أنّ ما كان قبله خطاب جعل بالتاء ليكون الخطاب معطوفاً على خطاب كقوله ﴿**ثم قست قلوبكم**﴾ ثم قال ﴿**عما تعملون**﴾ بالتاء ولو كان بالياء على لفظ الغيبة أي وما الله بغافل عما يعمل هؤلاء أيها المسلمون لكان حسناً وان كان الذي قبله غيبة حسُن ان يجعل على لفظ الغيبة ويجوز فيه الخطاب ايضاً ووجه ذلك أن يجمع بين الغيبة والخطاب فيغلّب الخطاب على الغيبة كتغليب المذكر على المؤنث ألا ترى أنهم قدموا الخطاب على الغيبة في باب الضمير وهو موضع تردّ فيه الأشياء الى أصولها نحوتك في نحو قوله ﴿**فلا تك ما أسأل ولا اغاما**﴾ فلما قدّموا المخاطب على الغائب فقالوا اعطاكه ولم يقولوا اعطاهوك علم أنه أقدم في الرتبة فإذا كان الأمر على هذا فالخطاب في هذا النحو يعني به الغُيَّب والمخاطبون فيغلّب الخطاب على الغيبة ويجوز فيه وجه آخر وهو أن يراد به وقل لهم أيها النبي ما الله بغافل عما تعملون والله أعلم .

[**اللغة**] القسوة ذهاب اللين والرحمة من القلب يقال قسا قلبه يقسو قسواً وقسوة وقساوة والقسوة الصلابة في كل شيء ونقيضه الرقة والشدة والقوة في الجسم والشدة صعوبة الأمر والشد العقد والنهر المجرى الواسع من مجاري الماء والجدول والسري دون ذلك يقال نَهْرٌ ونَهَرٌ والفتح أفصح قال سبحانه في جنات ونَهَر وجمعه نُهُرٌ وأنهار والتفجر التفعل من فجر الماء وذلك إذا أنزل خارجاً من منبعه وكل سائل شخص خارجاً من موضعه ومكانه فقد انفجر ماء كان أو دماً أو غير ذلك قال عمر بن لجأ :

وَلَـمَّـا أنْ قُـرِنْـتَ إلَـى جَـرِيْـرٍ   أبِـى ذُوْ بَـطْنِـهِ إلاَّ انـفـجـارَا

أي خروجاً وسيلاناً وأصل يشقق يتشقق ادغمت التاء في الشين وهو أن ينقطع من غير أن يَبين والغفلة السهو عن الشيء وهو ذهاب المعنى عن النفس بعد حضوره ويقال تغافلتُ على عمدٍ أي عملت عمل الساهي .

[**المعنى والاعراب**] لما قدم سبحانه ذكر المعجزات القاهرة والاعلام الظاهرة بيَّن ما فعلوا بعدها من العصيان والطغيان فقال عزَّ اسمه ﴿**ثم قست قلوبكم**﴾ أي غلظت ويبست وعتت وقَسَت ﴿**من بعد ذلك**﴾ أي من بعد آيات الله كلها التي أظهرها على يد موسى عليه السلام وقيل أنه أراد بني اخي المقتول حين أنكروا قتله بعد أن سمعوه منه عند احياء الله تعالى إياه أنه قتله فلان عن ابن عباس فيكون ذلك إشارة إلى الاحياء أي من بعد احياء الميت لكم ببعض من اعضاء البقرة بعد أن تدارأتم فيه فأخبركم بقاتله والسبب الذي من أجله قتله وكان يجب ممن شاهد هذه الآية العجيبة والمعجزة الخارقة للعادة ان يخضع ويلين قلبه ويحتمل أن يكون ذلك اشارة ايضاً إلى الآيات الآخر التي تقدمت كمسخ القردة والخنازير ورفع الجبل فوقهم وانبجاس الماء من الحجر وانفراق البحر وغير ذلك وانما جاز ان يقول ذلك وأن كانوا جماعة ولم يقل ذلكم لأن الجماعة في معنى الجمع والفريق فلفظ الخطاب مفرد في معنى الجمع ولو قال ذلكم لجاز وقوله ﴿**فهي كالحجارة**﴾ شبه قلوبهم بالحجارة في الصلابة واليبس والغلظ والشدة وقد ورد الخبر عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله فإن كثرة الكلام بغير ذكر الله تقسي القلب وان أبعد الناس من الله القاسي القلب ﴿**أو أشد قسوة**﴾ أي أو هي أشد قسوة ويجوز أن يكون عطفاً على موضع الكاف وكأنه قال فهي مثل الحجارة أو أشد قسوة أي أشد صلابة لامتناعهم عن الاقرار اللازم بقيام حجته والعمل بالواجب من طاعته بعد مشاهدة الآيات وقيل في تأويل أو ها هنا وجوه (أحدها) ما ذكره الزجاج أن معناها الاباحة كقولهم جالس الحسن او ابن سيرين فإن جالست أحدهما أو جمعت بينهما فأنت مصيب فيكون معنى الآية على هذا ان قلوبهم قاسية فإن شبّهت قسوتها بالحجر أصبتَ وان شبهتها بما هو أشد أصبت وان شبهتها بهما جميعاً أصبت كما مر نحو هذا في قوله سبحانه ﴿**أو كصيب من السماء**﴾ (وثانيها) ان يكون أو دخلت للتفصيل والتمييز فيكون معنى الآية ان قلوبهم قاسية فبعضها كالحجارة وبعضها أشد قسوة من الحجارة وقد يحتمل قوله تعالى ﴿**أو كصيب من السماء**﴾

هذا الوجه أيضاً (وثالثها) أن يكون أو دخلت على سبيل الابهام فيما يرجع إلى المخاطب وان كان تعالى عالماً بذلك غير شاك فيه فأخبر أن قسوة قلوب هؤلاء كالحجارة أو أشد قسوة والمعنى أنها كأحد هذين لا يخرج عنهما كما يقال أكلت بسرة أو تمرة وهو يعلم ما أكله على التفصيل إلا أنه أبهم على المخاطب وكما قال لبيد

تَمَنَّى ابْنَتَايَ أَنْ يَعِيشَ أَبُوهُمَا ... وَهَلْ أَنَا إِلَّا مِنْ رَبِيعَةَ أَو مُضَر

أراد وهل أنا إلا من أحد هذين الجنسين فسبيلي ان أفنى كما فنيا وانما حسن ذلك لأن غرضه الذي نحاه هو أن يخبر بكونه ممن يموت ويفني ولم يخلّ بقصده الذي أجري إليه اجمال ما أجمل من كلامه فكذلك هنا الغرض الاخبار عن شدة قسوة قلوبهم وانها مما لا يصغي الى وعظ ولا يعرج على خير فسواءٌ كانت كالحجارة أو أشد منها في أنه لا يحتاج إلى ذكر تفصيله (ورابعها) أن يكون أو بمعنى بل كما قال الله تعالى **﴿ وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون ﴾** ومعناه بل يزيدون وروي عن ابن عباس أنه قال كانوا مائة ألف وبضعاً وأربعين ألف وأنشد الفراء

بَدَتْ مِثْلَ قَرْنِ الشَّمْسِ فِي رَوْنَقِ الضُّحَى ... وَصُورَتِهَا أَو أَنْتَ فِي الْعَينِ أَمْلَحُ

كما تكون أم المنقطعة في الاستفهام بمعنى بل يقول القائل اضربت عبد الله أم أنت متعنت أي بل انت وقال الشاعر

فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي أَسْلمى تَغَوَّلت ... أم النَّومُ أَمْ كُلٌّ إِلَيَّ حَبِيبُ

معناه بل كل وقد طعن على هذا الجواب فقيل كيف يجوزَ أن يخاطبنا الله عز اسمه بلفظة بل وهي تقتضي الاستدراك والنقض للكلام الماضي والاضراب عنه وهذا غير سديد لأن الاستدراك أن أريد به الاستفادة أو التذكر لما لم يكن معلوماً فلا يصح وان أريد به الأخذ في الكلام الماضي واستئناف زيادة عليه فهو صحيح فالقائل إذا قال أعطيته الفاً بل الفين لم ينقض الأول وكيف ينقضه والأول داخل في الثاني وانما أراد عليه وانما يكون ناقضاً للثاني لو قال لقيت رجلًا بل حماراً لأن الأول لا يدخل في الثاني على وجه وقوله تعالى أو أشد قسوة غير ناقض للأول لأنها لا تزيد على الحجارة إلا بأن يساويها وانما تزيد عليها بعد المساواة (وخامسها) أن يكون بمعنى الواو كقوله تعالى **﴿أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم ﴾** معناه وبيوت آبائكم قال جرير:

أَثَعْلَبَةَ الفَوَارِسَ أَوْ رِيَاحاً ... عَدَلْتَ بِهِمْ طُهَيَّةَ والْخِشَابَا

أراد ورياحاً وقال أيضاً:

نَالَ الْخِلاَفَةَ أوْ كَانَت لَهُ قَدراً كَمَا أتَى رَبَّهُ مُوْسَى عَلى قَدر

وقال توبة بن الحمير:

وَقَدْ زَعَمَتْ لَيْلى بِأنِّي فَاجِرٌ لِنَفْسِي تُقَاهَا أوْ عَلَيْها فُجُورُهَا

فإن قيل كيف يكون أو في الآية بمعنى الواو والواو للجمع والشيء إذا كان على صفة لم يجز أن يكون على خلافها أجيب عنه بأنه ليس يمتنع أن تكون قلوبهم كالحجارة في حالة وأشد من الحجارة في حالة أخرى فيصح المعنى ولا يتنافى وفائدة هذا الجواب ان قلوب هؤلاء مع قساوتها ربما لانت بعض اللين وكادت تصغى الى الحق فتكون في هذا الحال كالحجارة التي ربما لانت وتكون في حال اخرى في نهاية البعد عن الخير فتكون أشد من الحجارة .

وجواب آخر وهو أن قلوبهم لا تكون أشد من الحجارة الا بعد أن يكون فيها قسوة الحجارة لأن قولنا فلان أعلم من فلان اخبار بأنه زائد عليه في العلم الذي اشتركا فيه فلا بد من الاشتراك ثم الزيادة فلا تنافي ها هنا ثم فَضّل[١] سبحانه الحجارة على القلب القاسي فقال ﴿**وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار**﴾ معناه أن من الحجارة ما هو انفع من قلوبكم القاسية فيتفجر منه انهار الماء واستغنى بذكر الأنهار عن ذكر الماء وقيل المراد منه الحجر الذي كان ينفجر منه اثنتا عشرة عيناً وقيل هو عام ﴿**وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء**﴾ يعني ومن الحجارة ما يخرج منه الماء فيكون عيناً نابعة لا أنهاراً جارية حتى يكون مخالفاً للأول وقال الحسين بن علي المغربي الحجارة الأولى حجارة الجبال منها تتفجر الأنهار والثانية حجر موسى عليه السلام الذي كان يضربه فيخرج منه العيون فلا يكون تكراراً وقوله ﴿**وان منها لما يهبط من خشية الله**﴾ الضمير في منها يرجع الى الحجارة أي ومن الحجارة ما يهبط من خشية الله وعليه أكثر أهل التفسير وقيل يرجع الى القلوب أي ومن القلوب ما يهبط من خشية الله أي تخشع وهي قلوب من آمن من أهل الكتاب فيكونون مستثنين من القاسية قلوبهم عن أبي مسلم ومن قال ان الضمير يرجع الى الحجارة فإنهم اختلفوا في تأويله على وجوه (أحدها) ما روي عن مجاهد وابن جريج ان كل حجر تردَّى من رأس جبل فهو من خشية الله فمعناه ان الحجارة قد تصير الى الحال التي ذكرها

(١) [الله] .

من خشية الله وقلوب اليهود لا تخشى ولا تخشع ولا تلين لأنهم عارفون بصدق محمد ثم لا يؤمنون به فقلوبهم أقسى من الحجارة (وثانيها) ما قاله الزجاج ان الله تعالى أعطى بعض الجبال المعرفة فعقل طاعة الله نحو الجبل الذي تجلى الله عز وجل له حين كلم موسى فصار دكاً[1] وكما روي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال انّ حجراً كان يسلم عليّ في الجاهلية واني لأعرفه الآن وهذا الوجه ضعيف لأن الجبل إذا كان جماداً فمحال ان يكون فيه معرفة الله وان كان بنيته بنية الحي فإنه لا يكون جبلاً واما الخبر فإن صح فإن معناه أنه سبحانه احياه فسلم على النبي صلى الله عليه وآله ثم أعاده حجراً ويكون معجزاً له عليه السلام (وثالثها) أنه يدعو المتفكر فيه إلى خشية الله أو يوجب الخشية له بدلالته على صانعه لما يرى فيه من الدلالات والعجائب وأضاف الخشية اليه لأن التفكر فيه هو الداعي الى الخشية كما قال جرير بن عطية .

وَأَعْــوَرُ مِنْ نَبْهَــان أَمَّــا نَهَــارُهُ فَــأَعْـمَـى وأَمَّــا لَـيـلُـهُ فَـبَـصِـيـرُ

فجعل الصفة لليل والنهار وهو يريد صاحبه النبهاني الذي يهجوه بذلك من أجل أنه كان فيهما على ما وصفه به (ورابعها) أنه إنما ذكر ذلك على سبيل ضرب المثل أي كأنه يخشى الله سبحانه في المثل لانقياده لأمره ووجد منه ما لو وجد من حي عاقل لكان دليلاً على خشية كقوله سبحانه ﴿ **فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقض** ﴾ أي كأنه يريد لأنه ظهر فيه من الميل ما لو ظهر من حي لدل على إرادته الانقضاض ومثله قوله ﴿ **وإن من شيء الا يسبح بحمده** ﴾ وكما قال زيد الخيل .

بِجَمْعٍ تضِـلُّ البُلْقُ في حَجَـراتِهِ تَـرَى الأُكْمَ فِيهـا سجَّـداً لِلْحـوافِـرِ

فجعل ما ظهر في الأكم من آثار الحوافر وقلة مدافعتها لها كما يدافع الحجر الصلد سجوداً لها ولو كانت الأكم في صلابة الحديد حتى تمتنع على الحوافر لم يقل أنها تسجد للحوافر قال جرير :

لَمَّـا أتى خَبَـرُ الـزُّبَيْـرِ تَـوَاضَعَتْ سُـورُ الْمَـدِينَـةِ وَالجِبَـالُ الخشَّـعُ

أي كأنها كذلك وقال جرير أيضاً .

والشَّمْسُ طَـالِعَـةٌ لَيْسَتْ بِكَـاسِفَـةٍ تَبْكِي عَلَيْـكَ نُجُـومَ اللَّيْـلِ والقَمَـرَا

(١) [دكّا] .

وكما قال[١] سبحانه **﴿لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله﴾** أي لو كانت الجبال مما يخشع لشيء ما لرأيته خاشعاً ويؤيد هذا الوجه قوله سبحانه **﴿وتلك الأمثال نضربها للناس﴾**.

و(خامسها) ان هبط يجوز ان يكون متعدياً قال الشاعر

مَــا رَاعَنِي إلّاَ جَنَــاحُ هَــابِـطَا   عَلى البُيُــوتِ قَـوْطَـهُ العُـلابِـطَا

فاعمله بالقوط كما ترى ويكون على هبطت الشيء فهبط فمعناه يهبط غيره من خشية الله أي اذا رآه الانسان خشع لطاعة خالقه إلا أنه حذف المفعول تخفيفاً ولدلالة الكلام عليه ونسب الفعل إلى الحجر لأنَّ طاعة رائيه لخالقه سببها النظر اليه اي منها ما يهبط الناظر اليه اي يخضعه ويخشعه وقوله **﴿وما الله بغافل عما تعملون﴾** أيها المكذبون بآياته الجاحدون نبوة نبيّه محمد صلى الله عليه وآله وقد ذكرناه قبل .

﴿ * أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾

[**اللغة**] الطمع تعليق النفس بما تظنه من النفع ونظيره الأمل والرجاء ونقيضه اليأس والفريق جمع كالطائفة لا واحد له من لفظه وهو فعيل من التفرق كما سميت الجماعة بالحزب من التحزب قال الأعشى بن ثعلبة :

أَجَـدُّوا فَلَمّـا خِفْتُ أنْ يَتَفَــرَّقُـوا   فَــرِيْقَيْنِ مِنْهُمُ مُصْعِــدٌ ومُصَــوّبُ

والتحريف في الكلام تغيير الكلمة عن معناها .

[**الاعراب**] أفتطمعون الف استخبار تجري في كثير من المواضع مجرى الانكار اذا لم يكن معها نفي فإذا جاءت مع النفي فانكار النفي تثبيت ويكون بمعنى الاستدعاء الى الاقرار نحو أليس الله بكاف عبده فجوابه بلى كقوله **﴿ألم يأتكم نذير قالوا بلى﴾** وجواب أفتطمعون لا على ما ذكرناه .

---

(١) [الله] .

[**المعنى**] هذا خطاب لأمة نبينا محمد صلى الله عليه وآله يقول ﴿**أفتطمعون**﴾ أيها المؤمنون ﴿**أن يؤمنوا لكم**﴾ من طريق النظر والاعتبار والانقياد للحق بالاختيار ﴿**وقد كان فريق منهم**﴾ أي ممن هو في مثل حالهم من اسلافهم ﴿**يسمعون كلام الله**﴾ ويعلمون أنه حق ويعاندون فيحرّفونه ويتأوّلونه على غير تأويله وقيل انهم علماء اليهود الذين يحرفون التوراة فيجعلون الحلال حراماً والحرام حلالاً اتباعاً لأهوائهم واعانة لمن يرشوهم عن مجاهد والسدي وقيل انهم السبعون رجلاً الذين اختارهم موسى من قومه فسمعوا كلام الله فلم يمتثلوا أمره وحرّفوا القول في أخبارهم لقومهم حين رجعوا إليهم عن ابن عباس والربيع فيكون على هذا كلام الله معناه كلام الله لموسى وقت المناجاة وقيل المراد بكلام الله صفة محمد ﷺ في التوراة وقوله ﴿**ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه**﴾ قيل فيه وجهان (أحدهما) أن يكون معناه انهم غيروه من بعد ما فهموه فأنكروه عناداً ﴿**وهم يعلمون**﴾ انهم يحرفونه أي يغيرونه (والثاني) ان معناه من بعد ما تحققوه وهم يعلمون ما عليهم في تحريفه من العقاب والأول أليق بمذهبنا في الموافاة وانما أراد الله سبحانه بالآية ان هؤلاء اليهود الذين كانوا على عهد النبي ﷺ إن لم يؤمنوا به وكذبوه وجحدوا نبوته فلهم بآبائهم وأسلافهم الذين كانوا في زمان موسى[1] (ع) اسوة إذا جروا على طريقتهم في الجحد والعناد وهؤلاء الذين عاندوا وحرفوا كانوا معدودين يجوز على مثلهم التواطؤ والاتفاق في كتمان الحق وان كان يمتنع ذلك على الجمع الكثير والجمّ الغفير لأمر يرجع الى اختلاف الدواعي ويبطل قول من قال انهم كانوا كلهم عارفين معاندين لأن الله سبحانه انما نسب فريقاً منهم الى المعاندة وان كانوا بأجمعهم كافرين وفي هذه الآية دلالة على عظم الذنب في تحريف الشرع وهو عام في اظهار البدع في الفتاوى والقضايا وجميع امور الدين .

﴿ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓا۟ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾

(١) وفي نسختنا المخطوطة والمطبوعة « كذبوا موسى » بدل « كانوا في زمان موسى » .

[**اللغة**] الحديث والخبر والنبأ نظائر مشتق من الحدوث وكأنه اخبار عن حوادث الزمان والفتح في الاصل فتح المغلق وقد يستعمل في مواضع كثيرة فمنها الحكم يقال اللهم افتح بيني وبين فلان اي احكم[1] يقولون متى هذا الفتح اي متى هذا القضاء ويوم الفتح يوم القضاء وقال الشاعر :

أَلَا أَبْلِغْ بَنِي عُصْمٍ رَسُوْلاً فَإِنِّي عَن فُتَاحَتِكُمْ غَنِيُّ

ويقال للقاضي الفتاح ومنها التعليم يقال افتح عليّ هذا أي علمني ما عندك فيه ومنها النصرة يقال استفتحهُ اي اطلب منه النصر ومنه قوله ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح ويستعمل في فتح البلدان يقال فتح المسلمون ارض كذا والمحاجة والمجادلة والمناظرة نظائر فالمحاجة ان يحتج كل واحد من الخصمين على صاحبه والحجة الوجه الذي به يكون الظفر عند الحجاج ويقال حاججته فحججته وفي الحديث فحج آدم موسى اي غلبه في الحجة وأصله من القصد ومنه الحج وهو القصد الى بيت الله الحرام على وجه مخصوص فالحجة هي النكتة المقصودة في تصحيح الأمور .

[**النزول**] روي عن أبي جعفر الباقر عليه السلام انه قال كان قوم من اليهود ليسوا من المعاندين المتواطئين اذا لقوا المسلمين حدثوهم بما في التوراة من صفة محمد فنهاهم كبراؤهم عن ذلك وقالوا لا تخبروهم بما في التوراة من صفة محمد فيحاجوكم به عند ربكم فنزلت هذه الآية وقال مجاهد نزلت في بني قريظة لما قال لهم النبي صلى الله عليه وآله يا اخوة القردة والخنازير قالوا من أخبر محمداً بهذا ما خرج الا منكم وقال السدي هؤلاء ناس من اليهود آمنوا ثم نافقوا فكانوا يحدثون المؤمنين من العرب بما عذب به اسلافهم فقال بعضهم لبعض اتحدثونهم بما فتح الله عليكم من العذاب ليحاجوكم به فيقولون نحن اكرم على الله منكم .

[**المعنى**] ثم ذكر الله سبحانه خصلة أخرى من خصالهم الذميمة فقال ﴿**و**﴾ هم الذين ﴿**إذا لقوا الذين آمنوا**﴾ أي رأوهم ﴿**قالوا آمنا**﴾ أي صدقنا بمحمد أنه نبي صادق نجده في كتابنا بنعمته وصفته وبما صدقتم به واقررنا بذلك اخبر الله تعالى عنهم انهم تخلقوا بأخلاق المنافقين وتحلوا بحليتهم واستنّوا بسنتهم ﴿**وإذا خلا بعضهم إلى بعض**﴾ أي إذا خلا بعض هؤلاء اليهود الذين وصفهم الله إلى بعض منهم فصاروا في خلاء وهو

---

(١) [ومنه و] .

الموضع الذي ليس فيه غيرهم **﴿قالوا﴾** يعني قال بعضهم لبعض **﴿اتحدثونهم بما فتح الله عليكم﴾** قال الكلبي بما قضى الله عليكم في كتابكم ان محمد احق وقوله صدق وروي سعيد بـن جبير عن ابن عباس ان معناه قالوا لا تحدثوا العرب بهذا فأنكم قد كنتم تستفتحون به عليهم أي لا تقروا بأنه نبي وقد علمتم أنه قد اخذ له الميثاق عليكم باتباعه وأنه النبي الذي كنا ننتظره ونجده في كتابنا اجحدوه ولا تقروا لهم به وقال الكسائي اتحدثونهم بما بينه الله لكم في كتابكم من العلم ببعث محمد صلى الله عليه وآله والبشارة به وبعض الاقوال فيه ذكرناه في النزول واقوى التأويلات قول من قال اتحدثونهم بما فتح الله عليكم أي حكم الله به عليكم وقضاه فيكم ومن حكمه عليكم ما أخذ به ميثاقكم من الإيمان بمحمد صلى الله عليه وآله وصفته الموصوفة لكم في التوراة ومن قضائه فيكم انه جعل منكم القردة والخنازير وقوله **﴿ليحاجوكم به عند ربكم﴾** أي ليكون لهم الحجة عليكم عند الله في الدنيا والآخرة في إيمانهم بالنبي صلى الله عليه وآله إذ كنتم مقرين به ومخبرين بصحة أمره من كتابكم فهذا يبين[1] حجتهم عليكم عند الله وقيل معناه ليجادلوكم ويقولوا لكم قد اقررتم أنه نبي حق في كتابكم ثم لا تتبعونه وقوله **﴿عند ربكم﴾** قال ابن الانباري معناه في حكم ربكم كما يقال هذا حلال عند الشافعي أي في حكمه وهذا يحل عند الله أي في حكمه وقوله **﴿افلا تعقلون﴾** أي افلا تفقهون ايها القوم ان اخباركم محمداً واصحابه بما تخبرونهم به من وجود نعت محمد في كتبكم حجة عليكم عند ربكم يحتجون بها عليكم وقيل معناه افلا تعقلون ايها المؤمنون انهم لا يؤمنون فلا تسمعوا في ذلك عن الحسن وقيل انه خطاب لليهود أي فلا تعقلون أيها اليهود إذ تقبلون من رؤوسائكم مثل هذا وهذا تحذير لهم عن الرجوع إلى قول رؤوسائهم.

﴿ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾

[المعنى]**﴿أو لا يعلمون﴾** يعني اليهود أن الله يعلم سرهم وعلانيتهم فكيف يستجبزون ان يسروا إلى أخوانهم النهي عن التحدث بما هو الحق وهم مقرون بذلك غير جاحدين بأن الله يعلم سرهم وجهرهم كالكفار والمنافقين فهم من هذه الجهة ألوم والمذمة لهم الزم عن أكثر المفسرين وقيل معناه أو لا يعلمون ان الله يعلم ما يسرون من كفرهم

---

(١) وفي النسخ التي عندنا «فبهذا تبيّن» مكان «فهذا يبيّن».

وتكذيبهم محمداً إذا خلا بعضهم إلى بعض وما يعلنون من قولهم آمنا إذا لقوا اصحاب محمد ليرضوهم بذلك عن قتادة وأبي العالية.

﴿ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ ﴾

[**القراءة**] قرأ أبو جعفر وشيبة والحسن أماني مخففة والباقون بالتشديد وكذلك في قوله ﴿ليس بأمانيكم ولا اماني اهل الكتاب﴾.

[**الحجة**] قال ابن جني الاصل فيه التثقيل اماني جمع امنية والتخفيف في هذا النحو كثير والمحذوف منه الياء الاولى التي هي نظيرة ياء المدّ مع غير الادغام نحو ياء قراطيس وحوامين واراجيح جمع حَومانة وارجوحة الا تراها قد حذفت في نحو قوله (والبكرات الفُسَّج العَطامِسا) وقوله(١) (وَغير سُفْع مُثلٍ يَحامم) يريد عطاميس ويحاميم على ان حذف الياء مع الادغام اسهل من حذفه ولا ادغام معه وذلك ان هذه الياء لما ادغمت خفيت وكادت تستهلك فإذا انت حذفتها فكأنك إنما حذفت شيئاً هو في حال وجوده في حكم المحذوف.

[**اللغة**] الأُمِّي الذي لا يحسن الكتابة وإنما سمي أُمِّياً لأحد وجوه (احدها) أنه الأمة الخلقة فسمي امياً لأنه باق على خلقته ومنه قول الأعشى.

وَإِنَّ مُـعَـاوِيَـةَ الأكْـرَمِـيـن   حِسَانُ الـوُجـوْهِ طِـوَالُ الأُمَم

(وثانيها) أنه مأخوذ من الأمة التي هي الجماعة أي هو على اصل ما عليه الأمة في أنه لا يكتب لأنه يستفيد الكتابة بعد ان لم يكن يكتب (وثالثها) أنه مأخوذ من الأم أي هو على ما ولدته أمه في أنه لا يكتب وقيل إنما نسب إلى أمه لأن الكتابة إنما تكون في الرجال دون النساء والامنية ذكر فيها وجوه (احدها) ان معناها التلاوة يقال تمنى كتاب الله أي قرأ وتلا وقال كعب بن مالك.

تَمَنَّى كِتَـابَ ٱللَّهِ أَوَّلَ لَيْـلَةٍ   وَآخِـرَهُ لَاقَى حِمَـامَ ٱلْمَقَـادِرِ

---

(١) قائله: غيلان بن حريث. الفَسَّج شديد السمين جمع فاسج: الناقة الحبلى، والعطموس: تامة الخلقة .

وقال آخر:

تَمَنَّى كِتَابَ اللَّهِ بِاللَّيْلِ خَالِياً تَمَنِّيَ دَاوُدَ الزَّبُورَ عَلَى رِسلِ

(وثانيها) أن المراد بالاماني الاحاديث المختلفة عن الفراء والعرب تقول أنت انما تتمنى هذا القول أي تختلقه وقال بعضهم ما تمنيت مذ اسلمت أي ما كذبت (وثالثها) أن المراد بالاماني انهم يتمنون على الله ما ليس لهم مثل قولهم **﴿لن تمسنا النار الا اياماً معدودة﴾** وقولهم **﴿نحن ابناء الله واحباؤه﴾** وقال الزجاج إذا قال القائل مالا يعلمه فكأنه إنما يتمناه وهذا مستعمل في كلام الناس تقول للذي يقول مالا حقيقة له وهو يحبه هذا امنيتي وهذه امنيته والظن هو ترجيح احد الجانبين على الآخر لأمارة صحيحة وليس هو من قبيل الاعتقادات على الصحيح من المذهب وفي الناس من قال هو اعتقاد.

[**الاعراب**] قال الزجاج يرتفع اميون بالابتداء ومنهم الخبر وفي قول الأخفش يرتفع اميون بفعلهم كان المعنى واستقر منهم قال أبو علي ليس يرتفع اميون عند الاخفش بفعلهم وإنما يرتفع بالظرف الذي هو منهم ومذهب سيبويه أنه يرتفع[١] بالابتداء ففي منهم عنده ضمير لقوله اميون وموضع منهم على مذهبه رفع لوقوعه موقع خبر الابتداء فأما على مذهب الأخفش فلا ضمير لقوله اميون في منهم ولا موضع له عنده كما لا موضع لذهب في قولك ذهب زيد وإنما رفع الأخفش الاسم بالظرف لأنه نظر إلى هذه الظروف فوجدها تجري مجرى الفعل في مواضع وفي انها تحتمل الضمير كما يحتمله الفعل وما قام مقامه من اسماء الفاعلين وما اشبه به ويؤكد ما فيها كما يؤكد ما في الفعل وما قام مقامه في نحو مررت بقوم لك اجمعون وينصب عنها الحال كما ينصب بالفعل ويوصل بهما الاسماء الموصولة كما يوصل بالفعل والفاعل فيصير فيها ضمير الموصول كما يصير ضميره في الفعل ويوصف به النكرة كما يوصف بالفعل والفاعل فلما رآها في هذه المواضع تقوم مقام الفعل اجراها أيضاً مبتدأ مجرى الفعل فرفع بها الاسم كما رفع بالفعل إذا قامت هذه الظروف مقامَ الفعل في هذه المواضع فقال في عندك زيد وفي الدار عمرو ومنهم اميون ونحو ذلك أنه يرتفع بالظرف إذ كان الظرف قد اقيم مقام الفعل في غير هذه المواضع والدليل على ان الاسم هاهنا مرتفع بالظرف دون الفعل الذي هو استقر ونحوه أنه لو كان مرتفعاً بالفعل لجاز **قائماً في** الدار زيد كما يجوز قائماً استقر زيد فامتناع تقديم الحال هنا

---

(١) [أُميّون].

يدل على أنه لا عمل للفعل هنا وقوله ﴿الا اماني﴾ نصب على الاستثناء المنقطع كقوله ﴿ما لهم به من علم الا اتباع الظن﴾ وكقول الشاعر.

لَيْسَ بَينِي وَبَيْنَ قَيسٍ عِتَابُ غَيْرَ طَعْنِ الكُلَى وَضَرْبِ الرِّقَابِ

وقول النابغة :

حَلَفْتُ يَمِيناً غَيْرَ ذِي مَثْنَوِيَّةٍ وَلا عِلْمَ إلَّا حُسْنَ ظَنٍّ بِصَاحِبِ

وإن في قوله إنَّ هم بمعنى ما أي ما هم الا ظانّون فهم مبتدأ ويظنون خبره.

[**المعنى**] ﴿**ومنهم**﴾ يعني ومن هؤلاء اليهود الذين قصّ الله قصصهم في هذه الآيات وقطع الطمع عن إيمانهم ﴿**أُميّون**﴾ أي غير عالمين بمعاني الكتاب يعلمونها حفظاً وتلاوة لا رعاية ودراية وفهما لما فيه عن ابن عباس وقتادة وقال ابو عبيدة الاميون هم الامم الذين لم ينزل عليهم كتاب والنبي الأمي الذي لا يكتب وانشد لتُبّع.

لَـهُ أُمَّةٌ سُمِّيَتْ في الـزَّبُـو رِ أُمِّيَّةً هِـي خَـيـرُ الأُمَـمْ

وقوله ﴿**لا يعلمون الكتاب**﴾ أي لا يعلمون ما في الكتاب الذي انزل الله عز وجل ولا يدرون ما اودعه الله اياه من الحدود والأحكام والفرائض فهم كهيئة البهائم مُقلّدة لا يعرفون ما يقولون والكتاب المعنّي به التوراة ادخل عليه لام التعريف «الّا» بمعنى لكن «اماني» أي قولاً يقولونه بافواههم كذباً عن ابن عباس وقيل احاديث يحدثهم بها علماؤهم عن الكلبي وقيل تلاوة يتلونها ولا يدرونها عن الكسائي والفراء وقيل اماني يتمنون على الله الرحمة ويخطر الشيطان ببالهم ان لهم عند الله خيراً ويتمنون ذهاب الاسلام بموت الرسول ﷺ وعود الرياسة اليهم وقيل اماني يتخرصون الكذب ويقولون الباطل والتمني في هذا الموضع هو تخلّق الكذب وتخرّصه ويقوّي ذلك قوله وان هم الا يظنون فبين انهم يختلقون ما يختلقون من الكذب ظناً لا يقيناً ولو كان المعنى انهم يتلونه لما كانوا ظانين وكذلك لو كانوا يتمنونه لأن الذي يتلوه إذا تَدبّره عَلِمه ولا يقال للمتمني في حال وجود تمنيه أنه يظن تمنيه ولا أنه شاك فيما هو عالم به واليهود الذين عاصروا النبي لم يشكوا في ان التوراة من عند الله وقوله ﴿**وان هم الا يظنون**﴾ ومعناه أنهم يشكون وفي هذه الآية دلالة على ان التقليد في معاني الكتاب وفيما طريقه العلم غير جائز وان الاقتصار على

(١) وهو عمرو بن ايهم التغلبي.

الظن في ابواب الديانات لا يجوز وان الحجة بالكتاب قائمة على جميع الخلق وان لم يكونوا عالمين إذا تمكنوا من العلم به وإنَّ من الواجب ان يكون التعويل على معرفة معاني الكتاب لا على مجرد تلاوته.

﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾

[**اللغة**] الويل في اللغة كلمة يستعملها كل واقع في هلكة واصله العذاب والهلاك ومثله الويح والويس وقال الاصمعي هو التقبيح ومنه ولكم الويل مما تصفون وقال المفضل معناه الحزن وقال قوم هو الهوان والخزي ومنه قول الشاعر[١].

يَا زِبْرِقَانُ أخا بَنِي خَلَفٍ مَا أَنْتَ وَيْلَ أَبِيْكَ وَالفَخْرُ

واصل الكسب العمل الذي يجلب به نفع أو يدفع به ضرر وكل عامل عملا بمباشرة منه له ومعاناة فهو كاسب له قال لبيد:

لِمُعَفَّرٍ قَهْدٍ تَنَازَعَ شِلْوَهُ غُبْسٌ كَواسِبُ مَا يُمَنُّ طَعَامُهَا[٢]

وقيل الكسب عبارة عن كل عمل بجارحة يجتلب به نفع أو يدفع به مضرة ومنه يقال للجوارح من الطير كواسب.

[**الاعراب**] ويل رفع بالأبتداء وخبره للذين قال الزجاج ولو كان في غير القرآن لجاز فويلاً للذين على معنى جعل الله ويلاً للذين والرفع على معنى ثبوت الويل للذين وقال غيره إذا اضفت ويل وويح وويس نصبت من غير تنوين فقلت ويح زيد وويل زيد وأما التعس والبعد وما اشبههما فلا يحسن فيها الاضافة بغير لام فلذلك لم ترفع وإنما يقال في نحوها تعسا له وبعداً له وَتَبّاً له وقد نصب أيضاً ويل وويح مع اللام فقالوا ويلا لزيد وويحاً

(١) وهو المخبل السعدي.

(٢) المعفر: الملقى على التراب والقهد: الابيض الكدر والشلو: العضو. الغُبس جمع اغبس والغَبسة: لون كلون الرماد ويُمَنّ أي يقطع.

له قال الشاعر:

كَسَا اللُّؤْمُ تَيْماً خُضْرَةً في جُلُوْدِها فَوَيْلاً لِتَيْمٍ مِنْ سَرَابِيْلِهَا الخُضْرِ

[**المعنى**] ثم عاد سبحانه إلى ذكر علماء اليهود فقال ﴿**فويل للذين يكتبون الكتاب**﴾ قال ابن عباس الويل في الآية العذاب وقيل جبل في النار وروى الخدري عن النبي صلى الله عليه وآله أنه واد في جهنم يهوي فيه الكافر اربعين خريفاً قبل ان يبلغ قعره والاصل فيه ما ذكرناه من انه كلمة التحسر والتفجع والتهلف والتوجع يقولها كل مكروب هالك وفي التنزيل ياويلتنا ما لهذا الكتاب وقوله ﴿**للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله**﴾ معناه يتولون كتابته ثم يضيفونه إلى الله سبحانه كقوله سبحانه ﴿**مما عملت أيدينا**﴾ أي نحن تولينا ذلك لم نكله إلى أحد من عبادنا ومثله خلقت بيدي ويقال رأيته بعيني وسمعته بأذني ولقيته بنفسي والمعنى في جميع ذلك التأكيد وأيضاً فقد يضيف الانسان الكتاب إلى نفسه وقد امر غيره بالكتابة عنه فيقول انا كتبت إلى فلان وهذا كتابي إلى فلان وكقوله سبحانه ﴿**يُذّبح ابناءهم**﴾ وإنما أمر به فاعلمنا الله سبحانه أنهم يكتبونه بأيديهم ويقولون هو من عند الله وقد علموا يقيناً انه ليس من عنده وقيل معناه انهم فعلوا ذلك من تلقاء أنفسهم كالرجل إذا اخترع مذهباً أو قولاً لم يسبق إليه يقال له هذا مذهبك وهذا قولك وأن كان جميع ما يؤخذ عنه من الأقوال قوله والمراد ان هذا من تلقاء نفسك وأنك لم تسبق إليه وقيل كتابتهم بأيديهم انهم عمدوا إلى التوراة وحَرفوا صفة النبي صلى الله عليه وآله ليوقعوا الشك بذلك للمستضعفين من اليهود وهو المروي عن أبي جعفر الباقر عليه السلام وعن جماعة من اهل التفسير وقيل كانت صفته في التوراة اسْمر رَبْعَة فجعلوه آدمَ طويلاً وفي رواية عكرمة عن ابن عباس قال ان احبار اليهود وجدوا صفة النبي صلى الله عليه وآله مكتوبة في التوراة اكَحْل اعَيْن رَبْعة حَسَن الوجه فمحوه من التوراة حسداً وبغياً فأتاهم نفر من قريش فقالوا اتجدون في التوراة نبياً منا قالوا نعم نجده طويلاً ازرق سَبْط الشعر ذكره الواحدي بإسناده في الوسيط وقيل المراد بالآية كاتب كان يكتب للنبي فيغير ما يملي عليه ثم ارتد ومات فلفظته الأرض والاول أوجه لأنه أليق بنسق الكلام وقوله ﴿**ليشتروا به ثمناً قليلاً**﴾ يريد ليأخذوا به ما كانوا يأخذونه من عوامهم من الأموال وإنما ذكر لفظ الاشتراء توسعاً والمراد انهم تركوا الحق واظهروا الباطل ليأخذوا على ذلك شيئاً كمن يشتري السلعة بما يعطيه والفائدة في قوله ثمناً قليلاً أن كل ثمن له لا يكون الا قليلاً وللعرب في ذلك طريقة معروفة يعرفها من تَصفَّح كلامهم وقيل إنما بالقلة لأنه عرض الدنيا وهو قليل المدة كقوله تعالى ﴿**قل متاع الدنيا قليل**﴾ عن ابي العالية وقيل إنما قال

قليل لأنه حرام وقوله ﴿فويل لهم مما كتبت ايديهم﴾ أي عذاب لهم وخزي لهم وقبح لهم مما فعلوا من تحريف الكتاب ﴿وويل لهم مما يكسبون﴾ من المعاصي وقيل مما يجمعون من المال الحرام والرشى التي يأخذونها عن العوَّام.

﴿ وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾

[**اللغة**] المس نظير اللمس والفرق بينهما ان مع اللمس احساساً واصله اللصوق وجَدّه الجمع بين الشيئين على نهاية القرب والاخِلاف نقض ما تقدم من العهد بالفعل.

[**الاعراب**] اياماً انتصب على الظرف واصل اتخذتم أأتخذتم دخلت همزة الاستفهام على همزة الوصل فسقطت همزة الوصل ومن القراء من ادغم الذال في التاء من اتخذتم وفيهم من لم يدغم وأم هاهنا يحتمل أن تكون متصلة على المعادلة لهمزة الاستفهام كأنه قال على أيّ الحالتين انتم اتقولون على الله ما تعلمون أم تقولون عليه ما لاتعلمون ويحتمل أن تكون منقطعة على تقدير تمام الكلام قبله فيكون بمعنى بل والهمزة كأنه استأنف فقال بل اتقولون.

[**النزول**] قال ابن عباس ومجاهد قَدِم رسول الله ﷺ المدينة واليهود تزعم أن مدة الدنيا سبعة آلاف سنة وإنما يعذب بكل الف سنة يوماً واحداً ثم ينقطع العذاب فأنزل الله هذه الآية وقال أبو العالية وعكرمة وقتادة هي اربعون يوماً لأنها عدد الأيام التي عبدوا فيها العجل.

[**المعنى**] **﴿وقالوا﴾** أي قالت اليهود **﴿لن تمسنا النار﴾** أي لن تصيبنا **﴿الا اياماً معدودة﴾** معناه اياماً قلائل كقوله دراهم معدودة وقيل معدودة محصاة والمعدودة إذا اطلقت كان معناها القليلة قال الله سبحانه قل يامحمد لهم **﴿اتخذتم عند الله عهداً﴾** أي موثقاً انه لا يعذبكم الا هذه المدة وعرفتم ذلك بوحيه وتنزيله فإن كان ذلك فالله سبحانه لا ينقض عهده وميثاقه **﴿أم تقولون على الله﴾** الباطل جهلاً منكم به وجرأة عليه.

﴿ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ

هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨٢﴾

[**القراءة**] قرأ اهل المدينة خطيئاته على الجمع والباقون على التوحيد.

[**الحجة**] قال ابو علي يجوز ان يكون من للجزاء الجازم ويجوز ان يكون للجزاء غير الجازم فتكون السيئة وان كانت مفردة يراد بها الكثرة وكذلك تكون خطيئة مفردة وإنما حسن ان يفرد لأنه مضاف إلى ضمير مفرد وان كان يراد به الكثرة كما قال تعالى بلى مَن اسلم وجهَه لله وهو محسن فله اجره عند ربه فافرد الوجه والأجر وان كان في المعنى جمعاً في الموضعين فكذلك المضاف اليه الخطيئة لَما لم يكن جمعاً لم يجمع كما جمعت في قوله نغفر لكم خطاياكم وليغفر لنا خطايانا لأن ذلك مضاف إلى جمع ومن قال خطيئاته فجمع حمله على المعنى والمعنى الجمع والكثرة ويدل عليه قوله ﴿**فأولئك اصحاب النار** ﴾ فأولئك خبر المبتدأ الذي هو من في قول من جعله جزاء غير مجزوم كقوله ﴿ **وما بكم مِن نعمة فمِن الله**﴾ أو مبتدأ في قول مَن جعله جزاء مجزوماً وفي كلا الوجهين يراد به مَن في قوله ﴿**بلى من كسب سيئة** ﴾ ومما يدل على أن مَن يراد به الكثرة فيجوز لذلك أن يجمع خطيئة لأنها مضافة إلى جمع في المعنى قوله بعد هذه ﴿ **والذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون** ﴾ ألا ترى أن الذين جمع وهو معادل به فكذلك المعادل به يكون جمعاً مثل ما عودل .

[**الاعراب**] بلى جواب لقولهم لن تمسنا النار الا اياماً معدودة والفرق بين بلى ونعم ان بلى جواب النفي ونعم جواب الايجاب قال الفراء إنما امتنعوا من استعمال نعم في جواب الجحد لأنه إذا قال لغيره مالك عليَّ شيء فقال له نعم فقد صدّقه وكأنه قال نعم ليس لي عليك شيء وإذ قال بلى فإنما هو ردّ لكلامه أي لي عليك شيء وقوله ﴿**هم فيها خالدون**﴾ عطف هذه الجملة على الأولى بغير حرف العطف لأن في الجملة الثانية ذكراً ممن في الاولى والضمير يربط الكلام الثاني بالأول كما ان حرف العطف يربطه به مثل قوله ﴿**أنهم كانوا قبل ذلك محسنين كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون**﴾ وقال في موضع آخر وكانوا يصرّون بالواو وقال ﴿**سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم**﴾ ﴿**ويقولون خمسة سادسهم كلبهم**﴾ رجماً بالغيب ﴿**ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم**﴾ فحذفت الواو من قوله رابعهم وسادسهم استغناء

عنها بما في الجملة من ذكر ما في الاول لأن الحرف يدل على الأتصال وما في الجملة من ذكر ما تقدمها اتصال أيضاً فاستغنى به عنه.

[**المعنى**] رَدّ الله تعالى على اليهود قولهم لن تمسنا النار إلا اياماً معدودة فقال **﴿بلى ﴾** أي ليس الأمر كما قالوا ولكن **﴿من كسب سيئة﴾** اختلف في السيئة فقال ابن عباس ومجاهد وقتادة وغيرهم السيئة هاهنا الشرك وقال الحسن هي الكبيرة الموجبة للنار وقال السُدّي هي الذنوب التي اوعد الله عليها النار والقول الاول يوافق مذهبنا لأن ما عدا الشرك لا يستحق به الخلود في النار عندنا وقوله **﴿احاطت به خطيئته﴾** يحتمل امرين (احدهما) انها احدقت به من كل جانب كقوله تعالى **﴿وان جهنم لمحيطة بالكافرين﴾** (والثاني) أن المعنى اهلكته من قوله **﴿الا ان يحاط بكم﴾** وقوله **﴿وظنوا انهم أحيط بهم﴾** وقوله **﴿واحيط بثمره﴾** وهذا كله بمعنى البوار والهلكة فالمراد انها سدّت عليهم طريق النجاة وروي عن ابن عباس والضحاك وابي العالية ان المراد بالخطيئة الشرك وعن الحسن انها الكبيرة وعن عكرمة ومقاتل انها الاصرار على الذنب وإنما قال مَن كسب سيئة واحاطت به خطيئته ولم يقل واحاطت به سيئته خالف بين اللفظين ليكون ابلغ وافصح **﴿فأولئك اصحاب النار﴾** أي يصحبون النار ويلازمونها **﴿هم فيها خالدون﴾** أي دائمون ابداً عن ابن عباس وغيره والذي يليق بمذهبنا من تفسير هذه الآية قول ابن عباس لأن اهل الايمان لا يدخلون في حكم هذه الآية وقوله واحاطت به خطيئته يقوي ذلك لأن المعنى ان خطاياه قد اشتملت عليه واحدقت به حتى لا يجد عنها مخلصاً ولا مخرجاً ولو كان معه شيء من الطاعات لم تكن السيئة محيطة به من كل وجه وقد دل الدليل على بطلان التحابط ولأن قوله تعالى **﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون﴾** فيه وعد لأهل التصديق والطاعة بالثواب الدائم فكيف يجتمع الثواب الدائم مع العقاب الدائم ويدل أيضاً على ان المراد بالسيئة في الآية الشرك فيبطل الاحتجاج بالآية على دخول العمل في الإيمان على ما ذكره أهل التفسير ان سيئة واحدة لا تحبط جميع الاعمال عند اكثر الخصوم فلا يمكن إذاً اجراء الآية على العموم فيجب ان يحمل على اكبر السيئات واعظم الخطيئات وهو الشرك ليمكن الجمع بين الآيتين.

---

(١) [بلى].

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾

[**القراءة**] قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي لا يعبدون بالياء والباقون بالتاء وقرأ حمزة والكسائي وقولوا للناس حَسَنا بفتح الحاء والسين والباقون حسناً بضم الحاء واسكان السين.

[**الحجة**] حجة من قرأ لا تعبدون بالتاء على الخطاب قوله ﴿**إذا اخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم**﴾ إلى آخر الآية ويُقّويه قوله وقولوا وقوله ﴿**ثم توليتم الا قليلاً منكم وأنتم معرضون**﴾ فإذا كان هذا خطاباً وهو عطف على ما تقدم وجب أن يكون المعطوف عليه في حكمه وحجة من قرأ بالياء قوله ﴿**قل للذين كفروا أن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف**﴾ فحمله على لفظ الغيبة واما قوله حسناً فمن قرأه بضم الحاء ففيه ثلاثة اوجه (أحدها) ان يكون الحسن بمعنى الحسن كالنُجْل والنَجَل والرُشْد والرَشَد وجاز ذلك في الصفة كما جاز في الاسم قالوا العُرْب والعَرَب وهو صفة بدلالة قولهم مررت بقوم عرب اجمعين فعلى هذا يكون الحسن صفة كالحلو والمر و(ثانيها) ان يكون الحسن مصدراً كالشكر والكفر وحذف المضاف معه أي قولوا قولاً ذا حُسن و (ثالثها) ان يكون منصوباً على أنه مصدر الفعل الذي دل عليه الكلام أي ليحسن قولكم حُسناً ومن قرأه حَسَنا جعله صفة وتقديره وقولوا للناس قولاً حسناً كقوله تعالى فامتعه قليلاً أي متاعاً قليلاً.

[**اللغة**] الأخذ ضد الاعطاء والقربى مصدر قولهم قَرُبتْ مني رحم فلان قرابة وقربىٰ وقرباً واليتامى جمع يتيم مثل نديم وندامى واليتيم الذي مات ابوه إلى ان يبلغ الحلم ولا يقال لمن ماتت امه يتيم يقال لمن يتم ييتم يتما إذا فقد اباه هذا في الانسان فاما في غير الانسان فيتمه من قبل أمحه قال الاصمعي ان اليتم في الناس من قبل الأب وفي

غير الناس من قبل الأم والمسكين هـو المتخشع المتذلل من الحاجة مأخوذ من السكون كأنه قد اسكنه الفقر.

[الإعراب] قوله لا تعبدون لا يخلو إما أن يكون حالاً أو يكون تلقي القسم أو يكون على لفظ الخبر والمعنى معنى الأمر أو يكون على تقديران لا تعبدوا فتحذف أن فيرتفع الفعل فإن جعلته حالاً فالأولى أن يكون بالياء ليكون في الحال ذكر من ذي الحال وكأنه قال اخذنا ميثاقهم موحّدين وإن جعلته تلقي قسم وعطفت عليه الأمر وهو قوله وقولوا كنت قد جمعت بين امرين لا يجمع بينهما فإن لم تحمل الأمر على القسم واضمرت القول كأنه قال وإذ أخذنا ميثاق بني اسرائيل تعبدون إلا الله وقلنا واحسنوا بالوالدين احساناً فيكون وقلنا على هذا معطوفاً على أخذنا جاز لأن اخذ الميثاق قول فكأنه قال قلنا هم كذا وكذا وان حملته على ان اللفظ لفظ خبر والمعنى معنى الأمر يكون مثل قوله ﴿**تؤمنون بالله ورسوله**﴾ ويدل على ذلك قوله يغفر لكم ويؤكد ذلك أنه قد عطف عليه بالأمر وهو قوله ﴿**وبالوالدين احساناً**﴾ وقولوا واقيموا الصلاة وان حملته على ان المعنى اخذنا ميثاقهم بأن لا تعبدوا فلما حذف ان ارتفع الفعل كما قال طرفة.

أَلَا أَيُّهَـذَا الزَّاجِـرِيُّ أَحْضَـرُ الـوَغىٰ وَأَنْ أَشْهَدَ اللَّذَّاتِ هَلْ أَنْتَ مُخْلِدِي[١]

فإنّ هذا قول ان حملته عليه كان فيه حذف بعد حذف وزعم سيبويه ان حذفَ ان من هذا النحو قليل وقوله وبالوالدين احسانا الحرف الجار يتعلق بفعل مضمر ولا يجوز ان يتعلق بقوله احساناً لأن ما تعلق بالمصدر لا يجوز ان يتقدم عليه. واحْسنَ يصل إلى المفعول بالباء كما يصل بالى يدّلك على ذلك قوله وقد احسن بي إذا اخرجني من السجن فتعدى بالباء كما تعدى بإلي في قوله واحسن كما احسن الله إليه وقوله ﴿**ثم توليتم الا قليلاً منكم**﴾ قال الزجاج نصب قليلاً على الاستثناء المعنى استثني قليلاً منكم قال ابو علي إنَّ في هذا التمثيل ايهاماً ان الاسم المستثنى ينتصب على معنى استثني أو بالاَّ وليس كذلك بل ينتصب الاسم المستثنى عن الجملة التي قبل الاَّ بتوسط إلّا كما ينتصب الطيالسة ونحوها في قولك جاء البرد والطيالسة وما صنعت واباك عن الجملة التي قبل الواو بتوسط الواو ويدلّ على ذلك قولهم ما جاءني الا زيد فلو كان لإلاَّ أو لما يدل عليه عمل في المستثنى لجاز نصب هذا كما انك لو قلت استثني زيداً لنصبته فإن قيل لا يجوز النصب هنا لأن الفعل يبقى فارغاً بلا فاعل قيل فهلاّ ذلك امتناع هذا من الجواز على أنّ ما بعد إلاّ متصل بما قبلها وأنه ليس لإلاَّ فيه عمل ولا أثر الا ما يدل عليه من معنى الاستثناء.

---

(١) وفي بعض النسخ «اللائمي» بدل «الزاجري».

[المعنى] ثم عاد سبحانه إلى ذكر بني اسرائيل فقال «و» اذكروا **﴿إذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل﴾** أي عهدهم وقيل الميثاق الادلة من جهة العقل والشرع وقيل هو مواثيق الانبياء على اممهم والعهد والميثاق لا يكون الا بالقول فكأنه قال أمرناهم ووصّيناهم واكّدنا عليهم وقلنا لهم والله **﴿لا تعبدون﴾** إذا حملناه على جواب القسم وإذا حملناه على الحال أو على أن معناه الامر فكما قلناه قبل وإذا حملناه على حذف ان فتقديره وإذ اخذنا ميثاق بني بني اسرائيل بأن لا تعبدوا **﴿الا الله﴾** وحده دون ما سواه مِن الأنداد وبأن تحسنوا إلى **﴿الوالدين احسانا﴾** والاحسان الذي اخذ عليهم الميثاق بأن يفعلوه الى الوالدين هو ما فرض على أُمتّنا أيضاً من فعل المعروف بهما والقول الجميل وخفض جناح الذل لهما والتحنن عليهما والرأفة بهما والدعاء بالخير لهما وما أشبه ذلك وقوله **﴿وذوي القربى﴾** أي وبذي القربى ان تصلوا قرابته ورحمه **﴿واليتامى﴾** أي وباليتامى ان تعطفوا عليهم بالرأفة والرحمة **﴿والمساكين﴾** أي وبالمساكين ان تؤتوهم حقوقهم التي أوجبها الله عليهم في أموالهم وقوله **﴿وقولوا للناس حسنا﴾** فيه عدول إلى الخطاب بعد الخبر وإنما استجازت العرب ذلك لأن الخبر إنما كان عمن خاطبوه بعينه لا عن غيره وقد يخاطبون أيضاً ثم يصيرون بعد الخطاب إلى الخبر فمثال الاول قول عنترة.

شَطَّتْ مَزَارُ العَاشِقِين فَاصْبَحَتْ عَسِراً عَلَيَّ طِلابُكِ ابْنَةَ مَخْرَمِ(١)

ومثال الثاني قول كثير عزة :

أَسِيئي بِنَا أَوْ أَحْسِنِي لا مَلُومَةٌ لَدَيْنَا وَلَا مَقْلِيَّةٌ إنْ تَقَلَّتِ

وقيل معناه قلنا لهم قولوا واختلف في معنى قوله حسناً فقيل هو القول الحسن الجميل والخلق الكريم وهو مما ارتضاه الله واحبَّه عن ابن عباس وقيل هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عن سفيان الثوري وقال الربيع بن انس قولوا للناس حسناً أي معروفاً وروى جابر عن ابي جعفر الباقر عليه السلام في قوله وقولوا للناس حسناً قال قولوا للناس احْسَن ما تحبون ان يقال لكم فإن الله يبغض اللعّانَ السَبّاب الطَعّان على المؤمنين الفاحش المتفحش السائل الملحف ويُحبّ الحليم العفيف المتعفف ثم اختلف فيه من وجه آخر فقيل هو عام في المؤمن والكافر على ما روي عن الباقر عليه السلام وقيل هو خاص في المؤمن واختلف من قال أنه عام فقال ابن عباس وقتادة أنه منسوخ بآية السيف

(١) وفي المحكى عن شرح الزوزني «حلت بارض الزائرين فأصبحت» ولعلّ هذا أنسب.

وبقوله عليه السلام قاتلوهم حتى يقولوا لا آله إلا الله أو يقرّوا بالجزية وقد روي ذلك أيضاً عن الصادق عليه السلام وقال الاكثرون انها ليست بمنسوخة لأنه يمكن قتالهم مع حسن القول في دعائهم إلى الايمان كما قال الله تعالى **﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن﴾** وقال في آية أخرى **﴿ولا تسبّوا الذين يدعون من دون الله فيسبّوا الله عدواً بغير علم﴾** وقوله **﴿واقيموا الصلوة﴾** أي أدّوها بحدودها الواجبة عليكم **﴿وآتوا الزكوة﴾** أي اعطوها اهلها كما اوجبها الله عليكم روي عن ابن عباس ان الزكاة التي فرضها الله على بني إسرائيل كانت قرباناً تهبط إليه نار من السماء فتحمله فكان ذلك تَقَبُّله ومتى لم تفعل النار به ذلك كان غير متقبل وروي عنه أيضاً ان المعني به طاعة الله والاخلاص وقوله **﴿ثم توليتم﴾** أي اعرضتم **﴿الا قليلاً منكم وانتم معرضون﴾** اخبر الله سبحانه عن اليهود انهم نكثوا عهده ونقضوا ميثاقه وخالفوا امره وتولوا عنه معرضين الا من عصمة الله منهم فوفى الله بعهده وميثاقه ووصف هؤلاء بأنهم قليل بالاضافة إلى اولئك واختلف فيه فقيل أنه خطاب لمن كان بين ظهراني مهاجر رسول الله صلى الله عليه وآله من يهود بني إسرائيل وذمّ لهم بنقضهم الميثاق الذي اخذ عليهم في التوراة وتبديلهم أمر الله وركوبهم معاصيه وقيل أنه خطاب لأسلافهم المذكورين في اول الآية وإنما جمع بين التولي والاعراض وان كان معناهما واحداً تأكيداً وقيل معنى تَولّوا فعلوا الاعراض وهم معرضون أي مستمرون على ذلك وفي هذه الآية دلالة على ترتيب الحقوق فبدأ الله سبحانه بذكر حقه وقدّمه على كل حق لأنه الخالق المنعم بأصول النعم ثم ثنى بحق الوالدين وخصهما بالزية لكونهما سبباً للوجود وانعامهما بالتربية ثم ذكر ذوي القربى لأنهم اقرب إلى المكلف من غيرهم ثم ذكر حق اليتامى لضعفهم والفقراء لفقرهم.

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾

[اللغة] السفك الصب سفكت الدم اسفكه سفكاً وواحد الدماء دم واصله دَمَيٌ في قول أكثر النحويين ودليل من قال ان اصله دَمَي قول الشاعر(١):

فَلَوْ أَنَّا عَلَى حَجَرٍ ذُبِحْنَا جَرَى الدَّمَيَانِ بِالْخَبَرِ اليَقِيْنِ

(١) مرّ قبل في ص ١٧٥ فراجع.

وقال قوم اصله دَمْي الا انه لما حذف ورُدَّ إليه ما حذف منه حركت ألميـم لتدل الحركة على أنه استعمل محذوفاً والنفس مأخوذة من النفاسة وهي الجلالة فنفس الانسان انفس ما فيه والدار هي المنزل الذي فيه ابنية المقام بخلاف منزل الارتحال وقال الخليل كل موضع حَلّه قوم فهو دار لهم وإن لم يكن فيه ابنية والاقرار الاعتراف والشهادة أخذ من المشاهدة وهو الاخبار عن الشيء بما يقوم مقام المشاهدة في المعرفة .

[**الاعراب**] تقدير الاعراب في هذه الآية مثل الذي قلناه في الآية الاولى على السواء .

[**المعنى**] ثم عطف سبحانه على ما تقدم من الاخبار عن اليهود بنقض المواثيق والعهود بقوله ﴿**وإذ اخذنا ميثاقكم**﴾ أي ميثاق اسلافكم الذين كانوا في زمن موسى والأنبياء الماضين صلوات الله على نبينا وعليهم اجمعين وإنما اضاف الميثاق إليهم لما كانوا اخلافاً لهم على ما سبق الكلام فيه وقوله ﴿ **لا تسفكون دماءكم**﴾ معناه لا يقتل بعضكم بعضاً لأنّ في قتلِ الرجِل منهم الرجل قَتْلَ نفسِه إذا كانت ملتهما واحدة ودينهما واحد أو أهل الدين الواحد بمنزلة الرجل الواحد في ولاية بعضهم بعضاً قال النبي صلى الله عليه وآله إنما المؤمنون في تراحمهم وتعاطفهم بمنزلة الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو واحد تداعى له سائر الجسد بالحُمّى والسَهَر هذا قول قتادة وابي العالية وقيل معناه لا يقتل الرجل منكم غيره فيقاوبه قصاصاً فيكون بذلك قاتلاً لنفسه لأنه كالسبب فيه وقوله ﴿ **ولا تخرجون انفسكم من دياركم**﴾ معناه لا يخرج بعضكم بعضاً من دياركم بأن تغلبوا على الدار وقيل معناه لا تفعلوا ما تستحقون به الاخراج من دياركم كما فعله بنو النضير وقوله ﴿**ثم اقررتم وانتم تشهدون**﴾ اي اقررتم بذلك وانتم شاهدون على من تقدمكم بأخذنا منهم الميثاق وبما بذلوه من انفسهم من القبول والالتزام وقيل معنى اقرارهم هو الرضاء به والصبر عليه كما قال الشاعر(١):

أَلَسْتَ كُلَيْبِيـاً إذَا سِيمَ خُـطَّةً أقَـرَّ كَـإقْـرَارِ الحَلِيلَةِ لِلْبَعْـلِ

واختلف في المخاطب بقوله ﴿**وانتم تشهدون**﴾ فقيل اليهود الذين بين ظهراني مهاجر رسول الله صلى الله عليه وآله ايام هجرته اليهم وَنَّجَهَم الله تعالى على تضييعهم احكام ما في ايديهم من التوراة التي كانوا يُقُرون بحكمها وقال لهم ثم اقررتم يعني اقـرّ أولكم وسلفكم وأنتم تشهدون على اقرارهم بأخذي الميثاق عليهم بأن لا تسفكوا دماءكم ولا

(١) وهو بعيث يهجو بني كليب ونسبه بعضهم إلى الفرزدق.

تخرجوا انفسكم من دياركم وتُصدِّقون بذلك عن ابن عباس وقيل انه خبر من الله عز وجل عن اوائلهم ولكنه اخرج الخبر بذلك مخرج المخاطبة لهم على النحو الذي تقدم في الآيات وانتم تشهدون أي وأنتم شهود عن ابي العالية ويحتمل قوله وانتم تشهدون امرين (احدهما) ان معناه وانتم تشهدون على انفسكم بالاقرار و (الثاني) ان معناه وانتم تحضرون سفك دمائكم واخراج انفسكم من دياركم وقال بعض المفسرين نزلت الآية في بني قريظة والنضير وقيل نزلت في اسلاف اليهود.

﴿ ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ج أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾

[**القراءة**] قرأ أهل الكوفة تظاهرون بتخفيف الظاء هاهنا وفي التحريم والباقون بالتشديد فيهما وقرأ أبو جعفر ونافع وعاصم والكسائي ويعقوب اسارى تفادوهم بالالف فيهما وقرأ حمزة وحده اسْرىٰ تُفدوهم بغير الف فيهما وقرأ ابن كثير وابن عامر وابو عمرو أسارى بالفٍ تفدوهم بغير الف وكان ابو عمرو وحمزة والكسائي يميلون الراء من أسارى ونافع يقرأ بين بين والباقون يفتحون.

[**الحجة**] من قرأ تظاهرون بالتخفيف فالاصل فيه تتظاهرون فحذف التاء الثانية لاجتماع التاءين ومن قرأ تَظّاهرون بالتشديد فالاصل فيه أيضاً تتظاهرون فادغم التاء في الظاء لقرب المخرجين وكل واحد من الفريقين كره اجتماع الامثال ففريق خفف بالادغام وفريق بالحذف فالتاء التي اعتلت بالادغام هي التاء التي اعتلت بالحذف ووجه قول من قرأ اسرى أنه جمع اسير فعيل بمعنى مفعول نحو قتيل بمعنى مقتول وقَتلى وجريح وجَرحى

وهو اقيس من اسارى ووجه قول من قال اسارى انه شَبّهه بكُسالىٰ وذلك ان الاسير لما كان محبوساً عن كثير من تصرفه للاسر كما ان الكسلان محتبس عن ذلك لعادته السيئة شُبّه به فاجرى عليه هذا الجمع كما قيل مَرضى وَموتى وهَكَلى لما كانوا مبتلين بهذه الاشياء المصابين بها فاشبه في المعنى فعيلاً بمعنى مفعول فاجري عليه في الجمع اللفظ الذي لفعيل بمعنى مفعول وكما شُبّه اسارى بكسالى شُبّه كَسلى بأسرى ومن قرأ تفادوهم فلأن لكل واحد من الفريقين فعلاً فمن الآسر دفع الأسير ومن المأسور منهم دفع فدائه فوجه تفادوهم على هذا ظاهر ومن قرأ تفدوهم فالمعنى فيه مثل المعنى في تفادوهم وهذا الفعل يتعدى إلى مفعولين إلى الأول بنفسه وإلى الثاني بالجار كقوله **﴿وفديناه بذبح عظيم﴾** وقول الشاعر:

يَـوَدُّونَ لَـوْ يَفْـدُونَني بِنُفُـوسِهِـم ... وَمثْنى الأَوَاقِي وَالـقَيـانِ الـنَّـواهِـدِ

وقال الأعشى في فادي:

عِنْـدَ ذي تَـاجٍ إذَا قِيـلَ لَـهُ ... فَـادِ بِـالـمْـاَلِ تَـرَاخَى وَمَـرِحْ

المفعول الاول محذوف والتقدير فادِ الاسرى بالمال وفي الآية المفعول الثاني الذي يصل إليه الفعل بالحرف محذوف .

[**اللغة**] تظاهرون وتعاونون والظهير المعين وقوله والملائكة بعد ذلك ظهير التقدير فيه الجمع واللفظ على الافراد ومثله قول رؤبة (دعها فما النحويّ من صديقها) أي من أصدقائها وظاهَرَ بين درعين لبس احداهما فوق الأخرى والاثم الفعل القبيح الذي يستحق بها اللوم ونظيره الوزر وقال قوم معنى الاثم هو ما تنفر منه النفس ولم يطمئن اليه القلب ومنه قول النبي ﷺ لنواس بن سمعان حين سأله عن البرّ والاثم فقال البر ما اطمأنّت إليه نفسك والاثم ما حكّ في صدرك والعدوان الافراط في الظلم يقال عدا فلان في ظلمه عدْواً وعُدُوّاً وعِدوانا وعَداء وقيل العدوان مجاوزة الحد والاسر الأخذ بالقهر وأصله الشد والحبس وأسره إذا شده وقال أبو عمرو بن العلاء الأسارى الذين هم في الوثاق والاسرى الذين هم في اليد وإن لم يكونوا في الوثاق والخزي السوء والذل يقال خَزِي الرجلُ خزياً ويقال في الحياء خَزِي خزاية .

[**الاعراب**] قوله ثم أنتم هؤلاء فيه ثلاثة أقوال (أحدها) أنّ أنتم مبتدأ وهؤلاء منادى مفرد تقديره يا هؤلاء وتقتلون خبر المبتدأ (وثانيها) أنّ هؤلاء تأكيد لأنتم (وثالثها) أنه بمعنى الذين وتقتلون صلة له أي أنتم الذين تقتلون أنفسكم فعلى هذا يكون تقتلون لا

موضع له من الاعراب ومثله في الصلة وقوله ﴿وما تلك بيمينك يا موسى﴾ أي وما التي بيمينك وأنشَد النحويون في ذلك

عَدَسْ مَا لِعَبَّادٍ عَلَيْكِ إِمَارَةٌ نَجَوْتِ وهٰذا تَحْمِلينَ طَلِيقُ

وقوله تَظاهرون عليهم في موضع نصب على الحال من تخرجون وقوله وهو محرم عليكم اخراجهم هو على ضربين (أحدهما) أن يكون اضمار الاخراج الذي تقدم ذكره في قوله ﴿وتخرجون فريقاً منكم﴾ ثم بيّن ذلك بقوله اخراجهم تأكيداً لتراخي الكلام (والآخر) أن يكون هو ضمير القصة والحديث فكأنه قال والحديث محرم عليكم اخراجهم كما قال الله ﴿قل هو الله أحد﴾ أي الأمر الذي هو الحق الله أحد .

[المعنى] ﴿ثم أنتم﴾ يا معشر يهود بني اسرائيل بعد اقراركم بالميثاق الذي أخذته عليكم ان لا تسفكوا دماءكم ولا تخرجوا أنفسكم من دياركم وبعد شهادتكم على أنفسكم بذلك أنه واجب عليكم ولازم لكم الوفاء به ﴿تقتلون أنفسكم﴾ أي يقتل بعضكم بعضاً كقوله سبحانه ﴿فإذا دخلتم بيوتاً فسلّموا على أنفسكم﴾ أي لِيُسلّم بعضكم على بعض وقيل معناه تتعرضون للقتل ﴿وتخرجون فريقاً منكم من ديارهم تظاهرون عليهم﴾ أي متعاونين عليهم في اخراجكم إياهم ﴿بالاثم والعدوان وان يأتوكم أسارى تفادوهم وهو محرم عليكم اخراجهم﴾ أي وأنتم مع قتلكم من تقتلون منكم إذا وجدتم أسيراً في أيدي غيركم من أعدائكم تفدونهم وقتلكم إياهم واخراجكموهم من ديارهم حرام عليكم كما أن تركهم أسرى في أيدي عدوهم حرام عليكم فكيف تستجيزون قتلهم ولا تستجيزون ترك فدائهم من عدوهم وهما جميعاً في حكم اللازم لكم فيهم سواء لأن الذي حرمت عليكم من قتلهم واخراجهم من دورهم نظير الذي حرمت عليكم من تركهم اسرى في أيدي عدوهم ﴿أفتؤمنون ببعض الكتاب﴾ الذي فرضتُ عليكم فيه فرائضي وبَيّنتُ لكم فيه حدودي وأخذت عليكم بالعمل بما فيه ميثاقي فتُصدّقون به فتفادون اسراكم من أيدي عدوهم وتُكفرون ببعضه فتجحدونه فتقتلون من حَرمتُ عليكم قتله من أهل دينكم وقومكم وتخرجونهم من ديارهم وقد علمتم أن الكفر منكم ببعضه نقض منكم لعهدي وميثاقي واختلف فيمن عنى بهذه الآية فروى عكرمة عن ابن عباس ان قريظة والنضير كانا اخوين كالأوس والخزرج فافترقوا فكانت النضير مع الخزرج وكانت قريظة مع الأوس فإذا اقتتلوا عاونت كل فرقة حلفاءها فإذا وضعت الحرب أوزارها فدوا أسراها تصديقاً لما في التوراة والاوس والخزرج أهل شرك

يعبدون الاوثان لا يعرفون جنة ولا ناراً ولا قيامة ولا كتاباً فأنبأ الله تعالى اليهود بما فعلوه وقال أبو العالية كان بنو اسرائيل اذا استضعف قوم قوماً أخرجوهم من ديارهم وقد أُخذ عليهم الميثاق ان لا يسفكوا دماءهم ولا يخرجوا أنفسهم من ديارهم وأخذ عليهم الميثاق أن أسر بعضهم بعضاً ان يفادوهم فأخرجوهم من ديارهم ثم فادوهم فآمنوا بالفداء فقدوا وكفروا بالاخراج من الديار فأخرجوهم وقيل ليس الذين أخرجوهم الذين فودوا ولكنهم قوم آخرون على ملتهم فانبَّهم(١)الله تعالى على ذلك وقال أبو مسلم الأصبهاني ليس المراد بقوله أفتؤمنون الآية أنهم يخرجون وهو محرم ويفدون وهو واجب وإنما يرجع ذلك الى بيان صفة محمد صلى الله عليه وآله وغيره وقوله **﴿فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزى في الحياة الدنيا﴾** اختلف في الخزي الذي خزاهم الله إياه بما سلف منهم من المعصية فقيل هو حكم الله الذي أنزله على نبيه محمد ﷺ من اخذ القاتل بمن قُتل والقَود به قصاصاً والانتقام من الظالم للمظلوم وقيل بل هو أخذ الجزية منهم ما أقاموا على ذمتهم على وجه الذل والصغار وقيل الخزي الذي خزوا به في الدنيا هو اخراج رسول الله صلى الله عليه وآله بني النضير من ديارهم لأول الحشر وقتل بني قريظة وسبي ذراريهم وكان ذلك خزياً لهم في الدنيا ثم اعلم الله سبحانه ان ذلك غير مُكَفّر عنهم ذنوبهم وأنهم صائرون بعده إلى عذاب عظيم فقال **﴿ويوم القيامة يردون إلى اشد العذاب﴾** أي الى أشد العذاب الذي أعدّه الله لأعدائه وهو العذاب الذي لا روح فيه مع اليأس من التخلص **﴿وما الله بغافل عما تعملون﴾** أي وما الله بساهٍ عن أعمالهم الخبيثة بل هو حافظ لها ومجاز عليها ومن قرأه بالتاء رده إلى المواجهين بالخطاب في قوله **﴿أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض﴾** ومما يسأل في هذه الآية أن ظاهرها يقتضي صحة اجتماع الايمان والكفر وذلك مناف للصحيح من المذهب والقول فيه أن المعنى انهم أظهروا التصديق ببعض الكتاب والانكار للبعض دون بعض وهذا يدل على أنهم لا ينفعهم الايمان بالبعض مع الكفر بالبعض الآخر وفي هذه الآية تسلية لنبينا عليه السلام في ترك قبول اليهود قوله وانحيازهم عن الايمان به فكأنه يقول كيف يقبلون قولك ويسلمون لأمرك ويؤمنون بك وهم لا يعملون بكتابهم مع اقرارهم به وبأنه من عند الله تعالى .

﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ

(١) انَّبه: عنَّفه ولامه .

ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾

[**اللغة**] الخفّة نقيض الثقل والتخفيف والتسهيل والتهوين نظائر واختلف في الخفة والثقل فقيل أنه يرجع الى تناقص الجواهر وتزايدها وقيل إنّ الاعتماد اللازم سفلاً يسمى ثقلاً والاعتماد اللازم المختص بجهة العلو يسمى خفة .

[**المعنى**] أشار إلى الذين أخبر عنهم بأنهم يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض فقال ﴿**أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا**﴾ أي ابتاعوا رياسة الدنيا ﴿**بالآخرة**﴾ أي رضوا بها عوضاً من نعيم الآخرة التي أعدَّها الله تعالى للمؤمنين جعل سبحانه تركهم حظوظهم من نعيم الآخرة بكفرهم بالله ثمناً لما ابتاعوه به من خسيس الدنيا ثم أخبر أنّهم لاحظ لهم في نعيم الآخرة بقوله ﴿**فلا يخفف عنهم العذاب**﴾ أي لا ينقص من عذابهم ولا يهوّن عنهم ﴿**ولا هم ينصرون**﴾ أي لا ينصرهم احد في الآخرة فيدفع عنهم بنصرته عذاب الله تعالى .

۞ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَقَفَّيۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِۦ بِٱلرُّسُلِۖ وَءَاتَيۡنَا عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدۡنَٰهُ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمۡ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهۡوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ فَفَرِيقٗا كَذَّبۡتُمۡ وَفَرِيقٗا تَقۡتُلُونَ ﴿٨٧﴾

[**القراءة**] قرأ ابن كثير القدس بسكون الدال في جميع القرآن والباقون بضم القاف والدال وروي في الشواذ عن أبي عمرو وآيدناه على زنة افعلناه والقراءة أيدناه بالتشديد .

[**الحجة**] التخفيف والتثقيل في القدس وكذلك فيما كان مثله نحو الحلم والحُلم والعنق والعُنق وأيدناه إنما كانت القراءة المشهورة فيه فعلناه لما يعرض من تصحيح العين مخافة توالي اعلالين في آيدناه على افعلناه ومعنى هذا أنه لو أعلّت عينه كما يجب اعلال عين افعلت من الأجوف كأقمت وأبعت لتتابع فيه اعلالان لأن أصل آيدت أأيدت كما أن اصل امن ءأمن فانقلبت الهمزة الثانية الفاً لاجتماع همزتين في كلمة واحدة والأولى منهما

مفتوحة والثانية ساكنة وكان يجب ايضاً أن تلقى حركة العين على الفاء وتحذف العين كما ألقيت حركة الواو من اقومت على القاف قبلها فصار اقمت وكان يجب على هذا أن تقلب الفاء هنا واواً لأنها قد تحركت وانفتح ما قبلها ولا بد من قلبها لوقوع الهمزة الأولى قبلها كما قبلت في تكسير آدم آوادِم فكان يجب أن تقول أودته كأقمته فتحذف العين كما ترى وتقلب الفاء التي هي في الأصل همزة واواً فيعتل الفاء والعين جميعاً وإذا كان يؤدي القياس الى هذا رفض وكثر فيه فعَّلْتُ ليؤمن الاعلالان وجاء أَيَدْتُ قليلاً شاذاً على الأصل وإذا كانوا قد أخرجوا عين أفْعَلتُ وهي حرف علة على الصحة في نحو قوله[١]

صَدَدْتِ فـأَطْـوَلْتِ الصُّـدُودَ وقَلَّمـا وِصَـالٌ على طُـوْلِ الصُّدُودِ يَـدومُ

وأعْوَزَ القوم وأغيَمتِ السماء ولو أعلت لم يُخف فيه توالي اعلالين كان خروج أيدت على الصحة لئلا يجتمع اعلالان اولى وأحرى .

[**اللغة**] قفينا أي اردفنا واتبعنا بعضهم خلف بعض وأصله من القفا يقال قفوت فلاناً إذا صرت خلف قفاه كما يقال دبرته قال امرؤ القيس:

وَقَـفَّـى عَـلَى آثـارِهِـنَّ بِـحَـاصِـبٍ وغَيْبَـةِ شُؤْبُـوبٍ من الشَّـدِّ مُلْهِبِ[٢]

والرسل جمع رسول كالصبرُ والشكرُ في جمع صبور وشكور وأيدناه قوينا من الأيد والآد وهما القوة ومثلهما في البناء على فَعْل وفَعَل الذيْم والذام والعيب والعاب قال العجاج (مِنْ أنْ تَبدَّلْتُ بِآدي آداً) أي بقوة شبابي قوة الشيب والقدس الطهر والتقديس التطهير وقولنا في صفة الله تعالى القدوس أي الطاهر المنزه عن أن يكون له ولد أو يكون في فعله وحكمه ما ليس بعدل وبيت المقدس لا يخلو المقدس فيه اما ان يكون مصدراً أو مكاناً فإن كان مكاناً فالمعنى بيت المكان الذي فعل فيه الطهارة وأضيف إلى الطهارة لأنه منسك كما جاء أن طهر بيتي للطائفين وتطهيره اخلاؤه من الصنم وابعاده منه فعلى هذا يكون معناه بيت مكان الطهارة وان كان مصدراً كان كقوله إلـي مرجعكم ونحوه من المصادر التي جاءت على هذا المثال والهوى مقصوراً والشهوة نظيران هوى يهوى هوى .

[**المعنى**] ثم ذكر سبحانه انعامه عليهم بارسال رسله إليهم وما قابلوه به من

(١) القائل المرار.

(٢) وهو يصف فرساً .

تكذيبهم فقال **﴿ولقد آتينا موسى الكتاب﴾** أي أعطيناه التوراة وأنزلنا إليه **﴿وقفينا من بعده﴾** أي اتبعنا من بعد موسى **﴿بالرسل﴾** رسولاً بعد رسول يتبع الآخر الأول في الدعاء إلى وحدانية الله تعالى والقيام بشرائعه على منهاج واحد لأن كل من بعثه الله تعالى نبياً بعد موسى الى زمن عيسى عليهما السلام فإنما بعثه بإقامة التوراة والعمل بما فيها والدعاء الى ذلك **﴿وآتينا عيسى بن مريم البينات﴾** أي أعطيناه المعجزات والدلالات على نبوته من احياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص ونحو ذلك من الآيات الدالة على صدقه وصحة نبوته وقال بعضهم أراد بالبينات الانجيل وما فيه من الأحكام والآيات الفاصلة بين الحلال والحرام **﴿وأيدناه بروح القدس﴾** أي قويناه واعنّاه بجبريل (ع) عن قتادة والسدي والضحاك والربيع واختلف في سبب تسمية جبرائيل عليه السلام روحاً على وجوه (أحدها) أنه يحيي بما يأتي به من البينات الأديان كما تحيا بالأرواح الأبدان (وثانيها) أنه سمي بذلك لأن الغالب عليه الروحانية وكذلك سائر الملائكة وانما خص بهذا الاسم تشريفاً له (وثالثها) أنه سمي به وأضيف إلى القدس لأنه كان بتكوين الله تعالى إياه روحاً من عنده من غير ولادة والد ولده وقال ابن زيد المراد بروح القدس الانجيل كما سمى الله تعالى القرآن روحاً فقال وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا فكذلك سمي الانجيل روحاً وروى الضحاك عن ابن عباس ان الروح الاسم الذي كان عيسى (ع) يحيي به الموتى وقال الربيع هو الروح الذي نفخ فيه فأضافه الى نفسه تشريفاً كما قال بيت الله وناقة الله وأقوى الأقوال والوجوه قول من قال هو جبرائيل (ع) وإذا قيل لم خصّ عيسى (ع) من بين الأنبياء بأنه مؤيد بجبرائيل وكل نبي مؤيد به فالقول فيه انه انما خص بذلك لثبوت اختصاصه به من صغره الى كبره فكان يسير معه حيث سار ولما همَّ اليهود بقتله لم يفارقه حتى صعد به الى السماء وكان تمثل لمريم عند حملها به وبشرها به ونفخ فيها واختلف في معنى القدس فقيل هو الطهر وقيل هو البركة عن السدي وحكى قطرب انهم يقولون قدس عليه الأنبياء أي بركوا وعلى هذا فإنه كدعاء ابراهيم (ع) للحرم رب اجعل هذا بلداً آمناً وكقول زكريا واجعله رب رضياً وقيل القدس هو الله تعالى عن الحسن والربيع وابن زيد وقالوا القدوس والقدس واحد وقوله **﴿أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم﴾** خطاب لليهود فكأنه قال يا معشر يهود بني اسرائيل أكلما جاءكم رسول من رسلي بغير الذي تهواه أنفسكم تعظمتم وتجبرتم وأنفتم من قبول قوله **﴿ففريقاً كذبتم وفريقاً تقتلون﴾** أي فكذبتم منهم بعضاً ممن لم تقدروا على قتله مثل عيسى (ع) ومحمد (ص) وقتلتم بعضاً مثل يحيى وزكريا وغيرهما وظاهر الخطاب وان خرج مخرج التقرير

فهو بمعنى الخبر وانما أضاف هذا الفعل إليهم وان لم يباشروه بنفوسهم لأنهم رضوا بفعل اسلافهم فأضيف الفعل اليهم وان فعله أسلافهم .

﴿ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾

[**القراءة**] القراءة المشهورة غلف بسكون اللام وروي في الشواذ عن أبي عمرو علف بضم اللام .

[**الحجة**] من قرأ بالتسكين فهو جمع الأغلف مثل احمر وحمر ويقال للسيف إذا كان في غلاف اغلف وقوس غلفاء وجمعها غلف ولا يجوز تثقيله إلا في ضرورة الشعر نحو قول طرفة .

أَيُّهَـا الفِتْيَـانُ فـي مَجْلِسِنـا جَـرِّدُوا مِـنْهَـا وُرَاداً وشُـقُـرْ

فحركت لضرورة الشعر فمن قرأ غُلُف مثقلاً فهو جمع غلاف نحو مثال ومُثُل وحمار وحُمُر فيكون معناه ان قلوبنا أوعية للعلم فما بالها لا تفهم ويجوز أن يكون التسكين عن التثقيل مثل رُسُل ورُسْل .

[**اللغة**] اللعن هو الاقصاء والابعاد يقال لعن فلان فلاناً فهو ملعون ثم يصرف مفعول منه الى فعيل فقيل لعين قال الشماخ

وَمَـاءٍ قَـدْ وَرَدْتُ لِـوَصْـلِ أرْوَى عَـلَيْـهِ الـطَّيْـرُ كَـالـوَرَقِ اللَّجِـينِ
ذَعَـرْتُ بِـهِ القَـطَا ونَفَيْتُ عَـنْـهُ مَقَـامَ الـذِّئْبِ كَـالـرَّجُـلِ اللَّعينِ

[**الاعراب**] قليلاً منصوب بأنه صفة لمصدر محذوف وانما حذف لأن الصفة تقوم مقامه وتدل عليه أي فإيماناً قليلاً ما يؤمنون وقيل أنه منصوب على الحال أي يؤمنون وهم قليل وقيل وتقديره بقليل ما يؤمنون حذف الجار فوصل الفعل إليه فنصبه وما ها هنا مزيدة للتوكيد ولا معنى لها كما في قوله **﴿فبما رحمة من الله﴾** وتقدير الكلام فقليلاً يؤمنون وكما في قول الشاعر:

لَـوْ بـأَبَـانِـينِ جَـاءَ يَـخْـطُبُهَـا خَضَّبَ مـا أنْفَ خـاطِبٍ بِـدَمِ

وقيل ان معنى ما ها هنا هو أن يدل على غاية التنكير في الاسم وفرط الابهام فيه

كما يقال امر ما وشيء ما اذا أريد المبالغة في الابهام .

[المعنى] ﴿وقالوا قلوبنا غلف﴾ رجع الكلام الى الحكاية عن اليهود وعن سوء مقالهم وفعالهم فالمعنى على القراءة الأولى انهم ادعوا ان قلوبهم ممنوعة من القبول فقالوا أيُّ فائدة في انذارك لنا ونحن لا نفهم ما تقول إذ ما تقوله ليس مما يفهم كقوله تعالى ﴿وقالوا قلوبنا في أكنّة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر﴾ وقال أبو علي الفارسي ما يدرك به المعلومات من الحواس وغيرها من الاعضاء إذا ذكر بأنه لا يعلم وصف بأن عليه مانعاً من ذلك ودونه حائلاً فمن ذلك قوله تعالى ﴿أفلا يتدبّرون القرآن أم على قلوب اقفالها﴾ لما كان القفل حاجزاً بين المقفل عليه وحائلاً من أن يدخله ما يدخل إذا لم يكن مقفلاً جعل مثالاً للقلوب بأنها لا تعي ولا تفقه وكذلك قوله ﴿لقالوا إنما سكرت أبصارنا والذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكري﴾ وقوله ﴿بل هم منها عمون﴾ كأن شدة عنادهم تحملهم على الشك في المشاهدات ودفع المعلومات وأما المعنى على القراءة الثانية من تحريك العين في غلف فهو على أن المراد ان قلوبنا أوعية للعلم ونحن علماء ولو كان ما تقوله شيئاً يفهم أوله طائل لفهمناه أو يكون المراد ليس في قلوبنا ما تذكره فلو كان علماً لكان فيها وقوله ﴿بل لعنهم الله بكفرهم﴾ رد الله سبحانه عليهم قولهم اي ليس ذلك كما زعموا لكن الله سبحانه قد أقصاهم وأبعدهم من رحمته وطردهم عنها بجحودهم به وبرسله وقيل معنى لعنهم طبع على قلوبهم على سبيل المجازاة لهم بكفرهم وقوله ﴿فقليلاً ما يؤمنون﴾ معناه ان هؤلاء الذين وصفهم قليلوا الايمان بما أنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وآله وان كان معهم بعض الإيمان من التصديق بالله وبصفاته وغير ذلك مما كان فرضاً عليهم وذلك قليل بالاضافة الى ماجحدوه من التصديق بنبوة نبينا صلى الله عليه وآله وبما جاء به والذي يليق بمذهبنا ان يكون المراد به لا ايمان لهم اصلاً وانما وصفهم بالقليل كما يقال قل ما رأيت هذا قط أي ما رأيت هذا قط وان جعلت قليلاً نصبا على الحال أي يؤمنون قليلاً فمعناه لا يؤمن به[1] الا نفر قليل كعبد الله بن سلام وأصحابه وفي هذه الآية رد على المجبرة لأن هؤلاء اليهود قالوا مثل ما يقولونه من ان على قلوبهم ما يمنع من الإيمان ويحول بينها وبينه فكذّبهم الله تعالى في ذلك بأن لعنهم وذمّهم ولو كانوا صادقين[2] لما استحقّوا اللعن والطرد ولكان الله سبحانه قد كلّفهم ما لا يطيقونه .

---

(١) [منهم] . (٢) [في ذلك] .

﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَـٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾

[**الاعراب**] مصدق رفع لأنه صفة لكتاب ولو نصب على الحال لكان جائزاً لكنه لم يقرأ به في المشهور وقيل ضم على الغاية وقد ذكرنا الوجه فيه فيما تقدم من قوله قالوا هذا الذي رزقنا من قبل وأما جواب لما في قوله **﴿ولما جاءهم كتاب من عند الله﴾** فعند الزجاج والأخفش محذوف لأن معناه معروف يدل عليه قوله **﴿فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به﴾** كما حذف جواب لو من نحو قوله **﴿ولو ان قرآناً سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلّم به الموتى﴾** وتقديره ولو ان قرآناً سوى هذا القرآن سيرت به الجبال لسيرت بهذا القرآن وقيل ان قوله كفروا جواب لقوله ولما جاءهم كتاب من عند الله ولقوله فلما جاءهم ما عرفوا وانما كرّر لمّا لطول الكلام عن المبرد .

[**النزول**] قال ابن عباس كانت اليهود يستفتحون أي يستنصرون على الأوس والخزرج برسول الله صلى الله عليه وآله قبل مبعثه فلما بعثه الله من العرب ولم يكن من بني إسرائيل كفروا به وجحدوا ما كانوا يقولون فيه فقال لهم معاذ بن جبل وبشر بن البراء بن معرور يا معشر اليهود اتقوا الله وأسلموا فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد ونحن أهل الشرك وتصفونه وتذكرون أنه مبعوث فقال سلام بن مِشكم اخو بني النضير ما جاءنا بشيء نعرفه وما هو بالذي كنا نذكر لكم فأنزل الله تعالى هذه الآية وروى العياشي بإسناده رفعه إلى أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال كانت اليهود تجد في كتبها ان مهاجر محمد رسول الله ﷺ ما بين عير وأُحُد فخرجوا يطلبون الموضع فمرّوا بجبل يقال له حداد فقالوا حداد وأحد سواء فتفرقوا عنده فنزل بعضهم بتيماء وبعضهم بفدك وبعضهم بخيبر فاشتاق الذين بتيماء الى بعض اخوانهم فمرّ بهم اعرابي من قيس فتكاروا منه وقال لهم امرٌّ بكم ما بين عير وأُحُد فقالوا له إذا مررت بهما فآذِنا بهما فلما توسط بهم أرض المدينة قال ذلك عير وهذا أُحُد فنزلوا عن ظهر إبله وقالوا له قد أصبنا بُغْيتنا فلا حاجة بنا إلى إبلك فاذهب حيث شئت وكتبوا الى اخوانهم الذين بفدك وخيبر أنا قد أصبنا الموضع فهلّموا الينا

(١) يعني ص ١٦٣ فراجع .

فكتبوا اليهم انا قد استقرت بنا الدار واتخذنا بها الأموال وما اقربنا منكم فإذا كان ذلك فما اسرعنا اليكم واتخذوا بأرض المدينة اموالاً فلما كثرت اموالهم بلغ ذلك تبع[١] فغزاهم فتحصنوا منه فحاصرهم ثم أمَّنهم فنزلوا عليه فقال لهم اني قد استطبتُ بلادكم ولا أراني الا مقيماً فيكم فقالوا له ليس ذلك لك انها مهاجر نبي وليس ذلك لأحد حتى يكون ذلك فقال لهم فإني مخلف فيكم من أُسرتي من اذا كان ذلك ساعده ونصره فخلف حيين تراهم الأوس والخزرج فلما كثروا بها كانوا يتناولون اموال اليهود فكانت اليهود تقول لهم اما لو بعث محمد لنخرجنكم من ديارنا وأموالنا فلما بعث الله محمداً صلى الله عليه وآله آمنت به الأنصار وكفرت به اليهود وهو قوله تعالى ﴿**وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا**﴾ إلى آخر الآية .

[**المعنى**] ﴿**ولما جاءهم**﴾ أي جاء اليهود من بني إسرائيل الذين وصفهم الله ﴿**كتاب من عند الله**﴾ يعني به القرآن الذي انزله على نبيه محمد ﷺ ﴿**مصدق لما معهم**﴾ أي للذي معهم من الكتب التي أنزلها الله تعالى قبل القرآن من التوراة والانجيل وغيرهما وفيه وجهان (أحدهما) ان معناه انه مصدّق لما تقدم به الاخبار في التوراة والانجيل فهو مصدّق لذلك من حيث كان مخبره على ما تقدم الخبر به (والآخر) انه مصدق لهما أي بأنهما من عند الله تعالى وانهما حق ﴿**وكانوا**﴾ يعني اليهود ﴿**من قبل**﴾ أي من قبل مبعث النبي ﷺ ونزول القرآن ﴿**يستفتحون**﴾ فيه وجوه (أحدها) ان معناه يستنصرون أي يقولون في الحروب اللهم افتح علينا وانصرنا بحق النبي الأمي اللهم انصرنا بحق النبي المبعوث الينا فهم يسألون عن الفتح الذي هو النصر (وثانيها) أنهم كانوا يقولون لمن ينابذهم هذا نبي قد أطلّ زمانه[٢] ينصرنا عليكم (وثالثها) ان معنى يستفتحون يستعملون من علمائهم صفة نبي يبعث من العرب فكانوا يصفونه لهم فلما بعث انكروه (ورابعها) ان معنى يستفتحون يستحكمون ربهم على كفار العرب كما قال:

أَلَا أَبْلِغْ بَنِي عُصْمٍ رَسُولاً ... فَإِنِّي عَنْ فُتَاحَتِكُمْ غَنِيُّ

أي عن محاكمتكم به وقوله ﴿**على الذين كفروا**﴾ أي مشركي العرب ﴿**فلما جاءهم ما عرفوا**﴾ يعني محمداً ﷺ أي عرفوا صفته ومبعثه ﴿**كفروا به**﴾ حسداً وبغياً وطلباً

(١) كذا في النسخ ولكن الصواب تبعاً لأنه مفعول بلغ .
(٢) أطل الزمان: قرب .

للرياسة ﴿فلعنة الله ﴾ أي غضبه وعقابه ﴿على الكافرين﴾ وقد فَسَّرنا معنى اللعنة والكفر فيما مضى.

﴿ بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩٠﴾

[**القراءة**] قرأ أبو عمرو أن يُنْزِل خفيفة كل القرآن الا في الانعام ان يُنَزِّل آية فإنه شددها وقرأ ابن كثير بالتخفيف كل القرآن الا في سبحان[١] ونُنزل من القرآن وحتى تُنزَل فإنه شَدَّدها وقرأ حمزة والكسائي كل القرآن بالتشديد الا في آلم وحمّ عسقّ يُنزل الغيث فانهما قرآها بالتخفيف وقرأ الباقون بالتشديد كل القرآن واتفقوا في الحجر وما نُنَزِله أنه مشدد.

[**الحجة**] نزل فعل غير متعد ويعدى بالاضراب الثلاثة وهي النقل بالهمزة وتضعيف العين وحرف الجر فَانزل ونَزّل لغتان ومما عدي بالحرف قوله تعالى ﴿**نزل به الروح الآمين** ﴾ فيمن رفع الروح وقد كثر مجيء التنزيل في القرآن فهذا يقوي نَزَّل ولم يعلم فيه الانزال وكثر فيه مجيء انزل.

[**اللغة**] بئس ونعم فعلان ماضيان اصلهما على وزن فَعِل وفيها اربع لغات نَعِم وبَئِس مثل حَمِدَ ونَعْم وبَئْس بسكون العين ونِعِم وبِئِس بكسر الفاء والعين ونِعْم وبِئْس واشتروا افتعلوا من الشراء واكثر الكلام شريت بمعنى بعت واشتريت بمعنى ابتعت قال يزيد الحميري.

وَشَـرَيْـتُ بُـرْداً لَـيـتَـنِـي مِنْ بَعْـدِ بُـرْدٍ كُنْتُ هَـامَـهْ[٢]

وربما استعمل اشتريت بمعنى بعت وشريت بمعنى ابتعت والاكثر ما تقدم والبغي اصله الفساد مأخوذ من قولهم بغى الجرح إذا فسد وقيل اصله الطلب لأن الباغي يطلب التطاول الذي ليس له ذلك وسميت الزانية بَغِيّاً لأنها تطلب والاهانة الاذلال.

[**الاعراب**] قال الزجاج بئس إذا وقعت على ما جعلت معها ما بمنزلة اسم منكور

(١) أي في سورة الاسراء. (٢) برد: اسم غلامه.

وإنما كان ذلك في نعم وبئس لأنهما لا يعملان في اسم علم انما يعملان في اسم منكور دال على جنس أو اسم فيه الف ولام يدل على جنس وإنما كانت كذلك لأنِ نعم مستوفية لجميع المدح وبئس مستوفية لجميع الذم فإذا قلت نعم الرجل زيد فقد قلت استحق زيد المدح الذي يكون في سائر جنسه وكذا إذا قلت بئس الرجل زيد دللت على أنه قد استوفى الذم الذي يكون في سائر جنسه فلم يجز إذ كان يستوفي مدح الاجناس ان يعمل من غير لفظ جنس فإذا كان معها اسم جنس بغير الف ولام فهو نصب ابداً وإذا كانت فيه الف ولام فهو رفع ابداً نحو نعم الرجل زيد ونعم رجلا زيد وإنما نصبت رجلاً للتمييز وفي نعم اسم مضمر على شريطة التفسير ولذلك كانت ما في نعم بغير صلة لأن الصلة توضح وتخصص والقصد في نعم ان يليها اسم منكور أو اسم جنس فقوله بئسما اشتروا به أنفسهم تقديره بئس شيئاً اشتروا به أنفسهم قال أبو علي قوله ولذلك كانت ما في نعم بغير صلة يدلّ على أن ما اذا كانت موصولة لم يجز عنده ان تكون فاعلة نعم وبئس وذلك عندنا لا يمتنع وجهة جوازه ان ما اسم مبهم يقع على الكثرة ولا يخصص واحداً بعينه كما ان اسماء الاجناس تكون للكثرة وذلك في نحو قوله تعالى ﴿**ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله**﴾ فالقصد به هنا الكثرة وان كان في اللفظ مفرداً بدلالة قوله ويقولون هؤلاء وتكون معرفة ونكرة كما ان اسماء الاجناس تكون معرفة ونكرة وقد اجاز ابو العباس المبرد في الذي ان تلي نعم وبئس إذا كان عاماً غير مخصوص كما في قوله ﴿**والذي جاء بالصدق**﴾ وإذا جاز في الذي كان في ما اجوز فقوله ﴿**بئسما اشتروا به أنفسهم**﴾ يجوز عندي أن تكون ما موصولة وموضعها رفع بكونها فاعلة لبئس ويجوز أن تكون منكورة فتكون اشتروا صفة غير صلة ويدل على صحة ما رأيته قول الشاعر:

وكَيفَ أُرْهَبُ أمْراً أوْ أُرَاعُ لَهُ ... وَقَدْ زَكَأْتُ إلى بِشْرِبْن مَرْوانِ
فَنِعْمَ مَزْكَأُ مَنْ ضَاقتْ مَذَاهِبُهُ ... وَنِعْمَ مَنْ هُوَ في سِرٍ وَإعْلانِ

الا ترى انه جعل مَزْكَأ فاعل نعم لما كان مضافاً إلى من وهي تكون عامة غير معينة وأما قوله ﴿**ان يكفروا بما أنزل الله**﴾ فموضعه رفع وهو المخصوص بالذم فإن شئت رفعته على أنه مبتدأ مؤخر وان شئت على أنه خبر مبتدأ محذوف أي هذا الشيء المذموم كفرهم بما انزل الله وقوله بغياً نصب بأنه مفعول له كقول حاتم.

وَأَغْفِرُ عَوْرَاءَ الكَرِيمِ ادِّخَارَهُ ... وَأُعْرِضُ عَن شَتْمِ اللَّئِيمِ تَكَرُّمَا

المعنى اغفر عوراءه لِادِّخاره واعرض عن الشتم للتكرم وموضع ان الثانية نصب على حذف حرف الجر يعني بغياً لأن ينزل الله أي من اجل ان ينزل الله .

[**المعنى**]ثم ذَمّ الله سبحانه اليهود بايثارهم الدنيا على الدين فقال ﴿**بئسما اشتروا به أنفسهم**﴾ أي بئس شيئاً باعوا به أنفسهم أو بئس الشيء باعوا به أنفسهم ﴿**ان يكفروا**﴾ أي كفرهم ﴿**ان يكفروا**﴾ أي كفرهم ﴿**بما انزل الله**﴾ يعني القرآن ودين الاسلام المنزل على محمد ﷺ فإذا سأل كيف باعت اليهود انفسها بالكفر فالجواب ان البيع والشراء إزالة ملك المالك إلى غيره بعوض يعتاضه منه ثم يستعمل ذلك في كل معتاض من عمله عوضاً خيراً كان أو شراً فاليهود لما اوبقوا انفسهم بكفرهم بمحمد ﷺ واهلكوا خاطبهم الله بما كانوا يعرفونه فقال بئس الشيء رضوا به عوضاً من ثواب الله وما أعدّه لهم لو كانوا آمنوا بالله وما انزل الله على نبيه النار وما اعدّ لهم بكفرهم ونظير ذلك الآيات في سورة النساء من قوله﴿**الم تر الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت** إلى قوله **وآتيناهم ملكاً عظيماً**﴾ وقوله ﴿**بغياً**﴾ أي حسداً لمحمد ﷺ إذا كان من والد إسماعيل وكانت الرسل قبل من بني اسرائيل وقيل طلباً لشيء ليس لهم ثم فسر ذلك بقوله ﴿**ان ينزّل الله من فضله على من يشاء من عباده**﴾ وهو الوحي والنبوة وقوله ﴿**وباءوا بغضب على غضب**﴾ معناه رحبت اليهود من بني اسرائيل بعد ما كانوا عليه من الانتصار[1] بمحمد والاستفتاح به والاخبار بأنه نبي مبعوث مرتدين ناكصين على أعقابهم حين بعثه الله نبياً بغضب من الله استحقوه منه بكفرهم وقال مؤرج معنى باءوا بغضب استوجبوا اللعنة بلغة جُرْهم ولا يقال باء مفردة حتى يقال إمّا بخير وإمّا بشر وقال أبو عبيدة فباؤا بغضب احتملوه وأقرّوا به واصل البوء التقرير والاستقرار وقوله على غضب فيه اقوال (احدها) ان الغضب الاول حين غيّروا التوراة قبل مبعث النبي والغضب الثاني حين كفروا بمحمد ﷺ عن عطاء وغيره (وثانيها) ان الغضب الاول حين عبدوا العجل والثاني حين كفروا بمحمد عن السدي (وثالثها) ان الاول حين كفروا بعيسى (ع) والثاني حين كفروا بمحمد ﷺ عن الحسن وعكرمة وقتادة و(رابعها) ان ذلك على التوكيد والمبالغة إذ كان الغضب لازماً لهم فيتكرر عليهم عن ابي مسلم والأصم ﴿**وللكافرين عذاب مهين**﴾ معناه للجاحدين بنبوة محمد عذاب مهين من الله امّا في الدنيا وإمّا في الآخرة والمهين هو الذي يذل صاحبه ويخزيه ويلبسه الهوان وقيل المهين الذي لا ينتقل منه إلى اعزاز واكرام وقد يكون غير مهين إذا

(١) وفي نسخنا «الاستنصار» بدل «الانتصار» وهو الظاهر.

كان تحميصاً وتكفيراً ينتقل بعده إلى اعزاز تعظيم فعلى هذا من ينتقل من عذاب النار إلى الجنة لا يكون عذابه مهيناً.

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾

[**اللغة**] ما رواه أي ما بعده قال الشاعر:

تَمَنِّي الأَمَانِي لَيْسَ شَيْءٌ وَرَاءَهَا كَمَوْعِدِ عُرْقُوبٍ[1] أَخَاهُ بِيَثْرِبِ

قال الفراء معنى وراءه سوى كما يقال للرجل تكلم بالكلام الحسن ما وراء هذا الكلام شيء يراد ليس عند المتكلم به شيء سوى ذلك الكلام.

[**الاعراب**] قوله مصدقاً نصب على الحال وهذه حال مؤكدة قال الزجاج زعم سيبويه والخليل وجميع النحويين الموثوق بعلمهم ان قولك هو زيد قائماً خطأ لأن قولك هو زيد كناية عن اسم متقدم فليس في الحال فائدة لأن الحال يوجب هاهنا أنه إذا كان قائماً فهو زيد وإذا ترك القيام فليس بزيد فهذا خطأ فامّا قولك هو زيد معروفاً وهو الحق مصدقاً ففي الحال هنا فائدة كأنك قلت اثبته له معروفاً وكأنه بمنزلة قولك هو زيد حقاً فمعروف حال لأنه إنما يكون زيداً بأنه يعرف بزيد وكذلك القرآن هو الحق إذا كان مصدقاً لكتب الرسل عليهم السلام وقوله **﴿فلم تقتلون﴾** وان كان بلفظ الاستقبال فالمراد به الماضي وإنما جاز ذلك لقوله من قبل وإن بمعنى الشرط ويدل على جوابه ما تقدم وتقديره ان كنتم مؤمنين فلم قتلتم انبياء الله وقيل ان بمعنى ما النافية أي ما كنتم مؤمنين.

[**المعنى**] **﴿وإذا قيل لهم﴾** يعني اليهود الذين تَقّدم ذكرهم **﴿آمنوا﴾** أي صدقوا

---

(١) عرقوب رجل من قدماء يهود يثرب معروف بخلف الوعد واما ما في قول الاعشى: «مواعيد عرقوب اخاه بيثرب فقال الحموي انهم اجمعوا على روايته بالتاء المثناة راجع معجم البلدان ط بيروت ج ٥ ص ٤٢٩.

﴿بما انزل الله﴾ من القرآن على محمد ﷺ والشرائع التي جاء بها ﴿قالوا بما انزل علينا﴾ يعنون التوراة ﴿ويكفرون بما وراءه﴾ أي يجحدون بما بعده يريد الانجيل والقرآن أو بما سوى التوراة من الكتب المنزلة كقوله سبحانه ﴿واحلّ لكم ما وراء ذلكم﴾ وقال ابن الانباري تم الكلام عند قوله بما أُنزل علينا ثم ابتدأ الله بالاخبار عنهم فقال ويكفرون بما وراءه اي بما سواه ﴿وهو الحق﴾ يعني القرآن ﴿ مصدقاً لما معهم﴾ يعني التوراة لأن تصديق محمد وما أنزل معه من القرآن مكتوب عندهم في التوراة قال الزجاج وفي هذا دلالة على أنهم قد كفروا بما معهم إذ كفروا بما يصدّق ما معهم ثم رد الله تعالى عليهم قولهم نؤمن بما انزل علينا فقال ﴿قل فلم تقتلون انبياء الله من قبل﴾ أي قل يا محمد لهم فلم قتلتم انبياء الله وقد حرم الله في الكتاب الذي انزل عليكم قتلهم وأمركم فيه باتباعهم وفرض عليكم طاعتهم وتصديقهم ﴿ان كنتم مؤمنين﴾ بما انزل عليكم وقال الزجاج ان بمعنى ما هاهنا كأنه قال ما كنتم مؤمنين وهذا وجه بعيد وإنما قال تقتلون بمعنى قتلتم لأن لفظ المستقبل يطلق على الماضي إذا كان ذلك من الصفات اللازمة كما يقال أنت تسرق وتقتل إذا صار ذلك عادة له ولا يراد بذلك ذمّه ولا توبيخه على ذلك الفعل في المستقبل وإنما يراد به توبيخه على ما مضى وإنما اضاف اليهم فعل آبائهم واسلافهم لأحد أمرين (احدهما) ان الخطاب لمن شهد من أهل ملة واحدة ومن غاب منهم واحد فإذا قتل اسلافهم الأنبياء وهم مقيمون على مذهبهم وطريقتهم فقد شركوهم في ذلك والآخر انهم رضوا بأفعالهم والراضي بفعل قوم كالداخل فيه معهم وهذا المعنى قريب من الأول وفي هذه الآية دلالة على ان الإيمان بكتاب من كتب الله لا يصح إذا لم يحصل الايمان بما سواه من كتب الله المنزلة التي هي مثله في اقتران المعجزة به.

﴿ ۞ وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٩٢﴾

[**المعنى**]ثم حكى سبحانه عنهم ما يدلّ على قلة بصيرتهم في الدين وضعفهم في اليقين فقال ﴿ولقد جاءكم موسى بالبينات﴾ الدالة على صدقه والمعجزات المؤيدة لنبوته كاليد البيضاء وانبجاس الماء من الحجر وفلق البحر وقلب العصا حية والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم وَسّماها بينات لظهورها وتبينها للناظرين اليها انها معجزة يتعذر

الاتيان بها على كل بشر وقوله ﴿ثم اتخذتم العجل﴾ يعني اتخذتم العجل آلهاً وعبدتموه ﴿من بعده﴾ أي من بعد موسى لمّا فارقكم ومضى إلى ميقات ربه ويجوز ان يكون الهاء كناية عن المجيء فيكون التقدير ثم اتخذتم العجل من بعد مجيء البينات ﴿وانتم ظالمون﴾ لأنفسكم بكفركم وعبادتكم العجل لأن العبادة لا تكون لغير الله .

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَكُمْ
وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَـٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ سَمِعْنَا
وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ
إِيمَـٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾

[اللغة] اسْمَعوا معناه اقبلوا ومنه قوله ﴿سمع الله لمن حمده ﴾ أي قبل الله حمدَ مَن حمده وقوله واشربوا اصله من الشرب يقال شَرّب وأشّرب غيرَه إذا حمله على الشرب وأشرِب الزرع أي سقي وأشرب قلبه حُبَّ كذا قال زهير.

فَصَحَوْتُ عَنْهَا بَعْدَ حُبٍّ دَاخِلٍ وَالْحُبُّ يُشَرَبُهُ فُؤَادُكَ دَاءُ

[الاعراب] قوله العجل أي حب العجل حذف المضاف واقيم المضاف إليه مقامة ومثله قول الشاعر.

حَسِبْتَ بُغَامَ رَاحِلَتِي عَنَاقاً وَمَا هِيَ وَيْبُ غَيْرِكِ بِالْعِنَاقِ

اي حسبت بغام راحلتي بغام(١) عناق وقال طَرفة :

أَلَا إِنّني سُقِّيتُ أَسْوَدَ حَالِكاً أَلَا بَجَلِيْ(٢) مِن الشَّرَابِ الأَبَجَلْ

يريد سقيت سم اسود قال آخر.

وشَرُّ الْمَنَايَا مَيِّتٌ وَسْطَ أَهْلِهِ كَهُلْكِ الفَتَى قَدْ أَسْلَمَ الحَيَّ حَاضِرُهْ

أي منية ميت وقوله ﴿بئسما يأمركم به إيمانكم﴾ فقد تقدم ذكر اعرابه وان يجوز أن

---

(١) بغام: صوت الابل ونحوها. (٢) بَجَل: اسم فعل بمعنى حسب.

يكون بمعنى ما أي ما كنتم مؤمنين وجاز أن يكون تقديره ان كنتم مؤمنين فبئسما يأمركم به إيمانكم هذا.

[المعنى] قوله ﴿وإذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة﴾ قد فسرناه فيما مضى والفائدة في تكرير هذا وامثاله التأكيد وايجاب الحجة عليهم على عادة العرب في مخاطباتها وقيل انه سبحانه لما عدّ فضائح اليهود اعاد ذكر رفع الجبل وقيل أنه تعالى إنما ذكر الاول للاعتبار بأخبار من مضى والثاني للأحتجاج عليهم وقوله **﴿واسمعوا﴾** أي اقبلوا ما سمعتم واعملوا به واطيعوا الله وقيل معناه اسمعوا ما يتلى عليكم اي استمعوا لتسمعوا وهذا اللفظ يحتمل الاستماع والقبول ولا تنافي بينهما فيحتمل عليهما فكأنه قيل استمعوا لتسمعوا ثم اقبلوا وأطيعوا وبدل عليه أنه قال في الجواب عنهم قالوا سمعنا وعصينا وفيه قولان (احدهما) انهم قالوا هذا القول في الحقيقة استهزاء ومعناه سمعنا قولك وعصينا امرك (والثاني) أن حالهم كحال من قال ذلك إذ فعلوا ما دل عليه كما قال الشاعر (قَالَت جَنَاحَاهُ لِرِجْلَيْهِ أَلحقي) وان كان الجناح لا يقول ذلك وإنما رجع سبحانه عن لفظ الخطاب إلى الخبر عن الغائب على عادة العرب المألوفة واختلف في هذا الضمير إلى من يعود فقيل إلى اليهود الذين كانوا في عصر النبي صلى الله عليه وآله فأنهم قالوا ذلك ثم رجع إلى حديث اوائلهم فقال واشربوا وقيل إلى اليهود الذين كانوا في عصر موسى عليه السلام إذ ردّوا عليه قوله وقابلوه بالعصيان وقوله **﴿واشربوا في قلوبهم﴾** فمعناه دخل قلوبهم حبّ **﴿العجل﴾** وإنما عبر عن حب العجل بالتسرب دون الاكل لأن شرب الماء يتغلغل في الاعضاء حتى يصل إلى بواطنها والطعام يجاوز الاعضاء ولا يتغلغل فيها قال الشاعر.

تغلْغَـلَ حَيْثُ لَمْ يَبْلُغْ شَـرَابٌ وَلاَ حُـزْنٌ وَلَـمْ يَـبْـلُغ سُـرُوْرُ

وليس المعنى في قوله واشربوا ان غيرهم فعل ذلك بهم بل هم الفاعلون لذلك كما يقول القائل انسيت ذلك من النسيان وليس يريد ان غيره فعل ذلك به ويقال اوتي فلان علماً جمّا وان كان هو المكتسب له وقوله **﴿بكفرهم﴾** ليس معناه انهم اشربوا حب العجل جزاء على كفرهم لأن محبة العجل كفر قبيح والله سبحانه لا يفعل الكفر في العبد لا ابتداء ولا جزاء بل معناه انهم كفروا بالله تعالى بما اشربوه من محبة العجل وقيل انما اشرب حب العجل قلوبهم مَنْ زَيَّنه عندهم ودعاهم إليه كالسامري وشياطين الجن والأنس فقوله بكفرهم معناه لاعتقادهم التشبيه وجهلهم بالله تعالى وتجويزهم العبادة لغيره اشربوا

في قلوبهم حب العجل لأنهم صاروا إلى ذلك لهذه المعاني التي هي كفر وقول من قال فعل الله ذلك بهم عقوبة ومجازاة غلط فاحش لأن حب العجل ليس من العقوبة في شيء ولا ضرر فيه وقوله ﴿قل بئسما يأمركم به إيمانكم﴾ معناه قل يا محمد لهؤلاء اليهود بئس الشيء الذي يأمركم به إيمانكم ان كان يأمركم بقتل انبياء الله ورسله والتكذيب بكتبه وجحد ما جاء من عنده ومعنى إيمانهم تصديقهم بالذي زعموا انهم مصدقون به من كتاب الله بقولهم نؤمن بما انزل علينا وقوله ﴿ان كنتم مؤمنين﴾ أي مصدقين كنا زعمتم بالتوراة وفي هذا نفي عن التوراة ان يكون يأمر بشيء يكرهه الله من افعالهم واعلامٌ بأن الذي يأمرهم بذلك أهواؤهم ويحملهم عليه آراؤهم.

﴿ قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾

[**اللغة**] الخالصة الصافية يقال خلص لي هذا الأمر أي صار لي وحدي وصفالي يخلص خلوصاً وخالصة مصدر كالعافية واصل الخلوص ان يصفو الشيء من كل شائبة ودون يستعمل على ثلاثة اوجه ان يكون الشيء دون الشيء في المكان وفي الشرف وفي الاختصاص وهو المراد في الآية والتمني من جنس الاقوال عند اكثر المتكلمين وهو ان يقول القائل لما كان ليته لم يكن ولما لم يكن ليته كان وقال ابو هاشم هو معنى في القلب ولا خلاف في أنه ليس من قبيل الشهوة.

[**الاعراب**] خالصة نصب على الحال.

[**المعنى**] ثم عاد سبحانه إلى الاحتجاج على اليهود بما فضح به اخبارهم وعلماءهم ودعاهم إلى قضية عادلة بينه وبينهم فقال قل يا محمد لهم ان كانت الجنة خالصة لكم دون الناس كلهم أو دون محمد وأصحابه كما ادعيتم بقولكم لن يدخل الجنة الا من كان هوداً أو نصارى وكنتم صادقين في قولكم نحن ابناء الله واحبّاؤه وان الله لا يعذبنا فتمنوا الموت لأن من اعتقد أنه من أهل الجنة قطعاً كان الموت احب إليه من حياة الدنيا التي فيها انواع المشاق والهموم والآلام والغموم ومن كان على يقين أنه إذا مات

تخلص منها وفاز بالنعيم المقيم فإنه يؤثر الموت على الحياة الا ترى إلى قول أمير المؤمنين عليه السلام وهو يطوف بين الصَفَّين بِصِفَين في غلالة(١) لما قال له الحسن ابنه ما هذا زيّ الحرب يابني ان اباك لا يبالي وقع على الموت او وقع الموت عليه وقول عمار بن ياسر بصفين أيضاً الآن الاقي الاحبة محمداً وحزبه واما ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال لا يتمنينّ أحدكم الموت لضرّ نزل به ولكن ليقل اللهم احيني ما دامت الحياة خيراً لي وتوفني ما كانت الوفاة خيراً لي فانما نهي عن تمني الموت لأنه يدل على الجزع والمأمور به الصبر وتفويض الامور إليه تعالى ولأنا لانأمن وقوع التقصير فما أمرنا به ونرجو في البقاء التلافي.

﴿ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٩٥﴾ ﴾

[**الاعراب**] ابدا نصب على الظرف أي طول عمرهم يقول القائل لا اكلمك ابداً يريد ما عشت وما بمعنى الذي أي بالذي قدمت ايديهم ويجوز ان يكون ما بمعنى المصدر فيكون المراد بتقدمة ايديهم.

[**المعنى**] اخبر الله سبحانه عن هؤلاء الذين قيل لهم فتمنوا الموت ان كنتم صادقين بانهم لا يتمنون ذلك ابداً بما قدموه من المعاصي والقبائح وتكذيب الكتاب والرسول عن الحسن وابي مسلم وقيل بما كتموا من صفة النبي ﷺ عن ابن جريج واضاف ذلك إلى اليد وان كانوا إنما فعلوا ذلك باللسان لأن العرب تقول هذا ما كسبت يداك وان كان ذلك حصل باللسان والوجه فيه ان الغالب ان تحصل الجنايةباليد فيضاف بذلك اليها ما يحصل بغيرها وقوله ﴿**والله عليم بالظالمين**﴾ خصص الظالمين بذلك وان كان عليماً بهم وبغيرهم بأن الغرض بذلك الزجر والتهديد كما يقال الانسان لغيره اني عارف بصير بعملك وقيل معناه ان الله عليم بالاسباب التي منعتم عن تمني الموت وبما اضمروه واسروه من كتمان الحق عناداً مع علم كثير منهم انهم مبطلون وروي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال لو أن اليهود تمنوا الموت لماتوا ولرأوا مقاعدهم من النار فقال الله سبحانه انهم لن يتمنوه ابداً تحقيقاً لكذبهم وفي ذلك اعظم دلالة على صدق نبينا وصحة نبوته لأنه

(١) الغلالة: شعار يلبس تحت الثوب او تحت الدرع.

اخبر بالشيء قبل كونه فكان كما اخبر وأيضاً فأنهم كفوّا عن التمني للموت لعلمهم بأنه حق وانهم لو تمنوا الموت لماتوا وروى الكلبي عن ابن عباس أنه قال كان رسول الله ﷺ يقول لهم ان كنتم صادقين في مقالتكم فقولوا اللهم امتنا فوالذي نفسي بيده لا يقولها رجل الا غَصَّ بريقه(١) فمات مكانه وهذه القصة شبيهة بقصة المباهلة وان النبي صلى الله عليه وآله لما دعا النصارى إلى المباهلة امتنعوا لقلة ثقتهم بما هم عليه وخوفهم من صدق النبي ﷺ في قوله لو باهلوني لرجعوا لا يجدون اهلاً ولا مالاً فلما لم يتمنَّ اليهود الموت افتضحوا كما أن النصارى لما احجموا عن المباهلة افتضحوا وظهر الحق فإن قيل من أين علمتم أنهم لم يتمنوا الموت بقلوبهم فالجواب ان من قال التمني هو القول فالسؤال ساقط عنه ومن قال هو معنى في القلب قال لوتمنوه بقلوبهم لأظهروه بالسنتهم حرصاً منهم على تكذيبه في اخباره ولأن تحديهم بتمني الموت إنما وقع بما يظهر على اللسان وكان يسهل عليهم ان يقولوا ليت الموت نزل بنا فلما عدلوا عن ذلك ظهر صدقه ﷺ ووضحت حجته.

﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾

[**اللغة**] وجده وصادفه وألفاه نظائر يقال وجدت الشيء وجدانا إذا أصبته ويقال وجدت بمعنى علمت والحرص شدة الطلب ورجل حريص وقوم حِراص والمودة المحبة يقال ودِدْت الرجل أوَدّه وُدّاً ووَدا ووِدادا ووَدادة ومودة والتعمير طول العمر والعُمر والعَمْر لغتان وأصله من العمارة الذي هو ضد الخراب فالعمر المدة التي يعمر فيها البدن بالحياة والألف من التأليف سمي بذلك العدد لأنه ضمّ مائة عشر مرات والزحزحة التنحية يقال زحزحته فتزحزح وقال الشاعر(٢):

وَقَالُوا تَـزَحْزَحْ لَا بِنَـا فَضْلُ حَـاجَةٍ إِلَـيْـكَ وَلَا مِنَّـا لِـوَهْـيِـكَ رَاقِـعُ

(١) غَصَّ بريقه. اعترض في حلقه.

(٢) هو: الحُطيئة.

والبصير بمعنى المبصر كما أن السميع بمعنى المسمع ولكنه صرف إلى فعيل ومثله بديع السماوات بمعنى المبدع والعذاب الأليم بمعنى المؤلم هذا في اللغة وعند المتكلمين المبصر هو المدرك للمبصرات والبصير هو الحي الذي لا آفة به فهو ممن يجب أن يبصر المبصرات إذا وجدت وليس أحدهما هو الآخر وكذلك القول في السميع والسامع .

[**الإعراب**] لتجدنهم اللام لام القسم والنون للتأكيد وتقديره والله لتجدنهم قال سيبويه سألت الخليل عن قوله لتفعلن إذا جاءت مبتدأ فقال هي على نية القسم وهذه اللام إذا دخلت على المستقبل لزمته في الأمر الأكثر بالنون وإذا كان وجدت بمعنى وجدان الضالة يعدى إلى مفعول واحد كفقدت الذي هو ضده فينتصب أحرص على الحال وإذا كان بمعنى علمت تعدى إلى مفعولين ثانيهما عبارة عن الأول فيكون أحرص هو المفعول الثاني وهو الأصح وقوله ومن الذين أشركوا قال الفراء يريد واحرص من الذين أشركوا أيضاً كما يقال هو أسخى الناس ومن حاتم ومن هَرِم لأن تأويل قولك أسخى الناس إنما هو أسخى الناس وقال الزجاج تقديره ولتجدنهم أحرص من الذين أشركوا وقيل إنما دخلت من في قوله **﴿ومن الذين أشركوا﴾** ولم يدخل في قوله احرص الناس لأنهم بعض الناس والإضافة في باب افعل لا يكون إلا كذلك تقول الياقوت أفضل الحجارة ولا تقول الياقوت أفضل الزجاج بل تقول أفضل من الزجاج فلذلك قال **﴿ ومن الذين أشركوا ﴾** لأن اليهود ليسوا هم بعض المجوس وهم بعض الناس وقوله **﴿وما هو بمزحزحه من العذاب ان يعمّر﴾** فيه وجوه (أحدها) أن هو كناية عن أحدهم الذي جرى ذكره وان يعمر في موضع رفع بأنه فاعل تقديره وما أحدهم بمزحزحه من العذاب تعميره كما يقال مررت برجل معجب قيامه (وثانيها) أنه كناية عما جرى ذكره من طول العمر وقوله أن يعمر بيان لقوله هو وتقديره وما تعميره بمزحزحه من العذاب وكأنه قيل وما هو الذي ليس بمزحزحه فقيل هو التعمير (وثالثها) أنه عماد وأن يعمر في موضع الرفع بأنه مبتدأ وبمزحزحه خبره ومنع الزجاج هذا القول الأخير قال لا يجيز البصريون ما هو قائماً زيد وما هو بقائم زيد بمعنى الأمر والشأن وقال غيره إذا كانت ما غير عاملة في الباء جاز كقولهم ما بهذا بأس .

[**المعنى**] اثم أخبر سبحانه عن أحوال اليهود فقال **﴿ ولتجدنهم ﴾** أي ولتعلمن

---

(١)] من [.

يا محمد هؤلاء اليهود وقيل يعني به علماء اليهود ﴿**أحرص الناس على حيوة**﴾ أي أحرصهم على البقاء في الدنيا أشد من حرص سائر الناس ﴿ **ومن الذين أشركوا** ﴾ أي ولتجدنهم أحرص من الذين أشركوا وهم المجوس ومن لا يؤمن بالبعث وقال أبو علي الجبائي أن الكلام تم عند قوله ﴿**على حيوة** ﴾ وقوله ﴿ **ومن الذين أشركوا** ﴾ تقديره ومِن [اليهود][1] الذين أشركوا من يود أحدهم لو يعمر ألف سنة فحذف مَن وقال علي بن عيسى هذا غير صحيح لأن حذف من لا يجوز في مثل هذا الموضع وقال أبو مسلم الأصفهاني أن في هذا الكلام تقديماً وتأخيراً وتقديره ولتجدنهم وطائفة من الذين أشركوا أحرص الناس على حيوة وأقول إذا جاز هاهنا أن يحذف الموصوف الذي هو طائفة وتقام الصفة مقامه وهو قوله من الذين أشركوا فليجز على ما ذهب إليه الجبائي أن يكون تقديره ومن الذين أشركوا طائفة يود أحدهم فيحذف الموصوف ويقام صفته الذي هو يود أحدهم لو يعمر ألف سنة مقامه فيصح على هذا تقدير الحذف ويستوي القولان من حيث الصورة والصفة ويختلفان من حيث المعنى ويكون من هنا هي الموصوفة لا الموصولة كما قدره الجبائي وقوله ﴿ **يود أحدهم لو يعمر ألف سنة** ﴾ ذكر الألف لأنها نهاية ما كانت المجوس يدعو به بعضهم لبعض وتُحيّى به الملوك يقولون عش ألف نور وزو ألف مهرجان قال ابن عباس هو قول أحدهم لمن عطس هزار سال بزي يقال فهؤلاء الذين يزعمون[2] أن لهم الجنة لا يتمنون الموت وهم أحرص ممن لا يؤمن بالبعث وكذلك يجب أن يكون هؤلاء لعلمهم بما أعدّ الله لهم في الآخرة من الجحيم والعذاب الأليم على كفرهم وعنادهم مما لا يقرُّ به أهل الشرك فهم للموت أكره من أهل الشرك الذين لا يؤمنون بالبعث وعلى الحياة أحرص لهذه العلة وقوله ﴿ **وما هو بمزحزحه** ﴾ أي وما أحدهم بمنجيه من عذاب الله ولا بمبعده منه تعميره وهو أن يطول له البقاء لأنه لا بد للعمر من الفناء هذا هو أحسن الوجوه التي تقدم ذكرها ﴿ **والله بصير بما يعملون** ﴾ أي عليم بأعمالهم لا يخفى عليه شيء منها بل هو محيط بجميعها حافظ لها حتى يذيقهم بها العذاب وفي هذه الآية دلالة على أن الحرص على طول البقاء لطلب الدنيا ونحوه مذموم وإنما المحمود طلب البقاء للازدياد في الطاعة وتلافي الفائت بالتوبة والإنابة ودرك السعادة بالإخلاص في العبادة وإلى هذا المعنى أشار أمير المؤمنين (ع) في قوله : بقية عمر المؤمن لا قيمة له يدرك بها ما فات ويحيي بها ما أمات .

(١) ما بين المعقفتين ليس في نسخنا .

(٢) وفي نسخنا المخطوطة « يدعون » بدل « يزعمون » .

﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَـٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾

[**القراءة**] قرأ ابن كثير جَبريل بفتح الجيم وكسر الراء من غير همز وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر إلّا يحيى جَبْرَئيل بفتح الجيم والراء مهموزاً على زنة جبرعيل وروى يحيى كذلك إلا أنه حذف الياء بعد الهمز فصار مثل جبرعل والباقون بكسر الجيم والراء وبعدها ياء من غير همزة وقرأ أهل المدينة ميكائل بهمزة مكسورة بعد الألف على زنة ميكاعل وقرأ أهل البصرة ميكال بغير همز ولا ياء والباقون بإثبات ياء ساكنة بعد الهمزة على زنة ميكاعيل .

[**الحجة**] قال أبو علي روينا عن أبي الحسن أنه قال في جبريل ست لغات جبرائيل وجبرائل وجبرئل وجبرال وجبرئيل وجبريل فمن قال جِبريل كان على لفظ قِنديل وبِرطيل ومن قال جَبرئيل كان على وزن عَنْدليب ومن قال جبرئل كان على وزن جَحْمَرش ومن قال ميكال على وزن قِنطار وميكائيل وجبرائيل خارج عن كلام العرب وهذه الأسماء مُعرّبة فإذا أتى بها على ما في أبنية العرب مثله كان اذهب في باب التعريب وقد جاءَ في أشعارهم ما هو على لفظ التعريب وما هو خارج عن ذلك قال :

عَبَدُوا الصَّلِيبَ وكَذَّبُوا بِمُحَمَّدٍ وبِجَبْـرَئِيـلَ وَكَـذَّبُـوا مِيْكَـالا

وقال حسان :

وَجِبْـرِيـلُ رَسُـوْلُ الله مـنَّـا وَرُوحُ القُـدْسِ لَيْسَ لَهُ كِفَـاءُ

[**اللغة**] جبرئيل وميكائيل اسمان أعجميان عُرّبا وقيل جبر في اللغة السريانية هو العبد وإيل هو الله وميك هو عبيد فمعنى جبريل عبد الله ومعنى ميكائيل عبيد الله وقال أبو علي الفارسي هذا لا يستقيم من وجهين أحدهما أن ايل لا يعرف من أسماء الله تعالى في

اللغة العربية والآخر أنه لو كان كذلك لكان آخر الإسم مجروراً أبداً كقولهم عبد الله والبشرى والبشارة الخبر السارّ أول ما يرد فيظهر ذلك في بَشَرة الوجه .

[**الإعراب**] جواب الشرط محذوف تقديره من كان عدوّا لجبرائيل فليمت غيظاً فإنه نَزّل الوحي على قلبك بأذن الله والهاء في قوله فإنه تعود إلى جبريل والهاء في نَزّله تعود إلى القرآن وإن لم يجر له ذكر كما أنّ هاء في قوله تعالى : ﴿ **ما ترك على ظهرها من دابة تعود إلى الأرض** ﴾ ويجوز أن يكون على معنى جبرئيل وتقديره فإنّ الله نَزّل جبريل على قلبك لا أنه نزل بنفسه والأول أصح ونصب مصدقاً على الحال من الهاء في نزّله وهو ضمير القرآن أو جبريل عليه السلام .

[**النزول**] قال ابن عباس كان سبب نزول هذه الآية ما روي أن ابن صوريا وجماعة من يهود أهل فدك لما قدم النبي ﷺ المدينة سألوه فقالوا يا محمد كيف نومك فقد أُخْبرنا عن نوم النبي الذي يأتي في آخر الزمان فقال تنام عيناي وقلبي يقظان قالوا صدقت يا محمد فأخبرنا عن الولد يكون من الرجل أو المرأة فقال أما العظام والعصب والعروق فمن الرجل وأما اللحم والدم والظفر والشعر فمن المرأة قالوا صدقت يا محمد فما بال الولد يشبه أعمامه ليس فيه من شبه أخواله شيء أو يشبه أخواله وليس فيه من شبه أعمامه شيء فقال أيهما علا ماؤه كان الشبه له قالوا صدقت يا محمد قالوا فأخبرنا عن ربك ما هو فأنزل الله سبحانه ﴿ **قل هو الله أحد** ﴾ إلى آخر السورة فقال له ابن صوريا خصلة واحدة إن قلتها آمنت بك واتبعتك أيّ ملكٍ يأتيك بما يُنزل الله عليك قال فقال جبريل قال ذاك عدوّنا ينزل بالقتال والشدة والحرب وميكائيل ينزل باليسر والرخاء فلو كان ميكائيل هو الذي يأتيك لآمنّا بك .

[**المعنى**] فأنزل الله تعالى هذه الآية جواباً لليهود وردّاً عليهم فقال ﴿ **قل** ﴾ لهم يا محمد ﴿**من كان عدوّاً لجبريل**﴾ إذا كان هو المنزل للكتاب عليك ﴿**فإنه إنما أنزله على قلبك بأذن الله** ﴾ لا من تلقاء نفسه وإنما أضافه إلى قلبه لأنه إذا أنزل عليه كأن يحفظه ويفهمه بقلبه ومعنى قوله بأذن الله بأمر الله وقيل أراد بعلمه أو بأعلام الله إياه ما ينزل على قلبك وقوله ﴿ **مصدقاً لما بين يديه** ﴾ معناه موافقاً لما بين يديه من الكتب ومصدقاً له بأنه حق وبأنه من عند الله لا مكذباً لها ﴿ **وهدى وبشرى للمؤمنين** ﴾ معناه إن كان فيما أنزله الأمر بالحرب والشدة على الكافرين فإنه هدى وبشرى للمؤمنين وإنما خصّ الهدى

بالمؤمنين من حيث كانوا هم المهتدين به العاملين[١] بما فيه وإن كان هدى لغيرهم أيضاً وقيل أراد بالهدى الرحمة والثواب فلذلك خصه بالمؤمنين ومعنى البشرى أن فيه البشارة لهم بالنعيم الدائم وإن جعلت مصدقاً وهدى وبشرى حالاً لجبريل فالمعنى أنه يصدّق بكتب الله الأولى ويأتي بالهدى والبشرى وإنما قال سبحانه على قلبك ولم يقل على قلبي على العرف المألوف كما تقول لمن تخاطبه لا تقل للقوم أن الخبر عندك ويجوز أن تقول لا تقل لهم أن الخبر عندي وكما تقول قال القوم جبريل عدونا ويجوز أن تقول قالوا جبريل عدوهم وأما قوله تعالى : ﴿ **من كان عدواً لله وملائكته ورسله** ﴾ فمعناه من كان معادياً لله أي يفعل فعل المعادي من المخالفة والعصيان فإن حقيقة العداوة طلب الإضرار به وهذا يستحيل على الله تعالى وقيل المراد به معاداة أوليائه كقوله ﴿ **إن الذين يؤذون الله** ﴾ وقوله ﴿ **وملائكته** ﴾ أي ومعادياً لملائكته ورسله ﴿ **وجبريل وميكال** ﴾ وإنما أعاد ذكرهما لفضلهما ومنزلتهما كقوله تعالى ﴿**فيهما فاكهة ونخل ورمان**﴾ وقيل إنما أعاد ذكرهما لأن اليهود قالت جبريل عدونا وميكائيل ولينا فخصهما الله بالذكر لأن النزاع جرى فيهما فكان ذكرهما أهم ولئلا تزعم اليهود أنهما مخصوصان من جملة الملائكة وليسا بداخلين في جملتهم فنص الله تعالى عليهما ليبطل ما يتأولونه من التخصيص ثم قال ﴿ **فإن الله عدو للكافرين** ﴾ ولم يقل فإنه وكرّر اسم الله لئلا يظن أن الكناية راجعة إلى جبرائيل أو ميكائيل ولم يقل لهم لأنه قد يجوز أن ينتقلوا عن العداوة بالإيمان وقد طعن بعض الملحدة في هذا فقال كيف يجوز أن يقول عاقل أنا عدو جبريل وليس هذا القول من اليهود بمستنكر ولا عجب مع ما أخبر الله تعالى عن قولهم بعد مشاهدتهم فلق البحر والآيات الخارقة للعادة ﴿ **اجعل لنا إلٰهاً كما لهم آلهة** ﴾ وقولهم ﴿ **أرنا الله** ﴾ جهرة وعبادتهم العجل وغير ذلك من جهالاتهم .

﴿ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٩٩﴾

[**اللغة**] الآية العلامة التي فيها عبرة وقيل العلامة التي فيها الحجة والبينة الدلالة الفاصلة الواضحة بين القضية الصادقة والكاذبة مأخوذة من إبانة أحد الشيئين من الآخر ليزول التباسه به .

---

(١) وفي جملة من النسخ « العالمين » بدل « العاملين » .

[**الإعراب**] قد تدخل في الكلام لأحد أمرين أحدهما لقوم يتوقعون الخبر والآخر لتقريب الماضي من الحال تقول خرجت وقد ركب الأمير وهي هنا مع لام القسم على تقدير قوم يتوقعون الخبر لأن الكلام إذا خرج ذلك المخرج كان أوكد وأبلغ .

[**النزول**] قال ابن عباس إنّ ابن صوريا قال لرسول الله صلى الله عليه وآله يا محمد ما جئتنا بشيء نعرفه وما أنزل الله عليك من آية بيّنة فنتبعك لها فأنزل الله هذه الآية .

[**المعنى**] يقول ﴿ **ولقد أنزلنا إليك** ﴾ يا محمد ﴿ **آيات** ﴾ يعني سائر المعجزات التي أعطيها النبي صلى الله عليه وآله عن البلخي وقيل هي القرآن وما فيها من الدلالات عن أبي مسلم وأبي علي وقيل هي علم التوراة والانجيل والأخبار عما غمض مما في كتب الله السالفة عن الأصم كقوله تعالى يُبيّن لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب ﴿ **بينات** ﴾ أي واضحات تفصل بين الحق والباطل ﴿ **وما يكفر بها إلا الفاسقون** ﴾ ومعناه الكافرون وإنما سمّي الكفر فسقاً لأن الفسق خروج من شيء إلى شيء واليهود خرجوا من دينهم وهو دين موسى بتكذيب النبي صلى الله عليه وآله وإنما لم يقل الكافرون وإن كان الكفر أعظم من الفسق لأحد أمرين (أحدهما) أن المراد أنهم خرجوا عن أمر الله إلى ما يعظم من معاصيه والثاني أن المراد به أنهم الفاسقون المتمردون في كفرهم لأن الفسق لا يكون إلا أعظم الكبائر فإن كان في الكفر فهو أعظم الكفر وإن كان فيما دون الكفر فهو أعظم المعاصي .

﴿ أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾

[**اللغة**] النبذ طرحك الشيء عن يدك أمامك أو خلفك والمنابذة انتباذ الفريقين للحرب ونابَذناهم الحرب والمنبوذون هم الأولاد الذين يطرحون والمنابذة في البيع منهيٌّ عنها وهو كالرمي كأنه إذا رمى به وجب البيع له وسمي النبيذ نبيذاً لأن التمر كان يلقى في الجَرّة وغيرها وقيل معنى نبذة تركه وقيل ألقاه قال أبو الأسود الدؤلي :

نَظَرْتُ إلى عُنْوَانِهِ فَنَبَذْتُهُ كَنَبْذِكَ نَعْلاً أَخْلَقَتْ مِنْ نِعَالِكَا

[**الإعراب**] الواو في قوله ﴿ **أوكلما** ﴾ عند سيبويه وأكثر النحويين واو العطف إلا أن ألف الاستفهام دخلت عليها لأن لها صدر الكلام وهي أُمّ حروف الاستفهام بدلالة أن هذه الواو تدخل على هل تقول وهل زيد عالم لأن الألف أقوى منها وقال بعضهم يحتمل أن تكون زائدة كزيادة الفاء في قولك أفالله ليفعلن والأول أصح لأنه لا يحكم على الحرف بالزيادة مع وجود معنى من غير ضرورة ونصب كلما على الظرف والعامل فيه نبذه ولا يجوز أن يعمل فيه عاهدوا لأنه متمم لما إمّا صلة وإمّا صفة .

[**المعنى**] أخبر الله سبحانه عن اليهود أيضاً فقال ﴿ **أو كلما عاهدوا** ﴾ الله ﴿ **عهدا** ﴾ أراد به العهد الذي أخذه الأنبياء عليهم أن يؤمنوا بالنبي الأمي عن ابن عباس وكلما لفظ يقتضي التكرر فيقتضي تكرر النقض منهم وقال عطاء هي العهود التي كانت بين رسول الله صلى الله عليه وآله وبين اليهود فنقضوها كفعل قريظة والنضير عاهدوا أن لا يُعينوا عليه أحداً فنقضوا ذلك وأعانوا عليه قريشاً يوم الخندق ﴿ **نبذة فريق منهم** ﴾ أي نقضه جماعة منهم ﴿ **بل أكثرهم** ﴾ أي أكثر المعاهدين ﴿ **لا يؤمنون** ﴾ ولا تعود الهاء والميم إلى فريق إذ كانوا كلهم غير مؤمنين فأما المعاهدون فمنهم من آمن كعبد الله بن سلام وكعب الأحبار وغيرهما فأما وجه دخول بل على قوله بل أكثرهم فإنه لأمرين (أحدهما) أنه لما نبذه فريق منهم دل على أنّ ذلك الفريق كَفَر بالنقض فقال بل أكثرهم كفار بالنقض الذي فعلوه وإن كان بعضهم نَقَضه جهلاً وبعضهم نقضه عناداً والثاني أنه أراد كفر فريق منهم بالنقض وكفر أكثرهم بالجحد للحق وهو أمر النبي صلى الله عليه وآله وما يلزم من اتباعه والتصديق به .

﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ نَبَذَ فَرِيقٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ كَأَنَّهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿١٠١﴾

[**الإعراب**] لَمّا في موضع نصب بأنه ظرف ويقع به الشيء بوقوع غيره والعامل فيه نبذ ومصدق رفع لأنه صفة لرسول لأنهما نكرتان ولو نصب لكان جائزاً لأن رسول قد وصف بقوله من عند الله فلذلك يحسن نصبه على الحال إلا أنه لا يجوز في القراءة إلا

الرفع لأن القراءة سنة مُتَبّعة وموضع ما جرّ باللام ومع صلة لها والناصب لمع معنى الاستقرار والمعنى لما استقر معهم .

[**المعنى**] ﴿ **ولما جاءهم** ﴾ أي ولما جاء اليهود الذين كانوا في عصر النبي ﷺ ﴿ **رسول من عند الله** ﴾ يعني محمداً ﷺ عن أكثر المفسرين وقيل أراد بالرسول الرسالة كما قال كُثَيِّر :

فَقَدْ كَذَبَ الوَاشُونَ ما بُحْتُ عِنْدَهُمْ بِلَيْلَى وَمَا أَرْسَلْتُهُمْ بِرَسُولِ

قال علي بن عيسى وهذا ضعيف لأنه خلاف الظاهر قليل في الاستعمال وقوله ﴿**مصدق لما معهم**﴾ يحتمل امرين (أحدهما) أنه مصدق لكتبهم من التوراة والانجيل لأنه جاء على الصفةالتي تقدمت بها البشارة (والثاني) انه مصدق للتوراة بأنها حق من عند الله لأن الإخبار هاهنا إنما هو عن اليهود دون النصارى والأول أحسن لأن فيه حجة عليهم وقوله ﴿**نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب** ﴾ أي ترك وألقى طائفة منهم وإنما قال من الذين أوتوا الكتاب ولم يقل منهم وقد تقدم ذكرهم لأنه يريد به علماء اليهود فأعاد ذكرهم لاختلاف المعنى وقيل أنه لم يكن عنهم للبيان لما طال الكلام وقوله ﴿ **كتاب الله** ﴾ يحتمل أن يريد به التوراة ويحتمل أن يريد به القرآن وقوله ﴿ **وراء ظهورهم** ﴾ كناية عن تركهم العمل به قال الشعبي هو بين أيديهم يقرأونه ولكن نبذوا العمل به وقال سفيان بن عيينة أدرجوه في الحرير والديباج وحلّوه بالذهب والفضة ولم يُحِلّوا حلاله ولم يحرموا حرامه فذلك النبذ هذا إذا حمل الكتاب على التوراة وقال أبو مسلم لما جاءهم الرسول بهذا الكتاب فلم يقبلوه صاروا نابذين للكتاب الأول أيضاً الذي فيه البشارة به وقال السدي نبذوا التوراة وأخذوا بكتاب آصف وسحر هاروت وماروت يعني أنهم تركوا ما تدل عليه التوراة من صفة النبي صلى الله عليه وآله وقال قتادة وجماعة من أهل العلم أن ذلك الفريق كانوا معاندين وإنما ذكر فريقاً منهم لأن الجمع العظيم والجم الغفير والعدد الكثير لا يجوز عليهم كتمان ما علموه مع اختلاف الهمم وتشتت الآراء وتباعد الاهواء لأنه خلاف المألوف من العادات إلا إذا كانوا عدداً يجوز على مثلهم التواطؤ على الكتمان وقوله ﴿**كأنهم لا يعلمون**﴾ أي لا يعلمون أنه صدق وحق والمراد أنهم علموا وكتموا بغياً وعناداً وقيل المراد كأنهم لا يعلمون ما عليهم في ذلك من العقاب وقيل المراد كأنهم لا يعلمون ما في كتابهم أي حلوا محل الجاهل بالكتاب .

﴿ وَاتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولاَ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلاَ تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾

[**القراءة**] قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي ولكن الشياطينُ كفروا ولكنِ اللهُ قتلهم ولكنِ اللهُ رمى بتخفيف النون من لكن ورفع الإسم بعدها والباقون بالتشديد وروي في الشواذ على الملِكين بكسر اللام عن ابن عباس والحسن .

[**الحجة**] قال أبو علي اعلم أن لكن لا نعلم شيئاً على مثاله في الأسماء ولا في الأفعال وهي مثل إنّ في أنها مثقلة ثم تخفف إلا أن إنّ وأنّ إذا خففتا فقد ينصب بهما كما كان ينصب بهما مثقلتين وإن كان غير الإعمال أكثر ولم نعلم أن أحداً حكى النصب في لكن إذا خففت فيشبه إنّ والنصب لم يجىء في هذا الحرف مخففاً ليكون ذلك دلالة على أن الأصل في هذه الحروف ان لا تعمل إذا خففت لزوال اللفظ الذي به شابه الفعل في التخفيف ولْكِنَّ وإن لم يشابه الفعل فإن فيه مايشبه الفعل إذا فصلته(١) كقولهم أراك مُنْتَفْخاً أُريدَ أنَّ تَفِخ مثل كتِفْ(٢) فقدّر منفصلاً ثم خفف كذلك يقدر في لكن الانفصال فيشبه ليتَ وإنَّ .

(١) أي فصلت منه اللام . (٢) وفي الكتف لغتان أخراوان أيضاً سكون العين مع فتح الأول أو كسره .

[**اللغة**] اتبعه اقتدى به وتتلو معناه تتبع لأن التالي تابع وقيل معناه تقرأ من تلوت كتاب الله أي قرأته قال الله تعالى هنالك تتلو(١) كل نفس ما أسلفت أي تتبع وقال حسان بن ثابت :

نَبِيٌّ يَرَى مَا لَا يَرَى النَّاسُ حَولَهُ ... وَيَتْلُو كِتَابَ اللهِ في كُلِّ مَشْهَدِ

والسحر والكهانة والحيلة نظائر يقال سحَره يسحَره سحراً وقال صاحب العين السحر عمل يقرب إلى الشياطين ومن السحر الأُخْذَةُ التي تأخذ العين حتى يظن أن الأمر كما ترى وليس الأمر كما ترى والجمع الأُخذ فالسحر عمل خفي لخفاء سببه يصوّر الشيء بخلاف صورته ويقلبه عن جنسه في الظاهر ولا يقلبه عن جنسه في الحقيقة الا ترى إلى قوله سبحانه وتعالى ﴿ **يخيّل إليه من سحرهم أنها تسعى** ﴾ والسَّحْر الغذاء قال امرؤ القيس :

أَرَانَـا مُـوْضِعَيْـنِ لِحَتْمٍ غَـيْبٍ ... وَنُسْحَـرَ بالطَّـعَامِ وبِـالشَّـرَابِ

والسُّحْرَ أيضاً الرئة يقال للجبان انتفخ سحره والفتنة والامتحان والاختبار نظائر يقال فتنته فتنة وافتنه قال أعشى همدان فجاء باللغتين :

لَقَـدْ فَتَنَتْنِي وَهِيَ بِـالأَمْسِ أَفْتَنَتْ ... سَعِيداً فَأَمْسَى قَـدْ قَلا كُـلَّ مُسْلِمِ

وفتنت الذهب في النار إذا اختبرته فيها لتعلم الخالص هو أم مشوب فقيل لكل ما أحميته في النار فتنة وفتنت الخبزة في النار انضجتها ومنه قوله يوم هم على النار يفتنون اي يشوون وتعلّمْ قد تكون بمعنى اعِلَمْ كما قيل علّمت واعلمت بمعنى وكذلك فهّمت وأفهمت قال كعب بن زهير.

تَعَلَّم رَسُـولَ اللَّهِ أَنَّـكَ مُـدْرِكِي ... وَأَنَّ وَعِيـداً مِنـك كَـالْأَخْـذِ بِـالْيَـدِ

وقيل ان بينهما فرقاً فمعنى تعلم تسبب إلى ما به تعلم من النظر في الادلة وليس في اعلم هذا المعنى فقد يقال ذلك لما يعلم بلا تأمل كقولك اعلم ان الفعل يدل على الفاعل وأنَّ ما لم يسبق المُحْدَثَ مُحدَثٌ وتقول في الاول تعلّم النحو والفقه والمرء تأنيثه المرأة ويقال مرة بلا الف والضرر والالم والأذى نظائر والضر نقيض النفع يقال ضره يضره ضراً واضرَّ به اضراراً واضطره إليه اضطراراً قال صاحب العين الضَرّ والضُرّ لغتان فإذا ضممت إليه النفع فتحت الضاد والضرير الذاهب البصر من الناس يقال رجل ضرير بيِّنٌ الضَرارة

(١) بالتاء على قراءة أهل الكوفة .

وفي الحديث لا ضرر ولا ضرار وضريراً الوادي جانباه وكل شيء دنا منك حتى يَزْحَمك فقد اضرَّ بك واصل الباب الانتقاص والأذن في اللغة على ثلاثة اقسام (احدها) بمعنى العلم كقوله فأذنوا بحرب من الله أي فاعلموا وقال الحطيئة.

أَلا يَـا هِنْدُ إنْ جَـدَّدْتِ وَصْـلاً وَإلَّا فَـأذِنِيـنـي بِـانْـصِـرَامِ

و(الثاني) بمعنى الاباحة الاطلاق كقوله تعالى ﴿فانكحوهن بإذن اهلهن﴾ والثالث بمعنى الأمر كقوله نَزّله على قلبك بإذن الله والنفع والمنفعة واللذة نظائر وحدّ النفع هو كل ما يكون به الحيوان ملتذاً أما لأنه لذة أو يؤدي إلى لذة وحدّ الضرر كل ما يكون به الحيوان أَلِما أما لأنه اَلَم أو يؤدي إلى الَمَ والخلاق النصيب من الخير قال امية بن ابي الصلت.

يَدْعُوْنَ بِالْوَيْلِ فِيهَا لَا خَـلاقَ لَهُمْ إلَّا سَـرَابِـيـلَ مِنْ قِـطْرٍ وَأَغْـلالِ

[**الاعراب**] قوله ما تتلو فيه وجهان احدهما أن تكون تتلو بمعنى تَلَتْ وإنما جاز ذلك لما عام من اتصال الكلام بعهد سليمان فيمن قال إنَّ المراد على عهد ملك سليمان أو في زمن ملك سليمان أو بملك سليمان فيمن لم يقدّر حذف المضاف فدل ذلك على إنَّ مثال المضارع اريد به الماضي قال سيبويه قد تقع يفعل في موضع فعَل كقول الشاعر.

وَلَقَـدْ أَمُـرُّ عَلى اللَّئِيمِ يَسُبُّنِي فَمَضَيْتُ ثَمَّـةَ قُلْتُ لَا يَـعْنِيْنـي

والوجه الآخر أن يكون يفعل على بابه لا يريد به فعل ولكنه حكاية حاول وان كان ماضياً كقوله ﴿وإذ نَجيّناكم من آل فرعون يسومونكم﴾ فيسومونكم حكاية للحال في الوقت الذي كانت فيه وان كان آل فرعون منقرضين في وقت هذا الخطاب ومن هذا ما انشده ابن الاعرابي.

جَـارِيَةٌ فِي رَمَضَـانَ الْمَـاضِي تُقَـطِّعُ الْحَـدِيْثَ بِـالإيمـاضَ(١)

وقوله وما أُنزل ذكر في ما ثلاثة اقوال (احدها) انه بمعنى الذي وانزل صلته وموضعه نصب بكونه معطوفاً على السحر وقيل أنه معطوف على قوله ما تتلو الشياطين و (ثانيها) أنه بمعنى ايضاً وموضعه جرّو يكون معطوفاً بالواو على ملك سليمان و (ثالثها) أنه بمعنى الجحد والنفي وتقديره وما كفر سليمان ولم ينزل الله السحر على الملكين وبابل اسم بلد لا ينصرف للتعريف والتأنيث وقوله فيتعلمون لا

---

(١) او مض إيماضا الرجل: اشار اشارة خفية رمزاً أو غمضاً.

يخلو من أحد أمرين اما ان يكون الفعل معطوفاً بالفاء على فعل قبله أو يكون خبر مبتدأ محذوف والفعل الذي قبله لا يخلو اما ان يكون كفروا من قوله ولكن الشياطين كفروا فيجوز ان يكون فيتعلمون معطوفاً عليه لأن كفروا في موضع رفع بكونه خبر لكن فعطف عليه بالمرفوع وهو قول سيبويه فأمّا يعلمون فيجوز ان تكون في موضع نصب على الحال من كفروا أي كفروا في حال تعليمهم ويجوز أن يكون بدلاً من كفروا لأن تعليم الشياطين كفر في المعنى وإذا كان كذلك جاز البدل فيه إذا كان اياه في المعنى كما كان مضاعفة العذاب لمّا كان لُقي الآثام في قوله ومن يفعل ذلك يلق أثاماً يضاعف له العذاب جاز ابداله منه وإمّا ان يكون الفعل الذي عطف عليه يتعلمون قوله يعلمون وهو قول الفراء وانكر الزجاج هذا القول قال لأن قوله منهما دليل على التعلم من الملكين خاصة قال ابو علي فهذا يدخل على قول سيبويه ايضاً كما يدخل على قول الفراء لأنهما جميعاً قالا بعطفه على فعل الشياطين قال وهذا الاعتراض ساقط من جهتين احداهما ان التعلم وان كان من الملكين خاصة فلا يمتنع ان يكون قوله فيتعلمون عطف على كفروا وعلى يعلمون وان كان متعلقاً بهما وكان الضمير في منهما راجعاً إلى الملكين فإن قلت كيف يجوز هذا وهل يسوغ ان يقدّر هذا التقدير ويلزمك ان يكون النظم ولكن الشياطين كفروا يعلّمون الناس السحر فيتعلمون منهما فتُضمر الملكين قبل ذكرهما والاضمار قبل الذكر غير جائز وان لزمك في هذا القول الاضمار قبل الذكر وكان ذلك غير جائز لزم ان لا تجيز العطف على واحد من الفعلين اللذين هما كفروا ويعلمون بل تعطفه على فعل مذكور بعد ذكر الملكين كما ذهب اليه أبو إسحاق الزجاج فإنه عطف على ما يوجبه معنى الكلام عند قوله فلا تكفر أي فيأبون فيتعلمون أو على يعلمان من قوله ما يعلمان من أحد لأنهما فعلان مذكوران بعد الملكين فالجواب امّا النظم فإنه على ما ذكرته وهو صحيح وأما الاضمار قبل الذكر فإن منهما في قوله فيتعلمون منهما إذا كان ضميراً عائداً إلى الملكين فإن اضمارهما بعد تقدم ذكرهما وذلك سائغ ونظيره قوله تعالى **﴿وإذا ابتلى ابراهيم ربُه بكلمات﴾** لمّا تقدم ذكره اضمر اسمه ولو قال ابتلى ربه إبراهيم لم يجز لكونه اضمار قبل الذكر وهذا بَيّن جدّاً فالاعتراض بذلك على سيبويه والفراء ساقط واما الجهة الأخرى التي يسقط منها ذلك فهي أنه قد قيل في قوله تعالى **﴿وما يعلمان من احد﴾** حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر ثلاثة اقوال يأتي شرحها في المعنى قولان منها تعلم السحر فيهما من الملكين وقول منها تعلمه من الشياطين فيكون نظم الكلام على هذا ولكن الشياطين هاروت وماروت كفروا يعلمون الناس السحر فيتعلمون منهما وما أنزل على الملكين ببابل أي لم ينزل وما

يعلمان من أحد أي وما يُعلّم هاروت وماروت من أحد فمنهما على هذا القول لا يرجع إلى الملكين إنما يرجع إلى هاروت وماروت اللذَين هما الشياطين في المعنى فَامّا حمل الكلام على التثنية والشياطين جمع فسائغ يجوز ان يحمل على المعنى فيجمع وعلى لفظ هاروت وماروت فيثنّى ونظيره قوله **﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا﴾** ثم قالوا **﴿فاصلحوا بينهما فإن بغت احداهما على الأخرى﴾** ويجوز أن يكون يتعلمون معطوفاً على يعلّمان من قوله **﴿وما يعلمان من أحد﴾** فيكون الضمير الذي في يتعلمون لأحد الا أنه جمعه لما حمل على المعنى كقوله تعالى **﴿فما منكم من أحد عنه حاجزين﴾** فأما جواز عطفه على ما ذكره الزجاج من قوله وقيل ان يتعلمون عطف على ما يوجبه معنى الكلام لأن المعنى انما نحن فتنة فلا تكفر فيأبون فيتعلمون وهذا قول حسن فهو قول الفراء قال أبو علي وهو عندي جائز لأنه من المضمر الذي فهم للدلالة عليه واما كونه خبراً للمبتدأ المحذوف فعلى أنّ تقديره فهم يتعلمون منهما وذلك غير ممتنع وقد قيل في قوله منهما ان الضمير عائد إلى السحر والكفر قاله أبو مسلم قال لأنه تقدَّم الدليل عليها في قوله كفروا وهذا كقوله سبحانه سيذّكر من يخشى ويتجنبها الاشقى أي يتجنب الذكرى وقوله ولقد علموا لمن اشتراه قال الزجاج دخول اللام على قد على جهة القسم والتوكيد وقال النحويون في قوله لمن اشتراه قولين جعل بعضهم من بمعنى الشرط وجعل الجواب ماله في الآخرة من خلاق وهذا ليس بموضع شرط وجزاء ولكن المعنى ولقد علموا الذي اشتراه ماله في الآخرة من خلاق كما تقول والله لقد علمت للذي جاءك ما له من عقل انتهى كلام الزجاج واقول فموضع مَن رفع بالابتداء وموضع ما له في الآخرة من خلاق رفع على أنه خبر المبتدأ وهذا قول سيبويه فاللام في قوله لمن اشتراه لام الابتداء دون القسم لأن هذه اللام قد تكون تأكيداً لغير القسم واللام مع الجملة التي بعدها في موضع نصب بعلموا كما ان الاستفهام كذلك في نحو علمت أزيد في الدار أم عمرو وهذا هو المسمى تعليقاً قال أبو علي قول من قال إنَّ من جزاء بعيد لأنه إذا كان جزاءاً فاللام في لمن اشتراه سبب دخوله القسم كالتي في قوله **﴿ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب﴾** بكل آية ما تبعوا قبلتك ولئن شئنا لنذهبن فيقتضي ذلك قسماً والقسم الذي يقتضيه قوله لمن اشتراه إذا حملت مَن على أنه جزاء لا يخلو من ان يكون علموا لأن العلم والظن قد يقامان مقام القسم كما في قوله.

وَلَقَدْ عَلِمْتُ لَتَأْتِيَنَّ مَنِيَّتي إنَّ المَنَايَا لاَ تَطِيشُ سِهامُهَا

وقوله وظنوا مالهم مِن محيص أو يكون مضمراً بين قوله علموا وقوله لمن اشتراه

ويبعد ان يكون علموا قسماً وقوله لمن اشتراه جوابه هنا لأنه في هذا الموضع محلوف عليه مقسم والمقسم عليه لا يكون قسماً لأنه يلزم من هذا ان يدخل قسم على قسم لأن في أول الكلام قسماً وهو المضمر الجالب للاَّم في لقد فهذا هو القسم الاول والثاني هو الذي يدخل عليه هذا القسم الاول المضمر وهو قد علموا إذا اجبته باللام فيمن جعله ابتداء وبالنفي فيمن جعل من جزاءاً ودخول القسم على القسم يبعد عند سيبويه ولا يسوغ فمن اجل هذا بَعُدَ عنده ان يكون علموا هنا بمنزلة القسم وان يجاب بجوابه فقال سيبويه والخليل لا يقوى ان تقول وحقك وحق زيد لأفعلن والواو الثاني واو قسم لا يجوز الا مستكرهاً لأنه لا يجوز هذا في محلوف عليه الا ان يضّم الآخر إلى الاول ويحلف بهما على المحلوف عليه ولهذا جعل هو والخليل الحرف في قوله ﴿**والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى وما خلق الذكر والأنثى**﴾ للعطف دون القسم فلهذا حمل اللام في لمن اشتراه على انها لام ابتداء دون قسم وليست كاللام الاخرى في أنها تقتضي قسماً لا محالة في نحو قولهم لعمرك لأفعلن كذا فلا يلزم على تأوّله دخول قسم على قسم ويبعد أيضاً أن يكون القسم مضمراً بين قوله ولقد علموا وبين لمن اشتراه لأن علموا يقتضي مفعوليه وإذا وقع قسم بينه وبين مفعوليه لم يجب وكان لغوا كما أنه في نحو قولك زيد والله منطلق وان تأتني والله اتيتك لغو لاجواب له ولأنه لو اجيب للزم اعتماد علمت عليه فصار القسم في موضع نصب لوقوعه موقع مفعولي علمت وذلك يمتنع لأنك لو جعلته في موضع مفعوليه لأخرجته عما وضع له لأنه إذا وضع ليؤكد به غيره فلو جعلته في موضع المفعولين لأخرجته عن ان يكون تأكيداً لغيره ولجعلته قائماً بنفسه ولو جاز ان يكون في موضع مفعولي علمت لجاز ان يوصل به ويوصف به النكـرة وهذا ممتنع فمعلوم اذاً أنّ القسم بعد علمت لا يلزم ان يكون له جواب فاضمار القسم بعد علموا غير جائز لأنه ليس يجوز الا ان يكون له جواب يدلّ عليه إذا حذف كما يدل ليفعلن ونحوه من الجواب على القسم والمحذوف فإذا لم يجز ان يكون له جواب لم يجز حذفه وارادته فقد بعد أيضاً ان يكون القسم مضمراً بعد علمت فلما كان علموا مقسماً عليه في هذا الموضع فإذا جعلت مَن بغير معنى الذي لزمك ان يكون علمت قسماً ويكون قوله ما لهم في الآخرة من خلاق وجوابه وكان دخول القسم على القسم غير سائغ عند سيبويه وحمل اللام في لمن على أنه لام الابتداء ومَن بمعنى الذي لئلا يلزم ما لا يستحسنه ولا يستجيزه من دخول قسم على قسم فمذهب سيبويه في هذا هو البيّن.

[**المعنى**] ثم عطف سبحانه على ما تقدم من أنه نبذ فريق من اليهود كتاب الله

الذي في ايديهم وراء ظهورهم فقال ﴿**واتبعوا ما تتلوا الشياطين**﴾ واختلف في المعنى بقوله واتبعوا على ثلاثة اقوال (أحدها) انهم اليهود الذين كانوا على عهد النبي ﷺ عن الربيع وابن إسحاق والسدي (وثانيها) انهم اليهود الذين كانوا في زمن سليمان عن ابن عباس وابن جريج (وثالثها) ان المراد به الجميع لأن متبعي السحر لم يزالوا منذ عهد سليمان إلى أن بعث محمد ﷺ وروي عن الربيع أن اليهود سألوا محمداً ﷺ زماناً عن التوراة لا يسألونه عن شيء من ذلك الا انزل الله عليه ما سألوا عنه فيخصمهم فلما رأوا ذلك قالوا هذا اعلم بما انزل علينا منا وأنهم سألوه عن السحر وخاصموه به فأنزل الله تعالى ﴿**واتبعوا ما تتلوا الشياطين**﴾ الآية أي اقتدوا بما كانت تتلو الشياطين أي تتبع وتعمل به عن ابن عباس وقيل معناه تقرأ عن عطا وقتادة وقيل معناه تكذب عن ابي مسلم يقال تلا عليه إذا كذب قال سبحانه وتعالى ﴿**ويقولون على الله الكذب وتقولون على الله ما لا تعلمون**﴾ فإذا صدق قيل تلا عَنْهُ وإذا ابهم جاز الأمران واختلف في قوله الشياطين فقيل هم شياطين الجن لأنه المستفاد من اطلاق هذه اللفظة وقيل هم شياطين الانس المتمردون في الضلالة كما قال جرير.

أَيَّامَ يَدْعُونَنِي الشَّيْطَانَ مِنْ غَزَلِي وَكُنَّ يَهْوَيْنَنِي إِذْ كُنْتُ شَيْطَانَا

وقيل هم شياطين الجن والانس وقوله ﴿**على ملك سليمٰن**﴾ قيل معناه في ملك سليمان كقول ابي النجم ﴿**فهي على الافق كعين الأحول**﴾ أي في الافق ثم ان هذا يحتمل معنيين (احدهما) في عهد ملك سليمان (والثاني) في نفس ملك سليمان كما يقال فلان يطعن في ملك فلان وفي نفس فلان وقيل معناه على عهد ملك سليمان وقال أبو مسلم معناه ما كانت تكذب الشياطين على ملك سليمان وعلى ما أنزل على الملكين واما قوله ﴿**وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر**﴾ بيّن بهذا أن ما كانت تتلوه الشياطين وتَأَثُره وترويه كان كفراً إذ برأ سليمان (ع) منه ولم يبين سبحانه بقوله ما تتلو الشياطين على ملك سليمان انها أي شيء كانت تتلو الشياطين ثم لم يبيّن بقوله سبحانه وما كفر سليمان ان ذلك الكفر أيّ نوع من انواع الكفر حتى قال ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر فبيّن سبحانه ان ذلك الكفر كان من نوع السحر فإن اليهود اضافوا إلى سليمان السحر وزعموا أن ملكه كان به فبرأه الله منه وهو قول ابن عباس وابن جبير وقتادة واختلف في السبب الذي لأجله اضافت اليهود السحر إلى سليمان (ع) فقيل ان سليمان كان قد جمع كتب السحرة ووضعها في خزانته وقيل كتمها تحت كرسيه لئلا

يطلع عليها الناس ولا يعلموا بها فلما مات سليمان استخرجت السحرة تلك الكتب وقالوا إنما تم ملك سليمان بالسحر وبه سخر الانس والجن والطير وزيّنوا السحر في اعين الناس بالنسبة إلى سليمان (ع) وشاع ذلك في اليهود وقبلوه لعداوتهم لسليمان عن السدي وروي العياشي بإسناده عن ابي بصير عن ابي جعفر (ع) قال لما هلك سليمان وضع ابليس السحر ثم كتبه في كتاب واطواه وكتب على ظهره هذا ما وضع آصف بن برخيا من ملك سليمان بن داود من ذخائر كنوز العلم مَن اراد كذا وكذا فليقل كذا وكذا ثم دفنه تحت السرير ثم استثاره لهم فقال الكافرون ما كان يغلبنا سليمان الا بهذا وقال المؤمنون هو عبد الله ونبيه فقال الله في كتابه **﴿واتبعوا ما تتلو الشياطين﴾** الآية وفي قوله ولكن الشياطين كفروا ثلاثة اقوال (أحدها) انهم كفروا بما استخرجوه من السحر و(ثانيها) أنهم كفروا بما نسبو إلى سليمان من السحر (وثالثها) أنهم سحروا فعبّر عن السحر بالكفر وفي قوله **﴿يعلمون الناس السحر﴾** قولان (أحدهما) أنهم ألقوا السحر اليهم فتعلموه (والثاني) انهم دَلّوهم على استخراجه من تحت الكرسي فتعلموه وقوله **﴿وما انزل على الملكين ببابل هاروت وماروت﴾** فيه وجوه.

(احدها) ان المراد أن الشياطين يعلمون الناس السحر والذي انزل على الملكين وانما انزل على الملكين وصف السحر وماهيته وكيفية الاحتيال فيه ليعرفا ذلك ويعرِّفاه الناس فيجتنبوه غير ان الشياطين لما عرفوه استعملوه وان كان المؤمنون إذا عرفوه اجتنبوه وانتفعوا بالاطلاع على كيفيته (وثانيها) ان يكون المراد على ما ذكرناه قبل من ان معناه واتبعوا ما كذبت به الشياطين على ملك سليمان وعلى ما انزل على الملكين اي معهما وعلى السنتهما كما قال سبحانه**﴿ما وعدتنا على رسلك﴾**أي معهم وعلى ألسنتهم (وثالثها) ان يكون ما بمعنى النفي والمراد وما كفر سليمان ولا انزل الله السحر على الملكين ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ببابل هاروت وماروت ويكون قوله ببابل هاروت وماروت من المؤخر الذي معناه التقديم ويكون في هذا التأويل هاروت وماروت رجلين من جملة الناس ويكون الملكان اللذان نفي عنهما السحر جبرئيل وميكائيل عليهما السلام لأن سحرة اليهود فيما ذكر كانت تدعي ان الله عز وجل انزل السحر على لسان جبرائيل وميكائيل على سليمان فاكذبهم الله في ذلك ويجوز ان يكون هاروت وماروت يرجعان إلى الشياطين كأنه قال ولكن الشياطين هاروت وماروت كفروا ويسوغ ذلك كما ساغ في قوله **﴿وكنا لحكمهم شاهدين﴾** يعني لحكم داود وسليمان ويكون على هذا قوله **﴿وما يعلّمان من أحد حتى يقولا انما نحن فتنة﴾** راجعاً إلى هاروت وماروت ومعنى قولهما انما نحن فتنة

﴿فلا تكفر﴾ يكون على طريق الاستهزاءوالتماجن(١) لا على سبيل النصيحة والتحذير ويجوز على هذا التأويل أيضاً الذي يتضمن النفي والجحد ان يكون هاروت وماروت اسمين للملكين ونفي عنهما انزال السحر ويكون قوله وما يعلمان راجعاً إلى قبيلتين من الجن والانس أو إلى شياطين الجن والانس فيحسن التثنية لهذا وروي هذا التأويل في حمل ما على النفي عن ابن عباس وغيره من المفسرين وحكي عنه أيضاً أنه كان يقرأ على الملكين بكسر اللام ويقول متى كان العِلْجان(٢) ملكين إنما كانا مِلِكين وعلى هذه القراءة لا ينكر أن يرجع قوله وما يعلمان من أحد اليهما ويمكن على هذه القراءة في الآية وجه آخر وان لم يحمل قوله وما انزل على الملكين على الجحد والنفي وهو ان يكون هؤلاء الذين اخبر عنهم اتبعوا ما تتلوه الشياطين وتدعيه على ملك سليمان واتبعوا ما انزل على الملكين من السحر ولا يكون الانزال مضافاً إلى الله تعالى وان اطلق لأنه جل وعز لا ينزل السحر بل يكون انزله اليهما بعض الضُلّال ويكون معنى انزل وان كان من الأرض حمل اليهما لا من السماء انه أُتي به من نجود البلاد واعاليها فإن من هبط من النجد إلى الغور يقال نزل واختلف في بابل فقيل هي بابل العراق لأنه تبلبلت بها الألسن عن ابن مسعود وقيل هي بابل دماوند عن السدي وقيل هي نصيبين الى راس العين وهاروت وماروت قيل هما رجلان على ما تقدم بيانه وقيل هما ملكان من الملائكة اهبطهما الله الى الارض على صورة الانس لئلا ينفر الناس منهما إذا كانا على صورة الملائكة واختلف في سبب هبوطهما فقيل ان الله اهبطهما ليأمرا بالدين وينهيا عن السحر ويفرقا بينه وبين المعجز لأن السحر كان كثيراً في ذلك الوقت ثم اختلف في ذلك فقال قوم كانا يعلمان النـاس كيفية السحر وينهيان عن فعله ليكون النهي بعد العلم فإن من لا يعرف الشيء لا يمكنه اجتنابه وقال آخرون لم يكن لهما تعليم السحر لما في ذلك من الاغراء بفعله وإنما أُهبطا لمجرد النهي إذ كان السحر فاشياً وقيل أيضاً في سبب هبوطهما ان الملائكة تعجبت من معاصي بني آدم مع كثرة نعم الله عليهم فقال طائفة منهم يا ربنا أما تغضب مما يعمل خلقك في ارضك ومما يفترون عليك من الكذب والزور ويرتكبونه من المعاصي وقد نهيتهم عنها وهم في قبضتك وتحت قدرتك فأحبّ الله سبحانه ان يعرفهم ما منَّ به عليهم من عجيب

(١) تماجَنَ: تمازح.
(٢) العِلج: الرجل الضخم من كفّار العجم وبعضهم يطلقه على الكافر مطلقاً.

خلقهم وما طبعهم عليه من الطاعة وعصمهم به من الذنوب فقال لهم اندبوا منكم ملكين حتى اهبطهما الى الأرض واجعل فيهما من طبائع المطعم والمشرب والشهوة والحرص والامل مثل ما جعلت في ولد آدم ثم اختبرهما في الطاعة لي قال فندبوا لذلك هاروت وماروت وكانا من أشد الملائكة قولاً في العيب لولد آدم واستجرار عتب الله عليهم قال فاوحى الله اليهما ان اهبطا إلى الارض فقد جعلت فيكما من طبائع المطعم والمشرب والشهوة والحرص والامل مثل ما جعلت في ولد آدم وانظر ان لا تشركا بي شيئاً ولا تقتلا النفس التي حرم الله قتلها ولا تزنيا ولا تشربا الخمر ثم اهبطهما الى الارض على صورة البشر ولباسهم فرفع لهما بناء مشرف فاقبلا نحوه فإذا امرأة جميلة حسناء اقبلت نحوهما فوقعت في قلوبهما موقعاً شديداً ثم انهما ذكرا ما نهيا عنه من الزنا فمضيا ثم حركتهما الشهوة فرجعا اليها فراوداها عن نفسها فقالت ان لي ديناً ادين به ولست أقدر في ديني على ان اجيبكما إلى ما تريدان الا ان تدخلا في ديني فقالا وما دينك فقالت لي إله مَنْ عَبَدَه وسجد له كان لي السبيل الى ان اجيبه إلى كل ما سألني قالا وما آلهك قالت هذا الصنم قال فائتمرا بينهما فغلبتهما الشهوة التي جعلت فيهما فقالا لها نجيبك إلى ما سألت قالت فدونكما فاشربا الخمر فإنه قربان لكما عنده وبه تصلان إلى ما تريدان فقالا هذه ثلاث خصال قد نهانا ربنا عنها الشرك والزنا وشرب الخمر فائتموا بينهما ثم قالا لها ما اعظم البلية بك قد اجبناك قال فشربا الخمر وسجدا للصنم ثم راوداها عن نفسها فلما تهيأت لهما دخل عليهما سائل يسأل فلما رإياه فزعا منه فقال لهما انكما لمريبان قد خلوتما بهذه المرأة الحسناء انكما لرجلاً سوء وخرج عنهما فقالت لهما بادرا إلى هذا الرجل فاقتلاه قبل ان يفضحكما ويفضحني ثم دونكما فاقضيا حاجتكما وانتما مطمئنان آمنان قال فقاما الى الرجل فادركاه فقتلاه ثم رجعا اليها فلم يرياها وبدت لهما سوآتهما ونزع عنهما رياشهما وسقط في ايديهما فاوحى الله تعالى اليهما إنما اهبطتكما إلى الارض ساعة من نهار فعصيتماني باربع معاص قد نهيتكما عنها وتقدمت اليكما فيها فلم تراقباني ولم تستحيا مني وقد كنتما اشد من ينقم على اهل الأرض من المعاصي فاختارا عذاب الدنيا أو عذاب الآخرة قال فاختارا عذاب الدنيا فكانا يعلمان الناس السحر بارض بابل ثم لما علّما الناس رفعا من الأرض إلى الهواء فهما معذبان منكسان معلقان في الهواء إلى يوم القيامة هذا الخبر رواه العياشي مرفوعاً إلى أبي جعفر الباقر (ع) ومن قال بعصمة الملائكة عليهم السلام لم يجز هذا الوجه وقوله **﴿وما يعلمان من احد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر﴾** يعني الملكين ما يعلمان احداً والعرب تستعمل لفظة علّم بمعنى اَعْلم أي لا يُعرِّفان

صفات السحر وكيفيته حتى يقلا أي الأبعد ان يقولا إنما فتنة أي محنة لأن الفتنة بمعنى المحنة والاختبار والابتلاء وانما كانا محنة من حيث القيا إلى الملكفين امراً لينزجروا عنه ويمتنعوا من مواقعته وهم إذا عرفوه امكن ان يستعملوه ويرتكبوه فقالا لمن يُطْلِعانه على ذلك لا تكفر باستعماله ولا تعدل عن الغرض في القائه إليك فإنه إنما القي اليك لتجتنبه لا لتفعله ولا يكون على هذا التأويل تعلم السحر كفراً ومعصية كما ان من عرف الزنا لم يأثم بأنه عرفه وإنما يأثم بالعمل وقيل ان المراد به نفي تعليمهما السحر والتقدير ولا يعلمان احداً السحر فيقولان انما نحن فتنة فعلى هذا يكون تعليم السحر من الشياطين والنهي عنه من الملكين وقوله فلا تكفر يعني به أحد ثلاثة اشياء (احدها) فلا تكفر بالعمل بالسحر (والثاني) فلا تكفر بتعلم السحر ويكون مما امتحن الله عز وجل بالملكين الناس في ذلك الوقت وجعل المحنة في الكفر والايمان ان يقبل القابل تعلم السحر فيكون بتعلمه كافراً وبتركه التعلم مؤمناً لأن السحر كان قد كثر وهذا ممكن ان يمتحن الله به كما امتحن بالنهر في قوله فمن شرب منه فليس مني (والثالث) فلا نكفر بكليهما وقوله **﴿فيتعلمون منهما﴾** أي من هاروت وماروت وقيل من السحر والكفر وقيل اراد بدلاً مما علماهم ويكون المعنى انهم يعدلون عما علّمهم الملكان من النهي عن السحر إلى فعله واستعماله كما يقال ليت لنا من كذا وكذا أي بدلاً منه وكقول الشاعر.

جَمَعْتَ مِنَ الخَيْرَاتِ وَطْباً وَعُلْبَةً ... وَصَرًّا لإخْلاَفِ المُزَمَّمَةِ البُزْلِ
وَمِنْ كُلِّ أَخْلاَقِ الْكِرَامِ نَمِيمَةً ... وَسَعْياً عَلى الْجَارِ المُجَاوِرِ بِالْمَحْلِ (١)

وقوله **﴿ما يفرقون به بين المرء وزوجه﴾** فيه وجوه (احدها) انهم يُوجِدون احدهما على صاحبه ويبغضونه إليه فيؤدي ذلك إلى الفُرقة عن قتادة (وثانيها) انه يغوون احد الزوجين ويحملونه على الكفر والشرك بالله تعالى فيكون بذلك قد فارق زوجه الآخر المؤمن المقيم على دينه فيفرق بينهما اختلاف النحلة وتباين الملة (وثالثها) انهم يسعون بين الزوجين بالنميمة والوشاية حتى يؤول امرهما إلى الفرقة والمباينة وقوله **﴿ وما هم بضارين به من احد إلا بإذن الله﴾** أي لا يلحقون بغيرهم ضرراً إلا بعلم الله فيكون على وجه التهديد وقيل معناه الا بتخلية الله عن الحسن قال من شاء الله منعه فلا يضره السحر ومن شاء خلى بينه وبينه فيضره وقوله **﴿ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم﴾** معناه يضرهم

(١) الوطب: سِقاء اللبن. العَلبَة: اناء ضخم من جلد او خشب الصرّ: شد الضرع. الاخلاف جمع الخِلف: حلمة ضرع الناقة المُزَمِّمة من الزمام. البـزل جمع البازل وهو بعير انشق: نابه. المحل: الكيد والسعاية.

في الآخرة ولا ينفعهم وان كان ينفعهم في الدنيا لأنهم لما قصدوا بتعلمه ان يفعلوه ويرتكبوه لا ان يجتنبوه صار ذلك بسوء اختيارهم ضرراً عليهم وقوله **﴿ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق﴾** يعني اليهود الذين نبذوا كتاب وراء ظهورهم علموا لمن استبدل السحر بدين الله فالهاء في اشتراه كناية عن السحر عن قتادة وجماعة من المفسرين فماله في الآخرة من نصيب وقوله **﴿ولبئس ما شروا به انفسهم﴾** يعني بئس ما باعوا به حظ انفسهم حيث اختاروا التكسب بالسحر وقوله **﴿لو كانوا يعلمون﴾** بعد قوله ولقد علموا ذكر فيه وجوه (احدها) ان يكون الذين علموا غير الذين لم يعلموا أو يكون الذين علموا الشياطين أو الذين خبّر تعالى عنهم بأنهم نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم والذين لم يعلموا هم الذين تعلموا السحر (وثانيها) أن يكون الذين علموا هم الذين لم يعلموا الا انهم علموا شيئاً ولم يعلموا غيره فكأنه تعالى وصفهم بأنهم عالمون بأنه لا نصيب لمن اشترى ذلك ورضيه لنفسه على الجملة ولم يعلموا كنه ما يصيرون إليه من العقاب الدائم (وثالثها) ان تكون الفائدة في نفي العلم بعد اثباته انهم لم يعملوا بما علموا فكأنهم لم يعلموا كما قال كعب بن زهير يصف ذئباً وغراباً تبعاه ليصيبا من زاده.

إِذَا حَضَرَانِي قُلْتُ لَوْ تَعْلَمَانِهِ أَلَمْ تَعْلَمَا أَنِّي مِنَ الزَّادِ مُرمِلُ[1]

فنفى عنهما العلم ثم اثبته والمعنى في نفيه العلم عنهما انها لم يعملا بما علماه فكأنهما لم يعلماه وفي هذه الآية دلالة على ان الافعال تختلف باختلاف المقاصد ولذلك كان تعلّم السحر لأزالة الشبهة والتحرز منه واجتنابه إيماناً ولتصديقه واستعماله كفراً واختلف في ماهية السحر على اقوال فقيل أنه ضرب من التخييل وصنعة من لطيف الصنائع وقد أمر الله تعالى بالتعوذ منه وجعل التحرز بكتابه وقاية منه وانزل فيه سورة الفلق وهو قول الشيخ المفيد ابي عبد الله من اصحابنا وقيل أنه خدع ومخاريق وتمويهات لا حقيقة لها يخيّل إلى المسحور ان لها حقيقة وقيل أنه يمكن الساحر ان يقلب الانسان حماراً ويقلبه من صورة إلى صورة وينشىء الحيوان على وجه الاختراع وهذا لا يجوز ومن صدق به فهو لا يعرف النبوة ولا يأمن ان تكون معجزات الانبياء من هذا النوع ولو ان الساحر والمعزِّم قَدَراً على نفع أو ضر وعلما الغيب لقدرا على ازالة الممالك واستخراج الكنوز من معادنها والغلبة على البلدان بقتل الملوك من غير ان ينالهم مكروه وضرر فلما رأيناهم أسوأ الناس حالاً واكثرهم مكيدة واحتيالاً علمنا انهم لا يقدرون على شيء من

(١) ارمل الرجل: نفد زاده.

ذلك فأما ما روي من الاخبار ان النبي صلى الله عليه وآله سُحر فكان يرى أنه فعل مالم يفعله وأنه لم يفعله ما فعله فأخبار مفتعلة لا يلتفت اليها وقد قال الله سبحانه وتعالى حكاية عن الكفار ان تتبعون الارجلا مسحوراً فلو كان للسحر عمل فيه لكان الكفار صادقين في مقالهم حاشا النبي صلى الله عليه وآله من كل صفة نقص تنفر عن قبول قوله فأنه حجة الله على خليقته وصفوته على بريته.

﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ ۖ لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾

المثوبة والثواب والأجر نظائر ونقيض المثوبة العقوبة يقال ثاب يثوب ثَوْباً وثوابا واثَابه إثابة ومثوبة وثوابا والاصل في الثواب ما رجع إليك من شيء يقال اعترت الرجل غَشية ثم ثابت إليه نفسه ولذلك سمي الثواب ثواباً لأنه العائد إلى صاحبه مكافاة لما فعل ومنه التثويب في الأذان وهو ترجيع الصوت يقال ثوَّب الداعي إذا كرر دعاءه إلى الحرب أو غيرها ويقال انهزم القوم ثم ثابوا أي رجعوا والثوب مشتقٍ من هذا أيضاً لأنه ثاب لباساً بعد ان كان قطناً أو غزلاً والمثابة الموضع يثوب إليه الناس وفي الشواذ قرأ قتادة لَمَثْوَبَةٌ بسكون الثاء وفتح الواو وهي لغة كما قالوا مَشُوْرَة ومَشْوَرَة واجمع العرب على قولهم هذا خير منه وهذا شر منه الا بعض بني عامر فأنهم يقولون هذا أخير من ذا واشر من ذا.

[**الاعراب**] اللام في لمثوبة لام الابتداء وهي في موضع جواب لو لأنها تنبىء عن قولك لَأثيبوا والضمير في انهم عائد إلى الذين يتعلمون السحر.

[**المعنى**] ثم قال سبحانه **﴿ولو أنهم﴾** يعني الذين يتعلمون السحر ويعملونه وقيل هم اليهود **﴿آمنوا﴾** أي صدقوا بمحمد صلى الله عليه وآله والقرآن **﴿واتقوا﴾** السحر والكفر وقيل جميع المعاصي **﴿لمثوبة من عند الله خير﴾** أي لأثيبوا وثواب الله خير **﴿لو كانوا يعلمون﴾** أي لو كانوا يستعملون ما يعلمونه وليس أنهم كانوا يجهلون ذلك كما يقول الإنسان لصاحبه وهو يعظه ما ادعوك إليه خير لك لو كنت تعقل او تنظر في العواقب وفي قوله لو كانوا يعلمون وهو خير علموا أو لم يعلموا وجهان (أحدهما) ان معناه لو كانوا يعلمون لظهر لهم بالعلم ذلك أي لعلموا ان ثواب الله خير من السحر (والآخر) ان المعنى فيه الدلالة على جهلهم وترغيبهم في ان يعلموا ذلك وان يطلبوا ما هو خير لهم من السحر وهو ثواب الله الذي ينال بطاعاته واتباع مرضاته وفي هذه الآية دلالة على بطلان قول اصحاب

المعارف لأنه نفي ذلك العلم عنهم.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقُولُوا۟ رَٰعِنَا وَقُولُوا۟ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُوا۟ ۗ وَلِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾

[اللغة] المراعاة التفقد للشيء في نفسه أو أحواله والمراعاة والمحافظة والمراقبة نظائر ونقيض المراعاة الاغفال ورعى الله فلانا أي حفظه ورعيت له حقه وعهده فيمن خلف وارعيته سمعي إذا اصغيت إليه وراعيته بعيني إذا لاحظته وجمع الراعي رِعَاء ورُعاة ورُعيان وكل من وَلِيَ قوماً فهو راعيهم وهم رعيته والمَرْعيّ من الناس المسوس والراعي السائس واسترعاه الله خلقه أي ولاه أمرهم ليرعاهم والارعاء الابقاء على اخيك والاسم الرُعوي والرُعيا وراعِني سَمْعَك أي استمع ورجل تِرْعيَّة للذي صنعته وصنعه آبائه الرعاية وقال الشاعر (يسوسها ترعية حاف فَضَلٌ) واصل الباب الحفظ ونظَرت الرجل انظرُ نظرة بمعنى انتظرته وارتقبته.

[المعنى] لما قدّم سبحانه نهي اليهود عن السحر عقبّه بالنهي عن اطلاق هذه اللفظة فقال سبحانه ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا﴾ كان المسلمون يقولون يا رسول الله راعنا أي استمع منا فحرّفت اليهود هذه اللفظة فقالوا يا محمد راعنا وهم يلحدون إلى الرعونة يريدون به النقيصة والوقيعة فلما عوتبوا قالوا نقول كما يقول المسلمون فنهى الله عن ذلك بقوله ﴿لا تقولوا راعنا﴾ وقولوا انظرنا وقال قتادة انها كلمة كانت تقولها اليهود على وجه الاستهزاء وقال عطا هي كلمة كانت الانصار تقولها في الجاهلية فنهوا عنها في الاسلام وقال السدي كان ذلك كلام يهودي بعينه يقال له رفاعة بن زيد يريد بذلك الرعونة فنُهي المسلمون عن ذلك وقال الباقر عليه السلام هذه الكلمة سبّ بالعبرانية إليه كانوا يذهبون وقيل كان معناه عندهم اسمع لا سمعتَ وروي عن الحسن انه كان يقرأ راعناً بالتنوين وهو شاذ لا يؤخذ به ومعنى انظرنا يحتمل وجوهاً (أحدها) انتظرنا نفهم ونتبين ما تعلمنا (والآخر) فقهنا وبين لنا يا محمد (والثالث) اقبل علينا ويجوز ان يكون معناه انظر الينا فحذف حرف الجر وقوله ﴿واسمعوا﴾ يحتمل أمرين (احدهما) ان معناه اقبلوا ما يأمركم به قوله سمع الله لمن حمده وسمع الله دعاءك أي قبله و(الثاني) ان معناه استمعوا ما يأتيكم به الرسول عن الحسن ﴿وللكافرين﴾ بمحمد والقرآن ﴿عذاب اليم﴾ أي موجع

قال الحسن والضحاك كل ما في القرآن يا أيها الذين آمنوا فأنه نزل بالمدينة.

﴿ مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾

[**اللغة**] المودة المحبة والاختصاص بالشيء هو الانفراد به وضد الاختصاص الاشتراك ويقال خصه بالشيء يخصه خصاً إذا فضله به والخَصاص الفَرْج والخُصّ بيت من قصب أو شجر وإنما سمي خُصّاً لأنه يرى ما فيه من خَصاصِه وكل خلل أو خرق يكون في السحاب أو المُنْخُل فهو الخَصاصة واصل الباب الانفراد بالشيء ومنه يقال للفُرَج الخصائص لانفراد كل واحد عن الآخر من غير جمع بينها ويقال اخصصته بالفائدة واختصصت أنا بها كما يقال افردته بها وانفردت أنا بها.

[**الاعراب**] الذين كفروا في موضع رفع لأنه فاعل يودّ والمشركين في موضع جر بالعطف على أهل الكتاب وتقديره ولا من المشركين وقوله ان ينزل في موضع نصب لأنه مفعول يود ومِنْ في قوله من خير زائدة مؤكدة كقولك ما جاءني من احد وموضع من خير رفع ومِن قوله من ربكم لابتداء الغاية والتي في قوله مِنْ أهل الكتاب للتنويع والتبيين مثل التي في قوله **﴿فاجتنبوا الرجس من الأوثان﴾** .

[**المعنى**] ثم أخبر سبحانه أيضاً عن اليهود فقال **﴿ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين ان ينزل عليكم من خير من ربكم﴾** معناه ما يحب الكافرون من اهل الكتاب ولا من المشركين بالله من عبدة الاوثان ان ينزل الله عليكم شيئاً من الخير الذي هو عنده والخير الذي تمنوا ان لا ينزله الله عليهم ما أوحى إلى نبيّه صلى الله عليه وآله وأنزله عليه من القرآن والشرائع بغياً منهم وحسداً **﴿والله يختص برحمته من يشاء﴾** وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام وعن أبي جعفر الباقر عليه السلام ان المراد برحمته هنا النبوة وبه قال الحسن وأبو علي والرماني وغيرهم من المفسرين قالوا يختص بالنبوة من يشاء من عباده **﴿والله ذو الفضل العظيم﴾ هذا خبر منه سبحانه ان كل خير نال عباده في دينهم ودنياهم فإنه من**

عنده ابتداء منه اليهم وتفضلاً عليهم من غير استحقاق منهم لذلك عليه فهو عظيم الفضل ذو المن والطول .

﴿ * مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾

[**القراءة**] قرأ ابن عامر ما نُنْسِخ بضم النون وكسر السين والباقون بفتحها وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ننسأها بفتح النون والسين واثبات الهمزة والباقون بضم النون وكسر السين بلا همز.

[**الحجة**] اما قراءة ابن عامر ننسخ فلا يخلو من ان يكون افَعَلَ لغة في فَعَلَ نحو بدأ وابدأ وحل من احرامه واحل أو تكون الهمزة للنقل نحو ضرب واضربته ونسخ الكتاب وانسخته الكتاب أو يكون المعنى في انسخت الآية وجدتها منسوخة كقولهم احمدت زيداً وابخلته والوجه الصحيح هو الاول وهو ان يكون نسخ وانسخ لغتين متفقتين في المعنى وان اختلفتا في اللفظ وقول من فتح النون ابين وأوضح واما ننسأها فهي من النَسَأ وهو التأخير يقال نسَأتِ الابل عن الحوض انسَأها نَسْأً إذا اخرتها عنه وانتسأت انا اي تأخرت ومنه قولهم انسأ الله اجلك ونسأ في اجلك واما القراءة الاخرى فمن النسيان الذي هو بمعنى السهو أو بمعنى الترك.

[**اللغة**] النسخ في اللغة ابطال شيء واقامة آخر مقامه يقال نسخت الشمس الظل أي اذهبته وحلت محله وقال ابن دريد كل شيء خلفّ شيئاً فقد انتسخه وانتسخ الشيب الشباب وتناسخ الورثة ان تموت ورثة بعد ورثة واصل الميراث قائم لم يُقْسَم وكذلك تناسخ الأزمنة والقرون بعد القرون الماضية واصل الباب الابدال من الشيء غيره وقال علي ابن عيسى النسخ الرفع لشيء قد كان يلزم العمل به إلى بدل منه كنسخ الشمس بالظل لأنه يصير بدلاً منها في مكانها وهذا ليس بصحيح لأنه ينتقض بمن يلزمه الصلاة قائماً فعجز عن القيام فأنه يسقط عنه القيام لعجزه ولا يسمى العجز ناسخاً ولا القيام منسوخاً وينتقض

ايضاً بمن يستبيح الشيء بحكم العقل وورد الشرع بخطره فإنه لا يقال ان الشرع نسخ حكم العقل ولا ان حكم العقل منسوخ واولى ما يجدّ به النسخ ان يقال هو كل دليل شرعي دل على أن مثل الحكم الثابت بالنص الأول غير ثابت في المستقبل على وجه لولاه لكان ثابتاً بالنص الاول مع تراخيه عنه والنسخ في القرآن على ضروب منها أن يرفع حكم الآية وتلاوتها كما روي عن ابي بكر أنه قال كنا نقرأ لا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفر بكم ومنها ان تثبت الآية في الخط ويرفع حكمها كقوله **﴿وان فاتكم شيء من ازواجكم إلى الكفار فعاقبتم﴾** الآية فهذه ثابتة اللفظ في الخط مرتفعة الحكم ومنها ما يرتفع اللفظ ويثبت الحكم كآية الرجم فقد قيل أنها كانت منزلة فرفع لفظها وقد جاءت اخبار كثيرة بأن اشياء كانت في القرآن فنسخ تلاوتها فمنها ما روي عن ابي موسى انهم كانوا يقرأون لو ان لابن آدم واديين من مال لابتغى اليهما ثالثاً ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب ويتوب الله على من تاب ثم رفع وعن انس ان السبعين من الانصار الذين قتلوا ببئر معونة قرأنا فيهم كتاباً بلغوا عنا قومنا انا لقينا ربنا فرضي عنا وارضانا ثم ان ذلك رفع وقال أبو عبيدة معنى ننسأها أي نمضيها فلا ننسخها قال طَرَفة.

أَمُـونٍ كَـأَلْـوَاحِ ٱلإِرَانِ نَسَـأْتُهَـا عَلَى لَاحِبٍ كَـأَنَّـهُ ظَهْـرُ بُـرْجُدِ[1]

أي امضيتها وقال غيره نسأت الابل في ظمئها انسأها نسأً إذا زدتها في ظمئها يوماً أو يومين وظمؤها منعها الماء ونسأت الماشية تنسأ نسأً إذا سمنت وكل سمين ناسىء قال الزجاج وتأويله ان جلودها نسأت أي تاخرت عن عظامها وقال غيره إنما قيل ذلك لأنها تأخرت في المرعى حتى سمنت ويقال للعصا المنسأة لأنها ينسأ بها أي يؤخر ما يساق عن مكانه ويدفع بها الانسان عن نفسه الأذى ونسأت ناقتي إذا دفعتها في السير واصل الباب التأخير.

[**الاعراب**] ما ننسخ ما اسم ناب مناب ان وهو في موضع نصب بننسخ وإنما لزمه التقديم وان كان مفعولاً ومرتبة المفعول ان يكون بعد الفاعل لنيابته عن حرف الشرط الذي له صدر الكلام وننسخ مجزوم بالشرط وننس جزم لأنه معطوف عليه ونأت مجزوم لأنه جزاء ومِنْ في قوله من آية للتبعيض وقيل هي مزيدة ولفظ أَلَمْ هاهنا لفظ الاستفهام ومعناه التقرير وتَعْلَمْ مجزوم بلم لأن حرف الاستفهام لا يغير العامل عن عمله.

[**النظم**] لما قال سبحانه في الآية الاولى **﴿ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا**

(١) الامون : الناقة المأمونة العثار. الاران: تابوت خشب. اللاحب: الطريق . البرجد الكساء المخطط.

المشركين ان ينزل عليكم من خير من ربكم﴾ دل بهذه الآية على أنه سبحانه لا يخليهم من انزال خير اليهم بخلاف ما تمناه اعداؤهم فيهم وأنه ابدا ينزل عليهم ما هو اصلح لهم عن علي بن عيسى وقيل انه سبحانه لما عاب اليهود باشياء ورد عليهم ما راموا به الطعن في أمر نبينا عليه وآله السلام وكان مما طعنوا فيه أنه يقول بنسخ كل شريعة تقدمت شريعته فبين الله سبحانه جواز ذلك ردّاً عليهم عن ابي مسلم.

[**المعنى**] **﴿مانَنسخ من آية﴾** قد ذكرنا حقيقة النسخ عند المحققين وقيل معناه ما نرفع من آية أو حكم آية وقيل معناه ما نبدل من آية عن ابن عباس ومن قرأ **﴿أو ننسها﴾** فمعناه على وجهين فإن لفظ النسي المنقول منه انسى على ضربين (احدهما) بمعنى النسيان الذي هو خلاف الذكر نحو قوله واذكر ربك إذا نسيت (والآخر) بمعنى الترك نحو قوله **﴿نسوا الله فنسيهم أي تركوا طاعة الله﴾** فترك رحمتهم أو ترك تخليصهم فالوجه الاول في الآية مروي عن قتادة وهو ان يكون محمولاً على النسيان الذي هو مقابل الذكر ويجوز ذلك على الأمة بأن يؤمروا بترك قراءتها فينسونها على طول الايام ولا يجوز ذلك على النبي ﷺ لأنه يؤدي إلى التنفير كذا ذكره الشيخ أبو جعفر رحمه الله في تفسيره وقد جوّز جماعة من المحققين ذلك على النبي ﷺ قالوا أنه لا يؤدي إلى التنفير لتعلقه بالمصلحة ويجوز أيضاً ان ينسيهم الله تعالى ذلك على الحقيقة وان كانوا جمعاً كثيراً وجما غفيراً بأن يفعل النسيان في قلوب الجميع وان كان ذلك خارقاً للعادة ويكون معجزاً للنبي ﷺ واستدل من حمل الآية على النسيان الذي هو خلاف الذكر وجوز كون النبي صلى الله عليه وآله مرادا به بقوله سبحانه **﴿سنقرئك فلا تنسى الا ما شاء الله أي الا ما شاء الله ان تنساه﴾** قال وإلى هذا ذهب الحسن فقال ان نبيكم أُقرىء القرآن ثم نسيه وانكر الزجاج هذا القول فقال ان الله تعالى قد أنبأ النبي ﷺ في قوله **﴿ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك﴾** لتفتري علينا غيره بأنه لا يشاء ان يذهب بما أوحي إلى النبي ﷺ قال أبو علي الفارسي هذا الذي احتج به على من ذهب إلى ان ننسها من النسيان لا يدل على فساد ما ذهبوا إليه وذلك ان قوله **﴿ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك﴾** إنما هو على ما لايجوز عليه النسخ والتبديل من الاخبار واقاصيص الأمم ونحو ذلك مما لا يجوز عليه التبديل والذي ينساه النبي صلى الله عليه وآله وهو ما يجوز ان ينسخ من الاوامر والنواهي الموقوفة على المصلحة وفي الاوقات التي يكون ذلك فيها اصلح ويدل على ان ننسها من النسيان الذي هو خلاف الذكر قراءة من قرأ أو تَنْسَهَا وهو قراءة سعد بن ابي وقاص وقراءة من قرأ أو ننسكها وهو المروي عن سالم مولى ابي حذيفة وقراءة من قرأ أو تُنْسَهَا وهو المروي عن

سعد بن مالك فالمفعول المراد المحذوف في قراءة من قرأ أو ننسها مظهر في قراءة من قرأ ننسكها ويبينه ما روي عن الضحاك أنه قرأ ننسها ويؤكد ذلك أيضاً ما روي من قراءة ابن مسعود ما نُنْسِك من آية أو ننسخها وبه قرأ الأعمش وروي عن مجاهد أنه قال قراءة ابيّ ما ننسخ من آية او ننسك فهذا كله يثبت قراءة من جعل ننسها من النسيان ويؤكد ما روي عن قتادة أنه قال كانت الآية تنسخ بالآية وينسي الله نبيه من ذلك شيئاً والوجه الثاني وهو ان المراد بالنسيان الترك في الآية مروي عن ابن عباس فعلى هذا يكون المراد بننسها نامركم بتركها اي بترك العمل بها قال الزجاج إنما يقال في هذا نسيت إذا تركت ولا يقال فيه أُنسيت تركت وإنما معنى او ننسها أو نتركها أي نامركم بتركها قال أبو علي من فسر انسيت بتركت لا يكون مخطئاً لأنك إذا انسيت فقد نسيت ومن هذا قال علي بن عيسى إنما فسره المفسرون على ما يؤول إليه المعنى لأنه إذا أمر بتركها فقد تركها فإن قيل إذا كان نسخ الآية رفعها وتركها ان لا تنزل فما معنى ذلك ولِمَ جمع بينهما قيل ليس معنى تركها الا تنزل وقد غلط الزجاج في توهمه ذلك وإنما معناه اقرارها فلا ترفع كما قال ابن عباس نتركها فلا نبدلها واضافة الترك إلى القديم سبحانه في نحو هذا اتساع كقوله تعالى﴿**وتركهم في ظلمات لا يبصرون وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض**﴾ أي خليناهم وذاك واما من قرأ أو ننسأها على معنى التأخير فقيل فيه وجوه (احدها) ان معناه أو نؤخرها فلا ننزلها وننزل بدلاً منها مما يقوم مقامها في المصلحة أو يكون اصلح للعباد منها (وثانيها) ان معناه نؤخرها إلى وقت ثان ونأتي بدلاً منها في الوقت المتقدم بما يقوم مقامها (وثالثها) ان يكون معنى التأخير ان ينزل القرآن فيعمل به ويتلى ثم يؤخر بعد ذلك بان ينسخ فيرفع تلاوته البتة ويمحي فلا تنسأ ولا يعمل بتأويله مثل ما روي عن زر بن حبيش ان ابيّاً قال له كم تقرءون الاحزاب قال بضعاً وسبعين آية قال قد قرأتها ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وآله اطول من سورة البقرة اولاده أبو علي في كتاب الحجة (ورابعها) أن يؤخر العمل بالتأويل لأنه نسخ ويترك خطه مثبتاً وتلاوته قرآن يتلى وهو ما حكي عن مجاهد يثبت خطها ويبدل حكمها والوجهان الأولان عليهما الاعتماد لأن الوجهين الاخيرين يرجع معناهما إلى معنى النسخ فلا يحسن إذ يكون في التقدير محصوله ما ننسخ من آية أو ننسخها وهذا لا يصح على ان الوجه الاول أيضاً فيه ضعف لأنه لا فائدة في تأخير ما لم يعرفه العباد ولا علموه ولا سمعوه فالاقوى هو الوجه الثاني وقوله ﴿**نأت بخير منها أو مثلها**﴾ فيه قولان (احدهما) نأت بخير منها لكم في التسهيل والتيسير كالأمر بالقتال الذي سهل على المسلمين بقوله الآن خفف الله عنكم او مثلها في السهولة كالعبادة بالتوجه إلى

الكعبة بعد أن كان إلى بيت المقدس عن ابن عباس (والثاني) نأت بخير منها في الوقت الثاني أي هي لكم في الوقت الثاني خير لكم من الأولى في الوقت الاول في باب المصلحة او مثلها في ذلك عن الحسن وقوله ﴿الم تعلم ان الله على كل شيء قدير﴾ قيل هو خطاب للنبي ﷺ وقيل هو خطاب لجميع المكلفين والمراد الم تعلم أيها السامع أو أيها الانسان ان الله تعالى قادر على آيات وسور مثل القرآن ينسخ بها ما أمر فيقوم في النفع مقام المنسوخ وعلى القول الاول معناه الم تعلم يا محمد أنه سبحانه قادر على نصرك والانتصار لك من أعدائك وقيل هو عام في كل شيء واستدل من زعم أنه لا يجوز نسخ القرآن بالسنة المعلومة بهذه الآية قال اضاف الاتيان بخير منها إلى نفسه والسنة لا تضاف إليه حقيقة ثم قال بعد ذلك الم تعلم ان الله على كل شيء قدير فلا بد من ان يكون اراد ما يختص سبحانه بالقدرة عليه من القرآن المعجز والصحيح ان القرآن يجوز ان ينسخ بالسنة المقطوع عليها ومعنى خير منها أي اصلح لنا منها في ديننا وانفع لنا بان نستحق به مزيد الثواب فأما اضافة ذلك إليه تعالى فصحيحة لأن السنة إنما هي بوحيه تعالى وأمره فاضافتها إليه كاضافة كلامه وآخر الآية إنما يدل على أنه قادر على ان ينسخ الآية بما هو اصلح وانفع سواء كان ذلك بقرآن أو سنة وفي هذه الآية دلالة على ان القرآن محدث وأنه غير الله تعالى لأن القديم لا يصح نسخه ولأنه اثبت له مثلاً والله سبحانه قادر عليه وما كان داخلاً تحت القدرة فهو فعل والفعل لا يكون الا محدثاً.

﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾

[**اللغة**] الولي هو القائم بالأمـر ومنه ولي عهد المسلمين ودون الله سوى الله قال امية بن أبي الصلت.

يَـا نَفْسُ مَالَكِ دُوْنَ اللَّهِ مِنْ وَاقِ وَمَـا عَلَى حَدَثَـانِ الدَهْـرِ مِنْ بَـاقِ

والنصير الناصر وهو المؤيد والمقوي.

[**الاعراب والمعنى**] الم تعلم استفهام تقرير وتثبيت ويؤول في السعنى إلى الايجاب فكأنه يقول قد علمت حقيقة كما قال جرير.

أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا وأَنْدَى العَالَمِينَ بُطُوْنَ رَاحِ

فلهذا خاطب به النبي صلى الله عليه وآله وقيل ان الآية وان كانت خطاباً للنبي عليه السلام فالمراد به امته كقوله ﴿يا أيها النبي إذا طلقتم النساء﴾ ومثله قول الكميت في مدح النبي عليه السلام.

لَجَّ بِتفْضِيلِكَ اللِّسَانُ وَلَوْ أُكْثِرَ فِيكَ الضَّجَاجُ واللَّجَبُ
وَقِيلَ أَفْرَطْتَ بَلْ قَصَدْتُ وَلَوْ عَنَّفَنِي القَائِلُوْنَ أَوْ ثَلَبُوْا(١)
أَنْتَ ٱلْمُصَفَّى ٱلْمُهَذَّبُ الْمحضْ فِي النِّسْبَةِ إن نَصَّ قَوْمَكَ النَّسَبُ

فأخرج كلامه مخرج الخطاب للنبي صلى الله عليه وآله وارد به اهل بيته لأن أحداً من المسلمين لا يُعنّف مادح النبي عليه السلام ولا يكثر الضجاج واللجب في إطناب القول فيه فكأنه قال ألم تعلم أيها الانسان ان الله له ملك السماوات والأرض لأنه خلقهما وما فيهما وقوله ﴿وما لكم من﴾ قال ان الآية خطاب للنبي ﷺ قال اتى بضمير الجمع في الخطاب تفخيماً لأمره وتعظيماً لقدره ومن قال هي خطاب له وللمؤمنين أو لهم خاصة فالمعنى ألم تعلموا ما لكم أيها الناس ﴿من دون الله﴾ أي سوى الله ﴿من ولي﴾ يقوم بأمركم ﴿ولا نصير﴾ ناصر ينصركم .

﴿ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُواْ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَـٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٠٨﴾

[اللغة] السؤال هو أن يُطلب أمر ممن يعلم معنى الطلب وسواء بالمد على ثلاثة أوجه بمعنى قصد وعدل وبمعنى وسط في قوله إلى سواء الجحيم وبمعنى غير في قولك أتيت سواك أي غيرك(٢) ومعنى ضلّ ههنا ذهب عن الإستقامة قال الأخطل :

كُنْتَ القَذَى في مَوْجِ أَكْدَرَ مُزْبِدٍ قَذَفَ الأَتيُّ(٣) بِهِ فَضَلَّ ضَلَالا

---

(١) اللجب : كثرة اصوات الابطال . ثلبه: عابه ولامه.

(٢) قال الأخفش: سوى إذا كان بمعنى غير أو بمعنى العدل فيه ثلاث لغات إن ضممت السين أو كسرت قصرت وإذا فتحت مددت .

(٣) سيل أتي : يأتي من حيث لا يدرك .

[**الإعراب**] أم هذه منقطعة فإن أم على ضربين متصلة ومنقطعة فالمتصلة عديلة الألف وهي مفرقة لما جمعتْه أيّ كما أن أو مفرقة لما جمعه أحد تقول أضرب أيّهم شئت زيداً أم عمراً أم بكراً كما تقول اضرب أحدهم زيداً أو عمراً أو بكراً والمنقطعة لا تكون إلا بعد كلام لأنها بمعنى بل وهمزة الاستفهام كقول العرب أنها لأبل أم شاء كأنه قال بَل أهي شاء فقوله أم تريدون تقديره بل أتريدون ومثله قول الأخطل :

كَـذَبَتْكَ عَيْنُـكَ أمْ رَأيْتَ بِـوَاسِطٍ غَلَسَ الظَّلَامِ مِنَ الرَّبَـابِ خَيَـالاً

أن تسألوا موصول وصلة في محل النصب لأنه مفعول تريدون كما أن الكاف حرف جر ما حرف موصول سُئل موسى جملة فعلية هي صلة ما والموصول والصلة في محل الجر بالكاف والكاف متعلق بتسألوا والجار والمجرور في محل النصب على المصدر ومن قبل في محل النصب لأنه ظرف قوله سئل ومَن اسم للشرط في محل الرفع بالابتداء والفاء في قوله ﴿ **فقد ضل سواءَ السبيل** ﴾ في محل الجزم لأنه جواب الشرط ومعنى حرف الشرط الذي تضمنه مَن مع الجملتين في محل الرفع لأنه خبر المبتدأ .

[**النزول**] اختلف في سبب نزول الآية فروي عن ابن عباس أنه قال إنّ رافع بن حرملة ووهب بن زيد قالا لرسول الله صلى الله عليه وآله ائتنا بكتاب تنزله علينا من السماء نقرؤه وفَجّر لنا أنهاراً نتبعك ونصدقك فأنزل الله هذه الآية وقال الحسن عَنى بذلك مشركي العرب وقد سألوا فقالوا ﴿ **لن نؤمن لك حتى تفجر لنا** ﴾ إلى قوله ﴿ **أو تأتي بالله والملائكة قبيلاً وقالوا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا** ﴾ وقال السدي سألت العربُ محمداً أن أتيهم بالله فيروه جهرة وقال مجاهد سألت قريش محمداً أن يجعل لهم الصفا ذهبا قال نعم ولكن يكون لكم كالمائدة لقوم عيسى عليه السلام فرجعوا وقال أبو علي الجبائي روي أن رسول الله صلى الله عليه وآله سأله قوم أن يجعل لهم ذات أنواط كما كان للمشركين ذات أنواط وهي شجرة كانوا يعبدونها ويعلقون عليها الثمر وغيره من المأكولات كما سألوا موسى عليه السلام ﴿ **اجعل لنا إلَهاً كما لهم آلهة** ﴾ .

[**المعنى**] ﴿ **أم تريدون** ﴾ أي بل أتريدون ﴿ **أن تسألوا رسولكم** ﴾ يعني النبي محمداً ﴿**كما سئل موسى**﴾ أي كما سأل قوم موسى موسى ﴿**من قبل**﴾ من الاقتراحات أي ذهب يميناً وشمالاً والسبيل والطريق والمذهب نظائر والجمع السبل .

والمحالات ﴿ **ومن يتبدل الكفر بالإيمان** ﴾ أي من استبدل الجحود بالله وبآياته بالتصديق بالله والإقرار به وبآياته واقترح المحالات على النبي ﷺ وسأل عما لا يعنيه بعد وضوح الحق بالبراهين ﴿ **فقد ضل سواء السبيل** ﴾ أي ذهب عن قصد الطريق وقيل عن طريق الاستقامة وقيل عن وسط الطريق لأن وسط الطريق خير من أطرافه .

[**النظم**] وجه اتصال هذه الآية بما قبلها أنه لما دل الله تعالى بما تقدم على تدبيره لهم فيما يأتي به من الآيات وما ينسخه واختياره لهم ما هو الأصلح في كل حال قال أما ترضون بذلك وكيف تتخيرون محالات مع اختيار الله لكم ما يعلم فيه من المصلحة فإذا أتى بآية تقوم بها الحجة فليس لأحد الاعتراض عليها ولا اقتراح غيرها لأن ذلك بعد صحة البرهان بها يكون تعنتاً .

﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾

[**اللغة**] الحسد إرادة زوال نعمة المحسود إليه أو كراهة النعمة التي هو فيها وإرادة أن تصير تلك النعمة بعينها له وقد يكون تمني زوال نعمة الغير حسداً وإن لم يطمع الحاسد في تحول تلك النعمة إليه وأشد الحسد التعرض للإغتمام بكون الخير لأحد وأما الغبطة فهي أن يراد مثل النعمة التي فيها الغير وإن لم يرد زوالها عنه ولا يكره كونها له فهذه غير مذموم والحسد مذموم ويقال حَسَدته على الشيء أحسُده حَسَداً وحسدته الشيء بمعنى واحد ومنه قول الشاعر (يحسد الناس الطعاما) والصفح والعفو والتجاوز عن الذنب بمعنى ويقال لظاهر جلدة الإنسان صَفْحتُه وكذا هو من كل شيء ومنه صافحته أي لَقَتْ صفحة كفه صفحة كفي وقولهم صفحت عنه فيه قولان (أحدهما) أن معناه أني لم آخذه بذنبه وأبديتُ له مني صفحة جميلة والآخر أنه لم يَر مني ما يقبض صفحته ويقال صفحتُ الورقة أي تجاوزتها إلى غيرها ومنه تصفحت الكتاب وقد يتصفح الكتاب من لا يُحسِن أن يقرأه .

[**الإعراب**] مِن في قوله ﴿**من أهل الكتاب** ﴾ يتعلق بمحذوف تقديره فريق كائنون

من أهل الكتاب فيكون صفة لكثير مِن بعد في محل النصب على الظرف والعامل فيه يردّ[١] وكفارا مفعول ثان ليردّ[١] ومفعوله الأول كُم مِن يردّونكم وفيه انتصاب قوله حسداً وجهان (أحدهما) أن الجملة التي قبله تدل على الفعل الذي هو مصدره وتقديره حسدوكم حسداً كما يقال فلان يتمنى لك الشر حسداً فكأنه قال يحسدك حسداً والآخر أن يكون مفعولاً له فكأنه قال يردونكم كفاراً لأجل الحسد كما تقول جئته خوفاً منه وقوله **﴿من عند أنفسهم﴾** يتعلق بقوله ودّ كثير لا بقوله حسداً لأن حسد الإنسان لا يكون من غير نفسه قال الزجاج وقال غيره يجوز أن يتعلق بقوله حسداً على التوكيد كقوله عز وجل **﴿ ولا طائر يطير بجناحيه ﴾** ويحتمل وجهاً آخر وهو أن يكون اليهود قد أضافوا الكفر والمعاصي إلى الله تعالى فقال سبحانه تكذيباً لهم **﴿ إن ذلك من عند أنفسهم ﴾** وقوله **﴿ ما تبين ﴾** ما حرف موصول وتبين لهم الحق صلته والموصول والصلة في محل الجر بإضافة بعد إليه حتى يأتي الله يأتي منصوب بإضمار أن وهما في محل الجر بحتى والجار والمجرور مفعول فاعفوا واصفحوا .

[**النزول**] نزلت الآية في حيي بن أخطب وأخيه أبي ياسر بن أخطب وقد دخلا على النبي صلى الله عليه وآله حين قدم المدينة فلما خرجا قيل لحيي أهُو نَبيّ قال هو هو فقيل فما له عندك قال العداوة إلى الموت وهو الذي نقض العهد وأثار الحرب يوم الأحزاب عن ابن عباس وقيل نزلت في كعب بن الأشرف عن الزهري وقيل في جماعة اليهود عن الحسن .

[**المعنى**] ثم أخبر الله سبحانه عن سرائر اليهود فقال **﴿ ودّ ﴾** أي تمنى **﴿ كثير من أهل الكتاب ﴾** كحيي بن أخطب وكعب بن الأشرف وأمثالهما **﴿ لو يردونكم ﴾**[٢] يا معشر المؤمنين أي يرجعونكم **﴿ من بعد إيمانكم كفاراً حسداً ﴾** منهم لكم بما أعدّ الله لكم من الثواب والخير وإنما قال كثير من أهل الكتاب لأنه إنما آمن منهم القليل كعبد الله بن سلام وكعب الأحبار وقيل إنما حسد اليهود المسلمين على وضع النبوة فيهم وذهابها عنهم وزوال الرياسة إليهم وقوله **﴿ من عند أنفسهم ﴾** قد بَيّنا ما فيه في الإعراب وقوله **﴿ مِن بعد ما تَبَيّنَ لهم الحق ﴾** أي بعد ما تبين لهم أن محمداً رسول الله والإسلام دين الله عن ابن عباس وقتادة والسدي وقوله **﴿ فاعفوا واصفحوا ﴾** أي تجاوزوا عنهم وقيل ارسلوهم فإنهم

---

(١) كذا في النسخ ولكن الظاهر يردّون بدل يردّ في الموضعين. (٢) [معناه أن يردّونكم] .

لا يفوتون الله ولا يعجزونه وإنما أمرهم بالعفو والصفح وإن كانوا مضطهدين مقهورين من حيث أن كثيراً من المسلمين كانوا عزيزين في عشائرهم وأقوامهم يقدرون على الإنتقام من الكفار فأمرهم الله بالعفو وإن كانوا قادرين على الانتصاف ﴿ **حتى يأتي الله بأمره** ﴾ أي بأمره لكم بعقابهم أو يعاقبهم هو على ذلك ثم أتاهم بأمره فقال ﴿ **قاتلوا الذين لا يؤمنون** ﴾ الآية عن أبي علي وقيل بأمره أي بآية القتل والسبي لبني قريظة والجلاء لبني النضير عن ابن عباس وقيل بأمره بالقتال عن قتادة فإنه قال هذه الآية منسوخة بقوله ﴿ **قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر** ﴾ الآية وبه قال الربيع والسدي وقيل نسخت بقوله ﴿ **اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم** ﴾ وروي عن الباقر (ع) أنه قال لم يؤمر رسول الله صلى الله عليه وآله بقتال ولا أذن له فيه حتى نزل جبرائيل عليه السلام بهذه الآية ﴿ **أُذِن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وقلّده سيفاً** ﴾ وقوله ﴿ **إن الله على كل شيء قدير** ﴾ فيه ثلاثة أقوال . (أحدها) أنه قدير على عقابهم إذ هو على كل شيء قدير عن أبي علي (وثانيها) أنه قدير على أن يدعو إلى دينه بما أحب مما هو الأليق بالحكمة فيأمر بالصفح تارة وبالعقاب أخرى على حسب المصلحة عن الزجاج (وثالثها) أنه لمَا أمر بالامهال والتأخير في قوله ﴿ **فاعفوا واصفحوا** ﴾ قال إن الله قادر على عقوبتهم بأن يأمركم بقتالهم ويعاقبهم في الآخرة بنفسه .

﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٠﴾

[**الإعراب**] ما اسم للشرط في موضع رفع بالابتداء وتُقدّموا شرط ﴿ **مِن خير** ﴾ من مزيدة والجار والمجرور مفعول تقدموا وتجدوه مجزوم لأنه جزاء وعلامة الجزم في الشرط والجزاء سقوط النون ومعنى حرف الشرط الذي تضمنه ما مع الشرط والجزاء في محل الرفع لأنه خبر المبتدأ وما في قوله بما تعملون اسم موصول أو حرف موصول والموصول والصلة في موضع جرّ بالباء والباء متعلق ببصير الذي هو خبر إنّ .

[**المعنى**] لما أمر الله سبحانه المؤمنين بالصفح عن الكفار والتجاوز علم أنه يشق عليهم ذلك مع شدة عداوة اليهود وغيرهم لهم فأمرهم بالاستعانة على ذلك بالصلاة والزكاة فإن في ذلك معونةً لهم على الصبر مع ما يحوزون بهما من الثواب والأجر كما قال في

موضع آخر﴿ **واستعينوا بالصبر والصلوٰة** ﴾ وقوله ﴿ **وما تقدموا لأنفسكم من خير** ﴾ أي من طاعة وإحسان وعمل صالح ﴿ **تجدوه عند الله** ﴾ أي تجدوا ثوابه معدّاً لكم عند الله وقيل معناه تجدوه مكتوباً محفوظاً عند الله ليجازيكم به وفي هذه الآية دلالة على أن ثواب الخيرات والطاعات لا يضيع ولا يبطل ولا يُحبَط لأنه إذا أحبط لا تجدونه وقوله ﴿ **إن الله بما تعملون بصير** ﴾ أي لا يخفى عليه شيء من أعمالكم سيجازيكم على الإحسان بما تستحقونه من الثواب وعلى الإساءة بما تستحقونه من العقاب فاعملوا عمل من يستيقن أنه يجازيه على ذلك مَن لا يخفى عليه شيء من عمله وفي هذا دلالة على الوعد والوعيد والأمر والزجر وإن كان خبراً عن غير ذلك في اللفظ .

﴿ وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾

[**اللغة**] في هود ثلاثة أقوال (أحدها) أنه جمع هائد كعائذ وعُوذ وعائط وعُوط وهو جمع للمذكر والمؤنث على لفظ واحد والهائد التائب الراجع إلى الحق (وثانيها) أن يكون مصدراً يصلح للواحد والجمع كما يقال رجل فِطر وقوم فِطر ورجل صَوم وقوم صَوم (وثالثها) أن يكون معناه إلا من كان يهوداً فحذفت الياء الزائدة والبرهان والحجة والدلالة والبيان بمعنى واحد وهو ما أمكن الاستدلال به على ما هو دلالة عليه مع قصد فاعله إلى ذلك وفرّق علي بن عيسى بين الدلالة والبرهان بأن قال الدلالة قد تنبىء عن معنى فقط لا يشهد بمعنى آخر وقد تنبىء عن معنى يشهد بمعنى آخر والبرهان ليس كذلك لأنه بيان عن معنى ينبىء عن معنى آخر وقد نُوزِع في هذا الفرق وقيل أنه محض الدعوى .

[**الإعراب**] قالوا جملة فعلية والجنة ظرف مكان ليدخل وإلّا هاهنا لنقض النفي ومَن موصول وهو مع صلته مرفوع الموضع بأنه فاعل يدخل ولن يدخل مع ما بعده معمول قالوا وإن حرف شرط وجوابه محذوف وتقديره إن كنتم صادقين فهاتوا برهانكم .

[**المعنى**] ثم حكى سبحانه نبذاً من أقوال اليهود ودعاويهم الباطلة فقال ﴿ **وقالوا**

لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى ﴾ وهذا على الإيجاز وتقديره قالت اليهود لن يدخل الجنة إلا من كان يهودياً وقالت النصارى لن يدخل الجنة إلا من كان نصرانياً ووحّد كان لأنَّ لفظة مَن قد تكون للواحد وقد تكون للجماعة وإنما قلنا أن الكلام مقدر هذا التقدير لأن من المعلوم أن اليهود لا يشهدون للنصارى بالجنة ولا النصارى لليهود فعلمنا أنه أدرج الخبر عنهما للإيجاز من غير إخلال بشيء من المعنى فإن شهرة الحال تغني عن البيان الذي ذكرناه ومثله قول حسان بن ثابت :

أَمَنْ يَهْجُو رَسُولَ اللهِ مِنْكُمْ ويَمْدَحُهُ وَيَنْصُرُهُ سَوَاءُ

تقديره ومن يمدحه وينصره غير أنه لما كان اللفظ واحداً جمع مع الأول وصار كأنه اخبار عن جماعة واحدة وإنما حقيقته عن بعضين متفرقين وقوله ﴿ **تلك أمانيهم** ﴾ أي تلك المقالة أماني كاذبة يتمنونها على الله عن قتادة والربيع وقيل أمانيهم أباطيلهم بلغة قريش عن المؤرج وقيل معناه تلك أقاويلهم وتلاوتهم من قولهم تمنى أي تلا وقد يجوز في العربية أمانيهم بالتخفيف والتثقيل أجود ﴿ **قل** ﴾ يا محمد ﴿ **هاتوا** ﴾ أي أحضروا وليس بأمر بل هو تعجيز وإنكار بمعنى إذا لم يمكنكم الإتيان ببرهان يصحح مقالتكم فاعلموا أنه باطل فاسد ﴿ **برهانكم** ﴾ أي حجتكم عن الحسن ومجاهد والسدي ﴿ **إن كنتم صادقين** ﴾ في قولكم لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى وفي هذه الآية دلالة على فساد التقليد ألا ترى أنه لو جاز التقليد لما أمروا بأن يأتوا فيما قالوه ببرهان وفيها أيضاً دلالة على جواز المحاجة في الدين .

﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾

[**اللغة**] أسْلَم يستعمل في شيئين (أحدهما) أسلمه إلى كذا أي صرفه إليه تقول أسلمت الثوب إليه (والثاني) أسلم له بمعنى أخلص له ومنه قوله ورجلا سَلَما لرجل أي خالصاً وقال زيد بن عمرو بن نفيل :

أَسْلَمْتُ وَجْهِي لِمَنْ أَسْلَمَتْ لَهُ الأَرْضُ تَحْمِلُ صَخْراً ثِقالاَ

وَأَسْلَمْتُ وَجْهِي لِمَنْ أَسْلَمَتْ لَهُ الْمُزْنُ تَحْمِلُ عذْباً زُلاَلا

ويروى وأسلمت نفسي والوجه مستقبل كل شيء ووجه الإنسان محياه ويقال وجه الكلام تشبيهاً بوجه الإنسان لأنه أول ما يبدو منه ويعرف به ويقال هذا وجه الرأي أي الذي يبدو منه ويعرف به والوجه من كلْ شيء أول ما يبدو فيظهر بظهوره ما بعده وقد استعملت العرب لفظة وجه الشيء وهم يريدون نفسه إلا أنهم ذكروه باللفظ الأشرف الأنبه ودلّوا عليه به كما قال سبحانه كل شيء هالك إلا وجهه أي إلا هو ويبقى وجه ربك أي ربك وقال الأعشى :

وَأَوَّلُ آلحُكْمِ عَلَى وَجْهِهِ لَيْسَ قَضَائِي بِالْهَوَى آلْجَائِرِ

أي على ما هو به من الصواب وقال ذو الرمة :

فَطَاوَعْتُ هَمِّي وَآنْجَلى وَجْهُ نَازِلٍ مِنَ آلأَمْرِ لَمْ يَتْرُكْ خِلاَجاً نُزُوْلُهَا

يريد وانجلى النازل من الأمر .

[**الإعراب**] بلى يدخل في جواب الاستفهام مثل قوله ﴿ **ألست بربكم قالوا بلى** ﴾ ويصلح أن يكون تقديره هنا أما يدخل الجنة أحد فقيل بلى من أسلم وجهه لله لأن ما تقدم يقتضي هذا السؤال ويصلح أن يكون جواباً للجحد على التكذيب كقولك ما قام زيد فيقول بلى قد قام ويكون التقدير هنا ليس الأمر كما قال الزاعمون لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى ولكن من أسلم وجهه لله وهو محسن فهو يدخلها ومن أسلم يجوز أن يكون مَنْ موصولاً ويجوز أن يكون للشرط فيكون أسلم أما صلة له وأما مجزوم الموضع بكونه شرطاً أو يكون من مبتدأ والفاء في قوله فله أجره للجزاء واللام تتعلق بمحذوف في محل الرفع لأنه خبر لقوله أجره والمبتدأ مع خبره في محل الرفع لوقوعه بعد الفاء والفاء مع ما دخل فيه في محل الجزم ومعنى حرف الشرط الذي تضمنه من مع الشرط والجزاء في محل الرفع بأنه خبر المبتدأ وإن كان مَنْ موصولاً فمن مع أسلم مبتدأ والفاء مع الجملة بعده خبره وعند ربه ظرف مكان في موضع النصب على الحال تقديره كائناً عند ربه والعامل فيه المحذوف الذي تعلق به اللام وذو الحال الضمير المستكن فيه وقوله وهو محسن في موضع نصب على الحال وإنما قال فله أجره على التوحيد ثم قال ولا خوف عليهم لأن من مفرد اللفظ مجموع المعنى فيحمل على اللفظ مرة وعلى المعنى أخرى .

[**المعنى**] ثم ردّ الله سبحانه عليهم مقالتهم فقال ﴿ **بلى من أسلم وجهه لله** ﴾ قيل

معناه من أخلص نفسه لله بأن سلك طريق مرضاته عن ابن عباس وقيل وجَّه وجهه لطاعة الله وقيل فوض أمره إلى الله وقيل استسلم لأمر الله وخضع وتواضع لله لأن أصل الإسلام الخضوع والانقياد وإنما خص الوجه لأنه إذا جاد بوجهه في السجود لم يبخل بسائر جوارحه ﴿ **وهو محسن** ﴾ في عمله وقيل وهو مؤمن وقيل مخلص ﴿ **فله أجره عند ربه** ﴾ معناه فله جزاء عمله عند الله ﴿ **ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون** ﴾ في الآخرة وهذا ظاهر على قول من يقول أنه لا يكون على أهل الجنة خوف ولا حزن في الآخرة وأما على قول من قال أن بعضهم يخاف ثم يأمن فمعناه أنهم لا يخافون فوت جزاء أعمالهم لأنهم يكونون على ثقة بأن ذلك لا يفوتهم .

﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾

[**اللغة**] القيامة مصدر إلا أنه صار كالعلم على وقت بعينه وهو الوقت الذي يبعث الله عز وجل فيه الخلق فيقومون من قبورهم إلى محشرهم تقول قام يقوم قياماً وقيامة مثل عاد يعود عياداً وعيادة .

[**الإعراب**] وهم يتلون جملة من مبتدأ وخبر منصوبة الموضع على الحال والعامل قالت وذو الحال اليهود والنصارى والكاف في كذلك يتعلق بيتلون أو بقال الذين وتقديره وهم يتلون الكتاب كتلاوتكم أو قال الذين لا يعلمون وهم المشركون كقول اليهود والنصارى ومثل صفة مصدر محذوف تقديره قولاً مثل قولهم .

[**النزول**] قال ابن عباس أنه لما قدم وفد نجران من النصارى على رسول الله صلى الله عليه وآله اتتهم أحبار اليهود فتنازعوا عند رسول الله ﷺ فقال رافع بن حرملة ما أنتم على شيء وجحد نبوة عيسى وكفر بالإنجيل فقال رجل من أهل نجران ليست اليهود على شيء وجحد نبوة موسى وكفر بالتوراة فأنزل الله هذه الآية .

[المعنى] ثم بيّن سبحانه ما بين أهل الكتاب من الاختلاف مع تلاوة الكتاب فقال ﴿ **وقالت اليهود ليست النصارى على شيء** ﴾ في تدينهم بالنصرانية ﴿ **وقالت النصارى ليست اليهود على شيء** ﴾ في تدينهم باليهودية ﴿ **وهم يتلون الكتاب** ﴾ أي يقرأونه وذكر فيه وجهان (أحدهما) أن فيه حل الشبهة بأنه ليس في تلاوة الكتاب معتبر في الإنكار لما لم يؤت على انكاره ببرهان فلا ينبغي أن يدخل الشبهة بانكار أهل الكتاب لملة الإسلام إذ كل فريق من أهل الكتاب قد أنكر ما عليه الآخر ثم بين أن سبيلهم كسبيل من لا يعلم الكتاب من مشركي العرب وغيرهم ممن لا كتاب لهم في الإنكار لدين الإسلام (والوجه الآخر) الذم لمن أنكر ذلك من أهل الكتاب على جهة العناد إذ قد ساوى المعاند منهم للحي الجاهل به في الدفع له فلم ينفعه علمه وقوله ﴿ **كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم** ﴾ معناه أن مشركي العرب الذين هم جهال وليس لهم كتاب هكذا قالوا لمحمد وأصحابه أنهم ليسوا على شيء من الدين مثل ما قالت اليهود والنصارى بعضهم لبعض عن السدي ومقاتل وقيل معناه أن مشركي العرب قالوا بأن جميع الأنبياء وأممهم لم يكونوا على شيء وكانوا على خطأ[1] فقد ساووكم يا معشر اليهود في الانكار وهم لا يعلمون وقيل أن هؤلاء الذين لا يعلمون أمم كانت قبل اليهود والنصارى وقبل التوراة والانجيل كقوم نوح وعاد وثمود قالوا لأنبيائهم لستم على شيء عن عطاء وقيل أن الأصح أن المراد بقوله ﴿**كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم**﴾ أسلاف اليهود والمراد بقوله ﴿ **وقالت اليهود ليست النصارى على شيء** ﴾ هؤلاء الذين كانوا على عهد النبي ﷺ لأنه حكي قول مبطل لمبطل فلا يجوز أن يعطف عليه قول مبطل لمحق وقوله ﴿ **فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون** ﴾ فيه وجوه (أحدها) أن حكمه بينهم أن يكذبهم جميعاً ويدخلهم النار عن الحسن (وثانيها) أن حكمه فيهم الانتصاف من الظالم المكذب بغير حجة ولا برهان للمظلوم المكذب عن أبي علي (وثالثها) أن حكمه أن يريهم من يدخل الجنة عياناً ومن يدخل النار عياناً وهذا هو الحكم الفصل في الآخرة بما يصير إليه كل فرقة فأما الحكم بينهم في العقد فقد بيّنه الله جل وعزّ فيما أظهر من حجج المسلمين وفي عجز الخلق عن أن يأتوا بمثل هذا القرآن عن الزجاج .

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ

(١) [أي] .

فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا
خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾

[**اللغة**] المنع والصد والحيلولة نظائر وضد المنع الإطلاق يقال منعته فامتنع ورجل منيع أي لا يخلص إليه وهو في عز ومنعة تخفف وتثقل وامرأة منيعة لا تؤاتي على فاحشة والسعي والركض والعدو نظائر وضد السعي الوقف وفلان يسعى على عياله أي يكسب لهم وسعى للسلطان إذا ولي أمر الصدقة قال الشاعر :

سَعَى عِقَالاً فَلَمْ يَتْرُكْ لَهَا سَبَداً(١) فَكَيْفَ لَوْ قَدْ سَعَى عَمْرُو عِقَالَيْنِ

والعقال صدقة عام وساعي الرجل الأمة إذا فجر بها ولا تكون المساعاة إلا في الإماء والخراب والهدم والنقض نظائر والخُرْبَة سعة خرق الأذن وكل ثَقب مستدير والخارب اللص قال الأصمعي يختص بسارق الإبل والخرابة سرقة الإبل .

[**الإعراب**] موضع مَنْ رفع وهو استفهام وأظلم رفع لأنه خبر الابتداء وموضع أن نصب على البدل من مساجد وهو بدل الاشتمال والتقدير ومن أظلم ممن منع أن يذكر في مساجد الله اسمه ويجوز أن يكون موضع أن نصباً على أنه مفعول له فيكون تقديره كراهة أن يذكر فيها اسمه ويجوز أن يكون على حذف مِنْ وتقديره من أن يذكر وأن يدخلوها في موضع رفع بأنه اسم كان وقيل إنّ كان هاهنا مزيدة وتقديره ما لهم أن يدخلوها فعلى هذا يكون موضع أن يدخلوها رفعاً بالابتداء وإلا حرف الاستثناء وهو هنا لنقض النفي وخائفين منصوب على الحال وقوله خزي مرفوع من وجهين (أحدهما) الابتداء (والآخر) أن يكون مرفوعاً بلهم وقوله في الدنيا الجار والمجرور في موضع نصب على الحال وذو الحال الضمير المستكن في لهم وكذلك قوله ولهم في الآخرة .

[**النزول**] اختلفوا في المعني بهذه الآية فقال ابن عباس ومجاهد أنهم الروم غزوا بيت المقدس وسعوا في خرابه حتى كانت أيام عمر فأظهر الله المسلمين عليهم وصاروا لا يدخلونه إلا خائفين وقال الحسن وقتادة هو بُخْتُ نَصَّر خرب بيت المقدس وأعانه عليه

---

(١) وفي نسخنا المخطوطة والمطبوعة كنسخة لسان العرب « لنا » بدل « لها » . السَبد: القليل من الشعر يقال: ماله سَبَد ولا لَبَد أي لا شعر ولا صوف، يقال لمن لا شيء له .

النصارى وروي عن أبي عبد الله عليه السلام أنهم قريش حين منعوا رسول الله ﷺ دخول مكة والمسجد الحرام وبه قال البلخي والرماني والجبائي وضعّف هذا الوجه الطبري بأن قال إن مشركي قريش لم يسعوا في تخريب المسجد الحرام وقوله يفسد بأن عمارة المساجد إنما تكون بالصلاة فيها وخرابها بالمنع من الصلاة فيها وقد وردت الرواية بأنهم هدموا مساجد كان أصحاب النبي ﷺ يصلون فيها بمكة لما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة قال وهو أيضاً لا يتعلق بما قبله من ذم أهل الكتاب كما يتعلق به إذا عني به النصارى وبيت المقدس وجوابه أنه قد جرى أيضاً ذكر غير أهل الكتاب في قوله ﴿ **كذلك قال الذين لا يعلمون** ﴾ وهذا أقرب لأن الكلام خرج مخرج الذم فمرة توجه الذم إلى اليهود ومرة إلى النصارى ومرة إلى عبدة الأصنام والمشركين .

[**والمعنى**] ﴿ **ومن أظلم** ﴾ أي وأي أحد أشد وأعظم ظلماً ﴿ **ممن منع مساجد الله** ﴾ من ﴿ **أن يذكر فيها اسمه** ﴾ ويكون معناه لا أحد أظلم ممن منع أن يذكر في مساجد الله اسمه سبحانه وعمل في المنع من إقامة الجماعة والعبادة فيها وإذا حمل قوله ﴿ **مساجد الله** ﴾ على بيت المقدس أو على الكعبة فإنما جاز جمعه على أحد وجهين أما أن تكون مواضع السجود فإن المسجد العظيم يقال لكل موضع منه مسجد ويقال لجملته مسجد وأما أن يدخل في هذه اللفظة المساجد التي بناها المسلمون للصلاة وروي عن زيد بن علي عن آبائه عن علي عليه السلام أنه أراد جميع الأرض لقول النبي ﷺ جعلت لي الأرض مسجداً وترابها طهوراً وقوله ﴿ **وسعى في خرابها** ﴾ أي عمل في تخريبها والتخريب إخراجهم أهل الإيمان منها عند الهجرة وقيل هو صدّهم عنها ويجوز حمله على الأمرين وقيل المراد المنع عن الصلاة والطاعة فيها وهو السعي في خرابها وقوله أولئك ﴿ **ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين** ﴾ فيه خلاف قال ابن عباس معناه أنه لا يدخل نصراني بيت المقدس إلّا نُهك[1] ضرباً وأُبلغ عقوبة وهو كذلك اليوم ومن قال المراد به المسجد الحرام قال لما نزلت هذه الآية أمر النبي صلى الله عليه وآله منادياً فنادى إلا لا يحجنَّ بعد العام مشرك ولا يطوفنَّ بهذا البيت عريان فكانوا لا يدخلونه بعد ذلك وقال الجبائي بيَّن الله سبحانه أنه ليس لهؤلاء المشركين دخول المسجد الحرام ولا دخول غيره من المساجد فإن دخل منهم داخل إلى بعض المساجد كان على المسلمين إخراجه منه إلا أن يدخل إلى بعض الحكام لخصومة بينه وبين غيره فيكون في دخوله خائفاً من الإخراج على وجه الطرد

---

(١) نهكه : بالغ في عقوبته .

بعد انفصال خصومته ولا يقعد فيه مطمئناً كما يقعد المسلم قال الشيخ أبو جعفر قدّس الله روحه وهذا يليق بمذهبنا ويمكن الاستدلال بهذه الآية على أن الكفار لا يجوز أن يمكّنوا من دخول المساجد على كل حال فأما المسجد الحرام خاصة فيستدل على أن المشركين يمنعون من دخوله ولا يمكنون منه لحكومة ولا غيرها بأن الله تعالى قد أمر بمنعهم من دخوله بقوله ﴿ **ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر** ﴾ يعني المسجد الحرام وقوله ﴿ **فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا** ﴾ وقال الزجاج أعلم الله سبحانه في هذه الآية أن أمر المسلمين يظهر على جميع من خالفهم حتى لا يمكن دخول مخالف إلى مساجدهم إلا خائفاً وهذا كقوله سبحانه ﴿**ليظهره على الدين كله**﴾ ﴿ **ولو كره المشركون** ﴾ فكأنه قيل أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين لإعزاز الله الدين وإظهاره المسلمين وقوله ﴿ **لهم في الدنيا خزي** ﴾ قيل فيه وجوه (أحدها) أن يراد بالخزي أنهم يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون عن قتادة (وثانيها) أن المراد به القتل وسبي الذراري والنساء إن كانوا حرباً وإعطاء الجزية إن كانوا ذمة عن الزجاج (وثالثها) إن المراد بخزيهم في الدنيا أنه إذا قام المهدي وفتح قسطنطينية فحينئذ يقتلهم عن السدي (ورابعها) أن المراد بخزيهم طردهم عن دخول المساجد عن أبي علي وقوله ﴿ **ولهم في الآخرة عذاب عظيم** ﴾ يعني يوم القيامة يعذّبهم الله في نار جهنم بالعذاب الأعظم إذ كانوا من كل ظالم أظلم .

﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾

[**اللغة**] المشرق والشرق إسمان لمطلع الشمس والقمر وشرقت الشمس إذا طلعت وأشرقت أضاءت ويقال لا افعل ذلك ما ذرّ شارق أي ما طلع قرن الشمس وأيام التشريق أيام تشريق اللحم في الشمس وفي الحديث لا تشريق إلا في مصر أو مسجد جامع أي لا صلاة عيد لأن وقتها طلوع الشمس والمغرب والمغيب بمعنى وهو موضع الغروب يقال غربت الشمس تغرب إذا غابت وأصل الغرب الحد والتباعد وغربة النوى[1] بُعد المنتأى وغَرْب السيف حَدّه سمي بذلك لأنه يمضي ولا يرد فهو مأخوذ من الابعاد والواسع الغني سمي به لسعة مقدوراته وقيل هو الكثير الرحمة والسعة والفسحة من النظائر وضد السعة الضيق يقال وسع يسع سعة وأوسع الرجل إذا صار ذا سعة في المال .

(١) قال الجوهري غَرَبَة النوى : بعدها، والنوى: المكان الذي تنوي أن تأتيه في سفرك .

[**الإعراب**] اللام في قوله ولله المشرق والمغرب لام الملك وإنما وحَّد المشرق والمغرب لأنه أخرج ذلك مخرج الجنس فدل على الجمع كما يقال أهلك الناس الدينار والدرهم وابن بُني لتضمنه معنى الحرف وإنما بُني على الفتح لالتقاء الساكنين وفيه معنى الشرط وتولوا مجزوم بالشرط وجوابه فثمّ وجه الله وعلامة الجزم في تولوا سقوط النون وأين في موضع نصب لأنه ظرف لقوله تولوا وما في قوله أينما هي التي تهيء الكلمة لعمل الجزم ولذلك لم يجازَ بإذ وحيث حتى يضم إليهما ما فيقال حيثما تكن أكن وإذا ما تفعل أفعل ولا يقال حيث تكن أكن وإذ تفعل أفعل ويجوز في أين الجزم وإن لم يدخل ما عليها كقول الشاعر :

أَيْنَ تَضْرِبْ بِنَا العُـدَاةَ تَجِدْنَـا نَصْرِفُ العِيْسَ نَحْوَهَـا لِلتَّلَاقِي(١)

وثَمّ موضعه نصب لأنه ظرف مكان وبني على الفتح لالتقاء الساكنين وإنما بني في الأصل لأنه معرفة وحكم الإسم المعرف أن يكون بحرف فبني لتضمنه معنى الحرف الذي يكون به التعريف والعهد ألا ترى أن ثمَّ لا تستعمل إلا في مكان معهود معروف لمخاطبك .

[**النزول**] اختلف في سبب نزول هذه الآية فقيل أن اليهود انكروا تحويل القبلة إلى الكعبة عن بيت المقدس فنزلت الآية ردّاً عليهم عن ابن عباس واختاره الجبائي قال بَيّن سبحانه أنه ليس في جهة دون جهة كما تقول المُجسِّمة وقيل كان للمسلمين التوجه حيث شاءوا في صلاتهم وفيه نزلت الآية ثم نسخ ذلك بقوله ﴿ **فَوَلِّ وجهك شطر المسجد الحرام** ﴾ عن قتادة قال وكان النبي صلى الله عليه وآله قد اختار التوجه إلى بيت المقدس وكان له إن يتوجه حيث شاء وقيل نزلت في صلاة التطوع على الراحلة تصليها حيثما توجهتَ إذا كنت في سفر وأما الفرائض فقوله ﴿**وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره**﴾ يعني أن الفرائض لا تصليها إلا إلى القبلة وهذا هو المروي عن أئمّتنا عليهم السلام قالوا وصلى رسول الله ﷺ إيماء على راحلته أينما توجهت به حيث خرج إلى خيبر وحين رجع من مكة وجعل الكعبة خلف ظهره وروي عن جابر قال بعث رسول الله ﷺ سرية كنت فيها فأصابتنا ظلمة فلم نعرف القبلة فقالت طائفة منا قد عرفنا القبلة هي هاهنا قِبَل الشمال فصلوا وخطوا خطوطاً وقال بعضنا القبلة هاهنا قِبَل الجنوب وخطوا خطوطاً فلما أصبحوا وطلعت

---

(١) العيس: الإبل البيض التي يخالط بياضها شيء من الشقرة .

الشمس أصبحت تلك الخطوط لغير القبلةفلما قَفَلنا[١]من سفرنا سألنا النبي ﷺ عن ذلك فسكت فأنزل الله تعالى هذه الآية .

[**المعنى**] ﴿ **ولله المشرق والمغرب** ﴾ أراد أن المشرق والمغرب لله ملكاً وقيل أراد أنه خالقهما وصانعهما وقيل معناه يتولى إشراق الشمس من مشرقها وإغرابها من مغربها ﴿ **فأينما تولوا فثم وجه الله** ﴾ معناه فأينما تولوا وجوهكم فحذف المفعول للعلم به فَثمَّ أي فهناك وجه الله أي قبلة الله عن الحسن ومجاهد وقتادة والوجه والجهة والوجهة القبلة ومثله الوزن والزنة والعرب تسمي القصد الذي تتوجه إليه وجهاً قال الشاعر :

أَسْتَغْفِرُ الله ذَنْباً لَسْتُ مُحْصِيَهُ   رَبَّ العِبَادِ إِلَيْهِ الوَجْهُ والعَمَلُ

معناه إليه القصد بالعبادة وقيل معناه فثم الله يعلم ويرى فادعوه كيف توجهتم كقوله تعالى : ﴿ **يريدون وجهه** ﴾ أي يريدونه بالدعاء ويقال لما قرب من المكان هنا ولما تراخى ثم وهناك وقوله ﴿**كل شيء هالك إلا وجهه** ﴾ أي إلا هو ﴿ **ويبقى وجه ربك** ﴾ أي ويبقى ربك عن الكلبي وقيل معناه ثم رضوان الله يعني الوجه الذي يؤدي إلى رضوانه كما يقال هذا وجه الصواب عن أبي علي والرماني ﴿ **إن الله واسع** ﴾ أي غني عن أبي عبيدة وتقديره غني عن طاعتكم وإنما يريدها لمنافعكم وقيل واسع الرحمة فلذلك رخص في الشريعة عن الزجاج وقيل واسع المقدور يفعل ما يشاء ﴿ **عليم** ﴾ أي عالم بوجوه الحكمة فبادروا إلى ما أمركم به وقيل عليم أين يضع رحمته على ما توجبه الحكمة وقيل عليم بنياتكم حيثما صليتم ودعوتم .

[**النظم**] ووجه اتصال الآية بما قبلها أن التقدير لا يمنعكم تخريب من خرب المساجد عن أن تذكروه حيث كنتم من أرضه فلله المشرق والمغرب والجهات كلها عن علي بن عيسى وقيل لما تقدم ذكر الصلاة والمساجد عقبه بذكر القبلة وبيانها .

﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۖ بَل لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ كُلّٞ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾

[**القراءة**] قرأ ابن عامر قالوا بغير واو والباقون بالواو .

---

(١) قفل: رجع من السفر خاصة .

[**الحجة**] حذف الواو هنا يجوز من وجهين (أحدهما) أن يستأنف الجملة فلا يعطفها على ما تقدم (والآخر) أن للجملة التي هي قالوا اتخذ الله ولداً ملابسة بما قبلها من قوله **﴿ومن أظلم ممن منع مساجد الله﴾** الآية فإن الذين قالوا اتخذ الله ولداً من جملة هؤلاء الذين تقدم ذكرهم فيستغنى عن الواو لالتباس الجملة بما قبلها كما استغني عنها في نحو قوله **﴿والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾** ولو كان وهم فيها خالدون لكان حسناً .

[**اللغة**] الأصل في القنوت الدوام ثم يستعمل على وجوه منها أن يكون بمعنى الطاعة كقوله **﴿كل له قانتون﴾** أي مطيعون ومنها أن يكون بمعنى الصلاة كقوله **﴿يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين﴾** وبمعنى طول القيام وروى جابر بن عبد الله قال سُئل النبي ﷺ أي الصلاة أفضل قال طول القنوت أي طول القيام ويكون بمعنى الدعاء قال صاحب العين القنوت في الصلاة دعاء بعد القراءة في آخر الوتر يدعو قائماًومنه قوله **﴿أمّن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً﴾** ويكون بمعنى السكوت قال زيد بن أرقم كنا نتكلم في الصلاة حتى نزلت **﴿وقوموا لله قانتين﴾** فأمسكنا عن الكلام .

[**النزول**] نزلت الآية في النصارى حيث قالوا المسيح ابن الله وقيل نزلت فيهم وفي مشركي العرب حيث قالوا الملائكة بنات الله .

[**المعنى**] لَمّا حكى الله سبحانه قول اليهود في أمر القبلة ورد عليهم قولهم ذَكَر مقالتهم في التوحيد راداً عليهم قال **﴿ وقالوا اتخذ الله ولداً سبحانه ﴾** أي إجلالاً له عن اتخاذ الولد وتنزيهاً عن القبائح والسوء والصفات التي لا تليق به وروي عن طلحة بن عبيد الله أنه سأل النبي ﷺ عن معنى قوله **﴿ سبحانه ﴾** فقال تنزيهاً لله عن كل سوء بل له ما في السموات والأرض هذا رد عليهم قولهم اتخذ الله ولداً أي ليس الأمر كما زعموا **﴿ بل له ما في السموات والأرض ﴾** ملكاً والولد لا يكون ملكاً للأب لأن البنوّة والملك لا يجتمعان فكيف يكون الملائكة الذين هم في السماء والمسيح الذي هو في الأرض ولدا له فنَبَّه بذلك على أن المسيح وغيره عبيد له مخلوقون مملوكون فهم بمنزلة سائر الخلق وقيل معناه بل له ما في السماوات والأرض فعلاً والفعل لا يكون من جنس الفاعل والولد لا يكون إلا من جنس أبيه فإنَّ من تَبَنَّى انساناً فالذي تبناه لا بد من أن يكون من جنسه وقوله **﴿ كل له قانتون ﴾** قال ابن عباس ومجاهد معناه مطيعون وقال السدي كل له مطيع يوم القيامة وقال الحسن كل له قائم بالشهادة أنه عبده وقال الجبائي كل دائم على حال واحدة

بالشهادة بما فيه من آثار الصنعة والدلالة على الربوبية وقال أبو مسلم كل في ملكه وقهره يتصرف فيه كيف يشاء لا يمتنع عليه .

﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾

[**القراءة**] قرأ ابن عامر فيكون بالنصب والباقون بالرفع .

[**الإعراب والحجة**] قال أبو علي يمتنع النصب في قوله فيكون لأن قوله ﴿ **كن** ﴾ وإن كان على لفظ الأمر فليس بأمر ولكن المراد به الخبر لأن المنفي الذي ليس بكائن لا يؤمر ولا يخاطب فالتقدير نُكوِّن(١) فيكون فاللفظ لفظ الأمر والمراد الخبر كقولهم في التعجب أكرِم بزيد فإذا لم يكن قوله كن أمراً في المعنى وإن كان على لفظه لم يجز أن ينصب الفعل بعد الفاء بأنه جواب كما لم يجز النصب في الفعل الذي يدخله الفاء بعد الإيجاب نحو آتيك فأحدِّثُك إلا أن يكون في شعر نحو قوله :

لَنَا هَضْبَةٌ لَا يَنْزِلُ الذُّلُّ وَسْطَهَا ... وَيَأْوِي إِلَيْهَا ٱلْمُسْتَجِيرُ فَيُعْصَمَا(٢)

ويدلّ أيضاً على امتناع النصب فيه أن الجواب بالفاء مضارع الجزاء فلا يجوز إذهب فيذهبَ على قياس قراءة ابن عامر كن فيكونَ لأن المعنى يصير إن ذهبتَ ذهبتَ وهذا الكلام لا يفيد وإنما يفيد إذا اختلف الفاعلان والفعلان نحو قم فأعطيك لأن المعنى إن قمت أعطيتك وإذا كان الأمر على هذا لم يكن ما روي عنه من نصبه فيكونَ متجهاً ويمكن أن يقال فيه أن اللفظ لما كان على لفظ الأمر حمله على اللفظ كما حمل أبو الحسن في نحو قوله ﴿ **قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلوٰة** ﴾ على أنه أجري مجرى جواب الأمر وإن لم يكن جواباً له على الحقيقة فالوجه في يكون الرفع على أن يكون معطوفاً على كن لأن المراد به نُكوِّن فيكون أو يكون خبر مبتدأ محذوف كأنه قال فهو يكون .

[**اللغة**] البديع بمعنى المبدع كالسميع بمعنى المسمع وبينهما فرق من حيث أن في بديع مبالغة ليست في مبدع ويستحق الوصف به في غير حال الفعل على الحقيقة

---

(١) وفي بعض النسخ المخطوطة « يكون » بالمثناة التحتانية بدل النون .

(٢) الهضبة : الجبل المنبسط على وجه الأرض .

بمعنى أن من شأنه إنشاء الأشياء على غير مثال واحتذاء والابتداع والاختراع والإنشاء نظائر وكل من أحدث شيئاً فقد أبدعه والإسم البدعة وفي الحديث كل بدعة ضلالة وكل ضلالة سبيلها إلى النار والقضاء والحكم من النظائر وأصل القضاء الفصل وإحكام الشيء قال أبو ذؤيب :

وَعَلَيْهِمَا مَسْرُودتَانِ قَضَاهُمَا دَاوُدُ أَوْ صَنَعُ السَّوَابِغِ تُبَّعُ (١)

أي أحكمهما ثم ينصرف على وجوه منها الأمر والوصية كقوله تعالى : ﴿ **وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه** ﴾ أي وصى ربك وأمر ومنها أن يكون بمعنى الاخبار والإعلام كقوله ﴿ **وقضينا إلى بني إسرائيل** ﴾ أي أخبرناهم وقوله ﴿ **وقضينا إليه ذلك الأمر** ﴾ أي عهدنا إلى لوط ومنها أن يكون بمعنى الفراغ نحو قوله ﴿ **فإذا قضيتم مناسككم** ﴾ أي فرغتم من أمر المناسك وقوله ﴿ **فإذا قضيتم الصلاة** ﴾ وفيما رواه علي بن موسى الرضا عن أبيه عن جده الصادق عليهم السلام قال القضاء على عشرة أوجه ذكر فيه الوجوه الثلاثة التي ذكرناها (والرابع) بمعنى الفعل في قوله ﴿ **فاقض ما أنت قاض** ﴾ أي فافعل ما أنت فاعل ومنه قوله ﴿ **إذا قضى أمراً** ﴾ يعني إذا فعل أمراً كان في علمه أن يفعله إنما يقول له كن فيكون ومنه قوله ﴿ **إذا قضى الله ورسوله أمراً** ﴾ يقول ما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا فعل الله ورسوله شيئاً في تزويج زينب أن يكون لهم الخيرة من أمرهم (والخامس) في قوله ﴿**ليقض علينا ربك**﴾ أي لينزل علينا الموت وقوله لا يقضي عليهم فيموتوا أي لا ينزل بهم الموت وقوله ﴿**فوكزه موسى فقضى عليه**﴾ أي فأنزل به الموت (والسادس) قوله ﴿**وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر**﴾ أي وجب العذاب فوقع بأهل النار وكذا قوله ﴿**وقال الشيطان لما قضي الأمر**﴾ (والسابع) قوله ﴿**وكان أمراً مقضياً**﴾ أي مكتوباً في اللوح المحفوظ أنه يكون (والثامن) بمعنى الإتمام في نحو قوله ﴿**فلما قضى موسى الأجل**﴾ أي أتم وايما الأجلين قضيت أي أتممت وقوله ﴿**من قبل أن يقضي إليك وحيه**﴾ يعني من قبل أن يتم جبرائيل إليك الوحي (والتاسع) بمعنى الحكم والفصل كقوله ﴿**وقضى بينهم بالحق وإن ربك يقضي بينهم**﴾ أي يفصل وفي الانعام ﴿**يقضي بالحق**﴾ أي يفصل الأمر بيني وبينكم بالعذاب (والعاشر) بمعنى الجعل في قوله ﴿**فقضيهن سبع سموات**﴾ أي جعلهن .

[**المعنى**] لما نزّه الله سبحانه نفسه عن اتخاذ الأولاد ودل عليه بأن له ما في السماوات والأرض أكّد ذلك بقوله ﴿ **بديع السموات والأرض** ﴾ أي منشىء السماوات

(١) المسرود: الدرع وقوله أو صنع السوابغ عطف على داود أي أو قضاهما الحاذق في صنعة الدروع وهو تبّع .

والأرض على غير مثال امتثله ولا احتذاء من صنع خالق كان قبله ﴿ **وإذا قضى أمراً** ﴾ قيل معناه إذا فعل أمراً أي أراد إحداث أمر كقوله تعالى : ﴿ **فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله** ﴾ أي إذا أردت قراءة القرآن وقيل معناه إذا احكم أمراً وقيل معناه حكم وحتم بأنه يفعل أمراً والأول أوجه وقوله ﴿ **فإنما يقول له كن فيكون** ﴾ اختلف فيه على وجوه (أحدها) أنه بمنزلة التمثيل لأن المعدوم لا يصح أن يخاطب ولا يؤمر وحقيقة معناه أنّ منزلة الفعل في تسهله وتيسره عليه وانتفاء التعذر منه كمنزلة ما يقال له كن فيكون كما يقال قال فلان برأسه أو بيده كذا إذا حرك رأسه أو أومى بيده ولم يقل شيئاً على الحقيقة وكما قال أبو النجم :

قَدْ قَالَتِ ٱلأَنسَاعُ لِلْبَطْنِ ٱلْحَقِ قُدُماً فَآضَتْ كَالْفَنِيقِ المُحْنِقِ(١)

وقال العجاج يصف ثوراً :

وَفِيهِ كَالأَعْرَاضِ لِلْعُكُورِ فَكَّرَ ثُمَّ قَالَ في التَّفْكِيْرِ إنَّ الحَيَاةَ اليوْمَ في الكُرُورِ

وقال عمرو بن قَميئة السدوسي :

فَأَصْبَحْتُ مِثْلَ النَّسْرِ طَارَتْ فِرَاخُهُ إِذَا رَامَ تَطْيَاراً يُقَالُ لَهُ قَعِ

وقال آخر :

وقَالَتْ لَهُ العَيْنَانُ سَمْعاً وَطَاعَةً وَحَدَّرَتَا كَالدُّرِّ لَمَّا يُثَقَّبِ

والمشهور فيه قول الشاعر :

اَمْتَلأ الحَوْضُ وَقَالَ قَطنِي مهْلاً رُوَيْداً قَدْ مَلأْتُ بَطْني

وهو قول أبي علي وأبي القاسم وجماعة من المفسرين (وثانيها) أنه علامة جعلها الله للملائكة إذا سمعوها علموا أنه أحدث أمراً وهذا هو المحكي عن أبي الهذيل. (وثالثها) ما قاله بعضهم أن الأشياء المعدومة لما كانت معلومة عند الله تعالى صارت كالموجود فصح أن يخاطبها ويقول لما شاء إيجاده منها كن والأصح من الأقوال الأول وهو الأشبه بكلام العرب ويؤيده قوله تعالى : ﴿ **فقال لها وللأرض أئتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين** ﴾ وان حمل على القول الثاني فالمراد أن يقول للملائكة على جهة الإعلام منه

(١) الإنساع جمع النسع : حبل عريض طويل يشد به الرحال. الفنيق : الفحل المكرم لا يؤذى ولا يركب لكرامته المُحنق : الضامر.

لهم وإخباره إياهم عن الغيب كن أي يقول أُكوّن فيكون فاعل كن الله وهو في معنى الخبر وإن كان اللفظ لفظ الأمر على ما تقدم بيانه وقد يجوز على هذا أن يكون فاعل كن الشيء المعدوم المراد كونه وتقديره يقول من أجله للملائكة يكون شيء كذا فيكون ذلك على ما يخبر به لا خلف له ولا تبديل عما يخبر به وأما القول الثالث فبعيد لأن المعدوم لا يصح خطابه ولا أمره بالكون والوجود ليخرج بهذا الأمر إلى الوجود لأن ذلك امتثال للأمر وتَلقّ له بالقبول والطاعة وهذا إنما يتصور من المأمور الموجود دون المعدوم ولو صح ذلك لوجب أن يكون المأمور المعدوم فاعلاً لنفسه كما يكون المتلقي لما يؤمر به بالقبول فاعلاً لما أمر به وهذا فاسد ظاهر البطلان وقال بعضهم إنما يقول كن عند وجود الأشياء لا قبلها ولا بعدها كقوله تعالى : ﴿ **ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون** ﴾ وإنما أراد أنه يدعوهم في حال خروجهم لا قبله ولا بعده وهذا الوجه أيضاً ضعيف لأن مِن شرط حسن الأمر أن يتقدم المأمور به وكذلك الدعاء وفي هذه الآية دلالة على أنه سبحانه لا يجوز أن يتخذ ولداً لأنه إذا ثبت أنه منشيء السماوات والأرض ثبت بذلك أنه سبحانه ليس بصفة الأجسام والجواهر لأن الجسم يتعذر عليه فعل الأجسام ومن كان بهذه الصفة لم يجز عليه اتخاذ الولد ولأنه سبحانه قد أنشأ عيسى من غير أب من حيث هو مبدع الأشياء فجل عن اتخاذ الأبناء وتعالى علواً كبيراً .

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ ۘ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ ۗ قَدْ بَيَّنَّا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾

[**اللغة**] اليقين والعلم والمعرفة نظائر في اللغة ونقيضه الشك والجهل وأيقن وتيقن واستيقن بمعنى وقال صاحب العين اليقن اليقين قال

وَمَا بِالَّذي أَبْصَرَتْهُ العُيُون مِنْ قَطْعِ يأسٍ وَلا مِنْ يقَنْ

فاليقين علم يثلج به الصدر ولذلك يقال وجدت برد اليقين ولا يقال وجدت برد العلم .

[الاعراب] لولا بمعنى هلا ولا تدخل الا على الفعل ومعناها التحضيض قال:

تَعُدُّونَ عَقْرَ النِّيبِ أَفْضَلَ مَجْدِكُم بَني ضَوطَرى لَولَا الكَمِيَّ المُقَنَّعا (١)

أي هلا تعقرون الكمي المقنع والكاف في كذلك تتعلق بقال والجار والمجرور في موضع نصب على المصدر أي كقولهم

[المعنى] لما بين سبحانه حالهم في انكارهم التوحيد وادعائهم عليه اتخاذ الأولاد عقبه بذكر خلافهم في النبوات وسلوكهم في ذلك طريق التعنت والعناد فقال ﴿**وقال الذين لا يعلمون**﴾ وهم النصارى عن مجاهد واليهود عن ابن عباس ومشركو العرب عن الحسن وقتادة وهو الأقرب لأنهم الذين سألوا المحالات ولم يقتصروا على ما ظهر واتضح من المعجزات وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً الآيات الى آخرها ولأنه وصفهم بأنهم لا يعلمون فبين أنهم ليسوا من أهل الكتاب ومن قال المراد به النصارى قال لأنه قال قبلها وقالوا اتخذ الله ولداً وهم الذين قالوا المسيح ابن الله وهذا لا دلالة فيه لأنه يجوز أن يذكر قوماً ثم يستأنف فيخبر عن قوم آخرين على أن مشركي العرب قد أضافوا أيضاً الى الله سبحانه البنات فدخلوا في جملة من قال اتخذ الله ولداً وقوله ﴿**لولا يكلمنا الله**﴾ أي هلا يكلمنا معاينة فيخبرنا بأنك نبي وقيل معناه هلا يكلمنا بكلامه كما كلم موسى وغيره من الأنبياء وقوله ﴿**أو تأتينا آية**﴾ أي تأتينا آية موافقة لدعوتنا كما جاءت الأنبياء آيات موافقة لدعوتهم ولم يرد انه لم تأتهم آية لأنه قد جاءتهم الآيات والمعجزات وقوله ﴿**كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم**﴾ قيل هم اليهود حيث اقترحوا الآيات على موسى عن مجاهد لأنه حمل قوله الذين لا يعلمون على النصارى وقيل هم اليهود والنصارى جميعاً عن قتادة والسدي وقيل سائر الكفار الذين كانوا قبل الاسلام عن أبي مسلم ﴿**تشابهت قلوبهم**﴾ أي أشبه بعضها بعضاً في الكفر والقسوة والاعتراض على الأنبياء من غير حجة والتعنت والعناد كقول اليهود لموسى ارنا الله جهرة وقول النصارى للمسيح انزل علينا مائدة من السماء وقول العرب لنبينا ﷺ حوّل لنا الصفا ذهباً ولذلك قال الله سبحانه أتواصوا به وقوله ﴿**قد بينا الآيات**﴾ يعني الحجج والمعجزات التي يعلم بها صحة نبوة محمد ﷺ ﴿**لقوم يوقنون**﴾ أي يستدلون بها من الوجه الذي يجب الاستدلال به فأيقنوا لذلك فكذلك

---

(١) عقر الابل: قطع قوائمها بالسيف. النيب جمع الناب وهي الناقة المسنة، وبنو ضوطرى: حيّ الكمّي: الشجاع المقنّع: الذي علته بيضة الحديد .

فاستدلّوا انتم حتى توقنوا كما أيقن أولئك والمعنى فيه ان فيما ظهر من الآيات الباهرات الدالة على صدقه كفاية لمن ترك التعنت والعناد فإن قيل لم يؤتوا الآيات التي اقترحوها لتكون الحجة عليهم آكد قلنا الاعتبار في ذلك بالمصالح ولو علم الله سبحانه ان في اظهار ما اقترحوه من الآيات مصلحة لأظهرها فلما لم يظهرها علمنا انه لم يكن في اظارها مصلحة .

﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۖ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَـٰبِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾

[**القراءة**] قرأ نافع ولا تسأل بفتح التاء والجزم على النهي وروي ذلك عن أبي جعفر الباقر (ع) وابن عباس ذكر ذلك الفراء وأبو القاسم البلخي والباقون على لفظ الخبر على ما لم يسمَّ فاعله .

[**الحجة**] الرفع في تسأل يحتمل وجهين (أحدهما) أن يكون حالاً فيكون مثل ما عطف عليه من قوله بشيراً ونذيراً أي وغير مسؤول ويكون ذكر الجملة بعد المفرد الذي هو قوله بشيراً كما ذكر الجملة في قوله **﴿ويكلّم الناس في المهد﴾** وكهلا بعدما تقدم من المفرد وكذلك قوله ومن المقرّبين وهو هنا يجري مجرى الجملة (والآخر) ان يكون منقطعاً عن الأول مستأنفاً به كأنه قيل ولست تسأل عن أصحاب الجحيم واما قراءة نافع ولا تسأل بالجزم ففيه قولان (أحدهما) ان يكون على النهي عن المسألة (والآخر) أن يكون النهي لفظاً والمعنى على تفخيم ما اعد لهم من العقاب كقول القائل لا تسأل عن حال فلان أي قد صار الى أكثر مما تريده وسألت يتعدى الى مفعولين مثل أعطيت قال الشاعر :

سَأَلَتَانِي الطَّلاقَ إذْ رَأَتَانِي قَلَّ مالِي قَدْ جِئْتُمَانِي بِنُكْرِ

ويجوز أن يقتصر فيه على مفعول واحد ثم يكون على ضربين (أحدهما) أن يتعدى بغير حرف كقوله **﴿واسألوا ما أنفقتم فاسألوا أهل الذكر﴾** (والآخر) أن يتعدى بحرف كقوله تعالى **﴿سأل سائل بعذاب واقع﴾** وقولهم سألت عن زيد وإذا تعدى الى مفعولين كان على ثلاثة أضرب (أحدها) أن يكون بمنزلة أعطيت كقوله سألت عمراً بعد بكر حقاً فمعنى هذا استعطيته أي سألته أن يفعل ذلك (والآخر) أن يكون بمنزلة اخترت الرجال زيداً وذلك قوله تعالى **﴿ولا يسئل حميم حميماً﴾** أي لا يسأل حميم عن حميمه

(والثالث) أن يتعدى الى مفعولين فيقع موقع المفعول الثاني منهما استفهام وذلك كقوله تعالى **﴿سل بني إسرائيل كم آتيناهم وسئل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون﴾** .

[**اللغة**] الجحيم النار بعينها إذا شبّ وقودها وصار كالعلم على جهنم كقول أمية بن أبي الصلت

إذا شَبَّتْ جَهَنَّمُ ثُمَّ زَادَتْ ... وَأَعْرَضَ عَنْ قَوابِسِهَا الجَحِيمُ

وجحمت النار تجحم جحماً اذا اضطرمت والجحمة العين بلغة حمير قال

أَيَا جَحْمَتِي بَكّي عَلَى أُمِّ وَاهِبٍ ... قَتِيْلَة قِلَّوْبٍ بِإِحْدَى الْمذانِبِ (١)

وجحمتا الأسد عيناه وجاحم الحرب شدة القتل في معركتها قال سعد بن مالك بن ضبيعة

وَٱلْحَرْبُ لا يَبْقَى لِجَا ... حِمِهَا التَّخَيُّلُ والْمِرَاحُ
إلاَّ الفَتَى الصَّبَّارُ فِي ... النَّجَدَاتِ والفَرَسُ الوَقَاحُ(٢)

[**المعنى**] بيّن الله سبحانه في هذه الآية تأييده نبيّه محمدﷺ بالحجج وبعثه الحق فقال **﴿إنا أرسلناك﴾** يا محمد **﴿بالحق﴾** قيل بالقرآن عن ابن عباس وقيل بالاسلام عن الأصمّ وقيل على الحق أي بعثناك على الحق كقوله سبحانه **﴿خلق الله السموات والأرض بالحق﴾** أي على أنهما حقّ لا باطل وقوله **﴿بشيراً ونذيراً﴾** أي بشيراً من اتبعك بالثواب ونذيراً من خالفك بالعقاب وقوله **﴿ولا تسئل عن أصحاب الجحيم﴾** أي لا تسأل عن أحوالهم وفيه تسلية للنبيﷺ إذ قيل له إنما أنت بشير ونذير ولست تسأل عن أهل الجحيم وليس عليك اجبارهم على القبول منك ومثله قوله **﴿فلا تذهب نفسك عليهم حسرات﴾** وقوله **﴿ليس عليك هُداهم﴾** وقيل معناه لا تؤاخذ بذنبهم كقوله سبحانه **﴿عليه ما حمّل وعليكم ما حمّلتم﴾** أي فعليه الإبلاغ وعليكم القبول .

﴿ وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ

(١) القلوب: الذئب: الاسد. المذانب جمع المذنب: نوادي .
(٢) الوقاح: صلب الحافر .

﴿ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾

[**اللغة**] الرضا والمودة والمحبة نظائر وضدّ الرضا الغضب والرضا أيضاً بمعنى المرضي وهو من بنات الواو وبدلالة قولهم الرضوان وتقول رجل رِضاً ورجال ونساء رِضا والملة والنحلة والديانة نظائر وملة رسول الله ﷺ الأمر الذي أوضحه وامتلَّ الرجل اذا أخذ في ملة الاسلام أي قصد ما أمل منه والاملال املاء الكتاب ليكتب .

[**الاعراب**] تتبع نصب بحتى قال سيبويه والخليل ان الناصب للفعل بعد حتى أنْ إلا أنها لا تظهر بعد حتى ويدلّ على أن حتى لا تنصب بنفسها انها تجر الاسم في نحو قوله حتى مطلع الفجر ولا يعرف في العربية حرف يعمل في اسم يعمل في فعل ولا حرف جار يكون ناصباً للفعل فصار مثل اللام في قولك ما كان زيد ليضربك في انها جارة والناصب ليضربك ان المضمرة ولا يجوز اظهارها مع هذه اللام أيضاً هو ضمير مرفوع بالابتداء أو فصل والهدى خبر المبتدأ أو خبر إنّ وقوله من العلم يتعلق بمحذوف في موضع الحال وذو الحال الموصوف المحذوف الذي قوله الذي جاءك صفته وكذلك قوله من الله في موضع الحال ومن وليٍّ في موضع رفع بالابتداء ومن مزيدة وقوله ﴿**ما لَك من الله من ولي ولا نصير**﴾ في موضع الجزاء للشرط ولكن الجزاء إذا قدر فيه القسم لا يجزم فلا يكون في موضع جزم ولا بد أن يكون فيه احد الحروف الدالة على القسم فحرف ما ها هنا تدلّ على القسم فلهذا لم يجزم .

[**المعنى**] كانت اليهود والنصارى يسألون النبي صلى الله عليه وآله الهدنة ويرونه أنه أن هادنهم وأمهلهم اتبعوه فآيسه الله تعالى من موافقتهم فقال ﴿**ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتّبع ملتهم**﴾ وقيل أيضاً أن النبي ﷺ كان مجتهداً في طلب ما يرضيهم ليدخلوا في الإسلام فقيل له دع ما يرضيهم إلى ما أمرك الله به من مجاهدتهم وهذا يدل على أنه لا يصح ارضاء اليهود والنصارى على حال لأنه تعالى علق رضاءهم بأن يصير عليه السلام يهودياً أو نصرانياً وإذا استحال ذلك استحال ارضاؤهم يعني انه لا يرضي كل فرقة منهم إلا أن يتبع ملتهم أي دينهم وقيل قبلتهم ﴿**قل ان هدى الله هو الهدى**﴾ أي قل يا محمد لهم ان دين الله الذي يرضاه هو الهدى أي الدين الذي أنت عليه عن ابن عباس وقيل معناه أن هدى الله يعني القرآن هو الذي يهدي الى الجنة لا طريقة اليهود والنصارى

وقيل معناه ان دلالة الله هي الدلالة وهدى الله هو الحق كما يقال طريقة فلان هي الطريقة وقوله ﴿ولئن اتبعت اهواءهم﴾ أي مراداتهم وقال ابن عباس معناه أن صليت الى قبلتهم ﴿بعد الذي جاءك من العلم﴾ أي من البيان من الله تعالى وقيل من الدين ﴿مالك﴾ يا محمد ﴿من الله من ولي﴾ يحفظك من عقابه ﴿ولا نصير﴾ أي معين وظهير يعينك عليه ويدفع بنصره عقابه عنك وهذه الآية تدل على أن من علم الله تعالى منه أنه لا يعصي يصح وعيده لأنه علم ان نبيه عليه السلام لا يتبع أهواءهم فجرى مجرى قوله ﴿لئن أشركت ليحبطنّ عملك﴾ والمقصود منه التنبيه على ان حال امته فيه اغلظ من حاله لأن منزلتهم دون منزلته وقيل الخطاب للنبي عليه السلام والمراد أمته .

﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾

[الاعراب] ﴿الذين آتيناهم﴾ رفع بالابتداء ويتلونه في موضع خبره وأولئك ابتداء ثان ويؤمنون به خبره وان شئت كان أولئك يؤمنون به في موضع خبر المبتدأ الذي هو الذين ويتلونه في موضع نصب على الحال وان شئت كان خبر الابتداء يتلونه وأولئك جميعاً فيكون للابتداء خبر ان كما تقول هذا حلو حامض وحق تلاوته منصوب على المصدر .

[النزول] قيل نزلت في أهل السفينة الذين قدموا مع جعفر بن أبي طالب من الحبشة وكانوا أربعين رجلاً اثنان وثلاثون من الحبشة وثمانية من رهبان الشام منهم بحيراً عن ابن عباس وقيل هم من آمن من اليهود كعبد الله بن سلام وشعبة بن عمرو وتمام بن يهودا وأسد وأسيد ابني كعب وابن يامين وابن صوريا عن الضحاك وقيل هم أصحاب محمد عن قتادة وعكرمة فعلى القولين الأولين يكون المراد بالكتاب التوراة وعلى القول الأخير المراد به القرآن .

[المعنى] ﴿الذين آتيناهم﴾ أي أعطيناهم الكتاب ﴿يتلونه حق تلاوته﴾ اختلف في معناه على وجوه (أحدها) أنه يتبعونه يعني التوراة حق اتباعه ولا يحرفونه ثم يعملون بحلاله ويقفون عند حرامه ومنه قوله ﴿والقمر إذا تلاها﴾ أي تبعها وبه قال ابن مسعود ومجاهد وقتادة إلا أن المراد به القرآن عندهم و (ثانيها) ان المراد به يصفونه حق صفته

في كتبهم لمن يسألهم من الناس عن الكلبي وعلى هذا تكون الهاء راجعة إلى محمد صلى الله عليه وآله و(ثالثها) ما روي عن أبي عبد الله عليه السلام ان حق تلاوته هو الوقوف عند ذكر الجنة والنار يسأل في الأولى ويستعيذ من الأخرى .

و(رابعها) ان المراد يقرأونه حق قراءته يرتّلون ألفاظه ويفهمون معانيه و(خامسها) ان المراد يعملون حق العمل به فيعملون بمحكمه ويؤمنون بمتشابهه ويكلون ما أشكل عليهم الى عالمه عن الحسن وقوله ﴿**أولئك يؤمنون به**﴾ أي بالكتاب عن أكثر المفسرين وقيل بالنبي عليه السلام عن الكلبي ﴿**ومن يكفر به**﴾ وهم اليهود وقيل هم جميع الكفار وهو الأولى لعمومه ﴿**فأولئك هم الخاسرون**﴾ خسروا أنفسهم وأعمالهم وقيل خسروا في الدنيا الظفر والنصرة في الآخرة ما أعد الله للمؤمنين من نعيم الجنة .

﴿ يَـٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٢٢﴾

[**المعنى**] هذه الآية قد تقدم ذكر مثلها في رأس نيف وأربعين آية ومضى تفسيرها وقيل في سبب تكريرها ثلاثة أقوال (أحدها) ان نعم الله سبحانه لما كانت أصول كل نعمة كرّر التذكير بها مبالغة في استدعائهم الى ما يلزمهم من شكرها ليقبلوا إلى طاعة ربهم المظاهر نعمه عليهم و(ثانيها) أنه سبحانه لما ذكر التوراة وفيها الدلالة على شأن عيسى ومحمد عليهما السلام في النبوة والبشارة بهما ذكّرهم نعمته عليهم بذلك وما فضلهم به كما عدّد النعم في سورة الرحمن وكرّر قوله ﴿**فبأيّ آلاء ربكما تكذبان**﴾ فكل تقريع[1] جاء بعد تقريع فإنما هو موصول بتذكير نعمة غير الأولى وثالثة غير الثانية إلى آخر السورة وكذلك الوعيد في سورة المرسلات بقوله ﴿**ويل يومئذ للمكذبين**﴾ إنما هو بعد الدلالة على أعمال تعظم التكذيب بما تدعو إليه الادلة .

﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴿١٢٣﴾

(١) وفي نسختين مخطوطتين (تفريع) بالفاء بدل القاف في الموضعين .

ومثل هذه الآية ايضاً قد تقدّم ذكره ومرَّ تفسيره .

﴿ * وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾

[**القراءة**] قرأ ابن عامر ابراهام ها هنا وفي مواضع من القرآن والباقون ابراهيم وقرأ حمزة وحفص عهدي بإرسال الياء والباقون بفتحها .

[**الحجة**] في إبراهيم خمس لغات ابراهيم وابراهام وإبراهم فحذفت الألف استخفافاً قال الشاعر (عُذْتُ بِمَا عَاذَ بِهِ إبراهَمُ) وإبراهِم قال أمية (مَعَ إبْراهِمِ التُقي ومُوسَى) وأبْرَهَمَ قال

نَحْنُ آلُ اللَّهِ فِي كَعْبَتِهِ لَمْ يَزَلْ ذَاكَ عَلَى عَهْدِ آبْرَهَمْ

والوجه في هذه التغييرات ما تقدم ذكره من قولهم ان العرب اذا نطقت بالاعجمي خلطت فيه وتلعّبت بحروفه فتُغيرها واما قوله عهدي فإنما فتح هذه الياء اذا تحرك ما قبلها لأن أصل هذه الياء الحركة فانها بأزاء الكاف للمخاطب فكما فتحت الكاف كذلك تفتح الياء ومن أسكنها فإنه يحتج بأن الفتحة مع الياء قد كرهت في الكلام كما كرهت الحركتان الاخريان فيها الا ترى انهم قد اسكنوها في حال السعة اذا لزم تحريكها بالفتحة كما أسكنوها إذا لزم تحريكها بالحركتين الأخريين وذلك قولهم قالي قلا وبادي وبدا ومعدي كرب فالياء في هذه المواضع في موضع الفتحة التي في آخر الاسمين نحو حضرموت وقد اسكنت كما أسكنت في الجر والرفع .

[**اللغة**] الابتلاء الاختبار والتمام والكمال والوفاء نظائر وضد التمام النقصان يقال تم تماماً وأتمه وتممه تتميماً وتتّمة والتمّ الشيء التام ولكل حاملة تمام بفتح التاء وكسرها وبدر تمام وليل تمام بالكسر والذرية والنسل والولد نظائر وبعض العرب يكسر منها الذال فيقول ذِرية وروي انه قراءة زيد بن ثابت وبعضهم فتحها فقال ذَرية وفي أصل الكلمة أربعة مذاهب من الذرء ومن الذر والذرو والذري فإن جعلته من الذرء فوزنه فُعّيلة كمُرّيق ثم ألزمت

التخفيف أو البدل كنبيّ في أكثر اللغة والبريّة وان أخذته من الذر فوزنه فُعليَّة كقمريَّة أو فُعيّلة نحو ذُرّيرة فلما كثرت الراءات أبدلت الأخيرة ياء وأدغم الياء الأولى فيها نحو سريّة فيمن أخذها من السر وهو النكاح أو فُعُّولة نحو ذُرُّورة فأبدلوا الراء الأخيرة لما ذكرنا فصار ذُرُّوية ثم أدغم فصار ذرية وان أخذته من الذرو أو الذري فوزنه فعُّولة أو فعيلة وفيه كلام كثير يطول به الكتاب ذكره ابن جني في المحتسب والنيل واللحاق والادراك نظائر والنيل والنوال ما نلته من معروف انسان وأناله معروفه ونوّله أعطاه قال طرَفة .

إنْ تُنَوِّلْهُ فَقَدْ تَمْنَعُهُ وَتُرِيهِ النَّجْمَ يَجْري بِالظُّهُرْ

وقولهم نولك أن تفعل كذا معناه حقك أن تفعل.

[**الاعراب**] اللام في قوله للناس تتعلق بمحذوف تقديره اماماً استقر للناس فهو صفة لإمام فلما قدمه انتصب على الحال ويجوز أن تتعلق بجاعلك وقوله اماماً مفعول ثان لجعل ومن ذريتي تتعلق بمحذوف تقديره واجعل من ذريتي .

[**المعنى**] ﴿**و**﴾ اذكروا﴿**إذ ابتلى إبراهيم ربه**﴾ أي اختبر وهو مجاز وحقيقته أنه أمر إبراهيم ربه وكلّفه وسمي ذلك اختباراً لأن ما يستعمل الأمر منّا في مثل ذلك يجري على جهة الاختبار والامتحان فأجرى على أمره اسم أمور العباد على طريق الاتساع وأيضاً فإن الله تعالى لما عامل عباده معاملة المبتلي المختبر إذ لا يجازيهم على ما يعلمه منهم أنهم سيفعلونه قبل أن يقع ذلك الفعل منهم كما لا يجازي المختبر للغير ما لم يقع الفعل منه سمى أمره ابتلاء وحقيقة الابتلاء تشديد التكليف وقوله ﴿**بكلمات**﴾ فيه خلاف فروي عن الصادق أنه ما ابتلاه الله به في نومه من ذبح ولده إسماعيل أبي العرب فأتمها إبراهيم وعزم عليها وسلم لأمر الله فلما عزم الله ثواباً له لما صدق وعمل بما أمره الله أني جاعلك للناس اماماً ثم أنزل عليه الحنيفية وهي الطهارة وهي عشرة اشياء خمسة منها في الرأس وخمسة منها في البدن فأما التي في الرأس فأخذ الشارب واعفاء اللحى وطمّ الشعر والسواك والخلال وأما التي في البدن فحلق الشعر من البدن والختان وتقليم الأظفار والغسل من الجنابة والطهور بالماء فهذه الحنيفية الظاهرة التي جاء بها إبراهيم فلم تنسخ ولا تنسخ الى يوم القيامة وهو قوله ﴿**واتبع ملة إبراهيم حنيفاً**﴾ ذكره علي بن إبراهيم بن هاشم في تفسيره وقال قتادة وهو احدى الروايتين عن ابن عباس أنها عشر خصال كانت فرضاً في شرعه سنة في شريعتنا المضمضة والاستنشاق وفرق الرأس وقص الشارب والسواك في الرأس والختان وحلق العانة ونتف الابط وتقليم الأظفار والاستنجاء بالماء في البدن وفي الرواية الأخرى

عن ابن عباس أنه ابتلاه بثلاثين خصلة من شرائع الاسلام لم يبتل أحداً بها فأقامها كلها إبراهيم فأتمهن فكتب له البراءة فقال وإبراهيم الذي وفّى وهي عشر في سورة براءة التائبون العابدون الى آخرها وعشر في الأحزاب ان المسلمين والمسلمات إلى آخرها وعشر في سورة المؤمنين ﴿**قد أفلح المؤمنون**﴾ إلى قوله ﴿**أولئك هم الوارثون**﴾ وروي وعشر في سورة ﴿**سأل سائل**﴾ إلى قوله ﴿**والذين هم على صلاتهم يحافظون**﴾ فجعلها أربعين وفي رواية ثالثة عن ابن عباس أنه أمره بمناسك الحج وقال الحسن ابتلاه الله بالكوكب والقمر والشمس والختان وبذبح ابنه وبالنار وبالهجرة فكلهن وفى الله فيهن وقال مجاهد ابتلاه الله بالآيات التي بعدها وهي قوله ﴿**إني جاعلك للناس إماماً**﴾ إلى آخر القصة وقال أبو علي الجبائي أراد بذلك كلما كلفه من الطاعات العقلية والشرعية والآية محتملة لجميع هذه الأقاويل التي ذكرناها وكان سعيد بن المسيب يقول كان إبراهيم أول الناس أضاف الضيف وأول الناس اختتن وأول الناس قصّ شاربه واستحدّ وأول الناس رأى الشيب فلما رآه قال يا رب ما هذا قال هذا الوقار قال يا رب فزدني وقاراً وهذا أيضاً قد رواه السكوني عن أبي عبد الله ولم يذكر أول من قص شاربه واستحدّ وزاد فيه وأول من قاتل في سبيل الله إبراهيم وأول من اخرج الخمس إبراهيم وأول من اتخذ النعلين إبراهيم وأول من اتخذ الرايات إبراهيم وروى الشيخ أبو جعفر بن بابويه رحمه الله في كتاب النبوة بإسناده مرفوعاً إلى المفضل بن عمر عن الصادق عليه السلام قال سألته عن قول الله عز وجل ﴿**وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات**﴾ ما هذه الكلمات قال هي الكلمات التي تلقّاها آدم عليه السلام من ربه فتاب عليه وهو أنه قال يا رب أسألك بحق محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين الا تبت عليّ فتاب الله عليه انه هو التواب الرحيم فقلت له يا ابن رسول الله فما يعني بقوله فأتمهّن قال أتمهنّ الى القائم اثني عشر اماماً تسعة من ولد الحسين عليه السلام قال المفضل فقلت له يا ابن رسول الله فأخبرني عن كلمة الله عز وجل وجعلها كلمة باقية في عقبه قال يعني بذلك الامامة جعلها الله في عقب الحسين إلى يوم القيامة فقلت له يا ابن رسول الله فكيف صارت الامامة في ولد الحسين دون ولد الحسن عليهما السلام وهما جميعاً ولدا رسول الله صلى الله عليه وآله وسبطاه وسيدا شباب أهل الجنة فقال ان موسى وهارون نبيان مرسلان اخوان فجعل الله النبوة في صلب هارون دون صلب موسى ولم يكن لأحد أن يقول لم فعل الله ذلك وان الامامة خلافة الله عز وجل ليس لأحد أن يقول

---

(١) الاستحداد: الاحتلاق بالحديد.

لم جعلها الله في صلب الحسين دون صلب الحسن لأن الله عز وجل هو الحكيم في أفعاله لا يسأل عما يفعل وهم يسألون وقال الشيخ أبو جعفر بن بابويه رحمه الله ولقوله تعالى ﴿وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات﴾ وجه آخر فإن الابتلاء على ضربين (أحدهما) مستحيل على الله تعالى (والآخر) جائز فالمستحيل هو أن يختبره ليعلم ما تكشف الأيام عنه وهذا ما لا يصح لأنه سبحانه علام الغيوب والآخر أن يبتليه حتى يصبر فيما يبتليه به فيكون ما يعطيه من العطاء على سبيل الاستحقاق ولينظر إليه الناظر فيقتدي به فيعلم من حكمة الله عز وجل أنه لم تكن أسباب الامامة إلا إلى الكافي المستقل بها الذي كشفت الأيام عنه فأما الكلمات سوى ما ذكرناه فمنها اليقين وذلك قوله عز وجل ﴿وليكون من الموقنين﴾ ومنها المعرفة بالتوحيد والتنزيه عن التشبيه حين نظر الى الكوكب والقمر والشمس ومنها الشجاعة بدلالة قوله ﴿فجعلهم جذاذاً إلا كبيراً لهم﴾ ومقاومته وهو واحد أُلوفاً من أعداء الله تعالى ومنها الحلم وقد تضمنه قوله عز وجل ﴿ان إبراهيم لحليم أواه منيب﴾ ومنها السخاء ويدل عليه قوله هل أتيك حديث ضيف إبراهيم المكرمين ثم العزلة عن العشيرة وقد تضمنه قوله واعتزلكم وما تدعون من دون الله ثم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبيان ذلك في قوله ﴿يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر﴾ الآيات ثم دفع السيئة بالحسنة في جواب قول أبيه لئن لم تنته لأرجمنك واهجرني ملياً قال سلام عليك سأستغفر لك ربي أنه كان بي حفياً ثم التوكل وبيان ذلك في قوله الذي خلقني فهو يهدين الآيات ثم المحنة في النفس حين جعل في المنجنيق وقذف به في النار ثم المحنة في الولد حين امر بذبح ابنه إسماعيل ثم المحنة في الأهل حين خلص الله حرمته من عبادة القبطي في الخبر المشهور ثم الصبر على سوء خلق سارة ثم استقصاره النفس في الطاعة بقوله ولا تخزني يوم يبعثون ثم الزلفة في قوله ﴿ما كان ابراهيم يهودياً ولا نصرانياً﴾ الآية ثم الجمع لشروط الطاعات في قوله ﴿ان صلواتي ونسكي ومحياي ومماتي﴾ إلى قوله ﴿وأنا أول المسلمين﴾ ثم استجابة الله دعوته حين قال ﴿رب ارني كيف تحيي الموتى﴾ الآية ثم اصطفاه الله سبحانه إياه في الدنيا ثم شهادته له في العاقبة انه من الصالحين في قوله ﴿ولقد اصطفيناه في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين﴾ ثم اقتداء من بعده من الأنبياء به في قوله ﴿ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بني ان الله اصطفى لكم الدين﴾ الآية وفي قوله ﴿ثم أوحينا اليك ان اتبع ملة إبراهيم حنيفاً﴾ انتهى كلام الشيخ أبي جعفر رحمه الله وقوله ﴿فأتمهن﴾ معناه وفي بهن في قول الحسن وعمل بهن على التمام في قول قتادة والضمير في أتمهن عائد إلى الله تعالى في قول أبي القاسم البلخي وهو اختيار

الحسين بن علي المغربي قال البلخي والكلمات هي الامامة على ما قاله مجاهد قال لأن الكلام متصل ولم يفصل بين قوله ﴿**إني جاعلك للناس إماماً**﴾ وبين ما تقدمه بواو العطف وأتمهن الله بأن أوجب بها الإمامة بطاعته واضطلاعه بما ابتلاه وقوله ﴿**قال إني جاعلك للناس إماماً**﴾ معناه قال الله تعالى ﴿**إني جاعلك إماماً يقتدى بك في أفعالك وأقوالك**﴾ لأن المستفاد من لفظ الامام أمران (أحدهما) أنه المقتدى به في أفعاله وأقواله (والثاني) أنه الذي يقوم بتدبير الأمة وسياستها والقيام بأمورها وتأديب جُناتها وتولية ولاتها واقامة الحدود على مستحقيها ومحاربة من يكيدها ويعاديها فعلى الوجه الأول لا يكون نبي من الأنبياء الا وهو امام وعلى الوجه الثاني لا يجب في كل نبي أن يكون إماماً إذ يجوز أن لا يكون مأموراً بتأديب الجناة ومحاربة العداة والدفاع عن حوزة الدين ومجاهدة الكافرين فلما ابتلى الله سبحانه ابراهيم بالكلمات فأتمهن جعله إماماً للأنام جزاء له على ذلك والدليل عليه أن قوله جاعلك عَمَل في قوله إماماً واسم الفاعل اذا كان بمعنى الماضي لا يعمل عمل الفعل ولو قلت انا ضارب زيداً امس لم يجز فوجب أن يكون المراد أنه جعله إماماً اما في الحال أو في الاستقبال والنبوة كانت حاصلة له قبل ذلك وقوله ﴿**قال ومن ذريتي**﴾ أي واجعل من ذريتي من يُوشح بالامامة ويوشح بهذه الكرامة وقيل انما قال ذلك على جهة التعرف ليعلم هل يكون في عقبه أئمة يقتدى بهم والأولى أن يكون ذلك على على وجه السؤال من الله تعالى أن يجعلهم كذلك وقوله ﴿**قال لا ينال عهدي الظالمين**﴾ قال مجاهد العهد الامامة وهو المروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام أي لا يكون الظالم إماماً للناس فهذا يدل على أنه يجوز أن يعطي ذلك بعض ولده اذا لم يكن ظالماً لأنه لو لم يرد أن يجعل احداً منهم اماماً للناس لوجب أن يقول في الجواب لا أو لا ينال عهدي ذريتك وقال الحسن معناه أن الظالمين ليس لهم عند الله عهد يعطيهم به خيراً وان كانوا قد يعاهدون في الدنيا فيوفى لهم وقد كان يجوز في العربية أن يقال لا ينال عهدي الظالمون لأن ما نالك فقد نلته وقد روي ذلك في قراءة ابن مسعود واستدل أصحابنا بهذه الآية على أن الامام لا يكون إلا معصوماً عن القبائح لأن الله سبحانه نفى ان ينال عهده الذي هو الامامة ظالم ومن ليس بمعصوم فقد يكون ظالماً امّا لنفسه واما لغيره فإن قيل انما نفى ان يناله ظالم في حال ظلمه فإذا تاب لا يسمى ظالماً فيصح أن يناله فالجواب ان الظالم وان تاب فلا يخرج من ان تكون الآية قد تناولته في حال كونه ظالماً فإذا نفى ان يناله فقد حكم عليه بأنه لا ينالها والآية مطلقة غير مقيدة بوقت دون وقت

فيجب ان تكون محمولة على الاوقات كلها فلا ينالها الظالم وان تاب فيما بعد .

﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾

[**القراءة**] قرأ نافع وابن عامر واتخذوا مفتوحة الخاء وقرأ الباقون واتخذوا مكسورة الخاء .

[**الحجة**] من قرأ بكسر الخاء فإنه على الأمر والالزام ويكون عطفاً على قوله يا بني إسرائيل اذكروا ويجوز أن يكون عطفاً على قوله ﴿**وإذ جعلنا البيت مثابة للناس**﴾ من طريق المعنى لأن معناه ثوبوا[1] واتخذوا ومن قرأ بالفتح عطفهُ على ما تقدمهُ من الفعل الذي أضيف إليه إذ فكأنهُ قال وإذ اتخذوا .

[**اللغة**] البيت والمأوى والمنزل نظائرَ والبيت من أبيات الشعر سمي بذلك لضمه الحروف والكلام كما يضم البيت من بيوت الناس اهله والبيت من بيوتات العرب وهي احياؤها وامرأة الرجل بيتهُ قال الراجز :

مَـالـي إذَا أَجْـذِبُـهَـا صـأَيْـتُ أَكِـبَـرٌ قَـدْ غَـالَـنِـي أمْ بَـيْـتُ

المثابة ها هنا الموضع الذي يثاب اليه من ثاب يثوب مثابة ومثاباً وثؤباً اذا رجع قال ورقة بن نوفل في صفة الحرم

مَثَـابٌ لإفْنَـاءِ القَبَـائِـلِ كُلّهَـا تَخُبُّ إلَيْهَـا اليعْمـلاَتُ الـطَّلائِحُ[2]

ومنه ثاب إليهِ عقله أي رجع بعد عزوبه وأصل مثابة مثوبة نقلت حركة الواو الى الثاء ثم قلبت الفاً على ما قبلها وقيل ان التاء فيه للمبالغة كما قيل نسابة وقيل ان معناهما واحد

(١) أي ارجعوا .

(٢) خب الفرس في عدوه: راوح بين يديه ورجليه. اليعملة: الناقة المطبوعة على العمل الطلايح: المهزولات من الجهد والسير .

كمقامة ومقام قال زهير

وَفِيهِمْ مَقَامَاتٌ حِسَانٌ وُجُوهُهَا وَأَنْدِيَةٌ يَنْتَابُهَا القَوْلُ والفِعْلُ

وجمع المقام مقاوم قال

وَإِنِّي لَقَوَّامٌ مَقَاوِمَ لَمْ يَكُنْ جَرِيرٌ وَلَا مَوْلَى جَرِيرٍ يَقُومُهَا

والطائف والجائل والداثر نظائر ويقال طاف يطوف طوفاً إذا دار حول الشيء وأطاف به اطافة إذا ألم به وأطاف به اذا أحاط به والطائف العاس[1] والطوّافون المماليك والطائف طائف الجن والشيطان وهو كل شيء يغشى القلب من وسواسه وهو طيف ايضاً والعاكف المقيم على الشيء اللازم له وعكف يعكف عكفاً وعكوفاً قال النابغة:

عُكُوفُ عَلى أَبْيَاتِهِمْ يَثْمِدُونَها رَمَى اللَّهُ فِي تِلْكَ الأَكُفِّ الكَوَانِعِ[2]

والعاكف المعتكف في المسجد وقلَّ ما يقولون عكف وانما يقولون اعتكف والركع جمع الراكع والسجود جمع الساجد وكل فعل مصدره على فعول جاز في جمع الفاعل منه أن يكون على فعول كالقعود والركوع والسُجود ونحوها.

[**المعنى**] قوله ﴿**وإذ جعلنا**﴾ عطف على قوله وإذ ابتلى وذلك معطوف على قوله ﴿**يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي**﴾ و ﴿**البيت**﴾ الذي جعله الله مثابة هو البيت الحرام وهو الكعبة وروي أنه سمي البيت الحرام لأنه حرم على المشركين ان يدخلوه وسمي الكعبة لأنها مربعة وصارت مربعة لأنها بحذاء البيت المعمور وهو مربع وصار البيت المعمور مربعاً لأنه بحذاء العرش وهو مربع وصار العرش مربعاً لأن الكلمات التي بني عليها الإسلام أربع وهي سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر وقوله ﴿**مثابة للناس**﴾ ذكر فيه وجوه فقيل أن الناس يثوبون اليه كل عام أي ليس هو مرة في الزمان فقط على الناس عن الحسن وقيل معناه أنه لا ينصرف منه احد وهو يرى انه قد قضى منه وَطَراً فهم يعودون اليه عن ابن عباس وقد ورد في الخبر أن من رجع من مكة وهو ينوي الحج من

---

(١) عسّ: طاف بالليل يحرس الناس ويكشف أهل الريبة.

(٢) في ديوان النابغة هكذا:

قعودا لدى أبيائهم يثمدونها رمى الله في تلك الانوف الكوافع

وفي نسخة اخرى آبارهم ,والنصب في قعودا أو عكوفاً على الحالية متعين.

قابل زيد في عمره ومن خرج من مكة وهو لا ينوي العود إليها فقد قرب أجله وقيل معناه يحجون اليه فيثابون عليه وقيل مثابة معاذاً وملجأ وقيل مجمعاً والمعنى في الكل يؤول الى أنهم يرجعون إليه مرة بعد مرة وقوله **﴿وآمنا﴾** أراد مأمنا أي موضع أمن وانما جعله الله أمنا بأن حكم ان من عاذ به والتجأ اليه لا يخاف على نفسه ما دام فيه وبما جعله في نفوس العرب من تعظيمه حتى كانوا لا يتعرضون من فيه فهو آمن على نفسه وماله وان كانوا يتخطفون الناس من حوله ولعظم حرمته لا يقام في الشرع الحد على من جنى جناية فالتجأ إليه والى حرمه لكن يُضيَّق عليه في المطعم والمشرب والبيع والشراء حتى يخرج منه فيقام عليه الحد فإن احدث فيه ما يوجب الحد أقيم عليه الحد فيه لأنه هتك حرمة الحرم فهو آمن من هذه الوجوه وكان قبل الاسلام يرى الرجل قاتل أبيه في الحرم فلا يتعرض له وهذا شيء كانوا قد توارثوه من دين إسماعيل فبقوا عليه الى أيام نبينا صلى الله عليه وآله وقوله **﴿واتخذو من مقام إبراهيم مصلى﴾** قال ابن عباس الحج كله مقام إبراهيم وقال عطاء مقام إبراهيم عرفة والمزدلفة والجمار وقال مجاهد الحرم كله مقام إبراهيم وقال الحسن وقتادة والسدي هو الصلاة عند مقام إبراهيم أمرنا بالصلاة عنده بعد الطواف وهو المروي عن الصادق عليه السلام وقد سُئِل عن الرجل يطوف بالبيت طواف الفريضة ونسي أن يصلي ركعتين عند مقام إبراهيم فقال يصليها ولو بعد أيام ان الله تعالى قال **﴿واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى﴾** وهذا هو الظاهر لأن مقام إبراهيم إذا أطلق لا يفهم منه إلا المقام المعروف الذي هو في المسجد الحرام وفي المقام دلالة ظاهرة على نبوة إبراهيم عليه السلام فإن الله جعل الحجر تحت قدميه كالطين حتى دخلت قدمه فيه وكان في ذلك معجزة له وروي عن أبي جعفر الباقر عليه السلام أنه قال نزلت ثلاثة أحجار من الجنة مقام إبراهيم وحجر بني إسرائيل والحجر الأسود استودعه الله إبراهيم (ع) حجراً أبيض وكان أشد بياضاً من القراطيس فاسود من خطايا بني آدم.

[**القصة**] ابن عباس قال لما أتى إبراهيم باسماعيل وهاجر فوضعهما بمكة وأتت على ذلك مدة ونزلها الجرهميون وتزوج إسماعيل امرأة منهم وماتت هاجر واستأذن ابراهيم سارة ان يأتي هاجر فأذنت له وشرطت عليه أن لا ينزل فقدم إبراهيم عليه السلام وقد ماتت هاجر فذهب إلى بيت إسماعيل فقال لامرأته أين صاحبك قالت ليس هنا ذَهَب يتصيد وكان إسماعيل يخرج من الحرم فيصيد ثم يرجع فقال لها إبراهيم هل عندك ضيافة قالت ليس عندي شيء وما عندي أحد فقال لها إبراهيم إذا جاء زوجك فاقرئيه السلام وقولي له فليغيّر عتبة بابه وذهب إبراهيم عليه السلام فجاء إسماعيل (ع) فوجد ريح أبيه فقال لامرأته هل

جاءك أحد قالت جاءني شيخ صفته كذا وكذا كالمستخفة بشأنه قال فما قال لكِ قالت قال لي اقرئي زوجك السلام وقولي له فليغير عتبة بابه فطلقها وتزوج أخرى فلبث إبراهيم ما شاء الله أن يلبث ثم استأذن سارة أن يزور إسماعيل فأذنت له واشترطت عليه أن لا ينزل فجاء إبراهيم حتى انتهى الى باب إسماعيل فقال لامرأته أين صاحبك قالت ذهب يتصيد وهو يجيء الآن إن شاء الله فانزل يرحمك الله قال لها هل عندكِ ضيافة قالت نعم فجاءت باللبن واللحم فدعا لهما بالبركة فلو جاءت يومئذ بخبز أو بُرٍّ أو شعير أو تمر لكان أكثر أرض الله بُرّاً وشعيراً وتمراً فقالت له انزل حتى اغسل رأسك فلم ينزل فجاءت بالمقام فوضعته على شقه الأيمن فوضع قدمه عليه فبقي أثره فغسلت شق رأسه الأيمن ثم حولت المقام الى شقه الأيسر فغسلت شق رأسه الأيسر فبقي أثر قدمه عليه فقال لها إذا جاء زوجك فاقرئيه السلام وقولي له قد استقامت عتبة بابك فلما جاء إسماعيل (ع) وجد ريح أبيه فقال لامرأته هل جاءك أحد قالت نعم شيخ أحسن الناس وجهاً وأطيبهم ريحاً فقال لي كذا وكذا وقلت له كذا وغسلت رأسه وهذا موضع قدميه على المقام فقال إسماعيل لها ذاك إبراهيم (ع) وقد روى هذه القصة بعينها علي بن إبراهيم عن أبيه عن ابن أبي عمير عن ابان عن الصادق عليه السلام وان اختلف بعض ألفاظه وقال في آخرها إذا جاء زوجك فقولي له جاء ها هنا شيخ وهو يوصيك بعتبة بابك خيراً قال فأكبّ اسماعيل على المقام يبكي ويقبّله وفي رواية أخرى عنه عليه السلام ان إبراهيم استأذن سارة أن يزور إسماعيل فأذنت له أن لا يلبث عنها[٢] وأن لا ينزل من حماره فقيل له كيف كان ذلك فقال ان الأرض طويت له وروى عبد الله بن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال الركن والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة طمس الله نورهما ولولا أن نورهما طمس لأضاءا ما بين المشرق والمغرب وقوله ﴿مصلى﴾ فيه أقوال قيل مدعى من صلّيت أي دعوت عن مجاهد وقيل قبلة عن الحسن وقيل موضع صلاة فأمر أن يصلي عنده عن قتادة والسدي وهذا هو المروي عن أئمتنا عليهم السلام واستدل اصحابنا به على أن صلاة الطواف فريضة مثل الطواف لأن الله تعالى أمر بذلك وظاهر الأمر يقتضي الوجوب ولا صلاة واجبة عند مقام إبراهيم غير صلاة الطواف بلا خلاف وقوله ﴿**وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل**﴾ أي أمرناهما

---

(١) [على] .

(٢) وفي بعض النسخ «لا يبيت» بدل «لا يلبث» أي لا يلبث أو لا يبيت معرضاً عنها .

والزمناهما ﴿أن طهّرا بيتي﴾ للطائفين أي قلنا لهما ان طهّرا بيتي لأنّ ان هذه هي المفسرة التي تكون عبارة عن القول اذا صاحبت من الألفاظ ما يتضمن معنى القول كقوله سبحانه عهدنا هنا وذكر في التطهير هنا وجوه (أحدها) ان المراد طهراً من الفرث والدم الذي كان يطرحه المشركون عند البيت قبل أن يصير في يد إبراهيم واسماعيل عن الجبائي (وثانيها) ان المراد طهراه من الأصنام التي كانوا يعلقونها على باب البيت قبل إبراهيم عن مجاهد وقتادة (وثالثها) ان المراد طهراه بنياناً بكماله على الطهارة كما قال سبحانه أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير امَّن اسس بنيانه على شفا جرف هار وانما أضاف البيت الى نفسه تفضيلاً له على سائر البقاع وتمييزاً وتخصيصاً وقوله ﴿للطائفين والعاكفين﴾ أكثر المفسرين على أن الطائفين هم الدائرون حول البيت والعاكفين هم المجاورون للبيت وقال سعيد بن جبير أن الطائفين هم الطارئون على مكة من الآفاق والعاكفين هم المقيمون فيها وقال ابن عباس العاكفون المصلون والأول أصح لأنه المفهوم من اطلاق اللفظ وقوله ﴿والركع السجود﴾ قيل هم المصلون عند البيت يركعون ويسجدون عن قتادة وقيل هم جميع المسلمين لأن من شأن المسلمين الركوع والسجود عن الحسن وقال عطاء اذا طاف به فهو من الطائفين واذا جلس فهو من العاكفين واذا صلى فهو من الركع السجود قال رسول الله صلى الله عليه وآله ان الله عز وجل في كل يوم وليلة عشرين ومائة رحمة تنزل على هذا البيت ستون منها للطائفين وأربعون للعاكفين[١] وعشرون للناظرين .

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾

[**القراءة**] قرأ ابن عامر فـأمتِعُه بسكون الميم خفيفة مِن أمتعت والباقون بالتشديد وفتح الميم من مَتّعت وروي في الشواذ عن ابن عباس فأمْتِعْه قليلاً ثم أضطره إلى عذاب

(١) وفي جملة من النسخ « المصلين » بدل « العاكفين » .

النار على الدعاء من إبراهيم عليه السلام وعن ابن محيصن ثم اطّره بإدغام الضاد في الطاء .

[**الحجة**] قال أبو علي التشديد في أمتعه أولى لأن التنزيل عليه قال سبحانه ﴿ **يُمتّعكم متاعاً حسنا وكمن مَتَّعناه متاع الحياة الدنيا** ﴾ ووجه قراءة ابن عامر إنّ أمتغ لغة قال الراعي :

خَلِيلَينِ مِنْ شَعْبَينِ شَتَّى تَجَاوَرَا قَـدِيمـاً وَكَـانَـا بِـالتَّفَـرُّقِ أَمْتَعَـا

قال أبو زيد أمتعا أراد تمتعا فأما قراءة ابن عباس **فأَمْتِعه فيحتمـل** أمرين من ابن جني (أحدهما) أن يكون الضمير في قال لإبراهيم أي قال إبراهيم أيضاً ومن كفر **فأَمْتِعه** يا رب وحسن إعادة قال لطول الكلام ولأنه انتقل من الدعاء لقوم إلى الدعاء على آخرين والآخر أن يكون الضمير في قال لله تعالى أي **فأَمْتِعه** يا خالق أو يا إلّه يخاطب بذلك نفسه عز وجل فجرى ذلك على ما تعتاده العرب من أمر الإنسان لنفسه كقول الأعشى :

ودِّعْ هُـرَيْـرَة إنَّ الـرَّكْبَ مُـرْتَحِـلُ وَهَـلْ تُـطِيقُ وَدَاعـاً أيُّهَـا الـرَّجُـلُ

[**اللغة**] البلد والمصر والمدينة نظائر وأصله من قولهم بلد للأثر في الجلد وغيره وجمعه أبلاد ومن ذلك سميت البلاد لأنها مواضع مواطن الناس وتأثيرهم ومن ذلك قولهم لكِرْكِرة البعير بلدة لأنه إذا برك تأثرت والاضطرار هو الفعل في الغير على وجه لا يمكنه الانفكاك منه إذا كان من جنس مقدوره ولهذا لا يقال فلان مضطر إلى لونه وإن كان لا يمكنه دفعه عن نفسه لما لم يكن اللون من جنس مقدوره ويقال هو مضطر إلى حركة الفالج وحركة العروق لما كانت الحركة من جنس مقدوره والمصير الحال التي يؤدي إليها أول لها وصار وحال وآل نظائر وصير كل أمر مصيره وصِير الباب شقه وفي الحديث من نظر في صير باب فقد دمر وصيور الأمر آخره .

[**الإعراب**] قوله ﴿ **من آمن** ﴾ محله نصب لأنه بدل من أهله وهو بدل البعض من الكل كما تقول أخذت المال ثلثه وجعلت متاعك بعضه على بعض وقوله ﴿ **ومن كفر** ﴾ يجوز أن يكون موصولاً وصلة في موضع الرفع على الابتداء ويجوز أن يكون من أسماء الشرط في موضع رفع بالابتداء وكفر شرطه و ﴿ **فأمتعه** ﴾ الفاء وما بعده جزاء ومعنى حرف الشرط الذي تضمنه ﴿ **مَن** ﴾ مع الشرط والجزاء في موضع خبر المتبدأ وعلى القول الأول فالفاء وما بعده خبر المبتدأ ﴿ **وبئس المصير** ﴾ فعل وفاعل في موضع الرفع لأنه خبر مبتدأ

محذوف تقديره وبئس المصير النار أو العذاب وانتصب قليلاً على أحد وجهين (أحدهما) أن يكون صفة للمصدر نحو قوله ﴿ **متاعاً حسناً** ﴾ قال سيبويه ترى الرجل يعالج شيئاً فيقول رويداً أي علاجاً رويداً وإنما وصفه بالقلة مع أن التمتيع يدل على التكثير من حيث كان إلى نفاد ونقص وتناهٍ كقوله سبحانه ﴿ **قل متاع الدنيا قليل** ﴾ والثاني أن يكون وصفاً للزمان أي زماناً قليلاً ويدل عليه قوله سبحانه ﴿ **عما قليل ليصبحن نادمين** ﴾ وتقديره بعد زمان قليل كما يقال عَرِق عن الحمى وأطعمه عن الجوع أي بعد الحمى وبعد الجوع .

[**المعنى**] ﴿ **و** ﴾ اذكر ﴿ **إذ قال إبراهيم رب اجعل هذا** ﴾ أي هذا البلد يعني مكة ﴿ **بلداً آمنا** ﴾ أي ذا أمن كما يقال بلد آهل أي ذو أهل وقيل معناه يأمنون فيه كما يقال ليل نائم أي ينام فيه قال ابن عباس يريد حراماً محرماً لا يصاد طيره ولا يقطع شجره ولا يختلى خلاؤه وإلى هذا المعنى يؤول ما روي عن الصادق عليه السلام من قوله من دخل الحرم مستجيراً به فهو آمن من سخط الله عز وجل ومن دخله من الوحش والطير كان آمناً من أن يهاج أو يؤذى حتى يخرج من الحرم وقال رسول الله صلى الله عليه وآله يوم فتح مكة أن الله تعالى حرّم مكة يوم خلق السموات والأرض فهي حرام إلى أن تقوم الساعة لم تحلّ لأحد قبلي ولا تحلّ لأحد من بعدي ولم تحل لي إلا ساعة من النهار فهذا الخبر وأمثاله المشهورة في روايات أصحابنا تدلّ على أن الحرم كان آمناً قبل دعوة إبراهيم عليه السلام وإنما تأكدت حرمته بدعائه عليه السلام وقيل إنّما صار حرماً بدعائه (ع) وقبل ذلك كان كسائر البلاد واستدل عليه بقول النبي ﷺ إن إبراهيم حرّم مكة وإني حرّمت المدينة وقيل كانت مكة حراماً قبل الدعوة بوجه غير الوجه الذي صارت به حراماً بعد الدعوة فالأول بمنع الله إياها من الإصطلام والائتفاك[1] كما لحق ذلك غيرها من البلاد وبما جعل ذلك[2] في النفوس من تعظيمها والهيبة لها و (الثاني) بالأمر بتعظيمه على ألسنة الرسل فأجابه الله تعالى إلى ما سأل وإنما سأله أن يجعلها آمنة من الجدب والقحط لأنه أسكن أهله بواد غير ذي زرع ولا ضرع ولم يسأله أمنها من الإئتفاك والخسف الذي كان حاصلاً لها وقيل أنه عليه السلام سأله الأمرين على أن يديمهما وإن كان أحدهما مستأنفاً والآخر قد كان قبل وقوله ﴿ **وارزق أهله من الثمرات** ﴾ أي أعط من أنواع الرزق والثمرات ﴿ **من آمن منهم بالله واليوم الآخر** ﴾ سأل لهم الثمرات ليجتمع لهم الأمن والخصب فيكونوا في رغد من العيش وروي عن أبي جعفر عليه السلام أن المراد بذلك أن الثمرات تحمل إليهم من

---

(١) ائتفك البلد بأهله: انقلب . ـ الأرض : احترقت من الجدب .

(٢) [كان] .

الآفاق وروي عن الصادق عليه السلام قال هي ثمرات القلوب أي حببهم إلى الناس ليثوبوا إليهم وإنما خصّ بذلك من آمن بالله لأن الله تعالى قد أعلمه أنه يكون فيَ ذريته الظالمون في جواب مسألته إياه لذريته الامامة بقوله لا ينال عهدي الظالمين فخصّ بالدعاء في الرزق المؤمنين تأدباً بأدب الله تعالى وقيل أنه عليه السلام ظنّ أنه إذا دعا للكفار بالرزق أنهم يكثرون بمكة ويفسدون فربما يصدون الناس عن الحج فخص بالدعاء أهل الإيمان وقوله ﴿ **قال ومن كفر فأمتعه قليلاً** ﴾ أي قال الله سبحانه قد استجبت دعوتك فيمن آمن منهم ومن كفر فأمتعه بالرزق الذي ارزقه إلى وقت مماته وقيل فأمتعه بالبقاء في الدنيا وقيل أمتعه بالأمن والرزق إلى خروج محمد ﷺ فيقتله أن أقام على كفره أو يجليه عن مكة عن الحسن ﴿ **ثم اضطره إلى عذاب النار** ﴾ أي أدفعه إلى النار وأسوقه إليها في الآخرة ﴿ **وبئس المصير** ﴾ أي المرجع والمأوى والمآل .

﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾

[**اللغة**] الرفع والإعلاء والاصعاد نظائر ونقيض الرفع الوضع ونقيض الإصعاد الإنزال يقال رفع يرفع رفعاً وارتفع الشيء نفسه والمرفوع من عدو الفرس دون الحضر وفوق الموضوع يقال ارفع من دابتك والرفع نقيض الخفض في كل شيء والرفعة نقيض الذلّة والقواعد والأساس والأركان نظائر وواحد القواعد قاعدة وأصله في اللغة الثبوت والإستقرار فمن ذلك القاعدة من الجبل وهي أصله وقاعدة البناء أساسه الذي بني عليه وامرأة قاعدة إذا أتت عليها سنون لم تتزوج وإذا لم تحمل المرأة أو النخلة قيل قد قعدت فهي قاعدة وجمعها قواعد وتأويله أنها قد ثبتت على ترك الحمل وإذا قعدت عن الحيض فهي قاعدة بغيرها لأنه لا فعل لها في قعودها عن الحيض وقعدت المرأة إذا أتت بأولاد لئام فهي قاعدة وقيل في أن واحدة النساء القواعد قاعد قولان (أحدهما) أنها من الصفات المختصة بالمؤنث نحو الطالق والحائض فلم يحتج إلى علامة التأنيث (والآخر) وهو الصحيح أن ذلك على معنى النسبة أي ذات قعود كما يقال نابل ودارع أي ذو نبل وذو درع ولا يراد بذلك تثبيت الفعل .

[**الإعراب**] قوله من البيت الجار والمجرور يتعلق بيرفع أو بمحذوف فيكون في

محل النصب على الحال وذو الحال القواعد وموضع الجملة من قوله ﴿ **ربنا تقبل منا** ﴾ نصب بقول محذوف كأنه قال يقولان ربنا تقبل منا واتصل بما قبله لأنه من تمام الحال لأن يقولان في موضع الحال .

[**المعنى**] ثم بيّن سبحانه كيف بنى إبراهيم البيت فقال ﴿ **وإذ يرفع** ﴾ وتقديره وإذكر إذ يرفع ﴿ **إبرهيم القواعد من البيت** ﴾ أي أصول البيت التي كانت قبل ذلك عن ابن عباس وعطاء قالا قد كان آدم عليهِ السلام بناه ثم عفا أثره فجدده إبراهيم (ع) وهذا هو المروي عن أئمتنا عليهم السلام وقال مجاهد بل أنشأه إبراهيم (ع) بأمر الله عز وجل وكان الحسن يقول أول من حجّ البيت إبراهيم وفي روايات أصحابنا أن أول من حج البيت آدم (ع) وذلك يدل على أنه كان قبل إبراهيم وروي عن الباقر أنه قال أن الله تعالى وضع تحت العرش أربع أساطين وسماه الضراح وهو البيت المعمور وقال للملائكة طوفوا به ثم بعث ملائكة فقال ابنوا في الأرض بيتاً بمثال وقدره وأمر مَنْ في الأرض أن يطوفوا بالبيت وفي كتاب العياشي بإسناده عن الصادق قال أن الله أنزل الحجر الأسود من الجنة لآدم وكان البيت درة بيضاء فرفعهُ الله تعالى إلى السماء وبقي أساسه فهو حيال هذا البيت وقال يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يرجعون إليه أبداً فأمر الله سبحانه إبراهيم وإسماعيل أن يبنيا البيت على القواعد وعن أمير المؤمنين عليه السلام أن أول شيء نزل من السماء إلى الأرض لهو البيت الذي بمكة أنزله الله ياقوتة حمراء ففسق قوم نوح في الأرض فرفعه وقوله ﴿**وإسماعيل**﴾ أي يرفع إبراهيم وإسماعيل أساس الكعبة يقولان ربنا تقبل منا وفي حرف عبد الله بن مسعود ويقولان ربنا تقبل منا ومثله قوله سبحانه ﴿ **والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم** ﴾ أي يقولون سلام عليكم والملائكة باسطوا أيديهم أُخرجوا أنفسكم أي يقولون وقال بعضهم تقديره يقول ربنا برده إلى إبراهيم عليه السلام قال لأن إبراهيم وحده رفع القواعد من البيت وكان اسماعيل صغيراً في وقت رفعها وهو شاذ غير مقبول لشذوذه فإن الصحيح أن إبراهيم واسماعيل كانا يبنيان الكعبة جميعاً وقيل كان إبراهيم يبني وإسماعيل يناوله الحجر فوصفا بأنهما رفعا البيت عن ابن عباس وفي قوله ﴿ **ربنا تقبل منا** ﴾ دليل على أنهما بنيا الكعبة مسجداً لا مسكناً لأنهما التمسا الثواب عليه والثواب إنما يطلب على الطاعة ومعنى تقبل منا اثبنا على عمله وهو مشبه بقبول الهدية فإن الملك إذا قبل الهدية من إنسان أثابه على ذلك وقوله ﴿ **إنك أنت السميع العليم** ﴾ أي أنت السميع لدعائنا العليم بنا وبما يصلحنا وروي عن الباقر أن إسماعيل أول من شق

لسانه بالعربية وكان أبوه يقول له وهما يبنيان البيت يا إسماعيل هات ابن[١] أي أعطني حجراً فيقول له إسماعيل بالعربية يا أبه هاك حجراً فإبراهيم يبني وإسماعيل يناوله الحجارة وفي هذه الآية دلالة على أن الدعاء عند الفراغ من العبادة مرغب فيه مندوب إليه كما فعله إبراهيم وإسماعيل (ع).

[قصة مهاجرة إسماعيل وهاجر]

روى علي بن إبراهيم بن هاشم عن أبيه عن النضر بن سويد عن هشام عن الصادق قال إن إبراهيم كان نازلاً في بادية الشام فلما ولد له من هاجر إسماعيل اغتمت سارة من ذلك غمّاً شديداً لأنه لم يكن له منها ولد فكانت تؤذي إبراهيم في هاجر وتغمه فشكا ذلك إبراهيم إلى الله عز وجل فأوحى الله إليه إنما مثل المرأة مثل الضلع المعوج إن تركته استمتعت به وإن رُمت أن تقيمه كسرته وقد قال القائل في ذلك:

هِيَ الضِّلعُ العَوْجَاءُ لَسْتَ تُقِيْمُهَا ... أَلَا إِنَّ تَقْوِيْمَ الضُّلُوعِ ٱنْكِسَارُهَا

ثم أمره أن يخرج إسماعيل وأمه عنها فقال أي رب إلى أيّ مكان قال إلى حرمي وأمني وأول بقعة خلقتها من أرضي وهي مكة وأنزل عليه جبرائيل بالبراق فحمل هاجر واسماعيل وإبراهيم فكان إبراهيم لا يمر بموضع حسن فيه شجر ونخل وزرع إلا قال يا جبرائيل إلى هاهنا إلى هاهنا فيقول جبرائيل لا إمض لا إمض حتى وافى مكة فوضعه في موضع البيت وقد كان إبراهيم عاهد سارة أن لا ينزل حتى يرجع إليها فلما نزلوا في ذلك المكان كان فيه شجر فألقت هاجر على ذلك الشجر كساء كان معها فاستظلت تحته فلما سرحهم إبراهيم ووضعهم وأراد الإنصراف عنهم إلى سارة قالت له هاجر لم تدعنا في هذا الموضع الذي ليس فيه أنيس ولا ماء ولا زرع فقال إبراهيم ربي الذي أمرني أن أضعكم في هذا المكان ثم انصرف عنهم فلما بلغ كدى وهو جبل بذي طوى التفت إليهم إبراهيم فقال ﴿ **ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع** ﴾ إلى قوله ﴿ **لعلهم يشكرون** ﴾ ثم مضى وبقيت هاجر فلما ارتفع النهار عطش إسماعيل فقامت هاجر في الوادي حتى صارت في موضع المسعى فنادت هل في الوادي من أنيس فغاب عنها إسماعيل فصعدت على الصفا ولمع لها السراب في الوادي وظنت أنه ماء فنزلت في بطن الوادي وسعت فلما بلغت المروة غاب عنها إسماعيل ثم لمع لها السراب في ناحية الصفا وهبطت إلى الوادي

---

(١) في بعض النسخ هابي ابن وفي العبرانية أعطني حجراً هانلي ابن فليحرر.

تطلب الماء فلما غاب عنها إسماعيل عادت حتى بلغت الصفا فنظرت إلى إسماعيل حتى فعلت ذلك سبع مرات فلما كان في الشوط السابع وهي على المروة نظرت إلى إسماعيل وقد ظهر الماء من تحت رجليه فعدت حتى جمعت حوله رملاً وأنه كان سائلاً فزمته بما جعلت حوله فلذلك سميت زمزم وكانت جرهم نازلة بذي المجاز وعرفات فلما ظهر الماء بمكة عكفت الطير والوحوش على الماء فنظرت جرهم إلى تعكف الطير على ذلك المكان فاتبعوها حتى نظروا إلى امرأة وصبي نزول في ذلك الموضع قد استظلوا بشجرة قد ظهر لهم الماء فقال لهم جرهم من أنت وما شأنك وشأن هذا الصبي قالت أنا أم ولد إبراهيم خليل الرحمٰن عليه السلام وهذا ابنه أمره الله أن ينزلنا هاهنا فقالوا لها أتأذنين أن نكون بالقرب منكم فقالت حتى أسأل إبراهيم قال فزارهما إبراهيم يوم الثالث فقالت له هاجر يا خليل الله إن هاهنا قوماً من جرهم يسألونك أن تأذن لهم حتى يكونوا بالقرب منا أفتأذن لهم في ذلك فقال إبراهيم نعم فأذنت هاجر لجرهم فنزلوا بالقرب منهم وضربوا خيامهم وأنست هاجر وإسماعيل بهم فلما زارهم إبراهيم في المرة الثانية ونظر إلى كثرة الناس حولهم سرّ بذلك سروراً شديداً فلما تحرك إسماعيل وكانت جرهم قد وهبوا لإسماعيل كل واحد منهم شاة وشاتين وكانت هاجر وإسماعيل يعيشان بها فلما بلغ مبلغ الرجال أمر الله تعالى إبراهيم أن يبني البيت فقال يا رب في أي بقعة قال في البقعة التي أنزلت على آدم القبة فأضاءت الحرم قال ولم تزل القبة التي أنزلها الله على آدم قائمة حتى كان أيام الطوفان في زمان نوح فلما غرقت الدنيا رفع الله تلك القبة وغرقت الدنيا ولم تغرق مكة فسمي البيت العتيق لأنه أعتق من الغرق فلما أمر الله عز وجل إبراهيم أن يبني البيت لم يدر في أي مكان يبنيه فبعث الله جبرائيل فخط له موضع البيت وأنزل عليه القواعد من الجنة وكان الحجر الذي أنزله الله على آدم أشد بياضاً من الثلج فلما مسته أيدي الكفار أسودّ قال فبنى إبراهيم البيت ونقل إسماعيل الحجر من ذي طوى فرفعه في السماء تسعة أذرع ثم دلّه على موضع الحجر فاستخرجه إبراهيم ووضعه في موضعه الذي هو فيه وجعل له بابين باباً إلى المشرق وباباً إلى المغرب فالباب الذي إلى المغرب يسمى المستجار ثم ألقى عليه الشيح والأذخر(١) وعلقت هاجر على بابه كساء كان معها فكانوا يكونون تحته فلما بناه وفرغ حج إبراهيم وإسماعيل ونزل عليهما جبرائيل يوم التروية لثمان خلت من ذي الحجة فقال يا إبراهيم قم فارتو من الماء لأنه لم يكن بمنى وعرفات ماء فسميت التروية لذلك ثم

---

(١) الشيح: نبات أنواعه كثيرة كلّه طيب الرائحة. الإذخر: الحشيش الأخضر: نبات طيب الرائحة.

أخرجه إلى منى فبات بها ففعل به ما فعل بآدم فقال إبراهيم لما فرغ من بناء البيت ﴿ رب اجعل هذا بلداً آمناً وارزق أهله من الثمرات ﴾ الآية .

﴿ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾

[**القراءة**] قرأ ابن كثير أرنا بإسكان الراء كل القرآن ووافقه ابن عامر وأبو بكر عن عاصم في السجدة ربنا أرنا الذين وقرأ أبو عمرو بالاختلاس لكسرة الراء من غير اشباع كل القرآن والباقون بالكسر .

[**الحجة**] الاختيار كسرة الراء لأنها كسرة الهمزة قد حولت إلى الراء لأن أصله أرإنا فنقلت الكسرة إلى الراء وسقطت الهمزة ولأن في إسكان الراء بعد سقوط الهمزة اجحافاً بالكلمة وابطالاً للدلالة على الهمزة ومن سكنه فعلى وجه التشبيه بما يسكن في مثل كبد وفخذ ونحو قول الشاعر (لو عَصْرَ مِنْهُ البَان وَالمِسْك انْعَصَرَ) وقال الآخر :

قَـالَتْ سُلِيمَى آشْتَرْ لَـنَـا سَـوِيْقَـا وَآشْتَـرْ وَعَجِّـلْ خَـادِمـاً لَـبِيـقَـا[1]

وأما الاختلاس فلطلب الخفة وبقاء الدلالة على حذف الهمزة .

[**اللغة**] الإسلام هو الانقياد لأمر الله تعالى بالخضوع والإقرار بجميع ما أوجب الله وهو والإيمان واحد عندنا وعند المعتزلة وفي الناس من قال بينهما فرق ويبطله قوله سبحانه **﴿أن الدين عند الله الإسلام ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه﴾** والمناسك هاهنا المتعبدات قال الزجاج كل متعبد منسك والنسك في اللغة العبادة ورجل ناسك عابد وقد نسك نسكاً والنسك الذبيحة يقال من فعل كذا فعليه نسك أي دم يهريقه والنسيكة الذبيحة والمنسك الموضع الذي تذبح فيه النسائك والمنسك أيضاً هو النسك نفسه قال سبحانه **﴿ولكل أمة جعلنا منسكاً﴾** وقال ابن دريد النسك أصله الذبائح كانت تذبح في الجاهلية والنسيكة شاة كانوا يذبحونها في المحرم في الإسلام ثم نسخ ذلك بالأضاحي قال الأعشى :

(١) أي حاذقاً .

وَذَا النُّصُبَ ٱلْمَنْصُوبَ لَا تَنْسُكَنَّهُ وَلَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ وَٱللهَ فَـٱعْبُـدَا

قال أبو علي الفسوي المناسك جمع منسك وهو المصدر جمع لاختلاف ضروبه .

[**الإعراب**] اللام في لك تعلق بمسلمين ومن ذريتنا من فيه تتعلق بمحذوف تقديره واجعل من ذريتنا والجار والمجرور مفعول اجعل وأمة مفعول ثان لأجعل وأرنا يحتمل وجهين (أحدهما) أن يكون منقولاً من رأيت الذي هو بمعنى إدراك البصر نقلت بالهمزة فتعدت إلى مفعولين والتقدير حذف المضاف كأنه قال أرنا مواضع مناسكنا أي عرفناها لنقضي نسكنا فيها وذلك نحو مواقيت الاحرام والموقف بعرفات وموضع الطواف فهذا من رأيت الموضع وأريته إياه (والآخر) أن يكون منقولاً من نحو قولهم فلان يرى رأي الخوارج فيكون معناه علّمنا مناسكنا ومثله قوله الشاعر :

أَرِيْنِيْ جَـوَاداً مَـاتَ هَـزْلاً لَعَلَّنِي أَرَى مَـا تَرَيْنَ أَوْ بَخِيْـلاً مُخَلَّدَا

أراد دليني ولم يرد رؤية العين .

[**المعنى**] ثم ذكر تمام دعائهما عليهما السلام فقال سبحانه : ﴿ **ربنا واجعلنا مسلمين لك** ﴾ أي قال ربنا واجعلنا مسلمين في مستقبل عمرنا كما جعلتنا مسلمين في ماضي عمرنا بأن توفقنا وتفعل بنا الالطاف التي تدعونا إلى الثبات على الإسلام ويجري ذلك مجرى أن يؤدب أحدنا ولده ويعرضه لذلك حتى صار أديباً فيجوز أن يقال جعل ولده أديباً وعكس ذلك إذا عرضه للبلاء والفساد جاز أن يقال جعله ظالماً فاسداً وقيل أن معنى مسلمين موحدين مخلصين لك لا نعبد إلا إياك ولا ندعو ربًّا سواك وقيل قائمين بجميع شرائع الإسلام مطيعين لك لأن الإسلام هو الطاعة والانقياد والخضوع وترك الامتناع وقوله ﴿ **ومن ذريتنا أمة مسلمة لك** ﴾ أي واجعل من ذريتنا أي من أولادنا ومن للتبعيض وإنما خصًّا بعضهم لأنه تعالى أعلم إبراهيم عليه السلام أن في ذريته من لا ينال عهده الظالمين لما يرتكبه من الظلم وقال السدي أراد بذلك العرب والصحيح الأول أمة مسلمة لك أي جماعة موحدة منقادة لك يعني أمة محمد صلى الله عليه وآله بدلالة قوله ﴿ **وابعث فيهم رسولاً منهم** ﴾ وروي عن الصادق أن المراد بالأمة بنو هاشم خاصة وقوله ﴿ **وأرنا مناسكنا** ﴾ أي عرفنا هذه المواضع التي تتعلق النسك بها لنفعله عندها ونقضي عباداتنا فيها على حدّ ما يقتضيه توفيقنا عليها قال قتادة فأراهما الله مناسكهما الطواف بالبيت والسعي بين الصفا والمروة والإفاضة من عرفات ومن جمع ورمي الجمار حتى أكمل بها الدين وقال

عطاء ومجاهد معنى مناسكنا مذابحنا والأول أقوى وقوله ﴿ وتب علينا ﴾ فيه وجوه (أحدها) أنهما قالا هذه الكلمة على وجه التسبيح والتعبد والانقطاع إلى الله سبحانه ليقتدي بهما الناس فيها وهذا هو الصحيح (وثانيها) أنهما سألا التوبة على ظَلَمة ذريتهما (وثالثها) أن معناه ارجع إلينا بالمغفرة والرحمة وليس فيه دلالة على جواز الصغيرة عليهم أو ارتكاب القبيح منهم لأن الدلائل القاهرة قد دلت على أن الأنبياء معصومون منزهون عن الكبائر والصغائر وليس هنا موضع بسط الكلام في ذلك ﴿ إنك أنت التواب ﴾ أي القابل للتوبة من عظائم الذنوب وقيل الكثير القبول للتوبة مرة بعد أخرى ﴿ الرحيم ﴾ بعباده المنعم عليهم بالنعم العظام وتكفير السيئات والآثام وفي هذه الآية دلالة على أنه يحسن الدعاء بما يعلم الداعي أنه يكون لا محالة لأنهما كانا عالمين بأنهما لا يقارفان الذنوب[1] والآثام ولا يفارقان الدين والإسلام .

﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾

[اللغة] ﴿ العزيز القدير ﴾ الذي لا يغالَب وقيل هو القادر الذي لا يمتنع عليه شيء أراد فعله ونقيض العز الذل وعزّ يَعِزُّ عزة وعزا إذا صار عزيزاً وعَزَّ يَعُزُّ عزا إذا قهر ومنه قولهم من عَزَّ بزَّاي من علب سلب واعتز الشيء إذا صلب وهو من العزاز من الأرض وهو الطين الصلب الذي لا يبلغ أن يكون حجارة وعز الشيء إذا قلَّ حتى لا يكاد يوجد واعتز فلان بفلان إذا تشرف به والحكيم معناه المدبر الذي يحكم الصنع ويحسن التدبير فعلى هذا يكون من صفات الفعل ويكون بمعنى العليم فيكون من صفات الذات .

[الإعراب] ابعث جملة فعلية معطوفة على تب فيهم تتعلق بابعث ويجوز أن تتعلق بمحذوف تقديره رسولاً كائناً فيهم فيكون في موضع نصب على الحال ويتلو منصوب الموضع بكونه صفة قوله ﴿ رسولاً ﴾ أي تالياً وعليهم تتعلق بيتلو .

[المعنى] الضمير في قوله فيهم يرجع إلى الأمة المسلمة التي سأل الله إبراهيم أن

---

(١) قارف الذنب : داناه .

يجعلهم من ذريته والمعني به بقوله ﴿ ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم ﴾ هو نبينا صلى الله عليه وآله لما روي عنه أنه قال أنا دعوة أبي إبراهيم وبشارة عيسى عليهما السلام يعني قوله ﴿**مبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد**﴾ وهوقول الحسن وقتادة وجماعة من العلماء ويدل على ذلك أنه دعا بذلك لذريته الذين يكونون بمكة وما حولها على ما تضمنه الآية في قوله ﴿**ربنا وابعث فيهم**﴾ أي في هذه الذرية رسولاً منهم ولم يبعث الله من هذه صورته إلا محمداً صلى الله عليه وآله وقوله ﴿ **ويتلوا عليهم آياتك** ﴾ أي يقرأ عليهم آياتك التي نوحي بها إليه ﴿ **ويعلمهم الكتاب** ﴾ أي القرآن وهذا لا يعد من التكرار لأنه خصّ الأول بالتلاوة ليعلموا بذلك أنه معجز دال على صدقه ونبوته وخص الثاني بالتعليم ليعرفوا ما يتضمنه من التوحيد وأدلته وما يشتمل عليه من أحكام شريعته وقوله ﴿ **والحكمة** ﴾ قيل هي هاهنا السنة عن قتادة وقيل المعرفة بالدين والفقه في التأويل عن مالك بن أنس وقيل العلم بالأحكام التي لا يدرك علمها إلا من قبل الرسل عن ابن زيد وقيل أنه صفة للكتاب كأنه وصفه بأنه كتاب وأنه حكمة وأنه آيات وقيل الحكمة شيء يجعله الله في القلب ينوره الله به كما ينور البصر فيدرك المبصر وقيل هي مواعظ القرآن وحرامهُ وحلاله عن مقاتل وكلّ حسن وقوله ﴿ **ويزكيهم** ﴾ أي يجعلهم مطيعين مخلصين والزكاء هو الطاعة والإخلاص لله سبحانه عن ابن عباس وقيل معناه يطهرهم من الشرك ويخلصهم منه عن ابن جريج وقيل معناه يستدعيهم إلى فعل ما يزكون به من الإيمان والصلاح عن الجبائي وقيل يشهد لهم بأنهم أزكياء يوم القيامة إذا شهد على كل نفس بما كسبت عن الأصم وقوله ﴿ **إنك أنت العزيز الحكيم** ﴾ أي القوي في كمال قدرتك المنيع في جلال عظمتك المحكم لبدائع صنعتك وإنما ذكر هاتين الصفتين لاتصالهما بالدعاء فكأنه قال فزعنا إليك في دعائنا لأنك القادر على إجابتنا العالم بما في ضمائرنا وبما هو أصلح لنا مما لا يبلغه كنه علمنا وقُصار بصائرنا وفي هذه الآية دلالة على أن إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام دعوا لنبينا محمد صلى الله عليه وآله بجميع شرائط النبوة لأن تحت التلاوة الاداء وتحت التعليم البيان وتحت الحكمة السنة ودعوا لأمته باللطف الذي لأجله تمسكوا بكتابه وشرعه فصاروا أزكياء وهذا لأن الدعاء صدر من إسماعيل (ع) فعلم بذلك أن النبي المدعو به من ولده لا من ولد إسحاق ولم يكن في ولد إسماعيل نبي غير نبينا صلى الله عليه وآله سيد الأنبياء .

﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَـٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾

[**اللغة**] الرغبة المحبة لما فيه للنفس منفعة ورغبت فيه ضد رغبت عنه والرغبة والمحبة والإرادة نظائر ونقيض الرغبة الرهبة ونقيض المحبة البغضة ونقيض الإرادة الكراهة وتقول رغبت فيه رغبة ورَغْباً ورَغباً ورُغْبَى إذا ملت إليه ورغبت عنه إذا صددت عنه ورجل رغيب نهم شديد الأكل وفرس رغيب الشحوة أي كثير الأخذ بقوائمه من الأرض وموضع رغيب واسع والرغيبة العطاء الكثير الذي يرغب في مثله والاصطفاء والاجتباء والاختيار نظائر والصفاء والنقاء والخلوص نظائر والصفو نقيض الكدر وصفوة كل شيء خالصه وصفي الإنسان أخوه الذي يصافيه المودة وناقة صفي كثيرة اللبن ونخلة صفية كثيرة الحمل والجمع الصفايا واصطفينا على وزن افتعلنا من الصفوة وإنما قلبت التاء طاء لأنها أشبه بالصاد بالاستعلاء والاطباق وهي من مخرج التاء فأتي بحرف وسط بين الحرفين .

[**الإعراب**] من يرغب لفظة مَنْ للاستفهام ومعناه الجحد فكأنه قال ما يرغب عن ملة إبراهيم ولا يزهد فيها إلا من سفه نفسه أي الذي سفه نفسه فَمَنْ الأولى على الاستفهام والثانية بمعنى الذي والا حرف الاستثناء ويجوز أن يكون لنقض النفي ومَنْ اسم موصول وسفه نفسه صلته والموصول والصلة في محل النصب على الاستثناء أو في محل الرفع بكونه بدلاً من الضمير الذي في يرغب وفي انتصاب نفسه خلاف قال الأخفش معناه سفَّه نفسه وقال يونس أراها لغة قال الزجاج أراد أن فِعل لغة في المبالغة كما أن فعَّل كذلك ويجوز على هذا القول سفهت زيداً بمعنى سفَهت زيداً وقال أبو عبيدة معناه أهلك نفسه وأوبق نفسه فهذا كله وجه واحد والوجه الثاني أن يكون على التفسيركقوله ﴿**فإن طبن لكم عن شيء منه نفساً**﴾ وهو قول الفراء قال أن العرب توقع سفه على نفسه وهي معرفة وكذلك بطرت معيشتها وأنكر الزجاج هذا الوجه قال إن معنى التمييز لا يحتمل التعريف لأن التمييز إنما هو واحد يدل على جنس أو خلة تخلص من خلال فإذا عرفته صار مقصوداً قصده وهذا لم يقله أحد ممن تقدم من النحويين والوجه الثالث أن يكون على التمييز والإضافة على تقدير الانفصال كما تقول مررت برجل مثله أي مثل له والوجه الرابع أن يكون على حذف الجار في معنى سفه في نفسه كقوله سبحانه ﴿ **ولا جناح عليكم أن تسترضعوا أولادكم** ﴾ أي لأولادكم فحذف حرف الجر من غير ظرف ومثله ﴿ **ولا تعزموا عقدة النكاح** ﴾ أي على عقدة النكاح ومثله قول الشاعر :

نُغَالِي اللَّحْمَ لِلأَضْيَافِ نِيًّا وَنَبْذُلُهُ إِذَا نَضِجَ القُدُورُ

والمعنى نغالي باللحم قال الزجاج وهذا مذهب صحيح والوجه الخامس ما اختاره

الزجاج وهو أن سفه بمعنى جهل وهو موافق في المعنى لما قاله السراج في قوله بطرت معيشتها إن البطر مستقل للنعمة غير راض بها فعلى هذا يكون نفسه مفعولاً به وأنه في الآخرة في تتعلق بمحذوف فهو منصوب الموضع على الحال وذو الحال الضمير المستكن في قوله من الصالحين .

[**النزول**] روي أن عبد الله بن سلام دعا ابني أخيه سلمة ومهاجراً إلى الإسلام فقال لقد علمنا أن صفة محمد في التوراة فأسلم سلمة وأبى مهاجر أن يسلم فأنزل الله هذه الآية .

[**المعنى**] لما بين سبحانه قصة إبراهيم وأن ملته ملة محمد عقّبه بذكر الحَدث على اتباعها فقال : ﴿ **ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه** ﴾ أي لا يترك دين إبراهيم وشريعته إلا من أهلك نفسه وأوبقها وقيل أضل نفسه عن الحسن وقيل جهل قدره لأن من جهل خالقه فهو جاهل بنفسه عن الأصم وقيل جهل نفسه بما فيها من الآيات الدالة على أن لها صانعاً ليس كمثله شيء عن أبي مسلم وقوله ﴿ **ولقد اصطفيناه في الدنيا** ﴾ أي اخترناه بالرسالة واجتبيناه ﴿ **وانه في الآخرة لمن الصالحين** ﴾ أي من الفائزين عن الزجاج وقيل معناه لمع الصالحين أي مع آبائه الأنبياء في الجنة عن ابن عباس وقيل إنما خص الآخرة بالذكر وإن كان في الدنيا كذلك لأن المعنى من الذين يستوجبون على الله سبحانه الكرامة وحسن الثواب فلما كان خلوص الثواب في الآخرة دون الدنيا وصفه فيها بما ينبىء عن ذلك وفي قوله سبحانه ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه دلالة على أن ملة إبراهيم هي ملة نبينا صلى الله عليهما لأن ملة إبراهيم داخلة في ملة محمد مع زيادات في ملة محمد فبين أن الذين يرغبون من الكفار عن ملة محمد التي هي ملة إبراهيم قد سفهوا أنفسهم وهذا معنى قول قتادة والربيع ويدل عليه قوله ﴿ **ملة أبيكم إبراهيم** ﴾ .

﴿ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾

[**الإعراب**] قال فعل فارغ وله جار ومجرور واللام تتعلق بقال وقال له ربه مجرور الموضع بإضافة إذ إليه واللام في لرب العالمين تتعلق بأسلمت .

[**المعنى**] هذا متصل بقوله ولقد اصطفيناه وموضع إذ نصب باصطفينا وتقديره ولقد اصطفيناه حين قال له ربه أسلم واختلف في أنه متى قيل له ذلك فقال الحسن كان هذا

حين أفلت الشمس ورأى إبراهيم تلك الآيات والأدلة فاستدل بها على وحدانية الله سبحانه وقال ﴿ **يا قوم إني بريء مما تشركون إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض** ﴾ الآية وأنه أسلم حينئذ وهذا يدل على أنه كان ذلك قبل النبوة وأنه قال له ذلك إلهاماً استدعاء منه إلى الإسلام فأسلم حينئذ لما وضح له طريق الاستدلال بما رأى من الآيات ولا يصح أن يوحي الله إليه قبل إسلامه بأنه نبي الله لأن النبوة حال إجلال وإعظام ولا يكون ذلك قبل الإسلام وقال ابن عباس إنما قال ذلك إبراهيم عليه السلام حين خرج من السرب(١) وقيل إنما قال ذلك بعد النبوة ومعنى أسلم استقم على الإسلام واثبت على التوحيد كقوله سبحانه ﴿ **فاعلم أنه لا إله إلا الله** ﴾ وقيل ان معنى أسلم أخلص دينك بالتوحيد وقوله ﴿ **أسلمت لرب العالمين** ﴾ أي أخلصت الدين لله رب العالمين .

﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَـٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾

[**القراءة**] قرأ أهل المدينة والشام وأوصى بهمزة بين واوين وتخفيف الصاد وقرأ الباقون ووصّى مشددة الصاد .

[**الحجة**] حجة من قرأ وصى قوله تعالى ﴿ **فلا يستطيعون توصية** ﴾ فتوصية مصدر وصى مثل قَطَّع تقطعة ولا يكون منه تفعيل لأنك لو قلت في مصدر حييت تفعيل لكان يجتمع ثلاث ياءات فرفض ذلك وحجة من قرأ وأوصى بها إبراهيم قوله ﴿ **يوصيكم الله** ﴾ ومن بعد وصية توصون بها أو دين .

[**اللغة**] وصى وأوصى وأمر وعهد بمعنى وقد قالوا وصى البيت إذا اتصل بعضه ببعض فالوصية كأن الموصي بالوصية وصل جُلّ أمره بالموصى إليه .

[**الإعراب**] يعقوب رفع لأنه عطف على إبراهيم والتقدير ووصى إبراهيم ويعقوب وهذا معنى قول ابن عباس وقتادة وقيل أنه على الاستئناف كأنه قال ووصى يعقوب أن يا بني ان الله اصطفى لكم الدين والأول أظهر والفرق بين التقديرين أن الأول لا إضمار فيه لأنهُ معطوف والثاني فيه إضمار والهاء في بها تعود إلى الملة وقد تقدم ذكرها وهو قول

(١) السرب: الحفير تحت الأرض .

الزجاج وقيل إنها تعود إلى الكلمة التي هي أسلمت لرب العالمين والألف واللام في الدين للعهد دون الاستغراق لأنه أراد دين الإسلام وقوله ﴿ **ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون** ﴾ وإن كان على لفظ النهي لهم عن الموت فالنهي على الحقيقة عن ترك الإسلام لئلا يصادفهم الموت عليه ومثله من كلام العرب لا أرينك هاهنا فالنهي في اللفظ للمتكلم وإنما هو في الحقيقة للمخاطب فكأنه قال لا تتعرض لأن أراك بكونك هاهنا وقوله ﴿ **وأنتم مسلمون** ﴾ جملة في موضع الحال وتقديره لا تموتوا إلا مسلمين وذو الحال الواو في تموتوا ومعناه ليأتكم الموت وأنتم مسلمون .

[**المعنى**] لما بين عزَّ اسمهُ دعاء إبراهيم عليه السلام لذريته وحكم بالسفه على من رغب عن ملته ذكر اهتمامه بأمر الدين وعهده به إلى نبيه في وصيته فقال ﴿ **ووصى بها** ﴾ أي بالملة أو بالكلمة التي هي قوله أسلمت لرب العالمين ويؤيد هذا قوله تعالى ﴿**وجعلها كلمة باقية في عقبه**﴾ وقيل بكلمة الاخلاص وهي لا إله إلا الله ﴿ **إبراهيم بنيه** ﴾ إنما خص البنين لأن إشفاقه عليهم أكثر وهم بقبول وصيته أجدر وإلا فمن المعلوم أنه كان يدعو جميع الأنام إلى الإسلام ويعقوب وهو ابن إسحاق وإنما سمي يعقوب لأنهُ وعيصاً كانا توأمين فتقدم عيص وخرج يعقوب على أثره أخذا بعقبِه عن ابن عباس والمعنى ووصى يعقوب بنيه الاثني عشر وهم الأسباط ﴿ **يا بني ان الله اصطفى لكم الدين** ﴾ أي فقالا جميعاً يا بني ان الله اختار لكم دين الإسلام ﴿ **فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون** ﴾ أي لا تتركوا الإسلام فيصادفكم الموت على تركه أو لا تتعرضوا للموت على ترك الإسلام بفعل الكفر وقال الزجاج معناه الزموا الإسلام فإذا أدرككم الموت صادفكم مسلمين وفي هذه الآية دلالة على الترغيب في الوصية عند الموت وأنه ينبغي أن يوصي الإنسان من يلي أمرهم بتقوى الله ولزوم الدين والطاعة .

﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَـٰهَكَ وَإِلَـٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾

[**اللغة**] الشهداء جمع شهيد والشاهد والحاضر من النظائر تقول حضرت القوم

أحضرهم حضوراً إذا شهدتهم والحضيرة الجماعة من الناس ما بين الخمسة إلى العشرة وأحضر الفرس إحضاراً إذا عدا عدواً شديداً وحاضرت الرجل محاضرة إذا عدوت معه وحاضرته إذا جاثيته عند السلطان أو في خصومة وحضرة الرجل فناؤه وأصل الباب الحضور خلاف الغيبة .

[**الإعراب**] أم هاهنا منقطعة وهي لا تجيء إلا وقد تقدمها كلام لأنها التي تكون بمعنى بل وهمزة الاستفهام كأنه قيل بل أكنتم شهداء ومعنى أم هاهنا الجحد أي ما كنتم شهداء وإنما كان اللفظ على الاستفهام والمعنى على خلافه لأن إخراجه مخرج الاستفهام أبلغ في الكلام وأشد مظاهرة في الحجاج إذ يخرج الكلام مخرج التقرير بالحق فيلزم الحجة أو الإنكار له فتظهر الفضيحة وإذ الأولى ظرف من قوله شهداء وإذ الثانية بدل من إذ الأولى وقيل العامل في الثانية حضر وكلاهما جائز ما للاستفهام وهو منصوب الموضع لأنه مفعول تعبدون ومن بعدي الجار والمجرور في محل النصب على الظرف وقوله ﴿ **إلٰهاً واحداً** ﴾ منصوب على أحد وجهين أن يكون حالاً فكأنه قال نعبد إلٰهك في حال وحدانيته أو يكون بدلاً من إلٰهك وتكون الفائدة فيه ذكر التوحيد ونحن له مسلمون جملة في موضع الحال ويجوز أن يكون على الاستئناف فلا يكون لها موضع من الإعراب وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق في موضع جر على البدل من آبائك كما تقول مررت بالقوم أخيك وغلامك وصاحبك .

[**المعنى**] خاطب سبحانه أهل الكتاب فقال : ﴿ **أم كنتم شهداء** ﴾ أي ما كنتم حضوراً ﴿ **إذ حضر يعقوب الموت** ﴾ وما كنتم حضوراً ﴿ **إذ قال يعقوب لبنيه ما تعبدون من بعدي** ﴾ ومعناه أنكم لم تحضروا ذلك فلا تدَّعوا على أنبيائي ورسلي الأباطيل بأن تنسبوهم إلى اليهودية والنصرانية فإني ما بعثتهم إلا بالحنيفية وذلك أن اليهود قالوا أن يعقوب يوم مات أوصى بنيه باليهودية فردّ الله تعالى عليهم قولهم وإنما قال ﴿ **ما تعبدون** ﴾ ولم يقل مَنْ تعبدون لأن الناس كانوا يعبدون الأصنام فقال أيّ الأشياء تعبدون من بعدي قالوا ﴿ **نعبد إلٰهك وإلٰه آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق** ﴾ وإنما قدّم ذكر اسماعيل على إسحاق لأنه كان أكبر منه وإسماعيل كان عمّ يعقوب وجعله أبا له لأن العرب تسمي العم أباً كما تسمي الجدّ أباً وذلك لأنه يجب تعظيمهما كتعظيم الأب ولهذا قال النبي ﷺ ردّوا علي أبي يعني العباس عمه ﴿ **إلٰهاً واحداً ونحن له مسلمون** ﴾ أي مذعنون مقرّون بالعبودية وقيل خاضعون منقادون مستسلمون لأمره ونهيه قولاً وعقداً وقيل داخلون في

كتابخانه
بنياد دايرة المعارف اسلامى

الإسلام يدل عليه قوله ﴿ إن الدين عند الله الإسلام ﴾ .

﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾ ﴾

[اللغة] الأمة على وجوه (الأول) الجماعة كما في الآية (والثاني) القدوة والإمام في قوله أن إبراهيم كان أمة قانتاً (والثالث) القامة في قول الأعشى :

وَإِنَّ مُعَاوِيَةَ الأكْرَمِينَ حِسَانُ الوُجُوهِ طِوَالُ الأُمَمْ

(والرابع) الاستقامة في الدين والدنيا قال النابغة :

حَلَفْتُ فَلَم أتْرُكْ لنَفْسِيَ رَيْبَةً وَهَلْ يَأثَمَنْ ذُو أُمَّةٍ وَهُوَ طَائِعُ

أي ذو ملة ودين (والخامس) الحين في قوله وادّكر بعد امة (والسادس) أهل الملة الواحدة في قولهم أمة موسى وأمة عيسى وأمة محمد صلى الله عليه وعليهما وأصل الباب القصد من أَمَّه يؤمّه أمًّا إذا قصده وخلت أي مضت وأصله الانفراد يقال خلا الرجل بنفسه إذا انفرد وخلا المكان من أهله إذا انفرد منهم والفرق بين الخلو والفراغ أن الخلو إذا لم يكن مع الشيء غيره وقد يفرغ من الشيء وهو معه يقال فرغ من البناء وهو معه فإذا قيل خلا منه فليس معه والكسب العمل الذي يجلب به نفع أو يدفع به ضرر عن النفس وكسب لأهله إذا اجتلب ذلك لهم بعلاج ومراس ولذلك لا يطلق الكسب في صفة الله .

[الإعراب] قوله ﴿ لها ما كسبت ﴾ يحتمل أن يكون في موضع نصب على الحال فكأنه قيل ملزمة ما تستحقه بعملها ويجوز أن لا يكون لها موضع لأنها مستأنفة فلا تكون جزءاً من الخبر الأول لكن تكون متصلة به في المعنى وإن لم تكن جزءاً منه لأنهما خبران في المعنى عن شيء واحد فكأنه قيل الجماعة قد خلت والجماعة لها ما كسبت عما كانوا يعملون ما اسم موصول وكانوا يعملون صلته والموصول والصلة في موضع الجر بعن وعن تتعلق بتسألون .

[المعنى] ﴿ تلك أمة قد خلت ﴾ أي جماعة قد مضت يعني إبراهيم وأولاده ﴿ لها ما كسبت ﴾ أي ما عملت من طاعة أو معصية ﴿ ولكم ﴾ يا معشر اليهود والنصارى ﴿ ما كسبتم ﴾ أي ما عملتم من طاعة أو معصية ﴿ ولا تسئلون عما كانوا يعملون ﴾ أي لا يقال

لكم لم عملوا كذا وكذا على جهة المطالبة لكم بما يلزمهم من أجل أعمالهم كما لا يقال لهم لم عملتم أنتم كذا وكذا وإنما يطالب كل إنسان بعمله دون عمل غيره كما قال سبحانه **﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾** وفي الآيةدلالة على بطلان قول المجبرة أن الأبناء مؤاخذون بذنوب الآباء وإن ذنوب المسلمين تحمل على الكفار لأن الله تعالى نفى ذلك .

﴿ وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ تَهْتَدُواْ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾

[**اللغة**] الحنيف المائل عن الأديان الباطلة إلى الدين الحق قال ابن دريد الحنيف العادل عن دين إلى دين وبه سميت الحنيفية لأنها مالت عن اليهودية والنصرانية وقيل الحنيف الثابت على الدين المستقيم والحنيفية الإستقامة على دين إبراهيم وإنما قيل للذي تُقبل إحدى قدميه على الأخرى أحنف تفاؤلاً بالسلامة كما قيل للمهلكة مفازة تفاؤلاً بالفوز والنجاة وهو قول كثير من المفسرين وأهل اللغة وقال الزجاج أصله من الحنف وهو ميل في صدر القدم وسمي الأحنف لحنف كان به وقالت حاضنته وهي ترقصه (والله لولا حنف برجله ما كان في صبيانكم كمثله) وفي الحديث أحب الأديان إلى الله تعالى الحنيفية السمحة وهي ملة النبي صلى الله عليه وآله لا حرج فيها ولا ضيق .

[**الإعراب**] جزم تهتدوا على الجواب للأمر ومعنى الشرط قائم في الكلمة أي إن تكونوا على هذه الملة تهتدوا فإنما انجزم تهتدوا على الحقيقة بالجزاء وقوله ملة إبراهيم في انتصابه وجوه (أحدها) أن تقديره بل اتبعوا ملة إبراهيم لأن قولهم **﴿كونوا هوداً أو نصارى﴾** تتضمن معنى اتبعوا اليهودية أو النصرانية وتقديره قالوا اتبعوا اليهودية أو النصرانية قل بل اتبعوا ملة ابراهيم فهذا عطف على المعنى (والثاني) أن يكون على الحذف كأنه قيل بل نتبع ملة إبراهيم فالأول عطف والثاني حذف (والثالث) أن ينتصب على تقدير بل نكون أهل ملة إبراهيم فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه كقوله تعالى **﴿ واسأل القرية ﴾** فهذا عطف على اللفظ وهو قول الكوفيين وحنيفاً نصب على الحال أي في حال حنيفيته .

[**النزول**] عن ابن عباس أن عبد الله بن صوريا وكعب بن الأشرف ومالك بن الضيف وجماعة من اليهود ونصارى أهل نجران خاصموا أهل الإسلام كل فرقة تزعم أنها

أحق بدين الله من غيرها فقالت اليهود نبينا موسى أفضل الأنبياء وكتابنا التوراة أفضل الكتب وقالت النصارى نبينا عيسى أفضل الأنبياء وكتابنا الانجيل أفضل الكتب وكل فريق منهما قالوا للمؤمنين كونوا على ديننا فأنزل الله تعالى هذه الآية وقيل ان ابن صوريا قال لرسول الله ﷺ ما الهدى إلا ما نحن عليه فاتبعنا يا محمد تهتد وقالت النصارى مثل ذلك فأنزل الله هذه الآية .

[المعنى] ﴿**وقالوا**﴾ الضميريرجع إلى اليهود والنصارى أي قالت اليهود ﴿**كونوا هوداً**﴾ وقالت النصارى كونوا ﴿ **نصارى** ﴾ كل فريق منهم دعا إلى ما هو عليه ومعنى ﴿ **تهتدوا** ﴾ أي تصيبوا طريق الحق كأنهم قالوا تهتدوا إلى الحق أي إذا فعلتم ذلك كنتم قد اهتديتم وصرتم على سنن الاستقامة ﴿ **قل** ﴾ يا محمد ﴿ **بل ملة إبراهيم** ﴾ أي بل نتبع دين إبراهيم وعلى الوجه الآخر بل اتبعوا دين إبراهيم وقد عرفت الوجوه الثلاثة في الإعراب فلا معنى لإعادتها ﴿ **حنيفاً** ﴾ مستقيماً وقيل مائلاً إلى دين الإسلام وفي الحنيفية أربعة أقوال (أحدها) أنها حج البيت عن ابن عباس والحسن ومجاهد (وثانيها) انها اتباع الحق عن مجاهد (وثالثها) انها اتباع إبراهيم فيما أتى به من الشريعة التي صار بها إماماً للناس بعده من الحج والختان وغير ذلك من شرائع الإسلام (والرابع) أنها الإخلاص لله وحده في الإقرار بالربوبية والاذعان للعبودية وكل هذه الأقوال ترجع إلى ما قلناه من معنى الإستقامة والميل إلى ما أتى به إبراهيم (ع) من الملة ﴿ **وما كان من المشركين** ﴾ أي وما كان إبراهيم من المشركين نفي الشرك عن ملته وأثبته في اليهود والنصارى حيث قالوا عزيز ابن الله والمسيح ابن الله وفي قوله سبحانه ﴿ **بل ملة إبراهيم** ﴾ حجة على وجوب اتباع ملة إبراهيم (ع) لسلامتها من التناقض ولوجود التناقض في اليهودية والنصرانية فلذلك صارت ملة إبراهيم أحرى بالإتباع من غيرها فمن التناقض في اليهودية منعهم من جواز النسخ مع ما في التوراة من الدلالة على جوازه وامتناعهم من العمل بما تقدمت به البشارة في التوراة من اتباع النبي الأمي مع إظهارهم التمسك بها وامتناعهم من الإذعان لما دلت عليه الآيات الظاهرة والمعجزات الباهرة من نبوة عيسى ومحمد صلى الله عليهما مع إقرارهم بنبوة عيسى بدلالة المعجزات عليها إلى غير ذلك من أنواع التناقض ومن التناقض في قول النصارى قولهم الأب والابن وروح القدس إلّه واحد مع زعمهم أن الأب ليس هو الابن وأن الأب إلّه والابن إلّه وروح القدس إلّه وامتناعهم من أن يقولوا ثلاثة آلهة إلى غير ذلك من تناقضاتهم المذكورة في الكتب .

﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٦ ﴾

[**اللغة**] الاسباط واحدهم سبط وهم أولاد إسرائيل وهو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم وهم اثنا عشر سبطاً من اثني عشر ابناً وقالوا الحسن والحسين سبطا رسول الله أي ولداه والاسباط في بني إسرائيل بمنزلة القبائل في ولد اسماعيل قال الزجاج السبط الجماعة يرجعون إلى أب واحد والسَبَط في اللغة الشجر فالسبط الذين هم من شجرة واحدة وقال ثعلب يقال سبط عليه العطاء أو الضرب إذا تابع عليه حتى يصل بعضه ببعض وأنشد التوّزي في قطيع بقر (كأنه سبط من الأسباط) شبّهه بالجماعة من الناس يتتابعون في أمر ومن ثمّ قيل لولد يعقوب اسباط والفرق بين التفريق والفرق ان التفريق جعل الشيء مفارقاً لغيره والفرق نقيض الجمع والجمع جعل الشيء مع غيره والفرق جعل الشيء لا مع غيره والفرق بالحجة هو البيان الذي يشهد أن الحكم لأحد الشيئين دون الآخر .

[**الاعراب**] ما أوتي تقديره ما أوتيه حذف الهاء العائد إلى الموصول ومن في قوله مِن ربهم تتعلق بأوتي أو بمحذوف فيكون مع المحذوف في موضع نصب على الحال وذو الحال الضمير المستكن في أوتي والعامل أوتي أو يكون العامل فيه أنزل وذو الحال ما أوتي لا نفرّق جملة منفية منصوبة الموضع على الحال والعامل فيه آمنا ومنهم تتعلق بمحذوف مجرور الموضع بكونه صفة لأحد ومعنى احد منهم أي بين اثنين أو جماعة وتقديره ولا نفرق بين احد وأحد منهم .

[**المعنى**] ﴿**قولوا آمنا بالله**﴾ خطاب للمسلمين وقيل خطاب للنبي والمؤمنين أمرهم الله تعالى باظهار ما تَديّنوا به على الشرع فبدأ بالإيمان بالله لأنه أول الواجبات ولأنه بتقدم معرفته تصح معرفة النبوات والشرائع ﴿**وما أُنزل إلينا**﴾ يعني القرآن نؤمن بأنه حق وصدق وواجب اتباعه في الحال وان تَقدمته كتب ﴿**وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والاسباط**﴾ قال قتادة هم يوسف واخوته بنو يعقوب ولد كل واحد منهم أمة من الناس فسموا الاسباط وبه قال السدي والربيع ومحمد بن إسحاق وذكروا اسماء الاثني

عشر يوسف وبنيامين وزابالون[١] وروبيل ويهوذا وشمعون ولاوي ودان وقهاب[٢] ويشجر ونفتالي وجاد وأشرفهم ولد يعقوب لا خلاف بين المفسرين فيه وقال كثير من المفسرين أنهم كانوا أنبياء والذي يقتضيه مذهبنا انهم لم يكونوا أنبياء بأجمعهم لأن ما وقع منهم من المعصية فيما فعلوه بيوسف (ع) لاخفاء به والنبي عندنا معصوم من القبائح صغيرها وكبيرها وليس في ظاهر القرآن ما يدل على أنهم كانوا أنبياء وقوله **﴿وما أنزل إليهم﴾** لا يدل على أنهم كانوا أنبياء لأن الانزال يجوز أن يكون كان على بعضهم ممن كان نبياً ولم يقع منه ما ذكرناه من الأفعال القبيحة ويحتمل أن يكون مثل قوله **﴿وما أنزل إلينا﴾** وان المنزل على النبي خاصة لكن المسلمين لما كانوا مأمورين بما فيه أضيف الانزال اليهم وقد روى العياشي في تفسيره عن حنان بن سدير عن أبيه عن أبي جعفر الباقر قال قلت له أكان ولد يعقوب انبياء قال لا ولكنهم كانوا أسباطاً أولاد الأنبياء ولم يكونوا فارقوا الدنيا إلا سعداء تابوا وتذكروا ما صنعوا وقوله **﴿وما أوتي موسى وعيسى﴾** أي أعطيا وخصهما بالذكر لأنه احتجاج على اليهود والنصارى والمراد بما أوتي موسى التوراة وبما أوتي عيسى الانجيل **﴿وما أوتي النبيون﴾** أي ما أعطيه النبيون **﴿من ربهم لا نفرّق بين احد منهم﴾** أي بأن نؤمن ببعض ونكفر ببعض كما فعله اليهود والنصارى فكفرت اليهود بعيسى ومحمد وكفرت النصارى بسليمان ونبينا محمد صلى الله عليه وآله **﴿ونحن له مسلمون﴾** أي نحن لما تقدم ذكره وقيل لله خاضعون بالطاعة مذعنون بالعبودية وقيل منقادون لأمره ونهيه وقد مضى هذا مستوفى فيما قبل وفائدة الآية الأمر بالإيمان بالله والاقرار بالنبيين وما أنزل إليهم من الكتب والشرائع والرد على من فرّق بينهم فيما جمعهم الله عليه من النبوة وان كانت شرائعهم غير لازمة لنا فإن الإيمان بهم لا يقتضي لزوم شرائعهم وروي عن الضحاك انه قال عَلِّموا أولادكم وأهاليكم وخدمكم اسماء الأنبياء الذين ذكرهم الله في كتابه حتى يؤمنوا بهم ويُصدّقوا بما جاءوا به فإن الله تعالى يقول **﴿قولوا آمنا بالله﴾** الآية .

﴿ فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾

[**اللغة**] الشقاق المنازعة والمحاربة ويحتمل أن يكون أصله مأخوذاً من الشق لأنه

(١) لفظة « زابالون » ليست في نسخنا . (٢) كذا في النسخ وفي الطبري « قهات » بالتاء المثناة .

صار في شق غير شق صاحبه للعداوة والمباينة ويحتمل أن يكون مأخوذاً من المشقة لأن كل واحد منهما يحرص على ما يشق على صاحبه ويؤذيه والكفاية بلوغ الغاية يقال يكفي ويجزي ويغني بمعنى واحد وكفى يكفي كفاية إذا قام بالأمر وكفاكَ هذا الأمر أي حسبك ورأيت رجلاً كافيك من رجل أي كفاك به رجلاً .

[**الأعراب**] الباء في قوله ﴿**بمثل ما آمنتم به**﴾ يحتمل ثلاثة أشياء (أحدها) أن تكون زائدة والتقدير فإن آمنوا مثل ما آمنتم به أي مثل إيمانكم به كما يقال كفى بالله أي كفى الله قال الشاعر (كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا) (والثاني) أن يكون المعنى بمثل هذا ولا تكون زائدة كأنه قال ﴿**فإن آمنوا على مثل إيمانكم**﴾ كما تقول كتبت على مثل ما كتبت وبمثل ما كتبت كأنك تجعل المثل آلة توصل بها إلى العمل وهذا أجود من الأول (والثالث) أن تُلغي مثل كما ألغيت الكاف في قوله ﴿**فجعلهم كعصف مأكول**﴾ وهذا أضعف الوجوه لأنه إذا أمكن حمل كلام الله على فائدة فلا يجوز حمله على الزيادة وزيادة الاسم أضعف من زيادة الحرف نحو ما ولا وما أشبه ذلك وقوله ﴿**فقد اهتدوا**﴾ في محل الجزم أو في محل الرفع لأنه جواب شرط مبني وكذلك قوله ﴿**فإنما هم في شقاق**﴾ وإنما حرف لإثبات الشيء ونفي غيره وهم مبتدأ وفي شقاق في موضع خبره .

[**النزول**] لما نزل قوله تعالى ﴿**قولوا آمنا بالله**﴾ الآية قرأها النبي صلى الله عليه وآله على اليهود والنصارى فلما سمعت اليهود ذِكْرَ عيسى أنكروا وكفروا وقالت النصارى إنّ عيسى ليس كسائر الأنبياء لأنه ابن الله فنزلت الآية .

[**المعنى**] ﴿**فإن آمنوا**﴾ أخبر الله سبحانه أن هؤلاء الكفار متى آمنوا على حد ما آمن المؤمنون به ﴿**فقد اهتدوا**﴾ إلى طريق الجنة وقيل سلكوا طريق الاستقامة والهداية وقيل كان ابن عباس يقول اقرأوا بما آمنتم به فليس لله مثل وهذا محمول على أنه فسّر الكلام لا أنه أنكر القراءة الظاهرة مع صحة المعنى وقوله ﴿**وان تولوا**﴾ أي اعرضوا عن الإيمان وجحدوه ولم يعترفوا به ﴿**فإنما هم في شقاق**﴾ أي في خلاف قد فارقوا الحق وتمسكوا بالباطل فصاروا مخالفين لله سبحانه عن ابن عباس وقريبٌ منه ما روي عن الصادق (ع) أنه قال يعني في كفر وقيل في ضلال عن أبي عبيدة وقيل في منازعة ومحاربة عن أبي زيد وقيل في عداوة عن الحسن ﴿**فسيكفيكهم الله**﴾ وَعَد الله سبحانه رسوله بالنصرة وكفاية من يعاديه من اليهود والنصارى الذين شاقّوه وفي هذا دلالة بيّنة على نبوته وصدقه صلى الله عليه وآله المعنى أن الله سبحانه يكفيك يا محمد أمرهم ﴿**وهو**

﴿السميع﴾ لأقوالهم ﴿العليم﴾ بأعمالهم في ابطال امرك ولن يصلوا إليك .

﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾

[اللغة] ﴿صبغة الله﴾ مأخوذة من الصبغ لأن بعض النصارى كانوا إذا وُلد لهم مولود غمسوه في ماء لهم يُسمّونه المعمودية يجعلون ذلك تطهيراً له فقيل صبغة الله تطهير الله لا تطهيركم بتلك الصبغة وهو قول الفراء وقيل ان اليهود تصبغ أبناءها يهودا والنصارى تصبغ أبناءها نصارى أي يُلقّنون أولادهم اليهودية والنصرانية عن قتادة الى هذا يؤول ما روي عن عمر بن الخطاب أخذ العهد على بني تغلب ان لا يصبغوا أولادهم أي لا يُلقّنونهم النصرانية لكن يَدَعونهم حتى يبلغوا فيختاروا لأنفسهم ما شاءوا من الأديان [في صبغة الله] وقيل سمي الدين صبغة لأنه هيئة تظهر بالمشاهدة من أثر الطهارة والصلاة وغير ذلك من الآثار الجميلة التي هي كالصبغة عن الجبائي قال أمية

في صِبْغَةِ اللَّهِ كانَ إذْ نَسِيَ آلْـ ـعَهْـدَ وخَلَّى الصَّوابَ إذْ عَـرَفَـا

ويقال صبغ الثوب يصبغه بفتح الباء وضمها وكسرها صِبَغا بفتح الصاد وكسرها .

[الاعراب] نصب ﴿صبغة الله﴾ على أنه بدل من قوله ملة إبراهيم وتفسير له عن الأخفش وقيل أنه نصب على الاغراء تقديره اتبعوا صبغة الله وألزموا صبغة الله ومَن استفهام وهو مبتدأ وأحسن خبره وصبغة نصب على التمييز .

[المعنى] ﴿صبغة الله﴾ أي اتبعوا دين الله عن ابن عباس والحسن وقتادة ومجاهد ويقرب منه ما روي عن الصادق (ع) قال يعني به الاسلام وقيل شريعة الله التي هي الختان الذي هو تطهير عن الفراء والبلخي وقيل فطرة الله التي فطر الناس عليها عن أبي العالية وغيره ﴿ومن أحسن من الله صبغة﴾ أي لا أحد أحسن من الله صبغة أي بيّنا لفظه لفظ الاستفهام ومعناه الجحد عن الحسن وغيره ﴿ونحن له عابدون﴾ أي من نحن له عابدون يجب ان تتبع صبغته لا ما صبغنا عليه الآباء والأجداد وقيل ونحن له عابدون في اتباعنا ملة إبراهيم صبغة الله .

---

(١) ما بين المعقفتين ليس في نسختنا المخطوطة .

﴿ قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِي ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾

[**اللغة**] الحجاج والجدال والخصام نظائر والأعمال والاحداث والافعال نظائر والاخلاص والافراد والاختصاص نظائر وضد الخالص المشوب .

[**الاعراب**] **﴿وهو ربّنا وربّكم﴾** المبتدأ وخبره في موضع نصب على الحال والعامل فيه تحاجّون وذو الحال الواو ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم مبتدءان وخبران والجملتان في موضع نصب على الحال بالعطف على هو ربنا وربكم ونحن له مخلصون كذلك .

[**المعنى**] أمر الله سبحانه نبيه عليه السلام في هذه الآية أن يقول لهؤلاء اليهود وغيرهم **﴿أتحاجوننا في الله﴾** ومعناه في دين الله أي أتخاصموننا وتجادلوننا فيه وهو سبحانه خالقنا والمنعم علينا وخالقكم والمنعم عليكم واختلف في محاجتهم كيف كان فقيل كانت محاجتهم للنبي عليه السلام أنهم يزعمون أنهم أولى بالحق لتقدم النبوة فيهم والكتاب وقيل بل كانت محاجتهم أنهم قالوا نحن أحق بالإيمان من العرب الذين عبدوا الاوثان وقيل كانت محاجتهم أنهم قالوا يا محمد إن الأنبياء كانوا منا ولم يكن من العرب نبي فلو كنت نبياً لكنت منا وقال الحسن كانت محاجتهم أن قالوا **﴿نحن أولى بالله منكم﴾** وقالوا **﴿نحن أبناء الله وأحباؤه﴾** وقالوا **﴿لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى﴾** وكان غرضهم بذلك أن الدين يلتمس من جهتهم وان النبوة أولى ان تكون فيهم فبيَّن سبحانه أنه أعلم بتدبير خلقه بقوله **﴿وهو ربنا وربكم﴾** أي خالقنا وخالقكم فهو أعلم حيث يجعل رسالته ومن الذي يقوم بأعبائها[1] ويتحملها على وجه يكون أصلح للخلق وأولى بتدبيرهم وقوله **﴿ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم﴾** أي لنا ديننا ولكم دينكم وقيل معناه ما علينا مضرة من أعمالكم وما لكم منفعة من أعمالنا فضرر أعمالكم عليكم ونفع أعمالنا لنا وقيل انه انكار لقولهم ان العرب تعبد الأوثان وبيانٌ لأن لا حجة فيه أذ كلُ مأخوذ بما كسبت يداه ولا يؤخذ أحد بجرم غيره وقوله **﴿ونحن له مخلصون﴾** أي موحّدون والمراد بذلك ان المخلص أولى بالحق من المشرك وقيل معناه الرد عليهم ما احتجوا به من عبادة العرب للأوثان فكأنه قال لا عيب علينا في ذلك اذا كنا موحدين كما لا عيب عليكم بفعل من عبد العجل من أسلافكم اذا اعتقدتم الانكار عليهم في ذلك .

---

(١) الاعباء جمع العبء: الثقل والحمل .

[فصل في ذكر الاخلاص]

روي عن حذيفة بن اليمان قال سألت النبي صلى الله عليه وآله عن الاخلاص ما هو قال سألت جبريل عليه السلام عن ذلك قال سألت رب العزة عن ذلك فقال هو سِرٌّ من سِرّي استودعته قلب من أحببته من عبادي وروي عن أبي ادريس الخولاني عن النبي ﷺ قال إنّ لكل حق حقيقة وما بلغ عبد حقيقة الاخلاص حتى لا يحب أن يحمد على شيء من عمل الله وقال سعيد بن جبير الاخلاص ان يخلص العبد دينه وعمله لله ولا يشرك به في دينه ولا يرائي بعمله أحداً وقيل الاخلاص ان تستوي اعمال العبد في الظاهر والباطن وقيل هو ما استتر من الخلائق واستصفى من العلائق وقيل هو ان يكتم حسناته كما يكتم سيئاته .

﴿ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُواْ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَـٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾

[**القراءة**] قرأ أهل الكوفة غير أبي بكر وابنُ عامر ام تقولون بالتاء والباقون بالياء .

[**الحجة**] الأول على الخطاب فتكون ام متصلة بما قبلها من الاستفهام كأنه قال أتحاجوننا في الله أم تقولون ان الأنبياء كانوا على دينكم والتقدير بأي الحجتين تتعلقون في أمرنا بالتوحيد فنحن مُوحّدون ام باتباع دين الأنبياء فنحن لهم متبعون والثاني وهو القراءة بالياء على العدول من الحجاج الأول الى حجاج آخر فكأنه قال بل تقولون ان الأنبياء من قبل أن تنزل التوراة والانجيل كانوا هـوداً أو نصارى وتكون ام هذه هي المنقطعة فيكون قد أعرض عن خطابهم استجهالاً لهم بما كان منهم كما يُقبل العالم على من بحضرته بعد ارتكاب مخاطبه جهالة شنيعة فيقول قد قامت عليه الحجة أم يقول بابطال النظر المؤدي الى المعرفة .

[**اللغة**] الاعلام والأعرف والأدرى بمعنى واحد والأظلم والأجور والأعتى نظائر وافعل هذه تستعمل بمعنى الزيادة وإنما يصح معناه فيما يقع فيه التزايد كقولهم أفضل وأطول وقد قال المحققون الصفات على ثلاثة أضرب صفة ذات وصفة تحصل بالفاعل

وصفة تحصل بالمعنى (فالأول) مثل كون الذات جوهراً أو سواداً وهذا لا يصح فيه التزايد (والثاني) كالوجود ولا يصح فيه ايضاً التزايد (والثالث) على ضربين (أحدهما) يصح فيه التزايد وهو كل ما يوجبه معنى له مثل كالألوان والأكوان ونحوها (والآخر) لا يصح فيه التزايد وهو كل ما يوجبه معنى، وكَتَم وأخفى وأسرّ واحد والغفلة والسهو والنسيان نظائر وهو ذهاب المعنى عن النفس والصحيح ان السهو ليس بمعنى وانما هو فقد علوم مخصوصة فإن استمر به السهو مع صحة سمي جنوناً فإذا قارنه ضرب من الضعف سمي اغماء واذا قارنه ضرب من الاسترخاء سمي نوماً فإن قارنه نوع من الطرب سمي سكراً واذا حصل السهو بعد علم سمي نسياناً.

[**الاعراب**] ﴿**ام الله**﴾ الله مبتدأ وخبره محذوف تقديره ام الله أعلم وعنده ظرف مكان لكتم أو يكون صفة لشهادة تقديره شهادة كائنة عنده ومن الله صفة لشهادة أيضاً وهي صفة بعد صفة .

[**المعنى**] قد ذكرنا الفرق في المعنى بين قوله﴿**أم تقولون**﴾ على المخاطبةوقوله أم يقولون بالياء على أن يكون المعنى لليهود والنصارى وهم غُيَّب وفي هذا احتجاج عليهم في قولهم ﴿**لن يدخل الجنة الا من كان هوداً أو نصارى**﴾ من وجوه (أحدها) ما أخبربه نبينا صلى الله عليه وآله مع ظهور المعجز الدال على صدقه (والثاني) ما في التوراة والانجيل من ان هؤلاء الأنبياء كانوا على الحنيفية (والثالث) أن عندهم انما يقع اسم اليهودية على من تمسك بشريعة التوراة واسم النصرانية على من تمسك بشريعة الانجيل والكتابان انزلا بعدهم كما قال سبحانه وما أُنزلت التوراة والانجيل الا من بعده (والرابع) أنهم ادّعوا ذلك من غير برهان فوبَّخهم الله سبحانه بهذه الوجوه وقوله ﴿**قل أأنتم أعلم ام الله**﴾ صورته صورة الاستفهام والمراد به التوبيخ ومثله قوله ﴿**أأنتم أشد خلقاً أم السماء بناها**﴾ ومعناه قل يا محمد لهم أأنتم أعلم أم الله وقد أخبر سبحانه أنهم كانوا على الحنيفية وزعمتم أنهم كانوا هوداً أو نصارى فيلزمكم أن تَدّعوا أنكم أعلم من الله وهذا غاية الخزي فإن قيل لم قال أأنتم أعلم أم الله وقد كانوا يعلمونه فكتموه وإنما ظاهر هذا الخطاب لمن لا يعلم فالجواب أنّ من قال انهم كانوا على ظن وتوهم فوجه الكلام على قوله واضح ومن قال أنهم كانوا يعلمون ذلك وانما كانوا يجحدونه فمعناه أن منزلتكم منزلة المعترض على ما يعلم ان الله أخبر به فما ينفعه ذلك مع اقراره بأن الله أعلم منه وانه لا يخفى عليه شيء لأن ما دل

على أنه أعلم هو الدال على أنه لا يخفى عليه شيء وهو أنه عالم لذاته يعلم جميع المعلومات وقوله ﴿ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله﴾ فيه أقوال (أحدها) أنّ من في قوله من الله لابتداء الغاية وهو متصل بالشهادة لا بالكتمان ومعناه وما أحد أظلم ممن يكون عنده شهادة من الله فيكتمها والمراد بهذه الشهادة ان الله تعالى بَيَّن في كتابهم صحة نبوة محمد صلى الله عليه وآله والبشارة به عن الحسن وقتادة وقيل المراد بها ان إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب وأولاده كانوا حنفاء مسلمين فكتموا هذه الشهادة وادعوا أنهم كانوا على دينهم عن مجاهد فهذه شهادة من الله عندهم كتموها (والثاني) أن من متصل بالكتمان أي من اظلم ممن كتم ما في التوراة من الله أي من عبادة الله أو كتم شهادة ان يؤديها الى الله (والثالث) ان المراد من أظلم في كتمان الشهادة من الله لو كتمها وذلك نحو قولهم من أظلم ممن يجور على الفقير الضعيف من السلطان الغني القوي والمعنى أنه يلزمكم أنه لا أحد أظلم من الله اذا كتم شهادة عنده ليوقع عباده في الضلال وهو الغني عن ذلك المتعالي أي لو كانوا هوداً أو نصارى لأخبر بذلك وهذا المعنى قول البلخي وأبي مسلم وقوله ﴿وما الله بغافل عما تعملون﴾ أوْعَدهم سبحانه بما يجمع كل وعيد أي ليس الله بساهٍ عن كتمان الشهادة التي لزمكم القيام بها لله وقيل هو على عمومه أي لا يخفى على الله شيء من المعلومات فكونوا على حذر من الجزاء على أعمالكم بما تستحقون من العقاب .

﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ (١٤١) ﴾

قد مضى تفسير هذه الآية وقيل في وجه تكراره انه عَنى بالأول ابراهيم ومن ذكر معه من الأنبياء (ع) وبالثاني اسلاف اليهود وقيل أنه اذا اختلفت الأوقات والمواطن لم يكن التكرير معيباً ووجه اتصال الآية بما قبلها أنه يقول اذا سلم لكم ما ادعيتم من ان الأنبياء كانوا على دين اليهودية أو النصرانية فليس لكم فيه حجة لأنه لا يمتنع اختلاف الشرائع بالمصالح فلله سبحانه ان ينسخ من الشرائع ما شاء ويقرّ منهـا ما شاء على حسب ما تقتضيه الحكمة وقيل ان ذلك ورد مورد الوعظ لهم والزجر حتى لا يتكلموا على فضل الآباء والاجداد فإن ذلك لا ينفعهم اذا خالفوا أمر الله .

﴿ ۞ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل

لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾

[**اللغة**] السفيه والجاهل والغبي نظائر وقد ذكرنا معنى السفه والسفيه فيما مضى وولّاه عنه أي صرفه وفتله واشتقاقه من الولي وهو القرب وهو حصول الثاني بعد الأول من غير فصل فالثاني يلي الأول والثالث يلي الثاني ثم هكذا أبدا وولّى عنه خلاف وليّ اليه مثل قولك عدل عنه وعدل إليه وانصرف عنه وانصرف إليه فإذا كان الذي يليه متوجهاً اليه فهو متولٍّ إليه وإذا كان متوجهاً إلى خلاف جهته فهو متولٍّ عنه والقبلة مثل الجلسة للحال التي يقابل الشيء غيره عليها كما أن الجلسة للحال التي يجلس عليها وكان يقال فيما حكي هو لي قبلة وانا له قبلة ثم صار علماً على الجهة التي تستقبل في الصلاة .

[**الاعراب**] من الناس في محل النصب حال من السفهاء وما استفهام وهو مبتدأ وولّاهم خبره وعن قبلتهم مفعول ولّى .

[**المعنى**] ثم ذكر سبحانه الذين عابوا المسلمين بالانصراف عن قبلة بيت المقدس إلى الكعبة فقال ﴿**سيقول السفهاء من الناس**﴾ أي سوف يقول الجهال وهم الكفار الذين هم بعض الناس ﴿**ما وليهم عن قبلتهم التي كانوا عليها**﴾ أي أيُّ شيء حوَّلهم وصرفهم يعني المسلمين عن بيت المقدس الذي كانوا يتوجهون اليها[١] في صلاتهم اختلف في الذين قالوا ذلك فقال ابن عباس وغيره هم اليهود وقال الحسن هم مشركو العرب وان رسول الله لمّا حول الى الكعبة من بيت المقدس قالوا يا محمد رغبت عن قبلة آبائك ثم رجعت إليها فلترجعن الى دينهم وقال السدي هم المنافقون قالوا ذلك استهزاء بالاسلام واختلف في سبب مقالتهم ذلك فقيل أنهم قالوا ذلك على وجه الانكار للنسخ عن ابن عباس وقيل انهم قالوا يا محمد ما ولّاك عن قبلتك التي كنت عليها ارجع الى قبلتنا نتبعك ونؤمن بك أرادوا بذلك فتنته عن ابن عباس أيضاً وقيل انما قاله مشركو العرب ليوهموا ان الحق ما هم عليه واما الوجه في الصرف عن القبلة الأولى ففيه قولان (أحدهما) أنه لما علم الله تعالى في ذلك من تغير المصلحة و(الآخر) أنه لما بيّنه سبحانه بقوله ﴿**لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه**﴾ لأنهم كانوا بمكة امروا ان يتوجهوا الى بيت المقدس ليتميزوا من المشركين الذين كانوا يتوجهون الى الكعبة فلما انتقل رسول الله صلى الله عليه وآله الى المدينة كانت اليهود يتوجهون الى بيت المقدس فأمروا بالتوجه الى الكعبة

(١) كذا في النسخ والأنسب اليه لرجوع الضمير إلى بيت المقدس .

ليتميزوا من أولئك ﴿قل لله المشرق والمغرب﴾ هـو أمر من الله سبحانه لنبيه أن يقول لهؤلاء الذين عابوا انتقالهم من بيت المقدس الى الكعبة المشرق والمغرب ملك لله سبحانه يتصرف فيهما كيف شاء على ما تقتضيه حكمته وفي هذا ابطال القول من زعم أن الأرض المقدسة اولى بالتوجه اليها لأنها مواطن الأنبياء وقد شرَّفها الله وعظَّمها فلا وجه للتولية عنها فردَّ الله سبحانه عليهم بأن المواطن كلها لله يشرّف منها ما يشاء في كل زمان على ما يعلمه من مصالح العباد وعن ابن عباس كانت الصلاة إلى بيت المقدس بعد مقدم النبي صلى الله عليه وآله المدينة سبعة عشر شهراً وعن البراء بن عازب قال صليت مع رسول الله ﷺ نحو بيت المقدس ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً ثم صرفنا نحو الكعبة أورده مسلم في الصحيح وعن انس بن مالك انما كان ذلك تسعة أشهر أو عشرة أشهر وعن معاذ بن جبل ثلاثة عشر شهراً ورواه علي بن إبراهيم بإسناده عن الصادق (ع) قال تحولت القبلة إلى الكعبة بعدما صلى النبي ﷺ بمكة ثلاث عشرة سنة إلى بيت المقدس وبعد مهاجرته الى المدينة صلّى الى بيت المقدس سبعة أشهر قال ثم وجَّهه الله إلى الكعبة وذلك ان اليهود كانوا يُعيّرون رسول الله ﷺ ويقولون له أنت تابع لنا تصلي الى قبلتنا فاغتم رسول الله ﷺ من ذلك غماً شديداً وخرج في جوف الليل ينظر الى آفاق السماء ينتظر من الله تعالى في ذلك أمراً فلما اصبح وحضر وقت صلاة الظهر كان في مسجد بني سالم قد صلّى من الظهر ركعتين فنزل عليه جبرائيل (ع) فأخذ بعضديه وحوَّله الى الكعبة وأنزل عليه قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضيها فولِّ وجهك شطر المسجد الحرام وكان صلى ركعتين الى بيت المقدس وركعتين إلى الكعبة فقالت اليهود والسفهاء ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها قال الزجاج انما أمر بالصلاة الى بيت المقدس لأن مكة بيت الله الحرام كانت العرب آلفة لحجه فأحب الله أن يمتحن القوم بغير ما ألفوه ليظهر من يتبع الرسول ممن لا يتبعه وقوله ﴿يهدي من يشاء الى صراط مستقيم﴾ أي يدلّه ويرشده الى الدين وانما سماه الصراط لأنه طريق الجنة المؤدي إليها كما يؤدي الطريق الى المقصد وقيل[1] طريق الجنة .

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ وَمَا

(١) [إلى].

جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن
يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ
وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾

[**القراءة**] قرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وحفص عن عاصم لرؤوف على وزن رَعُوف وقرأ أبو جعفر لرووف مثقل غير مهموز والباقون لرؤوف على وزن رعف.

[**الحجة**] وجه من قرأ رؤوف انّ بناء فعول أكثر في كلامهم من فَعُل الا ترى ان باب ضروب وصبور اكثر من باب يَقُظ وحَذُر وقد جاء على هذه الزنة من صفات الله تعالى نحو غفور وشكور وودود ولا نعلم فَعُلا فيها وقال كعب بن مالك الانصاري.

نُطِيْعُ نَبِيَّنَا وَنُطِيْعُ رَبًّا ... هُوَ الرَّحْمٰنُ كَانَ بِنَا رَؤُوْفا

ومن قرأ رَؤُوفاً قال ان ذلك الغالب على اهل الحجاز قال الوليد بن عقبة لمعاوية.

وَشَرُّ الطَّالِبِيْنَ فَلَا تَكُنْهُ ... لِقَاتِلِ عَمِّهِ الرَّؤوفِ الرَّحِيمِ

وقال جرير :

تَرَى لِلْمُسْلِمِيْنَ عَلَيْكَ حَقّاً ... كَفِعْلِ الوَالِدِ الرَّؤوفِ الرَّحِيمِ

[**اللغة**] الوسط العدل وقيل الخيار ومعناهما واحد لأن العدل خير والخير عدل وقيل اخذ من المكان الذي يعدل المسافة منه إلى اطرافه وقيل بل اخذ من التوسط بين المقصر والغالي فالحق معه قال مؤرج اي وسطا بين الناس وبين انبيائهم قال زهير.

هُمُ وَسَطٌ يَرْضَى الأَنَامُ بِحُكْمِهِم ... إِذَا طَرَقَتْ إِحْدَى اللَّيَالِي بِمُعْظَمِ

قال صاحب العين الوسط من كل شيء اعدله وافضله وقيل الواسط والوسط كما قيل اليابس واليَبَس وقيل في صفة النبي صلى الله عليه وآله كان من اوسط قومه أي من خيارهم والعقب مؤخر القدم وعقب الانسان نسله قال ثعلب (نردّ على اعقابنا) أي نعقب بالشر بعد الخير وكذلك رجع على عقبيه والعُقبة الكَرة بعد الكرة في الركوب والمشي والتعقيب الرجوع إلى أمر تريده ومنه ولم يعقب وعَقَب الليلُ النهارَ يَعقِبُه والاضاعة مصدر اضاع يضيع وضاع الشيء ضياعاً وضيع الشيء تضييعاً وقال صاحب العين ضيعة الرجل حرفته ويقال ما ضيعتك أي حرفتك ومنه كل رجل وضيعته وترك عياله بضيعة ومضيعة والضيعة والضياع

معروف وأصل الضياع الهلاك قال أبو زيد رأفت بالرجل ارأف به رأفة ورافة ورؤفت به ارؤف به بمعنى .

[الاعراب] في الآية ثلاث لامات مختلفات فاللام في قوله لتكونوا لام كي وتكونوا في موضع نصب باضمار آن وتقديره لان تكونوا وان تكونوا في موضع جر باللام لأنها اللام الجارة في الاصل وفي قوله ﴿وإن كانت لكبيرة﴾ لام توكيد وهي لام الابتداء فُصِلت بينها وبين إن لئلا يجتمع حرفان متفقان في المعنى وهي تلزم إن المخففة من الثقيلة لئلا تلتبس بإن النافية التي هي بمعنى ما في مثل قوله ﴿ان الكافرون الا في غرور﴾ وقال الكوفيون ان في مثل هذا الموضع بمعنى ما واللام بمعنى الا تقديره وما كانت الا كبيرة وانكر البصريون ذلك لأنه لو كان كذلك لجاز أن يقال جاء القوم لزيداً بمعنى الا زيداً وأما(١) في قوله ﴿وما كان الله ليضيع إيمانكم﴾ فلام تأكيد نفي وأصلها لام الاضافة أيضاً وينتصب الفعل بعدها باضمار آن ايضاً الا انه لا يجوز اظهار آن بعدها لأن التقدير ما كان الله مضيعاً إيمانكم فلما حمل معناه على التأويل حمل لفظه أيضاً على التأويل من غير تصريح باظهار أن ويجوز أظهار أن بعد لام كي كما ذكرناه والكاف في قوله وكذلك كاف التشبيه وهو في موضع النصب بالمصدر وذلك اشارة إلى الهداية من قوله ﴿يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم﴾ والتقدير انعمنا عليكم بالعدالة كما انعمنا عليكم بالهداية والعامل في الكاف جعلنا كأنه قيل يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم فقد انعمنا عليكم بذلك وجعلناكم أمة وسطاً فانعمنا مثل ذلك الانعام الا انَّ جعلنا يدل على انعمنا وهدى الله صلة الذين والضمير العائد إلى الموصول محذوف فتقديره على الذين هداهم الله والجار والمجرور في محل نصب على الاستثناء تقديره وان كانت لكبيرة على الكل الا على الذين هدى الله .

[المعنى] ثم بيَّن سبحانه فضل هذه الأمة على سائر الأمم فقال سبحانه ﴿وكذلك جعلناكم امة وسطا﴾ وقد ذكرنا وجه تعلق الكاف المضاف إلى ذلك بما تقدمْ اخبر عزِ اسمه أنه جعل امة نبيه محمد ﷺ عدلاً وواسطة بين الرسول والناس ومتى قيل إذا كان في الأمة من ليس هذه صفته فكيف وصف جماعتهم بذلك فالجواب ان المراد به من كان بتلك الصفة ولأن كل عصر لا يخلو من جماعة هذه صفتهم وروي بريد بن معاوية العجلي عن الباقر (ع) نحن الأمة الوسط ونحن شهداء الله على خلقه وحجته في ارضه وفي رواية اخرى قال الينا يرجع الغالي وبنا يلحق المقصر وروى الحاكم أبو القاسم الحسكاني

(١) [اللام].

في كتاب شواهد التنزيل لقواعد التفضيل بإسناده عن سليم بن قيس الهلالي عن علي (ع) ان الله تعالى ايانا عني بقوله ﴿لتكونوا شهداء على الناس﴾ فرسول الله شاهد علينا ونحن شهداء الله على خلقه وحجته في ارضه ونحن الذين قال الله تعالى ﴿كذلك جعلناكم أمة وسطاً﴾ وقوله ﴿لتكونوا شهداء على الناس﴾ فيه ثلاثة اقوال (احدها) ان المعنى لتشهدوا على الناس بأعمالهم التي خالفوا فيها الحق في الدنيا وفي الآخرة كما قال وجيء بالنبيين والشهداء وقال ويوم يقوم الاشهاد وقال ابن زيد الاشهاد اربعة الملائكة والانبياء وامة محمد ﷺ والجوارح كما قال يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وأرجلهم الآية (والثاني) ان المعنى لتكونوا حجة على الناس فتبينوا لهم الحق والدين ويكون الرسول عليكم شهيداً مؤدياً للدين اليكم وسمي الشاهد شاهداً لأنه يبين ولذلك يقال للشهادة بينة (والثالث) انهم يشهدون للانبياء على اممهم المكذبين لهم بانهم قد بَلّغوا وجاز ذلك لاعلام النبي ﷺ اياهم بذلك وقوله ﴿ويكون الرسول عليكم شهيداً﴾ أي شاهداً عليكم بما يكون من اعمالكم وقيل حجة عليكم وقيل شهيداً لكم بأنكم قد صدقتم يوم القيامة فيما تشهدون به وتكون على بمعنى اللام كقوله وما ذبح على النصب أي للنصب وقوله ﴿وما جعلنا القبلة التي كنت عليها﴾ قيل معنى كنت عليها صرت عليها وانت عليها يعني الكعبة كقوله ﴿كنتم خير أمة﴾ أي خير أمة وقيل هو الاصح يعني بيت المقدس الذي كانوا يصلون اليها[1] أي صرفناك عن القبلة التي كنت عليها الا لنعلم أو ما جعلنا القبلة التي كنت عليها فصرفناك عنها ﴿الا لنعلم﴾ وحذف لدلالة الكلام عليه وفي قوله الا لنعلم اقوال (اولها) ان معناه ليعلم حزبنا من النبي والمؤمنين كما يقول الملك فتحنا بلد كذا أو فعلنا كذا أي فتح أولياؤنا والثاني ان معناه ليحصل المعلوم موجوداً وتقديره ليعلم أنه موجود فلا يصح وصفه بأنه عالم بوجود المعلوم قبل وجوده والثالث ان معناه لنعاملكم معاملة المختبر الممتحن الذي كأنه لا يعلم إذ العدل يوجب ذلك من حيث لو عاملهم بما يعلم أنه يكون منهم قبل وقوعه كان ظلماً والرابع ما قاله علم الهدى المرتضى قدس الله روحه وهو ان قوله لنعلم تقتضي حقيقة ان يعلم هو وغيره ولا يحصل علمه مع علم غيره الا بعد حصول الاتباع فأما قبل حصوله فيكون القديم سبحانه هو المنفرد بالعلم به فصح ظاهر الآية وقوله ﴿من يتبع الرسول﴾ أي يؤمن به ويتبعه في اقواله وافعاله ﴿ممن ينقلب على عقبيه﴾ فيه قولان (احدهما) ان قوماً ارتدوا عن الاسلام لما حولت القبلة جهلاً منهم بما فيه من وجوه

(١) والظاهر «اليه» بتذكير الضمير بدل «اليها» كما تقدم.

الحكمة والآخر ان المراد به كل مقيم على كفره لأن جهة الاستقامة اقبال وخلافها ادبار ولذلك وصف الكافر بأنه ادبر واستكبر وأنه كذب وتولى أي عن الحق وقوله ﴿**وأن كانت لكبيرة الا على الذين هدى الله**﴾ الضمير في كانت يعود إلى القبلة على قول أبي العالية أي وقد كانت القبلة كبيرة وقيل الضمير يرجع إلى التحويلة وما ارقة القبلة الاولى عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وهو الاقوى لأن القوم إنما ثقل عليهم التحول لانفس القبلة وقيل الضمير يرجع إلى الصلاة عن ابن زيد وقوله لكبيرة قال الحسن معناه ثقيلة يعني التحويلة إلى بيت المقدس لأن العرب لم تكن قبلة احب اليهم من الكعبة وقيل معناه عظيمة على من لا يعرف ما فيها من وجه الحكمة فأما الذين هداهم الله لذلك فلا تعظم عليهم وهم الذين صدّقوا الرسول في التحول إلى الكعبة وإنما خص المؤمنين بأنه هداهم وان كان قد هدى جميع الخلق لأنه ذكرهم على طريق المدح ولأنهم الذين انتفعوا بهدى الله وغيرهم كأنه لم يتعدّ بهم وقوله ﴿**وما كان الله ليضيع ايمانكم**﴾ قيل فيه اقوال (احدها) أنه لما حوّلت القبلة قال ناس كيف بأعمالنا التي كنا نعمل في قبلتنا الاولى فأنزل الله﴿**وماكان الله ليضيع إيمانكم**﴾ عن ابن عباس وقتادة وقيل أنهم قالوا كيف بمن مات من اخواننا قبل ذلك وكان قدمات اسعد بن زرارة والبراء بن معرور وكانا من النقباء فقال وما كان الله ليضيع إيمانكم أي صلاتكم إلى بيت المقدس ويمكن على هذا ان يحمل الإيمان على اصله في التصديق أي لا يضيع تصديقكم بأمر تلك القبلة (وثانيها) انه لما ذكر ما عليهم من المشقة في التحويلة اتبعه بذكر مالهم عنده بذلك من المثوبة وانه لا يضيع ما عملوه من الكلفة فيه لأن التذكير به يبعث على ملازمة الحق والرضا به عن الحسن (وثالثها) أنه لما ذكر انعامه عليهم بالتولية إلى الكعبة ذكر السبب الذي استحقوا به ذلك الانعام وهو إيمانهم بما حملوه اولاً فقال وما كان الله ليضيع إيمانكم الذي استحققتم به تبليغ محبتكم في التوجه الى الكعبة عن أبي القاسم البلخي وقوله ﴿**إنَّ الله بالناس لرؤوف رحيم**﴾ رؤوف بهم لا يضيع عنده عمل عامل منهم والرأفة أشد الرحمة دل سبحانه بالرأفة والرحمة على أنه يوفر عليهم ما استحقّوه من الثواب من غير تضييع لشيء منه وقيل أنه سبحانه دلّ بقوله رؤوف رحيم على أنه منعم على الناس بتحويل القبلة واستدلّ كثير من العلماء بهذه الآية على ان اجماع الأمة حجة من حيث أنه وصفهم بأنهم عدول فإذا عدّلهم الله تعالى لم يجز ان تكون شهادتهم مردودة والصحيح انها لا تدلّ على ذلك لأن ظاهر الآية ان يكون كل واحد من الأمة بهذه الصفة ومعلوم خلاف ذلك ومتى حملوا الآية على بعض الأمة لم يكونوا باولى ممن يحملها على المعصومين والأئمة من آل الرسول عليهم السلام وفي هذه الآية

دلالة على جواز النسخ في الشريعة بل على وقوعه لأنه قال وما جعلنا القبلة التي كنت عليها فاخبر أنه تعالى هو الجاعل لتلك القبلة وأنه هو الذي نقله عنها وذلك هو النسخ.

﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾

[**اللغة**] الرؤية هي ادراك الشيء بالبصر ونظيره الابصار ثم تستعمل بمعنى العلم والتقلب والتحول والتصرف نظائر وهو التحرّك في الجهات ويقال ولّيتك القبلة اي صيرّتك تستقبلها بوجهك وليس هذا المعنى في فعلت منه لأنك تقول ولّيت الدار فلا يكون فيه دلالة على انك واجهتها ففعلت في هذه الكلمة ليس بمنقول من فعلّت الذي هو ولّيت وقد جاءت هذه الكلمة مستعملة على خلاف المقابلة والمواجهة في نحو قوله **﴿ويولّون الدبر﴾** وقوله **﴿ويولوكم الأدبار﴾** فهذامنقول من قولهم داري تلي داره تقول وليت ميامنه وولاني ميامنه مثل فرح وفرحته والرضا والمحبة نظيران وإنما يظهر الفرق بضديهما فالمحبة ضدها البغض والرضا ضده السخط وهو يرجع إلى الارادة فإذا قيل رضي عنه فكأنه اراد تعظيمه وثوابه وإذا قيل رضي عمله فكأنه اراد ذلك والسخط ارادة الانتقام وشطر المسجد الحرام أي نحوه وتلقاءه قال الشاعر.

وَقَدْ أَظَلَّكُمْ مِنْ شَطْرِ ثَغْرِكُمُ هَوْلٌ لَهُ ظُلَمٌ يَغْشَاكُمُ قِطَعَا

أي من نحو ثغركم وقال:

إنَّ العَسِيْرَ بِهَا دَاءٌ يُخَامِرُهَا فَشَطْرَهَا نَظَرُ العَيْنَيْنِ مَحْسُوْرُ (١)

أي نحوها قال الزجاج يقال هؤلاء القوم مشاطرونا أي دورهم تتصل بدورنا كما يقال هؤلاء يناحوننا أي نحن نحوهم وهم نحونا وقال صاحب العين شطر كل شيء نصفه وشطره

(١) العسير: الناقة يصعب ركوبها اول رياضتها وفي النسخ التي عندنا «العشير» بالشين المعجمة بدل المهملة وله معان: منها القبيلة ومنها المرأة. حسر بصره أي كلَّ وانقطع. يخامرها: يمتزج بها.

نحوه وقصده ومنه المثل احلب حلبا لك سطره أي نصفه وشطرت الشيء أي جعلته والحرام المُحرّم كما ان الكتاب بمعنى المكتوب والحساب بمعنى المحسوب والحق وضع الشيء في موضعه إذا لم يكن فيه وجه من وجوه القبح والغفلة هي السهو عن بعض الاشياء خاصة وإذا كان السهو عاماً فهو فوق الغفلة لأن النائم لا يقال له غفل الا مجازاً.

[**الاعراب**] حيث ما كنتم موضع كنتم جزم بالشرط وتقديره وحيثما تكونوا والفاء[1] وما بعده في موضع الجزاء ولا يجازي بحيث وإذ حتى يكفّ كل واحد منهما بما وذلك لأنهما لا يكونان الا مضافين إلى ما بعدهما من الجملة قبل المجازاة بهما فالزما في المجازاة ما لتكفّهما عن الاضافة لأن الاضافة تمنع الجزاء بهما وذلك لأن الفعل إذا وقع في موضع اسم ارتفع المضاف إليه في موضع اسم مجرور وموضعه جر بالإضافة فيمتنع جزمه بالجزاء مع وجود شرط الرفع فيه فلما كان كذلك كُفّا بما لتهيّئهما لجزم فعل الشرط بالجزاء وشطر منصوب على الظرف.

[**النزول**] قال المفسرون كانت الكعبة احبّ القبلتين إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال لجبريل وددت ان الله صرفني عن قبلة اليهود إلى غيرها فقال له جبريل (ع) إنما انا عبد مثلك وانت كريم على ربك فادع ربك وسله ثم ارتفع جبريل وجعل رسول الله ﷺ يديم النظر إلى السماء رجاء ان يأتيه جبريل بالذي سأل ربه فأنزل الله تعالى هذه الآية فقال.

[**المعنى**] **﴿قد نرى تقلب وجهك﴾** يا محمد **﴿في السماء﴾** لانتظار الوحي في أمر القبلة وقيل في سبب تقليب النبي وجهه في السماء قولان[2] (أحدهما) أنه كان وعد بتحويل القبلة عن بيت المقدس فكان يفعل ذلك انتظاراً وتوقعاً للموعود كما ان من انتظر شيئاً فإنه يجعل بصره إلى الجهة التي يتوقع وروده منها (والثاني) انه كان يكره قبلة بيت المقدس ويهوى قبلة الكعبة وكان لا يسأل الله تعالى ذلك لأنه لا يجوز للأنبياء ان يسألوا الله تعالى شيئاً من غير ان يؤذن لهم فيه لأنه يجوز ان لا يكون فيه مصلحة فلا يجابون إلى ذلك فيكون فتنة لقومهم واختلف في سبب ارادته تحويل القبلة إلى الكعبة فقيل لان الكعبة

---

(١) [فولوا جملة في محل الرفع لوقوعها موقع الفعل المضارع بعد الفاء والفاء مع ما بعده في محل الجزم لانه جواب الشرط].

(٢) وفي النسخ التي عدنا «وجهان» بدل «قولان».

كانت قبلة ابيه إبراهيم (ع) وقبلة آبائه عن ابن عباس وقيل لان اليهود قالوا يخالفنا محمد في ديننا ويتبّع قبلتنا عن مجاهد وقيل ان اليهود قالوا مادري محمد واصحابه اين قبلتهم حتى هديناهم عن ابن زيد وقيل كانت العرب يحبّون الكعبة ويعظّمونها غاية التعظيم فكان في التوجه إليها استمالة لقلوبهم ليكونوا احرص على الصلاة إليها وكان ﷺ حريصاً على استدعائهم إلى الدين ويحتمل ان يكون إنما احبّ ذلك لجميع هذه الوجوه إذ لا تنافي بينها وقوله ﴿**فلنولينك قبلة ترضيها**﴾ أي فلنصرفنّك إلى قبلة تريدها وتحبّها وإنما اراد به محبة الطباع لا أنه كان يسخط القبلة الاولى ﴿**فولِّ وجهك شطر المسجد الحرام**﴾ أي حوّل نفسك نحو المسجد الحرام لأن وجه الشيء نفسه وقيل إنما ذكر الوجه لأن به يظهر التوجّه وقال أبو علي الجبائي اراد بالشطر النصف فأمره الله تعالى بالتوجه إلى نصف المسجد الحرام حتى يكون مقابل الكعبة وهذا خطأ لأنه خلاف أقوال المفسرين ﴿**وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره**﴾ أي أينما كنتم من الأرض في برٍّ أو بحرٍ أو سهلٍ أو جبل فولوا وجوهكم نحوه فالاول خطاب للنبي ﷺ واهل المدينة (والثاني) خطاب لجميع اهل الآفاق ولو اقتصر على الاول لجاز ان يظنّ ان ذلك قبلتهم حسب فبينّ سبحانه انه قبلة لجميع المصلين في مشارق الأرض ومغاربها وذكر أبو إسحاق الثعلبي في كتابه عن ابن عباس أنه قال البيت كله قبلة وقبلة البيت الباب والبيت قبلة أهل المسجد والمسجد قبلة أهل الحرم والحرم قبلة اهل الارض كلها وهذا موافق لما قاله اصحابنا ان الحرم قبلة من نأى عن الحرم من أهل الآفاق وقوله ﴿**وان الذين اوتوا الكتاب**﴾ اراد به علماء اليهود وقيل علماء اليهود والنصارى ﴿ **ليعلمون أنه الحق من ربهم**﴾ أي يعلمون ان تحويل القبلة إلى الكعبة حق مأمور به من ربهم وإنما علموا ذلك لأنه كان في بشارة الانبياء لهم ان يكون نبيّ مَنْ صفاته كذا وكذا وكان في صفاته أنه يصلي إلى القبلتين وروي انهم قالوا عند التحويل ما أمرت بهذا يا محمد وإنما هو شيء تبتدعه من تلقاء نفسك مرة إلى هنا ومرة إلى هنا فأنزل الله تعالى هذه الآية وبيَّن انهم يعلمون خلاف ما يقولون﴿**وما الله بغافل عما يعملون**﴾ أي ليس الله بغافل عما يعمل هؤلاء من كتمان صفة محمد صلى الله عليه وآله والمعاندة ودلّ هذا على ان المراد بالآية قوم معدودون يجوز على مثلهم التواطؤ على الكذب وعلى ان يظهروا خلاف ما يبطنون فأما الجمع العظيم فلا يجوز عليهم التواطؤ على الكذب ولا يتأتى فيهم كلهم ان يظهروا خلاف ما يعلمون وهذه الآية ناسخة لفرض التوجه إلى بيت المقدس وقال ابن عباس أول ما نسخ من القرآن فيما ذكر لنا شأن القبلة وقال قتادة نسخت هذه الآية ما قبلها وقال جعفر بن مبشر هذا مما نسخ من السنة بالقرآن

وهذا هو الاقوى لانه ليس في القرآن ما يدل على التعبد بالتوجه إلى بيت المقدس ومن قال انها نسخت قوله ﴿فأينما تولوا فثمّ وجه الله﴾ فإن هذه الآية عندنا مخصوصة بالنوافل في حال السفر روي ذلك عن ابي جعفر وابي عبد الله عليهما السلام وليست بمنسوخة واختلف الناس في صلاة النبي صلى الله عليه وآله إلى بيت المقدس فقال قوم كان عليه السلام يصلي بمكة إلى الكعبة فلما هاجر إلى المدينة امره الله تعالى ان يصلي إلى بيت المقدس ثم اعيد إلى الكعبة وقال قوم كان يصلي بمكة إلى بيت المقدس الا انه كان يجعل الكعبة بينه وبينها ولا يصلي في غير المكان الذي يمكن هذا فيه وقال قوم بل كان يصلي بمكة وبعد قدومه المدينة إلى بيت المقدس ولم يكن عليه ان يجعل الكعبة بينه وبينها ثم أمره الله تعالى بالتوجه إلى الكعبة.

﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُواْ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾

[**الاعراب**] اختلف النحويون في انّ لئن لم اجيبت بجواب لو فقال الاخفش اجيبت بجواب لو لأن الماضي وليها كما يلي لو فدخلت كل واحدة منهما على صاحبتها قال سبحانه ﴿**ولئن أرسلنا ريحاً فرأوه مصفراً لظلوا**﴾ فجرى لئن مجرى لو وقال ولو أنهم آمنوا واتقوا ثم قال لمثوبة فجرى مجرى لئن وقال سيبويه وأصحابه ان معنى لظلوا ليظلنّ فمعنى لئن غير معنى لو وكل واحدة منهما على حقيقتها وحقيقة معنى لو انها يمتنع بها الشيء لامتناع غيره كقولك لو اتيتني لاكرمتك فامتنع الاكرام لامتناع الاتيان ومعنى إن أن يقع بها الشيء لوقوع غيره تقول ان تأتني اكرمك فالاكرام يقع بوقوع الاتيان ولو لما مضى وان لما يستقبل وإنما الحق في الجواب هذا التداخل لدلالة اللام على معنى القسم فمجيء جواب القسم اغنى عن جواب الشرط لدلالته عليه وكذلك قوله ﴿**انك إذا لمن الظالمين**﴾ ليس بجواب للشرط على الحقيقة ولكنه جواب القسم وقد اغنى عن الجزاء بدلالته عليه وإنما يجاب الشرط بالفعل أو بالفاء أو باذا على ما هو مشروح في مواضعه.

[**المعنى**] ﴿**ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب**﴾ في الكلام معنى القسم أي والله لئن

اتيت الذين اعطوا الكتاب يعني أهل العناد من علماء اليهود والنصارى عن الزجاج والبلخي وقيل المعني به جميع اهل الكتاب عن الحسن وابي علي **﴿بكل آية﴾** أي بكل حجة ودلالة **﴿ما تبعوا قبلتك﴾** أي لا يجتمعون على اتباع قبلتك على القول الثاني وعلى القول الاول لا يؤمن منهم احد لأن المعاند لا تنفعه الدلالة وإنما تنفع الجاهل الذي لا يعلم **﴿وما انت بتابع قبلتهم﴾** في معناه اربعة اقوال (احدها) انه رفع لتجويز النسخ وبيان ان هذه القبلة لا تنسخ (وثانيها) أنه على وجه المقابلة لقوله **﴿ما تبعوا قبلتك﴾** كما يقال ما هم بتاركي انكار الحق وما انت بتارك الاعتراف به فيكون الذي جر الكلام الثاني هو التقابل للكلام الأول (وثالثها) ان المراد ليس يمكنك استصلاحهم باتباع قبلتهم لاختلاف وجهتهم لأن النصارى تتوجه إلى جهة المشرق الموضع الذي ولد فيه عيسى عليه السلام واليهود إلى بيت المقدس فبيّن الله سبحانه ان ارضاء الفريقين محال (ورابعها) ان المراد حَسْم اطماع اهل الكتاب من اليهود إذ كانوا طمعوا في ذلك وظنّوا انه يرجع إلى الصلاة إلى بيت المقدس وقوله **﴿وما بعضهم بتابع قبلة بعض﴾** في معناه قولان (احدهما) أنه لا تصير النصارى كلهم يهوداً أو تصير اليهود كلهم نصارى ابدا كما لا يتبع جميعهم الاسلام وهذا من الاخبار بالغيب قاله الحسن والسدي (الآخر) ان معناه اسقاط اعتلالهم بانه لا يجوز مخالفة اهل الكتاب فيما ورثوه عن أنبياء الله وان بيت المقدس لم يزل كان قبله الانبياء فهو اولى بأن يكون قبلة أي فكما جاز ان يخالف بين وجهتيهم للاستصلاح جاز ان يخالف بوجهة ثالثة في زمان آخر للاستصلاح ويحتمل أيضاً ان يجري الكلام على الظاهر لأنه لم يثبت ان يهودياً تنصّر ولا ان نصرانياً تهوّد فلا ضرورة بنا إلى العدول عن الظاهر إلى التأويل وهذا قول القاضي وقوله **﴿ولئن اتبعت اهواءهم﴾** الخطاب للنبي صلى الله عليه وآله وفيه اربعة اقوال (اولها) ان المراد به غيره من امته وان كان الخطاب له والمراد الدلالة على ان الوعيد يستحق باتباع اهوائهم وان اتباعهم ردة عن الحسن والزجاج (وثانيها) ان المراد ان اتبعت أهواءهم في المداراة لهم حرصاً أن يؤمنوا انك إذاً لمن الظالمين لنفسك مع اعلامنا اياك انهم لا يؤمنون عن الجبائي و(ثالثها) ان معناه الدلالة على فساد مذاهبهم وتبكيتهم[1] بهاوان من تبعهم كان ظالماً (ورابعها) انه على سبيل الزجر عن الركون اليهم ومقاربتهم تقوية لنفسه ومتبعي شريعته ليستمروا على عداوتهم عن القاضي **﴿من بعد ما جاءك من العلم﴾** اي من الآيات والوحي الذي هو طريق العلم وقيل من بعد ما علمت ان الحق ما انت عليه من القبلة والدين **﴿أنك إذا لمن الظالمين﴾** وقد مضى معناه وهو

(١) التبكيت : الغلبة بالحجة.

مثل قوله ﴿لئن اشركت ليحبطنّ عملك﴾ وفي هذه الآية دلالة على فساد قول من قال أنه لا يصح الوعيد بشرط وانّ مَنْ علم الله تعالى أنه يؤمن لا يستحق العقاب اصلاً لأن الله تعالى علّق الوعيد بشرط يوجب أنه متى حصل الشرط يحصل استحقاق العقاب وفيها دلالة على فساد قول من زعم ان في المقدور لطفاً لو فعله الله تعالى بالكافر لآمن لا محالة لقوله ﴿ان أتيتهم بكل آية ما تبعوا قبلتك﴾ فعلى قول من قال المراد به المعاند لا ينفعه شيء من الآيات وعلى قول من قال المراد به جميع الكفار فلا لطف لهم أيضاً يؤمنون عنده فعلى الوجهين معا يبطل قولهم وفيها دلالة أيضاً على ان جميع الكفار لايؤمنون.

﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٤٦﴾

[**المعنى**] أخبر الله سبحانه بأنهم يعرفون النبي عليه السلام وصحة نبوّته فقال ﴿**الذين آتيناهم**﴾ أي اعطيناهم ﴿**الكتاب**﴾ وهم العلماء منهم ﴿**يعرفونه**﴾ أي يعرفون محمّداً وانه حقّ ﴿**كما يعرفون ابنائهم**﴾ قيل والضمير في يعرفونه يعود إلى العلم من قوله من العلم يعني النبوة وقيل الضمير يعود إلى أمر القبلة أي يعرفون ان أمر القبلة حق عن ابن عباس فإن قيل كيف قال يعرفونه كما يعرفون ابناءهم وهم كانوا يعرفون ابناءهم من جهة الحكم ويعرفون امر النبي (ع) من جهة الحقيقة قيل أنه شبّه المعرفة بالمعرفة ولم يُشبِّه طريق المعرفة بطريق المعرفة وكل واحدة من المعرفتين كالأخرى وان اختلف الطريقان ﴿**وان فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون**﴾ إنما خصّ الفريق منهم لأن من اهل الكتاب مَنْ اسلم كعبد الله بن سلام وكعب الاحبار وغيرهما.

﴿ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ١٤٧﴾

[**اللغة**] الامتراء الاستخراج وقيل الاستدرار قال الاعشى.

تَـدِرُّ عَـلَى أَسْـوُقِ الْمُـمْتَـرِيْـن ... وَكْفاً إذا مَـا السَّحَـابُ إرْجَحَنّ(١)

يعني الشاكّين في درورها لطول سيرها وقيل المستخرجين ما عندها قال صاحب

(١) ناقة وكوف أي غزيرة.

العين المَرْي مسحُك ضرع الناقة تَمريها لتسكن للحلب والريح تَمري السحاب مَرْيا والمِرْية من ذلك والمرية الشك ومنه الامتراء والتماري والمماراة والمراء الجدال واصل الباب الاستدرار يقال بالشكر تُمتْرَي النعم أي تستدر.

[**الإعراب**] الحق مرفوع بأنه خبر مبتدأ محذوف وتقديره ذلك الحق أو هو الحق ومثله مررت برجل كريم زيد أي هو زيد ولو نصب لجاز في العربية على تقدير اعلم الحق من ربك أو اقرء الحق والنون في لا تكونن نون التأكيد يؤكد بها الأمر والنهي ولا يؤكد بها الخبر لما كان يدل على كون المخبر به وليس كذلك الأمر والنهي والاستخبار فالزم الخبر التأكيد بالقسم وجوابه واختصت هذه الاشياء بنون التأكيد ليدل على اختلاف المعنى في المؤكد ولما كان الخبر اصل الجمل أُكِدّ بابلغ التأكيد وهو القسم.

[**المعنى**] هو ﴿**الحق من ربك**﴾ وهو ما آتاه الله من الوحي والكتاب والشرائع ﴿**فلا تكونن من الممترين**﴾ من الشاكين في الحق الذي تقدم اخبار الله تعالى به وفي عناد من كتم النبوَّة وامتناعهم من الاجتماع على ما قامت به الحجة وقيل من الممترين في شيء يلزمك العلم به وهذا اولى لأنه اعمّ والخطاب وان كان متوجهاً إلى النبي عليه السلام فالمراد به الأمة كقوله عز اسمه ﴿**يا أيها النبي إذا طلقتم النساء**﴾ وأمثاله وقيل الخطاب له لأنه يجوز عليه ذلك لملازمته(١) أمر الله سبحانه ولو لم يكن هناك أمر لم تصح الملازمة وفي هذا دلالة على جواز ثبوت القدرة على خلاف المعلوم خلافاً لقول المجبرة.

﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ۖ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ۚ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾

[**القراءة**] قرأ ابن عامر وأبو بكر عن عاصم هو مولاَّها وروي ذلك عن ابن عباس ومحمد بن علي الباقر والباقون هو مُوَلّيها.

[**الحجة**] من قرأ هو مُوَلّيها فالضمير الذي هو هو لله تعالى والتقدير الله موليها اياه حذف المفعول الثاني لجري ذكره المظهر وهو كل في قوله ﴿**ولكل وجهة**﴾ وهو مبتدأ وموليها خبره والجملة التي هي هو مُوَلّيها في موضع رفع لكونها وصفاً لوجْهة من قرأ هو مُولاَّها

(١) أي ملازمة النبي صلى الله عليه وآله لأمر الله.

فالضمير الذي هو هو لكل وقد جرى ذكره وقد استوفى الاسم الجاري على الفعل المبني للمفعول مفعوليه اللذينَ يقتضيهما احدهما الضمير المرفوع من مولّى والآخر ضمير المؤنث ويجوز ان يكون الضمير الذي هو هو في قوله ﴿**هو مُوَلّيها**﴾ عائداً إلى كلّ والتقدير لكل وجهة هو مولّيها وجهه أي كل اهل وجهة هم الذين وَلّوا وجوههم الى تلك الجهة.

[**اللغة**] اختلف اهل العربية في وجهة فبعضهم يذهب إلى أنه مصدر شذّ عن القياس فجاء مصححاً ومنهم من يقول هو اسم ليس بمصدر جاء على اصله وانه لو كان مصدراً جاء مصححاً للزم ان يجيءَ فعله أيضاً مصححاً الا ترى ان هذا المصدر إنما اعتلَّ على الفعل حيث كان عاملاً عمله وكان على حركاته وسكونه فلو صحّ لصحّ الفعل لأن هذه الافعال المعتلّة إذا صحت في موضع تبعها باقي ذلك فوجهة اسم للمتوجه والجهة المصدر قالوا وَجِّه الحجرَ جهةً مّاله يريدون هنا المصدر وما زائدة وله في موضع الصفة للنكرة والاستباق والابتدار والاسراع نظائر وله في هذا الأمر سُبْقة وسابقة وسبق أي سبق الناس إليه.

[**المعنى**] هذا بيان لأمر القبلة أيضاً وقوله ﴿**ولكل وجهة**﴾ فيه اقوال (احدها) ان معناه لكل اهل ملة من اليهود والنصارى قبلة عن مجاهد واكثر المفسرين و (ثانيها) ان لكل نبيّ وصاحب ملة وجهة اي طريقة وهي الاسلام وان اختلفت الاحكام كقوله تعالى ﴿**لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً**﴾ يعني شرائع الانبياء عن الحسن و (ثالثها) ان لكل من المسلمين واهل الكتاب قبلة يعني صلاتهم إلى بيت المقدس وصلاتهم إلى الكعبة عن قتادة و (رابعها) ان لكل قوم من المسلمين وجهة من كان منهم وراء الكعبة أو قدامها أو عن يمينها أو عن شمالها وهو اختيار الجبائي ﴿**هو موَلّيها**﴾ أي الله موليها اياهم ومعنى توليته لهم اياها انه امرهم بالتوجه نحوها في صلاتهم إليها ويدل على ذلك قوله ﴿**فلنولّينّك قبلة ترضاها**﴾ وقيل معناه لكلٍّ مولّي الوجهة وجهه أو نفسه الا انه استغني عن ذكر النفس والوجه وكل وان كان مجموع المعنى فهو موحد اللفظ فجاء البناء على لفظه فلذلك قال هو في الكناية عنه وان كان المراد به الجمع والمعنى كل جماعة منهم يولونها وجوههم ويستقبلونها وقوله ﴿**فاستبقوا الخيرات**﴾ معناه سارعوا إلى الخيرات عن الربيع والخيرات هي الطاعات لله تعالى وقيل معناه بادروا إلى القبول من الله عز وجل فيما يأمركم به مبادرة من يطلب السبق إليه عن الزجاج وقيل معناه تنافسوا فيما رغبتم فيه من الخير فلكل عندي ثوابه عن ابن عباس وقوله ﴿**اينما تكونوا يأت بكم الله جميعاً**﴾ أي حيثما مِتّم من بلاد الله

سبحانه يأت بكم الله إلى المحشر يوم القيامة وروي في اخبار اهل البيت عليهم السلام ان المراد به أصحاب المهدي في آخر الزمان قال الرضا (ع) وذلك والله لو قام قائمنا يجمع الله إليه جميع شيعتنا من جميع البلدان **﴿ان الله على كل شيء قدير﴾** أي هو قادر على جمعكم وحشركم وعلى كل شيء .

﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾

[المعنى] ﴿ومن حيث خرجت﴾ من البلاد **﴿فول وجهك شطر المسجد الحرام﴾** أي فاستقبل بوجهك تلقاء المسجد الحرام وقيل في تكراره وجوه (احدها) انه لما كان فرضاً نسخ ما قبله كان من مواضع التأكيد والتبيين لينصرف الخلق إلى الحال الثانية من الحال الاولى على يقين و (ثانيها) انه مقدم لما يأتي بعده ويتصل به فاشبه الاسم الذي تكرر ليخبر عنه باخبار كثيرة كما يقال زيد كريم زيد عالم زيد فاضل وما اشبه ذلك مما يذكر لتعلق الفائدة به و (ثالثها) أنه في الاول بيان لحال الحضر وفي الثاني بيان لحال السفر وقوله **﴿وأنه للحق من ربك﴾** معناه وان التوجه إلى الكعبة الحق المأمور به من ربك ويحتمل ان يراد بالحق الثابت الذي لا يزول بنسخ كما يوصف القديم سبحانه بأنه الحق الثابت الذي لا يزول **﴿وما الله بغافل عما تعملون﴾** معناه هنا التهديد كما يقول الملك لعبيده ليس يخفى عليّ ما أنتم عليه فيه ومثله قوله **﴿ان ربك لبالمرصاد﴾** .

﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾

[الاعراب] لئلا يكون هو لأن لا كتبت الهمزة ياء لكسرة ما قبلها وترك نافع همزها

تخفيفاً وادغمت النون في اللام وموضع اللام من لئلا نصبٌ والعامل فيه فولّوا وقال الزجاج العامل فيه ما دخل الكلام من معنى عرفتكم ذلك لئلا يكون وكذلك قوله ﴿ولأتِمَّ نعمتي﴾ اللام تتعلق بقوله فولّوا وتقديره لأن اتمّ وقوله ﴿إلا الذين ظلموا﴾ فيه اقوال (احدها) أنه استثناء منقطع كقوله ﴿ما لهم به من علم الا اتباع الظن﴾ ويقال ماله عليَّ حقٌّ الا التعدي والظلم يعني لكنه يتعدى ويظلم وقال النابغة.

وَلَاعَيْبَ فِيهِمْ غَيْـرَ أن سُـيُوفَهُــهُمْ   بِـهِنَّ فُـلُوْلٌ مِنْ قِـرَاعِ الـكُتَـائِـبِ(١)

وكأنه يقول ان كان فيهم عيب فهذا وليس هذا بعيب فإذا ليس فيهم عيب وهكذا فـي الآية ان كان على المؤمنين حجة فللظالم في احتجاجه وليس للظالم حجة فإذا ليس عليهم حجة و (الثانـي) ان تكون الحجة بمعنى المحاجة فكأنه قال لئلا يكون للناس عليكم حجاج الا الذين ظلموا فأنهم يحاجونكم بالباطل فعلى هذا يكون الاستثناء متصلاً و (الثالث) ما قاله ابو عبيدة ان الا هاهنا بمعنى الواو أي ولا الذين ظلموا وانكر عليه الفراء والمبرد قال الفراء الّا لا يأتي بمعنى الواو من غير ان يتقدمه استثناء كما قال الشاعر.

مَـا بِـالْمَـدِيْنَـةِ دَارٌ غَيْـرُه وَاحِـدَةٍ   دَارُ الـخَـلِيْـفَـةِ إلَّا دَارُ مَـرْوَانَـا

اي دار الخليفة ودار مروان وانشد الأخفش.

وَأَرَى لَـهَـا دَاراً بِـأَغْـدِرَةِ السّـ   ـيْـدَانِ لَـمْ يَـدْرُسْ لَهَـا رَسْمُ(٢)
إلَّا رَمَـاداً هَـامِـداً دَفَـعَــتْ   عَنْهُ الـرِّيَـاحَ خَـوَالِـدُ سُحْـمُ

أي أرى لها دار ورماداً وقال المبرد لا يجوز ان يكون الا بمعنى الواو أصلاً و (الرابع) ان فيه اضمار على وتقديره الا على الذين ظلموا منهم فكأنه قال لئلا يكون عليكم حجة الا على الذين ظلموا فإنه يكون الحجة عليهم وهم الكفار عن قطرب وهو اختيار الازهري قال علي بن عيسى وهذان الوجهان بعيدان والاختيار القول الاول.

[**المعنى**] قد مضى الكلام في معنى اول الآية وقيل في تكراره وجوه (احدها) أنه لاختلاف المعنى وان اتفق اللفظ لأن المراد بالأول ﴿ومن حيث خرجت﴾ منصرفاً عن التوجه إلى بيت المقدس ﴿فول وجهك شطر المسجد الحرام﴾ والمراد بالثاني اين ما كنت من البلاد فتوّجه نحوه من كل جهات الكعبة وسائر الاقطار (وثانيها) انه من مواضع

---

(١) الفَلول جمع الفلّ وهو الكسر في حد السيف. القراع : الضرب.
(٢) اغدرة السيدان: موضع. الهامد: الساكن.

التأكيد لما جرى من النسخ ليثبت في القلوب (وثالثها) أنه لاختلاف المواطن والاوقات التي تحتاج إلى هذا المعنى فيها وقوله ﴿**لئلا يكون للناس عليكم حجة**﴾ قيل فيه وجوه (اولها) ان معناه لأن لا يكون لأهل الكتاب عليكم حجة إذا لم تصلّوا نحو المسجد الحرام بان يقولوا ليس هذا هو النبي المبشر به إذ ذاك نبيّ يصلي بالقبلتين (وثانيها) ان معناه لا تعدلوا عما امركم الله به من التوجه إلى الكعبة فتكون لهم عليكم حجة بأن يقولوالو كنتم تعلمون انه من عند الله لما عدلتم عنه عن الجبائي (وثالثها) ما قاله أبو روق ان حجة اليهود انهم كانوا قد عرفوا ان النبي المبعوث في آخر الزمان قبلته الكعبة فلما رأوا محمداً يصلي إلى الصخرة احتجّوا بذلك فصرفت قبلته إلى الكعبة لئلا يكون لهم عليه حجة ﴿**الا الذين ظلموا منهم**﴾ يريد الا الظالمين الذين يكتمون ما عرفوا من انه يحوّل إلى الكعبة وعلى هذا يكون الاستثناء متصلاً وقد مضى ذكر ما قيل فيه من الاقوال في الاعراب وإنما اختلف العلماء في وجه الاستثناء لأن الظالم لا يكون له حجةّ لكنه يورد ما هو في اعتقاده حجة وان كانت باطلة كما قال سبحانهُ حجتهم داحضة وقيل المراد بالذين ظلموا قريش واليهود فاما قريش فقالوا قد علم اننا على مدى فرجع إلى قبلتنا وسيرجع إلى ديننا واما اليهود فقالوا لم ينصرف عن قبلتنا عن علم وإنما فعله برأيه وزعم أنه قد أمر به وقيل المراد بالذين ظلموا العموم يعني ظلموكم بالمقاتلة وقلة الاستماع وقوله ﴿**فلا تخشوهم واخشوني**﴾ لما ذكرهم بالظلم والخصومة والمحاجة طيب نفوس المؤمنين فقال لا تخافوهم ولا تلتفتوا إلى ما يكون منهم فإن عاقبة السوء عليهم ولا حجة لأحد منهم عليكم ولا يد وقيل لا تخشوهم في استقبال الكعبة واخشوا عقابي في ترك استقبالها فإني احفظكم من كيدهم وقوله ﴿**ولأتمّ نعمتي عليكم**﴾ عطف على قوله لئلا وتقديره لئلا يكون لأحد عليكم حجة ولأتم نعمتي عليكم بهدايتي اياكم إلى قبلة ابراهيم عليه السلام بيّن سبحانه أنه حولّ القبلة لهذاين الغرضين زوال القالة وتمام النعمة وروي عن ابن عباس أنه قال ولأتم نعمتي عليكم في الدنيا والآخرة اما في الدنيا فأنصركم على اعدائكم وأورثكم ارضهم وديارهم وأموالهم واما في الآخرة فجنتي ورحمتي وروي عن علي (ع) قال النعم ستة الاسلام والقرآن ومحمد ﷺ والستر والعافية والغنى عما في ايدي الناس ﴿**ولعلكم تهتدون**﴾ أي لكي تهتدوا ولعل من الله واجب عن الحسن وجماعة وقيل لتهتدوا إلى ثوابها وقيل الى التمسك بها.

﴿ كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ

وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾

[**اللغة**] الارسال التوجيه بالرسالة والتحميل لها ليؤدي الى من قصد والتلاوة ذكر الكلمة بعد الكلمة على نظام متسق واصله من الاتباع ومنه تلاه أي تبعه والتزكية النسبة إلى الازدياد من الافعال الحسنة التي ليست بمشوبة ويقال أيضاً على معنى التعويض لذلك بالاستدعاء اليه واللطف فيه يقال زكى فلان فلاناً إذا اطراه ومدحه وزكاه حمله على ماله فيه الزكاء والنماء والطهارة والقدس والحكمة هي العلم الذي يمكن به الافعال المستقيمة.

[**الاعراب**] ما في قوله ﴿**كما أرسلنا**﴾ مصدرية فكأنه قال كإرسالنا فيكم ويحتمل أن تكون كافة كما قال الشاعر:

أَعَـلَاقَـةً أُمَّ الـوُلَـيْـدِ بَـعـدَ مَـا أَفْنَـانُ رَأسِـكَ كَـالثَّغَـامِ المُخْلِسِ [١]

فإنه يجوز كما زيد محسن اليك فأحسن إلى أسبابه[٢] والعامل في الكاف من قوله كما يجوز ان يكون الفعل الذي قبله وهو قوله ﴿**ولأتم نعمتي عليكم**﴾ فعلى هذا لا يوقف عند قوله ﴿**ولعلكم تهتدون**﴾ ويكون الوقف عند قوله ﴿**ما لم تكونوا تعلمون**﴾ ويجوز أن يكون الفعل الذي بعده وهو قوله فاذكروني إذكركم وعلى هذا يوقف عند قوله تهتدون ويبتدأ بقوله كما ارسلنا ولا يوقف عند قوله تعلمون والاول احد قولي الزجاج واختيار الجبائي والثاني قول مجاهد والحسن وأحد قولي الزجاج وقوله منكم في موضع نصب لأنه صفة لقوله رسولاً وكذلك قوله يتلوا وما بعده في موضع الصفة.

[**المعنى**] قوله ﴿**كما ارسلنا**﴾ التشبيه فيه على القول الاول معناه ان النعمة في أمر القبلة كالنعمة بالرسالة لأن الله تعالى لطف لعباده بها على ما يعلم من المصلحة ومحمود العاقبة واما على القول الثاني فمعناه ان في بعثة الرسول منكم إليكم نعمة عليكم لأنه يحصل لكم به عزّ الرسالة فكما انعمت عليكم بهذه النعمة العظيمة فإذكروني واشكروا لي واعبدوني أنعم عليكم بالجزاء والثواب والخطاب للعرب على قول جميع المفسرين وقوله ﴿**رسولاً**﴾ يعني محمد ﷺ ﴿**منكم**﴾ بالنسب لأنه من العرب ووجه النعمة عليهم بكونه من العرب ما حصل لهم به من الشرف والذكر وان العرب لم تكن لتتبع رسولاً يبعث إليهم من غيرهم مع نخوتهم وعزتهم في نفوسهم فكون الرسول منهم يكون أدعى لهم إلى الإيمان به

---

(١) الافنان جمع الفنن وهو الغصن المستقيم الثغام: نبت ابيض يبيض إذا يبس ويشبه به الشيب اخلس النبات اختلط رطبه ويابسه.

(٢) كذا في النسخ لكن في المحكى عن التبيان «ابنائه» بدل «اسبابه» وهو الظاهر.

واتباعه وقوله **﴿يتلوا عليكم آياتنا﴾** أراد بها القرآن **﴿ويزكيكم﴾** ويعرضكم لما تكونون به ازكياء من الأمر بطاعة الله واتباع مرضاته ويحتمل أن يكون معناه ينسبكم إلى انكم أزكياء بشهادته لكم بذلك ليعرفكم الناس به **﴿ويعلمكم الكتاب والحكمة﴾** الكتاب القرآن والحكمة هي القرآن أيضاً جمع بين الصفتين لاختلاف فائدتهما كما يقال الله العالم بالأمور كلها القادر عليها وقيل أراد بالكتاب القرآن وبالحكمة الوحي من السنة وما لا يعلم الاّ من جهته من الاحكام وقوله **﴿ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون﴾** أي ما لا سبيل لكم الى عمله الا من جهة السمع فذكرهم الله بالنعمة فيه ويكون التعليم لما عليه دليل من جهة العقل تابعاً للنعمة فيه ولا سيما إذا وقع موقع اللطف .

﴿ فَاذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُواْ لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾

[**اللغة**] الذكر حضور المعنى للنفس وقد يكون بالقلب وقد يكون بالقول وكلاهما يحضر به المعنى للنفس وفي اكثر الاستعمال يقال الذكر بعد النسيان وليس ذلك بموجب ان لا يكون الا بعد نسيان لأن كل من حضره المعنى بالقول او العقد أو الخطور بالبال ذاكر له واصله التنبيه على الشيء فمن ذكرته شيئاً فقد نبّهته عليه وإذا ذكر بنفسه فقد تنبه عليه والذكر الشرف والنباهة والفرق بين الذكر والخاطر ان الخاطر ما يمرّ بالقلب والذكر قد يكون القول أيضاً وفي قوله **﴿واشكروا لي﴾** محذوف أي اشكروا لي نعمتي لأن حقيقة الشكر الاعتراف بالنعمة وفي قوله **﴿ولا تكفرون﴾** أيضاً محذوف لأن الكفر هو ستر النعمة وجحدها لا ستر المنعم وقولهم حمدت زيداً وذممته لاحذف فيه وان كنت إنما تحمد أو تذم من اجل الفعل كما انه ليس في قولك زيد متحرك حذف وان كان إنما تحرك لأجل الحركة فليس كل كلام دلّ على معنى غير مذكور يكون فيه حذف الا ترى ان قولك زيد ضارب دل على مضرب وليس بمحذوف فالحمد للشيء دلالة على أنه محسن والذم للشيء دلالة على انه مسيء كقولهم نعم الرجل زيد وبئس الرجل عمرو وقالوا شكرتك وشكرت لك وإنما قيل شكرتك لايقاع اسم المنعم موقع النعمة فعدى الفعل بغير واسطة والاجود شكرت لك النعمة لأنه الاصل في الكلام قال الشاعر:

هُمُ جَمَعُوا بُؤْسَىٰ وَنُعْمى عَلَيْكُمُ فَهَلَّا شَكَرْتَ القَوْمَ إِذْ لَمْ تُقَابِلِ

ومثل ذلك نصحتك ونصحت لك ذكرنا الموجه في حذف الياء في مثل ولا تكفرون فيما مضى(١).

(١) أي في ص ٢٠٥ .

[**المعنى**] **﴿فاذكروني إذكركم﴾** قيل معناه اذكروني بطاعتي اذكركم برحمتي عن سعيد بن جبير بيانه قوله سبحانه **﴿وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون﴾** وقيل اذكروني بطاعتي اذكركم بمعونتي عن ابن عباس وبيانه قوله **﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا﴾** وقيل اذكروني بالشكر اذكركم بالزيادة عن ابن كيسان بيانه **﴿لئن شكرتم لازيدنكم﴾** وقيل اذكروني على ظهر الأرض اذكركم في بطنها وقد جاء في الدعاء اذكروني عند البلاء إذا نسيني الناسون من الورى وقيل اذكروني في الدنيا اذكركم في العقبى وقيل اذكروني في النعمة والرخاء اذكركم في الشدة والبلاء وبيانه قوله سبحانه **﴿فلولا انه كان من المسبحين للبث في بطنه إلى يوم يبعثون﴾** وفي الخبر تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة وقيل اذكروني بالدعاء اذكركم بالاجابة بيانه قوله **﴿ادعوني استجب لكم﴾** وروي عن ابي جعفر الباقر (ع) قال قال النبي صلى الله عليه وآله ان الملك ينزل الصحيفة من اول النهار واول الليل يكتب فيها عمل ابن آدم فَأَمْلُوا[1] في اولها خيراً وفي آخرها خيراً فإن الله يغفر لكم ما بين ذلك ان شاء الله فإن الله يقول اذكروني أذكركم وقال الربيع في هذه الآية **﴿ان الله عز وجل ذاكر مَنْ ذكره وزائد مَنْ شكره ومعذب مَنْ كفره﴾** وقوله **﴿واشكروا لي﴾** أي اشكروا نعمتي وأظهروها واعترفوا بها **﴿ولا تكفرون﴾** ولا تستروا نعمتي بالجحود يعني بالنعمة قوله **﴿كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم﴾** الآية .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾

[**الاعراب**] الذين آمنوا موضعه رفع بانه صفة لأي كما ان الناس كذلك في قوله **﴿يا أيها الناس﴾** وقد ذكرناه فيما مضى[2] وهو قول جميع النحويين الا الأخفش فإنه لا يجعله صفة لأيّ ويرفعه بأنه خبر مبتدأ محذوف كأنه قيل يامن هم الذين آمنوا الا انه لا يظهر المحذوف مع ايّ وإنما حمله على ذلك لزوم البيان لأيّ فقال الصفة لا تلزم وإنما تلزم الصلة قال علي بن عيسى والوجه عندي ان يكون صفة بمنزلة الصلة في اللزوم وقد ذكرنا الوجه في لزومها أيضاً عند قوله سبحانه **﴿يا أيها الناس اعبدوا ربكم﴾** وقال أبو علي لا يجوز أن يكون ايّ في النداء موصولة لأنها لو كانت موصولة لوصلت بكل واحدة من الجمل الاربع ولم يقتصر بها على ضرب واحد منها لأن ذلك لم يفعل بشيء من الاسماء الموصولة في

(١) وفي نسختين من نسخنا «فاعملوا» بدل «فاملوا» . (٢) أي في ص ١٩٦

موضع ولجاز أيضاً ان يقال يا أيها رجل لأن خبر المبتدأ لا يجوز ان يكون مقصوراً على المعرفة بالألف واللام ولا يغيّر عنه وفي امتناع جميع النحويين من اجازة ذلك ما يدل على فساد هذا القول وأيضاً فلو كانت موصولة للزم جواز اظهار المبتدأ المحذوف من الصلة وكان يجوز يا ايها هو الرجل ويا ايتها هي المرأة لا خلاف في أنه لا يجوز ذلك.

[**المعنى**] قد مضى تفسير قوله ﴿**استعينوا بالصبر والصلاة**﴾ فيما مضى[1] يخاطب المؤمنين فيقول ﴿**استعينوا بالصبر**﴾ أي بحبس النفس عما تشتهيه من المقبحات وحملها على ما تنفر منه من الطاعات وإلى هذا المعنى أشار أمير المؤمنين عليه السلام في قوله الصبر صبران صبر على ما تكره وصبر عمّا تحبّ وبالصلاة لما فيها من الذكر والخشوع لله وتلاوة القرآن الذي يتضمن ذكر الوعد والوعيد والهدى والبيان وما هذه صفته يدعو إلى الحسنات ويزجر عن السيئات واختلف في أن الاستعانة بهما على ماذا فقيل على جميع الطاعات فكأنه قال استعينوا بهذا الضرب من الطاعة على غيره من الطاعات وقيل على الجهاد في سبيل الله وقوله ﴿**ان الله مع الصابرين**﴾ فيه وجهان (أحدهما) أن معناه أنه معهم بالمعونة والنصرة كما يقال السلطان معك فلا تبال من لقيت (والآخر) أن المراد هو معهم بالتوفيق والتسديد أي يسهل عليهم اداء العبادات والاجتناب من المقبحات ونظيره قوله سبحانه ﴿**ويزيد الله الذين اهتدوا هدى**﴾ ولا يجوز أن يكون مع هنا بمعنى الاجتماع في المكان لأن ذلك من صفات الاجسام تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً وفي الآية دلالة على ان في الصلاة لطفاً للعبد لأنه سبحانه امرنا بالاستعانة بها ويؤيده قوله سبحانه ﴿**ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر**﴾.

﴿ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾

[**اللغة**] السبيل الطريق وسبيل الله طريق مرضاته وانما قيل للجهاد سبيل الله لأنه طريق إلى ثواب الله عز وجل والقتل هو نقض بنية الحياة والموت عند من قال أنه معنى عرض ينافي الحياة منافاة التعاقب ومن قال أنه ليس بمعنى قال هو عبارة عن بطلان الحياة وهو الأصح فأما الحياة فلا خلاف في أنها معنى وهي عرض يصير الجملة كالشيء الواحد حتى يصير قادراً واحداً عالماً واحداً مريداً واحداً ولا يقدر على فعل الحياة إلا الله سبحانه

---

(١) أي في ص ٢١٥.

والشعور هو ابتداء العلم بالشيء من جهة المشاعر وهي الحواس ولذلك لا يوصف تعالى بأنه شاعر ولا بأنه يشعر وانما يوصف بأنه عالم ويعلم وقيل ان الشعور هو ادراك ما دقَّ للطف الحس مأخوذ من الشعر لدقته ومنه الشاعر لأنه يفطن من اقامة الوزن وحسن النظم لما لا يفطن له غيره .

[**الاعراب**] قوله اموات مرفوع بأنه خبر متبدأ محذوف تقديره لا تقولوا هم أموات ولا يجوز فيه النصب كما يجوز قلت حسناً لأن حسناً في موضع المصدر كأنه قال قلت قولاً حسناً فأما قوله ويقولون طاعة فيجوز فيه النصب في العربية على تقدير نطيع طاعة والفرق بين بل ولكن ان لكن نفي لأحد الشيئين واثبات للآخر كقولك ما قام زيد لكن عمرو وليس كذلك بل لأنها اضراب عن الأول واثبات للثاني ولذلك وقعت في الايجاب كقولك قام زيد بل عمرو .

[**النزول**] عن ابن عباس أنها نزلت في قتلى بدر وقتل من المسلمين يومئذ أربعة عشر رجلاً ستة من المهاجرين وثمانية من الأنصار وكانوا يقولون مات فلان فأنزل الله تعالى هذه الآية

[**المعنى**] لما أمر الله سبحانه بالصبر والصلاة للازدياد في القوة بهما على الجهاد قال ﴿**ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات**﴾ فنهى أن يسمّى من قتل في الجهاد أمواتاً ﴿**بل احياء**﴾ أي بل هم احياء وقيل فيه أقوال (أحدها) وهو الصحيح أنهم احياء على الحقيقة الى أن تقوم الساعة وهو قول ابن عباس وقتادة ومجاهد واليه ذهب الحسن وعمرو بن عبيد وواصل بن عطاء واختاره الجبائي والرماني وجميع المفسرين (والثاني) ان المشركين كانوا يقولون ان اصحاب محمد يقتلون نفوسهم في الحروب بغير سبب ثم يموتون فيذهبون فأعلمهم الله أنه ليس الأمر على ما قالوه وانهم سيُحيون يوم القيامة ويُثابون عن البلخي ولم يذكر ذلك غيره و (الثالث) معناه لا تقولوا هم أموات في الدين بل هم احياء بالطاعة والهدى ومثله قوله سبحانه ﴿**أو من كان ميتاً فأحييناه**﴾ فجعل الضلال موتاً والهداية حياة عن الأصم و(الرابع) ان المراد انهم حياء لما نالوا من جميل الذكر والثناء كما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام من قوله هلك خُزّان الأموال والعلماء باقون ما بقي الدهر أعيانهم مفقودة وآثارهم في القلوب موجودة والمعتمد هو القول الأول لأن عليه

اجماع المفسرين ولأن الخطاب للمؤمنين وكانوا يعلمون أن الشهداء على الحق والهدى وانهم ينشرون ويحيون يوم القيامة فلا يجوز أن يقال لهم ولكن لا تشعرون من حيث أنهم كانوا يشعرون ذلك ويقرّون به ولأن حمله على ذلك يبطل فائدة تخصيصهم بالذكر ولو كانوا أيضاً احياء بما حصل لهم من جميل الثناء لما قيل أيضاً ولكن لا تشعرون لأنهم كانوا يشعرون ذلك ووجه تخصيص الشهداء بكونهم احياء وان كان غيرهم من المؤمنين قد يكونون احياء في البرزخ انه على جهة التقديم للبشارة بذكر حالهم ثم البيان لما يختصون به من انهم يرزقون كما في الآية الأخرى يرزقون فرحين بما أتاهم الله من فضله فإن قيل نحن نرى جُثَث الشهداء مطروحة على الأرض لا تنصرف ولا يرى فيها شيء من علامات الاحياء فالجواب ان على مذهب من يقول بالانسان من أصحابنا ان الله تعالى يجعل لهم أجساماً كأجسامهم في دار الدنيا يتنعمون فيها دون أجسامهم التي في القبور فإن النعيم والعذاب انما يحصل عنده الى النفس التي هي الانسان المكلف عنده دون الجثة ويؤيد ذلك ما رواه الشيخ أبو جعفر في كتاب تهذيب الاحكام مسنداً إلى علي بن مهزيار عن القاسم بن محمد عن الحسين بن أحمد عن يونس بن ظبيان قال كنت عند أبي عبد الله عليه السلام جالساً فقال ما يقول الناس في أرواح المؤمنين قلت يقولون في حواصل طير خضر في قناديل تحت العرش فقال أبو عبد الله سبحان الله المؤمن أكرم على الله أن يجعل روحه في حوصلة طائر أخضر يا يونس المؤمن إذا قبضه الله تعالى صيّر روحه في قالب كقالبه في الدنيا فيأكلون ويشربون فإذا قدم عليهم القادم عرفوه بتلك الصورة التي كانت في الدنيا وعنه عن ابن أبي عمير عن حماد عن أبي بصير قال سألت أبا عبد الله عليه السلام عن أرواح المؤمنين فقال في الجنة على صور ابدانهم لو رأيته لقلت فلان فأمّا على مذهب من قال من اصحابنا إنّ الانسان هذه الجملة المشاهدة وان الروح هو النفس المتردد في مخارق الحيوان وهو اجزاء الجوّ فالقول انه يلطف أجزاء من الانسان لا يمكن ان يكون الحي حياً بأقل منها يوصل اليها النعيم وان لم تكن تلك الجملة بكمالها لأنه لا معتبر بالأطراف وأجزاء السمن في كون الحي حياً فإن الحي لا يخرج بمفارقتها من كونه حياً وربما قيل بأن الجثة يجوز أن تكون مطروحة في الصورة ولا تكون ميتة فتصل اليها اللذات كما ان النائم حيّ وتصل اليه اللذات مع انه لا يحسّ ولا يشعر بشيء من ذلك فيرى في النوم ما يجد به السرور والالتذاذ حتى أنّه يودّ أن يطول نومه فلا ينتبه وقد جاء في الحديث أنه يفسح له مد بصره ويقال له نم نومة العروس وقوله **﴿ولكن لا تشعرون﴾** أي لا تعلمون أنهم أحياء وفي هذه الآية دلالة على صحة مذهبنا في سؤال القبر واثابة المؤمن

فيه وعقاب العصاة على ما تظاهرت به الاخبار وانما حمل البلخي الآية على حياة الحشر لانكاره عذاب القبر.

﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾

[**اللغة**] البلاء الاختبار ويكون بالخير والشر والخوف انزعاج النفس لما يتوقع من الضرر والجوع ضد الشبع وهو المخمصة والمجاعة عامٌ فيه جوع وحقيقة الجوع الشهوة الغالبة الى الطعام والشبع زوال الشهوة ولا خلاف ان الشهوة معنى في القلب لا يقدر عليه غير الله تعالى والجوع منه واما الشبع فهو معنى عند أبي علي الجبائي وهو فعله تعالى وعند أبي هاشم ليس بمعنى وهكذا القول في العطش والري والنقص نقيض الزيادة والنقصان يكون مصدراً واسماً ونقص الشيءُ ونقصتُه لازم ومتعد ودخل عليه نقص في عقله ودينه ولا يقال نقصان والنقيصة الوقيعة في الناس والنقيصة انتقاص الحق وتنقّصه تناول عرضه واصل النقص الحط من التمام والمال معروف وأموال العرب انعامهم ورجل مال أي ذو مال والثمرة افضل ما تحمله الشجرة .

[**الاعراب**] فُتحت الواو في لنبلونكم كما فتحت الراء في لننصرنكم وهو أنه بني على الفتحة لأنها أخف إذا استحق البناء على الحركة كما استحق يا في النداء حكم البناء على الحركة من الخوف والجوع الجار والمجرور صفة شيء .

[**المعنى**] لما بيَّن سبحانه ما كلف عباده من العبادات عقبه ببيان ما امتحنهم به من فنون المشقات فقال **﴿ولنبلونكم﴾** أي ولنختبرنكم ومعناه نعاملكم معاملة المختبر ليظهر المعلوم والخطاب لأصحاب النبي عليه الصلاة والسلام عن عطاء والربيع ولو قيل أنه خطاب لجميع الخلق لكان أيضاً صحيحاً **﴿بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال﴾** أي بشيء من الخوف وشيء من الجوع وشيء من نقص الأموال فأوجز وانما قال من الخوف على وجه التبعيض لأنه لم يكن مؤبداً وانما عرّفهم سبحانه ذلك ليوطنوا أنفسهم على المكاره التي تلحقهم في نصرة النبي صلى الله عليه وآله لما لهم فيها من

المصلحة فأما سبب الخوف فكان قصد المشركين لهم بالعداوة وسبب الجوع تشاغلهم بالجهاد في سبيل الله عن المعاش واحتياجهم الى الانفاق فيه وقيل للقحط الذي لحقهم والجدب الذي أصابهم وسبب نقص الأموال الانقطاع بالجهاد عن العمارة ونقص الأنفس بالقتل في الحروب مع رسول الله ﷺ وقيل نقص الأموال بهلاك المواشي ﴿**والأنفس**﴾ بالموت وقوله ﴿**والثمرات**﴾ قيل أراد ذهاب حمل الاشجار بالجوانح وقلة النبات وارتفاع البركات وقيل أراد به الأولاد لأن الولد ثمرة القلب وانما قال ذلك لاشتغالهم بالقتال عن عمارة البستان وعن مناكحة النسوان فيقلّ نُزل البساتين وحمل البنات والبنين ووجه الابتلاء بهذه الأشياء ما تقتضيه الحكمة من الألطاف ودقائق المصالح والأغراض ويدّخره سبحانه لهم ما يرضيهم به من جلائل الاعواض وقيل في وجه اللطف في ذلك قولان (أحدهما) أنّ من جاء من بعدهم اذا أصابهم مثل هذه الأمور علموا أنه لا يصيبهم ذلك لنقصان درجة وحط مرتبة فإنه قد أصاب ذلك من هو أعلى درجة منهم وهم اصحاب النبي ﷺ (والآخر) ان الكفار اذا شاهدوا المؤمنين يتحملون المشاق في نصرة الرسول وموافقتهم له وتنالهم هذه المكاره فلا يتغيرون في قوة البصيرة ونقاء السريرة علموا أنهم انما فعلوا ذلك لعلمهم بصحة هذا الدين وكونهم من معرفة صدقه على اليقين فيكون ذلك داعياً لهم الى قبول الاسلام والدخول في جملة المسلمين وقوله ﴿**وبشّر الصابرين**﴾ أي أخبرهم بما لهم على الصبر في تلك المشاق والمكاره من المثوبة الجزيلة والعاقبة الجميلة .

﴿ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ﴿١٥٧﴾

[**القراءة**] امال الكسائي في بعض الروايات النون من انّا واللام من لله والباقون بالتفخيم .

[**الحجة**] وإنما جازت الامالة في هذه الألف مع اسم الله للكسرة مع كثرة الاستعمال حتى صارت بمنزلة الكلمة الواحدة قال الفراء لا يجوز امالة إنّا مع غير الاسم الله تعالى في مثل قولك إنّا لزيد وانما لم يجز ذلك لأن الأصل في الحروف وما جرى مجراها امتناع الامالة فيها فلا يجوز امالة حتى ولكن ما أشبه ذلك لأن الحروف بمنزلة

بعض الكلمة من حيث امتنع فيها التصريف الذي يكون في الاسماء والافعال .

[**اللغة**] المصيبة المشقة الداخلة على النفس لما يلحقها من المضرة وهو من الاصابة كأنها تصيبها بالنكبة والرجوع مصير الشيء الى ما كان يقال رجعت الدارُ الى فلان اذا ملكها مرة ثانية وهو نظير العود والمصير والاهتداء الاصابة لطريق الحق.

[**المعنى**] ثم وصف عز اسمه الصابرين فقال ﴿**الذين إذا أصابتهم مصيبة**﴾ أي نالتهم نكبة في النفس أو المال فوطّنوا أنفسهم على ذلك احتساباً للأجر ﴿**قالوا إنا لله**﴾ هذا اقرار بالعبودية اي نحن عبيد الله وملكه ﴿**وإنا إليه راجعون**﴾ هذا اقرار بالبعث والنشور أي نحن إلى حكمه نصير ولهذا قال أمير المؤمنين عليه السلام إنّ قولنا إنا لله اقرار على أنفسنا بالملك وقولنا وإنا إليه راجعون اقرار على أنفسنا بالهلك وانما كانت هذه اللفظة تعزية عن المصيبة لما فيها من الدلالة على أن الله تعالى يجبرها ان كانت عدلاً وينصف من فاعلها ان كانت ظلماً وتقديره إنا لله تسليماً لأمره ورضاء بتدبيره وإنا إليه راجعون ثقةً بأنا نصير إلى عدله وانفراده بالحكم في أموره وفي الحديث من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبته وأحسن عقباه وجعل له خلفاً صالحاً يرضاه وقال عليه السلام من أصيب بمصيبة فاحدث استرجاعاً وان تقادم عهدها كتب الله له من الأجر مثل يوم أصيب وروى الصادق عليه السلام عن آبائه عن النبي صلى الله عليه وآله قال أربع من كن فيه كتبه الله من أهل الجنة من كانت عصمته شهادة أن لا إله إلا الله ومن إذا أنعم الله عليه النعمة قال الحمد لله ومن إذا أصاب ذنباً قال استغفر الله ومن اذا أصابته مصيبة قال انا لله وإنا إليه راجعون وقوله ﴿**أولئك**﴾ إشارة إلى الذين وصفهم من الصابرين ﴿**عليهم صلوات من ربهم**﴾ أي ثناء جميل من ربهم وتزكية وهو بمعنى الدعاء لأن الثناء يستحق دائماً ففيه معنى اللزوم كما ان الدعاء يدعى به مرة بعد مرة ففيه معنى اللزوم وقيل بركات من ربهم عن ابن عباس وقيل مغفرة من ربهم ﴿**ورحمة**﴾ أي نعمة عاجلاً وآجلاً فالرحمة النعمة على المحتاج وكل احد يحتاج الى نعمة الله في دنياه وعقباه ﴿**وأولئك هم المهتدون**﴾ أي المصيبون طريق الحق في الاسترجاع وقيل إلى الجنة والثواب وكان عمر بن الخطاب اذا قرأ هذه الآية قال نعم العدلان ونعمت العلاوة .

﴿ * إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا

﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ۝١٥٨﴾

[**القراءة**] قرأ أهل الكوفة غير عاصم من يطوّع بالياء وتشديد الطاء والواو وكذلك ما بعده ووافقهم زيد ورويس عن يعقوب في الأول والباقون تطوع على انه فعل ماض روي في الشواذ عن علي عليه السلام وابن عباس وانس وسعيد بن جبير وأبي بن كعب وابن مسعود ألّا يطوف بهما .

[**الحجة**] يمكن أن يكون لا على هذه القراءة زائدة كما في قوله﴿**لئلا يعلم اهل الكتاب**﴾ أي ليعلم وكقوله (من غير لا عصف ولا اصطراف) أي من غير عصف ويطوع تقديره يتطوع الا أنه ادغم التاء في الطاء لتقاربهما .

[**اللغة**] الصفا في الأصل الحجر الأملس مأخوذ من الصفو واحده صفاة قال امرؤ القيس :

لَهَا كَفَلٌ كَصَفَاةِ الْمَسِيلِ أَبْرَزَ عَنْهَا جُحَافٌ مُضِر(١)

فهو مثل حصاة وحصى ونواة ونوى وقيل ان الصفا واحد قال المبرد الصفا كل حجر لا يخلطه غيره من طين او تراب وانما اشتقاقه من صفا يصفو إذا خلص وأصله من الواو لأنك تقول في تثنيته صفوان ولا يجوز امالته والمروة في الأصل الحجارة الصلبة اللينة وقيل الحصاة الصغيرة والمرو لغة في المروة وقيل هو جمع مثل تمرة وتمر قال أبو ذؤيب :

حَتَّى كَأَنّي لِلْحَوادِثِ مَرْوَةٌ بِصَفَا الْمُشْرِقِ كُلَّ يومٍ تُقْرَعُ(٢)

والمرو نبت وأصله الصلابة فالنبت انما سمي بذلك لصلابة بزره وقد صارا اسمين لجبلين معروفين بمكة والألف واللام فيهما للتعريف لا للجنس والشعائر المعالم للأعمال وشعائر الله معالمه التي جعلهامواطن للعبادة وكل معلم لعبادة من دعاء أو صلاة أو غيرهما فهو مشعر لتلك العبادة وواحد الشعائر شعيرة فشعائر الله اعلام متعبداته من موقف او مسعى او منحر من شعرت به أي علمت قال الكميت:

نُقَتّلُهُمْ جِيْلًا فجِيْلًا نَراهُمُ شَعَائِرَ قُرْبَانٍ بِهِمْ يُتَقَرَّبُ

---

(١) قال الجوهري: سيل جحاف بالضم اذا جرف كلّ شيء وذهب به .

(٢) المشرق: المصلّى ومسجد الخيف .

والحج في اللغة هو القصد على وجه التكرار وفي الشريعة عبارة عن قصد البيت بالعمل المشروع من الاحرام والطواف والسعي والوقوف بالموقفين وغير ذلك قال الشاعر :

وَأَشْهَدُ مِنْ عَوْفٍ حُلُولاً كَثِيرَةً يَحُجُّونَ بَيْتَ الزِّبْرِقَانِ المُزْعَفَرا

يعني يكثرون التردد إليه لسؤدده والعمرة هي الزيارة اخذ من العمارة لأن الزائر يعمر المكان بزيارته وهي في الشرع زيارة البيت بالعمل المشروع والجناح الميل عن الحق يقال جنح اليه جنوحاً اذا مال وأجنحته فاجتنح اي أملته فمال وجناحاً الطائر يداه ويدا الانسان جناحاه وجناحا العسكر جانباه والطواف الدوران حول الشيء ومنه الطائف وفي عرف الشرع الدور حول البيت والطائفة الجماعة كالحلقة الدائرة ويطوف اصله يتطوف ومثله يطوّع والفرق بين الطاعة والتطوع ان الطاعة موافقة الارادة في الفريضة والنافلة والتطوع التبرع بالنافلة خاصة وأصلهما من الطوع الذي هو الانقياد والشاكر فاعل الشكر وإنما يوصف سبحانه بأنه شاكر مجازاً وتوسعاً لأنه في الأصل هو المظهر للانعام عليه والله يتعالى عن ان يكون عليه نعمة لأحد .

[**الاعراب**] قوله من حج ومَن تطوع يحتمل أمرين (أحدهما) أن يكون من موصولاً بمنزلة الذي والآخر ان يكون للجزاء فإن كان موصولاً فلا موضع للفعل الذي بعده هو مع صلته في موضع رفع الابتداء والفاء على هذا مع ما بعده في قوله فلا جناح عليه فإن الله شاكر في موضع رفع بأنه خبر المبتدأ الموصول وان كان للجزاء كان الفعل الذي بعده في موضع الجزم وكانت الفاء مع ما بعدها ايضاً في موضع جزم لوقوعها موقع الفعل المجزوم الذي هو جزاء والفعل الذي هو حَجَّ أو تطَّوع على لفظ الماضي والتقدير به المستقبل كما ان ذلك في قولك ان اكرمتني أكرمتك كذلك وقوله فإن الله شاكر عليم انما يصح أن يقع موقع الجزاء أو موقع خبر المبتدأ وان لم يكن فيه ضمير عائد لأن تقديره يعامله معاملة الشاكر بحسن المجازاة وايجاب المكافأة وانما دخلت الفاء في خبر المبتدأ الموصول لما فيه من معنى الجزاء وان لم يكن في موضع الجزم الا ترى أن هذه الفاء تؤذن بأن الثاني وجب لوجوب الأول .

[**المعنى**] لمّا ذكر سبحانه امتحان العباد بالتكليف والألزام مرة وبالمصائب والآلام اخرى ذكر سبحانه أنّ من جملة ذلك أمر الحج فقال ﴿**ان الصفا والمروة من شعائر الله**﴾ أي انهما من اعلام متعبداته وقيل من مواضع نسكه وطاعاته عن ابن عباس وقيل من دين

الله عن الحسن وقيل فيه حذف وتقديره الطواف بين الصفا والمروة من شعائر الله وروي عن جعفر الصادق عليه السلام انه قال نزل آدم على الصفا ونزلت حواء على المروة فسمي الصفا باسم آدم المصطفى وسميت المروة باسم المرأة وقوله **﴿فمن حج البيت﴾** أي قصده بالأفعال المشروعة **﴿أو اعتمر﴾** أي اتى بالعمرة بالمناسك المشروعة وقوله **﴿فلا جناح عليه﴾** أي لا حرج عليه **﴿أن يطوف بهما﴾** قال الصادق (ع) كان المسلمون يرون ان الصفا والمروة مما ابتدع اهل الجاهلية فأنزل الله هذه الآية وانما قال فلا جناح عليه ان يطوف بهما وهو واجب أو طاعة على الخلاف فيه لأنه كان على الصفا صنم يقال له اساف وعلى المروة صنم يقال له نائلة وكان المشركون إذا طافوا بهما مسحوهما فتحرَّج المسلمون عن الطواف بهما لأجل الصنمين فأنزل الله تعالى هذه الآية عن الشعبي وكثير من العلماء فرجع رفع الجناح عن الطواف بهما الى تحرّجهم عن الطواف بهما لأجل الصنمين لا الى عين الطواف كما لو كان الانسان محبوساً في موضع لا يمكنه الصلاة إلا بالتوجه الى ما يكره التوجه اليه من المخرج وغيره فيقال له لا جناح عليك في الصلاة الى ذلك المكان فلا يرجع رفع الجناح الى عين الصلاة لأن عين الصلاة واجبة انما يرجع الى التوجه إلى ذلك المكان ورويت رواية اخرى عن أبي عبد الله عليه السلام انه كان ذلك في عمرة القضاء وذلك أن رسول الله ﷺ شرط عليهم ان يرفعوا الأصنام فتشاغل رجل من اصحابه حتى اعيدت الأصنام فجاءوا الى رسول الله ﷺ فقيل له ان فلاناً لم يَطُف وقد أعيدت الأصنام فنزلت هذه الآية **﴿فلا جناح عليه أن يطوف بهما﴾** أي والأصنام عليهما قال فكان الناس يسعون والاصنام على حالها فلما حج النبي ﷺ رمى بها وقوله **﴿من تطوع خيراً﴾** فيه أقوال (أولها) أن معناه من تبرَّع بالطواف والسعي بين الصفا والمروة بعد ما أدى الواجب من ذلك عن ابن عباس وغيره (وثانيها) ان معناه من تطوع بالحج والعمرة بعد اداء الحج والعمرة المفروضين عن الاصم (وثالثها) ان معناه من تطوع بالخيرات وأنواع الطاعات عن الحسن ومن قال ان السعي ليس بواجب قال معناه من تبرع بالسعي بين الصفا والمروة وقوله **﴿فإن الله شاكر عليم﴾** أي مجازيه على ذلك وانما ذكر لفظ الشاكر تلطفاً بعباده ومظاهرة في الاحسان والانعام اليهم كما قال من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً والله سبحانه لا يستقرض عن عَوز ولكنه ذكر هذا اللفظ على طريق التلطف اي يعامل عباده معاملة المستقرض من حيث ان العبد ينفق في الحال غناه فيأخذ اضعاف ذلك في حال فقره وحاجته وكذلك لما كان يعامل عباده معاملة الشاكرين من حيث انه يوجب الثناء له والثواب سمّى نفسه شاكراً وقوله عليم اي بما تفعلونه من الأفعال فيجازيكم عليها

وقيل عليم بقدر الجزاء فلا يبخس احداً حقه وفي هذه الآية دلالة على ان السعي بين الصفا والمروة عبادة ولا خلاف في ذلك وهو عندنا فرض واجب في الحج وفي العمرة وبه قال الحسن وعائشة وهو مذهب الشافعي وأصحابه وقال ان السنة اوجبت السعي وهو قوله ﷺ كتب عليكم السعي فاسعوا فأما ظاهر الآية فإنما يدل على اباحة ما كرهوه من السعي وعند أبي حنيفة وأصحابه هو تطوع وهو اختيار الجبائي وروي ذلك عن أنس وابن عباس وعندنا وعند الشافعي من تركه متعمداً فلا حج له .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾

[**النزول**] المعنيّ بالآية اليهود والنصارى مثل كعب بن الأشرف وكعب بن اسد وابن صوريا وزيد بن التابوه وغيرهم من علماء النصارى الذين كتموا أمر محمد ونبوته وهم يجدونه مكتوباً في التوراة والانجيل مثبتا فيهما عن ابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة واكثر اهل العلم وقيل انه متناول لكل من كَتَمَ ما أنزل الله وهو اختيار البلخي وهو الأقوى لأنه اعم فيدخل فيه اولئك وغيرهم.

[**المعنى**] ثم حَثَّ الله سبحانه على اظهار الحق وبيانه ونهى عن اخفائه وكتمانه فقال **﴿ان الذين يكتمون﴾** اي يخفون **﴿ما أنزلنا من البينات﴾** أي من الحجج المنزلة في الكتب **﴿والهدى﴾** أي الدلائل فالاول علوم الشرع والثاني ادلة العقل فعمّ بالوعيد في كتمان جميعها وقيل اراد بالبينات الحجج الدالة على نبوته عليه السلام وبالهدى ما يؤدّيه إلى الخلق من الشرائع وقيل البينات والهدى هي الأدلة وهما بمعنى واحد وإنما كرر لاختلاف لفظيهما **﴿من بعد ما بيناه للناس في الكتاب﴾** يعني في التوراة والانجيل من صفته عليه السلام ومن الاحكام وقيل في الكتب المنزلة من عند الله وقيل اراد بقوله ما انزلنا من البينات الكتب المتقدمة وبالكتاب القرآن **﴿اولئك يلعنهم الله﴾** اي يبعدهم من رحمته بايجاب العقوبةلأنه لا يجوز لهن من لا يستحق العقوبة**﴿ويلعنهم اللاعنون﴾** قيل الملائكة والمؤمنون عن قتادة والربيع وهو الصحيح لقوله سبحانه **﴿عليهم لعنةالله والملائكة والناس أجمعين﴾** وقيل دواب الارض وهوامها تقول مُنِعنا القطر بمعاصي بني آدم عن

مجاهد وعكرمة وقيل كل شيء سوى الثقلين الجن والانس عن ابن عباس وقيل إذا تلا عن الرجلان رجعت اللعنة على المستحق لها فإن لم يستحقها واحد منهما رجعت على اليهود الذين كتموا ما أنزل الله عن ابن مسعود فإن قيل كيف يصحّ ذلك على قول من قال المراد باللاعنين البهائم وهذا الجمع لا يكون الاَّ للعقلاء قيل لما اضيف اليها فعل ما يعقل عوملت معاملة من يعقل كقوله سبحانه ﴿**والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين**﴾ وإنما اضيف اللعن الى من لا يعقل لأن الله يلهمهم اللعن عليهم لما في ذلك من الزجر عن المعاصي لأن الناس إذا علموا انهم إذا عملوا هذه المعاصي استحقوا اللعن حتى انه يلعنهم الدواب والهوام كان لهم في ذلك ابلغ الزجر وقيل إنما يكون ذلك في الآخرة يكمل الله عقولها فتلعنهم وفي هذه الآية دلالة على ان كتمان الحق مع الحاجة إلى اظهاره من اعظم الكبائر وان من كتم شيئاً من علوم الدين وفعل مثل فعلهم فهو مثلهم في عظم الجرم ويلزمه كما لزمهم الوعيد وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال من سُئل عن علم يعلمه فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار وفيها ايضاً دلالة على وجوب الدعاء إلى التوحيد والعدل لأن في كتاب الله تعالى ما يدل عليهما تأكيداً لما في العقول من الادلة.

﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١٦٠ ﴾

[**اللغة**]التوبة هي الندم الذي يقع موقع التنصل[١] من الشيء وذلك بالتحسر على مواقعته والعزم على ترك معاودته إن امكنت المعاودة واعتبروا قوم ترك المعاودة على مثله في القبح وهذا اقوى لأن الامة اجمعت على سقوط العقاب عند هذه التوبة وفيما عداها خلاف واصلاح العمل هو اخلاصه من قبيح ما يشوبه والتبيين هو التعريض للعلم الذي يمكن به صحة التمييز من البين الذي هو القطع.

[**الاعراب**] موضع الذين نصب على الاستثناء من الكلام الموجب ومعنى الاستثناء الاختصاص بالشيء دون غيره فإذا قلت جاءني القوم الا زيداً فقد اختصصت زيداً بإنه لم يجيء وإذا قلت ما جاءني الا زيد فقد اختصصته بالمجيء وإذا قلت ما جاءني زيد الا راكباً فقد اختصصته بهذه الحالة دون غيرها من المشي والعدو وغيرهما.

[**المعنى**] ثم اسثنى الله سبحانه في هذه الآية من تاب واصلح وبيّن من جملة من

---

(١) تنصل من كذا: خرج.

استحق اللعنة فقال ﴿الا الذين تابوا﴾ أي ندموا على ما قدموا ﴿واصلحوا﴾ نياتهم فيما يستقبل من الاوقات ﴿وبَيّنوا﴾ اختلف فيه فقال اكثر المفسرين بيّنوا ما كتموه من البشارة بالنبي صلى الله عليه وآله وقيل بينوا التوبة واصلاح السريرة بالاظهار لذلك فإن من ارتكب المعصية سِرّاً كفاه التوبة سِرّاً ومن اظهر المعصية يجب عليه ان يظهر التوبة وقيل بَيّنوا التوبة باخلاص العمل ﴿فاولئك اتوب عليهم﴾ أي اقبل والاصل في اتوب افعل التوبة الا انه لما وصل بحرف الاضافة دلّ على ان معناه اقبل التوبة إنما كان لفظه مشتركا بين فاعل التوبة والقابل لها للترغيب في صفة التوبة إذ وصف بها القابل لها وهو الله عز اسمه وذلك من انعام الله على عباده لئلا يتوهم بما فيها من الدلالة على مفارقة الذنب ان الوصف بها عيب فلذلك جعلت في اعلى صفات المدح ﴿وانا التواب﴾ هذه اللفظة للمبالغة اما لكثرة ما يقبل التوبة واما لأنه لا يردّ تائباً منيبا اصلا ووصفه سبحانه نفسه بالرحيم عقيب قوله التواب يدل على ان اسقاط العقاب عند التوبة تفضلٌ من الله سبحانه ورحمة من جهته على ما قاله اصحابنا وانه غير واجب عقلاً على ما يذهب إليه المعتزلة فإن قالوا قد يكون الفعل الواجب نعمة إذا كان منعما بسببه كالثواب والعوض لما كان منعماً بالتكليف وبالآلام التي تستحق بها الاعواض جاز ان يطلق عليها اسم النعمة فالجواب ان ذلك إنما قلناه في الثواب والعوض ضرورة ولا ضرورة هاهنا تدعو إلى ارتكابه.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَـٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿١٦٢﴾

[**اللغة**] واحد الناس انسان في المعنى فاما في اللفظ فلا واحد له فهو كنفر ورهط مما يقال انه اسم للجمع والخلود اللزوم ابدا والبقاء الوجود في وقتين فصاعداً ولذلك لم يجز في صفات الله تعالى خالد وجاز باق ولذلك يقال اخلد إلى قوله أي لزم معنى ما أتى به ومنه قوله ولكنه اخلد إلى الأرض أي مال اليها ميل اللازم لها والفرق بين الخلود والدوام ان الدوام هو الوجود في الأزل والّا يزال فإذا قيل دام المطر فهو على المبالغة وحقيقته لم يزل من وقت كذا إلى وقت كذا والخلود هو اللزوم ابداً والتخفيف هو النقصان من المقدار الذي له والعذاب هو الألم الذي له امتداد والانظار الامهال قدر ما يقع النظر

في الخلاص واصل النظر الطلب فالنظر بالعين هو الطلب بالعين وكذلك النظر بالقلب او باليد أو بغيرها من الحواس تقول انظر الثوب اين هو أي اطلبه اين هو والفرق بين العذاب والايلام ان الايلام قد يكون بجزء من الالم في الوقت الواحد مقدار ما يتألم به والعذاب الالم الذي له استمرار في اوقات ومنه العذب لاستمراره في الحلق والعذبة لاستمرارها بالحركة.

[**الاعراب**] وهم كفار جملة في موضع الحال واجمعين تأكيد وإنما اكد به ليرتفع الايهام والاحتمال قبل ان ينظر في تحقيق الاستدلال ولهذا لم يجز الاخفش رأيت احد الرجلين كليهما واجاز رأيتهما كليهما لأنك إذا ذكرت الحكم مقروناً بالدليل ازلت الايهام للفساد وإذا ذكرته وحده فقد يتوهم عليك الغلط في المقصد وانت لما ذكرت التثنية في قولك احد الرجلين وذكرت احداً كنت بمنزلة من ذكر الحكم والدليل عليه فاما ذكر التثنية في رأيتهما فبمنزلة ذكر الحكم وحده وخالدين منصوب على الحال والعامل فيه الظرف من قوله عليهم لأن فيه معنى الاستقرار لِلَّعنة وذو الحال الهاء والميم مِن عليهم كقولك عليهم المِال صاغرين وقوله فيها الهاء يعود إلى اللعنة في قول الزجاج وإلى النار في قول ابي العالية لا يخفف عنهم العذاب جملة في موضع الحال ولا هم ينظرون كذلك وهم تأكيد لضمير في فعلٍ مقدر يفسره هذا الظاهر تقديره ولا هم ينظرون هم.

[**المعنى**] لما بين سبحانه حال من كتم الحق وحال من تاب منهم عَقَّبه بحال من يموت من غير توبة منهم أو من الكفار جميعاً فقال ﴿**ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار**﴾ أي ماتوا مصرّين على الكفر وإنما قال وماتوا وهم كفار مع ان كل كافر ملعون في حال كفره ليصير الوعيد فيه غير مشروط لأن بالموت يفوت التلافي بالتوبة فلذلك شرط سبحانهُ وبيَّن ان الكفار لم يموتوا على كفرهم لم تكن هذه حالهم وقيل ان هذا الشرط إنما هو في خلود اللعنة لهم كقوله خالدين فيها ﴿**اولئك عليهم لعنة الله**﴾ أي ابعاده من رحمته وعقابه ﴿**والملائكة والناس اجمعين**﴾ فإن قيل كيف قال والناس اجمعين وفي الناس من لا يلعن الكافر فالجواب من وجوه (احدها) ان كل أحد من الناس يلعن الكافر أما في الدنيا وأما في الآخرة أو فيهما جميعاً كما قال ﴿**ويوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضاً**﴾ عن ابي العالية و (ثانيها) أنه اراد به المؤمنين كأنه لم يعتد بغيرهم كما يقال المؤمنون هم الناس عن قتادة والربيع و (ثالثها) أنه لا يمتنع أحد من لعن الظالمين فيدخل في ذلك الكافر لأنه ظالم عن السدي واللعنة إنما تكون من الناس على وجه الدعاء ومن الله على

وجه الحكم وقوله خالدين فيها أي دائمين فيها أي في تلك اللعنة عن الزجاج والجبائي وقيل في النار لأنه كالمذكور لشهرته في حال المعذبين ولأن اللعن ابعاد من الرحمة وايجاب للعقاب والعقاب يكون في النار واما الخلود في اللعنة فيحتمل امرين (احدهما) الاستحقاق للعنة بمعنى انها تحقّ عليهم ابداً (والثاني) في عاقبة اللعنة وهي النار التي لا تفنى ابدا وقوله **﴿لا يخفف عنهم العذاب﴾** أي يكون عذابهم على وتيرة واحدة فلا يخفف احياناً ويشتدّ احياناً **﴿ولا هم ينظرون﴾** أي لا يمهلون للاعتذار كما قال سبحانه ولا يؤذن لهم فيعتذون قطعاً لطمعهم في التوبة عن ابي العالية وقيل معناه لا يؤخر العذاب عنهم بل عذابهم حاضر.

﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾

[**اللغة**] أو أحد شيء لا ينقسم عدداً كان أو غيره ويجري على وجهين على الحكم وعلى جهة الوصف فالحكم كقولك جزء واحد فإنه لا ينقسم من جهة انه جزء والوصف كقولك انسان واحد ودار واحدة فإنه لا ينقسم من جهة انه انسان.

[**الاعراب**] هو من قوله**﴿لا إله إلا هو﴾**في موضع رفع على البدل مِن موضع لا مع الاسم كقولك لا رجل الا زيد كأنك قلت ليس الا زيد كما تريد من المعنى إذ لم تعتد بغيره ولا يجوز النصب على قولك ما قام احد الازيد لأن البدل يدل على ان الاعتماد على الثاني والمعنى ذلك والنصب يدل على ان الاعتماد في الاخبار إنما هو على الاول والعبارة الواضحة ان هو بدل من محل آله قبل التركيب وقوله لا إله إلا هو هو اثبات الله سبحانه وهو بمنزلة قولك الله الآله وحده وإنما كان كذلك لأنه القادر على ما يستحق به العبادة ولا لم يدل على النفي في هذا الخبر من قبل أنه لم يدل على إله موجود ولا معدوم سوى الله لكنه نقيض لقول مَن ادّعى آلها مع الله وإنما النفي اخبار بعدم شيء كما ان الاثبات اخبار بوجوده.

[**النزول**] ابن عباس قال ان كفار قريش قالوا يا محمد صف لنا وانسب لنا ربك فانزل الله هذه الآية وسورة الاخلاص.

[**المعنى**] **﴿وإلهكم﴾** أي خالقكم والمنعم عليكم بالنعم التي لا يقدر عليها غيره والذي تحق له العبادة وقال علي بن عيسى معنى إلّه هو المستحق للعبادة وهذا غلط لأنه لو

كان كذلك لما كان القديم سبحانه آلهاً فيما لم يزل لأنه لم يفعل في الأزل ما يستحق به العبادة ومعنى قولنا انه تحقّ له العبادة انه قادر على ما إذا فعله استحق به العبادة وقوله ﴿آله واحد﴾ وصفة سبحانه بأنه واحد على اربعة اوجه (أحدها) انه ليس بذي ابعاض ولا يجوز عليه الانقسام ولا يحتمل التجزئة (والثاني) أنه واحد لا نظير له ولا شبيه له (والثالث) أنه واحد في الإلّهية واستحقاق العبادة (والرابع) أنه واحد في صفاته التي يستحقها لنفسه فإن معنى وصفنا لله تعالى بانه قديم انه المختص بهذه الصفة لا يشاركه فيها غيره ووصفنا له بأنه عالم قادر انه المختص بكيفية استحقاق هاتين الصفتين لأن المراد به أنه عالم بجميع المعلومات لا يجوز عليه الجهل وقادر على الاجناس كلها لا يجوز عليه العجز ووصفنا له بأنه حيّ باق أنه لا يجوز عليه الموت والفناء فصار الاختصاص بكيفية الصفات كالاختصاص بنفس الصفات يستحقها سبحانه وحده على وجه لا يشاركه فيه غيره وقوله ﴿لا آله الا هو﴾ هذه كلمة لإثبات الإلّهية لله تعالى وحده ومعناه الله هو الآله وحده واختلف في انه هل فيها نفي المثل عن الله سبحانه فقال المحققّون ليس فيها نفي المثل عنه لأن النفي إنما يصحّ في موجود او معدوم والله عز اسمه ليس له مثل موجود ولا معدوم وقال بعضهم فيها نفي المثل المقدر عن الله سبحانه وقوله ﴿الرحمن الرحيم﴾ إنما قرن الرحمن الرحيم بقوله لا آله إلا هو لأنه بينّ به سبب استحقاق العبادة على عباده وهو ما أنعم عليهم من النعم العظام التي لا يقدر عليها احد غيره فإن الرحمة هي النعمة على المحتاج اليها وقد ذكرنا معنى الرحمن الرحيم فيما مضى.

[**النظم**] الآية متصلة بما قبها وبما بعدها فاتصالها بما قبلها كاتصال الحسنة بالسيئة لتمحو أثرها ويحذر من مواقعتها لأنه لما ذكر الشرك واحكامه اتبع ذلك بذكر التوحيد واحكامه واتصالها بما بعدها كاتصال الحكم بالدلالة على صحته لأن ما ذكر في الآية التي بعدها هي الحجة على صحة التوحيد.

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ
وَٱخْتِلَـٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ
ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ

مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾

[**القراءة**] قرأ حمزة والكسائي الريح على التوحيد والباقون على الجمع ولم يختلفوا في توحيد ما ليس فيه الف ولام وقرأ أبو جعفر الرياح على الجمع كل القرآن الا في الذاريات وقرأ أبو عمرو ويعقوب وابن عامر وعاصم الرياح في عشرة مواضع في البقرة والاعراف والحجر والكهف والفرقان والنمل والروم في موضعين وفاطر والجاثية وقرأ نافع اثني عشر موضعاً هذه العشرة وفي إبراهيم وعسق وقرأ ابن كثير في خمسة مواضع البقرة والحجر والكهف واول الروم والجاثية وقرأ الكسائي الرياح في ثلاثة مواضع في الحجر والفرقان وأول الروم ووافقه حمزة الا في الحجر .

[**الحجة**] قال ابن عباس الرياح للرحمة والريح للعذاب وروي أن النبي صلى الله عليه وآله كان إذا هبت ريح قال اللهم اجعلها رياحاً ولا تجعلها ريحاً ويقوّي هذا الخبر قوله سبحانه **﴿ومن آياته ان يرسل الرياح مبشرات﴾** ويشبه ان يكون النبي صلى الله عليه وآله إنما قصد بقوله هذا الموضع وبقوله ولا تجعلها ريحاً قوله سبحانه **﴿وفي عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم﴾** وقد تختص اللفظة في التنزيل بشيء فيكون امارة له فمن ذلك ان عامة ما جاء في القرآن من قوله ما يدريك مبهم غير مبيّن وما كان من لفظ ما ادريك مفسر كقوله وما أدريك ما الحاقة وما القارعة وما يدريك لعلّ الساعة قريب قال أبو علي وتصريف الرياح على الجمع اولى لأن كل واحدة من الرياح مثل الأخرى في دلالتها على التوحيد ومن وحّد فإنه اراد الجنس كما قالوا اهلك الناس الدينار والدرهم فأما قوله ولسليمان الريح عاصفة وان كانت الرياح كلها سخرت له فالمراد بها الجنس والكثرة وان كانت قد سحرت له ريح بعينها كان كقولك الرجل وانت تريد به العهد واما قوله **﴿وفي عاد إذ أرسلنا عليهم الريح﴾** فهي واحدة يدلك عليه قوله **﴿فأرسلنا عليهم ريحاً صرصراً﴾** وفي الحديث نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور فهذا يدلّ على أنها واحدة .

[**اللغة**] الخلق هو الاحداث للشيء على تقدير من غير احتذاء على مثال ولذلك لا يجوز اطلاقه الا في صفات الله سبحانه لأنه لا احد سوى الله يكون جميع افعاله على ترتيب من غير احتذاء على مثال وقد استعمل الخلق بمعنى المخلوق كما استعمل الرضا

بمعنى المرضي وهو بمنزلة المصدر وليس معنى المصدر بمعنى المخلوق واختلف اهل العلم فيه إذا كان بمعنى المصدر فقال قوم هو الارادة له وقال آخرون إنما هو على معنى مقدر كقولك وجود وعدم وحدوث وقدم وهذه الاسماء تدل على مسمى مقدر للبيان عن المعاني المختلفة والا فالمعني بها هذا الموصوف في الحقيقة والسماوات جمع السماء وكل سقف سماء غير أنه إذا اطلق لم يفهم منه غير السماوات السبع وإنما جمعت السماوات ووحدت الأرض لأنه لما ذكر السماء بأنها سبع في قوله **﴿فسواهن سبع سموات﴾** وقوله **﴿خلق سبع سموات﴾** جمع لئلا يوهم التوحيد معنى الواحدة من هذه السبع وقوله **﴿ومن الأرض مثلهنّ﴾** وان دلّ على معنى السبع فإنه لم يجر على جهة الافصاع بالتفصيل في اللفظ وأيضاً فإن الأرض لتشاكلها تشبه الجنس الواحد الذي لا يجوز جمعه الا أن يراد الاختلاف وليس تجري السماوات مجرى الجنس المتفق لأنه دَبَّر في كل سماء امرها التدبير الذي هو حقها والاختلاف نقيض الاتفاق واختلاف الليل والنهار اخذ من الخلف لأن كل واحد منهما يخلف صاحبه على وجه المعاقبة وقيل هو من اختلاف الجنس كاختلاف السواد والبياض لأن احدهما لا يسدّ مسدّ الآخر في الادراك والمختلفان ما لا يسدّ أحدهما مسدّ الآخر فيما يرجع إلى ذاته والليل هو الظلام المعاقب للنهار واحدته ليلة فهو مثل تمر وتمرة والنهار هو الضياء المتسع واصله الاتساع ومنه قول الشاعر:

مَلَكْتُ بِها كَفِّي فَأَنْهَرْتُ فَتْقَهَا ... يَرى قَائِمٌ مِنْ دُوْنِهَا مَا وَرَاءَهَا

أي أوسعت وإنما جمعت الليلة ولم يجمع النهار لأن النهار بمنزلة المصدر كقولك الضياء يقع على الكثير والقليل على أنه قد جاء جمع النهار نُهُر على وجه الشذوذ وقال الشاعر:

لَوْلَا الثَّرِيْدَانِ هَلَكْنَا بِالضُّمُرْ[1] ... ثَرِيْدُ لَيْلٍ وَثَرِيْدٌ بِالنُّهُرْ

والفُلْك السفن تقع على الواحد والجمع والفلك فلك السماء وكل مستدير فلك قال صاحب العين قيل هو اسم للدوران خاصة وقيل بل اسم لاطباق سبعة فيها النجوم وفلكت الجارية إذا استدار ثديها واصل الباب الدور وما انزل الله من السماء وقال قوم السماء يقع على السحاب لأن كل شيء علا شيئاً فهو سماء له وقال علي بن عيسى قيل ان السحاب بخارات تصعد من الأرض وذلك جائز لا يقطع به ولا مانع من صحته من دليل عقل ولا سمع والسماء السقف قال سبحانه **﴿وجعلنا السماء سقفاً محفوظاً﴾** فالسماء المعروفة سقف

(١) الضمور : الهزال وغثة اللحم.

الأرض واصله من السمو وهو العلو فالسماء الطبقة العالية على الطبعة السافلة والارض الطبقة السافلة ويقال ارض البيت وارض الغرفة فهو سماء لما تحته من الطبقة السافلة وارض لما فوقه الا انه صار ذلك الاسم بمنزلة الصفة الغالبة على السماء المعروفة وهذا الاسم كالعلم على الأرض المعروفة والبحر هو الخرق الواسع للماء الذي يزيد على سعة النهر والمنفعة هي اللذة والسرور أو ما ادّى اليهما أو إلى واحد منهما والنفع والخير والحظ نظائر وقد تكون المنفعة بالآلام إذا ادّت إلى لذات والاحياء فعل الحياة وحياة الأرض عمارتها بالنبات وموتها خرابها بالجفاف الذي يمتنع معه النبات والبثّ التفريق ولك شيء بثثته فقد فرقته وسمي الغم بثاً لتقسم القلب به والدابة من الدبيب وكل شيء خلقه الله مما يدبّ فهو دابة وصار بالعرف اسماً لما يُركب والتصريف التقليب وصرف الدهر تقلبه وجمعه صروف والسحاب مشتق من السحب وهو جَرُّكَ الشيء على وجه الارض كما تسحب المرأة ذيلها وكل منجّر منسحب وسمي سحاباً لانجراره في السماء والتسخير والتذليل والتمهيد نظائر يقال سخّر الله لفلان كذا إذا سهّله له وسخرت الرجل إذا كلفته عملاً بلا اجرة وهي السخرة وسخر منه إذا استهزأ به والرياح اربع الشمال والجنوب والصبا والدبور فالشَمال عن يمين القبلة والجَنوب عن يسارها والصبا والدبور متقابلان فالصبا من قبل المشرق والدبور من قبل المغرب وانشد أبو زيد :

إِذَا قِلْتُ هَــذَا حِينَ أَسْلُو يَهِيْجُنِي   نَسِيمُ الصَّبَا مِنْ حَيْثُ يُطَّلَعُ الفَجْرُ

فإذا جاءت الريح بين الصبا والشمال فهي النكباء والتي بين الجنوب والصبا الجِرْبياء والصبا هي القبول والجَنوب يسمى الأزْيب ويسمى النعامى والشمال يسمى مَحْوَة لا تنصرف ويسمى مسعاًونسعاً(١) ويسمى الجنوب لاقحا والشمال حائلاً قال أبو داود يصف سحاباً.

لَقَحْنَ ضَحِيّاً لِلَقْحِ الجَنُوبْ   فَـأَصْبَحْنَ يَنْتُجْنَ مَـاء الحَيـا

قوله للقح الجنوب أي لإلقاح الجنوب وقال زهير .

جَرَتْ سُنُحاً(٢) فَقُلت لَهَا مَرُوعاً   نَــوىً مَشْمُــوَلَــةٌ فَـمَتـى ٱللِّقَــاءُ

مشمولة أي مكروهة لأنهم يكرهون الشمال لبردها وذهابها بالغيم فصار كل مكروه

---

(١) ويسمّى ايضاً «منسعا» كما في بعض النسخ.
(٢) السنح جمع السانح وهو النو يأتي من جانب اليمين ويقابله البارح والعرب تتيّمن بالسانح وتتشام بالبارح.

عندهم مشمولاً .

[**المعنى**] لما اخبر الله سبحانه الكفار بأن إلّههم إلّه واحد لا ثاني له قالوا ما الدلالة على ذلك فقال الله سبحانه **﴿ان في خلق السموات والأرض﴾** أي في انشائهما مقدرين على سبيل الاختراع **﴿واختلاف الليل والنهار﴾** كل واحد منهما يخلف صاحبه إذا ذهب أحدهما جاء الآخر على وجه المعاقبة أو اختلافهما في الجنس واللون والطول والقصر **﴿والفلك التي تجري في البحر﴾** أي السفن التي تحمل الاحمال **﴿بما ينفع الناس﴾** خصّ النفع بالذكر وان كان فيه نفع وضرّ لأن المراد هنا عدّ النعم ولأن الضار غيره إنما يقصد منفعة نفسه والنفع بها يكون بركوبها والحمل عليها في التجارات والمكاسب **﴿وما انزل الله من السماء﴾** أي من نحو السماء عند جميع المفسرين وقيل يريد به السحاب **﴿من ماء﴾** يعني المطر **﴿فاحيا به الارض بعد موتها﴾** أي فعمّر به الارض بعد خرابها لأن الأرض إذا وقع عليها المطر انبتت وإذا لم يصبها مطر لم تنبت ولم يتم نباتها فكانت من هذا الوجه كالميت وقيل اراد به احياء اهل الارض باحياء الاقوات وغيرها مما تحيا به نفوسهم **﴿وبثّ فيها من كل دابة﴾** أي فرّق في الأرض من كل حيوان يدب واراد بذلك خلقها في مواضع متفرقة **﴿وتصريف الرياح﴾** أي تقليبها بأن جعل بعضها صباء وبعضها دبور أو بعضها شمالاً وبعضها جنوباً وقيل تصريفها بأن جعل بعضها يأتي بالرحمة وبعضها يأتي بالعذاب عن قتادة وروي ان الريح هاجت على عهد ابن عباس فجعل بعضهم يسب الريح فقال لا تسبوا الريح ولكن قولوا اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها عذاباً **﴿والسحاب المسخر﴾** أي المذلل **﴿بين السماء والأرض﴾** يصرفها كما يشاء من بلد إلى بلد ومن موضع إلى موضع **﴿لآيات﴾** أي حججاً ودلالات **﴿لقوم يعقلون﴾** قيل أنه عام في العقلاء من استدل منهم ومن لم يستدل وقيل أنه خاص بمن استدل به لأن من لم ينتفع بتلك الدلالات ولم يستدل بها صار كأنه لا عقل له فيكون مثل قوله **﴿إنما أنت منذر من يخشاها﴾** وقوله **﴿هدى للمتقين﴾** وذكر سبحانه الآيات والدلالات ولم يذكر على ماذا تدلّ فحذف لدلالة الكلام عليه وقد بين العلماء تفصيل ما تدلّ عليه فقالوا أما السماوات والأرض فيدل تغيّر اجزائهما واحتمالهما الزيادة والنقصان وانهما[1] من الحوادث لا ينفكان عن حدوثهما ثم ان حدوثهما وخلقهما يدل على ان لهما خالقاً لا يشبههما ولا يشبهانه لأنه لا يقدر على خلق الاجسام الا القديم القادر لنفسه الذي ليس بجسم ولا عرض إذ جميع ما هو بصفة

(١) الظاهر «على انهما» مكان (وانهما) .

الاجسام والاعراض محدَث ولا بد له من محدِث ليس بمحدَث لاستحالة التسلسل ويدل كونهما على وجه الاتقان والاحكام والاتساق والانتظام على كون فاعلهما عالماً حكيماً وأما اختلاف الليل والنهار وجريهما على وتيرة واحدة واخذ احدهما من صاحبه الزيادة والنقصان وتعلق ذلك بمجاري الشمس والقمر فيدل على عالم مدبر يدبرهما على هذا الحد لا يسهو ولا يذهل من جهة انها افعال محكمة واقعة على نظام وترتيب لا يدخلها تفاوت ولا اختلال واما الفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس فيدل حصول الماء على ما تراه من الرقة واللطافة التي لولاها لما امكن جري السفن عليه وتسخير الرياح لاجرائها في خلاف الوجه الذي يجري الماء إليه على منعم منهم دبّر ذلك لمنافع خلقه ليس من جنس البشر ولا من قبيل الاجسام لأن الاجسام يتعذر عليها فعل ذلك واما الماء الذي ينزل من السماء فيدل انشاؤه وانزاله قطرة قطرة لا تلتقي اجزاؤه ولا تتألف في الجوّ فينزل مثل السيل فيخرّب البلاد والديار ثم امساكه في الهواء مع انّ مِنْ طبع الماء الانحدار إلى وقت نزوله بقدر الحاجة وفي أوقاتها على ان مدبرة قادر على ما يشاء من الامور عالم حكيم خبير واما احياء الارض بعد موتها فيدّل بظهور الثمار وانواع النبات وما يحصل به من اقوات الخلق وارزاق الحيوانات واختلاف طعومها والوانها وروائحها واختلاف مضارها ومنافعها في الاغذية والادوية على كمال قدرته وبدائع حكمته سبحانه من عليم حكيم ما اعظم شأنه وأما بثّ كل دابة فيها فيدل على ان لها صانعاً مخالفاً لها منعماً بأنواع النعم خالقاً للذوات المختلفة بالهيئات المختلفة في التراكيب المتنوعة من اللحم والعظم والاعصاب والعروق وغير ذلك من الاعضاء والاجزاء المتضمنة لبدائع الفطرة وغرائب الحكمة الدالة على عظيم قدرته وجسيم نعمته واما الرياح فيدل تصريفها بتحريكها وتفريقها في الجهات مرة حارة ومرة باردة وتارة لينة واخرى عاصفة وطوراً عقيماً وطوراً لاقحة على ان مصرفها قادر على ما لايقدر عليه سواه إذ لو اجمع الخلق كلهم على ان يجعلوا الصبا دبوراً أو الشمال جنوباً لما امكنهم ذلك واما السحاب المسخر فيدل على ان ممسكه هو القدير الذي لا شبيه له ولا نظير لأنه لا يقدر على تسكين الاجسام بغير علاقة ولا دعامة الا الله سبحانه وتعالى القادر لذاته الذي لا نهاية لمقدوراته فهذه هي الآيات الدالة على ان الله سبحانه صانع غير مصنوع قادر لا يعجزه شيء عالم لا يخفى عليه شيء حيّ لا تلحقه الآفات ولا تغيّره الحادثات ولا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء وهو السميع البصير استشهد بحدوث هذه الاشياء على قدمه وازليته وبما وسمها به من العجز والتسخير على كمال قدرته وبما ضمنها من البدائع على عجائب خلقته وفيها أيضاً أوضح

دلالة على أنه سبحانه المنان على عباده بفوائد النعم المنعم عليهم بما لا يقدر غيره على الانعام بمثله من جزيل القسم فيعلم بذلك أنه سبحانه الآله الذي لا يستحق العبادة سواه وفي هذه الآية أيضاً دلالة على وجوب النظر والاستدلال وان ذلك هو الطريق إلى معرفته وفيها لبيان لما يجب فيه النظر وابطال التقليد .

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾

[**القراءة**] قرأ نافع وابن عامر ويعقوب ولو ترى الذين ظلموا بالتاء على الخطاب وقرأ الباقون بالياء وكلهم قرأوا إذ يَرون العذاب بفتح الياء الا ابن عامر فإنه قرأ إذ يُرَوْنَ بالضم وقرأ أبو جعفر ويعقوب ان القوة لله وإن الله بكسر الهمزة فيهما والباقون بفتحها .

[**الحجة**] قال أبو علي حجة من قرأ ﴿**ولو يرى الذين ظلموا**﴾ بالياء ان لفظ الغيبة اولى من لفظ الخطاب من حيث انه يكون اشبه بما قبله من قوله ﴿**ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً**﴾ وهو أيضاً اشبه بما بعده من قوله ﴿**كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات**﴾ وحجة من قرأ ولو ترى فجعل الخطاب للنبي عليه السلام لكثرة ما جاء في التنزيل من قوله ولو ترى ويكون الخطاب للنبي عليه السلام والمراد به الكافة واما فتح ان القوة فيمن قرأ بالتاء فلا يخلو من أن يكون ترى من رؤية البصر أو المتعدية الى مفعولين فإن جعلته من رؤية البصرِ لم يجز ان يتعدى إلى انّ لأنها قد استوفت مفعولها الذي تقتضيه وهو الذين ظلموا ولا يجوز ان تكون المتعدية إلى مفعولين لأن المفعول الثاني في هذا الباب هو المفعول الاول في المعنى وقوله ان القوة لله لا يكون الذين ظلموا فإذاً يجب ان يكون منتصباً بفعل آخر غير ترى وذلك الفعل هو الذي يقدر جواباً للو كأنه قال ولو ترى الذين ظلموا إذ يرون العذاب لرأوا ان القوة لله جميعاً والمعنى انهم شاهدوا من قدرته سبحانه ما تيقّنوا معه انه قويّ عزيز وان الامر ليس على ما كانوا عليه من جحودهم لذلك أو شكّهم فيه ومذهب من قرأ بالياء ابين لأنهم ينصبون انّ بالفعل الظاهر دون المضمر والجواب في هذا النحو يجيء محذوفاً فإذا اعمل الجواب في شيء صار بمنزلة الاشياء المذكورة في اللفظ فحمل المفعول عليه

يخالف ما عليه سائر هذا النحو من الآي التي حذفت الاجوبة معها لتكون ابلغ في باب التوعيد هذا كلام أبي علي الفارسي ونحن نذكر ما قاله غيره في كسر ان القوة وفتحها في الاعراب وحجة من قرأ إذ يرون العذاب قوله ورأوا العذاب وقوله ﴿**وإذا رأى الذين ظلموا**﴾ العذاب وحجة ابن عامر قوله ﴿**كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات**﴾ لأنك إذا بنيت هذا الفعل للمفعول به قلت يُرَوْنَ اعمالهم حسرات.

[**اللغة**]الانداد والأشباه والامثال نظائر واحدها نِدّ وقيل هي الاضداد واصل الند المثل المناوىء(١)والحب خلاف البغض والمحبة هي الارادة الا ان فيها حذفاً لا يكون في الارادة فإذا قلت احب زيداً فالمعنى أني اريد منافعه أو مدحه وإذا قلت احَبّ الله زيداً فالمعنى أنه يريد ثوابه وتعظيمه وإذا قلت أُحبّ الله فالمعنى اريد طاعته واتباع اوامره ولا يقال أريد زيداً ولا ان الله يريد المؤمن ولا اني اريد الله فاعتيد الحذف في المحبة ولم يعتد في الارادة وقيل ان المحبة ليست من جنس الارادة بل هي من جنس ميل الطبع كما تقول احب ولدي أي يميل طبعي اليه وهذا من المجاز بدلالة انهم يقولون احببت ان افعل بمعنى اردت ان افعل ويقال احبه احباباً وحَبَّه حباً ومحبة واحب البعير احباباً إذا برك فلا يثور وهو كالحِران في الخيل(٢) قال ابو عبيدة ومنه قوله احببت حب الخير عن ذكر ربي أي لصقت بالأرض لحب الخيل حتى فاتتني الصلاة ويرى قال ابو علي الفارسي هو من رؤية العين يدل على ذلك تعديه إلى مفعول واحد تقديره ولو يرون ان القوة لله أي لو يرى الكفار ذلك ويدل عليه قوله إذ يرون العذاب والشدة قوة العقد وهو ضد الرخاوة والقوة والقدرة واحدة.

[**الاعراب**] يجوز فتح انّ من ثلاثة اوجه وكسرها من ثلاثة اوجه مع الفراء بالياء فأما الفتح (فالأول) ان يفتح بايقاع الفعل عليها بمعنى المصدر وتقديره ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب قوة الله وشدة عذابه (والثاني) ان يفتح على حذف اللام كقولك لأن القوة لله (والثالث) على تقدير لرأوا ان القوة لله وان الله شديد العذاب على الاتصال بما حذف من الجواب واما الوجه الأول في الكسر فعلى الاستئناف والثاني على الحكاية مما حذف من الجواب كأنه قيل لقالوا ان القوة لله والثالث على الاتصال بما حذف من الحال كأنه قيل يقولون ان القوة لله فأما مع القراءة بالتاء فيجوز أيضاً كسر ان من ثلاثة اوجه وفتحها من

(١) ناوأه مناوأة: عاداه.

(٢) حرن حرانا البغل: وقف ولم ينقد.

ثلاثة أوجه فأما الفتح (فأولها) ان يكون على البدل كقولك ولو ترى الذين ظلموا ان القوة لله عليهم عن الفراء وقال أبو علي وهذا لا يجوز لأن قوله ان القوة ليس الذين ظلموا ولا بعضهم ولا مشتملاً عليهم (والثاني) ان يفتح على حذف اللام كقولك لأن القوة (والثالث) لرأيت ان القوة لله واما الكسر مع التاء فكالكسر مع الياء قال الفراء والاختيار مع الياء الفتح ومع التاء الكسر لأن الرؤية قد وقعت على الذين وجواب لو محذوف كأنه قيل لرأوا مضرة اتخاذهم الانداد ولرأوا امراً عظيماً لا يحصر بالأوهام وحذف الجواب يدل على المبالغة كقولك لو رأيت السياط تأخذ فلاناً لأن المحذوف يحتمل كل أمر ومن قرأ ولو يرى بالياء فالذين ظلموا في موضع رفع بأنهم الفاعلون ومن قرأ بالتاء فالذين ظلموا في موضع نصب وقوله جميعاً نصب على الحال كأنه قيل انٰ القوة ثابتة لله في حال اجتماعها وهو صفة مبالغة بمعنى إذا رأوا مقدورات الله فيما تقدم الوعيد به علموا ان الله سبحانه قادر لا يعجزه شيء وقوله يحبونهم في موضع نصب على الحال من الضمير في يتخذ وان كان الضمير في يتخذ على التوحيد لأنه يعود إلى من ويجوز ان يعود إليه الضمير على اللفظ مرة وعلى المعنى اخرى ويجوز ان يكون يحبّونهم صفة لقوله انداداً قال ابو علي لو قلت كيف جاء إذ في قوله إذ يرون العذاب وهذا امر مستقبل فالقول أنه جاء على لفظ المضي لارادة التقريب في ذلك كما جاء وما أمر الساعة الا كلمح البصر أو هو اقرب وان الساعة قريب وعلى هذا قوله ﴿**ونادى اصحاب الجنة أصحاب النار**﴾ ومن هذا الضرب ما جاء في التنزيل من قوله ﴿**ولو ترى إذ فزعوا**﴾ فلا فوت ولو ترى إذ وقفوا على النار ولو ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم.

[**المعنى**] ﴿**ومن الناس**﴾ من للتبعيض هاهنا أي بعض الناس ﴿**من يتخذ من دون الله انداداً**﴾ يعني آلهتهم من الاوثان التي كانوا يعبدونها عن قتادة ومجاهد واكثر المفسرين وقيل رؤساؤهم الذين يطيعونهم طاعة الارباب من الرجال عن السدي وعلى هذا المعنى ما روى جابر عن ابي جعفر عليه السلام أنه قال هم أئمة الظلمة واشياعهم وقوله ﴿**يحبونهم كحب الله**﴾ على هذا القول الاخير ادل لأنه يبعد ان يحبوا الاوثان كحب الله مع علمهم بأنها لا تنفع ولا تضر ويدل أيضاً عليه قوله إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ومعنى يحبّونهم يحبّون عبادتهم أو التقرب اليهم أو الانقياد لهم أو جميع ذلك كحبّ الله فيه ثلاثة أقوال (أحدها) كحبكم الله أي كحب المؤمنين الله عن ابن عباس والحسن (والثاني) كحبهم الله

يعني الذين اتخذوا الانداد فيكون المعني به من يعرف الله من المشركين ويعبد معه الاوثان ويسوّي بينهما في المحبة عن ابي علي وابي مسلم (والثالث) كحب الله أي كالحب الواجب عليهم اللازم لهم لا الواقع **﴿والذين آمنوا اشد حبا لله﴾** يعني حب المؤمنين فوق حب هؤلاء وحبهم أشد من وجوه (أحدها) اخلاصهم العبادة والتعظيم له والثناء عليه من الاشراك (وثانيها) انهم يحبونه عن علم بأنه المنعم ابتداء وانه يفعل بهم في جميع احوالهم ما هو الاصلح لهم في التدبير وقد انعم عليهم بالكثير فيعبدونه عبادة الشاكرين ويرجون رحمته على يقين فلابد ان يكون حبهم له اشد (وثالثها) أنهم يعلمون ان له الصفات العلى والاسماء الحسنى وانه الحكيم الخبير الذي لا مثيل له ولا نظير يملك النفع والضر والثواب والعقاب وإليه المرجع والمآب فهم اشد حباً لله بذلك ممّن عبد الأوثان واختلف في معنى قوله أشد حباً فقيل اثبت وأدوم لان المشرك ينتقل من صنم إلى صنم عن ابن عباس وقيل لأن المؤمن يعبده بلا واسطة والمشرك يعبده بواسطة عن الحسن وقوله **﴿ولو يرى الذين ظلموا﴾** تقديره ولو يرى الظالمون أي يبصرون وقيل لو يعلم هؤلاء الظالمون **﴿حين يرون العذاب﴾** والصحيح الأول كما تقدم بيانه هذا على قراءة من قرأ بالياء ومن قرأ بالتاء فمعناه ولو ترى يا محمد عن الحسن والخطاب له والمراد غيره وقيل معناه لو ترى ايها السامع أو أيها الانسان الظالمين إذ يرون العذاب وقوله **﴿ان القوة لله﴾** فيه حذف أي لرأيت ان القوة لله **﴿جميعاً﴾** فعلى هذا يكون متصلاً بجواب لو ومن قرأ بالياء فمعناه ولو يرى الظالمون ان القوة لله جميعاً لرأوا مضرة فعلهم وسوء عاقبتهم ومعنى قوله ان القوة لله جميعاً ان الله سبحانه قادر على اخذهم وعقوبتهم وفي هذا وعيد واشارة إلى ان هؤلاء الجبابرة مع تعزّزهم إذا حشروا ذلّوا وتخاذلوا وقد بيّنا الوجوه في فتح ان وكسرها فالمعنى تابع لها ودائر عليها وجواب لو محذوف على جميع الوجوه **﴿وان الله شديد العذاب﴾** وصف العذاب بالشدة توسعاً ومبالغة في الوصف فإن الشدة من صفات الاجسام.

[**النظم**] وجه اتصال هذه الآية بما قبلها ان الله سبحانه اخبر ان مع وضوح هذه الآيات والدلالات التي سبق ذكرها اقام قوم على الباطل وانكار الحق فكأنه قال ابعد هذا البيان وظهور البرهان يتخذون من دون الله انداداً.

﴿ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ

بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ
مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّا كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ
وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾

[**اللغة**] التبرؤ في اللغة والتفصي والتنزيل[١] نظائر واصل التبرؤ التولي والتباعد للعداوة وإذا قيل تبرأ الله من المشركين فكأنه باعدهم من رحمته للعداوة التي استحقوها بالمعصية واصله من الانفصال ومنه برأ من مرضه وبرىء يبرأ برأً وبراء وبريء من الذين براءة والاتّباع طلب الاتفاق في مقال او فعال أو مكان فإذا قيل اتبّعه ليلحقه فالمراد ليتفق معه في المكان والتقطع التباعد بعد اتصال والسبب الوصلة إلى المتعذر بما يصلح من الطلب والاسباب الوصلات واحدها سبب ومنه يسمى الحبل سبباً لأنك تتوصل به إلى ما انقطع عنك من ماء بئر أو غيره ومضت سَبّة من الدهر أي مَلاوة[٢] والكرة الرجعة قال الاخطل.

وَلَقَدْ عَطَفْنَ عَلَى فَزَارَةَ عَطْفَةً كَرَّ ٱلْمَنِيحِ[٣] وَجُلْنَ ثَمَّ مَجَالاَ

والكَرّ نقيض الفرّ قال صاحب العين الكر الرجوع عن الشيء والكر الحبل الغليظ وقيل الشديد الفتل والحسرات جمع الحسرة وهي اشد الندامة والفرق بينها وبين الارادة ان الحسرة تتعلق بالماضي خاصة والارادة تتعلق بالمستقبل لأن الحسرة انما هي على ما فات بوقوعه او ينقضي وقته والحسرة والندامة من النظائر يقال حسر يحسر حسراً وحسرة إذا كمد على الشيء الفائت وتلهف عليه واصل الحسر الكشف تقول حسرت العمامة عن راسي إذا كشفتها وحسر عن ذراعيه حسراً والحاسر الذي لا درع عليه ولا مغفر.

[**الاعراب**] العامل في إذ قوله شديد العذاب أي وقت التبرؤ وانتصب فمتبرأ على أنه جواب التمني بالفاء كأنه قال ليت لنا كروراً فبرأ، وكلما عطف الفعل على ما تأويله

(١) كذا في جملة من النسخ وفي نسخة « التزايل » والظاهر « التزيّل » كما في التبيان.
(٢) أي برهة.
(٣) المنيح سهم من سهام الميسر مما لا نصيب له الا ان يمنح صاحبه شيئاً، ولعل التشبيه بالمنيح من جهة انه يرجى لصاحبه المغنم في الكرة الثانية.

تأويل المصدر نصب باضمار ان ولا يجوز اظهارها فيما لم يفصح بلفظ المصدر فيه لأنه لما حمل الأول على التأويل حمل الثاني على التأويل أيضاً ويجوز فيه الرفع على الاستئناف أي فنحن نتبرأ منهم على كل حال وأما قوله لو ان لنا كرة ففي موضع الرفع لفعل محذوف تقديره لو صح ان لنا كرة لأن لو في التمني وفي غيره تطلب الفعل وان شئت قلت تقديره لو ثبت ان لنا كرة واقول ان جواب لو هنا أيضاً في التقدير محذوف ولذلك افاد لو في الكلام معنى التمني فيكون تقديره لو ثبت ان لنا كرة فنتبرأ منهم لتشفينا بذلك وجازيناهم صاعاً بصاع وهذا شيء أخرجه لي الاعتبار ولم أره في الاصول وهو الصحيح الذي لا غبار عليه وبالله التوفيق واما العامل في الكاف من كذلك فقوله يريهم الله أي يريهم الله اعمالهم حسرات كذلك أي مثل تبرؤ بعضهم من بعض وذلك لانقطاع الرجاء من كل واحد منهما وقيل تقديره يريهم اعمالهم حسرات كما أراهم العذاب وذلك لأنهم ايقنوا بالهلاك في كل واحد منهما.

[**المعنى**] لما ذكر الذين اتخذوا الانداد ذكر سوء حالهم في المعاد فقال سبحانه **﴿إذ تبرأ الذين اتبعوا﴾** وهم القادة والرؤساء من مشركي الانس عن قتادة والربيع وعطاء وقيل هم الشياطين الذين اتبعوا بالوسوسة من الجن عن السدي وقيل هم شياطين الجن والانس والاظهر هو الاول **﴿من الذين اتبعوا﴾** اي من اتباع السفل **﴿ورأوا﴾** أي رأى التابعون والمتبوعون **﴿العذاب﴾** أي عاينوه حين دخلوا النار **﴿وتقطعت بهم الاسباب﴾** فيه وجوه (أحدها) الوصلات التي كانوا يتواصلون عليها عن مجاهد وقتادة والربيع (والثاني) الارحام التي كانوا يتعاطفون بها عن ابن عباس (والثالث) العهود التي كانت بينهم يتوادون عليها عن ابن عباس أيضاً (والرابع) تقطعت بهم اسباب اعمالهم التي كانوا يوصلونها عن ابن زيد والسدي (والخامس) تقطعت بهم اسباب النجاة عن أبي علي وظاهر الآية يحتمل الكل فينبغي ان يحمل على عمومه فكأنه قيل قد زال عنهم كل سبب يمكن ان يتعلق به فلا ينتفعون بالاسباب على اختلافها من منزلة أو قرابة أو مودة أو حلف أو عهد على ما كانوا ينتفعون بها في الدنيا وذلك نهاية في الاياس **﴿وقال الذين اتبعوا﴾** يعني الاتباع **﴿لو ان لنا كرة﴾** أي عودة إلى دار الدنيا وحال التكليف **﴿فنتبرأ منهم﴾** أي من القادة في الدنيا **﴿كما تبرأوا منا﴾** في الآخرة **﴿كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم﴾** (أحدها) ان المراد المعاصي يتحسرون عليها لم عملوها عن البيع وابن ريد وهو اختيار الجبائي والبلخي (والثاني) المراد الطاعات يتحسرون عليها لم لَمْ يعملوها وضيّعوها عن السدي

(والثالث) ما رواه اصحابنا عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال هو الرجل يكتسب المال ولا يعمل فيه خيراً فيرثه من يعمل فيه عملاً صالحاً فيرى الاول ما كسبه حسرة في ميزان غيره (والرابع) ان الله سبحانه يريهم مقادير الثواب التي عرضهم لها لو فعلوا الطاعات فيتحسرون عليه لم فرطوا فيه والآية محتملة لجميع هذه الوجوه فالاولى الحمل على العموم ﴿**وما هم بخارجين من النار**﴾ أي يخلدون فيها بين سبحانه في الآية انهم يتحسرون في وقت لا ينفعهم فيه الحسرة وذلك ترغيب في التحسر في وقت تنفع فيه الحسرة واكثر المفسرين على ان الآية واردة في الكفار كابن عباس وغيره وفي هذه الآية دلالة على انهم كانوا قادرين على الطاعة والمعصية لأن ليس في المعقول ان يتحسر الانسان على ترك ما كان لا يمكنه الانفكاك عنه أو على فعل ما كان لا يمكنه الاتيان به الا ترى انه لا يتحسر الانسان على انه لم يصعد السماء لما لم يكن قادراً على الصعود إلى السماء.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَـٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾

[**القراءة**] قرأ نافع وأبو عمرو وحمزة وأبو بكر إلّا البُرجمي[١] خطْوات بسكون الطاء حيث وقع والباقون بضمها وروي في الشواذ عن علي عليه السلام خُطُوءات بضمتين وهمزة وعن ابي السماك خَطَوات بفتح الخاء والطاء.

[**الحجة**] ما كان على فُعلة من الاسماء فالأصل في جمعه التثقيل نحو غرفة وغرفات وحجرة وحجرات لأن التحريك فاصل بين الاسم والصفة ومن اسكنه قال خطوات فإنه نوى الضمة واسكن الكلمة عنها طلباً للخفة ومَنْ ضم الخاء والطاء مع الهمزة فكأنه ذهب بها مذهب الخطيئة فجعل ذلك على مثال فعله من الخطأ هذا قول الاخفش وقال أبو حاتم ارادوا اشباع الفتحة في الواو فانقلبت همزة ومن فتح الخاء والطاء فهو جمع خَطوة فيكون مثل تمرة وتمرات.

[**اللغة**] الاكل هو البلع عن مضغ وبَلْع الذهب واللؤلؤ وما أشبهه ليس بأكل في الحقيقة وقد قيل النعام تأكل الجمر فاجروه مجرى اكل الطعام والحلال هو الجائز من

(١) راوي أبي بكر.

افعال العباد ونظيره المباح واصله الحل نقيض العقد وانما سمي المباح حلالاً لانحلال عقد الحظر عنه ولا يسمى كل حسن حلالاً لأنه أفعاله تعالى حسنة ولا يقال انها حلال إذا الحلال اطلاق في الفعل لمن يجوز عليه المنع يقال حل يحل حلالاً وحل يحل حلولاً وحل العقد يحله حلاً واحل من احرامه وحل فهو محل وحلال وحلت عليه العقوبة وجبت والطيب هو الخالص من شائب ينغصّ وهو على ثلاثة اقسام الطيّب المستلذ والطيّب الجائز والطيّب الطاهر والاصل هو المستلذ الا انه وصف به الطاهر والجائز تشبيهاً إذ ما يزجر عنه العقل أو الشرع كالذي تكرهه النفس في الصرف عنه وما تدعو إليه بخلاف ذلك والطيّب الحلال والطيّب النظيف واصل الباب الطيّب خلاف الخبيث والخطوة بعد ما بين قدمي الماشي والخطوة المرة من الخطو يقال خطوت خطوة واحدة وجمع الخطوة خطى واصل الخطو نقل القدم وخطوات الشيطان آثاره والعدّو المباعد عن الخير إلى الشر والولي نقيضه.

[**الاعراب**] حلالاً صفة مصدر محذوف أي كلوا شيئاً حلالاً ومن في قوله مما في الأرض يتعلق بكلوا أو بمحذوف يكون معه في محل النصب على الحال والعامل فيه كلوا وذو الحال قوله حلالاً وقوله طيباً صفة بعد صفة.

[**النزول**]عن ابن عباس انها نزلت في ثقيف وخزاعة وبني عامر بن صعصعة وبني مدلج لما حرّموا على أنفسهم من الحرث والانعام والبحيرة والسائبة والوصيلة فنهاهم الله عن ذلك.

[**المعنى**] لما قدّم سبحانه ذكر التوحيد واهله والشرك واهله اتبع ذلك بذكر ما تتابع منه سبحانه على الفريقين من النعم والاحسان ثم نهاهم عن اتباع الشيطان لما في ذلك من الجحود لنعمه والكفران فقال ﴿**يا أيها الناس**﴾ وهذا الخطاب عام لجميع المكلفين من بني آدم ﴿**كلوا**﴾ لفظه لفظ الأمر ومعناه الاباحة ﴿**مما في الأرض حلالاً طيباً**﴾ لما اباح الاكل بيّن ما يجب ان يكون عليه من الصفة لأن في المأكول ما يحرم وفيه ما يحل فالحرام يعقب الهلكة والحلال يقوي على العبادة وإنما يكون حلالاً بأن لا يكون مما تناوله الحظر ولا يكون لغير الآكل فيه حق وهو يتناول جميع المحللات واما الطيب فقيل هو الحلال أيضاً فجمع بينهما لاختلاف اللفظين تأكيداً وقيل معناه ما يستطيبونه ويستلذونه في العاجل والآجل ﴿**ولا تتبعوا خطوات الشيطان**﴾ اختلف في معناه فقيل اعماله عن ابن عباس وقيل خطاياه عن مجاهد وقتادة وقيل طاعتكم اياه عن السدي وقيل آثاره عن الخليل وروي عن

ابي جعفر وابي عبد الله عليهما السلام ان من خطوات الشيطان الحلف بالطلاق والنذور في المعاصي وكل يمين بغير الله تعالى وقال القاضي يريد وساوس الشيطان وخواطره وقال الماوردي هو ما ينقلهم به من معصية إلى معصية حتى يستوعبوا جميع المعاصي مأخوذ من خطو القدم في نقلها من مكان إلى مكان حتى يبلغ مقصده ﴿**أنه لكم عدو مبين**﴾ أي مظهر للعداوة بما يدعوكم إليه من خلاف الطاعة لله تعالى واختلف الناس في المآكل والمنافع التي لا ضرر على احد فيها فمنهم من ذهب إلى انها الحظر ومنهم من ذهب إلى انها على الاباحة واختاره المرتضى قدس الله روحه ومنهم من وقف بين الأمرين وجوز كل واحد منهما وهذه الآية دالة على اباحة المأكل الا ما دل الدليل على حظره فجاءت مؤكدة لما في العقل.

﴿ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ١٦٩ ﴾

[**اللغة**] الأمر من الشيطان هو دعاؤه إلى الفعل فأما الأمر في اللغة فهو قول القائل لمن دونه افعل إذا كان الآمر مريداً للمأمور به وقيل هو الدعاء إلى الفعل بصيغة أفعل والسوء كل فعل قبيح يزجر عنه العقل أو الشرع ويسمى أيضاً ما تنفر عنه النفس سوءُ تقول ساءني كذا يسوؤني سوءاً وقيل إنما سمي القبيح سوءًا لسوء عاقبته لأنه قد يلتذ به في العاجل والفحشاء والفاحشة والقبيحة والسيئة نظائر وهي مصدر نحو السراء والضراء يقال فحش فحشاً وفحشاء وكل من تجاوز قدره فهو فاحش وافحش الرجل إذا أتى بالفحشاء وكل مالا يوافق الحق فهو فاحشة وقوله ﴿**إلا أن يأتين بفاحشة مبيّنة**﴾ معناه خروجها من بيتها بغير إذن زوجها المطلّق لها والقول كلام له عبارة تنبىء عن الحكاية وذلك ككلام زيد يمكن أن يأتي عمرو بعبارة عنه ينبىء عن الحكاية له فيقول قال زيد كذا وكذا فيكون قوله قال زيد يؤذن بأنه يحكى بعده كلام وليس كذلك إذا قال تكلم زيد لأنه لا يؤذن بالحكاية والعلم ما اقتضى سكون النفس وقيل هو تبيّن الشيء على ما هو به للمدرك له .

[**المعنى**] لما قدّم سبحانه ذكر الشيطان عقّبه ببيان ما يدعو إليه من مخالفة الدين فقال ﴿ **إنما يأمركم بالسوء** ﴾ أي المعاصي عن السدي وقتادة وقيل بما يسوءُ فاعله أي يضرّه وهو في المعنى مثل الأول ﴿ **والفحشاء** ﴾ قيل المراد به الزنا وقيل السوء مالا حدّ فيه والفحشاء ما فيه حدّ عن ابن عباس ﴿ **وان تقولوا على الله مالا تعلمون** ﴾ قيل هو دعواهم له الانداد والأولاد ونسبتهم إليه الفواحش عن أبي مسلم وقيل أراد به جميع المذاهب

الفاسدة والاعتقادات الباطلة ومما يسأل على هذا أن يقال كيف يأمرنا الشيطان ونحن لا نشاهده ولا نسمع كلامه فالجواب أن معنى أمره هو دعاؤه إليه كما تقول نفسي تأمرني بكذا أي تدعوني إليه وقيل أنه يأمر بالمعاصي حقيقة وقد يعرف ذلك الإنسان من نفسه فيجد ثقل بعض الطاعات عليه وميل نفسه إلى بعض المعاصي والوسوسة هي الصوت الخفي ومنه وسواس الحلى فيلقي إليه الشيطان أشياء بصوت خفي في أذنه ومتى قيل كيف يميِّز الإنسان بين ما يلقي إليه الشيطان وما تدعو إليه النفس فالقول أنه لا ضير عليه إذا لم يميز بينهما فإنه إذا ثبت عنده أن الشيطان قد يأمره بالمعاصي جوّز في كل ما كان من هذا الجنس أن يكون من قبل الشيطان الذي ثبت له عداوته فيكون أرغب في فعل الطاعة مع ثقلها عليه وفي ترك المعاصي مع ميل النفس إليها مخالفة للشيطان الذي هو عدوّه .

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾

[**اللغة**] ألفينا أي صادفنا ووجدنا والأب والوالد واحد والاهتداء الإصابة لطريق الحق بالعلم .

[**الإعراب**] أَوَلو هنا واو العطف دخلت عليها همزة الاستفهام والمراد به التوبيخ والتقريع ومثل هذه الواو أثُمَّ إذا ما وقع آمنتم به أفلم يسيروا وإنما جعلت همزة الاستفهام للتوبيخ لأنه يقتضي ما الإقرار به فضيحة عليه كما يقتضي الاستفهام الاخبار بما يحتاج إليه وإنما دخلت الواو في مثل هذا الكلام لأنك إذا قلت اتبعه ولو ضرك فمعناه اتبعه[١] على كل حال وليس كذلك اتبعه لو ضرك لأن هذا خاص وذاك عام فدخلت الواو لهذا المعنى .

[**النزول**] ابن عباس قال دعا النبي عليه السلام اليهود إلى الإسلام فقالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا فهم كانوا أعلم منا فنزلت هذه الآية وفي رواية الضحاك عنه أنها نزلت في كفار قريش .

[**المعنى**] لما تقدم ذكر الكفار بيّن سبحانه حالهم في التقليد وترك الإجابة إلى

(١) كذا في نسخة صيدا من الاتباع لكن في سائر نسخنا « اتتبعه » من التتبع .

الإقرار بصدق النبي صلى الله عليه وآله فيما جاء به من الكتاب المجيد فقال ﴿ **وإذا قيل لهم** ﴾ اختلف في الضمير فقيل يعود إلى مَنْ مِنْ قوله ﴿**من يتخذ من دون الله أنداداً**﴾ وهم مشركو العرب وقيل يعود إلى الناس من قوله ﴿ **يا أيها الناس** ﴾ فعدل عن المخاطبة إلى الغيبة كما قال ﴿ **حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة** ﴾ وقيل يعود إلى الكفار إذ قد جرى ذكرهم ويصلح أيضاً أن يعود إليهم وإن لم يجر ذكرهم لأن الضمير يعود إلى المعلوم كما يعود إلى المذكور والقائل لهم هو النبي صلى الله عليه وآله والمسلمون ﴿ **اتبعوا ما أنزل الله** ﴾ أي من القرآن وشرائع الإسلام وقيل في التحريم والتحليل ﴿ **قالوا** ﴾ أي الكفار ﴿ **بل نتبع ما ألفينا** ﴾ أي وجدنا ﴿ **عليه آباءنا** ﴾ من عبادة الأصنام إذا كان الخطاب للمشركين أو في التمسك باليهودية إذا كان الخطاب لليهود ﴿ **أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً**﴾ أي لا يعلمون شيئاً من أمور الدين ﴿**ولا يهتدون**﴾ أي لا يصيبون طريق الحق ومعناه لو ظهر لكم أنهم لا يعلمون شيئاً مما لزمهم معرفته أكنتم تتّبعونهم أم كنتم تنصرفون عن اتباعهم فإذا صحّ أنه يجب الانصراف عن اتباعهم فقد تبيّن أن الواجب اتباع الدليل دون اتباع هؤلاء .

﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾

[**اللغة**] المثل قول سائر يدل على أن سبيل الثاني سبيل الأول نعق الراعي بالغنم ينعق نعيقاً إذا صاح بها زجراً قال الأخطل :

فَٱنْعِقْ بضَأنِكَ يَا جَرِيرُ فَإِنَّمَا مَنَّتْك[1] نَفْسُكَ في ٱلْخَلَاءِ ضَلَالا

ونعق الغراب نُعاقاً ونعيقاً إذا صوّت من غير أن يمدّ عنقه ويحرّكها ونغق بالغين بمعناه فإذا مدّ عنقه وحركها ثم صاح قيل نَعَب والناعقان كوكبان من كواكب الجوزاء ورجلها اليسرى ومنكبها الأيمن وهو الذي يسمى الهنعة وهما أضوأ كواكب الجوزاء والدعاء طلب الفعل من المدعو ونظيره الأمر والفرق بينهما يظهر بالرتبة والنداء مصدر نادى مناداة ونداء والدعاء والسؤال بمعناه والنَدَى له وجوه في المعنى يقال ندى الماء وندى

(١) أي حدثتك .

الخير والشر وندى الصوت وندى الحضر فالندى هو البلل وندى الخير هو المعروف يقال أندى فلان علينا ندى كثيراً ويدُهُ نَديّةٌ بالمعروف وندى الصوت بعُد مذهبه وندى الحضر صحة جريه واشتق النداء من ندى الصوت ناداه أي دعاه بأرفع صوته .

[المعنى] ثم ضرب الله مثلاً للكفار في تركهم إجابة من يدعوهم إلى التوحيد وركونهم إلى التقليد فقال﴿ ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق﴾ أي يصوت ﴿ بما لا يسمع ﴾ من البهائم ﴿ إلا دعاء ونداء ﴾ واختلف في تقدير الكلام وتأويله على وجوه (أولها) أن المعنى مثل الذين كفروا في دعائك إياهم أي مثل الداعي لهم إلى الإيمان كمثل الناعق في دعائه المنعوق به من البهائم التي لا تفهم وإنما تسمع الصوت فكما أن الانعام لا يحصل لها من دعاء الراعي إلا السماع دون تفهّم المعنى فكذلك الكفار لا يحصل لهم من دعائك إياهم إلى الإيمان إلا السماع دون تفهّم المعنى لأنهم يعرضون عن قبول قولك وينصرفون عن تأمّله فيكونون بمنزلة من لم يعقله ولم يفهمه وهذا كما تقول العرب فلان يخافك كخوف الأسد والمعنى كخوفه من الأسد فأضاف الخوف إلى الأسد وهو في المعنى مضاف إلى الرجل قال الشاعر :

فَلَسْتُ مُسَلِّماً مَا دُمْتُ حَيًّا عَلى زَيْدٍ بِتَسْلِيمِ ٱلأَمِيرِ

أراد بتسليمي على الأمير وهذا معنى قول ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة وهو المروي عن أبي جعفر (ع) وهو اختيار الجبائي والرماني والطبري (وثانيها) أن يكون المعنى مثل الذين كفروا ومثلنا أو مثل الذين كفروا ومثلك يا محمد كمثل الذي ينعق بمالا يسمع الإدعاء ونداءً أي كمثل الانعام المنعوق بها والناعق الراعي الذي يكلّمها وهي لا تعقل فحذف المثل الثاني اكتفاء بالأول ومثله قوله سبحانه﴿وجعل لكم سرابيل تقيكم الحرّ﴾ وأراد الحرّ والبرد وقال أو ذؤيب :

عَصَيْتُ إلَيْهَا القَلْبَ إنِّي لِأَمْرِهَا مُطِيعٌ فَمَا أَدْرِي أَرُشْدٌ طِلَابُهَا

أراد أرشد أم غيّ فاكتفى بذكر الرشد لوضوح الأمر وهو قول الأخفش والزجاج وهذا لأن في الآية تشبيه شيئين بشيئين تشبيه الداعي إلى الإيمان بالراعي وتشبيه المدعوين من الكفار بالانعام فحذف ما حذف للإيجاز وأبقى في الأول ذكر المدعو وفي الثاني ذكر الداعي وفيما أبقى دليل على ما ألقى (وثالثها) أن المعنى مثل الذين كفروا في دعائهم الأصنام كمثل الراعي في دعائه الأنعام بتعال وما جرى مجراه من الكلام فكما أن من دعا

البهائم يعدّ جاهلاً فداعي الحجارة أشد جهلاً منه لأن البهائم تسمع الدعاء وإن لم تفهم معناه والأصنام لا يحصل لها السماع أيضاً عن أبي القاسم البلخي وغيره (ورابعها) ان مثل الذين كفروا في دعائهم الأصنام وهي لا تعقل ولا تفهم كمثل الذي ينعق دعاء ونداء بما لا يسمع صوته جملة ويكون المثل مصروفاً إلى غير الغنم وما أشبهها مما يسمع وإن لم يفهم وعلى هذا الوجه ينتصب دعاء ونداء بيَنْعِقُ وإلّا ملغاة لتوكيد الكلام كما في قول الفرزدق :

هُمُ القَوْمُ إلاَّ حَيْثُ سَلُّوا سُيُوفَهُمْ وَضَحُّوا بِلَحْمٍ مِنْ مُحِلٍّ وَمُحْرِمِ

والمعنى هم القوم حيث سلّوا سيوفهم (وخامسها) أن يكون المعنى ومثل الذين كفروا كمثل الغنم الذي لا يفهم دعاء الناعق فأضاف سبحانه المثل الثاني إلى الناعق وهو في المعنى مضاف إلى المنعوق به على مذهب العرب في القلب نحو قولهم طلعت الشِعرى[1] وانتصب العود على الحرباء والمعنى انتصب الحرباء على العود وأنشد الفراء :

إنَّ سِرَاجاً لَكَرِيْمٌ مَفْخَرُهْ تُجْلى بِهِ العَيْنُ إذَا مَا تَجْمُرُهْ

أي تجلى بالعين وأنشد أيضاً :

كانَتْ فَرِيْضَةُ مَا تَقُولُ كَمَا كَانَ الزِّنَاءُ فَرِيْضَةَ الرَّجْمِ

والمعنى كما كان الرَّجم فريضة الزنا وأنشد :

وَقَدْ خِفْتُ حَتَّىْ مَا تَزِيْدُ مَخَافَتي عَلَى وَعِلٍ فِي ذِي ٱلْمُطَارَةِ عَاقِلِ[2]

أي ما تزيد مخافة وعل على مخافتي وقال العباس بن مرداس :

فَدَيْتُ بِنَفْسِهِ نَفْسِي وَمَالِي وَمَا آلُوكَ إلاَّ مَا أُطِيقُ

أراد بنفسي نفسه ثم وصفهم سبحانه بما يجري مجرى التهجين والتوبيخ فقال ﴿ **صمٌّ بكم عمي** ﴾ أي صم عن استماع الحجة بُكْمٌ عن التكلم بها عُمْيٌ عن الأبصار لها وهو قول ابن عباس وقتادة والسدي وقد مرّ بيانه في أول السورة أبسط من هذا ﴿ **فهم لا يعقلون** ﴾ أي هم بمنزلة من لا عقل له إذ لم ينتفعوا بعقولهم .

---

(١) الشعرى : الكوكب الذي يطلع في الجوزاء طلوعه في شدة الحر .

(٢) الوعل: معز الجبل، ذو المطارة : علم جبل .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾

[**اللغة**] الشكر هو الاعتراف بالنعمة مع ضرب من التعظيم ويكون على وجهين (أحدهما) الاعتراف بالنعمة متى ذكرها المنعم عليه بالاعتقاد لها (والثاني) الطاعة بحسب جلالة النعمة فالأول لازم في كل حال من أحوال الذكر والثاني أنه يلزم في الحال التي يحتاج فيها إلى القيام بالحق وأما العبادة فهي ضرب من الشكر إلا أنها غاية فيه ليس وراءها شكر ويقترن به ضرب من الخضوع ولا يستحق العبادة غير الله سبحانه لأنها إنما تستحق بأصول النعـم التي هي الحياة والقدرة والشهوة وأنواع المنافع وبقدر من النفع لا يوازيه نعمة منعم فلذلك اختص الله سبحانه باستحقاقها .

[**الإعراب**] ما رزقناكم موصول وصلة والعائد من الصلة إلى الموصول محذوف وتقديره ما رزقناكموه وجواب الشرط محذوف تقديره إن كنتم إياه تعبدون فكلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله .

[**المعنى**] ثم خاطب سبحانه المؤمنين وذكر نعمه الظاهرة عليهم وإحسانه المبين إليهم فقال ﴿ **يا أيها الذين آمنوا كلوا** ﴾ ظاهره الأمر والمراد به الإباحة لأن تناول المشتهى لا يدخل في التعبد وقيل أنه أمر من وجهين . (أحدهما) بأكل الحلال (والآخر) بالأكل وقت الحاجة دفعاً للضرر عن النفس قال القاضي وهذا مما يعرض في بعض الأوقات والآية غير مقصورة عليه فيحمل على الإباحة ﴿ **من طيبات ما رزقناكم** ﴾ أي مما تستلذونه وتستطيبونه من الرزق وفيه دلالة على النهي عن أكل الخبيث في قول البلخي وغيره كأنه قيل كلوا من الطيب غير الخبيث كما أنه لو قال كلوا من الحلال لكان ذلك دالاً على حظر الحرام وهذا صحيح فيما له ضدّ قبيح مفهوم فأما غير ذلك فلا يدلّ على قبح ضدّه لأن قول القائل كل من مال زيد لا يدل على أنه أراد تحريم ما عداه لأنه قد يكون الغرض البيان لهذا خاصة وما عداه موقوف على بيان آخر وليس كذلك ما ضدّه قبيح لأنه قد يكون من البيان تقبيح ضدّه ﴿ **واشكروا لله** ﴾ لما نبَّه سبحانه على انعامه علينا بما جعله لنا من لذيذ الرزق أمرنا بالشكر لأن الانعام يقتضي الشكر وقوله ﴿ **إن كنتم إياه تعبدون** ﴾ أي إن كنتم تعبدونه عن علم بكونه منعماً عليكم وقيل إن كنتم مخلصين له في العبادة وذكر الشرط هنا إنما هو على وجه المظاهرة في الحجاج ولما فيه من حسن البيان وتلخيص

الكلام ان كانت العبادة لله سبحانه واجبة عليكم بأنه إلّهكم فالشكر له واجب عليكم بأنه منعم محسن إليكم .

﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾

[**القراءة**] قرأ أبو جعفر الميّتة مشدّدة كل القرآن وقرأ أهل الحجاز والشام والكسائي فَمَنُ ٱضطُرَّ غير باغ بضم النون وأبو جعفر منهم بكسر الطاء من اضطِر والباقون بكسر النون .

[**الحجة**] الميتة أصلها الميية فحذفت الياء الثانية استخفافاً لثقل الياءَين والكسرة والأجود في القراءَة الميتة بالتخفيف وقوله فمن اضطر بالضم فهو للاتباع كما ضمت همزة الوصل في انصروا وأما الكسرة فعلى أصل الحركة لالتقاء الساكنين وأما قراءة أبي جعفر فمن اضطر فلأن الأصل اضطرر فسكنت الراءُ الأولى للادغام ونقلت حركتها إلى الحرف الذي قبلها فصار اضطر والأصل أن لا تنقل حركة الراءِ عند اسكانها لأن الطاءَ على حركتها الأصلية .

[**اللغة**]الإهلال في الذبيحة رفع الصوت بالتسمية وكان المشركون يسمّون الأوثان والمسلمون يسمون الله وانهلال المطر شدة انصبابه والهلال غرة القمر لرفع الناس أصواتهم عند رؤيته بالتكبير والمحرم يهل بالإحرام وهو أن يرفع صوته بالتلبية واستهل الصبي إذا بكى وقت الولادة والاضطرار كل فعل لا يمكن المفعول به الامتناع منه وذلك كالجوع الذي يحدث للإنسان فلا يمكنه الامتناع منه والفرق بين الاضطرار والالجاء أن الالجاء قد تتوفر معه الدواعي إلى الفعل من جهة الضرر والنفع وليس كذلك الاضطرار قال صاحب العين رجل لحم إذا كان أكولاً للحم وبيت لحم يكثر فيه اللحم والحمت القوم إذا قتلتهم وصاروا لحماً والملحمة الحرب ذات القتل الشديد واستلحم الطريد إذا اتسع واللحمة قرابة النسب وأصل الباب اللزوم ومنه اللحم للزوم بعضه بعضاً وأصل البغي الطلب من قولهم بغى الرجل حاجته يبغي بغاء قال الشاعر :

لَا يَمْنَعَنَّكَ مِنْ بُغَاءِ ٱلْخَيْرِ تَعْقَادُ التَّمَائِمْ[١] إِنَّ ٱلأَشَائِمَ كَالأَيَامِنِ وَٱلأَيَامِنَ كَالأَشَائِمْ
والبغاء طلب الزنا والعادي المعتدي :

[**الإعراب**] إنما تفيد اثبات الشيء الذي يذكر بعدها ونفي ما عداه كقول الشاعر (وإنما عن أحسابهم أنا أو مثلي) وإنما كانت لاثبات الشيء ونفي ما سواه من قبل أنَّ إنَّ كانت للتوكيد وانضاف إليها ما للتوكيد أيضاً أكّدت أنّ من جهة التحقيق للشيء وأكدت ما من جهة نفي ما عداه فإذا قلت إنما أنا بشر فكأنك قلت ما أنا إلا بشر ولو كانت ما بمعنى الذي لكتبت ما مفصولة ومثله قوله تعالى : ﴿ **إنما الله إلٰه واحد** ﴾ أي لا إلٰه إلا الله إلا إلٰه واحد ومثله إنما أنت نذير أي لا نذير إلا أنت فإذا ثبت ذلك فلا يجوز في الميتة إلا النصب لأن ما كافة ولو كانت ما بمعنى الذي لجاز في الميتة الرفع وغير باغ منصوب على الحال وتقديره لا باغياً ولا عادياً ولا يجوز أن يقع إلا هاهنا في موضع غير لما قلناه أنه بمعنى النفي ولذلك عطف عليه بلا فأما إلا فمعناه في الأصل الاختصاص لبعض من كل وليس هاهنا كل يصلح أن يخص منه .

[**المعنى**] لما ذكر سبحانه إباحة الطيبات عقّبه بتحريم المحرمات فقال ﴿ **إنما حرم عليكم الميتة** ﴾ وهو ما يموت من الحيوان ﴿ « **والدم ولحم الخنزير** ﴾ خصّ اللحم لأنه المعظم والمقصود وإلا فجملته محرمة ﴿ **وما أهل به لغير الله** ﴾ قيل فيه قولان. (أحدهما) أنه ما ذكر غير اسم الله عليه عن الربيع وجماعة من المفسرين والآخر أنه ما ذبح لغير الله عن مجاهد وقتادة والأول أوجه ﴿ **فمن اضطر** ﴾ إلى أكل هذه الأشياء ضرورة مُجاعة عن أكثر المفسرين وقيل ضرورة إكراه عن مجاهد وتقديره فمن خاف على النفس من الجوع ولا يجد مأكولاً يسدُّ به الرمق وقوله ﴿ **غير باغ** ﴾ قيل فيه ثلاثة أقوال (أحدها) غير باغ اللذة ولا عاد سدّ الجوعة عن الحسن وقتادة ومجاهد (وثانيها) غير باغ في الافراط ولا عاد في التقصير عن الزجاج (وثالثها) غير باغ على إمام المسلمين ولا عاد بالمعصية طريق المحقين وهو المروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله وعن مجاهد وسعيد بن جبير واعترض علي بن عيسى على هذا القول بأن قال أن الله لم يبح لأحد قتل نفسه والتعرض للقتل قتل في حكم الدين ولأن الرخصة لأجل المجاعة لا لأجل سفر الطاعة وهذا فاسد لأن الباغي على الإمام معرض نفسه للقتل فلا يجوز لذلك استباحة ما حرّم الله كما لا يجوز له أن يستبقي نفسه بقتل غيره من المسلمين وقوله أن الرخصة لأجل المجاعة

(١) التمائم جمع التميمة وهي الخرزة وأمثالها تعلق في العنق لدفع إصابة العين .

غير مسلّم على إلاطلاق بل هو مخصوص بمن لم يعرض نفسه لها ﴿ فلا إثم عليه ﴾ أي لا حرج عليه وإنما ذكر هذا اللفظ ليبيّن أنه ليس بمباح في الأصل وإنما رفع الحرج لأجل الضرورة ﴿ إن الله غفور رحيم ﴾ وإنما ذكر المغفرة لأحد الأمرين أما ليبيّن أنه إذا كان يغفر المعصية فإنه لا يؤاخذ بما رخّص فيه وأما لأنه وعد بالمغفرة عند الإنابة إلى طاعة الله مما كانوا عليه من تحريم ما لم يحرمه الله من السائبة وغيرها .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾

[**اللغة**] البطن خلاف الظهر والبطن الغامض من الأرض والبطن من العرب دون القبيلة .

[**الإعراب**] الذين مع صلته منصوب بإنَّ وأولَئك رفع بالابتداء وخبره ما يأكلون في بطونهم إلا النار والمبتدأ وخبره جملة في موضع الرفع بكونها خبر إنّ والنار نصب بيأكلون .

[**النزول**] المعني في هذه الآية أهل الكتاب بإجماع المفسرين إلا أنها متوجهة على قول كثير منهم إلى جماعة قليلة من اليهود وهم علماؤهم ككعب بن الأشرف وحيي بن أخطب وكعب بن أسد وكانوا يصيبون من سفلتهم الهدايا ويرجون كون النبي منهم فلما بعث من غيرهم خافوا زوال مأكلتهم فغيّروا صفته فأنزل الله هذه الآية .

[**المعنى**] ثم عاد الكلام إلى ذكر اليهود الذين تقدم ذكرهم فقال تعالى : ﴿ **إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب** ﴾ أي صفة محمد والبشارة به عن ابن عباس وقتادة والسدي وقيل كتموا الأحكام عن الحسن والكتاب على القول الأول هو التوراة وعلى الثاني يجوز أن يحمل على القرآن وعلى سائر الكتب ﴿ **ويشترون به ثمناً قليلاً** ﴾ أي يستبدلون به عرضاً قليلاً وليس المراد أنهم إذا اشتروا به ثمناً كثيراً كان جائزاً بل الفائدة فيه أن كل ما يأخذونه في مقابلة ذلك من حطام الدنيا فهو قليل وللعرب في ذلك عادة معروفة ومذهب مشهور ومثله في القرآن كثير قال ﴿**ومن يدع مع الله إلَهاً آخر**﴾ لا برهان له به ويقتلون النبيين بغير حق وفيه دلالة على أنّ من ادعى أن مع الله إلَهاً آخر لا يقوم له على

قوله برهان وإن قتل الأنبياء لا يكون إلا بغير حق وذلك بأن وصف الشيء بما لا بد أن يكون عليه من الصفة ومثله في الشعر قول النابغة :

يَحُفُّـهُ جَـانِبَـا نِيْـقٍ ويَـتْـبَعُـهُ   مِثْلُ الزُّجَاجَةِ لَمْ تُكْحَلْ مِنَ الرَّمَدِ(١)

أي ليس بها رمد فيكتحل له وقول الآخر :

لَا يَغْمِزُ السَّاقَ مِنْ أَيْنٍ وَمِنْ وَصَبٍ   وَلَا يَعَضُّ عَلى شُـرْسُـوفِـهِ الصَّفَـرُ(٢)

أي ليس بساقه أين ولا وصب فيغمزها من أجلهما وقول سويد بن أبي الكاهل :

مِنْ أُنَـاسٍ لَيْسَ في أَخْلَاقِهِمْ   عَاجِلُ الفُحْشِ وَلَا سُوءُ الْجَزَعْ

ولم يرد أن في أخلاقهم فحشاً آجلاً أو جزعاً غير سيء بل نفى الفحش والجزع عن أخلاقهم وفي أمثال هذا كثيرة ﴿ **أولئك** ﴾ يعني الذين كتموا ذلك وأخذوا الأجر على الكتمان ﴿ **ما يأكلون في بطونهم إلا النار** ﴾ ومعناه أن أكلهم في الدنيا وإن كان طيباً في الحال فكأنهم لم يأكلوا إلا النار لأن ذلك يؤديهم إلى النار كقوله سبحانه في أكل مال اليتيم : ﴿ **إنما يأكلون في بطونهم ناراً** ﴾ عن الحسن والربيع وأكثر المفسرين وقيل إنهم يأكلون النار حقيقة في جهنم عقوبة لهم على كتمانهم فيصير ما أكلوا في بطونهم ناراً يوم القيامة فسماه في الحال بما يصير إليه في المآل وإنما ذكر البطون وإن كان الأكل لا يكون إلا في البطن لوجهين (أحدهما) ان العرب تقول جعت في غير بطني وشبعت في غير بطني إذا جاع من يجري جوعه مجرى جوعه وشبعه مجرى شبعه فذكر ذلك لإزالة اللبس (والآخر) أنه لما استعمل المجاز بأن أجرى على الرشوة اسم النار حقق بذكر البطن ليدل على ان النار تدخل أجوافهم ﴿**ولا يكلمهم الله يوم القيامة**﴾ فيه وجهان (أحدهما) أنه لا يكلمهم بما يحبون وفي ذلك دليل على غضبه عليهم وإن كان يكلمهم بالسؤال بالتوبيخ وبما يغمّهم كما قال ﴿**فلنسئلن الذين أرسل إليهم**﴾ وقال اخسؤوا فيها ولا تكلمون وهذا قول الحسن والجبائي (والثاني) أنه لا يكلمهم أصلاً فتحمل آيات المسألة على أن الملائكة تسألهم عن الله وبأمره ويتأول قوله اخسؤوا فيها على دلالة الحال وإنما يدل نفي الكلام على الغضب في الوجه الأول من حيث أن الكلام وضع في

(١) النيق: أرفع موضع في الجبل .

(٢) غمزه : جسّه وكبسه باليد. الاين: الإعياء. والوصب: المرض. وشُرسُوف رأس الضلع من جانب البطن. والصفر فيما تزعم العرب: حية في البطن تعض الإنسان إذا جاع .

الأصل للفائدة فلما انتفى الفائدة على وجه الحرمان دل على الغضب فأما الكلام على وجه الغم والإيلام فخارج عن ذلك ﴿ولا يزكيهم﴾ معناه لا يثني عليهم ولا يصفهم بأنهم أزكياء ومن لا يثني الله عليه فهو معذب وقيل لا تقبل أعمالهم كما تقبل أعمال الازكياء وقيل معناه لا يطهرهم من خبث أعمالهم بالمغفرة ﴿ولهم عذاب أليم﴾ أي مرجع مؤلم .

﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ ۚ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ﴿١٧٥﴾

[الإعراب] ما أصبرهم قيل إنّ ما للتعجب كالتي في قوله ﴿قتل الانسان ما أكفره﴾ أي قد حلّ محل ما يتعجب منه وحكي عن بعض العرب أنه قال لخصمه ما أصبرك على عذاب الله وقيل أنه للاستفهام على معنى أي شيء أصبرهم يقال أصبرت السبع أو الرجل ونحوه إذا نصبته لما يكره قال الحطيئة .

قُلْتُ لَهَا أُصْبِرُهَا دَائِباً وَيْحَكِ أَمْثَالُ طُرَيْفٍ قَلِيلُ

أي ألزمها واضطرها

[المعنى] ﴿ أولئك ﴾ إشارة إلى مَن تقدم ذكرهم ﴿ الذين اشتروا الضلالة بالهدى ﴾ أي استبدلوا الكفر بالنبي (ﷺ) بالإيمان به فصاروا بمنزلة من يشتري السلعة بالثمن وقيل المراد بالضلالة كتمان أمره مع علمهم به وبالهدى إظهاره وقيل المراد بالضلالة العذاب وبالهدى الثواب وطريق الجنة أي استبدلوا النار بالجنة وقوله ﴿ والعذاب بالمغفرة ﴾ قيل أنه تأكيد لما تقدم عن أبي مسلم وقيل أنهم كانوا إشتروا العذاب بالمغفرة لما عرفوا ما أعدّ الله لمن عصاه من العذاب ولمن أطاعه مِن الثواب ثم أقاموا على ما هم عليه من المعصية مُصرّين عن القاضي وهذا أولى لأنه إذا أمكن حمل الكلام على زيادة فائدة كان أولى فكان إشتراؤهم الضلالة يرجع إلى عدولهم عن طريق العلم إلى طريق الجهل واشتراؤهم العذاب بالمغفرة يرجع إلى عدولهم عما يوجب الجنة إلى ما يوجب النار وقوله ﴿ فما أصبرهم على النار ﴾ فيه أقوال (أحدها) إن معناه ما أجرأهم على النار ذهب إليه الحسن وقتادة ورواه علي بن إبراهيم بإسناده عن أبي عبد الله (ع) (والثاني)

ما أعملهم بأعمال أهل النار عن مجاهد وهو المروي عن أبي عبد الله عليه السلام (والثالث) ما أبقاهم على النار كما يقال ما أصبر فلاناً على الحبس عن الزجاج (والرابع) ما أدومهم على النار أي ما أدومهم على عمل أهل النار كما يقال ما أشبه سخاءَك بحاتم[1] عن الكسائي وقطرب وعلى هذه الوجوه فظاهر الكلام التعجب والتعجب لا يجوز على القديم سبحانه لأنه عالم بجميع الأشياء لا يخفي عليه شيء والتعجب إنما يكون مما لا يُعرف سببه وإذا ثبت ذلك فالغرض أن يدلّنا على أن الكفار حلّوا محل من يُتعجب منه فهو تعجيب لنا منهم (والخامس) ما روي عن ابن عباس أن المراد أيّ شيء اصبرهم على النار أي حبسهم عليها فتكون للاستفهام ويمكن حمل الوجوه الثلاثة المتقدمة على الاستفهام أيضاً فيكون المعنى أي شيء أجرأهم على النار وأعملهم بأعمال أهل النار وابقاهم على النار وقال الكسائي هو استفهام على وجه التعجب وقال المبرد هذا حسن لأنه كالتوبيخ لهم والتعجيب لنا كما يقال لمن وقع في ورطةٍ ما اضطرك إلى هذا إذا كان غنياً عن التعرض للوقوع في مثلها والمراد به الإنكار والتقريع على اكتساب سبب الهلاك وتعجيب الغير منه ومن قال معناه ما أجرأهم على النار فإنه عنده من الصبر الذي هو الحبس أيضاً لأن بالجرأة يصبر على الشدة .

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴾ ١٧٦

[**اللغة**] الإختلاف الذهاب على جهة التفرق في الجهات وأصله من اختلاف الطريق تقول إختلفنا الطريق فجاء هذا من هنا وجاء ذاك من هناك ثم استعمل في الإختلاف في المذاهب تشبيهاً بالاختلاف في الطريق من حيث أن كل واحد منهم على نقيض ما عليه الآخر من الاعتقاد وأما اختلاف الأجناس فهو ما لا يسدّ أحدهما مسدّ الآخر فيما يرجع إلى ذاته كالسواد والبياض والشقاق والمشاقة إنحياز كل واحد عن شق صاحبه للعداوة له وهو طلب كل واحد منهما ما يشق على الآخر لأجل العداوة .

[**الإعراب**] قال الزجاج ذلك مرفوع بالابتداء والخبر محذوف أي ذلك الأمر ويجوز أن يكون مرفوعاً بخبر الإبتداء أي الأمر ذلك ويحتمل أن يكون موضع ذلك نصباً على

(١) [أي بسخاء حاتم] .

تقدير فعلنا ذلك لأن في الكلام ما يدل على فَعَلنا .

[**المعنى**] ﴿ **ذلك** ﴾ إشارة إلى أحد ثلاثة أشياء (أولها) ذلك الحكم بالنار عن الحسن (وثانيها) ذلك العذاب (وثالثها) ذلك الضلال وفي تقدير خبره ثلاثة وجوه (أحدها) ما ذكرناه من قول الزجاج (وثانيها) إن تقديره ذلك الحكم الذي حُكم فيهم أو حلّ بهم من العذاب أو ذلك الضلال معلوم بأن الله نزل الكتاب بالحق فحذف لدلالة ما تقدم من الكلام عليه (والثالث) ذلك العذاب لهم ﴿ **بأن الله نزل الكتاب بالحق** ﴾ ويكون الباء مع ما بعده في موضع الخبر ومَن ذهب إلى أنّ المعنى ذلك الحكم بدلالة أن الله نزل الكتاب بالحق فالكلام على صورته ومَن ذهب إلى أن المعنى ذلك العذاب أو الضلال بأن الله نزل الكتاب بالحق ففي الكلام محذوف وتقديره فكفروا به والمراد بالكتاب هاهنا التوراة وقال الجبائي هو القرآن وغيره وقال بعضهم المراد بالأول التوراة وبالثاني القرآن ﴿ **وإن الذين اختلفوا في الكتاب** ﴾ قيل هم الكفار أجمع عند أكثر المفسرين اختلفوا في القرآن على أقوال فمنهم من قال هو كلام السحرة ومنهم من قال كلام تَعَلّمه ومنهم من قال كلام تَقَوله وقيل هم أهل الكتاب من اليهود والنصارى عن السدي اختلفوا في التأويل والتنزيل من التوراة والإنجيل لأنهم حرّفوا الكتاب وكتموا صفة النبي صلّى الله عليه وآله وجحدت اليهود الإنجيل والقرآن وقوله ﴿ **لفي شقاق بعيد** ﴾ أي بعيد عن الألفة بالإجتماع على الصواب وقيل بعيد في الشقاق لشهادة كل واحد على صاحبه بالضلال وكلاهما عادل عن الحق والسداد وقيل في اختلاف شديد فيما يتصل بأحكام التوراة والإنجيل .

﴿ ۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ

وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾

[**القراءة**] قرأ حفص عن عاصم غير هبيرة وحمزة ليس البرَّ بنصب الراء والباقون بالرفع وروي في الشواذ عن ابن مسعود وأُبَيّ ليس البرَ بالنصب بأن يولّوا بالياء وقرأ نافع وابن عامر ولكن البر بالتخفيف والرفع والباقون ولكن البرّ بالتشديد والنصب .

[**الحجة**] قال أبو علي حجة من رفع البر أن ليس يشبه الفعل وكون الفاعل بعد الفعل أولى من كون المفعول بعده وحجة من نصْب البر أنه قد حكي عن بعض شيوخنا أنه قال في هذا النحو أن يكون الأسم أنْ وصلتها أولى بشبهها بالمضمر في أنها لا توصف كما لا يوصف المضمر وكأنه اجتمع مضمر ومظهر والأولى إذا اجتمعا أن يكون المضمر الاسم من حيث كان أذهب في الاختصاص من المظهر قال إبن جني يجوز أن يكون إنما نصب البر مع الباء بأن جعل الباء زائدة كقولهم وكفى بالله وكيلاً .

[**اللغة**] البر العطف والإحسان مصدر ويجوز أن يكون بمعنى البار أي الواسع الإحسان والبِرّ الصدق والبِرّ الإيمان والتقوى وأصله من الإتساع ومنه البَرّ خلاف البحر لاتساعه واختلف أهل اللغة والفقهاء في المسكين والفقير أيهُّما أشد أحوالاً فقال جماعة المسكين الذي لا شيء له والفقير الذي له ما لا يكفيه وهو قول يونس وابن دريد وقول أبي حنيفة وقال آخرون الفقير الذي لا شيء له والمسكين من له شيء يسير وهو قول الشافعي والسبيل الطريق وابن السبيل هو المنقَطع به إذا كان في سفره محتاجاً وإن كان في بلده ذا يسار وهو من أهل الزكاة وقيل أنه الضيف عن قتادة وإنما قيل للمسافر إبن الطريق للزومه الطريق كما قيل للطير ابن الماء قال ذو الرمة .

وَرَدْتُ آعْتِسَافاً وَالثُّرَيَّا كَأَنَّها عَلى قِمَّةِ الرَّأْسِ آبْنُ ماءٍ مُحَلِّقُ[١]

والرقاب جمع رقبة وهي أصل العنق ويُعبّر به عن جميع البدن يقال أعتق الله رقبته ومنه قوله فتحرير رقبة والبأساء والبؤس الفقر والضراء السقم والوجع وهما مصدران بنيا على فعلاء وليس لهما أفعل لأن أفعل وفعلاء في الصفات والنعوت ولم يأتيا في الأسماء التي ليست بنعوت .

[**الإعراب**] مَن نَصب البرّ جعل أن مع صلتها إسم ليس أي ليس توليتكم وجوهكم

(١) الاعتساف : السير على غير طريق . والمحلق : المرتفع في الهواء جداً .

البرَّ كله ومن رفع البر فالمعنى ليس البرُّ كله توليتكم وكلا المذهبين حسن لأن كل واحد من إسم ليس وخبرها معرفة فإذا اجتمعا في التعريف تكافآ في كون أحدهما اسماً والآخر خبراً كما تتكافأ النكرتان وقد ذكرنا الوجه في ترجيح أحد المذهبين على الآخر ولكن البرّ إذا شدّدت لكن نصبت البر وإذا خفّفت رفعت البر وكسرت النون مع التخفيف لالتقاء الساكنين وإما الإخبار عن البر بمن آمن ففيه وجوه ثلاثة (أحدها) أن يكون البر بمعنى البار فجعل المصدر في موضع إسم الفاعل كما يقال ماء غور أي غائر ورجل صوم أي صائم ومثله قول الخنساء .

تَـرْتَـعُ مَـا رَتَـعَـت حَـتَّـى إذَا ٱدَّكَـرَتْ ... فَـإنَّـمـا هِـيَ إقْـبَـالُ وَإدْبَـارُ

أي أنها مقبلة ومدبرة مثله .

تَـظَلُّ جِيَـادُهُمْ نَـوحـاً عَلَيْهِمْ ... مُـقَـلَّدَةً أَعِـنَّـتَـهَـا صُـفُـوْنَـا[(١)]

أي نائحة و (ثانيها) إن المعنى ولكن ذا البر من آمن بالله فحذف المضاف من الإسم و (ثالثها) أن يكون التقدير ولكن البر برُّ من آمن بالله فحذف المضاف من الخبر وأقام المضاف إليه مقامه كقول الشاعر :

وَكَيْفَ تُـوَاصِـلُ مَنْ أَصْبَحَتْ ... خُـلاَلَـتُـهُ كـأَبِـي مَـرحَـبِ

وكقول النابغة :

وَقَدْ خِفْتُ حتّى مَا تَزِيْدُ مُخَافَتِيْ ... عَلى وَعِلٍ فِي ذِي ٱلْمَطَارَةِ عَاقِلِ

أي على مخافة وعلى ومثله قوله تعالى ﴿ **أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام** ﴾ ثم قال ﴿ **كمن آمن** ﴾ أي كإيمان من آمن وقوله ﴿ **والموفون بعهدهم إذا عاهدوا** ﴾ في رفعه قولان أحدهما أن يكون مرفوعاً على المدح لأن النعت إذا طال وكثر رفع بعضه ونصب على المدح والمعنى وهم الموفون والآخر أن يكون معطوفاً على من آمن والمعنى ولكن ذا البر أو ذوي البر المؤمنون والموفون بعهدهم وأما قوله والصابرين فمنصوب على المدح أيضاً لأن مذهبهم في الصفات والنعوت إذا طالت أن يعترضوا بينها بالمدح أو الذم ليُميّزوا الممدوح أو المذموم وتقديره أعني الصابرين قال أبو علي والأحسن في هذه الأوصاف التي تقطعت للرفع من موصوفها والمدح أو الغض منهم والذم أن يخالف بإعرابها ولا تجعل كلها جارية على موصوفها ليكون ذلك دلالة على هذا المعنى

(١) فرس اجواد : سريع والجمع جياد . الأعنة جمع العنان . الصافن من الخيل : القائم على ثلث قوائم والجمع صفون .

وإنفصالاً لما يذكر للتنويه والتنبيه أو النقص والغض مما يذكر للتخليص والتمييز بين الموصوفين المشتبهين في الاسم المختلفين في المعنى ومن ذلك قول الشاعر أنشده الفراء

إِلَى ٱلْمَلِكِ القَرْمِ وَٱبْنِ الهِمَام ... وَلَيْثِ ٱلْكَتِيبَـةِ فِي الْمُـزْدَحَـمْ
وَذَا الـرَّأيِ حِينَ تَغُمُّ ٱلأُمُـورْ ... بِـذَاتِ الصَّليـلِ وَذَاتِ ٱللُّجُم[١]

فنصب ليث الكتيبة وذا الرأي على المدح وأنشد أيضاً

فَلَيْتَ ٱلَّتِي فِيْهَا ٱلنُّجُوْمُ تَوَاضَعَتْ ... عَـلى كُـلِّ غَثٍّ مِنْهُـمُ وَسَمِيْنِ
غُيُوْثُ الحَيَا فِي كُلِ مَحْلٍ وَلَزْبَةٍ ... أُسُـوْدُ الشَّرَى يَحْمِيْنَ كُلَّ عَرِيْنِ[٢]

ومما نصب على الذم

سَقَـوْنِي الخَمْـرَ ثُمَّ تَكَنَّفُـوْنِي ... عُـدَاةُ ٱللهِ مِـنْ كَـذْبٍ وَزُوْرِ

وشيء آخر وهو أن هذا الموضع من مواضع الأطناب في الوصف وإذا خولف بإعراب الألفاظ كان أشدوا وقع فيما يعنُّ ويعترض لصيرورة الكلام وكونه بذلك ضروباً وجملاً وكونه في الإجراء على الأول وجهاً واحداً وجملة واحدة فلذلك سبق قول سيبويه في قوله والمقيمين الصلاة وأنه محمول على المدح قول من قال أنه محمول على قوله بما أنزل إليك وبالمقيمين الصلاة وإن كان هذا غير ممتنع وقال بعض النحويين أن الصابرين معطوف على ذوي القربى قال الزجاج وهذا لا يصلح إلا أن تكون والموفون رفعاً على المدح للضميرين لأن ما في الصلة لا يعطف عليه بعد المعطوف على الموصول قال أبو علي لا وجه لهذا القول لأن والصابرين لا يجوز حمله على وآتى المال على حبه سواء كان قولهُ والموفون بعهدهم عطفاً على الموصول أو مدحاً لأن الفصل بين الصلة يقع به إذا كان مدحاً كما يقع به إذا كان مفرداً معطوفاً على الموصول بل الفصل بينهما بالمدح أشنع لكون المدح جملة والجمل ينبغي أن تكون في الفصل أشنع وأقبح بحسب زيادتها على المفرد وإن كان الجميع من ذلك ممتنعاً .

[النزول والنظم] لما حولت القبلة وكثر الخوض في نسخها وصار كأنه لا يراعى بطاعة الله إلا التوجه للصلاة وأكثر اليهود والنصارى ذكرها أنزل الله سبحانه هذه الآية عن أبي القاسم البلخي وعن قتادة أنها نزلت في اليهود .

---

(١) ذات الصليل وذات اللجم : الخيل . (٢) الحيا : المطر والمَحْل واللزبة : القحط وشرى موضع .

[المعنى] ﴿ **ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب** ﴾ بيّن سبحانه أن البر كله ليس في الصلاة فإن الصلاة إنما أمر بها لكونها مصلحة في الإيمان وصارفة عن الفساد وكذلك العبادات الشرعية إنما أمر بها لما فيها من الالطاف والمصالح الدينية وذلك يختلف بالأزمان والأوقات فقال ليس البر كله في التوجه إلى الصلاة حتى يضاف إلى ذلك غيره من الطاعات التي أمر الله بها عن ابن عباس ومجاهد واختاره أبو مسلم وقيل معناه ليس البر ما عليه النصارى من التوجه إلى المشرق ولا ما عليه اليهود من التوجه إلى المغرب عن قتادة والربيع واختاره الجبائي والبلخي ﴿ **ولكن البر من آمن بالله** ﴾ أي لكن البر برّ من آمن بالله كقولهم السخاء حاتم والشعر زهير أي السخاء سخاء حاتم والشعر شعر زهير عن قطرب والزجاج والفراء واختاره الجبائي وقيل ولكن البار أو ذا البر من آمن بالله أي صدق بالله ويدخل فيه جميع ما لا يتم معرفة الله سبحانه إلا به كمعرفة حدوث العالم وإثبات المحدث وصفاته الواجبة والجائزة وما يستحيل عليه سبحانه ومعرفة عدله وحكمته ﴿ **واليوم الآخر** ﴾ يعني القيامة ويدخل فيه التصديق بالبعث والحساب والثواب والعقاب ﴿ **والملائكة** ﴾ أي وبأنهم عباد الله المكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون ﴿ **والكتاب** ﴾ أي وبالكتب المنزلة من عند الله إلى أنبيائه ﴿ **والنبيين** ﴾ وبالأنبياء كلهم وأنهم معصومون مطهرون وفيما أدّوه إلى الخلق صادقون وإن سيدهم وخاتمهم محمد صلّى الله عليه وآله وإن شريعته ناسخة لجميع الشرائع والتمسك بها لازم لجميع المكلفين إلى يوم القيامة ﴿ **وآتى المال** ﴾ أي وأعطى المال ﴿ **على حبه** ﴾ فيه وجوه (أحدها) إن الكناية راجعة إلى المال أي على حب المال فيكون المصدر مضافاً إلى المفعول وهو معنى قول ابن عباس وابن مسعود قال هو أن تعطيه وأنت صحيح تأمل العيش وتخشى الفقر ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا (وثانيها) أن تكون الهاء راجعة إلى من آمن فيكون المصدر مضافاً إلى الفاعل ولم يذكر المفعول لظهور المعنى ووضوحه وهو مثل الوجه الأول سواء في المعنى (وثالثها) أن تكون الهاء راجعة إلى الايتاء الذي دل عليه قوله وآتى المال والمعنى على حبه الإعطاء ويجري ذلك مجرى قول القطامي :

هُمُ الْمُلُوْكُ وَأَبْنَـاءُ الْمُلُوْكِ لَـهُمْ   وَالآخِـذُوْنَ بِـهِ وَالسَّـاسَـةُ الأُوَلُ

فكنى بالهاء عن الملك لدلالة قول الملوك عليه (ورابعها) أن الهاء راجعة إلى الله لأن ذكره سبحانه قد تقدم أي يعطون المال على حب الله وخالصاً لوجهه قال المرتضى

قدّس الله روحه لم نسبق إلى هذا الوجه في هذه الآية وهو أحسن ما قيل فيها لأن تأثير ذلك أبلغ من تأثير حب المال لأن المحب للمال الضنين به متى بذله وأعطاه ولم يقصد به القربة الى الله تعالى لم يستحق شيئاً من الثواب وانما يؤثر حبّه للمال في زيادة الثواب متى حصل قصد القربة والطاعة ولو تقرب بالعطية وهو غير ضنين بالمال ولا محب له لا يستحق الثواب ﴿ **ذوي القربى** ﴾ أراد به قرابة المعطي كما روي عن النبي صلّى الله عليْه وآله أنه سئل عن أفضل الصدقة فقال جهد المقل على ذي الرحم الكاشح وقوله لفاطمة بنت قيس لما قالت يا رسول الله إن لي سبعين مثقالاً من ذهب قال إجعليها في قرابتك ويحتمل أن يكون أراد قرابة النبي (ﷺ) كما في قوله ﴿**قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى**﴾ وهو المروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام ﴿ **واليتامى** ﴾ اليتيم من لا أب له مع الصغر قيل أراد يعطيهم أنفسهم المال وقيل أراد ذوي اليتامى أي يعطي من تكفل بهم لأنه لا يصح إيصال المال إلى من لا يعقل فعلى هذا يكون اليتامى في موضع جر عطفاً على القربى وعلى القول الأول يكون في موضع نصب عطفاً على ذوي القربى ﴿ **والمساكين** ﴾ يعني أهل الحاجة ﴿ **وابن السبيل** ﴾ يعني المنقطع به عن أبي جعفر ومجاهد وقيل الضيف عن ابن عباس وقتادة وابن جبير ﴿ **والسائلين** ﴾ أي الطالبين للصدقة لأنه ليس كل مسكين يطلب ﴿ **وفي الرقاب** ﴾ فيه وجهان (أحدهما) عتق الرقاب بأن يشتري ويعتق (والآخر) في رقاب المكاتبين والآية محتملة للأمرين فينبغي أن تحمل عليهما وهو اختيار الجبائي والرماني وفي هذه الآية دلالة على وجوب إعطاء مال الزكاة المفروضة بلا خلاف وقال ابن عباس في المال حقوق واجبة سوى الزكاة وقال الشعبي هي محمولة على وجوب حقوق في مال الانسان غير الزكاة مما له سبب وجوب كالإنفاق على من يجب عليه نفقته وعلى من يجب عليه سدّ رمقه إذا خاف عليه التلف وعلى ما يلزمه من النذور والكفارات ويدخل في هذا أيضاً ما يخرجه الإنسان على وجه التطوع والقربة إلى الله لأن ذلك كله من البر واختاره الجبائي قالوا ولا يجوز حمله على الزكاة المفروضة لأنه عطف عليه الزكاة وإنما خصّ هؤلاء لأن الغالب أنه لا يوجد الإضطرار إلا في هؤلاء ﴿ **وأقام الصلاة** ﴾ أي أدّاها لميقاتها وعلى حدودها ﴿ **وآتى الزكاة** ﴾ أي أعطى زكاة ماله ﴿ **والموفون بعهدهم إذا عاهدوا** ﴾ أي والذين إذا عاهدوا عهداً أوفوا به يعني العهود والنذور التي بينهم وبين الله تعالى والعقود التي بينهم وبين الناس وكلاهما يلزم الوفاء به ﴿ **والصابرين في البأساء والضراء** ﴾ يريد بالبأساء البؤس والفقر وبالضراء الوجع والعلة عن ابن مسعود وقتادة وجماعة من المفسرين ﴿ **وحين البأس** ﴾ يريد وقت القتال وجهاد العدو وروي عن علي

عليه السلام أنه قال كنا إذا احمر البأس إتّقينا برسول الله فلم يكن أحد منا أقرب إلى العدو منه يريد إذا إشتد الحرب ﴿ **أولئك** ﴾ إشارة إلى من تقدم ذكرهم.﴿ **الذين صدقوا** ﴾ أي صدقوا الله فيما قبلوا منه والتزموه علماً وتمسكوا به عملاً عن ابن عباس والحسن وقيل الذين صدقت نياتهم لأعمالهم على الحقيقة ﴿ **وأولئك هم المتقون** ﴾ أي اتقوا بفعل هذه الخصال نار جهنم واستدل أصحابنا بهذه الآية على أن المعنيّ بها أمير المؤمنين عليه السلام لأنه لا خلاف بين الأمة إنه كان جامعاً لهذه الخصال فهو مراد بها قطعاً ولا قطع على كون غيره جامعاً لها ولهذا قال الزجاج والفراء أنها مخصوصة بالأنبياء المعصومين لأن هذه الأشياء لا يؤدّيها بكليتّها على حق الواجب فيها إلّا الأنبياء .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ۖ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ ۚ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَـٰنٍ ۗ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ۗ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾

[**اللغة**] كتب فرض واصل الكتابة الخط الدال على معنى فسمي به ما دلّ على الفرض قال الشاعر :

كُتِبَ القَتْلُ وَالقِتَالُ عَلَيْنَا   وَعَلى الغَانِيَاتِ جَرُّ الذُّيُولِ

والقصاص والمقاصة والمعاوضة والمبادلة نظائر يقال قصّ أثره أي تلاه شيئاً بعد شيء ومنه القصاص لأنه يتلو أصل الجناية ويتبعه وقيل هو أن يفعل بالثاني ما فعله هو بالأول مع مراعاة المماثلة ومنه أخذ القصص كأنه يتبع آثارهم شيئاً بعد شيء والحرّ نقيض العبد والحرّ من كل شيء أكرمه وأحرار البقول ما يؤكل غير مطبوخ وتحرير الكتابة إقامة حروفها والعفو الترك وعفت الدار أي تُركت حتى درست والعفو عن المعصية ترك العقاب

عليها وقيل معنى العفو هاهنا ترك القَوَدْ بقبول الدية من أخيه وجمع الأخ الأخوة إذا كانوا لأب فإن لم يكونوا لأب فهم إخوان ذكر ذلك صاحب العين والتأدية والأداء تبليغ الغاية يقال أدى فلان ما عليه وفلان آدى للأمانة من غيره .

[**الإعراب**] فاتباع مبتدأ وخبره محذوف أي فعليه اتباع أو خبر لمبتدأ محذوف أي فحكمه اتباع ولو كان في غير القرآن لجاز فاتباعاً بالمعروف وأداءاً إليه بإحسان على معنى فليتبع إتباعاً وليؤد إداءاً ولكن الرفع عليه إجماع القراء وهو الأجود في العربية .

[**النزول**] نزلت هذه الآية في حيّين من العرب لأحدهما طَوْل على الآخر وكانوا يتزوجون نساءهم بغير مهور وأقسموا لنقتلن بالعبد منا الحر منهم وبالمرأة منا الرجل منهم وبالرجل منا الرجلين منهم وجعلوا جراحاتهم على الضِعف من جراح أولَئك حتى جاء الإسلام فأنزل الله هذه الآية .

[**المعنى**] لما بيِّن سبحانه أن البر لا يتم إلا بالإيمان والتمسك بالشرائع بين الشرائع وبدأ بالدماء والجراح فقال ﴿ **يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم** ﴾ أي فرض عليكم وأوجب وقيل كتب عليكم في أمّ الكتاب وهو اللوح المحفوظ على جهة الفرض ﴿ **القصاص في القتلى** ﴾ المساواة في القتلى أي يفعل بالقاتل مثل ما فعله بالمقتول ولا خلاف أن المراد به قتل العمد لأن العمد هو الذي يجب فيه القصاص دون الخطأ المحض وشبيه العمد ومتى قيل كيف قال كتب عليكم القصاص في القتلى والأولياء مخيّرون بين القصاص والعفو وأخذ الدية والمقتص منه لا فعل له فيه فلا وجوب عليه فالجواب من وجهين (أحدهما) أنه فرض عليكم ذلك إن اختار أولياء المقتول القصاص والفرض قد يكون مضيقاً وقد يكون مخيراً فيه (والثاني) أنه فرض عليكم التمسك بما حُدَّ عليكم وترك مجاوزته إلى ما لم يجعل لكم وأما من يتولى القصاص فهو أمام المسلمين ومن يجري مجراه فيجب عليه استيفاء القصاص عند مطالبة الولي لأنه حق الآدمي ويجب على القاتل تسليم النفس ﴿ **الحرّ بالحرّ والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى** ﴾ قال الصادق ولا يقتل حرّ بعبد ولكن يضرب ضرباً شديداً ويغرم دية العبد وهذا مذهب الشافعي وقال إن قتل رجل أمرأة فأراد أولياء المقتول أن يقتلوه أدّوا نصف ديته إلى أهل الرجل وهذا هو حقيقة المساواة فإن نفس المرأة لا تساوي نفس الرجل بل هي على النصف منها فيجب إذا أخذت النفس الكاملة بالنفس الناقصة أن يرد فضل ما بينهما وكذلك رواه الطبري في تفسيره عن عليّ السلام ويجوز قتل العبد بالحر والأنثى بالذكر إجماعاً وليس في الآية ما

يمنع من ذلك لأنه لم يقل لا تقتل الأنثى بالذكر ولا العبد بالحر فما تضمنته الآية معمول به وما قلناه مثبت بالإجماع وبقوله سبحانه النفس بالنفس وقوله ﴿ **فمن عفي له من أخيه شيء** ﴾ فيه قولان (أحدهما) أن معناه من ترك له وصفح عنه من الواجب عليه وهو القصاص في قتل العمد من أخيه أي من دم أخيه فحذف المضاف للعلم به وأراد بالأخ المقتول سماه أخاً للقاتل فدلّ أن أخوة الإسلام بينهما لم تنقطع وإن القاتل لم يخرج عن الإيمان بقتله وقيل أراد بالأخ العافي الذي هو ولي الدم سماه الله أخاً للقاتل وقوله شيء دليل على أن بعض الأولياء إذا عفا سقط القود لأن شيئاً من الدم قد بطل بعفو البعض والله تعالى قال﴿**فمن عفي له من أخيه شيء**﴾والضمير في قوله له وفي أخيه كلاهما يرجع إلى مَنْ وهو القاتل أي من ترك له القتل ورضي منه بالدية هذا قول أكثر المفسرين قالوا العفو أن يقبل الدية في قتل العمد ولم يذكر سبحانه العافي لكنه معلوم أن المراد به من له القصاص والمطالبة وهو ولي الدم والقول الآخر أن المراد بقوله﴿**فمن عفي له ولي الدم**﴾والهاء في أخيه يرجع إليه وتقديره فمن بذل له من أخيه يعني أخا الولي وهو المقتول الدية ويكون العافي معطي المال ذكر ذلك عن مالك ومن نصر هذا القول قال أن لفظ شيء منكرّ والقود معلوم فلا يجوز الكناية عنه بلفظ النكرة فيجب أن يكون المعنى فمن بذل له من أخيه مال وذلك يجوز أن يكون مجهولاً لا يدري أنه يعطيه الدية أو جنساً آخر ومقدار الدية أو أقل أو أكثر فصحّ أن يقال فيه شيء وهذا ضعيف والقول الأول أظهر وقد ذكرنا الوجه في تنكير قوله شيء هناك وأما الذي له العفو عن القصاص فكل من يرث الدية إلا الزوج والزوجة عندنا وأما غير أصحابنا من العلماء فلا يستثنونهما وقوله ﴿ **فاتباع بالمعروف** ﴾ أي فعلى العافي اتباع بالمعْروف هي أن لا يشدّد في الطلب ويُنظره إن كان معسراً ولا يطالبه بالزيادة على حقه وعلى المعفو له ﴿ **وإداء إليه بإحسان**﴾ أي الدفع عند الإمكان من غير مَطْل وبه قال ابن عباس والحسن وقتادة ومجاهد وهو المروي عن أبي عبد الله عليه السلام وقيل المراد فعلى المعفو عنه الإتباع والإداء وقوله ﴿ **ذلك** ﴾ إشارة إلى جميع ما تقدم ﴿**تخفيف من ربكم ورحمة** ﴾ معناه أنه جعل لكم القصاص أو الدية أو العفو وخيّركم بينها وكان لأهل التوراة القصاص او العفو ولأهل الانجيل العفو أو الدية وقوله ﴿**فمن اعتدى بعد ذلك** ﴾ أي بأن قتل بعد قبول الدية أو العفو عن ابن عباس والحسن وقتادة ومجاهد وهو المروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام وقيل بأن قتل غير قاتله أو طلب أكثر مما وجب له من الدية وقيل بأن حاوز الحد بعد ما بُيّن له كيفية القصاص قال القاضي ويجب حمله على الجميع لعموم اللفظ ﴿ **فله عذاب أليم** ﴾ **في الآخرة** .

﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾

[اللغة] الألباب العقول وأحدها لبّ مأخوذ من لبّ النخلة ولبّ بالمكان وألبّ به إذا قام واللُبّ البال .

[المعنى] ثم بيّن سبحانه وجه الحكمة في إيجاب القصاص فقال ﴿ ولكم ﴾ أيها المخاطبون ﴿ في القصاص حيوٰة﴾ فيه قولان (أحدهما) أن معناه في إيجاب القصاص حياة لأن من همَّ بالقتل فذكر القصاص ارتدع فكان ذلك سبباً للحياة عن مجاهد وقتادة وأكثر أهل العلم (والثاني) أن معناه لكم في وقوع القتل حياة لأنه لا يقتل إلا القاتل دون غيره بخلاف ما كان يفعله أهل الجاهلية الذين كانوا يتفانون بالطوائل(١) عن السدي والمعنيان جميعاً حسنان ونظيره من كلام العرب القتلى أنفى للقتل إلا أن ما في القرآن أكثر فائدة وأوجز في العبارة وأبعد من الكلفة بتكرير الجملة وأحسن تأليفاً بالحروف المتلائمة فأما كثرة الفائدة فلأن فيه جميع ما في قولهم القتل أنفى للقتل وزيادة معاني منها إبانة العدل لذكره القصاص ومنها إبانة الغرض المرغوب فيه وهو الحياة ومنها الاستدعاء بالرغبة والرهبة وحكم الله به وإما الايجاز في العبارة فإنّ الذي هو نظير القتلى أنفى للقتل قوله ﴿القصاص حيوٰة﴾ وهو عشرة أحرف وذلك أربعة عشر حرفاً وأما بعده من الكلفة فهو أنّ في قولهم القتل أنفى للقتل تكريراً غيره أبلغ منه وأما الحسن بتأليف الحروف المتلائمة فإنه مدرك بالحس وموجود باللفظ فإن الخروج من الفاء إلى اللام أعدل من الخروج من اللام إلى الهمزة لبعد الهمزة من اللام وكذلك الخروج من الصاد إلى الحاء أعدل من الخروج من الألف إلى اللام فباجتماع هذه الأمور التي ذكرناها كان أبلغ منه وأحسن وإن كان الأول حسناً بليغاً وقد أخذه الشاعر فقال :

أَبْلِغْ أَبَا مَسْمَعٍ عَنِّي مُغَلْغَلَةً ... وَفِي الْعِتَابِ حَيَاةٌ بَيْنَ أَقْوَامِ (٢)

وهذا وإن كان حسناً فبينه وبين لفظ القرآن ما بين أعلى الطبقة وأدناها وأول ما فيه أن ذلك إستدعاء إلى العتاب وهذا استدعاء إلى العدل وفي ذلك إبهام وفي الآية بيان عجيب وقوله ﴿ يا أولي الألباب ﴾ معناه يا ذوي العقول لأنهم الذين يعرفون العواقب ويتصوّرون ذلك فلذلك خصّهم ﴿لعلكم تتقون﴾ في لعلّ ثلاثة أقوال (أحدها) أنه بمعنى اللام أي لتتقوا (والثاني) أنه للرجاء والطمع كأنه قال على رجائكم وطمعكم في التقوى

(١) يقال بينهم طائلة أي عداوة والجمع طوائل . (٢) مغلغلة : رسالة محمولة من بلد إلى بلد .

(والثالث) على معنى التعرض أي على تعرضكم للتقوى وفي تتقون قولان (أحدهما) لعلكم تتقون القتل بالخوف من القصاص عن ابن عباس والحسن وابن زيد (والثاني) لعلكم تتقون ربكم باجتناب معاصيه وهذا أعم .

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾

[**اللغة**] المعروف هو العدل الذي لا يجوز أن ينكر ولا حيف فيه ولا جور والحضور وجود الشيء بحيث يمكن أن يدرك والحق هو الفعل الذي لا يجوز إنكاره وقيل هو ما علم صحته سواء كان قولاً أو فعلاً أو اعتقاداً وهو مصدر حق يحق حقاً .

[**الإعراب**] قوله كتب عليكم المعنى وكتب عليكم إلّا أنّ الكلام إذا طال استغنى عن العطف بالواو وعلم أن معناه معنى الواو لأن القصة الأولى قد استتمت وفي القصة الثانية ذكر مما في الأولى فاتصلت هذه بتلك لأجل الذكر والوصية إرتفعت لأحد وجهين إما بأنه إسم ما لم يسم فاعله وهو كتب وإما بأنه مبتدأ وقوله للوالدين خبره والجملة في موضع رفع على الحكاية لأن معنى كتب عليكم قيل لكم الوصية للوالدين وأما العامل في إذا ففيه وجهان (أحدهما) كتب فكأنه قيل كتب عليكم الوصية وقت المرض (والآخر) ما قاله الزجاج وهو أن الوصية رغب فيها في حال الصحة فتقديره كتب عليكم أن توصوا وأنتم قادرون على الوصية قائلين إذا حضرنا الموت فلفلان كذا وحقاً نصب على المصدر وتقديره أحق ذلك حقاً وقد استعمل على وجه الصفة بمعنى ذي الحق كما وصف بالعدل فعلى هذا يكون نصباً على الحال ويجوز أن يكون مصدر كتب من غير لفظة تقديره كتب كتاباً .

[**المعنى**] ثم بيّن سبحانه شريعة أخرى وهو الوصية فقال ﴿ **كتب عليكم** ﴾ أي فرض عليكم ﴿ **إذا حضر أحدكم الموت** ﴾ أي أسباب الموت من مرض ونحوه من الهرم ولم يرد إذا عاين البأس وملك الموت لأن تلك الحالة تشغله عن الوصية وقيل فرض عليكم الوصية في حال الصحة أن تقولوا إذا حضرنا الموت فافعلوا كذا ﴿ **أن ترك خيراً** ﴾ أي مالاً واختلف في المقدار الذي يجب الوصية عنده فقال الزهري في القليل والكثير مما

يقع عليه إسم المال وقال إبراهيم النخعي من ألف درهم إلى خمسمائة وقال ابن عباس إلى ثمانمائة درهم وروي عن علي عليه السلام أنه دخل على مولى له في مرضه وله سبعمائة أو ستمائة درهم فقال ألا أوصي فقال لا إن الله سبحانه قال إن ترك خيراً وليس لك كثير مال وهذا هو المأخوذ به عندنا لأن قوله حجة ﴿ **الوصية للوالدين والأقربين** ﴾ أي الوصية لوالديه وقرابته ﴿ **بالمعروف** ﴾ أي بالشيء الذي يعرف أهل التمييز أنه لا جور فيه ولا حيف ويحتمل أن يرجع ذلك إلى قدر ما يوصي لأن من يملك المال الكثير إذا أوصى بدرهم فلم يوص بالمعروف ويحتمل أن يرجع إلى الموصى لهم فكأنه أمر بالطريقة الجميلة في الوصية فليس من المعروف أن يوصي للغني ويترك الفقير ويوصي للقريب ويترك الأقرب منه ويجب حمله على كلا الوجهين ﴿ **حقاً على المتقين** ﴾ أي حقاً واجباً على من آثر التقوى وهذا تأكيد في الوجوب واختلف في هذه الآية فقيل أنها منسوخة وقيل أنها منسوخة في المواريث ثابتة في غير الوارث وقيل أنها غير منسوخة أصلاً وهو الصحيح عند المحققين من أصحابنا لأن من قال أنها منسوخة بآية المواريث فقوله باطل بأن النسخ بين الخبرين إنما يكون إذا تنافى العمل بموجبهما ولا تنافي بين آية المواريث وآية الوصية فكيف تكون هذه ناسخة بتلك مع فقد التنافي ومن قال أنها منسوخة بقوله (ع) لا وصية لوارث فقد أبعد لأن الخبر لو سَلِم من كل قدح لكان يقتضي الظن ولا يجوز أن ينسخ كتاب الله تعالى الذي يوجب العلم اليقين بما يقتضي الظن ولو سلمنا الخبر مع ما ورد من الطعن على رواية لخصصنا عموم الآية وحملناها على أنه لا وصية لوارث بما يزيد على الثلث لأن ظاهر الآية يقتضي أن الوصية جائزة لهم بجميع ما يملك وقول من قال حصول الإجماع على أن الوصية ليست بفرض يدل على أنها منسوخة يفسد بأن الإجماع إنما هو على أنها لا تفيد الفرض وذلك لا يمنع من كونها مندوباً إليها مرغباً فيها وقد روى أصحابنا عن أبي جعفر عليه السلام أنه سئل هل تجوز الوصية للوارث فقال نعم وتلا هذه الآية وروى السكوني عن أبي عبد الله عن أبيه عن علي عليهم السلام قال من لم يوص عند موته لذوي قرابته ممن لا يرث فقد ختم عمله بمعصية ومما يؤيّد ما ذكرناه ما روي عن النبي صلّى الله عليه وآله أنه قال من مات بغير وصية مات ميتة جاهلية وعنه عليه السلام أنه قال من لم يحسن وصيته عند موته كان نقصاً في مروءته وعقله وروي عن أبي عبد الله (ع) أنه قال ما ينبغي لامرىء مسلم أن يبيت إلا ووصيته تحت رأسه .

﴿ فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعۡدَمَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثۡمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴿١٨١﴾

[**المعنى**] ثم أوعد سبحانه على تغيير الوصية فقال ﴿ **فمن بدله** ﴾ أي بدل الوصية وغيرها من الأوصياء أو الأولياء أو الشهود وإنما ذكَّر حملاً على الايصاء كقوله ﴿**فمن جاءه موعظة من ربه**﴾ أي وعظٌ والتبديل تغيير الشيء عن الحق فيه بأن يوضع غيره في موضعه ﴿ **بعدما سمعه** ﴾ من الموصي الميت وإنما ذكر السماع ليدل على أن الوعيد لا يلزم إلا بعد العلم والسماع ﴿ **فإنما أثمه** ﴾ أي أثم التبديل ﴿ **على الذين يبدلونه** ﴾ أي على من يبدل الوصية وَبرِئَ الميت ﴿ **إن الله سميع عليم** ﴾ أي سميع لما قاله الموصي من العدل أو الجنف عليم بما يفعله الوصي من التصحيح أو التبديل وقيل سميع لوصاياكم عليم بنياتكم وقيل سميع بجميع المسموعات عليم بجميع المعلومات وفي هذه الآية دلالة على أن الوصي أو الوارث إذا فرط في الوصية أو غيرها لا يأثم الموصي بذلك ولم ينقص من أجره شيء فإنه لا يجازي أحد على عمل غيره وفيها أيضاً دلالة على بطلان قول من يقول أن الوارث إذا لم يقض دَيْن الميت فإنه يؤخذ به في قبره أو في الآخرة لما قلناه من أنه يدل على أن العبد لا يؤاخذ بجرم غيره إذ لا أثم عليه بتبديل غيره وكذلك لو قضى عنه الوارث من غير أن يوصي به لم يزل ذلك عقابه إلا أن يتفضل الله بإسقاطه عنه .

﴿ فَمَنۡ خَافَ مِن مُّوصٖ جَنَفًا أَوۡ إِثۡمٗا فَأَصۡلَحَ بَيۡنَهُمۡ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١٨٢﴾

[**القراءة**] قرأ أهل الكوفة غير حفص ويعقوب موصّ بالتشديد وقرأ الباقون موص بالتخفيف .

[**الحجة**] ذكرناها عند قوله ووصى بها إبراهيم .

[**اللغة**] الجنف الجور وهو الميل عن الحق وقال صاحب العين هو الميل في الكلام وفي الأمور كلها يقال جنف علينا فلان وأجنف في حكمه وهو مثل الحيف إلا أن الحيف في الحكم خاصة والجنف عام ورجل أجنف في أحد شقيه ميل على الآخر قال

الشاعر في الجنف :

إنِّي آمْرُوءٌ مَنَعَتْ أُرُومَةُ عَـامِرٍ ضَيْمِي وَقَدْ جَنَفَتْ عَلَيَّ خُصُومُ(١)

[**الإعراب**] من في قوله ﴿من موص﴾ يتعلق بمحذوف تقديره فمن خاف جنفاً كائناً من موص فموضع الجار والمجرور مع المحذوف نصب على الحال وذو الحال قوله جنفاً وبين ظرف مكان لأصلح والضمير في بينهم عائد إلى معلوم بالدلالة عليه عند ذكر الموصي والإصلاح لأنه يدل على الموصى لهم ومن ينازعهم وأنشد الفراء في مثله .

أَعْمَى إِذَا مَا جَارَتِي خَرَجَتْ حَتَّى يُـوَارِي جَـارَتِي الخِـدْرُ
وَيَصَمُّ عَمَّا كَانَ بَيْنَهُمَا سَمْعِي وَمَا بِي غَيْرَهُ وَقْـرُ

أراد بينها وبين زوجها وإنما ذكرها وحدها .

[**المعنى**] لما تقدم الوعيد لِمن بدَّل الوصية بيَّن في هذه الآية أن ذلك يلزم مَن غيَّر حقاً بباطل فَأَمّا من غيَّر باطلاً بحق فهو محسن فقال ﴿ **فمن خاف** ﴾ أي خشي وقيل علم لأن في الخوف طرفاً من العلم وذلك أن القائل إذا قال أخاف أن يقع أمر كذا فكأنه يقول أعلم وإنما يخاف لعلمه بوقوعه ومنه قوله ﴿ **وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم** ﴾ وقوله ﴿ **إلاّ أن يخافا ألّا يقيما حدود الله** ﴾ ﴿ **من موص جنفاً** ﴾ أي ميلاً عن الحق فيما يوصي به فإن قيل كيف قال فمن خاف لما قد وقع والخوف إنما يكون لما لم يقع قيل أن فيه قولين (أحدهما) أنه خاف أن يكون قد زلّ في وصيته فالخوف يكون للمستقبل وهو من أن يظهر ما يدل على أنه قد زل لأنه من جهة غالب الظن (والثاني) أنه لما اشتمل على الواقع وعلى ما لم يقع جاز فيه خاف فيأمره بما فيه الصلاح فيما لم يقع وما وقع ردّه إلى العدل بعد موته وقال الحسن الجنف هو أن يوصي به في غير قرابة وإنما قال ذلك لأن عنده الوصية للقرابة واجبة والأمر بخلافه وقيل المراد من خاف من موص في حال مرضه الذي يريد أن يوصي جنفاً وهو أن يعطي بعضاً ويضرّ ببعض فلا إثم عليه أن يشير عليه بالحق ويردّه إلى الصواب ويصلح بين الموصي والورثة والموصى له حتى يكون الكل راضين ولا يحصل جنف ولا إثم ويكون قوله فاصلح بينهم أي فيما يخاف بينهم من حدوث الخلاف فيه فيما بعد ويكون قوله فمن خاف على ظاهره ويكون الخوف مترقباً غير واقع وهذا قريب غير أن الأول عليه أكثر المفسرين وهو المروي عن أبي جعفر وأبي

(١) الضيم : الظلم .

عبد الله عليهما السلام وقوله ﴿ **أو إثماً** ﴾ الإثم أن يكون الميل عن الحق على وجه العمد والجنف أن يكون على جهة الخطأ من حيث لا يدري أنه يجوز وهو معنى قول ابن عباس والحسن وروي ذلك عن أبي جعفر (ع) ﴿ **فاصلح بينهم** ﴾ أي بين الورثة والمختلفين في الوصية وهم الموصى لهم ﴿ **فلا إثم عليه** ﴾ لأنه متوسط مريد للإصلاح وإنما قال لا إثم عليه ولم يقل يستحق الأجر لأن المتوسط إنما يجري أمره في الغالب على أن ينقص صاحب الحق بعض حقه بسؤاله إياه فبَيّن سبحانه لنا أنه لا إثم عليه في ذلك إذا قصد الإصلاح وقيل إنه لما بَيّن إثم المبدل وهذا أيضاً ضرب من التبديل بين مخالفته للأول بكونه غير مأثوم برده الوصية إلى العدل ﴿ **فإن الله غفور رحيم** ﴾ يعني إذا كان يغفر الذنوب ويرحم المذنب فأولى وأحرى أن يكون كذلك ولا ذنب وروي عن الصادق عليه السلام في قوله جنفاً أو إثماً أنه بمعنى إذا اعتدى في الوصية وزاد على الثلث وروي ذلك عن ابن عباس وروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أَنَّهُ قال من حضره الموت فوضع وصيته على كتاب الله كان ذلك كفارة لما ضيع من زكاته في حياته وبالله التوفيق

اخر المجلد الأول وفرغ من تأليفه يوم السبت لثلاث بقين
من شعبان سنة ثلاثين وخمسمائة وما النصر
إلا من عند الله وما توفيقي إلا بالله

وقد تصدى لتصحيحه العبدان المتمسكان بكتاب الله المبين
السيد هاشم الرسولي المحلاتي والسيد فضل الله الطباطبائي
اليزدي وفقهما الله تعالى لمرضاته
وعفى عن جرائم أعمالهما
بعفوه وغفرانه

مجمع البيان

في

تفسير القرآن

لمؤلفه

الشيخ ابي علي الفضل بن الحسن الطبرسي

من أكابر علماء الإمامية في القرن السادس

تصحيح وتحقيق وتعليق

السيد هاشم الرسولي المحلاتي و السيد فضل الله اليزدي الطباطبائي

عفا الله عنهما

الجزء الثاني

دار المعرفة

للطباعة والنشر

شبكة كتب الشيعة

shiabooks.net

mktba.net < رابط بديل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾

[اللغة] الصوم(١) في اللغة الإمساك ومنه يقال للصمت صوم لأنه امساك عن الكلام قال ابن دريد كل شيء سكنت حركته فقد صام صوماً وقال النابغة :

خَيلٌ صِيَامٌ وَخَيلٌ غَيرُ صَائِمَةٍ تَحْتَ العَجَاجِ وأُخرى تَمْلُكُ اللُّجُما

أي قيام وصامت الريح أي ركدت وصامت الشمس إذا استوت في منتصف النهار وصام النهار أيضاً بمقدار قال امرؤ القيس :

فَدَعْها وسَلِّ الْهَمَّ عَنْكَ بِجَسْرَةٍ ذَمُولٍ إِذَا صَامَ النَّهَارَ وَهَجَّرا(٢)

والصوم ذرق النعام وأصل الباب الإمساك وهو في الشرع إمساك عن أشياء مخصوصة على وجه مخصوص ممّن هو على صفات مخصوصة في زمان مخصوص فالإسم شرعيّ وفيه معنى اللغة والصيام بمعنى الصوم يقال صمت صوماً وصياماً .

[الإعراب] الصيام رَفع بما لم يسمَّ فاعله وقوله ﴿ كما كتب ﴾ أي مثل ما كتب فما هذه مصدرية وتقدير الكلام كتب عليكم الصيام كتابة مثل كتابته على الذين من قبلكم فحذف المصدر وأقيم صفته مقامه ويحتمل أن يكون موضع الكاف نصباً على الحال من

(١) [هو] .

(٢) الجسر من الإبل العظيم والأنثى الجسرة. الناقة الذمول: التي تسير الذميل أي سيراً ليناً .

الصيام وتقديره كتب عليكم الصيام مفروضاً أي في هذه الحال .

[**المعنى**] ثم بيَّن سبحانه فريضة أخرى فقال ﴿ **يا أيها الذين آمنوا** ﴾ أي يا أيها المصدقـون وروي عن الصادق عليه السلام أنه قال: لذة ما في الندا ازال تعب العبادة والعنا وقال الحسن: إذا سمعت الله عزّ وجلَّ يقول ﴿ **يا أيها الذين آمنوا** ﴾ فارعَ لها سمعك فإنها لأمر تؤمر به أو لنهي تنهى عنه ﴿ **كتب عليكم الصيام** ﴾ أي فرض عليكم العبادة المعروفة في الشرع وإنما خَصَّ المؤمنين بالخطاب لقبولهم لذلك ولأنَّ العبادة لا تصح إلا منهم ووجوبه عليهم لا ينافي وجوبه على غيرهم وقوله ﴿ **كما كتب على الذين من قبلكم** ﴾ فيه أقوال (أحدها) أنه شبَّه فرض صومنا بفرض صوم من تقدمنا من الأمم أي كتب عليكم صيام أيام كما كتب عليهم صيام أيام وليس فيه تشبيه عدد الصوم المفروض علينا ولا وقته بعدد الصوم المفروض عليهم أو وقته وهو اختيار أبي مسلم والجبائي (وثانيها) أنه فرض علينا صوم شهر رمضان كما كان فرض صوم شهر رمضان على النصارى وكان يتفق ذلك في الحر الشديد والبرد الشديد فحوّلوه إلى الربيع وزادوا في عدده عن الشعبي والحسن وقيل كان الصوم علينا من العتمة إلى العتمة ثم اختلف فيه فقال بعضهم كان يحرم الطعام والشراب من وقت صلاة العتمة إلى وقت صلاة العتمة وقال بعضهم كان يحرم من وقت النوم إلى وقت النوم ثم نسخ ذلك فالمراد بقوله ﴿ **الذين من قبلكم** ﴾ النصارى على قول الحسن والشعبي وأهل الكتاب من اليهود والنصارى على قول غيرهما وقوله ﴿ **لعلكم تتقون** ﴾ أي لكي تتقوا المعاصي بفعل الصوم عن الجبائي وقيل لتكونوا أتقياء بما لطف لكم في الصيام فإنه أقوى الوسائل والوصل إلى الكف عن المعاصي كما روي عن النبي ﷺ أنه قال: خصاء أمتي الصوم وسأل هشام بن الحكم أبا عبد الله ثم عن علة الصيام فقال إنما فرض الصيام ليستوي به الغني والفقير وذلك لأن الغني والفقير وذلك لأن الغني لم يكن ليجد مس الجوع فيرحم الفقير فأراد الله سبحانه أن يذيق الغني مَسّ الجوع ليرقَّ على الضعيف ويرحم الجائع .

﴿ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ ۚ وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾

[**القراءة**] قرأ أبو جعفر ونافع وابن عامر فِديةَ طعامِ مَساكينَ على إضافة فدية إلى طعام وجمع المساكين وقرأ الباقون فديةٌ منونة طعامُ رفعٌ مسكينٍ موحد مجروراً وقرأ حمزة والكسائي ومن يَطَّوّع خيراً والباقون تطوع وقد مضى ذكره وروي في الشواذ يطَوّقُونه عن ابن عباس بخلاف وعائشة وسعيد بن المسيب وعكرمة وعطا يَطَّوَّقونه على معنى يتطوَّقونه عن مجاهد وعن ابن عباس وعن عكرمة وروي عن ابن عباس أيضاً يَتطَّيَّقونه ويُطَيِّقونه أيضاً .

[**الحجة**] من قرأ فدية طعام مسكين فطعام مسكين عطف بيان لفدية وإفراد مسكين جائز وإن كان المعنى على الكثرة لأن المعنى على كل واحد طعام مسكين قال أبو زيد يقال أتينا الأمير فكسانا كلنا حلة وأعطانا كلنا مائة وأما من أضاف الفدية إلى طعام كإضافة البعض إلى ما هو بعض له فإنه سمى الطعام الذي يفدى به فدية ثم أضاف الفدية إلى الطعام الذي يعم الفدية وغيرها وهو على هذا من باب.خاتم حديد وأما من قرأ يُطَّوقونه فإنه يُفَعِلونه من الطاقة فهو كقوله يجشمونه ويكلفونه ويجعل لهم كالطوق في أعناقهم ويَطَّوَّقُونه كقولك يتكلفونه ويتجشمونه وأما من قرأ يَطَّيَّقُونه فإنه يتطيقونه يتفعلونه إلا أنّ العينين ابدلتا ياء كما قالوا في تصوَّر الجرف تهيَّر ويُطَّيِقُونه يفعلونه منه .

[**اللغة**] السفر أصله من السفر الذي هو الكشف تقول سفر يسفر سَفْرا وانسفرت الإبل إذا انكشفت ذاهبة وسفرت الريح السحاب قال العجاج (سفر الشمال الزبرج المزبرجا) الزبرج السحاب الرقيق وفي السفر يظهر مالا يظهر إلا به وينكشف من أخلاق الناس ما لا ينكشف إلا به والعِدّة فعلة من العدّ وهي بمعنى المعدود كالطحن بمعنى المطحون والحمل بمعنى المحمول والطوق الطاقة وهي القوة يقال طاق الشيء يطوقه طوقاً وطاقة والطاق إطاقة إذا قوي عليه وطوَّقه تطويقاً ألبسه الطوق وهو معروف من ذهب كان أو من فضة لأنه يكسبه قوة بما يعطيه من الجلالة وكل شيء استدار فهو طوق وطوَّقه الأمير أي جعله كالطوق في عنقه .

[**الإعراب**] أيّاماً قال الزجاج يجوز في انتصابه وجهان (أحدهما) أن يكون ظرفاً كأنه كتب عليكم الصيام في أيام والعامل فيه الصيام كأنّ المعنى كتب عليكم أن تصوموا أياماً وقال بعض النحويين أنه مفعول ما لم يسم فاعله نحو قولك أُعْطِي زيد المال قال وليس هذا بشيء لأن الأيام هاهنا متعلقة بالصوم وزيد والمال مفعولان لأعطي ذلك أن تقيم أيهما شئت مقام الفاعل وليس في هذا إلا نصب أيام بالصيام قال أبو علي أياماً يجوز في

انتصابه وجهان (أحدهما) أن ينتصب على الظرف والآخر أن ينتصب انتصاب المفعول به على السعة فإذا انتصب على أنه ظرف جاز أن يكون العامل فيه كتب فيكون التقدير كتب عليكم الصيام في أيام وإن شئت اتَّسعت فنصبته نصب المفعول به فتقول على هذا يا مكتوب أيام عليه أو يا كاتبَ أيام الصيام وإنما جاز إضافة اسم الفاعل أو المفعول إلى أيام(١) لإخراجك إياه عن أن يكون ظرفاً واتساعك في تقديره إسماً وإذا كان الأمر على ما ذكرناه كان ما منعه أبو إسحاق من إجازة من أجاز أن كتب عليكم الصيام أياماً بمنزلة أعطى زيد المال جائز غير ممتنع قال ولا يستقيم أن ينتصب أياماً بالصيام على أن يكون المعنى كتب عليكم الصيام في أيام لأن ذلك وإن كان مستقيماً في المعنى فهو في اللفظ ليس كذلك ألا ترى أنك إذا حملته على ذلك فصّلت بين الصلة والموصول بأجنبي منهما وذلك أنَّ أياماً تصير من صلة الصيام وقد فصلت بينهما بمصدر كتب لأن التقدير كتب عليكم الصيام كتابة مثل كتابته على من كان قبلكم فالكاف في كما متعلقة بكتب وقد فصلت بها بين المصدر وصلته وليس من واحد منهما وأقول أنه يستقيم أن ينتصب أياماً بالصيام إذا جعلت الكاف من قوله كما كتب على الذين من قبلكم في موضع نصب على الحال أي مفروضاً مثل ما فرض عليهم فيكون ما موصولاً وكتب صلته وفي كتب ضمير يعود إلى ما والموصول وصلته في موضع جرّ بإضافة الكاف إليه والكاف(٢) موضع النصب بأنه صفة للمحذوف الذي هو الحال من الصيام فعلى هذا لم يفصل بين الصلة والموصول ما هو أجنبي منهما على ما ذكره الشيخ أبو علي وقوله فعدة من أيام أخر تقديره فعليه عدة فيكون ارتفاع عدة على الابتداء على قول سيبويه وعلى قول الأخفش يكون مرتفعاً بالظرف على ما تقدم بيانه ويجوز أن يكون تقديره فالذي ينوب عن صومه في وقت الصوم عدة من أيام أخر فيكون عدة خبر الابتداء وأخر لا ينصرف لأنه وصف معدول عن الألف واللام لأن نظائرها من الصُغَر والكُبَر لا يستعمل إلا بالألف واللام لا يجوز نسوة صُغَر وإن تصوموا في موضع رفع بالابتداء وخير خبر له ولكم صفة الخبر .

[**المعنى**] ﴿ **أيّاماً معدودات** ﴾ أي معلومات محصورات مضبوطات كما يقال أعطيت مالا معدوداً أي محصوراً متعيّناً ويجوز أن يريد بقوله معدودات أنها قلائل كما قال سبحانه دراهم معدودة يريد أنها قليلة واختلف في هذه الأيام على قولين (أحدهما) أنها غير شهر رمضان وكانت ثلاثة أيام من كل شهر ثم نسخ عن معاذ وعطا وعن ابن عباس

(١) [الصيام] .
(٢) [في].

وروي ثلاثة أيام من كل شهر وصوم عاشورا عن قتادة ثم قيل أنه كان تطوّعاً وقيل بل كان واجباً واتّفق هؤلاء على أن ذلك منسوخ بصوم شهر رمضان والآخر أن المعنيّ بالمعدودات شهر رمضان عن ابن عباس والحسن واختاره الجبائي وأبو مسلم وعليه أكثر المفسرين قالوا أوجب سبحانه الصوم أوّلاً فأجمله ولم يبين أنها يوم أو يومان أم أكثر ثمّ بيّن أنها أيّام معلومات وأبهم ثم بيّنه بقوله ﴿ **شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن** ﴾ قال القاضي وهذا أولى لأنه إذا أمكن حمله على معنى من غير اثبات نسخ كان أولى ولأن ما قالوه زيادة لا دليل عليه ﴿ **فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدّة من أيّام أخر** ﴾ عطف قوله على سفر وهو ظرف على قوله ﴿ **مريضاً** ﴾ وهو اسم مع أن الظرف لا يعطف على الإسم لأنه وإن كان ظرفاً فهو بمعنى الإسم وتقديره فمن كان منكم مريضاً أو مسافراً فالذي ينوب مناب صومه عدة من أيّام أخر وفيه دلالة على أن المسافر والمريض يجب عليهما الإفطار لأنه سبحانه أوجب القضاء بنفس السفر والمرض ،ومن قَدَّر في الآية فأفطر فقد خالف الظاهر وقد ذهب إلى وجوب الإفطار في السفر جماعة من الصحابة كعمر بن الخطاب وعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وعبد الرحمن بن عوف وأبي هريرة وعروة بن الزبير وهو المرويّ عن أئمتنا فقد روي أن عمر بن الخطاب أمر رجلاً صام في السفر أن يعيد صومه وروى يوسف بن الحكم قال سألت ابن عمر عن الصوم في السفر فقال أرأيت لو تصدقت على رجل صدقة فردّها عليك ألاّ تغضب فإنها صدقة من الله تصدّق بها عليكم وروى عبد الرحمن بن عوف قال قال رسول الله الصائم في السفر كالمفطر في الحضر وروي عن ابن عباس أنه قال الإفطار في السفر عزيمة وروى أصحابنا عن أبي عبد الله أنه قال الصائم في شهر رمضان في السفر كالمفطر فيه في الحضر وعنه (ع) قال لو أن رجلاً مات صائماً في السفر لما صليتُ عليه وعنه ﷺ قال من سافر أفطر وقصّر إلا أن يكون رجلاً سفره إلى صيد أو في معصية الله وروى العياشي بإسناده مرفوعاً إلى محمد بن مسلم عن أبي عبد الله قال لم يكن رسول الله يصوم في السفر تطوّعاً ولا فريضة حتى نزلت هذه الآية بكراع الغميم عند صلاة الهَجير فدعا رسول الله بإناء فيهِ ماء فشرب وأمر الناس أن يفطروا فقال قوم قد توجه النهار ولو تممنا يومنا هذا فسمَّاهم رسول الله العصاة فلم يزالوا يسمّون بذلك الإسم حتى قبض رسول الله ﴿ **وعلى الذين يطيقونهُ** ﴾ الهاء يعود إلى الصوم عند أكثر أهل العلم أي يطيقون الصوم خَيَّر الله المطيقين الصوم من الناس كلّهم بين أن يصوموا ولا

(١) [قال] .

يكفّروا وبين أن يفطروا ويكفّروا عن كل يوم بإطعام مسكين لأنهم كانوا لم يتعوّدوا الصوم ثم نسخ ذلك بقوله ﴿ **فمن شهد منكم الشهر فليصمه** ﴾ وقيل أن الهاء يعود إلى الفداء عن الحسن وأبي مسلم وأما المعنيّ بقوله ﴿ **الذين يطيقونه** ﴾ ففيه ثلاثة أقوال (**أوّلها**) **أنه** سابر الناس كما قدمنـا ذكره من التخيير والنسخ بعده وهو قول ابن عباس والشعبي (وثانيها) أن هذه الرخصة كانت للحوامل والمراضع والشيخ الفاني ثم نسخ من الآية الحامل والمرضع وبقي الشيخ الكبير عن الحسن وعطاء (وثالثها) أن معناه وعلى الذين كانوا يطيقونه ثم صاروا بحيث لا يطيقونه ولا نسخ فيه عن السدي وقد رواه بعض أصحابنا عن أبي عبد الله أن معناه وعلى الذين كانوا يطيقون الصوم ثم أصابهم كبر أو عطاش وشبه ذلك فعليهم كل يوم مُدّ وروى علي بن إبراهيم بإسناده عن الصادق عليه السلام وعلى الذين يطيقونه فدية من مرض في شهر رمضان فأفطر ثم صحّ فلم يقض ما فاته حتى جاء شهر رمضان آخر فعليه أن يقضي ويتصدّق لكل يوم مُدّا من طعام وقوله ﴿ **فدية طعام مسكين** ﴾ اختلف في مقدار الفدية فقال أهل العراق نصف صاع عن كل يوم وقال الشافعي عن كل يوم مُدّ وعندنا إن كان قادراً فمُدّان فإن لم يقدر أجزأه مُدّ واحد وقوله ﴿ **فمن تطوّع خيراً فهو خير له** ﴾ قيل معناه من أطعم أكثر من مسكين واحد عن عطا وطاوس وقيل أطعم المسكين الواحد أكثر من قدر الكفاية حتى يزيده على نصف صاع عن مجاهد ويجمع بين القولين قول ابن عباس من تطوع بزيادة الإطعام وقيل معناه من عمل برّا في جمع الدين فهو خير له عن الحسن وقيل من صام مع الفدية عن الزهري وقوله ﴿ **وإن تصوموا خير لكم** ﴾ أي وصومكم خير لكم من الإفطار والفدية وكان هذا مع جواز الفدية فأما بعد النسخ فلا يجوز أن يقال الصوم خير من الفدية مع أن الإفطار لا يجوز أصلاً وقيل معناه الصوم خير لمطيقه وأفضل ثواباً من التكفير لمن أفطر بالعجز ﴿ **إن كنتم تعلمون** ﴾ إن الصوم خير لكم من الفدية وقيل إن كنتم تعلمون أفضل أعمالكم وفي قوله سبحانه ﴿ **وعلى الذين يطيقونه** ﴾ دلالة على أن الإستطاعة قبل الفعل .

﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ

ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾

[**القراءة**] قرأ أبو بكر عن عاصم ولتكمّلوا بالتشديد والباقون لتكملوا بالتخفيف وقرأ أبو جعفر العُسُر واليُسُر بالتثقيل فيهما والباقون بالتخفيف .

[**الحجة**] حجة من قرأ ولتكملوا قوله ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم** ﴾ ومن قرأ ولتكمِّلوا فلأن فعل وافعل كثيراً ما يستعمل أحدهما موضع الآخر قال النابغة .

فَكمَّلَتْ مائةً مِنْها حَمامَتها وَأَسرعتْ حِسْبة في ذلك العددِ

[**اللغة**] الشهر معروف وجمعه في القلة أشهر وفي الكثرة شهور وأصله من اشتهاره بالهلال يقال شَهَرتُ الحديثَ أظهرته وشَهَرت السيف انتضيته وأتان شهيرة عريضة ضخمة وأصل الباب الظهور وأصل رمضان من الرمض وهو شدة وقع الشمس على الرمل وغيره وإنما سَمّوه رمضان لأنهم سَمّوا الشهور بالأزمنة التي وقعت فيها فوافق رمضان أيام رمض الحر وقد جمعوا رمضان على رمضانات وقيل أن رمضان اسم من أسماء الله فروي عن مجاهد لا تقل رمضان ولكن قل شهر رمضان فإنك لا تدري ما رمضان وقد جاء في الاخبار المروية عن النبي ﷺ أنه قال من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه وقيل إنما سمي رمضان لأنه يرمض الذنوب أي يحرقها والقرآن أصله الجمع لقولهم ما قرأتِ الناقة سلا[1] قط أي ما جمعت رحمها على سلا ومنه القراءة والقارىء لأنه يجمع الحروف والفرقان الذي يفرق بين الحق والباطل والإرادة أصلها الواو لأنك تقول راودته على أن يفعل كذا مراودة ومنه راد يرود روداً فهو رائد وفي المثل الرَّائد لا يكذب أهله وأصل الباب الطلب والإرادة بمعنى الطلب للمراد لأنها كالسبب له واليسر ضد العسر واليسار الغنى والسعة واليسار اليد اليسرى واليسر الجماعة يجتمعون على الجزور في الميسر والجمع الإيسار وأصل الباب السهولة وأصل العسر الصلابة يقال عسر الشيء عسراً ورجل أعسر يعمل بشماله وأعسر الرجل إذا افتقر وضدّه اليسر ويقال كمل الشيء وأكملته وكملته أي تممته .

[**الإعراب**] شهر رمضان في ارتفاعه ثلاثة أوجه (أحدها) أن يكون خبر مبتدأ

(١) السلا كحصى : الجلدة الرقيقة التي يكون فيها الولد من المواشي .

محذوف يدل عليه قوله ﴿ **أياماً** ﴾ أي هي شهر رمضان (والثاني) أن يكون بدلاً من الصيام فكأنه قال كتب عليكم شهر رمضان (والثالث) أن يرتفع بالابتداء ويكون خبره الذي أنزل فيه القرآن وإن شئت جعلت الذي أنزل فيه القرآن صفة له وأضمرت الخبر حتى كأنه قال وفيما كتب عليكم شهر رمضان أي صيام شهر رمضان ولا ينصرف رمضان للتعريف وزيادة الألف والنون المضارعتين لألفي التأنيث ويجوز في العربية شهر رمضان بالنصب من وجهين (أحدهما) صوموا شهر رمضان والآخر على البدل من قوله أياماً فقوله ﴿ **هدى** ﴾ في موضع النصب على الحال أي هادياً للناس وقوله ﴿ **فمن شهد منكم الشهر فليصمه** ﴾ فالشهر ينتصب على أنه ظرف لا على أنه مفعول به لأنه لو كان مفعولاً به للزم الصيام المسافر كما يلزم المقيم من حيث أن المسافر يشهد الشهر شهادة المقيم فلما لم يلزم المسافر علمنا أن معناه فمن شهد منكم المصر في الشهر ولا يكون مفعولاً به كما لو قلت أحييت شهر رمضان يكون مفعولاً به فإن قلت كيف جاء ضميره متصلاً في قوله فليصمه إذا لم يكن مفعولاً به قلنا لأن الإتساع وقع فيه بعد أن استعمل ظرفاً على ما تقدم بيان أمثاله وإنما عطف الظرف على الإسم في قوله ﴿ **ومن كان مريضاً أو على سفر** ﴾ لأنه بمعنى الإسم فكأنه قال أو مسافراً كقوله سبحانه ﴿ **دعانا لجنبه أو قاعداً أو قائماً** ﴾ أي دعانا مضطجعاً وأما العطف باللام في قوله ﴿ **ولتكملوا العدة** ﴾ ففيه وجهان (أحدهما) أنه عطف جملة على جملة لأن بعده محذوفاً وتقديره ولتكملوا العدة شرع ذلك أو أريد ذلك ومثله قوله ﴿ **وكذلك نري إبراهيم ملكوت السماوات والأرض وليكون من الموقنين** ﴾ أي وليكون من الموقنين أريناه ذلك (والثاني) أن يكون عطفاً على تأويل محذوف ودل عليه ما تقدم من الكلام لأنه لما قال ﴿ **يريد الله بكم اليسر** ﴾ دل على أنه قد فعل ذلك ليسهل عليكم فجاز ولتكملوا العدة عطفاً عليه قال الشاعر :

بَادَتْ(١)وَغَيَّر آيَهُنَّ مَعَ البِلىٰ ... إلَّا رَواكِدَ جَمْرُهُنَّ هَبَاءُ
وَمُشَجَّجٌ إمَّا سَوَاءُ قَذَالِهِ ... فَبَدَا وَغَيَّبَ مَارَهُ المَعْزَاءُ

أي سائره فعطف على تأويل الكلام كأنه قال بها رواكد ومشجج هذا قول الزجاج والأول قول الفراء .

[**المعنى**] ثم بيّن سبحانه وقت الصوم فقال ﴿ **شهر رمضان** ﴾ أي هذه الأيام

(١) باد : هلك . المشجج : الوتد . وقذال : جماع مؤخر الرأس والضمير يعود إلى مشجج . والمعزاء الأمعز : المكان الصلب الكثير الحجارة والحصى .

المعدودات شهر رمضان أو كتب عليكم شهر رمضان أو شهر رمضان هو الشهر ﴿ **الذي أنزل فيه القرآن** ﴾ فبيّن أنه خصّه بالصوم فيه لاختصاصه بالفضائل المذكورة وهو أنه أنزل فيه القرآن الذي عليه مدار الدين والإيمان ثمّ اختلف في قوله أنزل فيه القرآن فقيل أن الله أنزل جميع القرآن في ليلة القدر إلى السماء الدنيا ثم أنزل على النبي بعد ذلك نجوماً في طول عشرين سنة عن ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن وقتادة وهو المروي عن أبي عبد الله وقيل إن الله تعالى ابتدأ إنزاله في ليلة القدر من شهر رمضان عن ابن إسحاق وقيل أنه كان ينزل إلى السماء الدنيا في ليلة القدر ما يحتاج إليه في تلك السنه جملة واحدة ثم ينزل على مواقع النجوم إرسالاً في الشهور والأيام عن السدي يسنده إلى ابن عباس وروى الثعلبي بإسناده عن أبي ذر الغفاري عن النبيﷺ أنه قال أنزلت صحف إبراهيم لثلاث مضين من شهر رمضان وفي رواية الواحدي في أول ليلة منه وأنزلت توراة موسى لستّ مضين من شهر رمضان وأنزل إنجيل عيسى لثلاث عشرة ليلة خلت من رمضان وأنزل زبور داود لثمان عشرة ليلة مضت من رمضان وأنزل الفرقان على محمد لأربع وعشرين من شهر رمضان وهذا بعينه رواه العياشي عن أبي عبد الله عن آبائه عن النبيﷺ وقيل المراد بقوله ﴿ **انزل فيه القرآن** ﴾ أنه أنزل في فرضه وإيجاب صومه على الخلق القرآن فيكون فيه بمعنى في فرضه كما يقول القائل أنزل الله في الزكاة كذا يريد في فرضها ثمّ وصف سبحانه القرآن بقوله ﴿ **هُدىً للناس** ﴾ أي هادياً للناس ودالّاً لهم على ما كُلّفوه من العلوم ﴿ **وبيّنات من الهدى** ﴾ أي ودلالات من الهدى وقيل المراد بالهدى الأول الهدى من الضلالة وبالثاني بيان الحلال والحرام عن ابن عباس وقيل أراد باول ما كلّف من العلم وبالثاني ما يشتمل عليه من ذكر الأنبياء وشرائعهم وأخبارهم لأنها لا تدرك إلا بالقرآن عن الأصم والقاضي وقوله ﴿ **والفرقان** ﴾ أي ومما يفرّق بين الحق والباطل وروي عن أبي عبد الله (ع) أنه قال القرآن جملة الكتاب والفرقان المحكم الواجب العمل به وروى الحسن بن محبوب عن أبي أيّوب عن أبي الورد عن أبي جعفر قال خطب رسول اللهﷺ الناس في آخر جمعة من شعبان فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس : انه قد أظلّكم شهر فيه ليلة خير من ألف شهر وهو شهر رمضان فرض الله صيامه وجعل قيام ليلة فيه بتطوّع صلاة كمن تطوّع بصلاة سبعين ليلة فيما سواه من الشهور وجعل لمن تطوّع فيه بخصلة من خصال الخير والبرّ كأجر من أدّى فريضة من فرائض الله فيما سواه ومن أدّى فيه فريضة من فرائض الله كان كمن أدّى سبعين فريضة [من فرائض][1] فيما سواه من

(١) ما بين المعقفتين إنما هو في نسخة صيدا دون غيرها . وكذا ما سيأتي .

الشهور وهو شهر الصبر وإن الصبر ثوابه الجنة وهو شهر المواساة وهو شهر يزيد الله فيه من رزق المؤمنين ومن فَطّر فيه مؤمناً صائماً كان له بذلك عند الله عتق رقبة ومغفرة لذنوبه فيما مضى فقيل له يا رسول الله ليس كـلّنا نقدر على أن نفطر صائماً قال فإنّ الله كريم يعطي هذا الثواب من لم يقدر منكم إلا على مذقة من لبن يفطر بها صائماً أو شربة من ماء عذب أو تميرات لا يقدر على أكثر من ذلك ومن خفّف فيه عن مملوكه خفّف الله عليه حسابه وهو شهر أوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره إجابة والعتق من النار ولا غنى بكم فيه عن أربع خصال خصلتين ترضون الله بهما وخصلتين لا غنى بكم عنهما فأما اللتان ترضون الله بهما فشهادة أن لا إلّه إلا الله وإني رسول الله وأما اللتان لا غنى بكم عنهما فتسألون الله فيه حوائجكم والجنة وتسألون الله فيه العافية وتتعوّذون به من النار وفي رواية سلمان الفارسي فاستكثروا فيه من أربع خصال خصلتان ترضون بهما ربكم وخصلتان لا غنى بكم عنهما فأما الخصلتان اللتان ترضون ربكم بهما فشهادة أن لا إلّه إلا الله وتستغفرونه وأما اللتان لا غنى بكم عنهما فتسألون الله الجنة وتتعوّذون به من النار وقال رسول الله نوم الصائم عبادة وصمته تسبيح ودعاؤه مستجاب وعمله مضاعف وقوله ﴿ **فمن شهد منكم الشهر فليصمه** ﴾ فيه وجهان (أحدهما) فمن شهد منكم المصر وحضر ولم يغب في الشهر والألف واللام في الشهر للعهد والمراد به شهر رمضان فليصم جميعه وهذا معنى ما رواه زرارة عن أبي جعفر أنه قال لما سئل عن هذه ما أبينها لمن عقلها قال من شهد شهر رمضان فليصمه ومن سافر فيه فليفطر وقد روي أيضاً عن علي وابن عباس ومجاهد وجماعة من المفسرين أنهم قالوا من شهد الشهر بأن دخل عليه الشهر وهو حاضر فعليه أن يصوم الشهر كله (والثاني) من شاهد منكم الشهر مقيماً مكلفاً فليصم الشهر بعينه وهذا نسخ للتخيير بين الصوم والفدية وإن كان موصولاً به في التلاوة لأن الانفصال لا يعتبر عند التلاوة بل عند الانزال والأول أقوى وقوله ﴿ **ومن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر** ﴾ قد مضى تفسيره في الآية المتقدمة وحَدُّ المرض الذي يوجب الافطار ما يخاف الإنسان معه الزيادة المفرطة في مرضه وروى أبو بصير قال سألت أبا عبد الله عن حدّ المرض الذي على صاحبه فيه الافطار قال هو مؤتمن عليه مفوض إليه فإن وجد ضعفاً فليفطر وإن وجد قوّة فليصم كان المرض على ما كان وروي أيضاً أن ذلك كل مرض لا يقدر معه على القيام بمقدار زمان صلاته وبه قال الحسن وفي ذلك اختلاف بين الفقهاء وأما السفر الذي يوجب الإفطار عندنا فما كان مباحاً أو طاعة وكانت المسافة ثمانية فراسخ أربعة وعشرين ميلاً وعند الشافعي ستة عشر فرسخاً وعند أبي حنيفة أربعة وعشرين فرسخاً واختلف في العدة

من الأيام الأخر فقال الحسن وجماعة هي على التضييق إذا برىء المريض أو قدم المسافر وقال أبو حنيفة موسّع فيها وعندنا موقت بما بين رمضانين وتجوز متتابعة ومتفرقة والتتابع أفضل فإن فرط حتى لحقه رمضان آخر لزمه الفدية والقضاء وبه قال الشافعي وقوله ﴿ **يريد الله بكم اليسر** ﴾ أي في الرخصة للمريض والمسافر إذا لم يوجب الصوم عليهما وقيل يريد الله بكم اليسر في جميع أموركم ﴿ **ولا يريد بكم العسر** ﴾ أي التضييق عليكم وفيه دلالة على بطلان قول المجبرة لأنهُ بيّن أن في أفعال المكلفين ما يريده سبحانُه وهو اليسر وفيها ما لا يريده وهو العسر ولأنه إذا كان لا يريد بهم العسر فأن لا يريد تكليف ما لا يطاق أولى وقوله ﴿ **ولتكملوا العدة** ﴾ تقديره يريد الله لأن يسهل عليكم ولأن تكملوا أي تتموا عدة ما أفطرتم فيه وهي أيّام السفر والمرض بالقضاء إذا أقمتم وبرأتم فتصوموا للقضاء بعدد أيام الإفطار وعلى القول الآخر فتقديره ولإكمال العدة شرع الرخصة في الافطار ويحتمل أن يكون معناه ولتكملوا عدة الشهر لأنه مع الطاقة وعدم العذر يسهل عليه إكمال العدة والمريض والمسافر يتعسر عليهما ذلك فيكملان العدة في وقت آخر ومن قال أن شهر رمضان لا ينقص أبداً استدلّ بقوله ولتكملوا العدة وقال بيّن تعالى أن عدة شهر رمضان محصورة يجب صيامها على الكمال ولا يدخلها نقصان ولا اختلال فالجواب عنه من وجهين (أحدهما) أن المراد اكملوا العدة التي وجب عليكم صيامها وقد يجوز أن يكون هذه العدة تارة ثلاثين وتارة تسعة وعشرين(والآخر) ما ذكرناه من أن المراد راجع إلى القضاء ويؤيّده أنه سبحانه ذكره عقيب ذكر السفر والمرض وقوله ﴿ **ولتكبّروا الله على ما هداكم** ﴾ المراد به تكبير ليلة الفطر عقيب أربع صلوات المغرب والعشاء الآخرة والغداة وصلاة العيد على مذهبنا وقال ابن عباس وجماعة التكبير يوم الفطر وقيل المراد به ولتعظموا الله على ما أرشدكم له من شرائع الدين ﴿ **ولعلكم تشكرون** ﴾ أي لتشكروا الله على نعمه .

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى وَلْيُؤْمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾

[**اللغة**] أجاب واستجاب بمعنى قال الشاعر :

وَداعٍ دَعا يا مَنْ يُجِبُ لِيَ النِّدا فَلَمْ يَسْتَجِبْهُ عِنْدَ ذاكَ مُجِيبُ

أي لم يجبه وقال المبرد بينهما فرق وهو أن في الاستجابة معنى الإذعان وليس ذلك في

الإجابة وأصله من الجوب وهو القطع يقال جاب البلاد يجوبها جوباً إذا قطعها واجتاب الظلام بمعناه والجابة والإجابة بمعنى والصحيح أن الجابة والطاعة والطاقة ونحوها أسماء بمعنى المصادر وأجاب عن السؤال جواباً وانجاب السحاب إذا انقشع وأصل الباب القطع فإجابة السائل القطع بما سأل لأن سؤاله على الوقف أيكون أم لا يكون والرشد نقيض الغي رَشد يرشُد رُشْداً وَرَشِدَ يَرشِدُ رَشْداً ورجل رشيد وولد فلان لِرَشْدة خلاف لزنية وأصل الباب إصابة الخير ومنه الإرشاد وهو الدلالة على وجه الإصابة للخير .

[**الإعراب**] إذا ظرف زمان للفعل الذي يدل عليه قوله فإني قريب﴿**أجيب دعوة الداعي إذا دعاني**﴾.تقديره فأخبره يا محمد إني بهذه الصفة ولا يجوز أن يعمل فيه قريب أو أجيب لأن معمول إنَّ لا يجوز أن يعمل فيما قبل إنَّ لما بُيّن في موضعه وقوله أجيب في موضع رفع بأنه خبر إنَّ أيضاً فهو خبر بعد خبر .

[**النزول**] روي عن الحسن أن سائلاً سأل النبي (ﷺ) أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه فنزلت الآية وقال قتادة نزلت جواباً لقوم سألوا النبي كيف ندعو .

[**المعنى**] لما ذكر سبحانه الصوم عقبّه بذكر الدعاء ومكانه منه وإجابته إياه فقال ﴿**وإذا سألك عبادي عني**﴾ الأقرب أن يكون السؤال عن صفته سبحانه لا عن فعله لقوله سبحانه ﴿ **فإني قريب** ﴾ وفيه حذف أي فقل إني قريب فدلّ بهذا على أنه سبحانه لا مكان له إذ لو كان له مكان لم يكن قريباً من كل من يناجيه وقيل معناه إني سريع الإجابة إلى دعاء الداعي لأن السريع والقريب متقاربان وقيل معناه إني أسمع دعاء الداعي كما يسمعه القريب المسافة منهم فجاءت لفظة قريب بحسن البيان بها فأما قريب المسافة فلا يجوز عليه سبحانه لأن ذلك إنما يتصور فيمن كان متمكناً في مكان وذلك من صفات المحدثات وقوله ﴿ **أجيب دعوة الداع إذا دعان** ﴾ مفهوم المعنى وقوله ﴿ **فليستجيبوا لي** ﴾ قال أبو عبيدة معناه فليجيبوني فيما دعوتهم إليه وقال المبرد والسراج معناه فليذعنوا للحق بطلب موافقة ما أمرتهم به ونهيتهم عنه وقال مجاهد معناه فليستجيبوا لي بالطاعة وقيل معناه فليدعوني وروي عن النبي ﷺ أعجز الناس من عجز عن الدعاء وأبخل الناس من بخل بالسلام ﴿ **وليؤمنوا بي** ﴾ أي وليصدقوا بجميع ما أنزلته وروي عن أبي عبد الله أنهُ قال وليؤمنوا بي أي وليتحققوا أني قادر على إعطائهم ما سألوه ﴿ **لعلهم يرشدون** ﴾ أي لعلهم يصيبون الحق ويهتدون إليه فإذا سئل فقيل نحن نرى كثيراً من الناس يدعون الله فلا يجيبهم فما معنى قوله أجيب دعوة الداعي إذا دعاني فالجواب أنه ليس أحد يدعو الله على ما

توجبه الحكمة إلا أجابه الله فإن الداعي إذا دعاه يجب أن يسأل ما فيه صلاح له في دينه ولا يكون فيه مفسدة له ولا لغيره ويشترط ذلك بلسانه أو ينويه بقلبه فالله سبحانه يجيبه إذا اقتضت المصلحة إجابته أو يؤخّر الإجابة إن كانت المصلحة في التأخير وإذا قيل إن ما تقتضيه الحكمة لا بدّ أن يفعله فما معنى الدعاء وإجابته فجوابه أن الدعاء عبادة في نفسها يعبد الله سبحانه بها لما في ذلك من إظهار الخضوع والإنقياد[1] إليه سبحانه وأيضاً فإنه لا يمتنع أن يكون وقوع ما سأله إنما صار مصلحة بعد الدعاء ولا يكون مصلحة قبل الدعاء ففي الدعاء هذه الفائدة ويؤيد ذلك ما روي عن أبي سعيد الخدري قال قال النبي (ﷺ) ما من مسلم دعا الله سبحانه بدعوة ليس فيها قطيعة رحم ولا إثم إلا أعطاه الله بها إحدى خصال ثلاث إمّا أن يعجّل دعوته وإمّا أن يؤخّر له في الآخرة وإما أن يدفع عنه من السوء مثله قالوا يا رسول الله إذا نكثر قال الله أكثر وفي رواية أنس بن مالك الله أكثر وأطيب ثلاث مرات وروي عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله إن العبد ليدعو الله وهو يحبّه فيقول يا جبرائيل لا تقض لعبدي هذا حاجته وأخّرها فإني أحبّ أن لا أزال أسمع صوته وأنّ العبد ليدعو الله وهو يبغضه فيقول يا جبرائيل إقض لعبدي هذا حاجته بإخلاصه وعجّلها فإني أكره أن أسمع صوته وروي عن أمير المؤمنين (ع) أنه قال ربما أخرت عن العبد إجابة الدعاء ليكون أعظم لأجر السائل وأجزل لإعطاء[2] الأمل وقيل لإبراهيم بن أدهم ما بالنا ندعو الله سبحانه فلا يستجيب لنا فقال لأنكم عرفتم الله فلم تطيعوه وعرفتم الرسول فلم تتّبعوا سنته وعرفتم القرآن فلم تعملوا بما فيه وأكلتم نعمة الله فلم تؤدّوا شكرها وعرفتم الجنة فلم تطلبوها وعرفتم النار فلم تهربوا منها وعرفتم الشيطان فلم تحاربوه ووافقتموه وعرفتم الموت فلم تستعدوا له ودفنتم الأموات فلم تعتبروا بهم وتركتم عيوبكم واشتغلتم بعيوب الناس .

﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ۚ
هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ
أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ۖ فَٱلْـَٔـٰنَ بَـٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟

(١) وفي جملة من النسخ « والافتقار إليه » بدل « والانقياد إليه » ,

(٢) وفي المخطوطتين « لعطاء » عوض « لاعطاء » .

﴿ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۚ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ۚ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ ۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾

[**اللغة**] الرفث الجماع ههنا بلا خلاف وقيل أن أصله القول الفاحش فكُفّي به عن الجماع قال العجاج « عن اللغا ورفث التكلم » قال الأخفش إنما عُدّيت بإلى في الآية لأنه بمعنى الإفضاء واللباس الثياب التي من شأنها أن تستر الأبدان ويشبّه به الأغشية فيقال لبس السيف بالحلية والعرب تسمي المرأة لباساً وأزاراً قال الشاعر:

إذا مَا الضَّجِيعُ ثَنى عِطْفَهُ ... تَثَنَّتْ فَكَانَتْ عَلَيْهِ لِبَاساً

وقال:

ألا أبْلِغْ أَبَا حَفْصٍ رَسُولاً ... فَدىً لكَ مِنْ أَخِي ثِقَةٍ إزاري

قال أهل اللغة معناه إمرأتي والإختيان الخيانة يقال خانه يخونه خوناً وخيانة واختانه إختياناً ﴿ **وخائنة الأعين** ﴾ مسارقة النظر إلى ما لا يحل وأصل الباب منع الحق، والمباشرة إلصاق البشرة بالبشرة وهي ظاهر الجلد والابتغاء طلب البغية ﴿ **والخيط الأبيض** ﴾ بياض الفجر ﴿ **والخيط الأسد** ﴾ سواد الليل فأول النهار طلوع الفجر الثاني لأنه أوسع ضياء قال أبو داود

فَلَما أَضَاءَتْ لَنَا غُدْوَةٌ ... وَلاَحَ مِنَ الصُبْحِ خَيْطٌ أَنَارَا

والخيط في اللغة معروف يقال خاطه يخيطه خيطاً وخياطة والخيط القطيع من النعام ونعامةٌ خيطاء قيل خيطها طول قصبها وعنقها وقيل إختلاط سوادها ببياضها والسواد والبياض لونان كل واحد منهما أصل بنفسه وبيضة الإسلام مجتمعة وابتاضوهم أي إستأصلوهم بمعنى إقتلعوا بيضتهم والسواد والمساودة المسارة لأن الخفاء فيه كخفاء الشخص في سواد الليل وسواد العراق سمي به لكثرة الماء والشجر الذي تسودُّ به الأرض وسواد كل شيء شخصه وسويداء القلب وسواده دمه الذي فيه وقيل حبة القلب والعكوف والاعتكاف أصله اللزوم يقال عكفت بالمكان أي أقمت به ملازماً له قال الطرماح

فَباتَ بَناتُ الليلِ[١] فِي الليلِ عُكَّفا عُكــوفَ البَـواكِي بَيْنَهنَّ صَـرِيعُ

وهو في الشرع عبارة عن اللبث في مكان مخصوص للعبادة والحد على وجوه الحد المنع وحدود الله فرائضه قال الزجاج هي ما منع الله من مخالفتها والحد جلد الزّاني وغيره والحد حد السيف وغيره والحد حد الدار والحد فرق بين الشيئين والحد نهاية الشيء التي تمنع من أن يدخله ما ليس منه أو أن يخرج عنه ما هو منه وقال الخليل الحد الجامع المانع والحدَّاد البواب قال الأعشي

فَقُمْنـا وَلَمّـا يـصِـحْ دِيكُنـا إلىٰ جَـوْنَـةٍ[٢] عِنْـدَ حَـدّادِهـا

يعني صاحبها الذي يحفظها ويمنعها وكل من منع شيئاً فهو حَدّاد ومن ذلك أحدَّت المرأة على زوجها معناه إمتنعت من الزينة والحديث إنما سمي حديداً لأنه يمتنع به من الأعداء فأصل الباب المنع .

[**النزول**] روى علي بن إبراهيم بن هاشم عن أبيه رفعه إلى أبي عبد الله قال كان الأكل محرماً في شهر رمضان بالليل بعد النوم وكان النكاح حراماً بالليل والنهار في شهر رمضان وكان رجل من أصحاب رسول الله يقال له مطعم بن جبير أخو عبد الله بن جبير الذي كان رسول الله وكله بفم الشِعب يوم أحد في خمسين من الرماة وفارقه أصحابه وبقي في إثني عشر رجلاً فقتل على باب الشِعب وكان أخوه هذا مطعم بن جبير شيخاً ضعيفاً وكان صائماً فأبطأت عليه أهله بالطعام فنام قبل أن يفطر فلما إنتبه قال لأهله قد حرم عليّ الأكل في هذه الليلة فلما أصبح حضر حفر الخندق فأغمي عليه فرآه رسول الله فرقّ له وكان قوم من الشباب ينكحون بالليل سِرّاً في شهر رمضان فأنزل الله هذه الآية ﴿ **فأحل النكاح بالليل في شهر رمضان والأكل بعد النوم إلى طلوع الفجر** ﴾ واختلفت العامة في إسم هذا الرجل من الأنصار فقال بعضهم قيس بن صرمة وقيل أبو صرمة وقيل أبو قيس بن صرمة وقيل صرمة بن إياس وقالوا جاء إلى رسول الله فقال عملت في النخل نهاري أجمع حتى إذا أمسيت فأتيت أهلي لتطعمني فأبطأتْ فنمتُ فأيقظوني وقد حرم عليّ الأكل وقد أمسيت وقد جهدني الصوم فقال عمر يا رسول الله أعتذر إليك من مثله رجعت إلى أهلي بعدما صليت العشاء فأتيت امرأتي وقام رجال واعترفوا بمثل الذي سمعوا فنزلت الآية عن ابن عباس والسُدّي .

---

(١) بنات الليل وبنات الصدر : الهموم . الصريع : المضروع . المجنون .

(٢) الجونة : الخابية المطلية بالقار والمراد ما فيها من الخمر .

[**المعنى**] ثم بَيّن سبحانه وقت الصيام وما يتعلق به من الأحكام فقال ﴿ **أُحِلّ لكم لَيلَةَ الصِيامِ الرَفَثُ إلى نِسائِكم** ﴾ أي الجماع وقال ابن عباس أن الله سبحانه حَييٌّ يكني بما شاء أن الرفث واللباس والمباشرة والإفضاء هو الجماع وقال الزجاج الرفث هو كلمة جامعة لكل ما يريد الرجل من المرأة وهذا يقتضي تحريماً متقدماً أزيل عنهم والمراد بليلة الصيام الليلة التي يكون في غدها الصوم وروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله كراهية الجماع في أول ليلة من كل شهر إلا أول ليلة من شهر رمضان فإنه يستحب ذلك لمكان الآية والأشبه أن يكون المراد به ليالي الشهر كله وإنما وَحَّده لأنه إسم جنس يدل على الكثْرة ﴿ **هُنَّ لباسٌ لَكم وَأَنْتُم لِباسٌ لَهُنَّ** ﴾ أي هن سكن لكم وأنتم سكن لهنّ كما قال ﴿ **وجعلنا الليل لباساً** ﴾ أي سكنا عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والمعنى تلابسونهن وتخالطونهن بالمساكنة أي قَلّ ما يصبر أحد الزوجين عن الآخر وقيل إنما جعل كل واحد منهما لباساً للآخر لانضمام جسد كل واحد منهما إلى جسد صاحبه حتى يصير كل واحد منهما لصاحبه كالثوب الذي يلبسه فلما كانا يتلابسان عند الجماع سمي كل واحد منهما لباساً لصاحبه وقال الربيع هن فراش لكم وأنتم لِحَاف لهن ﴿ **علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم** ﴾ لَمَا حَرَّم عليهم الجماع والأكل بعد النوم وخالفوا في ذلك ذَكَّرهم الله بالنعمة في الرخصة التي نسخت تلك التحريمة فقال علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم بالمعصية أي لا تؤدون الأمانة بالامتناع عن المباشرة وقيل معنى تختانون تنقصون أنفسكم من شهواتها وتمنعونها من لذاتها باجتناب ما نهيتم عنه فخففه الله عنكم ﴿ **فتاب عليكم** ﴾ أي قبِل توبتكم وقيل معناه فرخص لكم وأزال التشديد عنكم ﴿ **وعفا عنكم** ﴾ فيه وجهان (أحدهما) غفر ذنوبكم (والآخر) أزال تحريم ذلك عنكم وذلك عفو عن تحريمه عليهم ﴿ **فالآن باشروهن** ﴾ بالليل أي جامعوهن لفظه أمر ومعناه الإباحة ﴿ **وابتغوا ما كتب الله لكم** ﴾ فيه قولان (أحدهما) أُطلبوا ما قضى الله لكم من الولد عن الحسن وأكثر المفسرين وهو أن يجامع الرجل أهله رجاء أن يرزقه الله ولداً يعبده ويُسبّح له(والآخر) أُطلبوا ما كتب الله لكم من الحلال الذي بَيَّنه في كتابه فإن الله يحب أن يؤخذ برخصه كما يحب أن يؤخذ بعزائمه وقوله ﴿ **وكلوا واشربوا** ﴾ إباحة للأكل والشرب ﴿ **حتى يتبين لكم** ﴾ أي ليظهر ويتميز لكم على التحقيق الخيط الأبيض من الخيط الأسود أي النهار من الليل فأول النهار طلوع الفجر الثاني وقيل بياض الفجر من سواد الليل وقيل بياض أول النهار من سواد آخر الليل وإنما شبه ذلك بالخيط لأن القدر الذي يحرّم الإفطار من البياض يشبه الخيط فيزول به مثله من السواد ولا إعتبار بالانتشار ﴿ **من الفجر** ﴾ يحتمل ـ من ـ معنيين

(أحدهما) أن يكون بمعنى التبعيض لأن المعنى من بعض الفجر وليس الفجر كله عن ابن دريد (والآخر) أنه للتبيين لأنه بَيّن الخيط الأبيض فكأنه قال الخيط الأبيضَ الذي هو الفجر وروي أن عدي بن حاتم قال للنبي إني وضعت خيطين من شعر أبيض وأسود فكنت أنظر فيهما فلا يتبين لي فضحك رسول الله حتى رؤيت نواجذه ثم قال يا ابن حاتم إنما ذلك بياض النهار وسواد الليل فابتداء الصوم من هذا الوقت ثم بَيّن تعالى الانتهاء فقال ﴿ **ثم أتموا الصيام إلى الليل** ﴾ أي من وقت طلوع الفجر الثاني وهو المستطيل المعترض الذي يأخذ الأفق وهو الفجر الصادق الذي يجب عنده الصلاة إلى وقت دخول الليل وهو بعد غروب الشمس وعلامة دخوله على الاستظهار سقوط الحمرة من جانب المشرق وإقبال السواد منه وإلاّ فإذا غابت الشمس مع ظهور الآفاق في الأرض المبسوطة وعدم الجبال والروابي[1] فقد دخل الليل وقوله ﴿**ولا تباشروهن**﴾ في معناه قولان ههنا (أحدهما) أنه أراد به الجماع عن ابن عباس والحسن وقتادة (والثاني) أنه أراد الجماع وكل ما دونه مِن قُبلةٍ وغيرها عن مالك وابن زيد وهو مذهبنا وقوله ﴿ **وأنتم عاكفون في المساجد** ﴾ أي معتكفون أي لا تباشروهن في حال إعتكافكم في المساجد والاعتكاف لا يصح عندنا إلا في أحد المساجد الأربعة المسجد الحرام ومسجد النبي ومسجد الكوفة ومسجد البصرة وعند سائر الفقهاء يجوز في سائر المساجد إلا أنّ مالكاً قال أنه يختص بالجامع ولا يصح الاعتكاف عندنا إلا بصوم وبه قال أبو حنيفة ومالك وعند الشافعي يصح بغير صوم وعندنا لا يكون إلا في ثلاثة أيام وعند أبي حنيفة يوم واحد وعند مالك عشرة أيام لا يجوز أقل منه وعند الشافعي ما شاء ولو ساعة واحدة وفي الآية دلالة على تحريم المباشرة في الاعتكاف ليلاً ونهاراً لأنه علق المباشرة بحال الاعتكاف وقوله ﴿ **تلك حدود الله** ﴾ تلك إشارة إلى الأحكام المذكورة في الآية حدود الله حرمات الله عن الحسن وقيل معناه معاصي الله عن الضحاك وقيل ما منع الله منه عن الزجاج ﴿ **فلا تقربوها** ﴾ أي فلا تأتوها وقيل معناه تلك فرائض الله فلا تقربوها بالمخالفة ﴿ **كذلك** ﴾ أي مثل هذا البيان الذي ذكر ﴿ **يبين الله آياته للناس** ﴾ أي حججه وأدلته على ما أمرهم به ونهاهم عنه ﴿ **لعلهم يتقون** ﴾ أي لكي يتقوا معاصيه وتعدي حدوده فيما أمرهم به ونهاهم عنه وأباحهم إياها وفي هذا دلالة على أن الله تعالى أرادَ التقوى من جميع الناس .

﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ

(١) الروابي جمع رابية : ما ارتفع من الأرض .

لِتَأْكُلُوا۟ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾

[**اللغة**] الباطل الذاهب الزائل يقال بطل إذا ذهب وقيل الباطل هو ما تعلق بالشيء على خلاف ما هو به خبراً كان أو إعتقاداً أو ظناً أو تخيلاً والحكم هو الذي يفصل بين الخصمين يمنع كل واحد من منازعة الآخر ويقال أدلى فلان بحجته إذا أقامها وهو من قولهم أدليت الدلو في البئر إذا أرسلتها ودلوتها إذا أخرجتها فمعنى قولهم أدلى بحجته أرسلها وأتى بها على صحة وفي تشبيه الخصومة بإرسال الدلو في البئر وجهان (أحدهما) أنه تعلق بسبب الحكم كتعلق الدلو بالسبب الذي هو الحبل (الثاني) أنه يمضي فيه من غير تثبيت كمضي الدلو في الإرسال من غير تثبيت والفريق القطيعة المعزولة من الجملة سواء كان من الناس أو من غيرهم والإثم الفعل الذي يستحق به الذم .

[**الإعراب**] وتدلو محله جزم على النهي عطفاً على قوله ولا تأكلوا ويحتمل أن يكون نصباً على الظرف ويكون نصبه بإضمار أن كقول الشاعر :

لا تَنْـهَ عَنْ خُلُقٍ وَتَـأتِيَ مِثْلَهُ عَـارٌ عَلَيْـكَ إذا فَعَلْتَ عَـظِيمُ

أي لا تجمع بينهما

[**المعنى**] ثُمَّ بَيَّن سبحانه شريعة من شرائع الإسلام نسقاً على ما تقدم من بيان الحلال والحرام فقال ﴿ **ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل** ﴾ أي لا يأكل بعضكم مال بعض بالغصب والظلم والوجوه التي لا تحل كقوله ﴿ **ولا تقتلوا أنفسكم** ﴾ أي ولا يقتل بعضكم بعضاً وقيل معناه لا تأكلوا أموالكم باللهو واللعب مثل ما يؤخذ في القمار والملاهي لأن كل ذلك من الباطل وروي عن أبي جعفر أنه يعني بالباطل اليمين الكاذبة يقتطع بها الأموال وروي عن أبي عبد الله قال كانت قريش يقامر الرجل في أهله وماله فنهاهم الله والأولى حمله على الجميع لأن الآية تحتمل الكل ﴿ **وتدلوا بها إلى الحكام** ﴾ وتلقوا بها إلى القضاة وقيل فيه أقوال (أحدهما) أنه الودائع وما لا يقوم عليه بينة عن ابن عباس والحسن وقتادة (وثانيها) أنه مال اليتيم في يد الأوصياء لأنهم يدفعونه إلى الحكام إذا طولبوا به ليقطعوا بعضه وتقوم لهم في الظاهر حجة عن الجبائي (وثالثها) أنه ما يؤخذ بشهادة الزور عن الكلبي والأولى أن يحمل على الجميع ﴿ **لتأكلوا فريقاً من أموال الناس**

بالإثم ﴾ أي لتأكلوا طائفة من أموال الناس بالفعل الموجب للإثم بأن يحكم الحاكم بالظاهر وكان الأمر في الباطن بخلافه وأنتم تعلمون أنّ ذلك الفريق من المال ليس بحق لكم وأنتم مبطلون وهذا أشد في الزجر وقال أبو عبد الله (ع) علم الله أنه سيكون في هذه الأمة حكام يحكمون بخلاف الحق فنهى الله تعالى المؤمنين أن يتحاكموا إليهم وهم يعلمون أنهم لا يحكمون بالحق وهذا يدل على أن الإقدام على المعصية مع العلم أو مع التمكن من العلم أعظم .

﴿ * يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾

[**القراءة**] قرأ ابن كثير وابن ذكوان والكسائي البيوت والشيوخ وأخواتهما بكسر أوائلها إلّا الغيوب وقرأ حمزة وحماد ويحيى عن عاصم كلها بالكسر إلّا الجيوب وقالون[1] يكسر منها البيوت فقط والباقون بالضم .

[**الحجة**] من كسر أوائل هذه الكلمات إنما فعل ذلك لأجل الياء أبدل من الضمة الكسرة لأن الكسرة أشد موافقة للياء من الضمة لها كما كسر الفاء من عِيَينة ونِيَيب في تصغير عين وناب وإن لم يكن في أبنية التصغير على هذا الوزن لتقريب الحركة مما بعدها . ومن ضمها فعلى الأصل لأنها فُعول .

[**اللغة**] الأهلة جمع هلال واشتقاقه من قولهم استهلّ الصبي إذا بكى حين يولد أو صاح وقولهم أهل القوم بالحج إذا رفعوا أصواتهم بالتلبية وإنما قيل هلال لأنه حين يرى يُهِلّ الناس بذكره يقال أَهَلَّ الهلال واستهل ولا يقال أُهِلَّ ويقال أهللنا الهلال وأهللنا شهر كذا أي دخلنا فيه وقد إختلف في تسميته هلالاً كم يسمى ومتى يسمى قمراً فقال بعضهم يسمى هلالاً ليلتين من الشهر ثم لا يسمى هلالاً إلى أن يعود في الشهر الثاني وقال آخرون يسمى هلالاً ثلاث ليال ثم يسمى قمراً وقال بعضهم يسمى هلالاً حتى يحجّر وتحجيره أن

(١) قالون : من رواة نافع مدني

يستدير بخطة دقيقة وهذا قول الأصمعي وقال بعضهم يسمى هلالاً حتى يبهر ضوءه سواد الليل ثم يقال قمر وهذا يكون في الليلة السابعة واسم القمر عند العرب الزبرقان واسم دارته الهالة واسم ضوئه الفخت والميقات مقدار من الزمان جعل علماً لما يقدر من العمل والتوقيت تقدير الوقت وكلما قدرت غايته فهو موقت والميقات منتهى الوقت والآخرة ميقات الخلق والإهلال ميقات الشهر والحج ذكرنا معناه فيما مضى والبر النفع الحسن والظهر الصفحة القابلة لصفحة الوجه والباب المدخل يقول منه بوبه تبويباً إذا جعله أبواباً والبواب الحاجب لأنه يلزم الباب والبابة القطعة من الشيء كالباب من الجملة .

[**الإعراب**] قوله للناس في موضع رفع صفة لمواقيت تقديره هي مواقيت كائنة للناس والباء في قوله بأن تأتوا مزيدة لتأكيد النفي وأن تأتوا في موضع الجر بالباء والجار والمجرور في موضع النصب بأنهما خبر ليس وقوله ﴿ **ولكن البر من إتقى** ﴾ قيل فيه وجهان (أحدهما) أن تقديره ﴿ **ولكن البر من إتقى** ﴾ كما قلناه في قوله ﴿ **ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر** ﴾ (والآخر) إن تقديره ولكنّ البارَّ من اتَّقى وضع المصدر موضع الصفة .

[**النزول**] روي إن معاذ بن جبل قال يا رسول الله إن اليهود يكثرون مسألتنا عن الأهلة فأنزل الله هذه الآية وقال قتادة ذكر لنا أنهم سألوا رسول الله لم خلقت هذه الأهلة فأنزل الله هذه الآية .

[**المعنى**] ثم بَيَّن شريعة أخرى فقال ﴿ **يسألونك عن الأهلة** ﴾ أي أحوال الأهلة في زيادتها ونقصانها ووجه الحكمة في ذلك قل يا محمد هي مواقيت للناس والحج أي هي مواقيت يحتاج الناس إلى مقاديرها في صومهم وفطرهم وعدد نسائهم ومحل ديونهم وحجهم فبين سبحانه أن وجه الحكمة في زيادة القمر ونقصانه ما تعلق بذلك من مصالح الدين والدنيا لأن الهلال لو كان مدوراً أبداً مثل الشمس لم يمكن التوقيت به وفيه أوضح دلالة على أن الصوم لا يثبت بالعدد وأنه يثبت بالهلال لأنه سبحانه نصَّ على أن الأهلة هي المعتبرة في المواقيت والدلالة على الشهور فلو كانت الشهور إنما تعرف بطريق العدد لخص التوقيت بالعدد دون رؤية الأهلة لأن عند أصحاب العدد لا عبرة برؤية الأهلة في معرفة المواقيت وقوله ﴿ **وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها** ﴾ فيه وجوه (أحدها) أنه كان المحرمون لا يدخلون بيوتهم من أبوابها ولكنهم كانوا ينقبون في ظهر بيوتهم أي في مؤخرها نقباً يدخلون ويخرجون منه فنهوا عن التدين بذلك عن ابن عباس وقتادة وعطا

ورواه أبو الجارود عن أبي جعفر (ع) وقيل إلاَّ أن الحُمْس وهو قريش وكنانة وخزاعة وثقيف وجشم وبنو عامر بـن صعصعة كانوا لا يفعلون ذلك وإنما سموا حُمْساً لتشددهم في دينهم والحماسة الشدة وقيل بل كانت الحمس تفعل ذلك وإنما فعلوا ذلك حتى لا يحول بينهم وبين السماء شيء (وثانيها) إن معناه ليس البر أن تأتوا البيوت من غير جهاتها وينبغي أن تأتوا الأمور من جهاتها أيَّ الأمور كان وهو المروي عن جابر عن أبي جعفر (وثالثها) إن معناه ليس البر طلب المعروف من غير أهله وإنما البر طلب المعروف من أهله ولكن البر من اتَّقى قد مَرّ معناه ﴿ **وأتوا البيوت من أبوابها** ﴾ قد مضى معناه وقال أبو جعفر آل محمد أبواب الله وسُبُله والدعاة إلى الجنة والقادة إليها والأدلاء عليها إلى يوم القيامة وقال النبي (ﷺ) أنا مدينة العلم وعليّ بابها ولا تؤتى المدينة إلا من بابها ويروى أنا مدينة الحكمة ﴿ **واتقوا الله لعلكم تفلحون** ﴾ معناه واتقوا ما نهاكم الله عنه وزَهَّدكم فيه لكي تفلحوا بالوصول إلى ثوابه الذي ضمنه للمتقين .

[**النظم**] ووجه إتصال قَوله ﴿ **ليس البرُّ بأن تأتوا البيوت من ظهورها** ﴾ بقوله ﴿ **يسألونك عن الأهلة** ﴾ أنه لما بيّن أن الأهلة مواقيت للناس والحج وكانوا إذا أحرموا يدخلون البيوت من ورائها عطف عليها قوله ﴿ **وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها** ﴾ وقيل أنه لمَّا بيَّن أن أمورنا مقدرة بأوقات قرن به قوله ﴿ **وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها** ﴾ أي فكما أن أموركم مقدرة بأوقات فلتكن أفعالكم جارية على الاستقامة باتباع ما أمر الله به والانتهاء عمَّا نهى عنه لأن إتباع ما أمر به خير من اتباع ما لم يأمر به .

﴿ وَقَـٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾

[**اللغة**] القتال والمقاتلة محاولة الرجل قتل من يحاول قتله والتقاتل محاولة كل واحد من المتعاديين قتل الآخر والاعتداء مجاوزة الحد يقال عدا طوره إذا جاوز حدّه .

[**النزول**] عن ابن عباس نزلت هذه الآية في صلح الحُديبية وذلك أن رسول الله لما خرج هو وأصحابه في العام الذي أرادوا فيه العمرة وكانوا ألفاً وأربعمائة فصاروا حتى نزلوا الحُديبية فصدّهم المشركون عن البيت الحرام فنحروا الهَدْي بالحديبية ثم صالحهم المشركون على أن يرجع من عامه ويعود العام القابل ويخلوا له مكة ثلاثة أيام فيطوف

بالبيت ويفعل ما يشاء فرجع إلى المدينة من فوره فلما كان العام المُقبل تجهّز النبي (ﷺ) وأصحابه لعمرة القضاء وخافوا أن لا تفي لهم قريش بذلك وأن يصدّوهم عن البيت الحرام ويقاتلوهم وكره رسول الله قتالهم في الشهر الحرام في الحرم فأنزل الله هذه الآية وعن الربيع بن أنس وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم هذه أول آية نزلت في القتال فلما نزلت كان رسول الله يقاتل من قاتله ويكفّ عمَّن كفَّ عنه حتى نزلت ﴿ **إقتلوا المشركين حيث وجدتموهم** ﴾ فنسخت هذه الآية .

[**المعنى**]ثم بيّن سبحانه أمر الجهاد فقال مخاطباً للمؤمنين ﴿ **وقاتلوا** ﴾ أي مع الكفار ﴿ **في سبيل الله** ﴾ أي دين الله وهو الطريق الذي بيّنه للعباد ليسلكوه على أمرهم به ودعاهم إليه ﴿ **الذين يقاتلونكم** ﴾ قيل أمروا بقتال المقاتلين دون النساء وقيل أنهم أُمروا بقتال أهل مكة والأولى حمل الآية على العموم إلا من أخرجه الدليل ﴿ **ولا تعتدوا** ﴾ أي ولا تجاوزوا من قتال من هو من أهل القتال إلى قتال من لم تؤمروا بقتاله وقيل معناه لا تعتدوا بقتال من لم يبدأكم بقتال ﴿ **إن الله لا يحبّ المعتدين** ﴾ ظاهره يقتضي أن يسخط عليهم لأنه على جهة الذم لهم وقد ذكرنا معنى المحبة لهم فيما مضى واختلف في الآية هل هي منسوخة أم لا فقال بعضهم منسوخة على ما ذكرناه وروي عن ابن عباس ومجاهد أنها غير منسوخة بل هي خاصة في النساء والذراري وقيل أُمر بقتال أهل مكة وروي عن أئمتنا (ع) أن هذه الآية ناسخة لقوله ﴿ **كفّوا أيديكم وأقيموا الصلاة** ﴾ وكذلك قوله ﴿ **واقتلوهم حيث ثقفتموهم** ﴾ ناسخ لقوله ﴿ **ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم** ﴾ .

﴿ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ وَأَخۡرِجُوهُم مِّنۡ حَيۡثُ أَخۡرَجُوكُمۡۚ وَٱلۡفِتۡنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلۡقَتۡلِۚ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمۡ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِيهِۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمۡ فَٱقۡتُلُوهُمۡۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ١٩١

[**القراءة**] قرأ حمزة والكسائي ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم فإن قتلوكم كُلٌّ بغير ألف والباقون بألف في جميع ذلك .

[**الحجة**] من قرأها بغير ألف فإنما اتّبع المصحف لأنه كتب في المصاحف بغير الألف ومن قرأ بالألف فقال إنما تحذف الألف في الخط كما في الرحمٰن .

[**اللغة**] ثِقفته أثقفه ثَقْفاً وثَقافة أي وجدته ومنه قولهم رجل ثَقِف لَقِف أي يجد ما يطلبه وثقُف الرجل ثَقافة فهو ثَقْف وثَقِف ثقفاً بالتحريك فهو ثَقْف إذا كان سريع التعلم والثِقاف حديدة يقوم بها الرماح المعوجة والتثقيف التقويم والفتنة أصلها الاختبار ثم ينصرف إلى معان منها الإبتلاء نحو قوله ﴿ **فتنّاك فتوناً** ﴾ أي ابتليناك ابتلاء على أثر ابتلاء ومنها العذاب كقوله جعل فتنة الناس كعذاب الله ومنها الصَدّ عن الدين نحو قوله ﴿ **واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك** ﴾ والمراد بها في الآية الشرك بالله وبرسوله .

[**الإعراب**] حيث فيه ثلاث لغات ضمّ الثاء وفتحها وكسرها فالضم لشبهها بالغاية نحو قبل وبعد لأنه منع الإضافة إلى المفرد مع لزومه معنى الإضافة إياه فيجري لذلك مجرى قبل وبعد في البناء على الضم والفتح لأجل البناء كما فتحت أين وكيف . والكسر لأجل أنه الأصل في التحريك لالتقاء الساكنين والجملة بعد حيث في موضع جرّ بإضافة حيث إليها في الموضعين وتقاتلوا منصوب بإضمار أن وهو صلة أن والموصول والصلة في محل جر بحتى وحتى يتعلق بتقاتلوهم .

[**النزول**] نزلت في سبب رجل من الصحابة قتل رجلاً من الكفار في الشهر الحرام فعابوا المؤمنين بذلك فبيّن الله سبحانه أن الفتنة في الدين وهو الشرك أعظم من قتل المشركين في الشهر الحرام وإن كان غير جائز .

[**المعنى**] ثم خاطب الله تعالى المؤمنين مبيّناً لهم كيفية القتال مع الكافرين فقال ﴿ **واقتلوهم** ﴾ أي الكفار ﴿ **حيث ثقفتموهم** ﴾ أي وجدتموهم ﴿ **وأخرجوهم من حيث أخرجوكم** ﴾ يعني أخرجوهم من مكة كما أخرجوكم منها ﴿ **والفتنة أشد من القتل** ﴾ أي شركهم بالله وبرسوله أعظم من القتل في الشهر الحرام وسمّي الكفر فتنة لأن الكفر يؤدي إلى الهلاك كما أن الفتنة تؤدي إلى الهلاك وقيل لأن الكفر فساد يظهر عند الاختبار وقوله ﴿ **ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه** ﴾ نهى عن ابتدائهم بقتال أو قتل في الحرم حتى يبتدىء المشركون بذلك ﴿ **فإن قاتلوكم** ﴾ أي بدأوكم بذلك ﴿ **فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين** ﴾ أن يُقتلوا حيث ما وجدوا وفي الآية دلالة على وجوب إخراج الكفار من مكة كقوله حتى لا تكون فتنة والسنة قد وردت أيضاً بذلك وهو قوله لا يجتمع

في جزيرة العرب دينان .

﴿ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٢﴾

[**اللغة**] الانتهاء الامتناع والنهي الزجر عن الفعل بصيغة لا تفعل مع كراهة الناهي لذلك الفعل والأمر الدعاء إلى الفعل بصيغة أفعل مع إرادة الأمر لذلك والنَهْيُ الغدير لمنعه الماء أن يفيض والنهي بمنزلة المنع ونهاية الشيء غايته والنُهى جمع نُهية وهي العقل والتناهي هي المواضع التي تنهبط فيتناهى إليها ماء السماء واحدها تَنْهِية والإنهاء إبلاغ الشيء الشيء نهايته والمغفرة تغطية الذنب بما يصير به بمنزلة غير الواقع في الحكم .

[**المعنى**] ﴿ **فإن انتهوا** ﴾ أي امتنعوا من كفرهم بالتوبة منه عن مجاهد وغيره ﴿ **فإن الله غفور رحيم** ﴾ فاختصر الكلام لدلالة ما تقدم من الشرط عليه وفيه الدلالة على أنه يقبل توبة القاتل عمداً لأنه بيّن عز اسمه أنه يقبل توبة المشرك والشرك أعظم من القتل .

﴿ وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾

[**اللغة**] الدين ههنا الإذعان بالطاعة كما في قول الأعشى :

هُـوَدَانَ الـرِّبـابَ(١) إذْ كَـرِهُـوا الـدِّيـنَ دِراكـاً بِـغَـزْوَةٍ وَصِـيَـالِ

وقيل هو الإسلام وأصل الدين العادة قال الشاعر :

تَقُـوْلُ إذا دَرَأْتُ لَهـا وَضينِي أَهـذَا دِيـنُـهُ أَبَـداً وَديـنـي

وقد استعمل بمعنى الطاعة في قوله ﴿ **ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك** ﴾ وبمعنى الإسلام في قوله ﴿ **إن الدين عند الله الإسلام** ﴾لأن الشريعة يجب أن يجرى فيها على عادة مستمرة .

(١) الرباب بالكسر: قبيلة .

[**المعنى**] ثم بيّن تعالى غاية وجوب القتال وقال يخاطب المؤمنين ﴿ **وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة** ﴾ أي شرك عن ابن عباس وقتادة ومجاهد وهو المروي عن الصادق (ع) ﴿ **ويكون الدين لله** ﴾ وحتى تكون الطاعة لله والانقياد لأمر الله وقيل حتى يكون الإسلام لله أي حتى لا يبقى الكفر ويظهر الإسلام على الأديان كلها ﴿ **فإن انتهوا** ﴾ أي امتنعوا من الكفر وأذعنوا للإسلام ﴿ **فلا عدوان إلا على الظالمين** ﴾ أي فلا عقوبة عليهم وإنما العقوبة بالقتل على الكافرين المقيمين على الكفر فسمي القتل عدواناً من حيث كان عقوبة على العدوان وهو الظلم كما قال فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه وجزاء سيئة سيئة مثلها وإن عاقبتم فعاقبوا وحسن ذلك لازدواج الكلام والمزاوجة هنا إنما حصلت في المعنى لأن التقدير فإن انتهوا عن العدوان فلا عدوان إلا على الظالمين وهذا الوجه مروي عن قتادة والربيع وعكرمة وقيل معنى العدوان الابتداء بالقتال عن مجاهد والسدي وهذه الآية ناسخة للأولى التي تضمنت النهي عن القتال في المسجد الحرام حتى يبدأوا بالقتال فيه لأن فيها إيجاب قتالهم على كل حال حتى يدخلوا في الإسلام عن الحسن والجبائي وعلى ما ذكرناه في الآية الأولى عن ابن عباس أنها غير منسوخة فلا تكون هذه الآية ناسخة بل تكون مؤكدة وقيل بل المراد بها أنّهم إذا ابتدأوا بالقتال في الحرم يجب مقاتلتهم حتى يزول الكفر .

﴿ ٱلشَّهۡرُ ٱلۡحَرَامُ بِٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ
وَٱلۡحُرُمَٰتُ قِصَاصٞۚ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ
مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾

[**اللغة**] إنما سمّي الشهر الحرام لأنه يحرم فيه ما يحلّ في غيره من القتال ونحوه والحرمات جمع حرمة وهي ما يجب حفظه ويحرم هتكه والحرام هو القبيح الممنوع من فعله والحلال المطلق المأذون فيه والقصاص الأخذ للمظلوم من الظالم من أجل ظلمه إياه واعتدى عليه وعدي عليه بمعنى مثل قرب واقترب وجلب واجتلب وقيل إن في افتعل مبالغة ليست في فعل .

[**المعنى**] ثم بيّن الله تعالى القتال في الشهر الحرام فقال ﴿ **الشهر الحرام بالشهر الحرام** ﴾ المراد بها هاهنا ذو القعدة وهو شهر الصدّ عام الحديبية والأشهر الحرم أربعة

ثلاثة سَرْد[١] ذو القعدة وذو الحجة والمحرم وواحد فرد وهو رجب كانوا يحرمون فيها القتال حتى لو أن رجلاً لقي قاتل أبيه أو أخيه لم يتعرض له بسوء وإنما قيل ذو القعدة لقعودهم فيه عن القتال وقيل في تقديره وجهان (أحدهما) أنه قتال شهر الحرام أي في الشهر الحرام بقتال الشهر الحرام فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه وقيل أنه الشهر الحرام على جهة العوض لما فات في السنة الأولى ومعناه الشهر الحرام ذو القعدة الذي دخلتم فيه مكة واعتمرتم وقضيتم منها وطركم في سنة سبع بالشهر الحرام ذي القعدة الذي صددتم فيه عن البيت ومُنعتم عن مرادكم في سنة ست ﴿ **والحرمات قصاص** ﴾ قيل فيه قولان (أحدهما) أن الحرمات قصاص بالمراغمة بدخول البيت في الشهر الحرام قال مجاهد لأن قريشاً فخرت بردها رسول الله ﷺ عام الحديبية محرماً في ذي القعدة عن البلد الحرام فأدخله الله مكة في العام المقبل في ذي القعدة فقضى عمرته وأَقَصَّه بما حيل بينه وبينه وهو معنى قتادة والضحاك والربيع وعبد الرحمن بن زيد وروي عن ابن عباس وأبي جعفر الباقر مثله (والثاني) أن الحرمات قصاص بالقتال في الشهر الحرام أي لا يجوز للمسلمين إلا قصاصاً قال الحسن إن مشركي العرب قالوا لرسول الله أنُهيت عن قتالنا في الشهر الحرام قال نعم وإنما أراد المشركون أن يغزّوه[٢]في الشهر الحرام فيقاتلوه فأنزل الله هذا أي أن استحلوا منكم في الشهر الحرام شيئاً فاستحلوا منهم مثل ما استحلوا منكم وبه قال الزجاج والجبائي وإنما جمع الحرمات لأنه أراد حرمة الشهر حرمة البَلَد وحرمة الإحرام وقيل لأن كل حرمة تستحل فلا يجوز إلا على وجه المجازاة ﴿ **فمن اعتدى عليكم** ﴾ أي ظلمكم ﴿ **فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم** ﴾ أي فجازوه باعتدائه وقابلوه بمثله(والثاني)ليس باعتداء على الحقيقة ولكن سماه اعتداء لأنه مجازاة اعتداء وجعله مثله وإن كان ذلك جوراً وهذا عدلاً لأنه مثله في الجنس وفي مقدار الاستحقاق ولأنه ضرر كما أن ذاك ضرر فهو مثله في الجنس والمقدار والصفة ﴿ **واتقوا الله** ﴾ فيما أمركم به ونهاكم عنه ﴿ **واعلموا أنّ الله معَ المتقين** ﴾ بالنصرة لهم أو يريد أن نصرة الله معهم وَأَصْلُ ﴿ مَعَ ﴾ المصاحبة في المكان أو الزمان وفي هذه الآية دلالة على أن من غصب شيئاً وأتلفه يلزمه ردّ مثله ثم أن المثل قد يكون من طريق الصورة في ذوات الأمثال ومن طريق المعنى كالقِيَم فيما لا مثل له .

﴿ وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ

(١) أي متتابعة .

(٢) وفي جملة من النسخ « يغتروه » بدل « يغزوه » .

وَأَحْسِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾

[**اللغة**] الإنفاق إخراج الشيء عن ملكه إلى ملك غيره لأنه لو أخرجه إلى هلاك لم يسمَّ انفاقاً . والإلقاء تصيير الشيءَ إلى جهة السفل وقد يقال ألقى عليه مسألة مجازاً كما يقال طرح عليه مسألة وقد يقال لكل من أخذ في عمل ألقى يديه إليه وفيه قال لبيد :

حَتى إذا أَلْقَتْ يَداً في كافِرٍ وَأَجَنَّ(١) عَوْرَاتِ الثُغُورِ ظَلامُها

يعني الشمس أي بدأت في المغيب. التهلكة والهلاك واحد وقيل التهلكة مصدر بمعنى الهلاك وليس في كلام العرب مصدر على تَفْعُلة بضم العين إلا هذا وقيل التهلكة كل ما يصير عاقبته إلى الهلاك وأصل الهلاك الضياع وهو مصير الشيء بحيث لا يدري أين هو ومنه يقال للكافر هالك وللميت هالك وللمعذب هالك والهَلوك الفاجرة والهالِكيّ الحداد وأصله أن بني الهالك بن عمرو كانوا قُيونا(٢) فنسب إليه كل قَيْن والإحسان هو إيصال النفع الحسن إلى الغير وليس المحسن من فعل الفعل الحَسَن لأن مستوفي الدين لا يسمى محسناً وإن كان فعله حسناً ولا يقال أن القديم تعالى بفعل العقاب محسن وإن كان العقاب حسناً وإنما اعتبرنا النفع الحسن لأن من أوصل نفعاً قبيحاً إلى غيره لا يقال أنه محسن إليه .

[**الإعراب**] الباء في قوله تعالى بأيديكم زائدة كما يقال جذبت الثوب وبالثوب وعلمته وعلمت به وقال الشاعر :

وَلَقَدْ مَلأْتُ عَلى نُصَيْبٍ(٣) جِلْدَهُ مَسَاءَةٍ ، إنَّ الصَدِيقَ يُعاتَبُ

أي ملأت جلده مساءة وقيل ليست الباء بزائدة ولكنها على أصل الكلام من وجهين (أحدهما) أن كل فعل متعد إذا كني عنه أو قدر على المصدر دخلته الباء تقول ضربته ثم تكني عنه فتقول فعلت به ويقال أوقعت الضرب به فجاء على أصل الأفعال للتعدية (والآخر) أنه لما كان معناه لا تهلكوا أنفسكم بأيديكم دخلت الباء لتدلّ على هذا المعنى وهو خلاف أهلك نفسه بيد غيره .

(١) قوله وأجن اه أي أخفى الظلام. عورات النعور أي خللها .

(٢) القيون جمع القين وهو الحداد.

(٣) نصيب كزبير: اسم رجل .

[**المعنى**] لما أوجب سبحانه القتال في سبيل الله عقّبه بذكر الانفاق فيه فقال ﴿ **وأنفقوا في سبيل الله** ﴾ معناه وأنفقوا من أموالكم في الجهاد وطريق الدين وكل ما أمر الله به من الخير وأبواب البر فهو سبيل الله لأن السبيل هو الطريق فسبيل الله الطريق إلى الله وإلى رحمة الله وثوابه إلا أنه كثر استعماله في الجهاد لأن الجود بالنفس أقصى غاية الجود والجهاد هو الأمر الذي يخاطر فيه بالروح فكانت له مزية ﴿ **ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة** ﴾ قيل في معناه وجوه (أحدها) أنه أراد لا تهلكوا أنفسكم بأيديكم بترك الإنفاق في سبيل الله فيغلب عليكم العدوّ عن ابن عباس وجماعة من المفسرين (وثانيها) أنه عنى به لا تركبوا المعاصي باليأس من المغفرة عن البراء بن عازب وعبيدة السلماني (وثالثها) أن المراد لا تقتحموا الحرب من غير نكاية في العدو ولا قدرة على دفاعهم عن الثوري واختاره البلخي (ورابعها) أن المراد ولا تسرفوا في الإنفاق الذي يأتي على النفس عن الجبائي ويقرب منه ما روي عن أبي عبد الله لو أن رجلاً أنفق ما في يديه في سبيل الله ما كان أحسن ولا وفق لقوله سبحانه ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وأحسنوا إن الله يحب المحسنين يعني المقتصدين وقال عكرمة معناه أحسنوا الظن بالله يبرّ بكم وقال عبد الرحمن بن زيد وأحسنوا بالعود على المحتاج والأولى حمل الآية على جميع هذه الوجوه ولا تنافي فيها وفي هذه الآية دلالة على تحريم الإقدام على ما يخاف منه على النفس وعلى جواز ترك الأمر بالمعروف عند الخوف لأن في ذلك إلقاء النفس إلى التهلكة وفيها دلالة على جواز الصلح مع الكفار والبغاة إذا خاف الإمام على نفسه أو على المسلمين كما فعله رسول الله ﷺ عام الحديبية وفعله أمير المؤمنين (ع) بصفين وفعله الحسن (ع) مع معاوية من المصالحة لما تشتّت أمره وخاف على نفسه وشيعته فإن عورضنا بأن الحسين (ع) قاتل وحده فالجواب أن فعله يحتمل وجهين (أحدهما) أنه ظنّ أنهم لا يقتلونه لمكانه من رسول الله ﷺ والآخر أنه غلب على ظنه أنه لو ترك قتالهم قتله الملعون ابن زياد صبرا كما فعل بابن عمّه مسلم فكان القتل مع عزّ النفس والجهاد أهون عليه .

﴿ وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ
لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا۟ رُءُوسَكُمْ
حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْيُ مَحِلَّهُۥ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن

رَأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ۚ فَإِذَآ أَمِنتُمْ
فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ ۚ فَمَن لَّمْ يَجِدْ
فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ۗ
ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ
وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٩٦﴾

[اللغة] قد ذكرنا حقيقة الحج والعمرة فيما مضى عند قوله ﴿ **فمن حجّ البيت أو اعتمر** ﴾ فلا معنى لإعادته والإحصار المنع يقال للرجل الذي قد منعه الخوف أو المرض عن التصرف قد أحصر فهو محصر ويقال للرجل الذي حبس قد حُصر فهو محصور وقال الفراء يجوز أن يقوم كل واحد منهما مقام الآخر وخالفه فيه أبو العباس المبرد والزجاج .

قال المبرد ونظيره حبسه جعله في الحبس وأحبسه عرضه للحبس واقتله عرضه للقتل وكذلك حصره حبسه أي أوقع به الحصر وأحصره عرضه للحصر وحصِر حصَرا إذا عَيِيَ في الكلام والحصير البخيل لحبسه رِفْدَه[1] والحصير الذي لا يبوح بسره لأنه قد حبس نفسه عن البَوْح به[2] والحصير الحبس والحصير المِلك والحصور الهَيُوب المُحْجِم[3] عن الشيء والحصور الذي لا إربة[4] له في النساء وأصل الباب الحبس وفي أصل الهدي قولان (أحدهما) أنه من الهديّة يقال أهديت الهدية اهداء وأهديت الهدي إلى بيت الله إهداء فعلى هذا إنما يكون هدياً لأجل التقرب به إلى الله (والآخر) أنه من هداه إذا ساقه إلى الرشاد فسُمّي هدياً لأنه يساق إلى الحرم الذي هو موضع الرشاد وواحد الهدي هدية كما يقال شَرْيَة وشَرْي وتمرة وتمر وجمع الهدي هَدِيّ على زنة فعيل كما يقال عبد وعبيد وكلب وكليب وقيل واحد الهَدِيّ هَدِيَّة مثل مطية ومطي قال الفرزدق :

حَلَفْتُ بِرَبِّ مَكَّةَ وَالْمُصَلَّىٰ وَأَعْنَاقَ الْهَدِيِّ مُقَلَّدَاتِ

والحلق حلق الرأس يقال حَلَقَ وحَلَّقَ والمحلق موضع الحلق بمنى والمُحَلِّق

(١) الرفد: العطاء .
(٢) باح إليه بالسر. أظهره .
(٣) أحجم عن الشيء : كف عنه هيبة وخوفاً .
(٤) الاربة: الحاجة .

الحَلاَّق وحَلَّق الطائر في الهواء إذا ارتفع وحَلَّق ضرعُ الناقة إذا ارتفع لبنها والحلق مجرى الطعام والشراب في المري وحلوق الأرض مجاريها في أودیتها وحَلاَقِ المنيةُ وأصل[١] الباب الاستمرار والرأس أعلى كل شيء والأذى كل ما تأذيت به ورجل أذٍ إذا كان شديد التأذي وأصله الضرر بالشيء والنسك جمع النسيكة وهي الذبيحة ويجمع أيضاً[٢] على نسائك كصحيفة وصحائف وصحف وكلما ذبح لله فهو نسيكة والنسك العبادة ومنه رجل ناسك أي عابد والتمتع أصله الالتذاذ والاستمتاع ومتعة الحجة هي أن يعتمر في أشهر الحج ثم يحل ويتمتع بالإحلال بأن يفعل ما يفعله المحل ثم يحرم بالحج من غير رجوع إلى الميقات فهو إحلال بين احرامين وأهل الرجل زوجته والتأهل التزوج وأهل الرجل أخص الناس به وأهل البيت سكّانه وأهل الإسلام من يدين به وأهل القرآن من يقرؤه ويقوم بحقوقه وأهّلتُه لهذا الأمر أي جعلته أهلاً له وقولهم أهلاً ومرحباً أي اختصاصاً بالتحية والتكرمة والعقاب مصدر يقال عاقبه عقاباً ومعاقبة وعقوبة وأصله من عقب الشيء أي خلفه فكأن القبيح يعقبه الشدة وعِقب الإنسان نسله وعِقبه مؤخر قدميه .

[**الإعراب**] قوله ﴿ **فما استيسر من الهدي** ﴾ موضع ما رفع كأنه قال فعليه ما استيسر ويجوز أن يكون موضعه نصباً وتقديره فاهدوا ما استيسر والرفع أولى لكثرة نظائره كقوله ﴿ **ففدية من صيام ، فعدة من أيام ، فصيام ثلاثة أيام في الحج** ﴾ وقوله ﴿ **في الحج** ﴾ يتعلق بالمصدر وليس في موضع خبر وهذا النحو قد جاء مرفوعاً على تقدير إضمار خبر .

[**المعنى**] ثم بيّن سبحانه فرض الحج والعمرة على العباد بعد بيانه فريضة الجهاد فقال ﴿ **وأتموا الحج والعمرة لله** ﴾ أي أتموهما بمناسكهما وحدودهما وتأدية كل ما فيهما عن ابن عباس ومجاهد وقيل معناه أقيموهما إلى آخر ما فيهما وهو المروي عن أمير المؤمنين وعلي بن الحسين وعن سعيد بن جبير ومسروق والسدي وقوله لله أي اقصدوا بهما التقرب إلى الله والعمرة واجبة عندنا مثل الحج وبه قال الشافعي في الجديد وقال أهل العراق أنها مسنونة وأركان أفعال الحج النية والإحرام والوقوف بعرفة والوقوف بالمشعر وطواف الزيارة والسعي بين الصفا والمروة وأما الفرائض التي ليست بأركان فالتلبية وركعتا الطواف وطواف النساء وركعتا الطواف له وأما المسنونات من أفعال الحج فمذكورة في الكتب المصنفة فيه وأركان فرائض العمرة النية والاحرام وطواف الزيارة والسعي وأما ما

(١) [الباب] .
(٢) [على] .

ليس بركن من فرائضها فالتلبية وركعتا الطواف وطواف النساء وركعتا الطواف له وقوله ﴿ **فإن أُحصرتم** ﴾ فيه قولان (أحدهما) أن معناه منعكم خوف أو عدوّ أو مرض فامتنعتم لذلك عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وعطا وهو المروي عن أئمتنا (والثاني) معناه إن منعكم حابس قاهر عن مالك ﴿ **فما استيسر من الهدي** ﴾ فعليكم ما سهل من الهدي أو فاهدوا ما تيسّر من الهدي إذا أردتم الإحلال والهدي يكون على ثلاثة أنواع جزور أو بقرة أو شاة وأَيسرها شاة وهو المروي عن عليّ وابن عباس والحسن وقتادة وروي عن ابن عمر وعائشة أنه ما كان من الإبل والبقر دون غيرهما والأول هو الصحيح ﴿ **ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدي محلّه** ﴾ أي لا تتحللوا من إحرامكم حتى يبلغ الهدي محله وينحر أو يذبح واختلف في محل الهدي على قولين (الأول) أنه الحرم فإذا ذبح به في يوم النحر أحلّ عن ابن عباس وابن مسعود والحسن وعطا (والثاني) أنه الموضع الذي يصدّ فيه لأن النبي ﷺ نحر هديه بالحديبية وأمر أصحابه ففعلوا مثل ذلك وليست الحديبية من الحرم عن مالك وأما على مذهبنا فالأول حكم المحصر بالمرض والثاني حكم المحصور بالعدوّ وإن كان الإحرام بالحج فمحله منى يوم النحر وإن كان الإحرام بالعمرة فمحله مكة ﴿ **فمن كان منكم مريضاً أو به أذى من رأسه** ﴾ أي من مرض منكم مرضاً يحتاج فيه إلى الحلق للمداواة أو تأذى بهوام رأسه أُبيح له الحلق بشرط الفدية وروى أصحابنا أن هذه نزلت في إنسان يعرف بكعب بن عُجْرة وأنه كان قد قمل رأسه وقوله ﴿ **ففدية** ﴾ أي فحلق لذلك العذر فعليه فدية أي بدل وجزاء يقوم مقام ذلك من صيام أو صدقة أو نسك المروي عن أئمتنا أن الصيام ثلاثة أيام والصدقة على ستة مساكين وروي على عشرة مساكين والنسك شاة وهو مخيّر فيها وقوله ﴿ **فإذا أمنتم** ﴾ معناه فإذا أمنتم الموانع من العدو والمرض وكل مانع ﴿ **فمن تمتع بالعمرة إلى الحج فما استيسر من الهدي** ﴾ فعليه ما تيسر من الهدي والتمتع عندنا هو الفرض اللازم لمن لم يكن من حاضري المسجد الحرام وحاضر المسجد الحرام هو من كان على اثنى عشر ميلاً من كل جانب إلى مكة فمن كان خارجاً عن هذا الحدِّ فليس من الحاضرين وصفة التمتع بالعمرة إلى الحج أن ينشىء الإحرام في أشهر الحج ثم يدخل إلى مكة فيطوف بالبيت ويسعى بين الصفا والمروة ويقصّر ويُحلّ من إحرامه ثم ينشىء إحراماً آخر للحج من المسجد الحرام ويخرج إلى عرفات ثم يفيض إلى المشعر ويأتي بأفعال الحج على ما هو مذكور في الكتب وفي بعض ذلك خلاف بين الفقهاء والهدي واجب للتمتع بلا خلاف لظاهر التنزيل على خلاف في أنه نسك أو جبران وعندنا أنه نسك ﴿ **فمن لم يجد فصيام ثلاثة**

أيام في الحج ﴾ أي فمن لم يجد الهدي ولا ثمنه فعليه صيام ثلاثة أيام في الحج وعندنا أنّ هذه الأيام الثلاثة يوم قبل يوم التروية ويوم التروية ويوم عرفة وإن صام في أول العشر جاز ذلك رخصة وإن صام يوم التروية ويوم عرفة قضى يوماً آخر بعد انقضاء أيام التشريق وإن فاته صوم يوم التروية أيضاً صام الأيام الثلاثة بعد أيام التشريق متتابعات وقوله ﴿ **وسبعة إذا رجعتم** ﴾ أي وسبعة أيام إذا رجعتم إلى بلادكم وأهاليكم وبه قال قتادة وعطاء وقيل معناه إذا رجعتم من منى فصوموها في الطريق عن مجاهد والأول هو الصحيح عندنا وقوله ﴿ **تلك عشرة كاملة** ﴾ فيه أقوال (أحدها) أن معناه كاملة من الهدي إذا وقعت بدلاً منه استكملت ثوابه عن الحسن وهو المروي عن أبي جعفر واختاره الجبائي (وثانيها) أنه لإزالة الإبهام لئلا يظن أن الواو بمعنى أو فيكون كأنه قال فصيام ثلاثة أيام في الحج أو سبعة إذا رجعتم لأنه إذا استعمل أو بمعنى الواو جاز أن يستعمل الواو بمعنى أو كما قال فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فالواو ههنا بمعنى أو فذكر ذلك لارتفاع اللَّبْس عن الزجاج وأبي القاسم البلخي (وثالثها) أنه إنما قال كاملة للتوكيد كما قال جرير :

ثَـلاثٌ وَاثْـنَتـانِ فَـهُنَّ خَـمْسٌ وَسَـادِسَـةٌ تَمِيـلُ إلـىٰ تَمـامٍ

وقوله ﴿ **ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام** ﴾ أي ما تقدم ذكره من التمتع بالعمرة إلى الحج ليس لأهل مكة ومن يجري مجراهم وإنما هو لمن لم يكن من حاضري مكة وهو من يكون بينه وبينها أكثر من اثني عشر ميلاً من كل جانب ﴿ **واتقوا الله** ﴾ فيما أمركم به ونهاكم عنه ﴿ **واعلموا أن الله شديد العقاب** ﴾ لمن عصاه . الحديث روى معاوية بن عماد عن الصادق عليه السلام أن رسول الله ﷺ أقام بالمدينة عشر سنين لم يحج ثم أنزل عليه وأذِّن في الناس الآية فأمر المؤذنين أن يؤذنوا بأعلى أصواتهم بأن رسول الله يحج من عامه هذا فعلم به من حضر المدينة وأهل العوالي والاعراب فاجتمعوا فخرج رسول الله في أربع بقين من ذي القعدة فلما انتهى إلى ذي الحليفة فزالت الشمس اغتسل ثم خرج حتى أتى المسجد الذي عنده الشجرة فصلى فيه الظهر وأحرم بالحج ثم ساق الحديث إلى أن قال فلما وقف رسول الله بالمروة بعد فراغه من السعي أقبل على الناس بوجهه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال إن هذا جبرائيل وأومى بيده إلى خلفه يأمرني أن آمر مَن لم يَسُقْ هدياً أن يُحِلّ ولو استقبلتُ مِن أمري ما استدبرتُ لصنعتُ مثل ما أمرتكم ولكني سقتُ الهدي ولا ينبغي لسائق الهدي أن يُحِلّ حتى يبلغ هذا الهدي محله فقال له رجل من القوم أنخرج حجاجاً ورؤوسنا تقطر فقال إنك لن تؤمن بها أبداً فقام إليه سراقة بن

مالك بن جعشم الكناني فقال يا رسول الله عَلِّمتَنا ديننا فكأنا خلقنا اليوم فهذا الذي أمرتنا به لعامنا أو لما نستقبل فقال له رسول الله بل هو للأبد إلى يوم القيامة ثم شَبَّك بين أصابعه بعضَها في بعض وقال دخلت العمرة في الحج إلى يوم القيامة وقدم عليٌّ من اليمن على رسول الله وهو بمكة فدخل على فاطمة وهي قد أحلت فوجد(١) عليها ثياباً مصبوغة فقال ما هذا يا فاطمة فقالت أمرنا بهذا رسول الله فخرج(٢) إلى رسول الله مستفتياً مُحرّشاً على فاطمة فقال يا رسول الله إني رأيت فاطمة قد أحلت وعليها ثياب مصبوغة فقال رسول الله أنا أمرت الناس بذلك وأنت يا علي بم أهللت فقال قلت يا رسول الله إهلالاً كإهلال النبي فقال رسول الله كن على إحرامك مثلي وأنت شريكي في هديي قال ونزل رسول الله بمكة بالبطحاء هو وأصحابه ولم ينزل الدور فلما كان يوم التروية عند زوال الشمس أمر الناس أن يغتسلوا ويُهِلّوا بالحج فخرج النبي وأصحابه مُهلّين بالحج حتى أتوا منى وصلى الظهر والعصر والمغرب والعشاء الآخرة والفجر ثم غدا والناس معه وكانت قريش تُفيض من المزدلفة وهو جمع ويمنعون الناس أن يُفيضوا منها فأنزل الله على نبيه ثم أُفيضوا مِن حيث أَفاض الناس يعني إبراهيم وإسماعيل وإسحاق في إفاضتهم منها ومن كان بعدهم فلما رأت قريش أن قبة رسول الله قد مضت كأنه دخل في أنفسهم شيء للذي كانوا يرجون من الإفاضة من مكانهم حتى انتهى إلى نَمِرَة وهي بطن عرفة بجبال الأراك فضرب قبته وضرب الناس أخبيتهم عندها فلما زالت الشمس خرج رسول الله ومعه قومه(٣) وقد اغتسل وقطع التلبية حتى وقف بالمسجد فوعظ الناس وأمرهم ونهاهم ثم صلى الظهر والعصر بأذان وإقامتين ثم مضى إلى الموقف فوقف به فجعل الناس يبتدرون أُخفافَ ناقتِه يقفون إلى جانبها فنحّاها ففعلوا مثل ذلك فقال يا أيها الناس أنه ليس موضع أُخفافِ ناقتي الموقف ولكن هذا كله موقف وأومى بيده إلى الموقف فتفرق الناس وفعل مثل ذلك بالمزدلفة فتوقف حتى وقع قرص الشمس ثم أفاض وأمر الناس بالدعة حتى إذا انتهى إلى المزدلفة وهي المشعر الحرام صلى المغرب والعشاء الآخرة بأذان واحد وإقامتين ثم أقام حتى صلى فيها الفجر وعجل ضعفاء بني هاشم بالليل فأمرهم أن لا يرموا الجمرة جمرة العقبة حتى تطلع الشمس فلما أضاء له النهار أفاض حتى انتهى إلى منى فرمى جمرة العقبة وكان الهدي الذي جاء به رسول الله أربعاً وستين أو ستاً وستين وجاء عليٌّ بأربع وثلاثين أو ست وثلاثين فنحر رسول الله ستاً وستين بدنة ونحر عليٌّ عليه السلام أربعاً وثلاثين بدنة وأمر

(١) [ويحا طيبة ووجد] .

(٢) [علي عليه السلام] .

(٣) وفي نسختين مخطوطتين « قوسه » بالسين بدل الميم .

رسول الله أن يأخذ من كل بدنة منها جذوة من لحم ثم تُطرح في بُرمة[١] ثم تطبخ فأكل رسول الله منها وعليٌ وتحسيا من مرقها ولم يُعطِ الجزارين جلودها ولا جِلالها ولا قلايدها وتصدق به وحلق وزار البيت ورجع إلى منى فأقام بها حتى كان يوم الثالث من آخر أيام التشريق ثم رمى الجمار ونفر حتى انتهى إلى الأبطح فقالت عائشة يا رسول الله ترجع نساؤك بحجة وعمرة معاً وأرجع بحجة فأقام بالأبطح وبعث معها عبد الرحمن بن أبي بكر إلى التنعيم فأهلت بعمرة ثم جاءت فطافت بالبيت وصلت ركعتين عند مقام إبراهيم وسعت بين الصفا والمروة ثم أتت النبي فارتحل من يومه فلم يدخل المسجد ولم يطف بالبيت ودخل من أعلى مكة من عقبة المدنيين وخرج من أسفل مكة من ذي طُوى .

﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾

[**القراءة**] قرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب فلا رفث ولا فسوق بالرفع ولا جدال بالفتح وقرأ أبو جعفر جميع ذلك بالرفْع والتنوين وقرأ الباقون الجميع بالفتح .

[**الحجة**] حجة من فتح الجميع أن يقول أنه أشد مطابقة للمعنى المقصود ألا ترى أنه إذا فتح فقد نفى جميع الرفث والفسوق كما أنه إذا قال لا ريب فقد نفى جميع هذا الجنس فإذا رُفع ونُوّن فكأنَّ النفي لواحد منه ألا ترى أن سيبويه يرى أنه إذا قال لا غلام عندك ولا جارية فهو جواب مَن سأل فقال أَغلام عندك أم جارية فالفتح أولى لِأن النفي قد عمَّ والمعنى عليه وحجة مَن رفع أنه يُعلم من الفحوى أنه ليس المنفي رفثاً واحداً ولكنه جميع ضروبه وأن النفي قد يقع فيه الواحد موقع الجميع وإن لم يُبْنَ فيه الإسم مع لا نحو ما رجل في الدار .

[**اللغة**] الرفث أصله في اللغة الافحاش في النطق قال العجاج « عن اللغا ورَفَثِ التكلم » وقيل الرفث بالفرج الجماع وباللسان المواعدة للجماع وبالعين الغمز للجماع

(١) البرمة: القدر من الحجر .

والفسوق الخروج من الطاعة. والجدال في اللغة والمجادلة والمنازعة والمشاجرة والمخاصمة نظائر وجدلت الحبل فتلته والجَديل زمام البعير فعيل بمعنى مفعول والمِجْدَل القصر والجَدالة الأرض ذات العمل الرقيق وغلام جادل إذا ترعرع واشتد والزّاد الطعام الذي يتخذ للسفر والمِزْوَد وعاء يجعل فيه الزاد وكل من انتقل بخير من عمل أو كسب فقد تزود منه تزوداً والُبّ العقل سُمّي بذلك لأنه أفضل ما في الإنسان وأفضل كل شيء لبا .

[**الإعراب**] الحج مبتدأ وأشهر خبره وتقديره أشهر الحج أشهر معلومات ليكون الثاني هو الأول في المعنى أو الحج حج أشهر معلومات فحذف المضاف أي لا حجَّ إلَّا في هذه الأشهر فالأشهر على هذا متَّسعٌ فيها مخرجة عن الظروف والمعنى على ذلك ألا ترى أن الحجَّ في الأشهر وقد يجوز أن يجعل الحج الأشهر على الاتساع لكونه فيها ولكثرته مِن الفاعلين له كما قالت الخنساء .

تَرْتَعُ مَا رَتَعَتْ حَتّى إذا ادّكَرَتْ فَـإنّـمـا هِـيَ إقْبـالٌ وَإدْبـارُ

جعلتها الإقبال والإدبار لكثرتهما منها وقوله فلا رفث إذا فتحت فعلى البناء وقد تقدم بيانه فيما مضى وإذا رفعت فعلى الإبتداء ويكون في الحج خبراً لهذه المرفوعات وإذا فتحت ما قبل المرفوع وأثبت ما بعده مرفوعاً جاز أن يكون عطفاً على الموضع وجاز أن يكون بمعنى ليس كما في قوله[١] :

مَـنْ صَـدَّ عَـنْ نِـيرانِـهـا[٢] فَـأنَـا ابْـنُ قَـيْـسٍ لَا بَـراحُ

وما بعد الفاء في موضع الرفع لوقوعه موقع الفعل المضارع بعد الفاء والفاء مع ما بعده في محل الجزم أو في محل الرفع لأنه جواب شرط مبني .

[**المعنى**] ﴿ **الحج** ﴾ أي أشهر الحج ﴿ **أشهر معلومات** ﴾ أي أشهر مؤقتة معينة لا يجوز فيها التبديل والتغيير بالتقديم والتأخير اللذين كان يفعلهما النَسأة الذين أنزل فيهم إنما النسيء زيادة في الكفر الآية وأشهر الحج عندنا شوال وذو القعدة وعشر من ذي الحجة على ما روي عن أبي جعفر وبه قال ابن عباس ومجاهد والحسن وغيرهم وقيل هي شوال وذو القعدة وذو الحجة عن عطاء والربيع وطاوس وروي ذلك في أخبارنا وإنما صارت هذه أشهر الحج لأنه لا يصح الإحرام بالحج إلا فيها بلا خلاف وعندنا لا يصح

(١) القائل: سعد .
(٢) و الضمير في نيرانها للحرب .

أيضاً الإحرام بالعمرة التي يتمتع بها إلى الحج إلا فيها ومن قال أن جميع ذي الحجة من أشهر الحج قال لأنه يصح أن يقع فيها بعض أفعال الحج مثل صوم الأيام الثلاثة وذبح الهدي ومتى قيل كيف سُمّي الشهران وبعض الثالث أشهراً فجوابه أن الاثنين قد يقع عليه لفظ الجمع كما في قوله (ظهراهما مثلُ ظُهور التُرسين) وأيضاً فقد يضاف الفعل إلى الوقت وإن وقع في بعضه ويضاف الوقت إليه كذلك تقول صليت صلاة يوم الجمعة وصلاة يوم العيد وإن كانت الصلاة في بعضه وقدم زيد يوم كذا وإن كان قدم في بعضه فكذلك جاز أن يقال في شهر الحج ذو الحجة وإن وقع الحج في بعضه ﴿ **فمن فرض فيهن الحج** ﴾ معناه فمن أوجب على نفسه فيهن الحج أي فمن أحرم فيهن بالحج بلا خلاف أو بالعمرة التي يتمتع بها إلى الحج على مذهبنا ﴿ **فلا رفث** ﴾ كُنِّيَ بالرفث عن الجماع هاهنا عند أصحابنا وهو قول ابن مسعود وقتادة وقيل هو مواعدة الجماع والتعريض للنساء به عن ابن عباس وابن عمر وعطا وقيل هو الجماع والتعريض له بمداعبة أو مواعدة عن الحسن ﴿ **ولا فسوق** ﴾وروى أصحابنا أنه الكذب وقيل هو معاصي الله كلها عن ابن عباس والحسن وقتادة وهذا أعم ويدخل فيه الكذب وقيل هو التنابز بالألقاب لقوله ﴿ **بئس الإسم الفسوق بعد الإيمان** ﴾ عن الضحاك وقيل هو السباب لقوله ﴿ **سباب المؤمن فسوق وقتاله كفر** ﴾ عن إبراهيم ومجاهد وقال بعضهم لا يجوز أن يراد به هنا إلا ما نهي المحرم عنه مما يكون حلالاً له إذا أحلَّ لاختصاصه بالنهي عنه وهذا تخصص للعموم بلا دليل وقد يقول القائل ينبغي لك أن تقيد لسانك في رمضان لئلا يفسد صومك وقد جاء في الحديث إذا صمت فليصم سمعك وبصرك ولا يكون يوم صومك كيوم فطرك فإنما خَصّه بذلك لعظم حرمته ﴿ **ولا جدال في الحج** ﴾ روى أصحابنا أنه قول لا والله وبلى والله صادقاً أو كاذباًوللمفسرين فيه قولان(أحدهما)أنه المراء والسباب والاغضاب على جهة المَحْك [١] واللجاج عن ابن عباس وابن مسعود والحسن (والثاني) أن معناه لا جدال في أن الحج قد استدار في ذي الحجة لأنهم كانوا ينسئون الشهور فيقدمون ويؤخرون فربما اتفق في غيره عن مجاهد والسدي ﴿ **وما تفعلوا من خير يعلمه الله** ﴾ معناهُ ما تفعلوا من خير يُجازِكم الله العالم به لأن الله عالم بجميع المعلومات على كل حال إلا أنه جعل يعلمه في موضع يجازه للمبالغة في صفة العدل أي أنه يعاملكم معاملة من يعلمه إذا ظهر منكم فيجازي به وذلك تأكيد أنَّ الجزاء لا يكون إلا بالفعل دون ما يعلم أنه يكون منهم قبل أن

(١) المحك: الخصومة .

يفعلوه ﴿ **وتزودوا فإن خير الزاد التقوى** ﴾ قيل فيه قولان (أحدهما) أنّ معناه أن قوماً كانوا يرمون بأزوادهم ويتّسمون بالمتوكلة فقيل لهم تزودوا من الطعام ولا تُلقوا كَلَّكم على الناس وخير الزاد مع ذلك التقوى عن الحسن وقتادة ومجاهد (والثاني) أن معناه تَزوَّدوا مِن الأعمال الصالحة ﴿ **فإن خير الزاد التقوى** ﴾ وذكر ذلك في أثناء أفعال الحج لأنه أحق شيء بالاستكثار من أعمال البرّ فيه ﴿ **واتقونِ** ﴾ فيما أمرتكم به ونهيتكم عنه ﴿ **يا أولي الألباب** ﴾ يا ذوي العقول .

﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۚ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَـٰتٍ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿١٩٨﴾

[**اللغة**] الجُناح الحرج في الدين وهو الميل عن الطريق المستقيم وبالابتغاء الطلب والإفاضة مأخوذة من فيض الاناء عن امتلائه فمعنى أفضتم دفعتم من عرفات إلى المزدلفة عن اجتماع وكثرة ويقال أفاض القوم في الحديث إذا اندفعوا فيه وأكثروا التصرف وأفاض الرحل إناءه إذا صَبّه وأفاض الرجل بالقداح إذا ضرب بها لأنها تقع متفرقة، قال أبو ذؤيب :

وَكَأَنَّهُنَّ رِبابَةٌ وَكَأَنَّهُ ... يَسَرٌ يُفيضُ عَلَى الْقِداحِ وَيَصْدَعُ(١)

وأفاض البعير بجرته إذا رمى بها متفرقة كثيرة قال الراعي :

وأَفَضْنَ بَعْدَ كُظومِهِنَّ بِجِرَّةٍ ... مِنْ ذِي الأَباطِحِ إِذْرَعَيْنَ حَقيلاً(٢)

فالافاضة في اللغة لا تكون إلاَّ عن تفرق أو كثرة وعرفات اسم للبقعة المعروفة يجب الوقوف بها في الحج ويوم عرفة يوم الوقوف بها واختلف في سبب تسميتها بعرفات فقيل لأن إبراهيم (ع) عرفها بما تقدم له من النعت لها والوصف روي ذلك عن عليّ وابن

---

(١) الربابة: شبيه بالكنانة يجمع فيها سهام الميسر وربما سموا جماعة السهام ربابة. واليسر محركة : الياسر .
(٢) كظم البعير كظوماً: أمسك جرّته وكف عن الاجترار. الجرة: ما يخرجه البعير من بطنه ليمضغه ثم يبلعه وحقيل اسم موضع قاله الجوهري .

عباس وقيل أنها سميت بذلك لأن آدم وحواء اجتمعا فيها فتعارفا بعد أن كانا افترقا عن الضحاك والسدي وقد رواه أصحابنا أيضاً وقيل سميت بذلك لعلوّها وارتفاعها ومنه عرف الديك وقيل سمّيت بذلك لأن إبراهيم كان يُريه جبرائيل المناسك فيقول عرفت عرفت عن عطاء وروي عن ابن عباس أن إبراهيم رأى في المنام أنه يذبح ابنه فأصبح يروّي يومه أجمع أي يفكّر أهو أمر من الله أم لا فسمي بذلك يوم التروية ثم رأى في الليلة الثانية فلما أصبح عرف أنه من الله فسمي يوم عرفة وروي أن جبريل قال لآدم هناك اعترف بذنبك واعرف مناسكك فقال ﴿ **ربّنا ظلمنا أنفسنا الآية** ﴾ فلذلك سمّيت عرفة والمشعر الحرام هو المزدلفة سمّيت مشعراً لأنه معلم للحج والصلاة والمقام والمبيت به والدعاء عنده من أعمال الحج وإنما سمي المشعر الحرام مزدلفة لأن جبريل قال لإبراهيم بعرفات ازدلف إلى المشعر الحرام فسمي المزدلفة وسمي جمعاً لأنه يجمع به بين المغرب والعشاء الآخرة بأذان واحد وإقامتين وسميت منى منى لأن إبراهيم تمنى هناك أن يجعل الله مكان ابنه كبشاً يأمره[1] بذبحه فدية له .

[**الإعراب**] جناح اسم ليس وخبره عليكم وموضع أن تبتغوا نصب على تقدير ليس عليكم جناح في أن تبتغوا فلما سقط في عمل فيها معنى جناح والمعنى لستم تأثمون في ﴿ **أن تبتغوا** ﴾ . وعرفات اسم معرفة لمواضع جرت مجرى موضع واحد لاتصال بعضها ببعض وإنما صرفت وإن كان فيها سببان من أسباب منع الصرف وهو التعريف والتأنيث لأنها على حكاية الجمع فالتنوين فيها بإزاء النون في مسلمون ولو سميت امرأة بمسلمون لم تحذف هذه النون وتقول أقبلت مسلمون ورأيت مسلمين ويجوز في عرفات حذف التنوين أيضاً تشبيهاً بالواحد إذا كان اسماً لواحد إلا أنه لا يكون إلا مكسوراً وإن أسقطت التنوين ومثلها أذرعات في قول امرىء القيس :

تَنَوَّرْتُهَا مِنْ أَذْرِعَاتٍ وَأَهْلُهَا بِيَثْرِبَ أَدْنَى دَارِهَا نَظَرٌ عالِ[2]

أكثر الرواية بالتنوين وقد أنشد بالكسر بغير تنوين والأول اختيار النحويين لما ذكرنا من أجرائهم إياه مجرى المسلمون وأما فتح التاء فخطأ ﴿ **وإن كنتم** ﴾ إن هنا هي المخففة من الثقيلة بدلالة أن لام الابتداء معها وإذا خففت لم تعمل إن ﴿ **وكنتم من قبله لمن**

(١) وفي جملة من النسخ « أمر بذبح ابنه » .

(٢) تنورتها أي نظرت بقلبي إلى نار المحبوبة . أذرعات موضع بالشام المعنى أني كيف أراها وأدنى دارها مرتفع . أو المعنى أن أقرب دارها ما بعيد .

الضالين ﴾ لا موضع له من الإعراب لأنه وقع بعد حرف غير عامل وإنما هذه الواو عطفت جملة على جملة .

[**المعنى**] ﴿ **ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم** ﴾ قيل كانوا يتأثمون بالتجارة في الحج فرفع الله بهذه اللفظة الإثم عمّن يتّجر في الحج عن ابن عباس ومجاهد والحسن وعطاء وفي هذا تصريح بالأذن في التجارة وهو المرويّ عن أئمتنا وقيل كان في الحج أَجَراء ومكارون وكان الناس يقولون أنه لا حج لهم فبدين سبحانه أنه لا إثم على الحاج في أن يكون أجيراً لغيره أو مكارياً وقيل معناه لا جناح عليكم أن تطلبوا المغفرة من ربكم رواه جابر عن أبي جعفر (ع) ﴿ **فإذا أفضتم من عرفات** ﴾ أي دفعتم عنها بعد الإجتماع فيها ﴿ **فاذكروا الله عند المشعر الحرام** ﴾ وفي هذا دلالة على أن الوقوف بالمشعر الحرام فريضة كما ذهبنا إليه لأن ظاهر الأمر على الوجوب فقد أوجب الله الذكر فيه ولا يجوز أن يوجب الذكر فيه إلا وقد أوجب الكون فيه ولأن كل من أوجب الذكر فيه فقد أوجب الوقوف وتقدير الكلام فإذا أفضتم من عرفات فكونوا بالمشعر الحرام واذكروا الله فيه ﴿ **واذكروه كما هداكم** ﴾ معناه واذكروه بالثناء والشكر على حسب نعمته عليكم بالهداية فإنَّ الشكر يجب أن يكون على حسب النعمة في عظم المنزلة كما يجب أن يكون على مقدارها لو صغرت النعمة ولا يجوز التسوية بين من عظمت نعمته وبين من صغرت نعمته وتقدير الكلام واذكروه ذكراً مثل هدايته إياكم ﴿ **وإن كنتم** ﴾ أي وإنكم كنتم من قبله أي من قبل الهدى وقيل من قبل محمد ﷺ فتكون الهاء كناية عن غير مذكور ﴿ **لَمن الضالين** ﴾ عن النبوة والشريعة فهداكم إليه .

﴿ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾

[**اللغة**] الاستغفار طلب المغفرة والمغفرة التغطية للذنب والفرق بين غفور وغافر أن في غفور مبالغة لكثرة المغفرة فأما غافر فيستحق الوصف به من وقع منه الغفران والعفو هو المغفرة وقد فرّق بينهما بأن العفو ترك العقاب على الذنب والمغفرة تغطية الذنب بإيجاب المثوبة ولذلك كثرت المغفرة في صفات الله دون صفات العباد فلا يقال استغفر السلطان كما يقال استغفر الله .

[**المعنى**] ﴿ **ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس** ﴾ قيل فيه قولان (أحدهما) أن المراد به الإفاضة من عرفات وأنه أمر لقريش وحلفائها وهم الحُمْس لأنهم كانوا لا يقفون

مع الناس بعرفة ولا يفيضون منها ويقولون نحن أهل حرم الله فلا نخرج منه وكانوا يقفون بالمزدلفة ويفيضون منها فأمرهم الله بالوقوف بعرفة والإفاضة منها كما يفيض الناس والمراد بالناس سائر العرب عن ابن عباس وعائشة وعطاء ومجاهد والحسن وقتادة وهو المرويّ عن الباقر (ع) وقال الضحاك أنه أمر لجميع الحاج أن يفيضوا من حيث أفاض إبراهيم عن الضحاك قال ولمّا كان إبراهيم إماماً كان بمنزلة الأمة فسماه وحده ناساً ـ (والثاني) ـ أن المراد به الإفاضة من المزدلفة إلى منى يوم النحر قبل طلوع الشمس للرمي والنحر عن الجبائي قال والآية تدل عليه لأنه قال فإذا أفضتم من عرفات ثم قال ثم أفيضوا فوجب أن يكون أفاضة ثانية فدلّ ذلك على أن الافاضتين واجبتان والناس المراد به إبراهيم كما أنه في قوله ﴿ **الذين قال لهم الناس** ﴾ نعيم بن مسعود الأشجعي وقيل إن الناس إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ومن بعدهم من الأنبياء عن أبي عبد الله ومما يسأل على الأول أن يقال إذا كان ثُمّ للترتيب فما معنى الترتيب هاهنا وقد روى أصحابنا في جوابه أن هاهنا تقديماً وتأخيراً وتقديره ﴿ **ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واستغفروا الله إن الله غفور رحيم** ﴾ وقيل أراد بالناس آدم عن سعيد بن جبير والزهري وقيل هم أهل اليمن وربيعة عن الكلبي وقيل هم العلماء الذين يعلمون الدين ويعلّمونه الناس ﴿ **واستغفروا الله** ﴾ أي اطلبوا المغفرة منه بالندم على ما سلف من المعاصي ﴿ **إن الله غفور** ﴾ أي كثير المغفرة ﴿ **رحيم** ﴾ واسع الرحمة .

﴿ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَـٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَـٰقٍ ﴿٢٠٠﴾

[**اللغة**] أصل القضاء فصل الأمر على إحكام وقد يفصل بالفراغ منه كقضاء المناسك وقد يفصل بأن يعمل على تمام كقوله ﴿ **فقضاهنّ سبع سماوات** ﴾ وقد يفصل بالإخبار به على القطع كقوله ﴿ **وقضينا إلى بني إسرائيل** ﴾ وقد يفصل بالحكم كقضاء القاضي على وجه الإلزام والخلاق النصيب من الخير وأصله التقدير فهو النصيب من الخير على وجه الاستحقاق وقيل أنّه من الخلق فهو نصيب مما يوجبه الخلق الكريم .

[**الإعراب**]أشدّ في موضع جـرّ ولكنّه لا ينصرف لأنّه على وزن الفعل وهو صفة ويجوز أن يكون منصوباً على المصدر على واذكروه أشد ذكراً وذكراً منصوب على التمييز في الآخرة الجار والمجرور يتعلق بما يتعلق به اللام في قوله ﴿ **له** ﴾ وله في موضع خبر للمبتدأ الذي هو من خلاق فإن من مزيدة والجار والمجرور في موضع رفع بالابتداء ويجوز أن يكون في الآخرة في موضع نصب على الحال والعامل فيه ما في له من الفعل .

[**المعنى**] ﴿ **فإذا قضيتم مناسككم** ﴾ معناه فإذا أديتم مناسككم وقيل فإذا فرغتم من مناسككم والمناسك جمع المنسك والمنسك يجوز أن يكون موضع النسك ،يجوز أن يكون مصدراً فإن كان موضعاً فالمعنى فإذا قضيتم ما وجب عليكم إيقاعه في متعبداتكم وإن كان بمعنى المصدر فإنما جمع لأنه يشتمل على أفعال وأذكار فجاز جمعه كالأصوات أي فإذا قضيتم أفعال الحج فاذكروا الله واختلف في الذكر على قولين ـ (أحدهما) ـ أن المراد به التكبير المختص بأيام منى لأنه الذكر المرغب فيه المندوب إليه في هذه الأيام (والآخر) أن المراد به سائر الأدعية في تلك المواطن لأن الدعاء فيها أفضل منه في غيرها ﴿ **كذكركم آباءكم** ﴾ معناه ما روي عن أبي جعفر الباقر (ع) أنهم كانوا إذا فرغوا من الحج يجتمعون هناك ويعدّون مفاخر آبائهم ومآثرهم ويذكرون أيامهم القديمة وأياديهم الجسيمة فأمرهم الله سبحانه أن يذكروه مكان ذكرهم آباءهم في هذا الموضع ﴿ **أو أشد ذكراً** ﴾ أو يزيدوا على ذلك بأن يذكروا نعم الله ويعدّوا آلاءه ويشكروا نعماءه لأن آباءهم وإن كانت لهم عليهم أياد ونعم فنعم الله عليهم أعظم وأياديه عندهم أفخم ولأنه المنعم بتلك المآثر والمفاخر على آبائهم وعليهم وهذا هو الوجه في تشبيهه هذا الذكر الواجب بذلك الذكر الذي هو دونه في الوجوب وهو قول الحسن وقتادة وقيل معناه واستغيثوا بالله وافزعوا إليه كما يفزع الصبي إلى أبيه في جميع أموره ويلهج بذكره فيقول يا أبت عن عطاء والأول أصحّ وقوله ﴿ **فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا** ﴾ بيَّن سبحانه أن الناس في تلك المواطن أصناف فمنهم من يسأل نعيم الدنيا ولا يسأل نعيم الآخرة لأنه غير مؤمن بالبعث والنشور ﴿ **وما له في الآخرة من خلاق** ﴾ أي نصيب من الخير موفور .

﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾

[**اللغة**] الفرق بين القول والكلام أن القول يدلّ على الحكاية وليس كذلك الكلام

نحو قال الحمد لله فإذا أخبرت عنه بالكلام قلت تكلّم بالحق والحكاية على ثلاثة أوجه (أحدها) حكاية على اللفظ والمعنى نحو قال آتوني أفرغ عليه قطراً إذا حكاه من يعرف لفظه ومعناه وحكاية على اللفظ نحوها إذا حكاه من يعرف لفظه دون معناه وحكاية على المعنى نحو أن تقول نحاساً بدل قوله قطراً والايتاء الاعطاء وأصله الآتي بمعنى المجيء فآتى إذا كان منه المجيء وآتى غيره حَمَله على المجيء فيقال أتاه ما يُحِبّ وآتى غيرَه ما يُحِبّ وقِ أصله من وقى يقي وقاية ووقاء والوقاء أصله الحجز بين الشيئين والوقاء الحاجز الذي يسلم به من الضرر .

[**المعنى**] لمّا ذكر سبحانه دعاء من سأله من أمور الدنيا في تلك المواقف الشريفة ما لا يرتضيه عقَّبه بما يسأله المؤمنون فيها من الدعاء الذي يرغب فيه فقال ﴿ **ومنهم من يقول ربنا آتنا** ﴾ أي أعطنا ﴿ **في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار** ﴾ أي نعيم الدنيا ونعيم الآخرة عن أنس وقتادة وروي عن أبي عبد الله أنها السعة في الرزق والمعاش وحسن الخلق في الدنيا ورضوان الله والجنة في الآخرة وقيل العلم والعبادة في الدنيا والجنة في الآخرة عن الحسن وقتادة وقيل هي المال في الدنيا وفي الآخرة الجنة عن ابن زيد والسدي وقيل هي المرأة الصالحة في الدنيا وفي الآخرة الجنة عن علي (ع) وروي عن النبي (ﷺ) أنه قال من أوتي قلباً شاكراً ولساناً ذاكراً وزوجة مؤمنة تعينه على أمر دنياه وأخراه فقد أوتي في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة ووقي عذاب النار .

﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُواْ ۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾ ﴾

[**اللغة**] النصيب الحَظّ وجمعه أنصباء وأنصبة وحدّ النصيب الجزء الذي يختص به البعض من خير أو شر والكسب الفعل الذي يجتلب به نفع أو يدفع به ضرر والسريع من العمل هو القصير المدة يقال سرع سرعة وسرعا فهو سريع وأقبل فلان في سرعان قومه أي في أوائلهم المسرعين والحساب مصدر كالمحاسبة .

[**المعنى**] ﴿ **أولئك لهم نصيب مما كسبوا** ﴾ أي حظّ من كسبهم باستحقاقهم الثواب عليه ﴿ **والله سريع الحساب** ﴾ ذكر فيه وجوه (أحدها) أن معناه سريع المجازاة للعباد على أعمالهم وأن وقت الجزاء قريب ويجري مجراه قوله وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب وعبَّر عن الجزاء بالحساب لأن الجزاء كفاء للعمل وبمقداره فهو حساب له يقال إحسبني الشيء كفاني (وثانيها) أن يكون المراد به أنه يحاسب أهل الموقف في

أوقات يسيرة لا يشغله حساب أحد عن حساب غيره كما لا يشغله شأن عن شأن وورد في الخبر أنه تعالى يحاسب الخلائق كلهم في مقدار لمح البصر وروي بقدر حلب شاة وهذا أحد ما يدلّ على أنه ليس بجسم وأنه لا يحتاج في فعل الكلام إلى آلة لأنه لو كان كذلك لما جاز أن يخاطب إثنين في وقت واحد بمخاطبتين مختلفتين ولكان يشغله خطاب بعض الخلق عن خطاب غيره ولكانت مدة محاسبته للخلق على أعمالهم طويلة وروي عن أمير المؤمنين (ع) أنه قال معناه أنه يحاسب الخلق دفعة كما يرزقهم دفعة (وثالثها) أن معناه أنه تعالى سريع القبول لدعاء هؤلاء والإجابة لهم من غير احتباس فيه وبحث عن المقدار الذي يستحقّه كل داع كما يحتبس المخلوقون للإحصاء والإحتساب ويقرب منه ما روي عن ابن عباس أنه قال يريد أنه لا حساب على هؤلاء إنما يعطون كتبهم بإيمانهم فيقال لهم هذه سيئاتكم قد تجاوزت بها عنكم وهذه حسناتكم قد ضعّفتها لكم .

﴿ * وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِۖ لِمَنِ ٱتَّقَىٰۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ ﴾

[**اللغة**] المعدودات تستعمل كثيراً في اللغة للشيء القليل وكل عدد قَلّ أو كثر فهو معدود ولكن معدودات أدلّ على القلة لأن كل قليل يجمع بالألف والتاء والحشر جمع القوم من كل ناحية إلى مكان والمحشر المكان الذي يحشرون فيه وحشرتهم السنة إذا أجحفت بهم لأنها تضمّهم من النواحي إلى المصر وسَهم حشر خفيف لطيف لأنه ضامر باجتماعه وأذن حشرة لطيفة وضامرة وحشرات الأرض دوابّها الصغار لاجتماعها من كل ناحية فأصل الباب الاجتماع .

[**الإعراب**] العامل في اللام من قوله ﴿ **لمن إتقى** ﴾ فيه قولان (أحدهما) أن تقديره ذلك ﴿ **لمن اتقى** ﴾ فيكون الجار والمجرور في موضع خبر المبتدأ وإنما حذف ذلك لأن الكلام الأول دلّ على وعد للعامل (والثاني) أن يكون العامل فيه معنى لا إثم عليه لأنه قد تضمن معنى جعلناه لمن إتقى .

[**المعنى**] ﴿ **واذكروا الله في أيام معدودات** ﴾ هذا أمر من الله للمكلفين أن يذكروه

في أيام معدودات وهي أيام التشريق ثلاثة أيام بعد النحر والأيام المعلومات عشر ذي الحجة عن ابن عباس والحسن وأكثر أهل العلم وهو المروي عن أئمتنا وذكر الفراء أن المعلومات أيام التشريق والمعدودات العشر والذكر المأمور به هو أن تقول عقيب خمس عشرة صلوات الله أكبر الله أكبر لا إلَه إلا الله والله أكبر الله أكبر ولله الحمد الله أكبر على ما هدانا والحمد لله على ما أولانا والله أكبر على ما رزقنا من بهيمة الأنعام وأول التكبير عندنا عقيب الظهر من يوم النحر وآخره عقيب صلاة الفجر من اليوم الرابع من النحر هذا لمن كان بمنى ومن كان بغير منى من الأمصار يكبر عقيب عشر صلوات أولها صلاة الظهر من يوم النحر أيضاً هذا هو المروي عن الصادق عليه السلام وفي ذلك إختلاف بين الفقهاء ووافقنا في ابتداء التكبير من صلاة الظهر من يوم النحر ابن عباس وابن عمر قوله ﴿ **فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه** ﴾ المعنى في ذلك الرخصة في جواز النفر في اليوم الثاني من أيام التشريق والأفضل أن يقيم إلى النفر الأخير وهو الثالث من التشريق وإذا نفر في الأول نفر بعد الزوال إلى غروب الشمس فإن غربت فليس له أن ينفر إلى اليوم الثالث وقوله ﴿ **فلا إثم عليه** ﴾ فيه قولان ـ (أحدهما) ـ أن معناه لا إثم عليه لأن سيئاته صارت مكفرة بما كان من حجّه المبرور وهو قول ابن مسعود ـ (والثاني) ـ إن معناه لا إثم عليه في التعجيل والتأخير وإنما نفي الإثم لئلا يتَوهم متوهمٌ إن في التعجيل إثماً وإنما قال فلا إثم عليه في التأخير على جهة المزاوجة كما يقال إن أعلنت الصدقة فحسن وأن أسررتَ فحسن وإن كان الأسرار أحسن وأفضل عن الحسن وقوله لمن إتقى فيه قولان ـ (أحدهما) ـ إن الحج يقع مبروراً مُكَفِرّاً للسيئات إذا إتقي ما نهى الله عنه والآخر ما رواه أصحابنا أن قوله لمن إتقى متعلق بالتعجيل في اليومين وتقديره فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه لمن إتقى الصيد إلى إنقضاء النفر الأخير وما بقي من إحرامه ومن لم يتقها فلا يجوز النفر في الأول وهو المروي عن ابن عباس واختاره الفراء وقد روي أيضاً عن أبي عبد الله في قوله فمن تعجل في يومين أي من مات في هذين اليومين فقد كُفِّرَ عنه كل ذنب ومن تأخر أي من[1] أجله فلا إثم عليه[2] إذا إتقى الكبائر وقوله ﴿ **واتقوا الله** ﴾ أي إجتنبوا معاصي الله ﴿ **واعلموا أنكم إليه تحشرون** ﴾ أي تحققوا أنكم بعد موتكم تجمعون إلى الموضع الذي يحكم الله فيه بينكم ويجازيكم على أعمالكم .

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي

(١) [أنسى] . (٢) [بعدها] .

ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾

[**اللغة**] الإعجاب هو سرور المعجب بما يستحسن ومنه العجب بالنفس وهو سرور[1] المعجب من الشيء إستحساناً له وذلك إذا تعجب من شدة حسنه تقول عجب وتعجب وعَجَّبَه غيره وأعجبه واستعجب الرجل إذا اشتد تعجبه قال الأزهري العجب كل شيء غير مألوف والألدّ الشديد الخصومة تقول لَدّ يَلُدّ لُدودا وَلَدّه يَلْدّه إذا غلبه في الخصومة ولدّ الدواءَ في حلقه إذا أوجره في أحدِ شقي فَمه واللديدان جانبا الوادي ولديدا كل شيء جانباه والتلدد التلفت عن تحير والخصام قيل أنه جمع الخصم عن الزجاج وفَعْل إذا كان صفة فإنه يجمع على فِعال نحو صَعبَ وصِعاب وإذا كان إسماً فإنه يجمع في القلة على أفعُل وفي الكثرة على فعال كفَرْخ وفِراخ وقيل الخصام مصدر كالمخاصمة عن الخليل والتولي هو الانحراف والزوال عن الشيء إلى خلاف جهته وقوله سعى قد يكون بمعنى عمل وقد يكون بمعنى أسرع قال الأعشى :

وَسَعَىٰ لِكَنْدِةَ سَعْيَ غَيْرِ مُـواكِـل قَيْسٌ فَضَـرَّ عَـدُوَّهـا وَبَنىٰ لَهـا

أي عمل لكندة والإفساد هو عمل الضرر بغير إستحقاق ولا وجه من وجوه المصلحة والإهلاك العمل الذي ينفي الانتفاع والحرث الزرع ﴿ **والنسل** ﴾ العقب من الولد وقال الضحاك الحرث كل نبات ﴿ **والنسل** ﴾ كل ذات روح ويقال نَسَلَ يَنْسُلُ نُسُولاً إذا خرج فسقط ومنه نَسَلَ وَبَرُ البعير أو ريش الطائر والناس نسل آدم لخروجهم من ظهره وأصل باب النسول الخروج .

[**الإعراب**] ليفسدَ نصب بإضمار أن ويجوز إظهارها بأن يقال لأن يفسد فيها ولا يجوز إظهار أن في قوله لِيَذَر مِنْ ﴿ **وما كان الله لِيَذَر المؤمنين** ﴾ والفرق بينهما أن اللام في ليفسد على أصل الإضافة ف الكلام واللام في ليذر لتأكيد النفي كما دخلت الباء في ليس زيد بقائم .

(1) في السرور بها[illegible]

[**النزول**] قال ابن عباس نزلت الآيات الثلاثة في المُرائي لأنه يظهر خلاف ما يُبطن وهو المروي عن الصادق (ع) إلا أنه عَيَّن المَعنيّ به وقال الحسن نزلت في المنافقين وقال السدي نزلت في الأخنس بن شريق وكان يظهر الجميل بالنبي والمحبة له والرغبة في دينه ويبطن خلاف ذلك .

[**المعنى**] ثم بيّن سبحانه حال المنافقين بعد ذكره أحوال المؤمنين والكافرين فقال ﴿ **ومن الناس من يعجبك قوله** ﴾ أي تستحسن كلامه يا محمد ويعظم موقعه من قلبك ﴿ **في الحياة الدنيا** ﴾ أي يقول آمنت بك وأنا صاحب لك ونحو ذلك ﴿ **ويشهد الله على ما في قلبه** ﴾ أي يحلف بالله ويشهده على أنه مضمر ما يقول فيقول ﴿ **اللهم إشهد عليَّ به** وضميره على خلافه ﴿**وهو ألد الخصام**﴾ أي وهو أشد المخاصمين خصومة ومن قال أن الخصام مصدر فمعناه وهو شديد الخصومة عند المخاصمة جدل مبطل ﴿ **وإذا تولى** ﴾ أي أعرض عن الحسن وقيل معناه ملك الأمر وصار والياً عن الضحاك ومعناه إذا ولي سلطاناً جار وقيل وليَّ عن قوله الذي أعطاه عن ابن جريج ﴿ **سعى في الأرض** ﴾ أي أسرع في المشي من عندك وقيل عمل في الأرض ﴿ **ليفسد فيها** ﴾ قيل ليقطع الرحم ويسفك الدماء عن ابن جريج وقيل ليظهر الفساد ويعمل المعاصي ﴿ **ويهلك الحرث والنسل** ﴾ أي النبات والأولاد وذكر الأزهري أن الحرث النساء والنسل الأولاد لقوله ﴿ **نساؤكم حرث لكم** ﴾ وروي عن الصادق (ع) إن الحرث في هذا الموضع الذين والنسل الناس ﴿ **والله لا يحب الفساد** ﴾ أي العمل بالفساد وقيل أهل الفساد وفيه دلالة على بطلان قول المجبرة إن الله تعالى يريد القبائح لأنه تعالى نفى عن نفسه محبة الفساد والمحبة هي الإرادة لأن كل ما أحب الله أن يكون فقد أراد أن يكون وما لا يحب أن يكون لا يريد أن يكون .

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾

[**اللغة**] الإتقاء طلب السلامة بما يحجز عن المخافة وإتقاء الله إنما هو إتقاء عذابه والأخذ ضد الإعطاء والعزة القوة التي تمتنع بها عن الذلة والمهاد الوطاء من كل شيء وكل شيء وطئته فقد مهدّته والأرض مهاد لأجل توطئته للنوم والقيام عليه .

[**المعنى**] ثم بيّن تعالى صفة من تقدم من المنافقين فقال ﴿ **وإذا قيل له إتق الله** ﴾ أي وإذا قيل لهذا المنافق إتق الله فيما نهاك عنه من السعي في الأرض بالفساد وإهلاك الحرث والنسل ﴿ **أخذته العزة بالإثم** ﴾ قيل في معناه قولان (أحدهما) حملته العزة

وحميَّة الجاهلية على فعل الإثم ودعته إليه كما يقال أخذته بكذا أي ألزمته ذلك وأخذته الحُمّى أي لزمته ـ (والثاني) ـ أخذته العزة من أجل الإثم الذي في قلبه من الكفر عن الحسن ﴿ **فحسبه جهنم** ﴾ أي فكفاه عقوبة من إضلاله أن يَصلى نار جهنم ﴿ **ولبئس المهاد** ﴾ أي القرار عن الحسن كما قال في موضع آخر وبئس القرار لأن القرار كالوطاء في الثبوت عليه وقيل إنما سميت جهنم مهاداً لأنها بدل من المهاد كما قال سبحانه ﴿ **فبشره بعذاب أليم لأنه موضع البشرى بالنعيم** ﴾ على جهة البدل منه وفي هذه الآية دلالة على أن من تكبر عن قبول الحق إذا دُعِيَ إليه كان مرتكباً أعظم كبيرة ولذلك قال ابن مسعود أن من الذنوب التي لا تغفر أن يقال للرجل إتق الله فيقول عليك نفسك .

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾

[**اللغة**] الشراء من الأضداد يقال شرى إذا باع وشرى إذا إشترى وقوله ﴿ **وشروه بثمن بخس دراهم معدودة** ﴾ أي باعوه[1] والرضا ضد السخط وقد تقدم معنى الرؤوف .

[**الإعراب**] إبتغاء نصب لأنه مفعول له كقول الشاعر :

وَٱغْفِرْ عَوْرَاءَ الكَرِيمِ ادِّخَارَهُ وَٱعْرِضُ عَنْ قَوْلِ ٱلْلَئِيمِ تَكَرُّما

[**النزول**] روى السدي عن ابن عباس قال نزلت هذه الآية في علي بن أبي طالب حين هرب النبي (ﷺ) عن المشركين إلى الغار ونام علي (ع) على فراش النبي (ﷺ) ونزلت الآية بين مكة والمدينة وروي أنه لما نام على فراشه قام جبرائيل عند رأسه وميكائيل عند رجليه وجبرائيل ينادي بخ بخ من مثلك يا ابن أبي طالب يباهي الله بك الملائكة وقال عكرمة نزلت في أبي ذر الغفاري جندب بن السكن وصهيب بن سنان لأن أهل أبي ذر أخذوا أبا ذر فانفلت منهم فقدم على النبي (ﷺ) فلما رجع مهاجراً أعرضوا عنه فانفلت حتى نزل على النبي (ﷺ) وأما صهيب فإنه أخذه المشركون من أهله فافتدى منهم بماله ثم خرج مهاجراً وروي عن علي وابن عباس أن المراد بالآية الرجل الذي يقتل على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقال قتادة نزلت في المهاجرين والأنصار وقال الحسن هي عامة في كل مجاهد في سبيل الله .

[**المعنى**] ثم عاد سبحانه إلى وصف المؤمن الآمر بالمعروف في قوله وإذا قيل له

(١) [والمرضاة].

إتق الله لأنْ هذا القائل أمر بالخير والمعروف فقال ﴿ **ومن الناس من يشري** ﴾ أي يبيع نفسه ﴿ **إبتغاء مرضاة الله** ﴾ أي لابتغاء رضاء الله وإنما أطلق عليه إسم البيع لأنه إنما فعل ما فعل لطلب رضاء الله كما أن البائع يطلب الثمن بالبيع والله رؤوف بالعباد أي واسع الرحمة بعبيده يُنيلهم ما حاولوه من مرضاته وثوابه .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾

[**القراءة**] قرأ أهل الحجاز والكسائي في ﴿ **السلم كافة** ﴾ بفتح السين والباقون بكسرها .

[**الحجة**] قال الأخفش السلم بكسر السين الصلح وفيه ثلاث لغات السِّلْم السَّلْم السَّلَم وأنشد :

أنـائِـلُ إنّـنـي سـلْم لأهْـلِكَ فَـاقْـبَـلي سـلْمِـي

قال أبو عبيدة السلم بكسر السين والإسلام واحد وهو في موضع آخر المسالمة والصلح والسلم الاستسلام ومنه قوله تعالى ﴿ **ورجلا سَلَما لرجل** ﴾ أي مستسلماً له منقاداً لما يريده منه فيكون مصدراً وصف به ويحتمل أيضاً أن يكون فَعَلا بمعنى فاعل مثل بطل وحسن ونظيره يابس ويَبَس وواسط ووَسَط .

[**اللغة**] ﴿ **كافة** ﴾ معناه جميعاً واشتقاقه في اللغة مما يكف الشيء في آخره ومن ذلك كفة القميص لحاشيته لأنها تمنعه من أن ينتشر وكل مستطيل فحرفه كفة ويقال في كل مستدير كفة نحو كفة الميزان واستكف السائل وتكفف إذا بسط كفّه للسؤال وكل شيء جمعته فقد كففته واستكف القوم بالشيء إذا أحدقوا به .

[**الإعراب**] كافة منصوب على الحال من الواو في ادخلوا وقيل هو حال من السلم ولكم يتعلق بمحذوف فهو في موضع نصب على الحال من عدوّ .

[**المعنى**] لما قدم تعالى ذكر الفرق الثلاث من العباد دعا جميعهم إلى الطاعة والانقياد فقال ﴿ **يا أيها الذين آمنوا** ﴾ أي صَدّقوا الله ورسوله ﴿ **أدخلوا في السلم** ﴾ أي في الإسلام أي دوموا فيما دخلتم فيه كقوله ﴿ **يا أيها الذين آمنوا آمِنوا بالله ورسوله** ﴾ عن

ابن عباس والسدي والضحاك ومجاهد وقيل معناه ادخلوا في السلم في الطاعة عن الربيع وهو اختيار البلخي والكلام محتمل للأمرين وحملها على الطاعة أعم ويدخل فيه ما رواه أصحابنا من أن المراد به الدخول في الولاية ﴿ **كافة** ﴾ أي جميعاً أي ادخلوا جميعاً في الاسلام والطاعة والاستسلام وقيل معناه ادخلوا في السلم كله أي في جميع شرائع الاسلام ولا تتركوا بعضه معصية ويؤيد هذا القول ما روي أن قوماً من اليهود أسلموا وسألوا النبي أن يبقي عليهم تحريم السبت وتحريم لحم الإبل فأمرهم أن يلتزموا جميع أحكام الاسلام ﴿ **ولا تتبعوا خطوات الشيطان** ﴾ أي آثاره ونزعاته لأن ترككم شيئاً من شرائع الاسلام إتباع للشيطان ﴿ **إنه لكم عدو مبين** ﴾ أي مظهر للعداوة بامتناعه من السجود لآدم بقوله لأحتنكن ذريته إلاّ قليلاً .

﴿ فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾

[**اللغة**] يقال زَلّ الرجلُ يَزِّلُ زَلاّ وزَلَلاً ومَزلّة إذا أذنب وزل في الطريق زليلاً وأصله من الزوال ومعنى الزلة الزوال عن الاستقامة والعزيز هو القدير المنيع الذي لا يعجزه شيء وأصل العزة الامتناع ومنه أرضٌ عَزاز إذا كانت ممتنعة بالشدة وقد ذكرنا معنى الحكيم فيما سبق .

[**الإعراب**] ما حرف موصول وجاءتكم صلته واعلموا جملة في موضع الرفع لأنها بعد الفاء في جواب الشرط والفاء مع الجملة في محل الجزم أو محل الرفع لأنه جواب شرط مبني .

[**المعنى**] لمّا أمر سبحانه عباده بالطاعة عقبّه بالوعيد على تركها فقال ﴿ **فإن زللتم** ﴾ أي تنحّيتم عن القصد وعدلتم عن الطريق القويم الذي أمركم الله تعالى بسلوكه ﴿ **من بعد ما جاءتكم البيّنات** ﴾ أي الحجج والمعجزات ﴿ **فاعلموا أن الله عزيز** ﴾ في نقمته لا يمتنع شيء من بطشه وعقوبته ﴿ **حكيم** ﴾ فيما شرع من أحكام دينه لكم وفيما يفعله بكم من العقاب على معاصيكم بعد إقامة الحجة عليكم .

﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ
وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٢١٠﴾

[**القراءة**] قرأ أبو جعفر والملائكة بالجرّ والباقون بالرفع وقرأ ابن عامر والكسائي وحمزة ﴿ **ترجع الأمور** ﴾ بفتح التاء والباقون بضمّها .

[**الحجة**] منْ قرأ والملائكة بالجر فإنه عطفها على الغمام أي في ظلل من الغمام وفي ظلل من الملائكة أي جماعة من الملائكة وقراءة السبعة بالرفع عطفاً على قوله الله أي إلا أن يأتيهم الله وإلا أن يأتيهم الملائكة وحجّة من قرأ ﴿ **تُرجع الأمور** ﴾ على بناء الفعل للمفعول به قوله ثم ردّوا إلى الله ولئن رددت إلى ربي ولئن رجعت إلى ربي وحجة من قرأ تَرجع على بناء الفعل للفاعل قوله ألا إلى الله تصير الأمور إليه مرجعكم .

[**اللغة**] النظر هنا بمعنى الانتظار كما في قول الشاعر :

فَبَيْنَا نَحْنُ نَنْظُرُهُ أتَانَا مُعَلِّقَ شَكْوَةٍ وَزِنَادِ رَاعٍ[1]

أي ننتظره وأصل النظر الطلب لإدراك الشيء وإذا إستعمل بمعنى الانتظار فلأن المنتظر يطلب إدراك ما يتوقع وإذا كان بمعنى الفكر بالقلب فلأن المتفكر يطلب به المعرفة وإذا كان بالعين فإن الناظر يطلب الرؤية والظُّلَل جمع ظلة وهي ما يستظل به من الشمس وسميّ السحاب ظلة لأنه يستظل به والغمام السحاب الأبيض الرقيق سمي بذلك لأنه يغمّ أي يستر .

[**الإعراب**] هل حرف إستفهام بمعنى النفي . إلا ها هنا لنقض النفي . أن يأتيهم الله في موضع نصب ينظرون . من الغمام يتعلق بمحذوف فهو جملة ظرفية في موضع الجر صفة ظلل .

[**المعنى**] ثم عقّب سبحانه ما تقدم من الوعيد بوعيد آخر فقال ﴿ **هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام** ﴾ أي هل ينتظر هؤلاء المكذّبون بآيات الله إلا أن يأتيهم أمر الله أو عذاب الله وما توعدهم به على معصيته في ستر من السحاب وقيل قطع من السحاب وهذا كما يقال قتل الأمير فلاناً وضربه وأعطاه وإن لم يتولّ شيئاً من ذلك بنفسه بل فعل بأمره فأسند إليه لأمره به وقيل معناه ما ينتظرون إلا أن يأتيهم جلائل آيات الله غير أنه ذكر نفسه تفخيماً للآيات كما يقال دخل الأمير البلد ويراد بذلك جنده وإنما ذكر الغمام ليكون أهول فإن الأهوال تشبه بظلل الغمام كما قال سبحانه وإذا غشيهم موج

(١) الشكوة : وعاء من جلد للماء أو اللبن . والزناد جمع الزند العود الذي تقدح به النار .

كالظلل وقال الزجاج معناه يأتيهم الله بما وعدهم من العذاب والحساب كما قال فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا أي أتاهم بخذلانه إياهم وهذه الأقوات متقاربة المعنى بل المعنى في الجميع واحد أي هل ينتظرون إلا يوم القيامة وهو إستفهام يراد به النفي والانكار أي ما ينتظرون كما يقال هل يطالب بمثل هذا إلا مُتَعَنِّتٌ أي ما يطالب ومثله في التنزيل هل ينظرون إلا أن يأتيهم الملائكة أو يأتي أمر ربك وقد يقال أتى وجاء فيما لا يجوز عليه المجيء والذهاب تقول أتاني وعيد فلان وجاءني كلام فلان وَأتاني حديثه ولا يراد به الإتيان الحقيقي قال :

أتاني فَلَمْ أُسُرْ بِهِ حِينَ جاءَنِي حَـدِيثٌ بِـأَعْلَى القُبَّتَيْنِ عَجِيْبُ

وقال الآخر :

أتـاني نَصْـرُهُـمْ وَهُمُ بَعِيْـدٌ بِـلادُهُـمُ بِـأَرْضِ الخَيْـزَرانِ

وأما قوله ﴿ **والملائكة** ﴾ فقد ذكرنا الوجه في رفعه وجرّه قبل وقيل معنى الآية إلا أن يأتيهم الله بظلل من الغمام أي بجلائل آياته وبالملائكة وقوله ﴿ **وقضي الأمر** ﴾ معناه فرغ من الأمر وهو المحاسبة وإنزال أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار هذا في الآخرة وقيل معناه وجب العذاب أي عذاب الاستئصال وهذا في الدنيا ﴿ **وإلى الله ترجع الأمور** ﴾ أي إليه تردّ الأمور في سؤاله عنها ومجازاته عليها وكانت الأمور كلها له في الابتداء فسلك بعضها في الدنيا غيره ثم يصير كلها إليه في الحشر لا يملك أحد هناك شيئاً وقيل إليه ترجع أمور الدنيا والآخرة .

﴿ سَلْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍ ۗ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢١١﴾

[**الإعراب**] كَم في موضع نصب لأنه مفعول ثان لآتينا وإنما وجب له صدر الكلام لتضمنه معنى الاستفهام ثم إن هذه الجملة التي هي ﴿ **كم آتيناهم من آية** ﴾ قد وقعت موقع المفعول الثاني لقوله : ﴿ **سل** ﴾ من آية يتعلق بآتينا أيضاً وما حرف موصول جاءت صلته والموصول والصلة في موضع جر بإضافة بعد إليه .

[**المعنى**] ﴿ **سل** ﴾ يا محمد ﴿ **بني إسرائيل** ﴾ أي أولاد يعقوب وهم اليهود الذين

كانوا حول المدينة والمراد به علماؤهم وهو سؤال تقرير لتأكيد الحجة عليهم ﴿ **كم آتيناهم** ﴾ أي أعطيناهم ﴿ **من آية بيّنة** ﴾ من حجة ظاهرة واضحة مثل اليد البيضاء وقلب العصا حيةوفلق البحر وتظليل الغمام عليهم وإنزال المنّ والسلوى عن الحسن ومجاهد وقيل كم من حجة واضحة لمحمد تدلّ على صدقه عن الجبائي ﴿ **ومن يبدّل نعمة الله من بعد ما جاءته** ﴾ في الكلام حذف وتقديره فبدّلوا نعمة الله وكفروا بآياته وخالفوه فضلّوا وأضلّوا ومن يبدل الشكر عليها بالكفران وقيل من يصرف أدلة الله عن وجوهها بالتأويلات الفاسدة الخالية من البرهان ﴿ **فإن الله شديد العقاب** ﴾ له وقيل شديد العقاب لمن عصاه فيدخل فيه هذا المذكور وفي الآية دلالة على فساد قول المجبرة في أنه ليس لله سبحانه على الكافرين نعمة لأنه حكم عليهم بتبديل نعم الله كما قال في موضع آخر يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها ونحو ذلك من وجه آخر وهو أنه أضاف التبديل إليهم وأوعدهم عليه بالعقوبة فلو لم يكن فعلهم لما إستحقوا العقوبة . والتبديل هو أن يحرف أو يكتم أو يتأول على خلاف جهته كما فعلوه في التوراة والإنجيل وكما فعلوه مبتدعة الأمة في القرآن .

[**النظم**] لمّا بيّن الله تعالى شرائعه وإن الناس فيها ثلاث فرق مؤمن وكافر ومنافق ثم وَعَدَ وَأوْعَدَ وَأوْعَد بيّن بعد ذلك أن تركهم الإيمان ليس بتقصير في الحجج ولكن لسوء طباعهم وخبث أفعالهم فقد فعلوا قبلك يا محمد هذا الصنيع فقال ﴿ **سل بني إسرائيل** ﴾ .

﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢١٢﴾

[**اللغة**] التزيين والتحسين واحد والزين خلاف الشين والزينة اسم جامع لكل ما يتزين به .

[**الإعراب**] الدنيا صفة الحياة بغير حساب الجار والمجرور في **محل النصب على** الحال والعامل فيه يرزق وذو الحال الضمير في يرزق أو الموصول الذي **هو من** يشاء وتقديره غير محاسَب أو غير محاسِب .

[**النزول**] نزلت الآية في أبي جهل وغيره من رؤساء قريش بسطت **لهم الدنيا وكانوا** يسخرون من قوم من المؤمنين فقرأ مثل عبد الله بن مسعود وعمار **وبلال وخباب ويقولون**

لو كان محمد نبياً لاتبعه أشرافنا عن ابن عباس وقيل نزلت في عبد الله بن أبي وأصحابه يسخرون من ضعفاء المؤمنين عن مقاتل وقيل نزلت في رؤساء اليهود من بني قريظة والنضير وقينقاع سخروا من فقراء المهاجرين عن عطا ولا مانع من نزوله في جميعهم .

[**المعنى**] ثم بيّن سبحانه أن عدولهم عن الإيمان إنما هو لإيثارهم الحياة الدنيا فقال **﴿ زين للذين كفروا الحياة الدنيا ﴾**[1] وفيه قولان (أحدهما) أن الشيطان زيّنها لهم بأن قوّى دواعيهم وحسن فعل القبيح والإخلال بالواجب إليهم فأما الله فلا يجوز أن يكون المُزّين لهم إياها لأنه زهَّد فيها وقال واعلم أنها متاع الغرور وقال قل متاع الدنيا قليل عن الحسن والجبائي (والآخر) أن الله زيّنها لهم بأن خلق فيها الأشياء المحبوبة المعجبة وبما خلق لهم من الشهوة لها كما قال زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير الآية وإنما كان كذلك لأن التكليف لا يتمّ إلا مع الشهوة فإن الإنسان إنما يكلف بأن يدعى إلى شيء تنفر نفسه عنه أو يزجر عن شيء تتوق نفسه إليه وهذا معنى قول النبي (ﷺ) حُفّت الجنة بالمكاره وحُفَّت النار بالشهوات وإنما ذكر الفعل وهو مستند إلى الحياة لأن تأنيث الحياة غير حقيقي وهو بمعنى العيش والبقاء ونحوهما ولأنه فصّل بين الفعل والفاعل بقوله **﴿ للذين كفروا ﴾** وإذا قالوا في التأنيث الحقيقي حضر القاضيَ اليومَ امرأةٌ وجوزوا التذكير فيه فهو في التأنيث غير الحقيقي أجوز **﴿ ويسخرون من الذين آمنوا ﴾** ويهزؤن من المؤمنين لفقرهم وقيل لإيمانهم بالبعث وجدّهم في ذلك وقيل لزهدهم في الدنيا ويمكن حمله على الجميع إذ لا تنافي بين هذه الأقوال **﴿ والذين إتقوا فوقهم يوم القيامة ﴾** أي الذين إجتنبوا الكفر فوق الكفار في الدرجات وقيل أراد أن تمتعهم بنعيم الآخرة أكثر من استمتاع هؤلاء في الآخرة بنعيم الدنيا وقيل أراد أن حالهم فوق هؤلاء الكفار لأنهم في عليين وهؤلاء في سجين وهذا كقوله **﴿ أصحاب الجنة يومئذ خير مستقراً ﴾** ومثله قول حسان يعني رسول الله وأبا جهل (فشركما لخيركما الفداء) وقيل أنه أراد أن حال المؤمنين في الهزء بالكفار والضحك منهم في الآخرة حال فوق هؤلاء في الدنيا ويدلّ على ذلك قوله تعالى **﴿ إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون ﴾** إلى قوله **﴿ فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون ﴾** **﴿ والله يرزق من يشاء بغير حساب ﴾** قيل فيه أقوال (أحدها) أن معناه يعطيهم الكثير الواسع الذي لا يدخله الحساب من كثرته (وثانيها) أنه لا يرزق الناس في الدنيا على مقابلة أعمالهم وإيمانهم وكفرهم فلا

---

(١) هذا من نقل الآية بالمعنى وإلا تلفظ الآية هكذا ﴿ وما الحيوٰة الدنيا إلا متاع الغرور . آل عمران ، ١٨٥ ﴾.

يدل بسط الرزق الكافر على منزلته عند الله وإن قلنا أن المراد به في الآخرة فمعناه أن الله لا يثيب المؤمنين في الآخرة على قدر أعمالهم التي سلفت منهم بل يزيدهم تفضلاً (وثالثها) أنه يعطيه عطاءاً لا يؤاخذه بذلك أحد ولا يسأله عنه سائل ولا يطلب عليه جزاء ولا مكافاة (ورابعها) أنه يعطي العدد من الشيء لا يضبط بالحساب ولا يأتي عليه العدد لأن ما يقدر عليه غير متناه ولا محصور فهو يعطي الشيء لا من عدد أكثر منه فينقص منه كمن يعطي الألف من الألفين والعشرة من المائة عن قطرب (وخامسها) أن معناه يعطي أهل الجنة ما لا يتناهى ولا يأتي عليه الحساب وكل هذه الوجوه جائز حسن .

﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾

[**القراءة**] قرأ أبو جعفر القاري وحده لُيحكَم بضم الياء وفتح الكاف والباقون بفتح الياء وضم الكاف .

[**الحجة**] وجه القراءة الظاهرة أن الكتاب يحكم ويكون على التوسع كقوله تعالى ﴿ **هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق** ﴾ ويجوز أن يكون فاعل يحكم الله أي ليحكم الله في عباده ووجه قراءة أبي جعفر ظاهر .

[**اللغة**] الأمة على وجوه ذكرناها عند قوله تلك أمة قد خلت وهي هنا بمعنى الملة والدين .

[**الإعراب**] ﴿ **مبشرين ومنذرين** ﴾ نصب على الحال بالحق في موضع الحال والعامل فيه أنْزلَ وذو الحال الكتاب ﴿ **ليحكم** ﴾ جار ومجرور واللام يتعلق بأنزل و ﴿ **بغيا**

(١) أي في صفحة ٢١٥ .

بينهم ﴾ نصب على أنهم مفعول له أي لم يوقعوا الاختلاف إلا للبغي ويجوز أن يكون مصدراً وقع موقع الحال **﴿ وما ﴾** اسم موصول و **﴿ اختلفوا ﴾** صلته واللام يتعلق بهَدى ومن الحق في موضع الحال من الموصول والعامل فيه هَدى والباء في بإذنه يتعلق بهدى أيضاً .

[**المعنى**] ثم بيّن سبحانه أحوال مَن تقدم من الكفار تسلية للنبي فقال **﴿ كان الناسُ أمةً واحدةً ﴾** أي ذوي أمة واحدة أي أهل ملة واحدة وعلى دين واحد فحذف المضاف واختلف في أنهم على أيّ دين كانوا فقال قوم أنهم كانوا على الكفر وهو المروي عن ابن عباس في إحدى الروايتين والحسن واختاره الجبائي قم إختلفوا في أيّ وقتٍ كانوا كفاراً فقال الحسن كانوا كفاراً بين آدم ونوح وقال بعضهم كانوا كفاراً بعد نوح إلى أن بعث الله إبراهيم والنبيين بعده وقال بعضهم كانوا كفاراً عند مبعث كل نبي وهذا غير صحيح لأن الله بعث كثيراً من الأنبياء إلى المؤمنين فإن قيل كيف يجوز أن يكون الناسُ كلهم كفاراً والله تعالى لا يجوز أن يُخْلِيَ الأرض من حجة له على خلقه قلنا يجوز أن يكون الحق هناك في واحد أو جماعة قليلة لم يمكنهم إظهار الدين خوفاً وتقية فلم يعتد بهم إذا كانت الغلبة للكفار وقال آخرون إنهم كانوا على الحق وهو المروي عن قتادة ومجاهد وعكرمة والضحاك وابن عباس في الرواية الأخرى ثم اختلفوا فقال ابن عباس وقتادة هم كانوا بين آدم ونوح وهم عشر فرق كانوا على شريعَة من الحق فاختلفوا بعد ذلك وقال الواقدي والكلبي هم أهل سفينة نوح حين غرق الله الخلق ثم إختلفوا بعد ذلك فالتقدير على قول هؤلاء كان الناس أمة واحدة فاختلفوا **﴿ فبعث الله النبيين ﴾** وقال مجاهد المراد به آدم كان على الحق إماماً لذريته فبعث الله النبيين في ولده وروى أصحابنا عن أبي جعفر الباقر (ع) أنه قال كانوا قبل نوح أمة واحدة على فطرة الله لا مهتدين ولا ضُلاَلا فبعث الله النبيين وعلى هذا فالمعنى أنهم كانوا متعبدين بما في عقولهم غير مهتدين إلى نبوة ولا شريعة ثم بعث الله النبيين بالشرائع لما علم أن مصالحهم فيها فبعث الله أي أرسل الله النبيين **﴿ مبشرين ﴾** لمن أطاعهم بالجنة **﴿ ومنذرين ﴾** لمن عصاهم بالنار **﴿ وأنزل معهم الكتاب ﴾** أي أنزل مع كل واحد منهم الكتاب وقيل معناه وأنزل مع بعثهم الكتاب إذ الأنبياء لم يكونوا مُنَزلين حتى ينـزل الكتاب معهم وأراد به مع بعضهم لأنه لم ينزل مع كل نبي كتاب وقيل المراد به الكتب لأن الكتاب إسم جنس فمعناه الجمع قوله **﴿ بالحق ﴾** أي بالصدق والعدل وقيل معناه وأنزل الكتاب بأنه حق وأنه من عند الله وقيل معناه وأنزل الكتاب بما فيه من بيان الحق وقوله **﴿ ليحكم بين الناس ﴾** الضمير في يحكم يرجع إلى

الله أي ليحكم الله منزل الكتاب وقيل يرجع إلى الكتاب أي ليحكم الكتاب فأضاف الحكم إلى الكتاب وإن كان الله هو الذي يحكم على جهة التفخيم لأمر الكتاب ﴿ **فيما إختلفوا فيه** ﴾ من الحق قبل إنزال الكتاب ومتى سئل عن هذا فقيل إذا كانوا مختلفين في الحق فكيف عَمّهم الكفر في قول مَن قال أنهم كانوا كلهم كفاراً فجوابه أنه لا يمتنع أن يكونوا كفاراً وبعضهم يكفر من جهة الغلو وبعضهم يكفر من جهة التقصير كما كفرت اليهود والنصارى في المسيح فقالت النصارى هو رب وقالت اليهود هو كاذب وقوله ﴿ **وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه** ﴾ معناه وما اختلف في الحق إلا الذين أعطوا العلم به كاليهود فإنهم كتموا صفة النبي بعدما أعطوا العلم به ﴿ **من بعد ما جاءتهم البينات** ﴾ أي الأدلة والحجج الواضحة وقيل التوراة والإنجيل وقيل معجزات محمد ﴿ **بغياً بينهم** ﴾ أي ظلماً وحسداً وطلباً للرئاسة وقوله ﴿ **فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه** ﴾ معناه فهدى الله الذين آمنوا للحق مما إختلفوا فيه بعلمه والإذن بمعنى العلم مشهور في اللغة قال الحارث بن حُلِّزة « آذَنَتنا بَبَيْنِها أسماء » أي أعلمتنا وإنما خص المؤمنين لأنهم إختصوا بالاهتداء وقيل إن معنى بإذنه بلطفه فعلى هذا يكون في الكلام محذوف أي فاهتدوا بإذنه وإنما قال هداهم لما اختلفوا فيه من الحق ولم يقل هداهم للحق فيما اختلفوا فيه لأنه لما كانت العناية بذكر الاختلاف كان أولى بالتقديم فَقدّمه ثم فسَّره بِمِن ﴿ **والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم** ﴾ فيه أقوال (أحدها) أن المراد به البيان والدلالة والصراط المستقيم هو الإسلام وخَصّ به المكلفين دون غيرهم ممن لا يحتمل التكليف عن الجبائي (وثانيها) أن المراد به يهديهم باللطف فيكون خاصاً بمن علم من حاله أنه يصلح به عن البلخي وابن الأخشيد (وثالثها) أن المراد به يهديهم إلى صراط الجنة ويأخذ بهم على طريقها فتكون مخصوصاً بالمؤمنين .

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾

[**القراءة**] قرأ نافع وحده حتى يقول بالرفع والباقون بالنصب .

[**الحجة**] من نصب فالمعنى وزلزلوا إلى أن قال الرسول وما يُنصب بعد حتى جاء

مِن الأفعال على ضربين (أحدهما) أن يكون بمعنى إلى كما في الآية والآخر أن يكون بمعنى كي كما تقول أسلمت حتى أدخل الجنة فهذا تقديره أسلمت كي أدخلَ الجنة فالإسلام قد كان والدخول لم يكن وفي الوجه الأول كلا الفعلين السبب والمسبب قد مضى وأما من قرأ بالرفع فالفعل الواقع بعد حتى لا يكون إلا فعل حال ويجيء أيضاً على ضربين (أحدهما) أن يكون الفعل الأول الذي هو السبب قد مضى والفعل الثاني المسبب لم يمض كما تقول مرض حتى لا يرجونه وتتّجه الآية على هذا الوجه لأن المعنى زلزلوا فيما مضى حتى أن الرسول يقول الآن متى نصر الله وحكيت الحال التي كانوا عليها كما حكيت الحال في قوله هذا من شيعته وهذا من عدوه (والثاني) أن يكون الفعلان جميعاً قد مضيا نحو سرت حتى أدخلها فالدخول متصل بالسير بلا فصل بينهما والحال محكية كما كانت في الوجه الأول ألا ترى أن ما مضى لا يكون حالاً وحتى إذا رفع الفعل بعدها حرف يستأنف الكلام بعدها وليست العاطفة ولا الجارة وإذا نصب الفعل بعدها فهي الجارة وينصب الفعل بعدها بإضمار أن كما ينصب بعد اللام. والفعل وأن المضمرة معها في موضع جر .

[**اللغة**] الزلزلة شدة الحركة والزلزال البلية المزعجة لشدة الحركة والجمع زلازل وأصله من قولك زلّ الشيء عن مكانه ضوعف لفظه لمضاعفة معناه نحو صر وصرصر وصل وصلصل فإذا قلت زلزلته فتأويله كررت تحريكه عن مكانه .

[**الإعراب**] أم هذه هي المنقطعة ومعناه بل أحسبتم والفرق بين أحسبتم وأم حسبتم أن أم لا تكون إلا متصلة بكلام والألف تكون مستأنفة . أن تدخلوا صلة وموصول في موضع نصب بأنه مفعول حسبتم وقد سدّا مسدّ مفعوليه وقيل مفعوله الثاني محذوف وتقديره أم حسبتم دخولكم الجنة ثابتاً والجنة نصب لأنها ظرف مكان لتدخلوا ولَمّا أصلُها لَمْ زيد عليها ما فغيّرت معناها كما غيّرت معنى لو إذا قلت لوما فصيرته بمعنى هلّا والفرق بين لم ولما إن لمّا يصح أن يوقف عليها مثل قولك في جواب من يقول أقَدِمَ الأمير ؟ لمّا ولا يجوز أن يقول لَمْ وفي لمّا توقّع لأنها عقيبة قد إذا إنتظر قوم ركوب الأمير قلت قد ركب فإن نفيتَ هذا قلت لمّا يركب وليس كذلك لم ويجمعهما نفي الماضي « مَثَل » مرفوع بأنه صفة محذوفٍ مرفوع بيأتي تقديره ولِمّا يأتكم نَصَبٌ مَثَل الذي أصاب الذين خلوا من قبلكم وإضافة مثل غير حقيقية لأنه في تقدير الانفصال فالمجرورَ في تقدير المنصوب لأنه مفعول وَلَمّا مع الجملة في موضع نصب على الحال والواو واو الحال وتقديره أن تدخلوا

الجنة غير مُصابين ومستهم البأساء في موضع الحال أيضاً بإضمار قد والعامل فيه خلوا وزلزلوا معطوفة على مَسّتْهم ونصر الله مبتدأ وإضافته غير حقيقية ومتى في موضع خبر المبتدأ .

[**النزول**] قيل نزلت يوم الخندق لما إشتدت المخافة وحوصر المسلمون في المدينة فدعاهم الله إلى الصبر ووعدهم بالنصر عن قتادة والسدي وقيل نزلت في حرب أحُد لَمّا قال عبد الله بن أبيّ لأصحاب النبي إلى متى تقتلون أنفسكم لو كان محمد نبيّاً ما سلّط الله عليه الأسر والقتل وقيل نزلت في المهاجرين من أصحاب النبي (ﷺ) إلى المدينة إذ تركوا ديارهم وأموالهم ومَسَّهم الضرّ عَن عطا .

[**المعنى**] ثُمّ ذَكر سبحانه ما جرى على المؤمنين من الأمم الخالية تسلية لنبيّه ولأصحابه فيما لهم من المشركين وأمثالهم لأن سماع أخبار الخيار الصالحين يرغب في مثل أحوالهم فقال ﴿ **أم حسبتم** ﴾ معناه بل أظننتم وخلتم أيها المؤمنون ﴿ **أن تَدْخُلوا الجنةَ ولمّا يأتِكُم مَثَل الذين خَلَوا مِن قبلكم** ﴾ معناه ولمّا تمتحنوا وتبتلوا بمثل ما امتحنوا به فتصبروا كما صبروا وهذه إستدعاء إلى الصبر وبعده الوعد بالنصر والمِثْل مِثْلُ الشِبْه والشَبَه أي لم يصبكم شبه الذين خلوا أي مضوا قبلكم من النبيين والمؤمنين وفي الكلام حذف وتقديره مثل محنة الذين أو مصيبة الذين مضوا ثم ذكر سبحانه ما أصاب أُولئك فقال ﴿ **مستهم البأساء والضراء** ﴾ والمسّ واللمس واحد والبأساء نقيض النعماء والضراء نقيض السراء وقيل البأساء القتل والضراء الفقر وقيل هو ما يتعلق بمضار الدين من حرب وخروج من الأهل والمال وإخراج فَمُدِحوا بذلك إذ توقعوا الفرج بالصبر ﴿ **وزلزلوا** ﴾ أي حُرِّكوا بأنواع البلايا وقيل معناه هنا أُزْعِجوا بالمخافة من العدو وذلك لفرط الحيرة ﴿ **حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله** ﴾ قيل هذا إستعجال للموعود كما يفعله الممتحن وإنما قاله الرسول استبطاء للنصر على جهة التمني وقيل إن معناه الدعاء لله بالنصر ولا يجوز أن يكون على جهة الاستبطاء لنصر الله لأن الرسول يعلم أن الله لا يؤخره عن الوقت الذي توجبه الحكمة ثم أخبر الله سبحانه أنه ناصر أوليائه لا محالة فقال ﴿ **ألا إن نصر الله قريب** ﴾ وقيل إن هذا من كلامهم بأنهم قالوا عند الاياس ﴿ **متى نصر الله** ﴾ ثم تفكروا فعلموا أن الله منجز وعده فقالوا ﴿ **ألا أن نصر الله قريب** ﴾ وقيل أنه ذَكَر كلام الرسول والمؤمنين جملة وتفصيلاً وقال المؤمنون متى نصر الله وقال الرسول ﴿ **ألا إن نصر الله قريب** ﴾ كقوله جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله أي لتسكنوا بالليل ولتبتغوا من فضله بالنهار .

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾

[**اللغة**] النفقة إخراج الشيء من الملك ببيع أو هبة أو صلة أو نحو ذلك وقد غلب في العرف على إخراج ما كان من المال من عين أو ورق والسؤال طلب الجواب بصيغة مخصوصة من الكلام .

[**الإعراب**] موضع ما من قوله ﴿ **ماذا ينفقون** ﴾ يحتمل أن يكون مرفوعاً أو منصوباً فأما الرفع فيكون على تقدير ما الذي ينفقون أي أيّ شيء الذي ينفقونه والعائد من الصلة محذوف ويكون ذا موصولاً بمنزلة الذي وينفقون صلته والنصب على تقدير أيّ شيء ينفقون فيكون ما وذا بمنزلة شيء واحد ويكون ذا لغوا لأن ما مفيدة للمعنى وما مِن قوله ما أنفقتم اسم للشرط في محل الرفع بالابتداء وأنفقتم في محل الجزم بما من خير جار ومجرور في موضع الحال ومن للتبيين وتقديره ما أنفقتم كائناً مِن خير فذو الحال الضمير المحذوف من الصلة فللوالدين الجار والمجرور خبر مبتدأ محذوف والمبتدأ والخبر في محل الرفع لوقوعهما بعد الفاء والفاء مع ما بعده جواب للشرط ومعنى حرف الشرط الذي تضمنه ما مع الشرط والجزاء في موضع رفع لأنها خبر المبتدأ الأول ﴿ **وما تفعلوا** ﴾ ما اسم شرط في محل النصب بتفعلوا ويجوز أن يكون ما في أنفقتم أيضاً منصوب الموضع بأنفقتم فيكون مفعولاً له .

[**النزول**] نزلت في عمرو بن الجموح وكان شيخاً كبيراً ذا مال كثير فقال يا رسول الله بماذا أتصدق وعلى مَنْ أتصدق فأنزل الله هذه الآية .

[**المعنى**] ﴿ **يسألونك** ﴾ يا محمد ﴿ **ماذا** ﴾ إلى أيّ شيء ينفقون والسؤال عن الإنفاق يتضمن السؤال عن المنفق عليه فإنهم قد علموا أن الأمر وقع بإنفاق المال فجاء الجواب ببيان كيفية النفقة وعلى من ينفق فقال قل يا محمد ﴿ **ما أنفقتم من خير** ﴾ أي مال فدلّ على أن له مقداراً وأنه مما ينتفع به لأن مالا ينتفع به لا يسمى خيراً ﴿ **فللوالدين**

(١) [والمثل] . (٢) [ما] .

والأقربين ﴾ والمراد بالوالدين الأب والأم والجد والجدة وإن علوا لأنهم يدخلون في إسم الوالدين والمراد بالأقربين أقارب المعطي ﴿ **واليتامى** ﴾ أي كل من لا أب لـه مع صغره ﴿ **والمساكين** ﴾ الفقراء ﴿ **وابن السبيل** ﴾ المُنقَطع به واختلفوا في هذه النفقة فقال الحسن المراد به نفقة التطوع على من لا يجوز وضع الزكاة عنده والزكاة لمن يجوز وضع الزكاة عنده فهي عامة في الزكاة المفروضة وفي التطوع وقال السدي الآية واردة في الزكاة ثم نسخت ببيان مصارف الزكاة والأول أظهر لأنه لا دليل على نسخها واتفق العلماء على أنه لا يجوز دفع الزكاة إلى الأب والأم والجد والجدة وإلى الأولاد فأما النفقة فلا خلاف أن النفقة على الوالدين إذا كانا فقيرين واجبة وأما النفقة على ذي الرحم فلا يجب عندنا وعند الشافعي ويجب عند أبي حنيفة وقوله ﴿ **وما تفعلوا من خير** ﴾ أي من عمل صالح يقربكم إلى الله ﴿ **فإن الله به عليم** ﴾ يجازيكم به من غير أن يَضيعَ منه شيء لأنه تعالى لا يخفى عليه شيء .

[**النظم**] ووجه اتصال هذه الآية بما قبلها أنّ الآية الأولى فيها دعاء إلى الصبر على الجهاد في سبيل الله وفي هذه الآية بيان لوجه النفقة في سبيل الله وكل ذلك دعاء إلى فعل البرّ والطاعة .

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾

[**اللغة**] الكَره بالفتح المشقة التي تحمل على النفس والكُره بالضم المشقة حمل على النفس أو لم يحمل وقيل الكَرْه الكراهة والكُره المشقة وقد يكره الإنسان ما لا يشق عليه وقد يشق عليه ما لا يكرهه وقيل الكَرْه والكُرْه لغتان مثل الضَعف والضُعف والخير نقيض الشر والخير النفع الحسن والشر الضرر القبيح وهذا هو الأصل ثم يستعملان في غير ذلك توسعاً يقال شر يَشِرّ شَرارة وشَرار النار وشررها لهبها وشِرَة الشباب نشاطه وتشرير اللحم أو الثوب أن تبسطه ليجفّ والإشرار الإظهار .

[**الإعراب**] ﴿ **وهو كره لكم** ﴾ فيه حذف وتقديره وهو ذو كره لكم ويجوز أن يكون

معناه وهو مكروه لكم فوقع المصدر موقع المفعول ومثله رجل رضا أي ذو رضا ويجوز أن يكون بمعنى مَرْضيّ ﴿ **وعسى أن تكرهوا** ﴾ موضع أن تكرهوا رفع بأنه فاعل عسى وعسى هذه تامة لأنها تمت بالفاعل ولم تحتج إلى خبر .

[**المعنى**] هذه الآية بيان لكون الجهاد مصلحة لمن أمر به قال سبحانه ﴿ **كتب عليكم القتال** ﴾ أي فرض عليكم الجهاد في سبيل الله ﴿ **وهو كره لكم** ﴾ أي شاق عليكم تكرهونه كراهة طباع لا على وجه السخط وقد يكون الشيء مكروهاً عند الإنسان في طبعه ومن حيث تنفر نفسه عنه وإن كان يريده لأن الله تعالى أمره بذلك كالصوم في الصيف وقيل معناه أنه مكروه لكم قبل أن يكتب عليكم لأن المؤمنين لا يكرهون ما كتب الله عليهم ﴿ **وعسى أن تكرهوا شيئاً** ﴾ معناه وقد تكرهون شيئاً في الحال وهو خير لكم في عاقبة أموركم كما تكرهون القتال لما فيه من المخاطرة بالروح ﴿ **وهو خير لكم** ﴾ لأن لكم في الجهاد إحدى الحسنيين إما الظفر والغنيمة وإما الشهادة والجنة ﴿ **وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم** ﴾ أي وقد تحبون ما هو شر لكم وهو القعود عن الجهاد لمحبة الحياة وهو شر لما فيه من الذل والفقر في الدنيا وحرمان الغنيمة والأجر في العقبى ﴿ **والله يعلم** ﴾ أي يعلم ما فيه مصالحكم ومنافعكم وما هو خير لكم في عاقبة أمركم ﴿ **وأنتم لا تعلمون** ﴾ ذلك فبادروا إلى ما يأمركم به وإن شق عليكم وأجمع المفسرون إلا عطاء إن هذه الآية دالة على وجوب الجهاد وفرضِه غير أنه فرض على الكفاية حتى أن لو قعد جميع الناس عنه أثموا به وإن قام به مَن في قيامه كفاية وغناء سقط عن الباقين وقال عطاء إنّ ذلك كان واجباً على الصحابة ولم يجب على غيرهم وقوله شاذ عن الإجماع .

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ
قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ
وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ
وَلَا يَزَالُونَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ
ٱسْتَطَـٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ

حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾

[**اللغة**] الصَدّ والمنع والصرف نظائر يقال صَدَّ عن الشيء يَصِدّ صُدوداً وصَدا إذا أعرض وعدل عنه وصدّ غيره يصُده صدا إذا عدل به عنه ومنعه والصَدَد ما استقبلك وصار في قُبالتك لأنه يعدل إلى مواجهتك والصِدّان ناحيتا الشعب والوادي والصُدّاد ضرب من الجِرْذان يعد لك لشدة تحرّزه والصُدّاد الوزغ لأنه يعدل عنه استقذاراً له وأصل الباب العدو. لا يزال أصله من الزوال وهو العدول ومعنى لا يزال يدوم موجوداً وما زال أي دام. وحبط عمل الرجل حَبَطا وحُبُوطاً وأحبطه الله إحباطاً والحبط فساد يلحق الماشية في بطونها لأكل الحباط وهو ضرب من الكلأ يقال حبطت الإبل تحبط حبطاً إذا أصابها ذلك ثم سمي الهلاك حبطاً وفي الحديث ان ممّا يُنبت الربيع ما يقتل حبطاً أو يُلِمُّ.

[**الإعراب**] قتال فيه مجرور على البدل من الشهر وهو بدل الاشتمال لأن الزمان يشتمل على ما يقع فيه ومثله في المكان قوله ﴿ **قتل أصحاب الأخدود**﴾ النار وقال الأعشى :

لَقَدْ كَانَ في حَوْلٍ ثَواءٍ ثَوَيْتُهُ تَقَضّى لَبَانَاتٍ وَيَسْأَمُ سَائِمُ[1]

وقال الكوفيون هو مجرور على إضمار عن وقال بعضهم هو على التكرير وهذه ألفاظ متقاربة في المعنى وإن اختلف في العبارة عنه وقوله قتال مرفوع بالابتداء وكبير خبره وصَدٌّ عن سبيل الله مبتدأ وكفر به معطوف عليه وإخراج أهله منه معطوف عليه أيضاً وخبره أكبر عند الله أي هذه الأشياء أكبر عند الله أي أعظم إثماً وأجاز الفراء رفعه على وجهين (أحدهما) أنه مردود على كبير أي قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به أي القتال قد جمع أنه كبير وأنه صد عن سبيل الله وكفر به (والآخر) أن يجعل الصد الكبير أي القتال فيه كبير والصد عن سبيل الله كبير فيكون مرتفعاً بالابتداء وخبره محذوف وخطّأه العلماء بالنحو قالوا لأنه يصير المعنى في التقدير الأول قل القتال في الشهر الحرام كفر بالله وهذا خطأ بالإجماع ويصير التقدير في الثاني وإخراج أهله منه أكبر عند الله من الكفر وهذا أيضاً خطأ بالاجماع وللفراء أن يقول في هذه: المعنى وإخراج أهله منه أكبر من

(١) ثوى المكان : أقام واللبانات بضم اللام: الحاجات من غير فاقة. والسامة: الملالة والشاهد في قوله ثواء فإنه بدل الاشتمال من حول .

القتل فيه لا من الكفر به لأن المعنى في إخراج أهله منه إخراج النبي والمؤمنين بعده فأما الوجه الأول فلا مخلص للفراء منه والمسجد الحرام مجرور عطف على سبيل الله كأنه قال وصد عن سبيل الله وعن المسجد الحرام وهو قول المبرد وقيل أنه عطف على الشهر الحرام كأنه قال يسألونك عن القتال في الشهر الحرام والمسجد الحرام وهو قول الفراء ولا يجوز حمله على الباء في قوله وكفر به لأنه لا يعطف على الضمير المجرور إلا بإعادة الجار إلا في ضرورة الشعر ومن يرتدد على اظهار التضعيف لسكون الثاني ويجوز يرتدَّ بفتح الدال على التحريك لالتقاء الساكنين بأخف الحركات ويجوز بكسر الدال على أصل التحريك لالتقاء الساكنين والفتح أجود .

[**النزول**] قال المفسرون بعث رسول الله سريّة من المسلمين وأمَّر عليهم عبد الله بن جحش الأسدي وهو ابن عمة النبي ﷺ وذلك قبل قتال بدر بشهرين على رأس سبعة عشر شهراً من مقدمه المدينة فانطلقوا حتى هبطوا نخلة فوجدوا بها عمرو بن الحضرمي في عير تجارة لقريش في آخر يوم من جمادى الآخرة وكانوا يرون أنه من جمادى وهو رجب فاختصم المسلمون فقال قائل منهم هذه غرة من عدو وغُنْم رزقتموه ولا ندري أمن الشهر الحرام هذا اليوم أم لا وقال قائل منهم لا نعلم هذا اليوم إلا من الشهر الحرام ولا نرى أن تستحلوه لطمَع أشفيتم(١) عليه فغلب على الأمر الذي يريدون عرض الحياة الدنيا فشدوا على ابن الحضرمي فقتلوه وغنموا عيره فبلغ ذلك كفار قريش وكان ابن الحضرمي أول قتيل قتل بين المشركين والمسلمين وذلك أول فيء أصابه المسلمون فركب وفد كفار قريش حتى قدموا على النبي ﷺ فقالوا أيَحلّ القتال في الشهر الحرام فأنزل الله هذه الآية .

[**المعنى**] ﴿ **يسألونك** ﴾ يا محمد والسائلون أهل الشرك على جهة العيب للمسلمين باستحلالهم القتال في الشهر الحرام عن الحسن وأكثر المفسرين وقيل السائلون أهل الإسلام سألوا عن ذلك ليعلموا كيف الحكم فيه ﴿ **عن الشهر الحرام قتال فيه** ﴾ يعني عن قتال في الشهر الحرام وهو رجب سمي بذلك لتحريم القتال فيه ولعظم حرمته ولذلك كان يسمى في الجاهلية منزع الأسنة ومنصل الألّ(٢) لأنهم كانوا ينزعون الأسنة والنصال عند دخول رجب انطواء على ترك القتال فيه وكان يدعى الأصم لأنه لا يسمع فيه قعقعة السلاح فنسب الصمم إليه كما قيل ليل نائم وسرّ كاتم فكان الناس لا يخاف بعضهم بعضاً وتأمن

---

(١) أي أشرفتم .
(٢) الأل والالة : الحربية . جميع أدوات الحرب .

السبل إلى أن ينقضي الشهر ﴿ **قل** ﴾ يا محمد ﴿ **قتال فيه** ﴾ أي في الشهر الحرام ﴿ **كبير** ﴾ أي ذنب عظيم ثم استأنفه وقال ﴿ **وصدّ عن سبيل الله وكفر به** ﴾ أي والصد عن سبيل الله والكفر بالله ﴿ **والمسجد الحرام** ﴾ أي والصد عن المسجد الحرام وعلى القول الآخر معناه يسألونك عن القتال في الشهر الحرام وعند المسجد الحرام وقيل معناه والكفر والمسجد الحرام عن الجبائي فحمله عن الباء في قوله ﴿ **وكفر به وإخراج أهله** ﴾ يعني أهل المسجد وهم المسلمون ﴿ **ومنه** ﴾ أي من المسجد ﴿ **أكبر** ﴾ أي أعظم وِزْراً ﴿ **عند الله** ﴾ يعني إخراجهم المسلمين من مكة حين هاجروا إلى المدينة والظاهر يدل على أن القتال في الشهر الحرام كان محرَّماً لقوله ﴿ **قل قتال فيه كبير** ﴾ وذلك لا يقال إلا فيما هو محرم محظور وقيل أن النبي ﷺ عقل ابن الحضرمي وقوله ﴿ **والفتنة أكبر من القتل** ﴾ معناه الفتنة في الدين وهو الكفر أعظم من القتل في الشهر الحرام يعني قتل ابن الحضرمي وقال قتادة وغيره أن تحريم القتال في الشهر الحرام وعند المسجد الحرام منسوخ بقوله ﴿ **وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة** ﴾ وبقوله ﴿ **أُقتلوا المشركين حيث وجدتموهم** ﴾ وقال عطاء هو باق على التحريم وعندنا أنه باق على التحريم فيمن يرى لهذه الأشهر حرمة ولا يبتدئون فيها بالقتال وكذلك في الحرم وإنما أباح الله تعالى للنبي ﷺ قتال أهل مكة عام الفتح فقال (ع) إن الله أحلّها لي في هذه الساعة ولا يحلّها لأحد من بعدي إلى يوم القيامة ومن لا يرى منهم حرمة الحرم وحرمة هذه الأشهر جاز قتاله أيُّ وقت كان والتحريم منسوخ في حقه وقوله تعالى : ﴿ **ولا يزالون يقاتلونكم** ﴾ يعني أهل مكة يقاتلونكم يا معشر المسلمين ﴿ **حتى يردّوكم عن دينكم** ﴾ أي يصرفوكم عن دين الإسلام ويلجئوكم إلى الارتداد ﴿ **إن استطاعوا** ﴾ أي إنْ قدروا على ذلك ﴿ **ومن يرتدد منكم عن دينه** ﴾ هذا تحذير عن الارتداد ببيان استحقاق العذاب عليه ﴿ **فيمت وهو كافر** ﴾ يعني مات على كفره ﴿ **فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة** ﴾ معناه أنها صارت بمنزلة ما لم يكن لإيقاعهم إياها على خلاف الوجه المأمور به لأن احباط العمل وإبطاله عبارة عن وقوعه على خلاف الوجه الذي يستحق عليه الثواب وليس المراد أنهم استحقوا على أعمالهم الثواب ثم انحبط لأنه قد دلّ الدليل على أن الإحباط على هذا الوجه لا يجوز ﴿ **أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون** ﴾ أي دائمون .

[**النظم**] نظم الآية وتقديرها يسألونك عن القتال في الشهر الحرام وعند المسجد الحرام فقل ذلك كبير ولكن الكفر بالله وصد المسلمين عن بيت الله ودينه وإخراجهم عن أوطانهم أعظم عند الله وأكبر وزراً وهؤلاء الكفار مع هذه الأفعال يقاتلونكم ليردوكم عن

الدين فكل واحد من هذا أعظم مما سألوا عنه .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾

[**اللغة**] الهجر ضد الوصل يقال هجَره يهجُره هِجْراناً وهَجْراً وهُجْرة إذا قطع مواصلته وهجر المريض يهجُر هَجْراً إذا قال ما ينبغي أن يهجر من الكلام وسموا المهاجرين لهجرتهم قومهم وأرضهم وإنما أطلق على هؤلاء اللفظ الذي يقع على الاثنين لأن كل واحد من هؤلاء فعل مثل فعل صاحبه وترك ما تركه اختياراً لصحبة النبي وجاهدت العدو مجاهدة وجهاداً إذا حملت نفسك على المشقة في قتاله والرجاء الأمل وقوله ما لكم لا ترجون لله وقاراً أي لا تخافون وقال أبو ذؤيب :

إِذا لَسَعَتْهُ النَحْلُ لَمْ يَرْجُ لَسْعَها وَخَـالَفَهَا فِيْ بَيْتِ نُـوْبٍ عَوامِـلِ(١)

أي لم يخف وذلك أن الرجاء للشيء معه الخوف من أن لا يكون فلذلك سمي الخوف باسم الرجاء .

[**النزول**] نزلت الآية في قصة عبد الله بن جحش وأصحابه لما قاتلوا في رجب وقتل واقد السهمي ابنَ الخضرمي فظنّ قوم أنهم إن سلموا من الإثم فليس لهم أجر فأنزل الله الآية فيهم بالوعد .

[**المعنى**] ﴿ **إن الذين آمنوا** ﴾ أي صدّقوا الله ورسوله ﴿ **والذين هاجروا** ﴾ أي قطعوا عشائرهم وفارقوا منازلهم وتركوا أموالهم ﴿ **وجاهدوا في سبيل الله** ﴾ أي قاتلوا الكفار في طاعة الله التي هي سبيله المشروعة لعباده وإنما جمع بين هذه الأشياء لبيان فضلها والترغيب فيها لا لأن الثواب لا يستحق على واحد منها على الانفراد ﴿ **أولئك يرجون رحمة الله** ﴾ أي يأملون نعمة الله في الدنيا والعقبى وهي النصرة في الدنيا والمثوبة في العقبى ﴿ **والله غفور** ﴾ يغفر ذنوبهم ﴿ **رحيم** ﴾ يرحمهم وإنما ذكر لفظ الرجاء للمؤمنين وإن كانوا يستحقون الثواب قطعاً ويقيناً لأنهم لا يدرون ما يكون منهم في

(١) النوب بالضم : النحل التي تنوب أي تذهب وتجيء عوامل تجيء بالشمع ثم تعمله. قوله وخالفها أي حملها إلى عملها وهي ترعى .

المستقبل الإقامة على طاعة الله أو الانقلاب عنها إلى معصية الله ووجه آخر وهو الصحيح وهو أن يرجوا رحمة الله في غفران معاصيهم التي لم يتفق لهم التوبة منها واخترموا دونها فهُم يرجون أن يسقط الله عقابها عنهم تفضلاً فأما الوجه الأول فإنما يصح على مذهب من يُجوّز أن يكفر المؤمن بعد إيمانه أو يفعل في المستقبل كبيرة تحبط ثواب إيمانه وهذا لا يصح على مذهبنا في الموافاة وقال الحسن أراد به إيجاب الرجاء والطمع على المؤمنين لأن رجاء رحمة الله من أركان الدين واليأس من رحمته كفر كما قال ﴿ **ولا ييأس من روح الله** ﴾ الآية والأمن من عذابه خسران كما قال ﴿ **ولا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون** ﴾ فمن الواجب على المؤمن أن لا ييأس من رحمته وأن لا يأمن من عقوبته ويؤيّده قوله تعالى ﴿ **يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه** ﴾ وقوله ﴿ **يدعون ربهم خوفاً وطمعاً** ﴾ وليس في الآية دلالة على أن من مات مصرّاً على كبيرة لا يرجو رحمة الله لأمرين (أحدهما) أن الدليل المفهوم غير صحيح عند أكثر المحصلين (والآخر) أنه قد يجتمع عندنا الإيمان والهجرة والجهاد مع ارتكاب الكبيرة ولا يخرج من هذه صورته عن تناول الآية له .

[**النظم**] وجه اتصال هذه الآية بما قبلها أنه لما ذكر في الأولى العذاب ذكر بعدها الثواب ليكون العبد بين الخوف والرجاء إذ ذاك أحق بتدبير الحكماء وأوكد في الاستدعاء .

﴿ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٠﴾

(١) [عداه] .

آيتان في الكوفي وآية واحدة فيما عدّ الكوفي تتفكرون آية وتركها غيره .

[**القراءة**] قرأ أهل الكوفة غير عاصم إثم كثير بالثاء والباقون بالباء وقرأ أبو عمرو وحده قل العفو بالرفع والباقون بالنصب .

[**الحجة**] قال أبو علي حجة من قرأ بالباء أن يقول الباء أولى لأن الكبر مثل العظم ومقابله الصغر والكبير العظيم قال تعالى : ﴿ **وكل صغير وكبير مستطر** ﴾ وقد استعملوا في الذنب إذا كان موبقاً الكبيرة كقوله ﴿ **كبائر ما تنهون عنه وكبائر الإثم** ﴾ فلذلك ينبغي أن يكون قوله ﴿ **قل فيهما إثم كبير** ﴾ بالباء لأن شرب الخمر والميسر من الكبيرة وقالوا في غير الموبق صغير وصغيرة ولم يقولوا قليل ومقابل الكثير القليل كما أن مقابل الكبير الصغير ويدل على ذلك أيضاً قوله ﴿ **وإثمهما أكبر من نفعهما** ﴾ واتفاقهم هنا على أكبر ورفضهم لأكثر ووجه من قرأ بالثاء أنه قد جاء فيهما إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة وفي الحديث لعن الرسول في الخمر عشرة مشتريها والمشتراة له وعاصرها والمعصورة له وساقيها والمستقي لها وحاملها والمحمولة إليه وآكل ثمنها فهذا يقوي قراءة من قرأ كثير وأما وجه قول من نصب العفو فهو أنّ قولهم ماذا يستعمل على ضربين (أحدهما) أن يكون ما مع ذا اسماً واحداً (والآخر) أن يكون ذا بمعنى الذي فالأول قول العرب عما ذا تسأل أثبتوا الألف في ما لِما كان ما مع ذا بمنزلة اسم واحد فإن الحذف إنما يقع إذا كانت الألف آخراً ومن ذلك قول الشاعر :

يَا خُـزْرَ تَغْلِبَ مَـاذا بَـالُ نِسْوَتِكُمْ   لَا يَسْتَفِقْـنَ إلى الدَّيْرَيْـنِ تحْتَـانَـا(١)

أي ما بال نسوتكم فإذا كان ما مع ذا بمنزلة إسم واحد كان قوله ماذا ينفقون في موضع نصب بمنزلة ما ينفقون أي أيّاً ما ينفقون فجواب هذا العفوَ بالنصب وأما وجه قول من رفع فهو أن يجعل ماذا على الضرب الآخر فيكون تقديره ما الذي ينفقون فجوابه العفوُ على أن يكون خبر مبتدأ محذوف أي الذي ينفقون العفو ومثله في التنزيل وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الأولين واعلم أن سيبويه لا يجّوز أن يكون ذا بمنزلة الذي إلّا في هذا الموضع لما قامت الدلالة على ذلك والكوفيون يُجيزون في غير هذا الموضع

(١) الخزر جمع الأخزر : الرجل الضيّق العين وهذا عند العرب من النقائص الشنيعة. لا يستفقن أي لا يرجعن. التحنان : الشوق .

ويحتجّون بقول الشاعر :

عَدَسْ ما لِعَبَّادٍ عَلَيكِ إمارَةٌ نَجَوتِ وَهذا تَحْمِلينَ طَليقُ(١)

وبقوله سبحانه وما تلك بيمينك يا موسى ولا دلالة لهم في الآية فإن قوله بيمينك يجوز أن يكون ظرفاً في موضع الحال فلا يكون صلة وكذلك تحملين في البيت والعامل في الحال في الموضعين ما في المبهم مِن معنى الفعل .

[**اللغة**] الخمر أصله الستر والخمر ما واراك من الشجر وغيره ومنه الخِمار للمقنعة ودخل في خُمار الناس أي في الكثير الذي يستتر فيهم ويقال خامَرَه الداء إذا خالطه قال كُثَيِّر :

هَنيئاً مَرِيئاً غَيرَ داءٍ مُخامِرٍ لِعِزَّةَ مِنْ أعْراضِنا مَا اسْتَحَلَتِ(٢)

وخمرت الأناء أي غطيته وفي الحديث كان النبي يسجد على الخُمرة وهي السجادة الصغيرة من الحصير سميت بذلك لأنها تستر الوجه عن الأرض قال الزجاج وقد لبس على أبي الأسود الدؤلي فقيل له أنّ هذا المسكر الذي سَمّوه بغير الخمر حلال فظن أنّ ذلك كما قيل له ثم ردّه طبعه إلى أن حكم بأنهما واحد فقال له :

دَعِ الْخَمرَ تَشْرَبْهَا الْغُواةُ فَإنَّني رَأَيْتُ أَخاهَا مُجْزِياً بِمَكانِها(٣)
فَإنْ لا يَكُنْها أَو تَكُنْهُ فَإنَّهُ أَخُوها غَذَتْهُ أُمُّهُ بِلِبانِها

وأصل الباب الستر والميسر القمار إشتق من اليسر وهو وجوب الشيء لصاحبه من قولك يَسَرَ لي هذا الشيء يَيْسِر يَسْراً وميسراً إذا وجب لك والياسر الواجب بقداح وجب لك أو غيره وقيل للمقامر ياسر ويَسَر قال النابغة :

أَوْ ياسِرٌ ذَهَبَ القِداحُ بِوَفْرِهِ أَسِفٌ تَأَكَّلَهُ الصَديقُ مُخَلَّعُ(٤)

أي قامر وقيل أخذ من التجزئة لأن كل شيء جزّأته فقد يسرته والياسر الجازر والميسر الجزور وقيل أخذ من اليُسْر وهو السهولة لأنهم كانوا يشتركون في الجزور ليسهل

(١) الشعر في جامع الشواهد .
(٢) عزة : اسم امرأة والمعنى هنيئاً لعزة كلما استحلت من أعراضي إلا الداء الذي خالطني .
(٣) والمعنى اترك الخمر للغواة واختر لنفسك أخاها فإنه إن لم تكن تلك هي لكنه يكون أخوها بالرضاع .
(٤) الوفر : المال الكثير . تأكله : غضب عليه . والمخلع : الرجل الضعيف الرخو .

أمرها إلا أنه على جهة القمار والعفو مأخوذ من الزيادة ومنه قيل حتى عفوا أي زادوا على ما كانوا عليه من العدد قال الشاعر :

وَلٰكِنَّا يَعَضُّ السَّيْفُ مِنَّا بِأَسْوُقِ عَافِيَاتِ الشَّحْمِ كُومِ[١]

أي زائدات الشحم وقيل هو مأخوذ من الترك من قوله فمن عفي له من أخيه شيء أي ترك ومنه قوله عفوت لكم عن صدقة الخيل أي تركتها فيكون العفو المتروك غني عنه والمخالطة مجامعة يتعذر معها التمييز كمخالطة الخل للماء وما أشبهه والخليطان الشريكان لاختلاط أموالهما والخليط : القوم أمرهم واحد والاعنات الحمل على مشقة لا تطاق ثقلاً وعنِت العظم عنَتاً أصابه وهن أو كسر بعد جبر وعنِت عنَتا إذا إكتسب مأثماً وتعنته تعنتاً إذا لبَّس عليه في سؤاله له والأكمة العَنُوتُ الطويلة وأصل الباب المشقة والشدة .

[**الإعراب**] العامل في الظرف من قوله في الدنيا والآخرة قوله يبين أي مبين لكم الآيات في أمر الدنيا والآخرة ويجوز أن يكون تتفكرون أيضاً أي تتفكرون في أمر الدنيا وأمر الآخرة وقوله فإخوانكم رفع على أنه خبر مبتدأ محذوف وتقديره فهم إخوانكم ويجوز في العربية فإخوانكم على النصب على تقدير فإخوانكم يخالطون والوجه الرفع .

[**النزول**] نزلت في جماعة من الصحابة أتوا رسول الله ﷺ فقالوا أفتنا في الخمر والميسر فإنها مذهبة للعقل مسلبة للمال فنزلت الآية .

[**المعنى**] ثم عاد سبحانه إلى بيان الشرائع والأحكام فقال ﴿ **يسألونك** ﴾ يا محمد ﴿ **عن الخمر** ﴾ وهي كل شراب مسكر مخالط للعقل مغطّ عليه وما أسكر كثيره فقليله خمر هذا هو الظاهر في روايات أصحابنا وهو مذهب الشافعي وقيل الخمر عصير العنب إذا اشتدّ وغلى وهو مذهب أبي حنيفة ﴿ **والميسر** ﴾ وهو القمار كله عن ابن عباس وابن مسعود ومجاهد وقتادة والحسن وهو المروي عن أئمتنا حتى قالوا أن لعب الصبيان بالجوز هو القمار ﴿ **قل فيهما** ﴾ أي في الخمر والميسر ﴿ **إثم كبير** ﴾ أي وزر عظيم وكثير من الكثرة ﴿ **ومنافع للناس** ﴾ منفعة الخمر ما كانوا يأخذونه في أثمانها وما يحصل من اللذة والطرب والقوة بشربها ومنفعة القمار هو أن يفوز الرجل بمال صاحبه من غير كدّ ولا مشقة ويرتفق به الفقراء ﴿ **وإثمهما أكبر من نفعهما** ﴾ أي ما فيهما من الإثم أكبر مما فيهما من النفع لأن نفعهما في الدنيا وما يحصل من الإثم بهما يوجب سخط الله في الآخرة فلا

---

(١) يعضّ السيف من أعضضته سيفي إذا ضربته به . الكوم بالضم جمع الكوماء : الناقة العظيمة السنام .

يظهر في جنبه إلا نفع قليل لا بقاء له قال الحسن في الآية تحريم الخمر من وجهين (أحدهما) قوله وإثمهما أكبر فإنه إذا زادت مضرة الشيء على منفعته إقتضى العقل الامتناع عنه (والثاني) أنه بيَّن أن فيهما الإثم وقد حرّم في آية أُخرى الإثم فقال قل إنما حرّم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم وقيل إن الخمر يسمى إثماً في اللغة قال الشاعر :

شَـرِبْتُ الإثْمِ حَتى ضَـلَّ عَقْلِي كَـذٰاكَ الإثْـمُ يَصْـنَـعُ بـالعُقُـولِ

على أنه قد وصف الإثم بأنه كبير والكبير محرّم بلا خلاف وقال الضحاك معناه وإثمهما بعد تحريمهما أكبر من نفعهما قبل تحريمهما وقال سعيد بن جبير كلاهما قبل التحريم يعني أن الإثم الذي يحدث من أسبابهما أكبر من نفعهما وقال قتادة هذه الآية لا تدل على تحريمهما وإنما تدل الآية التي في المائدة من قوله إنما الخمر والميسر إلى آخرها وقوله ﴿ **ويسألونك ماذا ينفقون** ﴾ أي أيّ شيء ينفقون والسائل عمرو بن الجموح سأل عن النفقة في الجهاد وقيل في الصدقات ﴿ **قل العفو** ﴾ فيه أقوال (أحدها) أنه ما فضل عن الأهل والعيال أو الفضل عن الغنى عن ابن عباس وقتادة (وثانيها) أن العفو الوسط من غير إسراف ولا إقتار عن الحسن وعطا وهو المروي عن أبي عبد الله (ع) (وثالثها) أن العفو ما فضل عن قوت السنة عن أبي جعفر الباقر (ع) قال ونُسخ ذلك بآية الزكاة وبه قال السدي (ورابعها) أن العفو أطيب المال وأفضله وقوله (كذلك) إنما وحّد الكاف لأن الخطاب للنبي ويدخل فيه الأمة وقيل أن تقديره كذلك أيها القبيل ﴿ **يبين الله لكم الآيات** ﴾ أي الحجج في أمر النفقة والخمر والميسر وقيل في سائر شرائع الإسلام ﴿ **لعلكم تتفكرون** ﴾ أي لكي تتفكروا ﴿ **في الدنيا والآخرة** ﴾ أي في أمر الدنيا وأمر الآخرة فتعلمون أن الدنيا دار بلاء وعناء وفناء والآخرة دار جزاء وبقاء فتزهدوا في هذه وترغبوا في تلك وقيل أنه من صلة يبين أي كما يبين لكم الآيات في الخمر والميسر يبين لكم الآيات في أُمور الدنيا والآخرة لكي تتفكروا في ذلك دلالة على أن الله أراد منهم التفكر سواء تفكروا أو لم يتفكروا ﴿ **ويسألونك عن اليتامى** ﴾ قال ابن عباس لما أنزل الله ولا تقربوا مال اليتيم الآية وأن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنطلق كل من كان عنده يتيم فعزل طعامه من طعامه وشرابه من شرابه واشتدّ ذلك عليهم فسألوا عنه فنزلت هذه الآية ولا بدّ من إضمار في الكلام لأن السؤال لم يقع عن أشخاص اليتامى ولا ورد الجواب عنها فالمعنى يسألونك عن القيام على اليتامى أو التصرف في أموال اليتامى قل يا

محمد ﴿ **إصلاح لهم خير** ﴾ يعني إصلاح لأموالهم من غير أُجرة ولا أخذ عوض منهم خير وأعظم أجراً ﴿ **وإن تخالطوهم** ﴾ أي تشاركوهم في أموالهم وتخلطوها بأموالكم فتصيبوا من أموالهم عوضاً عن قيامكم بأمورهم ﴿ **فإخوانكم** ﴾ أي فهم إخوانكم والإخوان يُعين بعضهم بعضاً ويصيب بعضهم من مال بعض وهذا أذن لهم فيما كانوا يتحرّجون منه من مخالطة الأيتام في الأموال من المأكل والمشرب والمسكن ونحو ذلك ورخصة لهم في ذلك إذا تحرّوا الصلاح بالتوفير على الأيتام عن الحسن وغيره وهو المروي في إخبارنا ﴿ **والله يعلم المفسد من المصلح** ﴾ معناه والله يعلم من كان غرضه من مخالطة اليتامى إفساد مالهم أو إصلاح مالهم ﴿ **ولو شاء الله لأعنتكم** ﴾ أي لضيَّق عليكم في أمر اليتامى ومخالطتهم وألزمكم ما كنتم تجتنبونه من مشاركتهم وقال الزجاج معناه لكلّفكم ما يشقّ عليكم فتعنتون ولكنه لم يفعل وفي هذا دلالة على بطلان قول المجبرة لأنه سبحانه إذا لم يشأ أعناتهم ولو أعنتهم لكان جائزاً حسناً لكنه وسَّع عليهم لما في التوسعة من النعمة فكيف يصح أن يشاء تكليف ما لا يطاق وكيف يكلف ما لا سبيل للمكلف إليه ويأمره بما لا يتصور إحداثه من جهته وأيّ عنت أعظم من هذا قال البلخي وفيه أيضاً دلالة على فساد[1] مذهب من قال أنه تعالى لا يقدر على الظلم لأن الإعنات بتكليف ما لا يجوز في الحكمة مقدور ولو شاء لفعله ﴿ **إن الله عزيز** ﴾ يفعل بعزته ما يحب لا يدفعه عنه دافع ﴿ **حكيم** ﴾ في تدبيره وأفعاله ليس له عما توجبه الحكمة مانع .

﴿ وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ ۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾

[**اللغة**] النكاح إسم يقع على العقد والوطء وقيل أن أصله الوطء ثم كثر حتى قيل للعقد نكاح كما أن الحدث يسمى عدرة وهي اسم للفناء ويسمى غائطاً وهو إسم للمكان

(١) [مذهب].

المطمئن يقال نكح ينكح نكاحاً إذا تزوج وأنكحه غيره زوَّجه والأمة المملوكة يقال أمة بيّنة الأُمُوَّة وأمَّيْتُ فلانة وتأمَّيتها إذا جعلتها أمة وأصل أمة فَعَلَة بدلالة قولهم في جمعها إماء وآمٍ نحو أكَمَة وإكام وآكُم .

[**الإعراب**] يؤمن في محل النصب بأن مضمرة وأن يؤمن في موضع جرّ بحتى وحتى يتعلق بتنكح ومن مشركة من يتعلق بخير والجار والمجرور في محل النصب بأنه مفعول به ولو أعجبتكم جواب لو محذوف تقديره ولو أعجبتكم أمة مشركة لأمة مؤمنة خير منها ولا تنكحوا المشركين المفعول الثاني محذوف تقديره ولا تنكحوا المشركين الأزواج حتى يؤمنوا وإعراب قوله حتى يؤمنوا وقوله ولو أعجبكم[١] مثل ما قلنا في حتى يؤمن ولو أعجبتكم .

[**النزول**] نزلت في مرثد بن أبي مرثد الغنوي بعثه رسول الله إلى مكة ليخرج منها ناساً من المسلمين وكان قويّاً شجاعاً فدعته امرأة يقال لها عناق إلى نفسها فأبى وكانت خلة[٢] في الجاهلية فقالت هل لك أن تتزوج بي فقال حتى استأذن رسول الله فلما رجع استأذن في التزوج بها فنزلت الآية .

[**المعنى**] لمّا تقدم ذكر المخالطة بيّن تعالى من يجوز مخالطته بالنكاح فقال ﴿ **ولا تنكحوا المشركات** ﴾ أي لا تتزوجوا النساء الكافرات ﴿ **حتى يؤمن** ﴾ أي يصدّقن بالله ورسوله وهي عامة عندنا في تحريم مناكحة جميع الكفار من أهل الكتاب وغيرهم وليست بمنسوخة ولا مخصوصة واختلفوا فيه فقال بعضهم لا يقع إسم المشركات على أهل الكتاب وقد فصّل الله بينهما فقال لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين وما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين وعطف أحدهما على الآخر فلا نسخ في الآية ولا تخصيص وقال بعضهم الآية متناولة جميع الكفار والشرك يطلق على الكل ومن جحد نبوة نبينا محمد (ﷺ) فقد أنكر معجزه وإضافة إلى غير الله وهذا هو الشرك بعينه لأن المعجز شهادة من الله له بالنبوة ثم اختلف هؤلاء فمنهم من قال أن الآية منسوخة في الكتاب بالآية التي في المائدة والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب عن ابن عباس والحسن ومجاهد ومنهم من قال أنها مخصوصة بغير الكتابيات عن قتادة وسعيد بن جبير ومنهم من قال أنها على ظاهرها في تحريم نكاح كل كافرة كتابية كانت أو مشركة عن ابن عمر

(١) [معناه].

(٢) الظاهر سقوط الضمير من اللفظة وإن الصواب « خلته » ويؤيده ما في أسد الغابة حيث قال : « وكانت صديقة له في الجاهلية ». ا.هـ.

وبعض الزيدية وهو مذهبنا وسيأتي بيان آية المائدة في موضعها إن شاء الله ﴿ **ولأمة مؤمنة خير من مشركة** ﴾ معناه مملوكة مصدقة مسلمة خير من حُرّة مشركة ﴿ **ولو أعجبتكم** ﴾ ولو أعجبتكم بمالها أو حسبها أو جمالها وظاهر هذا يدل على أنه يجوز نكاح الأمة المؤمنة مع وجود الطول فأما قوله فمن لم يستطع منكم طولا الآية فإنما هي على التنزيه دون التحريم ﴿ **ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا** ﴾ معناه ولا تنكحوا النساء المسلمات جميع الكفار من أهل الكتاب وغيرهم حتى يؤمنوا وهذا يؤيد قول من يقول أن قوله ﴿ **ولا تنكحوا المشركات** ﴾ يتناول جميع الكافرات وقوله ﴿ **ولعبد مؤمن خير من مشرك** ﴾ أي عبد مصدق مسلم خير من حُرّ مشرك ولو أعجبكم ماله أو حاله أو جماله والفرق بين ولو أعجبكم وبين وإن أعجبكم أنّ لو للماضي وإن للمستقبل وكلاهما يصح في معنى الآية وهو من العجب الذي هو بمعنى الاستعظام وليس من التعجب (أولئك) يعني المشركين ﴿ **يدعون إلى النار** ﴾ يعني إلى الكفر والمعاصي التي هي سبب دخول النار وهذا مثل التعليل لأن الغالب أن الزوج يدعو زوجته إلى دينه ﴿ **والله يدعو إلى الجنة** ﴾ أي إلى فعل ما يوجب الجنة ﴿ **والمغفرة** ﴾ من الإيمان والطاعة ﴿ **بإذنه** ﴾ أي بأمره يعني بما يأمر ويأذن فيه من الشرائع والأحكام عن الحسن والجبائي وقيل بـإعلامه وقوله ﴿ **ويبين آياته للناس** ﴾ أي حججه وقيل أوامره ونواهيه وما يحظره ويبيحه للناس ﴿ **لعلهم يتذكرون** ﴾ أي لكي يتذكروا أو يتعّظوا .

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾

[**القراءة**] قرأ أهل الكوفة غير حفص حتى يطَّهّرْنَ بتشديد الطاء والهاء والباقون بالتخفيف .

[**الحجة**] من قرأ يطهرن فإنه من طُهرت المرأة وطهَرت طهراً وطهارة وطهَرت بالفتح اقيسُ لأنه خلاف طمثت فينبغي أن يكون على بنائه وأيضاً فقولهم طاهر يدل على أنه مثل قعد فهو قاعد ومن قرأ يَطَّهَّرْنَ فإنه يتطهرن فادغم التاء في الطاء .

[**اللغة**] حاضت المرأة تحيض حيضاً ومحيضاً ومحاضاً والمصدر من هذا الباب

المَفْعِل والمَفْعَل جائز فيه قال الراعي :

بُنِيَتْ مَرافِقُهنَّ فَوْقَ مَزِلّةٍ لا يَسْتَطِيعُ بِهَا الْقُرادُ مَقِيلا[1]

أي قيلولة وامرأة حائض ونساء حُيَّض والاعتزال التنحي عن الشيء وكل شيء نَحَّيته عن موضع فقد عزلته عنه ومنه عزل الوالي وأنت عن هذا بِمَعْزِل أي مُتْنحي وعَزْلاءُ المَزادِةِ مخرج الماء من إحدى جانبيها والجمع عَزالٍ والمِعْزال من الناس الذي لا ينزل مع القوم في السفر لكنه ينزل ناحية والطهر خلاف الدَنَس والطهور يكون إسماً ويكون صفة فإذا كان إسماً كان على ضربين (أحدهما) أن يكون مصدراً كما حكاه سيبويه تطهرت طَهوراً حَسَناً وتوضأت وَضُوءاً (والآخر) أن يكون إسماً ليس بمصدر كما جاء في قوله ﴿ **طهوراً ناء أحدكم** ﴾ كذا وهو إسم لما يطهر كالفَطور والوَجُور والسَعوط[2]والسَحور وأما كونه صفة فهو في قوله ﴿ **وأنزلنا من السماء ماء طهوراً** ﴾ فهذا كالرسول والعجوز ونحو ذلك من الصفات التي جاءت على فَعول ولا دلالة فيه على التكرير لما لم يكن متعدياً نحو ضروب ألا ترى أنّ فعله غير متعد كما يتعدى ضربت ومِن الصفة قوله هو الطهور ماؤه لأنه ارتفع به الماء كما يرتفع الإسم بالصفة المتقدمة .

[**الإعراب**] من حيث جار ومجرور ولكن حيث مبني لا يظهر فيه الإعراب وإنما بني لمشابهة الحرف لأنه لا يفيد إلا مع غيره كالحرف ومِن يتعلق بقول فَأتوهُنَّ مِن حيثُ أمركم اللهُ جملة في محل الجر بإضافة حيث إليه .

[**النزول**] قيل كانوا في الجاهلية يتجنبون مواكلة الحايض ومشاربتها ومجالستها فسألوا عن ذلك فنزلت الآية عن الحسن وقتادة والربيع وقيل كانوا يستجيزون إتيان النساء في أدبارهن أيام الحيض فلما سألوا عنه بَيَّن لهم تحريمه عن مجاهد والأول عندنا أقوى .

[**المعنى**] ثمَ بيَّن سبحانه شريعة أخرى فقال ﴿ **ويسألونك** ﴾ يا محمد والسائل أبو الدحداح فيما قيل ﴿ **عن المحيض** ﴾ أي عن الحيض وأحواله ﴿ **قل** ﴾ يا محمد ﴿ **هو أذى** ﴾ معناه قذر ونجس عن قتادة والسدي وقيل دم عن مجاهد وقيل هو أذى لهن وعليهن لما فيه من المشقة قاله القاضي ﴿ **فاعتزلوا النساء في المحيض** ﴾ أي اجتنبوا مجامعتهن

(١) يصف ليلا بالسمن والملاسة . والمزلة : موضع الزلل . والقراد : دويبة تتعلق بالبعير ونحوه وهي كالقمل للانسان .

(٢) الوجور : الدواء الذي يصبّ في الفم . والسعوط : الذي يصبّ في الأنف .

في الفرج عن ابن عباس وعائشة والحسن وقتادة ومجاهد وهو قول محمد بن الحسن ويوافق مذهبنا أنه لا يحرم منها غير موضع الدم فقط وقيل يحرم ما دون الأزار ويحل ما فوقه عن شريح وسعيد بن المسيب وهو قول أبي حنيفة والشافعي ﴿ **ولا تقربوهن** ﴾ بالجماع أو ما دون الأزار على الخلاف فيه ﴿ **حتى يطهرن** ﴾ بالتخفيف معناه حتى ينقطع الدم عنهن وبالتشديد معناه يغتسلن عن الحسن ويتوضأن عن مجاهد وطاوس وهو مذهبنا ﴿ **فإذا تطهرن** ﴾ أي اغتسلن وقيل توضأن وقيل غسلن الفرج ﴿ **فأتوهن** ﴾ فجامعوهن وهو إباحة وإن كان صورته صورة الأمر كقوله وإذا حللتم فاصطادوا ﴿ **من حيث أمركم الله** ﴾ معناه من حيث أمركم الله تجنبه في حال الحيض وهو الفرج عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والربيع وقيل من قِبَل الطهر دون الحيض عن السدي والضحاك وقيل من قبل النكاح دون الفجور عن ابن الحنفية والأول أليق بالظاهر قال الزجاج معناه من الجهات التي تحل فيها أن تقرب المرأة ولا تقربوهن من حيث لا يُحبّ أي لا تقربوهن وهن صائمات أو محرمات أو معتكفات وقال الفراء ولو أراد الفرج لقال في حيث فلما قال من حيث علمنا أنه أراد من الجهة التي أمركم الله بها وقال غيره إنما قال من حيث لأنّ مِن لابتداء الغاية في الفعل نحو قولك أنت زيداً من مأتاه أي من الوجه الذي يؤتى منه ﴿ **إن الله يحب التوابين** ﴾ من الذنوب ﴿ **ويحب المتطهرين** ﴾ قيل معناه المتطهرين بالماء عن عطا وقد رواه[1] أصحابنا أيضاً في سبب نزول الآية وقيل يحب المتطهرين من الذنوب عن سعيد ابن جبير ولم يذكر المتطهرات لأن المؤنث يدخل في المذكر وقيل التوابين من الكبائر والمتطهرين من الصغائر وفي هذه الآية دلالة على وجوب اعتزال المرأة في حال الحيض وفيها ذكر غاية التحريم ويشتمل ذلك على فصول أحدها ذكر الحيض وأقله وأكثره وعندنا أقله ثلاثة أيام وأكثره عشرة أيام وهو قول أهل العراق وعند الشافعي وأكثر أهل المدينة أقله يوم وليلة وأكثره خمسة عشر يوماً وثانيها حكم الوطء في حال الحيض فإن عندنا إن كان في أوله يلزمه دينار وإن كان في وسطه فنصف دينار وإن كان في آخره فربع دينار وقال ابن عباس عليه دينار ولم يُفصّل وقال الحسن يلزمه بدنة أو رقبة أو عشرون صاعاً وثالثها غاية تحريم الوطء واختلف فيه فمنهم مَن جعل الغاية إنقطاع الدم ومنهم من قال إذا توضأت أو غسلت فرجها حل وطؤها عن عطا وطاووس وهو مذهبنا وإن كان المستحب أن لا يقربها إلا بعد الغسل ومنهم من قال إذا إنقطع دمها فاغتسلت حلّ وطؤها عن الشافعي ومنهم من قال إذا كان حيضها عشراً فنفس انقطاع الدم يحلّلها للزوج وإن كان دون العشرة فلا يحلّ وطؤها

(١) [جماعة من].

إلّا بعد الغسل أو التيمم أو مضي وقت الصلاة عليها عن أبي حنيفة .

﴿ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾

[**الإعراب**] أنّىٰ في محل النصب لأنه ظرف مكان إذا كان بمعنى حيث أو أين أو ظرف زمان إذا كان بمعنى متى والعامل فيه فأتوا وشئتم جملة فعلية في موضع الجر بإضافة الظرف إليها وإذا كان أنَّى بمعنى كيف فهو في محل النصب على المصدر ولا محلّ لشئتم وتقديره فأتوا حرثَكم أيَّ نوع شئتم .

[**النزول**] قيل نزلت ردّاً على اليهود حيث قالوا أن الرجل إذا أتى المرأة من خلفها في قبلها خرج الولد أحول فكَذَّبهم الله عن ابن عباس وجابر وقيل انكرتِ اليهودُ اتيانَ المرأة قائمةً وباركةً فأنزل الله إباحته عن الحسن .

[**المعنى**] لمَّا بيَّن تعالى أحوال النساء في الطهر والحيض عَقَّبَ ذلك بقوله ﴿ **نساؤكم حرث لكم** ﴾ وفيه وجهان ـ أحدهما ـ أن معناه مزدرع لكم ومحترث لكم عن ابن عباس والسدي ـ (والثاني) ـ إن معناه ذوات حرث لكم منهن تحرثون الولد واللذة فحذف المضاف وهذا في المعنى مثل الأول عن الزجاج وقال أبو عبيدة كنّى بالحرث عن الجماع والثالث معناه كحرث لكم فحذف كاف التشبيه كما قال الشاعر :

النَشْـرُ مِسْـكٌ وَالْـوُجُـوهُ دَنـا نِـيـرُ وَاطْـرافُ الأُكُـفِّ عَـنَـم[١]

وقد سمى العرب النساء حرثاً قال المفضل بن سلمة أنشدني أبي :

إذا أكَل الجَرادُ حُـروثَ قـومٍ فَـحَـرثي هَـمُّـه أكْـلُ الْـجَـراد

يريد امرأتي ﴿ **فآتوا حرثكم** ﴾ أي موضع حرثكم يعني نساءكم ﴿ **انى شئتم** ﴾ معناه من أين شئتم عن قتادة والربيع قيل كيف شئتم عن مجاهد وقيل متى شئتم عن الضحاك وهذا خطأ عند أهل اللغة لأن أنّىٰ لا يكون إلا بمعنى مِنْ أي كما قال أنّىٰ لكِ هذا وقيل معناه مِن أيّ وجه واستشهد بقول الكَميت :

أنّـىٰ وَمِـن أيـنَ آبَـك الـطَرَبُ مِنْ حَـيْـثُ لا صَبْـوةٌ ولا رَيَبُ[٢]

(١) النشر : ريح فم المرأة . والعنم : شجرة حجازيّة لها ثمرة حمراء تشبه بَنان المخضوبة بها .

(٢) الأوب : الرجوع . الصبوة : الشوق . الريب : الحاجة .

وليس في البيت شاهد لهم لأنه لا يجوز أن يكون أتى به لاختلاف اللفظين كما يقولون متى كان هذا وأيّ وقت كان ويجوز أن يكون بمعنى كيف واستدل مالك بقوله أنّى شئتم على جواز إتيان المرأة في دبرها ورواه عن نافع عن ابن عمر وحكاه زيد بن أسلم عن محمد بن المنكدر وبه قال كثير من أصحابنا وخالف في ذلك جميع الفقهاء وقالوا أن الحرث لا يكون إلا بحيث النسل فيجب أن يكون الوطء حيث يكون النسل فأُجيبوا عن ذلك بأن النساء وإن كنّ لنا حرثاً فقد أبيح لنا وطؤهن بلا خلاف في غير موضع الحرث كالوطء فيما دون الفرج وما أشبهه وقوله ﴿ **وقدّموا لأنفسكم** ﴾ معناه قدموا الأعمال الصالحة التي أمرتم بها ورغبتم فيها لتكون ذخراً لكم عند الله ووجه اتصاله بما قبله أنه لما تقدم الأمر بعدة أشياء قال بعدها وقدّموا لأنفسكم بالطاعة فيما أمرتم به ﴿ **واتقوا الله** ﴾ واتقوا عقاب الله بترك مجاوزة الحد فيما بيّن لكم وفي ذلك الحث على العمل بالواجب الذي عرفوه والتحذير من مخالفة ما ألزموه وقيل معنى التقديم هنا طلب الولد فإن في إقتناء الولد الصالح يكون تقديماً عظيماً لقوله إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا عن ثلاث ولد صالح يدعو له وصدقة جارية وعلم به ينتفع بعد موته وقيل هو تقديم الأفراط[1] لقوله من قدّم ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث[2] لم تمسه النار إلا تحلة القسم فقيل يا رسول الله واثنان قال واثنان وقيل هو التسمية عند الجماع عن عطاء وقيل هو الدعاء عند الجماع عن مجاهد ويؤيده ما روي عن ابن عباس قال قال النبي إذا أراد أحدكم أن يأتي أهله فليقل بسم الله اللهم جنّبني الشيطان وجنّب الشيطان ما رزقتنا فإن قدر بينهما ولد لم يضرّه شيطان وقيل هو التزوج بالعفائف ليكون الولد طاهراً صالحاً ﴿ **واعلموا أنكم ملاقوه** ﴾ أي ملاقو جزائه يعني ثوابه إن أطعتموه وعقابه إن عصيتموه وإنما أضافه إليه على ضرب من المجاز ﴿ **وبشّر المؤمنين** ﴾ بالثواب والجنة ولا يصح حمل اللقاء على الرؤية لأن لفظ اللقاء يقع على معان مختلفة يقال لقي جهده ولقي حمامه ولأن في الآية اثبات اللقاء لجميع العباد وهذا خلاف ما ذهب إليه أهل التشبيه .

﴿ وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَـٰنِكُمْ أَن تَبَرُّوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَتُصْلِحُوا۟ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٤﴾

(١) الافراط جمع الفرط : ما تقدمك من الأجر . ما لم يدرك من الولد .

(٢) غلام لم يدرك الحنث أي لم يجر عليه القلم .

[اللغة] يقال لكل من يصلح للشيء هو عرضة له والمرأة عرضة للنكاح والدابة المُعَدّة للسفر عرضة له وقال الشاعر :

فَهٰذي لِأَيَّامِ الْحُرُوبِ وَهٰذِه لِلَهْوِي وَهٰذي عُرْضَةٌ لِارْتِحالنا

أي عدّة وقال أبو العباس العرضة الاعتراض في الخير والشر واليمين والقسم والحلف واحد وقيل أخذ مِن القوة لأنه يتقوى به على ما يحلف عليه ومنه قوله « تَلَقَّاهَا عَرَابَةُ بِالْيَمِينِ »(١) وقيل أخذ من الجارحة لأنهم كانوا عند الإيمان يضربون أيديهم على أيديهم فسمي الحلف بذلك وقيل أخذ من اليُمن الذي هو البركةلأنه عقد خير يتبرك بذكره للتأكيد .

[الإعراب] قوله ﴿ ان تبروا ﴾ في موضعه ثلاثة أقوال (أحدها) أن موضعه جرّ بحذف اللام عن الخليل قال أبو علي جاز أن يكون المصدر الذي هو أن مع الفعل في موضع جرّ وإن لم يجز ذلك في غير أَنْ لأمرين (أحدهما) أن الكلام قد طال بالصلة فحسن الحذف (والآخر) أنَّ ان حرف وإذا حذف اللام صار كأنّ حرفا كان قد أقيم مقام حرف فعاقَبَهُ فلهذا حسن حذف اللام مع أنْ دون المصدر غير الموصول في اللفظ بالفعل وأقول عنى بذلك أنك إذا قلت جئتك لضرب زيد لم يجز أن تحذف اللام فتقول جئتك ضرب زيد وإذا قلت جئتك لأن تضرب زيداً جاز أن تحذف اللام فتقول جئتك أن تضرب زيداً (والثاني) أن موضعه النصب لأنه لما حذف الجار وصل الفعل وهو قول سيبويه وهو القياس وأقول على القولين جميعاً فيكون تقديره لأن لا تبروا على النفي أو لأن تبروا على الإثبات فعلى القول الأول وهو النفي يكون في موضع النصب بأنه مفعول له وعلى القول الثاني وهو الإثبات يجوز أن يكون مفعولاً له ويجوز أن يكون في محل النصب على الحال والعامل فيه ما في قوله لإيمانكم من معنى الفعل تقديره لا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم كائنة لأن تبروا أي لبركم وذو الحال الايمان (والثالث) ما قاله قوم أن موضعه رفع تقديره أن تبروا وتتقوا أولى فحذف الخبر الذي هو أولى لأنه معلوم المعنى .

[النزول] نزلت في عبد الله بن رواحة حين حلف أن لا يدخل على ختنه ولا يكلمه ولا يصلح بينه وبين امرأته فكان يقول إني حلفت بهذا فلا يحل لي أن أفعله فنزلت الآية .

[المعنى] لما بيّن سبحانه أحوال النساء وما يحل منهن عقَّبه بذكر الإيلاء وهو

(١) قائله الشماخ وصدره « إذا ما راية رفعت لمجد » وعرابة اسم رجل من الأنصار .

اليمين التي تحرم الزوجة فابتدأ بذكر الايمان أولاً تأسيساً لحكم الإيلاء فقال ﴿ **ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم** ﴾ وفي معناه ثلاثة أقوال (أحدها) أن معناه لا تجعلوا اليمين بالله علة مانعة لكم من البر والتقوى من حيث تعتمدونها لتعتلوا بها وتقولوا حلفنا بالله ولم تحلفوا[1] به عن الحسن وطاووس وقتادة وأصله في هذا الوجه الاعتراض الذي هو المانع بينكم وبين البر والتقوى لأن المعترض بين الشيئين يكون مانعاً من وصول أحدهما إلى الآخر فالعلة مانعة كهذا المعترض (والثاني) أن عرضة معناه حجة فكأنه قال لا تجعلوا اليمين بالله حجة في المنع من البر والتقوى فإن كان قد سلف منكم يمين ثم ظهر أن غيرها خير منها فافعلوا الذي هو خير ولا تحتجّوا بما قد سلف من اليمين عن ابن عباس ومجاهد والربيع وأصله في هذا القول والأول واحد لأنه منع من جهة الاعتراض لعلة أو حجة (والثالث) أن معناه لا تجعلوا اليمين بالله عدة مبتذلة[2] في كل حق وباطل لأن تبروا في الحلف بها وتتقوا المآثم فيها عن عائشة لأنها قالت لا تحلفوا به وإن بررتم وبه قال الجبائي وأبو مسلم وهو المروي عن أئمتنا نحو ما رواه عثمان بن عيسى عن أبي أيوب الخزاز قال سمعت أبا عبد الله يقول لا تحلفوا بالله صادقين ولا كاذبين فإنه سبحانه يقول ﴿ **ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم** ﴾ قال أبو مسلم ومن أكثر ذكر شيء في معنى فقد جعله عرضة له وتقول جعلتني عرضة لقومك قال الشاعر : « ولا تجعليني عرضة للوائم » وتقديره على الوجه الأول والثاني لا تجعلوا الله مانعاً من البر والتقوى باعتراضك به حالفاً وعلى الوجه الثالث لا تجعلوا الله مما تحلف به دائماً باعتراضك بالحلف به في كل حق وباطل وقوله ﴿ **ان تبروا** ﴾ قيل في معناه أقوال (الأول) لأن تبروا على معنى الإثبات أي لأن تكونوا بررة أتقياء فإن من قلّت يمينه كان أقرب إلى البر ممن كثرت يمينه وقيل لأن تبروا في اليمين (والثاني) أن المعنى لدفع ان تبروا أو لترك أن تبروا فحذف المضاف عن المبرد (والثالث) أن معناه أن لا تبروا فحذف لا عن أبي عبيدة قال وقد حذف لا لأنه في معنى القسم كقول امرىء القيس « فقلت يمين الله أبرح قاعداً » أي لا أبرح وأنكر المبرد هذا لأنه لما كان معه أنْ بطل أن يكون جواباً للقسم وإنما يجوز والله أقوم في القسم بمعنى لا أقوم لأنه لو كان اثباتاً لقال لأقومنّ باللام والنون والمعنى في قول أبي العباس وأبي عبيدة واحد والتقدير مختلف ﴿ **وتتقوا** ﴾ أي تتقوا الإثم والمعاصي في الإيمان ﴿ **وتصلحوا بين الناس** ﴾ في الإيمان وتصلحوا بين الناس عطف على ما سبق ومعناه ولا تجعلوا الحلف

---

(١) وفي بعض المخطوطة لم تخلفوا بالخاء المعجمة . (٢) كلام مبتذل : كثير الاستعمال .

بالله علة أو حجة في أن لا تبروا ولا تتقوا ولا تصلحوا لكي تكونوا من البررة والأتقياء والمصلحين بين الناس أو لدفع أن تبروا وتتقوا وتصلحوا وعلى الوجه الثالث لا تجعلوا اليمين بالله مبتذلة لأن تبروا وتتقوا وتصلحوا أي بين الناس فإن من كثرت يمينه لا يوثق بحلفه ومن قلت يمينه فهو أقرب إلى التقوى والإصلاح بين الناس ﴿ **والله سميعٌ** ﴾ لأقوالكم ﴿ **عليمٌ** ﴾ بما في ضمائركم لا يخفى عليه من ذلك خافية وفي هذه الآية دلالة على أن من حلف على شيء فرأى غيره خيراً منه فله أن ينقض يمينه ويفعل الذي هو خير وهل يجب عليه الكفارة فيه خلاف فعند أكثر الفقهاء يجب عليه الكفارة ولا كفارة عليه عندنا ومن أقسم على غيره ليفعل فعلاً أو ليمتنع عن فعل ولا يبالي بذلك قال بعضهم أن المقسم عليه لا يأثم بذلك والصحيح أن المقسم عليه يأثم لقول النبي من سألكم بالله فأعطوه ومن استعاذكم بالله فأعيذوه .

﴿ لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَـٰنِكُمْ وَلَـٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾

[**اللغة**] أصل اللغو الكلام الذي لا فائدة فيه يقال لغا يلغو لغواً إذا أتى بكلام لا فائدة فيه وألغى الكلمة إذا طرحها لأنه لا فائدة فيها واللاغية الكلمة القبيحة الفاحشة ومنه اشتقاق اللغة لأنها كلام لا فائدة فيه عند غير أهله ولغو الطائر منطقه قال ثعلبة بن صعير المازني :

بَاكَرْتُهُمْ بِسَبَاءِ جَوْنٍ ذَارِعٍ قَبْلَ الصَّبَاحِ وَقَبْلَ لَغْوِ الطَّائِرِ

واللغاء الذكر بالكلام القبيح لغى يَلْغي لَغًى وأصل الحلم الأناة وهو في صفته تعالى الامهال بتأخير العقاب على الذنب .

[**الإعراب**] في أيمانكم في موضع الحال والعامل فيه يؤاخذ وذو الحال اللغو بما كسبت يجوز أن يكون ما اسماً موصولاً ويجوز أن يكون حرفاً موصولاً .

[**المعنى**] ثم بيّن سبحانه أقسام اليمين فقال ﴿ **لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم** ﴾ اختلفوا في يمين اللغو فقيل هو ما يجري على عادة الناس من قول لا والله وبلى والله من غير عقد على يمين يقتطع بها مال ولا يظلم بها أحد عن ابن عباس وعائشة

والشعبي وهو المروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله وهو قول الشافعي وقيل هو أن يحلف وهو يرى أنه صادق ثم تبيّن أنه كاذب فلا إثم عليه ولا كفارة عن الحسن ومجاهد وقتادة وغيرهم وهو قول أبي حنيفة وأصحابه وقيل هو يمين الغضبان لا يؤاخذكم بالحنث فيها عن ابن عباس أيضاً وطاووس وبه قال سعيد بن جبير إلا أنه أوجب فيها الكفارة وقال مسروق كل يمين ليس له الوفاء فهي لغو ولا يجب فيها كفارة ﴿ **ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم** ﴾ أي بما عزمتم وقصدتم لأن كسب القلب العقد والنية وفيه حذف أي من أيمانكم وقيل بأن تحلفوا كاذبين أو على باطل عن إبراهيم ﴿ **والله غفور** ﴾ يغفر الذنوب ﴿ **حليم** ﴾ يمهل العقوبة على الذنب ولا يعجل بها .

﴿ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ وَإِنْ عَزَمُوا۟ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾

[**اللغة**] آلى الرجل من امرأته يؤلي إيلاء من الإلية والالوة وهي الحلف قال الشاعر :

كَفَيْنَا مَنْ تَغَيَّبَ مِنْ نِزَارٍ وَأَحْنَثْنَا إِلِيَّةَ مُقْسِمِينَا

وائتلى وتألى بمعناه وفي التنزيل ﴿ **ولا يأتل أُولوا الفضل منكم** ﴾ وقرأ ولا يتأل وجمع الالية ألايَا وأَلِيَّات كعشية وعشايا وعشيات وجمع الأَلُوة الأَلِيي كرِكوبة وركائب والتربص الانتظار ويقال تربصت به قال الشاعر :

تَـرَبَّصْ بها رَيْبَ الْمَنُونِ لَعَلَّها تُطَلَّقُ يَوْماً أَوْ يَمُوتُ حَلِيلُها[١]

والفيء الرجوع يقال فاء يفيء فيئاً إذا رجع وفاء الفيء إذا تحول عن جهة الغداة برجوع الشمس عنه والفرق بين الفيء والظل ما قال المبرد أن الفيء ما نسخ الشمس لأنه هو الراجع والظل ما لا شمس فيه وكل فيء ظل وليس كل ظل فيئاً وأهل الجنة في ظل لا

(١) ريب المنون : حوادث الدهر .

في فيء لأن الجنة لا شمس فيها وفي التنزيل وظلٍ ممدودٍ وجمع الفيء أفياء والفيء غنائم المشركين أفاء الله علينا منهم وهو من رجوع الشيء إلى حقه وفلان سريع الفيء من غضبه أي الرجوع والعزم. هو العقد على فعل شيء في مستقبل الأوقات وهو إرادة متقدمة للفعل بأكثر من وقت واحد يتعلق بفعل اللازم يقال عزم على الشيء يعزم عزماً واعتزم وعزمت عليك لَتَفعلنّ أي أقسمت وعزم الراقي كأنه أُقسم على الداء وما لِفلان عَزيمة أي ما يثبت على شيء لتلوّنه وعزائم القرآن التي تقرأ على ذوي الآفات لما يرجى من البرء بها والطلاق حلّ عقد النكاح بسبب من جهة الرجل وامرأة طالق زعم قوم أن تاء التأنيث إنما حذفت لأنه لاحظ فيه للمذكر وهذا ليس بشيء لأن في الكلام أشياء كثيرة يشترك فيها المذكر والمؤنث لا يثبت فيها الهاء في المؤنث يقال بعير ضامر وناقة ضامر وأمثاله كثيرة وقال سيبويه أنه وقع على لفظ التذكير صفة للمؤنث لأن المعنى شيء طالق وحقيقته أنه على جهة النسب نحو قولهم امرأة مُطْفِل أي ذات طفل وطالق أي ذات طلاق فإذا أجريته على الفعل قلت طالقة قال الأعشى:

أيا جَارتي بِيني فَإنّكِ طالِقة كَذاكَ أُمورُ الناسِ غادٍ وطارِقَة[1]

وأصل الطلاق من الانطلاق وطَلقتِ المرأةُ عند الولادة فهي مطلوقة إذا تمخضت والطَلَق الشوط من الجري والطَلَق الحبل الشديد الفتل والسميع من كان على صفة يجب لأجلها أن يدرك المسموعات إذا وجدت وهي ترجع إلى كونه حياً لا آفة به والسامع المدرك ويوصف القديم سبحانه في الأزل بأنه سميع ولا يوصف في الأزل بأنه سامع إنما يوصف به إذا وجدت المسموعات.

[**الإعراب**] يجوز في أربعة أشهر ثلاثة أوجه الجر على الإضافة وعليه القراءة وهذه الإضافة غير حقيقية فإن الأربعة في محل النصب وإن كان مجرور اللفظ ويجوز في العربية الرفع والنصب تَربصٌ أربعةُ أشهر كقوله فشهادة أحدهم أربعُ شهادات بالله ومثله فجزاء مثل ما قتل من النعم وتَربصٌ أربعةَ أشهر كقوله ﴿ **ألم نجعل الأرض كفاتاً أحياء وأمواتاً** ﴾ أي تكفتكم أحياء وأمواتاً.

[**المعنى**] ثمَّ بيَّن تعالى حكم الإيلاء لأنه من جملة الإيمان والأقسام وشريعة من شرائع الإسلام فقال ﴿ **للذين يؤلون** ﴾ أي يحلفون وفيه حذف أي أن يعتزلوا عن وطء

(١) الغادي: الآتي بالغدوة. الطارق: الآتي بالليل.

نسائهم على وجه الاضرار بهن ﴿ **تربص أربعة أشهر** ﴾ أي التوقف والتثبت في أربعة أشهر واليمين التي يكون الرجل بها مولياً هي اليمين بالله عز وجل أو بشيء من صفاته التي لا يشاركه فيها أحد غيره على وجه لا يقع موقع اللغو الذي لا فائدة فيه ويكون الحلف على الامتناع من الجماع على وجه الغضب والضرار وهو المروي عن علي وابن عباس والحسن وقيل في الغضب والرضا عن إبراهيم والشعبي وجماعة من الفقهاء وقيل هو في الجماع وغيره من الضرار نحو أن يحلف لا يكلمها عن سعيد بن المسيب ﴿ **فإن فاءوا** ﴾ أي رجعوا إلى أمر الله بأن يجامعوا عند القدرة عليه أو يراجعوا بالقول عند العجز عن الجماع عن ابن عباس ومسروق وسعيد بن المسيب وهو مذهبنا وبه قال أبو حنيفة وأصحابه وقيل يكون فائياً بالعزم في حال العذر إلا أنه ينبغي أن يُشهد على فيئه عن الحسن وإبراهيم وعلقمة وهذا يكون عندنا للعاجز عن الجماع ويجب على الفائي عندنا كفارة ولا عقوبة عليه وبه قال ابن عباس وسعيد بن المسيب وقتادة وقال الحسن وإبراهيم لا كفارة عليه ولا عقوبة لقوله ﴿ **فإن الله غفور رحيم** ﴾ ومعنى غفور عندنا أنه لا يتبعه بعقوبة ومن حلف أن لا يجامع أقل من أربعة أشهر لا يكون مولياً ومن حلف أن لا يقربها وهي مرضعة مخافة أن تحبل فيضرّ ذلك بولدها لا يلزمه حكم الإيلاء وإذا مضت أربعة أشهر ولم يجامع ألزمه الحاكم أما الرجوع والكفارة وأما الطلاق فإن امتنع حبسه حتى يفيء أو يطلّق ﴿ **وإن عزموا الطلاق** ﴾ عزيمة الطلاق عندنا أن يعزم ثم يتلفظ بالطلاق ومتى لم يتلفظ بالطلاق على الوجه المشروع فإن المرأة لا تبين منه إلا أن تستعدي فإن استعدت وأنظره الحاكم أربعة أشهر فإنه يوقف عند الأشهر الأربعة ويقال له فِيءْ أو طلق فإن لم يفعل حبسه حتى يطلّق وبه قال الشافعي إلا أنه قال متى امتنع من الطلاق والفئة طلّق عنه الحاكم طلقة رجعية وقال أبو حنيفة وأصحابه إذا مضت أربعة أشهر ولم يفيء بانت منه بتطليقة ولا رجعة له عليها وعليها العدة يخطبها في العدة ولا يخطبها غيره ﴿ **فإن الله سميع عليم** ﴾ يسمع قوله ويعلم ضميره وقيل يسمع إيلاءه ويعلم نيّته وإنما ذكر عقيب الأول فإن الله غفور رحيم لأنه لما أخبر عن المولى أنه يلزمه الفيء أو الطلاق بيّن أنه إن فاء فإن الله غفور رحيم بأن يقبل رجوعه ولا يتبعه بعقاب ما ارتكبه وذكرها هنا أنه سميع عليم لما أخبر عنه بإيقاع الطلاق وكان ذلك مما يسمع أخبر بأنه لا يخفى عليه وأنه يسمعه فكل لا يليق إلا بموضعه وذلك من عظيم فصاحة القرآن .

﴿ وَٱلْمُطَلَّقَـٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ

ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكۡتُمۡنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِيٓ أَرۡحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤۡمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ إِنۡ أَرَادُوٓاْ إِصۡلَٰحٗاۚ وَلَهُنَّ مِثۡلُ ٱلَّذِي عَلَيۡهِنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيۡهِنَّ دَرَجَةٞۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾

[**اللغة**] القروء جمع قرء وجمعه القليل اقرءِ والكثير اقراء وقروء وصار بناء الكثير فيه أغلب في الاستعمال يقال ثلاثة قروء مثل ثلاثة شسوع استغنى ببناء الكثير عن بناء القليل ووجه آخر وهو أنه لما كانت كل مطلقة يلزمها هذا دخله معنى الكثرة فأتى ببناء الكثرة للاشعار بذلك فالقروء كثيرة إلا أنها ثلاثة في ثلاثة في القسمة وهذا الحرف من الأضداد وأصله في اللغة يحتمل وجهين (أحدهما) الاجتماع ومنه قرأت القرآن لاجتماع حروفه وما قرأت الناقة سلاً قطّ أي لم يجتمع رحمها على ولد قطّ قال عمرو بن كلثوم :

ذِراعَيْ عَيْطَلٍ أَدْمَاءَ بِكْرٍ هِجَانِ اللَّوْنِ لَمْ تَقْرَأْ جَنِينَا[١]

فعلى هذا يقال أقرأت المرأة فهي مقرىء إذا حاضت وأنشد « له قروء كقروء الحائض » وذلك لاجتماع الدم في الرحم ويجيء على هذا أن يكون القرء الطهر لاجتماع الدم في جملة البدن (والوجه الثاني) أن أصل القرء الوقت الجاري في الفعل على عادة وهو يصلح للحيض والطهر يقال هذا قارىء الرياح أي وقت هبوبها قال الشاعر :

شَنَئْتُ العَقْرَ عَقْرَ بني شُلَيْلٍ إِذَا هَبَّتْ لِقَارِيهَا الرِّيَاحُ

أي لوقت هبوبها وشدة بردها والذي يدلّ على أن القرء الطهر قول الأعشى :

وَفي كُلِّ عَامٍ أَنْتَ جَاشِمُ غَزْوَةٍ تَشُدُّ لأَقْصَاهَا عَزِيْمَ عَزَائِكَا[٢]
مُوَرِّثَةٍ مَالاً وَفي الأَرْضِ رِفْعَةً لِمَا ضَاعَ فيها مِنْ قُرُوءِ نِسَائِكَا

فالذي ضاع هاهنا الاطهار لا الحيض والبعولة جمع بعل ويقال بعَل يبعُل بعولة وهو

(١) قوله : ذراعي أي ذراعاً محبوبته كذراعي والعيطل : الناقة الطويلة في حسن منظر وسمن . والادماء : الناقة البيضاء والبكر : الناقة التي حملت بطناً واحداً . والهجان : البيضاء الخالصة البياض .

(٢) جشمت الأمر : إذا تكلفته على مشقة .

بعل وسمي الزوج بعلاً لأنه عال على المرأة بملكه لزوجيتها وقوله ﴿ **أتدعون بعلاً** ﴾ أي ربّا وقيل أنه صنم والبعل النخل يشرب بعروقه لأنه مستعل على شربه وبعل الرجل بأمره إذا ضاق به ذرعاً لأنه علاه منه ما ضاق به ذرعه وبعل الرجل بطر لأنه استعلى تكبراً وامرأة بعلة لا تحسن لبس الثياب لأن الحيرة تستعلي عليها فتدهشها والرجال جمع رجل يقال رجل بَيِّنُ الرجلة أي القوة وهو أرجَلهما أي أقواهما وفرس رَجيل قويّ على المشي وسميت الرجل رجلاً لقوتها على المشي ورِجْل من جراد أي قطعة منه تشبيهاً بالرجل لأنها قطعة من الجملة والراجل الذي يمشي على رجله وارتجل الكلام ارتجالاً لأنه قويّ عليه من غير ركوب فكرة وترجل النهار لأنه قوي ضياؤه بنزول الشمس إلى الأرض ورجّل شعره إذا طوله وأصل الباب القوة والدرجة المنزلة .

[**الإعراب**] ﴿ **ان كنّ يؤمن بالله** ﴾ جواب الشرط محذوف وتقديره إن كن يؤمن بالله لا يكتمن وكذلك جواب الشرط من قوله تعالى ﴿ **إن أرادوا إصلاحاً** ﴾ محذوف وتقديره إن أرادوا إصلاحاً فبعولتهن أحقّ بردّهن مثل الذي عليهن إضافة مثل غير حقيقية لأن الذي عليهن مفعوله .

[**المعنى**] ثم بيّن سبحانه حكم المطلقات والطلاق فقال ﴿ **والمطلقات** ﴾ أي المخليات عن حبال الأزواج بالطلاق وإنما يعني المطلقات المدخول بهنّ من ذوات الحيض غير الحوامل لأن في الآية بيان عدتهن ﴿ **يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء** ﴾ معناه ينتظرن بأنفسهن انقضاء ثلاثة قروء فلا يتزوجن لفظه خبر ومعناه أمر والمراد بالقروء الأطهار عندنا وبه قال زيد بن ثابت وعائشة وابن عمر ومالك والشافعي وأهل المدينة قال ابن شهاب ما رأيت أحداً من أهل بلدنا ألا وهو يقول الاقراء الأطهار إلا سعيد بن المسيب والمروي عن ابن عباس وابن مسعود والحسن ومجاهد ورووه أيضاً عن عليّ أن القرء الحيض والمراد بثلاثة قروء ثلاثة حيض وهو مذهب أبي حنيفة وأصحابه واستشهدوا بقوله عليه السلام للمستحاضة دعي الصلاة أيام اقرائك والصلاة إنما تترك في أيام الحيض واستشهد من ذهب إلى أن القرء الطهر بقوله تعالى : ﴿ **فطلّقوهن لعدتّهن** ﴾ أي في طهر لم تجامع فيه كما يقال لغرّة الشهر .

ويقول النبي ﷺ لما طلّق ابن عمر زوجته وهي حائض مرّة فليراجعها فإذا طهرت فليطلق أو ليمسك وتلا النبي ﷺ إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن لقبل عدتهن فأخبر أن العدة الإطهار دون الحيض لأنها حينئذ تستقبل عدتها ولو طُلّقت حائضاً لم تكن مستقبلة

عدتها إلا بعد الحيض وروى أصحابنا عن زرارة قال سمعت ربيعة الرأي يقول أن مِنْ رأيي أنّ الاقراء التي سمّى الله في القرآن إنما هي الطهر فيما بين الحيضين وليست بالحيض قال فدخلت على أبي جعفر فحدثته بما قال ربيعة فقال كذب لم يقل برأيه وإنما بلغه عن عليٍّ عليه السلام فقلت أصلحك الله أكان عليٌّ يقول ذلك قال نعم كان يقول إنما القرء الطهر تقرأ فيه الدم فتجمعه فإذا جاء الحيض قذفته قلت أصلحك الله رجل طَلَّق امرأته طاهرة من غير جماع بشهادة عدلين قال إذا دخلت في الحيضة الثالثة فقد انقضت عدتها وحلت للأزواج قال قلت إن أهل العراق يروون عن علي (ع) أنه كان يقول هو أحق بردّها ما لم تطهر[1] من الحيضة الثالثة فقال كذبوا ﴿ **ولا يحل لهن** ﴾ أي للمطلقات اللاتي تجب عليهن العدة ﴿ **أن يكتمن ما خلق الله في أرحامهن** ﴾ قيل أراد به الحيض عن إبراهيم وعكرمة وقيل أراد به الحبل عن ابن عباس وقتادة وقيل أراد به الحيض والحبل عن ابن عمر والحسن وهو المروي عن الصادق (ع) قال قد فوّض الله إلى النساء ثلاثة أشياء الحيض والطهر والحمل وهذا القول أعم فالأخذ به أولى وإنما لم يحل لهن الكتمان لئلا يظلمن الزوج بمنع المراجعة عن ابن عباس وقيل بنسبة الولد إلى غيره كفعل الجاهلية عن قتادة وقوله ﴿ **إن كنّ يؤمن بالله واليوم الآخر** ﴾ يعني من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فهذه صفته وحليته وليس هذا بشرط حتى أنها إذا لم تكن مؤمنة يحل لها الكتمان ولكن المراد أن الإيمان يمنع من ارتكاب هذه المعصية كما يقول الرجل لصاحبه إن كنت مؤمناً فلا تظلم وهذا على وجه الوعيد ﴿ **وبعولتهن أحق بردهن في ذلك** ﴾ يعني أن أزواجهن أولى بمراجعتهن وهي ردهن إلى الحالة الأولى في ذلك الأجل الذي قدّر لهن في مدة العدة فإنه ما دامت تلك المدة باقية كان للزوج حق المراجعة ويفوت بانقضائها وفي هذا ما يدل على أن الزوج ينفرد بالمراجعة ولا يحتاج في ذلك إلى رضاء المرأة ولا إلى عقد جديد واشهاد وهذا يختص بالرجعيات وإن كان أول الآية عاماً في جميع المطلقات الرجعية والبائنة ﴿ **إن أرادوا إصلاحاً** ﴾ لا إضراراً وذلك أن الرجل كان إذا أراد الاضرار بامرأته طلقها[2] واحدة وتركها[3] حتى إذا قرب انقضاء عدّتها راجعها وتركها مدة ثم طلقها أخرى وتركها مدة كما فعل في الأولى ثم راجعها وتركها مدة ثم طلقها أخرى فجعل الله الزوج أحق بالمراجعة على وجه الإصلاح لا على وجه الاضرار وإنما شرط الإصلاح في إباحة الرجعة لا في ثبوت أحكامها لإجماع الأمة على أن مع إرادة الاضرار يثبت أحكام الرجعة وقوله

(١) في نسختين مخطوطتين كما في الوسائل « ما لم تغتسل » بدل « ما لم تطهر » .
(٢) أي تطليقة واحدة فراجع صحيح البخاري ج ٧ ب ٤٣ . (٣) [مدة] .

﴿ **ولهن** ﴾ أي للنساء على أزواجهن ﴿ **مثل الذي لهم عليهن** ﴾ من الحق ﴿ **بالمعروف** ﴾ وهذا من الكلمات العجيبة الجامعة للفوائد الجمة وإنما أراد بذلك ما يرجع إلى حسن العشرة وترك المضارة والتسوية في القسم والنفقة والكسوة كما أن للزوج حقوقاً عليها مثل الطاعة التي أوجبها الله عليها له وأن لا تُدخِل فراشه غيره وأن تحفظ ماءه فلا تحتال في إسقاطه وروي أن امرأة معاذ قالت يا رسول الله ما حق الزوجة على زوجها قال أن لا يضرب وجهها ولا يقبّحها وأن يطعمها مما يأكل ويلبسها مما يلبس ولا يهجرها وروي عنه ﷺ أنه قال اتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ومن حقكم عليهن أن لا يوطئن فراشكم من تكرهونه فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضرباً[١] غيرَ مُبْرِح ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف وقوله ﴿ **وللرجال عليهن درجة** ﴾ قيل معناه فضيلة منها الطاعة ومنها أن يملك التخلية ومنها زيادة الميراث على قسم المرأة والجهاد هذا قول مجاهد وقتادة وقيل معناه منزلة في الأخذ عليها بالفضل في المعاملة حتى يقول ما أحب أن أستوفي منها جميع حقي ليكون لي عليها الفضيلة عن ابن عباس وقيل معناه أن المرأة تنال اللذة من الرجل كما ينال الرجل منها وله الفضل بنفقته وقيامه عليها عن الزجاج وفي تفسير علي بن إبراهيم بن هاشم قال حق الرجال على النساء أفضل من حق النساء على الرجال وفي كتاب من لا يحضره الفقيه روي عن الباقر (ع) قال جاءت امرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقالت يا رسول الله ما حق الزوج على المرأة فقال لها أن تطيعه ولا تعصيه ولا تتصدق من بيتها بشيء إلا بإذنه ولا تصوم تطوعاً إلا بإذنه ولا تمنعه نفسها وإن كانت على ظهر قتب ولا تخرج من بيتها إلا بإذنه فإن خرجت بغير اذنه لعنتها ملائكة السماء وملائكة الأرض وملائكة الغضب وملائكة الرحمة حتى ترجع إلى بيتها فقالت يا رسول الله من أعظم الناس حقاً على المرأة قال زوجها قالت فما لي من الحق عليه مثل ما له من الحق عليّ قال لا ولا من كل مائة واحدة فقالت والذي بعثك بالحق لا يملك رقبتي رجل أبداً وقال عليه السلام لو كنت آمراً أحداً يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها ﴿ **والله عزيز حكيم** ﴾ أي قادر على ما يشاء يمنع ولا يمنع ويقهر ولا يقهر فاعل ما تدعو إليه الحكمة وقد قيل في الآية إن المطلقة قبل الدخول والمطلقة الحاملة نُسِختا من هذه الآية بقوله فما لكم عليهن من عدة تعتدونها وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن وقيل أنهما مخصوصتان من الآية كما ذكرناه في أول الآية .

---

(١) ضرب مبرح بكسر الراء أي شاق .

﴿ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ
فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَأۡخُذُواْ
مِمَّآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ شَيۡـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ
أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَا فِيمَا ٱفۡتَدَتۡ بِهِۦۗ تِلۡكَ
حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعۡتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ
ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٢٩

[**القراءة**] قرأ أبو جعفر وحمزة إلا أن يُخافا بضم الياء والباقون بفتحها .

[**الحجة**] خاف فعل يتعدى إلى مفعول واحد وذلك المفعول يكون أن وصلتها نحو قوله تخافون أن يتخطفكم الناس يكون غيرها نحو قوله تخافونهم فوجه قراءة حمزة الابنُ يخافا أنه لما بنى الفعل للمفعول به أسند الفعل إليه فلم يبق شيء يتعدى إليه فأمّا أنْ مِن قوله أن لا يقيما فإن الفعل يتعدى إليه بالجار كما تعدى بالجار في قوله ﴿ **ولو خافك الله عَلَيه حَرَّمه** ﴾ وموضع أن في الآية جر بالجار المقدر على قول الخليل والكسائي ونصب في قول سيبويه وأصحابه إلا أنه لما حذف الجار وصل الفعل إلى المفعول الثاني مثل استغفر الله ذنباً وأمرتك الخير فقراءته مستقيمة على ما رأيت فإن قال قائل لو كان يخافا كما قرأ لكان ينبغي أن يكون فإن خيفا قيل لا يلزمه هذا السؤال لمن خالفه في القراءة لأنهم قد قرأوا إلّا أن يخافا ولم يقولوا فإن خافا وليس يلزم هذا السؤال جميعهم لأمرين (أحدهما) أنه إنصرف من الغيبة إلى الخطاب كما قال الحمد لله ثم قال إياك نعبد وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون وهذا النحو كثير في التنزيل وغيره (والآخر) أن يكون الخطاب في قوله فإن خفتم مصروفاً إلى الولاة والفقهاء الذين يقومون بأمور الكافة وجاز أن يكون الخطاب للكثرة فيمن جعله إنصرافاً من الغيبة إلى الخطاب لأن ضمير الاثنين في يخافا ليس يراد به إثنان مخصوصان إنما يراد به أنّ كل مَن كان هذا شأنه فهذا حكمه فأما من قرأ يخافا بفتح الياء فالمعنى أنه إذا خاف كل واحد من الزوج والمرأة أن لا يقيما حدود الله حلّ الافتداء .

[**اللغة**] المرة والمرتان كالكرة والكرتين وأصل المرة المرور خلاف الوقوف والمِرّة شدة الفتل لاستمراره على الأحكام والإمساك خلاف الاطلاق وما بفلان مُسْكة وتماسك إذا لم يكن فيه خير والممسك البخيل والمَسْك الإهاب لأنه يمسك البدن باحتوائه عليه والمَسَك السوار لاستمساكه في اليد والتسريح مأخوذ من السرح وهو الاطلاق وسَرح الماشية في المرعى سرحاً إذا أطلقها ترعى وسَرَحت الماشية إنطلقت في المرعى والسِرْحان الذئب لاتباعه السرح والسَرْحة الشجرة المرتفعة لانطلاقها في جهة الطول والمِسْرَح المَشط لإطلاق الشعر به والسِرياح الجراد لانطلاقه في البلاد وأن يخافا معناه أن يظنا قال الشاعر :

أَتَانِي كَلامٌ عَنْ نُصَيْبٍ يَقُولُهُ وَمَا خِفْتُ يَا سَلاّم أَنَّكَ عَائِبِي

يعني ما ظننت وأنشد الفراء :

إذا مِتُّ فَادْفنّي إلى جَنْبِ كَرْمَةٍ تُرَوّي عِظَامِي بَعْدَ مَوْتِي عُروقُها
وَلا تَدْفِنَنّي فِي الْفَلاةِ فَإِنّنِي أَخَافُ إِذَا مَا مِتُّ أَنْ لا أَذُوقُها

[**الإعراب**] الطلاق رفع بالابتداء ومرتان الخبر وقوله فامساك خبر مبتدأ محذوف تقديره فالواجب عليكن إمساك ولو كان في الكلام فإمساكاً بالنصب لكان جايزاً على فامسكوهن إمساكاً بمعروف كما قال فامسكوهن بمعروف وأن يخافا موصول وصلة موضعهما نصب بأنه مفعول له تقديره لمخافتهما وأن لا يقيما في موضع نصب بأنه مفعول يخافا تقديره يخافا ترك إقامة حدود الله .

[**النزول**] روى هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أن امرأة أتتها فشكت أن زوجها يطلّقها ويسترجعها يضارّها بذلك وكان الرجل في الجاهلية إذا طلّق امرأته ثم راجعها قبل أن تنقضي عدتها كان له ذلك وإن طلّقها ألف مرة لم يكن للطلاق عندهم حدّ فذكرت ذلك لرسول الله فنزلت الطلاق مرتان فجعل حدّ الطلاق ثلاثاً والطلاق الثالث قوله فإن طلّقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجاً غيره وروي أيضاً أنه قيل للنبي الطلاق مرتان فأين الثالثة قال إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان وقوله ﴿ **إلا أن يخافا** ﴾ فأنزل في ثابت بن قيس بن شماس وزوجته جميلة بنت عبد الله بن أبيّ وكان يحبها وتبغضه فقال لها أتردِين عليه حديقته قالت نعم وأزيده قال لا حديقته فقط فردت عليه حديقته فقال يا ثابت خذ منها ما أعطيتها وخلّ سبيلها ففعل فكان أول خُلع في الإسلام .

[**المعنى**] ثم بيّن سبحانه عدد الطلاق فقال الطلاق مرتان أي الطلاق الذي يملك فيه الرجعة مرتان وفي معناه قولان (أحدهما) أنه بيان تفصيل طلاق السنة وهو أنه إذا أراد طلاقها ينبغي أن يطلّقها في طهر لم يقربها فيه بجماع تطليقة واحدة ثم يتركها حتى تخرج من العدة أو حتى تحيض وتطهر ثم يطلّقها ثانية عن ابن عباس ومجاهد (والثاني) إن معناه البيان عن عدد الطلاق الذي يوجب البينونة مما لا يوجبها وفي الآية بيان أنه ليس بعد التطليقتين إلا الفرقة البائنة ولفظه لفظ الخبر ومعناه الأمر أي طلّقوا دفعتين وقوله ﴿ **فامساك بمعروف** ﴾ تقديره فالواجب إذا راجعها بعد التطليقتين امساك بمعروف أي على وجه جميل سائغ في الشريعة لا على وجه الاضرار بهنّ ﴿ **أو تسريح بإحسان** ﴾ فيه قولان (أحدهما) أنه الطلقة الثالثة (والثاني) أنه يترك المعتدة حتى تبين بانقضاء العدة عن السدي والضحاك وهو المروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله ﴿ **ولا يحل لكم** ﴾ خطاب الأزواج ﴿ **أن تأخذوا** ﴾ في حال الطلاق واستبدال ﴿ **مما آتيتموهن** ﴾ أي أعطيتموهن من المهر ﴿ **شيئاً** ﴾ ثم استثنى الخلع فقال ﴿ **إلا أن يخافا ألا يقيما حدود الله** ﴾ معناه إلا أن يغلب على ظنهما أن لا يقيما حدود الله لما بينهما من أسباب التباعد والتباغض وقال ابن عباس هو أن يظهر من المرأة النشوز وسوء الخلق بغضاً للزوج وقال أبو عبد الله إذا قالت المرأة له لا اغتسل لك من جنابة ولا أبرّ لك قسماً ولأوطئن فراشك ولادخلنّ عليك بغير اذنك إذا قالت له هذا حلّ له أن يخلعها وحلّ له ما أخذ منها وعلى الجملة إذا خاف أن تعصي الله فيه بارتكاب محظور أو إخلال بواجب وأن لا تطيعه فيما يجب عليها فحينئذ يحلّ له أن يخلعها وروي مثل ذلك عن الحسن وقال الشعبي هو نشوزها ونشوزه ﴿ **فإن خفتم ألا يقيما حدود الله** ﴾ أي فإن ظننتم أن لا يكون بينهما صلاح في المقام ﴿ **فلا جناح عليهما** ﴾ أي فلا حرج ولا إثم عليهما وهذا يفيد الإباحة وفي قوله عليهما وإن كانت الإباحة للزوج وجهان (أحدهما) إن الزوج لو خصّ بالذكر لأوهم أنها عاصية وإن كانت الفدية له جائزة فبيّن الاذن لهما في ذلك ليزول الايهام عن علي بن عيسى (والآخر) أن المراد به الزوج وإنّما ذكر معه المرأة لاقترانهما كقوله ﴿ **نسيا حوتهما** ﴾ وقوله ﴿ **ويخرج منهما اللؤلؤ والمرجان**﴾ وإنما هو من الملح دون العذب فجاز للاتساع قال الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن وهذا أليق بمذهبنا لأن الذي يبيح الخلع عندنا هو ما لولاه لكانت المرأة عاصية وأقول أن الذي عندي في ذلك أن جواز وقوع العصيان منها هو السبب في إباحة الخلع ورفع الجناح إنما تعلق بالخلع لا بأسبابه والوجه الأول أولى بالاختيار وأشد ملائمة لظاهر الآية والوجه الأخير مرغوب عنه لعدوله عن سنن الاستقامة إذ لا يكون الإثنان

واحداً في الحقيقة ﴿ **فيما إفتدت به** ﴾ أي بذلت من المال واختلف في ذلك فعندنا إن كان البغض منها وحدها وخاف منها العصيان جاز أن يأخذ المهر وزيادة عليه وإن كان منهما فدون المهر وقيل أنه يجوز الزيادة على المهر والنقصان من غير تفصيل عن ابن عباس وابن عمر ورجاء بن حيوة وإبراهيم ومجاهد وقيل المهر فقط عن ربيع وعطا والزهري والشعبي ورووه عن علي والخلع بالفدية على ثلاثة أوجه (أحدها) أن تكون المرأة عجوز أو دميمة[1] فيضار بها الزوج لتفتدي نفسها فهذا لا يحل له الفدا لقوله ﴿ **وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج** ﴾ الآية (والثاني) أن يرى الرجل امرأته على فاحشة فيضار بها لتفتدي نفسها فهذا جائز وهو معنى قوله ﴿ **ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة** ﴾ (والثالث) أن يخافا ألا يقيما حدود الله لسوء خلق أو قلة نفقة من غير ظلم أو نحو ذلك فيجوز لهما جميعاً الفدية على ما مر تفصيله ﴿ **تلك حدود الله** ﴾ أي أوامره ونواهيه وما نصب من الآيات في الخلع والطلاق والرجعة والعدة ﴿ **فلا تعتدوها** ﴾ أي فلا تجاوزوها بالمخالفة ﴿ **ومن يتعد حدود الله** ﴾ أي يتجاوزها بأن يخالف ما حد له ﴿ **فأولئك هم الظالمون** ﴾ واستدل أصحابنا بهذه الآية على أن الطلاق الثلاث بلفظ واحد لا يقع لأنه قال الطلاق مرتان ثم ذكر الثالث على الخلاف في أنها قوله ﴿ **أو تسريح بإحسان** ﴾ أو قوله ﴿ **فإن طلّقها** ﴾ ومن طلق ثلاثاً بلفظ واحد فإنه لم يأت بالمرتين ولا بالثالثة كما أنه لما أوجب في اللعان أربع شهادات فلو أتى بالأربع بلفظ واحد لما أتى بالشروع ولم يحصل حكم اللعان وكذلك لو رمي في الجمار بسبع حصيات دفعة واحدة لم تجزىء عنه بلا خلاف وكذلك الطلاق .

﴿ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۗ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ٢٣٠

[**الإعراب**] موضع أنْ في قوله ﴿ **فلا جناح عليهما أن يتراجعا** ﴾ جرّ بإضمار الجار وتقديره في أن يتراجعا عن الخليل والكسائي والزجاج وقيل وموضعه نصب وهو اختيار الزجاج وباقي النحويين وموضع أنْ الثانية وهو أن يقيما حدود الله نصب بلا خلاف بظَنَّا وإنما

(١) أي قبيحة .

جاز حذف في من أن يتراجعا ولم يجز حذفه من المصدر الذي هو التراجع لطول أنْ بالصلة كما جاز الذي ضربت زيدٌ لطول « الذي » بالصلة ولم يجز في المصدر كما لم يجز في اسم الفاعل نحو زيد ضارب عمروٌ ويريد ضاربه .

[**النزول**] الزهري عن عروة عن عائشة قالت جاءت امرأة رِفاعة بن وهب القُرظيّ إلى رسول الله (ﷺ) إني كنت عند رفاعة فطلقني فَبَتَّ طلاقي فتزوجت بعده عبد الرحمن بن الزَبِير وأن ما معه مثل هُدْبة(١) الثوب وأنه طلقني قبل أن يمسّني فارجع إلى ابن عمي فتبسم رسول الله وقال أتريدين أن ترجعي إلى رفاعة لا حتى يذوق عُسَيْلَتَك(٢) وتذوقي عُسَيْلَتَه وفي قصة رفاعة وزوجته نزل فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجاً غيره .

[**المعنى**] ثم بيّن سبحانه حكم التطليقة الثالثة فقال ﴿ **فإن طلقها** ﴾ يعني التطليقة الثالثة على ما روي عن أبي جعفر وبه قال السدي والضحاك وقيل هو تفسير قوله ﴿ **أو تسريح بإحسان** ﴾ عن مجاهد وهذا على مذهب من جعل التسريح طلاقاً ﴿ **فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجاً غيره** ﴾ أي لا تحل هذه المرأة أي لا يحل نكاحها لهذا الرجل الذي طلقها حتى تزوج زوجاً غيره ويجامعها واختلف في ذلك فقيل العقد عُلم بالكتاب والوطء بالسنة عن الجبائي وقيل بل كلاهما عُلم بالكتاب لأن لفظ النكاح يطلق عليهما فكأنه قيل حتى يتزوج ويجامعها الزوج ولأن العقد مستفاد بقوله زوجاً غيره والنكاح مستفاد بقوله حتى تنكح وإنما أوجب الله ذلك لعلمه بصعوبة تزوج المرأة على الرجل حتى لا يعجلوا بالطلاق وأن يتثبتوا قال أبو مسلم وهذا من الكنايات الفصيحة والإيجاز العجيب ﴿ **فإن طلقها** ﴾ الزوج الثاني ﴿ **فلا جناح عليهما أن يتراجعا** ﴾ أي فلا جناح على الزوج وعلى المرأة أن يعقدا بينهما عقد النكاح ويعودا إلى الحالة الأولى فذكر النكاح بلفظ التراجع ﴿ **إن ظنا** ﴾ أي إن رجيا وقيل علما وقيل اعتقدا ﴿ **أن يقيما حدود الله** ﴾ في حسن الصحبة والمعاشرة وأنه يكون بينهما الصلاح وتلك إشارة إلى الأمور التي بيّنها في النكاح والطلاق والرجعة ﴿ **حدود الله** ﴾ أوامره ونواهيه ﴿ **يبيّنها** ﴾ يفصلها ﴿ **لقوم يعلمون** ﴾ خصّ العالمين بذكر البيان لهم لأنهم هم الذين ينتفعون ببيان الآيات فصار غيرهم بمنزلة من لا يعتد به ويجوز أيضاً أن يكونوا خصّوا بالذكر تشريفاً لهم كما خصّ جبرائيل وميكائيل

---

(٢) الهدبة واحدة الهدب : خمل الثوب وطرته . ويقال لها بالفارسية « ريشة » .

(٣) كناية عن الجماع تشبيهاً بالعسل وإنما صغِّرت إشارة إلى القدر الذي يحلّل ولو بغيبوبة الحشفة .

بالذكر من بين الملائكة وتدل الآية على أنه إذا طلّقها الثالثة فلا تحل له إلا بعد شرائط الزوجُ الثاني ووطئه في القُبُل وفِرْقَتُهُ وانقضاء عدتها . وصفة الزوج الذي يُحِلّ المرأة للزوج الأول أن يكون بالغاً ويعقد عليها عقداً صحيحاً دائماً واختلف في التحليل على ثلاثة أقاويل فمنهم من قال إذا نوى التحليل يفسد النكاح ولا تحل للأول عن مالك والأوزاعي والثوري وروي نحوه عن أبي يوسف واحتجوا بقوله ﴿ **لعن الله المحلل والمحلل له** ﴾ ومنهم من قال إذا لم يشرط في العقد حلّ وإذا شرطه يفسد ولا يحلّ عند الشافعي ومنهم من قال يصح العقد ويبطل الشرط وتحلّ للأول ولكن يكره ذلك وهو الظاهر من مذهب أبي حنيفة وأهل العراق وقال محمد يصح النكاح ولا تحلّ للأول وفي قوله فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجاً غيره دلالة على أن النكاح بغير ولي جائز وإن المرأة يجوز لها أن تعقد على نفسها لأنه أضاف العقد إليها دون وليها .

﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ
ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ
وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا۟ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ
نَفْسَهُۥ ۚ وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ
وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ
وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٣١﴾

[**اللغة**] الأجل آخر المدة وعاقبة الأمور والمراد بالمعروف ها هنا الحق الذي يدعو إليه العقل أو الشرع للمعرفة بصحته خلاف المنكر الذي يزجر عنه العقل أو السمع لاستحالة المعرفة بصحته فما يجوز المعرفة بصحته معروف وما لا يجوز المعرفة بصحته منكر .

[**الإعراب**] فبلغن أجلهن الجملة في موضع جر بالعطف على الجملة قبلها وهي طلقتم النساء مجرورة الموضع بإضافة إذا إليها وضراراً نصب الحال من الواو في

تمسكوهن تقديره ولا تمسكوهن مضارين واللام في لتعتدوا يتعلق بتمسكوا وضرارا وهزوا مفعول ثان لتتخذوا وما أنزل موصول وصلة في محل النصب بالعطف على نعمة . من الكتاب في محل النصب على الحال والعامل فيه اذكروا وذو الحال ما أنزل ومِنْ يكون بمعنى التبيين يعظكم جملة في موضع الحال والعامل فيه انزل .

[**المعنى**] ثم بيّن سبحانه ما يفعل بعد الطلاق فقال ﴿ **وإذا طلقتم النساء** ﴾ وهذا خطاب للأزواج ﴿**فبلغن أجلهن**﴾ البلوغ ها هنا بلوغ مقاربة أي قاربن إنقضاء العدة[1] بما يتعارفه الناس بينهم بما تقبله النفوس ولا تنكره العقول والمراد بالمعروف ها هنا أن يمسكها على الوجه الذي أباحه الله له من القيام بما يجب لها من النفقة وحسن العشرة وغير ذلك ﴿ **أو سرحوهن بمعروف** ﴾ أي اتركوهن حتى تنقضي عدتهن فيكنّ أملك بأنفسهن ﴿ **ولا تمسكوهن ضراراً** ﴾ أي لا تراجعوهن لا لرغبة فيهن بل لطلب الإضرار بهن أما في تطويل العدة أو بتضييق النفقة في العدة ﴿ **لتعتدوا** ﴾ أي لتظلموهن ﴿ **ومن يفعل ذلك** ﴾ أي الإمساك للمضارة ﴿ **فقد ظلم نفسه** ﴾ فقد أضرّ بنفسه وعرضها لعذاب الله ﴿ **ولا تتخذوا آيات الله هزواً** ﴾ أي لا تستخفّوا بأوامره وفروضه ونواهيه وقيل آيات الله قوله ﴿ **فامساك بمعروف أو تسريح بإحسان** ﴾ ﴿ **واذكروا نعمة الله عليكم** ﴾ فيما أباحه لكم من الأزواج والأموال وما بيّن لكم من الحلال والحرام ﴿ **وما أنزل عليكم من الكتاب**﴾[2] يعني العلوم التي دلّ عليها والشرائع التي بيّنها ﴿ **يعظكم به** ﴾ لتتعّظوا فتؤجروا بفعل ما أمركم الله به وترك ما نهاكم عنه﴿**واتقوا الله**﴾أي معاصيه التي تؤدّي إلى عقابه وقيل إتقوا عذاب الله بإتقاء معاصيه ﴿ **واعلموا أن الله بكل شيء عليم** ﴾ من أفعالكم وغيرها .

﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْاْ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۗ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ

---

(١) لأن بعد إنقضاء العدة ليس للزوج الإمساك فهذا كما تقول بلغت البلد إذا قربت منه ﴿ فأمسكوهنّ بمعروف ﴾ أي راجعوهن قبل إنقضاء العدة .

(٢) [يعني القرآن ﴿ والحكمة ﴾.

وَأَطْهَرُ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٢﴾

[اللغة] العضل الحبس وقيل هو مأخوذ من المنع وقيل هو مأخوذ من الضيق والشدة والأمر المُعْضل الممتنع بصعوبته وعضّلت الناقة فهي مُعضّلة إذا إحتبس ولدها في بطنها وعضّلت الدَجاجة إذا إحتبس بَيْضها وتقول عضَل المرأةَ يعضُلها عَضْلاً إذا منعها من التزويج ظلماً واعضل الداءُ الأطباءَ إذا أعياهم أن يقوموا به وامتنع عليهم لشدته وداء عُضال وفلان عُضْلة من العُضَل أي داهية من الدواهي .

[الإعراب] موضع أنْ من قوله ﴿ أن ينكحن أزواجهن ﴾ جر عند الخليل والكسائي وتقديره من أن ونصب عند غيرهما بوصول الفعل « ذلك يوعظ به » مبتدأ وخبر وقوله ﴿ من كان يؤمن بالله ﴾ في موضع رفع بيوعظ ومنكم في موضع الحال في الضمير في يؤمن .

[النزول] نزلت في معقل بن يسار حين عضل أخته جملاء أن ترجع إلى الزوج الأول وهو عاصم بن عدي فإنه كان طلّقها وخرجت من العدة ثم أراد أن يجتمعا بعقد آخر فمنعها من ذلك فنزلت الآية عن قتادة والحسن وجماعة وقيل نزلت في جابر بن عبد الله عضل بنت عم له عن السدي والوجهان لا يصحان على مذهبنا لأنه لا ولاية للأخ وابن العم عندنا ولا تأثير لعضلها فالوجه في ذلك أن تحمل الآية على المُطلّقِين كما في الظاهر فكأنه قال لا تعضلوهن أي لا تراجعوهن عند قرب إنقضاء عدتهن أضراراً بهنّ لا رغبة فيهن فإن ذلك لا يسوغ في الدين ويجوز أن يكون العضل محمولاً على الجبر والحيلولة بينهن وبين التزويج دون ما يتعلق بالولاية .

[المعنى] ﴿ وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن ﴾ أي إنقضت عدتهن ﴿ فلا تعضلوهن ﴾ أي لا تمنعوهن ظلماً عن التزوج وقيل المراد به التخلية وقيل هو خطاب للأولياء ومنع لهم من عضلهن وقيل خطاب للأزواج يعني أن تطلقوهن في السر ولا تظهروا طلاقهن كيلا يتزوجن غيرهم فيبقين لا ممسكات إمساك الأزواج ولا مخليات تخلية الطلاق أو تطولوا العدة عليهن ﴿ أن ينكحن أزواجهن ﴾ أي من رضين بهم أزواجاً لهن وقيل الذين كانوا أزواجاً لهن من قبل ﴿ إذا تراضوا بينهم بالمعروف ﴾ أي بما لا يكون مستنكراً في عادة ولا خلق ولا عقل وقيل إذا تراضى الزوجان بالنكاح الصحيح عن السدي وقيل إذا تراضيا بالمهر قليلاً كان أو كثيراً ﴿ ذلك ﴾ إشارة إلى ما سبق من الأمر والنهي ﴿ يوعظ به ﴾ يزجر ويخوّف به ﴿ من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر ﴾ إنما خصهم بالذكر لأنهم

الذين إنتفعوا به أو لأنهم أولى بالاتعاظ به وقيل لأن الكافر إنما يلزمه الوعظ بعد قبوله الإيمان واعترافه بالله تعالى ﴿ **ذلكم أزكى لكم** ﴾ أي خير لكم وأفضل وأعظم بركة وأحرى أن يجعلكم أزكياء ﴿ **وأطهر** ﴾ أي أطهر لقلوبكم من الريبة فإنه لعلّ في قلبها حباً فإذا منعها من التزويج لم يؤمن أن يتجاوزا إلى ما حرّم الله وقيل أطهر لكم من الذنوب ﴿ **والله يعلم** ﴾ ما لكم فيه من الصلاح في العاجل والآجل ﴿ **وأنتم لا تعلمون** ﴾ وأنتم غير عالمين إلا بما أعلمكم وليس لأحد أن يستدلّ بالآية على أن العقد لا يصح إلا بولي لأنا قد بينا أن المراد بالعضل المنع وإذا حملنا الآية على أنها خطاب للأزواج سقط قولهم وهذا أولى لأنه لم يجر للأولياء ذكر كما جرى ذكر المُطلّقين .

﴿ * وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ ۚ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ ۗ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ۗ وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٣﴾

[**القراءة**] قرأ أهل البصرة وابن كثير وقتيبة عن الكسائي لا تضار بالرفع وتشديد الراء وقرأ أبو جعفر وحده بتخفيف الراء وسكونها والباقون بتشديدها وفتحها وقرأ ابن كثير وحده ما أتيتم مقصورة الألف والباقون ما آتيتم وكذلك في الروم .

[**الحجة**] من رفع فلأن قبله لا تَكلف فاتبعه ما قبله ليكون أحسن لتشابه اللفظ فإن قلت أن ذلك خبر وهذا أمر قيل إن الأمر قد يجيء على لفظ الخبر في التنزيل ألا ترى إلى قوله ﴿ **والمطلقات يتربصن بأنفسهن** ﴾ ويؤكد ذلك أن ما بعده على لفظ الخبر وهو قوله

﴿ **وعلى الوارث مثل ذلك** ﴾ والمعنى ينبغي ذلك فلمّا وقع موقعه صار في لفظه ومن فتح جعله أمراً وفتح الراء ليكون حركته موافقة لما قبلها وهو الألف وأمّا قراءة أبي جعفر لا تضار فينبغي أن يكون أراد لا تضار كما روى في الشواذ عن ابان عن عاصم إلا أنه حذف إحدى الرائين تخفيفاً كما قالوا أحست في أحسست وظلت ومست في ظللت ومسست ومن قرأ آتيتم فالمراد إيتاء المهر كقوله ﴿ **وآتيتم إحداهن قنطاراً** ﴾ وقوله ﴿ **إذا آتيتموهن أجورهن** ﴾ وأما قول ابن كثير فتقديره إذا سلمتم ما أتيتم نقده أو أُتيتم سوقه[1] فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه ثم حذف الهاء من الصلة فكأنه قال أتيت نقدَ ألفٍ أي بذلتُه كما يقول أتيت جميلاً أي فعلته ويؤيّده قول زهير :

فَما يَكُ مِنْ خَيْـرٍ أتوهُ فَـإنّما تَـوارَثَـهُ آبـاءُ آبـائِهِمْ قَـبْـلُ

فكما تقول أتيت خيراً فكذلك تقول أتيت نَقْدَ ألفٍ وقد وقع أتيت موضع آتيت ويجوزان يكون ما في الآية مصدراً فيكون التقدير إذا سلمتم الاتيان والاتيان المأتى مما يبذل بسوق أو نقد كقوله ضَرْبُ الأمير أي مضروبه .

[**اللغة**] الرضع مصّ الثدي بشرب اللبن منه يقال رَضِعَ وَرَضَعَ والمصدر الرَضْع والرَّضِع والرِّضاع والرِّضاعة ولئيم راضع يرضع لبن ناقته مِن لؤمِه لئلا يسمع الضيف صوت الشُخْب[2] وأرضعت المرأة فهي مرضعة وقولهم مرضع بغير هاء ذات رضاع والحول السنة مأخوذ من الانقلاب في قولك حال الشيء عما كان عليه يحول ومنه الاستحالة في الكلام لانقلابه عن الصواب وقيل أخذ من الانتقال من قولك تحول عن المكان والكسوة مصدر كسوته ثوباً أي ألبسته واكتسى أي لبس والكسوة اللباس والتكليف الإلزام الشاق وأصله من الكَلَف وهو ظهور الأثر لأنه يُلزمه ما يظهر فيه أثره وتَكلَّف أي تَحمَّل والكَلَف بالشيء الإيلاع به والوسع الطاقة مأخوذ من سعة المسلك إلى الغرض فيمكن لذلك فلو ضاق لأعجز عنه والسعة فيه بمنزلة القدرة فلذلك قيل الوسع بمعنى الطاقة والفصال الفطام لانفصال المولود عن الاغتذاء بثدي أمه إلى غيره من الاقوات وفصيلة الرجل بنو أبيه لانفصالهم من أصل واحد والفصل الفرق والتشاور مأخوذ من الشور وهو اجتناء العسل تقول شُرْتُ العسلَ أشوره شوراً إذا اجتنيته من مكانه والمَشُورة استخراج الرأي من

(١)أي المهر من غير النقدين .

(٢) الشخب: ما يخرج من تحت يد الحالب عند كل غمزة أو عصرة للضرع .

المستشار لأنها تجتني منه وأشار إليه إشارة أومى إليه والمُشيرة الاصبع التي تسمّى السبابة لأنه يُشار بها والشارة الهيئة واللباس الحَسَن لأنه مما يشار إليه لحُسنه والتشوير استخراج سير الدابة كالاجتناء .

[**الإعراب**] عن تراض في موضع الحال تقديره فإن أراد متراضيين منهما في موضع جر صفة لتراض أن تسترضعوا أولادكم معناه لأولادكم فحذفت اللام لدلالة الاسترضاع عليه من حيث إنه لا يكون إلا للاولاد ولا يجوز دعوت زيداً تريد لزيد لأنه لا يجوز أن يكون(١) مدعواً له إذ معنى دعوت زيداً لعمرو خلاف دعوت زيداً فقط فلا يجوز للالتباس وقوله ﴿ **بالمعروف** ﴾ جاز أن يتعلق بسلمتم كأنه قال إذا سلمتم بالمعروف ما أتيتم ويجوز أن يتعلق بأتيتم على حد قولك أتيته بزيد .

[**المعنى**] لمّا بَيَّن سبحانه حكمَ الطلاق عقَّبه ببيان احكام الأولاد الصغار في الرضاع والتربية وما يجب في ذلك من الكسوة والنفقة فقال ﴿ **والوالدات** ﴾ أي الأمهات ﴿ **يرضعن أولادهن** ﴾ صيغته صيغة الخبر والمراد به الامر أي ليرضعن أولادهن كقوله ﴿ **يتربصن بأنفسهن** ﴾ وجاز ذلك التصرف في الكلام مع رفع الاشكال إذ لو كان خبراً لكان كذباً لجواز أن يرضعن أكثر من حولين أو أقل وقولك حسبك درهم معناه اكتف بدرهم تام وقيل هو خبر بمعنى الأمر وتقديره والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين في حكم الله الذي أوجبه على عباده فحذف للدلالة عليه وهذا أمر إستحباب لا أمر إيجاب والمعنى إنهن أحق برضاعهم من غيرهن بدليل قوله ﴿ **وإن تعاسرتم فسترضع له أخرى** ﴾ ثم بيّن مدة الرضاع فقال ﴿ **حولين كاملين** ﴾ أي عامين تامين أربعة وعشرين شهراً وإنما ذكر كاملين وإن كانت التثنية تأتي على إستيفاء العدة لرفع الإبهام الذي يعرض في الكلام فإن الرجل يقول سرت شهراً وأقمت عند فلان سنة وإن كان قد سار قريباً من شهر وأقام قريباً من سنةٍ وفي هذا بيان لأمرين (أحدهما) مندوب (والثاني) فرض فالمندوب وهو أن يجعل الرضاع تمام الحولين والمفروض هو أن المرضعة تستحق الاجرة في مدة الحولين ولا تستحق فيما زاد عليه واختلف في هذا الحدّ هل هو لكل مولود أو للبعض فقال ابن عباس ليس لكل مولود ولكن لمن ولد لستة أشهر وإن ولد لسبعة أشهر فثلاثة وعشرون وإن ولد لتسعة أشهر فأحد وعشرون يطلب بذلك تكملة ثلاثين شهراً في الحمل والفصال وعلى هذا يدل ما رواه أصحابنا في هذا الباب لأنهم رووا أن ما نقص عن أحد وعشرين شهراً

(١) [المدعو] .

فهو جور على الصبي وقال الثوري وجماعة هو لازم في كل ولد إذا اختلف والداه رجعا إلى الحولين من غير زيادة ولا نقصان ولا يجوز لهما غير ذلك والرضاع بعد الحولين لا حكم له في التحريم عندنا وبه قال ابن عباس وابن مسعود وأكثر العلماء قالوا المراد بالآية بيان التحريم الواقع بالرضاع ففي الحولين يحرّم وما بعده لا يحرّم وقوله ﴿ **لمن أراد أن يتم الرضاعة** ﴾ أي لمن أراد أن يتم الرضاعة المفروضة عليه وهذا يدل على أن الرضاع غير مستحق على الأم لأنه عَلّقه بالإرادة ويدل عليه قوله ﴿ **وإن تعاسرتم فسترضع له أخرى** ﴾ وقال قتادة والربيع فرض الله على الوالدات أن يرضعن أولادهن حولين ثم أنزل الرخصة بعد ذلك فقال لمن أراد أن يتم الرضاعة يعني إن هذا منتهى الرضاع وليس فيما دون ذلك حد محدود وإنما هو على مقدار صلاح الصبي وما يعيش به ﴿ **وعلى المولود له** ﴾ يعني الأب ﴿ **رزقهن** ﴾ يعني الطعام والإدام ﴿ **وكسوتهن** ﴾ يعني لباسهن والمراد رزق الأم وكسوتها ما دامت في الرضاعة اللازمة وذلك في المطلقة عن الثوري والضحاك وأكثر المفسرين ﴿ **بالمعروف** ﴾ يعني على قدر اليسار لأنه عَلِمَ أحوال الناس في الغنى والفقر وجعل حق الحضانة للأم والنفقة على الأب على قدر اليسار ولم يرد به نفقة الزوجات لأنه قابلها بالارضاع ونفقة الزوجة لا تجب بسبب الارضاع وإنما تجب بسبب الزوجية وقال بعضهم أراد به نفقة الزوجات وقوله ﴿ **لا تكلف نفس إلا وسعها** ﴾ أي لا يلزم إلا دون طاقتها ﴿ **لا تضار والدة بولدها** ﴾ أي لا تترك الوالدة ارضاع ولدها غيظاً على أبيه فتضرّ بولده به لأن الوالدة أشفق عليه من الأجنبية ﴿ **ولا مولود له بولده** ﴾ أي لا يأخذه من أمه طلباً للإضرار بها فيضرّ بولده فيكون المضارة على هذا بمعنى الاضرار أي لا تضر الوالدة ولا الوالد بالولد وإنما قال تضار والفعل من واحد لأنه لما كان معناه المبالغة كان بمنزلة أن يكون الفعل من اثنين وقيل الضرر يرجع إلى الولد كأنه يقول لا يضار كل واحد من الأب والأم بالصبي الأم بأن لا ترضعه والأب بأن لا ينفق أو بأن ينتزعه من الأم والباء زائدة والمعنى لا تضار والدة ولدها ولا والد ولده وقيل معناه لا تضار والدةُ الزوجَ بولدها ولو قيل في ولدها لجاز في المعنى وروي عن السيدين الباقر والصادق عليهما السلام لا تضار والدة بأن يترك جماعها خوف الحمل لأجل ولدها المرتضع ﴿ **ولا مولود له بولده** ﴾ أي لا تمنع نفسها من الأب خوف الحمل فيضر ذلك بالأب وقيل لا تضار والدة بولدها بأن ينتزع الولد منها ويسترضع امرأة غيرها مع إجابتها إلى الرضاع بأجرة المثل فعلى هذا يكون معنى بولدها بسبب ولدها ولا مولود له أي لا تمتنع هي من الارضاع إذا أعطيت أجرة مثلها فإن فعلت استأجر الأب مرضعة ترضعه غيرها ولا تمنعه من رؤية الولد، فيكون

فيه مضارة بالوالد وقوله بولده بسبب ولده أيضاً وليس بين هذه الأقوال تناف فالأولى حمل الآية على جميعها وقوله ﴿ **وعلى الوارث** ﴾ قيل معناه وارث الولد عن الحسن وقتادة والسدي وهو من يرثه إذا مات وقيل وارث الوالد عن قبيصة بن ذؤيب والأول أقوى ﴿ **مثل ذلك** ﴾ أي مثل ما كان على الوالد من النفقة والرّضاع عن الحسن وقتادة وقيل مثل ما كان على الوالد من ترك المضارة عن الضحاك والمفهوم عند أكثر العلماء الأمران معاً وهو أليق بالعموم واختلفوا في أن النفقة على كل وارث أو على بعضهم فقيل هي على العصبات دون أصحاب الفرائض من الأم والأخوة من الأم عن عمر بن الخطاب والحسن وقيل على وارث الصبي من الرجال والنساء على قدر النصيب من الميراث عن قتادة وقيل على الوارث ممن كان ذا رحم محرم دون ذي رحم ليس بمحرم كابن العم وابن الأخت فيجب على ابن الأخت ولم يجب على ابن العم وإن كان وارثه في تلك الحال عن أبي حنيفة وصاحبيه وقيل على الوارث أي الباقي من أبويه عن سفيان وهو الصحيح عندنا وهو أيضاً مذهب الشافعي لأن عنده لا يجبر على نفقة الرضاع إلا الولدان فقط وقد روي أيضاً في أخبارنا أن على الوارث كائناً من كان النفقة وهذا يوافق الظاهر وبه قال قتادة وأحمد وإسحاق وقوله ﴿ **فإن أرادا فصالاً** ﴾ أي قبل الحولين عن مجاهد وقتادة وهو المروي عن أبي عبد الله وقيل قبل الحولين أو بعدهما عن ابن عباس ﴿ **عن تراض منهما** ﴾ أي من الأب والأم ﴿ **وتشاور** ﴾ يعني اتفاق منهما ومشاورة وإنما بشرط تراضيهما وتشاورهما مصلحة للولد لأن الوالدة تعلم من تربية الصبي مالا يعلمه الوالد فلو لم يتفكرا ويتشاورا في ذلك أدى إلى ضرر الصبي ﴿ **فلا جناح عليهما** ﴾ أي لا حرج عليهما إذا تماسك الولد فإن تنازعا رجعا إلىٰ الحولين وقوله ﴿ **وإن أردتم** ﴾ خطاب للآباء ﴿ **أن تسترضعوا أولادكم** ﴾ أي لأولادكم أن تطلبوا لهم مراضع غير أمهاتهم لإباء أمهاتهم الرضاع أو لعلة بهن من انقطاع لبن أو غيره ﴿ **فلا جناح عليكم** ﴾ أي لا حرج ولا ضيق في ذلك ﴿ **إذا سلمتم ما آتيتم بالمعروف** ﴾ أي إذا أسلمتم إلى الأم أجرة المثل مقدار ما أرضعت عن مجاهد والسدي وقيل إذا سلمتم الاسترضاع عن تراض واتفاق دون ذلك الضرار عن أبي شهاب وهذا معنى قول ابن عباس وفي رواية عطاء قال إذا سلمت أمه ورضي أبوه لعل له غنى يشتري له مرضعاً وقيل إذا سلمتم أجرة المسترضَعة عن الثوري وقيل إذا سلمتم أجرة الأم أو الظئر عن ابن جريج ومعنى قوله ﴿ **آتيتم** ﴾ ضمنتم والزمتم ثم أوصى بالتقوى فقال ﴿ **واتقوا الله** ﴾ يعني معاصيه أو عذابه في مجاوزة ما حده لكم ﴿ **واعلموا أن الله بما تعملون** ﴾ أي بأعمالكم ﴿ **بصير** ﴾ أي عليم لا يخفى عليه شيء منها وفي قوله لا تكلّف

نفس إلا وسعها دلالة على فساد قول المجبرة في حسن تكليف ما لا يطاق لأنه إذا لم يجز أن يكلف مع عدم الجدة فإن لا يكلف مع عدم القدرة أحرى فإن في الحالين لا سبيل له إلى اداء ما كلف .

﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٣٤﴾

[**القراءة**] روي في الشواذ عن علي (ع) يَتوفون بفتح الياء .

[**الحجة**] قال ابن جنى هو على حذف المفعول أي الذين يتوفون أيامهم أو آجالهم وأعمارهم وحذف المفعول به كثير في القرآن وفصيح الكلام إذا كان هناك دليل عليه كما قال الله وأُوتيت من كلِ شيء أي شيئاً قال الحطيئة :

مُنَعَّمَــةٌ تَصُــوْنُ إلَيْــكَ مِنْهــا كَصَــوْنِــكَ مِنْ رِداءٍ شَرْعَبيّ[1]

أي تصون الكلام منها وتوفيت الشيء استوفيته أخذته وافياً .

[**اللغة**] يذر ويدع يترك ولا يستعمل منهما الماضي استغني عنه بتَرَك والعلة في ذلك أنهم تركوا الواوات في أول الكلمة حتى أنهم لم يلحقوها أولا على جهة الزيادة أصلا والأجل غاية الوقت في محلّ الدين ونحوه لتأخيره إلى ذلك الوقت والآجل نقيض العاجل لتأخره عن وقت غيره وفعله من أجل كذا أي لعاقبة كذا وهي متأخرة عن وقت الفعل الذي دعت إليه والقطيع من بقر الوحش يسمى أَجْلاوقد تأجّل الصُوار[2]أي صار أَجْلا لتأخر بعضه عن بعض وأَجَلَ عليهم شرا أَجْلا أي جناه لأنه أعقبهم شراً والآجلة الآخرة والعاجلة الدنيا والخبير العالم بمخبر الخبر وأصله من السهولة والخَبار الأرض السهلة وأخبرت بالشيء لأنه تسهيل لطريق العلم به والخبير الأكّار والمخابرة المؤاكرة وهو أن يزرع على النصف أو الثلث أو نحوه وذلك لتسهيل الزراعة .

[**الإعراب**] الذين مرتفع بالابتداء ويتوفون صلته ومنكم في موضع النصب على

---

(١) الشرعبيّ : ضرب من البرود . (٢) الصوار : قطيع البقر .

الحال من الواو في يتوفون ويذرون أزواجاً عطف على الصلة فهو أيضاً من الصلة ويتربّص وما بعده خبر المبتدأ وإذا كان خبر المبتدأ لا يخلو من أن يكون هو هو أو يكون له فيه ذكر فلا يجوز أن يكون هذا الظاهر على الذي هو عليه لخلوّه من ضربي خبر الابتداء وقد قيل فيه أقوال (أحدها) أن تقدير خبر المبتدأ يتربصن بعدهم لأن المعنى يتربصن أزواجهم بعدهم أربعة أشهر وعشراً وجاز حذف هذا الذي يتعلق به الراجع إلى المبتدأ كما جاز ذلك في قولهم السمن منوان بدرهم والمعنى على منوان منه بدرهم عن الأخفش (والثاني) أن يكون تقديره أزواجهم يتربصن عن أبي العباس المبرد فالمحذوف على هذا هو المبتدأ الذي هو أزواجهم وساغ هذا الحذف لقيام الدلالة عليه كما يسوغ حذف المفرد إذا قامت الدلالة عليه وقيام الدلالة على المضاف أن الأزواج قد تقدم ذكرهن فساغ اضمارهن وحسن وأما حذف المضاف إليه فلاقتضاء المبتدأ الراجع إليه وقد جاء المبتدأ مضافاً محذوفاً كما جاء المفرد وذلك قوله تعالى : ﴿ **لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد متاع قليل** ﴾ أي تقلبهم متاع قليل (والثالث) أن يكون تقديره يتربصن أزواجهن ثم كني عن الأزواج عن الكسائي وإنما قال وعشراً بالتأنيث تغليباً لليالي على الأيام إذا اجتمعت في التاريخ لأن ليلة كل يوم قبله كما قيل لخمس بقين وقد علم المخاطب أن الأيام داخلة مع الليالي وأنشد سيبويه :

فَطافَتْ ثَلاثاً بَيْنَ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ   يَكُوْنُ النَكِيرُ أَنْ تُضِيْفَ وَتَجْأَرا(١)

فيما فعلن ما مع صلته في موضع الجر بفي وقوله بالمعروف الجار والمجرور في موضع النصب على الحال .

[**المعنى**] لما بيّن عدة المطلقات بيّن عدة الوفاة فقال ﴿ **والذين يتوفون** ﴾ منكم أي يُقبضون ويموتون ﴿ **ويذرون** ﴾ أي يتركون ﴿ **أزواجاً** ﴾ أي نساء ﴿ **يتربصن بأنفسهن** ﴾ أي ينتظرن انقضاء العدة ويحبسن أنفسهن عن التزويج معتدات ﴿ **أربعة أشهر وعشراً** ﴾ أي وعشر ليال وعشرة أيام وهذه عدة المتوفى عنها زوجها سواء كانت مدخولاً بها أو غير مدخول بها حرة كانت أو أمة فإن كانت حبلى فعدتها أبعد الأجلين من وضع الحمل أو مضي أربعة أشهر وعشر ووافقنا في عدة الأمة الأصم وخالف باقي الفقهاء في ذلك فقالوا عدتها نصف عدة الحرة شهران وخمسة أيام وإليه ذهب قوم من أصحابنا وقالوا في عدة الحامل أنها بوضع الحمل وإن كان بعدُ على المغتسل وروي ذلك عن عمر بن

(١) تضيف أي تخاف. وتجأر: تضرّع أو صاح .

الخطاب وأبي مسعود البدري وأبي هريرة وعندنا أن وضع الحمل يختص عدة المطلقة والذي يجب على المعتدة في عدة الوفاة اجتنابه هو الزينة والكحل بالأثمد وترك النُقلة عن المنزل عن ابن عباس والزهري والامتناع من التزوج لا غير عن الحسن وإحدى الروايتين عن ابن عباس وعندنا أن جميع ذلك واجب ﴿ **فإذا بلغن أجلهن** ﴾ أي آخر العدة بانقضائها ﴿ **فلا جناح عليكم** ﴾ قيل أنه خطاب للأولياء وقيل لجميع المسلمين لأنه يلزمهم منعها عن التزوج في العدة وقيل معناه لا جناح على النساء وعليكم ﴿ **فيما فعلن في أنفسهن** ﴾ من النكاح واستعمال الزينة التي لا ينكر مثلها وهذا معنى قوله ﴿ **بالمعروف** ﴾ وقيل معنى قوله بالمعروف ما يكون جائزاً وقيل معناه النكاح الحلال عن مجاهد ﴿ **والله بما تعلمون خبير** ﴾ أي عليم وهذه الآية ناسخة لقوله ﴿ **والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً وصية لازواجهم متاعاً إلى الحول غير إخراج** ﴾ وإن كانت متقدمة في التلاوة عليه .

﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَـٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُوا۟ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۚ وَلَا تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَـٰبُ أَجَلَهُۥ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾

[**النزول**] آية في الكوفي وآيتان في غيرهم يترك قولاً معروفاً الكوفي .

[**اللغة**] التعريض ضد التصريح وهو أن تضمن الكلام دلالة على ما تريد وأصله من العرض من الشيء الذي هو جانبه وناحية منه وفي الحديث من عرّض عرّضنا[1] ومن مشى على الكلأ ألقيناه في النهر ومعناه من عرّض بالقذف عرّضنا له بتأديب لا يبلغ الحدّ ومن صرح ألقيناه في نهر الحدّ والفرق بين التعريض والكناية أن التعريض تضمين الكلام دلالة

(١) وفي النهاية : من عرض عرضنا له .

على شيء ليس فيه ذكر له والكناية العدول عن الذكر الأخص بالشيء إلى ذكر يدل عليه فالأول كقول القائل ما أقبح البخل تعرّض بأن المخاطب بخيل (والثاني) كقولك زيداً ضربته كنيت عنه بالهاء والخِطبة الذكر الذي يستدعي به إلى عقدة النكاح أخذ من الخطاب وهو توجيه الكلام للإفهام والخُطبة الوعظ المتسق على ضرب من التأليف وقيل الخُطبة ما له أول وآخر مثل الرسالة والخِطبة للحال نحو الجِلسة والقِعدة والاكنان الستر للشيء والكنّ الستر أيضاً والفرق بين الاكنان والكن أن الاكنان الاضمار في النفس ولا يقال كننته في نفسي والكنّ في معنى الصون وفي التنزيل بيض مكنون والكانون يحتاج إليه في وقت الاكتنان من البرد والكنانة الجعبة الصغيرة تتخذ للنبل والسر في اللغة على ثلاثة أوجه الاخفاء في النفس والشرف في الحسب يقال فلان في سر قومه أي في صميمهم والجماع في الفرج قال امرؤ القيس :

أَلاَ زَعَمَتْ بَسْبَاسَةُ اليَوْمَ أَنَّنِي ... كَبُرتُ وأَنْ لاَ يَشْهَدُ السِرَّ أَمْثَالي[1]

وقال الأعشى :

وَلاَ تَنكِحَنَّ جَارَةً إنَّ سِرَّهَا ... عَلَيْكَ حَرَامٌ فَانْكِحَنْ أَوْ تَأَبَّدا[2]

والعزم عقد القلب على أمر تفعله وفي الحديث خير الأمور عوازمها يعني ما وكّدتَ عزمك عليه والعُقدة من العَقد وهو الشدّ وفي المثل يا عَاقِدُ آذكُرْ حَلاً وعقد اليمين خلاف اللغو .

[**الإعراب**] فيما عرضتم الجار والمجرور في موضع الحال وكذا في قوله من خطبة النساء ﴿ **أن تقولوا** ﴾ في موضع نصب بدل من سرا تقديره ﴿ **ولا تواعدوهن إلا قولاً معروفاً ولا تعزموا عقدة النكاح** ﴾ أي على عقدة النكاح فحذف على استخفافاً كما قالوا ضُرب زيد الظهر والبطن معناه على الظهر والبطن قال سيبويه أن الحذف في هذه الأشياء لا يقاس عليه .

لما تقدم ذكر عدة النساء وجواز الرجعة فيها للأزواج عقّبه ببيان حال غير الأزواج فقال ﴿ **ولا جناح عليكم** ﴾ أي لا حرج ولا ضيق عليكم يا معشر الرجال ﴿ **فيما عرضتم به من خطبة النساء** ﴾ المعتدات ولم تصرحوا به وذلك بأن تذكروا ما يدل على

(٢) بسباسة: امرأة من بني أسد . (٢) تأبّد الرجل: طالت عزبته وقل حاجته في النساء .

رغبتكم فيها ثم اختلف في معناه فقيل التعريض هو أن يقول الرجل للمعتدة أني أريد النكاح وإني أحب امرأة مِن صفتها كذا وكذا فيذكر بعض الصفات التي هي عليها عن ابن عباس وقيل هو أن يقول إنكِ لنافعة وإنكِ لموافقة لي وإنكِ لمعجبة جميلة فإن قضى الله شيئاً كان عن القاسم بن محمد والشعبي وقيل هو كل ما كان من الكلام دون عقدة النكاح عن ابن زيد ﴿**أو أكننتم في أنفسكم**﴾ أي أسررتم وأضمرتم في أنفسكم من نكاحهن بعد مضيّ عدتهن وقيل هو اسرار العزم دون اظهاره والتعريض إظهاره عن مجاهد وابن زيد ﴿ **علم الله أنكم ستذكرونهن** ﴾ برغبتكم فيهن خوفاً منكم أن يسبقكم إليهن غيركم فأباح لكم ذلك ﴿ **ولكن لا تواعدوهن سراً** ﴾ فيه أقوال (أحدها) أن معناه لا تواعدوهن في السر لأنها أجنبية والمواعدة في السر تدعو إلى ما لا يحل (وثانيها) أن معناه الزنا عن الحسن وإبراهيم وقتادة وقالوا كان الوجل يدخل على المرأة من أجل الزنية وهو معرض للنكاح فنهوا عن ذلك (وثالثها) أنه العهد على الامتناع من تزويج غيرك عن ابن عباس وسعيد بن جبير (ورابعها) هو أن يقول لها إني ناكحك فلا تفوتيني نفسك عن مجاهد (وخامسها) أن السر هو الجماع فمعناه لا تصفوا أنفسكم بكثرة الجماع ولا تذكروه عن جماعة . (وسادسها) أنه إسرار عقدة النكاح في السر عن عبد الرحمن بن زيد ويجمع هذه الأقوال ما روي عن الصادق أنه قال لا تصرحوا لهن النكاح والتزويج قال ومن السر أن يقول لها موعدك بيت فلان ﴿ **إلا أن تقولوا قولاً معروفاً** ﴾ يعني التعريض الذي أباحه الله وإلا بمعنى لكن لأن ما قبله هو المنهي عنه وما بعده هو المأذون فيه وتقديره ولكن قولوا قولاً معروفاً ﴿ **ولا تعزموا عقدة النكاح** ﴾ أي على عقدة النكاح يعني لا تبتوا النكاح ولا تعقدوا عقدة النكاح في العدة ولم يرد به النهي عن العزم على النكاح بعد العدة لأنه أباح ذلك بقوله ﴿ **أو أكننتم حتى يبلغ الكتاب أجله** ﴾ معناه حتى تنقضي العدة بلا خلاف وقيل الكتاب هو القرآن والمعنى حتى يبلغ فرض الكتاب أي ما فرض في القرآن من العدة والأجل المضروب لها وقيل معناه حتى يبلغ الفرض أجله وعبَّر بالكتاب عن الفرض كما يقال كتب أي فرض وهذا لأن ما كتب فقد أثبت فقد اجتمعا في معنى الثبوت وقيل أن هذا تشبيه للعدة بالدين المؤجل المكتوب أجله في كتاب فكما يتأخر المطالبة بذلك الدين حتى يبلغ الكتاب أجله كذلك يتأخر خطبة النكاح في العدة إلى انقضاء العدة ﴿ **واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم** ﴾ من أسراركم وضمائركم ﴿ **فاحذروه** ﴾ فاتقوا عقابه ولا تخالفوا أمره ﴿ **واعلموا أن الله غفور** ﴾ لعباده ﴿ **حليم** ﴾ يمهل العقوبة المستحقة فلا يعجل بها .

﴿ لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٦﴾

[**القراءة**] قرأ حمزة والكسائي تُماسوهن بضم التاء وبألف في موضعين هاهنا وفي الأحزاب وقرأ الباقون تمسوهن وقرأ أبو جعفر وأهل الكوفة إلا أبا بكر وابن ذكوان قَدَره بفتح الدال في الموضعين والباقون بإسكانها .

[**الحجة**] حجة من قرأ تمسوهن قوله ﴿ **ولم يمسسني بشر ولم يطمثهن وانكحوهن** ﴾ والنكاح عبارة عن الوطء قال جرير :

التَّارِكُونَ عَلىٰ طُهْرٍ نِسـاءَهُم وَالنّاكِحُونَ بِشَطىء دِجْلَةَ الْبَقَرا

وحجة من قرأ ولا تماسوهن أن فاعل وفعل قد يراد بكل واحد منهما ما يراد بالآخر وذلك نحو طارقتُ النعلَ وعاقَبت اللصَ وقال أبو الحسن يقال هو القَدْر والقَدَر وهم يختصمون في القَدْر والقَدَر قال الشاعر : (ألا يا لقومٍ للنوائب والقدر) وخذ منه بقَدْر كذا وقَدَر كذا لغتان وفي كتاب الله فسالت أودية بقدرها وقَدرها وعلى الموسع قَدَره وقَدْره وما قدروا الله حق قَدْره ولو حَرّكتَ كان جائزاً وكذلك إنّا كل شيء خلقناه بقدر ولو خففت كان جائزاً إلا أن رؤوس الآي كلها متحركة فيلزم الفتح لأن ما قبلها مفتوح .

[**اللغة**] المُوسِع الذي يكون في سعة لِغناه والمقتر الذي يكون في ضيق لفقره يقال أوسع الرجل إذا كثر ماله واتسعت حاله واقتر إذا افتقر وقترت الشيء أقتره قتراً وقَتّرته تقتيراً إذا ضَيَّقت الانفاق منه والقُتار دخان الشحم على النار لقلته بالإضافة إلى بقيته والقَتَر الغبار والقَتير مسامير الدرع لقلتها وصغرها والقتير ابتداء الشيب لقلته ويجوز أن يكون مشبهاً بالدخان أول ما يرتفع والقُتْرة ناموس الصائد لأنها كالقُتار وأصل الباب الإقلال وقدرت الشيء أقدِره وأقدُره قَدْراً وقدرت على الشيء أقدِرُ عليه قدرة وقدوراً .

[**الإعراب**] ما لم تمسوهن موصول وصلة في موضع نصب تقديره مدة ترك المس فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه والعامل في الظرف طلّق وجواب الشرط محذوف تقديره إن طلقتم النساء فلا جناح عليكم متاعاً نصب على أحد وجهين إما أن

يكون حالاً من قدره والعامل فيه الظرف أي ممتّعاً متاعاً وأما على المصدر أي متعوهن متاعاً وحقاً ينتصب أيضاً على أحد وجهين أما أن يكون حالاً من قوله بالمعروف والعامل فيه معنى عرف حقاً وأما أن يكون على التأكيد بجملة الخبر فكأنه قال أخبركم به حقاً أو أحقه حقاً أو حق ذلك عليهم حقاً كأنه قال إيجاباً على المحسنين .

[**المعنى**] ثمَّ بيَّن سبحانه حكم الطلاق قبل الفرض والمسيس فقال ﴿ **لا جناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن** ﴾ هذا إباحة للطلاق قبل المسيس وفرض المهر فرفع الإثم عن الطلاق قبل الدخول لئلا يتوهم أحد أن الطلاق في هذه الحالة محظور والمس كناية عن الوطء والمفروض صداقها داخلة في دلالة الآية وإن لم يذكر لأن التقدير ما لم تمسوهن ممن قد فرضتم لهن ﴿ **أو** ﴾ لم ﴿ **تفرضوا لهن فريضة** ﴾ لأن أو تُنبىء عن ذلك إذ لو كان على الجمع لكان بالواو والمراد بالفريضة الصداق بلا خلاف لأنه يجب بالعقد على المرأة فهو فرض لوجوبه بالعقد ومعناه أو لم تقدروا لهن مهراً مقدراً وإنما خصَّ التي لم يدخل بها الذكر في رفع الجناح دون المدخول بها وإن كان حكمهما واحداً لأمرين (أحدهما) لإزالة الشك على ما قدمنا ذكره (والثاني) لأن له أن يطلّق التي لم يدخل بها أيّ وقت شاء بخلاف المدخول بها فإنه لا يجوز أن يطلقها إلا في طهر لم يجامعها فيه ﴿ **ومتعوهن** ﴾ أي أعطوهن من مالكم ما يتمتعن به والمتعة والمتاع ما يتمتع به ﴿ **على الموسع قدره** ﴾ أي على الغني الذي هو في سعة لغناه على قدر حاله ﴿ **وعلى المقتر قدره** ﴾ أي على الفقير الذي هو في ضيق بقدر امكانه وطاقته والمتعة خادم أو كسوة أو رزق عن ابن عباس والشعبي والربيع وهو المروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله وهو مذهب الشافعي وقيل هو مثل نصف صداق تلك المرأة المنكوحة عن أبي حنيفة وأصحابه ثم اختلف في ذلك فقيل إنما تجب المتعة للتي لم يسم لها صداق خاصة عن سعيد بن المسيب وهو المروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله وهو مذهب أبي حنيفة وأصحابه وقيل المتعة لكل مطلقة إلا المختلعة والمبارئة والملاعنة عن الزهري وسعيد بن جبير وأبي العالية وقيل المتعة لكل مطلقة سوى المطلقة المفروض لها إذا طلقت قبل الدخول فإنما لها نصف الصداق ولا متعة لها عن ابن عمر ونافع وعطاء وهو مذهب الشافعي وقد رواه أصحابنا أيضاً وذلك محمول على الاستحباب وقوله ﴿ **متاعاً** ﴾ أي ومتعوهن متاعاً ﴿ **بالمعروف** ﴾ أي وسطاً ليس فيه إسراف ولا تقتير وقيل متاعاً معتبراً بحال الرجل في اليسار والاقتار وقيل معتبراً بحالهما جميعاً إذ لا يسوّي بين حرة شريفة وبين أمة معتقة ليكون ذلك خارجاً عن التعارف عن القاضي وقال أهل المدينة يؤمر الزوج به من غير أن يجبر عليه وعندنا يجبر عليه وبه

قال أهل العراق ﴿ **حقاً على المحسنين** ﴾ أي واجباً على الذين يحسنون الطاعة ويجتنبون المعصية وإنما خص المحسنين بذلك تشريفاً لهم لا أنه لا يجب على غيرهم ودل ذلك على وجوب الإحسان على جميعهم فإن على كل إنسان أن يكون محسناً فهو كقوله هدى للمتقين وقيل معناه من أراد أن يحسن فهذا حقه وحكمه وطريقه عن أبي مسلم هذا كله في المطلقة فأما المتوفى عنها زوجها إذا لم يفرض لها صداق فلها الميراث وعليها العدة إجماعاً وقال أكثر الفقهاء لها صداق مثلها وحكى أبو علي الجبائي عن بعض الفقهاء أنه قال لا مهر لها وهو الذي يليق بمذهبنا لأنه لا نص لأصحابنا في ذلك .

﴿ وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَاْ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ ۚ وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُاْ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾

[**القراءة**] روي في الشواذ عن الحسن أو يعفو الذي بيده بسكون الواو وعَن علي(ع) ولا تَناسُوا الفضل .

[**الحجة**] قال ابن جني سكون الواو من المضارع في موضع النصب قليل وسكون الياء فيه أكثر وأصل السكون في هذا إنما هو للألف نحو أن يسعى ثم شبهت الياء بالألف لقربها منها نحو قوله :

كَأَنَّ أَيْديهِنَّ بالموماةِ أَيْدِي جَوارٍ بِتْنَ ناعِماتِ[1]

وقوله (كأنّ أيْديهِنّ بالقاعِ القَرِق)[2] ثم شبهت الواو في ذلك بالياء قال الأخطل :

إذا شِئْتَ أَنْ تَلْهو بِبَعْضِ حَدِيثِها رَفَعْنَ وَأَنْزَلْنَ الْقَطِينَ الْمُوَلَّدا[3]

وقال « أبى الله أن أسْمو بأم ولا أب » وأما قوله تعالى ﴿ **ولا تناسوا** ﴾ فإنما هو نهي

(١) قوله أيديهن أي النوق. والمومات : المفازة الواسعة أو الفلاة التي لا ماء فيها .

(٢) وبعده « أيدي جوار يتعاطين الورق » يصف إبلا بالسرعة. والقرق: المكان المستوي .

(٣) القطين : الخدم والاتباع .

عن فعلهم الذي اختاروه وتظاهروا به كما يقال تغافل وتصامٍّ وتحسن هذه القراءة إنك إنما تنهى الإنسان عن فعله والنسيان ظاهره أن يكون من فعل غيره كأنه أُنْسِيَ فنسي قال الله سبحانه وما أنسانيه إلا الشيطان .

[**الإعراب**] فنصف ما فرضتم رفع تقديره عليكم نصف ما فرضتم وقوله ﴿ **يعفون** ﴾ في موضع نصب بأن إلَّا أن فعل المضارع إذا اتصل به نون ضمير جماعة المؤنث بني فيستوي في الرفع والنصب والجزم وأن يعفون موصول وصلة في محل النصب على الاستثناء أو يعفوَ تقديره أو أن يعفو وهو في محل النصب بالعطف على الموصول والصلة قبلها وأن تعفوا في موضع الرفع بالابتداء وأقرب خبره وتقديره والعفو أقرب للتقوى واللام يتعلق بأقرب وهو بمعنى من أو إلى والألف واللام في النكاح بدل من الإضافة إذ المعنى أو يعفو الذي بيده عقدة نكاحه ومثله قوله ﴿ **فإن الجنة هي المأوى** ﴾ ومعناه هي مأواه .

[**المعنى**] ثُمّ بَيَّن سبحانه حكم الطلاق قبل المسيس بعد الفرض فقال ﴿ **وإن طلقتموهن** ﴾ يعني إن طلقتم أيها الرجال النساء ﴿ **من قبل أن تمسوهن** ﴾ أي تجامعوهن ﴿ **وقد فرضتم لهن فريضة** ﴾ أي أوجبتم لهن صداقاً وقدرتم مهراً ﴿ **فنصف ما فرضتم** ﴾ أي فعليكم نصف ما قدرتم وهو المهر المسمى ﴿ **إلا أن يعفون** ﴾ يعني الحرائر البالغات غير المولى عليهن لفساد عقولهن أي يتركن ما يجب لهن من نصف الصداق فلا يطالبن الأزواج بذلك عن ابن عباس ومجاهد وسائر أهل العلم ﴿ **أو يعفو** ﴾ أي يترك ويهب الذي بيده عقدة النكاح قيل هو الولي عن مجاهد وعلقمة والحسن وهو المروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله وهو مذهب الشافعي غير أن عندنا الولي هو الأب أو الجد مع وجود الأب الأدنى على البكر غير البالغ فأما من عداهما فلا ولاية له إلا بتوليتها إياه وقيل هو الزوج ورووه عن علي وسعيد بن المسيب وشريح وإبراهيم وقتادة والضحاك وهو مذهب أبي حنيفة ورواه أيضاً أصحابنا غير أن الأول أظهر وهو المذهب ومن جعل العفو للزوج قال له أن يعفو عن جميع النصف ومن جعله للولي من أصحابنا قال له أن يعفو عن بعضه وليس له أن يعفو عن جميعه فإن امتنعت المرأة عن ذلك لم يكن لها ذلك إذا اقتضته المصلحة عن أبي عبد الله ﴿ **وان تعفو أقرب للتقوى** ﴾ خطاب للزوج والمرأة جميعاً عن ابن عباس وللزوج وحده عن الشعبي قال وإنما جمع لأنه خطاب لكل زوج وقول ابن عباس أقوى لعمومه وإنما كان العفو أقرب للتقوى من وجهين (أحدهما) أن معناه أقرب إلى أن يتقي

أحدهما ظلم صاحبه لأن من ترك لغيره حق نفسه كان أقرب إلى أن لا يظلم غيره بطلب ما ليس له (والثاني) أن معناه أقرب إلى أن يتقي معصية الله لأن من ترك حق نفسه كان أقرب إلى أن لا يعصي الله بطلب ما ليس له ﴿ **ولا تنسوا الفضل بينكم** ﴾ أي لا تتركوا الأخذ بالفضل والإحسان بينكم والافضال فتأخذوا بمُرّ الحكم واستيفاء الحقوق على الكمال بين الله سبحانه في هذه الآية الحكم الذي لا يعذر أحد في تركه وهو أنه ليس للزوج أن ينقصها من نصف المهر ولا للمرأة أن تطالبه بالزيادة ثم بَيّن طريق الفضل من الجانبين وندب إليه وحث عليه ﴿ **إن الله بما تعملون**﴾ أي بأعمالكم ﴿ **بصير** ﴾ أي عليم وروي عن سعيد بن المسيب أن هذه الآية ناسخة لحكم المتعة في الآية الأولى وقال أبو القاسم البلخي وهذا ليس بصحيح لأن الآية تضمنت حكم من لم يدخل بها ولم يسم لها مهراً إذا طلقها وهذه تضمنت حكم التي فرض لها المهر ولم يدخل بها إذا طلقها واحد الحكمين غير الآخر وأقول إذا بينا في الآية الأولى أنها تتناول المطلقات غير المدخول بهن سواء فرض لهن المهر أو لم يفرض وقلنا إنّ متعوهن لا يحمل على العموم إذ لا متعة لمن فرض لها المهر وإن لم يدخل بها فلا بد من تخصيص فيه وتقدير وحذف أي ومتعوا من طلقتم منهن ولم تفرضوا لهن فريضة وإنما جاز هذا الحذف لدلالة ذكر من فرض لها المهر وحكمها في الآية الأخرى عليه وهذا ما سنح لي هاهنا ولم أر أحداً من المفسرين تعرض لذكره وبالله التوفيق .

﴿ حَـٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾

[**اللغة**] الحفظ ضبط الشيء في النفس ثم يشبه به ضبطه بالمنع من الذهاب والحفظ خلاف النسيان وأُحْفظه أغْضبه لأنه حفظ عليه ما يكرهه ومنه الحفيظة الحمية والحفاظ المحافظة والوسطى تأنيث الأوسط وهو الشيء بين الشيئين على جهة الاعتدال وأصل القنوت الدوام على أمر واحد وقيل أصله الطاعة وقيل أصله الدعاء في حال القيام قال علي بن عيسى والأول أحسن لحسن تصرفه في الباب لأن المداوم على الطاعة قانت وكذلك المداوم في صلاته على السكوت إلا عن الذكر المشروع وكذلك المداوم على الدعاء ويقال فلان يقنت عليه أي يدعو عليه دائماً .

[**النزول**] عن زيد بن ثابت أن النبي كان يصلي بالهاجرة[1] وكانت أثقل الصلوات

(١) الهاجرة: نصف النهار عند اشتداد الحرّ .

على أصحابه فلا يكون وراءه إلا الصف أو الصفان فقال لقد هممت أن أحرق على قوم لا يشهدون الصلاة بيوتهم فنزلت هذه الآية .

[**المعنى**] لما حث الله سبحانه على الطاعة خص الصلاة بالمحافظة عليها لأنها أعظم الطاعات فقال ﴿ **حافظوا على الصلوات** ﴾ أي داوموا على الصلوات المكتوبات في مواقيتها بتمام أركانها ثم خص الوسطى تفخيماً لشأنها فقال ﴿ **والصلاة الوسطى** ﴾ كقوله سبحانه ﴿ **من كان عدواً لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال** ﴾ أي والصلاة الوسطى خاصة فداوموا عليها ثم اختلف في الصلاة الوسطى على أقوال (أحدها) أنها صلاة الظهر عن زيد بن ثابت وابن عمر وأبي سعيد الخدري وأسامة وعائشة وهو المروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله وهو قول أبي حنيفة وأصحابه وذكر بعض أئمة الزيدية إنها الجمعة يوم الجمعة والظهر سائر الأيام ورواه عن علي ويدل عليه سبب نزول هذه الآية وهو أنها وسط النهار وأول صلاة فرضت وروي عن علي قال قال النبي ﷺ إن الله في السماء الدنيا حلقة تزول فيها الشمس فإذا زالت الشمس سبح كل شيء لربنا فأمر الله سبحانه بالصلاة في تلك الساعة وهي الساعة التي تفتح فيها أبواب السماء فلا تغلق حتى يصلى الظهر ويستجاب فيها الدعاء (وثانيها) أنها صلاة العصر عن ابن عباس والحسن وروي ذلك عن علي وابن مسعود وقتادة والضحاك وروي ذلك عن أبي حنيفة وروي مرفوعاً إلى النبي قالوا لأنها بين صلاتي النهار وصلاتي الليل وإنما خصت بالذكر لأنها تقع في وقت اشتغال الناس في غالب الأمر وروي عن النبي أنه قال الذي تفوته صلاة العصر فكأنما وُتِر أهله وماله وروى بريدة قال قال النبي ﷺ بَكِّروا بالصلاة في يوم الغيم فإنه من فاتته صلاة العصر حبط عمله (وثالثها) أنها المغرب عن قبيصة بن ذؤيب قال لأنها وسط في الطول والقصر من بين الصلوات وروى الثعلبي بإسناده عن عائشة قالت قال رسول الله إن أفضل الصلوات عند الله صلاة المغرب لم يحطّها الله عن مسافر ولا مقيم فتح الله بها صلاة الليل وختم بها صلاة النهار فمن صلى المغرب وصلى بعدها ركعتين بنى الله له قصراً في الجنة ومن صلى بعدها أربع ركعات غفر الله له ذنب عشرين أو أربعين سنة ﴿ ورابعها) أنها صلاة العشاء الآخرة عن بعضهم قال لأنها بين صلاتين لا تقصّران وروي عن النبي أنه قال من صلى العشاء الآخرة في جماعة كان كقيام نصف ليلة ومن صلى صلاة الفجر في جماعة كان كقيام ليلة (وخامسها) أنها صلاة الفجر عن معاذ وابن عباس وجابر بن عبد الله وعطاء وعكرمة ومجاهد وهو قول الشافعي قالوا لأنها بين صلاتي الليل وصلاتي النهار وبين الظلام والضياء ولأنها صلاة لا تجمع مع غيرها فهي منفردة بين مجتمعين ويدل عليه

من التنزيل قوله وقرآن الفجر أن قرآن الفجر كان مشهوداً يعني تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار وهو مكتوب في ديوان الليل وديوان النهار قالوا ويدل عليه آخر الآية وهو قوله ﴿ وقوموا لله قانتين ﴾ يعني وقوموا فيها لله قانتين قال أبو رجاء العطاردي صلى بنا ابن عباس في مسجد البصرة صلاة الغداة فقنت فيها قبل الركوع ورفع يديه فلما فرغ قال هذه الصلاة الوسطى التي أمرنا أن نقوم فيها قانتين أورده الثعلبي في تفسيره وروي بإسناده مرفوعاً إلى أنس بن مالك قال ما زال رسول الله يقنت في صلاة الغداة حتى فارق الدنيا (وسادسها) أنها إحدى الصلوات الخمس لم يعينها الله وأخفاها في جملة الصلوات المكتوبة ليحافظوا على جميعها كما أخفى ليلة القدر في ليالي شهر رمضان واسمه الأعظم في جميع الأسماء وساعة الإجابة في ساعات الجمعة عن الربيع بن خيثم وأبي بكر الوراق ﴿ وقوموا لله قانتين ﴾ قال ابن عباس معناه داعين والقنوت هو الدعاء في الصلاة في حال القيام وهو المروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله وقيل معناه طائعين عن الحسن وسعيد بن المسيب وقتادة والضحاك وطاووس وإحدى الروايتين عن ابن عباس وقيل معناه خاشعين عن مجاهد قال نهوا عن العبث والالتفات في الصلاة وقيل ساكنين عن ابن مسعود وزيد بن أرقم والأصل فيه الإتيان بالدعاء أو غيره من العبادات في حال القيام ويجوز أن يطلق في سائر الطاعات فإنه وإن لم يكن فيه القيام الحقيقي فإن فيه القيام بالعبادة .

﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾

[**اللغة**] الرِجال جمع راجل مثل تجار وصحاب وقيام في جمع تاجر وصاحب وقائم والراجل هو الكائن على رجله واقفاً كان أو ماشياً والركبان جمع راكب كالفرسان جمع فارس وكل شيء علا شيئاً فقد ركبه والركاب المطي وركبت الرجل أركبه ركباً أي ضربته بركبتي وأصبت ركبته أيضاً وهذا قياس في جميع الأعضاء نحو رأسته وبطنته وظهرته .

[**الإعراب**] رجالاً منصوب على الحال تقديره فصلّوا رجالاً كما علّمكم الكاف يتعلق باذكروا وما مصدرية في ما علمكم وقوله ﴿ **ما لم تكونوا تعلمون** ﴾ موصول وصلة في موضع المفعول الثاني لعلّم .

[**المعنى**] لما قدّم سبحانه وجوب المحافظة على الصلاة عقَبْه بذكر الرخصة عند المخافة فقال ﴿ **فإن خفتم** ﴾ أي إن لم يمكنكم أن تقوموا قانتين موفين الصلاة حقّها لخوف عرض لكم ﴿ **فرجالا** ﴾ أي فصلّوا رجالاً على أرجلكم وقيل مشاة ﴿ **أو ركباناً** ﴾ أي على ظهور دوابكم عنى بها صلاة الخوف وصلاة الخوف من العدو ركعتان في السفر والحضر إلا المغرب فإنها ثلاث ركعات ويروى أن علياً صلى ليلة الهرير خمس صلوات بالإيماء وقيل بالتكبير وإن النبي صلى يوم الأحزاب إيماء ﴿ **فإذا أمنتم** ﴾ من الخوف ﴿ **فاذكروا الله** ﴾ أي فصلّوا صلاة الأمن وقيل اذكروا الله بالثناء عليه والحمد له ﴿ **كما علّمكم** ﴾ من أمور دينكم وغير ذلك من أموركم[1] ﴿ **ما لم تكونوا تعلمون** ﴾ .

﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ۚ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِى مَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤٠﴾

[**القراءة**] قرأ أهل المدينة وابن كثير والكسائي وأبو بكر عن عاصم وصيةٌ بالرفع والباقون بالنصب .

[**الحجة**] قال خابو علي حجة من قرأ وصية بالرفع أنه يجوز أن يرتفع من وجهين (أحدهما) أن يكون مبتدأ والظرف خبره وحسن الإبتداء بالنكرة لأنه موضع تخصيص كما حسن أن يرتفع سلام عليكم وخير بين يديك ونحو قوله لملتمس المعروف أَهْلٌ ومَرْحَبٌ لأنها في موضع دعاء فجاز فيها الابتداء بالنكرة لما كان معناها كمعنى المنصوب(والآخر) أن تضمر له خبراً. فيكون لأزواجهم صفة وتقدير الخبر المضمر فعليهم وصية لأزواجهم ومن نصب وصية حمله على الفعل أي ليوصوا وصية ويكون قوله لأزواجهم وصفاً كما كان في قول من أضمر الخبر كذلك ومن حجتهم أن الظرف إذا تأخر عن النكرة كان استعماله صفة أكثر وإذا كان خبراً تقدم على النكرة إذا لم يكن في معنى المنصوب كقوله تعالى ﴿ **ولهم أعمال من دون ذلك ولدينا مزيد** ﴾ فإذا تأخرت فالأكثر فيها أن تكون صفاتاً وقال بعضهم لا يجوز غير الرفع لأنه لا يمكن الوصية بعد الوفاة ولأن فرض النفقة كان لهنّ أوصى أو لم يوص قال علي بن عيسى وهذا غلط لأن المعنى والذين تحضرهم الوفاة منكم

(١) وفي المخطوطتين « من أمور دنياكم » بدل « من أموركم » .

فلذلك قال يتوفون على لفظ الحاضر الذي يتطاول نحو قوله﴿**الذين يصلون فليعرضوا عن الفكر فيما يشغلهم**﴾ فأما قولهم أن الفرض كان لهنّ وإن لم يوصوا فغير صحيح لأن الزوج إذا فرط في الوصية فلا ينكر أن يوجبه الله على الورثة وقال قتادة والسدي كان يجب على الزوج الوصية لها كما أوجب الوصية للوالدين والأقربين وقوله متاعاً نصب على وجهين (أحدهما) أنه على تقدير متّعوهن متاعاً (والثاني) جعل الله لهن ذلك متاعاً لأن ما قبله دلّ عليه وقوله غير إخراج منصوب على وجهين (أحدهما) أن يكون صفة لمتاع (والثاني) أن يكون مصدراً وضع موضع الحال قال الفراء وهو كقولك جئتك غير رغبة إليك فكأنه قال متعوهن متاعاً في مساكنهن وأقول إن تقديره غير مخرجات إخراجاً فيكون ذو الحال هُنَّ من متعوهنَّ ويجوز أن يكون تقديره غير مخرجين فيكون ذو الحال الواو من متعوهنَّ .

[**المعنى**] ﴿**والذين يتوفون منكم**﴾ أي الذين يقاربون منكم الوفاة لأن المتوفي لا يؤمر ولا ينهى ﴿ **ويذرون أزواجاً وصية لأزواجهم** ﴾ أي فليوصوا وصية لهن ومن رفع فمعناه وصية من الله لأزواجهم أو عليهم وضية لهن ﴿**متاعاً إلى الحول**﴾ يعني ما ينتفعن به حولاً من النفقة والكسوة والسكنى وقيل وهو مثل المتعة في المطلقات وكان واجباً في المتوفى عنها زوجها بالوصية من مال الزوج ﴿**غير إخراج**﴾ أي لا يخرجن من بيوت الأزواج ﴿**فإن خرجن**﴾ بأنفسهن قبل الحول من غير أن يخرجهن الورثة وقيل أن المراد إذا خرجن بعد مضي الحول وقد مضت العدة فإن بمعنى إذا عن القاضي وغيره ﴿**فلا جناح عليكم**﴾ يا معشر أولياء الميت ﴿**فيما فعلن في انفسهن من معروف**﴾ اختلفوا في رفع الجناح قيل لا جناح في قطع النفقة والسكنى عنهنّ عن الحسن والسدي قالا وهذا دليل على سقوط النفقة بالخروج وان ذلك كان واجباً لهن بالإقامة إلى الحول فإن خرجن قبله بطل الحق الذي وجب لهن بالإقامة وقيل لا جناح عليكم في ترك منعهن من الخروج لأن مقامها سنة في البيت غير واجب ولكن قد خيّرها الله في ذلك عن الجبائي وقيل لا جناح عليكم ان تزوجن بعد انقضاء العدة وهذا أوجه وتقديره إذا خرجن من العدة بانقضاء السنة فلا جناح ان تزوجن وقوله من معروف يعني طلب النكاح والتزيّن ﴿**والله عزيز**﴾ قادر لا شيء يعجزه ﴿**حكيم**﴾ لا يصدر منه إلا ما تقتضيه الحكمة واتفق العلماء على أن هذه الآية منسوخة وقال أبو عبد الله ثم كان الرجل إذا مات أنفق على امرأته من صلب المال حولاً ثم اخرجت بلا ميراث ثم نسختها آية الربع والثمن فالمرأة ينفق عليها من نصيبها وعنه قال نسختها يتربّص بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً ونسختها آية المواريث.

﴿ وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾
كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٤٢﴾

[**الإعراب**] الوجه في انتصاب قوله حقاً مثل ما بيناه فيما قبل في قوله حقاً على المحسنين كذلك الكاف يتعلق بيبين أي مثل هذا البيان يبين لكم.

[**النزول**] قيل لما نزلت ومتعوهن على الموسع قدره إلى قوله حقاً على المحسنين قال بعضهم إن أحببتُ فعلت وإن لم ارد ذلك لم أفعل فأنزل الله هذه الآية عن عبد الرحمن بن زيد بن اسلم.

[**المعنى**] لما قدّم سبحانه بيان احوال المعتدات عقبة ببيان ما يجب لهن من المتعة فقال **﴿وللمطلقات متاع بالمعروف﴾** اختلف فيه فقال سعيد بن جبير وأبو العالية والزهري ان المراد بهذا المتاع المتعة وأن المتعة واجبة لكل مطلقة وقال أبو علي الجبائي المراد به النفقة وهو المتاع المذكور في قوله متاعاً إلى الحول وقال سعيد بن المسيب الآية منسوخة بقوله تعالى فنصف ما فرضتم وعندنا انها مخصوصة بتلك الآية ان نزلتا معاً وان كانت تلك متأخرة فمنسوخة لأن عندنا لا تجب المتعة الا للمطلقة التي لم يدخل بها ولم يفرض لها مهر فأما المدخول بها فلها مهر مثلها إن لم يسم لها مهر وإن سمي لها مهر فما سمي لها وغير المدخول بها المفروض مهرها لها نصف المهر ولا متعة في هذه الأحوال وبه قال الحسن فلا بد من تخصيص هذه الآية وذكرنا الكلام في المتعة عند قوله **﴿ومتعوهن﴾** وقوله **﴿بالمعروف حقاً على المتقين﴾** مضى تفسيره وخصّ المتقين هنا كما خص المحسنين هناك **﴿كذلك يبين الله لكم آياته﴾** أي كما بين الله لكم الأحكام والآداب التي مضت مما تحتاجون إلى معرفتها في دينكم يبين لكم هذه الأحكام فشبّه البيان الذي يأتي بالبيان الماضي والبيان هو الادلة التي يفرق بها الحق والباطل **﴿لعلكم تعقلون﴾** معناه لكي تعقلوا آيات الله وقيل لعلكم تكمل عقولكم فإن العقل الغريزي إنما يكمل بالعقل المكتسب والمراد به استعمال العقل مع العلم به ومن لم يستعمل العقل فكأنه لا عقل له وهذا كقوله تعالى إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة جعلهم جُهّالاً لأنهم آثروا هَوَاهُم على ما علموا أنه الحق.

﴿ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ

فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾

[**اللغة**] الرؤية هنا بمعنى العلم ومعنى الم تَرَ الم تَعْلم وهذه الألف الف التوقيف وترَ متروكة الهمزة وأصله ألم ترا من رأى يرأى مثل نأى ينأى إلا أنهم على اسقاط الهمزة هنا للتخفيف .

[**الاعراب**] حذر الموت نصب لأنه مفعول له وجاز ان يكون نصبه على المصدر لأن خروجهم يدل على حذروا الموت حذراً.

[**المعنى**] لما ذكر قوله يبيّن آياته للناس عقبه بذكر آية من آياته فقال ﴿**الم تر**﴾ أي الم تعلم : يا محمد أو أيها السامع أو لم ينته علمك إلى خبر هؤلاء ﴿**الذين خرجوا من ديارهم**﴾ قيل هم من قوم بني إسرائيل فرّوا من طاعون وقع بأرضهم عن الحسن وقيل فرّوا من الجهاد وقد كتب عليهم عن الضحاك ومقاتل واحتجا بقوله عقيب الآية وقاتلوا في سبيل الله وقيل هم قوم حزقيل وهو ثالث خلفاء بني اسرائيل بعد موسى وذلك ان القيم بامر بني اسرائيل بعد موسى كان يوشع بن نون ثم كالب بن يوقنا ثم حزقيل وقد كان يقال له ابن العجوز وذلك ان أمه كانت عجوزاً فسألت الله الولد وقد كبرت وعقمت فوهبه الله لها وقال الحسن هو ذو الكفل وإنما سمي حزقيل ذا الكفل لأنه كفل سبعين نبيّاً نجاهم من القتل وقال لهم اذهبوا فإني إن قتلت كان خيراً من أن تقتلوا جميعاً فلما جاء اليهود وسألوا حزقيل عن الأنبياء السبعين فقال انهم ذهبوا ولا ادري أين هم ومنع الله ذا الكفل منهم (وهم الوف) أجمع اهل التفسير على ان المراد بألوف هنا كثرة العدد إلا ابن زيد فإنه قال معناه خرجوا مؤتا في القلوب لم يخرجوا عن تباغض فجعله جمع الف مثل قاعد وقعود وشاهد وشهود واختلف من قال المراد به العدد الكثير فقيل كانوا ثلاثة آلاف عن عطاء الخراساني وقيل ثمانية آلاف عن مقاتل والكلبي وقيل عشرة آلاف عن ابن روق وقيل بضعة وثلاثين الفاً عن السدي وقيل أربعين الفاً عن ابن عباس وابن جريج وقيل سبعين الفاً عن عطا بن أبي رباح وقيل كانوا عدداً كثيراً عن الضحاك والذي يقضي به الظاهر أنهم كانوا اكثر من عشرة آلاف لأن بناء فعول للكثرة وهو ما زاد على العشرة وما نقص عنها يقال فيه آلاف يقال فيه عشرة آلاف ولا يقال عشرة الوف ﴿**حذر الموت**﴾أي من خوف الموت ﴿**فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم**﴾قيل في معناه قولان (احدهما) ان معناه أماتهم الله كما يقال

قالت السماء فهطلت معناه فهطلت السماء وقلت برأسي كذا وقلت بيدي كذا ومعناه أشرت برأسي وبيدي وذلك لما كان القول في الأكثر استفتاحاً للفعل كالقول الذي هو تسمية وما جراه مجهراه مما كان يستفتح به الفعل صار معنى قالت السماء فهطلت أي استفتحت بالهطلان كذلك معناه هاهنا فاستفتح الله باماتتهم (والثاني) ان معناه اماتهم بقول سمعته الملائكة لضرب من العبرة ثم احياهم الله بدعاء نبيّهم حزقيل عن ابن عباس وقيل انه شمعون من أنبياء بني إسرائيل ﴿ **إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون** ﴾ لما ذكر النعمة عليهم بما أراهم من الآية العظيمة في انفسهم ليلتزموا سبيل الهدى ويجتنبوا طريق الردى ذكر بعده ما له عليهم من الانعام والاحسان مع ما هم عليه من الكفران وهذه الآية حجة على من انكر عذاب القبر والرجعة معاً لأن إحياء اولئك مثل إحياء هؤلاء الذين أحياهم الله للإعتبار .

[**القصة**] قيل ان اسم القرية التي خرجوا منها هرباً من وبائها داوردان قُبُلَ واسط قال الكلبي والضحاك ومقاتل أن ملكاً من ملوك بني إسرائيل امرهم ان يخرجوا إلى قتال عدوهم فخرجوا فعسكروا ثم جنوا وكرهوا الموت فاعتلّوا وقالوا ان الأرض التي نأتيها بها الوباء فلا نأتيها حتى ينقطع منها الوباء فأرسل الله عليهم الموت فلما رأوا ان الموت كثر فيهم خرجوا من ديارهم فراراً من الموت فلما رأى الملك ذلك قال اللهم رب يعقوب وإله موسى قد ترى معصية عبادك فأرهم آية في أنفسهم حتى يعلموا أنهم لا يستطيعون الفرار منك فأماتهم الله جميعاً وأمات دوابهم واتى عليه ثمانية ايام حتى انتفخت واروحت اجسادهم فخرج اليهم الناس فعجزوا عن دفنهم فحظروا عليهم حظيرة دون السباع وتركوهم فيها قالوا وأتى على ذلك مدة حتى بليت اجسادهم وعريت عظامهم وتقطعت اوصالهم فمرّ عليهم حزقيل وجعل يتفكر فيهم متعجباً منهم فأوحى[1]إليه يا حزقيل تريد أن اريك آية واريك كيف أحيي الموت قال نعم فأحياهم الله وقيل انهم كانوا قوم حزقيل فأحياهم الله بعد ثمانية ايام وذلك أنه لما اصابهم ذلك خرج حزقيل في طلبهم فوجدهم موتى فبكى ثم قال يا رب كنت في قوم يحمدونك ويسبّحونك ويقدّسونك فبقيت وحيداً لا قوم لي فأوحى الله إليه قد جعلت حياتهم إليك فقال حزقيل احيوا بإذن الله فعاشوا وسأل حمران بن اعين ابا جعفر الباقر (ع) عن هؤلاء القوم الذين قال لهم الله موتوا ثم احياهم فقال أحياهم حتى نظر الناس اليهم ثم أماتهم أم ردّهم إلى الدنيا حتى سكنوا الدور واكلوا

(١) [الله].

الطعام قال لابل ردّهم الله حتى سكنوا الدور واكلوا الطعام ونكحوا النساء ومكثوا بذلك ما شاء الله ثم ماتوا بآجالهم.

﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾

[**المعنى**] اختلف في المخاطب بقوله **﴿وقاتلوا في سبيل الله﴾** فقيل توجّه الخطاب إلى الصحابة بعد ما ذكرهم بحال من فرَّ من الموت فلم ينفعه الفرار يحرضهم على الجهاد لئلا يسلكوا في الفرار من الجهاد سبيل اولئك الذين فروا من الديار وقيل أنه خطاب للذين جرى ذكرهم على تقدير وقيل لهم قاتلوا في سبيل الله **﴿واعلموا ان الله سميع عليم﴾** أي سميع لما يقول المنافق عليم بما يجنّه فاحذروا حاله.

﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾

[**القراءة**] **فيضاعفه** فيه أربع قرآت قرأ أبو عمرو ونافع وحمزة والكسائي فيضاعفه بالالف والرفع وقرأ عاصم الالف والنصب وقرأ ابن كثير وأبو جعفر فيُضعِفه بالتشديد والرفع وقرأ ابن عامر ويعقوب بالتشديد والنصب وقرأ أبو عمرو والكسائي وحمزة يبسط وبسطه[1]: وفي الاعراف ايضاً بالسين وروي عنهم أيضاً بالصاد ويعقوب وهشام بالسين والباقون مختلف عنهم.

[**الحجة**] قال أبو علي للرفع في قوله فيضاعفه وجهان (أحدهما) أن يعطفه على ما في الصلة والآخر ان يستأنفه فأما النصب في فيضاعفه فالرفع احسن منه الا ترى ان الاستفهام إنما هو عن فاعل الأقراض لا عن الأقراض وإذا كان كذلك لم يكن مثل قولك اقترضني فأشكرك لأن الاستفهام ههنا عن الاقراض ووجه قول ابن عامر وعاصم في النصب من فاء فيضاعفه أنه حمل الكلام على المعنى وذلك أنه لما كان المعنى أيكون قرض حمل قوله فيضاعفه على ذلك كما ان من قرأ من يضلل الله فلا هادي ويذرهم جزم قوله ويذرهم لما كان معنى قوله فلا هادي له لا يهده ونحو ذلك مما يحمل فيه الكلام على المعنى دون اللفظ كثير فأما القول في يضاعف ويضعف فكل واحد منهما في معنى الآخر وقوله

(١) [هنا].

اضعافاً منصوب على الحال وتقديره فيكثره فإذا هي اضعاف فيكون حالاً بعد الفراغ من الفعل ووجه قول من ابدل من السين الصاد في هذه المواضع التي ذكرت ان الطاء حرف مستعل يتصعد من مخرجها إلى الحنك ولم يتصعد السين تصعدها فكره التصعد عن التسفل فابدل من السين حرفاً في مخرجها في تصعد الطاء فتلأم الحرفان وصار كل واحد منهما وفق صاحبه في التصعد فزال في الابدال ما كان يكره من التصعد عن التسفل ولو كان اجتماع الحرفين على عكس ما ذكرناه وهو أن يكون التصعد قبل التسفل لم يكره ذلك ولم يبدلوا الا ترى انهم قالوا طسم الطريق وقسوت وقست فلم يكرهوا التسفل عن تصعد كما كرهوا بسط حتى قالوا بصط فأبدلوا فأما من لم يبدل السين في بسط وترك السين فلأنه الاصل ولأن ما بين الحرفين من الخلاف يسير فاحتمل الخلاف لقلته.

[**اللغة**] القرض هو قطع جزء من المال بالإعطاء على أن يرّد بعينه أو يرّد مثله بدلاً منه وأصل القرض القطع بالمناب يقال قرض الشيء يقرض إذا قطعه بنابه واقرض فلان فلاناً إذا اعطاه ما يتجازاه منه والاسم منه القرض والتضعيف والمضاعفة والاضعاف بمعنى وهو الزيادة على اصل الشيء حتى يصير مثلين أو أكثر تقول ضعفّت القوم اضعّفهم ضعفاً إذا كثرتهم فصرت مع أصحابك على الضعف منهم وضعف الشيء مثله في المقدار إذا زيد عليه فكل واحد منهما ضعف وضَعف الشيء ضَعْفاً وضِعْفاً والضعف خلاف القوة والقبض خلاف البسط يقال قبضه يقبضه قبضاً والقبض ضم الكف على الشيء والتقبض التشنج وتقبَض عنه إذا اشمأز عنه لأنه ضم نفسه عن الانبساط إليه وقبض الانسان إذا مات والملك قابض الارواح وبسط يبسط بسطاً والبساط ما بسطته والبساط بفتح الباء الأرض الواسعة وكتب يبسط بالسين وبصطة بالصاد لأن القلب على الساكن اقوى منه على المتحرك.

[**المعنى**] لما حث سبحانه على الجهاد وذلك يكون بالنفس والمال وعقّبه بالتلطف في الاستدعاء إلى اعمال البر والانفاق في سبيل الخير فقال ﴿**من ذا الذي يقرض الله**﴾ أي ينفق في سبيل الله وطاعته والمراد به الأمر وليس هذا بقرضِ حاجة على ما ظنه اليهود فقال إنما يستقرض منا ربنا عن عَوَز فإنما هو فقير[1] ونحن أغنياء بل سمى تعالى الانفاق قرضاً تلطفاً للدعاء إلى فعله وتأكيداً للجزاء عليه فإن القرض يوجب الجزاء ﴿**قرضاً حسناً**﴾ والقرض الحسن ان ينفق من حلال ولا يفسده بمنّ ولا اذى وقيل هو ان يكون محتسباً طيباً به نفسه عن الواقدي وقيل هو ان يكون حسن الموقع عند الإنفاق فلا يكون خسيساً

(١) [ونحن اغنياء فأنزل الله سبحانه: لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير].

والأولى أن يكون جامعاً لهذه الأمور كلها فلا تنافي بينها فيضاعفه له اضعافاً كثيرة أي فيزيده له أي يعطيه ما لا يعلمه الا الله وهو مثل قوله تعالى **﴿ويؤت من لدنه اجراً عظيماً﴾** عن الحسن والسدي وروي عن الصادق (ع) أنه قال لما نزلت هذه الآية من جاء بالحسنة فله خير منها قال رسول الله رب زدني فأنزل الله من جاء بالحسنة فله عشر امثالها فقال رسول الله رب زدني فأنزل الله سبحانه من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً **﴿فيضاعفه له اضعافاً كثيرة﴾** والكثير عند الله لا يحصى والله يقبض ويبسط معناه والله يقبض الرزق عن أقوام بأن يقتره عليهم ويبسط الرزق على أقوام بأن يوسعه عليهم عن الحسن وابن زيد وقيل معناه يقبض الصدقات ويبسط الجزاء عليها عاجلاً أو آجلاً أو كلاهما عن الاصم والزجاج وقيل يقبض الرزق بموت واحد ويبسط لوارثه **﴿وإليه ترجعون﴾** وهذا تأكيد للجزاء قال الكلبي في سبب نزول هذه الآية أن النبي ﷺ قال من تصدق بصدقة فله مثلها في الجنة فقال أبو الدحداح الانصاري واسمه عمرو بن الدحداح يا رسول الله إن لي حديقتين ان تصدقت باحداهما فإن لي مثليها في الجنة قال نعم قال وام الدحداح معي قال نعم قال والصبية معي قال نعم فتصدق بافضل حديقتيه فدفعها إلى رسول الله فنزلت الآية فضاعف الله له صدقته الفي الف وذلك قوله اضعافاً كثيرة قال فرجع أبو الدحداح فوجد أم الدحداح والصبية في الحديقة التي جعلها صدقة فقام على باب الحديقة وتحرج ان يدخلها فنادى يا أم الدحداح قالت لبيك يا أبا الدحداح قال أني قد جعلت حديقتي هذه صدقة واشتريت مثليها في الجنة وأم الدحداح معي والصبية معي قالت بارك الله لك فيما شريت وفيما اشتريت فخرجوا منها واسلموا الحديقة إلى النبي فقال النبي كم نخلة متدلٍ عذوقها لأبي الدحداح في الجنة .

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ
إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ
عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا
نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ
عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٤٦﴾

[**القراءة** قرأ نافع وحده عسيتم بكسر السين والباقون بفتحها.

[**الحجة**] المشهور في عسيت فتح السين ووجه قراءة نافع انهم قالوا هو عَسٍ بذلك وما عساه واعسِ به حكاه ابن الاعرابي وهذا يقوي قراءة نافع لأن عسٍ مثلٍ حرٍ وشجٍ وقد جاء فَعَل وفَعِل مثل نَقَم ونَقِم ووَرَتْ بك زِنادي ووَرِيتْ فكذلك عَسَتْ وعَسِيَتْ فإن اسند الفعل إلى ظاهر فقياس عسيتم ان تقول عَسِي زيدٌ مثل رَضِي فإن قاله فهو قياسُ قولِهِ وان لم يقله فسائغ له ان يأخذ باللغتين معاً ويستعمل احداهما في موضع والاخرى في موضع آخر كما فعل ذلك غيره.

[**اللغة**] الملأ الجماعة الاشراف من الناس وروي ان رجلاً من الانصار قال يوم بدر إن قتلنا الأعاجيز(١) صُلْعاً فقال النبي اولئك الملأ من قريش لو رأيتهم في انديتهم لهبتهم ولو أمروك لأطعتهم ولاحتقرت فعالك عند فعالهم وملأت الإناء أترعته لأنه يجتمع فيه ما لا يكون مزيد عليه ومالأت الرجل عاونته وتَمالأوا على ذلك إذا تعاونوا وملأٍ الرجل ملاءة فهو ملّي بالأمر إذا امكنه القيام به والملأ الخلق لأن جميع افعال صاحبه يجري عليه يقال احسنوا املاءكم أي أخلاقكم قال:

تَـنَـادَوْا يَـالَ بُـهْـثَـةَ إِذْ رَأَوْنَـا فَـقُلْنَـا أَحْـسِنِي مَـلأً جُـهَيْـنا(٢)

واصل الباب الاجتماع فيما لا يحتمل المزيد وإنما سمي الاشراف ملأ لأنه لا مزيد على شرفهم وقيل لأن هيبتهم تملأ الصدور والملأ مقصوراً المتسع من الأرض قال الشاعر.

ألا غَـنِيَّـانِـي وَارْفَعَـا الـصَّـوْتَ بِـالـمَـلا فَإِنَّ الْمَلا عِنْدي تَرِيدُ الْمدَىٰ(٣) بَعْدا

[**الاعراب**] من بني اسرائيل الجار والمجرور في محل النصب على الحال والعامل فيه تر وذو الحال الملأ ومن بعد موسى في موضع الحال أيضاً وهو حال بعد حال أو حال من الضمير في الجار والمجرور قبله وقوله نقاتل جزم على الجواب للمسألة التي هي على لفظ الأمر أي ان تبعث لنا ملكاً نقاتل ولو كان بالياء لجاز الرفع على ان يكون صفة للملك قال الزجاج والرفع في نقاتل بعيد يجوز على معنى فإنا نقاتل في سبيل الله وكثير من

---

(١) أي مشايخ عجزة عن الحرب.

(٢) بهثة: أبو حي من سليم وهو بُهثة بن سليم بن منصور.

(٣) المدى : الغاية والمنتهى.

النحويين لا يجيز الرفع فيه وقوله الا تقاتلوا في موضع نصب لأنه خبر عسى وقوله وما لنا ان لا نقاتل قال أبو الحسن الأخفش فيه وفي قوله ما لكم ان لا تأكلوا إنَّ أنْ زائدة كأنه قال ما لنا لا نقاتل وما لكم لاتأكلون كقوله مالكم لا تنطقون وما لك لا تأمنا ووقع الفعل المنفي موقع الحال كما وقع الموجب موقعه في قولك مالك تفعل وقد يقال أيضاً في نحو ذلك ان المعنى وما لنا في ان لا نقاتل وما لكم في ان لا تأكلوا فكأنه حمل الآية على وجهين قال أبو علي والقول الثاني أوضح ويكون انْ مع حرف في موضع نصب الحال كقوله تعالى **﴿ فما لهم من التذكرة معرضين ﴾** ونحو ذلك ثم حذف الجار وسدّ ان وصلتها ذلك المسدّ والحال في الاصل هو الجالب للحرف المقدر الا أنه ترك اظهاره لدلالة المنصوب عنه عليه ومثله في وقوع الظرف موقع الحال قول أبو ذؤيب.

يَعْثُرْنَ في حَدِّ الظُّبَاةِ كَأنّما ... كُسِيَتْ بُرُودَ بَنِي يَزِيْدِ الأَذْرُعُ[1]

وهذا كما يقال خرجت في الثياب أي خرجت لابساً ووجه ثالث ذكره المبرد وهو ان يكون ما جحدوا وتقديره وما لنا نترك القتال وعلى الوجهين الاولين يكون ما استفهاما وقد اخرجنا جملة في موضع الحال وتقديره وما لنا الا نقاتل مخرجين من ديارنا وذو الحال الضمير في ألا نقاتل وقليلاً منصوب على الاستثناء من الموجب.

[**المعنى**] لما قَدّم تعالى ذكر الجهاد عَقّبه بذكر القصة المشهورة في بني اسرائيل تضمنت شرح ما نالهم في قعودهم عنه تحذيراً من سلوك طريقهم فيه **﴿الم تر﴾** أي الم ينته علمك يا محمد **﴿إلى الملأ﴾** أي جماعة الاشراف **﴿من بني اسرائيل من بعد موسى﴾** أي من بعد وفاته **﴿ذا قالوا لنبي لهم﴾** اختلف في ذلك النبي فقيل اسمه شمعون سَمَّته امّه بذلك لأن أمه دعت إلى الله ان يرزقها غلاماً فسمع الله دعاءها فيه وهو شمعون بن صفية من ولد لاوي بن يعقوب عن السُدّي وقيل هو يوشع بن نون بن افراثيم بن يوسف بن يعقوب عن قتادة وقيل هو اشمويل وهو بالعربية إسماعيل عن اكثر المفسرين وهو المروي عن أبي جعفر **﴿ابعث لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله﴾** اختلف في سبب سؤالهم ذلك فقيل كان سبب سؤالهم ذلك استذلال الجبابرة لهم لما ظهروا على بني إسرائيل وغلبوهم على كثير من ديارهم وسبوا كثيراً من ذراريهم بعد ان كانت الخطايا قد كثرت في بني إسرائيل

(١) أي حمر الوحش يقال عثر الفرس إذا زلّ وكبا. الظُباة جمع الظُبّة: حدّ السيف والسهم وغيرهما. الأذرع جمع الذرع أي كسيت.

وعظمت فيهم الاحداث ونسوا عهد الله تعالى ولم يكن لهم نبي يدبّر امرهم فبعث الله إليهم اشمويل نبيّاً فقالوا له ان كنت صادقاً فابعث لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله آية من نبوتك عن الربيع والكلبي وقيل ارادوا قتال العمالقة فسألوا ملكاً يكون اميراً عليهم تنتظم به كلمتهم ويجتمع امرهم ويستقيم حالهم في جهاد عدّوهم عن السدي وقيل بعث الله اشمويل نبياً فلبثوا اربعين سنة بأحسن حال ثم كان من أمر جالوت والعمالقة ما كان فقالوا لاشمويل ابعث لنا ملكاً عن وهب وقال أبو عبد الله كان الملك في ذلك الزمان هو الذي يسير بالجنود والنبي يقيم له أمره وينبئه بالخبر من عند ربه فأجابهم نبيّهم فقال﴿ **هل عسيتم ان كتب عليكم القتال**﴾ أي لعلكم ان فرض عليكم المحاربة مع ذلك الملك ﴿**أن لا تقاتلوا**﴾ ان لا تفوا بما تقولون وتجنبوا فلا تقاتلوا وإنما سألهم عن ذلك ليعرف ما عندهم من الحرص على القتال وهذا كأخذ العهد عليهم ومعنى عسيتم قاربتم فإذا قلت عسيت ان أفعل كذا فمعناه قاربت فعله ﴿**قالوا**﴾ يعني قال الملأ ﴿**وما لنا أن لا نقاتل في سبيل الله**﴾ معناه وايّ شيء لنا في ترك القتال وقيل معناه ليس لنا ترك القتال ﴿**وقد أخرجنا**﴾ لفظه عام ومعناه خاص أي قد أخرج بعضنا ﴿**من ديارنا وأبنائنا**﴾[1] أوطاننا وأهالينا بالسبي والقهر على نواحينا والمعنى انهم أجابوا نبيهم بأن قالوا إنما كنا لا نرغب في القتال إذ كنا أعزاء لا يظهر علينا عدوّنا فأما إذا بلغ الأمر هذا المبلغ فلا بد من الجهاد﴿**فلما كتب عليهم القتال**﴾ فيه حذف تقديره فسأل النبي الله تعالى أن يبعث لهم ملكاً يجاهدون معه اعداءهم فسمع الله دعوته واجاب مسألته فبعث لهم ملكاً وكتب عليهم القتال أي فرض فلما كتب عليهم القتال ﴿**تولّوا**﴾ أي اعرضوا عن القيام به وضيّعوا امر الله ﴿**إلا قليلاً منهم**﴾ وهم الذين عبَروا النهر على ما نبيّنه من بعد ﴿**والله عليم بالظالمين**﴾ هذا تهديد لمن يتولى عن القتال لأنهم ظلموا انفسهم بمعصية الله.

﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾

(١) [أي من].

[**اللغة**] إصطفاه إختاره واستصفاه بمعناه وأصله اصتفاه إلا أن التاء أبدلت طاء لأن التاء من مخرج الطاء والطاء مطبقة كما أن الصاد مطبقة فأبدلوها منها ليسهل النطق بها بعد الصاد والبسطة الفضيلة في الجسم والمال والجسم حدّه الطويل العريض العميق بدلالة قولهم جسم جسامة أي ضخم وهذا جسيم أي ضخيم وهذا أجسم من هذا إذا زاد عليه في الطول والعرض والعمق وقيل الجسم هو المؤلف وقيل هو القائم بنفسه والصحيح الأول .

[**الإعراب**] طالوت وجالوت وداود لا تنصرف لأنها أسماء أعجمية وفيها سببان التعريف والعجمة فأما جاموس فلو سميت رجلاً به لانصرف وإن كان أعجمياً لأنه قد تمكن في العربية لأنك تدخل عليه الألف واللام فتقول الجاموس « ملكاً » نصب على الحال العامل فيه بعث وذو الحال طالوت وأنّي في موضع نصب لأنه خبر يكون والملك إسمه وله في موضع الحال وذو الحال الملك تقديره وأنى يكون له الملك يستقر له علينا ويجوز أن يكون كان هنا تامة فيتعلق اللام بكون وإنى في موضع نصب على الحال من يكون وعلينا يتعلق بالملك ونحن أحق في محل النصب على الحال أيضاً تقديره أنى يكون له أن يملك علينا ونحن أحق منه بالملك ولم يؤت سعة في محل الحال أيضاً عطف على نحن أحق والعامل فيه الملك وذو الحال الضمير في أن يملك وتقديره أن يملك علينا غير مؤتى سعة مالية .

[**المعنى**] ﴿ **وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكاً** ﴾ أي جعله ملكاً وكان طالوت من ولد بنيامين بـن يعقوب ولم يكن من سبط النبوة ولا من سبط المملكة وسمي طالوت لطوله ويقال كان سقاء وقيل كان خربندجا وقيل كان دباغاً وكانت النبوة في سبط لاوي بن يعقوب وكانت المملكة في سبط يهوذا بن يعقوب وقيل في سبط يوسف وقوله ملكاً يعني أميراً على الجيش عن مجاهد وقيل بعثه نبياً بعد أن جعله ملكاً ﴿ **قالوا انى يكون له الملك علينا** ﴾ أي من أين له الملك وهذا أول إعتراضهم إذ أنكروا ملكه ﴿ **ونحن أحق** ﴾ أي أولى ﴿ **بالملك منه** ﴾ لأنا من سبط النبوة والمملكة وأوتينا المال ﴿ **ولم يؤت سعة من المال** ﴾ أي لم يعط ما يتملك به الناس وهو المال إذ لا بد للملك من المال يحصل به المماليك وقيل معناه ولم يؤت سعة من المال فيشرف به ويجبر نقصاً لو كان فيه حتى يساوي أهل الأنساب فاعلمهم الله أنه أعرف بوجوه الحكمة منهم فإن المقصود في الملك والرئاسة هو العلم والشجاعة وأخبرهم بذلك عن لسان نبيهم

﴿ قال إن الله اصطفاه ﴾ أي إختاره ﴿ عليكم ﴾ عن ابن عباس ﴿ وزاده بسطة ﴾ أي فضيلة وَسِعة ﴿ في العلم والجسم ﴾ وكان أعلم بني إسرائيل في وقته وأجملهم وأتمّهم وأعظمهم جسماً وأقواهم شجاعة وقيل كان إذا قام الرجل فبسط يده رافعاً لها نال رأسه قال وهب كان ذلك فيه قبل الملك وزاده ذلك بعد الملك ﴿ والله يؤتي ملكه من يشاء ﴾ أي لا تنكروا ملكه وإن لم يكن من أهل بيت الملك فإن الله سبحانه مالك الملك يؤتي الملك من يشاء ﴿ والله واسع ﴾ قيل في معناه ثلاثة أقوال (أحدها) أنه واسع الفضل فحذف كما يقال فلان كبير أي كبير القدر (والثاني) أن الواسع بمعنى الموسّع أي يوسّع على من يشاء من نعمه كما جاء أليم بمعنى مؤلم وسميع بمعنى مسمع (والثالث) أن معناه ذو سعة نحو عيشة راضية أي ذات رضا ورجل تامر أي ذو تمر ولابن أي ذو لبن وقوله ﴿ عليم ﴾ أي عليم بمن ينبغي أن يؤتيه الفضل والمملكة أما للاستصلاح وأما للامتحان وفي هذه الآية دلالة على أن الملك قد يضاف إليه سبحانه وذلك بأن ينصب الملك للتدبير ويعطيه آلات الملك ويأمر الخلق بالانقياد له فعند ذلك يجوز أن يقال بعثه الله سبحانه ملكاً وإن لم يكن في البعثة كالأنبياء ويقال في ملكه أيضاً أنه من جهة الله سبحانه لأن تصرفه صادر عن إذنه وفيها دلالة أيضاً على أن الملك ليس بواجب أن يكون وراثة وإنما يكون بحسب ما يعلمه الله من المصلحة وفيها دلالة على أن من شرط الإمام أن يكون أعلم من رعيته وأكمل وأفضل في خصال الفضل والشجاعة لأن الله علّل تقديم طالوت عليهم بكونه أعلم وأقوى فلولا أن ذلك شرط لم يكن له معنى .

﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾

[اللغة] التابوت بالتاء لغة جمهور العرب والتابوه بالهاء لغة الأنصار والسكينة مصدر وقع موقع الاسم نحو القضية والبقية والعزيمة وأخذ من السكون .

[الإعراب] موضع أن يأتيكم رفع المعنى أن آية ملكه إتيان التابوت إياكم فيه سكينة من ربكم مبتدأ وخبر في موضع النصب على الحال من التابوت مما ترك الجار والمجرور في موضع الصفة لبقية .

[المعنى] ﴿ **وقال لهم نبيهم أن آية ملكه** ﴾ أي علامة تمليك الله إياه وحجة صحة ملكه ﴿ **أن يأتيكم التابوت** ﴾ وفي هذا دليل على أنهم قالوا لرسولهم إن كان ملكه بأمر من الله ومن عنده فأتنا بعلامة تدل على ذلك فأجابهم بهذا وروى علي بن إبراهيم في تفسيره عن أبي جعفر أن التابوت كان الذي أنزله الله على أم موسى فوضعت فيه ابنها وألقته في البحر وكان في بني إسرائيل معظماً يتبرّكون به فلما حضر موسى الوفاة وضع فيه الألواح ودرعه وما كان عنده من آثار النبوة وأودعه عند وصيّه يوشع بن نون فلم يزل التابوت بينهم وبنو إسرائيل في عزّ وشرف ما دام فيهم حتى إستخفوا به وكان الصبيان يلعبون به في الطرقات فلما عملوا المعاصي واستخفوا به رفعه الله عنهم فلما سألوا نبيّهم أن يبعث إليهم ملكاً بعث الله لهم طالوت وردّ عليهم التابوت وقيل كان في أيدي أعداء بني إسرائيل من العمالقة غلبوهم عليه لما مرج أمر بني إسرائيل وحدث فيهم الأحداث ثم إنتزعه الله من أيديهم وردّه على بني إسرائيل تحمله الملائكة عن ابن العباس ووهب ورويَ ذلك عن أبي عبد الله وقيل كان التابوت الذي أنزله الله على آدم فيه صور الأنبياء فتوارثه أولاد آدم وكان في بني إسرائيل يستفتحون به على عدوّهم وقال قتادة وكان في بريّة التيه خلّفه هناك يوشع بن نون فحملته الملائكة إلى بني إسرائيل وقيل كان قدر التابوت ثلاثة أذرع في ذراعين عليه صفائح الذهب وكان من شمشار وكانوا يقدّمونه في الحروب ويجعلونه أمام جندهم فإذا سمع من جوفه أنين زفّ التابوت أي سار وكان الناس يسيرون خلفه فإذا سكن الأنين وخمد فوقف الناس بوقوفه ﴿ **فيه سكينة من ربكم** ﴾ قيل في التابوت نفسه وقيل فيما في التابوت واختلف في السكينة فقيل إن السكينة التي كانت فيه ريح هفّافه من الجنة لها وجه كوجه الإنسان عن عليّ (ع) وقيل كان له جناحان ورأس كرأس الهرّة من الزبرجد والزمرد عن مجاهد ورويَ ذلك في اخبارنا وقيل كان فيه آية يسكنون إليها عن عطا وقيل روح من الله يكلمهم بالبيان عند وقوع الاختلاف عن وهب ﴿ **وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون** ﴾ قيل إنها عصا موسى ورضاض الألواح عن ابن عباس وقتادة والسدي وهو المروي عن أبي جعفر الصادق وقيل هي التورية وشيء من ثياب موسى عن الحسن وقيل كان فيه أيضاً لوحان من التورية وقفيز من المن الذي كان ينزل عليهم ونعلا موسى وعمامة هارون وعصاه هذه أقوال أهل التفسير في السكينة والبقية والظاهر أن السكينة أَمَنة وطمأنينة جعلها الله فيه ليسكن إليه بنو إسرائيل والبقية جائز أن يكون بقية من العلم أو شيء من علامات الأنبياء وجائز أن يتضمنها جميعاً على ما قاله الزجاج وقيل أراد بآل موسى وآل هارون موسى وهارون على نبينا وعليهما السلام يعني مما ترك موسى وهارون تقول العرب

آل فلان يريدون نفسه أنشد أبو عبيدة :

فَلاَ تَبْكِ مَيْتاً بَعْدَ مَيْتٍ أَحَبَّهُ عَلِيٌّ وَعَبَّاسٌ وَآلُ أَبِي بَكْرِ

يريد أبا بكر نفسه وقال جميل :

بُثَيْنَةُ مِنْ آلِ النِّسَاءِ وَإِنَّمَا يَكُنَّ لأَدْنَى لاَ وِصَالَ لِغَائِبِ(١)

أي من النساء﴿ **تحمله الملائكة** ﴾ قيل حملته الملائكة بين السماء والأرض حتى رآه بنوا إسرائيل عياناً عن ابن عباس والحسن وقيل لمّا غلب الأعداء على التابوت أدخلوه بيت الأصنام فأصبحت أصنامهم منكبة فأخرجوه ووضعوه ناحية من المدينة فأخذهم وجع في أعناقهم وكل موضع وضعوه فيه ظهر فيه بلاء وموت ووباء فأشير عليهم بأن يخرجوا التابوت فأجمع رأيهم على أن يأتوا به ويحملوه على عجلة ويشدّوها على ثورين ففعلوا ذلك وأرسلوا الثورين فجاءت الملائكة وساقوا الثورين إلى بني إسرائيل فعلى هذا يكون معنى تحمله الملائكة تسوقه كما تقول حملت متاعي إلى مكة ومعناه كنت سبباً لحمله إلى مكة ﴿ **إن في ذلك لآية لكم** ﴾ أي في رجوع التابوت إليكم علامة أن الله سبحانه ملّك طالوت عليكم ﴿ **إن كنتم مؤمنين** ﴾ مصدقين ولا يجوز أن يكون على تثبيت الإيمان لهم لأنهم كفروا حين ردّوا على نبيهم وقيل إن كنتم مؤمنين كما تزعمون .

﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ ۚ فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ قَالُوا۟ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾

(١) بثينة ـ العذرية ـ كجُهينة : صاحبة جميل .

[**القراءة**] قرأ ابن كثير وأبو عمرو وأهل المدينة غَرفة بالفتح والباقون بالضم .

[**الحجة**] قال أبو علي من فتح الغين عدى الفعل إلى المصدر والمفعول في قوله محذوف والمعنى إلا من اغترف ماء غرفة ومَن ضمّ الغين عدّى الفعل إلى المفعول به ولم يعده إلى المصدر لأن الغرفة العين المغترفة فهو بمنزلة إلا من إغترف ماء والبغداديون يجعلون هذه الأسماء المشتقة من المصادر بمنزلة المصادر ويُعْمِلونها كما يُعْمِلون المصادر فيقولون عجبت من دهنك لحيَتك وقد جاء من العرب ما يدل عليه وهو قول الشاعر (وبعد عطائك المائة الرتاعا) وأشياء غير هذا فعلى هذا يجوز أن يُنْصب الغُرفة نصب الغَرفة وقد قال سيبويه في نحو الجلسة والركبة أنه قد يستغنى بها عن المصادر أو قال تقع مواقعها وهذا كالمقارب لقولهم ولو قيل أن الضم هنا أوجه لقوله﴿ **فشربوا منه** ﴾والمشروب منه والمشروب منه الغرفة لكان قولاً .

[**اللغة**] الفصل القطع وفصل بالجنود أي سار بهم وقطعهم عن موضعهم وفصل الصبي فصالا قطعه عن اللبن والجنود جمع جند وجنَّد الجنود أي جمعهم وفي الحديث الأرواح جنود مجندة وأصل الباب الجَنَد الغليظ من الأرض يقال طعم الماء كما يقال طعم الطعام وأنشدوا :

فَإِنْ شِئْتُ حَرَّمْتُ النِّساءَ سِواكُم وَإِنْ شِئْتُ لَمْ أَطْعَمْ نُقاخاً وَلا بَرْدا[١]

أراد لم أذق والنقاخ العذب وغرَف الماء يغرِف غَرْفاً واغترف بمعنى والمِغرفة الآلة التي يغرف بها وغربٌ[٢] غَروفٌ كبير والمجاوزة من الجواز يقال جاز الشيء يجوزه إذا قطعه وأجازه إجازة إذا استصوبه والشيء يجوز إذا لم يمنع منه دليل وجَوْز الشيء وسطه مشبه بمجاز الطريق وهو وسطه الذي يجاز فيه وقيل إن اشتقاق الجوزاء منه لأنها تعترض جوز السماء والمجاز في الكلام لأنه خروج عن الأصل إلى ما يجوز في الاستعمال وأصل الباب الجواز وهو المرور من غير شيء يصدر منه التجاوز عن الذنب لأنه المرور عليه بالصفح والطاقة القوة يقال أطقت الشيء أطاقة وطاقة وطوقاً مثل أطعته إطاعة وطوعاً والفئة الطائفة من الناس والجمع فئون وفئات ولا يجوز في عدة إلّا عدات لأن نقص عدة من أوله وليس كذلك فئة وما نقص من أوله يجري في الباب على إطراد بمنزلة غير المنقوص وأما فئة ومائة وعِزَة فإن النقص فيه على غير إطراد وتقول فَأَوْتُ رأسه بالسيف إذا قطعته وإنْفاءَ

(١) البرد : النوم . (٢) الغرب : الدلو العظيمة .

الشيء إنْفِيَاءً إذا إنقطع وأصل الباب القطع ومنه الفئة لأنهم قطعة من الناس .

[**الإعراب**] قوله بيده من فتح فاء غرفة جاز أن يتعلق بالمصدر عنده وجاز أن يعلقه بالفعل أيضاً ومن اعمل الغرفة أعمال المصدر جاز أن يتعلق الباء بها في قوله وكلا الأمرين مذهب ومن اغترف في موضع نصب بالاستثناء وكم خبرية وهي في موضع رفع بالابتداء .

[**المعنى**] ﴿ **فلما فصل طالوت بالجنود** ﴾ في الكلام حذف لدلالة ما بقي عليه وهو فآتاهم التابوت بالصفة التي وُعدوا بها فَصدَّقوا وانقادوا لطالوت فلما فصل طالوت أي خرج من مكانه وقطع الطريق بالجنود أي العساكر واختلف في عددهم فقيل كانوا ثمانين ألف مقاتل عن السدي وقيل سبعين ألفاً عن مقاتل وذلك أنهم لما رأوا التابوت أيقنوا بالنصر فبادروا إلى الجهاد (قال) يعني طالوت ﴿ **إن الله مبتليكم بنهر** ﴾ أي مختبركم وممتحنكم ومعنى الابتلاء ههنا تمييز الصادق عن الكاذب في قوله عن الحسن وكان سبب إبتلائهم بالنهر شكايتهم قلة الماء وخوف التلف من العطش عن وهب وقيل إنما ابتلوا بذلك ليصبروا عليه فيكثر ثوابهم ويستحقوا به النصر على عدوهم وليتعودوا الصبر على الشدائد فيصبروا عند المحاربة ولا ينهزموا واختلف في النهر الذي ابتلوا به فقيل هو نهر بين الأردن وفلسطين عن قتادة والربيع وقيل هو نهر فلسطين عن ابن عباس والسدي وقوله ﴿ **فمن شرب منه** ﴾ الهاء كناية عن النهر في اللفظ وهو في المعنى للماء ويقال شربت من نهر كذا ويراد به الماء ﴿ **فليس مني** ﴾ معناه ليس من أهل ولايتي وليس من أصحابي وممن يتبعني ﴿ **ومن لم يطعمه** ﴾ أي ومن لم يطعم من ذلك الماء ﴿ **فإنه مني** ﴾ أي من أهل ولايتي وأوليائي وهو من الطعم الذي هو ما يؤدّيه الذوق أي لم يجد طعمه لا من الطعام والطعم يوجد في الماء وفي الطعام جميعاً ﴿ **إلا من اغترف غرفة بيده** ﴾ إلا من أخذ الماء مرة واحدة باليد ومن قرأ بالضم فمعناه إلا من شرب مقدار ملء كفه ﴿ **فشربوا منه** ﴾ أي شربوا كلهم أكثر من غرفة إلا قليلاً منهم قيل إن الذين شربوا منه غرفة كانوا ثلاث مائة وبضعة عشر رجلاً عن الحسن وقتادة وجماعة وقيل أربعة آلاف رجل ونافق ستة وسبعون ألفاً ثم نافق الأربعة الآلاف إلا ثلاثمائة وبضعة عشر عن السدي وقيل من استكثر من ذلك الماء عطش ومن لم يشرب إلا غرفة روي وذهب عطشه ورد طالوت عند ذلك العصاة منهم فلم يقطعوا معه النهر ﴿ **فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه** ﴾ معناه فلما تخطى النهر طالوت والمؤمنون معه وهم أصحابه وروي عن البراء بن عازب وقتادة والحسن أنّه إنما جاوز معه المؤمنون خاصة كانوا مثل عدد أهل بدر وقيل بل جاوز المؤمنون والكافرون إلا أن الكافرين إنعزلوا وبقي المؤمنون على عدد أهل بدر عن ابن عباس والسدي وهذا أقوى

لقوله سبحانه ﴿ **فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه** ﴾ فلما رأوا كثرة جنود جالوت (قالوا) أي قال الكفار منهم ﴿**لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده**﴾ فقال المؤمنون حينئذ الذين عددهم عدة أهل بدر﴿ **كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله** ﴾ قال أبو القاسم البلخي ويجوز أن يكونوا كلهم مؤمنين غير أن بعضهم أشد إيقاناً وأقوى إعتقاداً وهم الذين قالوا كم من فئة قليلة إلى آخره ﴿ **قال الذين يظنون أنهم ملاقوا الله** ﴾ أي راجعون إلى الله وإلى جزائه قيل في يظنون ثلاثة أقوال (أحدها) إن معنى يظنون يستيقنون عن السدي كقول دريد بن الصمة .

فَقُلْتُ لَهُمْ ظَنُّوا بِأَلْفَيْ مُدَجَّجٍ سُراتُهُم فِي الْفَارِسِيِّ الْمُسَرَّدِ(١)

أي أيقنوا (والثاني) إن معناه يحدثون نفوسهم وهو أصل الظن لأن حديث النفس بالشيء قد يكون مع الشك وقد يكون مع العلم إلا أنه قد كثر على ما كان مع الشك (والثالث) يظنون أنهم ملاقو الله بالقتل في تلك الوقعة ﴿ **كم من فئة** ﴾ أي فرقة ﴿ **قليلة غلبت فئة كثيرة** ﴾ أي قهرت فرقة كثيرة ﴿ **بإذن الله** ﴾ أي بنصره عن الحسن لأنه إذا أذن الله في القتال نصر فيه على الوجه الذي أذن فيه ﴿ **والله مع الصابرين** ﴾ بالنصرة لهم على أعدائهم .

﴿ وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُواْ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾

[**اللغة**] البروز أصله الظهور ومنه البراز وهي الأرض الفضاء ورجل بَرْزٌ وامرأة بَرْزَةٌ أي ذو عفةٍ وفضلٍ لظهور ذلك منهما والافراغ الصب للسيال على جهة إخلاء المكان(٢) منه يقال فَرِغَ يَفْرُغَ فراغاً وافرغ إفراغاً وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً أي خالياً من الصبر وأصل الفراغ الخلو والتثبيت تمكين الشيء في مكانه للزومه إياه وقد يقال ثبته بمعنى حكم بوجوده ورجلٌ ثَبْتُ المقام إذا كان شجاعاً لا يبرح موقفه ، وَطَعَنه فأثبت فيه الرمح أي نفذ فيه لأنه يلزم فيه وأثبت حجته أي أقامها ورجل ثَبَتٌ أي ثقة مأمون فيما روي والنصر هو المعونة على العدو ويكون ذلك بأشياء منها بزيادة القوة ومنها بالرعب عن الملاقاة ومنها

(١) المُدجَّج : اللابس السلاح . سُراة القوم : سادتهم المُسَرَّد : الدرع .
(١) أي موضع الخلل .

بالاطلاع على العورة ومنها بتخيل الكثرة ومنها باختلاف الكلمة والفرق بين النصر واللطف إن كل نصر من الله فهو لطف وليس كل لطف نصراً لأن اللطف يكون في أخذ طاعة بدلاً من معصية وقد يكون في فعل طاعة من النوافل والنصر فعل الله والصبر من فعل العبد لأنه يجازى عليه وهو حبس النفس عما تنازع إليه من الفعل وهو ها هنا حبسها عما تنازع إليه من الفرار من القتال .

[**المعنى**] ﴿ **ولما برزوا** ﴾ أي ظهر طالوت والمؤمنون معه لمحاربة جالوت ﴿**وجنوده قالوا ربنا افرغ**﴾ أي أصب علينا صبراً أي وفقنا للصبر على الجهاد وشبهه بتفريغ الإناء من جهة أنه نهاية ما توجبه الحكمة كما أنه نهاية ما في الواحد من الآنية ﴿ **وثبت أقدامنا** ﴾ أي وفقنا للثبوت على الأمر ﴿ **وانصرنا** ﴾ أعِنّا ﴿ **على** ﴾ جهاد ﴿ **القوم الكافرين** ﴾ قوم جالوت .

﴿ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾

[**القراءة**] قرأ أبو جعفر ونافع ويعقوب دفاع الله بالألف وفي الحج مثله وقرأ الباقون بغير ألف .

[**الحجة**] قال أبو علي دفاع يحتمل أمرين أحدهما أن يكون مصدر الفعل كالكتاب واللقاء ونحو ذلك الثاني أن يكون مصدراً لِفاعَلَ ويدل عليه قراءة من قرأ أن الله يدافع عن الذين آمنوا وكان معنى دفع ودافع سواء ألا ترى إلى قوله :

وَلَقَدْ حَرَصْتُ بِأنْ أُدافِعَ عَنْهُم فَإذَا الْمَنِيَّةُ أقْبَلَتْ لا تُدْفَعُ

كأن المعنى حرصت بأن أدفع عنهم المنية والمَنيّة لا تدفع فوضع ادافع موضع ادفع فإذا كان كذلك فيدفع ويدافع متقاربان .

[**اللغة**] الهَزْم الدفع يقال هزم القوم في الحرب يَهزِمُهم هَزْماً إذا دفعهم بالقتال

هَرَباً منه فانهزموا إنهزاماً وتهزم السِقاءُ إذا يَبِس فتصدع لاندفاع بعضه عن بعض والاهتزام الذبح يقال اهتزم شاتك قبل أن تهزم فتهلك لدفع ضياعها بتذكيتها وأصل الدفع الصرف عن الشيء والدفاع السيل والدفعة إندفاع الشيءْ جملة .

[**المعنى**] ثم ذكر سبحانه تمام القصة فقال ﴿ **فهزموهم** ﴾ ولا بد من حذف هنا كأنه لما قالوا ربنا افرغ علينا صبرا قال فاستجاب لهم ربهم فهزموهم بنصره أي دفعوهم وكسروهم لأن ذكر الهزيمة بعد سؤال النصرة دليل على معنى الإجابة ومعنى هزموهم سَبَّبوا لهزيمتهم بأن فعلوا ما الجأهم إليها فعلى هذا يكون حقيقة وقال أبو علي الجبائي ذلك مجاز لأنهم لم يفعلوا هزيمتهم كما يقال أخرجه من منزله إذا الجأه إلى الخروج ولم يفعل خروجه والصحيح الأول وقوله ﴿ **بإذن الله** ﴾ أي بأمر الله وقيل بعلم الله ﴿ **وقتل داود جالوت** ﴾ .

[**القصة**] وكان من قصة داود على ما رواه علي بن إبراهيم بن هاشم عن الصادق (ع) أن الله أوحى إلى نبيهم أن جالوت يقتله من يستوي عليه درع موسى وهو رجل من ولد لاوي بن يعقوب واسمه داود بن ايشاراع وكان لإيشا عشرة بنين أصغرهم داود فلما بعث الله طالوت إلى بني إسرائيل وجمعهم لحرب جالوت بعث إلى أيشا بأن أُحضر ولدك فلما حضروا دعا واحداً واحداً من ولده فألبسه درع موسى فمنهم من طالت عليه ومنهم من قصرت عنه فقال لإيشا هل خلفت من ولدك أحداً قال نعم أصغرهم تركته في الغنم يرعاها فبعث إليه فجاء به فلما دعي أقبل ومعه مِقلاعٌ قال فنادته ثلاث صخرات في طريقه يا داود خذني[1]فأخذها في مِخلاته وكان حجر الفيروزج وكان داود شديد البطش شجاعاً قوياً في بدنه فلما جاء إلى طالوت ألبسه درع موسى فاستوت عليه قال فجاء داود فوقف حذاء جالوت وكان جالوت على الفيل وعلى رأسه التاج وفي جبهته ياقوتة تلمع نوراً وجنوده بين يديه فأخذ داود حجراً من تلك الأحجار فرمى به في ميمنة جالوت ووقع عليهم فانهزموا وأخذ حجراً آخر فرمى به في ميسرة جالوت فانهزموا ورمى بالثالث إلى جالوت فأصاب موضع الياقوتة في جبهته ووصلت إلى دماغه ووقع إلى الأرض ميتا وقيل إن جالوت طلب البراز فخرج إليه داود فرماه بحجر من مقلاع فوقع بين عينيه وخرج من قفاه وأصاب جماعة كثيرة من أهل عسكره فقتلهم وانهزم القوم عن آخرهم عن وهب وغيره من المفسرين ﴿ **وآتاه الله الملك** ﴾ أي واعطاه الملك بعد قتل داود جالوت بسبع سنين عن الضحاك ﴿ **والحكمة** ﴾ قيل النبوة ولم يكن نبياً قبل قتل جالوت فجمع الله له الملك والنبوة عند موت طالوت في

(١) [واحضر] .

حالة واحدة لأنه لا يجوز أن يترأس من ليس بنبي[1] لأنه قلب ما توجبه الحكمة لأن النبي يوثق بظاهره وباطنه ولا يخبر إلا بحق ولا يدعو إلا إلى حق فليس كذلك من ليس بنبي عن الحسن وقيل يجوز ذلك إذا كان يفعل ما يفعل بأمره ومشورته ﴿ **وعلمه مما يشاء** ﴾ معناه وعلمه أمور الدين وما شاء من أمور الدنيا منها صنعة الدروع فإنه كان يلين له الحديد كالشمع وقيل الزبور والحكم بين الناس وكلام الطير والنمل وقيل الصوت الطيب والألحان ﴿ **ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض** ﴾ قيل فيه (ثلاثة) أقوال (أحدها) لولا دفع الله بجنود المسلمين الكفار ومعرّتهم لغلبوا وخربوا البلاد عن ابن عباس ومجاهد (والثاني) معناه يدفع الله بالبَرّ عن الفاجر الهلاك عن علي وقتادة وجماعة من المفسرين ومثله ما رواه جميل عن أبي عبد الله قال إن الله يدفع بمن يصلي من شيعتنا عمن لا يُصلّي منهم ولو إجتمعوا على ترك الصلاة لهلكوا وإن الله ليدفع بمن يُزكّي مِن شيعتنا عمن لا يُزكّي منهم ولو اجتمعوا على ترك الزكاة لهلكوا وإن الله ليدفع بمن يحج من شيعتنا عمن لا يحج منهم ولو اجتمعوا على ترك الحج لهلكوا وقريب من معناه ما روي عن النبي أنه قال لولا عباد الله رُكّع وصبيان رُضّع وبهائم رتع لَصُبّ عليكم العذاب صَبّاً وروى جابر بن عبد الله قال قال رسول الله إن الله يصلح بصلاح الرجل المسلم ولده وولد ولده وأهل دويرته ودويرات حوله ولا يزالون في حفظ الله ما دام فيهم (والثالث) أن في معنى قول الحسن ما يزع[2] الله بالسلطان أكثر ممايزع بالقرآن لأن من يمتنع عن الفساد لخوف السلطان أكثر ممن يمتنع منه لأجل الوعد والوعيد الذي في القرآن ﴿ **ولكن الله ذو فضل على العالمين** ﴾ أي ذو نعمة عليهم في دينهم ودنياهم .

﴿ تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾

[اللغة] التلاوة ذكر الكلمة بعد الكلمة من غير فاصلة لأن التالي للشيء يليه من غير فصل بغيره وأصل التلو إيقاع الشيء بعد الشيء الذي يليه والحق هو وقوع الشيء موقعه الذي هو له من غير تغيير عنه بما لا يجوز فيه والرسالة تحميل جملة من الكلام لها فائدة إلى المقصود بالدلالة .

[الإعراب] نتلوها جملة في موضع الحال والعامل فيه معنى الإشارة في تلك وذو الحال آيات الله أي متلوةً عليك والباء في بالحق يتعلق بنتلو أيضاً .

(١) [على نبي] .

(٢) أي ما يكفه .

[**المعنى** ﴿ **تلك** ﴾ إشارة إلى ما تقدم ذكره من إماتة ألوف من الناس دفعة واحدة وإحيائهم دفعة واحدة بدعاء نبيهم ومن تمليك طالوت وهو من أهل الخمول الذي لا ينقاد لمثله الناس لما جعل الله له من الآية علماً على تمليكه ونصرة أصحاب طالوت مع قلة عددهم وضعفهم على جالوت وأصحابه مع قوتهم وشوكتهم ﴿ **آيات الله** ﴾ أي دلالات الله على قدرته ﴿ **نتلوها عليك** ﴾ نقرؤها عليك يا محمد ﴿ **بالحق** ﴾ بالصدق وقيل يقرأها جبريل عليك ﴿ **بالحق** ﴾ بأمرنا ﴿ **وإنك لمن المرسلين** ﴾ معناه وإنك لمن المرسلين بدلالة إخبارك بهذه الآيات مع أنك لم تشاهدها ولم تخالط أهلها ولا تعلم ذلك مع عدم المشاهدة ومخالطة أهلها إلا بوحي من جهة الله والله لا يوحي إلا إلى أنبيائه .

﴿ * تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ۚ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾

[**الإعراب**] درجات منصوب على الحال والعامل فيه رَفَعَ وذو الحال بعضهم وتقديره رَفَع بعضهم ذوي درجات فحذف المضاف ويجوز أن يكون حالاً بعد الفراغ من الفعل تقديره ورفع بعضهم فإذا هم ذوو درجاتٍ ويجوز أن يكون ظرف مكان ويجوز أن يكون إسماً وضع موضع المصدر تقديره ورفع بعضهم رفعاً .

[**المعنى**] ﴿ **تلك** ﴾ بمعنى أولئك إلا أنه أراد به الإشارة إلى الجماعة فأتى بلفظ الإفراد الذي يكون للمؤنث المفرد كما يقال القوم خرجت أي أولئك الذين تقدم ذكرهم من الأنبياء في الكتاب ﴿ **فضلنا بعضهم على بعض** ﴾ إنما ذكر الله تفضيل بعض الرسل على بعض لأمور (أحدها) لأن لا يغلط غالط فيسوّي بينهم في الفضل كما استووا في الرسالة (وثانيها) أن يبين أن تفضيل محمد عليهم كتفضيل من مضى من الأنبياء بعضهم

على بعض (وثالثها) أن الفضيلة قد تكون بعد إداء الفريضة وهذه الفضيلة المذكورة ههنا هي ما خص كل واحد منهم من المنازل الجليلة نحو كلامه لموسى بلا سفير وكإرساله محمداً إلى الكافة من الجن والإنس وقيل أراد التفضيل في الآخرة لتفاضلهم في الأعمال وتحمل الأثقال وقيل بالشرائع فمنهم من شرع ومنهم من لم يشرع والفرق بين الابتداء بالفضيلة وبين المحاباة أن المحاباة إختصاص البعض بالنفع على ما يوجبه الشهوة دون الحكمة وليس كذلك الابتداء بالفضيلة لأنه قد يكون للمصلحة التي لولاها لفسد التدبير وأدى إلى حرمان الثواب للجميع فمن حسن النظر لهذا الإنسان تفضيل غيره عليه إذا كان في ذلك مصلحة له فهذا وجه تدعو إليه الحكمة وليس كالوجه الأول الذي إنما تدعو إليه الشهوة ﴿ **منهم من كلم الله** ﴾ أي كلمه الله وهو موسى ﴿ **ورفع بعضهم درجات** ﴾ قال مجاهد أراد به محمداً (ﷺ) فإنه تعالى فضله على جميع أنبيائه بأن بعثه إلى جميع المكلفين من الجن والإنس وبأن أعطاه جميع الآيات التي أعطاها من قبله من الأنبياء وبأن خصه بالقرآن الذي لم يعطه غيره وهو المعجزة القائمة إلى يوم القيامة بخلاف سائر المعجزات فإنها قد مضت وانقضت وبأن جعله خاتم النبيين والحكمة تقتضي تأخير أشراف الرسل لأعظم الأمور ﴿ **وآتينا عيسى بن مريم البينات** ﴾ أي الدلالات كإبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى والإخبار عما كانوا يأكلونه ويدخرونه في بيوتهم ﴿ **وأيدناه بروح القدس** ﴾ قد مر تفسيره في الآية الخامسة والثمانين من هذه السورة ﴿ **ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم** ﴾ أي من بعد الرسل وقال قتادة والربيع من بعد موسى وعيسى وأتى بلفظ الجمع لأن ذكرهما يغني عن ذكر المتبعين لهما كما يقال خرج الأمير فنكوا في العدو نكاية عظيمة معناه ولو شاء الله لم يقتتل الذين من بعد الأنبياء بأن يلجئهم إلى الإيمان ويمنعهم عن الكفر إلا أنه لم يلجئهم إلى ذلك لأن التكليف لا يحسن مع الضرورة والإلجاء والجزاء لا يحسن إلا مع التخلية والاختيار عن الحسن وقيل معناه لو شاء الله ما أمرهم بالقتال ﴿ **من بعد ما جاءتهم البينات** ﴾ من بعد وضوح الحجة فإن المقصد من بعثة الرسل قد حصل بإيمان من آمن قبل القتال ﴿ **ولكن اختلفوا فمنهم من آمن** ﴾ بتوفيق الله ولطفه وحسن اختياره ﴿ **ومنهم من كفر** ﴾ بسوء اختياره ﴿ **ولو شاء الله ما اقتتلوا** ﴾ كرر ذلك تأكيداً وتنبيهاً وقيل الأول مشيئة الاكراه أي لو شاء الله اضطرهم إلى حال يرتفع معها التكليف والثاني الأمر للمؤمنين بالكف عن قتالهم ﴿ **ولكن الله يفعل ما يريد** ﴾ ما تقتضيه المصلحة وتوجبه الحكمة .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَـٰكُم مِّن قَبْلِ أَن

يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾

[**القراءة**] قرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب لا بيعَ فيه ولا خلةَ ولا شفاعةَ بالفتح فيها أجمع وفي سورة إبراهيم لا بيعَ فيه ولا خلالَ وفي الطور لا لغوَ فيها ولا تأثيمَ وقرأ الباقون جميعها بالرفع .

[**الحجة**] قال أبو علي أمّا مَن فتح بلا تنوين فإنه جعله جواب هل فيها من لغو أو تأثيم ومن رفع جعله جواب أفيها لغو أو تأثيم وقد ذكرنا صدراً من القول على النفي فيما تقدم والمعنيان متقاربان في أن النفي يراد به العموم والكثرة في القراءتين يدل على ذلك قول أميّة « فلا لغوٌ ولا تأثيمَ فيها » ألا ترى أنه يريد من نفي اللغو وإن كان قد رفعه ما يريد بنفي التأثيم الذي فتحه ولم ينوّنه فإن جعلت قوله فيها خبراً أضمرت للأول خبراً وإن جعلته صفة أضمرت لكل واحد من الإسمين خبراً .

[**اللغة**] البيع هو إستبدال المتاع بالثمن والبيع نقيض الشراء والبيع أيضاً الشراء لأنه تارة عقد على الاستبدال بالثمن وتارة على الاستبدال بالمتاع والبيع الصفقة على إيجاب البيع والبيعة الصفقة على إيجاب الطاعة والبيّعان البايع والمشتري والخلة خالص المودة والخلل الانفراج بين الشيئين وخللته بالخِلال أخُلّه خلالاً إذا شككته به واختلال الحال إنحرافها بالفقر والخليل الخالص المودة من الخُلة لتخلل الأسرار بينهما وقيل لأنه يمتنع من الشوب في المودة بالنقيصة والخليل أيضاً المحتاج من الخَلّة والخَلّ معروف لتخلله بحدته ولطفه فيما ينساب فيه والخَلّ الرجل الخفيف الجسم والخَلّ الطريق في الرمل وفي فلانٍ خَلّة رائقة أي خصلة والخِلّة جفن السيف وقد ذكرنا معنى الشفاعة عند قوله ولا يقبل منها شفاعة .

[**المعنى**] لمّا قَصَّ الله سبحانه أخبار الأمم السابقة وثبت رسالة نبينا (ﷺ) عَقّبه بالحثِّ على الطاعة فقال ﴿ **يا أيها الذين آمنوا** ﴾ أي صدقوا محمداً (ﷺ) فيما جاء به ﴿ **أنفقوا مما رزقناكم** ﴾ قيل أراد به الفرض كالزكاة ونحوها دون النفل لاقتران الوعيد به عن الحسن ولأن ظاهر الأمر يقتضي الإيجاب وقيل يدخل فيه النفل والفرض عن ابن جريج واختاره البلخي وهو الأقوى لأنه أعم ولأن الآية ليس فيها وعيد على ترك النفقة وإنما فيها أخبار عن عظم أهوال يوم القيامة وشدائدها ﴿ **من قبل أن يأتي يوم** ﴾ أي يوم

القيامة ﴿ لا بيع فيه ﴾ أي لا تجارة ﴿ ولا خلة ﴾ أي ولا صداقة لأنهم بالمعاصي يصيرون أعداء وقيل لأن شغله بنفسه يمنع من صداقة غيره وهذه كقوله الإخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين ﴿ ولا شفاعة ﴾ أي لغير المؤمنين مطلقاً فأما المؤمنون فقد يشفع بعضهم لبعض ويشفع لهم أنبياؤهم كما قال سبحانه ولا يشفعون إلا لمن ارتضى ومن ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه ﴿ والكافرون هم الظالمون ﴾ إنما ذم الله الكافر بالظلم وإن كان الكفر أعظم منه لأمرين (أحدهما) الدلالة على أن الكافر ضرَّ نفسه بالخلود في النار فقد ظلم نفسه (والآخر) أنه لما نفى البيع في ذلك اليوم والخلة والشفاعة وأخبر أنه قد حرم الكافر هذه الأمور قال وليس ذلك بظلم منا بل الكافرون هم الظالمون لأنهم عملوا بأنفسهم ما استحقوا به حرمان هذه الأمور ووجه آخر في[1] تخصيص الكافر بالظلم وهو إن ظلم الكافر هو غاية الظلم وليس يبلغ ظلم المؤمنين لأنفسهم وغيرهم مبلغ ظلم الكافرين ونظيره قول القائل فلان هو الفقيه في البلد وفلان هو الفاضل ويراد به تقدمه على غيره فيما أضيف إليه .

﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾

آيتان بصري وآية واحدة عند غيرهم عدّ البصري الحي القيوم آية ﴿ فضل الآية ﴾ ذكر ابن انجويه الفسوي في كتاب الترغيب بإسناد متصل عن أبيّ بن كعب قال قال رسول الله يا أبا المنذر أيّ آية في كتاب الله أعظم قلت الله لا إله إلا هو الحي القيوم قال فضرب في صدري ثم قال لِيَهْنِئْكَ العلم والذي نفس محمد بيده إن لهذه الآية للساناً وشفتين تقدس الملك عند ساق العرش وروى الثعلبي بإسناده عن عبد الله بن عمر قال

(١) [فائدة].

قال النبي من قرأ آية الكرسي دبر كل صلاة مكتوبة كان الذي يتولى قبض نفسه ذو الجلال والاكرام وكان كمن قاتل مع أنبياء الله حتى استشهد وبإسناده عن علي (ع) قال سمعت نبيكم على أعواد المنبر وهو يقول من قرأ آية الكرسي في دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة إلا الموت ولا يواظب عليها إلا صدّيق أو عابد ومن قرأها إذا أخذ مضجعه آمنه الله على نفسه وجاره وجار جاره وعنه قال سمعت رسول الله يقول يا علي سيد البشر آدم وسيد العرب محمد ولا فخر وسيد الفُرس سلمان وسيد الروم صهيب وسيد الحبشة بلال وسيد الجبال الطور وسيد الشجر السدر وسيد الشهور الأشهر الحرم وسيد الأيام يوم الجمعة وسيد الكلام القرآن وسيد القرآن البقرة وسيد البقرة آية الكرسي يا علي إن فيها لخمسين كلمة في كل كلمة خمسون بركة وروي عن عبد الله بن مسعود قال من قرأ عشر آيات من سورة البقرة في كل ليلة في بيت لم يدخل ذلك البيت شيطان حتى يصبح أربع آيات من أولها وآية الكرسي وآيتين بعدها وخواتيمها وروي عن أبي جعفر الباقر قال من قرأ آية الكرسي مرة صرف الله عنه ألف مكروه من مكاره الدنيا وألف مكروه من مكاره الآخرة أيسر مكروه الدنيا الفقر وأيسر مكروه الآخرة عذاب القبر وعن أبي عبد الله قال إن لكل شيء ذروة وذروة القرآن آية الكرسي .

[**اللغة**] الحيّ من كان على صفة لا يستحيل معها أن يكون قادراً عالماً وإن شئت قلت هو من كان على صفة يجب لأجلها أن يدرك المدركات إذا وجدت والقيوم أصله قيووم على وزن فيعول إلا أن الياء والواو إذا إجتمعتا وأولاهما ساكنة قلبت الواو ياء وأدغمت الياء في الياء قياساً مطرداً والقيام أصله قيوام على وزن فيعال ففعل به ما ذكرناه قال أمية بن أبي الصلت :

لَمْ يُخْلَقِ السَّمَاءُ وَالنُّجُومُ وَالشَّمْسُ مَعْهَا قَمَرٌ يَعُومُ(١)
قَدَّرَهَا الْمُهَيْمِنُ الْقَيُّومُ وَالْحَشْرُ وَالْجَنَّةُ وَالنَّعِيمُ
إلَّا لأَمْرٍ شَأْنُهُ عَظِيمُ

والسِنَةْ النوم الخفيف وهو النعاس قال عدي بن الرقاع :

وَسْنَان أَقْصَدَهُ النُّعَاسُ فَرَنَّقَتْ فِي عَيْنِهِ سِنَةٌ وَلَيْسَ بِنَائِمِ(٢)

وهو مصدر وسن يوسَن وسنا وسنة قال المفضل السنة في الرأس والنوم في القلب

(١) العوم : السباحة . وعام القمر : جرى .
(٢)وقبله : « وكأنها بين النساء أعارها * عينيه أحور من جآذر جاسم » ووسنان صفة أحور. ورنقت: أي وقفت .

والنوم خلاف اليقظة يقال نام نوماً واستنام إليه أي استأنس إليه واطمأن إلىٰ ناحيته وقال الليث يقال لكل من أحرز شيئاً أو بلغ علمه أقصاه قد أُحاط به ويقال وسع فلان الشيء يسعه سعة إذا احتمله وأطاقه وأمكنه القيام به ويقال لا يسعك هذا أي لا تطيقه ولا تحتمله الكرسي كل أصل يعتمد عليه قال الشاعر :

تَحفّ بِهِمْ بِيْضُ الْوُجُوهِ وَعُصْبَةٌ كَراسِيُّ بِالأَحْداثِ حِيْنَ تَنُوبُ

أي علماء بحوادث الأمور وقال آخر :

نَحْنُ الْكَراسِيَّ لا تَعُدُّ هَوازِنُ أفْعالَنا فِي النائِباتِ وَلا أَسَدُ

وقال آخر :

مالِي بِأَمْرِك كُرْسِيٌّ أُكاتِمُهُ وَهَلْ بِكُرْسِيٍّ عِلْمِ الْغَيْبِ مَخْلُوقُ

وكل شيء تراكب فقد تكارس ومنه الكُرَّاسة لتراكب بعض ورقها على بعض ورجل كَرّوس عظيم الرأس ويقال كرسي الملك من كذا[1]وكذا أي ملكه مشبه بالكرسي المعروف وأصل الباب الكرسي تراكب الشيء بعضه على بعض وآده يؤوده أوْدا إذا أثقله وجهده وأُدْت العود أؤُدهُ أوْدا فَأنادَ نحو عجته فانعاج والآوَدُ والاوداء على وزن الأعوج والعوجاء والمعنى واحد والجمع الأُوْد كالعوج والعَليّ أصله من العلو وهو سبحانه عليٌّ بالاقتدار ونفوذ السلطان ولا يقال رفيع بالاقتدار لأن الرفعة في المكان والعلو منقول إلى معنى الاقتدار يقال فلان علا على قِرنِه يعلو علواً فهو عال وعلا بمعنى اقتدر ولا يقال ارتفع عليه بمعناه ولذلك يقال إستعلى عليه بالحجة ولا يقال ارتفع عليه بالحجة والعِلْو بضم العين وكسرها خلاف السفل وعلا في الأرض علواً تجبّر ومنه قوله إن فرعون علا في الأرض أي تجبر والله تعالى العالي والمتعالي أي القادر القاهر لا يعجزه شيء وفلان من عُلِيَّة الناس أي من أشرافهم والعظيم معناه العظيم الشأن وقيل العظيم بمعنى المعظم كما قالوا في الخمر العتيق أي المعتقة والأول أقوى .

[**الإعراب**] الله رفع بالابتداء وما بعده خبره والكلام مخرجه مخرج النفي أي لا يصح إلّه سوى الله وحقيقته الإثبات لإلّه واحد هو الله فكأنه قيل الله هو الإلّه دون غيره وارتفع هو في لا إلّه إلا هو على أحد وجهين (أحدهما) بالابتداء كأنه قال ما إلّه إلا الله (والثاني) أن يكون بدلاً كأنه قال ما إلّه ثابتاً أو موجوداً إلا الله ويجوز في العربية نصب

(١) وفي المخطوطتين « من مكان كذا إلى مكان كذا ».

الله في قول لا إلّه إلا الله على الاستثناء .

[**المعنى**] لما قدم سبحانه ذكر الأمم واختلافهم على أنبيائهم في التوحيد وغيره عقبّه بذكر التوحيد فقال ﴿ **الله** ﴾ أي من يحق له العبادة لقدرته على أصول النعم وقد ذكرنا إختلاف الأقوال في أصله وفي معناه في مفتتح سورة الفاتحة ﴿ **لا إلّه إلا هو** ﴾ أي لا أحد تحق له العبادة ويستحق الإلّهية غيره ﴿ **الحي** ﴾ قد ذكرنا معناه ﴿ **القيوم** ﴾ القائم بتدبير خلقه من إنشائهم ابتداء وإيصال أرزاقهم إليهم كما قال ﴿ **وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها** ﴾ عن قتادة وقيل القيوم هو العالم بالأمور من قولهم هذا يقوم بهذا الكتاب أي يعلم ما فيه وقيل معناه الدائم الوجود عن سعيد بن جبير والضحاك وقيل معناه القائم على كل نفس بما كسبت حتى يجازيها من حيث هو عالم بها عن الحسن واللفظ لجميع هذه الوجوه محتمل ﴿ **لا تأخذه سنة** ﴾ أي نعاس ﴿ **ولا نوم** ﴾ ثقيل مزيل للقوة وقيل معناه لا يغفل عن الخلق ولا يسهو كما يقال للغافل أنت نائم وأنت وَسْنان ﴿ **له ما في السماوات وما في الأرض** ﴾ معناه له ملك ما فيهما وله التصرف فيهما ﴿ **من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه** ﴾ هو إستفهام معناه الإنكار والنفي أي لا يشفع يوم القيامة أحد لأحد إلا بإذنه وأمره وذلك أن المشركين كانوا يزعمون أن الأصنام تشفع لهم فأخبر الله سبحانه أن أحداً ممن له الشفاعة لا يشفع إلا بعد أن يأذن الله له في ذلك ويأمره به ﴿ **يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم** ﴾ قيل فيه وجوه (أحدها) أن معناه يعلم ما بين أيديهم ما مضى من الدنيا وما خلفهم من الآخرة عن مجاهد والسدي (والثاني) معناه يعلم الغيب الذي تقدمهم من قولك بين يديه أي قدامه وما مضى فهو قدام الشيء فيحمل عليه على هذا التقدير لا إن هذا اللفظ حقيقة في الماضي وما خلفهم يعني الغيب الذي يأتي بعدهم عن ابن جريج (والثالث) أن ما بين أيديهم عبارة عما لم يأت كما يقال رمضان بين أيدينا ﴿ **وما خلفهم** ﴾ عبارة عما مضى كما يقال في شوال قد خلفنا رمضان عن الضحاك ﴿ **ولا يحيطون بشيء من علمه** ﴾ معناه من معلومه كما يقال اللهم اغفر لنا علمك فينا أي معلومك فينا ويقال إذا ظهرت آية هذه قدرة الله أي مقدور الله والإحاطة بالشيء علماً أن يعلمه كما هو على الحقيقة ﴿ **إلا بما شاء** ﴾ يعني ما شاء أن يعلمهم ويطلعهم عليه ﴿ **وسع كرسيه السماوات والأرض** ﴾ اختلف فيه على أقوال (أحدها) وسع علمه السماوات والأرض عن ابن عباس ومجاهد وهو المروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله (ع) ويقال للعلماء كراسي كما يقال أوتاد الأرض لأن بهم قوام الدين والدنيا (وثانيها) أن الكرسي ههنا هو العرش عن الحسن وإنما سمي كرسياً لتركيب بعضه على بعض

(وثالثها) أن المراد بالكرسي ههنا الملك والسلطان والقدرة كما يقال إجعل لهذا الحائط كرسياً أي عماداً يعمد به حتى لا يقع ولا يميل فيكون معناه أحاط قدرته بالسماوات والأرض وما فيهما (ورابعها) أن الكرسي سريرٌ دون العرش وقد روي عن أبي عبد الله وقريب منه ما روي عن عطاء أنه قال ما السماوات والأرض عند الكرسي إلا كحلقة خاتم في فلاة وما الكرسي عند العرش إلا كحلقة في فلاة ومنهم من قال إن السماوات والأرض جميعاً على الكرسي والكرسي تحت العرش كالعرش فوق السماء وروى الأصبغ بن نباتة أن علياً قال إن السماوات والأرض وما فيهما من مخلوق في جوف الكرسي وله أربعة أملاك يحملونه بإذن الله ملك منهم في صورة الآدميين وهي أكرم الصور على الله وهو يدعو الله ويتضرع إليه ويطلب الشفاعة والرزق للآدميين والملك الثاني في صورة الثور وهو سيد البهائم يدعو الله ويتضرع إليه ويطلب الشفاعة والرزق للبهائم والملك الثالث في صورة النسر وهو سيد الطيور وهو يدعو الله ويتضرع إليه ويطلب الشفاعة والرزق لجميع الطيور والملك الرابع في صورة الأسد وهو سيد السباع وهو يدعو الله ويتضرع إليه ويطلب الشفاعة والرزق لجميع السباع قال ولم يكن في جميع الصور صورة أحسن من الثور ولا أشد انتصاباً منه حتى اتخذ الملأ من بني إسرائيل العجل وعبدوه فخفض الملك الذي في صورة الثور رأسه استحياء من الله أن عبدوا من دون الله بشيء يشبهه وتخوف أن ينزل الله به العذاب ﴿ **ولا يؤوده حفظهما** ﴾ أي لا يشق على الله ولا يثقله حفظ السماوات والأرض وقيل الهاء في يؤده يعود إلى الكرسي وهذا على قول من يقول أن السماوات والأرض على الكرسي ﴿ **وهو العلي** ﴾ عن الأشباه والأضداد والأمثال والأنداد وعن إمارات النقص ودلالات الحدث وقيل هو من العلو الذي هو بمعنى القدرة والسلطان والملك وعلو الشأن والقهر والاعتلاء والجلال والكبرياء ﴿ **العظيم** ﴾ أي العظيم الشأن القادر الذي لا يعجزه شيء والعالم الذي لا يخفي عليه شيء لا نهاية لمقدوراته ولا غاية لمعلوماته وروى علي بن إبراهيم عن أبيه عن الحسين بن خالد أنه قرأ أبو الحسن الرضا (ع) الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السماوات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى عالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه .

﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ

قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ

ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾

[اللغة] الرشد نقيض الغي وهو الرُشد والرَشَد وتقول غَوِيَ يغوَي غياً وغَواية إذا سلك طريق الهلاك وغوى إذا خاب قال الشاعر:

وَمَنْ يَلْقَ خَيْراً يَحْمَدُ النْاسُ أَمْرَهُ ... وَمَنْ يَغْوَ لاَيُعْدِمْ عَلَىْ الغَيِّ لاَئِماً

وغوى الفصيل يغوي غوى إذا قطع عن اللبن حتى يكاد يهلك والطاغوت وزنها في الأصل فعلوت وهو مصدر مثل الرغبوت والرهبوت والرحموت ويدل على أنها مصدر وقوعها على الواحد والجماعة بلفظ واحد واصلها طَغَيُوت لأنها من الياء يدل على ذلك قوله في طغيانهم يعمهون ثم ان اللام قدمت إلى موضع العين فصارت طَيَغُوت ثم قلبت الياء الفا لتحركها وانفتاح ما قبلها فصار طاغوت فوزنها الآن بعد القلب فلعوت وجمع طاغوت طواغيت وطواغت وطواغ على حذف الزيادة والطواغي على العوض من المحذوف والعروة عروة الدلو ونحوه لأنها متعلقة وعروت الرجل أُعروه عَرْوا إذا ألممت به متعلقاً بسبب منه واعتراه همٌّ إذا تعلق به وعرته الحُمى تعروه إذا علقت به فالاصل في الباب التعلق قال الأزهري العروة كل نبات له اصل ثابت كالشيح والقيصوم وغيره وبه شبهت عرى الأشياء في لزومها والوثقى تأنيث الأوثق والانفصام والانقطاع والانصداع نظائر قال الأعشي.

وَمَبْسِمُهَا مِنْ شَتَيْتِ النَبّاتِ ... غَيْرُ اكَسٍّ وَلا مُنْفَصِمِ(١)

يقال فصمته فانفصم.

[النزول] قيل نزلت الآية في رجل من الأنصار كان له غلام اسود يقال له صبيح وكان يكرِهه على الإسلام عن مجاهد وقيل نزلت في رجل من الأنصار يدعى ابا الحصين وكان له ابنان فقدم تُجارّ الشام إلى المدينة يحملون الزيت فلما ارادوا الرجوع من المدينة اتاهم ابنا أبي الحصين فدعوهما إلى النصرانية فتنصرا ومضيا إلى الشام فأخبر أبو الحصين رسول الله ﷺ فأنزل الله تعالى لا اكراه في الدين فقال رسول الله ﷺ ابعدهما الله هما أول من كفر فوجد أبو الحصين في نفسه على النبي حين لم يبعث في طلبهما فأنزل الله ﴿**فلا وربك لا يؤمنون**﴾ الآية قال وكان هذا قبل ان يؤمر النبي بقتال أهل الكتاب ثم نسخ وأمر بقتال اهل الكتاب في سورة براءة عن السدي وهكذا قال ابن مسعود وابن زيد أنها منسوخة

(١) المبسم: مقدم الاسنان. كَسَّ كسساً: كان قصير الاسنان صغيرها فهو اكسّ.

بآية السيف وقال الباقون هي محكمة وقيل كانت امرأة من الانصار تكون مقلاتا[١] فترضع اولاد اليهود فجاء الإسلام وفيهم جماعة منهم فلما اجليت بنو النضير إذا فيهم اناس من الانصار فقالوا يا رسول الله أبناؤنا واخواننا فنزلت لا إكراه في الدين فقال خيِّروا أصحابكم فإن اختاروكم فهم منكم وإن اختاروهم فأجلوهم عن ابن عباس .

[**المعنى**] لما تقدم ذكر اختلاف الأمم وانه لو شاء الله لأكرههم على الدين ثم بين تعالى دين الحق والتوحيد عَقّبه بأن الحق قد ظهر والعبد قد خيرّ اكراه بقوله ﴿ **لا إكراه في الدين**﴾ وفيه عدة أقوال (أحدها) أنه في أهل الكتاب خاصة الذين يؤخذ منهم الجزية عن الحسن وقتادة والضحاك (وثانيها) أنه في جميع الكفار ثم نسخ كما تقدم ذكره عن السدي وغيره (وثالثها) ان المراد لا تقولوا لمن دخل في الدين بعد الحرب أنه دخل مكرهاً لأنه إذا رضي بعد الحرب وصحّ إسلامه فليس بمكره عن الزجاج (ورابعها) أنها نزلت في قوم خاص من الأنصار كما ذكرناه في النزول عن ابن عباس وغيره (وخامسها) ان المراد ليس في الدين اكراه من الله ولكن العبد مخير فيه لأن ما هو دين في الحقيقة هو من افعال القلوب إذا فعل لوجه وجوبه فأما ما يكره عليه من اظهار الشهادتين فليس بدين حقيقة كما أن مَن أكره على كلمة الكفر لم يكن كافراً والمراد الدين المعروف وهو الإسلام ودين الله الذي ارتضاه ﴿**قد تبين الرشد من الغي**﴾ قد ظهر الإيمان من الكفر والحق من الباطل بكثرة الحجج والآيات الدالة عقلاً وسمعاً والمعجزات التي ظهرت على يد النبي ﴿**فمن يكفر بالطاغوت**﴾ فيه اقوال (احدها) أنه الشيطان عن مجاهد وقتادة وهو المروي عن أبي عبد الله (وثانيها) أنه الكاهن عن سعيد بن جبير (وثالثها) أنه الساحر عن أبي العالية (ورابعها) أنه مردة الجن والانس وكلما يطغي (وخامسها) أنه الأصنام وما عبد من دون الله وعلى الجملة فالمراد من كفر بما خالف أمر الله ﴿**ويؤمن بالله**﴾ أي يصدق بالله وبما جاءت به رسله ﴿**فقد استمسك**﴾ اي تمسك واعتصم ﴿**بالعروة الوثقى**﴾ أي بالعصمة الوثيقة وعقد لنفسه من الدين عقداً وثيقاً لا يحلّه شبهة وعن مجاهد هو الإيمان بالله ورسوله وجرى هذه مجرى المثل لحسن البيان بإخراج مالا يقع به الإحساس إلى ما يقع به ﴿**لا انفصام لها**﴾ أي لا انقطاع لها يعني كما لا ينقطع أمر من تمسك بالعروة كذلك لا ينقطع أمر من تمسك بالإيمان ﴿**والله سميع**﴾ لأقوالكم ﴿**عليم**﴾ بضمائركم.

﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ

(١) المقلات: التي لا يعيش لها ولد.

كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾

[**اللغة**] الولي من الـولى وهو القرب من غير فصل وهو الذي يكون أولى بالغير من غيره وأحق بتدبيره ومنه الوالي لأنه يلي القوم بالتدبير وبالأمر والنهي ومنه المولى من فوق لأنه يلي أمر العبد بسد الخلة وما به إليه الحاجة ومنه المولى من أسفل لأنه يلي أمر المالك بالطاعة ومنه المولى لابن العم لأنه يلي أمره بالنصرة لتلك القرابة ومنه ولي اليتيم لأنه يلي أمر ماله بالحفظ له والقيام عليه والولي في الدين وغيره لأنه يلي أمره بالنصرة والمعونة كما توجبه الحكمة والمعاقدة فجيمع هذه المواضع الأولى والأحق ملحوظ فيها وَوَّلى عن الشيء إذا أدبر عنه لأنه زال عن ان يليه بوجهه واستولى على الشيء إذا احتوى عليه لأنه وليه بالقهر والله تعالى ولي المؤمنين على ثلاثة أوجه أحدها انه يتولاهم بالمعونة على إقامة الحجة والبرهان لهم في هدايتهم كقوله ﴿**والذين اهتدوا زادهم الله هدى**﴾ وثانيها أنه وليهم في نصرهم على عدوهم وإظهار دينهم على دين مخالفيهم وثالثها أنه وليهم يتولاهم بالمثوبة على الطاعة والمجازاة على الأعمال الصالحة.

[**المعنى**] لمّا ذكر سبحانه المؤمـن والكافر بَيّن ولي كل واحد منهما فقال ﴿**الله ولي الذين آمنوا**﴾ أي نصيرهم ومعينهم في كل ما بهم إليه الحاجة وما فيه لهم الصلاح من أمور دينهم ودنياهم وآخرتهم ﴿**يخرجهم من الظلمات إلى النور**﴾ أي من ظلمات الضلالة والكفر إلى نور الهدى والإيمان لأن الضلال والكفر في المنع من ادراك الحق كالظلمة في المنع من ادراك المبصرات ووجه اخراج الله تعالى المؤمنين من ظلمات الكفر والضلال إلى نور الايمان والطاعة هو أنه هداهم إليه ونصب الأدلة لهم عليه ورَغَبّهم فيه وفعل بهم من الالطاف ما يقوي به دواعيهم إلى فعله لإنا قد علمنا أنه لولا هذه الأمور لم يخرجوا من الكفر إلى الإيمان فصح اضافة الأخراج إليه تعالى لكون هذه الأمور التي عَدَّدناها من جهة الله تعالى كما يصح من أحدنا إذا اشار إلى غيره بدخول بلد من البلدان ورغبه فيه وعرفه ما له فيه من الصلاح ان يقول انا ادخلت فلاناً البلد الفلاني وانا اخرجته من كذا وكذا ﴿**والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت**﴾ أي متولى أمورهم وانصارهم الطاغوت والطاغوت هاهنا واحد أريد به الجميع وهذا جائز في اللغة إذا كان في الكلام دليل على الجماعة قال الشاعر:

بِهَا جِيَفُ الحَسْرَىٰ فَأَمّا عِظامُها فَبِيضٌ وَامَّا جِلْدُها فَصَلِيبُ[١]

فجلدها في معنى جلودها وقال العباس بن مرداس:

فَقُلْنَا أسْلِمُوا وَأنا أخوكُم فَقَدْ فَرِئَتْ مِنَ الإحَنِ الصُدُورِ[٢]

والمراد به الشيطان عن ابن عباس وقيل رؤساء الضلالة عن مقاتل **﴿يخرجونهم من النور إلى الظلمات﴾** أي من نور الإيمان والطاعة والهدى إلى ظلمات الكفر والمعصية والضلالة واضاف اخراجهم من النور إلى الظلمات الى الطواغيت على ما تقدم ذكره من انهم يغوونهم ويدعونهم إلى ذلك ويُزيّنون فعله لهم فصح اضافته إليهم وهذا يدل على بطلان برهان قول من قال ان الاضافة الاولى تقتضي ان الإيمان من فعل الله تعالى بالمؤمن لأنه لو كان كذلك لاقتضت الاضافة الثانية ان الكفر من فعل الشيطان وعندهم لا فرق بين الأمرين في انهما من فعله تعالى عن ذلك وأيضاً فلو كان الأمر على ما ظنوا لما صار الله تعالى ولياً للمؤمنين وناصراً لهم على ما اقتضته الآية والإيمان من فعله لا من فعلهم ولمّا كان خاذِلاً للكفار و مضيفاً لولايتهم إلى الطاغوت والكفر من فعله فيهم ولم يفصل بين الكافر والمؤمن وهو المتولي لفعل الأمرين فيهما ومثل هذا لا يخفي على منصف فإن قيل كيف يخرجونهم من النور.وهم لم يدخلوا فيه قلنا قد ذكر فيه وجهان (أحدهما) ان ذلك يجري مجرى قول القائل اخرجني والدي من ميراثه فَمْنعُه من الدخول فيه اخراج ومثله قوله في قصة يوسف اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله ولم يكن فيها قط وقوله ومنهم مَن.يُرَّد إلى ارذل العمر وقال الشاعر:

فَإنْ تَكُنِ الأيَامُ أحْسَنَ مَرّةً إليَّ فَقَدْ عَادَتْ لَهُنَّ ذُنُوبُ

ولم يكن لها ذنوب قبل ذلك والوجه الآخر أنه في قوم ارتدوا عن الاسلام عن مجاهد والأول اقوى وقوله **﴿أولئك اصحاب النار﴾** إلى آخره قد مضى تفسيره.

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ

(١) الحسرى جمع الحسير.

(٢) الأحن كعنب جمع الأحنة: الحقد .

﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِي بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾

[**القراءة**] قرأ أهل المدينة أنا أحيي باثبات الألف في أنا والمد إذا كان بعدها همزة مضمومة أو مفتوحة نحو أنا أخوك فإن كان بعدها همزة مكسورة نحو إن أنا إلا نذير حذفوا الألف أجماعاً.

[**الحجة**] الأصل في أنا الهمزة والنون وإنما يلحقها الألف في الوقف كما ان الهاء تلحق للوقف في مسلمونه وكما أن الهاء التي تلحق للوقف تسقط في الوصل كذلك هذه الألف تسقط في الوصل وقد جاءت الف أنا مثبتة في الوصل في الشعر نحو قول الأعشى.

فَكَيْفَ أَنا وَانْتِحالُ الْقَوافي بَعْدَ الْمَشيبِ كَفَى ذاكَ عارا(١)

وقول الآخر:

أنا شَيْخُ العَشيرةِ فاعْرِفوني حَميداً قَدْ تَذَرَّيتُ السَّناما(٢)

قال أبو علي وما روي في اثبات الألف في أنا إذا كان بعد الألف همزة فإني لا اعلم بين الهمزة وغيرها من الحروف فصلاً ولا شيئاً يجب من أجله أثبات الألف التي حكمها ان تثبت في الوقف.

[**اللغة**] في بُهت اربع لغات بَهُت على وزن ظَرُف وبَهِت على وزن حَذِر وبَهَت على وزن ذَهَب وبُهِتَ على وزن مالم يسم فاعله وهذا هو الأفصح وعليه القراءة يقال بهت الرجل يبهت بهتاً إذا انقطع وتحير ويقال بَهَتُّ الرجلَ أبهته بهتاناً إذا قابلته بكذب فالبهت الحيرة عند استيلاء الحجة لأنها كالحيرة للمواجه بالكذب لأن تحير المكذب في مذهبه كتحير المكذوب عليه ومنه قوله أتأخذونه بهتاناً كأنه قال أتأخذونه ادعاء للكذب فيه.

[**الاعراب**] ألم تر إلى الذي إنما ادخلت إلى في الكلام للتعجب من حال الكافر المحاج بالباطل كما يقولون أما ترى إلى فلان كيف يصنع ومنه معنى هل رأيت كفلان في

(١) انتحل فلان شعر غيره إذا ادعاه لنفسه.

(٢) تَذَرّيْتُ السنام. علوت الذروة اي اعلاه.

صنيعه كذا فإنما دخلت إلى من بين حروف الجر لهذا المعنى لأنها لما كانت بمعنى الغاية والنهاية صار الكلام بمنزلة هل انتهت رؤيتك إلى من هذه صفته ليدل على بُعد وقوع مثله على التعجيب منه لأن التعجب إنما يكون مما استبهم سببه ولم تجر العادة به وقد صارت إلى هاهنا بمنزلة كاف التشبيه لما بيّنا من العلة إذ كان ما ندر مثله كالذي يبعد وقوعه.

[**المعنى**] لما بيّن تعالى أنه ولي المؤمنين وان الكفار لا وليّ لهم سوى الطاغوت تسلية لنبيه ﷺ قصّ عليه بعده قصة إبراهيم ونمرود فقال ﴿**ألم تر**﴾ يا محمد أي الم ينته علمك ورؤيتك ﴿**إلى الذي حاج إبراهيم**﴾ أي إلى من كان كالذي حاجّ فكأنه قال هل رأيت كالذي حاج أي خاصم وجادل إبراهيم وهو نمرود بن كنعان وهو اول من تجبّر وادعى الربوبية عن مجاهد وغيره وإنما اطلق لفظ المحاجة وان كانت مجادلة بالباطل ولم تكن له فيه حجة لأن في زعمه ان له فيه حجة واختلف في وقت هذه المحاجة فقيل عند كسر الاصنام قبل القائه في النار وجعلها عليه برداً وسلاماً عن الصادق (ع) وفي ﴿**في ربه**﴾ أي في رب إبراهيم الذي يدعو إلى توحيده وعبادته ﴿**ان آتاه الله الملك**﴾ أي لأن آتاه الله الملك الهاء من أتاه تعود إلى المحاج لأبراهيم أي اعطاه الله الملك وهو نعيم الدنيا وسعة المال فبطرُ الملك حمله على محاجة إبراهيم عن الحسن والجبائي والملك على هذا الوجه جائز ان ينعم الله تعالى به على كل أحد فأما الملك بتمليك الأمر والنهي وتدبير امور الناس وإيجاب الطاعة على الخلق فلا يجوز ان يؤتيه الله إلا من يعلم أنه يدعو إلى الصلاح والسداد والرشاد دون من يدعو إلى الكفر والفساد ولا يصح منه لعلمه بالغيوب والسرائر تفويض الولاية إلى من هذا سبيله لما في ذلك من الاستفساد وقيل ان الهاء تعود إلى إبراهيم عن أبي القاسم البلخي ويسأل على هذا فيقال كيف يكون الملك لابراهيم والحبس والاطلاق إلى نمرود وجوابه ان الحبس والإطلاق والأمر والنهي كان من جهة الله لأبراهيم وإنما كان نمرود يفعل ذلك على وجه القهر والغلبة لا من جهة ولاية شرعية ﴿**إذ قال إبراهيم ربي الذي يحيي ويميت**﴾ في الكلام حذف وهو إذ قال له نمرود من ربُّك فقال ربي الذي يحيي ويميت بدأ بذكر الحياة لأنها اول نعمة ينعم الله بها على خلقه ثم يميتهم وهذا أيضاً لا يقدر عليه إلاّ الله تعالى لأن الإماتة هي أن يخرج الروح من بدن الحي من غير جرح ولا نقص بنية ولا احداث فعل يتصل بالبدن من جهته وهذا خارج عن قدرة البشر ﴿**قال انا احيي وأميت**﴾ أي فقال نمرود أنا أحيي بالتخلية من الحبس مَنْ وجب عليه القتل واميت بالقتل من شئت ممن هو حيّ وهذا جهل من الكافر لأنه اعتمد في المعارضة على العبارة فقط دون المعنى عادلاً عن وجه الحجة بفعل الحياة للميت أو

الموت للحي على سبيل الاختراع الذي ينفرد به تعالى ولا يقدر عليه سواه **﴿قال ابراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب﴾** قيل في انتقاله من حجة إلى أخرى وجهان (أحدهما) ان ذلك لم يكن انتقالاً وانقطاعاً عن إبراهيم فإنه يجوز من كل حكيم ايراد حجة اخرى على سبيل التأكيد بعد تمام ما ابتدأ به من الحجاج وعلامة تمامه ظهوره من غير اعتراض عليه بشبهة لها تأثير عند التأمل والتدبر لموقعها من الحجة المعتمد عليها (والثاني) ان إبراهيم إنما قال ذلك ليبين ان من شأن مَنْ يقدر على احياء الأموات واماتة الأحياء ان يقدر على اتيان الشمس من المشرق فإن كنت قادراً على ذلك فأت بها من المغرب وإنما فعل ذلك لأنه لو تشاغل معه بأني اريت اختراع الموت والحيوة من غير سبب ولا علاج لاشتبه على كثير ممن حضر فعدل إلى ما هو اوضح لأن الانبياء إنما بعثوا للبيان والإيضاح وليست امورهم مبنية على تحاجّ الخصمين وطلب كل واحد منهما غلبة خصمه وقد روي عن الصادق (ع) أن إبراهيم (ع) قال له احيي مَنْ قتلَته ان كنت صادقاً ثم استظهر عليه مما قاله ثانياً (فبهت) الذي كفر أي تحير عند الانقطاع بما بان من ظهور الحجة فإن قيل فَهَلَّا قال له نمرود فليأت بها ربك من المغرب قيل عن ذلك جوابان (أحدهما) أنه لما علم بما رأى من الآيات أنه لو اقترح ذلك لأتى به الله تصديقاً لابراهيم فكان يزداد بذلك فضيحة عدل عن ذلك (والثاني) ان الله خَذَله ولطف لابراهيم حتى انه لم يأت بشبهة ولم يلبَس **﴿والله لا يهدي القوم الظالمين﴾** بالمعونة على بلوغ البغية من الفساد وقيل معناه لا يهديهم إلى المحاجة كما يهدي انبياءه واولياءه وقيل معناه لا يهديهم بالطافه وتأييده إذا علم انه لا لطف لهم وقيل لهم لا يهديهم إلى الجنة وهذا لا يعاض قوله فأما ثمود فهديناهم لانا قد بينا معاني الهداية ووجوهها قبل عند قوله يضل به كثيراً ويهدي به كثيراً فبعضها عامّ لجميع المكلفين وبعضها خاص للمؤمنين وفي هذه الآية دلالة على ان المعارف غير ضرورية إذ لو كانت كذلك لما صحت المحاجة في اثبات الصانع وفيها دلالة على فساد التقليد وحسن الحجاج وانه تعالى إنما يعلم بأفعاله التي لا يقدر عليها غيره وفي تفسير ابن عباس ان الله سبحانه سلّط على نمرود بعوضة فعضّت شفتيه فاهوى اليها بيده ليأخذها فطارت في منخره فذهب ليستخرجها فطارت في دماغه فعذبه الله بها اربعين ليلة ثم اهلكه.

﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ

مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا
أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ
لَمْ يَتَسَنَّهْ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَٱنظُرْ إِلَى
ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ
ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾

[**القراءة**] قرأ أبو عمرو وابن عامر وحمزة والكسائي لبَتّ بالادغام والباقون بالاظهار وقرأ أهل العراق غير ابي عمرو وعاصم لم يتسن واقتدِ[1] بحذف الهاء وصلاوالباقون باثبات الهاء في الوصل ولم يختلفوا في اثباتها في الوقف وقرأ اهل الحجاز والبصرة نُنشرها بضم النون الاولى وبالراء وقرأ اهل الكوفة والشام نَنْشُزُها بالزاي وروى أبان عن عاصم نَنشُرها بفتح النون وضم الشين وبالراء وقرأ حمزة والكسائي قال اعْلَمْ موصولة الألف ساكنة الميم والباقون اعلم مقطوعة الالف مرفوعة الميم.

[**الحجة**] قال أبو علي من ادغم لبَت اجرى التاء والثاء مجرى المثلين من حيث اتفق الحرفان في انهما من طرف اللسان واصول الثنايا واتفقا في الهمس ومَنْ بَيَّنَ ولم يدغم فلتباين المخرجين لأن الطاء والدال والتاء من حيزّ والظاء والذال والثاء من حيز ومن قرأ لم يتسنه بالهاء في الوصل فيحتمل امرين (أحدهما) ان يكون الهاء لاماً من السنة فيمن قال شجرة سنهاءَ فيكون سكون الهاء للجزم والآخر ان يكون من السنة أيضاً فيمن قال آسْتَوا وسنوات أو يكون من المسنون الذي يراد به المتغيّر كأنه لم يتسن ثم قلب على حد القلب في لم يَتَظَنَّ وحكي ان أبا عمرو الشيباني إلى هذا كان يذهب في هذا الحرف فالهاء في يستنه على هذين القولين يكون للوقف فينبغي ان يلحق في الوقف ويسقط في الدرج واما قوله اقتده فيجوز ان يكون الهاء كناية عن المصدر ولا يكون التي للوقف ولكن لما ذكر الفعل دلّ على مصدره فأضمره كما اضمر في قوله ﴿**ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم**﴾ وقال الشاعر:

غَـدا سُـرَاقَـةُ لِـلْقُـرآنِ يَـدْرُسُـهُ وَالْمَـرْءُ عِنْدَ الْـرُشىٰ إنْ يَلْقَها ذِئْبٌ[2]

(١) أي في سورة الانعام.
(٢) وفي بعض النسخ «هذا» بدل «غدا» ولعله اظهر.

فالهاء في يدرسه للمصدرُ لا يجوز ان يكون للمفعول لأن الفعل قد تعدى إلى المفعول باللام فلا يجوز ان يتعدى إليه مرة ثانية وكذلك قوله فبهديهم اقتده يكون اقتد الاقتداء فيضمر لدلالة الفعل عليه ومن قرء كيف نُنشرها فمعناه كيف نحييها يقال انشر الله الميت فنشر وقد وصفت العظام بالاحياء قال تعالى من يحيي العظام وهي رميم قل يحيها الذي انشأها اول مرة وكذلك في قوله ننشرها ومن قرأ نَنْشُزها بالزاء فالنشز الارتفاع قال أبو الحسن نشزوا نشزته فتقدير ننشزها نرفع بعضها إلى بعض للاحياء ومن هذا النشوز من المرأة وهو أن تنبو عن الزوج في العِشرة فلا تلائمه ومن قرأ قال اعلم على لفظ الخبر فلأنه لما شاهد من احياء الله وبعثه اياه بعد وفاته ما شاهد اخبر عما تَبَيَّنَهُ وتيقَّنه أي أَعْلَمُ هذا الضرب من العلم الذي لم اكن علمته قيل ومن قال اعْلَمَ على لفظ الأمر فالمعنى يؤول الى الخبر وذلك أنه لما تبيّن له ما تبين من الأمر الذي لا مجال للشبهة عليه نزّل نفسه منزلة غيره فخاطبها كما يخاطب سواها كقول الاعشى.

أَرْمي بِهَا الْبَيْدا إذا هَجَّرَتْ وَانَتْ بَيْنَ الْقَرْوِ وَالْعَاصِرِ[1]

فقال أنت وهو يريد نفسه ومثله قوله :

وَدِّعْ هُرَيْرَةَ إنَّ الرَّكْبَ مُرْتَحِلُ وَهَلْ تُطيقُ وِداعاً أَيُّهَا الرَّجُلُ

فخاطب نفسه كما يخاطب غيره قال أبو الحسن وهو أجود في المعنى .

[**اللغة**] أصل الخواء الخلاء قال الراجز « يبدو خواء الأرض من خوائه » والخواء الفرجة بين الشيئين لخلو ما بينهما وخوت الدار تخوي خواءً **فهي** خاوية إذا باد أهلها لخلوها منهم والخوى الجوع خَوَى يخوي خوىً لخلو البطن من الغذاء والتخوية التفريج بين العضدين والجنبين لخلو ما بينهما بتباعدهما. ﴿ **على عروشها** ﴾ أي على أبنيتها قال ابو عبيدة هي الخيام وهي بيوت الاعراب وقال غيره خاوية على عروشها أي بقيت حيطانها لا سقوف عليها وكل بناء عرش وعريش مكة أبنيتها وعرش يعرش عرشاً إذا بنى والعريش البيت لارتفاع أبنيته والعرش السرير لارتفاعه عن غيره وعرش الرجل قوام أمره وعرش البيت سقفه والتعريش جعل الخشب تحت الكرم ليمتد عليه يقال عرشته وعرّشته وأصل القرية الجمع من قريت الماء وسميت قرية لاجتماع الناس فيها للإقامة بها وأنى يحيي من أين يحيي أو كيف يحيي والعام الحول وجمعه الأعوام وهو حول يأتي بعد شتوة وصيفة لأن فيه سبحاً طويلاً ربما يمكن من التصرف فيه والعوم السباحة والسفينة تعوم في جريها

(١) هجَّر النهار: اشتدَّ حره. والقَرّو: أسفل النخلة ينقر فيعمل فيه النبيذ. والعاصر: الذي يعصر العنب.

والابل تعوم في سيرها والاعتيام اصطفاء خيار مال الرجل لأنه يجري في أخذه شيئاً يعد شيء كالسابح في الماء الجاري واعتام الموت النفوس أولاً فأولاً كذلك وأصل الباب السبح واللبث المكث يقال لبث فهو لابث وتلبث تلبثاً إذا تمكث والحمار يقال للوحشي والأهلي وأصله من الحمرة لأن الحمرة أغلب عليه وحَمارَّة القيض شدة حرّه وحِمر فو الفرس يحمَر حمَرا إذا انتن وموت أحمر شديد مشبه بحمرة النار والأسود والأحمر العرب والعجم لأن السواد أغلب على لون العرب كما أن الحمرة أغلب على لون العجم ومنه قول الأشعث لعلي غلبت عليك هذه الحمراء يعني العجم والنشر خلاف الطيّ والنشر إذاعة الحديث وحتّ العود بالمِنشار والنَشْر الرائحة الطيبة وربما قيل في الخبيثة والنُشرة الرقية والنشَز بالزاي المرتفع من الأرض .

[**الإعراب**] أو حرف عطف وهو عطف على معنى الكلام الأول وتقديره أرأيت كالذي حاجّ إبراهيم في ربه أو كالذي مرّ على قرية وموضع الكاف نصب بتَرَ ومعناه التعجب لأن كل ما خرج من بابه لعظمه عن حد نظائره فهو مما يتعجب منه تقول ما أجهله أي قد خرج بجهله عن حدّ نظائره وكذلك لو قلت هل رأيت كزيد الجاهل لدلّلت على مثل الأول منه في التعجب لما بينا أن ما أفعله صيغة وضعت للتعجب وليس كذلك هل رأيت لأنها في الأصل للاستفهام وقيل الكاف زائدة للتوكيد كما زيدت في قوله ليس كمثله شيء والأول أوجه لأنه لا يحكم بالزيادة إلا لضرورة وقوله أنّى استفهام في موضع نصب على الحال من يحيي وتقديره أقادرٌ أن يحيي ويجوز أن يكون مصدراً ليحيي وتقديره أيّ نوع يحيي أي أيّ أحياء يحيي وهذا أولى لأنه يكون سؤالاً عن كيفية الإحياء لا إنكاراً لأصل الإحياء وموضع كم نصب بلبثت كأنه قال أَمَاتَة سنةٍ لبثت أم أقلّ أم أكثر وقوله ﴿ **ولنجعلك** ﴾ دخلت الواو لاتصال اللام بفعل محذوف كأنه قال ولنجعلك آية للناس فعلنا ذلك لأن الواو لو أسقطت اتصلت اللام بالفعل المتقدم كيف في محل النصب على الحال من ننشر أو ننشز وذو الحال الضمير المستكن فيه أو على المصدر وننشزها جملة في موضع الحال من أنظر وذو الحال العظام .

[**المعنى**]﴿ **أو كالذي مرّ** ﴾ أي أو هل رأيت كالذي مر ومعناه إن شئت فانظر في قصة الذي حاج إبراهيم وإن شئت فانظر إلى قصة الذي مر ﴿ **على قرية** ﴾ وهو عزيز عن قتادة وعكرمة والسدي وهو المروي عن أبي عبد الله وقيل هو أرميا عن وهب وهو المروي عن أبي جعفر وقيل هو الخضر عن ابن إسحاق والقرية التي مر عليها هي بيت المقدس لما

خربه بخت نصر عن وهب وقتادة والربيع وعكرمة وقيل هي الأرض المقدسة عن الضحاك وقيل هي القرية التي خرج منها الألوف حذر الموت عن ابن زيد ﴿ **وهي خاوية على عروشها** ﴾ أي خالية وقيل خراب عن ابن عباس والربيع والضحاك وقيل ساقطة على أبنيتها وسقوفها كأن السقوف سقطت ووقعت البنيان عليها قال ﴿ **أنّى يُحيي هذه الله بعد موتها** ﴾ أي كيف يعمر الله هذه القرية بعد خرابها وقيل كيف يحيي الله أهلها بعدما ماتوا وأطلقَ لفظ القرية وأراد به أهلها كقوله ﴿ **واسئل القرية** ﴾ ولم يقل ذلك إنكاراً ولا تعجباً ولا ارتياباً ولكنه أحب أن يريه الله إحياءَها مشاهدة كما يقول الواحد منا كيف يكون حال الناس يوم القيامة وكيف يكون حال أهل الجنة في الجنة وكيف يكون حال أهل النار في النار وكقول إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى أحبَّ أن يريه الله إحياءَ الموتى مشاهدة ليحصل له العلم به ضرورة كما حصل العلم دلالة لأن العلم الاستدلالي ربما اعتورته الشبهة ﴿ **فأماته الله مائة عام** ﴾ أي مائة سنة ﴿ **ثم بعثه** ﴾ أي أحياه كما كان ﴿ **قال كم لبثت** ﴾ في التفسير أنه سمع نداء من السماء كم لبثت يعني في مبيتك ومنامك وقيل إن القائل له نبي وقيل ملك وقيل بعض المعمرين ممن شاهده عند موته وإحيائه ﴿ **قال لبثت يوماً أو بعض يوم** ﴾ لأن الله أماته في أول النهار وأحياه بعد مائة سنة في آخر النهار فقال يوماً ثم التفت فرأى بقية من الشمس فقال أو بعض يوم فقال ﴿ **بل لبثت مائة عام** ﴾ معناه بل مكثت في مكانك مائة سنة ﴿ **فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه** ﴾ أي لم تُغيّره السنون وإنما قال لم يتسنه على الواحد لأنه أراد به جنس الطعام والشراب أي انظر إلى ما تركته أنه لم يتسنه وقيل أراد به الشراب لأنه أقرب المذكورَينِ إليه وقيل كان زاده عصيراً وتيناً وعنباً وهذه الثلاثة أسرع الأشياء تغيراً وفساداً فوجد العصير حلواً والتين والعنب كما جنيا لم يتغيرا ﴿ **وانظر إلى حمارك** ﴾ معناه انظر إليه كيف تفرق اجزاؤه وتَبدّد عظامه ثم أنظر كيف يحييه الله وإنما قال له ذلك ليستدل بذلك على طول مماته ﴿ **ولنجعلك آية للناس** ﴾ فعلنا ذلك وقيل معناه فعلنا ذلك إجابة لك إلى ما أردت وقوله ﴿ **ولنجعلك آية للناس** ﴾ أي حجة للناس في البعث ﴿ **وانظر إلى العظام كيف ننشرها** ﴾ كيف نحييها وبالزاي كيف نرفعها من الأرض فنردها إلى أماكنها من الجسد وتركب بعضها على بعض ﴿ **ثم نكسوها** ﴾ أي نلبسها ﴿ **لحماً** ﴾ واختلف فيه فقيل أراد عظام حماره عن السدي وغيره فعلى هذا يكون تقديره وانظر إلى عظام حمارك وقيل أراد عظامه عن الضحاك وقتادة والربيع قالوا أول ما أحيا الله منه عينه وهو مثل غِرْقيء البيض(١) فجعل ينظر إلى العظام

(١) الغِرْقِيْء : بياض البيض الذي يؤكل .

البالية المتفرقة تجتمع إليه وإلى اللحم الذي قد أكلته السباع الذي يأتلف إلى العظام من هاهنا ومن هاهنا ويلتزم ويلتزق بها حتى قام وقام حماره ﴿ **فلما تبين له** ﴾ أي ظهر وعلم وإنما علم أنه مات مائة سنة بشيئين (أحدهما) بإخبار من أراه الآية المعجزة في نفسه وحماره وطعامه وشرابه وتقطع أوصاله ثم اتصال بعضها إلى بعض حتى رجع إلى حالته التي كان عليها في أول أمره (والآخر) أنه علم ذلك بالآثار الدالة على ذلك لما رجع إلى وطنه فرأى ولد ولده شيوخاً وقد كان خَلّفَ آباءهم شباباً إلى غير ذلك من الأمور التي تغيرت والأحوال التي تقلبت وروي عن علي (ع) أن عزيرا خرج من أهله وامرأته حامل وله خمسون سنة فأماته الله مئة سنة ثم بعثه فرجع إلى أهله ابن خمسين سنة وله ابن له مائة سنة فكان ابنه أكبر منه فذلك من آيات الله وقيل أنه رجع وقد أحرق بختنصر التوراة فأملأها من ظهر قلبه فقال رجل منهم حدثني أبي عن جدي أنه دفن التوراة في كرم فإن أرَيتموني كرم جدي أخرجتها لكم فأروه فأخرجها فعارضوا ذلك بما أملى فما اختلفا في حرف فقالوا ما جعل الله التوراة في قلبه إلّا وهو ابنه فقالوا عزير ابن الله ﴿ **قال** ﴾ أي قال المار على القرية ﴿ **أعلم** ﴾ أي أتيقنْ ومن قرأ إعْلَم فمعناه على ما تقدم ذكره من أنه يخاطب نفسه وقيل أنه أمر من الله تعالى له ﴿ **إن الله على كل شيء قدير** ﴾ أي لم أقل ما قلت عن شك وارتياب ويحتمل أنه إنما قال ذلك لأنه ازداد بما شاهد وعاين يقيناً وعلماً إذ كان قبل ذلك علم استدلال فصار علمه ضرورة ومعاينة .

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَـٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾

[**القراءة**] قرأ أبو جعفر وحمزة وخلف ورويس عن يعقوب فَصِرهن بكسر الصاد والباقون فَصُرهن بضم الصاد وروي في الشواذ عن ابن عباس فَصِرَّهن بكسر الصاد وتشديد الراء وفتحها وعن عكرمة فَصَرِّهن بفتح الصاد وكسر الراء وتشديدها وقرأ عاصم في رواية أبي بكر جُزُأ مثقلاً مهموزاً حيث وقع وقرأ أبو جعفر جزًّا مشدداً والباقون بالهمز

والتخفيف .

[**الحجة**] يقال صرته اصوره أي أملته ومنه قول الشاعر (يصور عنوقها أحوى زنيم) أي يميل عنوق هذه الغنم تَيْس أحوى(١) وصرته أصوره قطعته قال أبو عبيدة فصرهن من الصور وقال هو القطع وقال أبو الحسن وقد قالوا بمعنى القطع صار يصير أيضاً قال الشاعر :

وَفَـرعُ يَصِيرُ الْجَيْـدَ وَحْفُ كَـأَنَّـه   عَلَى اللِيتِ قِنْوانُ الْكُرومِ الدَّوالِحِ(٢)

ومعنى هذا يميل الجيد من كثرته فقد ثبت أن الميل والقطع يقال في كل واحد منهما أيضاً صار يصير فمن جعل فصرهن إليك بمعنى أملهن إليك حذف من الكلام والمعنى أملهن إليك فقطعهن ثم اجعل على كل جبل منهن جزأ فحذف الجملة لدلالة الكلام عليها كما حذف من قوله ﴿ **اضرب بعصاك البحر فانفلق** ﴾ أي فضرب فانفلق ومن قدر فصرهن على معنى فقطعهن لم يحتج إلى إضمار ويحتمل كلا الوجهين كل واحد من القراءتين على ما ذكرناه وقوله إليك إن جعلت صرهن بمعنى فقطعهن كان إليك متعلقاً بخذ أي خذ إليك أربعة من الطير فقطعهن ثم اجعل وإن جعلته بمعنى أملهن احتمل إليك أن يكون متعلقاً بخذ وأن يكون متعلقاً بصرهن وقياس قول سيبويه أن يكون متعلقاً بقوله فصرهن لأنه أقرب إليه ومن قرأ فَصِرَّهن بكسر الصاد وتشديد الراء فإنه يكون من صَرَّه يَصِرّه أي قَطَعه والمتعدي من هذا الباب قليل وقد روي عن عكرمة أيضاً فَصُرَّهُنَّ بضم الصاد فيكون من صَرَّه يَصُرُّه وهذا على القياس ومن قرأ فَصَرِّهُنَّ فهو فَعِلَّهُنّ من صَرّىٰ يُصَرّي تصرية إذا حبس وقطع قال :

رُبَّ غُلامٍ قَدْ صَرّىٰ في فِقْرَتِه   مـاءَ الشَبـابِ عُنْفُـوانَ شِـرَّتِه(٣)

أي حبسه وقطعه ومنه الشاة المصراة أي المحبوسة اللبن المقطوعة في ضرعها عن الخروج وأما الوجه في قراءة من قرأ جُزُأ بالتثقيل فقد ذكرنا عند قوله تعالى ﴿ **قالوا اتتخذنا هزوا** ﴾ ومن قرأ جزّاً بالتشديد فأصله جزءاً ثم خفف همزته ثم إنك إذا وقفت كان لك السكون وإن شئت الإشمام فتقول الجزو وإن شئت التشديد (فتقول) الجزّ ثم أنه وصل

(١) التيس: الذكر من المعز تيس أحوى إذا خالط خضرته سواد وصفرة .
(٢) فرع وَحْف: شعر كثير حسن. الليت : صفحة العنق. الكروم الدوالح : المثقلات .
(٣) الفقرة : الخرزة من خرزات الظهر. شرة الشباب: نشاطه .

على وقفه فقال جزّاً كما قال الشاعر :

ببـــازِلٍ وَجْـنـاءَ أَوْ عَيـهَـلٍّ   كَـأَنَّ مَهْـوَاهـا عَلَى الْكَلْكَلِّ[١]

فأجرى الوصل مجرى الوقف .

[**اللغة**] اطمأن يطمئن توطأ والمطمئن من الأرض ما انخفض وتطامن[٢] واطمأن إليه إذا وثق به لسكون نفسه إليه ولتوطي حاله بالامانة عنده وأصل الباب التوطئة والطير معروف وطار يطير طيراناً وطيرورة والباب يدل على خفة الشيء في الهواء ثم يستعار ذلك في غيره وفي كل سرعة وتَطَيَّر من الطِّيَرة وهو زجر الطير بما يكره وطائر الإنسان عمله الذي تقلده من خير أو شر لأنه بمنزلة طائر الزجر في البركة والتشؤم وفجر مستطير منتشر في الافق وغبار مستطار وفرس مطار حديد الفؤاد لأنه طيار في جريه والجبل وتدٌ من أوتاد الأرض وجُبِل فلان على كذا أي طبع ورجل ذو جبلة إذا كان غلظ الجسم والجِبِلّة الأمة من الناس واجبل الحافر إذا بلغ إلى صلابة لا يمكنه الحفر عندها ومنه أجبل الشاعر إذا صعب عليه القول والجزء بعض الشيء وجزّأته بعّضته والفرق بين الجزء والسهم أن السهم من الجملة ما ينقسم عليه نحو الإثنين من العشرة وقد يقال الجزء لما لا ينقسم عليه نحو الثلاثة من العشرة ولا تنقسم العشرة عليها وإن كانت الثلاثة جزءاً من العشرة .

[**الإعراب**] العامل في إذ في المعنى اذكر أي واذكر هذه القصة عنِ الزجاج ويجوز أن يكون عطفاً على قوله ﴿ **ألم تر إلى الذي حاجّ إبراهيم** ﴾ أي وألم تر إذ قال وموضع كيف نصب بقوله تحيي الموتى والمعنى بأيّ حال تحيي الموتى وقوله ﴿ **ليطمئن قلبي** ﴾ اللام يتعلق بمعنى أرني تقديره أرني ليطمئن قلبي من الطير صفة لأربعة فعلى هذا يكون من للتبعيض وللتبيين ويجوز أن يتعلق بخذ فعلى هذا لا يكون إلا للتبيين منهن أي جزء من كل واحد منهن فلما قدم على جزء وقع موضع النصب على الحال من جزء وقوله سعياً مصدر وقع موقع الحال وكأنه قال يسعين سعياً أو ساعيات سعياً .

[**المعنى**] ثم ذكر تعالى ما أريه إبراهيم عياناً من إحياء الموتى فقال ﴿ **وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى** ﴾ اختلف في سبب سؤال إبراهيم هذا على وجوه (أحدها) ما قاله الحسن والضحاك وقتادة وهو المروي عن أبي عبد الله أنه رأى جيفة

(١) بزل البعير: انشق نابه. ناقة وَجَناء أو عيهل: شديدة أو سريعة. الكَلكَلّ: الصدر .

(٢) [اطمينانا إذا] .

تمزّقها السباع فيأكل منها سباع البر وسباع الهواء ودواب البحر فسأل الله إبراهيم فقال يا رب قد علمتُ أنك تجمعها من بطون السباع والطير ودواب البحر فأرني كيف تحييها لأعاين ذلك (وثانيها) ما روي عن ابن عباس وسعيد بن جبير والسدي أن الملك بشّر إبراهيم (ع) بأن الله قد اتخذه خليلاً وأنه يجيب دعوته ويحيي الموتى بدعائه فسأل الله تعالى أن يفعل ذلك ليطمئن قلبه بأنه قد أجاب دعوته واتخذه خليلاً (وثالثها) أن سبب السؤال منازعة نمرود إياه في الإحياء إذ قال أنا أحيي وأميت وأطلق محبوساً وقتل انساناً فقال إبراهيم ليس هذا بإحياء وقال يا رب أرني كيف تحيي الموتى ليعلم نمرود ذلك وروي أن نمرود توعده بالقتل إن لم يحيي الله الميت بحيث يشاهده فلذلك قال ﴿ **ليطمئن قلبي** ﴾ أي بأن لا يقتلني الجبار عن محمد بن اسحاق بن يسار (ورابعها) أنه أحب أن يعلم ذلك علم عيان بعد أن كان عالماً به من جهة الاستدلال والبرهان لتزول الخواطر ووساوس الشيطان وهذا أقوى الوجوه ﴿ **قال أولم تؤمن** ﴾ هذه الألف استفهام ويراد به التقرير كقول الشاعر :

أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا وَأَنْدَى الْعَالَمِينَ بُطُونَ رَاحِ[1]

أي قد آمنتَ لا محالة فلِمَ تسأل ذا وهذه الألف إذا دخلت على الاثبات فالمراد النفي كقوله ﴿ **أأنت قلت للناس** ﴾ أي لم تقل ﴿ **قال بلى ولكن ليطمئن قلبي** ﴾ أي بلى أنا مؤمن ولكن سألت ذاك لأزداد يقيناً إلى يقيني عن الحسن وقتادة ومجاهد وابن جبير وقيل لأعاين ذلك ويسكن قلبي إلى علمِ العيان بعد علم الاستدلال وقيل ليطمئن قلبي بأنك قد أجبتِ مسئلتي واتخذتني خليلاً كما وعدتني ﴿ **قال فخذ أربعة من الطير** ﴾ مختلفة الأجناس وإنما خصَّ الطير من بين سائر الحيوانات لخاصية الطيران وقيل إنها الطاووس والديك والحمام والغراب أمر أن يقطّعها ويخلط ريشها بدمها هذا قول مجاهد وابن جريج وعطاء وابن زيد وهو المروي عن أبي عبد الله (ع) ﴿ **فصرهنّ إليك** ﴾ أي قطّعهن عن ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن وقيل معناه اضممهن إليك عن عطاء وابن زيد وقد تقدم بيانه في وجه القراءة ﴿ **ثم اجعل على كل جبل منهن جزأ ثم ادعهن يأتينك سعياً** ﴾ وروي عن أبي عبد الله (ع) أن معناه فرِّقهن على كل جبل وكانت عشرة أجبل ثم خذ بمناقيرهن وادعهن باسمي الأكبر وحلّفهن بالجبروت والعظمة يأتينك سعياً ففعل إبراهيم ذلك وفرقهن على عشرة أجبل ثم دعاهن فقال أَجِبن بإذن الله فكانت تجتمع

(٢) المطايا كسجايا جمع مطية : الدابة السرية. أندى أفعل تفضيل من الندى: المطر والمراد السخاء . والراح جمع الراحة: الكف .

ويأتلف لحم كل واحد وعظمه إلى رأسه وطارت إلى إبراهيم وقيل أن الجبال كانت سبعة عن ابن جريج والسدي وقيل كانت أربعة عن ابن عباس والحسن وقتادة وقيل أراد كل جبل على العموم بحسب الإمكان كأنه قال فرقهن على كل جبل يمكنك التفرقة عليه عن مجاهد والضحاك ويسأل فيقال كيف قال ثم ادعهن ودعاء الجماد قبيح وجوابه أنه أراد بذلك الإشارة إليها والإيماء لتقبل عليه إذا أحياها الله وقيل معنى الدعاء هاهنا الاخبار عن تكوينها أحياء كقوله سبحانه ﴿ **كونوا قردة خاسئين** ﴾ وقوله ﴿ **إءتيا طوعاً أو كرهاً** ﴾ عن الطبري وقول من قال أنه جعل على كل جبل طيراً ثم دعاها بعيد من الصواب والفائدة لأنه إنما طلب بالعلم به كونه قادراً على إحياء الموتى عياناً وليس في إتيان طائر حيّ إليه بالإيماء ما يدل على ذلك وفي الكلام حذف فكأنه قال فقطعهن ثم اجعل على كل جبل من كل واحد منهن جزءاً فإن الله يحييهن فإذا أحياهن فادعهن فيكون الإيماء إليها بعد أن صارت أحياء ففعل إبراهيم ذلك فنظر إلى الريش يسعى بعضها إلى بعض وكذلك العظام واللحم ثم أتينه مشياً على أرجلهن فتلقى كل طائر رأسه وذلك قوله ﴿ **يأتينك سعياً** ﴾ وذكر عن النضر بن شميل قال سألت الخليل بن أحمد عن قوله تعالى ﴿ **يأتينك سعياً** ﴾ هي يقال للطائر إذا طار سعى فقال لا قلت فما معناه قال معناه يأتينك وأنت تسعى سعياً ﴿ **واعلم أنّ الله عزيز** ﴾ أي قويّ لا يعجز عن شيء ﴿ **حكيم** ﴾ في أفعاله وأقواله وقيل عزيز يذل الأشياء له ولا يمتنع عليه شيء حكيم أفعاله كلها حكمة وصواب ومما يسأل في هذه الآية أن يقال كيف أجيب إبراهيم إلى آيات الآخرة دون موسى في قوله ﴿ **أرني انظر إليك** ﴾ وجوابه من وجهين (أحدهما) أنه سأل آية لا يصحّ معها بقاء التكليف من وقوع الضرورة التي لا يعترضها الشكوك بوجه وإبراهيم إنما سأل في شيء خاص يصحّ معه التكليف (والآخر) أن الأحوال قد تختلف فيكون الأصلح في بعض الأحوال الإجابة وفي بعضها المنع فيما لم يتقدم فيه إذن .

﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾

[**اللغة**] النبت الحشيش وكل ما ينبت من الأرض يقال نبت نبتاً ونباتاً وأنبته الله إنباتاً

والينبوت شجر الخشخاش وأنبث الغلام إذا راهق واستبان شعر عانته والسنبلة على وزن فنعلة كقولهم أسبل الزرع بمعنى سنبل إذا صار فيه السنبل والأصل فيه الإسبال وهو ارسال الستر ونحوه فكما يسترسل الستر بالإسبال يسترسل الزرع بالسنبل ولأنه صار فيه حبّ مستور كما يستر بالإسبال والمائة معروفة يقال أَمْأَت الغنم إذا بلغت مائة وآمْأَيْتُها أنا أي وفيتها مائة والمَأْيُ الفساد بين القوم .

[**المعنى**] ﴿ **مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله** ﴾ قيل تقديره مثل صدقات الذين ينفقون أموالهم كمثل حبة وقيل تقديره مثل الذين ينفقون كمثل زارع حبة وسبيل الله هو الجهاد وغيره من أبواب البر كلها على ما تقدم بيانه فالآية عامة في النفقة في جميع ذلك وهو المروي عن أبي عبد الله (ع) واختاره أبو علي الجبائي وقيل هي خاصة بالانفاق في الجهاد فأما غيره من الطاعات فإنما يجزى بالواحد عشرة أمثالها ﴿ **كمثل حبة أنبتت** ﴾ أي أخرجت ﴿ **سبع سنابل في كل سنبلة مئة حبة** ﴾ يعني أن النفقة في سبيل الله بسبعمائة ضعف ومتى قيل هل رأى في سنبلة مئة حبة حتى يضرب المثل بها فجوابه أن ذلك متصور وإن لم ير كقول امرء القيس (ومسنونة زرق[1] كأنياب أغوال) وقوله تعالى ﴿ **طلعها كأنه رؤوس الشياطين** ﴾ وأيضاً فقد رأى ذلك في الجاورس ونحوه ﴿ **والله يضاعف لمن يشاء** ﴾ أي يزيد على سبعمائة لمن يشاء وقيل معناه يضاعف هذه المضاعفة لمن يشاء وروي عن ابن عمر أنه قال لما نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ رب زد أمتي فنزل قوله من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة قال رب زد أمتي فنزل ﴿ **إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب** ﴾ وقوله ﴿ **والله واسع** ﴾ أي واسع القدرة لا يضيق عنه ما شاء من الزيادة وقيل واسع الرحمة لا يضيق عن المضاعفة ﴿ **عليم** ﴾ بما يستحق الزيادة عن ابن زيد وقيل عليم بما كان من النفقة وبنية المنفق وما يقصده من الانفاق .

[**النظم**] اتصلت هذه الآية بقوله من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً وما بين الآيتين اعتراض بالاستدعاء إلى الحق وبيان الحجج والعبر عن علي بن عيسى وقيل لما قصَّ تعالى ما فيه البرهان على التوحيد وما آتى رسله من البينات حثّ على الجهاد واعلم أن من عاند بعد هذه الدلالات يجب قتاله فحثّ على قتال من كفر بعد هذا البرهان وبين أن في جهادهم والنفقة فيهم الثواب العظيم عن الزجاج .

---

(١) أي الرماح ذات السنان التي لونها الزرقة .

﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾

[**اللغة**] المنّ هو ذكر ما ينغص المعروف كقول القائل أحسنت إلى فلان وأنعشته ونحو ذلك وأصل المن القطع ومنه قوله ﴿ **لهم أجر غير ممنون** ﴾ أي غير مقطوع ومنه قولهم حبل منين أي ضعيف لأنه مقطع وسمي ما يكدر المعروف بأنه منَة لأنه يقطع الحق الذي يجب به والمنة النعمة العظيمة سميت بذلك لأنها تجل عن قطع الحق بها لعظمها والمنة القوة في القلب والمن الذي يقع من السماء والمن الذي يوزن به لأنه يقطع على مقدار مخصوص والأذى ضرر يتعجل وصوله إلى المضرور والخوف توقع الضرر وهو يرجع إلى الاعتقاد والحزن الغم الذي يغلظ على النفس .

[**المعنى**] لما أمر الله تعالى بالانفاق عقّبه ببيان كيفية الإنفاق فقال ﴿ **الذين ينفقون** ﴾ أي يخرجون ﴿ **أموالهم في سبيل الله** ﴾ وقد تقدم بيانه ﴿ **ثم لا يتبعون ما أنفقوا** ﴾ أي نفقاتهم ﴿ **منًا** ﴾ أي منة على المعطى ﴿ **ولا أذى** ﴾ له والمن هو أن يقول له ألم أعطك كذا ألم أحسن إليك ألم أغنك ونحوها والأذى أن يقول أراحني الله منك ومن ابتلائي بك ويحتمل أن يكون معنى الأذى أن يعبس وجهه عليه أو يتعبه أو يؤذيه فيما يدفعه إليه أو يصرفه في بعض أشغاله بسبب انفاقه عليه فكل هذا من المن والأذى الذي يكدر الصنيعة وينغص النعمة ويبطل الأجر والمثوبة وقوله ﴿ **لهم أجرهم عند ربهم** ﴾ إلى آخره قد مرّ تفسيره وقيل معناه لهم جزاء أعمالهم عند ربهم وإنما قال عند ربهم لتكون النفس أسكن إليه وأوثق به لأن ما عنده لا يخاف عليه فوت ولا نقص ﴿ **ولا خوف عليهم** ﴾ من فوت الأجر ونقصانه يوم القيامة ﴿ **ولا هم يحزنون** ﴾ لفوته ونقصانه وفي هذه الآية دلالة على أنه يصح الوعد بشرطٍ لأن مفهوم الكلام أن تقديره في المعنى إن لم يتبعوا ما أنفقوا منا ولا أذى فلهم من الأجر كذا والوعد إذا كان مشروطاً فمتى لم يحصل الشرط لم يحصل استحقاق الثواب وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال المنان بما يعطي لا يكلّمه الله ولا ينظر إليه ولا يزكيه وله عذاب أليم .

﴿ ۞ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾

[**اللغة**] الغني الواسع الملك والله غني بأنه مالك لجميع الأشياء لأنه قادر عليها لا

يتعذر عليه شيء منها والغنى ضد الحاجة يقال غني يغنى غناً واستغنى وأغناه الله والغناء الكفاية للغنى به عن غيره والغنية الاستغناء وقد غني القوم إذا نزلوا في مكان يغنيهم والمكان الذي ينزلون به مغنى وقد غنى فلان غناء إذا بالغ في التطريب في الإنشاد حتى يستغني. الشعر أن يزاد في نغمه وقد غنيت المرأة غُنْيَاناً قال قيس بن الحطيم :

أَجَـدَّ(١) بِـعُـمْـرَةَ غُـنْـيَـانُـهَـا   فَتَهْجُـرُ أَمْ شَـأْنُـنَـا شَـأْنُـهَـا

غنيانها غناؤها والغواني النساء لأنهن غنين بجمالهن وقيل بأزواجهن والحليم مرّ ذكره .

[**المعنى**] ﴿ **قول معروف** ﴾ أي كلام حسن جميل لا وجه فيه من وجوه القبح يرد به السائل وقيل معناه دعاء صالح نحو أن يقول صنع الله بك وأغناك الله عن المسألة وأوسع الله عليك الرزق وأشباه ذلك وقيل معناه عدة حسنة وقيل قول في إصلاح ذات البين عن الضحاك ﴿ **ومغفرة** ﴾ قيل فيه أقوال (أحدها) أن معناه سلامة من المعصية لأن حالها كحال المغفرة في الأمان من العقوبة عن الجبائي (وثانيها) أن معناه ستر على السائل وسؤاله (وثالثها) أن معناه عفو المسؤول عن ظلم السائل عن الحسن وعلى هذا فيكون ظلم السائل أن يسأل في غير وقته أو يلحف في سؤاله أو يسيء الأدب بأن يفتح الباب أو يدخل الدار بغير إذن فالعفو عن ظلمه ﴿ **خير من صدقة** ﴾ يتبعها أذى وإنما صار القول المعروف والعفو عن الظلم خيراً من الصدقة التي ﴿ **يتبعها أذى** ﴾ لأن صاحب هذه الصدقة لا يحصل على خير لا على عين ماله في دنياه ولا على ثوابه في عقباه والقول بالمعروف والعفو طاعتان يستحق الثواب عليهما وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال إذا سأل السائل فلا تقطعوا عليه مسألته حتى يفرغ منها ثم ردوا عليه بوقار ولين أما بذل يسير أو ردّ جميل فإنه قد يأتيكم من ليس بأنس ولا جان ينظرون كيف صنيعكم فيما خوّلكم الله تعالى ﴿ **والله غني** ﴾ عن صدقاتكم وعن جميع طاعاتكم لم يأمركم بها ولا بشيء منها لحاجة منه إليها وإنما أمركم بها ودعاكم إليها لحاجتكم إلى ثوابها ﴿ **حليم** ﴾ لا يعاجلكم بالعقوبة وقيل لا يعجل بالعقوبة على من يمنّ ويؤذي بصدقته ولو وقع هاهنا موقع حليم حميد أو عليم لم يحسن .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟

(١) جَدّ به الأمر : اشتدّ .

لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَـٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾

[**اللغة**] الرئاء والمرءآة أصله من الرؤية كأنه يفعل ليرى غيره ذلك وجمع في رئاء الناس بين همزتين ولا يجمع في ذوائب وإن حال بينهما الألف في كلا الموضعين لخفة الواحد ولأنهما مفتوحتان في الواحد فهو أخف لها والصفوان واحدته صفوانة مثل سعدان وسعدانة ومرجان ومرجانة وهي الحجر الأملس والصفا بمعنى الصفوان وذكر الكسائي في جمع صفوان صِفي وأنكر ذلك المبرد وقال إنما هو جمع صفا مثل عِصِي وعصا وقِفِي وقفا والتراب والتُّرْب واحد وترب الرجل إذا لصق بالتراب من الفقر ومنه قوله ﴿ **مسكيناً ذا متربة** ﴾ لأنه قعد على التراب للفقر وأترب الرجل إذا صار ماله بعدد التراب والتِرْب اللِدَة وقيل فيه أقوال منها أن الاتراب خرجوا إلى التراب في وقت من الزمان ومنها أنهم صبيان يلعبون في التراب ومنها أنهم في الاشتباه كالتراب. والترائب عظام الصدر لأنها متشابهة والوابل المطر الشديد الوقع وَبَلت السماء تَبِل وَبْلا والوبيل الشديد والوبال سوء العاقبة وأصل الباب الشدة والصلْد(١)الحجر الأملس قال الشاعر:

وَلَسْتُ بِجُلْبٍ جُلْبِ ريحٍ وَقِـرَّةٍ وَلَا بِصَفًا صَلْدٍ عَنِ الْخَيْرِ مُعْزَلِ(٢)

والصلد من الأرض ما لا ينبت شيئاً لصلابته والصلد البخيل وصلد الزند صلوداً إذا لم يور ناراً وفرس صلود إذا أبطأ عرقه وقِدْرٌ صلود إذا أبطأ عليها وأصل الباب ملاسة في صلابة.

[**الإعراب**] الكاف في قوله ﴿ **كالذي ينفق ماله** ﴾ في موضع نصب على الحال من الواو في تبطلوا. رئاء الناس مصدر وضع موضع الحال من الضمير في ينفق تقديره ينفق ماله مرائياً ويجوز أن يكون مفعولاً له. عليه تراب جملة في موضع جر بكونه صفة صفوان وصلدا حال من تركه وذو الحال الهاء ولا يقدرون جملة فعلية في موضع الحال والواو عائد

(١) [الصلب]. (٢) الجلب: السحاب لا ماء فيه. القرة: البرد. قوله جلب ريح وقرة: عطف بيان.

إلى معنى الذي لأنه جنس لا إلى لفظه .

[**المعنى**] ثم أكَّد تعالى ما قَدَّمه بما ضرب من الأمثال فقال ﴿ **يا أيها الذين آمنوا** ﴾ أي صدقوا الله ورسوله ﴿ **لا تبطلوا صدقاتكم بالمنّ** ﴾ أي بالمنّة على السائل وقيل بالمنة على الله ﴿ **والأذى** ﴾ بمعنى أذى صاحبها ثم ضرب تعالى مثلاً لعمل المنّان وعمل المنافق جميعاً فإنهما إذا فعلا الفعل على غير الوجه المأمور به فإنهما لا يستحقان عليه ثواباً وهذا هو معنى الابطال وهو إيقاع العمل على غير الوجه الذي يستحق عليه الثواب فقال ﴿ **كالذي ينفق ماله رئاء الناس** ﴾ هذا يدخل فيه المؤمن والكافر إذا أخرجا المال للرئاء ﴿ **ولا يؤمن بالله واليوم الآخر** ﴾ هذا للكافر خاصة أي لا يصدق بوحدانية الله ولا بالبعث والجزاء وقيل أنه صفة للمنافق لأن الكافر معلن غير مراء وكل مراء كافر أو منافق ﴿ **فمثله كمثل صفوان** ﴾ أي حجر أملس ﴿ **عليه تراب فأصابه وابل** ﴾ أي مطر عظيم القطر شديد الوقع ﴿ **فتركه صلداً** ﴾ حجراً صلباً أملس شَبَّه سبحانه فعل المنافق والمنان بالصفا الذي أزال المطر ما عليه من التراب فإنه لا يقدر أحد على رد ذلك التراب عليه كذلك إذا دفع المنّان صدقة وقرن بها المن فقد أوقعها على وجه لا طريق له إلى استدراكه وتلافيه لوقوعها على الوجه الذي لا يستحق عليه الثواب فإن وجوه الأفعال تابعة لحدوث الأفعال فإذا فاتت فلا طريق إلى تلافيها وليس في الآية ما يدل على أن الثواب الثابت المستقر يبطل ويزول بالمن فيما بعد ولا بالرياء الذي يحصل فيما يستقبل من الأوقات على ما قاله أهل الوعيد ﴿ **لا يقدرون على شيء مما كسبوا** ﴾ أي لا يقدر هؤلاء على نفقتهم ولا على ثوابها ولا يعلمون أين النفقة وأين ثوابها ولا يحصلون منها على شيء كما لا يحصل أحد على التراب أذهبه المطر عن الحجر فقد تضمنت الآية والآي التي قبلها الحث على الصدقة وإنفاق المال في سبيل الخير وأبواب البر ابتغاء مرضاة الله والنهي عن المن والأذى والرياء والسمعة والنفاق والخبر عن بطلان العمل بها ومما جاء في معناه من الحديث ما رواه ابن عباس عن النبي ﷺ قال إذا كان يوم القيامة نادى مناد يسمع أهل الجمع أين الذين كانوا يعبدون الناس قوموا خذوا أجوركم ممن عملتم له فإني لا أقبل عملاً خالطه شيء من الدنيا وأهلها وروي عن أبي عبد الله (ع) قال قال رسول الله من أسدى إلى مؤمن معروفاً ثم آذاه بالكلام أو منَّ عليه فقد أبطل الله صدقته ثم ضرب فيه مثلاً فقال ﴿ **كالذي ينفق ماله رئاء الناس** ﴾ إلى قوله ﴿ **الكافرين** ﴾ وقال أبو عبد الله (ع) ما من شيء أحبّ إليّ من رجل سلفتْ منّي إليه يدٌ اتبعته أختها وأحسنت ربّها له لأني رأيت منع الأواخر يقطع لسان شكر الأوائل ﴿ **والله لا يهدي القوم الكافرين** ﴾ أي لا يثيب الكافرين

على أعمالهم إذ كان الكفر محبطاً لها ومانعاً من استحقاق الثواب عليها وإنما يثيب المؤمنين الذين يوقعون أعمالهم على الوجوه التي يستحق بها الثواب وقيل معناه لا يهديهم إلى الجنة بأعمالهم كما يهدي المؤمنين وقيل معناه لا يعطيهم ما يعطي المؤمنين من زيادة الألطاف والتوفيق .

﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾

[**القراءة**] قرأ عاصم وابن عامر برَبوة بفتح الراء والباقون بضمها وروي في الشواذ عن ابن عباس بكسر الراء وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمر وأكْلها بالتخفيف والباقون بالتثقيل .

[**اللغة**] الربوة والربوة والربوة بالحركات الثلاث في الراء والرباوة الرابية قال أبو الحسن والذي نختاره رُبوة بضم الراء ويؤيد هذا الاختيار قولهم رُبا في الجمع والأكل المأكول يدل على ذلك قوله تعالى ﴿ **تؤتي أُكلها كل حين** ﴾ أي ما يؤكل منها الأعشى :

جُنْدُكَ التّالِدُ الطَّرِيفُ مِنَ السّا   داتِ أَهْلِ الْقِبابِ وَالآكالِ(١)

فالآكال جمع أكل مثل عنق وأعناق والأكل الفعل والأكلة الطعمة والأكلة الواحدة قال الشاعر :

فَما أَكْلَةٌ إِنْ نِلْتَها بِغَنيمَةٍ   وَلا جَوْعَةٌ إِنْ جُعْتَها بِغَرامٍ

ففتح الألف من الفَعلة بدلالة قوله ولا جوعة وإن شئتَ ضممتَ وعنيتَ الطعام وقال أبو زيد أنه لذ وأكل أي له حظ ورزق من الدنيا وضعف الشيء مثله زائداً عليه وضعفاه مثلاه زائدين عليه وقال قوم ضعف الشيء مثلاه والطَلّ المطر الصغار يقال أُطلّتِ السماء فهي مطلّة وروضة طلّة ندية والطلّ ابطال الدم بأن لا يثار بصاحبه طُلَّ دمه فهو مطلول لأنه

(١) التالد: المال القديم الأصلي الذي ولد عندك .

بمنزلة ما جاء عليه الطل فأذهبه فكأنه قيل غسله والطلل ما شخص من الدار لأنه كموضع الندى بالطل لعمارة الناس له خلاف المستوى القفر لأن الخصب حيث تكون الأبنية وصار الطلل اسماً لكل شخص والاطلال الإشراف على الشيء وما بالناقة طَلّ أي بها طرق وهو الشحم وطَلّة الرجل امرأته وأصل الباب الطل المطر .

[**الإعراب**] ابتغاء مرضاة الله مفعول له وتثبيتاً معطوف عليه بربوة الجار والمجرور في موضع الصفة لجنة وأصابها وابل في موضع جر لأنها صفة بعد صفة وضعفين حال من أكل قال الزجاج ارتفع طل على معنى فإن لم يصبها وابل فالذي يصبها طل فعلى هذا يكون خبر مبتدأ محذوف ويجوز أن يكون فاعل فعل مقدر أي فيصيبها طل .

[**المعنى**] ﴿ **ومثل الذين ينفقون** ﴾ أي خرجون ﴿ **اموالهم** ﴾ في خأعمال البر ﴿ **ابتغاء مرضات الله** ﴾ أي طلبا لرضاء الله ﴿ **وتثبيتاً من أنفسهم** ﴾ بقوة اليقن والبصيرة في الدين عن سعيد بن جبير والسدي والشعبي وقيل معناه أنهم يُثَبّتون أين يضعون صدقاتهم عن الحسن ومجاهد وقيل معناه وتوطيناً لنفوسهم على الثبوت على طاعة الله عن أبي علي الجبائي واعترض على الحسن ومجاهد بأنه لم يقل وتثبيتاً وليس هذا بشيء لأنهم إذا ثبتوا أنفسهم فقد ثبتوا وقوله ﴿ **كمثل جنة بربوة** ﴾ معناه كمثل بستان لمرتفع من الأرض وإنما خص الربوة لأن نبتها يكون أحسن وريعها أكثر من المستغل الذي يسيل الماء إليه ويجتمع فيه فلا يطيب ريعه ألم تر إلى قول الأعشى :

مٰا رَوْضَةٌ مِنْ رِيٰاضِ الْحَزْنِ مَعْشَبَةٌ خَضْـرٰاءُ جٰادَ عَلَيْهٰا مُسْبِلٌ هَطِلُ[١]

فخص بها الحزن للمعنى الذي ذكرناه ﴿ **أصابها وابل** ﴾ أي أصاب هذه الجنة مطر شديد ﴿ **فآتت أكلها ضعفين** ﴾ أي فأعطت غلتها ضعفي ما تعطي إذا كانت بأرض مستغلة ويحتمل أن يكون معناه مرتين في كل سنة واحدة كما قال سبحانه ﴿ **تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها** ﴾ ومعناه كل ستة أشهر فيما روي وقال أبو عبد الله(ع) معناه يتضاعف[٢]أجر من أنفق ماله ابتغاء مرضاة الله ﴿ **فإن لم يصبها وابل** ﴾ أي مطر شديد ﴿ **فطل** ﴾ أي أصابها مطر لين أراد به أن خيرها لا يخلف على كل حال ولا يرى الغبار عليها على كل حال وإنما ارتفع فطل على تقدير فالذي يصيبها طل ﴿ **والله بما تعملون بصير** ﴾ معناه عالم بأفعالكم فيجازيكم بحسبها وقيل عالم بالمرائي والمخلص[٣] وفيه ترغيب وترهيب .

---

(١) أي في معلقته.وتبر ما في شعره من بعده وهو : « يوماً يا طيب منها نشر رائحة ولا بأحسن منها إذ دنا الأصل »

(٢) [تمر كما يتضاعف] . (٣) [عن أبي مسلم] .

﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾

[**اللغة**] الجنة البستان الكثير الشجر لأن الشجر يجنّه بكثرته فيه والنخيل معروف وقيل أنه مأخوذ من نخلِ المُنْخُل لاستخلاصه كاستخلاص اللباب بالنخل والنخل جمع نخلة وهي شجرة التمر ويذكر ويؤنث قال الله سبحانه كأنهم أعجاز نخل خاوية وأعجاز نخل منقعر والانتخال الاختيار والتنخل التخير وأصل الباب النخل للدقيق والعنب ثمر الكرم ورجل عانب وعنب ورجل عُناب عظيم الأنف وتحت نقيض فوق وفي الحديث لا تقوم الساعة حتى يظهر التَحوت أي الذين كانوا تحت أقدام الناس لا يشعر بهم ذلاً والأنهار جمع النهر وهو المجرى الواسع من مجاري الماء والإصابة الوقوع على المقصد والكِبَر حال زائدة على مقدار آخر والفرق بين الكبير والكثير أن الكثير مُضمّن بعدد وليس كذلك الكبير تقول دار واحدة كبيرة ولا يجوز كثيرة والضعيف يجمع على ضعفاء وضعاف والإعصار غبار يلتف بين السماء والأرض كالتفاف الثوب في العصر قال الشاعر : (إن كنت ريحاً فقد لاقيت اعصاراً) والمعصرات السحب والفكر جولان القلب بالخواطر يقال افكر وفكر وتفكر بمعنى .

[**الإعراب**] قوله ﴿ **أيودّ أحدكم أن تكون** ﴾ عطف عليه بماض فقال ﴿ **وأصابه الكبر** ﴾ قال الفراء يجوز ذلك في يود لأنها تتلقى مرة بلو ومرة بأن فجاز أن تقدر إحداهما مكان الأخرى لاتفاق المعنى فكأنه قال أيود أحدكم لو كانت له جنة قال علي بن عيسى وعندي أنه قد دلّ بأن على الاستقبال ويتضمن الكلام معنى لو على التمني كأنه قال قيل أيحب أحدكم متمنياًله والتمني يقع على الماضي والمستقبل ألا ترى أنه يصحّ أن يتمنى أن كان له ولد ويصح أن يتمنى أن يكون له ولد والمحبة لا تقع إلا على المستقبل والفرق بين المودة والمحبة أن المودة قد تكون بمعنى التمني نحو قولك أودّ لو قدم زيد بمعنى أتمنى لو قدم ولا يجوز أحب لو قدم ومِنّ في قوله ﴿ **من نخيل** ﴾ للتبيين وهو في موضع رفع صفة لجنة . ﴿ **تجري من تحتها الأنهار** ﴾ جملة في موضع رفع بكونها صفة لجنة إذا عادت الهاء إلى الجنة أو في محل جر لكونها صفة لنخيل إذا عادت الهاء إلى نخيل .

[**المعنى**] ﴿ **أيودّ أحدكم أن تكون له جنة** ﴾ أي بستان ﴿ **من نخيل وأعناب تجري من تحتها الأنهار** ﴾ أي يشتمل على النخيل والاعناب والأنهار الجارية ﴿ **له فيها من كل الثمرات وأصابه الكبر** ﴾ أي ولحقه الشيخوخة وطعن في السن ﴿ **وله ذرية ضعفاء** ﴾ أي أولاد صغار ناقصو القوة ﴿ **فأصابها** ﴾ أي أصاب تلك الجنة ﴿ **اعصار** ﴾ أي ريح شديدة تهُبُّ من الأرض نحو السماء مثل العمود وتسميها الناس الزَوْبَعة ﴿ **فيه نار** ﴾ أي في ذلك الاعصار نار ﴿ **فاحترقت** ﴾ تلك الجنة وهذا مثل ضربه الله في الحسرة بسلب النعمة واختلف فيه على وجوه (أحدها) أنه مثل المرائي في النفقة لأنه ينتفع بها عاجلاً وينقطع عنه آجلاً أحوج ما يكون إليه عن السدي (وثانيها) أنه مثل للمفرّط في طاعة الله تعالى بملاذ الدنيا يحصل في الآخرة على الحسرة العظمى عن مجاهد والمراد به أن حاجته إلى الأعمال الصالحة كحاجة هذا الكبير الذي له ذرية ضعفاء إلى ثمار الجنة وقد احترقت فيكون أعظم حسرة لأن الكبير الذي قد يئس من سعي الشباب في كسبه فكان أضعف أملاً وأشد حسرة كذلك من لم يكن له في الآخرة عمل صالح يوصله إلى الجنة فحسرته مثل ذلك (وثالثها) أنه مثل للذي يختم عمله بفساد عن ابن عباس وكل هذه الوجوه تحتمله الآية ﴿ **كذلك** ﴾ أي كهذا البيان الذي بيّن لكم في أمر الصدقة وقصة إبراهيم والذي مرّ على قرية وجميع ما سلف ﴿ **يبين الله لكم الآيات** ﴾ أي الدلالات التي تحتاجون إليها في أمور دينكم ﴿ **لعلكم تتفكرون** ﴾ أي تنظرون وتتفهمون .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾

[**القراءة**] قرأ ابن كثير غير القواس[١] ولا تّيمّموا بتشديد التاء فيها وفي اخواتها وهي أحد وثلاثون موضعاً من القرآن والباقون تيمموا بالتخفيف .

[**الحجة**] كلاهما بمعنى واحد كأن ابن كثير ردّ الحرف الساقط في القراءة الأخرى وأدغم لأنه كان في الأصل تاءان تاء المخاطب وتاء الفعل فحذفت تاء الخطاب في

---

(١) من رواة ابن كثير .

القراءة العامة لئلا يتكرر حرفان مثلان وتخف الكلمة .

[**اللغة**] التيمم التعمد قال خفاف (فعمداً على عيني تيممت مالكا) وقال الأعشى :

تَيَمَّمْتُ قَيْساً وَكَمْ دُونَهُ مِنَ الْأَرْضِ مِنْ مَهْمَهٍ ذِي شَزَنِ(١)

يقال أممت الشيء خفيفة ويَمَمْته وأممته ويمَّمْته وتيممته بمعنى أي قصدته ومنه الإمام لأنه المقصود المعتمد والإمام أيضاً خيط البناء لأنه يمده ويعتمد بالبناء عليه واليم لجة البحر لأنه يعتمد به البعيد من الأرض واليمام الحمام لأنها تتعمّد إلى أوكارها بحسن هدايتها والخبيث الرديء من كل شيء وخبث الفضة والحديد ما نفاه الكير لأنه ينفي الرديّ وأصله الرداءة والاغماض في البيع الحطّ من الثمن لعيب فيه وذلك لاخفاء بعض الثمن بالحط له والغموض الخفاء غمض يغمض فهو غامض والتغميض للعين اطباق الجفن والغمض النوم والغمض المطمئن من الأرض وأصل الباب الخفاء والاغماض غمض البصر واطباق جفن على جفن قال رؤبة :

أَرَّقَ عَيْنَيَّ عَنِ الْإِغْمَاضِ بَرْقٌ سَرىَ في عَارِضٍ نَهَّاضِ(٢)

ثم صار عبارة عن التسامح والتساهل في البيع .

[**الإعراب**] قال الفراء الأصل في أن تغمضوا أن مكسورة الهمزة لأن الكلام في معنى الجزاء وهو إن أغمضتم بعض الاغماض أخذتموه ومثل إلا أن يخافا إلا أن يقيما حدود الله وأنكر ذلك المحققون قالوا أن هذه التي بمعنى المصدر نحو أَنْ تَأتِيَني خير لك والمعنى ولستم بآخذيه إلا لاغماضكم فيه .

[**النزول**] روي عن أبي عبد الله (ع) أنها نزلت في أقوام لهم أموال من ربا الجاهلية وكانوا يتصدقون منها فنهاهم الله عن ذلك وأمر بالصدقة من الطيب الحلال وقيل إنها نزلت في قوم كانوا يأتون بالحَشَف(٣) فيدخلونه في تمر الصدقة عن علي (ع) والبراء بن عازب والحسن وقتادة .

---

(١) المَهْمَه : المفازة البعيدة. وذو شزن أي ذو خشونة .

(٢) ارّقه بتشديد الراء : أسهره : عارض نهاض أي سحاب مرتفع في الجو .

(٣) الحشف: أردء التمر .

[**المعنى**] لما تقدم ذكر الانفاق وبيان صفة المنفق وأنه يجب أن ينوي بالصدقة التقرب وأن يحفظها مما يبطلها من المنّ والأذى بيّن تعالى صفة الصدقة والمتصدق عليه ليكون البيان جامعاً فقال ﴿ **يا أيها الذين آمنوا** ﴾ خاطب المؤمنين ﴿ **أنفقوا** ﴾ أي تصدقوا ﴿ **من طيبات ما كسبتم** ﴾ أي من حلال ما كسبتم بالتجارة عن ابن مسعود ومجاهد وقيل من خياره وجياده ونظيره قوله ﴿ **لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون** ﴾ وروي عن عبيد بن رفاعة قال خرج علينا رسول الله ﷺ فقال يا معشر التجار أنتم فجار إلا من اتقى وبرّ وصدق وقال بالمال هكذا وهكذا وقال (ع) تسعة أعشار الرزق في التجارة والجزء الباقي في السابياء وروت عائشة عنه أنه قال أطيب ما أكل الرجل من كسبه وان ولده من كسبه وقال سعيد بن عمير سئل النبي ﷺ أيّ كسب الرجل أطيب قال عمل الرجل بيده وكل بيع مبرور وقال علي (ع) من اتّجر بغير علم[1] ارتطم في الربا ثم ارتطم واختلفوا في ذلك على وجوه فقيل هذا أمر بالنفقة في الزكاة عن عبيدة السلماني والحسن وقيل هو في الصدقة المتطوع بها لأن المفروض من الصدقة له مقدار من القيمة إن قصر عنه كان ديناً عليه إلى أن يؤديه بتمامه وإن كان مال المزكي كله ردياً فجائز له أن يعطي منه عن الجبائي وقيل هو الأصحّ أنه يدخل فيه الفرائض والنوافل والمراد به الانفاق في سبيل الخير وأعمال البر على العموم وفيه دلالة على أن ثواب الصدقة من الحلال المكتسب أعظم منه من الحلال غير المكتسب وإنما كان ذلك لأنه يكون أشق عليه ﴿ **ومما أخرجنا لكم من الأرض** ﴾ أي وأنفقوا وأخرجوا من الغلات والثمار مما يجب فيه الزكاة ﴿ **ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون** ﴾ أي لا تقصدوا الرديء من المال أو مما كسبتموه أو أخرجه الله لكم من الأرض فتنفقون منه وقيل المراد بالخبيث ههنا الحرام ويقوى القول الأول قوله ﴿ **ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه** ﴾ لأن الإغماض لا يكون إلا في الشيء الرديء دون ما هو حرام وفيه قولان (أحدهما) أن معناه لا تصدقوا بما لا تأخذونه من غرمائكم إلا بالمسامحة والمساهلة فالاغماض هاهنا المساهلة عن البراء بن عازب (والآخر) أن معناه بما لا تأخذونه إلا أن تحطوا من الثمن فيه عن الحسن وابن عباس وقتادة ومثله قول الزجاج ولستم بآخذيه إلا في وكس فكيف تعطونه في الصدقة ﴿ **واعلموا أن الله غني** ﴾ عن صدقاتكم ﴿ **حميد** ﴾ أي مستحق للحمد على نعمه وقيل مستحمد إلى خلقه بما يعطيهم من النعم أي مستدع لهم إلى ما يوجب لهم الحمد وقيل أنه بمعنى الحامد أي أنه مع غناه

(١) وفي المخطوطتين « فقه » بدل « علم » .

عنكم وعن صدقاتكم يقبلها منكم ويحمدكم عليها وحميد بهذا الموضع أليق من حَليم كما أن حليماً بالآية المتقدمة أليق من حميد لأنه سبحانه لما أمر بالانفاق من طيبات المكاسب بيّن أنه غني عن ذلك وأنه يحمد فاعله إذا فعله على ما أمره به ومعناه أنه يجازيه عليه .

﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾

[**اللغة**] الفقر الحاجة وهو ضد الغنى والفُقْر لغة فيه يقال أفقره الله إفقاراً وافتقر افتقاراً لأن الفقر بمنزلة كسر الفقار في تعذر المراد والفَقار عظام منتظمة في النخاع تسمى خَرَز الظهر واحدتها فقرة والافقار إعادة الدابة لتركب ثم ترد والفاقرة الداهية لأنها تكسر الفقار ويقال وعدته الخير ووعدته بالخير وعدا وعدة وموعدة وموعداً وموعوداً وموعودة والفرق بين الوعد والوعيد أن الوعيد في الشر خاصة والوعد يصلح بالتقييد للخير والشر معاً غير أنه إذا أطلق اختص بالخير وكذلك إذ أُبهم التقييد كما يقال وعدته بأشياء لأنه بمنزلة المطلق والفحشاء الفحش والفاحش البخيل قال طرفة :

أَرَى الْموتُ يَعْتامُ الكِرامَ وَيَصْطَفِي عَقيلَةَ مالِ الفاحِشِ الْمُتشددِ(١)

قال علي بن عيسى الفحشاء المعاصي وإنما سمي البخيل فاحشاً لأنه مسيء برده الأضياف والسؤال قال كعب :

أخي يا أخي لا فاحش عند بيته ولا برم عند اللقاء هيوب(٢)

[**المعنى**] ثم حذر تعالى من الشيطان المانع من الصدقة فقال ﴿ **الشيطان يعد كم الفقر** ﴾ بالنفقة في وجوه البر وبإنفاق الجيد من المال وقيل بتأدية الزكاة عليكم في أموالكم ﴿ **ويأمركم بالفحشاء** ﴾ أي بالمعاصي وترك الطاعات وقيل بالانفاق من الردى وسماه

---

(١) يعتام أي يختار. والعقيلة من كل شيء : أكرمه .
(٢) قيل أن أخي الأول مبتدأ ولا فاحش خبره والنداء جملة معترضة وحكى عن الأصمعيات « أحي ما أخي » وهو الظاهر. البرم : البخيل اللئيم. الهيوب: الذي يخافه الناس .

فَحشاء لأن فيه معصية الله تعالى فإن الغني إذا ترك الانفاق على وجه ذوي الحاجات من أقاربه وجيرانه أَدّى ذلك إلى التقاطع ﴿ **والله يعد كم مغفرة منه** ﴾ أي يعد كم بالأنفاق من خيار المال أن يستر عليكم ويصفح عن عقوبتكم ﴿ **وفضلا** ﴾ أي ويعدكم أن يخلف عليكم خيراً من صدقتكم ويتفضل عليكم بالزيادة في أرزاقكم وروي عن ابن عباس أنه قال اثنان من الله واثنان من الشيطان فاللذان من الله المغفرة على المعاصي والفضل في الرزق واللذان من الشيطان الوعد بالفقر والأمر بالفحشاء وروي عن ابن مسعود أنه قال للشيطان لَمّةٌ وللملك لَمّةٌ وروي مثله عن أبي عبد الله عليه السلام ثم قال فلمة الشيطان وعده بالفقر وأمره بالفحشاء ولمة الملك أمره بالانفاق ونهيه عن المعصية ﴿ **والله واسع** ﴾ ذكرنا معناه فيما تقدم وقيل واسع معناه يعطي عن سعة بمعنى إن عطيته لا تضره ولا تنقص خزائنه ﴿ **عليم** ﴾ بمن يستحق العطية ومن لا يستحقها .

﴿ يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾

[**القراءة**] قرأ يعقوب من يؤت بكسر التاء والباقون بفتحها .

[**الحجة**] من كسر التاء فإنه أراد مَن يؤتِه الله الحكمة ففاعل يؤت الضمير المستكن فيه العائد إلى الله كما هو في قوله ﴿ **يؤت الحكمة** ﴾ ويؤيد هذه القراءة قراءة الأعمش ومن يؤته الله وحذف ضمير المفعول الذي هو الهاء العائد إلى من الذي هو للجزاء وهو في موضع الرفع بالابتداء كما حذف الضمير العائد إلى الموصول في نحو قوله ﴿ **أهذا الذي بعث الله رسولاً** ﴾ والأولى أن يكون مَن على هذه القراءة موصولة لتكون بمعنى الذي لا بمعنى الجزاء وأقول وبالله التوفيق يجوز أن يكون مَن للجزاء ههنا ويكون في موضع نصب بكونه مفعولاً أوّلاً ليؤتي ولزمه التقديم على الفعل مع كونه مفعولاً لنيابته عن حرف الشرط الذي له صدر الكلام ومثله من في قول زهير :

رَأَيْتُ الْمَنَايا خَبْطَ عَشْواءَ مَنْ تُصِبْ تُمِتْهُ وَمَنْ تُخْطِىءْ يُعَمَّرْ فَيَهْرَمَ(١)

(١) المنايا جمع المنية: الموت. العشواء : الناقة التي لا تبصر أمامها يقال « هو يخبط خبط عشواء » أي يتصرف في الأمور على غير بصيرة .

ومن قرأ ومن يؤت بفتح التاء فاسم ما لا يسم فاعله هو الضمير المستكن العائد إلى من ويؤت مجزوم بمن والجزاء فقد أوتي خيراً .

[**المعنى**] ثم وصف تعالى نفسه فقال ﴿ **يؤتي الحكمة** ﴾ أي يؤتي الله الحكمة ﴿ **من يشاء** ﴾ وذكر في معنى الحكمة وجوه قيل أنه علم القرآن ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه ومقدمه ومؤخره وحلاله وحرامه وأمثاله عن ابن عباس وابن مسعود وقيل هو الإصابة في القول والفعل عن مجاهد وقيل أنه علم الدين عن ابن زيد وقيل هو النبوة عن السدي وقيل هو المعرفة بالله تعالى عن عطاء وقيل هو الفهم عن إبراهيم وقيل هو خشية الله عن الربيع وقيل هو القرآن والفقه عن أبي عبد الله (ع) وروي أيضاً عن مجاهد وقيل هو العلم الذي تعظم منفعته وتجل فائدته وهذا جامع للأقوال وقيل هو ما آتاه الله أنبياءه وأممهم من كتابه وآياته ودلالاته التي يدلهم بها على معرفتهم به وبدينه وذلك تفضل منه يؤتيه من يشاء عن أبي علي الجبائي وإنما قيل للعلم حكمة لأنه يمتنع به عن القبيح لما فيه من الدعاء إلى الحسن والزجر عن القبيح ويروى عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال إن الله آتاني القرآن وآتاني من الحكمة مثل القرآن وما من بيت ليس فيه شيء من الحكمة إلا كان خراباً إلا فَتَفَقّهوا وتَعلَّموا فلا تموتوا جهالاً ﴿ **ومن يؤت الحكمة** ﴾ أي ومن يؤت ما ذكرناه ﴿ **فقد أوتي** ﴾ أي أعطي ﴿ **خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولوا الألباب** ﴾ أي وما يتعظ بآيات الله إلا ذوو العقول فإن قيل لم عقد بأولي الألباب التذكر وكل مكلف ذو لب قيل لم تطلق على جميع المكلفين هذه الصفة لما فيها من المدحة فلذلك عقد التذكر بهم وهم الذين يستعملون ما توجبه عقولهم من طاعة الله في كل ما أمر به ودعا إليه وسمّي العقل لبا لأنه أنفس ما في الانسان كما أن لبّ الثمرة أنفس ما فيها .

﴿ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ ۗ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٢٧٠﴾

[**اللغة**] النذر هو عقد المرء على النفس فعل شيء من البر بشرط ولا ينعقد ذلك إلا بقوله لِله عَليّ كذا ولا يثبت بغير هذا اللفظ وأصل النذر الخوف لأنه يعقد ذلك على نفسه خوفَ التقصير في الأمر ومنه نذر الدم وهو العقد على سفكه للخوف من مضرة صاحبه قال عمرو بن معدي كرب :

هُــمْ يَـنْــذُرُونَ دَمِـي وَأَنْـ ـذُرُ إِنْ لَـقَـيْـتُ بِــأَنْ أَشُــدّا

يقال نذرت النذر أنذِره وَأَنْذُره ومنه الإنذار وهو الإعلام بموضع العدو والخوف ليتقى والأنصار جمع نصير مثل شريف وأشراف والنصير هو المُعين على العدو .

[**الإعراب**] ما بمعنى الذي وما بعدها صلتها والعائد إليها ضمير المفعول المحذوف من أنفقتم تقديره وما أنفقتموه وهو في موضع رفع بالابتداء وخبره فإن الله يعلمه والعائد إلى المبتدأ من الخبر الهاء في يعلمه ولا يجوز أن يعود إلى النفقة لأنها مؤنثة ولا إلى النفقة والنذر لأن ذلك يوجب التثنية وأقول يجوز أن يكون ما للجزاء ويكون منصوباً بأنفقتم ولا يحتاج فيه إلى حذف المفعول فيكون التقدير أيّ شيء أنفقتم أو نذرتم والفاء في موضع الجزاء من نفقة الجار والمجرور في محل النصب على الحال من أنفقتم أو نذرتم والفاء في موضع الجزاء من نفقة الجار والمجرور في محل النصب على الحال من أنفقتم وذو الحال ما .

[**المعنى**] ثم عاد سبحانه إلى ذكر الإنفاق والترغيب فيه فقال ﴿ **وما أنفقتم من نفقة** ﴾ أي ما تصدقتم به من صدقة مما فرض الله عليكم وقيل معناه ما أنفقتم في وجوه الخير وسبل البر من نفقة واجبة أو مندوب إليها ﴿ **أو نذرتم من نذر** ﴾ أي ما أوجبتموه أنتم على أنفسكم بالنذر فوفيتم به من فعل بر مثل صلاة أو صوم أو صدقة ونحو ذلك ﴿ **فإن الله يعلمه** ﴾ معناه يجازي عليه لأنه عالم فدلّ ذكر العلم على تحقيق الجزاء إيجازاً للكلام ﴿ **وما للظالمين** ﴾ أي ليس للواضعين النفقة والنذر في غير موضعهما مثل أن ينفق رياء أو ضراراً أو شقاقاً أو من مال مغصوب أو مأخوذ من غير حلّه أو بنذر في معصية أو يترك الوفاء به مع القدرة عليه ﴿ **من أنصار** ﴾ من أعوان يدفعون عذاب الله عنهم .

﴿ إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾

[**القراءة**] قرأ ابن عامر وأهل الكوفة غير عاصم فنعما هي بفتح النون وقرأ أهل المدينة غير ورش وأبو عمر ويحيى بكسر النون وسكون العين وقرأ الباقون نِعِما بكسر

النون والعين وكذلك في النساء نعماً يعظكم وقرأ أهل المدينة والكوفة غير عاصم ونكفر بالنون والجزم وقرأ ابن عامر وحفص بالياء والرفع والباقون بالنون والرفع .

[**الحجة**] من قرأ فَنَعِما هي فحجته أن أصل الكلمة نَعِمَ فجاء بالكلمة على أصلها كما قال (نَعِمَ الساعون في الأمر المبر) ومن قرأ فنِعْمّا بسكون العين لم يكن قوله مستقيماً عند النحويين لأن فيه الجمع بين ساكنين والأول منهما ليس بحرف مد ولين والتقاء الساكنين إنما يجوز عندهم هناك نحو دابة وأُصَيْمّ وتأمرونّي لأن ما في الحرف من المد يصير عوضاً من الحركة وقد أنشد سيبويه شعراً قد اجتمع في الساكنان على حد ما اجتمعا في نعما وهو :

كَـأَنَّـهُ بَعْـدَ كَـلالِ الـزّاجِـرِ وَمِسْحِّـه مَـرُّ عُقَـابٍ كَـاسِـرِ(١)

وأنكره أصحابه ولعل من قرأ به أخفى ذلك كأخذه بالإخفاء في نحو بارئكم فظن السامع الإخفاء اسكاناً للطف ذلك في السمع وخفائه ومن قرأ فنعما فإنه اتبع العين النون فراراً من الجمع بين ساكنين واختار أبو عبيدة قراءة أبي عمرو وقال هي لغة النبي ﷺ في قوله لعمرو بن العاص نعما المال الصالح للرجل الصالح هكذا روي في الحديث بسكون العين وقوله ونكفر من رفعه فعلى وجهين (أحدهما) أن يكون خبر المبتدأ المحذوف وتقديره ونحن نكفر عنكم (والآخر) أن يكون كلاماً مستأنفاً مقطوعاً مما قبله ولا يكون الحرف العاطف للإشتراك ويكون لعطف جملة على جملة وأما من جزم فإنه يحمله على موضع فهو خير لكم ومثله قراءة من قرأ من يضلل الله فلا هادي له ويذرهم لأن قوله ﴿ **فلا هادي له** ﴾ في موضع جزم مثل قوله ﴿ **فهو خيرٌ لكم** ﴾ وأما الياء والنون في قوله ﴿ **ونكفر** ﴾ فمن قال ويكفر فلأنّ ما بعده على لفظ الإفراد ومن قال ونكفر فإنه أتى بلفظ الجمع ثم أفرد كما أتى بلفظ الافراد ثم جمع في قوله تعالى ﴿ **سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام** ﴾ ثم قال ﴿ **باركنا حوله لنريه من آياتنا** ﴾ .

[**اللغة**] الفرق بين الصدقة والزكاة أن الزكاة لا تكون إلا فرضاً والصدقة قد تكون

(١) الشعر في الكتاب لسيبويه ج ٢ ص ٤١٣ ، والمسخ هنا ذرع الأرض بالسير. وعقاب كاسر كسرت جناحيها وقبضتهما عند انقضاضها يقول ـ في وصف ناقة ـ كأنها بعد طول السير وكلال الزاجر عقاب اه والشاهد في مِسحّه حيث أسكن الهاء ثم أدغمه في الحاء .

فرضاً وقد تكون نفلاً والاخفاء الستر والخَفْيُ الإظهار خفا يخفيه خفياً أي أظهره قال امرىء القيس :

فَإِنْ تَدْفِنُواْ الْداءَ لا نَخْفُه وَإِنْ تَبْعَثُوا الْحَرْبَ لا نَقْعُدِ

والخوافي من الريش ما دون القوادم لأنها تخفي بها والخَفِيَّة عرين الأسد[1] لأنه يختفي فيها وأصل الباب الستر والابداء والإظهار والإعلان نظائر والإخفاء والإسرار والإغماض نظائر .

[**الإعراب**] قوله فنعما هي تقديره أن تبدوا الصدقات فنعم شيئاً أبداؤها فما هاهنا نكرة موصوفة وهي في موضع نصب لأنه تفسير الفاعل المضمر قبل الذكر في نعم والابداء هو المخصوص بالمدح فحذف المضاف الذي هو الابداء وأقيم المضاف إليه الذي هو ضمير الصدقات مقامه لما في الكلام من الدلالة عليه ولأن الفعل المتقدم يدل على مصدره ولأن قوله ﴿ **وإن تخفوها فهو خير لكم** ﴾ أي الاخفاء خير لكم فكما أن هنا ضمير الاخفاء كذلك يجب أن يكون ضمير الابداء مراداً هناك .

[**المعنى**] ثم ذكر تعالى صفة الانفاق ورغّب فيه بقوله ﴿ **إن تبدوا الصدقات** ﴾ معناه أن تظهروا الصدقات وتعلنوها ﴿ **فنعمّا هي** ﴾ أي فنعم الشيء ونعم الأمر إظهارها وإعلانها أي ليس في ابدائها كراهة ﴿ **وإن تخفوها** ﴾ أي تسرّوها ﴿ **وتؤتوها الفقراء** ﴾ أي تعطوها الفقراء وتؤدّوها إليهم في السرّ ﴿ **فهو خير لكم** ﴾ أي فالاخفاء خير لكم وأبلغ في الثواب واختلفوا في الصدقة التي يكون اخفاؤها أفضل من ابدائها فقيل أن صدقة التطوع اخفاؤها أفضل لأنه يكون أبعد من الرياء باخفائها وأما المفروض فلا يدخله الرياء ويلحقه تهمة المنع باخفائها فإظهارها أفضل عن ابن عباس والثوري وكذا رواه علي بن إبراهيم بإسناده عن الصادق قال الزكاة بإخفائها المفروضة تخرج علانية وتدفع علانية وغير الزكاة إن دفعه سراً فهو أفضل وقيل الاخفاء في كل صدقة من زكاة وغيرها أفضل عن الحسن وقتادة وهو الأشبه بعموم الآية ﴿ **ونكفر عنكم من سيئاتكم** ﴾ معناه ونمحو عنكم خطيئاتكم ونغفرها لكم ومن قرأ بالرفع فمعناه ونحن نكفر عنكم أو يكفر الله عنكم من سيئاتكم ودخلت من للتبعيض واحتج به من قال المراد بالسيئات الصغائر فأما على مذهبنا فإسقاط العقاب تفضّل من الله فله أن يتفضل بإسقاط بعضه دون بعض فلو لم يدخل مِنْ لأفاد أنه يسقط جميع العقاب وقال بعضهم أن من زيادة وقد يقال كلْ مِن طعامي وخذ مِن مالي ما

(١) أي مأواه .

تطفىء غضب الرب وتطفىء الخطيئة كما يطفىء الماء النار وتدفع سبعين باباً من البلاء وقوله سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله الإمام العدل والشاب الذي نشأ في عبادة الله تعالى ورجل قلبه يتعلق بالمساجد حتى يعود إليها ورجلان تحابا في الله واجتمعا عليه وتفرقا عليه ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله تعالى ورجل تصدّق بصدقة فأخفاها حتى لم تعلم يمينه ما تنفق شماله ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه وقوله تعالى : ﴿ والله بما تعملون خبير ﴾ معناه أنه تعالى عالم بما تعملونه في صدقاتكم من إخفائها وإعلانها لا يخفى عليه شيء من ذلك فيجازيكم على جميعه .

﴿ * لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾

[الإعراب]﴿ ما تنفقوا من خير فلأنفسكم ﴾ شرط وجزاء ﴿ وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله ﴾ قيل لفظه نفي ومعناه النهي أي لا تنفقوا كقوله ﴿ لا يَمَسُّه إلا المطهرون ﴾ وقيل هي جملة مفيدة بنفسها معطوفة على ما قبلها وهو خبر على ظاهره وابتغاء نصب لأنه مفعول له ﴿ وما تنفقوا من خير يوف إليكم ﴾ شرط كالأول ولذلك حذف النون في الموضعين .

[النزول] كان المسلمون يمتنعون عن الصدقة على غير أهل دينهم فأنزل الله تعالى هذه الآية عن ابن عباس وابن الحنفية وسعيد بن جبير وقيل كانت أسماء بنت أبي بكر مع رسول الله في عمرة القضاء فجاءتها أمها فتيلة وجَدَّتها تسألانها وهما مشركتان فقالت لا أعطيكما شيئاً حتى أستأذن رسول الله ﷺ فإنكما لستما على ديني فاستأذنته[1] في ذلك فأنزل الله هذه الآية عن الكلبي .

[المعنى] ﴿ ليس عليك هداهم ﴾ قيل في وجه اتصاله بما قبله وجوه (أحدها) أن معناه ليس عليك هداهم بمنع الصدقة عنهم لتحملهم به على الإيمان وهو نظير قوله ﴿ أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ﴾ عن ابن عباس وسعيد بن جبير وعلى هذا

(١) وفي جملة من النسخ « استأمرته » بدل « استأذنته » في الموضعين .

شئت فيكون للتعميم والأول أولى ومما جاء في الحديث في صدقة السر قوله صدقة السر يكون معناه الإباحة للتصدق عليهم بصدقة التطوع (وثانيها) أن معناه ليس عليك هداهم بالحمل على النفقة في وجوه البر وسبل الخير عن الحسن وأبي علي الجبائي وتقديره ليس عليك أن تهدي الناس إلى نيل الثواب والجنة وإنما عليك أن تهديهم إلى الإيمان بأن تدلهم عليه وهذا تسلية للنبي لأنه كان يغتمّ بترك قبولهم منه وامتناعهم عن الإيمان لعلمه بما يؤول إليه أمرهم من العقاب الدائم فسلاّه الله تعالى بهذا القول(وثالثها)أن المراد ليس عليك أن تهدي الناس بعد إن دعوتهم وأنذرتهم وبلّغتهم ما أمرت بتبليغه ونظيره أن عليك إلا البلاغ وليس المعنى ليس عليك أن تهديهم إلى الإيمان والطاعة لأنه ما بعث إلا لذلك ﴿ **ولكن الله يهدي من يشاء** ﴾ إنما علّق الهداية بالمشيئة لمن كان المعلوم منه أنه يصلح باللطف أي بلطف الله بزيادة الهدى والتوفيق لمن يشاء عن الزجاج وأبي القاسم البلخي وأكثر أهل العلم وقيل معناه يهدي إلى طريق الجنة عن الجبائي ﴿ **وما تنفقوا من خير فلأنفسكم** ﴾ أي ما تنفقوا في وجوه البر من مال فلأنفسكم ثوابه والغرض فيه الترغيب في الانفاق لأن الإنسان إذا علم أن منفعة انفاقه عائدة إليه مختصة به كان أسمح بالانفاق وأرغب فيه وأحرص عليه وبذلك يفارق عطية الله لأن المنفعة في عطائه عائدة إلى المعطي ومختصة به دون الله ومعظم المنفعة في عطية العبد ترجع إليه وتختص به دون المعطى ﴿ **وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله** ﴾ أي إلا طلب رضوان الله وهذا إخبار من الله عن صفة انفاق المؤمنين المخلصين المستجيبين لله ولرسوله أنهم لا ينفقون ما ينفقونه إلا طلباً لرضاء الله تعالى وقيل أن معناه النهي وإن كان ظاهره الخبر أي ولا تنفقوا إلا ابتغاء مرضاة الله وفي ذكر الوجه هنا قولان (أحدهما) أن المراد به تحقيق الإضافة لأن ذكر الوجه يرفع الإبهام أنه له ولغيره وذلك أنك لما ذكرت الوجه ومعناه النفس دل على أنك تصرف الوهم عن الاشتراك إلى تحقيق الاختصاص وكنت بذلك محققاً للإضافة ومزيلاً لإيهام الشركة (والثاني) أنك إذا قلت فعلته لوجه زيد كان أشرف في الذكر من فعلته له لأن وجه الشيء في الأصل أشرف ما فيه ثم كثر حتى صار يدل على شرف الذكر من غير تحقيق وجه ألا ترى أنك تقول وجه الرأي ووجه الأمر ووجه الدليل فلا تريد تحقيق الوجه وإنما تريد أشرف ما فيه من جهة شدة ظهوره وحسن بيانه ﴿ **وما تنفقوا من خير يوف إليكم** ﴾ أي يوفّر عليكم جزاؤه وثوابه والتوفية إكمال الشيء وإنما حسن إليكم مع التوفية لأنها تضمنت معنى التأدية وقيل معناه تعطون جزاءه وافراً وافياً في الآخرة عن ابن عباس ﴿ **وأنتم لا**

﴿ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾

تظلمون ﴾ بمنع ثوابه ولا بنقصان جزائه كقوله آتت أُكلها ولم تظلم منه شيئاً أي لم تنقص .

[**القراءة**] قرأ حمزة وعاصم وأبو جعفر وابن عامر يحسبهم بفتح السين كل القرآن والباقون بكسرها .

[**اللغة**] قال أبو زيد حَسِبت الشيء أحسبه وأحسِبه حِسْبانا وحسَبت الشيء أحْسُبه حِساباً وحِسابة وحُسبانا وأَحْسَبت الرجل إحْساباً إذا أطعمته وسقيته حتى يشبع ويروى وتعطيه حتى يرضى والاحصار المنع عن التصرف لمرض أو حاجة أو مخافة والحصر هو منع الغير وليس كالأول لأنه منع النفس وقد تقدم تفسيره عند قوله ﴿ **فإن أحصرتم** ﴾ والضرب المشي في الأرض والسيماء العلامة التي يعرف بها الشيء وأصله الارتفاع لأنه علامة رفعت للظهور ومنه السوم في البيع وهو الزيادة في مقدار الثمن للارتفاع فيه عن الحد ومنه سوم الخسف للرفع فيه بتحميل ما يشق ومنه سوم الماشية ارسالها في المرعى والتعفف ترك السؤال يقال عف عن الشيء وتعفف عنه إذا تركه ومنه قول رؤبة (فعف عن اسرارها بعد العسق)[1] أي تركها والالحاف الالحاح في المسألة قال الزجاج معنى ألْحف شمل بالمسألة وهو مستغن عنها واللحاف من هذا اشتقاقه لأنه يشمل الإنسان في التغطية .

[**الإعراب**] العامل في قوله ﴿ **للفقراء** ﴾ محذوف وتقديره النفقة للفقراء وقد تقدم ما يدل عليه وقال بعضهم هو مردود على اللام الأولى من قوله ﴿ **وما تنفقوا من خير فلأنفسكم** ﴾ قال علي بن عيسى وهذا لا يجوز لأن بدل الشيء من غيره لا يكون إلا والمعنى يشتمل عليه وليس كذلك ذكر النفس ههنا لأن الانفاق لها من حيث هو عائد إليها وللفقراء من حيث هو واصل إليهم وليس من باب ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً لأن الأمر لازم للمستطيع خاصة ولا يجوز أن يكون العامل فيه تنفقوا لأنه لا

(١) عسق به عسقا: أولع به .

يفصل بين العامل والمعمول فيه بالأجنبي كما لا يجوز كانت زيداً الحمى تأخذه ﴿ **لا يستطيعون ضربا** ﴾ جملة في موضع الحال من احصروا وضرباً مفعول يستطيع يحسبهم الجاهل في موضع الحال أيضاً وذو الحال الفقراء والحافا مصدر وضع موضع الحال من يسألون أي لا يسألون ملحفين ويجوز أن يكون مصدراً لأن الالحاف سؤال على صفة .

[**النزول**] قال أبو جعفر (ع) نزلت الآية في أصحاب الصُفَّة وكذلك رواه الكلبي عن ابن عباس وهم نحو من أربعمائة رجل لم يكن لهم مساكن بالمدينة ولا عشائر يأوون إليهم فجعلوا أنفسهم في المسجد وقالوا نخرج في كل سرية يبعثها رسول الله فحثّ الله الناس عليهم وكان الرجل إذا أكل وعنده فضل أتاهم به إذا أمسى .

[**المعنى**] لما أمر سبحانه بالنفقة ورغَّب فيها بأبلغ وجوه الترغيب وبيَّن ما يكمل ثوابها عقَّب ذلك ببيان أفضل الفقراء الذين هم مصرف الصدقات فقال ﴿ **للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله** ﴾ معناه النفقة المذكورة في هذه الآية وما قبلها للفقراء الذين حُبسوا ومُنعوا في طاعة الله أي منعوا أنفسهم من التصرف في التجارة للمعاش أما لخوف العدو من الكفار وأما للمرض والفقر وإما للاقبال على العبادة وقوله في سبيل الله يدل على أنهم حبسوا أنفسهم عن التقلب لاشتغالهم بالعبادة والطاعة ﴿ **لا يستطيعون ضرباً** ﴾ أي ذهاباً وتصرفاً﴿ **في الأرض** ﴾ لبعض ما ذكرناه من المعاني وقيل لمنع أنفسهم من التصرف في التجارة أي ألزموا أنفسهم الجهاد في سبيل الله فلا يقع منهم التصرف لغيره وليس معناه أنهم لا يقدرون عليه كما يقال أمرني الأمير بالمقام في هذا الموضع فلا أستطيع أن أبرح منه أي لا أبرح منه لالزامي نفسي طاعة الأمير ﴿ **يحسبهم الجاهل** ﴾ أي يظنهم الجاهل بحالهم وباطن أمورهم ﴿ **أغنياء من التعفف** ﴾ أي الامتناع من السؤال والتجمل في اللباس والستر لما هم فيه من الفقر وسوء الحال طلباً لرضوان الله وطمعاً في جزيل ثوابه ﴿ **تعرفهم بسيماهم** ﴾ أي تعرف حالهم بالنظر إلى وجوههم لما يرى من علامة الفقر عن السدي والرِبيع وقيل لما يرى من التخشع والخضوع الذي هو شعار الصالحين عن مجاهد ﴿ **لا يسألون الناس الحافاً** ﴾ قيل معناه أنهم لا يسألون الناس أصلاً وليس معناه أنهم يسألون من غير إلحاف عن ابن عباس وهو قول الفراء والزجاج وأكثر أرباب المعاني وفي الآية ما يدل عليه وهو قوله يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف في المسألة ولو كانوا يسألون لم يكن يحسبهم الجاهل أغنياء لأن السؤال في الظاهر يدل على الفقر وقوله أيضاً تعرفهم بسيماهم ولو سألوا لعرفوا بالسؤال قالوا وإنما هو كقولك ما رأيت مثله وأنت لم ترد أن له

مثلاً ما رأيته وإنما تريد أنه ليس له مثل فيرى فمعناه لم يكن سؤال فيكون إلحاح كقول الأعشى :

لا يَغْمِزُ السّاقَ مِنْ أَيْنَ وَمِنْ نَصَبٍ   وَلا يَعَضُّ عَلىٰ شُرْسُوفِهِ الصَّفَرُ[1]

ومعناه ليس بساقها أين ولا نصب فيغمزها ليس أن هناك أينا ولا يغمز وفي الحديث أن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده ويكره البؤس والتباؤس ويحبّ الحليم المتعفف من عباده ويبغض الفاحش البذيء السائل الملحف وعنه (ع) قال إن الله كره لكم ثلاثاً قيل وقال ، وكثرة السؤال ، وإضاعة المال ، ونهي عن عقوق الأمهات ووأد[2] البنات وعن منع وهات وقال (ع) الأيدي ثلاث فيد الله العليا ويد المعطي التي تليه ويد السائل السفلى إلى يوم القيامة ومن سأل وله ما يغنيه جاءت مَسْئَلَتُهُ يوم القيامة كُدُوحاً[3] أو خُمُوشاً أو خُدُوشاً في وجهه قيل وما غناه قال خمسون درهماً أو عدلها من الذهب ﴿ **وما تنفقوا من خير** ﴾ من مال وقيل معناه في وجوه الخير ﴿ **فإن الله به عليم** ﴾ أي يجازيكم عليه .

﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾

[**الإعراب**] سِرّاً وعلانية حالان من ينفقون وتقديره مسرّين ومعلنين فهما إسمان وضعا موضع المصدر عند ربهم ظرف مكان والعامل فيه ما يتعلق به اللام من لهم .

[**النزول**] قال ابن عباس نزلت الآية في علي (ع) كانت معه أربعة دراهم فتصدق بواحد نهاراً وبواحد ليلاً وبواحد سراً وبواحد علانية وهو المروي عن أبي عبد الله (ع) وأبي جعفر (ع) وروي عن أبي ذر والأوزاعي أنها نزلت في النفقة على الخيل في سبيل الله وقيل هي عامة في كل من أنفق ماله في طاعة الله على هذه الصفة وعلى هذا فإنا نقول الآية نزلت في علي (ع) وحكمها سائر في كل من فعل مثل فعله وله فضل السبق إلى ذلك .

[**المعنى**] ثم بَين سبحانه كيفية الانفاق وثوابه فقال ﴿ **الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سراً وعلانية** ﴾ في هذه الحالات أي ينفقون على الدوام لأن هذه الأوقات معينة

(١) مضى هذا البيت في صفحة ٤٦٨ .
(٢) أي قتلهن .
(٣) الكدح دون الخدش والخدش دون الخمش .

للصدقات ولا وقت لها سواها ﴿ **فلهم أجرهم عند ربهم** ﴾ أتى بالفاء ليدل على أن الجزاء إنما هو من أجل الإنفاق.في طاعة الله ولا يجوز أن يقال زيد فله درهم لأنه ليس فيه معنى الجزاء ﴿ **ولا خوف عليهم** ﴾ من أهوال يوم القيامة وافزاعها ﴿ **ولا هم يحزنون** ﴾ فيها وقيل لا خوف من فوت الأجر ونقصانه عليهم ولا هم يحزنون على ذلك .

﴿ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَـٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾

[**اللغة**] أصل الربا الزيادة من قولهم ربا الشيء يربو إذا زاد والربا هو الزيادة على رأس المال وأربى الرجل إذا عامل في الربا ومنه الحديث من أجبى[١] فقد أربى وأصل التخبط الخبط وهو الضرب على غير إستواء خَبَطته أخْبِطُه خَبْطاً والخبط ضرب البعير الأرض بيده والتخبط أيضاً بمعناه يقال تخبط البعير الأرض إذا ضربها بقوائمه ويقال للذي يتصرف في أمر ولا يهتدي فيه هو يخبط خبط عشواء قال زهير :

رَأيْتُ الْمَنايا خَبْطَ عَشْواءَ مَنْ تُصِبْ تُمِتْـهُ وَمَنْ تُخْطِئْ يُعَمَّـرْ فَيَهْرَم[٢]

والتخبط المس بالجنون والتخبل لأنه كالضرب على غير إستواء في الادهاش والخباط داء كالجنون لأنه إضطراب في العقل يقال به خَبْطة من جنون ويقال بفلان مَسٌّ وألْسٌ وأوْلَقٌ أي جنون والسُلوف التقدم يقال سلف يَسْلُف سلوفاً ومنه الأمم السالفة أي الماضية والسالفة أعلى العنق والإسلاف الاعطاء قبل الاستحقاق يقال أسلفته إسلافاً ، وسُلافة الخمر صفوها لأنه أول ما يخرج من عصيرها والعود الرجوع وعيادة المريض

(١) الاجباء : بيع الزرع قبل أن يبدو صلاحه . (٢) قد تقدم معنى البيت في ص ٦٥٨.

المصير إليه ليعرف خبره والعود من العيدان لأنه يعود إذا قطع ومنه العود الذي يتبخر به والمعاد كل شيء إليه المصير والآخرة معاد الناس والعادة تكرر الشيء مرة بعد مرة والعيد كل يوم مجمع عظيم لأنه يعود في السنة أو الأسبوع والعائدة الصلة لأنها تعود بالنفع على صاحبها .

[**الإعراب**] ﴿ **كما يقوم** ﴾ الكاف في محل النصب على المصدر والموصول حرف تقديره ﴿**لا يقومون**﴾ إلا مثل قيام ﴿**الذي يتخبطه الشيطان**﴾ ومن ألمس يتعلق بيتخبط ومن للتبيين .

[**المعنى**] لما حَثَّ الله تعالى على الانفاق وبين ما يحصل للمنفق من الأجر العاجل والآجل عَقَّبه بذكر الربا الذي ظنه الجاهل زيادة في المال وهو في الحقيقة محق في المال فقال ﴿ **الذين يأكلون الربا** ﴾ في الدنيا ﴿ **لا يقومون** ﴾ يوم القيامة ﴿ **إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس** ﴾ معناه إلّا مثل ما يقوم الذي يصرعه الشيطان من الجنون فيكون ذلك إمارة لأهل الموقف على أنهم أكلة الربا عن ابن عباس والحسن وسعيد بن جبير وقتادة ومجاهد وقيل إن هذا على وجه التشبيه لأن الشيطان لا يصرع الإنسان على الحقيقة ولكن من غلب عليه المرة السود أو ضعف عقله ربما يخيل الشيطان إليه أموراً هائلة ويوسوس إليه فيقع الصرع عند ذلك من فعل الله ونسب ذلك إلى الشيطان مجازاً لما كان ذلك عند وسوسته عن أبي علي الجبائي وقيل يجوز أن يكون الصرع من فعل الشيطان في بعض الناس دون بعض عن أبي الهذيل وابن الأخشيد قالا لأن الظاهر من القرآن يشهد به وليس في العقل ما يمنع منه ولا يمنع الله تعالى الشيطان عنه إمتحاناً لبعض الناس وعقوبة لبعضهم على ذنب ألَمَّ به ولم يتب منه كما يتسلط بعض الناس على بعض فيظلمه ويأخذ ماله ولا يمنعه الله تعالى منه ويكون هذا علامة لآكلي الربا يعرفون بها يوم القيامة كما أن على كل عاص من معصيته علامة تليق به فيعرف بها صاحبها وعلى كل مطيع من طاعته إمارة تليق به فيعرف بها صاحبها وذلك معنى قوله تعالى ﴿ **فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان** ﴾ وقال النبي في شهداء أحد زَمِّلُوهم بدمائهم وثيابهم وقال (ع) يبعث أمتي يوم القيامة من قبورهم غُرّاً محجلين من آثار الوضوء وروي عنه (ع) أنه لما قال أسري بي إلى السماء رأيت رجالاً بطونهم كالبيوت فيها الحيات ترى من خارج بطونهم فقلت من هؤلاء يا جبرائيل قال **هؤلاء** أكلة الربا ورواه أصحابنا عن أبي عبد الله (ع) قال قال رسول الله (ﷺ) **لما أسري بي** إلى السماء رأيت أقواماً يريد أحدهم أن

يقوم ولا يقدر عليه من عظم بطنه فقلت من هؤلاء يا جبرائيل قال هؤلاء الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس وإذا هم بسبيل آل فرعون يعرضون على النار غدواً وعشياً يقولون ربنا متى تقوم الساعة والوعيد في الآية متوجه إلى كل من أربى وإن لم يأكله ولكنه تعالى نَبَّه بذكر الأكل على سائر وجوه الانتفاع بمال الربا وإنما خص الأكل لأنه معظم المقاصد من المال ونظيره قوله ﴿ **ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل** ﴾ وقوله ﴿ **إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً** ﴾ الآية والمراد بالأكل في الموضعين سائر وجوه الانتفاع دون حقيقة الأكل ﴿ **ذلك** ﴾ أي ذلك العقاب لهم بأنهم ﴿ **قالوا إنما البيع مثل الربا** ﴾ معناه بسبب قولهم إنما البيع الذي لا ربا فيه مثل البيع الذي فيه الربا قال ابن عباس كان الرجل منهم إذا حل دينه على غريمه فطالبه به قال المطلوب منه له زدني في الأجل وأزيدك في المال فيتراضيان عليه ويعملان به فإذا قيل لهم هذا ربا قالوا هما سواء يعنون بذلك أن الزيادة في الثمن حال البيع والزيادة فيه بسبب الأجل عند محل الدين سواء فذمهم الله به وألْحَق الوعيد بهم وخطأهم في ذلك بقوله ﴿ **وأحل الله البيع وحرم الربا** ﴾ أي أحل الله البيع الذي لا ربا فيه وحرم البيع الذي فيه الربا والفرق بينهما أن الزيادة في أحدهما لتأخير الدين وفي الآخر لأجل البيع وأيضاً فإن البيع بدل البدل لأن الثمن فيه بدل المثمن والربا زيادة من غير بدل للتأخير في الأجل أو زيادة في الجنس والمنصوص عن النبي (ﷺ) تحريم التفاضل في ستة أشياء الذهب والفضة والحنطة والشعير والتمر والملح وقيل الزبيب قال (ع) إلا مثلاً بمثل يداً بيد من زاد واستزاد فقد أربى لا خلاف في حصول الربا في هذه الأشياء الستة وفي غيرها خلاف بين الفقهاء وهو مقيس عليها عندهم وعندنا أن الربا لا يكون إلا فيما يكال أو يوزن وأما علة تحريم الربا فقد قيل هي أن فيه تعطيل المعايش والاجلاب والمتاجر إذا وجد المربى من يعطيه دراهم وفضلاً بدراهم وقال الصادق (ع) إنما شدد في تحريم الربا لئلا يمتنع الناس من إصطناع المعروف قرضاً أو رفداً ﴿ **فمن جاءه موعظة من ربه** ﴾ معناه فمن جاءه زجر ونهي وتذكير من ربه ﴿ **فانتهى** ﴾ أي فانزجر وتذكر واعتبر ﴿ **فله ما سلف** ﴾ معناه فله ما أخذ وأكل من الربا قبل النهي لا يلزمه رده قال الباقر (ع) من أدرك الإسلام وتاب مما كان عمله في الجاهلية وضع الله عنه ما سلف وقال السدي معناه له ما أكل وليس عليه رد ما سلف فأما ما لم يقبض بعد فلا يجوز له أخذه وله رأس المال وقوله جاءه موعظة وقال في موضع آخر قد جاءتكم موعظة لأن تأنيثه غير حقيقي فإن الموعظة والوعظ بمعنى واحد ﴿ **وأمره إلى الله** ﴾ معناه وأمره بعد مجيء الموعظة والتحريم والانتهاء إلى الله إن شاء

عصمه عن أكله وثبته في إنتهاءه عنه وإن شاء خذله وقيل معناه وأمره في حكم الآخرة إلى الله تعالى إن لم يتب وهو غير مستحل له إن شاء عذبه بعدله وإن شاء عفا عنه بفضله وقيل معناه أمره إلى الله فلا يؤاخذه بما سلف من الربا ﴿ **ومن عاد** ﴾ إلى أكل الربا بعد التحريم وقال ما كان يقوله قبل مجيء الموعظة من أن البيع مثل الربا ﴿ **فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون** ﴾ لأن ذلك القول لا يصدر إلا من كافر مستحل للربا فلهذا توعد بعذاب الأبد ولا خلاف بين الفقهاء إن الربا محرم في النقد والنسيئة وقال بعض من تقدم لا ربا إلا في النسيئة وأما أهل الجاهلية فإنهم كانوا يربون بتأخير الدين عن محله إلى محل آخر بزيادة فيه ولا خلاف في تحريمه ومما جاء في الحديث في الربا ما روي عن علي (ع) أنه قال لعن رسول الله (ﷺ) في الربا خمسة آكله وموكله وشاهديه وكاتبه وعنه (ع) قال إذا أراد الله بقرية هلاكاً ظهر فيهم الربا وعنه (ع) قال الربا سبعون باباً أهونها عند الله كالذي ينكح أمه وروي جميل بن دراج عن أبي عبد الله قال درهم ربا أعظم عند الله من سبعين زنية كلها بذات محرم في بيت الله الحرام .

﴿ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ٢٧٦ ﴾

[اللغة] المحق نقصان الشيء حالاً بعد حال يقال محقه الله يمحقه محقاً فانمحق وامتحق أي هلك وتلف بذهابه حالاً بعد حال والمحاق آخر الشهر لانمحاق الهلال فيه والأثيم المتمادي في الإثم والآثم الفاعل للإثم .

[**المعنى**] ثم أكد سبحانه ما تقدم بقول ﴿ **يمحق الله** ﴾ أي ينقص الله ﴿ **الربا** ﴾ حالاً بعد حال إلى أن يتلف المال كله وقال ابن عباس معناه يهلكه ويذهب ببركته وقيل للصادق (ع) وقد يري الرجل يربي فيكثر ماله فقال يمحق الله دينه وإن كثر ماله وقال أبو القاسم البلخي يمحقه الله في الدنيا بسقوط عدالته والحكم بفسقه والتسمية بالفسق ﴿ **ويربي الصدقات** ﴾ أي وينمي الصدقات ويزيدها بأن يثمر المال في نفسه في العاجل وبالأجر عليه والثواب في الأجل وذلك بحسب الانتفاع بها وحسن النية فيها وقد روي عن النبي (ع) أنه قال أن الله تعالى يقبل الصدقات ولا يقبل منها إلا الطيب ويربيها لصاحبها كما يربي أحدكم مُهْره أو فصيله حتى أن اللقمة لتصير مثل أحد والنكتة في الآية أن المربي إنما يطلب بالربى زيادة المال ومانع الصدقة إنما يمنعها لطلب زيادة المال فبين الله سبحانه أن الربا سبب النقصان دون النماء وإن الصدقة سبب النماء دون النقصان ﴿ **والله لا**

يحب كل كفار أثيم ﴾ الكفار فعال من الكفر وهو المقيم عليه المستمسك به المعتاد له ومعناه والله يبغض كل كفار لنعمته باستجلال الربا منهمك في غوايته متماد في إثمه بأكله وإنما لم يقل كل كافر لأنه إذا استحلّ الربا صار كافراً لأنه إذا كثر أكله للربا مع الاستحلال فقد ضم كفراً إلى كفر وإذا استحل الربا ولم يعقد عقد الربا لم يلحقه من المندمة ما يلحق مَن جمع بين الأمرين فالجامع بين الأمرين يستدعي من غضب الله ما لا يستدعيه أحد الأمرين وروي عن النبي (ﷺ) أنه قال يأتي على الناس زمان لا يبقى أحد إلا أكل الربا فمن لم يأكله أصابه من غباره .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾

[**المعنى**] هذه الآية ظاهرة المعنى وقد مر تفسيرها فيما مضى وإنما جمع بين هذه الخصال لا لأن الثواب لا يستحق على كل واحدة منها إذ لو كان كذلك لكان فيه تصغير من كل واحدة منها ولكن جمع بينها للترغيب في الأعمال الصالحة والتفخيم لأمرها والتعظيم لشأنها أو لبيان أن الجمع بين هذه الخصال أعظم أجراً من الأفراد بواحدة منها ونظيره قوله سبحانه والذين لا يدعون مع الله إلّهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الآية فجمع بين هذه الخصال في الوعيد ليبين أن الوعيد يستحق بكل واحدة منها وللتحذير عن كل خصلة منها لأن من المعلوم أن من دعا مع الله إلّهاً آخر لا يحتاج إلى شرط عمل آخر في إستحقاق الوعيد إذ لو كان الوعيد إنما يستحق بمجموع تلك الخصال لكان فيه تسهيل لكل واحد منها وقد ذكرنا أن أمثال هذه الآية تدل على أن الإيمان ليس من أفعال الجوارح ولا مشتملاً عليها إذ لو كان كذلك لما صار لعطفها عليه معنى لأن الشيء لا يعطف على نفسه فإن قالوا إن ذلك يجري مجرى قوله **﴿ الذين كفرو وصدوا عن سبيل الله والذين كفروا وكذبوا بآياتنا ﴾** فنقول إن الخلاف ها هنا كالخلاف هناك لأن التكذيب عندنا ليس بالكفر نفسه وإنما هو دلالة على الكفر وكذلك الصد عن سبيل الله واستدل بهذه الآية وأمثالها في بطلان التحابط لأنه تعالى ضمن الثواب بنفس هذه الخصال ولم يشترط أن لا يؤتى بما يحبطها فإن قالوا لا بدّ من هذا الشرط كما أن الوعيد على الكفر لا بد أن يكون مشروطاً بارتفاع التوبة فالجواب أن التوبة إنما صارت شرطاً هناك لمكان إجماع المسلمين

لا لأن التوبة مسقطة للعقاب وإنما وعد الله تعالى بإسقاط العقاب عندها تفضلاً منه سبحانه ولا إجماع على ما أدعوه من الشرط في آيات الوعد فبان الفرق بين الأمرين .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾

[**القراءة**] قرأ عاصم برواية أبي بكر غير ابن غالب والبرجي وحمزة فآذِنوا بالمدّ وكسر الذال والباقون فاذنوا . وقرىء في الشواذ لا تُظْلَمُون ولا تَظْلِمُون .

[**الحجة**] قال سيبويه آذنت اعلمت وأذَّنت والتأذين النداء والتصويت بالاعلام قال وبعض العرب يجري آذنت مجرى أذَّنت الذي معناه التصويت والنداء قال أبو عبيدة آذنتك بحرب فَأذِنْتَ به تأذن اذنا أي عَلِمتَ فمن قرأ فاذنوا بحرب من الله فقصّر فالمعنى اعلموا بحرب من الله والمعنى أنكم في أمتناعكم من وضع ذلك حرب من الله ورسوله ومن قرأ فآذنوا فتقديره فاعلموا من لم ينته عن ذلك بحرب فالمفعول محذوف على قوله وإذا أمروا بإعلام غيرهم علموا هم أيضاً لا محالة ففي أمرهم بإعلام ما يعلمون هم أيضاً(١)أنهم حرب إن لم يمتنعوا عما نهوا عنه وليس في علمهم دلالة على إعلام غيرهم فهو في الابلاغ آكد .

[**الإعراب**] إن كنتم مؤمنين جواب الشرط محذوف تقديره إن كنتمْ مؤمنين فذروا ما بقي من الربا وموضع لا تظلمون نصب على الحال من لكم والتقدير فلكم رؤوس أموالكم غير ظالمين ولا مظلومين .

[**النزول**] روي عن أبي جعفر الباقر (ع) أن الوليد بن المغيرة كان يربى في الجاهلية وقد بقي له بقايا على ثقيف فأراد خالد بن الوليد المطالبة بها بعد أن أسلم فنزلت الآية وقال السدي وعكرمة نزلت في بقية من الربا كانت للعباس وخالد بن الوليد وكانا

(١) [دلالة على].

شريكين في الجاهلية يسلفان في الربا إلى بني عمرو بن عمير ناس من ثقيف فجاء الإسلام ولهما أموال عظيمة في الربا فأنزل الله هذه الآية فقال النبي (ﷺ) على أن كل ربا من ربا الجاهلية موضوع وأول ربا أضعه ربا العباس بن عبد المطلب وكل دم من دم الجاهلية موضوع وأول دم أضعه دم ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب كان مرضعاً في بني ليث فقتله هذيل وقال مقاتل نزلت في أربعة أخوة من ثقيف مسعود وعبد يا ليل وحبيب وربيعة وهم بنو عمرو ابن عمير بن عوف الثقفي وكانوا يداينون بني المغيرة وكانوا يربون فلما ظهر النبي (ﷺ) على الطائف وصالحَ ثقيفاً أسلم هؤلاء الإخوة الأربعة فطلبوا رباهم من بني المغيرة واختصموا إلى عتاب بن أسيد عامل رسول الله على مكة فكتب عتاب إلى النبي بالقصة فأنزل الله الآية .

[**المعنى**] ثم بيّن سبحانه حكم ما بقي من الربا فقال ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله** ﴾ في أمر الربا وفي جميع ما نهاكم عنه ﴿ **وذروا ما بقي من الربا** ﴾ أي واتركوا ما بقي من الربا فلا تأخذوه واقتصروا على رؤوس أموالكم وقوله ﴿ **إن كنتم مؤمنين** ﴾ معناه من كان مؤمناً فهذا حكمه فأما من ليس بمؤمن فإنه يكون حرباً وقيل معناه إن كنتم مؤمنين بتحريم الربا مصدقين به وبما فيه من المفسدة التي يعلمها الله ﴿ **فإن لم تفعلوا** ﴾ أي فإن لم تقبلوا أمر الله ولم تنقادوا له ولم تتركوا بقية الربا بعد نزول الآية بتركه ﴿ **فاذنوا بحرب من الله ورسوله** ﴾ أي فأيقنوا واعلموا بقتال من الله ورسوله والمعنى أيقنوا أنكم تستحقون القتل في الدنيا والنار في الآخرة لمخالفة أمر الله ورسوله ومن قرأ فاذنوا فمعناه فاعْلِموا من لم ينته عن ذلك بحرب ومعنى الحرب عداوة الله وعداوة رسوله وهذا أخبار بعظم المعصية وروي عن ابن عباس وقتادة والربيع أن من عامل بالربا استتابه الإمام فإن تاب وإلا قتله وقال الصادق آكل الربا يؤدب بعد البينة فإن عاد أدب وإن عاد قتل ﴿ **وإن تبتم** ﴾ من استحلال الربا واقررتم بتحريمه ﴿ **فلكم رؤوس أموالكم** ﴾ دون الزيادة ﴿ **لا تظلمون** ﴾ بأخذ الزيادة على رأس المال ﴿ **ولا تظلمون** ﴾ بالنقصان من رأس المال .

﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾

[**القراءة**] قرأ أبو جعفر عُسُرة بضم السين والباقون عسرة باسكانها وهما لغتان وقرأ

زيد عن يعقوب مَيْسُرة بضم السين مضافاً إلى الهاء وروى[1] ذلك عن مجاهد وقرأ عاصم تصدقوا بتخفيف الصاد والباقون بتشديدها وقد تقدم الكلام في مثله فإن الاصل في القراءتين تتصدقوا فخفف في أحداهما بحذف أحدى التاءين[2] وفي الأخرى بالادغام.

[**اللغة**] النَظِرة التأخير وهو اسم قام مقام الانظار مثل أخِرة يقال بعته بأخِرَة وبنظرة أي بنسيئة ورأيت فلاناً بأخِرة الناس أي في آخرهم والميسرة والميسور بمعنى اليسار والغنى والسعة وما روي من قراءة من قرأ إلى ميسرُه فلم يجزه البصريون لأن مفعل لا يجيء في الآحاد الا بالتاء وقد جاء في الجمع قال جميل.

بُثَيْنَ الْـزَمي لَا إِنَّ لا إِنْ لَزِمْتِهِ عَلىٰ كَثْـرَةِ الْـواشـينِ أيُّ مَعُـونِ[3]

وروي :

ابْلغِ النُّعْمانَ عَنّي مَأْلُكاً انَّهُ قَدْ طالَ حَبْسي وَانْتِظاري

والاول جمع معونة ومألك جمع مأْلكة وهي الرسالة ومثل هذا الذي نقل لا يتعدّ به سيبويه فربما اطلق القول وقال ليس في الكلام كذا وان كان قد جاء عليه حرف أو حرفان.

[**الإعراب**] كان هذه هي التامة وهي التي تتمّ بفاعلها ويكتفى به وتقديره وان وقع ذو عسرة وقيل هي ناقصة محذوفة الخبر وتقديره وإن كان ذو عسرة غريماً لكم وكان يجوز لو قرىء وان كان ذا عسرة أي وان كان الذي عليه الدين ذا عسرة وروي ذلك في الشواذ عن أُبيّ فنظرة مرفوعة لأنها خبر مبتدأ محذوف والفاء فيه للجزاء وتقديره فالذي تعاملونه به نظرة وان تصدقوا في موضع رفع بأنه مبتدأ وخبره خير لكم .

[**المعنى**] لما أمر سبحانه بأخذ رأس المال من الموسر بيَّن بعده حال المعسر فقال ﴿**وان كان ذو عسرة**﴾ معناه وان وقع في غرمائكم ذو عسرة ويجوز ان يكون تقديره وان كان غريماً لكم ذو عسرة﴿**فنظرة**﴾أي فالذي تعاملونه به نظرة ﴿**إلى ميسرة**﴾ أي إلى وقت اليسار أي فالواجب نظرة صيغة الخبر والمراد به الأمر أي فانظروه إلى وقت يساره واختلف في حدّ الاعسار فروي عن أبي عبد الله (ع) أنه قال هو إذا لم يقدر على ما يفضل من قوته وقوت عياله على الاقتصاد وقال أبو علي الجبائي هو التعذر بالاعدام أو بكساد المتاع

---

(١) [وقرأ نافع ميسرة بضم السين والباقون بفتحها وهما لغتان].

(٢) [وسقط التاء عند الاضافة كقوله واقام الصلوٰة].

(٣) بثين مرخّم بُثينة كجُهينة علم امرأة.

أو نحوه واختلف في وجوب انظار المعسر على ثلاثة اقوال (أحدها) أنه واجب في كل دين عن ابن عباس والضحاك والحسن وهو المروي عن أبي جعفر عليه السلام وابي عبد الله (وثانيها) أنه واجب في دين الربا خالصة عن شريح وإبراهيم النخعي (وثالثها) أنه واجب في دين الربا بالآية وفي كل دين بالقياس عليه وقال الباقر (ع) إلى ميسرة معناه إلى ان يبلغ خبره الإمام فيقضي عنه من سهم الغارمين إذا كان انفقه في المعروف **﴿وأن تصدقوا خير لكم﴾** معناه وان تتصدقوا على المعسر بما عليه من الدين خير لكم **﴿ان كنتم تعلمون﴾** الخير من الشر وتميّزون ما لكم عما عليكم ومما جاء في معنى الآية من الحديث قوله (ع) من انظر معسراً أو وضع عنه اظلّه الله تحت ظلّ عرشه يوم لا ظل الا ظله وروي بريدة عنه أنه قال من انظر معسراً كان له بكل يوم صدقة وفي هذه الآية دلالة على ان الإنسان ان علم ان غريمه معسر حرم عليه حبسه وملازمته ومطالبته بماله عليه وانا يجب عليه انظاره انتظاراً لليسارة وان الصدقة برأس المال على المعسر خير وافضل من انتظار يسره وروي عن ابن عباس وابن عمر آخر ما نزلت من القرآن آي الربا.

﴿ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾

[**القراءة**] قرأ أبو عمرو ويعقوب بفتح التاء والباقون بضمها.

[**الحجة**] حجة أبي عمرو قوله إن الينا إيابهم فأضاف المصدر إلى الفاعل فهذا بمنزلة تَرْجِعُون(١)وآب مثل رجع ومن حجته قوله وإنا إليه راجعون فإلينا مرجعهم.

[**الإعراب**] يوماً منصوب لأنه مفعول به ولا ينتصب على الظرف لأنه ليس المعنى اتقوا في هذا اليوم وقوله ترجعون فيه إلى الله جملة في موضع نصب بكونه صفة لقوله يوماً وتوفي كل نفس ما كسبت في موضع نصب بأنه عطف على صفة يوم إلا انه حذف منه فيه لدلالة الأول عليه.

[**النزول**] هذا آخر آية نزلت من القرآن وقال جبرائيل ضعها في رأس الثمانين والمأتين من البقرة عن ابن عباس والسدي قال المفسرون لما نزلت هذه الآية انك ميت

(١) [ترجعون].

وانهم ميتون قال رسول الله ﷺ ليتني اعلم متى يكون ذلك نزول الله تعالى سورة النصر إذا جاء نصر الله والفتح فكان رسول الله ﷺ يسكت بين التكبير والقراءة بعد نزول هذه السورة فيقول سبحان الله وبحمده واستغفر الله وأتوب إليه فقيل له أنك لم تكن تقوله قبل هذا فقال اما ان نفسي نعيت إليّ ثم بكى بكاءً شديداً فقيل يا رسول الله أو تبكي من الموت وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال فأين هول المطلع واين ضيق القبر وظلمة اللحد وأين القيامة والاهوال فعاش رسول الله ﷺ بعد نزول هذه السورة عاماً تاماً ثم نزلت لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه إلى آخر السورة وهذه السورة آخر سورة كاملة نزلت من القرآن فعاش رسول الله ﷺ بعدها ستة اشهر ثم لما خرج رسول الله إلى حجة الوداع نزلت عليه في الطريق يستفتونك في النساء قل الله يفتيكم إلى آخرها فسميت آية الصيف ثم نزل عليه وهو واقف بعرفة اليوم أكملت لكم دينكم الآية فعاش بعدها احداً وثمانين يوماً ثم نزلت عليه آيات الربا ثم نزلت بعدها واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله وهي آخر آية نزلت من السماء فعاش رسول الله ﷺ بعدها احداً وعشرين يوماً وقال ابن جريج تسع ليال وقال سعيد بن جبير ومقاتل سبع ليال ثم مات يوم الاثنين لليلتين خلتا من ربيع الاول حين بزغت الشمس وروي اصحابنا لليلتين بقيتا من صفر سنة أحدى عشرة من الهجرة ولسنة واحدة من ملك اردشير بن شيرويه بن ابرويز بن هرمز بن انوشروان بنفسي هو ﷺ حياً وميتاً.

[**المعنى**] ثمَّ حذر سبحانه المكلفين من بعد ما تقدم من ذكر آي الحدود والاحكام فقال ﴿**واتقوا يوماً**﴾ معناه واحذروا يوماً واخشوا يوماً ﴿**ترجعون فيه إلى الله**﴾ تردّون جميعاً إلى جزاء الله ويقال إلى ملك الله لنفعكم وضركم دون غيره ممن ملكه إياه في دار الدنيا وهو المراد بكل ما في القرآن من هذا اللفظ لأن الله سبحانه لا يغيب عن أحد ولا يغيب احد عن علمه وملكه وسلطانه ويدلّ عليه قوله وهو معكم أينما كنتم وما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم وإنما خصّ يوم القيامة بهذه الصفة لأن الناس إذا حشروا انقطع امرهم وبطل ملكهم ولا يبقى لواحد منهم أمر ولا نهي كما قال سبحانه لمن الملك اليوم لله الواحد القهار ﴿ **ثم توفّى كل نفس ما كسبت**﴾ قيل فيه وجهان أحدهما توفى جزاء ما كسبت من الأعمال والثاني توفى ما كسبت من الثواب والعقاب لأن الكسب على وجهين كسب العبد لفعله وكسبه لما ليس من فعله كما يكسب المال ﴿**وهم لا يظلمون**﴾ معناه لا ينقصون ما يستحقونه من الثواب ولا يزاد عليهم ما يستحقونه من العقاب.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ
أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ وَلۡيَكۡتُب بَّيۡنَكُمۡ كَاتِبُۢ بِٱلۡعَدۡلِۚ
وَلَا يَأۡبَ كَاتِبٌ أَن يَكۡتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُۚ فَلۡيَكۡتُبۡ وَلۡيُمۡلِلِ
ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبۡخَسۡ مِنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ فَإِن
كَانَ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ سَفِيهًا أَوۡ ضَعِيفًا أَوۡ لَا يَسۡتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ
فَلۡيُمۡلِلۡ وَلِيُّهُۥ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَٱسۡتَشۡهِدُواْ شَهِيدَيۡنِ مِن رِّجَالِكُمۡۖ فَإِن لَّمۡ
يَكُونَا رَجُلَيۡنِ فَرَجُلٞ وَٱمۡرَأَتَانِ مِمَّن تَرۡضَوۡنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن
تَضِلَّ إِحۡدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحۡدَىٰهُمَا ٱلۡأُخۡرَىٰۚ وَلَا يَأۡبَ ٱلشُّهَدَآءُ
إِذَا مَا دُعُواْۚ وَلَا تَسۡـَٔمُوٓاْ أَن تَكۡتُبُوهُ صَغِيرًا أَوۡ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦۚ
ذَٰلِكُمۡ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقۡوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَرۡتَابُوٓاْۖ إِلَّآ أَن
تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةٗ تُدِيرُونَهَا بَيۡنَكُمۡ فَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَلَّا
تَكۡتُبُوهَاۗ وَأَشۡهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعۡتُمۡۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٞ وَلَا شَهِيدٞۚ وَإِن
تَفۡعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقُۢ بِكُمۡۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ
شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿٢٨٢﴾

[**القراءة**] قرأ حمزة وحده إن تضل بكسر الهمزة والباقون بفتحها وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وقتيبة فتذكر بالتخفيف والنصب وقرأ حمزة فتذكرُ بالتشديد والرفع وقرأ الباقون فتذكّرَ بالتشديد والنصب وقرأ عاصم وحده تجارة حاضرة بالنصب وقرأ الباقون بالرفع وقرأ أبو

جعفر ولا يضـار بتشديد الراء وتسكينها والباقون لا يضار بالنصب والتشديد.

[**الحجة**] الوجه في قراءة حمزة إن تضل إحداهما بكسر الهمزة وهو أنه جعل ان للجزاء والفاء في قوله فتذكر جواب الجزاء وموضع الشرط وجزائه رفع بكونهما وصفاً للمنكورين وهما المرأتان في قوله فرجل وامرأتان فقوله رجل وامرأتان خبر مبتدأ محذوف وتقديره فمن يشهد رجل وامرأتان ويجوز ان يكون رجل مرتفعاً بالابتداء وامرأتان معطوفتان عليه وخبر الابتداء محذوف وتقديره فرجل وامرأتان يشهدون وقوله ممن ترضون من الشهداء فيه ذكر يعود إلى الموصوفين الذين هم رجـل وامرأتان ولا يجوز ان يكون فيه ذكر لشهيدين المتقدم ذكرهما لاختلاف اعراب الموصوفين ألا ترى ان شهيدين منصوبان ورجل وامرأتان اعرابها الرفع فإذا كان كذلك علمت ان الوصف الذي هو ظرف إنما هو وصف لقوله فرجل وامرأتان دون من تقدم ذكرهما من الشهيدين والشرط وجزاؤه وصف لقوله وامرأتان لأن الشرط جملة يوصف بها كما يوصل بها في نحو قوله الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة واللام التي هي في قوله ان تضل فيمن جعل ان جزاء في موضع جزم وإنما حركت بالفتح لالتقاء الساكنين ولو كسرت للكسرة قبلها لكان جائزاً في القياس واما قوله فتذكر فقياس قول سيبويه في قوله تعالى ومن عاد فينتقم الله منه والآي التي تلاها معها ان يكون بعد الفاء في فتذكر مبتدأ محذوف ولو اظهرته لكان فهما تذكر أحداهما الأخرى فالذكر العائد إلى المبتدأ المحذوف الضمير في قوله أحداهما واما الأصل في تذكر فهو من الذكر الذي هو ضد النسيان وذكرت فعل يتعدى إلى مفعول واحد فإذا نقلته بالهمز أو ضعفت العين منه تعدى إلى مفعول آخر وذلك نحو فرّحته وافرحته فمن قرأ فتذكّر كان ممن جعل بالتضعيف ومن قرأ فتذْكر كان ممن نقل بالهمزة وكلاهما سايغ والمفعول الثاني في قوله فتذكر أحداهما الأخرى محذوف والمعنى فتذكر أحداهما الأخرى الشهادة التي تحملتاها واما ا قراءة الأكثرين وهو ان تضل بفتح الالف فأن يتعلق فيها بفعل مضمر دلّ عليه هذا الكلام وذلك أحد ثلاثة أشياء الأول هو ان قوله فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان يدل على قولك واستشهدوا رجلاً وامرأتين وعلى هذا فتقديره فليشهد رجل وامرأتان فتعلق ان إنما هو بهذا الفعل والثاني ما قاله أبو الحسن وهو ان تقديره فليكن رجل وامرأتان وعلى هذا فيكون معناه فليحدث شهادةرجل وامرأتين حذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه والثالث ان يضمر خبر المبتدأ الذي هو فرجل وامرأتان أي فرجل وامرأتان يشهدون فيكون يشهدون العامل في ان وموضع اضماره فيمن فتح الهمزة من ان تضل قبل ان وفيمن كسر ان بعد انقضاء الشرط بجزائه واما موضع ان هذه فنصب وتقديره لأن تضل

أحداهما فتذكر فإن قيل فإن الشهادة إنما وقعت للذكر والحفظ لا للضلال الذي هو النسيان فجوابه ان سيبويه قد قال أمر بالاشهاد لأن تذكر أحداهما الأخرى وإنما ذكر ان تضل لأنه سبب الأذكار كما يقال القائل اعددته ان يميل الحائط فادعمه وهو لا يطلب بذلك ميلان الحائط ولكنه اخبر بعلة الدعم وسببه وقوله فتذَكّر أو فتذكر بالنصب معطوف على الفعل المنصوب بأن وأما قراءة من قرأ إلا أن تكون تجارة حاضرة بالرفع فالوجه فيها ان يكون كان بمعنى وقع وحدث فكأنه قال الا ان تقع تجارة حاضرة مثل قوله وإن كان ذو عسرة وأما من نصب تجارة حاضرة فيكون على خبر كان ولم يخل اسم كان من أحد شيئين أحدهما ان يكون ما يقتضيه الكلام من الاشهاد والارتهان قد علم من فحواه التبايع فاضمر التبايع لدلالة الحال عليه كما يقال إذا كان غداً فاتني والآخر ان يكون اضمر التجارة فكأنه قال إلا ان تكون التجارة تجارة حاضرة ومثل ذلك قول الشاعر[١] :

فَدًى لِبَني ذُهْلِ بْنِ شَيْبَانَ نَاقَتي إِذَا كَانَ يَوْماً ذا كَواكِبَ أَشْنَعا

أي إذا كان اليوم يوماً واما قوله لا يضار ففيه قولان (أحدهما) ان اصله لا يضارِر فادغمت الراء في الراء وفتحت لالتقاء الساكنين فيكون معناه لا يكتب الكاتب إلا بالحق ولا يشهد الشاهد إلا بالحق (الثاني) ان اصله لا يضارَر بفتح الراء الأولى فأدغمت فيكون المعنى لا يُدع الكاتب على وجه يضرّ به وكذلك الشاهد والأول أبين واما قراءة أبي جعفر بتسكين الراء مع التشديد ففيه نظر ووجهه انه اجرى الوصل مجرى الوقت كقولهم (ببازل وجنا أو عيهل) وقد تقدم أمثاله.

[**اللغة**] تقول داينت الرجل مداينة إذا عاملته بدين اخذت منه أو اعطيته وتداين القوم أو الرجلان بمعناه قال الشاعر:

ذايَنْتُ ارْوى وَالدُّيُوْنُ تُقْضىٰ فَمَطَّلَتْ بَعْضاً وَأَدَتْ بَعْضا[٢]

ويقال دنت وادنت إذا اقترضت وادنت إذا اقرضت قال[٣] :

أدان وَانْبَأهُ الأَوَّلُوْنَ بأَنَّ المُدَانَ مَليءٌ وَفيَّ

والاملال والاملاء يقال امَلَّ عليه واملى عليه بمعنى والبخس النقص ظلما يقال

(١) هو رؤية بن العجاج.
(٢) اروى اسم امرأة.
(٣) وهو ابو ذؤيب.

بخسه حقه يبخسه بخساً وثمن بخس ناقص عن حقه والبخس فقول العين لأنه ادخال نقص على صاحبها والسفيه الجاهل واصل السفه الخفة قال الشاعر :

تَـخَـافُ أَنْ تَـسْـفَـهَ أَحْـلامُـنَـا فَتَخْـمِـلُ الـدَّهْـرَ مَـعَ الْخـامِلِ[1]

وإنما سمي الجاهل بالسفيه لخفة عقله وتقول من الاباء أبي يأبى ولم يأت مثله في اللغة لأنَّ فَعَلَ يَفْعل لا يأتي الاّ ان يكون في موضع العين من الفعل أو اللام حرف من حروف الحلق والقول فيه ان الالف من أبى اشبهت الهمزة فجاء يفعَل منه مفتوحاً لهذه العلة والضلال اصله الهلاك تقول العرب ضل الماء في اللبن ومنه قوله ان المجرمين في ضلال وسعر وقيل أصله الذهاب بحيث لا يوجد وقفيل ومنه ائذا ضللنا في الأرض والسأم الملل يقال سَئِم يَسأَم سأماً إذا ملّ من الشيء وضجر منه قال زهير:

سَئِمْتُ تَكَـالِيفَ الْحَيَـاةِ وَمَنْ يَعِشْ ثَمَـانِينَ حَـوْلاً لاَ أَبـالَـكَ يَسْـأَم

واقسط أي اعدل والقسط العدل يقال اقسط إذا عدل وقَسَطَ يَقْسِطُ قُسوطاً إذا جار والقِسْط الحصة.

[**المعنى**] لما أمر سبحانه بانظار المعسر وتأجيل دينه عَقبَّه ببيان احكام الحقوق المؤجلة وعقود المداينة فقال **﴿يا ايها الذين آمنوا﴾** أي صدقوا الله ورسوله **﴿إذا تداينتم﴾** أي تعاملتم وداين بعضكم بعضاً **﴿بدين﴾** قيل فيه قولان (أحدهما) أنه على وجه التأكيد وتمكين المعنى في النفس كقوله تعالى ولا طائر يطير بجناحيه (والآخر) أنه إنما قال بدين لأن تداينتم قد يكون بمعنى تجازيتم من الدين الذي هو الجزاء وقد يكون بمعنى تعاملتم بدين فقيده بالدين لتخليص اللفظ من الاشتراك **﴿إلى أجل مسمى﴾** أي وقت مذكور معلوم بالتسمية قال ابن عباس ان الآية وردت في السَلَم خاصة وكان يقول اشهد ان الله اباح السلم المضمون إلى اجل معلوم وانزل فيه اطول آية من كتابه وتلا هذه الآية وظاهر الآية يقع على كل دين مؤجل سَلَما كان أو غيره وعليه المفسرون والفقهاء **﴿فاكتبوه﴾** معناه فاكتبوا الدين في صكٍّ لئلا يقع فيه نسيان أو جحود وليكون ذلك توثقة للحق ونظراً للذي له الحق وللذي عليه الحق وللشهود فوجه النظر للذي له الحق أن يكون حقه موثقاً بالصك والشهود فلا يضيع حقه ووجه النظر للذي عليه الحق ان يكون ابعد به من الجحود فلا يستوجب النقمة والعقوبة وجه النظر للشهود أنه إذا كتب بخطه كان ذلك اقوم للشهادة وابعد من

(١) خمل ذكره : خفي. الخامل: الساقط لانباهة له.

السهو واقرب إلى الذكر واختلف في هذا الأمر فقيل هو مندوب إليه عن ابي سعيد الخدري والحسن والشعبي وهو الأصح وعليه الاكثر وقيل هو فرض عن الربيع وكعب ويدل على صحة القول الاول قوله فإن أمن بعضكم بعضاً فليؤد الذي اؤتمن أمانته والمفهوم من هذا الظاهر فإن ائتمنه على ماله ان يأتمنه عليه ثم بَيّن كيفية الكتابة فقال **﴿وليكتب بينكم كاتب بالعدل﴾** يعني وليكتب كتاب المداينة أو البيع بين المتعاقدين كاتب بالقسط والانصاف والحق لا يزيد فيه ولا ينقص منه في صفة ولا مقدار ولا يستبدل ولا يكتب شيئاً يضر بأحدهما إلّا بعلمه **﴿ولا يأب كاتب﴾** أي ولا يمتنع كاتب من **﴿ان يكتب﴾** الصك على الوجه المأمور به **﴿كما علمه الله﴾** من الكتابة بالعدل وقيل كما فضله الله تعالى بتعليمه إياه فلا يبخل على غيره بالكتابة واختلف في الكتابة هل هي فرض أم لا فقيل هي فرض على الكفاية كالجهاد ونحوه عن الشعبي وجماعة من المفسرين واختاره الرماني والجبائي وجوز الجبائي ان يأخذ الكاتب والشاهد الأجرة على ذلك قال الشيخ أبو جعفر الطوسي وعندنا لا يجوز ذلك والورق الذي يكتب فيه على صاحب الدين دون من عليه الدين ويكون الكتاب في يده لأنه له وقيل واجب على الكاتب ان يكتب في حال فراغه عن السدي وقيل واجب عليه ان يكتب إذا أمر عن مجاهد وعطا وقيل ان ذلك في الموضع الذي لا يقدر فيه على كاتب غيره فيضر بصاحب الدين إن امتنع فإذا كان كذلك فهو فريضة وان قدر على كاتب غيره فهو في سعة إذا قام به غيره عن الحسن وقيل كان واجباً ثم نسخ بقوله ولا يضار كاتب ولا شهيد عن الضحاك **﴿فليكتب﴾**أمر للكاتب أي فليكتب الصك على الوجه المأمور به وكانت الكَتَبة على عهد رسول الله ﷺ فيهم قلة فلذلك اكد بقوله فليكتب إذ الجمع بين الأمر بالشيء والنهي عن تركه ادْعَى إلى فعله من الاقتصار على أحدهما ثم بَيّن سبحانه كيفية الأملاء على الكاتب فقال سبحانه **﴿وليملل الذي عليه الحق﴾** يعني المديون يُقِرّ على نفسه بلسانه ليعلم ما عليه فليكتب **﴿وليتق الله ربه﴾** أي الذي عليه الحق في الاملاء **﴿ولا يبخس﴾** أي ولا ينقص **﴿منه﴾** أي من الحق **﴿شيئاً﴾** لا من قدره ولا من صفته ثم بين الله تعالى حال من لا يصح منه الإملاء فقال **﴿فإن كان الذي عليه الحق سفيهاً﴾** أي جاهلاً بالاملاء عن مجاهد وقيل صغير اطفلاً عن السدي والضحاك وقيل عاجزاً احمق عن ابن زيد **﴿أو ضعيفاً﴾**أي ضعيف العقل من عَتَهٍ أو جنون وقيل شيخاً خرفاً **﴿أو لا يستطيع ان يمل هو﴾** أي مجنوناً وقيل عَيِيّا اخرس عن ابن عباس وقيل الأقرب ان يحمل على ثلاث صفات لكيلا يؤدي إلى التكرار ثم اختلف في ذلك فقيل السفيه المجنون والضعيف الصغير ومن لا يستطيع ان يمل الأخرس ونحوه ثم يدخل

في كل واحد من هو في معناه وقيل السفيه المبذّر والضعيف الصبي المراهق ومن لا يستطيع ان يُمل المجنون عن القاضي **﴿فليملل وليه بالعدل﴾** قيل معناه فليملل ولي الذي عليه الحق إذا عجز عن الأملاء بنفسه عن الضحاك وابن زيد وقيل معناه ولي الحق وهو الذي له الحق عن ابن عباس لأنه أعلم بدينه فيملي بالحق والعدل ثم أمر سبحانه بالأشهاد فقال **﴿واستشهدوا شهيدين من رجالكم﴾** يعني أطلبوا الشهود واشهدوا على المكتوب رجلين من رجالكم أي من أهل دينكم وقال مجاهد معناه من الأحرار العالمين البالغين المسلمين دون العبيد والكفار والحرية ليست بشرط عندنا في قبول الشهادة وإنما اشترط الإسلام مع العدالة وبه قال شريح والليثي وأبو ثور وقيل هذا امر للقضاة بأن يلتمسوا عند القضاء بالحق شهيدين من المدعي عند إنكار المدعى عليه فيكون السين في الحالتين سين السؤال والطلب **﴿فإن لم يكونا رجلين﴾** يعني فإن لم يكن الشهيدان رجلين **﴿فرجل وامرأتان﴾** أي فليكن رجل وامرأتان أو فليشهد رجل وامرأتان **﴿ممن ترضون من الشهداء﴾** عدالته وهذا يدل على ان العدالة شرط في الشهود ويدل ايضاً على انا لم نتعبد باشهاد مرضيين على الاطلاق لقوله ممن ترضون ولم يقل من المرضيين لأنه لا طريق لنا إلى معرفة من هو مرضي عند الله تعالى وإنما تعبدنا باشهاد من هو مرضي عندنا في الظاهر وهو من نرضى دينه وامانته ونعرفه بالستر والصلاح **﴿ان تضل إحداهما﴾** أي تنسى أحدى المرأتين **﴿فتذكر أحداهما الأخرى﴾** قيل هو من الذكر الذي هو ضد النسيان عن الربيع والسدي والضحاك وأكثر المفسرين والتقدير فتذكر أحداهما الأخرى الشهادة التي تحملتاها ومن قرأ فتذُكِر بالتخفيف من الأذكار فهو بهذا المعنى أيضاً أي يقول لها هل تذكرين يوم شهدنا في موضع كذا وبحضرتنا فلان أو فلانة حتى تذكر الشهادة وهذا لأن النسيان يغلب على النساء اكثر مما يغلب على الرجال وقيل هو من الذكر أي يجعلها كذكر من الرجال عن سفيان بن عيينة والاول اقوى فإن قيل لم كرّر لفظة أحداهما وهلا قال فتذكرها الأخرى فجوابه على وجهين (أحدهما) أنه إنما كرر ليكون الفاعل مقدماً على المفعول ولو قال فتذكرها الأخرى لكان قد فصل بين الفعل والفاعل بالمفعول وذلك مكروه (والثاني) ما قاله حسين بن علي المغربي ان معناه ان تضل أحدى الشهادتين أي تضيع بالنسيان فتذكر احدى المرأتين الأخرى لئلا يتكرر لفظ أحداهما بلا معنى ويؤيد ذلك أنه لا يسمى ناسي الشهادة ضالاً ويقال ضلت الشهادة إذا ضاعت كما قال سبحانه قالوا ضلوا عنا أي ضاعوا منا ثم خاطب سبحانه الشهود فقال **﴿ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا﴾** وفي معناه ثلاثة أقوال (أحدها) ان معناه ولا يمتنع الشهداء إذا دعوا لاقامة الشهادة عن مجاهد وعطا وسعيد بن

جبير وهذا إذا كانوا عالمين بالشهادة على وجه لا يرتابون فيه ولم يخافوا من ادائها ضرراً (والثاني) ان معناه إذا دعوا لاثبات الشهادة وتحملها عن قتادة والربيع (والثالث) ان معناه إذا دعوا إلى اثبات الشهادة وإلى اقامتها عن ابن عباس والحسن وعن أبي عبد الله (ع) وهو اولى لأنه اعم فائدة **﴿ولا تسأموا﴾** أي ولا تضجروا ولا تملوا **﴿ان تكتبوا﴾** أي تكتبوا الحق (صغيراً) كان الحق (أو كبيراً) وقيل ان هذا خطاب للشاهد ومعناه لا تملوا أن تكتبوا الشهادة على الحق **﴿إلى أجله﴾** أي إلى اجل الدين وقيل معناه إلى أجل الشاهد أي إلى الوقت الذي تجوز فيه الشهادة والأول أقوى **﴿ذلكم﴾** الكتاب أو كتابة الشهادة والصك **﴿اقسط﴾** أي اعدل **﴿عند الله﴾** لأنه سبحانه أمر به واتباع أمره أعدل من تركه **﴿واقوم للشهادة﴾** أي أصوب للشهادة وأبعد من الزيادة والنقصان والسهو والغلط والنسيان وقيل معناه أحفظ للشهادة مأخوذ من القيام على الشيء بمعنى الحفظ **﴿وادنى ألا ترتابوا﴾** أي اقرب إلى أن لا تشكوا في مبلغ الحق والأجل **﴿إلا أن تكون تجارة﴾** معناه الّا ان تقع تجارة أي مداينة ومبايعة حاضرةً حالّةً يداً بيد ومن قرأ بالنصب فمعناه إلا أن تكون التجارة تجارة **﴿حاضرة تديرونها بينكم﴾** أي تتناقلونها من يد إلى يد نقداً لا نسيئة **﴿فليس عليكم جناح﴾** أي حرج وضيق **﴿ألا تكتبوها﴾** ومعناه فليس عليكم إثم في ترك كتابتها لأن الكتابة للوثيقة ولا يحتاج إلى الوثيقة إلا في النسيئة دون النقد **﴿وأشهدوا إذا تبايعتم﴾** أي واشهدوا الشهود على بيعكم إذا تبايعتم وهذا أمر على الاستحباب والندب عن الحسن وجميع الفقهاء. وقال اصحاب الظاهر الاشهاد فرض في التبايع **﴿ولا يضار كاتب ولا شهيد﴾** اصله يضارر بكسر الراء الاولى عن الحسن وقتادة وعطا وابن زيد فيكون النهي للكاتب والشاهد عن المضارة فعلى هذا فمعنى المضارة أن يكتب الكاتب ما لم يمل عليه ويشهد الشاهد بما لم يستشهد فيه أو بأن يمتنع من اقامة الشهادة وقيل الأصل فيه لا يضارر بفتح الراء الاولى عن ابن مسعود ومجاهد فيكون معناه لا يكلف الكاتب الكتابة في حال عذر ولا يتفرغ إليها ولا يُضيّق الأمر على الشاهد بأن يدعى إلى اثبات الشهادة واقامتها في حال عذر ولا يعنف عليهما قال الزجاج والاول أبين لقوله **﴿وان تفعلوا فإنه فسوق بكم﴾** فالفاسق اشبه بغير العدل وبمن حرف الكتاب منه بالذي دعا شاهداً ليشهد أو دعاً كاتباً ليكتب وهو مشغول وقال غيره معناه وان تفعلوا مضارة الكاتب والشهيد فإن المضارة في الكتابة والشهادة فسوق بكم أي خروج عما أمر الله سبحانه به **﴿واتقوا الله﴾** فيما أمركم به ونهاكم عنه **﴿ويعلمكم الله﴾** ما تحتاجون إليه من أمور دينكم **﴿والله بكل شيء عليم﴾** أي عليم بذلك وبكل ما سواه من المعلومات وذكر علي بن ابراهيم بن هاشم في تفسيره ان في البقرة خمسمائة حكم وفي

هذه الآية خاصة خمسة عشر حكماً.

﴿ * وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ ۖ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ ۗ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَٰدَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾

[**القراءة**] قرأ ابن كثير وأبو عمرو فَرُهُنٌ على وزن فُعُل والباقون فرهان عى وزن فعال.

[**الحجة**] قال أبو علي الرَّهْن مصدر ولما نقل فسمي به كُسِر كما تكسر الاسماء وجمع على بناءين من ابنية الجموع وهو فُعُل وفِعال وكلاهما من ابنية الكثير وقد يخفف العين مِن رُهُن كما خفف في رسل وكتب ومثل رهن ورهن سقف وسقف وقال الأعشى:

آلَيْتُ لا أُعْـطِيــهِ مِنْ أَبْنَـائِنَـا رُهُنـاً فَيُفْسِدَهُم كَمَنْ قَـدْ أَفْسَـدَا

[**اللغة**] يقال رهنت عند الرجل رهناً ورهنته رهناً وانا ارهنه إذا وضعته عنده ورهنته ضيعة وقالوا ارهنته أيضاً وفعلت فيه أكثر قال[١]:

يُـراهِـنُني فَيَـرْهَـنُنِي بَنِيـه وَأَرْهَنُــهُ بَنِيَّ بِمَـا أَقُـولُ

قال الاصمعي من روى بيت ابن همام.

فَـلَمَّـا خَشِيـتُ أظـافِيـرَهُـمْ نَـجَـوْتُ وَأَرْهَنْـتُـهُـمْ مَـالِـكـا

فقد اخطأ إنما الرواية وارهنهم مالكاً كما تقول وثبت إليه واصك عينه ونهضت إليه واخذ بشعره وتقول ارهنت لهم الطعام أي أدمتـه لهم وارهيته بمعناه والطعام راهن وراه وقد أرهنت في ثمن السلعة إذا أسلفت فيه قال (عِيْدِيَّة أُرهِنت فيهاالدنانير)[٢] وأما قول النبي ﷺ لا يغلق الرهن فمعناه ان يقول الراهن ان جئتك بفكاكه إلى شهر وإلا فهو لك

(١) وهو احيحة بن الجلاح.

(٢) عيديه: نوق من كرام النجائب منسوبة الى فحل منجب والقائل: رذاذ الكلبي، وله: ظلت تجول بها البلدان ناجيه.

بالدين فهذا باطل بلا خلاف.

[**المعنى**] ثم ذكر سبحانه حكم الوثيقة بالرهن عند عدم الوثيقة بالاشهاد فقال ﴿**وان كنتم**﴾ أيها المتداينون المتبايعون ﴿**على سفر**﴾ أي مسافرين ﴿**ولم تجدوا كاتباً**﴾ للصك ولا شهوداً تشهدونهم ﴿**فرهان مقبوضة**﴾ تقديره فالوثيقة رهن فيكون رهن خبر مبتدأ محذوف ويجوز أن يكون التقدير فرهان مقبوضة يقوم مقام الوثيقة بالصك والشهود والقبض شرط في صحة الرهن فإن لم يقبض لم ينعقد الرهن بالاجماع ﴿**فإن أمن بعضكم بعضاً**﴾ أي فإن أمن صاحب الحق الذي عليه الحق ووثق به وائتمنه على حقه ولم يستوثق منه بصك ولا رهن ﴿**فليؤد الذي ائتمن**﴾ أي الذي عليه الحق ﴿**أمانته**﴾ بأن لا يجحد حقه ولا يبخس منه شيئاً ويؤديه إليه وافياً وقت محله من غير مطل ولا تسويف واراد بقوله امانته أي ما أؤتمن فيه فهو مصدر بمعنى المفعول ﴿**وليتق الله ربه**﴾ معناه وليتق الذي عليه الحق عقوبة الله ربه فيما ائتمن عليه بجحوده أو النقصان منه ﴿**ولا تكتموا الشهادة**﴾ يعني بعد تحملها وهو خطاب للشهود ونهي لهم عن كتمان الشهادة إذا دعوا اليها ﴿**ومن يكتمها**﴾ أي ومن يكتم الشهادة مع علمه بالمشهود به وعدم ارتيابه فيه وتمكنه من ادائها من غير ضرر بعد ما دعي إلى اقامتها ﴿**فإنه آثم قلبه**﴾ اضاف الإثم إلى القلب وان كان الآثم هو الجملة لأن اكتساب الإثم بكتمان الشهادة يقع بالقلب لأن العزم على الكتمان إنما يقع بالقلب ولأن اضافة الإثم إلى القلب ابلغ في الذم كما ان اضافة الإيمان إلى القلب ابلغ في المدح قال تعالى أولئك كتب في قلوبهم الإيمان ﴿**والله بما تعملون**﴾ أي ما تسرونه وتكتمونه ﴿**عليم**﴾ وروي عن النبي ﷺ انه قال لا ينقضي[1] كلام شاهد زور من بين يدي الحاكم حتى يتبوأ مقعده من النار وكذلك من كتم الشهادة وفي قوله تعالى فإن أمن بعضكم بعضاً دلالة على ان الاشهاد والكتابة في المداينة ليسا بواجبين وإنما هو على سبيل الاحتياط وتضمنت هذه الآية ومنا قبلها من بدائع لطف الله تعالى ونظره لعباده في أمر معاشهم ومعادهم ونعليهم مالا يسعهم جهله ما فيه بصيرة لمن تبصر وكفاية لمن تفكر.

﴿ لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ

(١) [لا ينقضي لا ينقضي].

وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾

[**القراءة**] قرأ ابن عامر وعاصم وأبو جعفر ويعقوب فيغفرُ ويعذبُ بالرفع وقرأ الباقون بالجزم فيهما.

[**الحجة**] قال أبو علي وجه قول من جزم أنه اتبعه ما قبله ولم يقطعه منه وهذا أشبه بما عليه كلامهم ألا ترى أنهم يطلبون المشاكلة ويلزمونها فمن ذلك إن ما كان معطوفاً على جملة من فعل وفاعل واشتغل عن الاسم الذي من الجملة التي يعطف عليها الفعل يختار فيه النصب ولو لم يكن قبله الفعل والفاعل لاختاروا الرفع وعلى هذا ما جاء في التنزيل نحو قوله وكُلاًّ ضربنا له الأمثال وقوله فريقاً هدى وفريقاً حق عليهم الضلالة فكذلك، ينبغي ان يكون الجزم أحسن ليكون مشاكلاً لما قبله في اللفظ وهذا النحو من طلبهم المشاكلة كثير ومن لم يجزم قطعه من الأول وقطعه منه على احد وجهين أما أن يجعل الفعل خبراً لمبتدأ محذوف وأما ان يعطف جملة من فعل وفاعل على ما تقدمها.

[**المعنى**] **﴿لله ما في السموٰات وما في الارض﴾** اللام لام الملك أي له تصريف السموات والأرض وما فيهما وتدبيرهما لقدرته على ذلك ولأنه الذي أبدعهما وأنشأهما فجميع ذلك ملكه وما ملكه يصرفه كما يشاء **﴿وإن تبدوا ما في أنفسكم﴾** وتعلنوه أي تظهروا ما في انفسكم من الطاعة والمعصية **﴿أو تخفوه﴾** أي تكتموه **﴿يحاسبكم به الله﴾** أي يعلم الله ذلك فيجازيكم عليه وقيل معناه ان تظهروا الشهادة او تكتموها فإن الله يعلم ذلك ويجازيكم به عن ابن عباس وجماعة وقيل انها عامة في الاحكام التي تقدم ذكرها في السورة خوَّفهم الله سبحانه من العمل بخلافها وقال قوم ان هذه الآية منسوخة بقوله لا يكلف الله نفساً إلا وسعها ورووا في ذلك خبراً ضعيفاً وهذا لا يصح لأن تكليف ما ليس في الوسع غير جائز فكيف ينسخ وإنما المراد بالآية ما يتناوله الأمر والنهي من الاعتقادات والارادات وغير ذلك مما هو مستور عنا فأما ما لا يدخل في التكليف من الوساوس والهواجس وما لا يمكن التحفظ عنه من الخواطر فخارج عنه لدلالة العقل ولقوله ﷺ تجوز لهذه الأمة عن نسيانها وما حدثت به أنفسها فعلى هذا يجوز ان تكون الآية الثانية بيّنت للأولى وازالت توهم من صرف ذلك إلى غير وجهه وظن ان ما يخطر بالبال أو تتحدث به النفس مما لا يتعلق بالتكليف فإن الله يؤاخذ به والأمر بخلاف ذلك وقوله **﴿فيغفر لمن يشاء﴾** أي يغفر لمن يشاء منهم رحمة وفضلاً **﴿ويعذب من يشاء﴾** منهم ممن يستحق العقاب عدلاً **﴿والله على كل شيء قدير﴾** من المغفرة والعذاب عن ابن عباس ولفظ الآية

عام في جميع الاشياء والقول فيما يخطر بالبال من المعاصي ان الله تعالى لا يؤاخذ به وإنما يؤاخذ بما يعزم الانسان ويعقد قلبه عليه مع امكان التحفظ عنه فيصير من افعال القلب فيجازيه به كما يجازيه بأفعال الجوارح وإنما يجازيه جزاء العزم لا جزاء عين تلك المعصية لأنه لم يباشرها وهذا بخلاف العزم على الطاعة فإن العازم على فعل الطاعة يجازى على عزمه ذلك جزاء تلك الطاعة كما جاء في الأخبار ان المنتظر للصلاة في الصلاة ما دام ينتظرها وهذا من لطائف نعم الله تعالى على عباده.

[**النظم**] ذكر في كيفية اتصال هذه الآية بما قبلها وجوه (أحدها) انه لما فرغ من بيان الشرائع ختم السورة بالتوحيد والموعظة والأقرار بالجزاء (والثاني) أنه لما قال والله بكل شيء عليم اتبعه بأنه لا يخفى عليه شيء لأن له ملك السموات والأرض عن أبي مسلم (والثالث) أنه لما أمر بهذه الوثائق بين أنه إنما يعتد بها لأمر يرجع إلى المكلفين لا لأمر يرجع إليه فإن له ما في السموات وما في الأرض.

﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥ ﴾

[**القراءة**] قرأ أهل الكوفة غير عاصم وكتابه والباقون وكتبه على الجمع وقرأ يعقوب لا يفرق بالياء والباقون بالنون.

[**الحجة**] من قرأ كتابه على الواحد ففيه وجهان (أحدهما) أنه بمعنى القرآن (والثاني) أنه بمعنى الجنس فيوافق القراءة الأخرى على الجمع وقد جاء المضاف من الاسماء بمعنى الكثرة نحو قوله وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها وفي الحديث منعت العراق درهمها وقفيزها فهذا يراد به الكثرة كما يراد بما فيه لام التعريف والإختيار فيه الجمع ليشاكل ما قبله وما بعده ولأن اكثر القراء عليه ومن قرأ لا يفرق فعلى تقدير لا يفرق الرسول أو كل لا يفرق والنون على تقدير وقالوا لا نفرق كقوله ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا أي ويقولون ربنا أبصرنا.

[**الاعراب**] غفرانك نصب على أنه بدل من الفعل المأخوذ منه فكأنه قيل اللهم اغفر لنا غفرانك واستغنى بالمصدر عن الفعل في الدعاء فصار بدلاً عنه معاقباً له.

[**المعنى**] لما ذكر الله تعالى فرض الصلاة والزكاة واحكام الشرع واخبار الأنبياء ختم السورة بذكر تعظيمه وتصديق نبيه ﷺ بجميع ذلك فقال ﴿**آمن الرسول** ﴾ أي صدّق محمد ﷺ ﴿**بما أنزل إليه من ربه**﴾ من الأحكام المذكورة في السورة وغيرها ﴿**والمؤمنون كل**﴾ أي كل واحد منهم ﴿**آمن بالله**﴾ أي صدّق باثباته وصفاته ونفي التشبيه عنه وتنزيهه عما لا يليق به ﴿**وملائكته**﴾ أي وبملائكته وبأنهم معصومون مطهرون ﴿**وكتبه**﴾ أي وبأن القرآن وجميع ما أنزل من الكتب حقّ وصدق ﴿**ورسله**﴾ وبجميع أنبيائه ﴿**لا نفرق بين أحد من رسله**﴾ أي ويقولون لا نفرق بين أحد من رسل الله في الايمان بأن نؤمن ببعض ونكفر ببعض كما فعله اهل الكتاب من اليهود والنصارى ﴿**وقالوا سمعنا وأطعنا**﴾ معناه سمعنا قولك وأطعنا امرك إذا جعلته راجعاً إلى الله أو سمعنا قوله وأطعنا أمره إذا جعلته راجعاً إلى النبي ﷺ وقيل معناه سمعنا قول الله وقول الرسول سماع القائلين[1] المطيعين وذلك خلاف ما اخبر الله تعالى عن الكفار حيث قالوا سمعنا وعصينا ﴿**غفرانك ربنا**﴾ أي يقولون يا ربنا اغفر لنا وقيل معناه يقولون نسألك غفرانك ﴿**وإليك المصير**﴾ معناه إلى جزائك المصير فجعل مصيرهم إلى جزائه مصيراً إليه كقول إبراهيم إني ذاهب إلى ربي سيهدين ومعناه إلى ثواب ربي أو إلى ما أُمرني به ربي وهذا هو اقرار بالبعث والنشور.

﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ
لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن
نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ
مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ
لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾

(١) [والمؤمنين].

[**اللغة**] الوسع ما دون الطاقة ويسمى ذلك وسعاً بمعنى انه يسع الإنسان ولا يضيق عنه واخطأنا أي كسبنا خطيئة وقال أبو عبيدة اخطأ وخِطىءَ لغتان والفرق بين اخطأ وخطىء ان اخطأ قد يكون على وجه الأثم وغير الأثم فأما خطىء فالاثم لا غير قال الشاعر:

وَالنـاسُ يَلْحُـونَ الأميـرَ إذا هُمُ   خَـطِئُوا الْصَّـوابَ وَلا يلاَمُ الْمُـرشِدُ[1]

والاصر في اللغة الثقل قال النابغة:

يـا مانِـعَ الْضَيْمَ أنْ يَغْشى سُراتَهُمْ   وَالحامِلَ الأَصْرَ عَنْهُمْ بَعْدَما غـرِقُوا[2]

وكل ما عطفك على شيء من عهد أو رحم فهو اصر وجمعه اصار ويقال أَصَرَه يأصره اصراً والاسم الأَصرقال النابغة.

يـا ابنَ الحَـواضِنِ وَالحْـاضِنا   تِ أَتَنْقُضُ إصْرَكَ حالاً فَحالاً

اي عهدك والآصرة صلة الرحم للعطف لها قال الكميت.

نَضَحْتُ آديمَ الـوُدِّ بَيْني وَبيْنَهُـمْ   بـآصِـرَةِ الأرْحـام لَـوْ تَتَبَلَّلُ[3]

[**المعنى**] ثم بيّن سبحانه أنه فيما أمر ونهى لا يكلف إلا دون الطاقة فقال ﴿**لا يكلف الله نفساً إلا وسعها**﴾ أي لا يأمر ولا ينهي أحداً إلا ما هو له مستطيع وقيل ان معنى قوله إلا وسعها إلا يسرها دون عسرها ولم يكلفها طاقتها ولو كلفها طاقتها لبلغ المجهود منها عن سفيان بن عيينة وهذا قول حسن وفي هذا دلالة على بطلان قول المجبرة في تجويز تكليف العبد ما لا يطيقه لأن الوسع هو ما يتسع له قدرة الانسان وهو فوق المجهود واستفراغ القدرة وقال بعضهم ان معناه إلا ما يسعها ويحل لها وهذا خطأ لأن من قال لعبده لآمرك إلا بما اطلق لك[4] أن تفعله لكان ذلك غياً منه وخطأ لأن نفس أمره اطلاق فكأنه قال لا اطلق لك ولا أمرك إلا بما امرك وقوله ﴿**لها ما كسبت**﴾ معناه لها ثواب ما كسبت من الطاعات ﴿**وعليها**﴾ جزاء ﴿**ما اكتسبت**﴾ من السيئات ويجوز أيضاً ان يسمى الثواب والعقاب كسباً من حيث حصلا بكسبه ﴿**ربنا لا تؤاخذنا**﴾ قيل تقديره قولوا ربنا على جهة التعليم للدعاء عن الحسن وقيل تقديره يقولون ربنا على جهة الحكاية والثناء ﴿**ان نسينا أو أخطأنا**﴾ قيل فيه وجوه (أحدها) أن المراد بنسينا تركنا كقوله تعالى﴿**نسوا الله فنسيهم**﴾ أي

---

(١) قائله عبيد بن الابرص جاهلي قديم. ولحي فلاناً: لامه وسبه.

(٢) الضيم: الظلم. وسراة القوم: سادتهم.

(٣) بَلَّ رَّحمة: وصله.   (٤) [الا ما اطلق لك].

تركوا طاعته فتركهم من ثوابه وقوله ﴿ وتنسون أنفسكم ﴾ ومنه قول الشاعر:

وَلَمْ أَكُ عِنْدَ الْجُودِ لِلْجُودِ قَالِياً ... وَلَا كُنْتُ يَوْمَ الرَّوْعِ لِلْطَعْنِ نَاسِيا[1]

أي تاركاً والمراد بأخطأنا أذنبنا لأن المعاصي توصف بالخطأ من حيث أنها ضد الصواب وإن كان فاعلها متعمداً فكأنه تعالى أمرهم أن يستغفروا مما تركوه من الواجبات ومما فعلوه من المقبحات (والثاني) معنى قوله ان نسينا ان تعرّضنا لاسباب يقع عندها النسيان عن الأمر والغفلة عن الواجب أو اخطأنا أي تعرضنا لأسباب يقع عندها الخطأ ويحسن الدعاء بذلك كما يحسن الاعتذار منه (والثالث) ان معناه لا تؤاخذنا أن نسينا أي إن لم نفعل فعلاً يجب فعله على سبيل السهو والغفلة أو أخطأنا أي فعلنا فعلاً يجب تركه من غير قصد ويحسن هذا في الدعاء على سبيل الانقطاع إلى الله تعالى واظهار الفقر إلى مسألته والاستعانة به وان كان مأموناً منه المؤاخذة بمثله ويجري ذلك مجرى قوله فيما بعد ﴿ولا تحملنا مالا طاقة لنا به﴾ على أحد الأجوبة وقوله رب احكم بالحق وقد تقدم ذكر أمثاله (والرابع) ما روي عن ابن عباس وعطاء ان معناه لا تعاقبنا ان عصينا جاهلين أو متعمدين وقوله ﴿ربنا لا تحمل علينا اصراً﴾ قيل فيه وجهان (أحدهما) ان معناه لا تحمّل علينا عملاً[2] نعجز عن القيام به ولا تعذبنا بتركه ونقضه عن ابن عباس وقتادة ومجاهد والربيع والسدي (والثاني) ان معناه لا تحمل علينا ثقلاً عن الربيع ومالك وعطاء يعني لا تشدد الأمر علينا ﴿كما حملته على الذين من قبلنا﴾ أي على الأمم الماضية والقرون الخالية لأنهم كانوا إذا ارتكبوا خطيئة عجلت عليهم عقوبتها وحرم عليهم بسببها ما أحل لهم من الطعام كما قال تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم واخذ عليهم من العهود والمواثيق وكلفوا من انواع التكاليف ما لم يكلف هذه الأمة تخفيفاً عنها ﴿ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به﴾ قيل فيه وجوه (أحدها) ان معناه ما يثقل علينا تحمله من انواع التكاليف والامتحان مثل قتل النفس عند التوبة وقد يقول الرجل لأمر يصعب عليه إني لا أطيقه (والثاني) أنّ معناه ما لا طاقة لنا به من العذاب عاجلاً وآجلاً (والثالث) أنه على سبيل التعبد وان كان تعالى لا يكلف ولا يحمل أحداً ما لا يطيقه كما ذكرنا قبل ﴿واعف عنا﴾ ذنوبنا ﴿واغفر لنا﴾ خطايانا اي استرها ﴿وارحمنا﴾ بانعامك علينا في الدنيا والعفو

---

(١) القالي : المبغض.

(٢) وفي جملة من النسخ «عهداً» بدل «عملاً».

في الآخرة وادخال الجنة ﴿**أنت مولانا**﴾ أي ولينا واولى بالتصرف فينا وناصرنا ﴿**فانصرنا على القوم الكافرين**﴾ أي اعنّا عليهم بالقهر لهم والغلبة بالحجة عليهم وقد روي عن النبي ﷺ ان الله سبحانه قال عند كل فصل من هذا الدعاء فعلت واستجبت ولهذا استحب الاكثار من هذا الدعاء ففي الحديث المشهور عن النبي ﷺ انه قال من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاة أي كفتا قيام ليلته وعن عبد الله بن مسعود قال لما اسري برسول الله ﷺ انتهى به إلى سدرة المنتهى واعطى ثلثاً الصلوات الخمس وخواتيم سورة البقرة وغفر لمن لا يشرك بالله من أمته إلا المُقحمات[1] وعن ابن المنكدر رفعه إلى النبي ﷺ قال في آخر سورة البقرة آيات انهن قرآن وانهن دعاء وانهن يرضين الرحمن وفي تفسير الكلبي بإسناده ذكره عن ابن عباس قال بينا رسول الله إذ سمع نقيضاً يعني صوتاً فرفع رأسه فإذا باب من السماء قد فتح فنزل عليه ملك وقال ان الله يبشرك بنورين لم يعطهما نبياً قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لا يقرأهما أحد إلا أعطيته حاجته وروي عن عبد الله بن مسعود أنه قال كان الرجل إذا تعلم سورة البقرة جَدَّ فينا أي عظم.

---

(١) اي الذنوب العظام التي تقحم اصحابها في النار اي تلقيهم فيها.

(٣) سورة آل عمران مدنية وآياتها مائتان

هي كلها مدنية عن ابن عباس وقتادة ومجاهد وجميع المفسرين عدد آيها مائتان إلا آية شامي ومائتان في الباقين خلافها في سبع آيات عدّ الكوفي آلم آية والإنجيل الثانية آية وترك وأنزل الفرقان وعدّ البصري ورسولاً إلى بني إسرائيل آية وترك الشامي التوراة والإنجيل الأول وعد مقام إبراهيم هو وأبو جعفر وترك أبو جعفر مما تحبون وعدّ أهل الحجاز حتى تنفقوا مما تحبون .

[**فضلها**] روى أبي بن كعب عن رسول الله (ﷺ) قال من قرأ سورة آل عمران أعطي بكل آية منها أماناً على جسر جهنم ، ابن عباس قال قال رسول الله (ﷺ) من قرأ سورة آل عمران يوم الجمعة صلّى الله عليه وملائكته حتى تَجِبَ الشمس ، بريدة قال قال رسول الله (ﷺ) تعلّموا سورة البقرة وسورة آل عمران فإنهما الزهراوان وأنهما تظلان صاحبهما يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيابتان أو فِرْقان من طير صواف .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴿٢﴾ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ

وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٥﴾

خمس آيات بلا خلاف إلا أن الكوفي عدَّ آلم آية وترك وأنزل الفرقان وغيرهم بالعكس من ذلك .

[**القراءة**] قرأ أبو جعفر والأعشى والبرجمي عن أبي بكر عن عاصم آلم الله بسكون الميم وقطع همزة الله وقرأ الباقون موصولاً وبفتح الميم وروي في الشواذ عن عمر بن الخطاب وابن مسعود وابراهيم النخعي والأعمش وعن زيد بن علي بن الحسين وعن جعفر بن محمد الصادق وعن النبي (ﷺ) الحي القيَّام وروي عن الحسن الإنجيل بفتح الهمزة .

[**الحجة**] قال أبو علي إتفاق الجميع على إسقاط الألف الموصولة في إسم الله تعالى دلّ على أن الميم ساكنة كما أن سائر حروف التهجي مبنية على الوقف فلما التقت الميم الساكنة ولام التعريف حركت الميم بالفتح للساكن الثالث الذي هو لام التعريف والدليل على أن التحريك للساكن الثالث وهو مذهب سيبويه أن حروف التهجي يجتمع فيها الساكنان نحو حا ميم عين سين قاف وذلك أنها مبنية على الوقف كما أن أسماء العدد كذلك فحركت الميم للساكن الثالث بالفتح كما حركت النون في قوله من الله بالفتح لالتقاء الساكنين وأما من قطع الألف فكأنه قدر الوقف على الميم واستأنف فقطع الهمزة لابتدائه بها وأما القيام فقد قال إبن جني أنه صفة على فيعال من قام يقوم ومثله من الصفة الغيداق وأصله من القيوام إلتقت الواو والياء وسبقت الأولى بالسكون فقلبت الواو ياء وادغم فيها الياء وقراءة الجماعة القيوم فيعول من هذا أيضاً وأما الإنجيل بفتح الهمزة فمثال غير معروف النظير في كلامهم لأنه ليس في كلامهم افعيل بفتح الهمزة ولو كان أعجمياً لكان فيه ضرب من الحجاج لكنه عندهم عربي وهو أفعيل من نَجَل يَنْجُل إذا أثار واستخرج ومنه نَجْلُ الرجل لولده لأنه استخرجهم من صلبه ومن بطن امرأته قال الأعشى :

أَنْـجَـبَ أَزْمَـانَ وَالِـداهُ بِـهِ إِذْ نَجَـلاهُ فَنِعْمَ مَـا نَـجَـلا[1]

أي أنجب والداه أزمان إذ نجلاه ففصل بين المضاف الذي هو ازمان وبين المضاف

(١) أي أتى بولد نجيب .

إليه الذي هو إذ كقولهم حينئذ ويومئذ بالفاعل وقيل له انجيل لأن به يستخرج علم الحلال والحرام كما قيل توراة وهي فوعلة من وَرِيَ الزندُ إذا قدح وأصله وَوْراة فأبدلت الواو التي هي الفاء تاء كما قالوا التِجَاه والتُخَمة والتُكلان والتُراث من الوجه والوَخامة والوَكل والوِراثة فهي من ورى الزند إذا ظهرت ناره وذاك من نَجَل يَنْجُل إذا استخرج لما في الكتابين من معرفة الحلال والحرام وكما قيل لكتاب نبينا (ﷺ) الفرقان لأنه فَرّق بين الحق والباطل فالمعاني كما ترى معتنقة وكلها الإظهار والابراز والفرق بين الأشياء وقال علي بن عيسى النجل الأصل فكأن الإنجيل أصل من أصول العلم وقال غيره النجل الفرع ومنه قيل للولد نجل فكأن الإنجيل فرع على التوراة يستخرج منها وقال ابن فضال هو من النَجَل وهو من السعة يقال عين نجلاء وطعنة نجلاء وكأنه قد وسع عليهم في الإنجيل ما ضيق على أهل التوراة وكل محتمل .

[**الإعراب**] مصدقاً نصب على الحال وقوله من قبل أي من قبل إنزال الكتاب فلما قطعه عن الإضافة بناه على الضم وموضع هدى نصب على الحال من التوراة والإنجيل أي هاديين ويجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف تقديره هما هدى .

[**النزول**] قال الكلبي ومحمد بن إسحاق والربيع بن أنس نزلت أوائل السورة إلى نيف وثمانين آية في وفد نجران وكانوا ستين راكباً قدموا على رسول الله (ﷺ) وفيهم أربعة عشر رجلاً من أشرافهم وفي الأربعة عشر ثلاثة نفر يؤول إليهم أمرهم العاقب أمير القوم وصاحب مشورتهم الذي لا يصدرون إلا عن رأيه واسمه عبد المسيح والسيد ثمالهم وصاحب رحلهم واسمه الايهم وأبو حارثة بن علقمة اسقفهم وحبرهم وإمامهم وصاحب مدارسهم وكان قد شرف فيهم ودرس كتبهم وكانت ملوك الروم قد شَرّفوه ومَوَّلوه وبنوا له الكنائس لعلمه واجتهاده فقدموا على رسول الله (ﷺ) المدينة ودخلوا مسجده حين صلّى العصر عليهم ثياب الحِبَرَات جُبَبٌ وأرْدِية في جمال رجال بَلْحَرِث[1] بن كعب يقول بعض من رآهم من أصحاب رسول الله (ﷺ) ما رأينا وفداً مثلهم وقد حانت صلاتهم فأقبلوا يضربون بالناقوس وقاموا فصلّوا في مسجد رسول الله (ﷺ) فقالت الصحابة يا رسول الله هذا في مسجدك فقال رسول الله (ﷺ) دعوهم فصلوا إلى المشرق فتكلّم السيد والعاقب رسول الله (ﷺ) فقال لهما رسول الله (ﷺ) أسلما قالا قد أسلمنا قبلك قال كذبتما يمنعكما من الإسلام دعاؤكما لله ولداً وعبادتكما الصليب وأكلكما الخنزير قالا إن لم يكن

---

(١) هو في الأصل بني الحارث وهو من شواذ التخفيف .

ولد الله فمن أبوه وخاصموه جميعاً في عيسى فقال لهما النبي (ﷺ) ألستم تعلمون أنه لا يكون ولد إلا ويشبه أباه قالوا بلى قال ألستم تعلمون إن ربنا حي لا يموت وإن عيسى يأتي عليه الفناء قالوا بلى قال ألستم تعلمون أن ربنا قَيّم على كل شيء ويحفظه ويرزقه قالوا بلى قال فهل يملك عيسى من ذلك شيئاً قالوا لا قال ألستم تعلمون إن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء قالوا بلى قال فهل يعلم عيسى من ذلك إلا ما علَّم قالوا لا قال فإن ربنا صَوَّر عيسى في الرحم كيف شاء وربنا لا يأكل ولا يشرب ولا يُحدث قالوا بلى قال ألستم تعلمون أن عيسى حملته أمه كما تحمل المرأة ثم وضعته كما تضع المرأة ولدها ثم غُذِي كما يُغذىٰ الصبي ثم كان يطعم ويشرب ويحدث قالوا بلى قال فكيف يكون هذا كما زعمتم فسكتوا فأنزل الله فيهم صدر سورة آل عمران إلى بضع وثمانين آية .

[**المعنى**] إن الله تعالى لما ختم سورة البقرة بذكر التوحيد والإيمان إفتتح هذه السورة بالتوحيد والإيمان أيضاً فقال ﴿ **ألم** ﴾ وقد ذكرنا الاختلافِ فيه وفي معناه وفي محله في أول سورة البقرة ﴿ **الله لا إله إلا هو الحي القيوم** ﴾ وقد ذكرنا ما فيه في تفسير آية الكرسي وروي عن ابن عباس أنه قال الحي القيوم إسم الله الأعظم وهو الذي دعا به آصف بن برخيا صاحب سليمان (ع) في حمل عرش بلقيس من سبا إلى سليمان قبل أن يرتد إليه طرفه ﴿ **نزل عليك** ﴾ يا محمد ﴿ **الكتاب** ﴾ يعني القرآن ﴿ **بالحق** ﴾ فيه قولان (أحدهما) بالصدق في إخباره (والثاني) بالحق أي بما توجبه الحكمة من الارسال وهو حق من الوجهين ﴿ **مصدقاً لما بين يديه** ﴾ أي لما قبله من كتاب ورسول عن مجاهد وقتادة والربيع وجمع المفسرين وإنما قيل لما بين يديه لما قبله لأنه ظاهر له كظهور الذي بين يديه وقيل في معنى مصدقاً ههنا قولان (أحدهما) أن معناه مصدقاً لما بين يديه وذلك لموافقته لما تقدم الخبر به وفيه دلالة على صحة نبوته (ﷺ) من حيث لا يكون ذلك كذلك إلا وهو من عند الله علام الغيوب (والثاني) أن معناه أن يخبر بصدق الأنبياء وبما أتوا به من الكتب ولا يكون مصدقاً للبعض ومكذباً للبعض ﴿ **وأنزل التوراة** ﴾ على موسى ﴿ **والإنجيل** ﴾ على عيسى ﴿ **من قبل** ﴾ أي من قبل إنزال القرآن ﴿ **هدىً للناس** ﴾ مفعول له أي دلالة وبياناً وقيل يعني به الكتب الثلاثة أي ليهتدي أهل كل كتاب بكتابه وأهل كل زمان بما أنزل في زمانه وقيل إنّ هدى للناس حال من الكتاب أي هادياً للناس ﴿ **وأنزل الفرقان** ﴾ يعني به القرآن وإنما كرر ذلك لما اختلفت دلالات صفاته وإن كانت لموصوف واحد لأن كل صفة فيها فائدة غير فائدة الأخرى فإن الفرقان هو الذي يفرق بن الحق

والباطل فيما يحتاج إليه من أمور الدين في الحج وغيره من الأحكام وذلك كله في القرآن ووصفه بالكتاب يفيدان من شأنه أن يكتب وروى عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله (ع) أنه قال الفرقان هو كل آية محكمة في الكتاب وهو الذي يُصدِّق فيه من كان قبله من الأنبياء وقيل المراد بالفرقان الهادلة الفاصلة بين الحق والباطل عن أبي مسلم وقيل المراد به الحجة القاطعة لمحمد (ﷺ) على من حاجّه في أمر عيسى وقيل المراد به النصر ﴿ **إن الذين كفروا بآيات الله** ﴾ أي بحججه ودلالاته ﴿ **لهم عذاب شديد** ﴾ لمّا بيّن حججه الدالة على توحيده وصدق أنبيائه عَقّب ذلك بوعيد من خالف فيه وجحده ليتكامل به التكليف ﴿ **والله عزيز** ﴾ أي قادر لا يتمكن أحد أن يمنعه من عذاب من يريد عذابه وأصل العزة الامتناع ومنه أرض عزازاي منيعة السلوك لصعوبتها ومنه يقال من عَزَّبَزّأي من غلب سلب لأن الغالب ممتنع عن الضيم فالله تعالى عزيز أي ممتنع من حيث أنه قادر لنفسه لا يعجزه شيء ﴿ **ذو إنتقام** ﴾ أي ذو قدرة على الانتقام من الكفار لا يتهيأ لأحد منعه والانتقام مجازاة المسيٰء على إساءته ﴿ **إن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء** ﴾ لَمّا ذكر سبحانه الوعيد على الاخلال بمعرفته مع نصب الأدلة على توحيده وصدق أنبيائه إقتضى أن يذكر أنه لا يخفى عليه شيء فيكون في ذلك تحذير من الاعترار بالاستسرار بمعصيته لأن المجازي لا تخفى عليه خافية فإن قيل لِمَ قال لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء ولم يقل لا يخفى عليه شيء على وجه من الوجوه فيكون أشدّ مبالغة قلنا لأن الغرض أن يُعلّمنا أنه يعلم ما يستسرّ به في الأرض أو في السماء والإفصاح بذكر ذلك أعظم في النفس وأهول في الصدر مع الدلالة على أنه عالم بكل شيء فإن قيل لِمَ لَمْ يقل أنه عالم بكل شيء في الأرض والسماء قلنا لأن الوصف بأنه لا يخفى عليه شيء يدل على أنه يعلمه من كل وجه يصح أن يعلم منه مع ما فيه من التصرف في العبارة وإنما لا يخفى عليه شيء لأنه عالم لنفسه فيجب أن يعلم كل ما يصح أن يكون معلوماً وما يصح أن يكون معلوماً لا نهاية له فلا يجوز أن يخفى عليه شيء بوجه من الوجوه .

﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦﴾

[**اللغة**] التصوير جعل الشيء على صورة لم يكن عليها والصورة هيئة يكون عليها الشيء في التأليف وأصلها من صاره يصوره إذا أماله لأنها مائلة إلى هيئة بالشبه لها والفرق

بين الصورة والصيغة أن الصيغة عبارة عما وضع في اللغة ليدل على أمر من الأمور وليس كذلك الصورة لأن دلالتها على جعل جاعل شيئاً على بنية والأرحام جمع رحم وأصله الرحمة وذلك لأنها مما يتراحم به ويتعاطف يقولون وصلتك رحمٌ والمشيئة هي الارادة .

[**الإعراب**] كيف في موضع نصب على المصدر تقديره أيّ نوع يشاء وجملة يشاء في موضع الحال من يصوّر أي يصوّركم في الأرحام أي يخلق صوركم في الأرحام شائياً مريداً أيّ نوع أراده .

[**المعنى**] ﴿ **هو الذي يصوركم** ﴾ أي يخلق صوركم في الأرحام ﴿ **كيف يشاء** ﴾ على أيّ صورة شاء وعلى أيّ صفة شاء من ذكر أو أنثى أو صبيح أو دميم أو طويل أو قصير ﴿ **لا إله إلا هو العزيز** ﴾ في سلطانه ﴿ **الحكيم** ﴾ في أفعاله ودلت الآية على وحدانية الله وكمال قدرته وتمام حكمته حيث صوّر الولد في رحم الأم على هذه الصفة وركّب فيه من أنواع البدائع من غير آلة ولا كلفة وقد تقرر في عقل كل عاقل إن العالَم لو إجتمعوا على أن يخلقوا من الماء بعوضة ويصوّروا منه صورة في حال ما يشاهدونه ويصرفونه لم يقدروا على ذلك ولا وجدوا إليه سبيلا فكيف يقدرون على الخلق في الأرحام فتبارك الله أحسن الخالقين وهذا الاستدلال مروي عن جعفر بن محمد (ع) .

﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٌ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٧ ﴾

[**اللغة**] المحكم مأخوذ من قولك أحكمت الشيء إذا ثقفته واتقنته وأمّ الكتاب أصله ومكّة أمّ القرى ويقال لَعَلم الجيش أمّ وأصله أُمَّهة ولذلك يجمع على أمّهات وقد يقال أمات أيضاً والمتشابه الذي يشبه بعضه بعضاً فيغمض أخذ من الشَبَه لأنه يشتبه به المراد والزيغ الميل وإزاغة أماله والتزايغ التمايل في الاسنان والابتغاء الطلب والفتنة أصلها

الاختبار من قولهم فتنت الذهب بالنار أي اختبرته وقيل معناه خلصته والتأويل والتفسير وأصله المرجع والمصير من قولهم آل امره إلى كذا يؤول أوْلاً إذا صار إليه وأوّلته تأويلاً إذا صيرته إليه قال الأعشي :

عَلىٰ أنها كَانَتْ تَأوَّلَ حُبُّها تَأوّلَ رَبْعِي السِّقَابِ فَأصْحَبا[1]

أي كان حبها صغيراً فآل إلى العظم كما آل السقب وهو الصغير من أولاد النوق إلى الكبر والراسخون الثابتون يقال رسخ رسوخاً إذا ثبت في موضعه وأرسخه غيره .

[**الإعراب**] منه آيات جملة من مبتدأ وخبر في موضع النصب على الحال من أنزل وتقديره أنزل الكتاب محكماً ومتشابهاً ﴿ **من أم الكتاب** ﴾ جملة في موضع الرفع لكونها صفة لآيات وآخر عطف على آيات وهو صفة مبتدأ محذوف وتقديره ومنه آيات أخر ومتشابهات صفة بعد صفة وأخر غير منصرف قال سيبويه أن أخر فارقت أخواتها والأصل الذي عليه بناء أخواتها لأن أخر أصلها أن يكون صفة بالألف واللام كما يقال الصغرى والصُغَر فلما عدل عن مجرى الألف واللام وأصل افعل منك وهي مما لا تكون إلا صفة منعت الصرف وقال الكسائي إنما لم تصرف لأنه صفة وهذا غلط لأن قولهم مالٌ لُبَدٌ وحُطَمٌ منصرفان مع كونهما صفة وابتغاء نصب لأنه مفعول له في الموضعين ﴿ **وكلٌ مِن عند ربنا** ﴾ مبتدأ وخبر وهو اسم دال على المضاف إليه كثير في الكلام حذف المضا ف إليه منه عند البصريين ولا يجيزون إنّا كلا فيها على الصفة وأجازه الكوفيون لأنه إنما حذف عندهم لدلالته عليه إسماً كان أو صفة وإنما بني قبل على الغاية ولم يبن كل وإن حذف من كل واحد منهما المضاف إليه لأن قبل ظرف يُعرَّف ويُنَكّر ففرق بين ذلك بالبناء الذي يدل على تعريفه بالمضاف إليه والإعراب الذي يدل على تنكيره بالانفصال وليس كذلك كل لأنه معرفة في الأفراد دون نكرة فأما ليس غيرُ فمشبه بحسبُ لما فيه من معنى الأمر .

[**المعنى**] لما تقدم بيان إنزال القرآن عقبه بيان كيفية إنزاله فقال ﴿ **هو الذي أنزل عليك** ﴾ يا محمد ﴿ **الكتاب** ﴾ أي القرآن ﴿ **منه** ﴾ أي من الكتاب ﴿ **آيات محكمات هن أم الكتاب** ﴾ أي أصل الكتاب ﴿ **وأُخر متشابهات** ﴾ قيل في المحكم والمتشابه أقوال (أحدها) أن المحكم ما علم المراد بظاهره من غير قرينة تقترن إليه ولا دلالة تدل على المراد به لوضوحه نحو قوله تعالى ﴿ **إن الله لا يظلم الناس شيئاً ولا يظلم مثقال ذرة** ﴾

(١) الربعي : نتاج الربيع . واصحب الرجل : إذا بلغ ابنه .

ونحو ذلك مما لا يحتاج في معرفة المراد به إلى دليل والمتشابه ما لا يعلم المراد بظاهره حتى يقترن به ما يدل على المراد منه لالتباسه نحو قوله ﴿ **وأضله الله على علم** ﴾ فإنه يفارق قوله وأضلهم السامري لأن إضلال السامري قبيح وإضلال الله تعالى حسن وهذا معنى قول مجاهد المحكم ما لم تشتبه معانيه والمتشابه ما إشتبهت معانيه وإنما يقع الاشتباه في أمور الدين كالتوحيد ونفي التشبيه والجور ألا ترى أن قوله ﴿ **ثم استوى على العرش** ﴾ يحتمل في اللغة أن يكون كإستواء الجالس على سريره وأن يكون بمعنى القهر والاستيلاء والوجه الأول لا يجوز عليه سبحانه (وثانيها) أن المحكم الناسخ والمتشابه المنسوخ عن ابن عباس (وثالثها) إن المحكم ما لا يحتمل من التأويل إلا وجهاً واحداً والمتشابه ما يحتمل وجهين فصاعداً عن محمد بن جعفر بن الزبير وأبي علي الجبائي (ورابعها) إن المحكم ما لم تتكرر ألفاظه والمتشابه ما تكرر ألفاظه كقصة موسى وغير ذلك عن ابن زيد (وخامسها) إن المحكم ما يعلم تعيين تأويله والمتشابه ما لا يعلم تعيين تأويله كقيام الساعة عن جابر بن عبد الله وإنما وحّد أم الكتاب ولم يقل هن أمهات الكتاب لوجهين (أحدهما) أنه على وجه الجواب كأنه قيل ما أم الكتاب فقال هن أم الكتاب كما يقال من نظير زيد فيقال نحن نظيره (والثاني) إن الآيات بمجموعها أصل الكتاب وليست كل آية محكمة أم الكتاب وأصله لأنها جرت مجرى شيء واحد في البيان والحكمة ومثله قوله﴿ **وجعلنا ابن مريم وأمه** ﴾ آية ولم يقل آيتين لأن شأنهما واحد في أنها جاءت به من غير ذَكَر فلم تكن الآية لها إلا به ولا له إلا بها ولو أراد أن كل واحد منهما آية على التفصيل لقال آيتين ﴿ **فأما الذين في قلوبهم زيغ** ﴾ أي ميل عن الحق وإنما يحصل الزيغ بشك أو جهل ﴿ **فيتبعون ما تشابه منه** ﴾ أي يحتجون به على باطلهم ﴿ **إبتغاء الفتنة** ﴾ أي لطلب الضلال والاضلال وإفساد الدين على الناس وقيل لطلب التلبيس على ضعفاء الخلق عن مجاهد وقيل لطلب الشرف والمال كما سمى الله المال فتنة في مواضع من كتابه وقيل المراد بالفتنة هاهنا الكفر وهو المروي عن أبي عبد الله وقول الربيع والسدي ﴿ **وابتغاء تأويله** ﴾ ولطلب تأويله على خلاف الحق وقيل لطلب مدة آكل[1] محمد على حساب الجمل وابتغاء معاقبته ويدل على ذلك قوله ذلك خير وأحسن تأويلاً أي عاقبة وقول العرب تأول الشيء إذا إنتهى وقال الزجاج معنى ابتغائهم تأويله أنهم طلبوا تأويل بعثهم وإحيائهم فاعلم الله أن ذلك لا يعلمهُ إلا الله ويدل على ذلك قوله هل ينظرون إلا تأويله واختلف في

(١) الأكل بالضم وضمتين : الرزق والحظ من الدنيا .

الذين عنوا بهذا فقيل عني بِهِ وفد نجران لما حاجوه في أمر عيسى وسألوه فقالوا أليس هو كلمة الله وروحاً منه فقال بلى فقالوا حسبنا فأنزل الله فأما الذين في قلوبهم زيغ فَيتبعون ما تشابه منه يعني أنهم قالوا أن الروح ما فيه بقاء البدن فأجروه على ظاهره والمسلمون يحملونه على أن بقاء البدن كان في وقته به كما أن بقاء البدن بالروح وقد قامت الدلالة على أن القديم تعالى ليس بذي أجزاء وأعضاء وإنما يضاف الروح إليه تشريفاً للروح كما يضاف البيت إليه ثم أنزل أن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب عن الربيع وقيل هم اليهود طلبوا علم اكل هذه الأمة واستخرجه بحساب الجمل عن الكلبي وقيل هم المنافقون عن ابن جريج وقيل بل كل من احتج بالمتشابه لباطله فالآية فيه عامة كالحرورية والسبائية[1] عن قتادة ﴿ **وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم** ﴾ أي الثابتون في العلم الضابطون له المتقنون فيه واختلف في نظمه وحكمه على قولين(أحدهما) أن الراسخون معطوف على الله بالواو على معنى أن تأويل المتشابه لا يعلمه إلا الله وإلا الراسخون في العلم فإنهم يعلمونه ﴿ **ويقولون** ﴾ على هذا في موضع النصب على الحال وتقديره قائلين ﴿ **آمنا به كل من عند ربنا** ﴾ كقول ابن المفرغ الحميري .

الـرِّيـحُ تَـبْـكِـي شَـجْـوَةً وَالْبَـرقُ يَلْمَـعُ فِـي غَمَـامَـة

أي والبرق يبكي أيضاً لامعاً في غمامه وهذا قول ابن عباس والربيع ومحمد بن جعفر بن الزبير واختيار أبي مسلم وهو المروي عن أبي جعفر (ع) فإنه قال كان رسول الله أفضل الراسخين في العلم قد علم جميع ما أنزل الله عليه من التأويل والتنزيل وما كان الله لينزل عليه شيئاً لم يُعلّمه تأويله وهو وأوصياؤه من بعده يعلمونه كله ومما يؤيد هذا القول أن الصحابة والتابعين أجمعوا على تفسير جميع آي القرآن ولم نرهم توقفوا على شيء منه ولم يفسروه بأن قالوا هذا متشابه لا يعلمه إلا الله وكان ابن عباس يقول في هذه الآية أنا من الراسخين في العلم والقول الآخر أن الواو في قوله والراسخون واو الاستئناف فعلى هذا القول يكون تأويل المتشابه لا يعلمه إلا الله تعالى والوقف عند قوله وما يعلم تأويله إلا الله ويبتدي والراسخون في العلم يقولون آمنا به فيكون مبتدأ وخبراً وهذا قول عائشة وعروة بن الزبير والحسن ومالك واختيار الكسائي والفراء والجبائي وقالوا إن الراسخين لا يعلمون تأويله ولكنهم يؤمنون به فالآية راجعة على هذا التأويل إلى العلم بمدة أكل هذه الأمة ووقت قيام الساعة وفناء الدنيا ووقت طلوع الشمس من مغربها ونزول

---

(١) الحرورية : الخوارج . السبائية : اتباع عبد الله بن سبا الغالي في علي (ع).

عيسى وخروج الدجال ونحو ذلك مما استأثر الله بعلمه ويكون التأويل على هذا القول بمعنى المتأول كقوله هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله يعني الموعود به وقوله كل من عند ربنا معناه المحكم والمتشابه جميعاً من عند ربنا ﴿ **وما يذكر** ﴾ أي وما يتفكر في آيات الله ولا يرد المتشابه إلى المحكم ﴿ **إلا أولوا الألباب** ﴾ أي ذوو العقول فإن قيل لم أنزل الله تعالى في القرآن المتشابه وهَلاّ جعله كله محكماً فالجواب أنه لو جعل جميعه محكماً لا تكل الناس كلهم على الخبر واستغنوا عن النظر ولكان لا يتبين فضل العلماء على غيرهم ولكان لا يحصل لهم ثواب النظر وإتعاب الخواطر في إستنباط المعاني وقال القاضي الماوردي قد وصف الله تعالى جميع القرآن بأنه محكم بقوله ﴿ **الر كتاب أحكمت آياته** ﴾ ووصف جميعه أيضاً بأنه متشابه بقولِهِ الله ﴿ **نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً** ﴾ فمعنى الأحكام الإتقان والمنع أي هو ممنوع بإتقانه وإحكام معانيه عن إعتراض خلل فيه فالقرآن كله محكم من هذا الوجه وقوله متشابهاً أي يشبهُ بعضهُ بعضاً في الحسن والصدق والثواب والبعد عن الخلل والتناقض فهو كله متشابه من هذا الوجه .

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿٩﴾

[**اللغة**] الهبة تمليك الشيء من غير مثامنة والهبة والنحلة والصلة نظائر وفي لدن خمس لغات لَدُن ولُدُن بضم اللام والدال ولَدَن بفتح اللام والدال ولَدْنِ بفتح اللام وسكون الدال وكسر النون ولَدُنْ بحذف النون والميعاد بمعنى الوعد كما إن الميقات بمعنى الوقت .

[**الإعراب**] اللام في قوله ليوم لا ريب فيه معناه في يوم وإنما جاز ذلك لما دخل الكلام من اللام فإن تقديره جامع الناس للجزاء في يوم لا ريب فيه فلما حذف لفظ الجزاء دخلت على ما يليه فأغنت عن في لأن حروف الاضافة متواخية لما يجمعها من معنى الإضافة وقد كان يجوز فتح أنَّ في قوله إن الله لا يخلف على تقدير جامع الناس ليوم لا ريب فيه لأن الله لا يخلف الميعاد ولم يقرأ به .

[المعنى] ﴿ ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا ﴾ هذه حكاية عن قول الراسخين في العلم الذين ذكرهم الله في الآية الأولى وذكر في تأويله وجوه (أجدها) إن معناه لا تمنعنا لطفك الذي معه تستقيم القلوب فتميل قلوبنا عن الإيمان بعد إذ وفقتنا بالطافك حتى هديتنا إليك وهذا دعاء بالتثبيت على الهداية والامداد بالالطاف والتوفيقات ويجري مجرى قولهم اللهم لا تسلط علينا من لا يرحمنا والمعنى لا تخلّ بيننا وبين من لا يرحمنا فيسلط علينا فكأنهم قالوا لا تخل بيننا وبين نفوسنا بمنعك التوفيق والالطاف عنا فنزيغ ونضلّ وإنما يمنع ذلك بسبب ما يكتسبه العبد من المعصية ويفرط فيه من التوبة كما قال فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم (وثانيها) إن معناه لا تكلفنا من الشدائد ما يصعب علينا فعله وتركه فتزيغ قلوبنا بعد الهداية ونظيره فلما كتب عليهم القتال تولّوا فأضافوا ما يقع من زيغ القلوب إليه سبحانه لأن ذلك يكون عند تشديده تعالى المحنة عليهم كما قال سبحانه فزادتهم رجساً إلى رجسهم ولم يزدهم دعائي إلا فراراً (وثالثها) ما قاله أبو علي الجبائي إن المراد لا تزغ قلوبنا عن ثوابك ورحمتك وهو ما ذكره الله من الشرح والسعة بقوله يشرح صدره للإسلام وذكر أن ضد هذا الشرح هو الضيق والحرج اللذان يُفعلان بالكفار عقوبة ومن ذلك التطهير الذي يفعله في قلوب المؤمنين ويمنعه الكافرين كما قال تعالى أولئك الذين لم يُرد الله أن يُطهّر قلوبهم ومن ذلك كتابته الإيمان في قلوب المؤمنين كما قال أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وضد هذه الكتابة هي سمات الكفر التي في قلوب الكافرين فكأنهم سألوا الله أن لا يزيغ قلوبهم عن هذا الثواب إلى ضده من العقاب (ورابعها) أن الآية محمولة على الدعاء بأن لا يزيغ القلوب عن اليقين والإيمان ولا يقتضي ذلك أنه تعالى سئل عما لولا المسألة لجاز أن يفعله لأنه غير ممتنع أن يدعوه على سبيل الانقطاع إليه والافتقار إلى ما عنده بأن يفعل ما نعلم أن يفعله وبأن لا يفعل ما نعلم أنه واجب أن لا يفعله إذا تعلق بذلك ضرب من المصلحة كما قال سبحانه ﴿ **قل رب إحكم بالحق** ﴾ وقال ربنا ﴿ **وآتنا ما وعدتنا على رسلك** ﴾ وقال حاكياً عن إبراهيم ولا تحزني يوم يبعثون فإن قيل هلّا جاز على هذا أن يقول ﴿ **ربنا لا تظلمنا ولا تَجُر علينا** ﴾ فالجواب إنما لم يجز ذلك لأن فيه تسخطاً من السائل وإنما يستعمل ذلك فيمن جرت عادته بالجور والظلم وليس كذلك ما نحن فيه ﴿ **وهب لنا من لدنك رحمة** ﴾ أي من عندك لطفاً نتوصل به إلى الثبات على الإيمان إذ لا نتوصل إلى الثبات على الإيمان إلا بلطفك كما لا يتوصل إلى ابتدائه إلا بذلك وقيل نعمة ﴿ **إنك أنت الوهاب** ﴾ المعطي للنعمة الذي شأنه الهبة والعطية ﴿ **ربنا** ﴾ أي ويقولون يا سيدّنا وخالقنا ﴿ **إنك جامع الناس** ﴾

للجزاء ﴿ ليوم ﴾ أي في يوم ﴿ لا ريب فيه ﴾ أي ليس فيه موضع ريب وشكّ لوضوحه وهذا يتضمن أقرارهم بالبعث ﴿ إن الله لا يخلف الميعاد ﴾ أي لا يخلف الوعد وقيل هو متصل بما قبله من دعاء الراسخين في العلم وإن خالف آخر الكلام أوله في الخطاب والغيبة فيكون مثل قوله حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم وتقديره فاغفر لنا إنك لا تخلف ما وعدته وقيل أنه على الاستيناف وهو اختيار الجبائي فيكون إخباراً عن الله تعالى .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ ﴿١٠﴾

[**اللغة**] الوقود الحطب والوقود إيقاد النار .

[**المعنى**] ثم بيَّن تعالى حال الذين في قلوبهم زيغ فقال ﴿ **إن الذين كفروا** ﴾ بآيات الله ورسله ﴿ **لن تغني** ﴾ أي لن تدفع ﴿ **عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً** ﴾ قال أبو عبيدة من هنا بمعنى عند وقال المبرد وهي على أصلها لابتداء الغاية وتقديره لن تغني عنهم غنا إبتداء وانتهاء وقيل معناه من عذاب الله شيئاً ﴿ **وأولئك هم وقود النار** ﴾ أي حطب النار تتقّد النار بأجسامهم كما قال في موضع آخر حَصَب جهنم .

﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١١﴾

[**اللغة**] الدأب العادة يقال دأَب يدأَب دَأباً ودَأباً إذا اعتاد الشيء وتَمَرَّن عليه والدأب الاجتهاد يقال دأب في كذا دأباً ودؤوباً إذا إجتهد فيه وبالغ ونقل من هذا إلى العادة لأنه بالغ فيه حتى صار عادة له قال زهير :

لأرْتَحِلَنْ بِـالْـفَـجْـرِ ثُـمَّ لأَدْئَبَـنْ إلَى اللَّيْلِ إلا أَنْ يُعَرِّجَنِي طِفُلُ[1]

---

(١) حكى عن الشراح : الطفل بكسر الطاء أي إلا أن يمنعني ولادة طفل الناقة .

والذنب والجرم واحد يقال أذنب فهو مذنب والذنب تلو الشيء يقال ذنبه يَذْنِبُه إذا تلاه والذَنوب الدلو لأنها تاليه للحبل في الجذب والذَنوب النصيب لأنه كالدلو في الانعام والذَنوب الفرس الوافر شعر الذنب وأصل الباب التلو فالذنب الجرم لما يتلوه من استحقاق الذم كما أن العقاب سمي بذلك لأنه يستحق عقيب الذنب .

[**الإعراب**] الكاف في قوله كدأب متعلق بمحذوف وتقديره عادتهم كعادة آل فرعون فيكون الكاف في موضع رفع بأنها خبر مبتدأ ولا يجوز أن يعمل فيها كفروا لأن صلة الذين قد إنقطعت بالخبر ولكن جاز أن يكون في موضع نصب بوقود النار لأن فيه معنى الفعل على تقدير تتقّد النار بأجسامهم كما تتقد بأجسام آل فرعون كذبوا جملة في موضع الحال والعامل فيه المعنى في دأب آل فرعون وقد مقدرة معه .

[**المعنى**] عادة هؤلاء الكفار في التكذيب بك وبما أنزل إليك ﴿ **كدأب آل فرعون** ﴾ أي كعادة آل فرعون في التكذيب برسولهم وما أنزل إليه عن ابن عباس وعكرمة ومجاهد والضحاك والسدي وقيل معناه إجتهاد هؤلاء الكفار في قهرك وإبطال أمرك كاجتهاد آل فرعون في قهر موسى عن الأصم والزجاج وقيل كعادة الله في آل فرعون في إنزال العذاب بهم بما سلف من إجرامهم وقيل كسنة آل فرعون عن الربيع والكسائي وأبي عبيدة وقيل كامر آل فرعون وشأنهم عن الأخفش وقيل كحال آل فرعون عن قطرب ﴿ **والذين من قبلهم** ﴾ يعني كفار الأمم الماضية ﴿ **كذبوا بآياتنا فأخذهم الله بذنوبهم** ﴾ أي عاقبهم الله بذنوبهم وسمى المعاقبة مؤاخذة لأنها أخذ بالذنب فالأخذ بالذنب عقوبة ﴿ **والله شديد العقاب** ﴾ لمن يعاقبه .

﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٢﴾

[**القراءة**] قرأ أهل الكوفة غير عاصم سيغلبون ويحشرون بالياء فيهما والباقون بالتاء .

[**الحجة**] من إختار التاء فلقوله له قد كان لكم آية فأجرى الجميع على الخطاب ومن إختار الياء فللتصرف في الكلام والانتقال من خطاب المواجهة إلى الخبر بلفظ الغائب ويؤيّده قوله ﴿ **قل للذين كفروا أن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف** ﴾ ﴿ **قل للذين آمنوا يغفروا** ﴾ وقيل إن الخطاب لليهود والضمير في ستغلبون للمشركين لأن اليهود أظهروا

السرور بما كان من المشركين يوم أحد فعلى هذا لا يكون إلا بالياء لأن المشركين غُيَّب .

[**اللغة**] الحشر الجمع مع سوق ومنه يقال للنبي الحاشر لأنه يحشر الناس على قدميه كأنه يقدمهم وهم خلفه لأنه آخر الأنبياء فيحشر الناس في زمانه وملته وجهنم إسم من أسماء النار وقيل أخذ من الجهنام وهي البئر البعيدة القعر والمهاد القرار وهي الموضع الذي يتمهد فيه أي ينام فيه مثل الفراش .

[**النزول**] روى محمد بن إسحاق بن يسار عن رجاله قال لما أصاب رسول الله قريشاً ببدر وقدم المدينة جمع اليهود في سوق قينقاع فقال يا معشر اليهود إحذروا من الله مثل ما نزل بقريش يوم بدر وأسلموا قبل أن ينزل بكم ما نزل بهم وقد عرفتم أني نبي مرسل تجدون ذلك في كتابكم فقالوا يا محمد لا يغرنك أنك لقيت قوماً أغماراً[1] لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة أنا والله لو قاتلناك لعرفت أنا نحن الناس فأنزل الله هذه الآية وروي أيضاً عن عكرمة وسعيد بن جبير عن ابن عباس ورواه أصحابنا أيضاً وقيل نزلت في مشركي مكة ستغلبون يوم بدر عن مقاتل وقيل بل نزلت في اليهود لما قتل الكفار ببدر وهزموا قالت اليهود أنه النبي الأمي الذي بشرنا به موسى ونجده في كتابنا بنعته وصفته وأنه لا تُردّ له راية ثم قال بعضهم لبعض لا تعجلوا حتى تنظروا إلى وقعة أخرى فلما كان يوم أحد ونكّب أصحاب رسول الله شَكوُّا وقالوا لا والله ما هو به فغلب عليهم الشقاء فلم يسلموا وقد كان بينهم وبين رسول الله عهد إلى مدة لم تنقض فنقضوا ذلك العهد قبل أجله وانطلق كعب بن الأشرف إلى مكة في ستين راكباً فوافقوهم وأجمعوا أمرهم على رسول الله لتكونن كلمتنا واحدة ثم رجعوا إلى المدينة فأنزل الله فيهم هذه الآية عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس .

[**المعنى**] لما تقدم ذكر ما أصاب القرون الخالية بالتكذيب للرسل من العذاب حذر هؤلاء من أن يَحُلّ بهم ما حلّ بأولئك فقال تعالى ﴿ **قل للذين كفروا** ﴾ إما مشركي مكة أو اليهود على ما تقدم ذكره ﴿ **ستغلبون** ﴾ أي ستهزمون وتصيرون مغلوبين في الدنيا ﴿ **وتحشرون** ﴾ أي تجمعون ﴿ **إلى جهنم** ﴾ في الآخرة وقد فعل الله ذلك فاليهود غُلبوا بوضع الجزية عليهم والمشركون غُلبوا بالسيف وإذا قرىء سيغلبون بالياء فقد يمكن أن يكون المغلوبون والمحشورون من غير المخاطبين وأنهم قوم آخرون ويمكن أن يكونوا

---

(١) جمع غمر مثلثة الغين أي جهالاً بأمر الحرب غير مجربين .

إياهم قال الفراء يقال قل لعبد الله أنه قائم وأنك قائم وإذا قرىء بالتاء فلا يجوز أن يظن هذا فلا يكونون غير المخاطبين ﴿ **وبئس المهاد** ﴾ أي بئس ما مُهّد لكم وبئس ما مهدّتم لأنفسكم عن ابن عباس وقيل معناه بئس القرار عن الحسن وقيل بئس الفراش الممهّد لهم وفي الآية دلالة على صحة نبوة نبينا (ﷺ) لأن مخبره قد خرج على وفق خبره فدل ذلك على صدقه ولا يكون ذلك على وجه الاتفاق لأنه بيَّن أخباراً كثيرة من الاستقبال فخرج الجميع كما قال فكما أن كل واحد منها كان معجزاً إذ الله لا يطلع على غيبه إلا من ارتضى من رسول كذلك هذه الآية وإذا ثبت صدقه على أحد الخبرين وهو أنهم سيغلبون ثبت صدقه في الخبر الآخر وهو أنهم يحشرون إلى جهنم .

﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَـٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَـٰرِ ﴿١٣﴾

[**القراءة**] قرأ أهل المدينة والبصرة عن أبي عمرو ترونهم بالتاء والباقون بالياء وروي في الشواذ عن ابن عباس يُرَوْنَهم بضمّ الياء .

[**الحجة**] قال أبو علي (ره) من قرأ يرونهم بالياء فلأن بعد الخطاب غيبة وهو قوله فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم أي ترى الفئة المقاتلة في سبيل الله الفئة الكافرة مثليهم وممّا يؤكد الياء قوله مثيلهم ولو كان على التاء لكان مثيلكم وإن كان قد جاء وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون ورأيت هنا هي المتعدية إلى مفعول واحد ويدل على ذلك تقييده برأي العين وإذا كان كذلك كان إنتصاب مثليهم على الحال لا على أنه مفعول ثان وأما مثل فقد يفرد في موضع التثنية والجمع فمن الأفراد في التثنية قوله (وَسَاقَيْينِ مِثْلِ زِبْلٍ وَجُعَلْ) ومن إفراده على الجمع قوله أنكم إذا مثلهم ومن جمعه قوله ثم لا يكونوا أمثالكم ومن قرأ ترونهم فللخطاب الذي قبله وهو قوله قد كان لكم آية ترونهم مثليهم فالضمير في ترونهم للمسلمين والضمير المنصوب للمشركين أي ترون أيها المسلمون المشركين مثلى المسلمين فأما قراءة ابن عباس يُرَوْنَهم فوجهه ما قاله

(١) الزبل بالكسر : السرقين . وجعل : دويبة معروفة .

ابن جني أن أُرِيتُ وأُرىٰ أقوى في اليقين من رَأيت تقول أرى أن سيكون كذا أي هذا غالب ظني وأُرىٰ أن سيكون كذا أي أعلمه وأتحققه .

[**اللغة**] قد ذكرنا معنى الفئة عند قوله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة والالتقاء والتلاقي والاجتماع واحد والأيد القوة ومنه قوله تعالى ﴿ **وداود ذا الأيد** ﴾ يقال ادْتُهُ ائيده أيداً أي قويته وأيّدته أُوَيِّدهُ تأييداً بمعناه والعبرة الآية يقال إعتبرت بالشيء إعتباراً وعبرة والعبور النفوذ من أحد الجانبين إلى الآخر وسميت الآية عبرة لأنه يعبر عنها من منزل العلم إلى منزل الجهل والمعتبر بالشيء تارك جهله وواصل إلى علمه بما رأى والعبارة الكلام يَعْبُرُ بالمعنى إلى المخاطب والعبارة تفسير الرؤيا والتعبير وزن الدراهم وغيرها والعَبْرَة الدمعة وأصل الباب النفوذ .

[**الإعراب**] قوله فئة تحتمل ثلاثة أوجه من الإعراب الرفع على الاستئناف بتقدير منهم فئة كذا وأخرى كذا والجر على البدل والنصب على الحال كقول كثير :

وَكُنْتُ كَذي رِجْلَيْنِ رِجْلٍ صَحِيحَةٍ وَرِجْـلٍ رَمىٰ فِيهَا الْـزَّمَانُ فَشَلَّتِ

أنشد بالرفع والجر وقال ابن مُفَرِّغ :

وَكُنْتُ كَذي رِجْلَيْنِ رِجْلٍ صَحِيحَةٍ وَرِجْـلٍ رَمَاهَـا صَـائِبُ الْحَـدَثَـانِ
فَـأمَا الْتِي صَحَّتْ فَـأَزْدُ شَنُوءَةٍ وَأَمَّـا الَّتِي شَـلَّتْ فَـأَزْدُ عَمَـانِ[1]

وقال آخر :

إذا مِتُّ كانَ الْناسُ صِنْفَيْنِ شَامِتٌ وَآخَـرُ مُثْنٍ بِـالْـذَي كُنْتُ أَصْنَـعُ

ولا يجوز أن يقول مررت بثلاثة صريع وجريح بالجر لأنه لم يستوف العدة ويجوز بالرفع على تقدير منهم صريع ومنهم جريح فإن قلت مررت بثلاثة صريع وجريح وسليم جاز الرفع والجر فإن زدت فيه اقتتلوا جاز الأوجه الثلاثة والقراءة بالرفع لا غير وقوله رأي العين يجوز أن يكون مصدراً ليرى والعين في موضع الرفع بأنه الفاعل ويجوز أن يكون ظرفاً للمكان كما يقول ترونهم أمامكم .

[**النزول**] نزلت الآية في قصة بدر وكان المسلمون ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً على

---

(١) ازدا بوحيّ من اليمن . وشنوئه : قبيلة كانت مع معاوية في وقعة صفين . وعَمان قبيلة كانت مع عليّ (ع) فيها .

عدة أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر سبعة وسبعون رجلاً من المهاجرين ومائتان وستة وثلاثون رجلاً من الأنصار وكان صاحب لواء رسول الله (ﷺ) والمهاجرين علي بن أبي طالب (ع) وصاحب راية الأنصار سعد بن عبادة وكانت الإبل في جيش رسول الله (ﷺ) سبعين بعيراً والخيل فرسين فرس للمقداد بن أسود وفرس لِمَرثد بن أبي مَرْثد وكان معهم من السلاح ستة أدرع وثمانية سيوف وجميع من استشهد يومئذ أربعة عشر رجلاً من المهاجرين وثمانية من الأنصار واختلف في عدة المشركين فروي عن علي (ع) وابن مسعود أنهم كانوا ألفاً وعن قتادة وعروة بن الزبير والربيع كانوا بين تسعمائة إلى ألف وكانت خيلهم مائة فرس ورأسهم عتبة بن ربيعة بن عبد شمس وكان حرب بدر أول مشهد شهده رسول الله (ﷺ) وكان سبب ذلك عير أبي سفيان .

[**المعنى**] لَمّا وَعد سبحانه الظفر لأهل الإيمان بَيَّن ما فعله يوم بدر بأهل الكفر والطغيان فقال ﴿ **قد كان لكم آية** ﴾ قيل الخطاب لليهود الذين نقضوا العهد أي كان لكم أيها اليهود دلالة ظاهرة وقيل الخطاب للناس جميعاً ممن حضر الوقعة وقيل للمشركين واليهود آية أي حجة وعلامة ومعجزة دالة على صدق محمد (ﷺ) ﴿ **في فئتين التقتا** ﴾ أي فرقتين إجتمعتا ببدر من المسلمين والكافرين ﴿**فئة**﴾فرقة ﴿ **تقاتل** ﴾ تحارب ﴿ **في سبيل الله** ﴾ في دينه وطاعته وهم الرسول وأصحابه ﴿ **وأخرى** ﴾ أي فرقة أخرى ﴿ **كافرة** ﴾ وهم المشركون من أهل مكة ﴿ **يرونهم مثليهم** ﴾ أي ضعفهم ﴿ **رأي العين** ﴾ أى في ظاهر العين واختلف في معناه فقيل معناه يرى المسلمون المشركين مثلى عدد أنفسهم قَلَّلهم الله في أعينهم حتى رأوهم ستمائة وستة وعشرين رجلاً تقوية لقلوبهم وذلك أن المسلمين قد قيل لهم فإن يكن منكم مئة صابرة يغلبوا مائتين فأراهم الله عددهم حسب ما حدَّ لهم من العدد الذي يلزمهم أن يقدموا عليهم ولا يحجموا عنهم وقد كانوا ثلاثة أمثالهم ثم ظهر العدد القليل على العدد الكثير عن ابن مسعود وجماعة من العلماء وقيل أن الرؤية للمشركين يعني يرى المشركون المسلمين ضعفي ما هم عليه فإن الله تعالى قبل القتال قلل المسلمين في أعينهم ليجترئوا عليهم ولا ينصرفوا فلما أخذوا في القتال كثرهم في أعينهم ليجنبوا وقلل المشركين في أعين المسلمين ليجترئوا عليهم وتصديق ذلك قوله تعالى ﴿ **وإذ يريكموهم إذا التقيتم في أعينكم قليلاً ويقللكم في أعينهم** ﴾ الآية وذلك أحسن أسباب النصر للمؤمنين والخذلان للكافرين وهذا قول السدي وإنما يتأتى هذا القول على قراءة من قرأ بالياء فأما قول من قرأ بالتاء فلا يحتمله إلا قول الأول على أن يكون الخطاب لليهود الذين لم يحضروا وهم المعنيون بقوله ﴿ **قل للذين كفروا ستغلبون**

وتحشرون﴾ وهم يهود بني قينقاع فكأنه قال (ترون أيها اليهود المشركين مثلي المسلمين مع أن الله أظهرهم عليهم فلا تغتروا بكثرتكم) واختار البلخي هذا الوجه أو يكون الخطاب للمسلمين الذي حضروا الوقعة أي ترون أيها المسلمون المشركين مثلي المسلمين وقال الفراء يحتمل قوله يرونهم مثليهم يعني ثلاثةأمثالهم لأنك إذا قلت عندي ألف واحتاج إلى مثلها فأنت تحتاج إلى الفين لأنك تريد احتاج إلى مثلها مضافاً إليها لا بمعنى بدلاً منها فكأنك قلت احتاج إلى مثليها وإذا قلت احتاج إلى مثليها فأنت تحتاج إلى ثلاثة آلاف فكذلك في الآية المعنى يرونهم مثليهم مضافاً إليهم فذلك ثلاثة أمثالهم قال والمعجز فيه إنما كان من جهة غلبة القليل الكثير وأنكر هذا الوجه الزجاج لمخالفته لظاهر الكلام وما جاء في آية الأنفال من تقليل الأعداد فإن قيل كيف يصح تقليل الأعداد مع حصول الرؤية وارتفاع الموانع وهل هذا إلا قول من جَوّز أن يكون عنده أجسام لا يدركها أو يدرك بعضها دون بعض قلنا يحتمل أن يكون التقليل في أعين المؤمنين بأن يظنوهم قليلي العدد لا أنهم أدركوا بعضاً دون بعض لأن العلم بما يدركه الإنسان جملة غير العلم بما يدركه مفصلاً ولأنا قد ندرك جمعاً عظيماً بأسرهم ونشك في أعدادهم حتى يقع الخلاف في حَرْز عددهم فعلى هذا يكون الوجه تأويل تقليل الأعداد وقوله ﴿ **والله يؤيد بنصره من يشاء** ﴾ النصر منه سبحانه على الأعداء يكون على ضربين نصر بالغلبة ونصر بالحجة فالنصر بالغلبة إنما كان بغلبة العدد القليل للعدد الكثير على خلاف مجرى العادة وبما أمدَّهم الله به من الملائكة وقَوّى به نفوسهم من تقليل العدة والنصر بالحجة وهو وعده المتقدم بالغلبة لإحدى الطائفتين لا محالة وهذا ما لا يعلمه إلا علام الغيوب ﴿ **إن في ذلك** ﴾ أي في ظهور المسلمين مع قلتهم على المشركين مع كثرتهم وتقليل المشركين في أعين المسلمين وتكثير المسلمين في أعين المشركين ﴿ **لعبرة لأولي الأبصار** ﴾ أي لذوي العقول كما يقال لفلان بصيرٌ بالأمور ولا يراد به الأبصار بالحواس الذي يشترك فيه سائر الحيوان .

﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾

[**اللغة**] الشهوات جمع شهوة وهي توقان النفس إلى المشتهى يقال اشتهى يشتهي شهوة واشتهاء والشهـوة من فعل الله ولا يقدر عليها أحد من البشر وهي ضرورية فينا فإنه لا يمكننا دفعها عن نفوسنا والقناطير جمع قنطار وهو المال الكثير العظيم وأصله من الأحكام يقال قنطرت الشيء أحكمته والقنطر الداهية وقيل أصله من القنطرة وهو البناء المعقود للعبور والمقنطرة المحصلة من قناطير كقولهم دراهم مدرهمة أي مجعولة كذلك ودنانير مُدنَّرة وقيل إنما ذكر المقنطرة للتأكيد وقد يؤتى بالمفعول والفاعل تأكيداً فالمفعول مثل قوله حجراً محجوراً ونسيا منسياً والفاعل كقولهم شعر شاعر وموت مائت والمراد بالجميع المبالغة والتأكيد وسميت الخيل خيلاً لاختيالها في مشيها والاختيار من التخيل لأنه يتخيل به صاحبه في صورة من هو أعظم منه كبراً والمسوَّمة من قولهم أسمت الماشية وسَوَّمتها إذا رعيتها والسِيما الحسن والسيمياء بمعناه قال الشاعر :

غُـلامٌ رَمـاهُ اللهُ بِـالْحُسْنِ يـافِعـاً   لَهُ سِيمِياء لا تَشُقُّ عَلَى الْبَصَـرِ

والسيمياء العلامة وهو أصل الباب والمآب المرجع من الأوب وهو الرجوع .

[**المعنى**] ثم أنزل الله تعالى ما أخبر به عن السبب الذي دعا الناس إلى العدول عن الحق والهدى والركون إلى الدنيا فقال ﴿**زين للناس حب الشهوات**﴾ أي حب المشتهيات ولم يرد بها نفس الشهوة ولهذا فَسَّرها بالنساء والبنين وغيرهما ثم اختلف فيمن زَيَّنها لهم فقيل الشيطان عن الحسن قال فوالله ما اجد اذّم للدنيا ممن خلقها وقيل زيَّنها الله تعالى لهم بما جعل في الطباع من الميل اليها وبما خلق فيها من الزينة محنة وتشديداً للتكليف كما قال سبحانه إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملاً وقيل زَيَّن الله تعالى ما يحسن منه وزين الشيطان ما يقبح عن ابي علي الجبائي ثم قَدَّم سبحانه ذكر النساء فقال ﴿**من النساء**﴾ لأن الفتنة بهن اعظم وقال النبي ﷺ ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء وقال النساء حبائل الشيطان وقال امير المؤمنين (ع) المرأة شرّ كلها وشرّ ما فيها انّه لا بدّ منها وهي عقرب حلوة اللسعة ثم قال ﴿**والبنين**﴾ لأن حبهم يدعـو إلى جمع الحرام وقال النبي ﷺ للأشعث بن قيس هل لك من ابنة حمزة من وَلَدٍ قال نعم لي منها غلام ولوددت ان لي من جفنة من طعام أطعمها مَن معي من بني جبلة فقال لئن قلت ذاك انهم لثمرة القلوب وقرة الأعين وانهم مع ذلك لَمَجْبَنَة مَبْخَلة مَحزْنة ﴿**والقناطير**﴾ جمع قنطار واختلف في مقداره فقيل الف ومائتا أوقية عن معاذ بن جبل وأبي ابن كعب وعبد الله بن عمر وقيل ألف ومائتا مثقال عن ابن عباس والحسن والضحاك وقيل الف

دينار أو اثنا عشر الف درهم عن الحسن بخلاف وقيل ثمانون الفاً من الدراهم أو مائة رطل عن قتادة وقيل سبعون الف دينار عن مجاهد وعطاء وقيل هو ملء مسك ثور ذهباً عن إبي نضرة وبه قال الفراء وهو المروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله و (المقنطرة) المضاعفة عن قتادة وقيل هي تسعة قناطير عن الفراء وقيل هي الأموال المُنضَّد بعضها فوق بعض عن الضحاك وقيل الكاملة المجتمعة وقيل هي من الذهب والفضة عن الزجاج ولا يصح قول من قال من الذهب خاصة لأن الله ذكر القنطار فيهما جميعاً وجميع الأقوال يرجع إلى الكثرة ﴿**والخيل المسومة**﴾ قيل معناه الافراس الراعية عن سعيد بن جبير وابن عباس والحسن والربيع وقيل هي الحسنة من السيمياء وهو الحسن عن مجاهد وعكرمة والسدي وقيل هي المعلَّمة عن قتادة وفي رواية عن ابن عباس المعدة للجهاد عن ابن زيد (والأنعام) وهي جمع النعم وهي الإبل والبقر والغنم من الضان والمعز ولا يقال لجنس منها على الانفراد نعم إلا للإبل خاصة لأنها يغلب عليه جملة وتفصيلاً (والحرث) معناه الزرع هذه كلها مُحبّبة إلى الناس كما ذكر الله تعالى ثم بَيَّن ان ذلك كله مما يتمتع به في الحياة ثم يزول عن صاحبه والمرجع إلى الله فأجدر بالانسان أن يزهد فيه ويرغب فيما عند ربه فقال ﴿**ذلك متاع الحياة الدنيا**﴾ يعني كل ما سبِق ذكره مما يستمتع به في الحياة الدنيا ثم يفنى ﴿**والله عنده حسن المآب**﴾ يعني حسن المرجع فالمآب مصدر سمي به موضع الإياب.

﴿ ۞ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٥﴾ ﴾

[**القراءة**] قرأ أبو بكر عن عاصم ورُضوان بضم الراء كل القرآن والباقون بكسر الراء .

[**الحجة**] الرضوان مصدر فمن كسره جعله كالرِئْمان والحِرمان ومن ضمه جعله كالرجحان والشكران والكفران.

[**الإعراب**] منتهى الاستفهام في أؤنبئكم عند قوله عند ربهم ثم استأنف جنات تجري على تقدير الجواب كأنه قيل ما ذلك الخير قال هو جنات وقيل منتهى الاستفهام عند قوله بخير من ذلك ثم ابتدأ فقال للذين اتقوا عند ربهم جنات ويجوز في العربية في بإعراب جنات الرفع والجر فالجر على أن يكون آخر الكلام عن ربهم ولا يجوز الجر على الوجه الآخر للفصل باللام كما لا يجوز أمرت لك بألفين ولأخيك مائتين حتى يقول بمائتين ولو قدمت فقلت ومائتين لأخيك لجاز وخالدين نصب على الحال.

[**المعنى**] لما صَغَّر تعالى الدنيا وزَهَّد فيها في الآية الأولى عَظّم الآخرة وشَرَّفها ورَغَّبَ فيها في هذه الآية فقال **﴿قل﴾**يا محمد لأمتك **﴿أؤنبئكم﴾** أخبركم **﴿بخير من ذلكم﴾** بأنفع لكم مما سبق ذكره في الآية المتقدمة من شهوات الدنيا ولذاتها وزهراتها **﴿للذين اتقوا﴾** ما حرم الله عليهم **﴿عند ربهم جنات تجري من تحتها الانهار﴾** أي من تحت اشجارها الأنهار وعلى القول الآخر اخبركم بخير مما سبق للذين اتقوا عند ربهم ثم ابتدأ فقال جنات أي ذلك الخير جنات تجري من تحت أبنيتها الانهار وبَيِّن الله بهذا ان انهار الجنة جارية ابداً ليست كأنهار الدنيا التي يجري ماؤها تارة وينقطع أُخرى **﴿خالدين فيها﴾** أي مقيمين في تلك الجنات **﴿وازواج مطهرة﴾** من الحيض والنفاس وجميع الأقذار والادناس والطبائع الذميمة والأخلاق اللئيمة **﴿ورضوان من الله﴾** ووراء هذه الجنات رضوان من الله **﴿والله نصير بالعباد﴾** أي خبير بأفعالهم واحوالهم.

﴿ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡمُنفِقِينَ وَٱلۡمُسۡتَغۡفِرِينَ بِٱلۡأَسۡحَارِ ﴿١٧﴾

[**اللغة**] المغفرة هي الستر للذنب برفع التبعة والذنب والجرم بمعنى واحد والفرق بينهما ان اصل الذنب الاتباع فهو مما يتبع عليه العبد من قبيح عمله كالتبعة والجرم اصله القطع فهو القبيح الذي ينقطع به عن الواجب والفرق بين القول والكلام ان القول فيه معنى الحكاية وليس كذلك الكلام والصابر الحابس نفسه عن جميع معاصي الله والمقيم على ما أوجب عليه من العبادات والصادق المخبر بالشيء على ما هو به والقانت المطيع

والاسحار جمع سحر وهو الوقت الذي قبيل طلوع الفجر اصله الخفاء لخفاء الشخص في ذلك الوقت والسحر منه أيضاً لخفـاء لخفاء والسَحْر الرئة لخفاء موضعها.

[**الاعراب**] يجوز في موضع الذين الرفع والنصب والجر للاتباع للذين اتقوا والرفع والنصب على المدح وكذلك باقي الصفات ويجوز ان يكون جراً على الصفة للذين اتقوا.

[**المعنى**] ثم وصف المتقين الذين سبق ذكرهم في قوله للذين اتقوا فقال ﴿**الذين يقولون**﴾ أي المتقين القائلين ﴿**ربنا إننا آمنا**﴾ اي صدقنا الله ورسوله ﴿**فاغفر لنا ذنوبنا**﴾ أي استرها علينا وتجاوزها عنا ﴿**وقنا**﴾ اي وادفع عنا ﴿**عذاب النار**﴾ ثم وصفهم بصفات أخر ومدحهم واثنى عليهم فقال﴿**الصابرين**﴾أي على فعل ما أمرهم الله به وترك ما نهاهم عنه وإن شئت قلت الصابرين على الطاعة وعن المعصية ﴿**والصادقين**﴾ في إيمانهم واقوالهم ﴿**والقانتين**﴾ قيل المطيعين عن قتادة وقيل الدائمين على الطاعة والعبادة عن الزجاج وقيل القائمين بالواجبات عن القاضي ﴿**والمنفقين**﴾ اموالهم في سبيل الخير ويدخل فيه الزكاة المفروضة والتطوع بالانفاق﴿**والمستغفرين بالاسحار**﴾المصلين وقت السحر عن قتادة ورواه الرضا عن أبيه (ع) عن أبي عبد الله (ع) وقيل السائلين المغفرة في وقت السحر عن أنس وقيل المصلين صلاة الصبح في جماعة عن زيد بن اسلم وقيل الذين ينتهي صلاتهم إلى وقت السحر ثم يستغفرونه ويدعون عن الحسن وروي عن أبي عبد الله ان من استغفر الله سبعين مرة في وقت السحر فهو من اهل هذه الآية وروى انس بن مالك عن النبي ﷺ انه قال ان الله عز وجل يقول إني لأهمّ بأهل الارض عذاباً فإذا نظرت إلى عّمار بيوتي وإلىٰ المتهجدين وإلى المتحابين في وإلى المستغفرين بالاسحار صرفته عنهم.

﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ
وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ
ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ
ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيَۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ
بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩﴾

[**القراءة**] قرأ الكسائي أن الدين بفتح الالف والباقون بالكسر قال الزجاج وروي عن ابن عباس قال انه لا إلـه إلا هو بكسر الالف والقراءة انه بالفتح.

[**الحجة**] قال أبو علي الوجه الكسر في إنّ لأن الكلام الذي قبله قد تم ومن فتح انّ جعله بدلاً والبدل وإن كان في تقدير جملتين فإن العامل لما لم يظهر اشبه الصفة فإذا جعلته بدلاً جاز أن تبدله من شيئين (أحدهما) من قوله انه لا إله إلا هو فكان التقدير شهد الله ان الدين عند الله الإسلام فيكون البدل من الضرب الذي الشيءفيه هـو هو وإن شئت جعلته من بدل الاشتمال لأن الإسلام يشتمل على التوحيد والعدل وإن شئت جعلته من القسط لأن الدين الذي هو الإسلام قسط وعدل فيكون من البدل الذي الشيء فيه هو هو وقال غيره ان الاولى والثانية يجوز في العربية فتحهما جميعاً وكسرهما جميعاً وفتح الاولى وكسر الثانية وكسر الاولى وفتح الثانية فمن فتحهما اوقع الشهادة على ان الثانية وحذف الإضافة من الأولى وتقديره شهد الله انه لا إله إلا هو ان الدين عند الله الاسلام ومن كسرهما اعترض بالاولى على التعظيم لله تعالى به كما قيل لبيك إن الحمد والنعمة لك وكسر الثانية على الحكاية لأن معنى شهد معنى قال قال المؤرج شهد بمعنى قال في لغة قيس عيلان ومن فتح الاولى وكسر الثانية وهو الأجود وعليه اكثر القراء اوقع الشهادة على الأولى واستأنف الثانية ومن كسر الأولى أو فتح الثانية اعترض بالأولى وأوقع الشهادة على الثانية.

[**اللغة**] حقيقة الشهادة الإخبار بالشيء عن مشاهدة أو ما يقوم مقام المشاهدة ومعنى الدين هاهنا الطاعة واصله الجزاء وسميت الطاعة ديناً لأنها للجزاء ومنه الدَّيْن لأنه كالجزاء في وجوب القضاء والإسلام اصله السلم معناه دخل في السلم واصل السلم السلامة لأنها انقياد على السلامة ويصلح ان يكون اصله التسليم لأنه تسليم لأمر الله والتسليم من السلامة لأنه تأدية الشيء على السلامة من الفساد فالإسلام هو تأدية الطاعات على السلامة من الادغال والإسلام والإيمان بمعنى واحد عندنا وعند المعتزلة غير ان عندهم الواجبات من افعال الجوارح من الإيمان وعندنا الإيمان من افعال القلوب الواجبة وليس من افعال الجوارح وقد شرحناه في اول البقرة والاسلام يفيد الانقياد لكل ما جاء به النبي ﷺ من العبادات الشرعية والاستسلام به وترك النكير عليه فإذا قلنا دين المؤمن هو الإيمان وهو الإسلام فالإسلام هو الإيمان ونظير ذلك قولنا الإنسان بشر والإنسان حيوان على الصورة الإنسانية فالحيوان على الصورة الإنسانية بشر والاختلاف ذهاب احد النفسين إلى خلاف ما ذهب إليه الآخر فهذا الاختلاف في الاديان فأما الاختلاف في الأجناس فهو امتناع

أحد الشيئين أن يسدّ مسدّ الآخر فيما يرجع إلى ذاته والبغي طلب الاستعلاء بالظلم وأصله من بغيت الحاجة إذا طلبتها.

[**الإعراب**] قيل في نصب قائماً قولان (أحدهما) انه حال من اسم الله تعالى مؤكدة لأن الحال المؤكدة يقع مع الأسماء في غير الاشارة تقول أنه زيد معروفاً وهو الحق مصدقاً وشهد الله قائماً بالقسط أي قائماً بالعدل (والثاني) أنه حال من هو من قوله لا إله إلا هو وبغياً نصب على وجهين (أحدهما) على أنه مفعول له والمعنى وما اختلف الذين اوتوا الكتاب للبغي بينهم مثل حذر الشر ونحو ذلك وقيل أنه منصوب بما دلّ عليه وما اختلف كأنه لما قيل وما اختلف الذين اوتوا الكتاب دلّ على ﴿**وما بغى الذين اوتوا الكتاب**﴾ فحمل بغياً عليه.

[**المعنى**] لما قدّم تعالى ذكر ارباب الدين اتبعه بذكر اوصاف الدين فقال ﴿**شهد الله أنَّه لا إلّه إلا هو**﴾أي أخبر الله بما يقوم مقام الشهادة على وحدانيته من عجيب صنعته وبديع حكمته وقيل معنى شهد الله قضي الله عن أبي عبيدة قال الزجاج وحقيقته علم الله وبيَّن ذلك فإن الشاهد هو العالم الذي يبيّن ما عَلِمه ومنه شهد فلان عند القاضي أي بيّن ما عَلِمه فالله تعالى قد دلّ على توحيده بجميع ما خلق وبيّن أنه لا يقدر أحد ان ينشىء شيئاً واحداً مما انشأه ﴿**والملائكة**﴾ أي وشهدت الملائكة بما عاينت من عظيم قدرته ﴿**واولوا العلم**﴾ أي وشهد أولوا العلم بما ثبت عندهم وتبيَّن من صنعه الذي لا يقدر عليه غيره وروي عن الحسن أن في الآية تقديماً وتأخيراً والتقدير شهد الله أنه لا إلّه إلا هو ﴿**قائماً بالقسط**﴾ وشهدت الملائكة أنه لا إله إلا هو قائماً بالقسط وشهد أولوا العلم أنه ﴿**لا آله إلا هو**﴾ قائماً بالقسط والقسط العدل الذي قامت به السماوات والأرض ورواه اصحابنا أيضاً في التفسير واولوا العلم هم علماء المؤمنين عن السدي والكلبي وقيل معنى قوله قائماً بالقسط أنه يقوم باجراء الامور وتدابير الخلق وجزاء الأعمال بالعدل كما يقال فلان قائم بالتدبير أي يجري افعاله على الاستقامة وإنما كَرّر قوله لا إلّه إلا هو لأنه بيّن بالأول انهُ المستحق للتوحيد لا يستحقه سواه وبالثاني أنه القائم برزق الخلق وتدبيرهم بالعدل لا ظلم في فعله ﴿**العزيز الحكيم**﴾ مرّ تفسيره وتضمنت الآية الإبانة عن فضل العلم والعلماء لأنه تعالى قرن العلماء بالملائكة وشهادتهم بشهادة الملائكة وخصهّم بالذكر كأنه لم يعتد بغيرهم والمراد بهذا العلم التوحيد وما يتعلق به من علوم الدين لأن الشهادة وقعت عليه

ومما جاء في فضل العلم والعلماء من الحديث ما رواه جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ أنه قال ساعة من عالم يتكيء على فراشه ينظر في علمه خير من عبادة العابد سبعين عاماً . وروى انس بن مالك عنه ﷺ قال تعلّموا العلم فإن تعلّمه الله حسنة ومدارسته تسبيح والبحث عنه جهاد وتعليمه من لا يعلمه صدقة وتذكره لأهله لأنه معالم الحلال والحرام ومنار سبيل الجنة والنار والأنيس في الوحشة والصاحب في الغربة والمحدث في الخلوة والدليل على السراء والضراء والسلاح على الأعداء والقرب عند الغرباء يرفع الله به اقواماً فيجعلهم في الخير قادة يقتدى بهم ويقتفى آثارهم وينتهي إلى رأيهم وترغب الملائكة في خلتهم وباجنحتها تمسحهم وفي صلاتهم تستغفر لهم وكل رطب ويابس يستغفر لهم حتى حيتان البحار وهوامها وسباع الأرض وانعامها والسماء ونجومها الا وان العلم حياة القلوب ونور الابصار وقوة الابدان يبلغ بالعبد منازل الاحرار ومجلس الملوك والفكر فيه يعدل بالصيام ومدارسته بالقيام وبه يعرف الحلال والحرام وبه توصل الارحام والعلم امام العمل والعمل تابعه يلهم السعداء ويحرم الاشقياء ومما جاء في فضل هذه الآية ما رواه انس عن النبي ﷺ قال من قرأ شهد الله الآية عند منامه خلق الله منها سبعين الف خلق يستغفرون له إلى يوم القيامة، الزبير بن العوام قال قلت لأدنونَّ هذه العشية من رسول الله ﷺ وهي عشية عرفة حتى اسمع ما يقوله فحبست ناقتي بين ناقة رسول الله وناقة رجل كان إلى جنبه فسمعته يقول شهد الله انه لا إله إلا هو الآية فما زال يردّدها حتى رفع. غالب القطان قال اتيت الكوفة في تجارة فنزلت قريباً من الأعمش فكنت اختلف إليه فلما كنت ذات ليلة اردت ان انحدر إلى البصرة قام من الليل يتهجد فمرّ بهذه الآية شهد الله أنه لا إله إلا هو الآية ثم قال الأعمش وانا اشهد بما شهد الله به واستودع الله هذه الشهادة وهي لي عند الله وديعة ان الدين عند الله الإسلام قالها مراراً قلت لقد سمع فيها شيئاً فصليت معه وودّعته ثم قلت آية سمعتك تردّدها فما بلغك فيها؟ قال لا أحدثك بها إلى سنة فكتبت على بابه ذلك اليوم اقمت سنة فلما مضت السنة قلت يا أبا محمد قد مضت السنة فقال حدثني أبو وائل عن عبد الله قال قال رسول الله ﷺ يجاء بصاحبها يوم القيامة فتقول الله ان لعبدي هذا عهداً عندي وانا احق من وفى بالعهد ادخلوا عبدي هذا الجنة وقال سعيد بن جبير كان حول الكعبة ثلاثمائة وستون صنماً فلما نزلت شهد الله انه لا إله إلا هو الآية خررن سجّدا وقوله **﴿ان الدين﴾** أي الطاعة **﴿عند الله﴾** هو **﴿الاسلام﴾** وقيل المراد بالإسلام التسليم لله ولأوليائه وهو التصديق وروي عن امير المؤمنين (ع) في خطبة له أنه قال لانسبنّ الإسلام نسبة لم ينسبها أحد قبلي الاسلام هو التسليم والتسليم هو اليقين

واليقين هو التصديق والتصديق هو الاقرار والاقرار هو الاداء والاداء هو العمل رواه علي بن إبراهيم في تفسيره قال ثم قال ان المؤمن أخذ دينه عن ربه ولم يأخذه عن رأيه ان المؤمن يعرف إيمانه في عمله وان الكافر يعرف كفرانه بانكاره ايها الناس دينكم دينكم فإن السيئة فيه خير من الحسنة في غيره ان السيئة فيه تغفر وان الحسنة في غيره لا تقبل **﴿وما اختلف الذين اوتوا الكتاب﴾** معناه وما اختلف اليهود والنصارى في صدق نبوة محمد ﷺ لما كانوا يجدونه في كتبهم بنعته وصفته ووقت خروجه **﴿إلا من بعد ما جاءهم العلم﴾** بعد ما جاءهم للعلم ثم اخبر عن علة اختلافهم فقال **﴿بغياً بينهم﴾** أي حسداً وتقديره وما اختلف الذين اوتوا الكتاب بغياً بينهم إلا من بعد ما جاءهم العلم والعلم المذكور يجوز ان يراد به البينات التي هي طرق العلم فيدخل فيه المبطلون من أهل الكتاب علموا أو لم يعلموا ويحتمل ان يراد به نفس العلم فلا يدخل فيه إلا من علم بصفة محمد ﷺ وكَتَمه عناداً وقيل المراد بالذين أوتوا الكتاب اليهود والكتاب التوراة لما عهد موسى (ع) اليهم واقام فيهم يوشع بن نون ومضى ثلاثة قرون واختلفوا عن الربيع وقيل المراد بالذين اوتوا الكتاب النصارى والكتاب الانجيل واختلفوا في أمر عيسى (ع) عن محمد بـن جعفر بن الزبير وقيل خرج مخرج الحنس ومعناه كلب الله المتقدمة واختلفوا بعدها في الدين عن الجبائي **﴿ومن يكفر بآيات الله﴾** أي بحججه وقيل بالتوراة والانجيل وما فيهما من صفة محمد ﷺ وقيل بالقرآن وما دل عليه **﴿فإن الله سريع الحساب﴾** أي لا يفوته شيء من اعمالهم وقيل معناه سريع الجزاء وحقيقة الحساب ان تأخذ مالك وتعطي ما عليك.

﴿ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُواْ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠﴾

[**القراءة**] حذف عاصم وحمزة والكسائي الياء من اتبعني اجتزاء بالكسرة واتباعاً للمصحف واثبتها الباقون على الاصل.

[**الحجة**] حذف الياء في أواخر الآي أحسن لأنها تشبه القوافي ويجوز في وسط الآي أيضاً وأحسنها ما كان قبلها نون مثل قوله ومن اتبعن فإن لم يكن نون جاز أيضاً نحو

قولك هذا غلام وما أشبه ذلك والاجود اثبات الياء وإن شئت اسكنت الياء وان شئت فتحتها.

[**الإعراب**] ومن اتبعن في محل الرفع عطفاً على التاء في قوله اسلمت ولم يؤكد الضمير فلم يقل اسلمت انا ومن اتبعن ولو قلت اسلمت وزيد لم يحسن إلا ان تقول اسلمت أنا وزيد وإنما جاز هنا لطول الكلام فصار طوله عوضاً من تأكيد الضمير المتصل بالمنفصل.

[**المعنى**] لما قدم الله سبحانه ذكر الإيمان والاسلام خاطب نبيه فقال ﴿**فإن حاجوك**﴾ المعنى فإن حاجك وخاصك النصارى وهم وفد نجران ﴿**فقل**﴾ يا محمد ﴿**أسلمت وجهي لله**﴾ وفيه وجهان (أحدهما) ان معناه انقدت لأمر الله في اخلاص التوحيد له والحجة فيه أنه الزمهم على ما اقروا من ان الله خالقهم اتباع أمره في ان لا يعبدوا إلا إياه (والثاني) ان معناه اعرضت عن كل معبود دون الله واخلصت قصدي بالعبادة إليه وذكر الأصل الذي يلزم جميع المكلفين الاقرار به لأنه لا يتبعَّض فيما يحتاج إلى العمل عليه في الدين الذي هو طريق النجاة من العذاب إلى النعيم ومعنى وجهي هنا نفسي وأضاف الإسلام إلى الوجه لأن وجه الشيء أشرف ما فيه لأنه يجمع الحواس وعليه يظهر آية الحزن والسرور فمن اسلم وجهه فقد اسلم كله ومنه قوله كل شيء هالك إلا وجهه ﴿**ومن اتبعني**﴾ أي ومن اهتدى بي في الدين من المسلمين فقد أسلموا أيضاً كما أسلمت ﴿**وقل**﴾ يا محمد ﴿**للذين أوتوا الكتاب**﴾ يعني اليهود والنصارى ﴿**والأميين**﴾ أي الذين لا كتاب لهم عن ابن عباس وغيره وهم مشركـو العرب وقد مرّ تفسير الأمي واشتقاقه عند قوله ومنهم أميون ﴿**أأسلمتم**﴾ أي أخلصتم كما أخلصت لفظه لفظ الاستفهام وهو بمعنى التوقيف والتهديد فيكون متضمناً للأمر فيكون معناه أسلموا فإن الله تعالى أزاح العلل وأوضح السبل ونظيره فهل أنتم منتهون أي انتهوا وهذا كما يقول الانسان لغيره وقد وعظه بمواعظ أَقبِلْتَ وعظي يدعوه إلى قبول الوعظ ﴿**فإن اسلموا فقد اهتدوا**﴾ إلى طريق الحق ﴿**وإن تولوا**﴾ أي كفروا ولم يقبلوا وأعرضوا عنه ﴿**فإنما عليك البلاغ**﴾ معناه فإنما عليك أن تبلغ وتقيم الحجة وليس عليك ان لا يتولوا ﴿**والله بصير بالعباد**﴾ معناه هاهنا أنه لا يفوته شيء من اعمالهم التي يجازيهم بها لأنه بصير بهم أي عالم بهم وبسرائرهم لا يخفى عليه خافية وقيل معناه عالم بما يكون منك في التبليغ ومنهم في الإيمان والكفر.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ

بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّـٰصِرِينَ ﴿٢٢﴾

[**القراءة**] قرأ حمزة يقاتلون بالألف وقيل إنما قرأها اتباعاً لمصحف عبد الله بن مسعود لأن فيه وقاتلوا الذين يأمرون والباقون يقتلون وهي القراءة الظاهرة .

[**الإعراب**] إنما دخلت الفاء في قوله ﴿ **فبشرهم** ﴾ لشبه الجزاء وإنما لم يَجُزْ ليت الذي يقوم فيكرمك وجاز أن الذي يقوم فيكرمك لأن الذي إنما دخلت الفاء في خبرها لما في الكلام من معنى الجزاء وليت تبطل معنى الجزاء وليس كذلك أنّ لأنها بمنزلة الابتداء .

[**المعنى**] لما قدّم سبحانه ذكر الاحتجاج على أهل الكتاب وحسن الوعد لهم أن أسلموا وشدة الوعيد إن أبوا فَصّل في هذه الآية كفرهم فقال ﴿ **إن الذين يكفرون** ﴾[1] **أي يجحدون** حجج الله تعالى وبيناته ﴿ **ويقتلون النبيين** ﴾ قيل هم اليهود فقد روي عن أبي عبيدة بن الجراح قال قلت يا رسول الله أيّ الناس أشد عذاباً يوم القيامة فقال رجل قتل نبيّاً أو رجلاً أمر بمعروف أو نهى عن منكر ثم قرأ ﴿ **ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس** ﴾ ثم قال (ع) يا أبا عبيدة قتلت بنو إسرائيل ثلاثة وأربعين نبياً من أول النهار في ساعة واحدة فقام مائة رجل واثنا عشر رجلاً من عُبّاد بني إسرائيل فأمروا مَنْ قتلهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر فقُتلوا جميعاً من آخر النهار في ذلك اليوم وهو الذي ذكره الله تعالى ﴿ **فبشرهم بعذاب أليم** ﴾ أي أخبرهم بأن لهم العذاب الأليم وإنما قال بشّرهم على طريق الاتباع والاستعارة والبشارة تكون في الخير دون الشر لأن ذلك لهم مكان البشارة للمؤمنين ولأنها مأخوذة من البشرة وبشرة الوجه تتغير بالسرور في الخير وبالغم في الشر ويقال كيف قال فبشرهم وإنما قتل الأنبياء أسلافهم بالجواب لأنهم رضوا بأفعالهم واقتدوا بهم فأجملوا معهم وقيل معناه بشّر هؤلاء بالعذاب الأليم لأسلافهم وقوله

(١) [بآيات الله] .

بغير حق لا يدل على أن في قتل النبيين ما هو حق بل المراد بذلك أن قتلهم لا يكون إلا بغير حق كقوله ومن يدع مع الله إلّهاً آخر لا برهان له به والمراد بذلك تأكيد النفي والمبالغة فيه كما يقال فلان لا يرجى خيره والغرض في ذلك أنه لا خير عنده على وجه من الوجوه وكما قال أبو ذؤيب :

مُتَفَلِّقٌ أَنْسَاؤُهَا عَنْ قَانِىءٍ كَالْقُرطِ صَاوٍ غُبْرُهُ لا يُرْضِعُ(١)

أي ليس له بقية لبن فيرضع وعلى هذا فقد وصف القتل بما لا بد أن يكون عليه من الصفة وهو وقوعه على خلاف الحق وكذلك الدعاء في قوله تعالى ﴿ **ومن يدع مع الله إلّها آخر لا برهان له به** ﴾ وصفه بأنه لا يكون إلا من غير برهان وقد استدل علي بن عيسى بهذه الآية على جواز انكار المنكر مع خوف القتل وبالخبر الذي رواه الحسن عن النبي ﷺ أنه قال أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر يقتل عليه وهذا فيه نظر لأن من شرط حسن انكار المنكر أن لا يكون فيه مفسدة ومتى أدّى إلى القتل فقد انتفى عنه هذا الشرط فيكون قبيحاً والوجه في الآية والأخبار التي جاءت في معناها أن يغلب على الظن أن انكار المنكر لا يؤدي إلى مفسدة فيحسن ذلك بل يجب وإن تَعقَّبه القتل لأنه ليس من شرطه أن يعلم ذلك بل يكفي فيه غلبة الظن ﴿ **أولئك الذين** ﴾ كفروا بآيات الله وقتلوا الأنبياء والأمرين بالمعروف ﴿ **حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة** ﴾ يريد بأعمالهم ما هم عليه من ادعائهم التمسك بالتوراة وإقامة شريعة موسى (ع) وأراد ببطلانها في الدنيا أنها لم تحقن دماءهم وأموالهم ولم ينالوا بها الثناء والمدح وفي الآخرة أنهم لم يستحقوا بها مثوبة فصارت كأنها لم تكن لأن حبوط العمل عبارة عن وقوعه على خلاف الوجه الذي يستحق عليه الثواب والأجر والمدح وحسن الذكر وإنما تحبط الطاعة حتى تصير كأنها لم تفعل إذا وقعت على خلاف الوجه المأمور به ﴿ **وما لهم من ناصرين** ﴾ يدفعون عنهم العذاب .

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ

(١) الإنساء جمع النسا : عرق يخرج من الورك فيستبطن الفخذين فإذا سمنت الدابة انفلقت فخذاها بلحمتين عظيمتين وجرى النَسا بينهما واستبان. أحْمر قاني : شديد الحمرة. الصاوي اليابس. الغُبر: بقية اللبن في الضرع وقاني كالقرط كنى به عن حلمة ثدي الاتان .

﴿ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ۖ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾

[**اللغة**] النصيب الحظ من الشيء وهو القسم المجعول لمن أضيف إليه والدعاء استدعاء الفعل ثم قد يكون بصيغة الأمر وبالخبر وبالدلالة والحكم والخبر الذي يفصل الحق من الباطل مأخوذ من الحَكَمة وهي المنع والغرور الاطماع فيما لا يصح غَرَّه يَغُرُّه غُروراً فهو مغرور والغَرور الشيطان لأنه يَغُرّ الناس والغار الغافل لأنه كالمغتر والغَرّارة الدنيا تغر أهلها والغِر الغُمْر الذي لم يجرب الأمور ومصدره الغَرارة لأنه من شأنه أن يقبل الغرور والغَرَر الخطر أخذ منه والغَرّ آثار طيّ الثوب أطوه على غَرّه أي على آثار طيّه والغَرْ زقّ الطائر فرخه والافتراء الكذب وفَرَى فلان كذبا يَفْرِيه (١) فِرية والفَرْي الشق وفَريَّة مفرية أي مشقوقة وقد تفرى خَرْزها أي تشقق وفريتُ الأرض سِرْتها وقطعتها .

[**الإعراب**] يُدْعون جملة في موضع الحال من أوتوا يتولى فريق جملة معطوفة على يدعون وهم معرضون في موضع نصب أيضاً على الحال من يتولى أياماً نصب على الظرف لأن مس النار يكون في تلك الأيام ومعدودات صفة الأيام .

[**المعنى**] لمَّا قدّم تعالى ذكر الحجاج بَيَّن أنهم إذا عَضَّتهم الحجة فَرّوا إلى الضجة واعرضوا عن المحجة فقال ﴿ **ألم تر** ﴾ معناها ينته علمك ﴿ **إلى الذين أوتوا نصيباً** ﴾ أي اعطوا نصيباً أي حظا من الكتاب يدعون إلى كتاب الله اختلف فيه فقيل معناه التورية عن ابن عباس دعا إليها اليهود فأبوا لعلمهم بلزوم الحجة لهم لما فيه من الدلالات على نبوة محمد ﷺ وصدقِه وإنما قال أُعطوا نصيباً من الكتاب لأنهم كانوا يعلمون بعض ما فيه وقيل معناه القرآن عن الحسن وقتادة دعوا إلى القرآن لأن ما فيه موافق لما في التورية من أصول الديانة وأركان الشريعة وفي الصفة التي تقدمت البشارة بها ﴿ **ليحكم بينهم** ﴾ يحتمل ثلاثة أشياء (أحدها) أن معناه ليحكم بينهم في نبوة محمد ﷺ عن أبي مسلم وجماعة (والثاني) أن معناه ليحكم بينهم في أمر إبراهيم وأن دينه الإسلام (والثالث) معناه ليحكم بينهم في أمر الرجم فقد روي عن ابن عباس أن رجلاً وامرأة من أهل خيبر زنيا وكانا ذوي شرف فيهم وكان في كتابهم الرجم فكرهوا رجمهما لشرفهما ورجوا أن يكون عند رسول الله

(١) الفريّة : الدلو الواسعة .

رخصة في أمرهما فرفعوا أمرهما إلى رسول الله فحكم عليهما بالرجم فقال له النعمان بن أوفى وبحريّ بن عمرو جُرْتَ عليهما يا محمد ليس عليهما الرجم فقال لهم رسول الله بيني وبينكم التوراة قالوا قد انصفتنا قال فمن أعلمكم بالتوراة قالوا رجل أعور يسكن فدك يقال له ابن صوريا فأرسلوا إليه فقدم المدينة وكان جبرائيل قد وصفه لرسول الله فقال له رسول الله أنت ابن صوريا قال نعم قال أنت أعلم اليهود قال كذلك يزعمون قال فدعا رسول الله بشيء من التوراة فيها الرجم مكتوب فقال له اقرأ فلما أتى على آية الرجم وضع كفه عليها وقرأ ما بعدها فقال ابن سلام يا رسول الله قد جاوزها وقام إلى ابن صوريا ورفع كفه عنها ثم قرأ على رسول الله ﷺ وعلى اليهود بأن المحصن والمحصنة إذا زنيا وقامت عليهما البينة رجما وإن كانت المرأة حبلى انتظر بها حتى تضع ما في بطنها فأمر رسول الله ﷺ باليهوديين فرجما فغضب اليهود لذلك فأنزل الله تعالى هذه الآية **﴿ثم يتولى فريق منهم﴾** أي طائفة منهم عن الداعي **﴿ وهم معرضون ﴾** عن اتباع الحق **﴿ ذلك ﴾** معناه شأنهم ذلك فهو خبر مبتدأ محذوف فالله تعالى بَيَّن العلة في إعراضهم عنه مع معرفتهم به والسبب الذي جَرّأهم على الجحد والانكار **﴿ بأنهم قالوا لن تمسنا النار ﴾** أي لن تصيبنا النار **﴿إلا أياماً معدودات﴾** وفيه قولان (أحدهما) أنها الأيام التي عبدوا فيها العجل وهي أربعون يوماً عن الربيع وقتادة والحسن إلا أن الحسن قال سبعة أيام (والثاني) أنهم أرادوا أياماً منقطعة عن الجبائي **﴿ وغرهم في دينهم ﴾** أي أَطْمعهم في غير مطمع **﴿ ما كانوا يفترون﴾** أي افتراءهم وكذبهم واختلفوا في الافتراء الذي غرّهم على قولين (أحدهما) قولهم نحن أبناء الله وأحباؤه عن قتادة (والآخر) قولهم لن تمسنا النار إلا أياماً معدودات عن مجاهد وهذا لا يدل على خلاف ما نذهب إليه من جواز العفو وإخراج المعاقبين من أهل الصلاة من النار لأنما نقول أن عقاب من ثبت دوام ثوابه بإيمانه لا يكون إلا منقطعاً وإن لم يُحط علماً بقدر عقابه ولا نقول أيام عقابه بعدد أيام عصيانه كما قالوا وبَيْنَ القولين بون ظاهر .

﴿ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَٰهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾

[**اللغة**] كيف موضوعة للسؤال عن الحال ومعناه هاهنا التنبيه بصيغة السؤال على حال من يساق إلى النار وفيه بلاغة واختصار شديد لأن تقديره أيّ حال يكون حال من اغتر

بالدعاوي الباطلة حتى أدّاه ذلك إلى الخلود في النار ونظيره قول القائل (أنا أكرمك وإن لم تجيء فكيف إذا جئتني) معناه فكيف إكرامي لك إذا جئتني يريد عظم الإكرام والتقدير فكيف حالهم إذا جمعناهم أي في وقت جمعهم لأنه خبر مبتدأ محذوف .

[المعنى] ثمّ أكّد سبحانه ما تقدّمَ فقال ﴿ فكيف ﴾ حالهم ﴿ إذا جمعناهم ﴾ أي وقت جمعهم وحشرهم ﴿ ليوم ﴾ أي لجزاء يوم ﴿ لا ريب فيه ﴾ لا شك فيه لمن نظر في الأدلة إذ ليس فيه موضع ريبة وشك ولو قال جمعناهم في يوم لم يدل على الجزاء واللام يدل على ذلك كما يقال جئته ليوم الخميس أي لما يكون في يوم الخميس ولا يعطي جئته في يوم الخميس هذا المعنى ﴿ ووفّيتْ كل نفس ما كسبت ﴾ فيه قولان(أحدهما)أنّ معناه وفّرت على كل نفس جزاء ما كسبت من ثواب أو عقاب(والثاني)أعطيت ما كسبت أي اجتلبت بعملها من الثواب والعقاب كما يقال كسب فلان المال بالتجارة والزراعة ﴿ وهم لا يظلمون ﴾ أي لا ينقصون عما استحقوه من الثواب ولا يزادون على ما استحقوه من العقاب .

﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَـٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِى ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ
وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ
ٱلۡخَيۡرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىۡءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِى ٱلنَّهَارِ
وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيۡلِ وَتُخۡرِجُ ٱلۡحَىَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَتُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ
مِنَ ٱلۡحَىِّ وَتَرۡزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾

[فضل الآية] روى جعفر بن محمد (ع) عن أبيه عن آبائه عن النبي ﷺ أنه قال لما أراد الله أن ينزل فاتحة الكتاب وآية الكرسي وشهد الله وقل اللهم مالك الملك إلى قوله بغير حساب تعلقن بالعرش وليس بينهن وبين الله حجاب وقلن يا رب تهبطنا إلى دار الذنوب وإلى من يعصيك ونحن معلقات بالطهور وبالعرش فقال وعزتي وجلالي ما من عبد قرأ كن في دبر كل صلاة مكتوبة إلا اسكنته حظيرة القدس على ما كان فيه وإلا نظرت إليه بعيني المكنونة في كل يوم سبعين نظرة وإلا قضيت له في كل يوم سبعين حاجة أدناها

المغفرة وإلَّا أعَذته من كل عدو ونصرته عليه ولا يمنعه دخول الجنة إلا أن يموت وقال معاذ بن جبل احتبست عن رسول الله يوماً لم أصلِّ معه الجمعة فقال يا معاذ ما يمنعك عن صلاة الجمعة قلت يا رسول الله كان ليوحنا اليهودي عليّ أوقية من تِبْر وكان على بابي يرصدني فأشفقت أن يحبسني دونك قال أتحب يا معاذ أن يقضي الله دينك قلت نعم يا رسول الله قال قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء إلى قوله بغير حساب يا رحمان الدنيا ورحيمهما تعطي منهما ما تشاء وتمنع منهما ما تشاء اقض عني ديني فإن كان عليك ملء الأرض ذهباً لأداه الله عنك .

[**القراءة**] قرأ نافع وحمزة والكسائي وحفص ويعقوب الميت بالتشديد والباقون بالتخفيف .

[**الحجة**] قال المبرد لا خلاف بين علماء البصرة أنهما سواء وأنشد لابن رعلاء الغساني :

لَيْسَ مَن ماتَ فَاسْتَراحَ بِمَيْتٍ إنّما الْمَيتُ مَيّتُ الأحْياءِ
إنّما الْمَيْتُ مَنْ يَعِيشُ كَئِيباً كاسِفاً بالُهُ قَليلُ الرَّجاءِ

فجمع بين اللغتين وما مات وما لم يمت في هذا الباب يستويان في الاستعمال وقال بعضهم الميت بالتشديد الذي لم يمت بعد وبالتخفيف الذي قد مات والصحيح الأول ألا ترى أنه قلَّ ما جاء :

وَمَنْهَلٍ فِيهِ الْغُرابُ مَيْتُ سَقَيْتُ مِنْهُ الْقَومَ وَاسْتَقَيْتُ

فهذا قد مات .

[**اللغة**] النزع قلع الشيء عن الشيء يقال نزع فلان إلى أخواله أي نزع إليهم بالشبه فصار واحداً منهم بشبهه لهم والنزاع الحنين إلى الشيء والنزوع عن الشيء الترك له لإيلاج الادخال يقال أولجه فوَلَج وُلُوجاً وولجاً ولِجَة والوليجة بطانة الرجل لأنه يطلعه على دُخْلَةِ أمره والتولج كناس الظبي لأنه يدخله والولج والولجة شيء يكون بين يدي فناء القوم .

[**الإعراب**] اللهم بمعنى يا الله والميم المشددة عند سيبويه والخليل عوض عن يا لأن يا لا يوجد مع الميم في كلامهم فعلم أن الميم في آخر الكلمة بمنزلة يا في أولها

والضمة التي في أولها ضمة الإسم المنادى المفرد والميم مفتوحة لسكونها وسكون الميم التي قبلها وقال الفراء أصله يا الله أُمّ بخير فألقيت الهمزة وطرحت حركتها على ما قبلها ومثله هلم إنما أصله هل أمّ واعترض على قول الخليل بأن الميم إنما تزاد مخففة في مثل فم وابنم وبأنها اجتمعت مع يا في قول الشاعر :

وَما عَلَيكَ أَنْ تَقُولي كُلَّما سَبَّحْتَ أَوْ صَلَّيتَ يا اللّهُما
ارْدُدْ عَلَيْنا شَيْخَنا مُسَلَّما

وقال علي بن عيسى هذا ليس بشيء لأن الميم هاهنا عوض من حرفين فشددت كما قيل قمتن وضربتن لما كانت النون عوضاً من حرفين في قمتموا أو ضربتموا فأما قمن وذهبن فالنون هناك عوض عن حرف واحد وأما البيت فإنما جاز ذلك فيه لضرورة الشعر وأما هلم فإن الأصل فيه أن حرف التنبيه وهي ها دخلت على لم عند الخليل وقوله ﴿ مالك الملك ﴾ أكثر النحويين على أنه منصوب بأنه منادى مضافٍ قال الزجاج ويحتمل أن يكون صفة من اللهم لأن اللهم بمنزلة يا الله فيكون مثل قولك يا زيد ذا الجُمّة تؤتي الملك فعل وفاعل ومفعول في موضع النصب على الحال والعامل فيه حرف النداء وذو الحال اللهم أو مالك ومن تشاء مفعول ثان والتقدير تؤتي الملك من تشاء أن تؤتيه وتنزع الملك ممن تشاء أن تنزعه منه وكذا الباء في بيدك الخير مبتدأ وخبر في موضع الحال أيضاً والعامل فيه تؤتي وتنزع وتعز وتذل وذو الحال الضمير المستكن فيها .

[**النزول**] قيل لما فتح رسول الله ﷺ مكة ووعد أمته ملك فارس والروم قال المنافقون واليهود هيهات من أين لمحمد ﷺ ملك فارس والروم ألم يكفه المدينة ومكة حتى طمع في الروم وفارس ونزلت هذه الآية عن ابن عباس وانس بن مالك وقيل أن النبي ﷺ خط الخندق عام الأحزاب وقطع لكل عشرة أربعين ذراعاً فاحتج المهاجرون والأنصار في سلمان الفارسي وكان رجلاً قوياً فقال المهاجرون سلمان منا وقال الأنصار سلمان منا فقال النبي ﷺ سلمان منا أهل البيت قال عمرو بن عوف كنت أنا وسلمان وحذيفة ونعمان بن مقرن المزني وستة من الأنصار في أربعين ذراعاً فحفرنا حتى إذا كنا بجُبّ ذي ناب أخرج الله من بطن الخندق صخرة مروة كسرت حديدنا وشقت علينا فقلنا يا سلمان أرقَ إلى رسول الله ﷺ وأخبره خبر هذه الصخرة فإما أن نعدل عنها فإن المعدل قريب وأما أن يأمرنا فيه بأمره فإنا لا نُحبّ أن نجاوز خطه قال فرقي سلمان إلى رسول الله وهو ضارب عليه قبة تركية فقال يا رسول الله خرجت صخرة بيضاء مروة من بطن الخندق

فكسرت حديدنا وشقت علينا حتى ما يحتك فيها قليل ولا كثير فمرنا فيها بأمرك فإنا لا نحب أن نجاوز خطك قال فهبط رسول الله ﷺ مع سلمان الخندق والتسعة على شفة الخندق فأخذ رسول الله ﷺ المعول من يد سلمان فضربها به ضربة صدعها وبرق منها برق أضاء ما بين لابتيها حتى كان لَكأَنَّ مصباحاً في جوف بيت مظلم فكَبَّر رسول الله ﷺ تكبيرة فتح وكبّر المسلمون ثم ضربها رسول الله الثانية فكسرها وبرق منها برق أضاء ما بين لابتيها حتى لكأن مصباحاً في جوف بيت مظلم فكبر رسول الله ﷺ تكبيرة فتحٍ وكبر المسلمون ثم ضربها رسول الله الثالثة فكسرها فبرق منها برق أضاء بها ما بين لابتيها حتى لكأن مصباحاً في جوف بيت مظلم فكبر رسول الله تكبير فتح وكبر المسلمون وأخذ بيد سلمان ورقي فقال سلمان بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد رأيت شيئاً ما رأيت منك قط فالتفت رسول الله ﷺ إلى القوم وقال رأيتم ما يقول سلمان قالوا نعم يا رسول الله قال ضربت ضربتي الأولى فبرق الذي رأيتم أضاءت لي منها قصور الحيرة ومدائن كسرى كأنها أنياب الكلاب فأخبرني جبرائيل أن أمتي ظاهرة عليها ثم ضربت ضربتي الثانية فبرق الذي رأيتم أضاءت لي منها قصور الحمر من أرض الروم كأنها أنياب الكلاب وأخبرني جبرائيل أن أمتي ظاهرة عليها ثم ضربت ضربتي الثالثة فبرق الذي رأيتم أضاءت لي منها قصور صنعاء كأنها أنياب الكلاب وأخبرني جبرائيل أن أمتي ظاهرة عليها فأبشروا فاستبشر المسلمون وقالوا الحمد لله موعد صدق وعدنا النصر بعد الحصر فقال المنافقون ألا تعجبون يُمنّيكم وبعدكم الباطل ويخبركم أنه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وأنها تفتح لكلم وأنتم إنما تحفرون الخندق من الفَرَق ولا تستطيعون أن تبرزوا فنزل القرآن وإذ يقول المنافقون الذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً وأنزل الله في هذه القصة ﴿ **قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك** ﴾ الآية رواه الثعلبي بإسناده عن عمرو بن عوف .

[**المعنى**] لمّا ذكر سبحانه مكائد أهل الكتاب علّم رسوله محاجتهم وكيف يجيبهم إذا سألوا وأجابوا فقال ﴿ **قل** ﴾ يا محمد ﴿ **اللهم** ﴾ يا الله ﴿ **مالك الملك** ﴾ مالك كل مَلِك ومُلْك فكلّ مالك دونك هالك وكل ملك دونك يهلك وقيل مالك العباد وما ملكوا عن الزجاج وقيل مالك أمر الدنيا والآخرة وقيل مالك النبوة عن مجاهد وسعيد بن جبير ﴿ **تؤتي الملك من تشاء** ﴾ تعطي الملك من تشاء وفيه محذوف أي من تشاء أن تؤتيه ﴿ **وتنزع الملك ممن تشاء** ﴾ أن تنزعه منه كما تقول خذ ما شئت ودع ما شئت ومعناه وتقطع الملك عمن تشاء أن تقطعه عنه على ما توجبه الحكمة وتقتضيه المصلحة واختلف في معناه فقيل

تؤتي الملك وأسباب الدنيا محمداً وأصحابه وأمته وتنزعه عن صناديد قريش ومن الروم وفارس فلا تقوم الساعة حتى يفتحها أهل الإسلام عن الكلبي وقيل تؤتي النبوة والإمامة مَن تشاء من عبادك وتوليه التصرف في خلقك وبلادك وتنزع الملك على هذا الوجه من الجبارين بقهرهم وإزالة أيديهم فإن الكافر والفاسق وان غلب أو ملك فليس ذلك بملك يؤتيه الله لقوله تعالى ﴿ **لا ينال عهدي الظالمين** ﴾ وكيف يكون ذلك من إيتاء الله وقد أمر بقصر يده عنه وإزالة ملكه ﴿ **وتعز من تشاء** ﴾ بالإيمان والطاعة ﴿ **وتذل من تشاء** ﴾ بالكفر والمعاصي وقيل تعز المؤمن بتعظيمه والثناء عليه وتذل الكافر بالجزية والسبي وقيل تعز محمداً وأصحابه وتذل أبا جهل وإضرابه من المقتولين يوم بدر في القليب وقيل تعز من تشاء من أوليائك بأنواع العزة في الدنيا والدين وتذل من تشاء من أعدائك في الدنيا والآخرة لأن الله تعالى لا يذل أولياءه وان أفقرهم وابتلاهم فإن ذلك ليس على سبيل الإذلال بل ليكرمهم بذلك في الآخرة يعزهم ويجلهم غاية الإعزاز والاجلال ﴿ **بيدك الخير** ﴾ اللام للجنس أي الخير كله في الدنيا والآخرة من قبلك وإنما قال بيدك الخير وإن كان بيده كل شيء من الخير والشر لأن الآية تضمنت إيجاب الرغبة إليه فلا يحسن في هذه الحالة إلا ذكر الخير لأن الترغيب لا يكون إلا في الخير وهذا كما يقال أمْر فلان بيد فلان ﴿ **إنك على كل شيء قدير** ﴾ أي قادر على جميع الأشياء لا يعجزك شيء تقدر على إيجاد المعدوم وافناء الموجود وإعادة ما كان موجوداً ﴿ **تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل** ﴾ قيل في معناه قولان (أحدهما) أن معناه ينقص من الليل فيجعل ذلك النقصان زيادة في النهار وينقص من النهار فيجعل ذلك النقصان زيادة في الليل على قدر طول النهار وقصره عن ابن عباس والحسن ومجاهد وعامة المفسرين (والآخر) معناه يدخل أحدهما في الآخرة بإتيانه بدلًا منه في مكانه عن أبي علي الجبائي ﴿ **وتخرج الحي من الميت** ﴾ أي من النطفة وهي ميتة بدليل قوله ﴿ **وكنتم أمواتاً فأحياكم** ﴾ ﴿ **وتخرج الميت من الحي** ﴾ أي النطفة من الحي وكذلك الدجاجة من البيضة والبيضة من الدجاجة عن ابن عباس وابن مسعود ومجاهد وقتادة والسدي وقيل أن معناه تخرج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن عن الحسن وروي ذلك عن أبي جعفر (ع) وأبي عبد الله (ع) ﴿ **وترزق من تشاء بغير حساب** ﴾ معناه بغير تقتير كما يقال فلان ينفق بغير حساب لأن من عادة المقتّر أن لا ينفق إلا بحساب ذكره الزجاج وقيل معناه بغير مخافة نقصان لما عنده فإنه لا نهاية لمقدوراته فما يؤخذ منها لا ينقصها ولا هو على حساب جزء من كذا كما يعطي الواحد منا العشرة من المائة والمائة من الألف وقيل أن المراد بمن يشاء أن يرزقه،

أهل الجنة لأنه يرزقهم رزقاً لا يتناوله الحساب ولا العدّ ولا الإحصاء من حيث أنه لا نهاية له ويطابقه قوله فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب .

﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾

[**القراءة**] قرأ يعقوب وسهل تَقِيَّةً وهو قراءة الحسن ومجاهد والباقون تقاة وامال الكسائي تقاة وقرأ نافع وحمزة بين التفخيم والإمالة والباقون بالتفخيم .

[**الحجة**] الأجود في تقاة التفخيم من أجل الحرف المستعلي وهو القاف وإنما جازت الإمالة لتؤذن أن الألف منقلبة من الياء وتقاة وزنها فُعَلَة نحو تُؤَدَة وتخَمَة فهما جميعاً مصدراً إتقى تقيَّة وتقاة وإتقّاءً وتقوى وأصله وُقاء إلا أن الواو المضمومة أبدلت تاء استثقالاً لها فإنهم يفرّون من ضمة الواو إلى الهمزة وإلى التاء فأما التاء فلقربها من الواو مع أنها من حروف الزيادات وأما الهمزة فلأنها نظيرتها في الطرف الآخر من مخارج الحروف مع حسن زيادتها أولا والتقية الاظهار باللسان خلاف ما ينطوي عليه القلب للخوف على النفس .

[**الإعراب**] معنى من ابتداء الغاية من قوله من دون المؤمنين على تقدير لا تجعلوا ابتداء الولاية مكاناً دون المؤمنين لأن مكان المؤمن الأعلى ومكان الكافر الأدنى كما تقول زيد دونك ولست تريد أن زيداً في موضع مستفل أو أنه في موضع مرتفع لكن جعلت الشرف بمنزلة الارتفاع والخسة كالاستفال وقوله ﴿ **فليس من الله في شيء** ﴾ من في من الله يتعلق بمحذوف وهو حال والعامل فيه ما يتعلق به في وتقديره فليس في شيء من الله فمن الله في موضع الصفة لشيء فلما تقدمه انتصب على الحال وقوله أن تتقوا في محل الجر بباء محذوف أو في محل النصب بحذف الباء على ما مرّ أمثاله .

[**المعنى**] لما بيَّن سبحانه أنه مالك الدنيا والآخرة والقادر على الاعزاز والإذلال نهى المؤمنين عن موالاة من لا اعزاز عندهم ولا إذلال من أعدائه ليكون الرغبة فيما عنده

وعند أوليائه المؤمنين دون أعدائه الكافرين فقال ﴿ **لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء** ﴾ أي لا ينبغي للمؤمنين أن يتخذوا الكافرين أولياء لنفوسهم وأن يستعينوا بهم ويلتجئوا إليهم ويظهروا المحبة لهم كما قال في عدة مواضع من القرآن نحو قوله ﴿ **لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حاد الله ورسوله** ﴾ الآية وقوله ﴿ **لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء ولا تتخذوا عدوّي وعدوّكم أولياء** ﴾ وقوله ﴿ **من دون المؤمنين** ﴾ معناه يجب أن يكون الموالاة مع المؤمنين وهذا نهي عن موالاة الكفار ومعاونتهم على المؤمنين وقيل نهي عن ملاطفة الكفار عن ابن عباس والأولياء جمع الولي وهو الذي يلي أُمْرَ من ارتضى فعله بالمعونة والنصرة ويجري على وجهين (أحدهما) المعين بالنصرة (والآخـر) المعان فقوله تعالى ﴿ **الله ولي الذين آمنوا** ﴾ معناه معينهم بنصرته ويقال المؤمن ولي الله أي معان بنصرته وقوله ﴿ **ومن يفعل ذلك** ﴾ معناه من اتخذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين ﴿ **فليس من الله في شيء** ﴾ أي ليس هو من أولياء الله والله بريء منه وقيل ليس هو من ولاية الله تعالى في شيء وقيل ليس من دين الله في شيء ثم استثنى فقال ﴿ **إلا أن تتقوا منهم تقاة** ﴾ والمعنى إلا أن يكون الكفار غالبين والمؤمنون مغلوبين فيخافهم المؤمن إن لم يظهر موافقتهم ولم يحسن العشرة معهم فعند ذلك يجوز له إظهار مودتهم بلسانه ومداراتهم تقية منه ودفعاً عن نفسه من غير أن يعتقد ذلك وفي هذه الآية دلالة على أن التقية جائزة في الدين عند الخوف على النفس وقال أصحابنا إنها جائزة في الأحوال كلها عند الضرورة وربما وجبت فيها لضرب من اللطف والاستصلاح وليس تجوز من الأفعال في قتل المؤمن ولأن يعلم أو يغلب على الظن أنه استفساد في الدين قال المفيد أنها قد تجب أحياناً وتكون فرضاً ويجوز أحياناً من غير وجوب وتكون في وقت أفضل من تركها وقد يكون تركها أفضل وإن كان فاعلها معذوراً ومعفواً عنه متفضلاً عليه بترك اللوم عليها وقال الشيخ أبو جعفر الطوسي (قده) ظاهر الروايات تدل على أنها واجبة عند الخوف على النفس وقد روي رخصة في جواز الافصاح بالحق عنده وروى الحسن أن مسيلمة الكذاب أخذ رجلين من أصحاب رسول الله ﷺ فقال لأحدهما أتشهد أن محمداً رسول الله قال نعم قال أفتشهد أني رسول الله فقال نعم ثم دعا بالآخر فقال أتشهد أن محمداً رسول الله قال نعم ثم قال أفتشهد أني رسول الله فقال إني أصمّ قالها ثلاثاً كل ذلك يجيبه بمثل الأول فضرب عنقه فبلغ ذلك رسول الله فقال أما ذلك المقتول فمضى على صدقه ويقينه وأخذ بفضله فهنيئاً له وأما الآخر فقبل رخصة الله فلا تبعة عليه فعلى هذا تكون التقية رخصة والافصاح بالحق فضيلة وقوله ﴿ **ويحذركم الله نفسه** ﴾ يعني إياه فوضع نفسه مكان إياه ومعناه ويحذركم

الله عقابه على اتخاذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين وعلى سائر المعاصي وذكر « نفسه » لتحقيق الاضافة كما يقال احذر الأسد أي صولته وافتراسه دون عينه **﴿وإلى الله المصير﴾** معناه وإلى جزاء الله المرجع وقيل إلى حكمه .

﴿ قُلْ إِن تُخْفُوا۟ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾

[**اللغة**] الصدر معروف وهو أعلى مقدم كل شيء والصدر الانصراف عن الماء بعد الري والتصدير حسام الرجل لميله إلى الصدر والصدار شبيه بالبقيرة(١) تلبسها المرأة لأنه قصير يغطي الصدر وما حاذاه .

[**الإعراب**]يعلَمْه الله جزم لأنه جواب الشرط وإن كان الله يعلمه كان أو لم يكن ومعناه يعلمه كائناً ولا يصح وصفه بذلك قبل أن يكون ورفع ويعلم ما في السماوات على الاستئناف .

[**المعنى**] لما تقدم النهي عن اتخاذ الكفار أولياء خوّفها من الابطان بخلاف الإظهار فيما نهوا عنه فقال سبحانه **﴿ قل ﴾** يا محمد **﴿ ان تخفوا ﴾** أي ان تستروا **﴿ ما في صدوركم ﴾** يعني ما في قلوبكم وإنما ذكر الصدر لأنه محل القلب **﴿ أو تبدوه ﴾** أي تظهروه **﴿ يعلمه الله ﴾** فلا ينفعكم اخفاؤه وهو مع ذلك **﴿ يعلم ما في السماوات وما في الأرض﴾** وإنما قال ذلك ليذكر بمعلوماته على التفصيل فيتمّ التحذير إذ كان من يعلم ما في السماوات وما في الأرض على التفصيل يعلم الضمير **﴿ والله على كل شيء قدير ﴾** فيقدر على أخذكم ومجازاتكم .

﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾

(١) البقيرة: قميص بلا كمين للنساء .

[**اللغة**] الأمد الغاية التي ينتهي إليها قال النابغة :

إلّا لِمِثْلِكَ أَوْ مَنْ أَنْتَ سَابِقُهُ   سَبْقَ الْجَوادِ إذا اسْتَوْلَى عَلَى الْأَمَدِ

[**الإعراب**] في انتصاب يوم وجوه (أحدها) أنه منصوب بيحذركم أي يحذركم الله نفسه يوم تجد (والثاني) بالمصير تقديره إلى الله المصير يوم تجد (والثالث) اذكر يوم تجد وقوله ﴿ **ما علمت** ﴾ ما هاهنا بمعنى الذي لأنه عمل فيه تجد فهي في موضع نصب ويحتمل أن يكون مع ما بعدها بمعنى المصدر وتقديره يوم تجد كل نفس عملها بمعنى جزاء عملها محضراً منصوب على الحال من تجد إذا جعلته من الوجدان فإن جعلته من العلم فهو مفعول ثان وقوله ﴿ **وما عملت من سوء** ﴾ يصلح فيها معنى الذي ويقوّيه قوله ﴿ **يودّ** ﴾ بالرفع ولو كان بمعنى الجزاء لكان تود مفتوحاً أو مكسوراً والرفع جائز على ضعف وأقول أن جواب لو هنا محذوف وتقدير الكلام تود أن بينها وبينه أمداً بعيداً لو ثبت ذلك لأن لو يقتضي الفعل ولا يدخل على الاسم وان مع اسمه وخبره بمنزلة مصدر فيكون تقديره لو ثبت أن بينها وبينه أمداً بعيداً فيكون في ذكر فاعل الفعل المقدر بعد لو دلالة على مفعول تود المحذوف وفي لفظ تود دلالة على جواب لو هذا ممّا سنح لي الآن وهو واضح بحمد الله تعالى ومنّه .

[**المعنى**] لمّا حذر العقاب في الآية المتقدمة بيَّن وقت العقاب فقال ﴿ **يوم تجد كل نفس ما عملت** ﴾ في الدنيا ﴿ **من** ﴾ طاعة و ﴿ **خير محضرا** ﴾ ونظيره قوله ﴿ **ووجدوا ما عملوا حاضراً وعملت نفس ما أحضرت** ﴾ ثم اختلف في كيفية وجود العمل محضراً فقيل تجد صحائف الحسنات والسيئات عن أبي مسلم وغيره وهو اختيار القاضي وقيل ترى جزاء عملها من الثواب والعقاب فأما أعمالهم فهي اعراض قد بطلت ولا يجوز عليها الإعادة فيستحيل أن ترى محضرة ﴿ **وما عملت من سوء** ﴾ معناه تجد كل نفس الذي عملته من معصية محضراً﴿ **تود لو أن بينها وبينه** ﴾ أي بين معصيتها ﴿ **أمداً بعيداً** ﴾ أي غاية بعيدة أي تود أنها لم تكن فَعَلَتها وقيل معناه مكاناً بعيداً عن السدي وقيل ما بين المشرق والمغرب عن مقاتل ﴿ **ويحذركم الله نفسه** ﴾ قد مر ذكره ﴿ **والله رؤوف بالعباد** ﴾ أي رحيم بهم قال الحسن ومن تمام رأفته بهم أن حظَّرهم عقابه على معاصيه .

﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ
ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ

رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾

[**اللغة**] المحبة هي الإرادة إلا أنها تضاف إلى المراد تارة وإلى متعلق المراد أخرى تقول أحب زيداً وأحب اكرام زيد ولا تقول في الإرادة ذلك لأنك تقول أريد إكرام زيد ولا تقول أريد زيداً وإنما كان كذلك لقوة تصرف المحبة في موضع ميل الطباع الذي يجري مجرى الشهوة فعوملت تلك المعاملة في الإضافة ومحبة الله تعالى للعبد هي إرادة ثوابه ومحبة العبد لله هي إرادته لطاعاته وقالوا أحببت فلاناً فهو محبوب استغنوا به عن محب كما استغنوا بأحببت عن حببت وقال عنترة :

وَلَقَدْ نَزَلْتِ فَلا تَظُنّي غَيْرَهُ ... مِنّي بِمَنْزِلَةِ المُحبِ الْمُكْرِمِ

فجاء به على الأصل وحكى الزجاج عن الكسائي حببت من الثلاثي وقوله ﴿ **ويغفر لكم** ﴾ لا يجوز في القياس إدغام الراء في اللام كما جاز ادغام اللام في الراء في هل رأيت لأن الراء مكررة ولا يدغم الزائد في الناقص للإخلال به والطاعة اتباع الداعي فيما دعاه إليه بأمره أو إرادته ولذلك قد يكون الإنسان مطيعاً للشيطان فيما يدعوه إليه وإن لم يقصد أن يطيعه لأنه إذا مال مع ما يجده في نفسه من الدعاء إلى المعصية فقد أطاع الداعي إليها .

[**النزول**] قال محمد بن جعفر بن الزبير نزلت الآيتان في وفد نجران من النصارى لمّا قالوا إنا نعظم المسيح حباً لله .

[**المعنى**] ثم بيّن سبحانه أن الإيمان به لا يجدي إلا إذا قارنه الإيمان برسوله ﷺ فقال ﴿ **قل** ﴾ يا محمد ﴿ **إن كنتم تحبون الله** ﴾ كما تزعمون ﴿ **فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم** ﴾ وقيل معناه إن كنتم تحبون دين الله فاتبعوا ديني يزدد لكم حباً عن ابن عباس وقيل إن كنتم صادقين في دعوة محبة الله تعالى فاتبعوني فإنكم إن فعلتم ذلك أحبكم الله ويغفر لكم ﴿ **والله غفور رحيم** ﴾ أي كثير المغفرة والرحمة ﴿ **قل أطيعوا الله والرسول** ﴾ أي قل يا محمد إن كنتم تحبون الله كما تدّعون فأظهروا دلالة صدقكم بطاعة الله وطاعة رسوله فذلك إمارة صدق الدعوة ﴿ **فإن تولوا** ﴾ أي فإن أعرضوا عن طاعة الله وطاعة رسوله ﴿ **فإن الله لا يحب الكافرين** ﴾ معناه أنه يبغضهم ولا يريد ثوابهم فدلّ بالنفي

على الإثبات وذلك أبلغ لأنه لو قال يبغضهم لجاز أن يُتَوَهَّم أنه يبغضهم من وجه ويحبهم من وجه آخر كما يجوز أن يعلم الشيء من وجه ويجهل من وجه وفي هذا دلالة على بطلان مذهب المجبرة لأنه إذا لم يحبّ الكافرين من أجل كفرهم ولم يرد ثوابهم لذلك فلا يريد إذاً كفرهم لأنه لو أراده لم يكن نفي محبته لهم لكفرهم .

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾

[**اللغة**] الاصطفاء الاختيار والاجتباء نظائر وهو افتعل من الصفوة وهذا من أحسن البيان الذي يمثل به المعلوم بالمرئي وذلك أن الصافي هو النقي من شائب الكدر فيما يشاهد فمَثَّل الله تعالى خلوص هؤلاء القوم من الفساد بخلوص الصافي من شائب الأدناس وقد بيّنا معنى الآل فيما مضى عند قوله ﴿ **وإذ نجيناكم من آل فرعون**﴾ الآية[١] ومعنى الذرية وأصله عند قوله ﴿ **من ذريتي** ﴾[٢] .

[**الإعراب**] يحتمل نصب ذرية على وجهين (أحدهما) أن يكون حالاً والعامل فيها اصطفى (والثاني) أن يكون على البدل من مفعول اصطفى .

[**المعنى**] ﴿ **إن الله اصطفى** ﴾ أي اختار واجتبى ﴿ **آدم ونوحاً** ﴾ لنبوته ﴿ **وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين** ﴾ أي على عالمي زمانهم بأن جعل الأنبياء منهم وقيل اختار دينهم كقوله ﴿**واسألِ القرية** ﴾ عن الفراء وقيل اختارهم بالتفضيل على غيرهم بالنبوة وغيرها من الأمور الجليلة التي رتبها الله لهم في ذلك من مصالح الخلق وقيل اختار آدم بأن خلقه من غير واسطة وأسكنه جنته واسجد له ملائكته وأرسله إلى الملائكة والإنس واختار نوحاً بالنبوة وطول العمر وإجابة دعائه وغرق قومه ونجاته في السفينة واختار إبراهيم بالخلة وتبريد النار واهلاك نمرود وقوله ﴿ **وآل إبراهيم وآل عمران** ﴾ قيل أراد به نفس إبراهيم ونفس عمران كقوله ﴿ **وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون** ﴾ يعني موسى وهارون وقيل آل إبراهيم أولاده إسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وفيهم داود وسليمان

(١) أي في الصفحة ٢٢٤. (٢) أي في الصفحة ٣٧٦.

ويونس وزكريا ويحيى وعيسى وفيهم نبينا لأنه من ولد اسماعيل وقيل آل إبراهيم هم المؤمنون المتمسكون بدينه وهو دين الإسلام عن ابن عباس والحسن وأما آل عمران فقيل هم من آل إبراهيم أيضاً كما قال ﴿ **ذرية بعضها من بعض** ﴾ فهم موسى وهارون ابنا عمران وهو عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب وقيل يعني بآل عمران مريم وعيسى وهو عمران بن الهشم بن أمون من ولد سليمان بن داود وهو أبو مريم لأن آل الرجل أهل البيت الذي ينتسب إليه عن الحسن ووهب وفي قراءة أهل البيت وآل محمد (ع) على العالمين وقالوا أيضاً أن آل إبراهيم هم آل محمد ﷺ الذين هم أهله ويجب أن يكون الذين اصطفاهم الله تعالى مطهرين معصومين منزهين عن القبائح لأنه تعالى لا يختار ولا يصطفي إلا من كان كذلك ويكون ظاهره مثل باطنه في الطهارة والعصمة فعلى هذا يختص الاصطفاء بمن كان معصوماً من آل إبراهيم وآل عمران سواء كان نبياً أو إماماً ويقال الاصطفاء على وجهين (أحدهما) أنه اصطفاه لنفسه أي جعله خالصاً له يختص به (والثاني) أنه اصطفاه على غيره أي اختصه بالتفضيل على غيره وعلى هذا الوجه معنى الآية فإن قيل كيف اختصهم الله بالتفضيل قبل العمل فالجواب أنه إذا كان المعلوم أن صلاح المكلفين لا يتم إلا بهم فلا بد من تقديم البشارة بهم والاخبار بما يكون من حسن شمائلهم وأفعالهم والتشويق إليهم كما يكون من جلالة اقدارهم وزكاء خلالهم ليكون ذلك داعياً للناس إلى القبول منهم والانقياد لهم وفي هذه الآية دلالة على تفضيل الأنبياء على الملائكة عليهم أجمعين الصلاة والسلام لأن العالمين يعم الملائكة وغيرهم من المخلوقين وقد فضلهم سبحانه واختارهم على الكل وقوله ﴿ **ذرية** ﴾ أي أولاداً وأعقاباً بعضها من بعض قيل معناه في التناصر في الدين وهو الإسلام أي دين بعضها من دين بعض كما قال والمنافقون والمنافقات بعضهم من بعض أي في التناصر والتعاضد على الضلال وهو قول الحسن وقتادة وقيل بعضها من بعض في التناسل والتوالد فإنهم ذرية آدم ثم ذرية نوح ثم ذرية إبراهيم وهو المروي عن أبي عبد الله (ع) لأنه قال الذين اصطفاهم الله بعضهم من نسل بعض واختاره أبو علي الجبائي ﴿ **والله سميع عليم** ﴾ فيه قولان (أحدهما) أن معناه سميع لما تقوله الذرية عليهم بما يضمرونه فلذلك فضّلهم على غيرهم لما في معلومه من استقامتهم في أقوالهم وأفعالهم (والثاني) أن معناه سميع لما تقوله امرأة عمران من النذر عليم بما تُضمره ونبَّه بذلك على استحسان ذلك منها .

[**النظم**] وجه اتصال هذه الآية بما قبلها أنه لما وقعت المنازعة في إبراهيم وعيسى واختلف أقوال النصارى واليهود فيهما بيَّن تعالى أنَّ من أطاع الرسول قال فيهما ما يقوله هو

وقيل أنه لما أمر بطاعة نبيه ﷺ وأبى ذلك المشركون بيّن تعالى أنه كما اصطفاه لرسالته اصطفى مَنْ قَبْله من الأنبياء فلا وجه لإنكارهم رسالته .

﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّيٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾

[**القراءة**] قرأ ابن عامر وأبو بكر عن عاصم ويعقوب بما وضعتُ بضم التاء وروي عن علي (ع) وقرأ الباقون وضعت على الحكاية .

[**الحجة**] من قرأ بضم التاء جعله من كلام أم مريم ومن قرأ بإسكان التاء جعل ذلك من قول الله تعالى ويقوي قول من أسكن التاء قوله ﴿ **والله أعلم بما وضعت** ﴾ ولو كان من قول أم مريم لقالت ﴿ **وأنتَ أعلم بما وصعتُ** ﴾ لأنها تخاطب الله تعالى .

[**اللغة**] معنى المحرر في اللغة يحتمل أمرين (أحدهما) المعتق من الحرية يقال حررته تحريراً أعتقته أي جعلته حراً (والآخر) من تحرير الكتاب يقال حررت الكتاب تحريراً أي أخلصته من الفساد وأصلحته والتقبل أخذ الشيء على الرضا به كتقبل الهدية وأصل التقبل المقابلة وأصل الوضع الحط وضعت المرأة الولد بمعنى ولدت والموضع مكان الوضع والضعة الخساسة لأنها تضع من قدر صاحبها والإيضاع في السير الرفق فيه لأنه حطّ عن شدة الاسراع والشيطان الرجيم مرّ تفسيرهما في أول الكتاب .

[**الإعراب**] في موضع ﴿ **إذ قالت** ﴾ أقوال (أحدها) أنه نصب بِأذكر عن الأخفش والمبرد (والثاني) أنه متعلق باصطفى آل عمران عن الزجاج (والثالث) أنه متعلق بسميع عليم فيعمل فيه معنى الصفتين تقديره والله مدرك لقولها ونيتها إذ قالت عن علي بن عيسى (والرابع) أنّ إذ زائدة فلا موضع لها من الإعراب عن أبي عبيدة وهذا خطأ عند البصريين

ومحرّراً نصب على الحال من ما وتقديره نذرت لك الذي في بطني محرّراً والعامل فيه نذرت وقوله ﴿ انثى ﴾ نصب على الحال .

[**المعنى**] لمّا ذكر سبحانه اصطفى آل عمران عَقبّه بذكر مريم بنت عمران فقال ﴿ **إذ قالت امرأة عمران** ﴾ وقد مضى القول فيه واسمها حَنّة جدة عيسى وكانتا إختين أحداهما عند عمران بن الهشم من ولد سليمان بن داود وقيل هو عمران بن ماثان عن ابن عباس ومقاتل وليس بعمران أبي موسى وبينهما ألف وثمانمائة سنة وكان بنو ماثان رؤوس بني إسرائيل والأخرى كانت عند زكريا واسمها اشياع واسم أبيها قاقود بن قبيل فيحيى ومريم ابنا خالة ﴿ **رب إني نذرت لك ما في بطني** ﴾ أي أوجبت لك بأن أجعل ما في بطني ﴿ **محرراً** ﴾ أي خادماً للبيعة يخدم في متعبداتنا عن مجاهد وقيل محرراً للعبادة مخلصاً لها عن الشعبي وقيل عتيقاً خالصاً لطاعتك لا استعمله في منافعي ولا أصرفه في الحوائج عن محمد بن جعفر بن الزبير قالوا وكان المحرر إذا حرر جعل في الكنيسة يقوم عليها ويكنسها ويخدمها لا يبرح حتى يبلغ الحلم ثم يخير فإن أحب أن يقيم فيه أقام وإن أحب أن يذهب ذهب حيث شاء قالوا وكانت حَنّة قد أمسك عنها الولد فدعت حتى أيست فبينا هي تحت شجرة إذ رأت طائراً يزق فرخا له فتحركت نفسها للولد فدعت الله أن يرزقها ولداً فحملت بمريم وروي عن أبي عبد الله قال أوحى الله تعالى إلى عمران إني واهب لك ذكراً مباركاً يبرىء الأكمه والأبرص ويحيي الموتى بإذن الله وجاعله رسولاً إلى بني إسرائيل فحدث امرأته حنة بذلك وهي أم مريم فلما حملت بها قالت رب إني نذرت لك ما في بطني محرراً ﴿ **فتقبل مني** ﴾ أي نذري قبول رضا ﴿ **إنك أنت السميع** ﴾ لما أقوله ﴿ **العليم** ﴾ بما أنوي فلهذا صحت الثقة لي ﴿ **فلما وضعتها** ﴾ قيل أن عمران هلك وهي حامل فوضعت بعد ذلك يعني ولدت مريم وكانت ترجو أن يكون غلاماً فلما وضعتها خجلت واستحيت و﴿ **قالت** ﴾ منكسة رأسها ﴿ **ربّ إني وضعتها أنثى** ﴾ وقيل فيه قولان (أحدهما) إن المراد به الاعتذار من العدول عن النذر لأنها أنثى (والآخر) إن المراد تقديم الذكر في السؤال لها بأنها أنثى لأن سعيها أضعف وعقلها أنقص فقدم ذكرها ليصح القصد لها في السؤال بقولها وإني أعيذها بك ﴿ **والله أعلم بما وضعت** ﴾ أخبار منه تعالى بأنه أعلم بوضعها لأنه هو الذي خلقها وصَوّرها وعلى القراءة الأخرى وأنت يا رب أعلم مني بما وضعت ﴿**وليس الذكر كالأنثى**﴾ لأنها لا تصلح لما يصلح الذكر له وإنما كان يجوز لهم التحرير في الذكور دون الإناث لأنها لا تصلح لما يصلح له الذكر من التحرير لخدمة بيت المقدس لما يلحقها من الحيض والنفاس والصيانة عن التبرج للناس وقال قتادة لم

يكن التحرير إلا في الغلمان فيما جرت به العادة وقيل أرادت أن الذكر أفضل من الأنثى على العموم وأصلح للأشياء والهاء في قوله وضعتها كناية عن ما في قوله ما في بطني وجاز ذلك لوقوع ما على مؤنث ويحتمل أن يكون كناية عن معلوم دل عليه الكلام ﴿ **وإني سميتها** ﴾ أي جعلت أسمها ﴿ **مريم** ﴾ وهي بلغتهم العابدة والخادمة فيما قيل وكانت مريم أفضل النساء في وقتها وأجلّهن وروى الثعلبي بإسناده عن أبي هريرة أن رسول الله (ﷺ) قال حسبك من نساء العالمين أربع مريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد ﴿ **وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم** ﴾ خافت عليها ما يغلب على النساء من الآفات فقالت ذلك وقيل إنما إستعاذتها من طعنة الشيطان في جنبها التي لها يستهل الصبي صارخاً فوقاها الله تعالى وولدها عيسى منه بحجاب فقد روى أبو هريرة أن النبي (ﷺ) قال ما من مولود إلا والشيطان يمسّه حين يولد فيستدلّ صارخاً من مس الشيطان إياه إلا مريم وابنها وقيل إنها استعاذت من أغواء الشيطان الرجيم إياها عن الحسن .

﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقًا ۖ قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾

[**القراءة**] قرأ أهل الكوفة كفلها بالتشديد والباقون بالتخفيف وقرأ أهل الكوفة إلا أبا بكر زكريا مقصوراً والباقون بالمد ونصب زكرياء مع المد أبو بكر وحده والباقون بالرفع .

[**الحجة**] قال أبو علي حجة مَنْ خَفَّفَ كفلها قوله تعالى ﴿ **أيهم يكفل مريم وزكريا** ﴾ مرتفع لأن الكفالة مسندة إليه ومن شَدَّد كفلها ففاعله الضمير العائد إلى ربها من قوله ﴿ **فتقبلها ربها** ﴾ وصار زكريا مفعولاً بعد تضعيف العين والمد والقصر في زكريا لغتان .

[**اللغة**] إنما جاء مصدر تقبلها على القبول دون التقبل لأن فيه معنى قبلها كما يقال

تكرم كرماً لأن فيه معنى كرم ومثله وأنبتها نباتاً حسناً لأن فيه معنى فنبت وقال أبو عمرو ولا نظير لقبول في المصادر بفتح فاء الفعل والباب كله مضموم الفاء كالدخول والخروج وقال سيبويه جاءت خمس مصادر على فَعول بالفتح قبول ووضوء وظهور وولوغ ووقود إلا أن الأكثر في وقود الضم إذا أريد المصدر وأجاز الزجاج في قبول الضم والقبيل الكفيل وهو الضامن يقال كَفَلْته أكْفُله كَفْلا وكُفُولا وكفالا فأنا كافل إذا تكفلت مؤنته ومنه الحديث وأنت خير المكفولين أي أحق من كفل في صغره وأرضع حتى نشأ والمكفول عنه في الفقه هو الذي عليه الدين والمكفول له هو الذي له الدين والمكفول به هو الدين والكفيل هو الذي ثبت عليه الدين والمحراب مقام الإمام من المسجد وأصله أكرم موضع في المجلس وأشرفه وقال الزجاج هو المكان العالي الشريف قال :

رُبَّـةَ مِـحْـرابٍ إذا جِئْتُـهـا لَـمْ أَلْقَـهـا أَوْ أَرْتَقِـي سُلَّمـا

ويقال للمسجد أيضاً محراب ومنه ما يشاء من محاريب أي مساجد وقيل أنه أخذ من الحرب لأنه يحارب فيها الشيطان .

[المعنى] ﴿ **فتقبلها ربها** ﴾ مع أنوثتها ورضي بها في النذر الذي نذرته حنة للعبادة في بيت المقدس ولم يقبل قبلها أنثى في ذلك المعنى وقيل معناه تكفل بها في تربيتها والقيام بشأنها عن الحسن وقبوله إياها أنه ما عرتها علة ساعة من ليل أو نهار ﴿ **بقبول حسن** ﴾ أصله بتقبلٍ حسنٍ ولكنه محمول على قوله فتقبلها قبولاً حسناً وقيل معناه سلك بها طريق السعداء عن ابن عباس ﴿ **وأنبتها نباتاً حسناً** ﴾ أي جعل نشؤها نشوأ حسناً وقيل سَوَّى خلقها فكانت تنبت في يوم ما ينبت غيرها في عام عن ابن عباس وقيل أنبتها في رزقها وغذائها حتى تمت امرأة بالغة تامة عن ابن جريج وقال ابن عباس لما بلغت تسع سنين صامت النهار وقامت الليل وتبتلت حتى غلبت الاحبار ﴿ **وكفلها زكريا** ﴾ بالتشديد معناه ضمها الله إلى زكريا وجعله كفيلها فيقوم بها وبالتخفيف معناه ضمها زكريا إلى نفسه وضمن القيام بأمرها وقالوا إن أم مريم أتت بها ملفوفة في خرقة إلى المسجد وقالت دونكم النذيرة فتنافس فيها الأحبار لأنها كانت بنت إمامهم وصاحب قربانهم فقال لهم زكريا أنا أحق بها لأن خالتها عندي فقالت له الأحبار إنها لو تُركْت لِأَحقِ الناس بها لتُرِكت لأمها التي ولدتها ولكنا نقترع عليها فتكون عند من خرج سهمه فانطلقوا وهم تسعة وعشرون رجلاً إلى نهر جار فألقوا أقلامهم في الماء فارتزّ قلم زكريا وارتفع فوق الماء ورسبت أقلامهم عن ابن اسحق وجماعة وقيل بل ثبت قلم زكريا وقام فوق الماء كأنه في طين

وجرت أقلامهم مع جرية الماء فذهب بها الماء عن السدي فَسَهَمهم زكريا وقَرَعهم وكان رأس الأحبار ونبيّهم فذلك قوله ﴿ وكفلها زكريا ﴾ وزكريا كان من ولد سليمان بن داود وفيه ثلاث لغات المد والقصر وزَكِرِيّ مشدد قالوا فلما ضم زكريا مريم إلى نفسه بنى لها بيتاً واسترضع لها فقال محمد بن إسحاق ضمها إلى خالتها أم يحيى حتى إذا شبت وبلغت مبلغ النساء بنى لها محراباً في المسجد وجعل بابه في وسطها لا يرقى إليها إلا بسلم مثل باب الكعبة ولا يصعد إليها غيره وكان يأتيها بطعامها وشرابها ودهنها كل يوم ﴿ **كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً** ﴾ يعني وجد زكريا عندها فاكهة في غير حينها فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف غَضّاً طَرّياً عن ابن عباس وقتادة ومجاهد والسدي وقيل أنها لم ترضع قط وإنما كان يأتيها رزقها من الجنة عن الحسن ﴿**قال يا مريم أنى لك هذا**﴾ يعني قال لها زكريا كيف لك ومن أين لك هذا كالمتعجب منه ﴿**قالت هو من عند الله**﴾ أي من الجنة وهذه تكرمة من الله تعالى لها وإن كان ذلك خارقاً للعادة فإن عندنا يجوز أن تظهر الآيات الخارقة للعادة على غير الأنبياء من الأولياء والأصفياء ومن منع ذلك من المعتزلة قالوا فيه قولين (أحدهما) أن ذلك كان تأسيساً لنبوة عيسى عن البلخي (والآخر) أنه كان بدعاء زكريا لها بالرزق في الجملة وكانت معجزة له عن الجبائي ﴿**إن الله يرزق من يشاء بغير حساب**﴾ تقدم تفسيره.

[**النظم**] ووجه إتصالها بما تقدم أن يكون حكاية لقول مريم وعلى هذا يكون معنى قوله بغير حساب الاستحقاق على العمل لأنه تفضل يبتدىء به من يشاء من خلقه ويحتمل أن يكون إخباراً من الله تعالى على الاستئناف.

﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾

[**القراءة**] قرأ أهل الكوفة غير عاصم فناداه الملائكة على التذكير والإمالة والباقون فنادته على التأنيث وقرأ ابن عامر وحمزة إن الله بكسر الهمزة والباقون بفتحها وقرأ حمزة

والكسائي يَبْشِرك بفتح الياء والتخفيف والباقون بضم الياء والتشديد .

[**الحجة**] من قرأ فنادته بالتاء فلموضع الجماعة كما تقول هي الرجال ومن قرأ فناداه فعلى المعنى ومن فتح إن كان المعنى فنادته بأن الله فحذف الجار وأوصل الفعل(١) في موضع نصبُ على قياس قول الخليل في موضع الجر ومن كسر اضمر القول كأنه نادته فقالت إنّ الله فحذف القول كما حذف في قول من كسر في قوله فدعا ربه إني مغلوب وإضمار القول كثير وأما يبشرك فقال أبو عبيدة يَبْشِرك ويُبَشِّرك واحد وقال الزجاج هذا من بَشَر يَبْشِر إذا فرح وأصل هذه كله إن بشرة الإنسان تنبسط عند السرور .

[**اللغة**] الهبة تمليك الشيء من غير ثمن والسيد مأخوذ من سواد الشخص فقيل سيد القوم بمعنى مالك السواد الأعظم وهو الشخص الذي يجب طاعته لمالكه هذا إذا إستعمل مضافاً أو مقيداً فأما إذا أطلق فلا ينبغي إلا لله والحصور الممتنع عن الجماع ومنه قيل للذي يمتنع أن يُخْرِج مع ندمائه شيئاً للنفقة حصور قال الأخطل :

وَشارِبٍ مُرْبحٍ بِالْكَأْسِ نَادَمَني لا بِالْحَصُورِ وَلا فِيهَا بِسَوّارِ(٢)

ويقال للذي يكتم سره حصور .

[**الإعراب**] هنالك الأصل فيه الظرف من المكان نحو رأيته هنا وهناك وهنالك والفرق أن هنا للتقريب وهنالك للتبعيد وهناك لما بينهما قال الزجاج ويستعمل في الحال كقولك من ها هنا قلت كذا أي من هذا الوجه وفيه معنى الإشارة كقولك ذا وذاك وزيدت اللام لتأكيد التعريف وكسرت لالتقاء الساكنين كما كسرت في ذلك وإنما بني لدن ولم يبن عند وإن كان بمعناه لأنه استبهم استبهام الحروف لأنه لا يقع في جواب أين كما يقع عند في نحو قولهم أين زيد فيقال عندك ولا يقال لدنك وهو قائم جملة في موضع الحال من الهاء في نادته وقوله ﴿**يصلي في المحراب**﴾ جملة في موضع الحال من الضمير في قائم وقوله ﴿ **مصدقاً** ﴾ نصب على الحال من يحيى وقوله ﴿ **من الصالحين** ﴾ من هاهنا لتبيين الصفة وليس المراد التبعيض لأن النبي (ﷺ) لا يكون إلا صالحاً .

[**المعنى**] ﴿ **هنالك** ﴾ أي عند ذلك الذي رأى من فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف على خلاف ما جرت به العادة ﴿ **دعا زكريا ربه** ﴾ قال ﴿ **رب هب لي**

---

(١) [فإنّ أنّ] . (٢) السوار: الذي يواثب نديمه إذا شرب.

من لدنك ذرية طيبة ﴾ أي طمع في رزق الولد من العاقر على خلاف مجرى العادة فسأل ذلك وقوله ﴿ طيبة ﴾ أي مباركة عن السدي وقيل صالحة تقية نقية العمل وإنما أَنَثّ طيبة وإنما سأل ولداً ذكراً على لفظ الذرية كما قال الشاعر :

أَبُوكَ خَلِيفَةٌ وَلَدَتْهُ أُخْرىٰ   وَأَنْتَ خَلِيفَةٌ ذاكَ الْكَمالُ

﴿ إنك سميع الدعاء ﴾[1] بمعنى قابل الدعاءومجيب له ومنه قول القائل سمع الله لمن حمده أي قبل الله دعاءه وإنما قيل السامع للقابل المجيب لأن من كان أهلاً أن يسمع منه فهو أهل أن يقبل منه ومن لا يعتد بكلامه فكلامه بمنزلة ما لا يسمع ﴿ فنادته الملائكة ﴾ قيل ناداه جبرائيل عن السدي فعلى هذا يكون المعنى أن النداء أتاه من هذا الجنس كما يقال ركب فلان السفن وإنما ركب سفينة واحدة والمراد جاءه النداء من جهة الملائكة وقيل نادته جماعة من الملائكة ﴿ وهو قائم يصلي في المحراب ﴾ أي في المسجد وقيل في محراب المسجد ﴿ إن الله يبشرك بيحيى ﴾ سماه الله بهذا الاسم قبل مولده واختلف فيه لم سمي بيحيى فقيل لأن الله أحيا به عُقْرَ أُمِّه عن ابن عباس وقيل أنه تعالى أحياه بالإيمان عن قتادة وقيل لأنه تعالى أحيا قلبه بالنبوة ولم يسم قبله أحد يحيى ﴿ مصدقاً بكلمة من الله ﴾ أي مصدقاً بعيسى وعليه جميع المفسرين وأهل التأويل إلا ما حكي عن أبي عبيدة أنه قال بكتاب الله كما يقولون أنشدت كلمة فلان أي قصيدته وإن طالت وإنما سمّي المسيح كلمة الله لأنه حصل بكلام الله من غير أب وقيل إنما سمي به لأن الناس يهتدون به كما يهتدون بكلام الله كما سمي روح الله لأن الناس كانوا يحيون به في أديانهم كما ـ يون بأرواحهم وكان يحيى أكبر سناً من عيسى بستة أشهر وكلف التصديق به فكان أول من صدقه وشهد أنه كلمة الله وروحه وكان ذلك إحدى معجزات عيسى (ع) وأقوى الأسباب لإظهار أمره فإن الناس كانوا يقبلون قول يحيى لمعرفتهم بصدقه وزهده ﴿ وسيداً ﴾ في العلم والعبادة عن قتادة وقيل في الحلم والتقى وحس الخلق عن الضحاك وقيل كريماً على ربه عن ابن عباس وقيل فقيهاً عالماً عن سعيد بن المسيب وقيل مطيعاً لربه عن سعيد بن جبير وقيل مطاعاً عن الخليل وقيل سيداً للمؤمنين بالرئاسة عليهم عن الجبائي والجميع يرجع إلى أصل واحد وهو أنه أهل لتمليكه تدبير من يجب عليه طاعته لما هو عليه من هذه الأحوال ﴿ وحصوراً ﴾ وهو الذي لا يأتي النساء عن ابن عباس وابن مسعود والحسن وقتادة وهو المروي عن أبي عبد الله ومعناه أنه يحصر

(١) [معناه سامع الدعاء].

نفسه عن الشهوات أي يمنعها وقيل الحصور الذي لا يدخل في اللعب والأباطيل عن المبرد وقيل هو العنين عن ابن المسيب والضحاك وهذا لا يجوز على الأنبياء لأنه عيب وذم ولأن الكلام خرج مخرج المدح ﴿ **ونبياً من الصالحين** ﴾ أي رسولاً شريفاً رفيع المنزلة من جملة الأنبياء لأن الأنبياء كلهم كانوا صالحين وفي هذه الآية دلالة على أن زكريا إنما طمع في الولد لمّا رأى تلك المعجزات وهو إن كان عالماً بأنه تعالى يقدر على أن يخلق الولد من العاقر فقد كان يجوز أن لا يفعل ذلك لبعض التدبير فلما رأى خرق العادة بخلق الفاكهة في غير وقتها قَوِي ظنّه في أنه يفعل ذلك إذا اقتضته المصلحة كما أن إبراهيم وإن كان عالماً بأنه تعالى يقدر على إحياء الموتى سأل ذلك مشاهدة ليتأكد معرفته وفيها دلالة على أن الولد الصالح نعمة من الله تعالى على العبد فلذلك بشره به .

﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿٤٠﴾

[**اللغة**] العاقر من الرجال الذي لا يولد له ومن النساء التي لا تلد يقال عَقُرت تعقِرُ عَقْراً فهي عاقر قال عبيد :

أَعاقِرٌ مِثْلَ ذاتِ رِحْمٍ أمْ غانِمٌ مِثْلَ مَنْ يَخيبُ(١)

والعُقْر دية فرج المرأة إذا غصبت نفسها وبيضة العُقر آخر بيضة والعُقر محلة القوم والعقر أصل كل شيء ويقال غلام بين الغلوميّة والغُلومة وهو الشاب من الناس والغُلمة والاغتلام شدة طلب النكاح وسمي الغلام غلاماً لأنه في حال يطلب في مثلها النكاح والغيلم منبع الماء من الآبار لأنه يطلب الظهور .

[**المعنى**] ﴿ **قال** ﴾ زكريا ﴿ **رب** ﴾ لله عز وجل لا لجبرائيل ﴿ **أنى يكون** ﴾ أي من أين يكون وقيل كيف يكون ﴿ **لي غلام** ﴾ أي ولد ﴿ **وقد بلغني الكبر** ﴾ أي أصابني الشيب ونالني الهرم وإنما جاز أن تقول بلغني الكبر لأن الكبر بمنزلة الطالب له فهو يأتيه بحدوثه فيه والإنسان أيضاً يأتي الكبر بمرور السنين عليه ولو قلت بلغني البلد بمعنى بلغت البلد لم يجز لأن البلد لا يأتيك أصلاً وقال ابن عباس كان زكريا يوم بُشّر بالولد ابن

(١) أراد بذات رحم الولوداي لا تستوي التي تلد والتي لا تلد ولا يتساوى من خرج فغنم ومَن خرج فرجع خائباً.

عشرين ومائة سنة وكانت امرأته بنت ثمان وتسعين سنة ﴿ **وامرأتي عاقر** ﴾ أي عقيم لا تلد فإن قيل لم راجع زكريا هذه المراجعة وقد بشره الله بأن يهب له ذرية طيبة بعد أن سأل ذلك قيل إنما قال ذلك على سبيل التعرف عن كيفية حصول الولد أيعطيهما الله إياه وهما على ما كانا عليه من الشيب أم يصرفهما إلى حال الشباب ثم يرزقهما الولد عن الحسن ويحتمل أن يكون إشتبه الأمر عليه أيعطيه الولد من امرأته العجوز أم من امرأة أخرى شابة فقال الله ﴿ **كذلك** ﴾ وتقديرة كذلك الأمر الذي أنتما عليه وعلى تلك الحال ﴿ **الله يفعل ما يشاء** ﴾ معناه يرزقك الله الولد منها فإنه هيّن عليه كما أنشأكما ولم تكونا شيئاً فإنه تعالى قادر يفعل ما يشاء وقيل فيه وجه آخر وهو أنه إنما قال ذلك على سبيل الاستعظام لمقدور الله والتعجب الذي يحصل للإنسان عند ظهور آية عظيمة كمن يقول لغيره كيف سمحت نفسك بإخراج ذلك المال النفيس من يدك تعجّباً من جوده وقيل أنه قال ذلك على وجه التعجب من أنه كيف أجابه الله إلى مراده فيما دعا وكيف استحقّ ذلك ومن زعم أنه إنما قال ذلك للوسوسة التي خالطت قلبه من قبل الشيطان أو خُيلّت إليه أن النداء كان من غير الملائكة فقد أخطأ لأن الأنبياء لا بدّ أن يعرفوا الفرق بين كلام الملك ووسوسة الشيطان ولا يجوز أن يتلاعب الشيطان بهم حتى يختلط عليهم طريق الإفهام .

﴿ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةًۖ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًاۗ وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٤١﴾

[**الإعراب**] في وزن آية فيه ثلاثة أقوال (أحدها) فَعَلَة إلا أنه شذّ من جهة إعلال العين مع كون اللام حرف علة وإنّما القياس في مثله إعلال اللام نحو حياة ونواة ونظيرها راية وغاية وطاية (والثاني) فَعْلَة وتقديره أيّيَة إلا أنها قلبت كراهة التضعيف نحو طائي من طي (والثالث) فاعِلة منقوصة قال علي بن عيسى وهذا ضعيف لأن تصغيرها أُيَية ولو كانت فاعلة لقالوا أُوَيِّيَةَ إلا أنه يجوز على ترخيم التصغير نحو فُطيمة والرمز الإيماء بالشفتين وقد يستعمل في الإيماء بالحاجب والعين واليد والأول أغلب وقال جوبة بن عابد :

كَأَنَّ تَكَلُّمَ الأَبْطَالِ رَمْزاً وَغَمْغَمَةً لَهُمْ مِثْلُ الْهَرِيرِ (٢)

(١) الغَمغَمة : صوت الابطال عند القتال . الهربر : صوت الكلب دون النباح .

والعشي من حين زوال الشمس إلى غروبها في قول مجاهد قال الشاعر :

فَلاَ الْظِلُّ مِنْ بَرْدِ الْضُحىٰ يَسْتَطيعُهُ وَلاَ الفِيْءَ مِنْ بَرْدِ الْعَشيِّ يَذُوقُ

والعِشاء من لدن غروب الشمس إلى أن يولي صدر الليل والعشَاء طعام العشي والعَشا مقصوراً ضعف العين وأصل الباب الظلمة والابكار من حين طلوع الفجر إلى وقت الضحى وأصله التعجيل بالشيء يقال ابكر وبكرَ بكوراً ومنه الباكورة .

[المعنى] ثم سأل الله تعالى زكريا علامة يعرف بها وقت حمل امرأته ليزيد في العبادة شكراً وقيل ليتعجل السرور به عن الحسن فـ ﴿ قال رب اجعل لي آية ﴾ أي علامة لوقت الحمل والولد فجعل الله تعالى تلك العلامة في إمساك لسانه عن الكلام إلا إيماء من غير آفة حدثت فيه بقوله ﴿ قال آيتك ﴾ أي قال الله ويحتمل أن يكون المراد قال جبرائيل آيتك أي علامتك ﴿ أن لاتكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزاً ﴾ أي إيماء عن قتادة وقيل الرمز تحريك الشفتين عن مجاهد وقيل أراد به صوم ثلاثة أيام لأنهم كانوا إذا صاموا لم يتكلموا إلا رمزاً عن عطا ﴿ واذكر ربك كثيراً ﴾ أي في هذه الأيام الثلاثة ومعناه أنه لما منع من الكلام عرف أنه لم يمنع من الذكر لله تعالى والتسبيح له وذلك أبلغ في الإعجاز ﴿ وسبح ﴾ أي نزه الله وأراد التسبيح المعروف وقيل معناه صلّ كما يقال فرغت من سبحتي أي صلاتي ﴿ بالعشي والإبكار ﴾ في آخر النهار وأوله .

﴿ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾

[المعنى] قدّم تعالى ذكر امرأة عمران وفضل بنتها على الجملة ثم ذكر تفصيل تلك الجملة فقال ﴿ وإذ قالت الملائكة ﴾ إذ هذه معطوفة على إذ في قوله إذ قالت امرأة عمران أو يكون معناه اذكر إذ قالت الملائكة وقيل يعني جبريل وحده ﴿ يا مريم إن الله اصطفاك ﴾ أي اختارك وألطف لك حتى تفرغت لعبادته وإتباع مرضاته وقيل معناه اصطفيك لولادة المسيح عن الزجاج ﴿ وطهَّرك ﴾ بالإيمان عن الكفر وبالطاعة عن المعصية عن الحسن وسعيد بن جبير وقيل طهَّرك من الأدناس والأقذار التي تعرض للنساء

من الحيض والنفاس حتى صرت صالحة لخدمة المسجد عن الزجاج وقيل طهَّرك من الأخلاق الذميمة والطبائع الرّدية ﴿ **واصطفاك على نساء العالمين** ﴾ أي على نساء عالمي زمانك لأن فاطمة بنت رسول الله صلّى الله عليها وعلى أبيها وبعلها وبنيها سيدة نساء العالمين وهو قول أبي جعفر (ع) وروي عن النبي (ﷺ) أنه قال فضلت خديجة على نساء أمتي كما فضلت مريم على نساء العالمين وقال أبو جعفر معنى الآية اصطفاك من ذرية الأنبياء وطهَّرك من السفاح اصطفاك لولادة عيسى (ع) من غير فحل وخرج بهذا من أن يكون تكريراً إذ يكون الاصطفاء على معنيين مختلفين ﴿ **يا مريم اقنتي لربك** ﴾ أي اعبديه واخلصي له العبادة عن سعيد بن جبير وقيل معناه أديمي الطاعة له عن قتادة وقيل أطيلي القيام في الصلاة عن مجاهد ﴿ **واسجدي واركعي مع الراكعين** ﴾ أي كما يعمل الساجدون والراكعون لا أن يكون ذلك أمراً لها بأن تعمل السجود والركوع معهم في الجماعة وقدَّم السجود على الركوع لأن الواو لا توجب الترتيب فإنها في الأشياء المتغايرة نظيرة التثنية في المتماثلة وإنما توجب الجمع والاشتراك وقيل معناه واسجدي لله شكراً واركعي أي وَصَلّي مع المصلين وقيل معناه صلي في الجماعة عن الجبائي .

﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾

[**اللغة**] الأنباء الأخبار الواحد نبأ والإيحاء هو القاء المعنى إلى الغير على وجه يخفى والايحاء الارسال إلى الأنبياء تقول أوحى الله إليه إي ارسل إليه ملكاً والإيحاء الإلهام ومنه قوله تعالى وأوحى ربك إلى النحل وقوله بأن ربك أوحى لها معناه القى اليها معنى ما أراد منها قال العجاج :

أَوْحىٰ لَهَا الْقَرارَ فَاْسَتَقَرَّتْ وَشَدَّهَا بِالْرّاسِيَاتِ الثُّبَّتِ

والإيحاء الايماء قال فَأَوْحَتْ الَيْنَا وَالأَنَامِلُ رُسْلُهَا ومنه قوله تعالى فأوحى اليهم أن سبّحوا بكرة وعشيا أي أشار إليهم والوحي الكتابة قال رؤبة لِقَدَر كَانَ وَحَاهُ الْوَاحي وقال (في سُوَر مِنْ رَبِّنا مَوْحِيَّةٍ) .

والقلم الذي يكتب به والقلم الذي يجال بين القوم كل انسان وقلمه وهو القدح والقلم قصّ الظُفَر ومقالم الرمح كعوبه واصله قطع طرف الشيء .

[**الإعراب**] قال أبو علي إذ في قوله إذ يلقون متعلق بكنت وإذ في قوله إذ قالت الملائكة بعد يختصمون متعلق بيختصمون ويجوز أيضاً أن يكون متعلقاً بكنت كأنه قال وما كنت لديهم إذ قالت الملائكة وهذا إنما يجوز عندي إذا قدّرت إذ الثانية بدلاً من الأولى فإن لم تقدّره هذا التقدير لم يجز وإنما يجوز البدل في هذا إذا كان وقت إختصامهم وقت قول الملائكة ليكون[1] البدل المبدل منه في المعنى.

[**المعنى**] (ذلك) اشارة إلى ما تقدم ذكره من حديث مريم وزكريا ويحيى ﴿**من انباء الغيب**﴾ أي من اخبار ما غاب عنك وعن قومك ﴿**نوحيه إليك**﴾ أي نلقيه عليك معجزة وتذكيراً وتبصرة وموعظة وعبرة ووجه الاعجاز فيه ان ما غاب عن الانسان يمكن ان يحصل علمه بدراسة الكتب أو التعلّم أو الوحي والنبي ﷺ لم يشاهد هذه القصص ولا قرأها من الكتب ولا تعلّمها إذ كان نشؤه بين أهل مكة ولم يكونوا أهل كتاب فوضح الله ان أوحى إليه بها وفي ذلك صحة نبوته ﴿**وما كنت**﴾ يا محمد ﴿**لديهم**﴾ عندهم ﴿**إذ يلقون اقلامهم**﴾ التي كانوا يكتبون بها التوراة في الماء على ما تقدم ذكره قبل وقيل اقلامهم اقداحهم للاقتراع جعلوا عليها علامات يعرفون بها من يكفل مريم على جهة القرعة ﴿**أيّهم يكفل مريم**﴾ وفيه حذف أي لينظروا ايّهم تظهر قرعته ليكفل مريم وهذا تعجيب من الله نبيّه ﷺ من شدة حرصهم على كفالة مريم والقيام بأمرها عن قتادة وقيل هو تعجيب من تدافعهم لكفالتها لشدة الأزمة التي لحقتهم حتى وفّق لها خير الكفلاء لها زكريا ﴿**وما كنت لديهم إذ يختصمون**﴾ فيه دلالة على أنهم قد بلغوا في التشاح عليها إلى حدّ الخصومة وفي وقت التشاح قولان (أحدهما) حين ولادتها وحمل امها إياها إلى الكنيسة تشاحوا في الذي يحضنها ويكفل تربيتها وهذا قول الاكثر وقال بعضهم كان ذلك وقت كبرها وعجز زكريا عن تربيتها وفي هذه الآية دلالة على ان للقرعة مدخلاً في تميزّ الحقوق وقد قال الصادق (ع) ما تقارع قوم ففوّضوا أمورهم إلى الله تعالى إلا خرج سهم المحقّ وقال أيُّ قضية أعدل من القرعة إذا فوّض الأمر إلى الله تعالى يقول فساهم فكان من المدحضين وقال الباقر أوّل من سوهم عليه مريم ابنة عمران ثم تلا وما كنت لديهم إذ يلقون اقلامهم الآية والسهام ستة ثم استهموا في يونس ثم كان عبد المطلب ولد له تسعة بنين فنذر في العاشر إن يرزقه الله غلاماً ان يذبحه فلما ولد له عبد الله لم يقدر أن يذبحه ورسول الله في صلبه فجاء بعشرة من الإبل فساهم عليها وعلى عبد الله فخرجت السهام على عبد الله فزاد عشراً فلم

(١) [عز وجل أليس الله].

تزل السهام تخرج على عبد الله ويزيد عشراً فلما ان اخرجت مائة خرجت السهام على الإبل فقال عبد المطلب ما انصفت ربي فأعاد السهام ثلاثاً فخرجت على الإبل فقال الآن علمت ان ربي قد رضي بها فنحرها.

﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾

[**القراءة**] ذكرنا القراءة في يبشّرك والقول فيه.

[**اللغة**] المسيح فعيل بمعنى مفعول واصله انه مسح من الاقذار وطهر والمسيح أيضاً الذي أحد شقي وجهه ممسوح لا عين له ولا حاجب ولذلك سُمّي الدجال به وقيل المسيح عيسى بفتح الميم والتخفيف وهو الصديق والمسيّح بكسر الميم وتشديد السين نحو الشِرّير الدجال عن إبراهيم النخعي وانكره غيره قال الشاعر «إذَ المْسَيحُ يَقْتُلُ المسِيّحَا» والوجيه الكَريم على من يسأله فلا يرده لكرم وجهه عنده خلاف من يبذل وجهه للمسألة فيرد يقال وجُه الرجل يَوْجُه وجاهة وله وجاهة عند الناس وجاه أي منزلة رفيعة والكهل ما بين الشاب والشيخ ومنه اكتهل النبت إذا طال وقوي والمرأة كهلة قال الشاعر.

وَلَا أَعُودُ بَعْدَهَا كَرِيّا أُمَارِسُ الْكَهْلَةَ وَالْصَبِيّا[١]

ومنه الكاهل ما فوق الظهر إلى ما يلي العنق وقيل الكهولة بلوغ اربع وثلاثين سنة.

[**الإعراب**] وجيها منصوب على الحال المعنى يبشرك الله بهذا الولد وجيهاً ويكلم في موضع النصب أيضاً على الحال عطفاً على وجيها وجائز أن يعطف بلفظ يفعل على فاعل لِمُضارِعَة يَفْعل فاعلاً قال الشاعر:

بَاتَ يُغَشّيهَا بِعَضْبٍ بَاتِرِ يَقْصِدُ في أَسْوُقِهَا وَجَائِر[٢]

أي قاصِدٍ أَسْوُقَهَا وَجائرٍ وكهلاً حال من يكلم.

[**المعنى**]﴿**اذ قالت الملائكة** ﴾ قال ابن عباس يريد جبرائيل ﴿**يا مريم ان الله**

(١) الكرى : المكاري.

(٢) عضب باتر أي سيف قاطع.

يبشرّك﴾ يخبرك بما يسرّك **﴿بكلمة منه﴾** فيه قولان أحدهما أنه المسيح سمّاه كلمة عن ابن عباس وقتادة وجماعة من المفسرين وإنما سمي بذلك لأنه كان بكلمة من الله من غير والد وهو قوله كن فيكون يدلّ عليه قوله ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه الآية وقيل سميّ بذلك لان الله بشرّ به في الكتب السالفة كما يقال الذي يخبرنا بالأمر إذا خرج موافقاً لأمره قد جاء كلامي فمّما جاء من البشارة به في التوراة اتانا الله من سيناء وإشرق من ساعير واستعلن من جبال فاران وساعير هو الموضع الذي بعث منه المسيح وقيل لأن الله يهدي به كما يهدي بكلمته والقول الثاني ان الكلمة بمعنى البشارة كانه قال ببشارة منه ولد **﴿اسمه المسيح﴾** فالأول اقوى ويؤيده قوله إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته القاها إلى مريم وروح منه وإنما ذكّر الضمير في أسمه وهو عائد إلى الكلمة لأنه واقع على مذكر فذهب إلى المعنى واختلف في انه لِمَ سمي بالمسيح فقيل لانه مُسِح بالبركة واليمن عن الحسن وقتادة وسعيد وقيل لأنه مُسِح بالتطهير من الذنوب وقيل لأنه مُسح بدهن زيت بورك فيه وكانت الأنبياء تمسح به عن الجبائي وقيل لأنه مسحه جبرائيل بجناحه وقت ولادته ليكون عوذة من الشيطان وقيل لأنه كان يمسح رأس اليتامى لله وقيل لأنه كان يمسح عين الأعمى فيبصر عن الكلبي وقيل لأنه كان لا يمسح ذا عاهة بيده الا برىء عن ابن عباس في رواية عطا والضحاك وقال أبو عبيدة هو بالسريانية مشيحاً فعرّبته العرب **﴿عيسى بن مريم﴾** نسبة إلى أمه رداً على النصارى قولهم انه ابن الله **﴿وجيهاً﴾** ذا جاه وقدر وشرف **﴿في الدنيا والآخرة من المقربين﴾** إلى ثواب الله وكرامته **﴿ويكلّم الناس في المهد﴾** أي صغيراً والمهد الموضع الذي يمهدّ لنوم الصبي ويعني بكلامه في المهد قوله اني عبد الله آتاني الكتاب الآية ووجه كلامه في المهد أنه تبرئة لأمه مما قذفت به وجلالة له بالمعجزة التي ظهرت فيه **﴿وكهلاً﴾** أي ويكلّمهم كهلا بالوحي الذي يأتيه من الله اعلمها الله تعالى أنه يبقى إلى حال الكهولة وفي ذلك اعجاز لكون المخبَر على وفق الخبر وقيل ان المراد به الرد على النصارى بما كان فيه من التقلب في الأحوال لأن ذلك مناف لصفة الإلّه **﴿ومن الصالحين﴾** أي ومن النبيين مثل إبراهيم وموسى وقيل ان المراد بالآية ويكلمهم في المهد دعاء إلى الله وكهلاً بعد نزوله من السماء ليقتل الدجال وذلك لأنه رفع إلى السماء وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وذلك قبل الكهولة عن زيد بن اسلم وفي ظهور المعجزة في المهد قولان (أحدهما) أنها كانت مقرونة بنبوة المسيح لأنه تعالى اكمل عقله في تلك الحال وجعله نبيّاً وأوحى إليه بما تكلم به عن الجبائي وقيل كان ذلك على التأسيس والإرهاص(١)

(١) الإرهاص: الخارق الذي يظهر من النبي قبل البعثة.

لنبوته عن ابن الأخشيد ويجوز عندنا الوجهان ويجوز أيضاً أن يكون معجزة لمريم تدل على طهارتها وبراءة ساحتها إذ لا مانع من ذلك وقد دلّت الأدلة الواضحة على جوازه وإنما جحدت النصارى كلام المسيح في المهد مع كونه آية ومعجزة لأن في ذلك ابطالاً لمذهبهم لأنه قال إني عبد الله وهذا ينافي قولهم أنه ابن الله فاستمروا على تكذيب من اخبر أنه شاهده كذلك .

﴿ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾

[**الإعراب**] فيكون هاهنا لا يجوز فيه غير الرفع لأنه لا يصلح ان يكون جواباً للأمر الذي هو كن لأن الجواب يجب بوجود الاول نحو إتني فاكرمك وقم فاقوم معك ولا يجوز قم فيقوم لأنه يكون على تقدير قم فإنك ان تقم يقم وهذا لا معنى له ولكن الوجه الرفع على الإخبار بأنه سيقوم ويجوز في قوله ان يقول له كن فيكون النصب عطفاً على يقول.

[**المعنى**] ﴿**قالت**﴾ مريم يا ﴿**رب انى يكون**﴾ أي كيف يكون ﴿**لي ولد ولم يمسسني بشر**﴾ لم تقل ذلك استبعاداً واستنكاراً بل إنما قالت استفهاماً واستعظاماً لقدرة الله لأن في طبع البشر التعجب مما خرج عن المعتاد وقيل إنما قالت ذلك لتعلم ان الله تعالى يرزقها الولد وهي على حالتها لم يمسها بشر أو يقرّ لها زوجاً ثم يرزقها الولد على مجرّى العادة ﴿**قال كذلك الله يخلق ما يشاء**﴾ أي يخلق ما يشاء مثل ذلك وهو حكاية ما قال لها الملك أي يرزقك الولد وانت على هذه الحالة لم يمسّك بشر ﴿**إذا قضى أمراً**﴾ أي خلق أمراً وقيل إذا قدّر أمراً ﴿**فإنما يقول له كن فيكون**﴾ وقيل في معناه قولان (أحدهما) أنه اخبار بسرعة حصول مراد الله في كل شيء اراد حصوله من غير مهلة ولا معاناة ولا تكلف سبب ولا اداة وإنما كنّى بهذا اللفظ لأنه لا يدخل في وهم العباد شيء أسرع من كن فيكون (والآخر) انّ هذه الكلمة كلمة جعلها الله علامة للملائكة فيما يريد احداثه وايجاده لما فيه من المصلحة والاعتبار وإنما استعمل لفظة الأمر فيما ليس بأمر هنا ليدل بذلك على ان فعله بمنزلة فعل المأمور في أنه لا كلفة فيه على الآمر.

﴿ وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ

مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّيٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾

عدّ أهل الكوفة التوراة والإنجيل آية ولم يعدّوا بني إسرائيل لتنكّر الاستئناف بأن المفتوحة وعدّ غيرهم بني إسرائيل ولم يعدّوا الانجيل طلبوا تمام صفة المسيح لأن تقديره ومعلّماً ورسولاً.

[**القراءة**] قرأ أهل المدينة وعاصم ويعقوب وسهل ويعلّمه بالياء والباقون بالنون وقرأ نافع إنّي اخلق بكسر الالف والباقون أنيّ بالفتح وقرأ أهل المدينة ويعقوب طائراً ومثله في المائدة وأبو جعفر كهيئة الطائر فيهما والباقون طيراً بغير ألف.

[**الحجة**] من قرأ ويعلّمه عطفه على قوله ان الله يبشّرك ومن قرأ ونعلمه جعله على نحو نحن قدرنا بينكم الموت ومن فتح أنّي اخلق جعلها بدلاً من آية كأنه قال وجئتكم بأني اخلق لكم ومن كسر احتمل وجهين (أحـدهما) الاستئناف وقطع الكلام مما قبله (والآخر) أنه فسرّ الآية بقوله أني اخلق كما فسّر الوعد في قوله وعدّ الله الذين آمنوا بقوله لهم مغفرة وفسرّ المثل في قوله كمثل آدم بقوله خلقه من تراب وهذا الوجه أحسن لأنه في المعنى كمن فتح وأبدل من آية ومن قرأ طائراً أراد فيكون ما انفخ فيه أو ما اخلقه طائراً فأفرد لذلك فسر أو اراد يكون كل واحد من ذلك طائراً كما قال فاجلدوهم ثمانين جلدة أي اجلدوا كل واحد منهم.

[**اللغة**] الحكمة والحكم بمعنى ونظيره الذلة والذلّ والطين معروف وطنت الكتاب جعلت عليه طيناً لأختمه به وطيّنت البيت تطييناً والهيئة الحال الظاهرة هاء فلان يهاء هيئة والنفخ معروف نفخ ينفخ نفخاً والنفاخة للماء والكلمة العمى قال سويد بن أبي كاهل.

كَمِهَتْ عَيْنَاهُ حَتَّى أبْيَضَّتَا فَهْوَ يَلْحَىٰ نَفْسَهُ لَمَّا نَزَعَ[1]

(١) يَلْحى نفسه أي يلومها . لما نزع يعني لما ترك.

والادخار الافتعال من الدخر وجوز النحويون تذخرون بالذال.

[**الإعراب**] موضع يعلمه يحتمل أن يكون نصباً بالعطف على وجيها ويحتمل أن يكون لا موضع له من الإعراب لأنه عطف على جملة لا موضع لها من الإعراب وهي قوله كذلك الله يخلق ما يشاء وقيل هو عطف على نوحيه إليك وهذا لا يجوز لأنها تخرج من معنى البشارة لمريم ورسولاً نصب على تقدير ونجعله رسولاً فحذف لدلالة البشارة عليه ويجوز أن يكون نصباً على الحال عطفاً على وجيها لا انه في ذلك الوقت يكون رسولاً بل بمعنى أنه يرسل رسولاً وقال الزجاج المعنى يكلمهم رسولاً بأبي قد جئتكم ولو قرأت بالكسر إني قد جئتكم لكان صواباً والمعنى يقول إني قد جئتكم وموضع أني اخلق لكم يحتمل أن يكون خفضاً ورفعاً فالخفض على البدل من آية والرفع على ما ذكرناه قبل وبما تأكلون جائز ان يكون ما هنا بمعنى الذي أي بما تأكلونه وتدخرونه ويجوز أن يكون بمعنى المصدر أي أنبئكم بأكلكم وادخاركم والأول اجود.

المعنى] ﴿**ويعلمه الكتاب**﴾ اراد الكتابة عن ابن جريج فال اعطى الله عيسى تسعة اجزاء من الخط وسائر الناس جزء وقيل اراد به بعض الكتب التي أنزلها الله تعالى على أنبيائه سوى التوراة والإنجيل مثل الزبور وغيره عن أبي علي الجبائي وهو اليق بالظاهر ﴿**والحكمة**﴾ أي الفقه وعلم الحلال والحرام عن ابن عباس كما روي عن النبي ﷺ أنه قال أوتيت القرآن ومثليه قالوا اراد به السنن وقيل اراد بذلك جميع ما علمه من أصول الدين ﴿**والتوراة والإنجيل**﴾ ان قيل لم افردهما بالذكر مع دخولهما في الحكمة قيل تنبيهاً عن جلالة موقعهما كقوله وملائكته ورسله وجبريل وميكال وقطع هاهنا قصة مريم وولادتها ويأتي تمام قصتها في سورة مريم وابتدأ بقصة عيسى فقال ﴿**ورسولاً إلى بني إسرائيل**﴾ وقد ذكرنا تقديره ومعناه يدور عليه ﴿**اني قد جئتكم**﴾ أي قال لهم وكلمهم لما بعث إليهم بأني قد جئتكم ﴿**بآية**﴾ أي بدلالة وحجة ﴿**من ربكم**﴾ دالة على نبوتي ثم حذف الباء فوصل الفعل ﴿**أني اخلق لكم من الطين كهيئة الطير**﴾ معناه وهذه الآية أني اقدّر لكم واصوّر لكُم من الطين مثل صورة الطير ﴿**فأنفخ فيه**﴾ أي في الطير المقدر من الطين وقال في موضع آخر فيها أي في الهيئة المقدرة ﴿**فيكون طيراً بإذن الله**﴾ وقدرته وقيل بأمر الله تعالى وإنما وصل قوله بإذن الله بقوله فيكون طيراً دون ما قبله لأن تصور الطين على هيئة الطير والنفخ فيه مما يدخل تحت مقدور العباد فأما جعل الطين طير حتى يكون لحماً ودماً وخلق الحياة فيه فيما لا يقدر عليه غير الله فقال بإذن الله ليعلم أنه من فعله تعالى وليس

كتابخانه
بنیاد دایرة المعارف اسلامی

بفعل عيسى وفي التفسير أنه صنع من الطين كهيئة الخفاش ونفخ فيه فصار طائراً ﴿**وأبرىء الأكمة**﴾ أي الذي ولد اعمى عن ابن عباس وقتادة وقيل هو الأعمى عن الحسن والسدي ﴿**والأبرص**﴾ الذي به وضح وقال وهب وربما اجتمع على عيسى من المرضى في اليوم خمسون الفاً من اطاق منهم أن يبلغه بلغه ومن لم يطق أتاه عيسى يمشي إليه وإنما كان يداويهم بالدعاء على شرط الإيمان ﴿**وأحيي الموتى بإذن الله**﴾ إنما اضاف الإحياء إلى نفسه على وجه المجاز والتوسع ولأن الله تعالى كان يحيي الموتى عند دعائه وقيل أنه أحي اربعة أنفس عازر وكان صديقاً له وكان قد مات منذ ثلاثة ايام فقال لاخته انطلقي بنا إلى قبره ثم قال اللهم رب السماوات السبع ورب الأرضين السبع إنك ارسلتني إلى بني إسرائيل ادعوهم إلى دينك واخبرهم بأني أحيي الموتى فأحّي عازر[1] فخرج من قبره وبقي وولد له وابن العجوز مر به مبيتاً على سريره فدعا الله عيسى (ع) فجلس على سريره ونزل عن اعناق الرجال ولبس ثيابه ورجع إلى اهله وبقي وولد له وابنة العاشر قيل له أتحييها وقد ماتت أمس فدعا الله فعاشت وبقيت وولدت وسام بن نوح دعا عليه باسم الله الأعظم فخرج من قبره وقد شاب نصف رأسه فقال قد قامت القيامة قال لا ولكني دعوتك باسم الله الأعظم قال ولم يكونوا يشيبون في ذلك الزمان لأن سام بن نوح قد عاش خمس مائة سنة وهو شاب ثم قال له مت قال بشرط أن يعيذني الله من سكرات الموت فدعا الله ففعل وقال الكلبي كان يحيي الأموات بيا حي يا قيوم وإنما خص عيسى (ع) بهذه المعجزات لأن الغالب كان في زمانه الطب فاراهم الله الآيات من جنس ما هم عليه لتكون المعجزة اظهر كما ان الغالب لما كان في زمن موسى السحر أتاهم من جنس ذلك بما أعجزهم عن الإتيان بمثله وكان الغالب في زمان نبيّنا ﷺ البيان والبلاغةوالفصاحة فأراهم الله تعالى المعجزة بالقرآن الذي بهرهم ما فيه من عجائب النظم وغرائب البيان ليكون أبلغ في باب الإعجاز بأن يأتي كلاً من أمم الأنبياء بمثل ما هم عليه ويعجزون عن الإتيان بمثله إذ لو أتاهم بما لا يعرفونه لكان يجوز أن يخطر ببالهم ان ذلك مقدور للبشر غير انهم لا يهتدون إليه ﴿**وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم**﴾ أي اخبركم بالذي تأكلونه وتدخرونه كأن يقول للرجل تغديت بكذا وكذاورفعت إلى الليل[2] كذا وكذا ﴿**إن في ذلك**﴾ أي فيما ذكرت لكم ﴿**لآية**﴾ أي حجة ومعجزة ودلالة ﴿**لكم إن كنتم مؤمنين**﴾ بالله إذ كان

---

(١) [قال فقام عازر].

(٢) وفي بعض المخطوطة «ودفعت إلى البيت» مكان «ورفعت الى الليل».

لا يصح العلم بمدلول المعجزة إلا لمن آمن بالله لأن العلم بالمرسل لابد أن يكون قبل العلم بالرسول وفي الآية دلالة على ان عيسى (ع) كان مبعوثاً إلى جميع بني إسرائيل وقوله أني أخلق لكم يدل على ان العبد يحدث ويفعل ويخلق خلافاً لقول المجبرة لكن الخالق على الإطلاق هو الله تعالى.

﴿ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾

[**اللغة**] الفرق بين التصديق والتقليد ان التصديق لا يكون إلا فيما تبرهن عند صاحبه والتقليد قد يكون فيما لا يتبرهن ولهذا لا نكون مقلدين للنبي ﷺ وإن كنا مصدقين له والاحلال هو الاطلاق للفعل بتحسينه والتحريم هو حظر الفعل بتقبيحه والاستقامة خلاف الاعوجاج.

[**الإعراب**] مصدقاً نصب على الحال وتقديره وجئتكم مصدقاً لأن اول الكلام يدل عليه ونظيره جئته بما يجب ومعرفاً له ولا يكون عطفاً لا على وجيها ولا رسولا لقوله لما بين يديَّ ولم يقل لما بين يديه وقال أبو عبيدة اراد بقوله بعض الذي حرم كل الذي حرم ويستشهد بقول لبيد.

تَـرَّاكُ أَمْـكِنَـةٍ إذا لَـمْ أَرْضَـهـا أَوْ يَعْتَلِقْ بَعْضَ النُّفُوسِ حِمامُها[١]

قال معناه أو تعتلق كل النفوس وانكر الزجاج ذلك وقال معناه او تعتلق نفسي حمامها وخطَّأ أبا عبيدة من وجهين (أحدهما) ان البعض لا يكون بمعنى الكل (والثاني) انه لا يجوز تحليل جميع المحرمات لأنه يدخل الكذب والظلم والقتل في ذلك.

[**المعنى**] **﴿ومصدقاً لما بين يدي﴾** اي لما انزل[٢] قبلي من التوراة وما فيه البشارة بي ومن ارسل قبلي من الأنبياء **﴿ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم﴾** هذا معطوف على معنى قوله مصدقاً وتقديره ولأصدق ما بين يدي من التوراة ولأحل لكم كما تقول جئته

---

(١) او يعتلق بمعنى إلى ان يعتلق . الحمام : الموت. (٢) [من].

معتذراً ولاجتلب عطفه وقيل ان الذي احل لهم لحوم الإبل والشروب[١] وبعض الطيور والحيتان مما كان قد حرم على بني إسرائيل عن قتادة والربيع وابن جريج ووهب وقيل أحل لكم الست عن الكلبي ﴿وجئتكم بآية من ربكم﴾ أي بحجة تشهد بصدقي ﴿فاتقوا الله﴾ في مخالفتي وتكذيبي ﴿وأطيعوني﴾ كما أمركم الله به ﴿إن الله ربي وربكم﴾ أي مالكي ومالككم وإنما قال ذلك ليكون حجة على النصارى في قولهم المسيح ابن الله والمعنى لا تنسبوني اليه فأنا عبده كما انكم عبيد له ﴿فاعبدوه﴾ وحده ﴿هذا صراط مستقيم﴾ أي دين الله أي عبادته دين مستقيم وقد استوفينا الكلام في الرب وفي الصراط المستقيم في سورة الحمد.

﴿ * فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾

[**اللغة**] الإحساس الادراك بالحاسة والحس القتل لأنه يحس بألمه والحس العطف لإحساس الرقة على صاحبه والأنصار جمع نصير كالاشراف جمع شريف واصل الحواري الحور وهو شدة البياض ومنه الحواري من الطعام لشدة بياضه قال الحرث بن حِلِّزة.

فَقُلْ لِلْحَوارِيّاتِ يَبْكِينَ غَيْرَنا وَلا تَبْكِنا إلاَّ الْكِلابُ النَّوابِحُ

يعني النساء لبياضهن والشاهد هو المخبر بالشيء عن مشاهدة هذا حقيقة وقد يتصرف فيه فيقال البرهان شاهد بحق أي هو بمنزلة المخبر به عن مشاهدة ويقال هذا شاهد أي معدّ للشهادة والمكر الالتفاف ومنه قولهم لضرب من الشجر مكر لالتفافه والممكورة من النساء الملتفة الخلق وحدّ المكر خَبٌّ يختدع به العبد لإيقاعه في الضر والفرق بين المكر والحيلة ان الحيلة قد تكون لإظهار ما يعسر من الفعل من غير قصد إلى الإضرار بالعبد والمكر حيلة على العبد توقعه في مثل الوَهْقَ[٢].

[**الإعراب**] قيل إنّ إلى بمعنى مع كقولهم الذَوْد إلى الذود إبل أي مع الذود[٣] قال

(١) وفي التبيان «الثروب» بالثاء المثلثة بدل الشين وهو الظاهر . والثرب: الشحم الرقيق الذي على الكرش والامعاء .

=

الزجاج لا يجوز ان يقال أن بعض الحروف من حروف المعاني بمعنى الآخر وإنما معنى هذا ان اللفظ لو عبر عنه بمع أفاد هذا المعنى لا ان إلى بمعنى مع لو قلت ذهب زيد إلى عمرو لم يجز ان يقول ذهب زيد مع عمرو لأن إلى غاية ومع يضم الشيء إلى الشيء والحروف قد تتقارب في الفائدة فيظن الضعيف العلم باللغة ان معناهما واحد من ذلك قوله تعالى ولأصلبنكم في جذوع النخل ولو كانت على هاهنا لأدت هذه الفائدة واصل في إنما هو للوعاء واصل على لما علا الشيء فقولك التمر في الجراب لو قلت على الجراب لم يصح ذلك ولكن جاز في جذوع النخل لأن الجذع مشتمل على المصلوب لأنه قد أخذه من اقطاره ولو قلت زيد على الجبل أو في الجبل يصلح لأن الجبل قد اشتمل على زيد فعلى هذا مجاز هذه الجروف.

[**المعنى**]﴿**فلما احس**﴾ أي وجد وقيل ابصر ورأى وقيل علم ﴿**عيسى منهم الكفر**﴾ وانهم لا يزدادون الا اصراراً على الكفر بعد ظهور الآيات والمعجزات امتحن المؤمنين من قومه بالسؤال والتعريف عما في اعتقادهم من نصرته فـ ﴿**قال من انصاري إلى الله**﴾ وقيل أنه لما عرف منهم العزم على قتله قال من انصاري إلى الله وفيه اقوال (أحدها) ان معناه من اعواني على هؤلاء الكفار مع معونة الله عن السدي وابن جريج (والثاني) ان معناه من انصاري في السبيل إلى الله عن الحسن لأنه دعاهم إلى سبيل الله (والثالث) ان معناه من اعواني على اقامة الدين المؤدي إلى الله أي إلى نيل ثوابه كقوله اني ذاهب إلى ربي سيهديني ومما يسأل على هذا ان عيسى إنما بعث للوعظ دون الحرب فلم استنصر عليهم فيقال لهم للجماعة من الكافرين الذين أرادوا قتله عند إظهار الدعوة عن الحسن ومجاهد وقيل أيضاً يجوز أن يكون طلب النصرة للتمكين من إقامة الحجة ولتميز الموافق من المخالف ﴿**قال الحواريون**﴾ واختلف في سبب تسميتهم بذلك على أقوال (أولها) أنهم سمّوا بذلك لنقاء ثيابهم عن سعيد بن جبير (وثانيها) أنهم كانوا قَصّارين يبيّضون الثياب عن ابن أبي نجيح عن أبي ارطاه (وثالثها) أنهم كانوا صيادين يصيدون السمك عن ابن عباس والسدي (ورابعها) أنهم كانوا خاصة الأنبياء عن قتادة والضحاك وهذا أوجه لأنهم مُدحوا بهذا الاسم كأنه ذهب إلى نقاء قلوبهم كنقاء الثوب الأبيض بالتحوير ويروى عن النبي ﷺ

= (٢) الوهق: حبل في طرفه عقده يجعل في عنق الدابة.

(٣) الدود: ثلاثة ابعرة إلى التسعة وقيل إلى العشرة. وهذا مثل معناه إذا ضمّ القليل إلى القليل يصير المجموع كثيراً.

أنه قال الزبير ابن عمتي وحواريي من امتي وقال الحسن الحواري الناصر والحواريون الأنصار وقال الكلبي وأبو روق الحواريون أصفياء عيسى وكانوا اثني عشر رجلاً وقال عبد الله بن المبارك سُمّوا حواريين لأنهم كانوا نورانيين عليهم اثر العبادة ونورها وحسنها كما قال تعالى سيماهم في وجوههم من اثر السجود ﴿**نحن أنصار الله**﴾ معناه نحن اعوان الله على الكافرين من قومك أي أعوان رسول الله ﷺ واعوان دين الله ﴿ **آمنا بالله**﴾ أي صدقنا بالله أنه واحد لا شريك له ﴿**واشهد**﴾ يا عيسى ﴿**بـأنّا مسلمون**﴾ أي لنا كن شهيداً عند الله اشهدوه على اسلامهم لأن الأنبياء شهداء على خلقه يوم القيامة كما قال تعالى ويوم نبعث من كل أمة شهيداً ﴿**ربنا**﴾ أي يا ربنا ﴿**آمنا بما أنزلت**﴾ على عيسى ﴿**واتبعنا الرسول**﴾ أي اتبعناه ﴿**فاكتبنا مع الشاهدين**﴾ أي في جملة الشاهدين بجميع ما أنزلت لنفوز بما فازوا به وننال ما نالوا من كرامتك وقيل معناه واجعلنا مع محمد ﷺ وامته عن ابن عباس وقد سَمّاهم الله شهداء بقوله لتكونوا شهداء على الناس أي من الشاهدين بالحق من عندك هذا كله حكاية قول الحواريين وروي أنهم اتبعوا عيسى وكانوا إذا جاعوا قالوا يا روح الله جعنا فيضصرب بيده على الأرض سهلاً كان أو جبلاً فيخرج لكل إنسان منهم رغيفين يأكلهما وإذا عطشوا قالوا يا روح الله عطشنا فيضرب بيده على الأرض سهلاً كان أو جبلاً فيخرج ماء فيشربون قالوا يا روح الله من أفضل منا إذا شئنا اطعمتَنا وإذا شئنا سقيتَنا وقد آمنا بك واتبعنا قال أفضل منكم من يعمل بيده ويأكل من كسبه فصاروا يغسلون الثياب بالكراء وقوله ﴿**ومكروا**﴾ يعني كفار بني إسرائيل الذين عناهم الله بقوله فلما أحس عيسى منهم الكفر الآية ومعناه دبّروا لقتل عيسى (ع) ﴿**ومكر الله**﴾ أي جازاهم على مكرهم وسمى المجازاة على المكر مكراً كما قال الله تعالى الله يستهزيء بهم وجاء في التفسير ان عيسى بعد اخراج قومه اياه من بين اظهرهم عاد إليهم مع الحواريين وصاح فيهم بالدعوة فهمّوا بقتله وتواطأوا على الفتك به فذلك مكرهم به ومكر الله بهم القاؤه الشبه على صاحبهم الذي أراد قتل عيسى حتى قتل وصلب ورفع عيسى إلى السماء وقال ابن عباس لما أراد ملك بني إسرائيل قتل عيسى (ع) دخل خوخته وفيها كوة فرفعه جبرائيل من الكوة إلى السماء وقال الملك لرجل منهم خبيث ادخل عليه فاقتله فدخل الخوخة فألقى الله عليه شبه عيسى فخرج إلى أصحابه يخبرهم انه ليس في البيت فقتلوه وصلبوه وظنوا أنه عيسى وقال وهب اسروه ونصبوا له خشبة ليصلبوه فأظلمت الأرض وارسل الله الملائكة فحالوا بينه وبينهم فأخذوا رجلاً يقال له يهوذا وهو الذي دَلّهم على المسيح وذلك ان عيسى جمع الحواريين تلك الليلة وأوصاهم ثم قال ليكفرن بي أحدكم قبل ان يصيح الديك ويبيعني بدراهم

يسيرة فخرجوا وتفرقوا وكانت اليهود تطلبه فأتى أحد الحواريين إليهم فقال ما تجعلوا لي أن أدلكم عليه فجعلوا له ثلاثين درهماً فأخذها ودَلّهم عليه فألقى الله عليه شبه عيسى (ع) لما دخل البيت ورفع عيسى فأخذ فقال أنا الذي دللتكم عليه فلم يلتفتوا إلى قوله وصلبوه وهم يظنون أنه عيسى فلما صلب شبه عيسى (ع) واتى على ذلك سبعة أيام قال الله عز وجل لعيسى اهبط على مريم لتجمع لك الحواريين وتبثّهم في الأرض دعاة فهبط واشتعل الجبل نوراً فجمعت له الحواريين فبثهم في الأرض دعاة ثم رفعه الله سبحانه وتلك الليلة هي الليلة التي تدخن فيها النصارى فلما أصبح الحواريون حَدَّث كل واحد منهم بلغة من ارسله عيسى (ع) إليهم فذلك قوله تعالى ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين أي افضل المعاونين وقيل انصف الماكرين وأعدلهم لأن مكرهم ظلم ومكره عدل وانصاف وإنما اضاف الله المكر إلى نفسه على مزاوجة الكلام كما قال فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم والثاني ليس باعتداء وإنما هو جزاء وهذا أحد وجوه البلاغة كالمجانسة والمطابقة والمقابلة فالمجانسة كقوله تتقلب فيه القلوب والأبصار والمطابقة كقوله ﴿ماذا أنزل ربكم قالوا خيراً﴾ بالنصب على مطابقة السؤال والمقابلة نحو قوله **﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ووجوه يومئذٍ باسرة تظن أن يفعل بها فاقرة﴾.**

﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾

[الإعراب] العامل في إذ قوله ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين إذ قال ويحتمل ان يكون تقديره ذاك إذ قال الله وتمثيله ذاكِ واقع إذ قال الله ثم حذفت واقع وهو العامل في إذ واقيمت إذ مقامه وعيسى في موضع الضم لأنه مناديّ مفرد لكن لا يتبين فيه الإعراب لأنه منقوص وهو لا ينصرف لاجتماع العجمة والتعريف.

[المعنى] لَمَّا بينَّ سبحانه ما هَمَّ به قوم عيسى من المكر به وقتله عَقَّبَه بما انعم عليه من لطف التدبير وحسن التقدير فقال **﴿إذ قال الله يا عيسى اني متوفيك﴾** وقيل في

معناه اقوال (أحدها) ان المراد به إني قابضك برفعك من الأرض إلى السماء من غير وفاة بموت عن الحسن وكعب وابن جريج وابن زيد والكلبي وغيرهم وعلى هذا القول يكون للتموفى تأويلان (أحدهما) إني رافعك إليَّ وافياً لم ينالوا منك شيئاً من قولهم توفيت كذا واستوفيته أي أخذته تاماً (والآخر) اني متسلمك من قولهم توفيت منه كذا أي تسلمته (وثانيها) اني متوفيك وفاة نوم ورافعك إلي في النوم عن الربيع قال رفعه نائماً ويدل عليه قوله **﴿وهو الذي يتوفاكم بالليل اي يميتكم﴾** لأن النوم اخو الموت وقال الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها الآية (وثالثها) إني متوفيك وفاة نوم عن ابن عباس ووهب قالا اماته الله ثلاث ساعات فأما النحويون فيقولون هو على التقديم والتأخير أي إني رافعك ومتوفيك لأن الواو لا توجب الترتيب بدلالة قوله فكيف كان عذابي ونذر والنذر قبل العذاب بدلالة قوله **﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً﴾** وهذا مروي عن الضحاك ويدل عليه ما روي عن النبي ﷺ أنه قال ان عيسى بن مريم لم يمت وانه راجع اليكم قبل يوم القيامة وقد صح عنه ﷺ انه قال كيف انتم إذا نزل ابن مريم فيكم وامامكم منكم رواه البخاري ومسلم في الصحيح فعلى هذا يكون تقديره إني قابضك بالموت بعد نزولك من السماء وقوله **﴿ورافعك إلي﴾** فيه قولان (أحدهما) إني رافعك إلى سمائي وسمي رفعه إلى السماء رفعاً إليه تفخيماً لأمر السماء يعني رافعك لموضع لا يكون عليك الا أمري (والآخر) أن معناه رافعك إلى كرامتي كما قال حكاية عن إبراهيم (ع) اني ذاهب إلى ربي سيهديني أي إلى حيث أمرني ربي سمى ذهابه إلى الشام ذهاباً إلى ربه وقوله **﴿ومطهرك من الذين كفروا﴾** وفيه قولان (أحدهما) مطهرك باخراجك من بينهم وانجائك منهم فإنهم أرجاس جعل مقامه فيما بينهم كملاقاة النجاسة من حيث كان يحتاج إلى مجاورتهم ومجاراتهم (والآخر) ان تطهيره منعه من كفر يفعلونه بالقتل الذي كانوا هموا به لأن ذلك رجس طهره الله منه عن الجبائي وقوله **﴿وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة﴾** معناه وجلعل الذين آمنوا بك فوق الذين كذبوا عليك وكذبوك في العز والغلبة والظفر والنصرة وقيل في البرهان والحجة والمعنّي به النصارى قال ابن زيد ولهذا لا ترى اليهود حيث كانوا الا أذل من النصارى ولهذا أزال الملك عنهم وإن كان ثابتاً في النصارى على بلاد الروم وغيرها فهم أعز منهم وفوقهم إلى يوم القيامة وقال الجبائي فيه دلالة على أنه لا يكون لليهود مملكة إلى يوم القيامة كما للروم وقيل المعنّي به أمة محمد ﷺ وإنما سماهم تبعاً وان كانت لهم شريعة على حدة لأنه وجد فيهم التبعية صورة ومعنى أما صورة فإنه يقال فلان يتبع فلاناً إذا جاء بعده واما معنى فلأن نبينا ﷺ كان

مصدقاً بعيسى وبكتابه ويقال لمن يصدق غيره أنه يتبعه على ان شريعة نبينا وسائر الأنبياء متحدة في أبواب التوحيد فعلى هذا هو متبع له إذ كان معتقداً اعتقاده وقائلاً بقوله وهذا القول أوجه لأن فيه ترغيباً في الإسلام ودلالة على ان أمة محمد ﷺ يكونون ظاهرين إلى يوم القيامة ولأن من دعاه إلَهاً لا يكون في الحقيقة تابعاً له ﴿ثم اليَّ مرجعكم﴾ أي مصيركم ﴿فأحكم بينكم﴾ فأقضي بينكم ﴿فيما كنتم فيه تختلفون﴾ من أمر عيسى.

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّـٰصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٥٧﴾ ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْأَيَـٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾

[**القراءة**] قرأ حفص ورويس عن يعقوب فيوفيهم بالياء والباقون بالنون.

[**الحجة**] من قرأ بالنون فهو مثل فأعذبهم ويحسنه قوله ذلك نتلوه عليك من الآيات ومن قرأ بالياء فلأن ذكر الله قد تقدم في قوله إذ قال الله يا عيسىٰ اني متوفيك ورافعك أو صار من لفظ الخطاب إلى الغيبة كقوله فأولئك هم المضعفون بعد قوله وما آتيتم من زكاة.

[**الإعراب**] نتلوه عليك في موضع رفع بأنه خبر ذلك ويجوز أن يكون صلة لذلك ويكون ذلك بمعنى الذي فعلى هذا لا موضع لقوله نتلوه وتقديره الذي نتلوه وقوله من الآيات في موضع رفع بأنه خبره وانشدوا في مثله.

عَـدَسْ مٰـا لِعَبّـادٍ عَلَيْـكَ إمٰـارَةٌ نَـجَـوْتِ وَهٰــذا تَـحْمِلِيـنَ طَليـقٌ[1]

تقديره والذي تحملين طليق.

[**المعنى**] ﴿فأما الذين كفروا فأعذبهم عذاباً شديداً في الدنيا والآخرة﴾ عذابهم في الدنيا اذلالهم بالقتل والأسر والسبي والخسف والجزية وكل ما فعل على وجه

(١) الشعر في جامع الشواهد ومضى في ص ٥٥٦.

الاستخفاف والإهانة وفي الآخرة عذاب الأبد في النار ﴿وما لهم من ناصرين﴾ أي اعوان يدفعون عنهم عذاب الله تعالى ﴿وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم﴾ أي يوفر عليهم ويتمّم ﴿أجورهم﴾ أي جزاء اعمالهم ﴿والله لا يحب الظالمين﴾ أي لا يريد تعظيمهم واثابتهم ولا يرحمهم ولا يثني عليهم وهذه الآية حجة على من قال بالإحباط لأنه سبحانه وعد بتوفية الأجر وهو الثواب والتوفية منافية للاحباط (ذلك) اشارة إلى الاخبار عن عيسى وزكريا ويحيى وغيرهم ﴿نتلوه عليك﴾ نقرأه عليك ونكلمك به وقيل نأمر جبرائيل أن يتلوه عليك عن الجبائي ﴿من الآيات﴾ أي من جملة الآيات والحجج الدالة على صدق نبوتك إذا علمتهم بما لا يعلمه الا قارىء كتاب أو معلم ولست بواحد منها فلم يبق الا انك قد عرفته من طريق الوحي ﴿والذكر الحكيم﴾ القرآن المحكم وإنما وصفه بأنه حكيم لأنه بما فيه من الحكمة كأنه ينطق بالحكمة كما تسمى الدلالة دليلاً لأنها بما فيها من البيان كأنها تنطق بالبيان والبرهان وان كان الدليل في الحقيقة هو الدّال.

﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ
كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلْحَقُّ
مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ
مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا
وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى
ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾

[اللغة] المثل ذكر سائر يدل على ان سبيل الثاني سبيل الاول وتعالوا اصله من العلو يقال تعاليت اتعالى أي جئت واصله المجيء إلى ارتفاع الا أنه كثر في الاستعمال حتى صار بمعنى هلمَّ وقيل في الابتهال قولان (أحدهما) أنهُ بمعنى الالتعان وافتعلوا بمعنى تفاعلوا كقولهم اشتوروا بمعنى تشاوروا مهله الله أي لعنه الله وعليه مهلة الله أي لعنة الله (والآخر) أنه بمعنى الدعاء بالهلاك قال لبيد نظر الدهر اليهم فابتهل أي دعا عليهم بالهلاك فالبهل كاللعن وهو المباعدة عن رحمة الله عقاباً على معصيته ولذلك لا

يجوز ان يلعن من ليس بعاص من طفل أو بهيم أو نحوهما.

[**الإعراب**] قوله خلقه من تراب لا موضع له من الإعراب لأنه لا يصلح أن يكون صفة لآدم من حيث هو نكرة ولا يكون حالاً له لأنه ماض فهو متصل في المعنى غير متصل في اللفظ بعلامة من علامات الاتصال فيكون الرفع على تقدير فهو يكون والحق رفع لأنه خبر مبتدأ محذوف وتقديره ذلك الاخبار في أمر عيسى الحق من ربك فحذف ذلك لدلالة شاهد الحال عليه كما يقال الهلال والله أي هذا الهلال وقيل الحق مبتدأ وخبره قوله من ربك.

[**النزول**] قيل نزلت الآيات في وفد نجران العاقب والسيد ومن معهما قالوا لرسول الله هل رأيت ولداً من غير ذكر فنزل إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم الآيات فقرأها عليهم عن ابن عباس وقتادة والحسن فلما دعاهم رسول الله إلى المباهلة استنظروه إلى صبيحة عد من يومهم ذلك فلما رجعوا إلى رجالهم قال لهم الأسقف انظروا محمداً في غد فإن غدا بولده واهله فاحذروا مباهلته وان غدا بأصحابه فباهلوه فإنه على غير شيء فلما كان الغد جاءَ النبي ﷺ آخذاً بيد علي بن أبي طالب (ع) والحسن (ع) والحسين (ع) بين يديه يمشيان وفاطمة (ع) تمشي خلفه وخرج النصارى يقدمهم أسقفهم فلما رأى النبي ﷺ قد أقبل بمن معه سأل عنهم فقيل له هذا ابن عمه وزوج ابنته وأحبّ الخلق اليه وهذان ابنا بنته من علي (ع) وهذه الجارية بنته فاطمة أعز الناس عليه واقربهم إلى قلبه وتقدم رسول الله ﷺ فجثا على ركبتيه قال أبو حارثة الاسقف جثا والله كماجثا الأنبياء للمباهلة فكع[1] وَلم يقدم على الباهلة فقال السيد ادن يا ابا حارثة للمباهلة فقال لا إني لارى رجلاً جريئاً على المباهلة وانا اخاف ان يكون صادقاً ولئن كان صادقاً لم يَحُل والله علينا الحول وفي الدنيا نصراني يطعم الماء فقال الأسقف يا ابا القاسم إنا لا نباهلك ولكن نصالحك فصالحنا على ما ينهض به فصالحهم رسول الله ﷺ على الفي حلة من حلل الأواقي قسمة كل حلة اربعون درهماً فما زادا ونقص فعلى حساب ذلك وعلى عارية ثلاثين درعا وثلاثين رمحاً وثلاثين فرساً أن كان باليمن كيد ورسول الله ضامن حتى يؤديها وكتب لهم بذلك كتاباً وروي ان الاسقف قال لهم إني لأرى وجوهاً لو سألوا الله أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله فلا تبتهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الأرض نصرانيّ إلى يوم القيامة وقال النبي والذي نفسي بيده لوْلَا عَنُوني لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم الوادي عليهم ناراً ولما حال الحول

---

(١) كع كمد: ضعف وجبن.

على النصارى حتى يهلكوا كلهم قالوا فلما رجع وفد نجران لم يلبث السيد والعاقب إلا يسيراً حتى رجعا إلى النبي وأهدى العاقب له حله وعصا وقدحاً ونعلين واسلما.

[**المعنى**] ثم رد الله تعالى على النصارى قولهم في المسيح أنه ابن الله فقال ﴿**إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم**﴾ أي مثلُ عيسى في خلق الله اياه من غير أب كمثل آدم في خلق الله اياه من غير اب ولا أم فليس هو بأبدع ولا اعجب من ذلك فكيف أنكروا هذا واقرُّوا بذلك ثم بيَّن سبحانه كيف خلقه فقال ﴿**خلقه**﴾ أي انشأه ﴿**من تراب**﴾ وهذا اخبار عن آدم ومعناه خلق عيسى من الريح ولم يخلق قبل أحداً من الريح كما خلق آدم من التراب ولم يخلق قبله أحداً من التراب ﴿**ثم قال له**﴾ أي لآدم وقيل لعيسى ﴿**كن**﴾ أي كن حياً بشراً سوياً ﴿**فيكون**﴾ أي فكان في الحال على ما اراد وقد مرَّ تفسير هذه الكلمة فيما قبل في سورة البقرة مشروحاً وفي هذه الآية دلالة على صحة النظر والاستدلال لأن الله احتج على النصارى ودل على جواز خلق عيسى من غير اب كخلقه آدم من غير اب ولا أم ﴿**الحق من ربك**﴾ أي هذا هو الحق من ربك اضاف إلى نفسه تأكيداً وتعليلاً أي هو الحق لأنه من ربك ﴿**فلا تكن**﴾ أيها السامع ﴿**من الممترين**﴾ وقد مر تفسيره في سورة البقرة ﴿**فمن حاجك**﴾ معناه فمن خاصمك وجادلك يا محمد ﴿**فيه**﴾ أي في قصة عيسى ﴿**من بعد ما جاءك من العلم**﴾ أي من البرهان الواضح على أنه عبدي ورسولي عن قتادة في معناه وقيل فمن حاجك في الحق والهاء في فيه عائدة إلى قوله الحق من ربك فقل يا محمد لهؤلاء النصارى ﴿**تعالوا إلى كلمة**﴾ أي هلموا إلى حجة أخرى ماضية فاصلة تميز الصادق من الكاذب ﴿**ندع ابناءنا وابناءكم**﴾ اجمع المفسرون على ان المراد بأبنائنا الحسن والحسين قال أبو بكر الرازي هذا يدل على ان الحسن والحسين ابنا رسول الله وان ولد الابنة ابن في الحقيقة وقال ابن أبي علان وهو أحد أئمة المعتزلة هذا يدل على ان الحسن والحسين كانا مكلفين في تلك الحال لان المباهلة لا تجوز إلا مع البالغين وقال اصحابنا ان صغر السن ونقصانها عن حدّ بلوغ الحلم لا ينافي كمال العقل وإنما جعل بلوغ الحلم حدّاً لتعلق الأحكام الشرعية وقد كان سنّهما في تلك الحال سناً لا يمتنع معها ان يكونا كاملي العقل على ان عندنا يجوز أن يخرق الله العادات للأئمة ويخصّهم بمالا يشركهم فيه غيرهم فلو صح ان كمال العقل غير معتاد في تلك السن لجاز ذلك فيهم ابانة لهم عمن سواهم ودلالة على مكانهم من الله تعالى واختصاصهم ومما يؤيده من الاخبار قول النبي ﷺ ابناي هذان إماما قاما أو قعدا ﴿**ونساءنا**﴾ اتفقوا على ان المراد به فاطمة (ع) لأنه لم يحضر المباهلة غيرها من النساء وهذا يدلّ على تفضيل الزهراء على جميع

النساء ويعضده ما جاء في الخبر أن النبي ﷺ قال فاطمة بضعة مني يريبني ما رابها وقال إن الله يغضب لغضب فاطمة ويرضى لرضائها وقد صح عن حذيفة انه قال سمعت النبي ﷺ يقول اتاني ملك فبشَّرني ان فاطمة سيدة نساء أهل الجنة أو نساء امتي وعن الشعبي عن مسروق عن عائشة قالت أسرَّ النبيُّ إلى فاطمة شيئاً فضحكت فسألتها فقالت قال لي ألا ترضين ان تكوني سيدة نساء هذه الأمة أو نساء المؤمنين فضحكت لذلك **﴿ونساءكم﴾** أي من شئتم من نسائكم **﴿وانفسنا﴾** يعني علياً خاصة ولا يجوز ان يكون المعنِّي به النبي ﷺ لأنه هو الداعي ولا يجوز ان يدعو الانسان نفسه وإنما يصح ان يدعو غيره وإذا كان قوله وانفسنا لابد ان يكون اشارة إلى غير الرسول وجب ان يكون اشارة إلى علي لأنه لا أحد يدّعي دخول غير أمير المؤمنين عليٍّ وزوجته وولديه في المباهلة وهذا يدلّ على غاية الفضل وعلو الّدرجة والبلوغ منع إلى حيث لا يبلغه أحد إذ جعله الله نفس الرسول وهذا ما لا يدانيه فيه أحد ولا يقاربه ومما يعضده من الروايات ما صحّ عن النبيَّ انه سأل عن بعض اصحابه فقال له قائل فعليّ فقال ما سألتني عن الناس ولم تسألني عن نفسي وقوله لبريدة الاسلمي يا بريدة لا تبغض علياً فإنه مني وانا منه ان الناس خلقوا من شجر شتى وخلقت انا وعليّ من شجرة واحدة وقوله (ع) بأحد وقد ظهرت نكايته في المشركين ووقايته إياه بنفسه حتى قال جبرائيل ان هذا لهي المواساة فقال يا جبرائيل أنه مني وانا منه فقال جبرائيل وانا منكما **﴿وانفسكم﴾** يعني من شئتم من رجالكم **﴿ثم نبتهل﴾** أي نتضرع في الدعاء عن ابن عباس وقيل نلتعن فنقول لعن الله الكاذب **﴿فنجعل لعنةالله على الكاذبين﴾** منا وفي هذه الآية دلالة على أنهم علموا ان الحق مع النبي لأنهم امتنعوا عن المباهلة واقرّوا بالذلّ والخزي لقبول الجزية فلو لم يعملون ذلك لباهلوه فكان يظهر ما زعموا من بطلان قوله في الحال ولو لم يكن النبي ﷺ متيقناً بنزول العقوبة بعدوّه دونه لما ادخل اولاده وخواصّ اهله في ذلك مع شدة اشفاقه عليهم.

﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٣﴾

[اللغة] القَصَصُ القصة وفَعَل بمعنى مفعول كالنَقَض والقَبَض والقِصَصْ جمع القصة ويقال اقتصصت الحديث وقصصته قصاً وقصصاً رويته على جهته وهو من اقتصصت

الأثر أي اتبعته ومنه اشتق القصاص والقصص الخبر الذي تتابع فيه المعاني والتولي عن الحق اعتقاد خلافة لأنه كالإدبار عنه بعد الاقبال عليه واصل التولي كون الشيء يلي غيره من غير فصل بينه وبينه والافساد ايقاع الشيء على خلاف ما توجبه الحكمة والإصلاح إيقاعه على ما توجبه الحكمة والفرق بين الفساد والقبيح ان الفساد تغيير عن المقدار الذي تدعو إليه الحكمة وليس كذلك القبيح لأنهُ ليس فيه معنى المقدار وإنما هو ما تزجر عنه الحكمة كما ان الحسن ما تدعو إليه الحكمة.

[**الإعراب**] ما من إلّه إلا الله دخول من فيه لعموم النفي لكل إلّه غير الله وإنما افادت من هذا المعنى لأن اصلها لابتداء الغاية فدلت على استغراق النفي لابتداء الغاية إلى انتهائها وقوله لهو يجوز أن يكون هو فصلاً ويسميه الكوفيون عماداً فلا يكون له موضع من الاعراب ويكون القصص خبر إن ويجوز ان يكون مبتدأ والقصص خبره والجملة خبر إنَّ.

[**المعنى**] ﴿**ان هذا لهو القصص الحق**﴾ معناه ان هذا الذي أوحينا إليك في أمر عيسى (ع) وغيره لهو الحديث الصدق فمن خالفك فيه مع وضوح الأمر فهو معاند ﴿**وما من إلّه إلا الله**﴾ اي وما لكم احد يستحق إطلاق اسم الإلّهية إلا الله وان عيسى ليس بإلّه كما زعموا وإنما هو عبد الله ورسوله ولو قالوا ما إلّه إلا الله بغير من لم يفد هذا المعنى ﴿**وان الله لهو العزيز**﴾ أي القادر على الكمال ﴿**الحكيم**﴾ في الأقوال والأفعال والتقدير والتدبير ﴿**فإن تولوا**﴾ أي فإن أعرضوا عن اتباعك وتصديقك وعما اتيت به من الدلالات والبينات ﴿**فإن الله عليم بالمفسدين**﴾ أي بمن يفسد من خلقه فيجازيهم على افسادهم وإنما ذكر ذلك على جهة الوعيد وإلا فإنه تعالى عليم بالمفسد والمصلح جميعاً ونظيره قول القائل لغيره انا عالم بشرّك وفسادك وقيل معناه أنه عليم بهؤلاء المجادلين بغير حق وبأنهم لا يُقْدمون على مباهلتك لمعرفتهم بنبوتك.

﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ
بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ
بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا

مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾

[**اللغة**] قال الزجاج معنى كلمة كلام فيه شرح قصة وان طال ولذلك تقول العرب للقصيدة كلمة ، يروى ان حسان بن ثابت كان إذا قيل له انشدنا قال هل انشد كلمة الحويدرة يعني قصيدته التي أولها بَكَرَتْ سُمَيَّةُ غُدْوَةً فَتَمَتَّعُ ومعنى سواء أي عدل وسُوِي بمعناه قال زهير.

أَرُوني خُطَّةً لَا ضَيْمَ فيها يُسَوّي بَيْنَنا فيْهَا الْسَّوَاءُ
فَإنْ تُرِكَ الْسواءُ فَلَيْسَ بَيْني وَبَيْنَكُمُ بَني حِصْنٍ بَقَاءُ (١)

وقيل سواء مستوٍ هو مصدر وضع موضع اسم الفاعل ومعناه إلى كلمة مستوية وهو عند الزجاج اسم ليس بصفة وإنما جرّ بتقدير ذات سواء وجوز نصبه على المصدر.

[**الإعراب**] موضع ان لا نعبد فيه وجهان (أحدهما) ان يكون في موضع جر على البدل من كلمة فكأنه قال تعالوا إلى أن لا نعبد الا الله (والآخر) ان يكون في موضع رفع على تقدير هي ان لا نعبد إلا الله ولو قرىء ان لا نعبد بالرفع كان ان هي المخففة من المثقلة فكأنه قال أنه لا نعبد الله الله كقوله **﴿أفلا يرون ألا يرجع اليهم قولاً﴾** وعلى هذا يثبت النون في الخط ويكون ان من العوامل في الأسماء وعلى الأول يكون من العوامل في الأفعال ولا يثبت في الخط النون ولو قرىء أن لا نعبد إلا الله بالإسكان فإن مفسرة كالتي في قوله ان امشوا ولا نعبد نهي.

[**النزول**] قيل في سبب نزول الآية أقوال (أحدها) انها نزلت في نصارى نجران عن الحسن والسدي وابن زيد ومحمد بن جعفر بن الزبير (وثانيها) أنها نزلت في يهود المدينة عن قتادة والربيع وابن جريج وقد رواه اصحابنا أيضاً (وثالثها) أنها نزلت في الفريقين من أهل الكتاب على الظاهر عن أبي علي الجبائي وهذا اولى لعمومه.

[**المعنى**] لما تمّ الحجاج على القوم دعاهم تعالى إلى التوحيد وإلى الاقتداء بمن اتفقوا أنه كان على الحق فقال **﴿قل﴾** يا محمد **﴿يا اهل الكتاب تعالوا﴾** أي هلمّوا **﴿إلى كلمة سواء﴾** أي عدل **﴿بيننا وبينكم﴾** أي عادلة لاميل لها كما يقال رجل عدل أي عادل لا ميل فيه وقيل معناه كلمة مستوية بيننا وبينكم فيها ترك العبادة لغير الله وهي **﴿أن لا نعبد**

---

(١) الخطة: الحال والشأن. وقوله بنى حصن اي يا بني حصن.

إلا الله﴾ لأن العبادة لا تحق إلا له **﴿ولا نشرك به﴾** في العبادة **﴿شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً ارباباً من دون الله﴾**. اختلف في معناه فقيل معناه ولا يتخذ بعضنا عيسى رّباً فإنه كان بعض الناس وقيل معناه ان لا نتخذ الأحبار ارباباً بأن نطيعهم طاعة الارباب لقوله **﴿اتخذوا احبارهم ورهبانهم ارباباً من دون الله ﴾** وروي عن أبي عبد الله أنه قال ما عبدوهم من دون الله ولكن حرّموا لهم حلالاً واحلّوا لهم حراماً فكان ذلك اتخاذهم ارباباً من دون الله وقد روي ايضاً أنه لما نزلت هذه الآية قال عدي بن حاتم ما كنا نعبدهم يا رسول الله فقالﷺ أما كانوا يحلون لكم ويحرّمون فتأخذون بقولهم فقال نعم فقال النبي ﷺ هو ذاك **﴿فإن تولوا﴾** أي أعرضوا عن الإقرار بالعبودية وإن أحداً لا يستحق العبادة غيره **﴿فقولوا﴾** انتم ايها المسلمون مقابلة لإعراضهم عن الحق وتجديداً للإقرار ومخالفتهم **﴿اشهدوا بأنا مسلمون﴾** أي مخلصون مقرّون بالتوحيد وقيل مستسلمون منقادون لما أتى به النبي والأنبياء من الله وقيل مقيمون على الإسلام وهذا تأديب من الله لعبده المؤمن وتعليم له كيف يفعل عند اعراض المخالف بعد ظهور الحجة ليعلم المبطل ان مخالفته لا يؤثر في حقه وليدل على ان الحق يجب اتباعه من غير اعتبار بالقلة والكثرة.

﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٦٦﴾

[**القراءة**] قرأ أهل الكوفة ها أنتم بالمدّ والهمز وقرأ أهل المدينة وأبو عمرو بغير مدّ ولا همز إلا بقدر خروج الألف الساكنة وقرأ ابن كثير ويعقوب بالهمزة والقصر من غير مدّ على وزنها عنتم وقرأ ابن عامر بالمد دون الهمز.

[**الحجة**] الكلام في المد والهمز كثير والوجه انّ من حقق فعلى الأصل لأنهما حرفان ها وأنتم ومن لم يمد ولم يهمز فللتخفيف من غير إخلال.

[**اللغة**]الفرق بين الحجاج والجدال ان الحجاج يتضمن اما حجة أو شبهة في

صورة الحجة والجدال هو فتل الخصم إلى المذهب بحجة أو شبهة أو ايهام في الحقيقة لأن اصله من الجدل وهو شدة الفتل والحجة هي البيان الذي شهد بصحة المقال وهو والدلالة بمعنى واحد.

[**الإعراب**] ها أنتم للتنبيه وقد كثر التنبيهُ في هذا ولم يكثر في ها أنت لأن ذا مبهم من حيث يصلح لكل حاضر والمعنى فيه واحد بعينه مما يصلح له فقوي بالتنبيه لتحريك النفس على طلبه بعينِهِ وليس كذلك أنت لأنهُ لا يصلح لكل حاضر في الجملة وإنما هو للمخاطب وخبر أنتم يجوز أن يكون حاجحتم على أن يكون هؤلاء عطف بيان ويجوز ان يكون خبره هؤلاء على انّ اولاء(١) بمعنى الذين وما بعده صلة له.

[**النزول**] قال ابن عباس والحسن وقتادة ان احبار اليهود ونصارى نجران اجتمعوا عند رسول الله فتنازعوا في إبراهيم(٢) فقالت اليهود ما كان إلّا يهودياً وقالت النصارى ما كان إلّا نصرانياً فأنزل الله هذه الآية.

[**المعنى**] **﴿يا أهل الكتاب لم تحاجّون في إبراهيم﴾** أي لم تنازعون وتجادلون فيه وتدّعون أنه على دينكم **﴿وما انزلت التوراة والانجيل إلا من بعده﴾** أي من بعد إبراهيم **﴿افلا تعقلون﴾** ان الإقامة على الدعوى من غير برهان غير جائزة في العقل فكيف يجوز الإقامة على الدعوى بعد ما ظهر فسادها فإن قيل لو دل نزول التوراة والانجيل بعد إبراهيم على أنه لم يكن على اليهودية والنصرانية لوجب ان يدل نزول القرآن بعده على أنه لم يكن على الإسلام فالجواب ان الكل متفقون على أنه متسّم باسم الإسلام غير ان اليهود ادعوا أن الإسلام هو ا ليهودية والنصارى ادّعوا أنه هو النصرانية والتوراة والانجيل انزلتا من بعد ابراهيم واسمه فيهما اسم الإسلام وليس في واحد منهما انه كان على دين اليهودية والنصرانية واما القرآن وإن كان منزلاً بعده ففيه وصف إبراهيم بدين الإسلام ونفي اليهودية والنصرانية عنه ففي هذا اوضح حجة على أنه كان مسلماً وأن محمداً ﷺ وامته الذين لهم اسم الإسلام أولى به منهم وقد قيل ان اليهود اعتقدوا ان اليهودي اسم لمن تمسك بالتوراة واعتقد شريعته والنصارى اعتقدوا ان النصراني اسم لمن تمسك بالانجيل واعتقد شريعته فردّ الله تعالى دعوى الفريقين واخبر ان التوراة والانجيل ما أُنزلا إلّا من بعد إبراهيم فكيف يكون متمسكاً بحكمهما واما نحن فلم نَدّع ان المسلم هو المتمسك بحكم القرآن إذ

(١) [هؤلاء]. ٢) [في إبراعيم].

الإسلام عبارة عن الدين دون احكام الشريعة فوصفناه بالإسلام كما وصفه الله به فإن قيل فهل كان إبراهيم متمسكاً بشرائع الإسلام كلها التي نحن عليها قلنا أنه كان متمسكاً بدين الإسلام وببعض احكام شريعة نبينا ﷺلا بجميعها لأن من حكم الشريعة قراءة القرآن في الصلاة ولم يكن ذلك في شريعته وإنما قلنا أنهُ مسلم وان كان متمسكاً ببعض أحكام الشريعة لأن أصحاب النبي ﷺ في بدو الإسلام كانوا مسلمون قبل استكمال الشرع وقبل نزول تمام القرآن والواحد منا مسلم على الحقيقة وان لم يعمل بجميع احكام الشريعة ﴿ها أنتم﴾ يا معشر اليهود والنصارى وهو في الظاهر تنبيه على انفسهم والمراد به التنبيه على حالهم إذ التنبيه إنما يكون فيما قد يغفل عنه الإنسان دون ما يعلمه ﴿حاججتم﴾ جادلتم وخاصمتم ﴿فيما لكم به علم﴾ معناه حاججتم ولكم به علم لوجود اسمه في التوراة والانجيل ﴿فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم﴾ أي فلم تحاجون في دينه وشرعه[١] وليس لكم به علم لم ينكر الله تعالى عليهم محاجتهم فيما علموه وإنما أنكر عليهم محاجتهم فيما لم يعلموا ﴿والله يعلم﴾ شأن إبراهيم ودينه وكل ما ليس عليه دليل لأنه العالم لجميع المعلومات ﴿وأنتم لا تعلمون﴾ ذلك[٢] فلا تتكلموا فيه ولا تضيفوا إليه ما لا تعلمونه واطلبوا علم ذلك ممن يعلمه.

﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾

[اللغة] قد ذكرنا الاصل في اليهود والنصارى والحنيف في سورة البقرة وأولى[٣] الذي هو بمعنى افعل من غيره لا يُثني ولا يُجمع لأنه يتضمن معنى الفعل والمصدر على تقدير يزيد فضله على فضله في افضل منه ومعنى قولنا هذا الفعل أولى من غيره أي بأن يفعل وقولنا زيد أولى من غيره معناه أنه على حال هو أحق بها من غيره والاتباع جريان الثاني على طريقة الأول من حيث هو عليه كالمدلول الذي يتبع الدليل في سلوك الطريق او في التصحيح لأنه إن صح الدليل صح المدلول عليه بصحته وكذلك المأموم الذي يتبع طريقة الإمام.

---

(١) وفي بعض الخطبة «شأنه» بدل «شرعه». (٢) [في كتبكم]. (٣) [ما فيها].

[**المعنى**] ثم كذّب الله اليهود والنصارى فقال **﴿ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً﴾** نزّه إبراهيم وبرّأه عن اليهودية والنصرانية لأنهما صفتا ذم قد دل القرآن والإجماع على ذلك وهذا يدل على ان موسى ايضاً لم يكن يهودياً ولم يكن عيسى نصرانياً فإن الدين عند الله الإسلام واليهودية ملة محرفة عن شرع موسى والنصرانية ملة محرفة عن شرع عيسى فهما صفتا ذم جرتا على فرقتين ضالتين **﴿ولكن كان حنيفاً﴾** أي مائلاً عن الأديان كلها إلى دين الإسلام وقيل معناه مستقيماً في دينه **﴿مسلماً﴾** أي كائناً على دين الإسلام **﴿وما كان من المشركين﴾** قيل ان هذا يتضمن كون اليهودية والنصرانية شركاً وقيل ان معناه لم يكن مشركاً على ما يدعيه ـ مشركو العرب **﴿إن أولى الناس بإبراهيم﴾** يعني ان احق الناس بنصرة إبراهيم بالحجة أو بالمعونة **﴿للذين اتبعوه﴾** في وقته وزمانه وتولوه بالنصرة على عدوه حتى ظهر أمره وعلت كلمته **﴿وهذا النبي والذين آمنوا﴾** يتولون نصرته بالحجة لما كان عليه من الحق وتبرئة كل عيب عنه أي هم الذين ينبغي لهم أن يقولوا انا على دين إبراهيم ولهم ولايته **﴿والله ولي المؤمنين﴾** لأنه يتولى نصرتهم والمؤمن ولي الله لهذا المعنى بعينه وقيل لأنه يتولى نصرة ما أمر الله به من الدين وإنما افرد الله النبي ﷺ بالذكر تعظيماً لأمره واجلالاً لقدره كما افرد جبرائيل وميكائيل وقيل ليدخل في الولاية وتعود إليه الكتابة فإن التقدير والذين آمنوا به وفي هذه الآية دلالة على ان الولاية تثبت بالدين لا بالنسب ويعضد ذلك قول امير المؤمنين ان اولى الناس بالأنبياء أعلمهم[1] بما جاؤا به ثم تلا هذه الآية وقال ان ولي محمد من أطاع الله وأن بعدت لُحمته وان يدعو محمد من عصى الله وان قربت قرابته وروى عمر بن يزيد قال قال أبو عبد الله اهم والله من آل محمد قلت من انفسهم جعلت فداك نعم والله من أنفسهم قالها ثلاثا ثم نظر إليَّ ونظرت إليه فقال يا عمر ان الله يقول في كتابه ان اولى الناس إبراهيم للذين اتبعوه الآية رواه علي بن إبراهيم عن أبيه عن ابن أبي عمير عن منصور بن يونس عنه.

﴿ وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٩﴾

[**اللغة**] وَدَّت أي تمنت فلما كان بمعنى تمنى صلح للماضي والحال والاستقبال فذلك جاز بلو وليس كذلك المحبة والإرادة لأنهما لا يتعلقان الاّ بالمستقبل فلا يجوز أن

(١) وفي بعض النسخ «اعملهم» بتقديم الميم على الام وهو الظاهر.

يقال ارادوا لو يضلونكم لأن الارادة يجري مجرى الاستدعاء إلى الفعل أو مجرى العلة في ترتيب الفعل فأما التمني فهو تقرير شيء في النفس يستمتع بتقريره والفرق بين وَدَّ لو تضله وبين وَدَّ ان تضله انّ أن للاستقبال وليس كذلك لو.

[**المعنى**] ثمَّ بيّن سبحانه ان هؤلاء كما ضلوا دعوا إلى الضلال فقال ﴿**ودت**﴾ أي تمنت وقيل ارادت ﴿**طائفة**﴾ أي جماعة(١) ﴿**من أهل الكتاب**﴾ أي من اليهود والنصارى وقيل من اليهود خاصة ﴿**لو يضلونكم**﴾ أي يهلكونكم بإدخالكم في الضلال ودعائكم إليه ويستعمل الضلال بمعنى الهلاك نحو قوله ﴿**أإذا ضللنا في الأرض**﴾ ومعناه هلكنا وبطلت صورنا ﴿**وما يضلون إلا انفسهم**﴾ معناه لا يرجع وبال اضلالهم الا على أنفسهم ولا يلحق ضرره إلا بهم فإن المسلمين لا يجيبونهم إلى ما يدعونهم إليه من ترك الإسلام إلى غيره من الاديان فيبقى عليهم إثم الكفر ووبال الدعاء إلى الكفر وقيل معناه وما يهلكون الا انفسهم اي لا يعتد بمكا يحصل لغيرهم من الهلاك في جنب ما يحصل لهم ﴿**وما يشعرون**﴾ أي وما يعلمون ان وبال ذلك يعود اليهم وقيل وما يشعرون ان الله تعالى يدل المؤمنين على ضلالهم واضلالهم وقيل وما يشعرون انهم ضلال لجهلهم عن ابي علي الجبائي.

﴿ يَـٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَـٰبِ لِمَ تَكۡفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمۡ تَشۡهَدُونَ ﴿٧٠﴾ يَـٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَـٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَـٰطِلِ وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٧١﴾

[**الإعراب**] لِمَ أصله لما حذفت الألف لاتصالها بالحرف الجار مع وقوعها ظرفاً ولدلالة الفتحة عليها وكذلك بِمَ وعَمَّ.

[**المعنى**] ثم خاطب الله الفريقين فقال ﴿**يا أهل الكتاب لم تكفرون**﴾ بما يتلى عليكم من ﴿ **آيات الله** ﴾ يعني القرآن ﴿ **وأنتم تشهدون** ﴾ أي تعلمون وتشاهدون ما يدل على صحتها ووجوب الإقرار بها من التوراة والإنجيل إذ فيهما ذكر النبي والاخبار بصدق نبوته وبيان صفته وقيل يعني بآيات الله ما في كتبهم من البشارة بنبوتهِ وأنتم تشهدون الحجج

(١) [هم اليهود دعوا حذيفة وعماراً ومعاذاً إلى اليهودية].

الدالة على نبوتهِ وقيل يعني بالآيات ما في كتبهم أن إبراهيم كان حنيفاً مسلماً وإن الدين هو الإسلام وأنتم تشاهدون ذلك وقيل يعني بها ما يتلى عليهم من غرائب إخبارهم التي علموا أنها في كتبهم عن أبي مسلم وقيل يعني بالآيات الحجج الدالة على نبوة محمد (ﷺ) وأنتم تشهدون أن الأول لمعجزة يدل على صدق الرسالة وثبوت النبوة وقيل وأنتم تشهدون إذا خلوتم بصحة دين الإسلام ﴿ **يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل** ﴾ معناه لم تخلطون الحق بالباطل وفيه أقوال (أحدها) أن المراد بهِ تحريفهم التوراة والإنجيل عن الحسن وابن زيد (وثانيها) إن المراد به إظهارهم الإسلام وإبطائهم النفاق وفي قلوبهم من اليهودية والنصرانية لأنهم تداعوا إلى إظهار الإسلام في صدر النهار والرجوع عنه في آخره تشكيكاً للناس عن ابن عباس وقتادة (وثالثها) أن المراد به الإيمان بموسى وعيسى والكفر بمحمد (ورابعها) أن المراد ما يعلمونه في قلوبهم من أن محمداً أحق بما يظهرونه من تكذيبه عن الجبائي وأبي مسلم ﴿ **وتكتمون الحق** ﴾ أي نبوة محمد (ﷺ) وما وجدتموه في كتبكم من نعته والبشارة به ﴿ **وأنتم تعلمون** ﴾ أنه حق وإنما نزلت هذه في طائفة من علمائهم لأن الكتمان إنما يجوز على الطائفة القليلة دون الكثيرة وقيل معناه وأنتم تعلمون الأمور التي تصح بها التكليف والأول أصح لما في الآية من الذم على الكتمان .

﴿ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓا۟ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَا تُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾

[**القراءة**] قرأ ابن كثير أن يؤتى أحد ممدوداً والباقون أن يؤتى بغير مد واستفهام .

[**الحجة**] قال أبو علي من قرأ أن يؤتى أحد فتقديره لا تؤمنوا بأن يؤتى أحد مثل ما أُوتيتم إلا لمن تبع دينكم وقوله ﴿ **قل إن الهدى هدى الله** ﴾ إعتراض بين المفعول وفعله وإذا حذفت الجار من أن كان على الخلاف يكون في قول الخليل جراً وفي قول سيبويه نصباً فأما اللام في قوله ﴿ **لمن تبع دينكم** ﴾ فلا يسهل أن تعلقه بتؤمنوا وأنت قد أوصلته بحرف آخر جار فتعلق بالفعل جارين كما لا يستقيم أن تعديه إلى مفعولين إذا كان يتعدى إلى مفعول واحد ألا ترى أن تعدية الفعل بالجار كتعديته بالهمز وتضعيف العين فكما لا يتكرر هذان كذلك لا يتكرر الجار فإذا لم يسهل تعليق المفعولين به حملته على المعنى والمعنى لا تقروا بأن يؤتى أحد مثل ما أُوتيتم إلا لمن تبع دينكُم كما تقول أقررت لزيد بألف فيكون اللام متعلقاً بالمعنى ولا تكون زائدة على حدّ أن كنتم للرؤيا تعبرون ولكن يتعلق بالإقرار وإن شئت عملت الكلام على معنى الجحود فكأنه قال اجحدوا الناس إلا لمن تبع دينكم فيكون اللام على هذا زائدة وقد تعدى آمن باللام في غير هذا قال الله تعالى ﴿ **فما آمن لموسى إلا ذريتهُ** ﴾ وقال ﴿ **آمنتم له قبل أن آذن لكم** ﴾ وقال ﴿ **يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين** ﴾ فتعدى مرة بالباء ومرة باللام ووجه قراءة ابن كثير أنّ في موضع رفع بالابتداء لأنه لا يجوز أن يحمل على ما قبله من الفعل لقطع الاستفهام بينهما وخبره تصدقون به وتعترفون به ونحو ذلك مِمّا دل عليه قوله ﴿ **ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم** ﴾ هذا على قول من قال أزيد ضربته ومن قال أزيدا ضربته كان أن عنده في موضع نصب ويجوز أن يكون موضع أن نصباً على معنى تذكرون أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم أو تُشيعون ويدل على ذلك قوله تعالى ﴿**أتحدثونهم بما فتح الله عليكم**﴾ فحديثهم بذلك إشاعة منهم وإفشاء وَبّخَ بعضهم بعضاً بالحديث لما علموه من أمر النبي (ﷺ) وعرفوه من وصفه فهذه الآية في معنى قراءة ابن كثير ولعله اعتبرها في قراءته .

[**اللغة**] الطائفة الجماعة وفي أصلها قولان (أحدهما) أنه كالرفقة التي من شأنها أن تطوف البلاد في السفر الذي يقع عليه الاجتماع (والآخر)(١) أنها جماعة يستوي بها حلقة يطاف حولها ووجه النهار أوله وسمي وجهاً لأنه أول ما يواجهك منه كما يقال لأول الثوب وجه الثوب وقيل لأنه كالوجه في أنه أَعلاه وأشرف ما فيه قال الربيع بن زياد :

مَنْ كَانَ مَسْرُوراً بِمَقْتَلِ مَالِكٍ فَلْيَأْتِ نِسْوَتَنَا بِوَجْهِ نَهَارٍ

[**النزول**] قال الحسن والسدي تواطأ إثنا عشر رجلاً من احبار يهود خيبر وقرى

---

(١) [على].

عرينة وقال بعضهم لبعض أدخلوا في دين محمد أول النهار باللسان دون الاعتقاد واكفروا به آخر النهار وقولوا أنا نظرنا في كتبنا وشاورنا علماءنا فوجدنا محمداً ليس بذلك وظهر لنا كذبه وبطلان دينه فإذا فعلتم ذلك شك أصحابه في دينه وقالوا أنهم أهل الكتاب وهم أعلم به منّا فيرجعون عن دينهم إلى دينكم وقال مجاهد ومقاتل والكلبي كان هذا في شأن القبلة لما حوّلت إلى الكعبة شق ذلك على اليهود فقال كعب بن الأشرف لأصحابه آمنوا بالله وبما أنزل على محمد (ﷺ) من أمر الكعبة وصلّوا إليها أول النهار وارجعوا إلى قبلتكم آخره لعلهم يشكون .

[**المعنى**] لما ذكر تعالى صدراً من كياد القوم عَقّبه بذكر هذه المكبدة الشديدة فقال ﴿ **وقالت طائفة** ﴾ أي جماعة ﴿ **من أهل الكتاب** ﴾ أي بعضهم لبعض ﴿ **آمنوا بالذي أُنزل على الذين آمنوا** ﴾ يعنون النبي وأصحابه ﴿ **وجه النهار وأكفروا آخره** ﴾ واختلف في معناه أقوال (أحدها) أظهروا الإيمان لهم أول النهار وارجعوا عنه في آخره فإنه أحرى أن ينقلبوا عن دينهم عن الحسن وجماعة (وثانيها) آمنوا بصلاتهم إلى الكعبة أول النهار واكفروا آخره ليرجعوا بذلك عن دينهم عن مجاهد (وثالثها) أُظهروا الإيمان في صدر النهار بما سلف لكم من الاقرار بصفة محمد (ﷺ) ثم أرجعوا في آخره لتوّهموهم أنه كان قد وقع غلط في صفته ﴿ **لعلهم يرجعون** ﴾ عن دينهم الإسلام عن ابن عباس وجماعة ﴿ **ولا تؤمنوا** ﴾ أي ولا تصدّقوا ﴿ **إلا لمن تبع دينكم** ﴾ اليهودية وقام بشرائعكم وهو عطف على ما مضى واختلف في معنى الآية على أقوال (أحدها) أن معناه ولا تصدقوا بأن يؤتى أحد مثل ما أُوتيتم من العلم والحكمة والبيان والحجة إلا لمن تبع دينكم من أهل الكتاب وقيل إنما قال ذلك يهود خيبر ليهود المدينة لئلا يعترفوا به فيلومونهم[1] به لإقرارهم بصحته وقيل معناه لا تعترفوا بالحق إلا لمن تبع دينكم وقوله ﴿ **أو يحاجوكم عند ربكم** ﴾ لأنكم أصح ديناً منهم فلا تكون لهم الحجة عليكم عند الله فيكون هذا كله من كلام اليهود وقوله ﴿ **قل إن الهدى هدى الله وقل إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء** ﴾ كلام الله جواباً لليهود وردّاً عليهم أي قل يا محمد إن الهدى هدى الله وقل إن الفضل بيد الله فلا ينبغي لهم أن ينكروا أن يؤتى أحد مثل ما أُوتوا وهذا معنى الحسن[2] وأبي علي الفارسي (وثانيها) أن يكون قوله ﴿ **ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم** ﴾ كلام اليهود وما بعده من الله ويكون المعنى

---

(١) وفي نسخة مخطوطة « فيلزمهم العمل به » بدل « فيلومونهم به ».

(٢) [عطف على أن يؤتى أي ولا تصدقوا بأن يحاجوكم].

﴿ **قل ان الهدى هدى الله أن يؤتى أحد مثل ما أُوتيتم أيها المسلمون** ﴾ كقوله ﴿ **يبيّن الله لكم أن تضلوا** ﴾ أي أن لا تضلوا وإن لا يحاجوكم عند ربكم لأنه لا حُجّة لهم ويكون هدى الله بدلاً من الهدى والخبر أن لا يؤتى أحد مثل ما أوتيتم وهذا قول السُديّ وابن جريج وقال أبو العباس المُبرّد أنّ لا ليست مما تحذف هاهنا ولكن الإضافة هنا معلومة فحذفت الأول وأقيمت الثانية مقامه والمعنى ﴿ **قل إن الهدى هدى الله** ﴾ كراهة ﴿ **أن يؤتى أحد مثل ما أُوتيتم** ﴾ أي مما خالف دين الله لأن الله لا يهدي من هو كاذب كفار فهدى الله بعيد من غير المؤمنين وكذلك تقدير قوله يبين الله لكم كراهة أن تضلوا وقال قوم أنّ تقديره قل يا محمد أن الهدى إلى الخير هدى الله فلا تجحدوا أيها اليهود أن يؤتى أحد مثل ما أُوتيتم من النبوة ﴿ **أو** ﴾ أن ﴿ **يحاجّوكم** ﴾بذلك ﴿ **عند ربكم** ﴾ إن لم تقبلوا ذلك منهم عن قتادة والربيع والجبائي وقيل إن الهدى هدى الله معناه أن لحق ما أُمر الله به ثم فسّر الهدى فقال أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم أو يحاجوكم فالمؤتى هو الشرع وما يحاجّ به هو العقل وتقدير الكلام أن هدى الله ما شرع أو ما عهد به في العقل فهذه أربعة أقوال (وثالثها) أن يكون الكلام من أول الآية إلى أخرها لله تعالى وتقديره ولا تؤمنوا أيها المؤمنون إلا لمن تبع دينكم وهو دين الإسلام ولا تصدّقوا بأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم من الدين فلا نبيّ بعد نبيّكم ولا شريعة بعد شريعتكم إلى يوم القيامة ولا تصدّقوا بأن يكون لأحد حجة عليكم عند ربكم لأنّ دينكم خير الأديان وإن الهدى هدى الله وأن الفضل بيد الله فتكون الآية كلها خطاباً للمؤمنين من الله تعالى عند تلبيس اليهود عليهم لئلا يزلّوا ويدلّ عليه ما قاله الضحاك أنّ اليهود قالوا إنا نحاجّ عند ربنا من خالفنا في ديننا فبيّن الله تعالى أنهم هم المدحضون المغلوبون وأن المؤمنين هم الغالبون وقوله ﴿ **قل إن الفضل بيد الله** ﴾ قيل يريد به النبوة وقيل الحجج التي أوتيها محمد (ﷺ) ومن معه وقيل نعم الدين والدنيا وقوله ﴿ **بيد الله** ﴾ أي في ملكه وهو القادر عليه العالم بمحله ﴿ **يؤتيه من يشاء** ﴾ وفي هذه دلالة على أن النبوة ليست بمستحقة وكذلك الإمامة لأن الله سبحانه علّقه بالمشية ﴿ **والله واسع** ﴾ الرحمة جواد وقيل واسع المقدور يفعل ما يشاء ﴿ **عليم** ﴾ بمصالح الخلق وقيل يعلم حيث يجعل رسالته ﴿ **يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم** ﴾ مرّ تفسيره في سورة البقرة في العشر التي بعد المائة وفي هذه الآيات معجزة باهرة لنبينا إذ فيها اخبار عن سرائر القوم التي لا يعلمها إلا علاّم الغيوب وفيها دفع لمكائدهم ولطف للمؤمنين في الثبات على عقائدهم .

﴿ ۞ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾

[**القراءة**] قرأ حمزة وأبو بكر عن عاصم يؤده بسكون الهاء وروي نحوه عن أبي عمرو وقرأ أبو جعفر ويعقوب بكسر الهاء مع الاختلاس وهو الصحيح من مذهب أبي عمرو والباقون بالكسر والإشباع .

[**الحجة**] أما سكون الهاء فإن أكثر النحويين على أنه لا يجوز وغلّط الزجاج الراوي فيه عن أبي عمرو قال وحكى سيبويه عنه وهو ضابط لمثل هذا أنَّهُ كان يكسر كسراً خفيفاً وقال الفراء هذا مذهب لبعض العرب يسكنون الهاء إذا تحرك ما قبلها يقولون ضربته كما يسكنون ميم أنتم وقمتم وأما الاختلاس فإنه للاكتفاء بالكسرة عن الياء وإما الإشباع فعلى الأصل .

[**اللغة**] القنطار قد ذكرنا الخلاف في مقداره في أول السورة والدينار أصله دنّار بنونين فقلبت إحدى النونين ياء لكثرة الإستعمال طلباً للخفة وجمعه دنانير ودُمْتَ ودِمْتَ لغتان مثل مُتَّ ومِتَّ ولكن من كسر الدال والميم قال في المضارع تَمَاتُ وتَدَامُ وهي لغة أزد السراة ووفى واوفى لغتان وأهل الحجاز يقولون أوفيت وأهل نجد يقولون وَفَّيْتُ .

[**الإعراب**] الفرق بين أن تقول تأمنه بقنطار وبين أن تقول على قنطار أن معنى الباء إلصاق الأمانة ومعنى على إستعلاء الأمانة وهما يتعاقبان في هذا الموضع لتقارب المعنى كما تقول مررت به ومررت عليه وبلى يحتمل معنيين (أحدهما) الاضراب عن الأول على جهة الإنكار للأول وعلى هذا الوجه يكون من أوفى بعهده مكتفية نحو قولك ما قدم زيد(١) فيقال بلى أي بلى قد قدم زيد قال الزجاج هاهنا وقف تام ثم استأنف من أوفى إلى الآخرة

(١) [بقنطار].

لأنهم لما قالوا ليس علينا في الأميين سبيل قيل بلى[١] عليهم سبيل (الثاني) الاضراب عن الأول والاعتماد على البيان الثاني وعلى هذا الوجه لا تكون مكتفية والفرق بين بلى ونعم أن بلى جواب النفي ونعم جواب الإثباتُ إنما جاز إمالة بلى لمشابهتها الإسم من وجهين (أحدهما) أنه توقف عليها كما توقف على الإسم (والآخر) أنّها على ثلاثة أحرف ولذلك خالفت لا في الإمالة .

[**النزول**] عن ابن عباس قال يعني بقوله من أن تأمنه بقنطار يؤده إليك عبد الله بن سلام أودعه رجل الفا ومائتي أوقية من ذهب فأدّاه إليه فمدحه الله سبحانه ويعني بقوله من أن تأمنه بدينار لا يؤدّه[٢] إليك فَنْحاص بن عازوراء وذلك أن رجلاً من قريش استودعه ديناراً فخانه وفي بعض التفاسير أن الذي يؤدّي الأمانة النصارى والذين لا يؤدونه اليهود.

[**المعنى**] ثم ذكر سبحانه معائب القوم وأن فيهم من تحرّج عن العيب فقال ﴿ **ومن أهل الكتاب من أن تأمنه** ﴾ أي تجعله أميناً على قنطار أي مال كثير على ما قيل فيه من الأقوال التي مضى ذكرها في أول السورة ﴿ **يؤدّه إليك** ﴾ عند المطالبة ولا يخون فيه ﴿ **ومنهم من إن تأمنه بدينار** ﴾ أي على ثمن دينار والمراد تجعله أميناً على قليل من المال ﴿ **لا يؤده إليك** ﴾ عند المطالبة وهم كفار اليهود بالإجماع ﴿ **إلا ما دمت عليه قائماً** ﴾ معناه إلا أن تلازمه وتتقاضاه عن الحسن وابن زيد وقيل إلا أن تدوم قائماً بالتقاضي والمطالبة عن قتادة ومجاهد وقيل إلا ما دمت عليه قائماً بالاجتماع معه والملازمة عن السدي قال ما دمت عليه قائماً أي مُلِحّاً عن ابن عباس ﴿ **ذلك** ﴾ أي ذلك الاستحلال والخيانة ﴿ **بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل** ﴾ هذا بيان العلة التي كانوا لأجلها لا يؤدون الأمانة ويميلون إلى الخيانة أي قالت اليهود ليس علينا في أموال العرب التي أصبناها سبيل لأنهم مشركون عن قتادة والسدي وقيل لأنهم تحولوا عن دينهم الذي عاملناهم عليه وذلك أنهم عاملوا جماعة منهم ثم أسلم من له الحق وامتنع من عليه الحق من إداء الحق وقالوا إنما عاملناكم وأنتم على ديننا فإذا فارقتموه سقط حقكم وادعوا أن ذلك في كتبهم فاكذبهم الله في ذلك بقوله ﴿ **ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون** ﴾ أنهم يكذبون لأن الله أمرهم بخلاف ما قالوا عن الحسن وابن جريج وإنما سمّوهم اميّين لعدم كونهم من أهل الكتاب أو لكونهم من مكة وهي أم القرى ثم الله تعالى ردّ عليهم قولهم فقال ﴿**بلى**﴾ وفيه نفي لما قبله وإثبات لما بعده كأنه قال ما أمر الله بذلك ولا احبه ولا اراده بل اوجب الوفاء بالعهد واداء الامانة ﴿**من أوفى بعهده**﴾ يحتمل أن يكون الهاء في

---

(١) [أي بلى] . (٢) [أي يردّه].

بعهده عائدة على اسم الله في قوله ﴿ **ويقولون على الله الكذب** ﴾ فيكون معناه بعده الله ، وعهد الله إلى عباده أمره ونهيه ، ويحتمل أن يكون عائدة إلى مَنْ ومعناه من أوفى بعهد نفسه لأن العهد يضاف تارة إلى العاهد وتارة إلى المعهود له ﴿ **واتقى** ﴾ الخيانة ونقض العهد ﴿ **فإن الله يحبّ المتقين** ﴾ معناه فإن الله يحبّه إلا أنه عدل إلى ذكر المتقين ليبيّن الصفة التي يجب بها محبة الله وهذه صفة المؤمن فكأنه قال والله يحبّ المؤمنين ولا يحبّ اليهود وروي عن النبي أنه قال لما قرأ هذه الآية قال كذب أعداء الله ما من شيء كان في الجاهلية إلا وهو تحت قدمي إلا الأمانة فإنها مؤداة إلى البر والفاجر وعنه قال ثلاث من كنّ فيه فهو منافق وإن صلى وصام وزعم أنه مؤمن مَنْ إذا حدّث كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان وعنه (ﷺ) قال من ائتمن على أمانة فادّاها ولو شاء لم يؤدّها زوّجه الله من الحور العين ما شاء .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَـٰنِهِمْ
ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَـٰٓئِكَ لَا خَلَـٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ
وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾

[**النزول**] نزلت في جماعة من احبار اليهود أبي رافع وكنانة بن أبي الحقيق وحي بن الأخطب وكعب بن الأشرف كتموا ما في التوراة من أمر محمد وكتبوا بأيديهم غيره وحلفوا أنه من عند الله لئلا تفوتهم الرياسة وما كان لهم على اتابعهم عن عكرمة وقيل نزلت في الأشعث بن قيس وخصم له في أرض قام ليحلف عند رسول الله فلما نزلت الآية نكل الأشعث واعترف بالحق وردّ الأرض عن ابن جريج وقيل نزلت في رجل حلف يميناً فاجرة في تنفيق سلعة عن مجاهد والشعبي .

[**المعنى**] ثم ذكر تعالى الوعيد لهم على أفعالهم الخبيثة فقال ﴿ **إن الذين يشترون بعهد الله** ﴾ أي يستبدلون ﴿ **بعهد الله** ﴾ أي بأمر الله وما يلزمهم الوفاء به وقيل معناه أن الذين يحصلون بنكث عهد الله ونقضه ﴿ **وأيمانهم** ﴾ أي وبالايمان الكاذبة ﴿ **ثمناً قليلاً** ﴾ أي عوضاً نَزْراً وسماه قليلاً لأنه قليل في جنب ما يفوتهم من الثواب ويحصل لهم من

العقاب وقيل العهد ما أوجبه الله على الإنسان من الطاعة والكف عن المعصية وقيل هو ما في عقل الإنسان من الزجر عن الباطل والانقياد للحق ﴿ **أولئك لا خلاق لهم** ﴾ أي لا نصيب وافر لهم في نعيم الآخرة ﴿ **ولا يكلمهم الله** ﴾ فيه قولان (أحدهما) أنه لا يكلمهم بما يسرّهم بل بما يسوءهم وقت الحساب لهم عن الجبائي (والآخر) أنه لا يكلمهم أصلاً وتكون المحاسبة بكلام الملائكة لهم بأمر الله إياهم إستهانة بهم ﴿ **ولا ينظر إليهم يوم القيامة** ﴾ معناه لا يعطف عليهم ولا يرحمهم كما يقول القائل للغير انظر إليَّ يريد ارحمني وفي هذا دلالة على أن النظر إذا عدّي بحرف إلى لا يفيد الرؤية لأنه لا يجوز حملها هنا على أنه لا يراهم بلا خلاف ﴿ **ولا يزكيهم** ﴾ أي لا يطهرّهم وقيل لا ينزلهم منزلة الأزكياء عن الجبائي وقيل لا يطهرهم من دنس الذنوب والأوزار بالمغفرة بل يعاقبهم وقيل لا يحكم بأنهم أزكياء ولا يسميهم بذلك بل يحكم بأنهم كفرة فجرة عن القاضي ﴿ **ولهم عذاب أليم** ﴾ مؤلم موجع وفي تفسير الكلبي عن ابن مسعود قال سمعت رسول الله يقول من حلف على يمين كاذبة ليقطع بها مال أخيه المسلم لقي الله تعالى وهو عليه غضبان وتلا هذه الآية وروى مسلم بن الحجاج في الصحيح بإسناده من عدة طرق عن أبي ذر الغفاري عن النبي (ﷺ) قال ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكّيهم ولهم عذاب أليم المنان الذي لا يعطي شيئاً إلا منة والمنفق سلعته بالحلف الفاجر والمسبل أزاره وعن عبد الله بن مسعود عن رسول الله (ﷺ) قال من حلف على يمين صبر يقتطع بها مال امرىء مسلم هو فيها فاجر لقي الله وهو عليه غضبان أورده مسلم أيضاً في الصحيح .

﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾

[**اللغة**] أصل اللي الفتل من قولك لويت يده إذا فتلتها ومنه لويت الغريم لَوْيًا وليانا إذا مطلته حقه قال الشاعر :

تُـطيلِينَ لَـيَّـانِي وَأَنْـتِ مَلِيَّـةٌ وَأُحْسِنُ يا ذاتَ الوِشاحِ التَّقاضِيا

ومنه الحديث لَيّ الواجد ظلم والألسنة جمع اللسان على التذكير كحمار واحمرة ويقالَ أَلْسُن على التأنيث كعناق وآعْنُق والفرق بين حسبت وزعمت أن زعمت يحتمل أن يكون يقيناً وظناً وحسبت لا يحتمل اليقين أصلاً .

[**الإعراب**] لفريقاً نصب بأنه اسم أنّ واللام للتأكيد دخلت على اسم أنّ إذا كان مؤخراً ولا يجوز إنَّ لَزَيْداً في الدار لئلا يجتمع حرفاً تأكيد كما لا يجوز دخول التعريف على التعريف فأما قولهم جاءني القوم كلهم أجمعون فكلهم تأكيد للقوم وأجمعون تأكيد للكل .

[**النزول**] قيل نزلت في جماعة من احبار اليهود كتبوا بأيديهم ما ليس في كتاب الله من نعت النبي (ﷺ) وغيره وأضافوه إلى كتاب الله وقيل نزلت في اليهود والنصارى حرّفوا التوراة والإنجيل وضربوا كتاب الله بعضه ببعض وألحقوا به ما ليس منه وأسقطوا منه الدين الحنيف عن ابن عباس .

[**المعنى**] ﴿ **وإن منهم** ﴾ أي من أهل الكتاب وهو عطف على قوله وإن من أهل الكتاب من أن تأمنه بقنطار ﴿ **لفريقاً** ﴾ أي طائفة ﴿ **يلوون ألسنتهم بالكتاب** ﴾ معناه يحرّفون الكتاب عن جهته ويعدلون به عن القصد بألسنتهم فجعل الله تحريف الكتاب عن الجهة ليّاً باللسان وهذا قول مجاهد وقتادة وابن جريج والربيع وقيل يفسرونه بخلاف الحق ﴿ **لتحسبوه من الكتاب** ﴾ أي لتظنوه أيها المسلمون من كتاب الله تعالى وما هو من الكتاب المنزل على موسى ولكنهم يخترعونه ويبتدعونه ويقولون هو من عند الله ﴿ **وما هو من عند الله** ﴾ وفي هذا دليل على أن المعاصي ليست من عند الله ولا من فعله لأنها لو كانت من فعله لكانت من عنده على آكد الوجوه فلم يجز إطلاق النفي بأنها ليست من عند الله وكما لا يجوز أن يكون من الكتاب على وجه من الوجوه لإطلاق النفي بأنه ليست من الكتاب كله لا يجوز أن يكون من عند الله لاطلاق النفي بأنه ليس من عند الله ﴿ **ويقولون على الله الكذب** ﴾ في نسبتهم ذلك إلى الكتاب ﴿ **وهم يعلمون** ﴾ إن ذلك كذب وقيل وهم يعلمون ما عليهم في ذلك من العقاب .

﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن
يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى

مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ
وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ
أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾

[**القراءة**] قرأ ابن عامر وأهل الكوفة تعلمون بالتشديد والباقون تعلمون وقرأ عاصم غير الأعشى والبرجمي (١) وحمزة وابن عامر ويعقوب ولا يأمركم بنصب الراء والباقون بالرفع .

[**الحجة**] حجة من قال تعلمون بالتشديد أن التعليم أبلغ في هذا الموضع لأنه إذا عَلَّم الناس ولم يعمل بعلمه كان مع استحقاق الذم بترك عمله داخلاً في جملة من وُبِّخ بقوله ﴿ **أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم** ﴾ وحجة من قرأ تعلمون أن العالم الدارس قد يدرك بعلمه ودرسه مما يكون داعياً إلى التمسك بعلمه والعمل به ما لا يدركه العالم المعلّم في تدريسه ومن قرأ يأمركم فعلى القطع من الأول أراد ولا يأمركم الله ومن نصبه فعلى قوله ﴿ **وما كان لبشر أن يأمركم أن تتخذوا** ﴾ ومما يُقوّي الرفع ما روي في حرف ابن مسعود يأمركم فهذا يدل على الانقطاع من الأول ومِمّا يُقوّي النصب ما جاء في السير أن اليهود قالوا للنبي ﷺ يا محمد أتريد أن نتخذك ربّاً فقال الله عز وجل ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب ولا أن يأمركم .

[**اللغة**] البشر يقع على القليل والكثير فهو بمنزلة المصدر مثل الخلق تقول هذا بشر وهؤلاء بشر كما تقول هذا خلق وهؤلاء خلق وإنما وقع المصدر على القليل والكثير لأنه جنس الفعل فصار كأسماء الأجناس مثل الماء والتراب ونحوه والربّاني هو الربّ يرب أمر الناس بتدبيره وإصلاحه إياه يقال ربّ فلانٌ أمره ربابة وهو ربّان إذا دبّره وأصلحه ونظيره نَعَس يَنْعَس وهو نعسان وأكثر ما يجيء فعلان من فَعَل يَفْعَل فيكون العالم ربانياً لأنه بالعلم رب الأمر ويصلحه وقيل أنه مضاف إلى علم الرب وهو علم الدين الذي يأمره به إلا أنه غيّر في الإضافة ليدل على هذا المعنى كما قيل في الإضافة إلى البحرين بحراني وكما

---

(١) أي من جميع طرقه إلا من طريق هذين .

قيل للعظيم الرقبة رقباني وللعظيم اللحية لحياني فقيل لصاحب علم الدين الذي أمر به الرب رباني .

[**النزول**] قيل أن أبا رافع القُرَضي من اليهود ورئيس وفد نجران قالا يا محمد أتريد أن نعبدك ونتخذك إلّهاً فقال معاذ الله أن أعبد غير الله أو آمر بعبادة غير الله ما بذلك بعثني ولا بذلك أمرني فأنزل الله الآية عن ابن عباس وعطاء وقيل نزلت في نصارى نجران عن الضحاك ومقاتل وقيل أن رجلاً قال يا رسول الله نسلّم عليك كما يسلّم بعضنا على بعض أفلا نسجد لك قال لا ينبغي أن يُسجد لأحد من دون الله ولكن أكرموا نبيكم واعرفوا الحق لأهله فأنزل الله الآية .

[**المعنى**] لما تقدم ذكر أهل الكتاب وأنهم أضافوا ما يتدينون به إلى الأنبياء نزّههم الله عن ذلك فقال ﴿ **ما كان لبشر** ﴾ يعني ما ينبغي لبشر كقوله ﴿ **وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً وما كان لنا أن نتكلم بهذا** ﴾ أي لا ينبغي وقيل لا يجوز معناه لبشر ولا يحل له ﴿ **أن يؤتيه الله** ﴾ أن يعطيه الله ﴿ **الكتاب والحكمة والنبوة** ﴾ أي العلم أو الرسالة إلى الخلق ﴿ **ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله** ﴾ أي اعبدوني من دونه أو اعبدوني معه عن الجبائي وقيل معناه ليس من صفة الأنبياء الذين خصهم الله لرسالته واجتباهم لنبوته وأنزل عليهم كتبه وجعلهم حكماء علماء أن يدعوا الناس إلى عبادتهم وإنما قال ذلك على جهة التنزيه للنبي ﷺ عن مثل هذا القول لا على وجه النهي وقوله ﴿ **عباداً** ﴾ هو من العبادة قال القاضي وعَبيد بخلافه لأنه بمعنى العبودية ولا يمتنع أن يكونوا عباداً لغيره ﴿ **ولكن كونوا ربانيين** ﴾ فيه حذف أي لا ينبغي لهذا النبي أن يقول للناس اعبدوني ولكن ينبغي أن يقول لهم ربانيين وفيه أقوال (أحدها) أن معناه كونوا علماء فقهاء عن علي وابن عباس والحسن (وثانيها) كونوا علماء حكماء عن قتادة والسدي وابن أبي رزين (وثالثها) كونوا حكماء أتقياء عن سعيد بن جبير (ورابعها) كونوا مدبري أمر الناس في الولاية بالإصلاح عن ابن زيد (وخامسها) كونوا معلمين للناس من علمكم كما يقال أنفق بمالك أي أنفق من مالك عن الزجاج وروي عن النبي أنه قال ما من مؤمن ولا مؤمنة ولا حر ولا مملوك إلا ولله عليه حق واجب أن يتعلم من العلم ويتفقه فيه وقال أبو عبيدة سمعت رجلاً عالماً يقول الرباني العالم بالحلال والحرام والأمر والنهي وما كان وما يكون وقال أبو عبيدة لم تعرف العرب الرباني وهذا فاسد لأن القرآن نزل بلغتهم وروي عن محمد بن الحنفية أنه قال يوم مات ابن عباس مات رباني هذه الأمة وقد ذكرنا اشتقاقه قبل ﴿ **بما كنتم تعلّمون الكتاب** ﴾

أي القرآن ﴿ وبما كنتم تدرسون ﴾ أي الفقه ومن قرأ بالتشديد أراد تعلمونه لسواكم فيفيد أنهم يعلمون ويعلمون غيرهم والتخفيف لا يفيد أكثر من كونهم عالمين ودخلت الباء في قوله ﴿ بما كنتم تعلمون ﴾ لأحد ثلاثة أشياء أما أن يريد كونوا معلمي الناس بعلمكم كما يقال أنفقوهم بمالكم أو يريد كونوا ربانيين في علمكم ودراستكم ووقعت الباء موقع في أو يريد كونوا ممن يستحق أن يطلق له صفة عالم بعلمه على جهة المدح بأن تعملوا بما علمتم وذلك أن الإنسان إنما يستحق الوصف بأنه عالم إذا عمل بعلمه ويدل عليه قوله ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ ﴿ ولا يأمركم ﴾ أي ولا يأمركم الله عن الزجاج وقيل ولا يأمركم محمد عن ابن جريج وقيل ولا يأمركم عيسى ومن نصب الراء عطفه على أن يؤتيه الله فمعناه ولا كان لهذا النبي أن يأمركم ﴿ أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً ﴾ أي آلهة كما فعله الصابئون والنصارى ﴿ أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون ﴾ ألف إنكارٍ أصله الاستفهام وإنما استعمل في الانكار لأنه مما لو أقر به المخاطب لظهرت فضيحته فلذلك جاء على السؤال وإن لم يكن الغرض تعرف الجواب ومعناه أن الله تعالى إنما يبعث النبي ﷺ ليدعو الناس إلى الإيمان فلا يبعث من يدعو المسلمين إلى الكفر .

﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٨٢﴾

[**القراءة**] قرأ حمزة وحده لِما آتيتكم بكسر اللام والباقون بفتحها وقرأ نافع آتيناكم على الجمع والباقون آتيتكم على التوحيد .

[**الحجة**] الوجه في قراءة حمزة لما آتيتكم بكسر اللام أنه يتعلق بالأخذ كأن المعنى أخذ ميثاقهم لهذا ويكون ما على هذا موصولة والعائد إلى الموصول من الجملة المعطوفة على صلته وهي قوله جاءكم رسول مصدق لما معكم مظهر بمنزلة المضمر وهي

قوله ما معكم لأنه بمنزلة ما أوتوه من الكتاب والحكمة فهذا يكون مثل قوله ﴿ **انه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين** ﴾ لأنه في معنى لا يضيع أجرهم ويجوز أن يكون ما على هذه القراءة حرفاً فيكون بمعنى المصدر قال أبو علي ومن فتح اللام فقال لما آتيتكم فإن ما فيه يحتمل تأويلين (أحدهما) أن يكون موصولة (والآخر) أن يكون للجزاء فمن قدر ما موصولة فالقول فيما يقتضيه قوله ﴿ **ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم** ﴾ من الراجع إلى الموصول ما تقدم ذكره في قراءة حمزة وأما الراجع إلى الموصول من الجملة الأولى فالضمير المحذوف من الصلة تقديره لما آتيتكموه واللام في لما فيمن قدر ما موصولة لام ابتداء وهي المتلقية لما أجري مجرى القسم من قوله ﴿ **وإذ أخذ الله ميثاق النبيين** ﴾ وموضع ما رفع بالابتداء والخبر لتؤمنن به ولتؤمنن متعلق بقسم محذوف والمعنى والله لتؤمنن به والذكر الذي في به يعود إلى الذي آتيتكموه الذي هو المبتدأ ونحوه قولك لَعَبْدُ الله والله لتأتينه والذكر الذي في لتنصرنه يعود إلى رسول الله المتقدم ذكره وإذا قدرت ما للجزاء كانت ما في موضع نصب بآتيتكم وآتيتكم في موضع جزم بالشرط وجاءكم في موضع جزم بالعطف على آتيتكم واللام الداخلة على ﴿ **ما** ﴾ لا يكون المتلقية للقسم ولكن يكون بمنزلة اللام في لئن لم ينتهِ المنافقون والمتلقية قوله ﴿ **لتؤمنن به** ﴾ كما أنها في قوله ﴿ **لئن لم ينتهِ المنافقون** ﴾ قولُه ﴿ **لَنغرينك بهم** ﴾ وهذه اللام الداخلة على أن لا يعتمد القسم عليها فلذلك جاز حذفها تارة وإثباتها تارة كما قال ﴿ **وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا** ﴾ فيلحق هذه اللام إنْ مرة ولا تلحق أخرى كما أنّ ان كذلك في قوله والله ان لو فعلت لفعلت ووالله لو فعلت لفعلت .

[**المعنى**] لمّا تقدّم ذكر النبيين عقبه سبحانه بذكر نبينا وما أخذ من عهده عليهم أجمعين فقال ﴿ **وإذ أخذ الله ميثاق النبيين** ﴾ العامل في إذ محذوف وتقديره وإذكر إذ أخذ الله وقيل هو عطف على ما تقدم من قوله ﴿ **وإذ قالت الملائكة** ﴾ وروي عن أمير المؤمنين (ع) وابن عباس وقتادة أن الله أخذ الميثاق على الأنبياء قبل نبينا ﷺ أن يخبروا أممهم بمبعثه ونفعته ويبشروهم به ويأمروهم بتصديقه وقال طاووس أخذ الله الميثاق على الأنبياء (ع) على الأول والآخر فأخذ الله ميثاق الأول لتأمن بما جاء به الآخر وقال الصادق تقديره وإذ أخذ الله ميثاق أمم النبيين بتصديق نبيها والعمل بما جاءهم به وأنهم خالفوهم فيما بعد وما وفوا به وتركوا كثيراً من شريعته وحرفوا كثيراً منها وقوله ﴿ **لما آتيتكم** ﴾ بفتح اللام إذا كانت ما موصولة فتقديره للذي آتيتكموه أي أعطيتكموه ﴿ **من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول** ﴾ أي نبي وقيل يعني محمد ﷺ ﴿ **مصدق لما معكم** ﴾ أي لما آتيتكم من الكتب

﴿ لتؤمنن به ﴾ أي لتؤمنن بالرسول ولتنصرنه أو يريد لتؤمنن بالذي آتيتكموه ولتنصرن الرسول وعلى هذا يكون. المعنى أنه إنما أخذ الميثاق على الأنبياء ليصدق بعضهم بعضاً ويأمر بعضهم بالإيمان ببعض ويكون النصرة بالتصديق. والحجة وهو المروي عن الحسن وسعيد بن جبير وطاووس وإذا كانت ما للجزاء فتقديره أي شيء آتيتكم ومهما آتيتكم من كتاب لتؤمنن فالشرط إيتاؤه إياهم الكتاب والحكمة ومجيء الرسول والجزاء القسم والمقسم عليه وهو قوله لتؤمنن به فأغنى جواب القسم عن الجزاء كقوله لئن أشركت ليحبطن عملك وقوله ﴿ من كتاب ﴾ من هذه للتبيين لما نحو قولك ما عندك من ورق وعين وهذا خاتم من فضة ويكون على هذا تقديره أن الله تعالى قال لهم مهما أوتيكم كتاباً وحكمة ثم يجيئكم به رسول مصدق لما معكم من ذلك الكتاب والحكمة والله لتؤمنن به ولتنصرنه فأقروا بذلك وأعطوا عليه مواثيقهم وهذا أشبه بما ذكر أن الميثاق أخذ على الأنبياء ليأخذوا على أممهم بتصديق محمد إذا بعث ويأمروهم بنصرته على أعدائه إن أدركوه وهو المروي عن علي وابن عباس وقتادة والسدي واختاره أبو علي الجبائي وأبو مسلم ويكون معنى قوله ﴿ جاءكم ﴾ جاء أممكم وأتباعكم وإنما خرج الكلام على النبيين لأن ما لزمهم لزم أممهم ومن قرأ لِما آتيتكم بكسر اللام فالمعنى أخذ الله ميثاقهم لما أوتوه أي لأجل ما أوتوه من الكتاب والحكمة ولأنهم الأفاضل وخيار الناس ويكون اللام للتعليل فيقتضي أن يكون الإيتاء سابقاً لأخذ الميثاق وقوله لتؤمنن متعلق بأخذ الميثاق وهو في الحاصل راجع إلى معنى الشرط والجزاء وقوله ﴿ ولتنصرنه ﴾ أي البشارة للأمم به قال أي قال الله لأنبيائه ﴿ أأقررتم به ﴾ وصدقتموه ﴿ وأخذتم على ذلكم إصري ﴾ معناه وقبلتم على ذلكم عهدي ونظيره فإن أوتيتم هذا فخذوه وقيل معناه وأخذتم العهد بذلك على أممكم ﴿ قالوا ﴾ أي قال الأنبياء وأممهم ﴿ أقررنا ﴾ بما أمرتنا بالإقرار به ﴿ قال ﴾ الله ﴿ فاشهدوا ﴾ بذلك على أممكم ﴿ وأنا معكم من الشاهدين ﴾ عليكم وعلى أممكم عن علي وقيل فاشهدوا أي فاعلموا ذلك أنا معكم اعلم عن ابن عباس وقيل معناه ليشهد بعضكم على بعض وقيل قال الله للملائكة اشهدوا عليهم فيكون ذلك كناية عن غير مذكور عن سعيد بن المسيب وهذه الآية من مشكلات آيات القرآن وقد غاص النحويون في وجوه إعرابها وتحقيقها وشقوا الشعر في تدقيقها ولا تراها في موضع أوجز لفظاً وأكثر فائدة وأشد تهذيباً مما ذكرته هنا وبالله التوفيق ﴿ فمن تولى بعد ذلك ﴾ أي فمن أعرض عن الإيمان بمحمد بعد هذه الدلالات والحجج وبعد أخذ الميثاق على النبيين الذين سبق ذكرهم والمقصود بهذه الأمم دون النبيين لأنه قد مضى أزمانهم وجاز ذلك لأن أخذ الميثاق على

النبيين يتضمن الأخذ على أممهم وقد روي عن علي (ع) أنه قال لم يبعث الله نبياً آدم ومن بعده إلا أخذ عليه العهد لئن بعث الله محمداً وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه وأمره بأن يأخذ العهد بذلك على قومه ﴿ **فأولئك هم الفاسقون** ﴾ ولم يقل الكافرون لأن المراد الخارجون في الكفر إلى أفحش مراتب الكفر بتمردهم وذلك أن أصل الفسق الخروج عن أمر الله إلى حال توبقه وفي الكفر ما هو أكبر كما أن فيما دون الكفر من المعاصي ما هو أكبر وما هو أصغر بالإضافة إليه .

﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ
وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ
يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ
وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ
وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾
وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ
مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾

[**القراءة**] قرأ أبو عمرو يبغون بالياء وإليه ترجعون بالتاء مضمومة وقرأ بالياء فيهما ابن عباس وحفص ويعقوب وسهل والباقون بالتاء فيهما جميعاً .

[**الحجة**] من قرأ بالتاء فيهما فلأن أول الآية خطاب للنبي ومن قرأ بالياء فعلى تقدير قل لهم أفغير دين الله يبغون فجاء على لفظ الغيبة لأنهم غُيّب وقد تقدم القول في يرجعون وترجعون .

[**الإعراب**] أفغير دين الله يبغون عطف جملة على جملة كما لو قيل أو غير دين الله يبغون إلّا أن الفاء رتبت فكأنه قيل أبعد تلك الآيات غير دين الله يبغون وطوعاً وكرهاً مصدران وقعا موقع الحال وتقديره طائعين وكارهين كما يقال أتاني ركضاً أي راكضاً ولا

يجوز أن تقول أتاني كلاماً أي متكلماً لأن الكلام ليس بضرب من الإتيان والركض ضرب منه .

[**النزول**] عن ابن عباس قال اختصم أهل الكتاب إلى رسول الله ﷺ فيما اختلفوا بينهم من دين إبراهيم كل فرقة زعمت أنهم أولى بدينه فقال النبي ﷺ كلا الفريقين بريء من دين إبراهيم فغضبوا وقالوا والله ما نرضى بقضائك ولا نأخذ بدينك فأنزل الله ﴿ **أفغير دين الله يبغون** ﴾ .

[**المعنى**] لمّا بيّن سبحانه بطلان اليهودية وسائر الملل غير الإسلام بَيّن عقيبه أن من يبتغ غير دينه فهو ضال لا يجوز القبول منه فقال ﴿ **أفغير دين الله يبغون** ﴾ أي أفبعد هذه الآيات والحجج يطلبون ديناً غير دين الله ﴿ **وله أسلم من في السماوات والأرض طوعاً وكرهاً** ﴾ قيل فيه أقوال (أحدها) أن معناه أسلم من في السماوات والأرض بحاله الناطقة عنه الدالة عليه عند أخذ الميثاق عليه عن ابن عباس (وثانيها) أسلم أي أقر بالعبودية وإن كان فيهم من أشرك بالعبادة كقوله تعالى ﴿ **ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله** ﴾ ومعناه ما ركب الله في عقول الخلائق من الدعاء إلى الإقرار له بالربوبية ليتنبهوا على ما فيه من الدلالة عن مجاهد وأبي العالية (وثالثها) أسلم المؤمن لوعاً والكافر كرهاً عند موته كقوله ﴿ **فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا** ﴾ عن قتادة واختاره البلخي ومعناه التخفيف لهم من التأخر عما هذه سبيله (ورابعها) أن معناه استسلم له بالانقياد والذكر[١] كقوله ﴿ **قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا** ﴾ أي استسلمنا عن الشعبي والجبائي والزجاج (وخامسها) أن معناه أكره أقوام على الإسلام وجاء أقوام طائعين عن الحسن وهو المروي عن أبي عبد الله قال كرهاً أي فَرَقا من السيف وقال الحسن والمفضل الطوع لأهل السماوات خاصة وأما أهل الأرض فمنهم من أسلم طوعاً ومنهم من أسلم كرهاً ﴿ **وإليه ترجعون** ﴾ أي إلى جزائه تصيرون فبادروا إلى دينه ولا تخالفوا الإسلام ﴿ **قل آمنا بالله** ﴾ خطاب للنبي ﷺ وأمر له بأن يقول عن نفسه وعن أمته آمنا بالله ﴿ **وما أنزل علينا** ﴾ الآية كما يخاطب رئيس قوم بأن يقول عن نفسه وعن رعيته وقد سبق معنى الآية في سورة البقرة فإن قيل ما معنى قوله ﴿ **ونحن له مسلمون** ﴾ بعدما سبق من الإقرار بالإيمان على التفصيل قلنا معناه ونحن له مسلمون بالطاعة والانقياد في جميع ما أمر به ونهى عنه وأيضاً فإن أهل الملل المخالفة للإسلام كانوا يقرّون كلهم بالإيمان ولكن

(١) وفي بعض الخطبة « المذلة » بدل « الذكر » وهو الظاهر ،وفي التبيان « الذلة » .

لم يقرّوا بلفظ الإسلام فلهذا قال ونحن له مسلمون ﴿ **ومن يبتغ غير الإسلام** ﴾ أي يطلب ﴿ **ديناً** ﴾ يدين به ﴿ **فلم يقبل منه** ﴾ بل يعاقب عليه ويدل عليه قوله ﴿ **وهو في الآخرة من الخاسرين** ﴾ أي من الهالكين لأن الخسران ذهاب رأس المال وفي هذه الآية دلالة على أن من ابتغى الإسلام ديناً يقبل منه فدلّ ذلك على أن الدين والإسلام والإيمان واحد وهي عبارات من معبّر واحد .

﴿ كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَـٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٨٦﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٨٩﴾

[**اللغة**] الخلود في اللغة طول المكث ولذلك يقال خُلّد فلان في السجن وقيل للأثافي خوالد ما دامت في مواضعها وإذا زالت لا يسمّى خوالد والفرق بين الخلود والدوام أن الخلود يقتضي طول المكث في نحو قولك خُلّد فلان في الحبس ولا يقتضي ذلك الدوام ولذلك وصف سبحانه بالدوام دون الخلود إلا أن خلود الكفار المراد به التأييد بلا خلاف بين الأمة والإنظار التأخير للعبد لينظر في أمره والفرق بينه وبين الإمهال أن الإمهال هو تأخيره لتسهيل ما يتكلفه من عمله .

[**الإعراب**] كيف أصله الاستفهام والمراد به هنا الإنكار لأنهُ لا تقع هذه الهداية من الله أي لا يهديهم الله كقوله كيف يكون، للمشركين عهد عند الله وعند رسوله أي لا يكون قال الشاعر :

كَيْفَ نَوْماً عَلَى الفِراشِ ولمّا يَشْمَـلِ الشّـامَ غـارَةٌ شَعْـواءُ[1]

(١) غارة شعواء : متفرقة ممتدة .

وإنما دخله معنى الإنكار مع أن أصله الاستفهام لأن المسؤول يسأل عن أغراض مختلفة فقد يسأل للتعجيز عن إقامة البرهان وقد يسأل للتوبيخ مما يظهر من معنى الجواب في السؤال وقد يسأل لما يظهر فيه من الإنكار وإنما عطف قوله ﴿ **شهدوا** ﴾ وهو فعل على إيمانهم وهو اسم لأن الإيمان مصدر والمراد به الفعل والتقدير بعد أن آمنوا وشهدوا وأجمعين تأكيد للناس ودخلت الفاء في قوله ﴿ **فإن الله غفور رحيم** ﴾ لأنه يشبه الجزاء إذ كان الكلام قد تضمن معنى ان تابوا فإن الله يغفر لهم ولا يجوز أن يكون في موضع خبر الذين لأن الذين في موضع نصب بالاستثناء من الجملة التي هي قوله ﴿ **أولئك جزاؤهم ان عليهم لعنة الله** ﴾ ولا يحمل على المنقطع مع حسن الاتصال لأنه الأصل في الكلام والأسبق إلى الأفهام .

[**النزول**] قيل نزلت الآيات في رجل من الأنصار يقال له حارث بن سويد بن الصامت وكان قتل المحذر بن زياد البلوي غدراً وهرب وارتد عن الإسلام ولحق بمكة ثم ندم فأرسل إلى قومه أن يسألوا رسول الله ﷺ هل لي من توبة فسألوا فنزلت الآية إلى قوله ﴿ **إلا الذين تابوا** ﴾ فحملها إليه رجل من قومه فقال إني لأعلم أنك لصدوق ورسول الله أصدق منك وأن الله أصدق الثلاثة ورجع إلى المدينة وتاب وحسن إسلامه عن مجاهد والسدي وهو المروي عن أبي عبد الله (ع) وقيل نزلت في أهل الكتاب الذين كانوا يؤمنون بالنبي ﷺ قبل مبعثه ثم كفروا بعد البعثة حسداً وبغياً عن الحسن والجبائي وأبي مسلم .

[**المعنى**] لمّا بيَّن تعالى أن الإسلام هو الدين الذي به النجاة بيّن حال من خالفه فقال ﴿ **كيف يهدي الله قوماً كفروا بعد إيمانهم** ﴾ فيه وجوه (أحدها) أن معناه كيف يسلك الله بهم سبيل المهتدين بالإثابة لهم والثناء عليهم وقد كفروا بعد إيمانهم - (وثانيها) أنه على طريق التبعيد كما يقال كيف أهديك إلى الطريق وقد تركته أي لا طريق يهديهم به إلى الإيمان إلّا من الوجه الذي هداهم به وقد تركوه ولا طريق غيره - (وثالثها) أن المراد كيف يهديهم الله إلى الجنة ويثيبهم والحال هذه وقوله ﴿ **وشهدوا أن الرسول حق** ﴾ عطف على قوله بعد إيمانهم دون قوله ﴿ **كفروا** ﴾ وتقديره بعد أن آمنوا وشهدوا أن الرسول حق ﴿ **وجاءهم البينات** ﴾ أي البراهين والحجج وقيل القرآن وقيل جاءهم ما في كتبهم من البشارة لمحمد ﴿ **والله لا يهدي القوم الظالمين** ﴾ أي لا يسلك بالقوم الظالمين مسلك المهتدين ولا يثيبهم ولا يهديهم إلى طريق الجنة لأن المراد الهداية المختصة

بالمهتدين دون الهداية العامة المرادة في قوله ﴿ **واما ثمود فهديناهم** ﴾ والمراد بالإيمان هاهنا اظهار الإيمان دون الإيمان الذي يستحق به الثواب وليس في الآية ما يدل على أنهم قد كانوا في باطنهم مؤمنين مستحقين الثواب فزال ذلك بالكفر فلا متعلق للمخالف به ﴿ **أولئك جزاؤهم** ﴾ على أعمالهم ﴿ **إن عليهم لعنة الله** ﴾ وهي ابعاده إياهم من رحمته ومغفرته ﴿ **والملائكة والناس أجمعين** ﴾ وهي دعاؤهم عليهم باللعنة وبأن يبعدهم الله من رحمته ﴿ **خالدين فيها** ﴾ أي في اللعنة لخلودهم فيما استحقوا باللعنة وهو العذاب ﴿ **ولا يخفف عنهم العذاب** ﴾ ولا يسهل عليهم ﴿ **ولا هم ينظرون** ﴾ أي ولا يمهلون للتوبة ولا يؤخر عنهم العذاب من وقت إلى وقت آخر وإنما نفى انظارهم للتوبة والإنابة لما علم من حالهم أنهم لا ينيبون ولا يتوبون كما قال ولو ردوا لعادوا لما نهو عنه على أن التبقية ليست بواجبة وإن علم أنه لو أبقاه لتاب وأناب عند أكثر المتكلمين ﴿ **إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا** ﴾ أي تابوا من الكفر ورجعوا إلى الإيمان وأصلحوا ضمائرهم وعزموا على أن يثبتوا على الإسلام وهذا أحسن من قول من قال وأصلحوا أعمالهم بعد التوبة وصلّوا وصاموا فإن ذلك ليس بشرط في صحة التوبة إذ لو مات قبل فعل الصالحات مات مؤمناً بالإجماع ﴿ **فإن الله غفور** ﴾ يغفر ذنوبهم ﴿ **رحيم** ﴾ يوجب الجنة لهم وذكر المغفرة دليل على أن اسقاط العقاب بالتوبة تفضل منه سبحانه وأن ما لا يجوز المؤاخذة به أصلاً لا يجوز تعليقه. بالمغفرة وان ما يعلق بالمغفرة ما يكون له المؤاخذة به .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَـٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴿٩٠﴾

[**النزول**] قيل نزلت في أهل الكتاب الذين آمنوا برسول الله ﷺ قبل مبعثه ثم كفروا به بعد مبعثه عن الحسن وقيل نزلت في اليهود ﴿ **كفروا بعيسى والإنجيل بعد إيمانهم بأنبيائهم وكتبهم ثم ازدادوا كفراً** ﴾ بكفرهم بمحمد والقرآن عن قتادة وعطاء وقيل نزلت في أحد عشر من أصحاب الحرث بن سويد لما رجع الحرث قالوا نقيم بمكة على الكفر ما بدا لنا فمتى ما أردنا الرجعة رجعنا فينزل فينا ما نزل في الحرث فلما افتتح رسول الله ﷺ مكة دخل في الإسلام من دخل منهم فقبلت توبته فنزل فيمن مات منهم كافراً ﴿ **إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار** ﴾ الآية .

[**المعنى**] لمّا تقدم ذكر التوبة المقبولة عقّبه الله بمالا يقبل منها فقال ﴿ **إن الذين**

كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفراً ﴾ قد ذكرنا الاختلاف في سبب نزوله وعلى ذلك يدور معناه وقيل كلما نزلت آية كفروا بها فازدادوا كفراً إلى كفرهم ﴿ **لن تقبل توبتهم** ﴾ لأنها لم تقع على وجه الإخلاص ويدل عليه قوله ﴿ **وأولئك هم الضالون** ﴾ ولو حقّقوا في التوبة لكانوا مهتدين وقيل لن تقبل توبتهم عند رؤية اليأس لأنها تكون في حال الإلجاء ومعناه أنهم لا يتوبون إلا عند حضور الموت والمعاينة عن الحسن وقتادة والجبائي وقيل لأنها أظهرت الإسلام تورية فاطّلع الله تعالى رسوله على سرائرهم عن ابن عباس وقد دلّ السمع على وجوب قبول التوبة إذا حصلت شرائطها وعليه إجماع الأمة ﴿ **وأولئك هم الضالون** ﴾ عن الحق والصواب وقيل الهالكون المعذبون .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٩١﴾

[**اللغة**] الملء أصله الملأ وهو تطفيح الإناء ومنه الملأ الأشراف لأنهم يملؤن العين هيبة وجلالة ومنه رجل مليء بالأمر وهو املأ به من غيره فالمِلْءُ اسم للمقدار الذي يملأ والمَلْؤُ المصدر والفدية البدل من الشيء في إزالة الأذية ومنه فداء الأسير لأنه بدل منه في إزالة القتل والأسر عنه إذا كُسر مدّ وإذا فُتح قصر تقول فَدىً لك أو فِداءً لك ويجوز قصر هذا الممدود للضرورة والافتداء افتعال من الفدية .

[**الإعراب**] ذهبا منصوب على التميز وإنما استحق النصب لاشتغال العامل بالإضافة أو ما عاقبها من النون الزائدة فجرى ذلك مجرى الحال في اشتغال العامل بصاحبها ومجرى المفعول في اشتغال العامل عنه بالفاعل وقوله ولو افتدى به قال الفراء هذه الواو زائدة وغلّطه الزجاج لأن الكلام إذا أمكن حمله على فائدة يحمل عليها ولا يحمل على الزيادة وقال إذا دخلت الواو في مثل هذا كان أبلغ في التأكيد كقولك لا آتيك وإن أعطيتني لأنها دخلت لتفصيل نفي القبول بعد الإجمال ولو جعلنا الواو زائدة لأوهم ذلك أنه لا يقبل منه ملء الأرض ذهباً في الافتداء ويقبل في غيره .

[**المعنى**] ﴿ **إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار** ﴾ أي على كفرهم ﴿ **فلن يقبل من**

أحدهم ملء الأرض ذهباً ﴾ أي مقدار ما يملأ الأرض من الذهب ﴿ **ولو افتدى به** ﴾ بذله عوضاً ومعناه أن الكافر الذي يعتقد الكفر وإن أظهر الإيمان لا ينفعه الإنفاق بمعنى أنه لا يوجب له الثواب وقيل معناه أنه لا يقبل منه في الآخرة لو وجد إليه السبيل قال قتادة يجاء بالكافر يوم القيامة فيقال له أرأيت لو كان لك ملء الأرض ذهباً لكنت تفتدي به فيقول نعم فيقال له لقد سئلت أيسر من ذلك فلم تفعل ورواه أيضاً أنس عن النبي ﴿ **أولئك لهم عذاب أليم وما لهم من ناصرين** ﴾ قد ذكرنا معناه .

﴿ لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ (٩٢) ﴾

[**اللغة**] البِرّ أصله من السعة ومنه البَرّ خلاف البحر والفرق بين البِرّ والخير أن البِرّ هو النفع الواصل إلى الغير مع القصد إلى ذلك والخير يكون خيراً وإن وقع عن سهو وضدّ البِرّ العقوق وضدّ الخير الشر .

[**المعنى**] ﴿ **لن تنالوا البر** ﴾ أي لن تدركوا بر الله تعالى بأهل طاعته واختلف في البرّ هنا فقيل هو الجنة عن ابن عباس ومجاهد وقيل هو الطاعة والتقوى عن مقاتل وعطاء وقيل معناه لن تكونوا أبراراً أي صالحين أتقياء عن الحسن ﴿ **حتى تنفقوا مما تحبّون** ﴾ أي حتى تنفقوا المال وإنما كُنّي بهذا اللفظ عن المال لأن جميع الناس يحبّون المال وقيل معناه ما تحبون من نفائس أموالكم دون أرذالها كقوله تعالى : ﴿ **ولا تيمّموا الخبيث منه تنفقون** ﴾ وقيل هو الزكاة الواجبة وما فرضه الله في الأموال عن ابن عباس والحسن وقيل هو جميع ما ينفقه المرء في سبيل الخيرات عن مجاهد وجماعة وقد روي عن أبي الطفيل قال اشترى علي (ع) ثوباً فأعجبه فتصدق به وقال سمعت رسول الله ﷺ يقول من آثر على نفسه آثره الله يوم القيامة بالجنة[1] ومن أحبّ شيئاً فجعله لله قال الله تعالى يوم القيامة قد كان العباد يكافؤون فيما بينهم بالمعروف وأنا أكافيك اليوم بالجنة وروي أن أبا طلحة قسم حائطاً لهُ في أقاربهِ عند نزول هذه الآية وكان أحب أمواله إليه فقال لهُ رسول الله ﷺ بخ بخ ذلك مال رابح لك وجاء زيد بن حارثة بفرس لهُ كان يحبّها فقال هذه في سبيل الله

---

(١) [وقيل هو الثواب في الجنة] .

فحمل عليها رسول الله ﷺ أسامة بن زيد فكأنّ زيداً وجد في نفسه وقال إنما أردت أن أتصدق به فقال رسول الله أما ان الله قد قبلها منك وأعتق ابن عمر جارية كان يحبّها وتلا هذه الآية وقال لولا أني لا أعود في شيء جعلته لله تعالى لنكحتها وأضاف أبو ذر الغفاري ضيفاً فقال للضيف إني مشغول وإن لي إبلا فاخرج وأْتني بخيرها فذهب فجاء بناقة مهزولة فقال له أبو ذر خنتني بهذه فقال وجدت خير الإبل فحلها فذكرت يوم حاجتكم إليه فقال أبو ذر ان يوم حاجتي إليه ليوم أوضع في حفرتي مع أن الله يقول ﴿ **لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون** ﴾ وقال أبو ذر في المال ثلاثة شركاء القَدَر لا يستأمرك[١] أن يذهب بخيرها أو شرها من هلك أو موت والوارث ينتظرك أن تضع رأسك ثم يستاقها وأنت ذميم وأنت الثالث فإن استطعت أن لا تكون أعجز الثلاثة فلا تكن ان الله يقول ﴿ **لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون** ﴾ وان هذا الجمل كان مما أُحبُّ من مالي فأحببت أن أقدمه لنفسي وقال بعضهم دلَّهم بهذه الآية على الفتوة فقال ﴿ **لن تنالوا البر** ﴾ أي بري بكم إلا ببركم بإخوانكم والانفاق عليهم من مالكم وجاهكم وما تحبون فإذا فعلتم ذلك نالكم بري وعطفي ﴿ **وما تنفقوا من شيء فإن الله به عليم** ﴾ جاء بالفاء على جواب الشرط وإن كان الله يعلم ذلك على كل حال وفيه وجهان (أحدهما) أن تقديره وما تنفقوا من شيء فإن الله يجازيكم به قلَّ أو كثر لأنه عليم لا يخفى عليهِ شيء منه (والآخر) أن تقديره فإنه يعلمه الله موجوداً على الحدّ الذي تفعلونه من حسن النية أو قبحها فإن قيل كيف قال سبحانه ﴿ **لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون** ﴾ والفقير ينال الجنة وإن لم ينفق قيل الكلام خرج مخرج الحَثّ على الانفاق وهو مقيد بالإمكان وإنما أطلق على سبيل المبالغة في الترغيب والأولى أن يكون المراد لن تنالوا البر الكامل الواقع على أشرف الوجوه حتى تنفقوا مما تحبون وروي عن ابن عمر أن النبي ﷺ سُئل عن هذه الآية فقال هو أن ينفق العبد المال وهو شحيح يأمل الدنيا ويخاف الفقر .

[**النظم**] وجه اتصال هذه الآية بما قبلها أنه لما ذكر في الآية الأولى ﴿ **لن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهبا** ﴾ وصل ذلك بقوله ﴿ **لن تنالوا البر حتى تنفقوا** ﴾ لئلا يؤدي امتناع غناء الفدية إلى الفتور في الصدقة وما جرى مجراها من وجوه الطاعة .

﴿ * كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ

(١) أي لا يستشيرك .

﴿ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ ۗ قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٣﴾ فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩٤﴾

[**اللغة**] الافتراء اقتراف الكذب وأصله قطع ما قدّر من الاديم[١] يفريه فرياً إذا قطعه وعلى للاستعلاء ومعناه هنا إضافة الكذب إلى النبيﷺ من جهة أنه أمر بما لم يأمر به الله وأوجب ما لم يوجبه الله وفرق بين من كذب عليه وكذب لهُ لأن من كذب عليهِ يفيد أنهُ كذب فيما يكرههُ وكذب لهُ يجوز أن يكون فيما يريده .

[**النزول**] أنكر اليهود تحليل النبي لحوم الإبل فقال كل ذلك كان حلاًّ لإبراهيم فقالت اليهود كل شيء تحرمه فإنه محرم على نوح وإبراهيم وهلُمَّ جرًّا حتى انتهى إلينا فنزلت الآية عن الكلبي وأبي روق .

[**المعنى**] ﴿ **كل الطعام** ﴾ أي كل المأكولات ﴿ **كان حلا** ﴾ أي كان حلالا ﴿ **لبني إسرائيل** ﴾ وإسرائيل هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم ﴿ **إلا ما حرم إسرائيل** ﴾ أي يعقوب ﴿ **على نفسه** ﴾ اختلفوا في ذلك الطعام فقيل أن يعقوب أخذه وجع العرق الذي يقال له عرق النسا فنذر إن شفاه الله أن يحرم العروق ولحم الإبل وهو أحب الطعام إليه عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك وقيل حرم إسرائيل على نفسه لحم الجزور تعبّداً لله تعالى وسأل الله أن يجيز له فحرم الله ذلك على ولده عن الحسن وقيل حرم زائدتي الكبد والكليتين والشحم إلا ما حملته الظهور عن عكرمة واختلف في أنه كيف حرَّمه على نفسه فقيل بالاجتهاد وقيل بالنذر وقيل بنص ورد عليه وقيل حرّمه كما يحرّم المستظهر في دينه من الزهاد اللذة على نفسه ﴿ **من قبل أن تنزل التوراة** ﴾ معناه أن كل الطعام كان حلا لبني إسرائيل قبل أن تنزل التوراة على موسى فإنها تضمنت تحريم بعض ما كان حلالاً لبني إسرائيل واختلفوا فيما حرم عليهم وحالها بعد نزول التوراة فقيل أنه حرَّم عليهم ما كانوا يحرمونه قبل نزولها اقتداء بأبيهم يعقوب (ع) عن السدي وقيل لم يحرم الله عليهم في التوراة وإنما حرم عليهم بعد التوراة بظلمهم وكفرهم وكانت بنو إسرائيل إذا أصابوا ذنباً عظيماً حرم الله عليهم طعاماً طيباً وصب عليهم رجزاً وهو الموت وذلك قوله ﴿ **فبظلم من**

(١) [يقال فرى الاديم] .

الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم ﴾ عن الكلبي وقيل لم يكن شيء من ذلك حراماً عليهم في التوراة وإنما هو شيء حرموه على أنفسهم اتباعاً لأبيهم واضافوا تحريمه إلى الله تعالى عن الضحاك فكذَّبهم الله وقال قل يا محمد ﴿ **فأتوا بالتوراة فاتلوها** ﴾ حتى يتبين أنه كما قلت لا كما قلتم ﴿ **إن كنتم صادقين** ﴾ في دعواكم فاحتجّ عليهم بالتوراة وأمرهم بالإتيان بها وإن لم يقرأوا ما فيها فإن كان في التوراة أنها كانت حلالاً للأنبياء وإنما حرمها إسرائيل فلم يجسروا على اتيان التوراة لعلمهم بصدق النبي ﷺ وبكذبهم وكان ذلك دليلاً ظاهراً على صحة نبوة نبينا محمد ﷺ إذ علم بأن في التوراة ما يدل على كذبهم من غير تعلم التوراة وقراءتها ﴿ **فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك** ﴾ أي فمن افترى الكذب على الله تعالى من بعد قيام الحجة وظهور البينة ﴿ **فأولئك** ﴾ هم المفترون على الله الكذب و ﴿ **هم الظالمون** ﴾ لأنفسهم بفعل ما أوجب العقاب عليهم وإنما قال من بعد ذلك مع أنه يستحق الوعيد بالكذب على الله على كل حال لأنه أراد بيان إنه إنما يؤاخذ به بعد إقامة الحجة عليه ومن كذب فيما ليس بمحجوج فيه جرى مجرى الصبي الذي لا يستحق الوعيد بكذبه .

[**النظم**] ووجه اتصال هذه الآية بما قبلها أنها تفصيل للجملة المتقدمة فإنه ذكر الترغيب في الإنفاق من المحبوب والطعام مما يجب فرغّب فيه وذكر حكمه عن علي بن عيسى وقيل أنه لما تقدم محاجتهم في ملة إبراهيم وكان فيما أنكروا على نبينا ﷺ تحليل لحم الجزور وادّعوا تحريمه على ابراهيم (ع) وأن ذلك مذكور في التوراة فأنزل الله هذه الآية تكذيباً لهم ..

﴿ قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ ۗ فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾

[**اللغة**] الاتباع لحاق الثاني بالأول لما له بهِ من التعلق فالقوة للأول والثاني يستمد منهُ والتابع ثان متدبر بتدبير الأول متصرف بتصريفه في نفسه وأصل الحنيف الاستقامة وإنما وصف المائل القدم بأحنف تفاؤلاً وقيل أصله الميل فالحنيف هو المائل إلى الحق فيما كان عليه إبراهيم من الشرع .

[**المعنى**] ثم بيّن تعالى أن الصدق فيما أخبر به فقال ﴿ **قل صدق الله** ﴾ في أنّ كل الطعام كان حلاً لبني إسرائيل إلا ما حرّم إسرائيل على نفسه وفي أن محمداً ﷺ على دين

إبراهيم وأن دينه الإسلام ﴿ **فاتبعوا ملة إبراهيم** ﴾ في استباحة لحوم الإبل وألبانها ﴿ **حنيفاً** ﴾ أي مستقيماً على الدين الذي هو شريعته في حجّه ونسكه وطيب مأكله وتلك الشريعة هي الحنيفية وقيل مائلاً عن سائر الأديان الباطلة إلى دين الحق ﴿ **وما كان من المشركين** ﴾ برّأ الله تعالى إبراهيم مما كان ينسبه اليهود والنصارى إليه بزعمهم أنهم على دينه وكذلك مشركو العرب وأخبر أن إبراهيم كان بريئاً من المشركين ودينهم والصحيح أن نبينا ﷺ لم يكن متعبداً بشريعة مَنْ تقدم من الأنبياء ولكن وافقت شريعته شريعة إبراهيم فلذلك قال فاتبعوا ملة إبراهيم وإلا فالله تعالى هو الذي أوحى بها إليه وأوجبها عليه وكانت شريعة له وإنما رغَّب الله في شريعة الإسلام بأنها ملة إبراهيم لأن المصالح إذا وافقت ما تسكن إليه النفس ويقبله العقل بغير كلفة كانت أحق بالرغبة فيها وكان المشركون يميلون إلى اتباع ملة إبراهيم (ع) فلذلك خوطبوا بذلك .

﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٩٧﴾

[**القراءة**] قرأ أهل الكوفة غير أبي بكر وأبي جعفر حِجّ البيت بكسر الحاء والباقون بفتحها .

[**الحجة**] قال سيبويه حَجَّ حِجّاً مثل ذَكَر ذِكْراً فحِجّ على هذا مصدر فهذا حجة لمن كسر الحاء وقال أبو زيد الحِجَج السنون واحدتها حِجَّة قال أبو علي يدلّ على ذلك قوله ثماني حجج قال الحَجَّة من حج البيت الواحدة قال سيبويه « قالوا حِجَّة أرادوا عمل سنة ولم يجيئوا بها على الأصل ولكنه اسم له » فقوله لم يجيئوا بها على الأصل أراد أنه للدفعة من الفعل ولكن كسروه فجعلوه اسماً لهذا المعنى كما قالوا غزاة لعمل وجه واحد ولم يجىء فيه الغزوة وكان القياس .

[**اللغة**] أول الشيء ابتداؤه ويجوز أن يكون المبتدأ له آخر ويجوز أن لا يكون آخر

له لأن الواحد أول العدد ولا نهاية لآخره ونعيم أهل الجنة له أول ولا نهاية له وأصل بكّة البكّ وهو الزحم يقال بكَّه يبكُّهُ بكا إذا زحمه ويباكّ الناس إذا ازدحموا فبكة مزدحم الناس للطواف وهو ما حول الكعبة من داخل المسجد الحرام وقيل سميت بكة لأنها تبكّ أعناق الجبابرة إذا ألحدوا فيها بظلم ولم يمهلوا والبكّ دقّ العنق وأما مكة فيجوز أن يكون إشتقاقها كإشتقاق بكة وإبدال الميم من الباء كقوله ﴿ ضربة لازب ولازم ﴾ ويجوز أن يكون من قولهم أمتك الفصيل ما في ضرع الناقة إذا مصّ مصاً شديداً حتى لا يبقى منه شيء ومك المشاش مكا إذا تمشش بفيه فسميت مكة بذلك لقلة مائها وأصل البركة التبوت من قولهم برك بروكاً أو بركاً إذا ثبت على حاله فالبركة ثبوت الخير بنمّوه ومنه البِرْكة شِبْهُ الحوض يمسك الماء لثبوته فيه ومنه قول الناس تبارك الله لثبوته لم يزل ولا يزال وحده .

[الإعراب] قوله تعالى ﴿ مباركاً ﴾ نصب على الحال بالظرف مِنْ ببكة على معنى الذي استقر ﴿ببكة مباركاً﴾ ويجوز أن يكون من الضمير في وُضع كأنه قيل وضع مباركاً وعلى هذا يجوز أن يكون قد وضع قبله بيت ولا يجوز في التقدير الأول وأما رفع مقام إبراهيم فلأنه خبر مبتدأ محذوف وتقديره هي مقام إبراهيم عن الأخفش وقيل هو بدل من آيات عن أبي مسلم ومن استطاع إليه سبيلاً في موضع جرٍ بدلاً من الناس وهو بدل البعض من الكل .

[النزول] قال مجاهد تفاخر المسلمون واليهود فقالت اليهود بيت المقدس أفضل وأعظم من الكعبة لأنه مهاجر الأنبياء والأرض المقدسة وقال المسلمون بل الكعبة أفضل فأنزل الله تعالى ﴿ إن أول بيت ﴾ .

[المعنى] ﴿ إن أول بيت وضع للناس ﴾ أي بني للناس ولم يكن قبله ببيت مبني وإنما دحيت الأرض من تحتها وهو أول بيت ظهر على وجه الماء عند خلق الله تعالى السماء والأرض من تحتها وهو خلقه الله قبل الأرض بألفي عام وكانت زَبَدة بيضاء على الماء عن مجاهد وقتادة والسدي وروي عن أبي عبد الله (ع) قال أنها كانت مهاة بيضاء يعني درة بيضاء وروى أبو خديجة عنه (ع) قال إن الله أنزله لآدم من الجنة وكان درة بيضاء فرفعه الله تعالى إلى السماء وبقي رأسه وهو بحيال هذا البيت يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يرجعون إليه أبداً فأمر الله تعالى إبراهيم (ع) وإسماعيل (ع) ببنيان البيت على القواعد وقيل معناه إن أول بيت وضع للعبادة ولم يكن قبله بيت يحجّ إليه البيت الحرام وقد كانت قبله بيوت كثيرة ولكنهُ أول بيت مبارك وهدى وضع للناس عن علي (ع)

والحسن وقيل أول بيت رغب فيه وطلب منهُ البركة مكة عن الضحاك وروى أصحابنا أن أول شيء خلقه الله من الأرض موضع الكعبة ثم دحيت الأرض من تحتها وروى أبو ذر أنه سئل النبي (ﷺ) عن أول مسجد وضع للناس فقال المسجد الحرام ثم بيت المقدس ﴿ للذي ببكة ﴾ قيل بكة المسجد ومكة الحرام كلهُ يدخل فيه البيوت عن الزهري وضمرة بن ربيعة وهو المروي عن أبي جعفر (ع) وقيل بكة بطن مكة عن أبي عبيدة وقيل بكة موضع البيت والمطاف ومكة اسم البلدة وعليه الأكثر وقيل بكة هي مكة والعرب تبدل الباء ميماً مثل سبد رأسه وسمده عن مجاهد والضحاك ﴿ مباركاً ﴾ يعني كثير الخير والبركة وقيل مباركاً لثبوت العبادة فيه دائماً حتى يحكى على أن الطواف بهِ لا ينقطع أبداً وقيل لأنه يضاعف فيه ثواب العبادة عن ابن عباس ورووا فيه حديثاً طويلاً وقيل لأنه يغفر فيه الذنوب ويجوز حمله على الجميع إذ لا تنافي ﴿ وهدى للعالمين ﴾ أي دلالة لهم على الله تعالى لاهلاكه كل من قصده من الجبابرة كأصحاب الفيل وغيرهم وباجتماع الظبي في حرمه مع الكلب والذئب فلا ينفر عنه مع نفرته عنه في غيره من البلاد وبانمحاق الجمار على كثرة الرماة فلولا أنها ترفع لكان يجتمع هناك من الحجارة مثل الجبال وباستئناس الطيور فيه بالناس وباستشفاء المريض بالبيت وبأن لا يعلوه طير إعظاماً له إلى غير ذلك من الدلالات وقيل معناه أنهم يهتدون به إلى جهة صلاتهم أو يهتدون إلى الجنة بحجه وطوافه ﴿ فيه آيات بينات ﴾ أي دلالات واضحات والهاء في فيه عائد إلى البيت وروي عن ابن عباس أنه قرأ فيه آية بينة ﴿مقام إبراهيم﴾ فجعل مقام إبراهيم وحده هو الآية وقال أثر قدميه في المقام آية بينة والأول عليه القراء والمفسرون أرادوا مقام إبراهيم والحجر الأسود والحطيم وزمزم والمشاعر كلها وأركان البيت وازدحام الناس عليها وتعظيمهم لها وقد مضى ذكر مقام إبراهيم في سورة البقرة وسئل الصادق (ع) عن الحطيم فقال هو ما بين الحجر الأسود والباب قيل ولم سمي الحطيم قال لأن الناس يحطم بعضهم بعضاً وهو الموضع الذي فيه تاب الله على آدم وقال (ع) إن تهيأ لك أن تصلي صلاتك كلها الفرائض وغيرها عند الحطيم فافعل فإنه أفضل بقعة على وجه الأرض وبعده الصلاة في الحجر أفضل وروي عن أبي حمزة الثمالي قال قال لنا علي بن الحسين أيّ البقاع أفضل فقلنا الله تعالى ورسوله وابن رسوله أعلم فقال لنا أفضل البقاع ما بين الركن والمقام ولو أن رجلاً عمر ما عمر نوح في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً يصوم النهار ويقوم الليل في ذلك المكان ثم لقي الله تعالى بغير ولايتنا ولا ينفعه ذلك شيئاً وقال الصادق (ع) الركن اليماني بابنا الذي ندخل منه الجنة وروي أنه من روي من ماء زمزم أحدث له به شفاء وصرف عنه داء قال

المفسرون ومن تلك الآيات مقام إبراهيم (ع) وأمن الداخل فيه وأمن الوحوش من السباع الضارية وأنه ما علا عبد على الكعبة إلا عتق وإذا كان الغيث من ناحية الركن اليماني كان الخصب باليمن وإذا كان من ناحية الركن الشامي كان الخصب بالشام وإذا عم البيت كان في جميع البلدان وسائر ما ذكرناه قبل من الآيات وقوله ﴿ **ومن دخله كان آمناً** ﴾ عطف على مقام إبراهيم وفي مقام إبراهيم دلالة واضحة لأنه حجر صلد يرى فيه أثر قدميه ولا يقدر أحد أن يجعل الحجر كالطين إلا الله وروي عن ابن عباس أنه قال أن الحرم كله مقام إبراهيم ومن دخل مقام إبراهيم يعني الحرم كان آمناً وقيل فيه أقوال (أحدها) إن الله عطف قلوب العرب في الجاهلية على ترك التعرض لمن لاذ بالحرم والتجأ إليه وإن كثرت جريمته ولم يزده الإسلام إلا شدة عن الحسن (وثانيها) أنه خبر والمراد به الأمر ومعناه أن من وجب عليه حد فلاذ بالحرم لا يبايع ولا يشاري ولا يعامل حتى يخرج من الحرم فيقام عليه الحدّ عن ابن عباس وابن عمر وهو المروي عن أبي جعفر (ع) وأبي عبد الله (ع) وعلى هذا يكون تقديره ومن دخله فأمنوه (وثالثها) إن معناه من دخله عارفاً بجميع ما أوجبه الله عليه كان آمناً في الآخرة من العذاب الدائم وهو المروي عن أبي جعفر (ع) وأجمعت الأمة على أن من أصاب فيه ما يوجب الحد أقيم عليه الحد فيه ثم لمّا بيّن الله فضيلة بيته الحرام عقبّه بذكر وجوب حجة الإسلام فقال ﴿ **ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً** ﴾ ومعناه ولله على من استطاع إلى حج البيت سبيلاً من الناس حج البيت أي من وجد إليه طريقاً بنفسه وماله واختلف في الاستطاعة فقيل هي الزاد والراحلة عن ابن عباس وابن عمر وقيل ما يمكنه معه بلوغ مكة بأي وجه يمكن عن الحسن ومعناه القدرة على الوصول إليه والمروي عن أئمتنا أنه وجود الزاد والراحلة ونفقة من يلزمه نفقته والرجوع إلى كفاية إما من مال أو ضياع أو حرفة مع الصحة في النفس وتخلية السرب من الموانع وإمكان السير ﴿ **ومن كفر** ﴾ معناه ومن جحد فرض الحج ولم يره واجباً عن ابن عباس والحسن ﴿ **فإن الله غنيٌّ عن العالمين** ﴾ لم يتعبّدهم بالعبادة لحاجته إليها وإنّما تعبدهم بها لما علم فيها من مصالحهم وقيل إن المعنيّ به اليهود فإنه لمّا نزل قوله ﴿ **ومن يبتغ غير الإسلام ديناً** ﴾ فلن يقبل منه قالوا نحن مسلمون فأمروا بالحج فلم يحجوا وعلى هذا يكون معنى من كفر من ترك الحج من هؤلاء فهو كافر والله غني عن العالمين وقيل المراد به كفران النعمة لأن إمتثال أمر الله شكر لنعمته وقد روي عن أبي أمامة عن النبي (ﷺ) أنه قال من لم يحبسه حاجة ظاهرة من مرض حابس أو سلطان جائر ولم يحج فليمت إن شاء يهودياً وإن شاء نصرانياً وروي عن أبي عبد الله (ع) قال قال رسول الله

(ﷺ) الحج والعمرة ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد وفي هذه الآية دلالة على فساد قول من قال إن الاستطاعة مع الفعل لأن الله أوجب الحج على المستطيع ولم يوجب على غير المستطيع وذلك لا يمكن إلا قبل فعل الحج .

[**النظم**] وجه اتصال الآية بما قبلها إن الله تعالى أمر أهل الكتاب باتباع ملة إبراهيم ومن ملته تعظيم بيت الله الحرام فذكر تعالى البيت وفضله وحرمته وما يتعلق به في قوله ﴿ **إنّ أول بيت وضع للناس** ﴾ .

﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾

[**اللغة**] البغية الطلب يقال بغيت الشيء أبغيه قال عبد بني الحسحاس :

بَغاكَ وَما تَبْغيهِ حَتّىٰ وَجَدْتَهُ كَأنَّكَ قَدْ واعَدْتَهُ أَمْسِ مَوْعِداً

أي طلبك وما تطلبه ويقال إبغني بكذا بكسر الهمزة أي اطلبه لي وأصله إبغ لي فحذفت اللام لكثرة الاستعمال وإذا قلت أبغني بفتح الهمزة فمعناه أعِنّي على طلبه ومثله إحملني واحمل لي واحلب لي واحلبني أي أعني على الحلبة والعَوَج بفتح العين ميل كل شيء منتصب نحو القناة والحائط وبكسر العين هو الميل عن طريق الاستواء في طريق الذين وفي القول وفي الأرض ومنه قوله ﴿ **لا ترى فيه عوجاً ولا أمتاً** ﴾ .

[**الإعراب**] مَنْ آمن في موضع نصب بأنه مفعول تَصدّون والكناية في قوله تبغونها راجعة إلى السبيل .

[**المعنى**] ثم عاد سبحانه الكلام إلى حجاج أهل الكتاب فقال مخاطباً للنبي يأمره بخطاب اليهود والنصارى وقيل اليهود خاصة ﴿ **قل يا أهل الكتاب** ﴾ أي قل يا محمد لهم

﴿ لم تكفرون بآيات الله ﴾ أي بالمعجزات التي أتاها محمد (ﷺ) والعلامات التي وافقت في صفته ما تقدمت البشارة به وسمّاهم أهل الكتاب وإن لم يعملوا به ولم يجز مثل ذلك في أهل القرآن لوجهين (أحدهما) أنّ القرآن إسم خاص لكتاب الله تعالى وأما الكتاب فلا ينبي عن ذلك بل يجوز أن يراد به يا أهل الكتاب المحرف عِن وجهته (والثاني) الاحتجاج عليهم بالكتاب لإقرارهم به فكأنه قيل يا من يُقِر بأنه من أهل كتاب الله لم تكفرون بآيات الله واللفظ لفظ الاستفهام والمراد به التوبيخ وإنما جاز التوبيخ على لفظ الاستفهام من حيث أنه سؤال يعجز عن إقامة العذر فكأنه قال هاتوا العذر في ذلك إن أمكنكم ﴿ والله شهيد على ما تعملون ﴾ أي حفيظ على أعمالكم مُحْصٍ لها ليجازيكم عليها قيل معناه مطلع عليها عالم بها مع قيام الحجة عليكم فيها وقال عزّ اسمه في هذا الموضع ﴿ قل يا أهل الكتاب ﴾ في موضع آخر يا أهل الكتاب لأنه تعالى خاطبهم في موضع على جهة التلطّف في استدعائهم[1] إلى الإيمان وأعرض عن خطابهم في موضع آخر وأمر سبحانه نبيّه إستخفافاً بهم لصدّهم عن الحق ﴿ قل ﴾ يا محمد ﴿ يا أهل الكتاب لم تصدّون عن سبيل الله من آمن ﴾ أي لم تمنعون المؤمنين عن دين الإسلام الذي هو دين الله وسبيله واختلف في كيفية صدّهم عن سبيل الله فقيل أنهم كانوا يُغرون بين الأوس والخزرج بتذكيرهم الحروب التي كانت بينهم في الجاهلية حتى تدخلهم الحميّة والعصبيّة فينسلخون عن الدين عن زيد بن أسلم فعلى هذا يكون الآية في اليهود خاصة وقيل الآية في اليهود والنصارى ومعناه لم تصدون بالتكذيب بالنبي (ﷺ) وإن صفته ليست في كتبكم عن الحسن وقيل بالتحريف والبهت عن الأصم ﴿ تبغونها عوجاً ﴾ أي تطلبون لسبيل الله عوجاً عن سمت الحق وهو الضلال فكأنه قال تبغونها ضلالاً بالشُبَه التي تدخلونها على الناس وقيل معناه تطلبون ذلك السبيل لا على وجه الإستقامة أي على غير الوجه الذي ينبغي أن يطلب وقوله ﴿ وأنتم شهداء ﴾ فيه قولان - (أحدهما) - أن معناه أنتم شهداء بتقديم البشارة بمحمد في كتبكم فكيف تصدّون عنه من يطلبه وتريدون عدوله عنه - (والآخر) - أنّ المراد وأنتم عقلاء كما قال أو ألقى السمع وهو شهيد أي عاقل وذلك أنه يشهد الذي يميّز به بين الحق والباطل فيما يتعلق بالدين ﴿ وما الله بغافل عما تعملون ﴾ هذا تهديد لهم على الكفر .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن

---

(١) [بمخاطبتهم].

تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ
كَـٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتُ ٱللَّهِ
وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ
مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾

[**اللغة**] الطاعة موافقة الإرادة الجاذبة للفعل بالترغيب فيه والإجابة موافقة الإرادة الداعية إلى الفعل ولذلك يجوز أن يكون الله مجيباً إلى عبده إذا فعل ما دعا العبد به ولم يجز أن يكون مطيعاً له وأصل الاعتصام الامتناع وعصمه يعصمه إذا منعه ولا عاصم اليوم من أمر الله أي ولا مانع والعصام الحبل لأنه يعتصم به والعصم الاوعال لامتناعها بالجبال .

[**النزول**] نزلت في الأوس والخزرج لما أغرى قوم من اليهود بينكم بذكر حروبهم في الجاهلية ليفتنوهم عن دينهم عن زيد بن أسلم والسدي وقيل نزل قوله ﴿ **وكيف تكفرون** ﴾ في مشركي العرب عن الحسن .

[**المعنى**] ثم حذَّر المؤمنين عن قبول قولهم فقال ﴿ **يا أيها الذين آمنوا** ﴾ أي صدقوا الله ورسوله وهو خطاب للأوس والخزرج ويدخل غيرهم من المؤمنين في عموم اللفظ ﴿ **أن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب** ﴾ معناه أن تطيعوا هؤلاء اليهود في قبول قولهم وإحياء الضغائن التي كانت بينكم في الجاهلية ﴿ **يردّوكم بعد إيمانكم كافرين** ﴾ أي يرجعوكم كفاراً بعد إيمانكم ثمّ أكّد تعالى الأمر وعظم الشأن فقال ﴿**وكيف تكفرون**﴾أي وعلى أيّ حال يقع منكم الكفر ﴿ **وأنتم تتلى عليكم آيات الله** ﴾ وهذا استبعاد أن يقع منهم الكفر مع معرفتهم بآيات الله وفيهم داع يدعوهم إلى الإيمان وقيل هو على التعجيب أي لا ينبغي لكم أن تكفروا مع ما يقرأ عليكم في القرآن المجيد من الآيات الدالة على وحدانية الله ونبوة نبيه (ﷺ) ﴿ **وفيكم رسوله** ﴾ يعني محمداً ترون معجزاته والكفر وإن كان فظيعاً في كل حال فهو في مثل هذه الحالة أفظع ويجوز أن يكون المراد بقوله ﴿ **وفيكم رسوله** ﴾ القوم الذين كان النبي (ﷺ) بين أظهرهم خاصة ويجوز أن يكون المراد به جميع أمته لأن آثاره وعلاماته من القرآن وغيره فينا قائمة باقية وذلك بمنزلة وجوده فينا حياً ﴿ **ومن يعتصم**

بالله ﴾ أي يتمسك بكتابه وآياته وبدينه وقيل من يمتنع بالله عمن سواه بأن يعبده لا يشرك به شيئاً وقيل من يمتنع عن الكفر والهلاك بالإيمان بالله وبرسوله ﴿ فقد هدي إلى صراط مستقيم ﴾ أي إلى طريق واضح قال قتادة في هذه الآية علمان بيّنان كتاب الله ونبي الله فأما نبي الله فقد مضى وأما كتاب الله فأبقاه الله بين أظهركم رحمة منه ونعمة فيه حلاله وحرامه وطاعته ومعصيته وقيل أنهم قد شاهدوا في نفسه (ﷺ) معجزات كثيرة منها أنه كان يرى من خلفه كما يرى من قدّامه ومنها أنه كان ينام عينه ولا ينام قلبه ومنها أن ظلّه لم يقع على الأرض ومنها أن الذباب لم يقع عليه ومنها أن الأرض كانت تبتلع ما يخرج منه وكان لا يرى له بول ولا غائط ومنها أنه كان لا يطوله أحد وإن طال ومنها أنه كان بين كتفيه خاتم النبوة ومنها أنه كان إذا مرَّ بموضع يعلمه الناس لطيبه ومنها أنه كان يسطع نور من جبهته في الليلة المظلمة ومنها أنه قد ولد مختوناً إلى غير ذلك من الآيات .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿١٠٣﴾

[اللغة] تقاة من وقيت قال الزجاج يجوز فيه ثلاثة أوجه تقاة ووقاة واقاة حمله على قياس وجوه وأجوه وإن كان هذا المثال لم يجىء منه شيء على الأصل نحو تخمة وتكاة غير أنه حمله على الأكثر من نظائره والحبل السبب الذي يوصل به إلى البغية كالحبل الذي يتمسك به للنجاة من بئر أوِ نحوها ومنه الحبل للأمان لأنه سبب النجاة قال الأعشي :

وَإِذا تَجَــوَّزَهــا حِبــالُ قَــبِيلَةٍ أَخَذَتْ مِنَ الأُخرىٰ إِلَيْكَ حِبالَها(١)

(١) أي إذا فاتها الامان من قبيلة توصلت إليك لامان الأخرى .

ومنه الحبل للحمل في البطن وأصل الحبل المفتول قال ذو الرمة :

هَلْ حَبْلُ خَرْقَاءَ[١] بَعْدَ الْيومِ مَرْمُومُ أمْ هَـلْ لَهَا آخِـرَ الأَيَّـامِ تَكْلِيم

وشفا الشيء مقصور حرفه ويثني شفوان وجمعه اشفاء وأشفى على الشيء أشرف عليه وأشفى المريض على الموت من ذلك .

[**الإعراب**] قوله ﴿ **وأنتم تعلمون** ﴾ جملة في موضع الحال وقوله ﴿ **جميعاً** ﴾ نصب على الحال أيضاً أي واعتصموا في حال اجتماعكم أي كونوا مجتمعين على الاعتصام لا تفرقوا أصله أي لا تتفرقوا فحذف أحد التاءين كراهة لاجتماع المثلين والمحذوفة الثانية لأن الأولى علامة للاستقبال وهو مجزوم بالنهي وعلامة الجزم سقوط النون وقوله تعالى ﴿ **فأنقذكم منها** ﴾ الكناية في منها عادت إلى الحفرة وترك شفا ومثله قول العجاج :

طُولَ اللَّيالِي أَسْرَعَتْ فِي نَقْضِي طَـوَيْنَ طُولي وَطَـوَيْنَ عَـرْضِي

فَتَرَك الطول وأخبر عن الليالي .

[**النزول**] قال مقاتل افتخر رجلان من الأوس والخزرج ثعلبة بن غنم من الأوس وأسعد بن زرارة من الخزرج فقال الأوسي منا خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين ومنا حنظلة غسيل الملائكة ومنا عاصم بن ثابت بن افلح حمي الدين ومنا سعد بن معاذ الذي اهتزَّ عرش الرحمن له ورضي الله بحكمه في بني قريظة وقال الخزرجي منا أربعة احكموا القرآن أبيّ بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وأبو زيد ومنا سعد بن عبادة خطيب الأنصار ورئيسهم فجرى الحديث بينهما فغضبا وتفاخرا ونادیا فجاء الأوس إلى الأوسي والخزرج إلى الخزرجي ومعهم السلاح فبلغ ذلك النبي (ﷺ) فركب حماراً وأتاهم فأنزل الله هذه الآيات فقرأها عليهم فاصطلحوا .

[**المعنى**] لمّا نهى تعالى عن قبول أقوال الكافرين بَيّن في هذه الآية ما يجب قبوله فقال ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إتقوا الله حقَّ تقاته** ﴾ معناه واتقوا عذاب الله أي احترسوا وامتنعوا بالطاعة من عذاب الله كما يحق فكما يجب أن يتقي ينبغي أن يحترس منه وذكر في قوله ﴿ **حتى تقاته وجوه** ﴾ (أحدها) إن معناه أن يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى عن ابن عباس وابن مسعود والحسن وقتادة وهو المروي عن أبي عبد الله (ع) (وثانيها) أنه اتقاء جميع معاصيه عن أبي علي الجبائي (وثالثها) أنه المجاهدة في

(١) الخرقاء: حاصبة ذي الرمة: رم البناء والأمر أصله.

الله تعالى وأن لا تأخذه فيه لومة لائم وأن يقام له بالقسط في الخوف والأمن عن مجاهد ثم اختلف فيه أيضاً على قولين (أحدهما) أنه منسوخ بقوله ﴿ **فاتقوا الله ما استطعتم** ﴾ عن قتادة والربيع والسدي وهو المروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله (والآخر) أنه غير منسوخ عن ابن عباس وطاووس وأنكر الجبائي نسخ الآية لما فيه من إباحة بعض المعاصي قال الرماني والذي عندي أنه إذا وجه قوله ﴿ **واتقوا الله حق تقاته** ﴾ على أن يقوموا له بالحق في الخوف والأمن لم يدخل عليه ما ذكره أبو علي لأنه لا يمتنع أن يكون أوجب عليهم أن يتقوا الله على كل حال ثم أباح ترك الواجب عند الخوف على النفس كما قال إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان وقوله ﴿ **ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون** ﴾ وقد ذكرنا في سورة البقرة أن معناه لا تتركوا الإسلام وكونوا عليه حتى إذا ورد عليكم الموت صادفكم عليه وإنما كان بلفظ النهي عن الموت من حيث أن الموت لا بد منه وإنما النهي في الحقيقة عن ترك الإسلام لأن لا يهلكوا بالانقطاع عن التمكن منه بالموت إلا أنه وضع كلام موضع كلام على جهة التصرف والإبدال بحسن الاستعارة وزوال اللبس وروي عن أبي عبد الله (ع) وأنتم مُسلّمون بالتشديد ومعناه مستسلمون لما أتى به النبي (ﷺ) مقادون له ﴿ **واعتصموا بحبل الله** ﴾ أي تمسكوا به وقيل امتنعوا به من غيره وقيل في معنى حبل الله أقوال (أحدها) أنه القرآن عن أبي سعيد الخدري وعبد الله وقتادة والسدي ويروى ذلك مرفوعاً (وثانيها) أنه دين الله الإسلام عن ابن عباس وأبي زيد (وثالثها) ما رواه ابان بن تغلب عن جعفر بن محمد (ع) قال نحن حبل الله الذي قال ﴿ **واعتصموا بحبل الله جميعاً** ﴾ والأولى حمله على الجميع والذي يؤيده ما رواه أبو سعيد الخدري عن النبي (ﷺ) أنه قال أيها الناس إني قد تركت فيكم حبلين إن أخذتم بهما لن تضلوا بعدي أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي إلا وأنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض ولا تفرقوا معناه ولا تتفرقوا عن دين الله الذي أمركم فيه بلزوم الجماعة والائتلاف على الطاعة وأثبتوا عليه عن ابن مسعود وقتادة وقيل معناه لا تتفرقوا عن رسول الله (ﷺ) عن الحسن وقيل عن القرآن بترك العمل به ﴿ **واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداءً فألّف بين قلوبكم** ﴾ قيل أراد ما كان بين الأوس والخزرج من الحروب التي تطاولت مائة وعشرين سنة إلى أن ألّفَ الله بين قلوبهم بالإسلام فزالت تلك الأحقاد عن ابن عباس وقيل هو ما كان بين مشركي العرب من الطوائل عن الحسن والمعنى احفظوا نعمة الله ومنته عليكم بالإسلام وبالائتلاف ورفع ما كان بينكم من التنازع والاختلاف فهذا هو النفع الحاصل لكم في العاجل مع ما أعدّ لكم من الثواب الجزيل في الأجل إذ كنتم

أعداء فألف بين قلوبكم بجمعكم على الإسلام ورفع البغضاء والشحناء عن قلوبكم ﴿ فأصبحتم بنعمته ﴾ أي بنعمة الله ﴿ إخواناً ﴾ متواصلين وأحباباً متحابين بعد أن كنتم متحاربين متعادين وصرتم بحيث يقصد كل واحد منكم مُراد الآخرين لأن أصل الأخ من توخيت الشيء إذا قصدته وطلبته ﴿ وكنتم على شفا حفرة من النار ﴾ أي وكنتم يا أصحاب محمد (ﷺ) على طرف حفرة من جهنم لم يكن بينها وبينكم إلا الموت فأنقذكم الله منها بأن أرسل إليكم رسولاً وهداكم للإيمان ودعاكم إليه فنجوتم بإجابته من النار وإنما قال فأنقذكم منها وإن لم يكونوا فيها لأنهم كانوا بمنزلة من هو فيها من حيث كانوا مستحقين لدخولها قال أبو الجوزاء قرأ ابن عباس وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها وإعرابي يسمع فقال والله ما أنقذهم منها وهو يريد أن يُقحمهم فيها فقال ابن عباس اكتبوها من غير فقيه ﴿كذلك يبين الله﴾ أي مثل البيان الذي تلي عليكم يبين الله لكم الآيات أي الدلالات والحجج فيما أمركم به ونهاكم عنه لعلكم تهتدون أي لكي تهتدوا إلى الحق والصواب .

﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ۚ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾

[اللغة] الأمة اشتقاقها من الأمّ الذي هو القصد في اللغة تستعمل على ثمانية أوجه منها الجماعة ومنها اتباع الأنبياء لاجتماعهم على مقصد واحد ومنها القدوة لأنه يأتمّ به الجماعة ومنها الدين والملة كقوله ﴿ إنا وجدنا آباءنا على أمة ﴾ ومنها الحين والزمان كقوله تعالى ﴿ وادّكر بعد أمة ﴾ وإلى أمة معدودة ومنها القامة يقال رجل حسن الأمة أي القامة ومنها النعمة ومنها الأمة بمعنى الأم .

[الإعراب] منكم أمّة من هاهنا للتبعيض على قول أكثر المفسرين لأن الأمر بالمعروف وإنكار المنكر ليسا بفرْضين على الأعيان وهما من فروض الكفايات فأي فرقة قامت بهما سقطا عن الباقين ومن قال أنهما من فروض الأعيان قال أن من هاهنا للتبيين ولتخصيص المخاطبة دون سائر الأجناس كقوله فاجتنبوا الرجس من الأوثان وقول الشاعر :

أَخُـو رَغَائِبَ يُعْـطِيهَـا وَيَسْلُبُهَـا يَأْبَى الظُّلاَمَةَ مِنْهُ النَّوْفَلُ الزُّفَرُ[1]

لأنه وصفه باعطاء الرغائب والنوفل الكثير الإعطاء والزفر الذي يحمل الاثقال ..

[المعنى] ﴿ **ولتكن منكم أمة** ﴾ أي جماعة ﴿ **يدعون إلى الخير** ﴾ أي إلى الدين ﴿ **ويأمرون بالمعروف** ﴾ أي بالطاعة ﴿ **وينهون عن المنكر** ﴾ أي عن المعصية ﴿ **وأولئك هم المفلحون** ﴾ أي الفائزون وقيل كلّ ما أمر الله ورسوله به فهو معروف وما نهى الله ورسوله عنه فهو منكر وقيل المعروف ما يعرف حسنه عقلاً أو شرعاً والمنكر ما ينكره العقل أو الشرع وهذا يرجع في المعنى إلى الأول ويروى عن أبي عبد الله (ع) ولتكن منكم أئمة وكنتم خير أئمة أخرجت للناس وفي هذه الآية دلالة على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وعظم موقعهما ومحلهما من الدين لأنه تعالى علّق الفلاح بهما وأكثر المتكلمين على أنهما من فروض الكفايات ومنهم من قال أنهما من فروض الأعيان واختاره الشيخ أبو جعفر (ره) والصحيح أن ذلك إنما يجب في السمع وليس في العقل ما يدل على وجوبه إلا إذا كان على سبيل دفع الضرر وقال أبو علي الجبائي يجب عقلاً والسمع يؤكّده ومما ورد فيه ما رواه الحسن عن النبي ﷺ قال من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة الله في أرضه وخليفة رسول الله وخليفة كتابه وعن درة ابنة أبي لهب قالت جاء رجل إلى النبي ﷺ وهو على المنبر فقال يا رسول الله من خير الناس قال آمرهم بالمعروف وأنهاهم عن المنكر وأتقاهم لله وأرضاهم وقال أبو الدرداء لتأمرنّ بالمعروف ولَتَنْهَوُنّ عن المنكر أو ليسلطنّ الله عليكم سلطاناً ظالماً لا يجلّ كبيركم ولا يرحم صغيركم وتدعو خيراكم فلا يستجاب لهم وتستنصرون فلا تنصرون وتستغيثون فلا تغاثون وتستغفرون فلا تغفرون وقال حذيفة يأتي على الناس زمان لأَنْ يكون فيهم جيفة حمار أحبّ إليهم من مؤمن يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ثم أمر سبحانه بالجماعة وترك التفرق فقال سبحانه ﴿ **ولا تكونوا كالذين تفرّقوا** ﴾ في الدين وهم اليهود والنصارى ﴿ **واختلفوا** ﴾ قيل معناه تفرقوا أيضاً وذكرهما للتأكيد واختلاف اللفظين كقول الشاعر « متى أُدْنُ منه ينأ عني ويبعد » وقيل معناه كالذين تفرقوا بالعداوة واختلفوا في الديانة ﴿ **من بعد ما جاءهم البينات** ﴾ أي الحجج والكتب وبيِّن لهم الطرق ﴿ **وأولئك لهم عذاب عظيم** ﴾ عقوبة لهم

(١) قائله الأعشى. الرغائب جمع الرغيبه: العطاء الكثير.

على تفرُّقهم واختلافهم بعد مجيء الآيات والبينات والآية تدل على تحريم الاختلاف في الدين وإن ذلك مذموم قبيح منهي عنه .

﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾

[**الإعراب**] العامل في قوله يوم قوله عظيم وتقديره عظيم عذابهم يوم تبيض وجوه ولا يجوز أن يكون العامل فيه عذاب لأنه موصوف قد فصّلت صفة بينه وبين معموله لكن يجوز أن تعمل فيه الجملة لأنها في معنى يعذّبون كما يقال المال لزيد يوم الجمعة فالعامل الفعل والجملة خلف منه وجواب أما في قوله ﴿ **فأما الذين اسودت وجوههم**﴾[1] فيقال لهم أكفرتم فحذف لدلالة اسوداد الوجوه على حال التوبيخ حتى كأنه ناطق به وقد يحذف القول في مواضع كثيرة استغناء بما قبله من البيان كقوله ﴿ **ولو ترى إذا المجرمون ناكسوا رؤوسهم عند ربّهم ربنا أبصرنا** ﴾ أي يقولون ربنا أبصرنا لدلالة تنكيس الرأس من المجرمين على سؤال الإقالة ومثله كثير .

[**المعنى**] ﴿ **يوم تبيضُّ وجوه وتسودُّ وجوه** ﴾ أخبر سبحانه بوقت ذلك العذاب أي ثبت لهم العذاب في يوم هذه صفته وإنما تبيض فيه الوجوه للمؤمنين ثواباً لهم على الإيمان والطاعة وتسودّ فيه الوجوه للكافرين عقوبة لهم على الكفر والسيئات بدلالة ما بعده وهو قوله ﴿ **فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم** ﴾ أي يقال لهم أكفرتم بعد إيمانكم واختلف فيمن عنوا به على أقوال (أحدها) أنهم الذين كفروا بعد إظهار الإيمان بالنفاق عن الحسن (وثانيها) أنهم جميع الكفار لإعراضهم عما وجب عليهم الإقرار به من التوحيد حين أشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى فيقول أكفرتم بعد إيمانكم يوم الميثاق عن أبيّ بن كعب (وثالثها) أنهم أهل الكتاب كفروا بالنبي ﷺ بعد إيمانهم به أي

(١) [محذوف وتقديره فأما الذين اسودت وجوههم].

بنعته وصفته قبل مبعثه عن عكرمة واختاره الزجاج والجبائي (ورابعها) أنهم أهل البدع والأهواء من هذه الأمة عن علي (ع) ومثله عن قتادة أنهم الذين كفروا بالارتداد ويروى عن النبي ﷺ أنه قال والذي نفسي بيده ليردنّ عليّ الحوض ممن صحبني أقوام حتى إذا رأيتهم اختلجوا دوني فلأقولن أصحابي أصحابي أصحابي فيقال انك لا تدري ما أحدثوا بعد إيمانهم ارتدّوا على أعقابهم القهقرى ذكره الثعلبي في تفسيره فقال أبو أمامة الباهلي هم الخوارج ويروى عن النبي ﷺ أنهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية والألف في أكفرتم أصله الاستفهام والمراد به هنا التقريع أي لِمَ كفرتم وقيل المراد التقرير أي قد كفرتم ﴿ **فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون** ﴾ أي بلفظ الذوق على التوسع ومعناه انظروا ما صار إليه عاقبتكم من عذاب الله بما كنتم تكفرون أي بكفركم ﴿ **وأما الذين ابيضّت وجوههم** ﴾ وهم المؤمنون ﴿ **ففي رحمة الله** ﴾ أي ثواب الله وقيل جنة الله ﴿ **هم فيها خالدون** ﴾ أعاد كلمة الظرف وهي قوله فيها تأكيداً لتمكين المعنى في النفس وقيل إنما أعادها لأنه دلَّ بقوله ففي رحمة الله على إدخاله إياهُم في الرحمة وبقوله ﴿ **هم فيها خالدون** ﴾ على خلودهم فيها وسمى الله تعالى الثواب رحمة والرحمة نعمة يستحق بها الشكر وكل نعمة تَفَضُّلٌ والوجه في ذلك أن سبب الثواب الذي هو التكليف تفضل فيكون الثواب على هذا الوجه تفضلاً وقيل إنما جاز أن يكون تفضلاً لأنه بمنزلة إنجاز الوعد في أنه تفضل مستحق لأن المبتدىء به قد كان له أن لا يفعله فلما فعله وجب عليه الوفاء به لأن الخلف قبيح وهو مع ذلك تفضل لأنه جرّ إليه تفضل وقال بعضهم المراد بابيضاض الوجوه إشراقها واسفارها بالسرور بنيل البغية والظفر بالمنية والاستبشار بما يصير إليه من الثواب كقوله وجوه يومئذ مسفر ضاحكة مستبشرة والمراد باسودادها ظهور أثر الحزن عليها لما يصير إليه من العقاب كقوله ﴿ **وجوه يومئذ باسرة ووجوه يومئذ عليها غبرة** ﴾ وفي هذا القول عدول عن حقيقة اللفظ من غير ضرورة والأصحّ الأول .

﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٨﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿١٠٩﴾

[**المعنى**] ﴿ **تلك آيات الله** ﴾ أي تلك التي قد جرى ذكرها حجج الله وعلاماته وبيّناته ﴿ **نتلوها عليك بالحق** ﴾ نقرأها عليك بالحق يا محمد ﷺ وعلى أُمتك ونذركها لك ونعرفك إياها ونقصُّها عليك ﴿ **بالحق** ﴾ أي بالحكمة والصواب ﴿ **وما الله يريد ظلماً للعالمين** ﴾ معناه لا يظلمهم بأن يحملهم من العقاب ما لم يستحقوه أو ينقصهم من الثواب عما استحقوه وإنما يظلم من يظلم لجهله بقبح الظلم أو لحاجة إليه من دفع ضرر وجرّ نفع وتعالى الله عن صفة الجهل والحاجة وسائر صفات النقص علوّاً كبيراً وكيف يجوز أن يظلم أحداً وهو الذي خلقهم وأنشأهم وابتدعهم وآتاهم من النعم ما لا تسمو إليه هممهم وعرَّضهم بها لما هو أعظم منها قدراً وأجل خطراً وهو نعيم الآخرة ثمّ ذكر سبحانه وجه غناه عن الظلم فقال ﴿ **ولله ما في السماوات وما في الأرض** ﴾ مِلْكا ومُلكاً وخلقاً ﴿ **وإلى الله ترجع الأمور** ﴾ اختلفوا في كيفية رجوع الأمل إلى الله تعالى فقيل أن الأمور تذهب بالفناء ثم يعيدها الله للمجازاة وقيل أن الله تعالى قد ملّك عباده في الدنيا أموراً وجعل لهم تصرفاًويزول جميع ذلك في الآخرة ويرجع إليه كله كما قال لمن الملك اليوم وفي وقوع المظهر موقع المضمر في قوله ﴿ **وإلى الله ترجع الأمور** ﴾ قولان (أحدهما) ليكون كل واحد من الكلامين مكتفياً بنفسه (والآخر) ليكون أفخم في الذكر والموضع موضع التفخيم وليس كقول الشاعر :

لا أَرَى الْمَوْتَ يَسْبِقُ الْمَوْتَ شَيْءٌ نَغَّصَ الْمَـوْتَ ذَا الغِنَى وَالْفَقِيـرا

لأن البيت مفتقر إلى الضمير والآية مستغنية عنه .

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾

[**المعنى**] لما تقدم ذكر الأمر والنهي عقَّبه تعالى بذكر من تصدى للقيام بذلك ومَدَحهم ترغيباً في الاقتداء بهم فقال ﴿ **كنتم خير أمة أخرجت للناس** ﴾ قيل فيه أقوال (أحدها) أن معناه أنتم خير أمة وإنما قال كنتم لتقدم البشارة لهم في الكتب الماضية عن الحسن ويعضده ما روي عن النبي ﷺ أنه قال أنتم وَفَّيْتُمْ سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها

على الله (وثانيها) أن المراد كنتم خير أمة عند الله في اللوح المحفوظ عن الفراء والزجاج (وثالثها) أنَّ كان هاهنا تامة وخير أمة نصب على الحال ومعناه وُجدتم خير أمة وخُلقتم خير أمة (ورابعها) أن كان مزيدة دخولها كخروجها إلا أن فيها تأكيداً لوقوع الأمر لا محالة لأنه بمنزلة ما قد كان في الحقيقة فهي بمنزلة قوله تعالى ﴿ **واذكروا إذ أنتم قليل** ﴾ وفي موضع آخر إذ كنتم قليلاً فكثَّركم ونظيره قوله ﴿ **وكان الله غفوراً رحيماً** ﴾ لأن مغفرته المستأنفة كالماضية في تحقيق الوقوع (وخامسها) أنَّ كان بمعنى صار كما في قول الشاعر :

فَخَــرَّ عَـلَى الأَلاْءِ تَـوَسَّـدَتْـهُ وَقَـدْ كَـانَ الْـدِمَـاءُ لَـهُ خِمَـارا(١)

ومعناه صرتم خير أمة خلقت لأمركم بالمعروف ونهيكم عن المنكر وإيمانكم بالله فتصير هذه الخصال على هذا القول شرطاً في كونهم خيراً وقد روي عن بعض الصحابة أنه قال من أراد أن يكون خير هذه الأمة فليودّ شرط الله فيه من الإيمان بالله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واختلف في المعنىّ بالخطاب فقيل هم المهاجرون خاصة عن ابن عباس والسُّدي وقيل نزلت في ابن مسعود وأُبيّ بن كعب ومعاذ بن جبل وسالم مولى أبي حذيفة عن عكرمة وقيل أراد بهم أصحاب رسول الله ﷺ خاصة عن الضحاك وقيل هو خطاب للصحابة ولكنّه يعمّ سائر الأمة ثم ذكر مناقبهم فقال ﴿ **تأمرون بالمعروف** ﴾ بالطاعات ﴿ **وتنهون عن المنكر** ﴾ عن المعاصي ويُسأل فيقال أن القبيح أيضاً يعرف أنه قبيح فلِمَ خَصَّ الحُسن باسم المعروف وجوابه أن القبيح جعل بمنزلة ما لا يعرف لخموله وسقوطه وجعل الحُسن بمنزلة النبيه الجليل القدر يعرف لنباهته وعلوّ قدره ﴿ **وتؤمنون بالله** ﴾ أي بتوحيده وعدله ودينه ﴿ **ولو آمن أهل الكتاب** ﴾ أي لو صدَّقوا بالنبي ﷺ وبما جاء به ﴿ **لكان خيراً لهم** ﴾ أي لكان ذلك الإيمان خيراً لهم في الدنيا والآخرة لأنهم ينجون بها في الدنيا من القتل وفي الآخرة من العذاب ويفوزون بالجنة ﴿ **منهم** ﴾ أي من أهل الكتاب ﴿ **المؤمنون** ﴾ أي المعترفون بما دلَّت عليه كتبهم من صفة نبينا والبشارة به كعبد الله بن سلام وأصحابه من اليهود والنجاشي وأصحابه من النصارى ﴿ **وأكثرهم الفاسقون** ﴾ أي الخارجون عن طاعة الله تعالى وإنّما وصفهم بالفسق دون الكفر الذي هو أعظم لأن الغرض الإيذان بأنهم خرجوا عما يوجبه كتابهم من الإقرار بالحق في نبوة نبينا وقيل لأنهم في الكفار بمنزلة الفساق العصاة لخروجهم إلى الحال

(١) الالاء كسحاب: شجر مر دائم الخضرة. توسدته: أي صارت وسادة له.

الفاحشة التي هي أشنع وأفظع .

﴿ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى ۖ وَإِن يُقَـٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾

[**الإعراب**] إلا أذى استثناء متصل وقوله أذى في تقدير النصب ومعناه لن يضرّوكم إلا ضرراً يسيراً فالأذى وقع موقع المصدر وقيل هو استثناء منقطع لأن الأذى ليس من الضرر كقوله ﴿ **لا يذوقون فيها برداً ولا شراباً إلا حميماً وغساقاً** ﴾ قال علي بن عيسى هذا ليس بصحيح لأن الكلام إذا أمكن فيه الاستثناء الحقيقي لم يجز حمله على المنقطع وإن يقاتلوكم شرط ويولُّوكم جزاء وعلامة الجزم فيهما سقوط النون وقوله ثم لا ينصرون رفع على الاستئناف ولم يجزم على العطف لأن سبب التولية القتال وليس كذلك منع النصر لأن سببه الكفر ولأن الرفع أشكل برؤوس الآي المتقدمة وهو مع ذلك عطف جملة على جملة والعامل في الباء من قوله بحبل من الله ضربت على معنى ضربت عليهم الذلة بكل حال إلا بحبل وقال الفراء العامل فيه محذوف وتقديره إلا أن يعتصموا بحبل من الله وأنشد :

رَأَتْني(١) بِحَبْلَيْها فَصَدَّتْ مَخافَةً وَفي الحَبْلِ رَوْعاءُ الْفُؤادِ فَرُوقُ

أراد رأتني أقبلت بحبليها فحذف الفاعل في الباء وقال آخر :

---

(١) امرأة روعاء بينه الروع أي الفزع والفروق: الشديد الفزع.

قَصِيرُ الْخَطْوِ يَحْسَبُ مَنْ رَآني وَلَسْتُ مُقَيَّداً أَنّي بِقَيْدِ(١)

أراد أنني قيدت بقيد قال علي بن عيسى ما ذكره الفراء ضعيف من وجهين (أحدهما) أن حذف الموصول عند البصريين لا يجوز لأنه إذا احتاج إلى الصلة تبيّن عنه فالحاجة إلى البيان عنه بذكره أشدّ وإنما يجوز حذف الشيء للاستغناء عنه بدلالة غيره عليه ولو دلّ عليه لحذف مع صلته لأنه معها بمنزلة شيء واحد والوجه (الآخر) أن الكلام إذا صحَّ معناه من غير حذف لم يجز تأويله على الحذف وقيل في هذا الاستثناء أنه منقطع لأن الذلة لازمة لهم على كل حال فجرى مجرى قوله وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً إلا خطأ فعامل الإعراب موجود والمعنى على الانقطاع ومثله لا يسمعون فيها لغواً إلا سلاماً فكل انقطاع ففيه إزالة الإبهام الذي يلحق الكلام فقوله ﴿ **لا يسمعون فيها لغواً** ﴾ قد يوهم أنهم من حيث لا يسمعون فيها لغواً لا يسمعون كلاماً فقيل لذلك إلا خطأ إلا سلاماً وكذلك قوله ﴿ **وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً** ﴾ قد يتوهم أنه لا يقتل مؤمن مؤمناً على وجه فقيل لذلك إلا خطأ وكذلك ضربت عليهم الذلة قد يتوهّم أنه من غير جواز موادعة فقيل إلا بحبل من الله وقيل إن الاستثناء متصل لأن عزّ المسلمين عزّ لهم بالذمة وهذا لا يخرجهم من الذلة في أنفسهم.

[**النزول**] قال مقاتل أن رؤوس اليهود مثل كعب وأبي رافع وأبي ياسر وكنانة وابن صوريا عمدوا إلى مؤمنيهم كعبد الله بن سلام وأصحابه فأنَّبوهم لإسلامهم فنزلت الآية .

[**المعنى**] ﴿ **لن يضروكم إلا أذى** ﴾ وعد الله المؤمنين أنهم منصورون وأن أهل الكتاب لا يقدرون عليهم ولا ينالهم من جهتهم مضرة إلا أذى من جهة القول ثم اختلفوا في هذا القول فقيل هو كذبهم على الله وتحريفهم كتاب الله وقيل هو ما كانوا يُسمعون المؤمنين من الكلام المؤذي ﴿ **وان يقاتلوكم** ﴾ أي وأن يجاوزوا عن الإيذاء باللسان إلى القتال والمحاربة ﴿ **يولوكم الادبار** ﴾ منهزمين ﴿ **ثم لا ينصرون** ﴾ أي ثم لا يعاونون لكفرهم ففي هذه الآية دلالة على صحة نبوّة نبينا ﷺ لوقوعُ مُخبَره على وفق خبره لأن يهود المدينة من بني قريظة والنضير وبني قينقاع ويهود خيبر الذين حاربوا النبي والمسلمين لم يثبتوا لهم قطّ وانهزموا ولم ينالوا من المسلمين إلا بالسب والطعن ﴿ **ضربت عليهم الذلة** ﴾ أي أثبت عليهم الذلة وأنزلت بهم وجعلت محيطة بهم وهو استعارة من ضرب القباب والخيام عن أبي مسلم وقيل معناه الزموا الذلة فثبتت فيه من قولهم ضرب فلان الضريبة على عبده أي ألزمها إياه قال الحسن ضربت الذلة على اليهود فلا يكون لها منعة

(١) وفي جملة من النسخ كنسخة التبيان «قريب الخطو».

أبداً وقيل معناه فرضت عليهم الجزية والهوان فلا يكونون في موضع إلا بالجزية ولقد أدركهم الإسلام وهم يؤدون الجزية إلى المجوس ﴿ **أينما ثقفوا** ﴾ أي وجدوا ويقال أخذوا وظفر بهم ﴿ **إلا بحبل من الله** ﴾ أي بعهد من الله ﴿ **وحبل من الناس** ﴾ أي وعهد من الناس على وجه الذمة وغيرها من وجوه الأمان عن ابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة وسمّي العهد حَبلاً لأنه يعقد به الأمان كما يعقد الشيء بالحبل ﴿ **وباءوا بغضب من الله** ﴾ أي رجعوا بغضب الله الذي هو عقابه ولعنه وقيل معناه استوجبوا غضباً من الله ﴿ **وضربت عليهم المسكنة** ﴾ أي الذلة لأن المسكين لا يكون إلا ذليلاً فسمى الذلة مسكنة عن أبي مسلم وقيل المراد به الفقر لأن اليهود أبداً يتفاقرون وإن كانوا أغنياء وقد ذكرنا تفسير ما بقي من الآية في سورة البقرة .

[**النظم**] وجه اتصال الآية بما قبلها اتصال البشارة بالظفر لما تقدم أمر المحاربة لأن الأمر قد تقدم بإنكار المنكر وقيل انه لما تقدم أن أكثرهم الفاسقون اتصل به ما يسكن قلوب المؤمنين من عاديتهم ويؤمن مضرتهم .

﴿ * لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَٰئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٤﴾

[**اللغة**] قيل في واحد آناء قولان (أحدهما) إِنْيٌ مثل نِحْيٍ[١] والآخر إِنىً مثل مِعًى قال الشاعر :

حُلْوٌ وَمُرٌّ كَعَطْفِ الْقِدْحِ مُرَّتُهُ بِكُلِّ إِنْيٍ قَضَاهُ اللَّيْلُ يَنْتَعِلُ[٢]

وحكى الأخفش أنو بالواو والمسارعة المبادرة وهي من السرعة والفرق بين السرعة والعجلة أن السرعة هي التقدم فيما يجوز أن يتقدم فيه وهي محمودة وضدها الإبطاء وهو

(١) النِحي بالكسر: الزق للسمن والجمع انحاء.

(٢) وفي نسختين «حزاه» بدل «قضاه».

مذموم والعجلة هي التقدم فيما لا ينبغي أن يتقدم فيه وهي مذمومة وضدها الأناة وهي محمودة .

[**النزول**] قيل سبب نزول هذه الآية أنه لما أسلم عبد الله بن سلام وجماعة قالت أحبار اليهود ما آمن بمحمد ﷺ إلا شرارنا فأنزل الله ﴿ **ليسوا سواءً** ﴾ إلى قوله ﴿ **من الصالحين** ﴾ عن ابن عباس وقتادة وابن جريج وقيل إنها نزلت في أربعين من أهل نجران واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا على عهد عيسى (ع) فصدّقوا بمحمد ﷺ عن عطاء .

[**المعنى**] ﴿**ليسوا سواء**﴾ اختلفوا في تقديره والقول الصحيح أن هذا وقف تام وقوله ﴿ **من أهل الكتاب** ﴾ ابتداء كلام ومعناه ليس الذين ذكرنا من أهل الكتاب سواء أي ليس الذين آمنوا من أهل الكتاب ﴿ **أمة قائمة** ﴾ كعبد الله بن سلام وأصحابه والذين لم يؤمنوا سواء في الدرجة والمنزلة ثم استأنف وبيّن افتراقهم فقال ﴿ **من أهل الكتاب أمة قائمة** ﴾ فحصل بهذا بيان الافتراق وهذا كما لو أخبر القائل عن قوم بخبر فقال بنو فلان يعملون كذا وكذا ثم قال ليسوا سواء فإن منهم من يفعل كذا وكذا وكذلك لو ذم قبيلة بالبخل والجبن فقال غيره ليسوا سواء منهم الجواد ومنهم الشجاع فيكون منهم الجواد ومنهم الشجاع ابتداء كلام وقال أبو عبيدة هو على لغة أكلوني البراغيث ومثله قوله تعالى ﴿ **ثم عموا وصمّوا كثير منهم** ﴾ وقال الشاعر :

رَأيْنَ الْغَوانِي الشَّيْبَ لاحَ بِعارِضي   فَأعْرَضْنَ عَنّيَ بِالْخُدُودِ النَّواضِرِ[١]

قال الزجاج والرماني وليس الأمر كما قال لأن ذكر أهل الكتاب قد جرى فأخبر الله أنهم غير متساويين ولأن هذه اللغة رديئة في القياس والاستعمال وقال الفراء المعنى منهم أمة قائمة وأمة غير قائمة اكتفاء بذكر أحد الفريقين كما قال أبو ذويب.

عَصَيْتُ إلَيْها الْقَلْبَ إني لأَمْرِها   مُطِيعٌ فَما أَدْرِي أَرُشْدٌ طِلابُها

ولم يقل أم غيّ وقال آخر :

أَراكَ فَلا أدْرِي أَهَمٌّ هَمَمْتَهُ   وَذَوْالَهَمِّ قِدْماً خاشِعٌ مُتَضائِلُ[٢]

ولم يقل أم غيره لأن حاله في التغير ينبىء ان الهم غيره أم غيره فعلى هذا يكون

(١) الغانية: المرأة الغنية بحسنها وجمالها عن الزينة .

(٢) التضاؤل: التصاغر.

رفع أمة على معنى الفعل وتقديره لا يستوي أمة هادية وأمة ضالةوعلى القول الأول رفع بالابتداء وانكر الزجاج هذا القول وقال مابنا حاجة هنا إلى محذوف لأن ذكر الفريقين قد جرى في قوله منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون ثم قال ليسوا سواء ولا يحتاج إلى أن يُقَدّرو أمة غير قائمة وقد تقدّم صفتهم في قوله ويكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء وقوله أمة قائمة فيه وجوه (أحدها) ان معناها جماعة ثابتة على أمر الله عن ابن عباس وقتادة والربيع (وثانيها) عادلة عن الحسن ومجاهد وابن جريج (وثالثها) قائمة بطاعة الله عن السدي - (ورابعها) ان التقدير ذو أمة قائمة أي ذو طريقة مستقيمة عن الزجاج وانشد للنابغة ﴿**وهل يأتمر ذو أمة وهو طائع**﴾ أي ذو طريقة من طرائق الدين قال علي بن عيسى وهذا القول ضعيف لأنه عدول عن الظاهر وحكم بالحذف من غير دلالة ﴿**يتلون آيات الله**﴾ يقرأون كتاب الله وهو القرآن ﴿**آناء الليل**﴾ ساعاته واوقاته عن الحسن والربيع وقيل يعني جوف الليل عن السدي وقيل أراد به وقت صلاة العتمة لأن أهل الكتاب لا يصلونها يعني انهم يصلون صلاة العتمة عن ابن مسعود وقيل انه الصلاة ما بين المغرب والعشاء الآخرة عن الثوري وهي الساعة التي تسمى ساعة الغفلة ﴿**وهم يسجدون**﴾ قيل اراد السجود المعروف في الصلاة فعلى هذا يكون معناه وهم مع ذلك يسجدون ويكون الواو لعطف جملة على جملة وقيل معناه يصلون بغير السجود فعبر بالسجود عن الصلاة لأن السجود أبلغ الأركان في التواضع عن الزجاج والفراء والبلخي قالوا لأن القراءة لا تكون في السجود ولا في الركوع وعلى هذا يكون الواو للحال اي يتلون آيات الله بالليل في صلاتهم وهو قول الجبائي أيضاً ﴿**يؤمنون بالله**﴾ أي بتوحيده وصفاته ﴿**واليوم الآخر**﴾ المتأخر عن الدنيا يعني البعث يوم القيامة ﴿**ويأمرون بالمعروف**﴾ بالإقرار بنبوة محمد ﷺ ﴿**وينهون عن المنكر**﴾ عن إنكار نبوته ﴿**ويسارعون في الخيرات**﴾ أي يبادرون إلى أفعل الخيرات والطاعات خوف الفوات بالموت وقيل معناه يعملون الأعمال الصالحة غير متثاقلين فيها لعلمهم بجلالة موقعها وحسن عاقبتها ﴿**وأولئك من الصالحين**﴾ أي من جملتهم وفي عدادهم وهذا نفي لقولهم ما آمن به الا شرارنا وفي هذه الآية دلالة على عظم موقع صلاة الليل من الله تعالى وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال ركعتان يركعهما العبد في جوف الليل الأخير خير له من الدنيا وما فيها ولولا اني اشقّ على امتي لفرضتها عليهم وقال أبو عبد الله ان البيوت التي يصلى فيها بالليل بتلاوة القرآن تضيء لأهل السماء كما تضيء نجوم السماء لأهل الأرض وقال (ع) عليكم بصلاة الليل فإنها سنة نبيكم ودأب الصالحين قبلكم ومِطْردة الداء عن اجسادكم.

﴿ وَمَا يَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾

[**القراءة**] قرأ أهل الكوفة إلا أبا بكر بالياء فيهما والباقون بالتاء إلا أبا عمرو فإنه كان يُخَيِّر.

[**الحجة**] وجه القراءة بالياء ان يكون كناية عمنّ تقدم ذكره من أهل الكتاب ليكون الكلام على طريقة واحدة ووجه التاء أنه خلطهم بغيرهم من المكلفين ويكون خطابا للجميع في أنّ حكمهم واحد.

[**الإعراب**] وما تفعلوا ما للمجازاة وتفعلوا مجزوم بالشرط وإنما جُوزى بما ولم يجاز بكيف لأن (ما) أمكنُ مِنْ كيف لأنها تكون معرفة ونكرة لأنها للجنس و (كيف) لا تكون إلا نكرة لأنها للحال والحال لا يكون إلا نكرة لأنها للفائدة.

[**المعنى**] **﴿وما تفعلوا من خير﴾** أي من طاعة **﴿فلن تكفروه﴾** أي لم يمنع عنكم جزاؤه وسمي منع الجزاء كفراً على الاتساع لأنه بمنزلة الجحد والستر له ومعناه لا تجحد طاعتكم ولا تستر بمنع الجزاء وهذا كما يوصف الله تعالى بأنه شاكر وحقيقة أنه يثبت على الطاعة ثواب الشاركين على النعمة فلما استعير للثواب الشكر استعير لنقيضه من منع الثواب الكفر لأن الشكر في الأصل هو الاعتراب بالنعمة والكفر ستر النعمة في المنعم عليه بتضييع حقها **﴿والله عليم بالمتقين﴾** أي بأحوالهم فيجازيهم وإنما خَصَّ المتقين بالذكر وان كان عليماً بالكل لأن الكلام اقتضى ذكر جزاء المتقين فنبَّه بذلك على انه لا يضيع شيء من عملهم قلَّ أم كثر لأن المجازي عليهم بكل ذلك وهذه الآية تدلّ على ان شيئاً من أعمال الخير والطاعة لا يبطل البتة خلافاً لقول من قال بالإحباط.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ
أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۚ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿١١٦﴾ مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِى هَـٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ
ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ
فَأَهْلَكَتْهُ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَـٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾

[**اللغة**] يقال اغنى عنه إذا دفع عنه ضرراً لولاه لنزل به وإذا قيل أغناه كذا عن كذا أفاد أن أحد الشيئين صار بدلاً من الآخر في نفي الحاجة والغنى الاختصاص بما ينفي الحاجة فإن اختص بمال ينفي الحاجة فذلك غني وكذلك الغنى بالجاه والاصحاب وغير ذلك فأما الغني في صفات الله فهو اختصاصه بكونه قادراً على وجه لا يعجزه شيء وقولنا فيه أنه غنّي معناه أنه لا تجوز عليه الحاجة ﴿**أصحاب النار**﴾ إنما سموا بذلك لملازمتهم فيها كما يقال هؤلاء اصحاب الصحراء إذا كانوا ملازمين لها وقد يقال اصحاب العقار بمعنى مُلاّكه وأصحاب الرجل اتباعه وأعوانه وأصحاب العالم المتعلمون منه فالإضافات مختلفة وأصل المصاحبة الملازمة والنار اصله من النور وهو جسم لطيف فيه حرارة ونور واعتماد علويّ والريح واحدة الرياح ومنه الروح لدخول الريح الطيبة على النفس وكذلك الارتياح والتروح والراحة من التعب ومنه الروح لأنها كالريح في اللطافة ومنه الرائحة لأن الريح تحملها إلى الحس والصِرّ البرد الشديد واصله من الصرير وهو الصوت قال الزجاج الصِرّ صوت لهب النار التي كانت في تلك الريح ويجوز أن يكون الصرّ صوت الريح الباردة الشديدة وذلك من صفات الشمال فإنها توصف بأن لها قعقعة والصرّة شدة الصياح.

[**المعنى**] لما تقدم وصف المؤمنين عقَّبة سبحانه ببيان حال الكافرين فقال ﴿**إن الذين كفروا بالله ورسوله لن تغني عنهم**﴾ أي لن تدفع عنهم ﴿**أموالهم ولا اولادهم من**﴾ عذاب ﴿**الله شيئاً**﴾ وإنما خصّ الأموال والاولاد بالذكر لأن هذين معتمد الخلق وأعزّ الأشياء عليهم فإذا لم يغنيا عن الإنسان شيئاً فغيرهما غناؤه أبعد ﴿**وأولئك اصحاب النار**﴾ أي ملازموها ﴿**هم فيها خالدون**﴾ أي دائمون ثم ضرب مثلاً لإنفاقهم فقال ﴿**مثل ما ينفقون**﴾ أي شبه ما ينفقون من أموالهم ﴿**في هذه الحياة الدنيا**﴾ قيل هو ما ينفقون على الكفار في عداوة الرسول وقيل هو ما انفقه أبو سفيان واصحابه ببدر واحُد لما تظاهروا على النبي ﷺ وقيل هو ما انفقه سفلة اليهود على علمائهم وقيل هو مثل لجميع صدقات الكفار ونفقاتهم في الدنيا عن مجاهد وفي الآية حذف وتقديره مثل اهلاك ما ينفقون (كمثل) اهلاك (ريح) فيها صرّ فحذف الاهلاك لدلالة آخر الكلام عليه وفيه تقدير آخر مثل ما ينفقون كمثل مهلك ريح فيكون تشبيه ذلك الإنفاق[1] من الحرث بالريح ﴿**فيها صرّ**﴾ قيل برد شديد عن ابن عباس والحسن وقتادة وجماعة وقيل السموم الحارة القاتلة عن ابن عباس أيضاً ﴿**أصابت حرث قوم**﴾ أي زرع قوم ﴿**ظلموا انفسهم**﴾ بالمعاصي فظلمهم

(١) [بالمهلك].

اقتضى هلاك حرثهم عقوبة لهم وقيل ظلموا أنفسهم بأن زرعوا في غير موضع الزراعة أو في غير وقتها فجاءت الريح ﴿فأهلكته﴾ تأديباً لهم من الله في وضع الشيء غير موضعه الذي هو حقّه ﴿وما ظلمهم الله﴾ في اهلاك زرعهم لأنهم استحقوا ذلك بظلمهم وقيل في قتلهم وسبيهم لأنهم استحقوهما بكفرهم ﴿ولكن أنفسهم يظلمون﴾ حيث فعلوا ما استحقوا به ذلك.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾

[**اللغة**] البطانة خاصة الرجل الذين يستبطنون أمره مأخوذة من بطانة الثوب الذي يلي البدن لقربه منه وهي نقيض الظهارة ويسمى بها الواحد والجمع والمذكر والمؤنث قال الشاعر:

أُولئِكَ خُلْصَانِي نَعَمْ وَبِطَانَتِي ... وَهُمْ عَيْبَتِي مِنْ دُونِ كُلِّ قَرِيبِ

لا يألونكم أي لا يقصرون في أمركم خبالاً ولا يتركون جهدهم يقال الا يألو ألوا إذا فتر وضعف وقصر وما الَوْته خيراً وشراً أي ما قصرت في فعل ذلك وقال امرؤ القيس.

وَمَا الْمَرْءُ مَا دامَتْ حُشاشَةُ نَفْسِهِ ... بِمُدْرِكِ أَطْرافِ الْخُطُوبِ وَلاَ آلي[1]

أي مقصر في الطلب والخبال الشر والفساد ومنه الخَبْل بفتح الباء وسكونها للجنون لأنه فساد العقل ورجل مخبل الرأي أي فاسد الرأي ومنه الاستخبال طلب اعارة المال لفساد الزمان قال زهير.

هُنالِكَ إنْ يُسْتَخْبَلُوا الْمالَ يُخْبِلُوا ... وَإنْ يُسْأَلُوا يُعْطُوا وإنْ يَيْسِرُوا يُغْلُوا

واصل العَنَت المشقة عنت الرجل يعنت عنتاً دخلت عليه المشقة وأَكَمَة عَنُوت صعبة المسلك لمشقة السلوك فيها وأَعْنَت فلان فلاناً حمله على المشقة الشديدة فيما يطالبه فيه ومنه قوله تعالى ولو شاء الله لأعنتكم.

(١) الحشاشة بقية النفس. والخطوب جمع الخطب الشأن والامر.

[**الإعراب**] من دونكم من للتبعيض والتقدير لا تتخذوا بعض المخالفين في الدين بطانة ويجوز ان يكون لتبيين الصفة فكأنه قال لا تتخذوا بطانة من المشركين وهذا اولى لأنه أعمّ ولا يجوز ان يتخذ المؤمن الكافر بطانة على كل حال وقيل ان مِنْ هاهنا زائدة وهذا غير حسن لأن الحرف إذا صحّ حمله في الفائدة لا يحكم فيه بالزيادة وقوله خبالاً نصب بأنه المفعول الثاني لأن الألو يتعدى إلى مفعولين ويجوز أن يكون مصدراً لأن المعنى يخبلونكم خبالاً وموضع قوله وَدّوا ما عنتّم يجوز أن يكون نصباً بأنه صفة لبطانة ويجوز ان يكون لا موضع له من الإعراب لأنه استئناف جملة و (ما) في قوله ما عنتّم مصدرية وتقديره وَدّوا عَنَتَكُم.

[**النزول**] نزلت في رجال من المسلمين كانوا يواصلون رجالاً من اليهود لما كان بينهم من الصداقة والقرابة والجوار والحلف والرضاع عن ابن عباس وقيل نزلت في قوم من المؤمنين كانوا يصادقون المنافقين ويخالطونهم عن مجاهد.

[**المعنى**] نهى الله المؤمنين عن موالاة الكفار ومخالطتهم خوف الفتنة منهم عليهم فقال ﴿**يا أيها الذين آمنوا**﴾ أي صَدَّقوا ﴿**لا تتخذوا بطانة من دونكم**﴾ أي لا تتخذوا الكافرين أولياء وخواص من دون المؤمنين تفشون إليهم اسراركم وقوله من دونكم أي من غير أهل ملتكم ثم بيَّن تعالى العلة في المنع مواصلتهم فقال ﴿**لا يألونكم خبالاً**﴾ أي لا يقصرون فيما يؤدي إلى فساد أمركم ولا يَدَعون جهدهم في مضرتكم وقال الزجاج لا يتقون في القائكم فيما يضركم قال واصل الخبال ذهاب الشيء وقوله ﴿**وَدُّوا ما عنتّم**﴾ معناه تمنوا إدخال المشقة عليكم وقيل تمنوا إضلالكم عن دينكم عن السدي وقيل تمنوا ان يعنتوكم في دينكم أي يحملونكم على المشقة فيه عن ابن عباس وقوله ﴿**قد بدت البغضاء من افواههم**﴾ معناه ظهرت إمارة العداوة لكم على السنتهم وفي فحوى اقوالهم وفلتات كلامهم ﴿**وما تخفي صدورهم من البغضاء اكبر**﴾ مما يبدون بألسنتهم ﴿**قد بينّا لكم الآيات**﴾ اي اظهرنا لكم الدلالات الوّاضحات التي بها يتميز الوليّ من العدّو ﴿**ان كنتم تعقلون**﴾ أي تعلمون الفضل بين الولي والعدو وقيل إن كنتم تعلمون مواعظ الله ومنافعها وقيل ان كنتم عقلاء فقد آتاكم الله من البيان الشافي.

﴿ هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ

قُلۡ مُوتُواْ بِغَيۡظِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾

[**اللغة**] العَضُّ بالأسنان معروف ومنه العض علف الأَمصار لأن له مضغة في العضّ يسمن عليها المال ورجل عضّ لزاز الخصم لأنه يعضه بالخصومة والأنامل اطراف الأصابع واصله النمل المعروف فهي مشبهة به في الدقة والتصرف بالحركة ومنه رجل نمل أي نمّام لأنه ينقل الأحاديث الكَرِهة كنقل النملة في الخفاء والكثرة.

[**الإعراب**] قال الأزهري يحتمل ان يكون اولاء منادي كأنه قال يا اولاء وقال غيره ها للتنبيه وانتم مبتدأ واولا خبره وتحبّونهم حال وقال الزجاج جائزان ان يكون اولاء في معنى الذين كأنه قال ها أنتم الذين تحبونهم ولا يحبونكم وجائز ان يكون تحبونهم حالاً وتؤمنون عطف على يحبّون ولا يجوز ان يقول ها قومك ها اولاء(١) لأن المضمر أحق بالهاء التي للتنبيه لأنه كالمبهم في عموم ما يصلح له وليس كذلك الظاهر.

[**المعنى**] ثم بيّن سبحانه ما هُم عليه من عداوة المؤمنين تأكيداً للنهي عن مصافاتهم فقال ﴿**ها أنتم اولاء تحبونهم**﴾ وقد مرّ ذكر معناه في الإعراب وتقديره ها انتم الذين تحبونهم أو ها انتم اولاء محبين إذا قلنا أنه بمعنى الحال أي تنبّهوا في حال محبتكم أياهم ولا يحبونكم هم لما بينكم من مخالفة الدين وقيل تحبونهم لأنكم تريدون لهم الإسلام وتدعونهم إلى الجنة ﴿**ولا يحبونكم**﴾ لأنهم يريدون لكم الكفر والضلال وفيه الهلاك ﴿**وتؤمنون بالكتاب كلّه**﴾ الكتاب واحد في معنى الجمع لأنه أراد الجنس كما يقال كثر الدرهم في أيدي الناس ويجوز أن يكون مصدراً من قولك كتبت كتاباً والمراد به كُتُب اللهٰ التي انزلها على انبيائه وفي افراده ضرب من الإيجاز واشعار بالتفصيل في الاعتقاد ومعناه انكم تصدّقون بها في الجملة والتفصيل من حيث تؤمنون بما انزل على إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد ﷺ وعليهم وسائر الأنبياء وهم لا يصدّقون بكتابكم ﴿**وإذا لقوكم قالوا آمنا**﴾ معناه إذا رأوكم قالوا صدقنا ﴿**وإذا خلوا**﴾ مع أنفسهم ﴿**عضّوا عليكم الأنامل**﴾ أي اطراف الأصابع ﴿**من الغيظ**﴾ أي من الغضب والحنق لما يرون من إئتلاف المؤمنين واجتماع كلمتهم ونصرة الله إيّاهم وهذا مثل وليس هناك عضّ كقول الشاعر.

إِذا رَأَوْني أَطالَ اللَّهُ غَيْظَهُمُ عَضُّوا مِنَ الْغَيْظِ أَطْرافَ الأَباهيم

(١) [كما جازها انتم اولاء].

وقول أبي طالب ﴿**يعضّون غيْظاً خلفنا بالأنامل**﴾ ﴿**قل**﴾ يا محمد لهم ﴿**موتوا بغيظكم**﴾ صيغته صيغة الأمر والمعنى الدعاء فكأنه قال أماتكم الله بغيظكم وفيه معنى الذم لهم لأنه لا يجوز ان يدعي عليهم هذا الدعاء إلا وقد استحقوه بما اتوه من القبيح وقيل معناه دام هذا الغيظ لما ترون من علوّ كلمة الإسلام إلى ان تموتوا ﴿**ان الله عليم بذات الصدور**﴾ أي بما يضمرونه من النفاق والغيظ على المسلمين.

﴿ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾

[**القراءة**] قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو ويعقوب لا يَضِرْكم خفيفة مكسورة الضاد والباقون مشددة مضمومة الضاد والراء وقرأ الحسن وأبو حاتم تعملون بالتاء على الخطاب والقراءة المشهورة بالياء.

[**الحجة**] من قرأ لا يَضِرْكم فهو من ضاره يضيره ضيراً ومن قرأ لا يَضُرُّكم فهو من ضَرَّه يضرّ ضراً والضير والضَرّ بمعنى واحد وقد جاء في القرآن لا ضير وإذا مسكم الضُرّ ولا يضركم اصله لا يضرركم نقلت ضمة الراء الأولى إلى الضاد وأدغمت في الراء الثانية بعد ان ضمت إتباعاً لأقرب الحركات اليها والعرب تدغم في موضع الجزم واهل الحجاز يظهرون التضعيف قال الزجاج وهذه الآية جاءت فيها اللغتان جميعاً فقوله إن تمسسكم على لغة اهل الحجاز وقوله يضركم على لغة غيرهم من العرب ويجوز لا يَضُرَّكم ولا يَضُرِّكم فمن قال بالفتح فلأن الفتح خفيف يُستعمل في التقاء الساكنين في التضعيف ومن قال بالكسر فعلى اصل التقاء الساكنين.

[**اللغة**] الكيد والمكيدة المكر الذي يغتال به صاحبه من جهة حيلة عليه ليقع في مكروه به واصله الشقة يقال رأيت فلاناً يكيد بنفسه أي يقاسي المشقة في سياق المنية ومنه المكائدة لا يراد ما فيه من المشقة.

[**المعنى**] ثم أخبر سبحانه عن حال من تقدم ذكرهم فقال ﴿**إن تمسسكم حسنة**﴾ أي تصبكم أيها المؤمنون نعمة من الله تعالى عليكم بها من الفة أو اجتماع كلمة أو ظفر

بالاعداء ﴿تسؤهم﴾ أي تحزهم ﴿وإن تصبكم سيئة﴾ أي محنة بإصابة العدوّ منكم لاختلاف الكلمة وما يؤدّي إليه من الفرقة يفرحوا بها هذا قول الحسن وقتادة والربيع وجماعة من المفسرين ﴿وان تصبروا﴾ على أذاهم وعلى طاعة الله تعالى وطاعة رسوله والجهاد في سبيله ﴿وتتقوا﴾ الله بالامتناع عن معاصيه وفعل طاعته ﴿لا يضركم﴾ أيها الموحّدون ﴿كيدهم﴾ أي مكر المنافقين وما يحتالون به عليكم ﴿شيئاً﴾ أي لا قليلاً ولا كثيراً لأنه تعالى ينصركم ويدفع شرّهم عنكم ﴿إن الله بما تعملون محيط﴾ أي عالم بذلك من جميع جهاته مقتدر عليه لأن اصل المحيط بالشيء هو المطيف به من حواليه وذلك من صفات الاجسام فلا يليق به سبحانه.

﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾ إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾

[اللغة] التَبْوِءَة اتخاذ الموضع للغير يقال بَوَّأت القوم منازلهم وبوأت لهم أيضاً أي أوطنتهم واسكنتهم إياها وتَبَوَّؤاهُم أي تَوَطَّنوا ومنه المباءة المراح لأنه رجوع إلى المستقر المتخذ ومنه بوأت بالذنب أي رجعت به محتملاً له والفَشَل الجبن يقال فشل يفشل فشلاً والفَشِل الرجل الضعيف.

[الإعراب] العامل في إذْ محذوف وتقديره واذكر إذ غدوت وقيل هو عطف على ما تقدم في السورة من قوله قد كان لكم آية في فتتين التقتا أي في نصرة تلكَ الطائفة القليلة على الطائفة الكثيرة إذ غدا النبي ﷺ عن أبي مسلم وقيل العامل فيه قوله محيط وتقديره والله عالم بأحوالكم واحوالهم إذ غدوت من اهلك وتبوىء حال من غدوت.

[المعنى] واذكر يا محمد ﴿إذ غدوت من اهلك﴾ أي خرجت من المدينة غدوة ﴿تبوّىء المؤمنين مقاعد﴾ أي تهيّىء للمؤمنين مواطن ﴿للقتال﴾ وقيل معناه تجلسهم وتقعدهم في مواضع القتال ليقفوا فيها ولا يفارقوها واختلف في أيّ يوم كان ذلك فقيل يوم أحد عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والربيع والسدي وابن أبي إسحاق وهو المروي عن ابي جعفر (ع) وقيل كان يوم الاحزاب عن مقاتل وقيل يوم بدر عن الحسن ﴿والله سميع﴾ أي

يسمع ما يقوله النبي ﷺ ﴿عليم﴾ بما يضمرونه لأنهم اختلفوا فمنهم من اشار بالخروج ومنهم من أشار بالمقام وفيه تزكية للزاكي وتهديد للغاوي وقيل سميع بقول المشيرين على النبي ﷺ عليم بضمائرهم وقيل سميع بجميع المسموعات عليم بجميع المعلومات ﴿إذ همَّت﴾ أي قصدت وعزمت ﴿طائفتان﴾ أي فرقتان ﴿منكم﴾ أي من المسلمين ﴿ان تفشلا﴾ أي تجبنا والطائفتان هما بنو سلمة وبنو حارثة حيَّان من الانصار عن ابن عباس وجابر بن عبد الله والحسن وقتادة ومجاهد والربيع وابي جعفر (ع) وابي عبد الله (ع) وقال الجبائي نزلت في طائفة من المهاجرين وطائفة من الانصار وكان سبب همّهم بالفَشَل ان عبد الله بن ابي سلول دعاهما إلى الروجوع إلى المدينة عن لقاء المشركين يوم احد فهمَّا به ولم يفعلاه ﴿والله وليهما﴾ أي ناصرهما روي عن جابر بن عبد الله أنه قال فينا نزلت وما أُحبَّ انها لم تكن لقوله والله وليّهما وقال بعض المحققين هذا همُّ خطرة لا هُمُّ عزيمة لأن الله تعالى مدحهما واخبر أنه وليّهما ولو كان هَمُّ عزيمة وقصد لكان ذمهم اولى من مدحهم ﴿وعلى الله فليتو كل المؤمنون﴾ في جميع احوالهم وأمورهم.

ذكر غزوة احد * عن ابي عبد الله (ع) أنه قال كان سبب غزوة احد ان قريشاً لما رجعت من بدر إلى مكة وقد اصابهم ما اصابهم من القتل والأسر لأنه قتل منهم سبعون وأسر سبعون قال أبو سفيان يا معشر قريش لا تدعوا نساءكم يبكين على قتلاكم فإن الدمعة إذا خرجت اذهبت الحزن والعداوة لمحمد فلما غزوا رسول الله ﷺ يوم أحد أذنوا لنسائهم في البكاء والنوح وخرجوا من مكة في ثلاثة آلاف فارس والفي راجل واخرجوا معهم النساء فلما بلغ رسول الله ﷺ ذلك جمع اصحابه وحَثّهم على الجهاد فقال عبد الله ابن ابي سلول يا رسول الله لا نخرج من المدينة حتى نقاتل في أزّقتها فيقاتل الرجل الضعيف والمرأة والعبد والأمة على افواه السكك وعلى السطوح فما ارادها قوم قطّ فظفروا بنا ونحن في حصوننا ودروبنا وما خرجنا إلى عدّولنا قطّ إلا كان الظفر لهم علينا فقام سعد بن معاذ وغيره من الاوس فقالوا يا رسول الله ما طمع فينا أحد من العرب ونحن مشركون نعبد الأصنام فكيف يطمعون فينا وانت فينا لا حتى نخرج اليهم فنقاتلهم فمن قتل منا كان شهيداً ومن نجا منا كان قد جاهد في سبيل الله فقبل رسول الله رأيه وخرج مع نفر من اصحابه يتبوّؤن موضع القتال كما قال تعالى وإذ غدوت من اهلك الآية وقعد عنه عبد الله بن ابي سلول وجماعة من الخزرج اتبعوا رأيه ووافت قريش إلى أحد وكان رسول الله عَبَّأ اصحابه وكانوا سبع مائة رجل ووضع عبد الله بن جبير في خمسين من الرماة على باب الشعب واشفق ان يأتي كمينهم من ذلك المكان فقال لعبد الله بن جبير واصحابه ان

رأيتمونا قد هزمناهم حتى ادخلناهم مكة فلا تبرحوا من هذا المكان وان رأيتموهم قد هزمونا حتى ادخلونا المدينة فلا تبرحوا والزموا مراكزكم ووضع أبو سفيان خالد بن الوليد في مائتي فارس كميناً وقال إذا رأيتمونا قد اختلطنا فاخرجوا عليهم من هذا الشعب حتى تكونوا وراءهم وَعَّبأ رسول الله أصحابه ودفع الراية إلى أمير المؤمنين (ع) وحمل الأنصار على مشركي قريش فانهزموا هزيمة قبيحة ووقع اصحاب رسول الله ﷺ في سوادهم وانحطّ خالد بن الوليد في مائتي فارس على عبد الله ابن جبير فاستقبلوهم بالسهام فرجع ونظر اصحاب عبد الله بن جبير إلى اصحاب رسول الله ﷺ ينتهبون سواد القوم فقالوا لعبد الله بن جبير قد غنم أصحابنا ونبقى نحن بلا غنيمة فقال لهم عبد الله اتقوا الله فإن رسول الله ﷺ قد تقدم الينا أن لا نبرح فلم يقبلوا منه واقبلوا ينسل رجل فرجل حتى أَخْلَوا مراكزهم وبقي عبد الله بن جبير في اثني عشر رجلاً وكانت راية قريش مع طلحة بن أبي طلحة العبدي من بني عبد الدار فقتله علي (ع) واخذ الراية أبو سعيد بن ابي طلحة فقتلهُ عليٌّ وسقطت الراية فأخذها مسافع بن أبي طلحة فقتلهُ عليّ حتى قتل تسعة نفر من بني عبد الدار حتى صار لواهم إلى عبد لهم اسود يقال له ثواب فانتهى إليه علي (ع) فقطع يده اليمنى فأخذ اللواء باليسرى فضرب يسراه فقطعها فاعتنقها بالجذماوين[1] إلى صدره ثم التفت إلى أبي سفيان فقال هل اعذرت في بني عبد الدار فضربه عليّ على رأسه فقتله وسقط اللواء فأخذتها عمرة بنت علقمة الكنانية فرفعتها وانحط خالد بن الوليد على عبد الله بن جبير وقد فر أصحابه وبقي في نفر قليل فقتلهم على باب الشعب ثم أتى المسلمين من ادبارهم ونظرت قريش في هزيمتها إلى الراية قد رفعت فلاذوا بها وانهزم اصحاب رسول الله هزيمة عظيمة واقبلوا يصعدون في الجبال وفي كل وجه فلما رأى رسول الله الهزيمة كشف البيضة عن رأسه وقال إليّ انا رسول الله إليّ اين تفرون عن الله تعالى وعن رسوله وكانت هند بنت عتبة في وسط العسكر فكلما انهزم رجل من قريش دفعت إليه ميلاً ومكحلة وقالت إنما انت امرأة فاكتحل بهذا وكان حزمة بن عبد المطلب يحمل على القوم فإذا رأوه انهزموا ولم يثبت له أحد وكانت هند قد اعطت وحشيّاً عهداً لئن قتلت محمداً أو عليّاً أو حمزة لأعطينك كذا وكذا وكان وحشي عبداً لجبير بن مطعم حبشياً فقال وحشي اما محمد فلم اقدر عليه وامّا عليّ فرأيته حذراً كثير الالتفات فلا مطمع فيه فكمنت لحمزة فرأيته يهدّ الناس هدّاً فمرّ بي فوطىء على جرف نهر فسقط واخذت حربتي فهززتها ورميته بها فوقعت في خاصرته وخرجت من ثُنّتِه[2] فسقط فأتيته فشققت بطنه وأخذت كبده وجئت

(١) تثنية جذماء أي: باليدين المقطوعتين.	(٢) الثُنّة بالضمّ: العانة.

به إلى هند فقلت هذه كبد حمزة فأخذتها في فمها فلاكتها فجعله الله في فمها مثل الداعضة وهي عظم رأس الركبة فلفظتها ورمت بها فقال رسول الله ﷺ فبعث الله ملكاً فحمله وردّه إلى موضعه قال فجاءت إليه فقطعت مذاكيره وقطعت أذنيه وقطعت يده ورجله ولم يبق مع رسول الله إلا أبو دجانة سماك بن خرشة وعليّ فكلما حملت طائفة على رسول الله ﷺ استقبلهم عليّ فدفعهم عنه حتى تقطع سيفه فدفع إليه رسول الله ﷺ سيفه ذا الفقار وانحاز رسول الله ﷺ إلى ناحية أحد فوقف وكان القتال من وجه واحد فلم يزل عليٌّ (ع) يقاتلهم حتى اصابه في رأسه ووجهه ويديه وبطنه ورجليه سبعون جراحة كذا اورده علي بن إبراهيم في تفسيره فقال جبرائيل ان هذه لهي المواساة يا محمد فقال محمد أنه مني وانا منه فقال جبرائيل وانا منكما قال أبو عبد الله نظر رسول الله ﷺ إلى جبرائيل بين السماء والأرض على كرسي من ذهب وهو يقول لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا عليّ وروى ابن أبي إسحاق والسدي والواقدي وابن جرير وغيرهم قالوا كان المشركون نزلوا بأحد يوم الاربعاء في شوال سنة ثلاث من الهجرة وخرج رسول الله إليهم يوم الجمعة وكان القتال يوم السبت للنصف من الشهر وكسرت رباعية رسول الله ﷺ وشجَّ في وجهه ثم رجع المهاجرون والأنصار بعد الهزيمة وقد قتل من المسلمين سبعون وشدّ رسول الله بمن معه حتى كشفهم وكان الكفار مَثَلوا بجماعة وكان حمزة اعظم مثلة وضربت يد طلحة فشلّت وسعد بن ابي وقاص كان يرمي بين يديه وهو (ع) يقول إرمِ فداك ابي وأمي.

[**النظم**] لمّا أَمَر تعالى بالصبر في قوله وان تصبروا وتتقوا عَقبَّة بنصرة المسلمين يوم بدر وصبرهم على القتال ثم ذكر امتحانهم يوم أحد لما تركوا الصبر وقيل نظمه وان تصبروا ينصركم كما نصركم يوم بدر وان لم تصبروا نزل بكم ما نزل يوم أحد حيث خالفتم أمر رسول الله ﷺ وذكر أبو مسلم أنه متصل بقوله قد كان لكم آية في فئتين كما تقدم ذكره.

﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟
ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ
أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَـٰثَةِ ءَالَـٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ ۚ
إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَـٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم

بِخَمْسَةِ ءَالَـٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا
بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۗ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ
ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾

[**القراءة**] قرأ ابن عامر منزّلين مشددة الزاي وقرأ الآخرون منزلين مخففة وقرأ إبن كثير وأبو عمرو وعاصم مُسَوِّمين بكسر الواو وقرأ الباقون بفتحها.

[**الحجة**] حجة من قرأ منزلين بالتخفيف قوله وقالوا لولا انزل عليه ملك ولو انزلنا ملكاً ولأن الانزال يعمّ التنزيل وغيره وحجة ابن عامر ما ننزل الملائكة وتنزل الملائكة والروح فيها لأن تَنَزَّل مطاوع نَزَّل ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وقال ابو الحسن من قرأ مسومين بالكسر فلأنهم سوَّموا الخيل وَمن قرأ مسومين فلأنهم سُوِّموا وقال مسومين معلمين ويكون مرسلين من سوّم الخيل إذا ارسلها ومنه السائمة وقال علي بن عيسى ان اختيار الكسر لتظاهر الأخبار بأنهم سوّموا خيلهم بعلامة وقال رسول الله ﷺ سوّموا فإن الملائكة قد سومت.

[**اللغة**]بدر ما بين مكة والمدينة وقال الشعبي سمّي بدراً لأن هناك ماء لرجل يسمى بدراً فسمي الموضع باسم صاحبه وقال الواقدي هو اسم للموضع وكل شيء تمّ فهو بدر وسمي بدر السماء بدراً لتمامه وامتلائه وعين بَدْرة ممتلئة يقال استكفيته الأمر فكفاني وكفاك هذا الأمر أي حسبك والفرق بين الاكتفاء والاستغناء ان الاكتفاء هو الاقتصار على ما ينفي الحاجة والاستغناء الاتساع فيما ينفي الحاجة والإمداد هو اعطاء الشيء حالاً بعد حال والمدّ في السير هو الاستمرار عليه وامتدّ بهم السير إذا طال واستمر وّأُمددتُ الجيش بمدد وأُمدَّ الجرحُ فهو مُمَد إذا صارت فيه المِدّة ومدّ النهر إذا جرى يقال مد النهر ومدّه نهر آخر ويقال مدّه في الشر وأمدّه في الخير واصل الفَوَر فور القِدر فهو غليانها عند شدة الحمى ومنه فورة الغضب لأنه كفور القِدر ومنه فارت العين بالماء إذا جاشت به ومنه الفوّارة لأنها تفور بالماء كما تفور القِدر بما فيها ومنه جاء على الفور أي على ابتداء الحمى قبل ان تبرد عنه نفسه وقيل الفور القصد إلى الشيء بحدة.

[**الإعراب**] وانتم اذلة في موضع نصب على الحال وان يمدكم ربكم في موضع

رفع بأنه فاعل الن يكفيكم[١] امدادكم وقوله من فورهم هذا في موضع جرّ صفة لفورهم وقوله ولتطمئن قلوبكم به معطوف على قوله بشرى لكم لأن تقديره لتبشروا به ولتطمئن.

[**المعنى**] ثم بيَّن الله تعالى ما فعله بهم من النصر يوم بدر فقال ﴿**ولقد نصركم الله**﴾ أيها المؤمنون ﴿**ببدر**﴾ بتقوية قلوبكم وبما امدكم به من الملائكة وبإلقاء الرعب في قلوب اعدائكم ﴿**وأنتم اذلة**﴾ أي ضعفاء عن المقاومة قليلو العدد قليلو العدة جمع ذليل وروي عن ابن عباس أنه قال كان المهاجرون يوم بدر سبعة وسبعين رجلاً والأنصار مائتين وستة وثلاثين رجلاً والجميع ثلاثمائة وثلاث عشر رجلاً وكان المشركون نحواً من الف رجل وروي عن بعض الصادقين أنه قرأ وأنتم ضعفاء وقال لا يجوز وصفهم بأنهم اذلة وفيهم رسول الله ﷺ وكان صاحب راية رسول الله يوم بدر أمير المؤمنين علي بن ابي طالب (ع) وصاحب راية الانصار سعد بن عبادة وقيل سعد بن معاذ ﴿**فاتقوا الله**﴾ اي اجتنبوا معاصيه واعملوا بطاعته ﴿**لعلكم تشكرون**﴾ أي لتقوموا بشكر نعمته ﴿**إذ تقول**﴾ خطاب للنبي ﷺ أي إذ تقول يا محمد للمؤمنين من أصحابك ﴿**الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة**﴾ هو اخبار بأن النبي ﷺ قال لقومه الن يكفيكم يوم بدر أن جعل ربكم ثلاثة آلاف من الملائكة مدداً لكم قال ابن عباس والحسن وقتادة وغيرهم ان الإمداد بالملائكة كان يوم بدر وقال ابن عباس لم تقاتل الملائكة الا يوم بدر وكانوا في غيره من الايام عدة ومدداً وقال الحسن كان جميعهم خمسة آلاف فمعناه يمددكم ربكم بتمام خمسة آلاف وقال غيره كانوا ثمانية آلاف فمعناه بخمسة آلاف اخر وقيل ان الوعد بالإمداد بالملائكة كان يوم أحد وَعَدَهم الله المدد ان صبروا عن عكرمة والضحاك ﴿**منزلين**﴾ انزلهم الله من السماء إلى الأرض لنصرتكم ﴿**بلى**﴾ تصديق للوعد أي يفعل كما وعدكم ويزيدكم ﴿**ان تصبروا**﴾ معناه ان صبرتم على الجهاد وعلى ما أمركم الله ﴿**تعالى**﴾ ﴿**وتتقوا**﴾ معاصي الله ومخالفة رسوله ﷺ ﴿**ويأتوكم**﴾ يعني المشركين ان رجعوا إليكم ﴿**من فورهم هذا**﴾ أي من وجههم هذا عن ابن عباس والحسن وقتادة والربيع والسدي وعلى هذا فإنما هو من فور الابتدار لهم وهو ابتداؤه وقيل معناه من غضبهم هذا عن مجاهد وأبي صالح والضحاك وكانوا قد غضبوا يوم أحد ليوم بدر مما لقوا فهو من فور الغضب وهو غليانه ﴿**يمددكم بخمسة آلاف من الملائكة**﴾ أي يعطكم مدداً لكم ونصرة وإنما قال ذلك لأن الكفار في غزوة أحد ندموا بعد انصرافهم لِمَ لَمْ يُغيروا المدينة وهمّوا بالرجوع

---

(١) [وتقديره ألن يكفيكم].

فاوحى الله إلى نبيّه ﷺ ان يأمر أصحابه بالتهيُّءِ للرجوع إليهم وقال لهم ان يمسسكم قرح فقد مسّ القوم قرح مثله ثم قال ان صبرتم على الجهاد وراجعتم الكفار امدكم الله بخمسة آلاف من الملائكة مسومين فأخذوا في الجهاد وخرجوا يتبعون الكفار على ما كان بهم من الجراح فأخبر المشركين من مَرّ برسول الله أنه خرج يتبعكم فخاف المشركون ان رجعوا ان تكون الغلبة للمسلمين وان يكون قد التام اليهم من كان تأخر عنهم وانضم إليهم غيرهم فدسّوا نعيم بن مسعود الأشجعي حتى يصدهم بتعظيم أمر قريش واسرعوا في الذهاب إلى مكة وكفى الله المسلمين أمرهم والقصة معروفة ولذلك قال قوم من المفسرين ان جميعهم ثمانية آلاف وقال الحسن خمسة آلاف جميعهم منهم ثلاثة آلاف المنزلين على ان الظاهر يقتضي ان الإمداد بثلاثة آلاف كان يوم بدر لأن قوله إذ تقول للمؤمنين الآية يتعلق بقوله ولقد نصركم الله ببدر الآية ثم استأنف حكم يوم أحد فقال بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا أي ان يرجعوا إليكم بعد انصرافهم امدكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين وهذا قول البلخي رواه عن عمرو بن دينار عن عكرمة قال لم يمدوا يوم أُحد ولا بملك واحد وعلى هذا فلا تنافي بين الآيتين فمتى يسأل كيف لم يمدوا بالملائكة في سائر الحروب فالجواب ان ذلك تابع للمصلحة فإذا علم الله في إمدادهم المصلحة أمدّهم وقوله ﴿مسوّمين﴾ بالكسر أي معلمين اعلموا انفسهم ومسوَّمين بالفتح سوّمهم الله أي اعلمهم قال ابن عباس والحسن وقتادة وغيرهم كانوا اعلموا بالصوف في نواصي الخيل واذنابها وقال عروة نزلت الملائكة يوم بدر على خيل بلق وعليهم عمائم صفر وقال علي وابن عباس كانت عليهم عمائم بيض وارسلوا أذنابها بين اكتافهم قال السدي معنى مسوَمين بالفتح مرسلين من الناقة السائمة أي المرسلة في المرعى **﴿وما جعله الله الا بشرى لكم﴾** أي وما جعل الله الإمداد والوعد به فالهاء عائدة على غير مذكور باسمه وهو معلوم بدلالته عليه لأن يمدد يدل على الإمداد وبشرى لكم أي بشارة لكم لتستبشروا به ولتطمئنّ قلوبكم به أي ولتسكن قلوبكم فلا تخافوا كثرة عدد العدوّ وقلة عددكم **﴿وما النصر﴾** أي وما المعونة **﴿الا من عند الله﴾** ومعناه ان الحاجة إلى الله تعالى لازمة في المعونة وان أمدكم بالملائكة فلا استغناء لكم عن معونتة طرفة عين في تقوية قلوبكم وخذلان عدوكم بضعف قلوبهم إلى غير ذلك وقيل ان معناه وما هذا النصر الا بإمداد الملائكة الا من عند الله **﴿العزيز﴾** أي القادر على انتقامه من الكفار بأيدي المؤمنين **﴿الحكيم﴾** في تدبيره للمؤمنين للعالمين وإنما قال ذلك ليعلمهم ان حربهم للمشركين إنما هو لإعزاز الدين وقيل العزيز المنيع باقتداره والحكيم في تدبيره للخلق.

[فصل وجيز في ذكر مغازي رسول الله ﷺ]

قال المفسرون جميع ما غزا رسول الله بنفسه ستة وعشرون غزاة وأول غزاة غزاها غزوة الابواء ثم غزوة بواط ثم غزوة العشيرة ثم غزوة بدر الأولى ثم غزوة بدر الكبرى ثم غزوة بني سليم ثم غزوة السويق ثم غزوة ذي أمر ثم غزوة أُحد[١] ثم غزوة الاسد ثم غزوة بني النضير ثم غزوة ذات الرقاع ثم غزوة بدر الأخيرة ثم غزوة دومة الجندل[٢] ثم غزوة بني قريظة ثم غزوة بن لحيان ثم غزوة بني قرد ثم غزوة بني المصطلق ثم غزوة الحديبية ثم غزوة خيبر ثم غزوة الفتح فتح مكة ثم غزوة حنين ثم غزوة الطائف ثم غزوة تبوك قاتل منها في تسع غزوات غزوة بدر الكبرى وهو يوم الجمعة السابع عشر من رمضان سنة اثنتين من الهجرة وأُحد وهو في شوال سنة ثلاث من الهجرة والخندق وبني قريظة في شوال سنة اربع وبني المصطلق وبني لحيان في شعبان سنة خمس وخيبر سنة ست والفتح في رمضان[٣] ثمان وحُنين والطائف في شوال سنة ثمان فأول غزوة غزاها بنفسه فقاتل فيها بدر وآخرها تبوك واما عدد سراياه فستة وثلاثون سرية على ما عدّ في مواضعه.

﴿ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُواْ خَآئِبِينَ ﴿١٢٧﴾ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾

[**اللغة**] الكَبْت الخزي وهو مصدر كَبَت الله العدوّ أي اخزاه وأذلّه وقال الخليل الكبت صرح الشيء على وجهه كبتهم الله فانكبتوا وحقيقة الكبت شدة الوهن الذي يقع في القلب وربما صرع الانسان لوجهه للخور الذي يدخله والخائب المنقطع عما امل ولا يكون الخيبة الا بعد الأمل لأنها امتناع نيل ما امل واليأس قد يكون قبل الأمل وقد يكون بعده واليأس والرجاء نقيضان يتعاقبان كتعاقب الخيبة والظفر.

[**الإعراب**] نصب أو يتوب عليهم على وجهين أحدهما ان يكون عطفاً على ليقطع ويكون قوله ليس لك من الأمر شيء اعتراضاً بين المعطوف والمعطوف عليه كما تقول ضربت زيداً فأفهم ذلك وعمراً والآخر أن يكون أو بمعنى إلّا ان فكأنه قال ليس لك من الأمر شيء الا ان يتوب الله عليهم أو يعذبهم فيكون أمرك تابعاً لأمر الله لرضاك بتدبيره فيهم.

(١)[ثم غزوة نجران]. (٢) [ثم غزوة الخندق]. (٣) [سنة].

[المعنى] ﴿ **ليقطع طرفاً من الذين كفروا** ﴾ اختلف في وجه إتصاله بما قبله فقيل يتصل بقوله ﴿ **وما النصر إلا من عند الله** ﴾ ومعناه إعطاكم الله هذا النصر وخصَّكم به ليقطع طائفة من الذين كفروا بالأسر والقتل وقيل هو متصل بقوله ﴿ **ولقد نصركم الله ببدر** ﴾ أي ولقد نصركم الله ببدر ليقطع طرفاً وقيل معناه ذلك التدبير ليقطع طرفاً أي قطعة منهم والمعنى ليهلك طائفة منهم وقيل ليهدم ركناً من أركان الشرك بالقتل والأسر وأما اليوم الذي قطع الله فيه الطرف من الذين كفروا فيوم بدر قتل فيه صناديدهم ورؤساءهم وقادتهم إلى الكفر في قول الحسن والربيع وقتادة وقيل هو يوم أحد قتل فيه منهم ثمانية عشر رجلاً وإنما قال ليقطع طرفاً منهم ولم يقل ليقطع وسطاً منهم لأنه لا يوصل إلى الوسط منهم إلا بقطع الطرف ولأن الطرف أقرب إلى المؤمنين فهو كما قال ﴿ **قاتلوا الذين يلونكم من الكفار أو يكبتهم** ﴾ معناه أو يخزيهم بالخيبة مما أملوا من الظفر بكم عن قتادة والربيع وقيل معناه يردهم عنكم منهزمين عن الجبائي والكلبي وقيل يصرعهم الله على وجوههم وقيل يظفركم عليهم عن المبرد وقيل يلعنهم عن السدي وقيل يهلكهم عن أبي عبيدة ﴿ **فينقلبوا خائبين** ﴾ لم ينالوا مما أملوا شيئاً ﴿ **ليس لك من الأمر شيء** ﴾ قيل هو متصل بقوله ﴿ **وما النصر إلا من عند الله** ﴾ فيكون معناه نصركم الله ليقطع طرفاً منهما ويكتبهم وليس لك ولا لغيرك من هذا النصر شيء عن أبي مسلم وقيل أنه إعتراض بين الكلامين وقوله ﴿ **أو يتوب** ﴾ عليهم متصل بقوله ﴿ **ليقطع طرفاً** ﴾ فيكون التقدير ليقطع طرفاً منهم أو يكبتهم أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم قد استحقوا العذاب وليس لك أي ليس إليك من هذه الأربعة شيء وذلك إلى الله تعالى واختلف في سبب نزوله فروي عن أنس بن مالك وابن عباس والحسن وقتادة والربيع أنه لما كان من المشركين يوم أحد ما كان من كسر رباعية الرسول وشجّه حتى جرت الدماء على وجهه قال كيف يفلح قوم نالوا هذا من نبيّهم (ﷺ) وهو مع ذلك حريص على دعائهم إلى ربهم فاعلمه الله أنه ليس إليه فلاحهم وأنه ليس إليه إلا أن يبلغ الرسالة ويجاهد حتى يظهر الدين وإنما ذلك إلى الله تعالى وكان الذي كسر رباعيته وشجّه في وجهه عتبة بن أبي وقاص فدعا عليه بأن لا يحول عليه الحول حتى يموت كافراً فمات كافراً قبل أن يحول الحول وأدمى وجهه رجل من هَذيل يقال له عبد الله بن قمية فدعا عليه فكان حتفه أن سلّط الله عليه تيسا فنطحه حتى قتله وروي أنه كان يمسح الدم على وجهه ويقول اللهم إهد قومي فإنهم لا يعلمون فعلى هذا يمكن أن يكون على وجل من عنادهم وإصرارهم على الكفر فأخبره تعالى ﴿ **أنه ليس إليه إلا ما أمر به من تبليغ الرسالة ودعائهم إلى الهدى** ﴾ وذلك مثل قوله ﴿ **فلعلك باخع نفسك إلّا**

يكونوا مؤمنين ﴾ وقيل أنه استأذن ربه في يوم أحد في الدعاء عليهم فنزلت الآية فلم يدع عليهم بعذاب الاستيصال وإنما لم يؤذن له فيه لما كان في المعلوم من توبة بعض عن أبي علي الجبائي وقيل أراد رسول الله (ﷺ) أن يدعوا على المنهزمين عنه من أصحابه يوم أحد فنهاه الله عن ذلك وتاب عليهم ونزلت الآية ليس لك من الأمر شيء أي ليس لك أن تلعنهم وتدعو عليهم عن عبد الله بن مسعود وقيل لما رأى رسول الله (ﷺ) والمسلمون ما فعل بأصحابه وبعمه حمزة من المثلة من جدع الأنوف والآذان وقطع المذاكير قالوا لئن أدالنا الله منهم لنفعلن بهم مثل ما فعلوا بنا ولنمثلن بهم مثلة لم يمثلها أحد من العرب بأحد قطّ فنزلت الآية عن محمد بن إسحاق والشعبي وقيل نزلت في أهل بئر معونة وهم سبعون رجلاً من قراء أصحاب رسول الله وأميرهم المنذر بن عمرو بعثهم رسول الله (ﷺ) إلى بئر معونة في صفر سنة أربع من الهجرة على رأس أربعة أشهر من أحد ليُعلّموا الناس القرآن والعلم فقتلهم جميعاً عامر بن الطفيل وكان فيهم عامر بن فهيرة مولى أبي بكر فوجد رسول الله (ﷺ) من ذلك وجداً شديداً وقنت عليهم شهراً فنزل ليس لك من الأمر شيء عن مقاتل والأصحّ أنها نزلت في أحد لأن أكثر العلماء عليه ويقتضيه سياق الكلام وإنما قال ليس لك من الأمر شيء مع أن له (ﷺ) أن يدعوهم إلى الله ويؤدي إليهم ويؤدي إليهم بتبليغهم لأن معناه ليس لك شيء من أمر عقابهم واستيصالهم أو الدعاء عليهم أو لعنهم حتى تقع إنابتهم فحاء الكلام على الايجاز لأن المعنى مفهوم لدلالة الكلام عليه وأيضاً فإنه لا يعتد بما له (ﷺ) في تدبيرهم مع تدبير الله لهم فكأنه قال ليس لك من الأمر شيء على وجه من الوجوه وقوله ﴿ **أو يتوب عليهم** ﴾ قيل في معناه وجهان أحدهما أو يلطف لهم بما يقع معه توبتهم فيتوب عليهم بلطفه لهم والآخر أو يقبل توبتهم إذا تابوا كقوله غافر الذنب وقابل التوب ولا يصح هذه الصفة إلا الله تعالى لأنه يملك الجزاء بالثواب والعقاب ﴿ **أو يعذبهم** ﴾ أي يعذبهم الله تعالى إن لم يتوبوا ﴿ **فإنهم ظالمون** ﴾ أي مستحقون للعذاب بظلمهم وفي هذه الآية دلالة على أن ما يتعلق بالنصر والظفر وقبول التوبة والتعذيب فإنما هو إلى الله وليس للنبي (ﷺ) من ذلك شيء وإنما إليه الهداية والدعاء فكأنه قال لا ترفع عنهم السيف إلى أن يتوبوا فيتوب عليهم أو يقوموا على كفرهم فيعذبهم بظلمهم .

﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٩﴾

[**اللغة**] إنما ذكر لفظ ما لأنها أعمّ مِن مَنْ فإنها تتناول ما يعقل وما لا يعقل لأنها تفيد الجنس ولو قال مَن في السماوات لم يدخل فيه إلا العقلاء إلا أن يحمل على التغليب وذلك ليس بحقيقة .

[**المعنى**] لما قال تعالى ﴿ **ليس لك من الأمر شيء** ﴾ عقَّب ذلك بأنّ الأمر كله له فقال ﴿ **ولله ما في السماوات وما في الأرض** ﴾ مِلْكاً ومُلكاً وخلقاً واقتداراً على الجميع يصرفهم كيف يشاء إيجاداً وإفناءً وإعادة ﴿ **يغفر لمن يشاء** ﴾ من المؤمنين ذنوبهم فلا يؤآخذهم بها ولا يعاقبهم عليها رحمة منه وفضلاً ﴿ **ويعذّب من يشاء** ﴾ أي ويعذب الكافرين ومن يشاء من مذنبي المؤمنين إن مات قبل التوبة عدلاً ويدلّ عليه مفسراً قوله إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ولولا ذلك لكنا نجوز العفو على الجميع عقلاً وقيل إنما أبهم الله الأمر بالتعذيب والمغفرة فلم يبيّن من يغفر له ومن يشاء تعذيبه ليقف المكلف بين الخوف والرجاء فلا يأمن من عذاب الله تعالى ولا ييأس من روح الله[١] إلا القوم الكافرون ويلتفت إلى هذا قول الصادق لو وزن رجاءِ المؤمن وخوفه لاعتدلا وقيل إنما علّق الغفران أو العذاب بالمشيئة لأن المشيئة مطابقة للحكمة فلا يشاء إلا ما تقتضي الحكمة مشيئة وسئل بعضهم كيف يعذّب الله عباده بالأجرام مع سعة رحمته فقال رحمته لا تغلب حكمته إذ لا تكون رحمته برقة القلب كما تكون الرحمة منا وعن ابن عباس قال معنى الآية يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ممن لم يتب .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضۡعَٰفٗا مُّضَٰعَفَةٗۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٣١﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿١٣٢﴾

[**المعنى**] لمّا ذكر سبحانه أن له التعذيب لمن يشاء والمغفرة لمن يشاء وَصَلَ ذلك بالنهي عما لو فعلوا لاستحقوا عليه العذاب وهو الربا فقال تعالى ﴿ **يا أيها الذين آمنوا** ﴾ أي صدّقوا الله ورسوله ﴿ **لا تأكلوا الربوا** ﴾ ذكر الأكل لأنه معظم الانتفاع وإن كان غيره

(١) [إذاً لا عذاب الله خسر واليأس من رحمته كفر كما قال سبحانه فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون ولا ييأس من روح الله].

من التصرفات أيضاً منهياً عنه والرباء الزيادة على أصل المال بالتأخير عن الأجل الحال وقيل هو ربا الجاهلية عن عطا ومجاهد ﴿ **أضعافاً مضاعفة** ﴾ قيل في معناه قولان أحدهما أن يضاعف بالتأخير أجلاً بعد أجل كلما أخّر عن أجل إلى غيره زيد زيادة على المال والثاني معناه تضاعفون به أموالكم ويدخل فيه كل زيادة محرمة في المعاملة من جهة المضاعفة ووجه تحريم الربا هو المصلحة التي علّمها الله وذكر فيه وجوه على وجه التقريب منها أنه للفصل بينه وبين البيع ومنها أنه يدعو إلى العدل ويحضّ عليه ومنها أنه يدعو إلى مكارم الأخلاق بالأقرض وأنظار المعسر من غير زيادة وهو المروي عن أبي عبد الله (ع) وإنما أعاد تحريم الربا مع ما سبق ذكره في سورة البقرة لأمرين أحدهما التصريح بالنهي عنه بعد الاخبار بتحريمه لما في ذلك من تصريف الخطر له وشدة التحذير منه والثاني لتأكيد النهي عن هذا الضرب منه الذي يجري على الأضعاف المضاعفة ﴿ **واتقوا الله** ﴾ أي إتقوا معاصيه وقيل إتقوا عقابه بترك معاصيه ﴿ **لعلكم تفلحون** ﴾ لكي تنجحوا بإدراك ما تأملونه وتفوزوا بثواب الجنة ﴿ **واتقوا النار** ﴾ أي اتقوا الأفعال الموجبة لدخول النار التي ﴿ **أُعدت للكافرين** ﴾ أي هيّئت واتخذت للكافرين والوجه في تخصيص الكفار بإعداد النار لهم أنهم معظم أهل النار فهم العمدة في أعداد النار لهم وغيرهم من الفاسقين يدخلونها على وجه التبع فهو كقوله[1] ﴿ **أعدت للمتقين** ﴾ ومعلوم أنه قد يدخلها غير المتقين من الأطفال والمجانين وقال الحسن تخصيص الكفار بأعداد النار لهم لا يمنع من مشاركة غيرهم إياهم كما أن تخصيص المرتدين باسوداد الوجوه لا يمنع من مشاركة سائر الكفار إياهم ومثله في القرآن كثير والأصل أن تخصيص الشيء بالذكر لا يدل على أن ما عداه بخلافه ﴿ **وأطيعوا الله** ﴾ فيما أمركم به وأطيعوا الرسول فيما شرع لكم ﴿ **لعلكم ترحمون** ﴾ أي لكي ترحموا فلا يعذبكم ومما يسأل على هذا أن يقال إذا كانت طاعة الرسول طاعة الله فما وجه التكرار فالجواب عنه شيآن (أحدهما) إن المقصد بها طاعة الرسول فيما دعا إليه مع القصد لطاعة الله (والثاني) إنما قال ذلك ليعلم أن من أطاعه فيما دعا إليه فهو كمن أطاع الله فيسارع إلى ذلك بأمر الله .

[**النظم**] وقد قيل في وجه إتصال هذه الآية بما قبلها قولان (أحدهما) لاتصال الأمر بالطاعة بالنهي عن أكل الربا فكأنه قال ﴿ **وأطيعوا الله فيما نهاكم عنه من أكل الربا وغيره** ﴾ (والثاني) ما قاله محمد بن إسحاق بن يسار أنه معاتبة للذين عصوا رسول الله

---

(١) [في صفة الجنة] .

لما أمرهم به يوم أحد من لزوم مراكزهم فخالفوا واشتغلوا بالغنيمة(١) وكان ذلك سبب هزيمة أصحاب رسول الله (ﷺ).

﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾

[**القراءة**] قرأ أهل المدينة والشام سارعُوا بغير واو وكذلك هو في مصاحفهم والباقون بالواو وكذلك هو في مصاحف مكة والعراق .

[**الحجة**] والفرق بينهما إستئناف الكلام إذا كان بغير واو ووصلها بما تقدم إذا قرىء بواو لأنه يكون عطفاً على ما تقدم ويجوز أيضاً ترك الواو لأن الجملة الثانية ملتبسة بالأولى مستغنية بذلك عن عطفها بالواو كما جاء في التنزيل ثلاثة رابعهم كلبهم وقال سبعة وثامنهم كلبهم .

[**اللغة**] أصل الكظم شدّ رأس القِربة عن ملئها تقول كظمت القربة إذا ملأتها ماء ثم شددت رأسها وفلان كظيم ومكظوم إذا كان ممتلئاً حزناً وكذلك إذا كان ممتلئاً غضباً لم ينتقم وكظم البعير إذا لم يجترّ والكظامة القناة التي تجري تحت الأرض سميت بذلك لامتلائها تحت الأرض وفي غريب الحديث لأبي عبيدة عن أوس بن أبي أوس أنه رأى النبي (ﷺ) أتى كظامة قوم فتوضأ ومسح على قدميه ويقال أخذ بكظمه أي مجرى نفسه لأنه موضع الامتلاء بالنفس والفرق بين الغيظ والغضب إن الغضب ضد الرضا وهو إرادة العقاب المستحق بالمعاصي ولعنه وليس كذلك الغيظ لأنه هيجان الطبع بتَكَرُّه ما يكون من المعاصي ولذلك يقال غضب الله على الكفار ولا يقال اغتاظ منهم .

(١) [إلاّ طائفة منهم قتلوا].

[**المعنى**] لما حذَّر الله تعالى عن الأفعال الموجبة للعقاب عقَّبه بالحثّ على الأفعال الموجبة للثواب فقال ﴿ **وسارعوا** ﴾ أي بادروا ﴿ **إلى مغفرة من ربكم** ﴾ باجتناب معاصيه ومعناه إلى الأعمال التي توجب المغفرة واختلف في ذلك فقيل سارعوا إلى الإسلام عن ابن عباس وقيل إلى إداء الفرائض عن علي بن أبي طالب (ع) وقيل إلى الهجرة عن أبي العالية وقيل إلى التكبيرة الأولى عن أنس بن مالك وقيل إلى أداء الطاعات عن سعيد بن جبير وقيل إلى الصلوات الخمس عن يمان وقيل إلى الجهاد عن الضحاك وقيل إلى التوبة عن عكرمة ﴿ **وجنة** ﴾ أي وإلى جنة ﴿ **عرضها السماوات والأرض** ﴾ واختلف في معناه على أقوال أحدها أن المعنى عرضها كعرض السماوات السبع والأرضين السبع إذا ضمّ بعض ذلك إلى بعض عن ابن عباس والحسن واختاره الجبائي والبلخي وإنما ذكر العرض بالعظم دون الطول لأنه يدل على أن الطول أعظم من العرض وليس كذلك لو ذكر الطول دون العرض ومثل الآية قوله ﴿ **ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة** ﴾ ومعناه إلا كخلق وبعث نفس واحدة وقال الشاعر :

كَأَنَّ عَذِيرَهُمْ بِجُنُوبِ سُلّى نَعَامٌ قَاقَ فِي بَلَدٍ قِفَارِ[1]

أي عذير نعام وقال آخر :

حَسِبْتَ بُغَامَ رَاحِلَتِي عَنَاقاً وَمَا هِيَ وَيْبَ غَيرِكَ بِالْعَنَاقِ[2]

أي صوت عناق وثانيها أن معناه ثمنها لو بيعت كثمن السماوات والأرض لو بيعتا كما يقال عرضت هذا المتاع للبيع والمراد بذلك عظم مقدارها وجلالة قدرها وأنه لا يساويها شيء وإن عظم عن أبي مسلم الأصفهاني وهذا وجه مليح إلا أن فيه تعسفاً وثالثها أن عرضها لم يرد به العرض الذي هو خلاف الطول وإنما أراد سعتها وعظمها والعرب إذا وصفت الشيء بالسعة وصفته بالعرض قال أمرؤ القيس :

بِلَادٌ عَرِيضَةٌ وَأَرْضٌ أريضَةٌ[3] مَوَاقِعَ غَيْثٍ فِي فَضَاءٍ عَرِيضٍ

وقال ذو الرمة فَأَعْرَضَ فِي الْمَكَارِمِ وَٱسْتَطَالا أي توسع فيها ويسأل فيقال إذا

---

(١) قائله شفيق وينسب إلى أعشى أيضاً . العذير الحال التي يحاول لها المرء يعذر عليها . وسلى اسم موضع . وقاق الطائر : صوت وكأنه يقول : هزمناهم شر هزيمة وكانت حالهم مثل حال الطائر الذي في أرض قفرة إذا أتاه الصياد .

(٢) قائله الطهوى البغام صوت الظبية أو الناقة واستعاره هنا للمعز . والعناق : أنثى المعز .

(٣) أرض أريضة زكية بينة الأراضة .

كانت الجنة عرضها كعرض السماء والأرض فأين تكون النار فجوابه أنه روي أن النبي (ﷺ) سئل عن ذلك فقال سبحان الله إذا جاء النهار فأين الليل وهذه معارضة فيها إسقاط المسألة لأن القادر على أن يذهب بالليل حيث شاء قادر على أن يخلق النهار حيث شاء ويسأل أيضاً فيقال إذا كانت الجنة في السماء فكيف يكون لها هذا العرض والجواب أنه قيل أن الجنة فوق السماوات السبع تحت العرش عن أنس بن مالك وقيل إن الجنة فوق السماوات السبع والنار تحت الأرضين السبع عن قتادة وقيل إن معنى قولهم أن الجنة في السماء أنها في ناحية السماء وجهة السماء لا أنّ السماء تحويها ولا ينكر أن يخلق الله في العلوّ أمثال السماوات والأرضين فإن صحّ الخبر أنها في السماء الرابعة كان كما يقال في الدار بستان لاتصاله بها وكونه في ناحية منها أو يشرع إليها بابها وإن كان أضعاف الدار وقيل أن الله يريد في عرضها يوم القيامة فيكون المراد عرضها السماوات والأرض يوم القيامة لا في الحال عن أبي بكر أحمد بن علي مع تسليم أنها في السماء وقوله ﴿ **أعدت للمتقين** ﴾ أي المطيعين لله ولرسوله لاجتنابهم المقبّحات وفعلهم الطاعات ويجوز لاحتجازهم بالطاعة عن العقوبة وإنما أضيفت إلى المتقين لأنهم المقصودون بها وإن دخلها غيرهم من الأطفال والمجانين فعلى وجه التبع وكذلك حكم الفساق لو عفى عنهم وقيل معناه أنه لولا المتقون لما خلقت الجنة كما يقال وضعت المائدة للأمير وهذا يدل على أن الجنة مخلوقة اليوم لأنها لا تكون معدة إلا وهي مخلوقة ﴿ **الذين ينفقون في السراء والضراء** ﴾ صفة للمتقين وفي معنى السراء والضراء قولان (أحدهما) أن معناه في اليسر والعسر عن ابن عباس أي في حال كثرة المال وقلته (والثاني) في حال السرور والإغتمام أي لا يقطعهم شيء من ذلك عن إنفاق المال في وجوه البرّ ﴿ **والكاظمين الغيظ** ﴾ أي المتجرعين للغيظ عند امتلاء نفوسهم منه فلا ينتقمون ممن يدخل عليهم الضرر بل يصبرون على ذلك ﴿ **والعافين عن الناس** ﴾ يعني الصافحين عن الناس المتجاوزين عما يجوز العفو والتجاوز عنه مما لا يؤدّي إلى الاخلال بحق الله تعالى وقيل العافين عن المملوكين ﴿ **والله يحب المحسنين** ﴾ أي من فعل ذلك فهو محسن والله يحبّه بإيجاب الثواب له ويحتمل أن يكون الإحسان شرطاً مضموماً إلى هذه الشرائط قال الثوري الإحسان أن تحسن إلى من أساء إليك فأما من أحسن إليك فإنه متاجرة كنقد السوق خذ مني وهات .

[**فصل**] فأوّل ما عدّد الله من أخلاق أهل الجنة السخاء ومما يؤيد ذلك من الأخبار ما رواه أنس بن مالك عن النبي (ﷺ) أنه قال السخاء شجرة في الجنة أغصانها في الدنيا

من تعلق بغصن من أغصانها قادته إلى الجنة والبخل شجرة في النار أغصانها في الدنيا فمن تعلق بغصن من أغصانها قادته إلى النار وقال علي (ع) الجنة دار الأسخياء وقال (ع) السخي قريب من الله قريب من الجنة قريب من الناس بعيد من النار والبخيل(١) بعيد من الجنة بعيد من الناس قريب من النار ثم عدَّ تعالى بعد ذلك من أخلاق أهل الجنة كظم الغيظ ومما جاء فيه من الأخبار ما رواه أبو إمامة قال قال رسول الله من كظم غيظه وهو قادر على انفاذه ملأه الله يوم القيامة رضا وفي خبر آخر ملأه الله يوم القيامة أمناً وإيماناً وقال أيضاً كاظم الغيظ كضارب السيف في سبيل الله في وجه عدّوه وملأ الله قلبه رضاً وفي خبر آخر ملأ الله قلبه يوم القيامة أمناً وأماناً وقال (ع) ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب ثم ذكر العافين عن الناس وروى أن رسول الله (ﷺ) قال أن هؤلاء في أمتي قليل إلا من عصم الله وقد كانوا كثيراً في الأمم التي مضت وفي هذا دليل واضح على أن العفو عن المعاصي مُرغَّب فيه مندوب إليه وإن لم يكن واجباً وقال النبي (ﷺ) ما عفا رجل عن مظلمة قطّ إلاّ زاده الله بها عزّاً ثم ذكر سبحانه أنه يحب المحسنين والمحسن هو المنعم على غيره على وجه عار من وجوه القبح ويكون المحسن أيضاً هو الفاعل للأفعال الحسنة من وجوه الطاعات والقربات وروي أن جارية لعلي بن الحسين جعلت تسكب عليه الماء ليتهيأ للصلاة فسقط الابريق من يدها فشجه فرفع رأسه إليها فقالت له الجارية إن الله تعالى يقول ﴿ **والكاظمين الغيظ** ﴾ فقال لها قد كظمت غيظي قالت ﴿ **والعافين عن الناس** ﴾ قال قد عفا الله عنكِ قالت ﴿ **والله يحب المحسنين** ﴾ قال اذهبي فأنتِ حرة لوجه الله .

﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾

[**اللغة**] أصل الفاحشة الفحش وهو الخروج إلى عظيم القبح أو رأي العين فيه

(١) [بعيد من الله] .

ولذلك قيل للطويل المفرط أنه لفاحش الطول وأفْحَش فلانٌ إذا أفصح بذكر الفحش والاصرار أصله الشدّ من الصُرّة والصَرّ شدة البرد فكأنما هو ارتباط الذنب بالإقامة عليه وقيل أصله الثبات على الشيء وقال الحطيئة يصف الخيل :

عَوابِسُ بِالْشُعْثِ الكُماةِ إذا انْتَقَوْا عُـلالَتَهـا بِـالمِخْصَـراتِ أصَـرَّت(١)

أي إذا إختاروا بقية جريها بالسياط ثبتت على جريها

[**الإعراب**] والذين عطف على المتقين وقيل رفع على الاستئناف كأنه عطف جملة على جملة فعلى القول الأول هم فرقة واحدة وعلى القول الثاني هم فرقتان ويجوز أن يكون راجعاً إلى الأولين ويكون محله رفعاً على المدح وقوله إلا الله يرتفع الله حملاً على المعنى لا على اللفظ إذ ليس قبله جحد وتقديره وهل يغفر الذنوب أحد إلا الله أو هل رأى أحد يغفر الذنوب إلا الله ومعناه لا يغفر الذنوب إلا الله لأن الاستفهام قد يقع موقع النفي ونعم أجر العاملين المخصوص بالمدح محذوف وتقديره ونعم أجر العاملين أجرهم .

[**النزول**] روي أن قوماً من المؤمنين قالوا يا رسول الله بنو إسرائيل أكرم على الله منا كان أحدهم إذا أذنب أصبحت كفارة ذنبه مكتوبة على عتبة بابه (أجدع أنفك أو أذنك افعل كذا) فسكت رسول الله (ﷺ) فنزلت الآية فقال ألا أخبركم بخير من ذلكم وقرأ عليهم هذه الآية عن ابن مسعود وفي ذلك تسهيل لما كان قد شدد فيه على بني إسرائيل إذ جعل الاستغفار بدلاً منه وقيل نزلت، في نبهان التمار أتته امرأة تبتاع منه تمراً فقال لها إن هذا التمر ليس بجيّد وفي البيت أجود منه وذهب بها إلى بيته فضمّها إلى نفسه فقبّلها فقالت له إتق الله فتركها وندم وأتى النبي (ﷺ) وذكر له ذلك فنزلت الآية عن عطاء .

[**المعنى**] ﴿ **والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم** ﴾ اختلفوا في الفاحشة وظلم النفس فقيل الفاحشة الزنا وظلم النفس سائر المعاصي عن السدي وجابر وقيل الفاحشة الكبائر وظلم النفس الصغائر عن القاضي عبد الجبار ابن أحمد الهمداني وقيل الفاحشة إسم لكل معصية ظاهرة وباطنة إلا أنها لا تكاد تقع إلا على الكبيرة عن علي بن عيسى وقيل فعلوا فاحشة فعلاً أو ظلموا أنفسهم قولاً ﴿ **ذكروا الله** ﴾ أي ذكروا وعيد الله فانزجروا عن المعصية واستغفروا لذنوبهم فيكون من الذكر بعد النسيان وإنما مدحهم

(١) الشعث من لم يتعاهد شعره بالمشط والكماة . والكماة جمع الكمى الشجاع . والانتقاء : الاختيار العلالة : بقية جرى الفرس .

لأنهم تعرضوا للذكر وقيل ذكروا الله بأن قالوا اللهم إغفر ما ذنوبنا فإنا تبنا نادمين عليها مقلعين عنها وقوله ﴿ **ومن يغفر الذنوب إلا الله** ﴾ من لطيف فضل الله تعالى وبليغ كرمه وجزيل منّته وهو الغاية في ترغيب العاصين في التوبة وطلب المغفرة والنهاية في تحسين الظن للمذنبين وتقوية رجاء المجرمين وهذا كما يقول السيد لعبده وقد أذنب ذنباً اعتذر إليّ ومن يقبل عذرك سواي وإذا سئل أن العباد قد يغفر بعضهم لبعض الإساءة فالجواب أن الذنوب التي يستحق عليها العقاب لا يغفرها إلا الله وأيضاً فإنه أراد سبحانه غفران الكبائر العظام والإساءة من بعضنا إلى بعض صغيرة بالإضافة إليها ﴿ **ولم يصرّوا على ما فعلوا** ﴾ أي لم يقيموا على المعصية ولم يواظبوا عليها ولم يلزموها وقال الحسن هو فعل الذنب من غير توبة وهو قريب من الأول وذلك لا يكفي فإن التوبة مجرد الاستغفار مع الاصرار وذلك إن الاستغفار إنما يؤثر عند ترك الأصرار وقد روي عن النبي (ﷺ) أنه قال لا صغيرة مع الاصرار ولا كبيرة مع الاستغفار يعني لا تبقى الكبيرة كبيرة مع التوبة والاستغفار ولا تبقى الصغيرة صغيرة مع الأصرار وفي تفسير ابن عباس الاصرار السكون على الذنب بترك التوبة والاستغفار منه وقوله ﴿ **وهم يعلمون** ﴾ يحتمل وجوهاً (أحدها) أن معناه وهم يعلمون الخطيئة ذاكرين لها غير ساهين ولا ناسين لأنه تعالى يغفر للعبد ما نسيه من ذنوبه وإن لم يتب منه بعينه عن الجبائي والسدي (وثانيها) إن معناه وهم يعلمون الحجة في أنها خطيئة فإذا لم يعلموا ولا طريق لَهُم إلى العلم به كان الإثم موضوعاً عنهم كمن تزوج أمة من الرضاع والنسب وهو لا يعلم به فإذا لا يأثم وهذا معنى قول ابن عباس والحسن (وثالثها) إن المراد وهم يغلمون إن الله يملك مغفرة ذنوبهم عن الضحاك ﴿ **أولئك** ﴾ إشارة إلى من تقدم وصفهم من المتقين الذين ينفقون في السراء والضراء إلى آخر الكلام أي هؤلاء ﴿ **جزاؤهم** ﴾ على أعمالهم وتوبتهم ﴿ **مغفرة من ربهم** ﴾ أي ستر لذنوبهم ﴿ **وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها** ﴾ قد مرّ تفسيرها في سورة البقرة ﴿ **ونعم أجر العاملين** ﴾ هذا يعني ما وصفه من الجنات وأنواع الثواب والمغفرة بستر الذنوب حتى تصير كأنها لم تعمل في زوال العار بها والعقوبة عليها والله تعالى متفضل بذلك لأن إسقاط العقاب عند التوبة تفضل منه وأما إستحقاق الثواب بالتوبة فواجب لا محالة عقلاً لأنه لو لم يكن مستحقاً بالتوبة لقبح تكليفه التوبة لما فيها من المشقة .

[**النظم**] قيل إن الآية اتصلت بما قبلها لأنها من صفة المتقين وقيل بل هما فرقتان بيَّن تعالى أن الجنة للمتقين المنفقين في السراء والضراء إلى آخر الآية ولمن عثر ثم تاب ولم يصرّ .

﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾ هَـٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾

[**اللغة**] السنة الطريقة المجعولة ليقتدى بها ومن ذلك سنة رسول الله (ﷺ) قال لبيد :

مِنْ مَعْشَرٍ سَنَّتْ لَهُم آبَاؤُهُمْ وَلِكُلِّ قَوْمٍ سُنَّةٌ وَإِمَامُهَا

وقال سليمان بن قتة :

وَإِنَّ الأُولىٰ بِالطَفِّ مِنْ آلِ هَاشِمٍ تَآسَوْا فَسَنُّوا لِلْكِرَامِ التَّآسِيا

وأصل السنة الاستمرار في جهة يقال سنّ الماء إذا صبَّه حتى يفيض من الإناء وسنّ السكين بالمسن إذا أمرَّه عليه لتحديده ومنه السن واحد الأسنان لاستمرارها على منهاج والسنان لاستمرار الطعن به والسنن إستمرار الطريق والعاقبة ما يؤدي إليها السبب المتقدم وليس كذلك الآخرة لأنه قد كان يمكن أن تجعل هي الأولى في العدة والموعظة ما يلين القلب ويدعو إلى التمسك بما فيه من الزجر عن القبيح والدعاء إلى الجميل وقيل الموعظة هو ما يدعو بالرغبة والرهبة إلى الحسنة بدلاً من السيئة .

[**المعنى**]لما بيَّن سبحانه ما يفعله بالمؤمن والكافر في الدنيا والآخرة بيَّن أن ذلك عادته في خلقه فقال ﴿ **قد خلت** ﴾ أي قد مضت ﴿ **من قبلكم** ﴾ يا أصحاب محمد (ﷺ) وقيل هو خطاب لمن إنهزم يوم أحد ﴿ **سنن** ﴾ من الله في الأمم السالفة إذا كذبوا رسله وجحدوا نبوتهم بالاستيصال وتبقية آثارهم في الديار للاعتبار والاتعاظ عن الحسن وابن إسحاق وقيل سنن أي أمثال عن ابن زيد وقيل سنن أمم والسنة الأمة عن المفضل وقال الشاعر :

مَا عَايَنَ النَّاسُ مِنْ فَضْلٍ كَفَضْلِكُم وَلَا رَأَوْا مِثْلَكُمْ فِي سَالِفِ السُّنَنِ

وقيل معناه أهل سنن وقيل معناه قد مضت لكل أمة سنة ومنهاج إذا اتبعوها رضي الله عنهم عن الكلبي ﴿ **فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين** ﴾ أي تعرفوا أخبار المكذبين وما نزل بهم لتتعظوا بذلك وتنتهوا عن مثل ما فعلوه ولا تسلكوا في

التكذيب والإنكار طريقتهم فيحل بكم من العذاب ما حلَّ بهم وأراد بالمكذبين الجاحدين للبعث والنشور والثواب والعقاب جازاهم الله تعالى في الدنيا بعذاب الاستيصال وفي الآخرة بأليم العذاب وعظيم النكال ﴿ **هذا** ﴾ إشارة إلى القرآن ﴿ **بيان للناس** ﴾ أي دلالة وحجة لهم كافة عن الحسن وقتادة وقيل إشارة إلى ما تقدم من قوله ﴿ **قد خلت من قبلكم سنن** ﴾ أي هذا الذي عرفتكم بيان للناس عن ابن أبي إسحاق واختاره البلخي والطبري ﴿ **وهدى** ﴾ قال علي بن عيسى الفرق بين البيان والهدى إن البيان إظهار المعنى للغير كائناً ما كان والهدى بيان لطريق الرشد ليسلك دون طريق الغيّ ﴿ **وموعظة للمتقين** ﴾ وإنما خصّ المتقين به مع كونه بياناً وهدى وموعظة للناس كافة لأن المتقين هم المنتفعون بهِ والمهتدون بهداه والمتعظون بمواعظه .

﴿ وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾

[**القراءة**] قرأ أهل الكوفة غير حفص قُرح بضم القاف فيهما وكذلك قوله ﴿ **من بعد ما أصابهم القرح** ﴾ والباقون بفتح القاف .

[**الحجة**] قال أبو علي قَرح وقُرح مثل ضَعف وضُعف والكَره والكُره والدَفء والدُفء والشَهد والشُهد قال أبو الحسن قرح يقرح قَرحاً وقُرحاً فهذا يدل على أنهما مصدران ومن قال أن القَرح الجراحات بأعيانها والقُرح أَلم الجراحات قُبِلَ ذلك منه إذا أَتى فيه برواية لأن ذلك مما لا يعلم بالقياس .

[**اللغة**] الوهن الضعف والوهن والموهن ساعة تمضي في الليل الأعلون واحده الأعلى ومؤنثه العلياء وجمعه العليات والعلى والفرق بين اللمس والمس أن اللمس لصوق بإحساس والمس لصوق فقط والدولة الكَرَّة لفريق بنيل المراد وأدال الله فلاناً من فلان إذا جعل الكرة له عليه وتداول القوم الشيء إذا صار من بعضهم إلى بعض وضَمُّ الدال في الدَوْلَة وفتحها لغتان وقيل الضم في المال والفتح في الحرب .

[**الإعراب**] وأنتم الأعلون جملة في موضع الحال كأنه قال ﴿ **لا تحزنوا عالين** ﴾ أي منصورين على الأعداء ويحتمل أن يكون لا موضع لها في الإعراب لأنها إعتراض بوعد مؤكد وتقديره ولا تهنوا ولا تحزنوا إن كنتم مؤمنين وأنتم الأعلون مع ذلك وقوله ﴿ **وليعلم الله** ﴾ العامل في اللام محذوف يدل عليه أول الكلام وتقديره وليعلم الله الذين آمنوا نداولها ويجوز أن يعمل فيه نداولها الذي في اللفظ وتقديره نداولها بين الناس بضروب من التدبير وليعلم الله الذين آمنوا .

[**النزول**] قيل نزلت الآية تسلية للمؤمنين لما نالهم يوم أحد من القتل والجراح عن الزهري وقتادة وابن أبي نجيح وقيل لما إنهزم المسلمون في الشعب وأقبل خالد بن الوليد بخيل من المشركين يريد أن يعلو عليهم الجبل فقال النبي اللهم لا يَعْلُنَّ علينا اللهم لا قوة لنا إلا بك اللهم ليس يعبدك بهذه البلدة إلا هؤلاء النفر فأنزل الله تعالى الآية وتاب نفر رماة فصعدوا الجبل[1] ورموا خيل المشركين حتى هزموهم وعلا المسلمون الجبل فذلك قوله ﴿ **وأنتم الأعلون** ﴾ عن ابن عباس وقيل نزلت الآية بعد يوم أحد حين أمر رسول الله (ﷺ) أصحابه بطلب القوم وقد أصابهم من الجراح ما أصابهم وقال (ﷺ) لا يخرج إلاّ من شهد معنا بالأمس فاشتد ذلك على المسلمين فأنزل الله تعالى هذه الآية عن الكلبي ودليله قوله تعالى ﴿ **ولا تهنوا** ﴾ في ابتغاء القوم الآية .

[**المعنى**] ثم حَثَّ الله تعالى المسلمين على النجدة ونهاهم عن الوهن والحزن ووعدهم الغلبة في الحال وحسن العاقبة في المآل فقال ﴿ **ولا تهنوا** ﴾ أي ولا تضعفوا عن قتال عدوكم ﴿ **ولا تحزنوا** ﴾ بما يصيبكم في أموالكم وأبدانكم وقيل لا تضعفوا بما نالكم من الجراح ولا تحزنوا على ما نالكم من المصائب بقتل الإخوان وقيل لا تهنوا بما نالكم من الهزيمة ولا تحزنوا على ما فاتكم من الغنيمة ﴿ **وأنتم الأعلون** ﴾ أي الظافرون المنصورون الغالبون عليهم في العاقبة وقيل أراد وأنتم الأعلون في المكان ﴿ **إن كنتم مؤمنين** ﴾ معناه إن من كان مؤمناً يجب أن لا يهن ولا يحزن لثقته بالله ويحتمل أن يكون معناه إن كنتم مصدقين بوعدي لكم بالنصرة والظفر على عدوكم فلا تهنوا ولا تحزنوا ثم أخذ سبحانه في تسلية المؤمنين فقال ﴿ **إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله** ﴾ معناه إن يُصِبكم جراح فقد أصاب القوم جراح مثله عن ابن عباس وقيل إن يُصِبكم ألم وجراح يوم أحد فقد أصاب القوم ذلك يوم بدر وقال أنس بن مالك أُتِيَ رسول الله (ﷺ) بعلي (ع) يومئذ وفيه نيف وستون جراحة من طعنة وضربة ورمية فجعل رسول الله (ﷺ)

يمسحها وهي تلتئم بإذن الله كأن لم تكن وعن ابن عباس قال لمّا كان يوم أحد صعد أبو سفيان الجبل فقال رسول الله (ﷺ) اللهم أنه ليس لهم أن يعلونا فمكث أبو سفيان ساعة وقال يوماً بيوم وأن الأيام دول وإن الحرب سِجال فقال (ع) أجيبوه فقالوا لا سواء قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار فقال لنا عزى ولا عزى لكم فقال النبي (ﷺ) والله مولانا ولا مولى لكم فقال أبو سفيان أُعْلُ هبل فقال (ﷺ) الله تعالى أعلى وأجل ﴿ **وتلك الأيام نداولهابين الناس** ﴾أي نصرفها[١] مرة لفرقة ومرة عليها عن الحسن وقتادة والربيع والسدي وابن إسحاق وإنما يصرف الله الأيام بين المسلمين وبين الكفار بتخفيف المحنة عن المسلمين أحياناً وتشديدها عليهم أحياناً لا بنصرة الكفار عليهم لأن الله لا ينصر الكفار على المسلمين لأن النصرة تدل على المحبة والله تعالى لا يحب الكافرين وإنما جعل الله الدنيا متقلبة لكيلا يطمئن المسلم إليها ولتقل رغبته فيها أو حرصه عليها إذ تفنى لذاتها ويطعن مقيمها ويسعى للآخرة التي يدوم نعيمها وإنما جعل الدولة مرة للمؤمنين ومرة عليهم ليدخل الناس في الإيمان على الوجه الذي يجب الدخول فيه كذلك وهو قيام الحجة فإنه لو كانت الدولة أبداً للمؤمنين لكان الناس يدخلون في الإيمان على سبيل اليمن والفال على أن كل موضع حضره النبي (ﷺ) لم يخل من ظفر إما في إبتداء الأمر وإما في إنتهائه وإنما لم يستمر ذلك لما بيناه وقوله ﴿ **وليعلم الله الذين آمنوا** ﴾ المفعول الثاني ليعلم محذوف وتقديره وتلك الأيام نداولها بين الناس لوجوه من المصالح وضروب من الحكمة وليعلم الله الذين آمنوا متميزين بالإيمان من غيرهم وعلى هذا لا يكون يعلم بمعنى يعرف لأنه ليس المعنى أنه يعرف الذوات بل المعنى أنه يعلم تميزها بالإيمان ويجوز أن يكون المعنى ليعلم الله الذين آمنوا بما يظهر من صبرهم على جهاد عدوهم أي يعاملهم معاملة من يعرفهم بهذه الحال وإذا كان الله تعالى يعلمهم قبل إظهارهم الإيمان كما يعلمهم بعده فإنما يعلم قبل الإظهار أنهم سيميزون فإذا أظهروه علمهم متميزين ويكون التغير حاصلاً في المعلوم لا في العالم كما أن أحدنا يعلم الغد قبل مجيئه على معنى أنه سيجيء فإذا جاء علمه جائياً وعلمه يوماً لا غداً فإذا إنقضى فإنما يعلمه الأمس لا يوماً ولا غداً ويكون التغيّر واقعاً في المعلوم لا في العالم وقيل معناه وليعلم أولياء الله الذين آمنوا وإنما أضاف إلى نفسه تفخيماً وقيل معناه ليظهر المعلوم من صبر من يصبر وجزع من يجزع وإيمان من يؤمن وقيل ليظهر المعلوم من الإخلاص والنفاق ومعناه ليعلم

---

(١) أي مرة لنا ومرة علينا .

الله المؤمن من المنافق فاستغنى بذكر أحدهما عن الآخر وقوله ﴿ **ويتخذ منكم شهداء** ﴾ قيل فيه قولان (أحدهما) إن معناه ليكرم بالشهادة من قتل يوم أحد عن الحسن وقتادة وابن إسحاق (والآخر) ويتخذ منكم شهداء على الناس بما يكون منهم من العصيان لما لكم في ذلك من جلالة القدر وعلّو المرتبة والشهداء يكون جمع شاهد وجميع شهيد عن أبي علي الجبائي وإنما سمّوا شهداء لمشاهدتهم الأعمال التي يشهدون بها وأما في جمع الشهيد فلأنهم بذلوا الروح عند شهود الوقعة ولم يفرّوا ﴿ **والله لا يحبّ الظالمين** ﴾ ظاهر المعنى وفائدته أنه تعالى بيّن أنه لا يُمكّن الظالمين منهم لمحبته لهم ولكن لأحد المعاني التي ذكرها وليمحّص ذنوب المؤمنين كما قاله فيما بعد .

﴿ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمْحَقَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾

[**اللغة**] أصل التمحيص التخليص قال الخليل المحص الخلوص من العيب ومَحَصتُه امحصه محصاً إذا خلصته من كل عيب ويقال اللهم مَحِصّ عنا ذنوبنا أي اذهبها عنا لأنه تخليص الحسنات بتكفير السيئات وأصل المحق فناء الشيء حالاً بعد حال ولهذا دخله معنى النقصان وانمحق الشيء إنمحاقاً وامتحق الشيء وتمحق إذا ذهبت بركته حالاً بعد حال والمحاق آخر الشهر لذهاب ضوء الهلال حالاً بعد حال .

[**المعنى**] ثُمّ بيَّن تعالى وجه المصلحة في مداولة الأيام بين الناس فقال ﴿ **وليمحص الله الذين آمنوا** ﴾ قيل في معنى الآية أقوال (أحدها) وليمحص الله أي وليبتلي الله الذين آمنوا ﴿ **ويمحق الكافرين** ﴾ ينقصهم عن ابن عباس ومجاهد والسدي (وثانيها) ليخلّص الله ذنوب المؤمنين عن الزجاج ـ (وثالثها) ـ ينجي الله الذين آمنوا من الذنوب بالابتلاء ويهلك الكافرين بالذنوب عند الابتلاء عن علي بن عيسى وإنما قابل بين التمحيص والمحق لأن محص هؤلاء بإهلاك ذنوبهم نظير محق اولئك بإهلاك أنفسهم وهذه مقابلة في المعنى وفي هذه الآية دلالة على أنه تعالى إنما يداول بين الناس لتمحيص ذنوب المؤمنين ومحق الكافرين وإنما يمحصهم بالمداولة لشيئين ـ (أحدهما) ـ إن في تخليتهم وتمكين الكافرين منهم تعريضاً لهم للصبر الذي يستحقون به عظيم الأجر ويحط به عنهم كثيراً من أثقال الوزر ـ (والثاني) ـ إن في ذلك لطفاً لهم يعصمهم عن اقتراف نفوسهم الإثم .

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّـةَ وَلَمَّا

يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ وَيَعۡلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَقَدۡ
كُنتُمۡ تَمَنَّوۡنَ ٱلۡمَوۡتَ مِن قَبۡلِ أَن تَلۡقَوۡهُ فَقَدۡ رَأَيۡتُمُوهُ وَأَنتُمۡ
تَنظُرُونَ ﴿١٤٣﴾

[**اللغة**] الفرق بين التمني والإرادة ان الإرادة من أفعال القلوب والتمني قول القائل ليت كان كذا أو ليت لم يكن وقيل إن التمني معنى في القلب يطابق هذا القول والصحيح هو الأول .

[**الإعراب**] أم في قوله أم حسبتم هي المنقطعة وتقديره بل أحسبتم وهو استفهام على وجه الإنكار والفرق بين لم ولما أن لما جواب لقول القائل قد فعل فلان يريد به الحال وإذا قال فعل فجوابه لم يفعل لما كان أصلها لم مؤكدة بحرف كانت جواباً لما هو مؤكد بحرف وقوله ويعلم الصابرين نصب على الصرف عن العطف إذ ليس المعنى على نفي الثاني والأول وإنما هو على نفي اجتماع الثاني والأول وتقديره وإن يعلم فيكون منصوباً بإضمار أن والمعنى ولما يقع العلم بالجهاد والعلم بصبر الصابرين وروي عن الحسن أنه قرأ ويعلمِ الصابرين بالكسر عطفاً على الأول .

[**المعنى**] لمّا حَثَّ الله على الجهاد ورَغَّب فيه زاد في البيان والأخبار بأن الجنة لا تنال إلا بالبلوى والاختبار فقال ﴿ **أم حسبتم أن تدخلوا الجنة** ﴾ المراد به الإنكار أي أظننتم أيها المؤمنون أنكم تدخلون الجنة ﴿ **ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين** ﴾ أي ولما يجاهد المجاهدون منكم فيعلم الله جهادهم ويصبر الصابرون منكم فيعلم صبرهم على القتال وإنما جاز ولمّا يعلم الله الذين جاهدوا منكم على معنى نفي الجهاد دون العلم لما في ذلك من الإيجاز في انتفاء جهادهم لأنه لو كان لعلمه وتقديره ولمّا لم يكن المعلوم من الجهاد الذي أوجب عليكم لأن المعنى مفهوم لا يشتبه ﴿ **ولقد كنتم** ﴾ يا أصحاب محمد ﷺ ﴿ **تمنّون الموت** ﴾ أي تتمنون الموت فحذف إحدى التائين للتخفيف وذلك أن قوماً ممن فاتهم شهود بدر كانوا يتمنون الموت بالشهادة بعد بدر قبل أحد فلما رأوه يوم أحد أعرض كثير منهم عنه فانهزموا فعاتبهم الله على ذلك عن الحسن ومجاهد والربيع وقتادة والسدي ﴿ **من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه** ﴾ الهاء في تلقوه ورأيتموه راجعة إلى الموت أي من قبل أن تلقوا أسباب الموت وهو الحرب فقد رأيتموها لأن

الموت لا يرى ونحو ذلك قول الشاعر : (والموت تحت لواء آل مُحَلِّم) أي أسباب الموت وقيل الهاء راجعة إلى الجهاد ﴿ **وأنتم تنظرون** ﴾ قيل أنه تأكيد للرؤية كما يقال رأيته عياناً فرأيته بعيني وسمعته بأذني لأن لا يتوهم رؤية القلب وسمع العلم وقيل معناه وأنتم تتأملون الحال في ذلك كيف هي فعلى هذا يكون النظر بمعنى الفكر وقيل معناه وأنتم تنظرون إلى محمد ﷺ وفيه حذف أي فلم انهزمتم لأنه موضع عتاب فإن قيل كيف يتمنى قتل المشركين لهم لينالوا منزلة الشهادة وهل يجوز ذلك قلنا ذلك لا يجوز لأن قتل المشركين لهم معصية ولا يجوز تمني المعاصي كما لا يجوز إرادتها ولا الأمر بها فإذا ثبت ذلك فإنما تمنوا الشهادة بالصبر على الجهاد إلى أن يقتلوا .

﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾

[**اللغة**] محمد أخذ من الحمد ، والتحميد فوق الحمد فمعناه المستغرق لجميع المحامد لأن التحميد لا يستوجبه إلا المستولي على الأمر في الكمال فأكرم الله عز اسمه نبيه وحبيبه ﷺ باسمين مشتقين من اسمه تعالى محمد ﷺ وأحمد وإليه أشار حسان بن ثابت في قوله :

نَبِيٌّ أَتَانَا بَعْدَ بَأسٍ وَفِتْرَةٍ مِنَ الدِّينِ وَالأَوْثَانُ فِي الأَرْضِ تُعْبَدُ
أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَرْسَلَ عَبْدَهُ بِبُرْهَانِهِ وَاللهُ أَعْلَى وَأَمْجَدُ
وَشَقَّ لَهُ مِنْ إِسْمِهِ لِيُجِلَّهُ فَذُو الْعَرْشِ مَحْمُودٌ وَهَذَا مُحَمَّدُ

[**الإعراب**] إنما دخل حرف الاستفهام على حرف الشرط وتقديره أتنقلبون إن مات أو قتل لأن الشرط لما انعقد به صار جملة واحدة وخبراً واحداً فكان بمنزلة تقديم الإسم على الفعل في الذكر إذا قيل أزيد قام فكذلك تقديمه في القسم والاكتفاء بجواب الشرط عن جواب القسم كما قال الشاعر :

حَلَفْتُ لَهُ إِنْ[1] تُدْلِجَ اللَّيْلَ لا يَزَلْ أَمَامَكَ بَيْتٌ مِنْ بُيُوتِي سَائِرُ

(١) ادلج القوم : ساروا ليلاً .

[**النزول**] قال أهل التفسير سبب نزول هذه الآية أنه لما أُرْجف بأن النبي ﷺ قد قتل يوم أحد وأشيع ذلك قال أناس لو كان نبياً لما قتل وقال آخرون نقاتل على ما قاتل عليه حتى نلحق به وارتد بعضهم وانعزم بعضهم وكان سبب انهزامهم وتضعضهم اخلال الرماة لمكانهم من الشعب وكان رسول الله ﷺ نهاهم عن الإخلال به وأمر عبد الله بن جبير وهو أخو خوّات ابن جبير على الرماة وهم خمسون رجلاً وقال لا تبرحوا مكانكم فإنا لا نزال غالبين ما ثَبّتم بمكانكم وجاءت قريشُ على ميمنتهم خالد بن الوليد وعلى ميسرتهم عكرمة بن أبي جهل ومعهم النساء يضربن بالدفوف وينشدن الأشعار فقالت هند :

نَحْنُ بَنَاتُ طَارِقِ نَمْشِي عَلَى النَّمارِقِ(١) إِنْ تُقْبِلُوا نُعانِقِ أَوْ تُدْبِرُوا نُفارِق
فِراقَ غَيْرِ وامِقِ

وكان أبو عامر عبد عمرو بن الصيفي أول من لقيهم بالأحابيش (٢) وعبيد أهل مكة فقاتلهم قتالاً شديداً وحميت الحروب فقال رسول الله من يأخذ هذا السيف بحقه ويضرب به العدو أو العبيد حتى ينحني فأخذه أبو دجانة سماك بن خرشة الأنصاري فلما أخذ السيف اعتم بعمامة حمراء وجعل يفتخر تبختراً ويقول :

أَنَــا الَّـذِي عَــاهَــدَنِي خَلِيلِي أَنْ لا أُقِيمَ الدَّهْرَ فِي الْكَيُولِ(٣)
أَضْرِبْ بِسَيْفِ اللهِ والرَّسُولِ

فقال رسول الله ﷺ إنها لَمِشْية يبغضها الله ورسوله إلّا في هذا الموضع ثم حمل النبي ﷺ وأصحابه على المشركين فهزموهم وقتل علي بن أبي طالب (ع) أصحاب اللواء كما تقدم بيانه وأنزل الله نصرته على المسلمين قال الزبير فرأيت هنداً وصواحبها هاربات مصعدات في الجبال نادية خدامهن ما دون أخذهن شيء فلما نظرت الرماة إلى القوم قد انكشفوا ورأوا النبي وأصحابه ينتهبون الغنيمة أقبلوا يريدون النهب واختلفوا فقال بعضهم لا تتركوا أمر الرسول وقال بعضهم ما بقي من الأمر شيء ثم انطلق عامتهم ولحقوا بالعسكر فلما رأى خالد بن الوليد قلة الرماة واشتغال المسلمين بالغنيمة ورأى ظهورهم خالية صاح

(١) النمرقة: البساط. الروامق: المحب.
(٢) الأحابيش: موضع بينه وبين مكة ستة أميال. (٣) الكَيُول: آخر صفوف الجيش في الحرب.

في خيله من المشركين وحمل على أصحاب النبي ﷺ من خلفهم فهزموهم وقتلوهم ورمى عبد الله بن قمية الحارثي رسول الله بحجر وكسر أنفه ورباعيته وشجّه في وجهه فأثقله وتفرق عنه أصحابه وأقبل يريد قتله فذبّ مصعب بن عمير وهو صاحب راية رسول الله يوم بدر ويوم أحد وكان اسم رايته العقاب عن رسول الله ﷺ حتى قتل مصعب بن عمير قتله ابن قمية فرجع وهو يرى أنه قتل رسول الله ﷺ وقال إني قتلت محمداً وصاح صائح ألا ان محمداً قد قتل ويقال أن ذلك الصائح كان إبليس لعنه الله فانكف الناس وجعل رسول الله ﷺ يدعو الناس ويقول إليّ عبادَ الله فاجتمع إليه ثلاثون رجلاً فحموه حتى كشفوا عنه المشركين ورمى سعد بن أبي وقاص حتى اندقت سية قوسه وأصيبت يد طلحة بن عبيد الله فيبست وأصيبت عين قتادة بن النعمان يومئذ حتى وقعت على وجنته فردها رسول الله مكانها فعادت كأحسن ما كانت فلما انصرف رسول الله ﷺ أدركه أبي بن خلف الجمحي وهو يقول لا نجوتُ ان نجوتَ فقال القوم يا رسول الله ألا يعْطف عليه أحد منا فقال دعوه حتى إذا دنا منه وكان أبيّ قبل ذلك يلقى رسول الله فيقول عندي رَمَكة أعلفها كل يوم فَرْق ذُرّة أقتلك عليها فقال رسول الله بل أنا أقتلك إن شاء الله فلما كان يوم أحد ودنا منه تناول رسول الله الحربة من الحرث بن الصمة ثم استقبله فطعنه في عنقه وخدشه خدشة فتدهده عن فرسه وهو يخور كما يخور الثور وهو يقول قتلني محمد فاحتمله أصحابه وقالوا ليس عليك بأس قال بلى لو كانت هذه بربيعة ومضر لَقتلتْهم أليس قال لي اقتلك فلو بزق علي بعد تلك المقالة لقتلني فلم يلبث إلا يوماً حتى مات قال وفشا في الناس أن رسول الله قد قتل فقال بعض المسلمين ليت لنا رسولاً إلى عبد الله بن أبيّ فيأخذ لنا أمانا من أبي سفيان وبعضهم جلسوا وألقوا بأيديهم وقال أناس من أهل النفاق إن كان محمد قد قتل فالحقوا بدينكم الأول فقال أنس بن نضر عم أنس بن مالك يا قوم إن كان قد قتل محمد فربّ محمد لم يقتل وما تصنعون بالحياة بعد رسول الله فقاتلوا على ما قاتل عليه رسول الله وموتوا على ما مات عليه ثم قال اللهم إني أعتذر إليك مما يقول هؤلاء يعني المسلمين وابرء إليك مما جاء به هؤلاء يعني المنافقين ثم شدّ بسيفه فقاتل حتى قتل ثم أن رسول الله انطلق إلى الصخرة وهو يدعو الناس فأول من عرف رسول الله كعب بن مالك قال عرفت عينيه تحت المغفر تزهران فناديت بأعلى صوتي يا معشر المسلمين أبشروا فهذا رسول الله فأشار إليّ أن أُسكت فانحازت إليه طائفة من أصحابه فلامهم النبي على الفرار فقالوا يا رسول الله فديناك بآبائنا وأمهاتنا أتانا الخبر بأنك قتلت فَرُعبتْ قلوبنا فولينا مدبرين فأنزل الله تعالى ﴿ **وما محمد إلا رسول** ﴾ الآية .

[**المعنى**] ثم بيّن سبحانه أنه لا ينبغي أن يترك أمر الله تعالى كان الرسول بين أظهرهم أو لم يكن فقال ﴿ **وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل** ﴾ يعني أنه بشر اختاره الله لرسالته إلى خلقه قد مضت قبله رسل بعثوا فأدوا الرسالة ومضوا وماتوا وقتل بعضهم وأنه يموت كما ماتت الرسل قبله فليس الموت بمستحيل عليه ولا القتل وقيل أراد أن أصحاب الأنبياء لم يرتدّوا عند موتهم أو قتلهم فاقتدوا بهم ثم أكّد ذلك فقال ﴿ **أفإن مات أو قتل أنقلبتم على أعقابكم** ﴾ معناه أفإن أماته الله أو قتله الكفار ارتددتم كفاراً بعد إيمانكم فسمي الارتداد انقلاباً على العقب وهو الرجوع القهقرى لأن الردة خروج إلى أقبح الأديان كما أن الانقلاب خروج إلى أقبح ما يكون من المشي والألف في قوله أفإن مات ألف انكار صورته صورة الاستفهام ومثله أتختار الفساد على الصلاح والخطأ على الصواب وفي قوله مات أو قتل دلالة على أن الموت غير القتل لأن الشيء لا يعطف على نفسه فالقتل هو نقض بنية الحياة والموت فساد البُنية التي تحتاج إليها الحياة(١) وقيل الموت معنى يضاد الحياة والصحيح الأول ﴿ **ومن ينقلب على عقبيه** ﴾ يعني من يرتدّ عن دينه ﴿ **فلن يضر الله شيئاً** ﴾ لأنه لا يجوز عليه المضار بل مضرته عائدة عليه لأنه مستحق للعقاب الدائم ﴿ **وسيجزي الله الشاكرين** ﴾ أي يثيب الله الشاكرين على شكرهم لنعم الله واعترافهم بها وقيل المراد بالشاكرين المطيعين لأن الطاعات هي شكر الله على نعمه وهذا يتصل بما قبله اتصال الوعد بالوعيد لأن قوله فلن يضر الله شيئاً دليل على معنى الوعيد فكأنه قال من يرتدّ عادة ضرره عليه ومن شكر وآمن فنفعه يعود إليه .

[فصل في ذكر ما جاء في اسم محمد ﷺ]

كانت كفار قريش يشتمون مذمماً يعنون اسم النبي ﷺ فروى أبو هريرة عن النبي ﷺ قال ألم تروا كيف صرف الله عني لعن قريش وشتمهم يشتمون مذمماً وأنا محمد وفي مسند علي بن موسى الرضا عن آبائه عن النبي ﷺ أنه قال إذا سميتم الولد محمداً فأكرموه وأوسعوا له في المجلس ولا تقبحوا له وجهاً وما من قوم كان لهم مشورة فحضر معهم مَنْ اسمه محمد أو أحمد فأدخلوه في مشورتهم إلا خير لهم وما من مائدة وضعت فحضرها من اسمه محمد أو أحمد إلا قدس في كل يوم ذلك المنزل مرتين وعن أنس بن مالك قال كان النبي ﷺ في السوق فقال رجل يا أبا القاسم فالتفت إليه رسول الله فقال الرجل إنما أدعو ذاك فقال رسول الله تسمّوا باسمي ولا تكنوا بكنيتي وعن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ

(١) [قيل فيه معان تضاد المعاني التي تحتاج إليها الحياة] .

لا تجمعوا بين اسمي وكنيتي أنا أبو القاسم الله يعطي وأنا أقسم ثم رخّص في ذلك لعلي (ع) وابنه وعن علي بن أبي طالب قال قال لي رسول الله ﷺ أن ولد لك غلام نحلته اسمي وكنيتي .

﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ۗ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ۚ وَسَنَجْزِى الشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٥﴾

[**الإعراب**] كتاباً نصب على المصدر لفعل محذوف دلّ عليه أول الكلام مع العلم بأن كل ما يكون فقد كتبه الله فتقديره كتب الله ذلك كتاباً وقال الأخفش اللام في قوله وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله منقولة عما دخل عليه في غيره وتقديره وما كان لنفس لتموت أي لأن تموت .

[**المعنى**] ﴿ **وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله** ﴾ ومعناه ما كان نفس لتموت إلا بإذن الله ومثله ﴿ **وما كان الله أن يتخذ من ولد** ﴾ أي وما كان الله ليتخذ ولداً وقوله ﴿ **وما كان لكم أن تنبتوا شجرها** ﴾ معناه ما كنتم لتنبتوا شجرها لأن انبات الشجر لا يدخل تحت قدرة البشر ففي الآية أخبار بأن الموت لا يكون إلا بإذن الله وهذا تسلية عما لحق النفوس بموت النبي ﷺ من جهة أنه بإذن الله ومعناه أنه إن مات فإنما يموت بإذن الله وعلمه كغيره من الناس فلا عذر لأحد في ترك دينه بعد موته وقيل أنّ فيه حضّاً على الجهاد من حيث لا يموت أحد إلا بإذن الله أي لا تتركوا الجهاد خشية القتل فإن ذلك لا يؤخر أجلاً قد حضر ولا يقدم الجهاد أجلاً لم يحضر فلا معنى للانهزام وقوله ﴿ **بإذن الله** ﴾ يحتمل أمرين (أحدهما) بعلم الله (والثاني) بأمر الله وقال أبو علي الجبائي فيه دلالة على أنه لا يقدر على الموت غير الله كما لا يقدر على ضدّه من الحياة غير الله ولو كان من مقدور غيره لم يكن بإذنه وقولهُ ﴿ **كتاباً مؤجلاً** ﴾ معناه كتب الله لكل حيٍّ أجلاً ووقتاً لحياتهِ ووقتاً لموتهِ لا يتقدم ولا يتأخر وقيل حتماً مؤقتاً وحكماً لازماً مبرماً ﴿ **ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها** ﴾ قيل في معناه أقوال (أحدها) أن المراد مَنْ عمل للدنيا لم نحرمه ما قسمنا له فيها من غير حظ في الآخرة عن ابن إسحاق أي فلا يغترّ بحاله في الدنيا (وثانيها) من أراد بجهاده ثواب الدنيا وهو النصيب من الغنيمة نؤته منها فبيّن أن حصول الدنيا للإنسان ليس بموضع غبطة

لأنها مبذولة للبر والفاجر عن أبي علي الجبائي (وثالثها) من تعرض لثواب الدنيا بعمل النوافل مع مواقعة الكبائر جوزي بها في الدنيا دون الآخرة لإحباط عمله بفسقه وهذا على مذهب من يقول بالاحباط ﴿ **ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها** ﴾ أي ومن يرد بالجهاد وأعماله ثواب الآخرة نؤته منها فلا ينبغي لأحد أن يطلب بطاعاته غير ثواب الله ومثله قوله تعالى ﴿ **من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه** ﴾ الآية، وقريب منها قول النبي ﷺ من طلب الدنيا بعمل الآخرة فما له في الآخرة من نصيب ومن في قوله منها يحتمل أن تكون زائدة ويحتمل أن تكون للتبعيض لأنه إنما يستحق الثواب على قدر العمل ﴿ **وسنجزي الشاكرين** ﴾ أي نعطيهم جزاء الشكر وفي تكراره قولان (أحدهما) أنه للتأكيد وللتنبيه على عظم منزلة الشاكرين (والثاني) أن معناه وسنجزي الشاكرين من الرزق في الدنيا لئلا يتوهم أن الشاكر يحرم ما يعطى الكافر من نعيم الدنيا عن ابن إسحاق وروى ابان بن عثمان عن أبي جعفر (ع) أنه أصاب علياً (ع) يوم أحد ستون جراحة وأن النبي ﷺ أمر أم سليم وأم عطية أن تداوياه فقالتا أنا لا نعالج منه مكاناً إلا انفتق مكان آخر وقد خفنا عليه فدخل رسول الله ﷺ والمسلمون يعودونه وهو قرحة واحدة فجعل يمسحه بيده ويقول ان رجلاً لقي هذا في الله فقد ابلى واعذر وكان القرح الذي يمسحه رسول الله ﷺ يلتئم فقال علي (ع) الحمد لله إذ لم أفرّ ولم أولي الدبر فشكر الله له ذلك في موضعين من القرآن وهو قوله ﴿ **وسيجزي الله الشاكرين من الرزق في الدنيا وسنجزي الشاكرين** ﴾ قال أبو علي الجبائي وفي هذه الآية دلالة على أن أجل الانسان إنما هو أجل واحد وهو الوقت الذي يموت فيه لأنه لا ينقطع بالقتل عن الأجل الذي أخبر الله بأنه أجل لموته وقال ابن الأخشيد لا دليل فيه على ذلك لأن للإنسان أجلين أجلاً يموت فيه لا محالة وأجلاً هو مَوْهبة من الله له ومع ذلك فلن يموت إلا عند الأجل الذي جعله الله أجلا لموته والأقوى الأول .

[**النظم**] اتصل قوله وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله بما قبله لأنه حثّ على الجهاد وقيل لأنه تسلية عما حق النفوس من الوجوم بموت النبي ﷺ وقيل للبيان بأن حالهم لا تختلف في التكليف بأن يموت النبي ﷺ فينبغي أن يتمسك بأمره في حياته وبعد وفاته .

﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَـٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْ

وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا
ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى
ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ
ٱلْـَٔاخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾

[**القراءة**] قرأ ابن كثير كائن على وزن كاعِنْ وأبو جعفر يلين الهمزة وهو قراءة الحسن والباقون كأيّن على وزن كَعَيّنْ وقرأ أهل البصرة وابن كثير ونافع قُتل بضم القاف بغير ألف وهي قراءة ابن عباس والباقون قاتل بالألف وهي قراءة ابن مسعود .

[**الحجة**] أصل كائِنْ أيُّ دخلت عليه كاف التشبيه كما دخلت على ذا من كذا وعلى أنَّ من كأنَّ وكثر استعمال الكلمة فصارتْ ككلمة واحدة فقلبت قلب الكلمة الواحدة فصار كَيَّأنْ فحذفت الياء الثانية كما حذفت في كَيِّنونة فصار كَيْإنْ مثل كَيْعِنْ ثم أبدلت من الياء الألف كما ابدلت من طائي فصار كائِنْ ثم لينت الهمزة على قراءة أبي جعفر قال الشاعر :

وَائِنْ رَدَدْنَا عَنْكُمُ مِنْ مُدَجَّجٍ يَجِيءُ أَمَامَ القَوْمِ يُرْدِي مُقَنَّعاً(١)

وقال آخر :

وَكائِنْ إِلَيْكُمْ عَادَ مِنْ رَأْسِ فِتْنَةٍ جُنُوداً وَأَمْثَالُ الْجِبَالِ كَتَائِبُهُ

وقد حذفت الياء من أي في قول الفرزدق :

تَنَوَّرْتُ نَسْراً وَالْسِّمَاكَيْنِ أَيْهُمَا عَلَيَّ مِنَ الْغَيْثِ آسْتَهَلَّتْ مَوَاطِرُهُ(٢)

وأما قُتِلَ فيجوز أن يكون مسنداً إلى ضمير نبيّ وإذا أسند هذا إلى الضمير احتمل هذا معه ربيون أمرين (أحدهما) أن يكون صفة لنبي فإذا قدرته هذا التقدير كان قولهُ

---

(١) المدجج اللابس السلاح . المقنع : الذي عليه بيضة الحديد .

(٢) تنورت أي نظرت من بعد. والنسر: كوكب. والسما كان أيضاً كوكبان نيِّران يقال لأحدهما الرامح وللآخر الاعزل ، والمراد بالغيث هنا السحاب. استهلّ المطر: انصبّ مع صوت. مواطر جمع الماطرة: ذات المطر. والضمير يرجع إلى الغيث .

ربيّون مرتفعاً بالظرف بلا خلاف لأن الظرف إذا اعتمد على ما قبله جاز أن يرفع على مذهب سيبويه أيضاً (والآخر) ألا تجعله صفة ولكن حالاً من الضمير في قتل والأحسن أن يكون الإسم الذي أسند إليه قتل قوله ربيون فيكون على هذا التقدير قوله معه متعلقاً بقتل وعلى القبيلتين الآخرين اللذين هما الصفة والحال متعلقاً في الأصل بمحذوف وكذلك من قرأ قاتل معه ربيون فهو يجوز فيه ما جاز في قراءة من قرأ قتل وحجة من قرأ قتل قوله ﴿ أفإن مات أو قتل ﴾ وحجة من قرأ قاتل أن القاتل قد مدح كما يمدح المقتول قال تعالى﴿ وقاتلوا وقتلوا ﴾ ومن جعل قوله معه ربيون صفة أضمر للمبتدأ الذي هو كَأَيِّنْ خبراً وموضع الكاف الجارة هي في كَأَيِّن مع المجرور رفع كما أن موضع الكاف في قوله كذا وكذا رفع ولا معنى للتشبيه فيها كما أنه لا معنى للتشبيه في كذا وكذا .

[**اللغة**] الوهن الضعف وقال وما ضعفوا من حيث ان انكسار الجسم بالخوف وغيره والضعف نقصان القوة والاستكانة اصلها من الكينة وهي الحالة السيَّئة يقال فلان بات بكينة أي بنية سوء والاسراف مجاوزة المقدار والافراط بمعناه وضدهما التقتير وقيل الإسراف مجاوزة الحق إلى الباطل بزيادة أو نقصان والأول اظهر يقال اسرفت الشيء أي نسيته لأنه جاوزه إلى غيره بالسهو عنه .

[**المعنى**] ثم أكَّد سبحانه ما تقدم بقوله ﴿**وكأين من نبي**﴾ أي وكم من رسول ﴿**قاتل**﴾ أي حارب أو قتل ﴿**معه ربيون كثير**﴾ ذكرنا تقديره في الحجة وقيل في ربّيون اقوال (أحدها) أنهم علماء فقهاءصبرّ[(١)] عن ابن عباس والحسن (وثانيها) أنهم جموع كثيرة عن مجاهد وقتادة (وثالثها) أنهم منسوبون إلى الرب ومعناه المتمسكون بعبادة الله عن الأخفش وقال غيره أنهم منسوبون إلى علم الرب (ورابعها) أن الربيون عشرة آلاف عن الزجاج وهو المروي عن ابي جعفر (وخامسها) ان الربيون الاتباع والربانيون الولاة عن ابن زيد ومن أسند الضمير الذي في قتل إلى نبي فالمعنى كم من قتل ذلك النبي وكان معه جماعة كثيرة فقاتل اصحابه بعد ﴿**وما وهنوا**﴾ وما فتروا ومن أسند قتل إلى الربيين دون ضمير نبي فالمعنى ما وهن باقيتهم بعد ما قُتل كثير منهم في سبيل الله إلى هذا ذهب الحسن لأنه كان يقول لم يقتل نَبيٌّ قطّ في معركة وإلى الأول ذهب ابن إسحاق وقتادة والربيع والسدي فعلى هذا يكون النبيُّ المقتولَ والذين معه لا يِهنُون، بَينَّ الله سبحانه أنه لو قُتل النبي كما ارجف بذلك يوم أحد لما أوجب ذلك ان يضعفوا ويهنوا كما لم يهن من

(١) وفي بعض المخطوطة «خبر» بدل «صَبَّر» .

كان مع الأنبياء بقتلهم وهو المروي عن أبي جعفر (ع) وقيل معناه فما وهنوا بقتل نبيهم ولا ضعفوا عن عدوّهم ولا استكانوا لما اصابهم في الجهاد عن دينهم عن ابن عباس وقيل فيما وهنوا أي فما جبنوا عن قتال عدوهم **﴿وما ضعفوا﴾** أي ما فتروا **﴿وما استكانوا﴾** أي وما خضعوا لعدوّهم عن الزجاج **﴿الله يحب الصابرين﴾** في الجهاد قال ابن الانباري أي فقد كان واجباً عليكم ان تقاتلوا على أمر نبيكم لو قتل كما قاتل أمم الأنبياء بعد قتلهم ولم يرجعوا عن دينهم **﴿وما كان قولهم﴾** عند القاء العدو **﴿إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا﴾** والمعنى ما كان قولهم إلا استغفارهم أي إلا قولهم ربنا اغفر لنا ذنوبنا وقوله ان قالوا اسم كان وقولهم خبره والضمير يعود إلى النبي ومن معه على أحد القولين وإلى الربيين في قول الآخر وقوله اغفر لنا ذنوبنا أي استرها علينا بترك عقابنا ومجازاتنا عليها **﴿واسرافنا في أمرنا﴾** أي تجاوزنا الحدّ وتفريطنا وتقصيرنا، رغَّب الله تعالى أصحاب الرسول في ان يقولوا هذا القول ولا يقولوا قولاً يدلّ على الضعف فيطمع الأعداء فيهم **﴿وثبّت اقدامنا﴾** في جهاد عدوك بتقوية القلوب وفعل الالطاف التي معها تثبت الاقدام فلا تزول للانهزام وقيل معناه ثبتنا على الدين فتثبت به اقدامنا **﴿ونصرنا﴾** على القوم وأعنّا **﴿على القوم الكافرين﴾** بالقاء الرعب في قلوبهم وامدادنا بالملائكة ثم بيَّن تعالى ما آتاهم عقيب دعائهم فقال **﴿فأثابهم الله﴾** يعني الذين وصفهم اعطاهم الله **﴿ثواب الدنيا﴾** وهو نصرهم على عدوّهم حتى ظفروا بهم وقهروهم وغلبوهم ونالوا منهم الغنيمة وحسن ثواب الآخرة وهو الجنة والمغفرة ويجوز أن يكون ما آتاهم في الدنيا من الظفر والفتح والنصر وأخذ الغنيمة ثواباً مستحقاً لهم على طاعاتهم لأن في ذلك التعظيم لهم والاجلال ولذلك تقول ان المدح على فعل الطاعة والتسمية بالأسماء الشريفة بعض الثواب ويجوز أن يكون اعطاهم الله ذلك تفضلاً منه تعالى أو لما لهم فيه من اللطف فيكون تسميته بأنه ثواب مجازاً وتوسعاً والثواب هو النفع الخالص المستحق المقارن للتعظيم والتبجيل **﴿والله يحب المحسنين﴾** في أقوالهم وأفعالهم والمحسن فاعل الحسن وقيل المحسن الذي يحسن إلى نفسه بطاعة ربه وقيل الذي يحسن إلى غيره.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَـٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَـٰكُمْ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّـٰصِرِينَ ﴿١٥٠﴾

[**اللغة**] الطاعة موافقة الإرادة المرغبة في الفعل وبالترغيب ينفصل عن الإجابة وإن

كان موافقة الإرادة حاصلة وفي الناس من قال الطاعة هي موافقة الأمر والاول أصح لأن من فعل ما يقتضي العقل وجوابه أو حسنه كان مطيعاً لله وإن لم يكن هناك أمر.

[**الإعراب**] يردوكم جزم لأنه جواب الشرط فتنقلبوا عطف عليه وخاسرين نصب على الحال وبل حقيقته الاضراب عن الأول إلى الثاني.

[**النزول**] قيل نزلت في المنافقين إذ قالوا للمؤمنين يوم أحد عند الهزيمة ارجعوا إلى اخوانكم وارجعوا إلى دينهم عن علي (ع) وقيل هم اليهود والنصارى عن الحسن وابن جريج .

[**المعنى**] ثم أمر سبحانه بترك الائتمار لمن ثبطهم عن الجهاد من الكفار وقال ﴿**يا أيها الذين آمنوا**﴾ أي صدقوا الله ورسوله ﴿**إن تطيعوا الذين كفروا**﴾ أي إن أصغيتم إلى قول اليهود والمنافقين ان محمدﷺ قتل فارجعوا إلى عشائركم ﴿**يردوكم على اعقابكم**﴾ أي يرجعوكم كفاراً كما كنتم ﴿**فتنقلبوا**﴾ أي ترجعوا ﴿**خاسرين**﴾ لأنفسكم فلا خسران أعظم من أن تبدلوا الكفر بالإيمان والنار بالجنة ﴿**بل الله مولاكم**﴾ أي لهو أولى بأن تطيعوه وهو أولى بنصرتكم ﴿**وهو خير الناصرين**﴾ إنما قال ذلك وإن كان صر غيره لا يعتدّ به مع نصره استظهاراً في الحجة أي إن اعتد بنصرة غيره فهو خير ناصر لأنه لا يجوز أن يغلب وغيره يجوز أن يغلب وإن نصر فهو الناصر في الحقيقة إن شاء أمدكم[1] بأهل الأرض وإن شاء نصركم بإلقاء الرعب في قلوب اعدائكم .

﴿ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا ۖ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۚ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥١﴾

[**القراءة**] قرأ ابن عامر وأبو جعفر والكسائي ويعقوب وأبو حاتم الرُعُب بضمتين والآخرون بتسكين العين وقد تقدم القول في مثله.

[**اللغة**] السلطان هنا معناه الحجة والبرهان وأصله القوة فلسطان الملك قوته

(١) [باهل السماء وان شاء أمدّكم].

والسلطان البرهان لقوته على دفع الباطل والتسليط على الشيء التقوية على الشيء مع الاغراء به والسلاطة حدة اللسان مع شدة الصحب للقوة على ذلك مع ايثار فعله والسليط الزيت لقوة استعماله بحدته والالقاء أصله في الإعيان يدل عليه قوله والقي الألواح فالقوا حبالهم واستعمل في غير عين اتساعاً إذ ليس الرعب وكذلك قوله والقيت عليك محبة مني ومثل الإلقاء في ذلك الرمي قال سبحانه الذين يرمون أزواجهم أي بالزنا فهذا اتساع لأنه ليس بعين وكذلك قوله.

رَمَاني بِأَمْرٍ كُنْتُ مِنْهُ وَوَالِدي بَرِيّا وَمِنْ حَوْلِ الطَّوِّي رَمَاني[1]

والمثوى المنزل وأصله من الثواء وهو طول الإقامة وأم المثوى ربة البيت والثوى الضعيف لأنه مقيم مع القوم.

[**النزول**] قال السدي لما ارتحل أبو سفيان والمشركون يوم أُحد متوجهين إلى مكة قالوا بئس ما صنعنا قتلناهم حتى إذا لم يبق منهم إلا الشريد تركناهم ارجعوا فاستأصلوهم فلما عزموا على ذلك القى الله في قلوبهم الرعب حتى رجعوا عما همّوا به وستأتي هذه القصة فيما بعد إن شاء الله فنزلت الآية.

[**المعنى**] ثُمَّ بيَّن سبحان ه أَنَّ مِن جملة نصرته للمؤمنين القائه الرعب في قلوب المشركين فقال ﴿**سنلقي**﴾ أي سنقذف ﴿**في قلوب الذين كفروا الرعب**﴾ أي الخوف والفزع ﴿**بما أشركوا بالله**﴾ أي بشركهم بالله وقولهم عليه ما لا يجوز من النِّد والشريك ﴿**ما لم ينزل به سلطاناً**﴾ أي برهاناً وحجة يعني لم يجعل لهم في ذلك حجة ﴿**ومأويهم**﴾ أي مستقرهم ﴿**النار**﴾ يعذبون بها ﴿**وبئس مثوى الظالمين**﴾ معناه وبئس مقام الظالمين النار وروي ان الكفار دخلوا مكة كالمنهزمين مخافة أن يكون لرسول الله وأصحابه الكرّة عليهم وقال رسول الله ﷺ نصرت بالرعب مسيرة شهر.

﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ
وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ
وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم

(١) الطوى : هو من طويت البشر إذا بنيتها بالحجارة.

مَن يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۚ ثُمَّ صَرَفَكُمۡ عَنۡهُمۡ لِيَبۡتَلِيَكُمۡۖ وَلَقَدۡ عَفَا عَنكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٥٢﴾

[**اللغة**] الحسّ القتل على وجه الاستئصال وأصله من الإحساس ومنه هل تُحِسّ منهم من أحد وسميّ القتل حساً لأنه يبطل الحسّ والفشل الجبن.

[**الإعراب**] صدق يتعدى إلى مفعولين وجواب إذا في قوله حتى إذا فشلتم قيل فيه وجهان (أحدهما) أنه محذوف وتقديره حتى إذا فشلتم امتحنتم (والثاني) أنه على زيادة الواو والتقديم والتأخير وتقديره حتى إذا تنازعتم في الأمر فشلتم عن الفراء وقال هذا كقوله فلما أسلما وتلّه للجبين وناديناه ومعناه ناديناه والواو زيادة وحتى إذا جاؤها وفتحت أبوابها وأنشد:

حَتَّى إذا قَمِلَتْ[1] بُطُونُكُمْ وَرَأَيْتُمْ أَبْنَاءَكُمْ شَبُّوا
وَقَلَبْتُمُ ظَهْرَ الْمَجِنِّ لَنَا إنَّ اللَّئِيمَ الْعَاجِزُ الْخَبُّ[2]

والبصريون لا يجيزون هذا ويؤولون جميع ما استشهد به على الحذف لأنه ألغ في الكلام وأحسن.

[**النزول**] ذكر ابن عباس والبراء بن عازب والحسن وقتادة ان الوعد المذكور في الآية كان يوم أحد لأن المسلمين كانوا يقتلون المشركين حتى إذا أخل الرماة بمكانهم الذي أمرهم الرسول بالمقام عنده فأتاهم خالد من ورائهم وقتل عبد الله بن جبير ومن معه وتراجع المشركون وقتل من المسلمين سبعون رجلاً ونادى مناد قتل محمد ثم منَّ الله على المسلمين فرجعوا وفي ذلك نزلت الآية.

[**المعنى**] ثُمَّ بيَّن تعالى أنه صدقهم وعده فقال **﴿ولقد صدقكم الله وعده﴾** معناه وفى الله لكم بما وعدكم من النصر على عدوكم في قوله بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم الآية وقيل كان الوعد قول رسول الله للرماة لا تبرحوا هذا المكان فإنّا لانزال غالبين ما ثبتم مكانكم **﴿إذ تحسونهم﴾** أي تقتلونهم **﴿بإذنه﴾** أي بعلمه وقيل بلطفه لأن أصل الإذن هو الاطلاق في الفعل واللطف تيسير للفعل كما ان الإذن كذلك فحسن أجراء اسمه عليه **﴿حتى إذا فشلتم﴾** معناه جبنتم عن عدوكم وكففتم

(١) قمل بطنه: ضخم.

(٢) المجن: الترس يقال قلب له ظهر المجن إذا تحول عن الصداقة إلى العداوة الخب الخداع.

﴿وتنازعتم في الأمر﴾ أي اختلفتم ﴿وعصيتم﴾ أمر نبيكم في حفظ المكان ﴿من بعد ما أراكم ما تحبون﴾ من النصرة على الكفار وهزيمتهم والظفر بهم والغنيمة واكثر المفسرين على ان المراد بالجميع يوم أحد وقال أبو علي الجبائي معناه ان تحسونهم يوم بدر حتى إذا فشلتم يوم أحد وتنازعتم وعصيتم يوم أحد من بعد ما أراكم ما تحبون يوم بدر والأولى ان يكون حكاية عن يوم أحد على ما بيّناه وجواب إذا هاهنا محذوف يدل الكلام عليه وتقديره حتى إذا فعلتم ذلك ابتلاكم وامتحنكم ورفع والنصرة عنكم ﴿منكم من يريد الدنيا﴾ يعني الغنية وهم الذين أُخلوا المكان الذي رتّبهم النبي ﷺ فيه وأمرهم بلزومه ﴿ومنكم من يريد الآخرة﴾ أراد عبد الله بن جبير ومن ثبت مكانه أي يقصد بجهاده إلى ما عند الله وروي عن ابن مسعود قال ما كنت أدري أن أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ بريد الدنيا حتى نزلت فينا هذه الآية يوم أحد ﴿ثم صرفكم عنهم﴾ قد ذكرنا في اضافة انصرافهم إلى الله سبحانه وجوه (أحدها) أنهم كانوا فريقين منهم من عصى بانصرافه ومنهم من لم يعص لأنهم قلوّا بعد انهزام تلك الفرقة فانصرفوا بإذن الله لئلا يقتلوا لأن الله تعالى أوجب ثبات المائة للمأتين فإذا نقصوا لا يجب عليهم ذلك فجاز أن يذكر الفريقين بأنه صرفهم وعفا عنهم يعني صرف بعضهم وعفا عن بعض عن أبي علي الجبائي (وثانيها) أن معناه رفع النصرة عنكم ووكلكم إلى أنفسكم بخلافكم للنبي ﷺ فانهزمتم عن جعفر بن حرب (وثالثها) ان معناه لمن يأمركم بمعاودتهم من فورهم ليبتليكم بالمظاهرة في الانعام عليكم والتخفيف عنكم عن البلخي وقوله ﴿ليبتليكم﴾ معناه ليختبركم أي يعاملكم معاملة المختبر مظاهرة في العدل وذلك أنه تعالى إنما يجازي عباده على ما يفعلونه دون ما قد علمه منهم ﴿ولقد عفا عنكم﴾ أي صفح عنكم بعد أن خالفتم أمر الرسول وقيل عفا عنكم تتبعهم بعد أن أمركم بالتتبع لهم عن البلخي قال لما بلغوا حمراء الأسد عفا عنهم في ذلك. وقال أبو علي الجبائي هو خاص بمن لم يعص الله بانصرافه والأولى أن يكون عاماً في الجميع فإنه لا يمتنع أن يكون الله تعالى قد عفا لهم عن المعصية ﴿والله ذو فضل على المؤمنين﴾ أي ذومن ونعمة عليهم بنعم الدنيا والدين وقيل بغفران ذنوبهم وقيل بأن لا يستأصلهم كما فعل بمن كان قبلهم وروى الواحدي بإسناده عن سهل بن سعد الساعدي قال خرج رسول الله يوم أحد وكسرت رباعيته وهشمت البيضة على رأسه فكانت فاطمة بنته تغسل عنه الدم وعليٌّ بن ابي طالب (ع) يسكب عليها بالمجنّ فلما رأت فاطمة ان الماء لا يزيد الدم إلا كثرة اخذت قطعة حصير فأحرقته حتى إذا صار رماداً الزمته الجرح فاستمسك الدم.

﴿ *إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ

عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا
تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾
ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ
وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ
ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ
كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا
مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ
كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ
وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾

[**القراءة**] قرأ أهل الكوفة غير عاصم تغشى طائفة بالتاء والباقون يغشى بالياء وقرأ أهل البصرة كله لله بالرفع والباقون بالنصب.

[**الحجة**] قال أبو علي حجة من قرأ يغشى بالياء قوله إذ يغشيكم النعاس امنة والنعاس هو الغاشي ولأن يغشى اقرب إلى النعاس فإسناد الفعل إليه أولى ويقال غشيني النعاس وغلب عليّ النعاسُ ولا يسهل غشيتني الامنة وحجة من قرأ بالتاء ان النعاس وإن كان بدلاً من الأمنة فليس المبدل منه في طريق ما يسقط من الكلام يدلّك على ذلك قولهم الذي مررت به زيد أبو عبد الله وقال.

وَكَأَنَّهُ لَهَقُ السَّرَاةُ كَأَنَّهُ ... مَا حَاجِبَيْهِ مُغَيَّرٌ بِسَوَادِ[1]

فجعل الخبر على الذي ابدل منه وحجة من نصب كله ان كله بمنزلة اجمعين في

(١) اللهق : الابيض. سراة كل شيء : ظهره وسيطه قوله ما حاجبيه : زائدة وحاجبيه بدل من الضمير في كأنه أي كان حاجبيه مغير بسواد والشاهد في اتيان الخبر اعنى «مغيراً» مفرداً حملاً على المبدل منه دون البدل.

انه الإحاطة والعموم فالوجه أن لا يلي العوامل كما لا يليها اجمعون وحجة ابي عمرو في رفعه كله وابتداؤه به أنه وإن كان في اكثر الأمر بمنزلة اجمعين لعمومها فقد ابتدىء بها كما ابتدىء بسائر الأسماء نحو قوله وكلهم آتية يوم القيامة فرداً فابتدأ به في الآية.

[**اللغة**] الفرق بين الإصعاد والصعود ان الاصعاد في مستوى من الأرض والصعود في ارتفاع يقال اصعدنا من مكة إذا ابتدأنا السفر منها ومنه قول الشاعر:

هَوايَ مَعَ الرِّكْبِ الْيمانينَ مُصْعِدُ جَنِيبٌ وَجُثْماني بِمَكَّةَ مُوثَقُ(١)

وروي عن الحسن أنه قرأ تصعدون بفتح التاء والعين وقال إنهم صعدوا في الجبل فراراً وقال الفراء الاصعاد الابتداء في كل سفر والانحدار الرجوع عنه ولا تلون اي لا تعرجون على أحد كما يفعله المنهزم ولا يذكر هذه إلا في النفي لا يقال لويت على كذا واصله مِن ليّ العنق للالتفات والنعاس الوسن وناقة نعوس توصف بالسماحة في الدَرّ.

[**الإعراب**] قوله إذا تصعدون العامل في إذ قوله ولقد عفا عنكم واللام في قوله لكيلا تحزنوا يتعلق به أيضاً وقيل يتعلق بقوله فأثابكم ولا تحزنوا منصوب بكي وامنة مفعول انزل ونعاساً بدل منها وطائفة الأولى مفعول يغشى وطائفة الثانية مرفوعة بالابتداء وخبرها يظنون وقد أهمتهم انفسهم في موضع رفع بالصفة ويجوز ان يكون قد أهمتهم أنفسهم خبراً والواو في طائفة واو الحال على تقدير يغشى النعاس طائفة في حال ما اهمت طائفة منهم أنفسهم فالجملة في موضع الحال ويجوز النصب على ان يجعل الواو واو العطف كما تقول ضربت زيداً وعمراً أكرمته فيكون منصوباً على إضمار فعل الذي قد ظهر تفسيره.

[**المعنى**] ثم ذكر تعالى المنهزمين من أصحاب رسول الله يوم أحد فقال ﴿**إذ تصعدون**﴾ معناه ولقد عفا عنكم إذ تذهبون في وادي أحد للانهزام فرار من العدو عن قتادة والربيع ﴿**ولا تلوون على احد**﴾ أي لا تقيمون على من خلفتم في الحرب ولا تلتفتون اليهم ولا يقف احد منكم على أحد ﴿**والرسول**﴾ يعني محمداً ﷺ ﴿**يدعوكم في أخراكم**﴾ أي يناديكم من ورائكم فيقول ارجعوا إليّ عبادَ الله ارجعوا إليَّ أنا رسول الله يقال فلان جاء في آخر الناس وآخرة الناس وأُخرى الناس إذا جاء خلفهم ﴿**فأثابكم غمّا بغم**﴾ اختلف فيه على أقوال (أحدها) ان معناه جعل مكان ما ترجونه من الثواب ان غمّكم بالهزيمة وظَفّر المشركين بكم بغمكم رسول الله إذ عصيتموه وضيعتم أمره فالغم

(١) الشعر في جامع الشواهد.

الأول لهم والثاني للنبي ﷺ واختاره الزجاج (وثانيها) ان معناه غما على غم أو غما مع غم أو غما بعد غم كما يقال نزلت بفلان وعلى فلان حتى فعل كذا ويقال ما نزلت بزيد حتى فعل أي مع زيد واراد به كثرة الغم بالندم على ما فعلوا وبما أصابهم من الشدائد وانهم لا يدرون ما استحقوا به من عقاب الله (وثالثها) ان الغم الأول القتل والجراح والثاني الارجاف بقتل محمد ﷺ عن قتادة والربيع (ورابعها) اثابكم غما يوم أحد بغم الحق المشركين يوم بدر عن الحسن وفي هذا القول نظر لأن ما لحق المشركين من الغم يوم بدر من جهة المسلمين إنما توجب المجازاة بالكرامة دون الغم (وخامسها) ان المراد غم المشركين بما ظهر من قوة المسلمين على طلبهم وخروجهم إلى حمراء الأسد فجعل هذا الغم عوضاً عن غم المسلمين بما نيل منهم عن الحسين بن علي المغربي وإنما قيل في الغم ثواب لأن اصله ما يرجع إلى المجازاة على الفعل طاعة كان أو معصية ثم كثر في جزاء الطاعة فهو كما قال الشاعر:

وأَرَانِي طَرِباً فِي إِثْرِهِمْ طَرَبَ الْوَالِهِ أَوْ كَالْمُخْتَبِلِ

وقيل أنه مما وضع مكان غيره كقوله تعالى فبشرهم بعذاب أليم أي ضعه موضع البشارة فهو كما قال الشاعر.

أَخَافُ زِيَاداً إِنْ يَكُونَ عَطَاؤُهُ أَداهِمَ سُوداً أَو مُدَحْرَجَةً سُمْراً(١)

﴿ لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم ﴾ معناه فعل بكم هذا الغم لئلا تحزنوا على ما فاتكم من الغنيمة ولا تتركوا أمر النبي (ﷺ) ولئلا تحزنوا على ما أصابكم من الشدائد في سبيل الله وليكن غمكم بأن خالفتم النبي فقط وتقديره ليشغلكم حزنكم على سوء ما صنعتم عن الحزن على غيره وقيل معناه ولقد عفا عنكم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم فإن عفو الله تعالى يذهب كل حزن ﴿ والله خبير بما تعملون ﴾ فيه ترغيب في الطاعة وترهيب عن المعصية ثم ذكر ما أنعم به عليهم بعد ذلك حتى تراجعوا وأقبلوا يعتذرون إلى رسول الله (ﷺ) فأنزل النعاس عليهم في تلك الحالة حتى كانوا يسقطون على الأرض وكان المنافقون لا يستقرون حتى طارت عقولهم فقال ﴿ ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاساً ﴾ لفظ الانزال توسع ومعناه ثم وهب الله لكم أيها المؤمنون بعد ما نالكم من يوم أحد من الغم أمنة يعني أمناً نعاساً أي نوماً وهو بدل الاشتمال عن أمنة لأن النوم يشتمل على الأمن لأن الخائف لا ينام ثم ذكر سبحانه إن تلك الأمنة لم تكن عامة بل

(١) الأدهم: القيد المدحرجة: المدورة كنى بها عن المعلق.

كانت لأهل الاخلاص وبقي لأهل النفاق الخوف والسهر فقال ﴿ **يغشى طائفة منكم** ﴾ يعني المؤمنين ألقي عليهم النوم وكان السبب في ذلك توعد المشركين لهم بالرجوع إلى القتال فقعد المسلمون تحت الجحف متهيئين للحرب فأنزل الله الأمنة على المؤمنين فناموا دون المنافقين الذين أزعجهم الخوف بأن يرجع الكفار عليهم أو يغيروا على المدينة لسوء الظن فطير عنهم النوم عن ابن إسحاق وابن زيد وقتادة والربيع ﴿ **وطائفة قد أهمتهم أنفسهم** ﴾ أي وجماعة قد شغلتهم أنفسهم وقيل حملتهم على الهمّ ومنه قول العرب همّك ما أهمّك ومعناه كان همهم خلاص أنفسهم والعرب تطلق هذا اللفظ على كل خائف وجل شغله همّ نفسه عن غيره ﴿ **يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية** ﴾ أي يتوهمون أن الله لا ينصر محمداً وأصحابه كظنهم في الجاهلية وقيل كظن أهل الجاهلية وهم الكفار والمكذبون بوعد الله ووعيده فكان ظن المنافقين كظنهم وقيل ظنهم ما ذكر بعده من قوله ﴿ **يقولون هل لنا من الأمر من شيء** ﴾ فهذا تفسير لظنهم يعني يقول بعضهم لبعض هل لنا من النصر والفتح والظفر نصيب قالوا ذلك على سبيل التعجب والإنكار أي أنطمع أن يكون لنا الغلبة على هؤلاء أي ليس لنا من ذلك شيء وقيل إن معناه إنا أخرجنا كرهاً ولو كان الأمر إلينا ما خرجنا عن الحسن وكان هذا القائل عبد الله بن أبيّ ومعتب بن قشير وأصحابهما عن الزبير بن العوام وابن جريج ﴿ **قل** ﴾ يا محمد ﴿ **إن الأمر كله لله** ﴾ ينصر من يشاء ويخذل من يشاء لا خاذل لمن نصره ولا ناصر لمن خذله وربما عَجّل النصر وربما أخّره لضرب من الحَكمة ولا يكون لوعده خلف والمراد بالأمر في الموضعين النصر ﴿ **يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك** ﴾ أي يخفون في أنفسهم الشك والنفاق وما لا يستطيعون إظهاره لك ﴿ **يقولون لو كان لنا من الأمر** ﴾ أي من الظفر كما وعدنا ﴿ **شيء ما قتلنا هاهنا** ﴾ أي ما قتل أصحابنا شكّاً منهم فيما وعده الله تعالى نبيه من الاستعلاء على أهل الشرك وتكذيباً به ﴿ **قل** ﴾ يا محمد لهم في جواب ذلك ﴿ **لو كنتم في بيوتكم** ﴾ ومنازلكم ﴿ **لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم** ﴾ قيل فيه قولان (أحدهما) أن معناه لو لزمتم منازلكم أيها المنافقون والمرتابون وتخلفتم عن القتال لخرج إلى البراز المؤمنون الذين فرض عليهم القتال صابرين محتسبين فيقتلون ويقتلون والتقدير ولو تخلفتم عن القتال لما تخلف المؤمنون (والثاني) إن معناه لو كنتم في منازلكم لخرج الذين كتب عليهم القتل أي كتب آجالهم وموتهم وقتلهم في اللوح المحفوظ في ذلك الوقت إلى مصارعهم وذلك إن ما علم الله كونه فإنه يكون كما علمه لا محالة وليس في ذلك أن المشركين غير قادرين على ترك القتال من حيث علم الله ذلك منهم وكتبه لأنه كما علم

أنهم لا يختارون ذلك علم أنهم قادرون ولو وجب ذلك لوجب أن يكون تعالى قادراً على ما علم أنه لا يفعله والقول بذلك كفر ﴿ **وليبتلي الله ما في صدوركم** ﴾ أي يختبر الله ما في صدوركم بأعمالكم لأنه قد علمه غيباً فيعلمه شهادة لأن المجازاة إنما تقع على ما علم مشاهدة لا على ما هو معلوم منهم غير معمول عن الزجاج وقيل معناه ليعامَلكم معاملة المبتلين مظاهرة في العدل عليكم وقيل أنه عطف على قوله ثم صرفهم عنكم ليبتليكم وليبتلي ما في صدوركم ﴿ **وليمحص ما في قلوبكم** ﴾ أي يخلص وقيل هذا خطاب للمنافقين أي يأمركم بالخروج فلا تخرجون فيظهر للمسلمين معاداتكم لهم وتنكشف أسراركم فلا يعدّكم المسلمون من جملتهم وقيل معناه ليبتلي أولياء الله ما في صدوركم كما في قوله ﴿ **الذين يحاربون الله ورسوله ويؤذون الله ورسوله** ﴾ وقيل أنه عطف على قوله ﴿ **أمنة نعاساً** ﴾ أي ليظهر عند هذه الأحوال موافقة باطنكم ظاهركم وليمحص ما في قلوبكم أي يطهرها من الشك بما يريكم من عجائب صنعه ويخلص نياتكم وهذا التمحيص خاص للمؤمنين دون المنافقين ﴿ **والله عليم بذات الصدور** ﴾ معناه أن الله لا يبتليكم ليعلم ما في صدوركم فإن الله عليم بذلك وإنما ابتلاكم ليظهر أسراركم فيقع الجزاء على ما ظهر .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾

[**المعنى**] ثمّ ذكر الله الذين إنهزموا يوم أحد أيضاً فقال ﴿ **إن الذين تولوا منكم** ﴾ أي إن الذين ولّوا الدبر على المشركين بأحد منكم أيها المسلمون عن قتادة والربيع وقيل هم الذين هربوا إلى المدينة في وقت الهزيمة عن السدي ﴿ **يوم التقى الجمعان** ﴾ جمع المسلمين وسيدّهم رسول الله وجمع المشركين ورئيسهم أبو سفيان ﴿ **إنما استزلّهم الشيطان** ﴾ أي طلب زلّتهم عن القتيبي وقيل أزل واستزل بمعنى ﴿ **ببعض ما كسبوا** ﴾ من معاصيهم السالفة فلحقهم شؤمها وقيل استزلهم بمحبتهم للغنيمة مع حرصهم على تبقية الحياة عن الجبائي قال وفي ذلك الزجر عما يؤدّي إلى الفتور فيما يلزم من الأمور وقيل استزلهم بذكر خطايا سلفت لهم فكرهوا القتل قبل إخلاص التوبة منها والخروج من المظلمة فيها عن الزجاج ﴿ **ولقد عفا الله عنهم** ﴾ أعاد تعالى ذكر العفو تأكيداً لطمع المذنبين في العفو ومنعاً لهم عن اليأس وتحسيناً لظنون المؤمنين ﴿ **إن الله غفور حليم** ﴾

قد مرّ معناه وذكر أبو القاسم البلخي أنه لم يبق مع النبي (ﷺ) يوم أحد إلا ثلاثة عشر نفساً خمسة من المهاجرين وثمانية من الأنصار فأما المهاجرون فعلي (ع) وأبو بكر وطلحة وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وقد اختلف في الجميع إلا في علي (ع) وطلحة وقد روي عن عمر بن الخطاب أنه قال ورأيتني أصعد في الجبل كأني أروى[1] ولم يرجع عثمان من الهزيمة إلا بعد ثلاث فقال له النبي (ﷺ) لقد ذهبت فيها عريضة .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُوا۟ غُزًّى لَّوْ كَانُوا۟ عِندَنَا مَا مَاتُوا۟ وَمَا قُتِلُوا۟ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾ وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾

[**القراءة**] قرأ ابن كثير وأهل الكوفة غير عاصم بما يعملون بالياء والباقون بالتاء وقرأ نافع وأهل الكوفة غير عاصم مِتم بالكسر ووافقهم حفص في سائر المواضع إلا هاهنا وقرأ الباقون مُتم بضم الميم وقرأ مما يجمعون بالياء حفص عن عاصم والباقون تجمعون بالتاء .

[**الحجة**] قال أبو علي حجة من قرأ بالتاء قوله ﴿ **ولا تكونوا كالذين كفروا** ﴾ وحجة من قرأ بالياء أن قبلها أيضاً غيبة وهو قوله ﴿ **وقالوا لإخوانهم** ﴾ وما بعده فحمل الكلام على الغيبة والأشهر الأقيس في متُّم ضم الميم والكسر شاذ في القياس ونحوه مما شذّ فَضِل يَفْضُلُ في الصحيح وأنشدوا :

ذَكَرْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ بِدَارِ ابْنِ عَامِرٍ ... وَمَا مَرَّ مِن عُمْرِي ذَكَرْتُ وَمَا فَضِلْ

(١) أي معز الجبل .

وأما تجمعون بالتاء فالمعنى على تجمعون أيها المقتولون في سبيل الله أو المائتون ومعنى الياء أنه لمغفرة من الله خير مما يجمعه غيركم .

[**اللغة**] الضرب في الأرض السير فيها وأصله الضرب باليد وقيل هو الايغال في السير[١] وغُزّىً جمع غاز نحو ضارب وضُرَّب وطالب وطُلَّب .

[**الإعراب**] قوله ﴿ **وقالوا لإخوانهم إذا ضربوا في الأرض** ﴾ وضع إذا موضع إذ لأحد أمرين إما لأنه متصل بلا تكونوا كهؤلاء إذا ضرب إخوانهم في الأرض وإما لأن ﴿ **الذي** ﴾ إذا كان مبهماً غير موقّت يجري مجرى ما في الجزاء فيقع الماضي فيه موضع المستقبل نحو إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله معناه يكفرون ويصدون ويجوز لأكرمن الذي أكرمك إذا زرته لابهام الذي ولا يجوز لأكرمنَّ هذا الذي أكرمك إذا زرته لتوقيت الذي من أجل الإشارة إليه بهذا وقوله ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم اللام فيه يتعلق بلا تكونوا أي لا تكونوا كهؤلاء الكفار في هذا القول ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم دونكم وقيل أنه يتعلق بقوله ﴿ **وقالوا لإخوانهم** ﴾ فيكون لام العاقبة عن أبي علي الجبائي وقوله ﴿ **لئن قتلتم** ﴾ استغنى عن جواب الجزاء فيه بجواب القسم في قوله لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون وقد إجتمع شيئآن كل واحد منهما يحتاج إلى جواب وكان جواب القسم أولى بالذكر لأن له صدر الكلام مما يذكر في حشوه واللام في قوله ﴿ **ولئن** ﴾ مُتمّ تحتمل أمرين (أحدهما) أن يكون خلفاً من القسم ويكون اللام في قوله ﴿ **لإلى الله** ﴾ جواباً كقولك ﴿ **والله إن متم أو قتلتم لتحشرون إلى الله** ﴾ (والثاني) أن تكون مؤكدة لما بعدها كما تؤكد أنّ ما بعدها وتكون الثانية جواباً لقسم محذوف والنون لا بد منها في الفعل المضارع مع لام القسم لأن القسم أحق بالتأكيد من كل ما يدخله النون من جهة إن ذكر القسم دليل على أنه من مواضع التأكيد فإذا جازت في غيره من الأمر والنهي والاستفهام والعرض والجزاء مع ما لزمت[٢] في القسم لأنه أحق بها من غيره والفرق بين لام القسم ولام الابتداء إن لام الابتداء يصرف الاسم إليه فلا يعمل فيه ما قبلها نحو قد علمت لزيد خير منك وقد علمت أن زيداً ليقوم وليس كذلك لام القسم لأنها لا تدخل على الاسم ولا يكسر لها إنّ نحو قد علمت أنَّ زيداً ليقومن ويلزمها النون في المستقبل .

[**المعنى**] ثم نهى الله سبحانه المؤمنين عن الاقتداء بالمنافقين في أقوالهم وأفعالهم

(١) اي الإسراع فيه.

(٢) وفي التبيان هكذا «مع ما إذ كان ذكر القسم قد أنبأ أنه من مواضع التأكيد لزمت فيه ا.هـ».

فقال ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا** ﴾ يريد عبد الله بن أبي سلول وأصحابه من المنافقين عن السدي ومجاهد وقيل هو عام ﴿ **وقالوا لإخوانهم** ﴾ من أهل النفاق ﴿ **إذا ضربوا في الأرض** ﴾ أي سافروا فيها لتجارة أو طلب معاش فماتوا عن السدي وابن إسحاق وإنما خصّ الأرض بالذكر لأن أكثر أسفارهم كان في البرّ وقيل إكتفى بذكر البر عن ذكر البحر كقوله تعالى ﴿ **سرابيل تقيكم الحرّ** ﴾ وقيل لأن الأرض تشتمل على البر والبحر ﴿ **أو كانوا غزّى** ﴾ أي غزاة محاربين للعدو فقتلوا ﴿ **لو كانوا** ﴾ مقيمين ﴿ **عندنا ما ماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم** ﴾ معناه قالوا هذا القول ليثبطوا المؤمنين عن الجهاد فلم يقبل المؤمنون ذلك وخرجوا ونالوا العزّ والغنيمة فصار حسرة في قلوبهم واللام على هذا في ليجعل لام العاقبة وقيل معناه ولا تكونوا كهؤلاء الكفار في هذه المقالة لكي يجعل الله تلك المقالة سبباً لالزام الحسرة والحزن في قلوبهم لما يحصل لهم من الخيبة فيما أملوا من الموافقة ولما فاتهم من عز الظفر والغنيمة ﴿ **والله يحيي ويميت** ﴾ أي هو الذي يحيي ويميت في السفر والحضر عند حضور الأجل لا مقدّم لما أخّر ولا مؤخّر لما قدّم ولا رادّ لما قضى ولا محيص عما قدّر وهذا يتضمن منع الناس عن التخلف في الجهاد خشية القتل فإن الإحياء والإماتة بيد الله سبحانه فلا حياة لمن قدّر الله موته ولا موت لمن قدّر الله حياته ﴿ **والله بما تعملون بصير** ﴾ أي مبصر وقيل عليم وهذا يتضمن الترغيب في الطاعة والترهيب عن المعصية ثم حثّ سبحانه على الجهاد وبيّن أن الشهادة خير من أموال الدنيا المستفادة بأن قال ﴿ **ولئن قتلتم** ﴾ أيها المؤمنون ﴿ **في سبيل الله** ﴾ أي في الجهاد ﴿ **أو متم** ﴾ قاصدين مجاهدة الكفار استوجبتم ﴿ **مغفرة من الله ورحمة** ﴾ والمغفرة الصفح عن الذنوب والرحمة الثواب والجنة وهاتان ﴿ **خير مما يجمعون** ﴾ من الأموال والمقاصد الدنيوية وهذا يتضمن تعزية المؤمنين وتسليتهم عما أصابهم في سبيل الله وفيه تقوية لقلوبهم وتهوين للموت والقتل عليهم ثم قال ﴿ **ولئن متم أو قتلتم لإلى الله تحشرون** ﴾ أي سواء متم أو قتلتم فإن مرجعكم إلى الله فيجزي كلا منكم كما يستحقه المحسن على إحسانه والمسيء على إساءته فأثروا ما يقربكم منه ويوجب لكم رضاه من العمل بطاعته والجهاد في سبيله ولا تركنوا إلى الدنيا وفي هذا المعنى البيت الذي ينسب إلى الإمام الحسين بن علي :

فَإِنْ تَكُنِ الأَبْدانُ لِلْمَوْتِ أُنْشِئَتْ فَقَتْلُ ٱمْرِئٍ بِالْسَّيْفِ فِي ٱللهِ أَفْضَلُ

(سؤال) إن قيل كيف عادل بين مغفرة الله ورحمته وبين حطام الدنيا مع تفاوت ما

بينهما ولا يقول أحد الدرة خير من البعرة (فجوابه) إن الناس يؤثرون الدنيا على الآخرة حتى أنهم يتركون الجهاد في سبيل الله محبة للاستكثار من الدنيا وإيثاراً للمقام فيها فعلى هذا جاز ذلك .

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾

[اللغة] ﴿ الفظّ الغليظ ﴾ الجافي القاسي القلب يقال منه فظظت تفظ فظاظة وأنت فظّ على وزن فعل إلا أنه أدغم كصبّ والفظاظة خشونة الكلام والافتظاظ شرب ماء الكرش لجفائه على الطبائع فإن أصل الفظاظة الجفوة والفظ ماء الكرش والفض بالضاد تفريق الشيء والانفضاض التفرق وشاورت الرجل مشاورة وشوارا والاسم المشْورة وقيل المشُورة وفلان حسن الشورة والصورة أي الهيئة واللباس وأنه لَصِيِّرٌ شَيِّرٌ وهو حسن الشارة ومعنى قولهم شاورت فلاناً أظهرت في الرأي ما عندي وما عنده وشُرْت الدابة أشورها إذا امتحنتها فعرفت هيئتها في سيرها وشرت العسل وأشرته إذا أخذته من مواضع النحل وعسل مشور ومشار قال الشاعر :

كَأَنَّ الْقَرَنْفُلَ وَالزَّنْجَبِيلَ بَاتَا بِفِيهَا وَأَرْياً مَشُوراً[1]

وقال عدي بن زيد :

وَغِنَاءٍ يَأْذَنُ الشَّيْخُ لَهُ وَحَدِيثٍ مِثْلِ مَا ذِيٍّ مُشَارِ[2]

والعزم عقد القلب على الشيء تريد أن تفعله والعزيمة كذلك قال ابن دريد يقال عزمت عليك يعني أقسمت عليك والتوكل إظهار العجز والاعتماد على الغير والتوكل على الله هو تفويض الأمر إليه والثقة بحسن تدبيره وأصله الإتكال وهو الإكتفاء في فعل ما يحتاج إليه ممن يستند إليه ومنه الوكالة لأنه عقد على الكفاية بالنيابة والوكيل هو المتكل عليه بتفويض الأمر إليه .

(١) الارى : العسل .

(٢) وفي الصحاح « في سماع » بدل « وغناء » . أذن له : استمع له . الماذى : العسل الأبيض .

[**الإعراب**] فبما رحمة ما زائدة بإجماع المفسرين ومثله قولهُ عما قليل جاءت ما مؤكدة للكلام ودخولها تحسن النظم كدخولها لاتزان الشعر في نحو قول عنترة[١]:

يَا شَاةُ مَا قَنَصٌ[٢] لِمَنْ حَلَّتْ لَهُ ... حَرُمَتْ عَلَيَّ وَلَيْتَهَا لَمْ تَحْرُمِ

وقال الفرزدق :

نَادَيْتُ أَنَّكَ إِنْ نَجَوْتَ فَبَعْدَمَا ... يَأْسٍ وَقَدْ نَظَرَتْ إِلَيْكَ شَعُوبُ[٣]

وذلك ليتمكن المعنى في النفس فجرى مجرى التكرير .

[**المعنى**] ثم بين سبحانه أن مساهلة النبي ﷺ إياهم ومجاوزته عنهم من رحمه تعالى حيث جعله لين العطف حسن الخلق[٤] ﴿ **فبما رحمة** ﴾ أي فبرحمة ﴿ **من الله لنت لهم** ﴾ معناه أن لينك لهم مما يوجب دخولهم في الدين لأنك تأتيهم مع سماحة أخلاقك وكرم سجيتك بالحجج والبراهين ﴿ **ولو كنت** ﴾ يا محمد ﴿ **فظاً** ﴾ أي جافياً سيّء الخلق ﴿ **غليظ القلب** ﴾ أي قاسي الفؤاد غير ذي رحمة ولا رأفة ﴿ **لانفضوا من حولك** ﴾ أي لتفرق أصحابك عنك ونفروا منك وقيل إنما جمع بين الفظاظة والغلظة وان كانتا متقاربتين لأن الفظاظة في الكلام فنفى الجفاء عن لسانه والقسوة عن قلبه ﴿ **فاعف عنهم** ﴾ ما بينك وبينهم ﴿ **واسغفر لهم** ﴾ ما بينهم وبيني وقيل معناه فاعف عنهم فرارهم من أحد واستغفر لهم من ذلك الذنب ﴿ **وشاورهم في الأمر** ﴾ أي استخرج آراءهم واعلم ما عندهم واختلفوا في فائدة مشاورته إياهم مع استغنائه بالوحي عن تعرف صواب الرأي من العباد على أقوال (أحدها) أن ذلك على وجه التطييب لنفوسهم والتألف لهم والرفع من أقدارهم ليبين أنهم ممن يوثق بأقوالهم ويرجع إلى آرائهم عن قتادة والربيع وابن إسحاق (وثانيها) أن ذلك لتقتدي به أمته في المشاورة ولم يروها نقيصة كما مدحوا بأن أمرهم شورى بينهم عن سفيان بن عينية (وثالثها) أن ذلك ليمتحنهم بالمشاورة ليتميز الناصح من الغاش (وخامسها) أن ذلك في أمور الدنيا ومكائد الحرب ولقاء العدو وفي مثل ذلك يجوز أن يستعين بآرائهم عن أبي علي الجبائي ﴿**فإذا عزمتَ**﴾ أي فإذا عقدت قلبك على الفعل وامضائه ورووا عن جعفر بن محمد وعن جابر بن يزيد فإذا عزمتُ بالضم فعلّى هذا يكون معناه فإذا عزمتُ لك ووفقتك وارشدتك ﴿**فتوكل على الله**﴾ أي فاعتمد على الله وثِق به وفَوّض أمرك إليه

---

(١) في معلقته . (٢) القنص : الصيد وما زائدة والمراد بالشاة امرئة شبهها بها .
(٣) الشعوب: اسم للمنية . (٤) [فقال] .

﴿إن الله يحب المتوكلين﴾ يعني الواثقين بِهِ والمعتمدين عليه والمنقطعين إليه الواكلين أمرهم إلى لطفه وتدبيره وفي هذه الآية دلالة على اختصاص نبيّنا بمكارم الأخلاق ومحاسن الأفعال ومن عجيب أمره ﷺ انه كان أجمع الناس لدواعي الترفع ثم كان أدناهم إلى التواضع وذلك انه كان أوسط الناس نسباً وأوفرهم حسباً وأسخاهم وأشجعهم وأزكاهم وأفصحهم وهذه كلها من دواعي الترفع ثم كان من تواضعه انه كان يرقع الثوب ويخصف النعل ويركب الحمار ويعلف الناضح ويجيب دعوة المملوك ويجلس في الأرض ويأكل على الأرض وكان يدعو إلى الله من غير زَئْر ولا كهر ولا زجر[1] ولقد أحسن مَنْ مَدَحه في قوله:

فَما حَمَلَتْ مِنْ نَاقَةٍ فَوْقَ ظَهْرِها ... أَبَـرَّ وَأَوْفـى ذِمَّـةً مِنْ مُـحَـمَّـدِ

وفي الآية أيضاً ترغيب للمؤمنين في العفو عن المسيىء وحثهم على الاستغفار لمن يذنب منهم وعلى مشاورة بعضهم بعضاً فيما يعرض لهم من الأمور ونهيهم عن الفظاظة في القول والغلظة والجفاء في الفعل ودعائهم إلى التوكل عليه وتفويض الأمر إليه وفيها أيضاً دلالة على ما نقوله في اللطف لأنه سبحانه نبّه على أنهُ لولا رحمته لم يقع اللين والتواضع ولو لم يكن كذلك لما أجابوه فبيّن أن الأمور المنفرة منفية عنهُ وعن سائر الأنبياء ومن يجري مجراهم في أنه حجة على الخلق وهذا يوجب تنزيههم أيضاً عن الكبائر لأن التنفير في ذلك أكثر.

﴿ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾

[المعنى] لما أمر الله سبحانه نبيه بالتوكل بيّن معنى وجوب التوكل عليه فقال ﴿ ان ينصركم الله ﴾ على من ناوأكم ﴿ فلا غالب لكم ﴾ أي فلا يقدر أحد على غلبتكم وإن كثر عدد من يناوئكم وقل عددكم ﴿ وإن يخذلكم ﴾ يأ يمنعكم معونته ويخل بينكم وبين أعدائكم بمعصيتكم إياه ﴿ فمن ذا الذي ينصركم من بعده ﴾ الهاء عائدة إلى إسم الله على الظن والمعنى على حذف المضاف وتقديره من بعد خذلانه يعني أنه لا ناصر لكم ينصركم بعد خذلان الله إياكم وَمَن هاهنا معناه التقرير بالنفي في صورة الاستفهام أي لا

(١) زأر زئراً: صاح وغضب. كهر كهراً: استقبله بوجه عابس.

ينصركم أحد من بعده وإنما تضمن حرف الاستفهام معنى النفي لأن جوابه يجب أن يكون بالنفي فصار ذكره يغني عن ذكر جوابه وكان أبلغ لتقرير المخاطب فيه ﴿ **وعلى الله فليتوكل المؤمنون** ﴾ ظاهر المراد وتضمنت الآية الترغيب في طاعة الله التي يستحق بها النصرة والتحذير من معصية الله التي يستحق بها الخذلان مع إيجاب التوكل عليه الذي يؤمن معهُ أن يكلهم إلى أنفسهم فيهلكوا قال أبو علي الجبائي وفي الآية دليل على أن من غلبهُ أعداء الله من الباغين لم ينصره الله لأنه لو نصره لما غلبوه وذلك بحسب ما في المعلوم من مصالح العباد مع تعريض المؤمنين لمنازل الابرار بالصبر على الجهاد مع خوف القتل من حيث لم يجعل على أمان من غلبة الفجار وهذا إنما هو في النصرة بالغلبة فأما النصرة بالحجة فإن الله نصر المؤمنين من حيث هُداهم إلى طريق الحق بما نصب لهم من الأدلة الواضحة والبراهين القاطعة ولولا ذلك لما حسن التكليف وقال أبو القاسم البلخي المؤمنون منصورون أبداً إن غَلَبوا فهم المنصورون بالغلبة وإن غُلِبوا فهم المنصورون بالحجة ولا يجوز أن ينصر الله الكافر على وجه وقال الجبائي النصرة بالغلبة ثواب لأنهُ لا يجوز أن ينصر الله الظالمين من حيث لا يريد استعلاءهم بالظلم على غيرهم وقال ابن الأخشيد ليس بصواب كيف تصرفت الحال لأن الله تعالى أمرنا أن ننصر الفئة المبغي عليها وقد لا تكون مستحقة للثواب فأما الخذلان فلا خلاف أنه عقاب والخذلان هو الامتناع من المعونة على عدو في وقت الحاجة إليها لأنه لو امتنع انسان من معونة من يستغني عن معونتِه لم يكن خاذلاً له .

﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (١٦١) ﴾

[القراءة] قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم أن يغل بفتح الياء وضم الغين وقرأ الباقون بضم الياء وفتح الغين .

[**الحجة**] من قرأ يَغُلّ فمعناه يخون. يقال غَلّ في الغنيمة يغل إذا خان فيها وأغل بمعناه وقال النمر بن تولب :

جَزَى اللهُ عَنّا جَمْرَةً بِنْتَ نَوْفَلٍ   جَـزاءَ مُغِـلٍّ بِـالأَمـانَـةِ كـاذِبِ
بِمـا سَألَتْ عَنّي الْوُشاةَ لِيَكْذِبُوا   عَلَيَّ وَقَـدْ أَوْلَيْتُها فِي النَّـوائِبِ

ومن قرأ يُغَلّ فمعناه على وجهين (أحدهما) ما كان لنبي أن يُخوَّن أي ينسب إلى الخيانة أي يقال له غللتَ كقولك أسقيته أي قلت له سقاك الله قال ذو الرّمة :

وَأَسْقِيهِ حَتّىٰ كَادَ مِمّا أَبُثُّهُ تُكَلِّمُني أَحْجَارُهُ وَمَلاعِبُهُ[1]

وقال الكميت :

وَطَائِفَةٌ قَدْ أَكْفَرَتْنِي بِحُبِّكُمْ وَطَائِفَةٌ قَالَتْ مُسِيءٌ وَمُذْنِبُ

أي نسبتني إلى الكفر (والآخر) ما كان لنبي أن يخان بمعنى يسرق منهُ ويؤخذ من الغنيمة التي حازها ويكون تخصيص النبي بذلك تعظيماً للذنب قال أبو علي الفسوي الحجة لمن قرأ أن يَغُلَّ إنما جاء في التنزيل من هذا النحو أسند الفعل فيه إلى الفاعل نحو ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء وما كان ليأخذ أخاه وما كان لنفس أن تموت وما كان الله ليضل قوماً وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولا يكاد يقال ما كان لزيد أن يُضْرب وما كان لزيد لِيُضْرَب فيسند الفعل فيه إلى المفعول بِهِ فكذلك قوله وما كان لنبي أن يُغَلّ يسند الفعل فيهِ إلى الفاعل ويروى عن ابن عباس أنهُ قرأ يَغُلّ فقيل له أن عبد الله قرأ يُغَلَّ فقال ابن عباد بلى والله ويقتل وروي عن ابن عباس أيضاً أنهُ قال وقد كان النبي يقتل فكيف لا يُخوَّن .

[**اللغة**] أصل الغلول من الغَلل وهو دخول الماء في خلل الشجر يقال انغل الماء في أصول الشجر والغُلُول الخيانة لأنها تجري في المِلك على خفاء من غير الوجه الذي يحلّ كالغلل ومنهُ الغل الحقد لأنه يجري في النفس كالغلل ومنه الغليل حرارة العطش والغلة كأنّها تجري في الملك من جهات مختلفة والغلالة لأنها شعار تحت البدن .

[**النزول**] روي عن ابن عباس وسعيد بن جبير أنها نزلت في قطيفة حمراء فقدت يوم بدر من المغنم فقال بعضهم لعل النبي ﷺ أخذها وفي رواية الضحاك عنه أن رجلاً غلّ بمخيط أي بإبرة من غنائم هوازن يوم حنين فنزلت الآية وعن مقاتل أنها نزلت في غنائم أحد حين ترك الرماة المركز طلباً للغنيمة وقالوا نخشى أن يقول رسول الله من أخذ شيئاً فهو له ولا يقسم كما لم يقسم يوم بدر ووقعوا في الغنائم فقال رسول الله أظننتم أنا نغلّ ولا نقسم لكم فأنزل الله الآية وقيل أنه قسم المغنم ولم يقسم للطلائع فلما قدمت

---

(١) قوله واسقيه أي قلت للدار الذي فيه المحبوبة سقاك الله . قوله مما أبثه أي من تهييجي إياه .

الطلائع قالوا أقُسِم الفيء ولم يقسم لنا فعرفه الله الحكم فنزلت الآية وقيل نزلت في اداء الوحي كان النبي ﷺ يقرأ القرآن وفيه عيب دينهم وسب آلهتهم فسألوه أن يطوي ذلك فأنزل الله الآية .

[**المعنى**] لما قدم تعالى أمر الجهاد وذكر بعده ما يتعلق به من حديث الغنائم والنهي عن الخيانة فيها فقال ﴿ **وما كان لنبي أن يغل** ﴾ وتقديره وما كان لنبي الغلول لأن ان مع الفعل بمعنى المصدر أي لا تجتمع النبوة والخيانة وقيل معناه ما كان له أن يكتم شيئاً من الوحي عن ابن إسحاق وتقديره ما كان له أن يغل أمتهُ فيما يؤدي إليهم وقيل اللام منقولة وتقديره ما كان النبي ليغل كقوله ما كان لله أن يتخذ من ولد معناه ما كان الله ليتخذ ولداً وعلى القراءة الأخرى ما كان لنبي أن يُخَوَّن أي يخونه أصحابهُ أو بمعنى يكتمونهُ شيئاً من المغنم على ما مضى القول فيهِ وخصَّهُ بالذكر وإن كان لا يجوز أن يغل غيره من إمام أو أمير للمسلمين لوجهين (أحدهما) لعظم خيانته وأنها أعظم من خيانة غيره وهذا كقوله ﴿ **فاجتنبوا الرجس من الأوثان** ﴾ وإن كان اجتناب جميع الأرجاس واجباً (والآخر) أن النبي إنما خصَّ بالذكر لأنه القائم بأمر الغنائم فإذا حرمت الخيانة عليه وهو صاحب الأمر فحرمتها على غيره أولى وأجدر وقوله ﴿ **ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة** ﴾ معناه أنهُ يأتي حاملاً على ظهره كما روي في حديث طويل إلا لا يغلنَّ أحد بعيرا فيأتي بهِ على ظهره يوم القيامة له رغاء إلا لا يغلنّ أحد فرساً فيأتي بهِ على ظهره له حمحمة فيقول يا محمد يا محمد فأقول قد بلغت قد بلغت لا أملك لك من الله شيئاً عن ابن عباس وأبي حميد وأحمد الساعدي وابن عمر وقتادة وقال الجبائي وذلك ليفضح به على رؤوس الأشهاد وقال البلخي فيجوز أن يكون ما تضمنهُ الخبر على وجه المثل كان الله إذا فضحه يوم القيامة جرى ذلك مجرى أن يكون حاملاً له وله صوت وقد روي في خبر آخر أن النبي ﷺ كان يأمر منادياً فينادي في الناس ردوا الخيط والمخيط فإن الغلول عار وشنار يوم القيامة فجاء رجل بكبة شعر فقال إني أخذتها لأخيط بردعة بعيري فقال النبي ﷺ أما نصيبي منها فهو لك فقال الرجل أما إذا بلغ الأمر هذا المبلغ فلا حاجة لي فيها والأولى أن يكون معناه ومن يغلل يواف بما غل يوم القيامة فيكون حمل غلوله على عنقه امارة يعرف بها وذلك حكم الله تعالى في كل من وافى يوم القيامة بمعصيته لم يتب منها أو أراد الله تعالى أن يعامله بالعدل أظهر عليه من معصيته علامة تليق بمعصيته ليعلمه أهل القيامة بها ويعلموا سبب استحقاقه العقوبة كما قال تعالى ﴿ **فيومئذ لا يسأل عن ذنبهِ أنس ولا جان** ﴾ وهكذا حكمه تعالى في كل من وافى القيامة بطاعة فإنه تعالى يظهر من طاعته علامة يعرف

بها ﴿ **ثم توفى كل نفس ما كسبت** ﴾ أي يعطي كل نفس جزاء ما عملت تاماً وافياً ﴿ **وهم لا يظلمون** ﴾ أي لا ينقص أحد مقدار ما يستحقه من الثواب ولا يزاد أحد عن مقدار ما استحقه من العذاب وفي هذه الآية دلالة على فساد قول المجبرة إن الله لو عذب أولياءه لم يكن ذلك منه ظلماً لأنه قد بيَّن أنهُ لو لم يوفها ما كسبت لكان ظلماً .

﴿ أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾

[**اللغة**] باء أي رجع يقال باء بذنبه يبوء بوءاً إذا رجع بهِ وبوأته منزلاً أي هيأته له لأنهُ يرجع إليه والسخط من الله هو إرادة العقاب لمستحقه ولعنهِ وهو مخالف للغيظ لأن الغيظ هو هيجان الطبع وانزعاج النفس فلا يجوز اطلاقهُ على الله تعالى والمصير المرجع ويفرق بينهما بأن المرجع هو انقلاب الشيء إلى حال قد كان عليها والمصير انقلاب الشيء إلى خلاف الحال التي هو عليها نحو مصير الطين خزفاً ولا يقال رجع الطين خزفاً لأنهُ لم يكن قبل خزفاً والدرجة الرتبة والدرجان مشي الصبي لتقارب الرتب والترقي في العلم درجة بعد درجة أي منزلة بعد منزلة كالدرجة المعروفة .

[**النز ول**] لما أمر رسول الله ﷺ بالخروج إلى أحد قعد عنه جماعة من المنافقين واتبعهُ المؤمنون فأنزل الله تعالى هذه الآية .

[**المعنى**] لما بيَّن تعالى أن كل نفس توفى جزاء ما كسبت من خير وشر عقَّبه ببيان من كسب الخير والشر فقال ﴿ **أفمن اتبع رضوان الله** ﴾ وفيهِ أقوال (أحدها) أن معناه أفمن اتبع رضوان الله في ترك الغلول كمن باء بسخط من الله في فعل الغلول عن الحسن والضحاك واختاره الطبري لأنهُ أشبه بما تقدم (وثالثها) أفمن اتبع رضوان الله بالجهاد في سبيله ﴿ **كمن باء بسخط من الله** ﴾ في الفرار منه رغبة عنهُ عن الزجاج والجبائي وهذا الوجهُ يطابق ما سبق ذكره من سبب النزول ﴿ **ومأواه جهنم** ﴾ أي مصيره مُرجعه جهنم ﴿ **وبئس المصير** ﴾ أي المكان الذي صار إليهِ والمستقر والآية استفهام والمراد بهِ التقرير والفرق بين الفريقين أي ليس من اتبع رضوان الله أي رضاءه كمن باء بسخطهِ ﴿ **هم**

درجات ﴾ أي هم ذوو درجات ﴿ **عند الله** ﴾ فالمؤمنون ذوو درجة رفيعة والكافرون ذوو درجة خسيسة وقيل في معناه قولان (أحدهما) أن المراد اختلاف مرتبتي أهل الثواب والعقاب بما لهؤلاء من النعيم والكرامة ولأولئك من العقاب والمهانة وعبَّر عن ذلك بدرجات مجازاً وتوسعا (والثاني) أن المراد اختلاف مراتب كل من الفريقين فإن الجنة طبقات بعضها أعلى من بعض كما جاء في الخبر أن أهل الجنة ليرون أهل عليين كما يرى النجم في أفق السماء والنار دركات بعضها أسفل من بعض ومثله في حذف المضاف قول ابن هرمة أنشده سيبويه :

أَنُصْبٌ لِلْمَنِيَّةِ تَعْتَرِيهِمْ رِجَالي أَمْ هُمُ دَرَجُ السُّيُولِ [١]

أي هم ذوو درج ﴿**والله بصير بما يعملون**﴾أي عليم وفي هذا ترغيب للناس في اتباع مرضاة الله تعالى وتحذيرهم عما يوجب سخطهُ واعلام بأن اسرار العباد عنده علانية وفيهِ توثيق بأنهُ لا يضيع عمل عامل لديهِ إذ لا يخفى شيء من ذلك عليهِ فيثيب على الطاعة ويعاقب على المعصية .

﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾

[**اللغة**] أصل المن القطع يقال مَنَّه يمنهُ إذا قطعه والمن النعمة لأنه يقطع بها عن البلية يقال منَّ فلان عليَّ بكذا أي استنقذني به مما أنا فيه والمنُّ تكدير النعمة لأنه قطع لها عن وجوب الشكر عليها والمنة القوة لأنه يقطع بها الأعمال .

[**المعنى**] ثم ذكر سبحانه عظيم نعمته على الخلق ببعثه نبينا فقال ﴿ **لقد منَّ الله** ﴾ أي أنعم الله ﴿ **على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً** ﴾ منهم خصَّ المؤمنين بالذكر وإن كان ﷺ مبعوثاً إلى جميع الخلق لأن النعمة عليهم أعظم لاهتدائهم بهِ وانتفاعهم ببيانه

(١) أي أمتوف رجالي للموت الذي يعتريهم أم هم يدرجون درج السيل .

ونظير ذلك ما تقدم بيانه من قوله هدى للمتقين وقوله ﴿ **من أنفسهم** ﴾ فيه أقوال (أحدها) أن المراد به من رهطهم يعرفون منشأه وصدقه وأمانته وكونه أميّاً لم يكتب كتاباً ولم يقرأه ليعلموا أن ما أتى به وحي منزل ويكون ذلك شرفاً لهم وداعياً إياهم إلى الإيمان (وثانيها) أن المراد به أنه يتكلم بلسانهم فيسهل عليهم تعلم الحكمة منه فيكون خاصاً بالعرب (وثالثها) أنه عام لجميع المؤمنين والمراد بأنفسهم أنه من جنسهم لم يبعث ملكاً ولا جنياً وموضع المنة فيه أنه بعث فيهم من عرفوا أمره وخبَّروا شأنه وقوله ﴿ **يتلو عليهم آياته** ﴾ يعني القرآن ﴿ **ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة** ﴾ مضى بيانه في سورة البقرة ﴿ **وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين** ﴾ يعني أنهم كانوا في ضلال ظاهر بيِّن أي كفاراً وكفرهم هو ضلالهم فأنقذهم الله بالنبي ﷺ .

﴿ أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿١٦٥﴾

[**الإعراب**] إنما دخلت الواو في أو لما لعطف جملة على جملة إلا أنه تقدمها ألف الاستفهام لأن له صدر الكلام وإنما وصلت هذه الواو الكلام الثاني بالأول ليدل على تعلقه به في المعنى وذلك أنها وصلت التفريع على الخطيئة بالتذكير بالنعمة لفرقة واحدة .

[**المعنى**] ثم عاد الكلام إلى ذكر الجهاد فقال ﴿ **أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها** ﴾ أي حين أصابكم القتل والجرح وذلك ما أصاب المسلمين يوم أحد فإنه قتل من المسلمين سبعون رجلاً وكانوا هم أصابوا من المشركين يوم بدر مثليها فإنهم كانوا قتلوا من المشركين سبعين رجلاً وأسروا سبعين عن قتادة وعكرمة والربيع والسدي أي وقد أصبتم أيها المسلمون يوم بدر مثليها وقيل قتلتم منهم ببدر سبعين وبأحد سبعين عن الزجاج وهذا ضعيف لأنه خلاف ما ذكره أهل السِيَر فإنه لا خلاف بينهم أنه قتل منهم بأحد نفر يسير فقوله خلاف الجمهور ﴿ **قلتم أنَّى يكون هذا** ﴾ أي من أيّ وجه أصابنا هذا ونحن مسلمون وفينا رسول الله ﷺ وينزل عليه الوحي وهم مشركون وقيل إنهم إنما استنكروا ذلك لأنه وعدهم بالنصر من الله إن أطاعوه عن الجبائي وقوله ﴿ **قل هو من عند أنفسكم** ﴾ أي قل يا محمد ما أصابكم من الهزيمة والقتل من عند أنفسكم أي بخلافكم أمر ربكم وترككم طاعة الرسول ﷺ وفيه أقوال (أحدها) أن ذلك بمخالفتهم الرسول في الخروج من

المدينة للقتال يوم أحد وكان النبي ﷺ دعاهم إلى أن يتحصنوا بها ويدعوا المشركين إلى أن يقصدوهم فيها فقالوا كنا نمتنع من ذلك في الجاهلية ونحن الآن في الإسلام وأنت يا رسول الله نبينا أحق بالامتناع وأعز عن قتادة والربيع (وثانيها) أن ذلك باختيارهم الفداء من الأسرى يوم بدر وكان الحكم فيهم القتل وشرط عليهم أنكم إن قبلتم الفداء قتل منكم في القابل بعدتهم فقالوا رضينا فإنا نأخذ الفداء وننتفع به وإذا قتل منا فيما بعد كنا شهداء عن علي (ع) وعبيدة السلماني وهو المروي عن الباقر (ع) (وثالثها) أن ذلك بخلاف الرماة يوم أحد لما أمرهم رسول الله ﷺ به من ملازمة مراكزهم ﴿ **إن الله على كل شيء قدير** ﴾ أي فهو قادر على نصركم فيما بعد وإن لم ينصركم في الحال لمخالفتكم .

﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ قَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْ ۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾

[**الإعراب**] الفاء إنما دخلت في قوله ﴿ **فبإذن الله** ﴾ لأن خبر ما الذي بمعنى الذي يشبه جواب الجزاء لأنه معلق بالفعل في الصلة كتعليقه بالفعل في الشرط كقولك الذي قام فمن أجل أنه كريم أي لأجل قيامه صح أنه كريم ومن أجل كرمه قام .

[**المعنى**] ﴿ **وما أصابكم** ﴾ أيها المؤمنون ﴿ **يوم التقى الجمعان** ﴾ جمع المسلمين وجمع المشركين يعني يوم أحد من النكبة بقتل من قتل منكم ﴿ **فبإذن الله** ﴾ أي بعلم الله ومنه قوله ﴿ **وأذان من الله** ﴾ أي اعلام وقيل بتخلية الله بينكم وبينهم التي تقوم مقام الاطلاق في الفعل برفع الموانع والتمكين من الفعل الذي يصح معه التكليف وقيل بعقوبة الله فإن الله تعالى جعل لكل ذنب عقوبة وكان ذلك عقوبة لهم من الله على ترك أمر رسول الله ولا يجوز أن يكون المراد بالإذن هاهنا الإباحة والإطلاق كما يقتضيه[1] اللفظ لأن الله

---

(١) [ظاهر] .

لا يبيح المعاصي ولا يُطلقها وقتل الكافر المسلم من أعظم المعاصي فكيف يأذن فيه ﴿ **وليعلم** ﴾ الله ﴿**المؤمنين**[١] **الذين نافقوا** ﴾ معناه وليميز المؤمنين من المنافقين لأن الله عالم بالأشياء قبل كونها فلا يجوز أن يعلم عند ذلك ما لم يكن عالماً به إلا أن الله أجرى على المعلوم لفظ العلم مجازاً أي ليظهر المعلوم من المؤمن والمنافق ﴿ **قيل لهم** ﴾ أي للمنافقين ﴿ **تعالوا قاتلوا في سبيل الله** ﴾ قالوا إن عبد الله بن أبي والمنافقين معه من أصحابه إنخذلوا يوم أحد نحواً من ثلثمائة رجل وقالوا علامَ نقتل أنفسنا وقال لهم عبد الله بن عمرو بن حزام الأنصاري تعالوا قاتلوا في سبيل الله واتقوا الله ولا تخذلوا نبيكم ﴿ **أو ادفعوا** ﴾ عن حريمكم وأنفسكم إن لم تقاتلوا في سبيل الله وقيل معناه أقيموا معنا وكثِّروا سوادنا وهذا يدل على أن تكثير سواد المجاهدين معدود في الجهاد وبمنزلة القتال ﴿ **قالوا لو نعلم قتالاً لاتبعناكم** ﴾ يعني قال المنافقون لو علمنا قتالاً لقاتلناهم قالوا ذلك إبلاء لعذرهم في ترك القتال والرجوع إلى المدينة فقال لهم أبعدكم الله ، الله يغني عنكم وقيل إنما القائل لذلك رسول الله يدعوهم إلى القتال عن الأصم ﴿ **هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان** ﴾ يعني بإظهار هذا القول صاروا أقرب إلى الكفر إذ كانوا قبل ذلك في ظاهر أحوالهم أقرب إلى الإيمان حتى هتكوا الستر فعلم المؤمنون منهم ما لم يعلموه واللام بمعنى إلى يعني هم إلى الكفر أقرب منهم إلى الإيمان كقوله تعالى ﴿ **الحمد لله الذي هدانا لهذا** ﴾ أي إلى هذا ﴿ **يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم** ﴾ ذكر الأفواه تأكيداً لأن القول قد يضاف إليها وقيل إنما ذكر الأفواه فرقاً بين قول اللسان وقول الكتاب والمراد به قولهم لو نعلم قتالاً لاتبعناكم واضمارهم أنه لو كان قتال لم يقاتلوا معهم ولم ينصروا النبي (ﷺ) وقيل معناه يقولون بأفواههم من التقرب إلى الرسول والإيمان ما ليس في قلوبهم فإن في قلوبهم الكفر ﴿ **والله أعلم بما يكتمون** ﴾ أي بما يضمرونه من النفاق والشرك .

﴿ ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ وَقَعَدُواْ لَوۡ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْۗ قُلۡ فَٱدۡرَءُواْ عَنۡ أَنفُسِكُمُ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٦٨

[**اللغة**] الدرء الدفع يقال درء عنه أي دفع عنه قال الشاعر :

---

(١) [وليعلم].

تَقُولُ إِذَا دَرَأْتُ لَهَا وَضِينِي[١] أَهَـذَا دِيـنُـهُ أَبَـداً وَدِيـنِـي

[**الإعراب**] موضع الذين يحتمل أن يكون نصباً على البدل[٢] من الضمير في يكتمون ويحتمل أن يكون رفعاً على خبر الابتداء على تقديرهم الذين قالوا .

[**المعنى**]﴿ **الذين قالوا** ﴾ يعني المنافقين ﴿ **لإخوانهم** ﴾ في النسب لا في الدين يعني عبد الله بن أبي وأصحابه قالوا في قتلى أحد ﴿ **وقعدوا** ﴾ هم يعني هؤلاء القائلون عن جابر وقتادة والسدي والربيع ﴿ **لو أطاعونا** ﴾ في القعود في البيت وترك الخروج إلى القتال ﴿ **ما قتلوا قل** ﴾ لهم يا محمد (ﷺ) ﴿ **فادرؤوا** ﴾ أي فادفعوا ﴿ **عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين** ﴾ في هذه المقالة ولا يمكنهم دفع الموت لأنه يجوز أن يدخل عليهم العدو فيقتلهم في قعر بيوتهم وإنما ألزمهم الله دفع الموت عن أنفسهم بمقالتهم أنهم لو لم يخرجوا لم يقتلوا لأن من علم الغيب في السلامة من القتل يجب أن يمكنه أن يدفع عن نفسه الموت فينبغي أن يدفعه هذا القائل فإنه أجدى عليه وفي هذا ترغيب في الجهاد وبيان أن كل أحد يموت بأجله . فلا ينبغي أن يجعل ذلك عذراً في القعود عن الجهاد لأن المجاهد ربما يسلم والقاعد ربما يموت فيجب أن يكون على الله التكلان .

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًا بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾

[**القراءة**] قرأ ابن عامر قتّلوا بالتشديد والباقون بالتخفيف وقرأ الكسائي وحده إنّ الله

(١) الوضين : البطان العريض المنسوج من سيور أو شعر وقيل أن الوضين للهودج بمنزلة الحزام المسرج .
(٢) [من الذين نافقوا ويحتمل أن يكون رفعاً على البدل].

لا يضيع بكسر الألف والباقون بالفتح .

[**الحجة**] من قرأ قتلوا بالتخفيف فالوجه فيه إن التخقيف يصلح للقليل والكثير(١) ووجه الفتح في أنَّ أنَّ المعنى ويستبشرون بأن الله لا يضيع أجرهم ويتوفر ذلك عليهم ويوصله إليهم من غير نقص وبَخْس ووجه الكسر على الاستئناف .

[**اللغة**] أصل البشارة من البشرة لظهور السرور فيها ومنه البشر لظهور بشرته والمستبشر من طلب السرور في البشارة فوجده ولَحَقْتُ الشيء وألحقته غيري وقيل لحقت وألحقت لغتان بمعنى واحد وجاء في الدعاء أن عذابك بالكفار ملحِق بكسر الحاء أي لاحق والنعمة هي المنفعة التي يستحق بها الشكر إذا كانت خالية من وجوه القبح لأن المنفعة على ضربين ـ (أحدهما) ـ منفعة اغترار وحيلة ـ (والآخر) ـ منفعة خالصة من شائبة الإساءة والنعمة تعظم بفعل غير المنعم كنعمة النبي (ﷺ) على من دعاه إلى الإسلام فاستجاب له لأن دعاؤه أنفع من وجهين ـ (أحدهما) ـ حسن النية في دعائه إلى الحق ليستجيب له (والآخر) بقصده الدعاء إلى حق يعلم أن يستجيب له المدعو وإنما يستدل بفعل غير المنعم على موضع النعمة في الجلالة وعظم المنزلة .

[**الإعراب**] إحياء رفع بأنه خبر مبتدأ محذوف أي بل هُم أحياء ولا يجوز النصب فيه بحال لأنه يصير التقدير فيه بل أحسبهم أحياء والمراد بل أعلمهم أحياء ويرزقون في موضع رفع صفة لأحياء وفرحين نصب على الحال من يرزقون وهو أولى من رفعه عطفاً على بل أحياء لأن النصب ينبيء عن إجتماع الرزق والفرح في حال واحدة ولو رفع على الاستئناف لكان جائزاً وقال الخليل موضع أن لا خوف عليهم جرّ بالباء على تقدير بأن لا خوف عليهم وقال غيره موضعهُ نصب على أنه(٢) بدل من قوله ﴿ **الذين لم يلحقوا** ﴾ وهو بدل الاشتمال مثل قولهِ يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه .

[**النزول**] قيل نزلت في شهداء بدر وكانوا أربعة عشر رجلاً ثمانية من الأنصار وستة من المهاجرين وقيل نزلت في شهداء أحد وكانوا سبعين رجلاً أربعة من المهاجرين حمزة بن عبد المطلب ومصعب بن عمير وعثمان ابن شماس وعبد الله بن جحش وسائرهم

---

(١) [تقول قتلت القوم فيصلح للكثرة كما تقول ضربت زيداً ضربة فيصلح للقلة ووجه التثقيل إن المقتولين كثير وفعل يختص به الكثير دون القليل].

(٢) [لما حذف حرف الجر وصل الفعل إليه فنصبه كما قيل امرتك الخير أي بالخير وقيل موضع أن لا خوف عليهم جرّ على أنه] .

من الأنصار عن ابن مسعود والربيع وقتادة وقال الباقر (ع) وكثير من المفسرين أنها تتناول قتلى بدر وأحد معاً وقيل نزلت في شهداء بئر معونة وكان سبب ذلك ما رواه محمد بن إسحاق بن يسار بإسناده عن أنس بن مالك وغيره قالوا قدم أبو براء عامر بن مالك بن جعفر ملاعب الاسنة وكان سيد بني عامر بن صعصعة على رسول الله المدينة واهدى لهُ هدية فأبى رسول الله (ﷺ) أن يقبلها وقال يا أبا براء لا أقبل هدية مشرك فأسلم إن أردت أن أقبل هديتك وقرأ عليه القرآن فلم يسلم ولم يعد[1] وقال يا محمد إن أمرك هذا الذي تدعو إليه حسن جميل فلو بعثت رجالاً من أصحابك إلى أهل نجد فدعوتهم إلى أمرك رجوت أن يستجيبوا لك فقال رسول الله (ﷺ) إني أخشى عليهم أهل نجد فقال أبو براء أنا لهم جار فابعثهم فليدعوا الناس إلى أمرك فبعث رسول الله (ﷺ) المنذر ابن عمرو أخا بني ساعدة في سبعين رجلاً من خيار المسلمين منهم الحارث بن الصمة وحرام بن ملحان وعروة ابن اسما بن صلت السلمي ونافع بن بديل بن ورقاء الخزاعي وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر وذلك في صفر سنة أربع من الهجرة على رأس أربعة أشهر من أحد فساروا حتى نزلوا بئر معونة فلما نزلوا قال بعضهم لبعض أيّكم يبلغ رسالة رسول الله أهل هذه الماء فقال حرام بن ملحان أنا فخرج بكتاب رسول الله (ﷺ) إلى عامر بن الطفيل فلما أتاهم لم ينظر عامر في كتاب رسول الله فقال حرام يا أهل بئر معونة أني رسول رسول الله إليكم وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله فآمنوا بالله تعالى ورسوله فخرج إليه رجل من كسر البيت برمح فضرب به في جنبه حتى خرج من الشق الآخر فقال الله أكبر فزت ورب الكعبة ثم استصرخ عامر بن الطفيل بني عامر على المسلمين فأبوا أن يجيبوه إلى ما دعاهم إليه وقالوا لن نسفر أبا براء[2] قد عقد لهم عقداً وجواراً فاستصرخ عليهم قبائل من بني سليم عُصَيّة ورِعْلا وذكوانا فأجابوه إلى ذلك فخرجوا حتى غشوا القوم فأحاطوا بهم في رحالهم فلما رأوهم أخذوا السيوف فقاتلوهم حتى قتلوا عن آخرهم إلا كعب بن زيد فإنهم تركوه وبه رمق فَارْتُثَّ بين القتلى[3] فعاش حتى قتل يوم الخندق وكان في سرح القوم عمرو بن أمية الضمري ورجل من الأنصار أحد بني عمرو بن عوف فلم ينبئهما بمصاب أصحابهما إلا الطير يحوم حول العسكر فقالوا والله إن لهذا الطير لشأناً فأقبلا لينظرا إليه فإذا القوم في دمائهم وإذا الخيل التي أصابتهم واقفة فقال الأنصاري

---

(١) أي من الإسلام . (٢) أخفره : نقض عهده وغدره .

(٣) ارتث مجهولاً : حمل من المعركة جريحاً وفيه رمق .

لعمرو بن أمية ماذا ترى قال أرى أن نلحق برسول الله فنخبره الخبر فقال الأنصاري لكني ما كنت لأرغب بنفسي عن موطن قتل فيه المنذرِ بن عمرو ثم قاتل القوم حتى قتل وأخذوا عمرو بن أمية أسيراً فلما أخبرهم أنه من ضَمَر أطلقه عامر بن الطفيل وجزّ ناصيته وأعتقه عن رقبة زعم أنها كانت على أبيه فقدم عمرو بن أمية على رسول الله وأخبره الخبر فقال رسول الله (ﷺ هذا عمل أبي براء وقد كنت لهذا كارهاً متخوفاً فبلغ ذلك أبا براء فشق عليه إخفار عامر إياه وما أصاب رسول الله بسببه فقال حسان بن ثابت يحرض أبا براء على عامر بن الطفيل :

بَنِي أُمِّ الْبَنِينَ أَلَمْ يَرُعْكُمْ ... وَأَنْتُمْ مِنْ ذَوَائِبِ أَهْلِ نَجْدِ[١]
تَهَكُّمُ عَامِرٍ بِأَبِي بَرَاءٍ ... لِيُخْفِرَهُ وَمَا خَطَأٌ كَعَمْدِ[٢]
أَلا أَبْلِغْ رَبِيعَةَ ذَا الْمَسَاعِي ... فَما أَحْدَثْتَ فِي الْحَدَثَانِ بَعْدِي
أَبُوكَ أَبُو الْحُرُوبِ أَبُو بَرَاءٍ ... وَخَالُكَ مَاجِدٌ حَكَمُ بْنُ سَعْدٍ

وقال كعب بن مالك :

لَقَدْ طَارَتْ شُعَاعاً كُلَّ وَجْهٍ ... خِفَارَةُ مَا أَجَارَ أَبُو بَرَاءِ
بَنِي أُمِّ الْبَنِينَ أَمَا سَمِعْتُمْ ... دُعَاءَ الْمُسْتَغِيثِ مَعَ النِّسَاءِ
وَتَنْوِيهَ الصَّرِيخِ بَلَىٰ وَلَكِنْ ... عَرَفْتُمْ أَنَّهُ صِدْقُ اللِّقَاءِ[٣]

فلما بلغ ربيعة ابن أبي براء قول حسان وقول كعب حمل على عامر بن الطفيل وطعنه فخرّ عن فرسه فقال هذا عمل أبي براء إن متُّ فدمي لعمّي ولا يتبعن سواي[٤] وإن عشت فسأرى فيه رأيي قال فأنزل الله في شهداء بئر معونة قرآناً بلّغوا قَوْمنا عنا بأنا قد لقينا ربنا فرضي عنا ورضينا عنهُ ثم نسخت ورفعت بعد ما قرأناها وأنزل الله تعالى ﴿ **ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله** ﴾ الآية .

[**المعنى**] لما حكى الله سبحانه قول المنافقين في المقتولين الشهداء تثبيطاً للمؤمنين عن جهاد الأعداء ذكر بعده ما أعدّ الله للشهداء من الكرامة وخصّهم به من النعيم في دار المقامة فقال ﴿ **ولا تحسبن** ﴾ والخطاب للنبي أو يكون على معنى لا تحسبن أيها السامع أو أيها الإنسان ﴿ **الذين قتلوا في سبيل الله** ﴾ أي في الجهاد وفي نصرة دين الله

(١) الذوائب : الأشراف .
(٢) تهكم بفلان : استهزأ به .
(٣) تنويه الصريخ : دعاؤه إلى القتال .
(٤) والظاهر « سواه » .

﴿ **أمواتاً** ﴾ أي موتى كما مات من لم يقتل في سبيل الله في الجهاد ﴿ **بل أحياء** ﴾ أي بل هم أحياء وقد مرّ تفسيره في سورة البقرة عند قوله ﴿ **ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات** ﴾(١) الآية وقوله ﴿ **عند ربهم** ﴾ فيه وجهان (أحدهما) أنهم بحيث لا يملك لهم أحد نفعاً ولا ضراً إلا ربّهم وليس المراد بذلك قرب المسافة لأن ذلك من صفة الأجسام وذلك مستحيل على الله تعالى (والآخر) أنهم عند ربهم أحياء من حيث يعلمهم كذلك دون الناس عن أبي علي الجبائي وروي عن ابن عباس وابن مسعود وجابر أن النبي (ﷺ) قال لما أُصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في حواصل طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وروي عنه أنهُ قال لجعفر بن أبي طالب وقد استشهد في غزاة موته رايته وله جناحان يطير بهما مع الملائكة في الجنة وأنكر بعضهم حديث الأرواح وقال الروح عَرَض لا يجوز أن يتنعم وهذا لا يصح لأن الروح جسم رقيق هوائي مأخوذ من الريح ويدل على ذلك أنه يخرج من البدن ويرد إليه وهي الحَسّاسَة الفعّالة دون البدن وليست من الحياة في شيء لأن ضد الحياة الموت وليس كذلك الروح وهذا قول علي بن عيسى ﴿ **يرزقون** ﴾ من نعيم الجنة غدوّاً وعشياً وقيل يرزقون النعيم في قبورهم ﴿ **فرحين بما آتاهم الله من فضله** ﴾ أي يسرّون بما أعطاهم الله من ضروب نعمه في الجنة وقيل في قبورهم وقيل معناه فرحين بما نالوا من الشهادة وجزائها ﴿ **ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم** ﴾ أي يسرّون بإخوانهم الذين فارقوهم وهم أحياء في الدنيا على مناهجهم من الإيمان والجهاد لعلمهم بأنهم إن إستشهدوا لحقوا بهم وصاروا من كرامة الله إلى مثل ما صاروا هم إليه يقولون إخواننا يقتلون كما قتلنا فيصيبون من النعيم مثل ما أصبنا عن ابن جريج وقتادة وقيل أنه يؤتى الشهيد بكتاب فيه ذكر من تقدم عليه من إخوانه فيسرّ بذلك ويستبشر كما يستبشر أهل الغائب بقدومه في الدنيا عن السدي وقيل معناه لم يلحقوا بهم في الفضل إلا أن لهم فضلاً عظيماً بتصديقهم وإيمانهم عن الزجاج ﴿ **أن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون** ﴾ أي يستبشرون بأن لا خوف عليهم وذلك لأنه بدل من قوله ﴿ **الذين لم يلحقوا بهم من خلفهم** ﴾ لأن الذين يلحقون بهم مشتملون على عدم الحزن فالاستبشار هنا إنما يقع بعدم خوف هؤلاء اللاحقين ومعناه لا خوف عليهم فيمن خلفوه من ذريتهم لأن الله تعالى يتولاهم ولا هم يحزنون على ما خلفوا من أموالهم لأن الله قد أجزل ما عوّضهم وقيل معناه لا خوف عليهم فيما يقدمون عليه لأن الله محَصَّ ذنوبهم بالشهادة ولا

---

(١) أي في الصفحة ٤٣٣ .

هم يحزنون على مفارقة الدنيا فرحاً بالآخرة ﴿ **يستبشرون** ﴾ يعني هؤلاء الذين قتلوا في سبيل الله الذين وصفهم الله بأنهم يرزقون فرحين بما أتاهم الله من فضله ﴿ **بنعمة من الله وفضل** ﴾ الفضل والنعمة عبارتان يُعبّر بهما عن معنى واحد قيل في تكراره قولان (أحدهما) إن المراد أنها ليست نعمة على قدر الكفاية من غير مضاعفة السرور واللذة فالنعمة ما استحقوه بطاعتهم والفضل ما زادهم من المضاعفة في الأجر (والآخر) إنه للتأكيد وتمكين المعنى في النفس والمبالغة ﴿ **وإن الله لا يضيع أجر المؤمنين** ﴾ أي يوفّر جزاءهم وإنما ذكر ذلك وإن كان غيرهم يعلم ذلك لأنهم يعلمونه بعلم الموت ضرورة وإنما يعلمونه في دار التكليف إستدلالاً وليس الاستدلال كالمشاهدة ولا الخبر كالمعاينة فإن مع الضرورة والعيان يتضاعف سرورهم ويشتد إرتباطهم وفيه دلالة على أن الثواب مستحق وإن الله لا يبطله البتة وإن الاثابة لا تكون إلا من قبله تعالى ولذلك أضاف نفي الإضاعة إلى نفسه وما روي في الأخبار من ثواب الشهداء أكثر من أن يحصى أعلاها إسناداً ما رواه علي بن موسى الرضا (ع) عن الحسين بن علي (ع) قال بينما أمير المؤمنين يخطب ويَحُضّهم على الجهاد إذ قام إليه شاب فقال يا أمير المؤمنين أخبرني عن فضل الغزاة في سبيل الله فقال كنت رديف رسول الله (ﷺ) على ناقته العضباء ونحن منقلبون عن غزوة ذات السلاسل فسألته عما سألتني عنه فقال الغُزاة إذا هَمّوا بالغزو كتب الله لهم براءة من النار فإذا تجهزوا لغزوهم باهى الله بهم الملائكة فإذا وَدّعهم أهلوهم بكَتْ عليهم الحيطان والبيوت ويخرجون من الذنوب كما تخرج الحية من سلخها ويُوَكّل الله بكل رجل أربعين ملكاً يحفظونه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ولا يعمل حسنة إلّا ضُعّف له ويكتب له كل يوم عبادة ألف رجل يعبدون الله ألف سنة كل سنة ثلاثمائة وستون يوماً اليوم مثل عمر الدنيا وإذا صاروا بحضرة عدوّهم إنقطع علم أهل الدنيا عن ثواب الله إياهم فإذا برزوا لعدوهم وأشرعت الأسنة وفوقت السهام وتقدم الرجل إلى الرجل حَفّتهم الملائكة بأجنحتها يدعون الله بالنصرة والتثبيت فينادي مناد الجنة تحت ظلال السيوف فتكون الطعنة والضربة على الشهيد أهون من شرب الماء البارد في اليوم الصائف وإذا زال الشهيد من فرسه بطعنة أو ضربة لم يصل إلى الأرض حتى يبعث الله إليه زوجته من الحور العين فتبشره بما أعدّ الله له من الكرامة فإذا وصل إلى الأرض تقول له الأرض مرحباً بالروح الطيّب الذي أخرج من البدن الطيب أبشر فإن لك ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ويقول الله عز وجل أنا خليفته في أهله من أرضاهم فقد أرضاني ومن أسخطهم فقد أسخطني ويجعل الله روحه في حواصل طير

خضر تسرح في الجنة حيث يشاء تأكل من ثمارها وتأوي إلى قناديل من ذهب معلقة بالعرش ويعطى الرجل منهم سبعين غرفة من غرف الفردوس سلوك كل غرفة ما بين صنعاء والشام يملأ نورها ما بين الخافقين في كل غرفة سبعون باباً على كل باب سبعون مصراعاً من ذهب على كل باب سبعون غرفة مُسْبَلة(١) في كل غرفة سبعون خيمة في كل خيمة سبعون سريراً من ذهب قوائمها الدر والزبرجد مرمولة(٢) بقضبان الزمرد على كل سرير أربعون فراشاً غلظ كل فراش أربعون ذراعاً على كل فراش زوجة من الحور العين عُرُبا أترابا فقال أخبرني يا أمير المؤمنين عن العروبة فقال هي الغنجة الرضية الشهية لها سبعون ألف وصيف وسبعون ألف وصيفة صفر الحلى بيض الوجوه عليهن تيجان اللؤلؤ على رقابهم المناديل بأيديهم الأكوبة والأباريق فإذا كان يوم القيامة فوالذي نفسي بيده لو كان الأنبياء على طريقهم لترجلوا لهم لما يرون من بهائهم حتى يأتوا إلى موائد من الجواهر فيقعدون عليها ويشفع الرجل منهم في سبعين ألفاً من أهل بيته وجيرانه حتى أن الجارين يتخاصمان أيهما أقرب جواراً فيقعدون معي ومع إبراهيم على مائدة الخلد فينظرون إلى الله عز وجل في كل يوم بكرة وعشياً .

﴿ ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾

[**اللغة**] إستجاب وأجاب بمعنى وقيل استجاب طلب الإجابة وأجاب فعل الإجابة والقرح الجرح وأصله الخلوص من الكدر ومنه ماء قراح أي خالص والقراح من الأرض ما خلص طينه من السبخ وغيره والقريحة خالص الطبيعة واقترحت عليه كذا أي اشتهيته عليه لخلوصي على ما تتوق نفسه إليه كأنه قال استخلصته وفرس قارح طلع نابه لخلوصه عن

---

(١) أسبل الستر : ارخاه . (٢) المرمولة : المزينة .

نقص الصغار ببلوغ تلك الحال والقرح الجراح لخلوص ألمه إلى النفس والإحسان هو النفع الحسن والإفضال النفع الزائد على أقل المقدار حسبنا الله أي كافينا الله وأصله من الحساب لأن الكفاية بحسب الحاجة وبحساب الحاجة ومنه الحسبان وهو الظن والوكيل الحفيظ وقيل هو الولي وأصله القيام بالتدبير فمعنى الوكيل في صفات الله هو المتولي للقيام بتدبير خلقه لأنه مالكهم الرحيم بهم وهو في صفة غيره وإنما بعتد بالتوكيل .

[**الإعراب**] موضع الذين يحتمل ثلاثة أوجه من الاعراب الجرّ على ان يكون نعتاً للمؤمنين والأحسن والأشبه بالآية ان يكون في موضع الرفع على الابتداء وخبره الجملة التي هي للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم ويجوز النصب على المدح وتقديره اعني الذين استجابوا إذا ذكروا وكذلك القول في موضع الذين في الآية الثانية لانهما نعت لموصوف واحد وقوله ﴿**لم يمسسهم سوء**﴾ في موضع نصب على الحال وتقديره فانقلبوا بنعمة من الله وفضل سالمين والعامل فيه فانقلبوا .

[**النزول**] لما انصرف أبو سفيان وأصحابه من أحد لبلغوا الروحاء ندموا على انصرافهم عن المسلمين وتلاوموا فقالوا لا محمداً قتلهم ولا الكواعب أردفتم قتلتموهم حتى إذا لم يبق منهم إلا الشريد تركتموهم فارجعوا فاستأصلوهم فبلغ ذلك الخبر رسول الله ﷺ فأراد أن يرهب العدو ويريهم من نفسه واصحابه قوة فندب أصحابه للخروج في طلب ابي سفيان وقال الاعصابة تشدد لأمر الله تطلب عدوها فإنها أنْكَا للعدو وأبعد للسمع فانتدب عصابة منهم مع ما بهم من القراح والجراح الذي أصابهم يوم أحد ونادى منادي رسول الله الا لا يخرجن أحد إلا من حضر يومنا بالأمس وإنما خرج رسول الله ﷺ ليرهب العدو وليبلغهم أنه خرج في طلبهم فيظنوا به قوة وان الذي أصابهم لم يوهنهم من عدوهم فينصرفوا فخرج في سبعين رجلاً حتى بلغ حمراء الأسد وهي من المدينة على ثمانية اميال وذكر علي بن إبراهيم بن هاشم في تفسيره ان رسول الله ﷺ قال هل من رجل يأتينا بخبر القوم فلم يجُبه أحد فقال أمير المؤمنين أنا آتيك بخبرهم قال اذهب فإن كانوا ركبوا الخيل وجنبوا الإبل فإنهم يريدون المدينة وإن كانوا ركبوا الإبل وجنبوا الخيل فإنهم يريدون مكة فمضى أمير المؤمنين (ع) على ما به من الألم والجراح حتى كان قريباً من القوم فرآهم قد ركبوا الإبل وجنبوا الخيل فرجع وأخبر رسول الله ﷺ بذلك فقال أرادوا مكة فلما دخل رسول الله المدينة نزل جبرائيل فقال يا محمد ﷺ إن الله عز وجل يأمرك ان تخرج ولا يخرج معك إلا من به جراحة فأقبلوا يكمدون جراحاتهم ويداوونها فأنزل الله تعالى على نبيه ﷺ ﴿**ولا تهنوا في ابتغاء القوم ان تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون**﴾ فخرجوا

على ما بهم من الألم والجراح حتى بلغوا حمراء الأسد وروي محمد بن إسحاق بن يسار عن عبد الله بن خارجة بن زيد بن ثابت عن أبي السائب ان رجلاً من أصحاب النبي ﷺ من بني عبد الأشهل كان شهد أحداً قال شهدت أحداً أنا وأخ لي فرجعنا جريحين فلما أذّن مؤذن رسول الله ﷺ بالخروج في طلب العدو قلنا لا تفوتنا غزوة مع رسول الله فوالله ما لنا دابة نركبها وما منا إلا جريح ثقيل فخرجنا مع رسول الله ﷺ وكنت ايسر جرحاً من أخي فكنت إذا غُلب حملته عقْبة ومشى عقبة حتى انتهينا مع رسول الله ﷺ إلى حمراء الأسد فمرّ برسول الله معبد الخزاعي بحمراء الأسد وكانت خزاعة مسلمهم وكافرهم عيبة رسول الله بتهامة صفقتهم معه لا يخفون عنه شيئاً ومعبد يومئذ مشرك فقال يا محمد ﷺ والله لقد عزّ علينا اصابك في قومك واصحابك ولوددنا ان الله كان اعفاك فيهم ثم خرج من عند رسول الله صلى الله عليه وآله حتى لقي أبا سفيان ومن معه بالروحاء واجمعوا الرجعة إلى رسول الله ﷺ وقالوا قد أصبنا حَدَّ اصحابه وقادتهم وأشرافهم ثم رجعنا قبل ان نستأصلهم فلما رأى أبو سفيان معبداً قال ما وراك يا معبد قال محمد ﷺ قد خرج في اصحابه يطلبكم في جمع لم أر مثله قَطّ يتحرقون عليكم تحرقاً وقد اجتمع عليه من كان تخلف عنه في يومكم وندموا على صنيعهم وفيه من الحنق عليكم ما لم ار مثله قط قال ويلك ما تقول قال فأنا والله ما أراك ترتحل حتى ترى نواصي الخيل قال فوالله لقد أجمعنا الكرة عليهم لنستأصلهم قال فأنا والله انهاك عن ذلك فوالله لقد حملني ما رأيت على ان قلت ابياتاً من شعر قال وما قلت قال قلت.

كَادَتْ تَهُدُّ مِنَ الأَصْوَاتِ رَاحِلَتي ... إذْ سَالَتِ الأَرْضُ بِالْجُردِ الأَبَابِيلِ [1]
تَردى بِأُسْدٍ كِرامٍ لَا تَنابِلَةٍ ... عِنْدَ اللِّقَاءِ ولاَ خُرْقٍ مَعَازِيلِ
فَظِلْتُ عَدْواً أَظُنُّ الأَرْضَ مَائِلَةً ... لَما سَمَوْا بَرئِيسٍ غَيْرِ مَخْذُولِ
وَقُلْتُ وَيْلَ لابنِ حَرْبٍ مِنْ لِقَائِكُمْ ... إذَا تَغَطْمَطَتِ الْبَطْحَاءُ بِالْخَيْلِ
إنِّي نَذِيرٌ لِأَهْلِ الْسُّبْلِ ضَاحِيَةً ... لِكُلِّ ذي إِرْبَةٍ مِنْهُمْ وَمَعْقُولِ
مِنْ جَيْشِ أَحْمَدَ لاَوَخْشٍ تنابلة ... وَلَيْسَ يُوصَفُ مَا أَثْبَتُّ بِالْقِيلِ

قال فثنى ذلك أبا سفيان ومن معه ومرَّ به ركب من عبد قيس فقال أين تريدون فقالوا

---

(١) الاجرد : الفرس القصير الشعر . واباييل. الفرق. وردى الفرس : رجمت الأرض بحوافرها. والتنابلة جمع تنبال: القصير القامة. ومعازيل جمع معزل: الضعيف الاحمق وكذا الخرق وتغطمط البحر : اضطرب وعلت امواجه. والوخش: رذال الناس واسقاطهم.

نريد المدينة قال فهل أنتم مبلغون عنّي محمداً رسالة ارسلكم بها إليه واحمل لكم إبلكم هذه زبيبا بعكاظ غداً إذا وافيتمونا قالوا نعم قال فإذا جئتموه فأخبروه أنا قد اجمعنا الكرة عليه وعلى اصحابه لنستأصل بقيتهم وانصرف أبو سفيان إلى مكة ومرّ الركب برسول الله وهو بحمراء الأسد فأخبره بقول أبي سفيان فقال رسول الله واصحابه حسبنا الله ونعم الوكيل ثم انصرف رسول الله إلى المدينة بعد الثالثة وقد ظفر في وجهه ذلك بمعونة ابن المغيرة بن العاص وأبي قرة الجمحي وهذا قول اكثر المفسرين وقال مجاهد وعكرمة نزلت هذه الآيات في غزوة بدر الصغرى وذلك ان ابا سفيان قال يوم أحد حين أراد أن ينصرف يا محمد موعد بيننا وبينك موسم بدر الصغرى القابل إن شئت فقال رسول الله ذلك بيننا وبينك فلما كان العام المقبل خرج أبو سفيان في أهل مكة حتى نزل مجنة من ناحية الظهران ثم القى الله عليه الرعب فبدا له فلقي نعيم بن مسعود الاشجعي وقد قدم معتمراً فقال له أبو سفيان إني واعدت محمداً واصحابه ان نلتقي بموسم بدر الصغرى وان هذه عام جدب ولا يصلحنا إلا عام نرعى فيه الشجر ونشرب فيه اللبن وقد بدا لي ان لا اخرج اليها واكره ان يخرج محمد ولا أخرج انا فيزيدهم ذلك جرأة فالحق بالمدينة فثبطهم ولك عندي عشرة من الإبل أضعها على يد سهيل بن عمرو فأتى نعيم المدينة فوجد الناس يتجهزون لميعاد ابي سفيان فقال لهم بئس الرأي رأيكم أتوكم في دياركم وقراركم فلم يفلت منكم إلا شريد فتريدون ان تخرجوا وقد جمعوا لكم عند الموسم فوالله لا يفلت منكم احد فكره رسول الله ﷺ والذي نفسي بيده لأخرجن ولو وحدي فأما الجبان فإنه رجع واما الشجاع فإنه تأهّب للقتال وقال حسبنا الله ونعم الوكيل فخرج رسول الله في أصحابه حتى وافوا بدر الصغرى وهو ماء لبني كنانة وكانت موضع سوق لهم في الجاهلية يجتمعون اليها في كل عام ثمانية ايام فأقام ببدر ينتظر ابا سفيان وقد انصرف أبو سفيان من مجنة إلى مكة فسماهم اهل مكة جيش السويق ويقولون إنما خرجتم تشربون السويق ولم يلق رسول الله وأصحابه أحداً من المشركين ببدر ووافق السوق وكانت لهم تجارات فباعوا وأصابوا للدرهم درهمين وانصرفوا إلى المدينة سالمين غانمين وقد روى ذلك أبو الجارود عن الباقر (ع).

[المعنى] **﴿الذين استجابوا لله والرسول﴾** أي اطاعوا الله في أوامره وأطاعوا رسوله **﴿من بعد ما اصابهم القرح﴾** أي نالهم الجراح يوم أحد **﴿للذين أحسنوا منهم﴾** بطاعة رسول الله وإجابته إلى الغزو **﴿واتقوا﴾** معاصي الله لهم **﴿أجر عظيم﴾** أي ثواب جزيل **﴿الذين قال لهم الناس﴾** في المعنى بالناس الأول ثلاثة اقوال (أحدها) انهم الركب الذين

دسهم أبو سفيان إلى المسلمين ليجبّنوهم عند منصرفهم من أحد لما ارادوا الرجوع اليهم عن ابن عباس وابن إسحاق وقد مضت قصتهم (والثاني) انه نعيم بن مسعود الاشجعي وهو قول أبي جعفر وأبي عبد الله (والثالث) أنهم المنافقون عن السدي **﴿ان الناس قد جمعوا لكم﴾** المعني به أبو سفيان وأصحابه عند اكثر المفسرين أي جمعوا جموعاً كثيرة لكم وقيل جمعوا الآلات والرجال وإنما عبّر بلفظ الواحد عن الجميع في قوله قال لهم الناس لأمرين (أحدهما) أنه قد جاءهم من جهة الناس فأقيم كلامه مقام كلامهم وسميّ باسمهم (والآخر) أنه لتفخيم الشأن **﴿فاخشوهم﴾** أي خافوهم ثم بَيّن تعالى ان ذلك القول زادهم إيماناً وثباتاً على دينهم واقامة على نصرة نبيهم بأن قال **﴿فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل﴾** أي كافينا الله ولينا وحفيظنا والمتولي لأمرنا ونعم الوكيل أي نعم الكافي والمعتمد والملجأ الذي يوكل إليه الأمور **﴿فانقلبوا﴾** أي فرجع النبي ومن معه من أصحابه **﴿بنعمة من الله وفضل﴾** أي بعافية من السوء وتجارة رابحة **﴿لم يمسسهم سوء﴾** أي قتل عن السدي ومجاهد وقيل النعمة هاهنا الثبوت على الإيمان في طاعة الله والفضل الربح في التجارة عن الزجاج وقيل ان أقل ما يفعله الله فهو نعمة وما زاد على ذلك فهو الموصوف بأنه فضل والفرق بين النعمة والمنفعة ان النعمة لا تكون نعمة إلا إذا كانت حسنة والمنفعة قد تكون حسنة وقد تكون قبيحة وهذا لأن النعمة يستحق بها الشكر ولا يستحق الشكر بالقبيح **﴿واتبعوا رضوان الله﴾** بالخروج إلى لقاء العدو **﴿والله ذو فضل عظيم﴾** على المؤمنين وقد تضمنت الآية التنبيه على ان كل من دهمه أمره فينبغي ان يفزع إلى هذه الكلمة وقد صحت الرواية عن الصادق (ع) أنه قال عجبت لمن خاف كيف لا يفزع إلى قوله **﴿حسبنا الله ونعم الوكيل﴾** فإني سمعت الله يقول بعقبها **﴿فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء﴾** وروي عن ابن عباس أنه قال آخر كلام إبراهيم (ع) حين القي في النار حسبنا الله ونعم الوكيل وقال نبيكم مثلها وتلا هذه الآية.

﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾

[**الإعراب**] كُم مِن ذلكُم للخطاب لا للضمير فلا موضع لها من الاعراب وقوله يُخّوف يتعدى إلى مفعولين يقال خاف زيد القتال وخوّفته القتال.

(١) [بالخلق].

[**المعنى**] ثُمّ ذكر أَنَّ ذلك التخويف والتثبيط عن الجهاد من عمل الشيطان فقال ﴿**إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه**﴾ والمعنى إنما ذلك التخويف الذي كان من نعيم بن مسعود من فعل الشيطان وباغوائه وتسويله يخوف أولياءه المؤمنين قال ابن عباس ومجاهد وقتادة ويخوف المؤمنين بالكافرين وقال الزجاج وأبو علي الفارسي وغيرهما أن تقديره ويخوفكم اولياءه أي من اوليائه بدلالة قوله ﴿**فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين**﴾ أي إن كنتم مصدقين بالله فقد أعلمتكم أني أنصركم عليهم ومثله قوله لينذر بأساً شديداً أي لينذركم ببأس شديد فلما حذف الجار نصبه وقيل معناه إنّ الشيطان يخوّف المنافقين الذين هم أولياؤه وأنهم هم الذين يخافون من ذلك التخويف بأن يوسوس إليهم ويرهبهم ويعظم أمر العدو في قلوبهم فيقعدوا عن متابعة الرسول والمسلمون لا يخافونه لأنهم يثقون بالنصر الموعود ونظيره قوله أنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون والأول أصحّ .

﴿ وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ ۚ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَـٰنِ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٧﴾

[**القراءة**] قَرأ نافع في جميع القرآن يُحزِن بضم الياء وكسر الزاي إلّا قوله ﴿**لا يَحزنهم الفزع الأكبر**﴾ فإنه فتحها وضم الزاي وقرأ الباقون في جميع القرآن بفتح الياء وضم الزاي وقرأ أبو جعفر عكس ما قرأ نافع فإنه فتح الياء في جميع القرآن إلّا قوله لا يُحزنهم فإنه ضمّ الياء .

[**الحجة**] قال أبو علي قال سيبويه تقول فَتَن الرجل وفتنته وحزن الرجل وحزنته وزعم الخليل إنك حيث قلت فتنته وحزنته لم ترد ان تقول جعلته حزيناً وجعلته فاتناً كما إنك حين تقول ادخلته جعلته داخلاً ولكنك أردت أن تقول جعلت فيه حزناً وفتنة كما تقول كحلته جعلت فيه كحلاً ودهنته جعلت فيه دهناً فجئت بفعلته على حدة ولم ترد بفعلته هاهنا تغيير قولك حزن وفتن ولو اردت ذلك لقلت أحزنته وأفتنته قال وقال بعض العرب

أفتنت الرجل وأحزنته إذا جعلته فاتناً وحزيناً فغيروا فعل قال أبو علي فهذا الذي حكيته عن بعض العرب حجة نافع فأما قراءة لا يخزنهم الفزع الأكبر فيشبه أن يكون اتبع فيه أثراً واحبّ الأخذ بالوجهين.

[**الإعراب**] قوله شيئاً نصب على أنه وقع موقع المصدر ويحتمل أن يكون نصباً بحذف الباء كأنه قال بشيء مما يضر به كما يقال ما ضررت زيداً شيئاً من نقص مال ولا غيره.

[**المعنى**] لمّا علّم الله تعالى المؤمنين ما يصلحهم عند تخويف الشيطان إياهم خصّ رسوله بضرب من التعليم في هذه الآية فقال **﴿ولا يحزنك﴾** أيها الرسول **﴿الذين يسارعون في الكفر﴾** يعني المنافقين عن مجاهد وابن إسحاق وقوماً من العرب ارتدوا عن الإسلام عن أبي علي الجبائي **﴿أنهم لن يضروا الله شيئاً﴾** بكفرهم ونفاقهم وارتدادهم لأن الله تعالى لا يجوز عليه المنافع والمضار وإنما قال ذلك على جهة التسلية لنبيه ﷺ لأنه كان يصعب عليه كفر هؤلاء ويعظم عليه امتناعهم عن الإيمان ولا يبعد أنه ربما كان يخطر بباله ان مسارعتهم إلى الكفر وامتناعهم عن الإيمان لتفريط حصل من قبله فأمنه الله من ذلك واخبر ان ضرر كفرهم راجع إليهم ومقصور عليهم **﴿يريد الله ألا يجعل لهم حظاً في الآخرة﴾** أي نصيباً في الجنة وإذا كانت الارادة تتعلق بما يصح حدوثه ولا يتعلق بأن لا يكون الشيء فلابد من حذف في الكلام ومعناه انه يريد أن يحكم بحرمان ثوابهم الذي عرضوا له في تكليفهم وان يعاقبهم في الآخرة على سبيل الجزاء لكفرهم ونفاقهم **﴿ولهم عذاب عظيم﴾** هذا ظاهر المعنى وهذا يدل على بطلان مذهب المجبرة لأنه تعالى نسب إليهم المسارعة إلى الكفر وإذا كان ذلك قد خلقه فيهم فكيف يصح نسبته إليهم ثم أستأنف تعالى الاخبار بأن من اشترى الكفر بالإيمان وهم جميع الكفار بهذه الصفة فقال **﴿إن الذين اشتروا الكفر بالإيمان﴾** اي استبدلوا الكفر بالإيمان وقد بيّنا فيما تقدم ان اطلاق لفظ الشراء على ذلك مجاز وتوسع وإنما شبه استبدالهم الكفر بالإيمان بشراء السلعة بالثمن **﴿لن يضروا الله شيئاً﴾** إنما هذا لأنه إنما ذكر ذلك في الآية الأولى على طريقة العلة لما يجب من التسلية عن المسارعة إلى الضلالة وذكر في هذه الآية على وجه العلة لاختصاص المضرة بالعاصي دون المعصّي والفرق بين المضرة والاساءة إنّ الإساءة لا تكون إلّا قبيحة والمضرة قد تكون حسنة إذا كانت مستحقة أو على وجه اللطف أو فيها نفع يوفي عليها أو دفع ضرر اعظم منها **﴿ولهم عذاب أليم﴾** أي مؤلم.

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْۚ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًاۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ١٧٨﴾

[**القراءة**] قرأ ابن كثير وأبو عمرو زولا يحسِبن الذين كفروا ولا يحسِبن الذين يبخلون ولا يحسِبن الذين يفرحون كلهن بالياء وكسر السين وكذلك فلا يَحْسِبُنَّهُم بضم الباء وبالياء وكسر السين وقرأ حمزة كلها بالتاء وفتح السين وفتح الباء من يحسبنهم وقرأ أهل المدينة والشام ويعقوب كلها بالياء إلا قوله فلا تحسبنهم بالتاء وفتح الباء إلا إنّ أهل المدينة ويعقوب كسروا السين وفتحها الشامي وقرأ عاصم والكسائي وخلف كل ما في هذه السورة بالتاء إلا حرفين ولا يحسبن الذين كفروا، ولا يحسبن الذين يبخلون فإنهما بالياء غير ان عاصماً فتح السين وكسرها الكسائي.

[**الحجة والإعراب**] مَن قرأ بالياء فالذين في هذه الآي في موضع الرفع بأنه فاعل وإذا كان الذين فاعلا ويقتضي حسب مفعولين أو ما يسدّ مسدّ المفعولين نحو حسبت ان زيداً منطلق وحسبت أن يقوم عمرو فقوله تعالى إنما نملي لهم خير لأنفسهم قد سدّ مسدّ مفعولين الذين يقتضيهما يحسبن «وما» يحتمل امرين (أحدهما) ان يكون بمعنى الذي فيكون تقديره لا يحسبن الذين كفروا ان الذي نمليه لهم خير لأنفسهم (والآخر) أن يكون ما نملي بمنزلة الاملاء فيكون مصدراً وإذا كان مصدراً لم يقتض راجعاً إليه وقال المبرد من قرأ يحسبن بالياء فتح إنّ ويقبح الكسر مع الياء وهو جائز على قبحه لأن الحسبان ليس بفعل حقيقي فهو يبطل عمله مع إنّ المكسورة كما يبطل مع اللام كما يجوز حسبت لعبد الله منطلق يجوز على بعدٍ حسبت ان عبد الله منطلق وقال أبو علي الوجه فيه ان يتلقي بها القسم كما يتلقى بلام الابتداء وتدخل كل واحد منهما على الابتداء والخبر فكأنه قال لا يحسبن الذين كفروا للآخرة خيراً لهم واما قراءة حمزة بالتاء من تحسبن وبفتح إنّ فقد خَطّأه البصريون في ذلك لأنه يصير المعنى ولا تحسبن الذين كفروا املاءنا وذلك لا يصح غير ان الزجاج قال يجوز على البدل من الذين والمعنى ولا تحسبن املاء للذين كفروا خيراً لهم ومثله في الشعر.

وَمَا كَانَ قَيْسٌ هُلْكُهُ هُلْكَ وَاحِدٍ وَلٰكِنَّهُ بُنْيَانُ قَوْمٍ تَهَدَّمَا

قال أبو علي لا يجوز ذلك لأنك إذا ابدلت إن من الذين كفروا لزمك ان تنصب خيراً من حيث كان المفعول الثاني ولم ينصبه أحد من القراء وإذا لم يصح البدل لم يجز

فيه إلّا كسرانّ على ان يكون انَّ وخبرها في موضع المفعول الثاني من تحسبن.

[**اللغة**] الإملاء اطالة المدة والمَلّي الحين الطويل والملأ الدهر والمَلَوان الليل والنهار لطول تعاقبهما.

[**النزول**] نزلت في مشركي مكة عن مقاتل وفي قريظة والنضير عن عطاء .

[**المعنى**] ثم بَيَّن سبحانه ان امهال الكفار لا ينفعهم إذا كان يؤدي إلى العقاب فقال **﴿ولا يحسبن﴾** أي لا يظنن **﴿الذين كفروا إنما نملي لهم خير لأنفسهم﴾** أي ان اطالتنا لأعمارهم وامهالنا اياهم خير لهم من القتل في سبيل الله بأحُد لأن قتل الشهداء ادّاهم إلى الجنة وبقاء هؤلاء في الكفر يؤديهم إلى العقاب ثم ابتدأ سبحانه فقال **﴿إنما نملي لهم﴾** أي إنما نطيل عمرهم ونترك المعاجلة لعقوبتهم **﴿ليزدادوا اثما﴾** أي لتكون عاقبة أمرهم بازديادهم الإثم فيكون اللام لام العاقبة مثل اللام في قوله فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً وهم إنما أخذوه ليكون لهم سروراً وقرة عين ولكن لما علم الله أنه يصير في آخر أمره عدوا وحزنا قال كذلك ومثله في قول الشاعر:

أَمْـوالَنا لِـذَوي الْمِيراثِ نَجْمَعُهَـا ... وَدُورَنـا لِخَـرَابِ الْـدَهْـرِ نَبْنِيهـا

وقول الآخر :

ءَأُمَّ سَـمـاكٍ فَـلا تَـجْـزَعـي ... فَـلِلْمَـوْتِ مـاتَـلِدُ الْـوالِـدة

وقول الآخر :

فَلِلْمَـوتِ تَغْـذُو الْـوالِـداتُ سِخالَهـا ... كَمـا لِخَرابِ الْـدَهْرِ تُبْنى الْمَسـاكِنُ

وقول الآخر لِدوُا لِلْمَوْتِ وَابْنُوا لِلْخَرابِ ولا يجوز أن يكون اللام لام الارادة والغرض لوجهين (أحدهما) ان الادة القبيح قبيحة وتلك عنه سبحانه منفية (والآخر) انها لو كانت لام الارادة لوجب أن يكون الكفارمطيعين لله تعالى من حيث فعلوا ما وافق ارادته وذلك خلاف الاجماع وقد قال عزّ اسمه وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون وما ارسلنا من رسول إلّا ليطاع بإذن الله وما أُمروا إلا ليعبدوا الله والقرآن يصدّق بعضه بعضاً وعلى هذا فلابد من تخصيص الآية فيمن علم منه أنه لا يؤمن لأنه لو كان فيهم من يؤمن لما تَوّجه إليهم هذا الوعيد المخصوص وقال أبو القاسم البلخي معناه ولا يحسبنّ الذين كفروا ان املاءنا لهم رضا بأفعالهم وقبول لها بل هو شرّ لهم لأنا نملي لهم وهم يزدادون إثماً يستحقون به العذاب الأليم ومثله ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس أي ذرأنا كثيراً

من الخلق سيصيرون إلى جهنم بسوء افعالهم وقد يقول الرجل لغيره وقد نصحه فلم يقبل نصحه ما زادك نصحي إلاّ شرّاً ووعظي الاّ فساداً ونظيره قوله حتى انسوكم ذكري ومعلوم ان الرسل ما أنسوهم ذكر الله على الحقيقة وما بُعثوا إلاّ للتذكير والتنبيه دون الانساء مع ان الانساء ليس من فعلهم فلا يجوز اضافته إليهم ولكنه إنما أضيف إليهم لأن دعاءه إياهم لمّا كان لا ينجع فيهم ولا يردّهم عن معاصيهم فأضيف الانساء إليهم وفي هذا المعنى قوله حكاية عن نوح فلم يزدهم دعائي إلا فراراً وروي عن أبي الحسن الأخفش والاسكافي انهما قالا انّ في الآية تقديماً وتأخيراً وتقديره ولا يسحبن الذين كفروا أنما نملي لهم ليزدادوا إثماً إنما نملي لهم خير لأنفسهم وهذا بعيد لأنه لو كان كذلك لوجب أن يكون إنما الأخيرة مفتوحة الهمزة لأنها معمول ليحسبن على هذا القول وان يكون انّما الأولى مكسورة الهمزة لأنها مبتدأ على هذا القول والتقديم والتأخير لا يغيّران الاعراب عن استحقاقه وذلك خلاف ما عليه القراءة لأن القراء قد أجمعوا على كسر الثانية واكثرهم على فتح الأولى ﴿ولهم عذاب مهين﴾ يهينهم في نار جهنم .

﴿ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ
حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ
وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ
وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾

[**القراءة**] قرأ أهل الحجاز والشام وأبو عمرو وعاصم حتى يميز وليميز بالتخفيف والباقون بالتشديد وضم الياء الأولى .

[**الحجة**] ماز يميز فعل متعد إلى مفعول واحد كما أن مَيَّز فعل متعد إلى مفعول واحد ويقال مزته فلم يتميز وزلته فلم يتزل والتضعيف في ميز ليس للتعدي والنقل كما أن التضعيف في عوض ليس للنقل من عاض لأن عاض متعد إلى مفعولين كما في قول الشاعر :

عَـاضَهَـا اللهُ غُـلامـاً بَعْـدَ مَـا ... شابَتِ الأَصْدَاغُ وَالْضِـرْسُ نَقِدَ(١)

(١) الصدغ : ما بين العين والأذن والشعر المتدلي على هذا الموضع ونقد الضرس : انكسر وائتكل .

فلو كان التضعيف في عوض للنقل لتعدى إلى ثلاثة مفاعيل فعوض وعاض لغتان في معنى واحد مثل ميز وماز .

[**النزول**] قيل أن المشركين قالوا لأبي طالب إن كان محمد صادقاً فليخبرنا من يؤمن منا ومن يكفر فإن وجدنا مخبره كما أخبر آمنا به فذكر ذلك للنبي ﷺ فأنزل الله هذه الآية عن السدي والكلبي وقيل سأل المؤمنون أن يعطوا علامة يُفرّقون بها بين المؤمن والمنافق فنزلت الآية عن أبي العالية والضحاك .

[**المعنى**] ﴿ **ما كان الله ليذر المؤمنين** ﴾ أي ليدع ومعناه لا يدع الله المؤمنين ﴿ **على ما أنتم عليه** ﴾ يا أهل الكفر من الابهام واشتباه المخلص بالمنافق أي لم يكن يجوز في حكم الله أن يذرهم على ما كنتم عليه قبل مبعث النبي بل يتعبدكم ﴿ **حتى يميز الخبيث من الطيب** ﴾ أي الكافر من المؤمن عن قتادة والسدي وقيل حتى يميز المنافق من المخلص يوم أحد على ما مضى شرحه عن مجاهد وابن إسحاق وابن جريج وقيل هو خطاب للمؤمنين وتقديره ما كان الله ليذركم يا معشر المؤمنين على ما أنتم عليه من التباس المؤمن بالمنافق وعلى هذا فيكون قد رجع من الخبر إلى الخطاب كقوله ﴿ **حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم** ﴾ واختلف في أنه بأيّ شيء ميّز بين الخبيث والطيب فقيل بالامتحان وتكليف الجهاد ونحوه ممّا يظهر به الحال كما ظهر يوم أحد بأن ثبت المؤمنون وتخلّف المنافقون عن الجبائي وقيل بالآيات والدلالات التي يستدل بها عليهم وقيل بأن ينصر الله المؤمنين ويكثرهم ويعزّ الدين ويذل الكافرين والمنافقين عن أبي مسلم وقيل بأن يفرض الفرائض فيثبت المؤمن على إيمانه ويتميز ممن ينقلب على عقبيه ﴿ **وما كان الله ليطلعكم على الغيب** ﴾ أي ما كان الله ليظهر على غيبه أحداً منكم فتعلموا ما في القلوب ان هذا مؤمن وهذا منافق ﴿ **ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء** ﴾ أي يختار من يشاء فيطلعه على الغيب أي يوقفه على علم الغيب ويعرّفه إياه ﴿ **فآمنوا بالله ورسله** ﴾ كما أمركم ﴿ **وان تؤمنوا** ﴾ أي تُصدقوا ﴿ **وتتقوا** ﴾ عقابه بلزوم أمره واجتناب نهيه ﴿ **فلكم** ﴾ في ذلكم ﴿ **أجر عظيم** ﴾ وقيل معناه يصطفي من رسله من يشاء ممن يصلح له ولا يطلعه على الغيب عن السدي وفي هذه الآية دلالة على أنه يجوز أن يصلح جماعة لرسالته فيختار منهم من يشاء أما لأنه أصلح وبالتأدية أقوم وعن المنفرات أبعد وأما لأنهم قد تساووا في جميع الوجوه فيختار من يشاء من بينهم لأن النبوة ليست مستحقة ولا جزاءً وفيها

دلالة على أن الثواب مستحق بالإيمان والتقوى خلافاً لمن قال أنه تفضّل .

﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾

[**القراءة**]ذكرنا اختلاف القراءة فيه فمن قرأ يحسبن بالياء فالذين يبخلون فاعل يحسبن والمفعول الأول محذوف من اللفظ لدلالة اللفظ عليه وهو مثل قولك من كذب كان شراً له أي كان الكذب شراً له وكذلك في الآية لا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله البخل هو خير لهم فدخلت هو فصلاً لأن تقدم يبخلون بمنزلة تقدم البخل ومن قرأ بالتاء فالفاعل المخاطب وهو النبي والذين يبخلون مفعول أول لتحسبن وخيراً لهم المفعول الثاني وفي الكلام حذف تقديره ولا تحسبن يا محمد بخل الذين يبخلون خيراً لهم وهو فصل وإنما احتجت إلى هذا المحذوف ليكون المفعول الثاني هو الأول في المعنى لأن هذه الأفعال إنما تدخل على المبتدأ والخبر وإذا كان الخبر مفرداً فيجب أن يكون هو المبتدأ في المعنى والبخل هو منع الواجب لأنه توعّد عليه وذمّ به وأصله في اللغة المشقّة في الاعطاء وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب يَعْمَلُون بالياء كناية عن الذين يبخلون والباقون بالتاء على الخطاب .

[**المعنى**] **﴿ ولا يحسبن ﴾** الباخلون **﴿ الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله ﴾** أي أعطاهم الله من الأموال فيبخلون بإخراج الحقوق الواجبة فيها ذلك البخل **﴿ هو خيراً لهم بل هو شرّ لهم ﴾** وعلى القراءة الأخرى لا تحسبن أيها السامع أو لا تظنن يا محمد فالخطاب له والمراد غيره بخل الذين يبخلون خيراً لهم بل هو شر لهم أي ليس كذلك كما يظنون بل ذلك البخل شر لهم **﴿ سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة ﴾** اختلف في معناه فقيل يجعل ما بخل به من المال طوقاً في عنقه والآية نزلت في ما نعي الزكاة وهو المروي عن أبي جعفر (ع) وهو قول ابن مسعود وابن عباس والسدي والشعبي وغيرهم وروي عن النبي ﷺ أنه قال ما من رجل لا يؤدي الزكاة إلا جعل في عنقه شجاع يوم القيامة ثم تلا

هذه الآية وقال ما من ذي رحم يأتي ذا رحمه يسأله من فضل أعطاه الله إياه فيبخل به عنه إلا أخرج الله له من جهنم شجاعاً يتلمظ بلسانه حتى يطوقه وتلا هذه الآية وقيل معناه يجعل في عنقه يوم القيامة طوقاً من نار عن النخعي وقيل معناه يكلفون يوم القيامة أن يأتوا بما بخلوا به من أموالهم عن مجاهد وقيل هو كقوله ﴿ **يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم** ﴾ فمعناه أنه يجعل طوقاً فيعذب بها عن الجبائي وقيل معناه أنه يعود عليهم وباله فيصير طوقاً لأعناقهم كقوله ﴿ **وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه** ﴾ عن ابن مسلم قال والعرب تُعبّر بالرقبة والعنق عن جميع البدن ألا ترى إلى قوله ﴿ **فتحرير رقبة** ﴾ ويروى عن ابن عباس أيضاً أن المراد بالآية الذين يبخلون ببيان صفة محمد ﷺ والفضل هو التوراة التي فيها صفته والأول أليق بسياق الآية ﴿ **ولله ميراث السماوات والأرض** ﴾ معناه يموت من في السماوات والأرض ويبقى تعالى هو جلّ جلاله لم يزل ولا يزال فيبطل ملك كل مالك إلا ملكه وقد تضمنت الآية الحثّ على الانفاق والمنع عن الإمساك من قبل أن الأموال إذا كانت بمعرض الزوال أما بالموت أو بغيره من الآفات فأجدر بالعاقل أن لا يبخل بإنفاقه ولا يحرص على امساكه فيكون عليه وزره ولغيره نفعه ﴿ **والله بما تعملون خبير** ﴾ هذا تأكيد للوعد والوعيد في انفاق المال لإحراز الثواب والأجر والسلامة من الإثم والوزر.

[**النظم**] الوجه في اتصال الآية بما قبلها هو أنهم كما بخلوا بالجهاد بخلوا بالانفاق والزكاة عن علي بن عيسى وقيل أنهم مع ما تقدم من أحوالهم كتموا أمر محمد ﷺ وبخلوا ببيانه .

﴿ لَّقَدْ سَمِعَ
ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ سَنَكْتُبُ
مَا قَالُوا۟ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا۟ عَذَابَ
ٱلْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ
لِّلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾

[**القراءة**] قرأ حمزة سيُكتب بضم الياء وقتلُهم بالرفع ويقول بالياء وقرأ الباقون

سنكتب بالنون وقتلهم بالنصب ونقول بالنون .

[**الحجة**] الوجه في قراءة من قرأ سنكتب أن النون هاهنا بعد الإسم الموضوع للغيبة فهو مثل قوله ﴿ **بل الله مولاكم** ﴾ ثم قال ﴿ **سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب** ﴾ ولو قال سيكتب بالياء لكان في الافراد كقوله ﴿ **وقذف في قلوبهم الرعب** ﴾ وقوله ﴿ **كتب الله لأغلبنّ أنا ورسلي** ﴾ وقوله ﴿ **ونقول** ﴾ معطوف على سنكتب والوجه في قراءة حمزة وقتلُهم أنه عطف على ما قالوا وهو في موضع رفع ومن قال وقتلَهم فإنه عطفه على ما قالوا أيضاً وهو في موضع نصب بأنه مفعول به .

[**اللغة**] يقال سمع يسمع سمعاً إذا أدرك بحاسة الأذن والله يسمع من غير إدراك بحاسة والسميع من هو على حالة يسمع لأجلها المسموعات إذا وجدت والسامع المدرك لذلك وقال المحققون أن الله تعالى سميع فيما لم يزل وسامع عند وجود المسموع وكونه سميعاً بصيراً ليس بصفة زائدة على كونه حيا وكونه مدركاً بصفة زائدة على كونه حياً وكونه سامعاً مبصراً عالماً بمعناه وقال أبو القاسم البلخي فائدة كونه سميعاً بصيراً أنه يعلم المسموعات والمبصرات وهو لا يثبت للقديم تعالى صفة الإدراك وقال الخليل كل ما نزل بإنسان من مكروه فقد ذاقه إلا أنه توسع وجاء في الخبر حتى تذوقي من عسيلته ويذوق من عسيلتك كنّى بذلك عن الجماع وهذا من الكنايات المليحة والحريق النار وكذلك الحرق بفتح الراء والحرق بسكونه المصدر لقولهم حرقت الشيء إذا بردته بالمبرد.

[**الإعراب**] موضع الباء في قوله بما قدمت أيديكم رفع لأنها في موضع خبر المبتدأ وهو ذلك وهي متصلة بالاستقرار كأنه قيل ذلك استقر بما قدمت أيديكم ﴿ **وإنَّ الله** ﴾ إنما فتح إنَّ لأنه معطوف على ما عمل فيه الباء وتقديره وبان الله فموضعه جرّ .

[**النزول**] لما نزلت من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً قالت اليهود أن الله فقير يستقرض منا ونحن أغنياء وقائله حي ابن أخطب عن الحسن ومجاهد وقيل كتب النبي ﷺ مع أبي بكر إلى يهود بني قينقاع يدعوهم إلى إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وأن يقرضوا الله قرضاً حسناً فدخل أبو بكر بيت مدارستهم فوجد ناساً كثيراً منهم اجتمعوا إلى رجل منهم يقال له فنحاص بن عازورا فدعاهم إلى الإسلام والصلاة والزكاة فقال فنحاص إن كان ما تقول حقاً فإن الله إذاً لفقير ونحن أغنياء ولو كان غنياً لما استقرضنا أموالنا فغضب أبو بكر وضرب وجهه فأنزل الله هذه الآية عن عكرمة والسدي ومقاتل ومحمد بن إسحاق .

[**المعنى**] ثم ذكر سبحانه خصلة أخرى من خصالهم الذميمة فقال ﴿ **لقد سمع الله**

قول الذين قالوا إن الله فقير ﴾ قيل معناه أدرك قولهم وقيل علم ذلك عن البلخي ﴿ إن الله فقير ﴾ أي ذو حاجة لأنه يستقرض منا ﴿ ونحن أغنياء ﴾ عن الحاجة وقد علموا أن الله لا يطلب القرض وإنما ذلك تلطيف في الاستدعاء إلى الإنفاق وإنما قالوه تلبيساً على أعوامهم وقيل معناه قالوا إن الله فقير لأنه يضيق علينا الرزق ونحن أغنياء لأنا نوسّع الرزق على أهالينا ﴿ سنكتب ما قالوا ﴾ قيل معناه سنحفظ ما قالوا وكنّي بالكتابة عن الحفظ لأنه طريق إلى الحفظ وقيل نأمر بكتب ذلك في صحائف أعمالهم وإنما يفعل ذلك مبالغة في الزجر عن المعصية لأن المكلف إذا علم أن أفعاله وأقواله مكتوبة في الصحائف وأنه لا بد من عرضها عليه ومن قراءته على رؤوس الأشهاد يوم التناد كان ذلك أبلغ له في الزجر عن المآثم وأمنع عن ارتكاب الجرائم ﴿ وقتلهم الأنبياء بغير حق ﴾ أي وسنكتب قتل أسلافهم الأنبياء ورِضى هؤلاء به فنجازي كُلًّا بفعله وفيه دلالة على أن الرضا بفعل القبيح يجري مجراه في عظم الجرم لأن اليهود الذين وُصفوا بقتل الأنبياء لم يتولوا ذلك بأنفسهم وإنما ذُمّوا بذلك لأنهم بمنزلة من تولاه في عظم الإثم ﴿ ونقول ذوقوا عذاب الحريق ﴾ يعني المحرق وإنما الفائدة فيه أن يعلم أن العذاب بالنار التي تحرق وهي الملتهبة لأن ما لم تلتهب لا يسمى حريقاً وقد يكون العذاب بغير النار ويفيد قوله ﴿ ذوقوا انكم لا تتخلصون من ذلك ﴾ يقال ذق هذا البلاء أي أنك لست بناج منه ﴿ ذلك ﴾ إشارة إلى ما سبق أي ذلك العقاب ﴿ بما قدمت أيديكم ﴾ معناه بما كنتم عملتموه وجنيتموه على أنفسكم ﴿ وإن الله ليس بظلام للعبيد ﴾ أي بأن الله لا يظلم أحداً من عباده وإنما أضافه إلى اليد وإن كانت تكتسب الذنوب بجميع الجوارح لأن عامة ما يكسبه الإنسان إنما يكسبه بيده ولأن العادة قد جرت بإضافة الأعمال التي يلابسها الانسان إلى اليد وإن كان اكتسبها بجارحة أخرى فجرى خطاب القديم تعالى على عادتهم وفي هذا دلالة على بطلان مذهب المجبرة لأنه يدل على أنه لو وقع العقاب من غير جرم سلف من العبد لكان ظلماً وذلك على خلاف ما يذهبون إليه من أنه سبحانه يعذّب الكفار من غير جرم سلف منهم وأنه يخلق فيهم الكفر ثم يعذبهم عليه لأنه لا ظلم أعظم من ذلك وإنما ذكر لفظ الظلّام وهو للتكثير تأكيداً لنفي الظلم عنه .

﴿ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيۡنَآ أَلَّا نُؤۡمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأۡتِيَنَا بِقُرۡبَانٖ تَأۡكُلُهُ ٱلنَّارُۗ قُلۡ قَدۡ جَآءَكُمۡ رُسُلٞ مِّن

قَبْلِي بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٨٣﴾ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾

[**القراءة**] قرأ ابن عامر وحده وبالزبر بالباء وكذلك هي في مصاحف الشام كما في فاطر والباقون بغير باء .

[**الحجة**] من حذف فلأنّ واو العطف أغنت عن تكرار العامل ومن أثبتها فإنما كرر العامل تأكيداً وكلاهما حسن .

[**اللغة**] القربان مصدر على وزن عُدوان وخسران تقول قربت قرباناً وقد يكون اسماً كالبرهان والسلطان وهو كل برّ يتقرب به العبد إلى الله والزُبُر جمع زبور وكل كتاب فيه حكمة فهو زبور قال امرؤ القيس :

لِمَنْ طَلَلٍ أَبْصَرْتُهُ فَشَجَانِي كَخَطِّ زَبُورٍ في عَسيبِ يَمَانِ[1]

تقول زبرت الكتاب إذا كتبته وزبرت الرجل إذا زجرته والزُبْرَة مجتمع الشعر على كتف الأسد وزَبَرت البئر إذا أحكمت طيَّها بالحجارة فهي مزبورة والزِبْر العقل وإنما جمع بين الزبر والكتاب ومعناهما واحد لأن أصلهما يختلف هو كتاب بضم حروف بعضها إلى بعض وزبور لما فيه من الزجر على خلاف الحق وإنما سمي كتاب داود زبوراً لكثرة ما فيه من المواعظ والزواجر .

[**الإعراب**] الذين قالوا محله جرٌّ رداً على الذين قالوا ان الله فقير على تقدير وسمع قول الذين .

[**النزول**] قيل نزلت الآية في جماعة من اليهود منهم كعب بن الأشرف ومالك بن الضيف ووهب بن يهودا وفنحاص بن عازورا قالوا يا محمد ﷺ إن الله عهد إلينا في التوراة أن لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار فإن زعمت أن الله بعثك إلينا فجئنا به نصدقك فأنزل الله هذه الآية عن الكلبي وقيل أن الله أمر بني إسرائيل في التوراة من

(١) الطلل: الموضع المرتفع. وشجا الرجل: أحزنه . أطربه (ضد). والعسيب اليماني: سعف النخل .

جاءكم يزعم أنه نبيّ فلا تصدقوه حتى يأتي بقربان تأكله النار حتى يأتيكم عيسى ومحمد فإذا أتياكم فآمنوا بهما بغير قربان .

[**المعنى**] ثم ذكر قولهم الآخر فقال ﴿ **الذين قالوا** ﴾ لنبيّهم ﴿ **ان الله عهد إلينا** ﴾ أي أمرنا وقيل أوصانا في كتبه وعلى الْسُن رسله ﴿ **أن لا نؤمن لرسول** ﴾ أي لا نصدق رسولاً فيما يقول من أنهُ جاء بهِ من عند الله تعالى ﴿ **حتى يأتينا بقربان** ﴾ أي حتى يجيئنا بما يتقرب به إلى الله من صدقة أو برٍّ تتقبل منهُ وقوله ﴿ **تأكله النار** ﴾ بيان لعلامة التقبُّل فإنه كان علامة قبول قربانهم أن تنزل النار من السماء فتأكله وكان يكون ذلك دلالة على صدق المقرب فيما ادعاه عن ابن عباس ﴿ **قل** ﴾ يا محمد لهؤلاء اليهود ﴿ **قد جاءكم رسل من قبلي** ﴾ يعني جاء أسلافكم ﴿ **بالبينات** ﴾ أي بالحجج الدالة على صدقهم وصحة رسالتهم وحقيقة قولهم كما كنتم تقترحون وتطلبون منهم ﴿ **وبالذي قلتم** ﴾ معناه وبالقربان الذي قلتم ﴿ **فلم قتلتموهم** ﴾ أراد بذلك زكريا ويحيى وجميع من قتلهم اليهود من الأنبياء يعني لم قتلتموهم وأنتم مُقرّون بأن الذي جاؤوكم به من ذلك كان حجة لهم عليكم ﴿ **إن كنتم صادقين** ﴾ فيما عهد إليكم مما أدعيتموه وهذا تكذيب لهم في قولهم ودلالة على عنادهم وعلى أن النبي ﷺ لو أتاهم بالقربان المتقبل كما أرادوه لم يؤمنوا به كما لم يؤمن آباؤهم بالأنبياء الذين أتوا به وبغيره من المعجزات وإنما لم يقطع الله عذرهم بما سألوه من القربان الذي تأكله النار لعلمه تعالى بأن في الإتيان بهِ مفسدة لهم والمعجزات تابعة للمصالح ولأن ذلك اقتراح في الأدلة على الله والذي يلزم في ذلك أن يزيح علتهم بنصب الأدلة فقط ﴿ **فإن كذبوك فقد كذب رسل من قبلك** ﴾ هذا تسلية للنبي ﷺ في تكذيب الكفار إياه وذلك بأنه تعالى أخبر بأنه ليس بأول مُكذَّب من الرسل بل كُذّب قبله رسل ﴿ **جاؤوا بالبينات** ﴾ أي بالمعجزات الباهرات ﴿ **والزبر** ﴾ أي الكتب التي فيها الحكم والزواجر ﴿ **والكتاب المنير** ﴾ قيل المراد به التوراة والانجيل لأن اليهود كذبت عيسى وما جاء به من الانجيل وحرَّفت ما جاء به موسى من صفة النبي ﷺ وبدَّلت عهده إليهم فيه والنصارى أيضاً جحدت ما في الانجيل من نعته وغيَّرت ما أمرهم به فيهِ والمنير الذي ينير الحق لمن اشتبه عليه وقيل المنير الهادي إلى الحق .

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا

﴿ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾

[**اللغة**] يقال لكل من نجا من هلكة وكل من لقي ما يغتبط به فقد فاز وتأويل فاز تباعد عن المكروه ولقي ما يحب ومعنى قولهم مفازة للمهلكة التفأل وإنما المفازة المنجاة كما سموا اللذيع سليماً والأعمى بصيراً .

[**المعنى**] ثم بيَّن سبحانه أن مرجع الخلق إليه فيجازي المكذبين رسله على أعمالهم من حيث حتم الموت على جميع خلقه فقال ﴿ **كل نفس ذائقة الموت** ﴾ أي ينزل بها الموت لا محالة فكأنها ذاقته وقيل معناه كل نفس ذائقة مقدمات الموت وشدائده وسكراته كقوله تعالى ﴿ **حتى إذا جاء أحدهم الموت** ﴾ وعلى هذا جاء قوله لَقّنوا أمواتكم شهادة أن لا إلّه إلا الله وهذا الظاهر يدل على أن كل نفس تذوق الموت وإن كانت مقتولة وإن القتل لا ينفك عن الموت الذي هو فعل الله وقيل أن المراد بالموت هنا إنتفاء الحياة والقتيل قد انتفت الحياة منه والقتيل فهو داخل في الآية ﴿**وإنما توفون أجوركم**﴾ معناه وإنما تعطون جزاء أعمالكم وافياً ﴿**يوم القيامة**﴾ إن خيراً فخيراً وثواباً وإن شراً فشراً وعقاباً فإن الدنيا ليست بدار جزاء وإنما هي دار عمل والآخرة دار جزاء وليست بدار عمل ﴿ **فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة** ﴾ أي بُوّعِد عن نار جهنم ونجى عنها وأدخل الجنة ﴿ **فقد فاز** ﴾ أي نال المنْية وظفر بالبُغْية ونجا من الهلكة ﴿ **وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور** ﴾ معناه ما لذات الدنيا وشهواتها وزينتها إلا متعة متعكموها الغرور والخداع المضمحل الذي لا حقيقة له عند الاختبار لأنكم تلتذون بها ثم أنها تعود عليكم بالرزايا والفجائع ولا تركنوا إليها ولا تغترّوا بها فإنها هي غرور وصاحبها مغرور وقيل متاع الغرور القوارير وهي في الأصل ما لا بقاء له عن عكرمة وفي الآية دلالة على أن أقلّ نعيم من الآخرة خير من نعيم الدنيا بأسره ولذلك قال (ع) موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها وفيها دلالة على أن كل حيّ سيموت ولولا ورود السمع بذلك لكان يجوز في العقل أن يتصل حياتهم إلى وقت المجازاة وإذا قيل أليس من قولكم لا بدّ من القطع بين حال التكليف وحال المجازاة فجوابه أن ذلك القطع كان يجوز أن يحصل مع بقاء الحياة وفيها دلالة على أن المقتول يحصل فيه الموت وقد اختلف في الموت قول أبي علي وأبي هاشم فعند أبي علي الموت معنى يضاد الحياة وعند أبي هاشم عدم الحياة فعلى كلا المذهبين يجوز حصوله في المقتول .

﴿ * لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ

﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾﴾

[**الإعراب**] اللام في قوله لتبلون لام التأكيد وفيه معنى القسم والنون تأكيد للقسم وإنما ضُمّت الواو في لتبلون ولم تكسر للالتقاء الساكنين لأنها واو الضمير حركت بما كان يجب لما قبلها من الضم ومثله اشتروا الضلالة بالهدى ولو كانت الواو حرف الاعراب لفتحت نحو هل تغزوَنّ زيداً .

[**النزول**] نزلت الآية في كعب بن الأشرف وكان يهجو النبي ﷺ والمؤمنين ويحرّض المشركين عليهم ويشبّب(١) بنساء المسلمين فقال ﷺ من لي بابن الأشرف فقال محمد بن سلمة أنا يا رسول الله فخرج هو وأبو نائلة مع جماعة فقتلوه غيلة وأتوا برأسه إلى النبي ﷺ آخر الليل وهو قائم يصلي عن الزهري وقيل نزلت في فنحاص اليهودي سيد بني قينقاع لمّا بعث رسول الله أبا بكر إليه ليستمده وكتب إليه كتاباً فلما قرأه قال قد احتاج ربكم إلى أن نمدّه فهمَّ أبو بكر بضربه ثم ذكر النبي ﷺ لا تَفْتاتَنّ(٢) بشيء حتى ترجع فكفّ عنه عن عكرمة ومقاتل .

[**المعنى**] ثُمَّ بيَّنَ تعالى أنّ الدنيا دار محنة وابتلاء وانها إنما رويت عن المؤمنين ليصبروا فيؤجروا فقال ﴿**لتبلون**﴾ أي لتوقع عليكم المحن ولتحقكم الشدائد ﴿**في أموالكم**﴾ بذهابها ونقصانها ﴿**و**﴾ في ﴿**أنفسكم**﴾ أيها المؤمنون بالقتل والمصاب مثل ما نالكم يوم أُحد ويقال بفرض الجهاد وغيره من الفرائض والقُرَب التي أمرناها بها وإنما سمّاه بلوى مجازاً فإن حقيقة الاختبار والتجربة لا يجوز على الله لأنه العالم بالأشياء قبل كونها وإنما يفعل ذلك ليتميز المحق من المبطل عن أبي علي الجبائي ﴿**ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم**﴾ يعني اليهود والنصارى ﴿**ومن الذين أشركوا**﴾ يعني كفار مكة وغيرهم ﴿**أذى كثيراً**﴾ يعني ما سمعوه من تكذيب النبي ﷺ ومن الكلام الذي يغمّه ﴿**وان تصبروا وتتقوا**﴾ يعني ان صبرتم على ذلكم وتمسكتم بالطاعة ولم تجزعوا عنده جزعاً يبلغ الإثم ﴿**فإن ذلك من عزم الأمور**﴾ أي ممّا بان رشده وصوابه ووجب على العاقل العزم عليه وقيل من محكم الأمور .

---

(١) شبّب الشاعر بفلانة: قال فيها النسيب ووصف محاسنها . (٢) افتات برأيه: استبدَّ به .

﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْاْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾

[**القراءة**] قرأ ابن كثير وأبو عمرو وأبو بكر عن عاصم لَيُبيّننُه بالياء ولا يتكمونه بالياء أيضاً والباقون بالتاء فيهما .

[**الحجة**] حجة من قرأ بالتاء قولُه **﴿وإذ أخذ ميثاق النبيين لما اتينكم﴾** والاتفاق عليه وكذلك قوله **﴿وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله﴾** وقد تقدم القول في ذلك وحجة من قرأ بالياء أن الكلام حمل على الغيبة لأنهم غُيَّب .

[**المعنى**] ثم حكى سبحانه عنهم نقض الميثاق والعهود بعد حكايته عنهم التكذيب بالرسل فقال **﴿وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب﴾** قيل أراد به اليهود خاصة وقيل أراد اليهود والنصارى وقيل أراد به كل من أوتي علماً بشيء من الكتب **﴿لتبيننه للناس﴾** أي لتظهرنه للناس والهاء عائدة إلى محمد ﷺ في قول سعيد بن جبير والسدي لأن في كتابهم إن محمداً رسول الله ﷺ وان الدين هو الإسلام وقيل الهاء عائدة إلى الكتاب فيدخل فيها بيان أمر النبي ﷺ لأنه في الكتاب عن الحسن وقتادة **﴿ولا تكتمونه﴾** أي ولا تخفونُه عند الحاجة **﴿فنبذوه وراء ظهورهم﴾** ومعناه ضيّعوه وتركوه وراء ظهورهم فلم يعملوا به وإن كانوا مُقرّين بِهِ عن ابن عباس ويقال لمن يطرح الشيء ولا يعبأ به رماه بظهره قال الفرزدق :

تَميمَ بْنَ قَيْسٍ لا تَكُونَنَّ حَاجَتِي بِظَهْرٍ ولا يَعْبأْ عَلَيَّ جَوابُها(١)

﴿واشتروا به ثمناً قليلاً﴾ أي استبدلوا بعهد الله عليه ومخالفته وميثاقه عوضاً يسيراً من حطام الدنيا يعني ما حصلوه لأنفسهم من المأكلة والرشا والهدايا التي أخذوها من تُحُوتهم **﴿فبئس ما يشترون﴾** أي بئس الشيء ذلك إذ يستحقون به العذاب الأليم وإن كان نفعاً عاجلاً ودلَّت الآية على وجوب اظهار الحق وتحريم كتمانِه فيدخل فيه بيان الدين والأحكام والفتاوى والشهادات وغير ذلك من الأمور التي يختص بها العلماء وروى الثعلبي

(١) [أي طرحوه خلف ظهورهم] .

في تفسيره بإسناده عن الحسن بن عمارة قال أتيت الزهري بعد أن ترك الحديث فألفيتُه على بابهِ فقلت ان رأيت أن تحدثني فقال أو ما علمت أني تركت الحديث فقلت إمّا أن تحدثني وإمّا أنْ أحدثك فقال حَدِّثني فقلت حدثني الحكم بن عيينة عن نجم الجزار قال سمعت علي بن أبي طالب (ع) يقول ما أخذ الله على أهل الجهل ان يتعلموا حتى اخذ على أهل العلم أن يُعلّموا قال فحدثني أربعين حديثاً .

﴿ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾

[القراءة] قد ذكرنا اختلاف القراءة في تحسبن وتحسبنهم فيما قبل .

[الحجة] قال أبو علي من قرأ لا يحسبن بالياء فلا يحسبنهم فالذين في موضع رفع بأنه فاعل يحسبن ولم يوقع يحسبن على شيء قال أبو الحسن لا يعجبني قراءة من قرأ الأولى بالياء لأنهُ لم يوقعهُ على شيء ويرى أنه لم يستحسن أن لا يعدي حسب لأنه قد جرى مجرى اليمين في نحو علم الله لأفعلنَّ ولقد علمت لتأتين منيتي وظنوا ما لهم من محيص فكما أن القسم لا يتكلم به حتى يعلق بالمقسم عليه فكذلك ظننت وعلمت في هذا الباب وأيضاً فقد جرى في كلامهم لغوا وما جرى لغواً لا يكون في حكم الجمل المفيدة ومن ثَمَّ جاء نحوه

وَمَا خِلْتُ أَبْقِي بَيْنَنَا مِنْ مَوَدَّةٍ ... عِراضُ الْمَذَاكِي الْمُسْنفاتِ القَلايِصا(١)

وإنما هو وما أبقى بيننا فالوجه في هذه القراءة أنه لم يعد حسبت إلى مفعوليه اللذين يقتضيهما لأن حسبت في قوله فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب لما جعل بدلاً من الأول وعدي إلى مفعوليه استغنى بهما عن تعدية الأول إليهما كما استغنى في قوله:

بِأَيِّ كِتابٍ أَوْ بِأَيَّةِ سُنَّةٍ ... تَرى حُبَّهُمْ عاراً عَلَيَّ وتَحْسَبُ

(١) عارضه عراضاً في المسير: صار حياله. المداكي من السير التي قد أتى عليها بعد قر وحيا سنة أو سنتان، المسقا بفتح النون: الناقة التي شدّ عليها السناف وهو حبل يشدّ على البعير حتى يثبت التصدير والفعل ذلك اذا اخمص بطن لبعير واضطرب تصديره. والمسقات مفعول عراض وهو فاعل ابقى. القلوص من الابل: الطويلة القوائم او الشابة منها .

بتعدية أحد الفعلين إلى المفعولين عن تعدية الآخر إليهما والفاء زايدة فالتقدير لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا[١] بمفازة من العذاب واما قراءة فلا تحسبنهم بضم الباء فإن فعل الفاعل الذي هو يحسبن تعدى إلى ضميره وحذفت واو الضمير لدخول النون الثقيلة فإن قيل هلا لم تحذف الواو من تحسبون وأثبتها كما ثبتت في تُمودبالثوب[٢] أتحاجونّي ونحو ذلك مما يثبت فيه التقاء الساكنين لما في الساكن الأول من زيادة المدّ التي تقوم مقام الحركة فالقول فيهِ أنه حذفت كما حذفت مع الخفيفة ألا ترى انك لو قلت لا تحسبُنْ زيداً ذاهب لم يلزمك الحذف فأجرى الثقيلة مجرى الخفيفة في هذا وقوله بمفازة من العذاب في موضع المفعول الثاني وفيه ذكر للمفعول الأول وفعل الفاعل في هذا الباب يتعدى إلى ضمير نفسه نحو ظننتني أخاك لأن هذه الأفعال لما كانت تدخل على المبتدأ والخبر أشبهت أنّ وأخواتها في دخولها على المبتدأ والخبر كدخول هذه الأفعال عليهما وذلك قولك ظننتني ذاهباً كما تقول أني ذاهب ومما يدل على ذلك قبح دخول النفس عليها لو قلت أظن نفسي تفعل كذا لم يحسن كما يحسن أظنني فاعلاً فأما قراءة نافع وأبي جعفر وابن عامر لا يحسبن بالياء فلا تحسبنهم بالتاء وفتح الياء فمثل قراءة ابن كثير وأبي عمرو إلا في قوله فلا تحسبنهم والمفعولان اللذان يقتضيهما الحسبان في قوله لا يحسبن الذين يفرحون محذوفاً لدلالة ما ذكر من بعد عليهما ولا يجوز البدل هنا كما جاز هناك لاختلاف الفعلين باختلاف فاعليهما وأما قراءة حمزة بالتاء فيهما فحذف المفعول الثاني الذي يقتضيه تحسبن لأن ما يجيء من بعد قوله فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب يدل عليه ويجوز أن يجعل تحسبنهم بدلاً من تحسبن والفاء زائدة كما في قوله **﴿فإذا هلكتُ فعند ذلك فاجزعي﴾** .

[**النزول**] نزلت في اليهود حيث كانوا يفرحون باجلال الناس لهم ونسبتهم إياهم إلى العلم عن ابن عباس وقيل نزلت في أهل النفاق لأنهم كانوا يجمعون على التخلف عن الجهاد مع رسول الله ﷺ فإذا رجعوا اعتذروا وأحبوا أن يقبل منهم العذر ويحمدوا بما ليسوا عليه من الإيمان عن أبي الخدري وزيد بن ثابت وقيل أتت يهود خيبر إلى النبي ﷺ فقالوا نحن نعرفك ونؤمن بك وليس ذلك في قلوبهم فحمدهم المسلمون فنزلت فيهم الآية عن قتادة .

[**المعنى**] ثم بيَّن سبحانه خصلة أخرى ذميمة من خصال اليهود فقال **﴿لا تحسبن**

(١) [أنفسهم] .

(٢) على بناء المفعول من تماد الثوب: تجاذباه .

الذين يفرحون بما أتوا﴾ أي الفارحون الذين يفرحون بالنفاق **﴿ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا﴾** أي بالإيمان وقيل هم اليهود الذين فرحوا بكتمان أمر النبي ﷺ وأحبوا أن يحمدوا بأنهم أئمة وليسوا كذلك وقد عرفت المعنى في القراءة بالتاء والياء في الحجة فلا معنى لاعادته وقال أبو القاسم البلخي أن اليهود قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه وأهل الصلاة والصوم وليسوا اولياء الله ولا أحباءه ولا أهل الصلاة والصوم ولكنهم أهل الشرك والنفاق وهو المروي عن أبي جعفر الباقر (ع) وقيل معناه أنهم يحبون أن يحمدوا على ابطالهم أمر محمد وتكذيبهم به والأقوى أن يكون المعنيّ بالآية من أخبر الله عنهم أنه أخذ ميثاقهم في أن يبيِّنوا أمر محمدً ولا يكتموه وعليه أكثر أهل التأويل وقوله **﴿فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب﴾** أي لا تظنّنهم بمنجاة وبعد من النار **﴿ولهم عذاب أليم﴾** أي مؤلم موجع .

﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾

[**المعنى**] لمّا ذكر سبحانه في الآية المتقدمة من فرح بمعصية ركبها وأحبَّ أن يحمد بما لم يفعله وأخبر أنه لا نجاة لهم من عذابه قال **﴿ولله ملك السماوات والأرض﴾** أي هو مالك ما في السماوات والأرض بمعنى أنه يملك تدبيرهما وتصرفهما على ما يشاء من جميع الوجوه ليس لغيره الاعتراض عليه فكيف يطمع والحال هذه في الخلاص منه **﴿والله على كل شيء قدير﴾** فيه تنبيه على أنه قادر على اهلاك من أراد اهلاكه وعلى الانشاء والافناء كما يشاء .

﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ
وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ
ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾
رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ
أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ

فَـَٔامَنَّاۚ رَبَّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرۡ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلۡأَبۡرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخۡزِنَا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ إِنَّكَ لَا تُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾

[**فضلها**] روى الثعلبي في تفسيره بإسناده عن محمد بن الحنفية عن علي بن أبي طالب (ع) أن رسول الله ﷺ كان إذا قام من الليل استاك(١) ثم ينظر إلى السماء ثم يقول أن في خلق السماوات والأرض إلى قوله ﴿**فقنا عذاب النار**﴾ وقد اشتهرت الرواية عن النبي ﷺ أنه لما نزلت هذه الآيات قال ﴿**ويل لمن لاكها بين فكّيه**﴾ ولم يتأمل ما فيها وورد عن الأئمة من آل محمد ﷺ الأمر بقراءة هذه الآيات الخمس وقت القيام بالليل للصلاة وفي الضجعة بعد ركعتي الفجر وروى محمد بن علي بن محبوب عن العباس بن معروف عن عبد الله بن المغيرة عن معاوية بن وهب قال سمعت أبا عبد الله (ع) وذكر أن النبيّ قال كان يؤتي بطهور فيُخمّر عند رأسه ويوضع سواله تحت فراشه ثم ينام ما شاء الله فإذا استيقظ جلس ثم قلّب بصره إلى السماء وتلا الآيات من آل عمران إنّ في خلق السماوات والأرض الآيات ثم يستنّ ويتطهر ثم يقوم الى المسجد فيركع أربع ركعات على قدر قراءته ركوعه يركع حتى يقال متى يرفع رأسه ويسجد(٢) حتى يقال متى يرفع رأسه ثم يعود إلى فراشه فينام ما شاء الله ثم يستيقظ فيجلس فيتلوا الآيات من آل عمران ويعابّ بصره في السماء ثم يستن ويتطهر ويقوم الى المسجد فيصلي أربع ركعات كما ركع قبل ذلك ثم يعود إلى فراشه فينام ما شاء الله ثم يستيقظ فيجلس فيتلو الآيات من آل عمران ويقلّب بصره في السماء ثم يستن ويتطهر ويقوم إلى المسجد فيوتر ويصلي ركعتين ثم يخرج إلى الصلاة .

[**اللغة**] اللبّ العقل سمي به لأنه خير ما في الانسان واللب من كل شيء خيره وخالصه سبحانك معناه تنزيهاً لك من أن تكون خلقتهما باطلاً وبراءة مما لا يليق بصفاتك قال الشاعر :

سُبْحَانَهُ ثُمَّ سُبْحَاناً يَعُودُ لَهُ   وَقَبْلَنَا سَبَّحَ الْجُودِيُّ وَالْجَمَدُ

والأبرار جمع برّ وهو الذي بر الله بطاعته إياه حتى أرضاه وأصل البرّ الاتساع فالبرّ

(١) أي بستاك .

(٢) [وسجوده على قدر ركوعه ثم] .

الواسع من الأرض خلاف البحر والبِرّ صلة الرحم والبِرّ العمل الصالح والبُرّ الحنطة وأبرَّ الرجل على أصحابه أي زاد عليهم .

[**الإعراب**] الذين يذكرون في موضع جر صفة لأولي الألباب قياماً وقعوداً نصب على الحال وعلى جنوبهم أيضاً في موضع نصب على الحال ولذلك عطف عَلى قياماً وقعوداً أي ومضطجعين لأن الظرف يكون حالاً للمعرفة كما يكون نعتاً للنكرة لما فيه من معنى الاستقرار تقول مررت برجل على الحائط اي مستقر على الحائط وكذا مررت برجل في الدار وتقول أنا أصير إلى فلان ماشياً وعلى الفرس فيكون موضع على الفرس نصباً على الحال من الضمير في أصير وقوله **﴿ما خلقت هذا باطلاً﴾** أي يقولون ما خلقت هذا الخلق ولذلك لم يقل هذه ولا هؤلاء وباطلاً نصب على أنه المفعول الثاني وقيل تقديره بالباطل وللباطل ثم نزع الحرف فوصل الفعل خبر إنّ في قوله **﴿إنك من تدخل النار فقد أخزيته﴾** جملة مركبة من الشرط والجزاء والأصل فيهما جملتان كل واحدة منهما من فعل وفاعل لأن موضع مَن نصب بتدخل على أنه مفعول به وقوله **﴿أن آمنوا﴾** يحتمل أن يكون ان هذه هي المفسرة بمعنى أي ويحتمل أن يكون الناصبة للفعل لأنه يصلح في مثله دخول الباء نحو ينادي بأن آمنوا .

[**المعنى**] لَمّا بَيَّـن سبحانه بأن له ملك السماوات والأرض عقّبه ببيان الدلالات على ذلك فقال **﴿إن في خلق السماوات والأرض﴾** أي في إيجادهما بما فيهما من العجائب والبدائع **﴿واختلاف الليل والنهار﴾** أي تعاقبهما ومجيء كل واحد منهما خلف الآخر **﴿لآيات﴾** أي دلالات على توحيد الله وصفاته العلي **﴿لأولي الألباب﴾** أي لذوي البصائر والعقول ووجه الدلالة في خلق السماوات والأرض أن وجودهما متضمن باعراض حادثة وما لا ينفك عن الحادث فهو حادث مثله والمُحَدث لا بد له من مُحدِث يحدثه وموجد يوجده فدل وجودهما وحدوثهما على أن لهما محدثاً قادراً ودلّ ابداعهما بما فيهما من البدائع والأمور الجارية على غاية الانتظام والإتساق على أن مُبدِعهما عالم لأن الفعل المحكم المنتظم لا يصح إلّا من عالم كما ان الإيجاد لا يصح إلا من قادر ودل ذلك أيضاً على ان صانعهما قديم لم يزل لأنه لو كان محدثاً لاحتاج إلى مُحدِث فيؤدي الى التسلسل ووجه الدلالة في تعاقب الليل والنهار ان في ترادفهما على مقدار معلوم لا يزيدان عليه ولا ينقصان منه ونقصان كل واحد منهما عن الآخر في حال وزيادته عليه في حال وازدياد احدهما بقدر نقصان الآخر دلالة ظاهرة على أن لهما صانعاً قادراً حكيماً لا يدركه عجز ولا

يلحقه سهو ثم وصف سبحانه أولي الألباب فقال **﴿الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم﴾** أي هؤلاء الذين يستدلّون على توحيد الله بخلقه السماوات والأرض هم الذين يذكرون الله قائمين وقاعدين ومضطجعين أي في سائر الأحوال لأن أحوال المكلفين لا تخلو من هذه الأحوال الثلاثة وقد أمروا بذكر الله تعالى في جميعها وقيل معناه يصلون لله على قدر امكانهم في صحتهم وسقمهم فالصحيح يصلي قائماً والسقيم يصلي جالساً وعلى جنبه أي مضطجعاً فسمّى الصلاة ذكراً رواه علي بن أبراهيم في تفسيره ولا تنافي بين التفسيرين لأنه غير ممتنع وصفهم بالذكر في هذه الأحوال وهم في الصلاة وهو قول ابن جريج وقتادة **﴿ويتفكرون في خلق السماوات والأرض﴾** أي ومن صفة أولي الألباب أن يتفكروا في خلق السماوات والأرض ويتدبروا في ذلك ليستدلّوا به على وحدانية الله تعالى وكمال قدرته وعلمه وحكمته ثم يقولون **﴿ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك﴾** أي ما خلقت هذا الخلق عبثاً وقيل بالباطل وللباطل بل خلقته لغرض صحيح وحكمة ومصلحة ليكون دليلاً على وحدانيتك وحجة على كمال حكمتك ثم ينزّهونه عن كل ما لا يليق بصفاته أو يلحق نقصاً بذاته فيقولون **﴿سبحانك﴾** أي تنزيهاً لك عما لا يجوز عليك فلم تخلقهما عبثاً ولا لعباً بل تعريضاً للثواب والأمن من العقاب **﴿فقنا عذاب النار﴾** بلطفك الذي يتمسك معه بطاعتك وفي هذه الآية دلالة على أن الكفر والقبائح والضلال ليست خلقاً لله لأن هذه الأشياء كلها باطلة بلا خلاف وقد نفى الله تعالى ذلك بحكايته عن أولي الألباب الذين رضي أقوالهم بأنه لا باطل فيما خلقه فيجب بذاك القطع على أن القبائح كلها غير مضافة إليه ومنفية عنه تعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً ثم حكى عن أولي الألباب الذين وصفهم بأنهم أيضاً يقولون **﴿ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته﴾** قيل في وجوه (أحدها) ان معناه فضحته وأهنْته فيكون منقولاً من الخزي ونظيره وقوله **﴿ولا تُخزونِ في ضيفي﴾** (وثانيها) قول المفضل أن معناه أهلكته وأنشد :

أَخْـزَى الإِلَـهُ مِنَ الصَّلِيبِ إِلَهَـهُ   والـلاَّبِـسيـنَ مَـلاَبِسَ الـرُّهْبَـانِ

(وثالها) أن معناه أحللته محلاً ووقفته موقفاً يستحيا منه فيكون منقولاً من الخزاية التي معناها الاستحياء وقال ذو الرمة :

خِـزَايَـةً أدْرَكَـتْـهُ بَـعْـدَ جَـوْلَـتِـهِ   مِنْ جَانِبِ الدَّفِّ مَخْلُوطاً بِهِ الْغَضَبُ

واختلف أهل التأويل في المَعنَى بهذه الآية فروي عن أنس بن مالك وسعيد بن المسيب وقتادة وابن جريج أن الأخزاء يكون بالتأييد في النار وهي خاصة بمن لا يخرج

منها وقال جابر بن عبد الله أن الخزي يكون بالدخول فيها وروى عنه عمرو بن دينار وعطاء أنه قال وما أخزاه حين أحرقه بالنار وإن دون ذا لخزياً وهذا هو الأقوى لأن الخزي إنما هو هتك المخزي وفضيحته ومن عاقبه الله على ذنوبه فقد فضحه وهذا غير مناف لما نذهب إليه من جواز العفو عن المذنبين لأن على قول مَن قال أن الخزي هو الخلود في النار فمن عفا الله عنه لا يكون أخزاه إن أدخله النار ثم أخرجه منها بعد إستيفاء العقاب وعلى قول من أثبت الخزي بنفس الدخول فإنه وإن كان خزياً فليس كمثل خزي الكفار ويجوز حمل قوله ﴿ **يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه** ﴾ على كلا الوجهين وعلى قول من جعله من الخزاية التي هي الاستحياء فيكون إخزاء المؤمنين محمولة على الاستحياء وإخزاء الكافرين على الإهانة والخلود في النار وقوله ﴿ **وما للظالمين من أنصار** ﴾ أي ليس لهم من يدفع عنهم عذاب الله على وجه المغالبة والقهر لأن الناصر هو الذي يدفع عن المنصور على وجه المغالبة ولا ينافي ذلك ما صحَّ من شفاعة النبي (ﷺ) والأولياء لأهل الكبائر لأن الشفاعة على سبيل المسألة والخضوع والتضرع إلى الله وليست من النصرة في شيء وصحَّ عن النبي (ﷺ) أنه قال ليصيبنّ أقواماً شفع بذنوب أصابوها ثم يخرجون فيسميهم أهل الجنة الجهنميّين رواه البخاري بإسناده في الصحيح عن أنس بن مالك وفيما رواه أبو سعيد الخدري عنه (ع) قال فيخرجون قد امتحشوا وعادوا حمماً قال فيلقون في نهر يقال له نهر الحياة قال فينبتون فيه كما تنبت الحبة في جميل السيل ورواه البخاري ومسلم أيضاً في الصحيح وما روي في مثل ذلك من الأخبار لا يحصى وهذا كما تراه صريح في وقوع العفو عن مرتكبي الكبائر ﴿ **ربنا إننا سمعنا منادياً** ﴾ قيل المنادي محمد عن ابن عباس وابن مسعود وابن جريج واختاره الجبائي وقيل أنه القرآن عن محمد بن كعب القَرظي وقتادة واختاره الطبري قال لأنه ليس يسمع كل أحد قول النبي (ﷺ) ولا يراه والقرآن سمعه من رآه ولم يره كما قال مخبراً عن الجن إنا سمعنا قرآناً عجباً يهدي إلى الرشد ولمن نصر القول الأول أن يقول من بلغه قول النبي (ﷺ) ودعوته جاز أن يقول سمعنا منادياً وإن كان فيه ضرب من التجوز ومعنى قوله سمعنا منادياً نداء مناد لأن المنادي لا يسمع وقوله ﴿ **ينادي للإيمان** ﴾ معناه إلى الإيمان كقوله ﴿ **الحمد لله الذي هدانا لهذا** ﴾ ومعناه إلى هذا وكقول الراجز :

أَوْحَىٰ لَهَــا الْقَـرَارَ فَـاسْتَقَـرَّت وَشَـدَّهـا بِـالـرَّاسِيـمـاتِ الثُّبَّت

ومثله قوله ﴿ **بأن ربك أوحى لها** ﴾ فالمعنى ربنا أننا سمعنا داعياً يدعو إلى الإيمان

والتصديق بك والإقرار بوحدانيتك وإتّباع رسولك وإتّباع أمره ونهيه وقوله ﴿ **أنْ آمنوا بربكم** ﴾ معناه بأن آمنوا بربكم فحذف الباء وقيل معناه قال لنا آمنوا بربكم ﴿ **فآمنا** ﴾ أي فصدقنا الداعي فيما دعا إليه من التوحيد والدين وأجبناه ﴿ **فاغفر لنا ذنوبنا** ﴾ معناه استرها علينا ولا تفضحنا بها يوم القيامة على رؤوس الأشهاد بعقوبتك ﴿ **وكفر عنا سيئاتنا** ﴾ معناه إمحها بفضلك ورحمتك إيانا ﴿ **وتوفنا مع الأبرار** ﴾ معناه واقبضنا إليك في جملة الأبرار واحشرنا معهم فإن قيل ما معنى قوله ﴿ **وكفر عنا سيئاتنا** ﴾ وقد أغنى عنه قوله ﴿ **فاغفر لنا** ﴾ فالجواب عنه من وجهين (أحدهما) إن معناه إغفر لنا ذنوبنا إبتداء بلا توبة وكفر عنا إن تبنا والثاني إن معناه إغفر لنا ذنوبنا بالتوبة وكفِّر عنا باجتناب الكبائر من السيئات لأن الغفران قد يكون إبتداء ومن سبب والتكفير لا يكون إلا عند فعل من العبد والأول أليق بمذهبنا ﴿ **ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك** ﴾ هذه حكاية عمن تقدم وصفهم بأنهم يقولون أعطنا ما وعدتنا على لسان رسلك من الثواب ﴿ **ولا تخزنا** ﴾ أي لا تفضحنا أو لا تهلكنا ﴿ **يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد** ﴾ وهو كلام مستأنف بدلالة أنه كسر إنّ والمعنى أنك وعدت الجنة لمن آمن بك وأنت لا تخلف وعدك فإن قيل ما وجه المسألة في إنجاز الوعد والمعلوم أنه يفعله لا محالة فالجواب عنه من وجوه (أحدها) إن ذلك على وجه الإنقطاع إلى الله والتضرع له والتعبد كما قال ﴿ **وقل رب إحكم بالحق** ﴾ واختاره علي بن عيسى والجبائي (والثاني) إن الكلام خرج مخرج المسألة والمراد الخبر أي توفنا مع الأبرار لتؤتينا ما وعدتنا به على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة لأنهم علموا أن ما وعد الله به حق ولا بُدّ أن ينجزه (والثالث) معناه السؤال والدعاء بأن يجعلهم ممن أتاهم ما وعدهم من الكرامة على ألْسُن رسله لا أنهم قد إستحقوا منزلة الكرامة عند الله في أنفسهم وشهدوا ثم سألوه أن يؤتيهم ما وعدهم بعد علمهم باستحقاقهم عند أنفسهم لأنه لو كان كذا لكانوا قد زكوا أنفسهم وشهدوا بأنهم استوجبوا كرامة الله ولا يليق ذلك بصفة أهل الفضل من المؤمنين (والرابع) أنهم إنما سألوا ذلك على وجه الرغبة منهم إلى الله في أن يؤتيهم ما وعدهم من النصر على أعدائهم من أهل الكفر وإعلاء كلمة الحق على الباطل ليعجل ذلك لهم لأنه لا يجوز أن يكونوا مع ما وصّفهم الله به غير واثقين ولا على غير يقين أن الله لا يخلف الميعاد فرغبوا إليه في تعجيل ذلك ولكنهم كانوا وعدوا النصر ولم يوقت لهم في ذلك وقت فرغبوا إليه في تعجيل ذلك لهم لما لهم في ذلك من السرور بالظفر وهو إختيار الطبري وقال الآية مختصة بمن هاجر من أصحاب النبي الذين رغبوا في تعجيل النصرة على أعدائهم وقالوا لا صبر لنا على أناتك وحلمك وقوي ذلك بما بعد هذه الآية

كتابخانه
بنياد دايرة المعارف اسلامى

من قوله ﴿ فاستجاب لهم ربهم ﴾ الآيات وإلى هذا أومى أبو القاسم البلخي أيضاً .

﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾

[**القراءة**] قرأ حمزة والكسائي وخلف وقتلوا وقاتلوا بتقديم الفعل المبنى للمفعول به على الفعل المبنى للفاعل والتخفيف وقرأ الباقون بتقديم قاتلوا على قتلوا وشدّد التاء من قتلوا ابن كثير وابن عامر .

[**الحجة**] أمّا تقديم قاتلوا على قُتِلوا فلأن القتال قبل القتل وحسن التشديد لتكرر الفعل فهو مثل مفتحة لهم الأبواب ومن خفف قتلوا فلأن فُعِلوا يقع على الكثير والقليل والتشديد يختص بالكثير وأمّا تقديم قُتِلوا على قاتلوا فلأن المعطوف بالواو يجوز أن يكون أولاً في المعنى وإن كان مؤخراً في اللفظ ويمكن أن الوجه فيه أن يكون لما قُتِل منهم قاتلوا ولم يَهِنوا ولم يضعفوا للقتل الذي وقع بهم كقوله ﴿ **فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله** ﴾

[**اللغة**] الإضاعة الإهلاك ضاع الشيء يضيع ضياعاً إذا هلك وأضاع وضيّع بمعنى ومنه الضيعة للقرية وأما قولهم كل رجل وضيعته فإن الضيعة ههنا بمعنى الحرفة هاجَرَ فاعَلَ من الهجر وهو ضد الوصل يقال هاجر القوم من دار إلى دار أي تركوا الأولى للثانية وتهجر الرجل أي تشبه بالمهاجرين .

[**الإعراب**] مِن في قوله مِن ذكر أو أنثى للتبيين والتفسير عن قوله ﴿ **منكم** ﴾ أي لا أضيع عمل عامل منكم من الذكور والإناث فهو بيان لجنس من أضيف إليه العمل ويقال

أنها مؤكدة بمعنى النفي في لا أضيع أي لا أضيع عمل ذكر وأنثى منكم وبعضكم مبتدء وقوله ﴿ **من بعض** ﴾ في موضع رفع بأنه خبره وثواباً مصدر مؤكد لأن معنى ولأدخلنهم جنات ولأثيبنهم ومثله قوله ﴿ **كتاب الله عليكم** ﴾ لأن معنى قوله ﴿ **حرمت عليكم أمهاتكم** ﴾ كتب الله عليكم هذا فكتاب الله مصدر مؤكد .

[**النزول**] روي أنّ أمّ سلمة قالت يا رسول الله ما بال الرجال يذكرون في الهجرة دون النساء فأنزل الله هذه الآية قال البلخي نزلت الآية وما قبلها في المتبعين للنبي (ﷺ) والمهاجرين معه ثم هي في جميع من سلك سبلهم وحذا حذوهم من المسلمين .

[**المعنى**] ثُمَّ عَقَّبَ سبحانه دعوة المؤمنين بذكر الإجابة فقال ﴿ **فاستجاب لهم ربهم** ﴾ أي أجاب المؤمنين الذين تقدم الخبر عنهم ﴿ **إني لا أضيع** ﴾ أي بأني لا أُبْطِلُ ﴿ **عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى** ﴾ رجل أو امرأة ﴿ **بعضكم من بعض** ﴾ في النصرة والدين والموالاة فحكمي في جميعكم حكم واحد فلا أضيع عمل واحد منكم لاتفاقكم في صفة الإيمان وهذا يتضمن الحثّ على مواظبة الأدعية التي في الآيات المتقدمة والإشارة إلى أنها مما تعبَّد الله تعالى بها وندب إليها وذلك لأنه تضمن الإجابة لمن دعا بها ﴿ **فالذين هاجروا** ﴾ إلى المدينة وفارقوا قومهم من أهل الكفر ﴿ **واخرجوا من ديارهم** ﴾ أخرجهم المشركون من مكة ﴿ **وأوذوا في سبيلي** ﴾ أي في طاعتي وعبادتي وديني وذلك هو سبيل الله فتحملوا الأذى لأجل الدين ﴿ **وقاتلوا** ﴾ في سبيل الله ﴿ **وقتلوا** ﴾ فيها ﴿ **لأكفرنّ عنهم سيئاتهم** ﴾ يعني لأمحوّنها ولأتفضلن عليهم بعفوي ومغفرتي ورحمتي وهذا يدل على إن إسقاط العقاب تفضل من الله ﴿ **ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار** ﴾ أي من تحت أبنيتها وأشجارها ﴿ **ثواباً** ﴾ أي جزاء لهم ﴿ **من عند الله** ﴾ **على أعمالهم** ﴿ **والله عنده حسن الثواب** ﴾ أي عنده من حسن الجزاء على الأعمال ما لا يبلغه وصفُ واصفٍ ولا يدركه نعت ناعتٍ مما لا رأت عين ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وقيل حسن الثواب في دوامه وسلامته عن كل شوب من النقصان والتكدير .

﴿ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَـٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَـٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾ لَـٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ

عِندِ ٱللَّهِۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾

[**القراءة**] قرأ يعقوب برواية رويس وزيد لا يغرنك ولا يحطمنكم ولا يستخفنك وأما نذهبن بك أو نرينك خفيفة في الجميع والباقون بالتشديد وقرأ أبو جعفر لكن الذين إتقوا بتشديد النون والباقون لكن بالتخفيف .

[**اللغة**] الغرور إيهام حال السرور فيما الأمر بخلافه في المعلوم وليس كل إيهام غروراً لأنه قد يتوهمه تخوفاً فيحذر منه فلا يقال غره والغرر نظير الخطر والفرق بينهما أن الغرر قبيح كله لأنه ترك الجزم فيما يمكن أن يتوثق منه والخطر قد يحسن على بعض الوجوه لأنه من العظم من قولهم رجل خطير أي عظيم والمتاع النفع الذي يتعجل به اللذة إما بوجود اللذة أو بما يكون به اللذة نحو المال الجليل والملك والأولاد والإخوان والمهاد الذي يسكن فيه الإنسان ويفترشه وواحد الأبرار بر تقول بررت والدي فأنا بر وأصله برر ولكن الراء أُدغمت للتضعيف .

[**الإعراب**] بني المضارع مع نون التأكيد لأنه بمنزلة ضم اسم إلى اسم كخمسة عشر ونحوه ومتاع خبر مبتدأ محذوف وتقديره تقلبهم متاع قليل حذف المبتدأ لدلالة ما تقدمه عليه وبئس المهاد حذف المخصوص بالذم من الكلام لدلالة ما تقدمه عليه تقديره بئس المهاد جهنم ونزلا مصدر مؤكد أيضاً مثل ما تقدم ذكره في قوله ﴿ **ثواباً** ﴾ من عند الله لأن خلودهم في الجنة إنزالهم فيها فصار كأنه قال نزلوها نزلا وهو بمعنى أنزلوها إنزالاً وقيل هو نصب على التفسير كما يقال هو لك هبة أو صدقة عن الفراء وخالدين فيها منصوب على الحال أي مقداراً لهم الخلود فيها .

[**النزول**] نزلت في مشركي العرب وكانوا يتجرون ويتنعمون بها فقال بعض المسلمين أن أعداء الله في العيش الرخيّ وقد هلكنا من الجوع فنزلت الآية وقال الفراء كانت اليهود تضرب في الأرض فتصيب الأموال فأنزل الله تعالى لا يغرنك الآية .

[**المعنى**] ﴿ **لا يغرنك** ﴾ يا محمد الخطاب له والمراد غيره وقيل معناه لا يغرنك أيها الإنسان أو أيها السامع ﴿ **تقلب الذين كفروا** ﴾ أي تصرفهم ﴿ **في البلاد** ﴾ سالمين غانمين غير مؤاخذين بأجرامهم أَعْلَمَ الله تعالى إن ذلك مما لا ينبغي أن يغبطوا به لأن مأواهم ومصيرهم إلى النار بكفرهم ولا خير بخير بعده النار وقوله ﴿ **متاع قليل** ﴾ معناه تصرفهم في البلاد والنعم متاع قليل أي يتنعمون بذلك قليلاً ثم يزول وسماه متاعاً لأنهم

متّعوا به في الدنيا ﴿ **ثم مأواهم** ﴾ أي مصيرهم ومرجعهم ﴿ **جهنم وبئس المهاد** ﴾ أي ساء المستقر هي ثم أَعْلَمَ تعالى أن من أراد الله واتقاه فله الجنة فقال ﴿ **لكن الذين إتقوا ربهم** ﴾ لكن للاستدراك فيكون بخلاف المعنى المتقدم فمعناه ليس للكفار عاقبة خير إنما هي للمؤمنين المتقين الذين إتقوا ربهم بفعل الطاعات وترك المعاصي ﴿ **لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها نزلاً من عند الله** ﴾ بيّن سبحانه ما يصيرون إليه من النعيم المقيم في دار القرار المُعدَّة للأبرار والنزل ما يعد للضيف من الكرامة والبر والطعام والشراب ﴿ **وما عند الله** ﴾ من الثواب والكرامة ﴿ **خير للأبرار** ﴾ مما يتقلب فيه الذين كفروا لأن ذلك عن قريب سيزول وما عند الله تعالى دائم لا يزول ويروى عن عبد الله ابن مسعود أنه قال ما من نفس برة ولا فاجرة إلا والموت خير لها من الحياة فأما الأبرار فقد قال الله وما عند الله خير للأبرار وأما الفجار فقال تعالى ﴿ **ولا تحسبن الذين كفروا** ﴾ إنما نملي لهم خير لأنفسهم الآية وقوله في النفس الفاجرة أن الموت خير لها إنما يعني بذلك إذا كانت تدوم على فجورها .

﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾

[**اللغة**] أصل الخشوع السهولة من قولهم الخشعة وهي السهودة في الرمل كالربوة والخاشع من الأرض الذي لا يهتدي له لأن الرمل يعفي آثاره والخاشع الخاضع ببصره والخشوع هو التذلل خلاف التصعب .

[**الإعراب**] خاشعين نصب على الحال من الضمير في يؤمن وهو عائد إلى مَنْ وقيل هو حال من الضمير في أنزل إليهم المجرور بإلى والأول أحسن .

[**النزول**] إختلفوا في نزولها فقيل نزلت في النجاشي ملك الحبشة واسمه أصحمة وهو بالعربية عطية وذلك أنه لما مات نعاه جبرائيل لرسول الله في اليوم الذي مات فيه فقال

رسول الله أُخرُجوا فصلّوا على أخ لكم مات بغير أرضكم قالوا ومن ؟ قال النجاشي فخرج رسول الله إلى البقيع وكشف له من المدينة إلى أرض الحبشة فأبصر سرير النجاشي وصلى عليه فقال المنافقون انظروا إلى هذا يصلي على عِلْج نصراني حبشي لم يره قطّ وليس على دينه فأنزل الله هذه الآية عن جابر بن عبد الله وابن عباس وأنس وقتادة وقيل نزلت في أربعين رجلاً من أهل نجران من بني الحرث بن كعب وإثنين وثلاثين من أرض الحبشة وثمانية من الروم كانوا على دين عيسى فآمنوا بالنبي (ﷺ) عن عطاء وقيل نزلت في جماعة من اليهود كانوا أسلموا منهم عبد الله بن سلام ومن معه عن ابن جريج وابن زيد وابن إسحاق وقيل نزلت في مؤمني أهل الكتاب كلهم لأن الآية قد تنزل على سبب وتكون عامة في كل ما يتناوله عن مجاهد .

[**المعنى**] لما ذَمَّ تعالى أهل الكتاب فيما تقدم وصف طائفة منهم بالإيمان وإظهار الحق والصدق فقال ﴿ **وإن من أهل الكتاب** ﴾ أي من اليهود والنصارى ﴿ **لمن يؤمن بالله** ﴾ أي يصدّق بالله ويقِرُّ بوحدانيته ﴿ **وبما أنزل إليكم** ﴾ أيها المؤمنون وهو القرآن ﴿ **وما أنزل إليهم** ﴾ وهو التوراة والإنجيل ﴿ **خاشعين لله** ﴾ أي خاضعين له مستكينين له بالطاعة متذللين بها قال ابن زيد الخاشع المتذلل الخائف وقال الحسن الخشوع الخوف اللازم للقلب من الله ﴿ **لا يشترون بآيات الله ثمناً قليلاً** ﴾ أي لا يأخذون عوضاً يسيراً على تحريف الكتاب وكتمان الحق من الرشى والمأكل كما فعله غيرهم ممن وصفهم تعالى في قوله ﴿ **أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى ولكن ينقادون إلى الحق يعملون بما أمرهم الله به وينتهون عما نهاهم عنه** ﴾ ثم قال ﴿ **أولئك** ﴾ يعني هؤلاء الذين وصفناهم ﴿ **لهم أجرهم عند ربهم** ﴾ معناه لهم ثواب أعمالهم وأجر طاعاتهم عند الله مذخور حتى يوفيهم الله يوم القيامة ﴿ **إن الله سريع الحساب** ﴾ وصف الحساب بالسرعة لأنه تعالى لا يؤخر الجزاء عمن يستحقه بطول الحساب لأنه لا يخفى عليه شيء من أعمالهم قبل أن يعملوها وبعد أن عملوها فلا حاجة به إلى إحصاء عدد فيقع في الاحصاء إبطاء وقيل معناه أنه يحاسب كل الخلق معاً فإذا حاسب واحداً فقد حاسب الجميع لأنه قادر على أن يكلمهم في حالة واحدة كل واحد بكلام يخصه لأنه القادر لنفسه عن أبي علي الجبائي وإنما خصّ الله تعالى هذه الطائفة بالوعيد ليبيّن أن جزاء أعمالهم موفر عليهم ولا يضرهم كفر من كفر منهم .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾

[**اللغة**] أصل الرباط ارتباط الخيل للعدو والربط الشدّ ومنه قولهم ربط الله على قلبه بالصبر ثم استعمل في كل مقيم في ثغر يدفع عمن وراءه ممن أرادهم بسوء والرباط أيضاً اسم لما يشد به .

[**المعنى**] لما حكى الله تعالى أحوال المؤمنين والكافرين فيما تقدم حثّ بعد ذلك على الصبر على الطاعة ولزوم الدين في الجهاد في سبيل الله فقال ﴿ **يا أيها الذين آمنوا** ﴾ أي صدقوا الله ورسوله ﴿ **اصبروا وصابروا ورابطوا** ﴾ اختلف في معناه على وجوه (أحدها) إن المعنى اصبروا على دينكم أي أثبتوا عليه وصابروا الكفار ورابطوهم في سبيل الله عن الحسن وقتادة وابن جريج والضحاك فعلى هذا يكون معناه اصبروا على طاعة الله وعن معاصيه وقاتلوا العدو واصبروا على قتالهم في الحق كما يصبرون على قتالكم في الباطل وإنما أتى بلفظ صابروا هاهنا لأن فاعَلَ إنما يأتي لما يكون بين إثنين والرباط هو المرابطة فيكون بين إثنين أيضاً يعني أعدّوا لهم من الخيل ما يعدونه لكم كقوله ﴿ **واعدوا لهم ما استطعتم من قوة** ﴾ (وثانيها) إن المراد اصبروا على دينكم وصابروا وَعْدي إياكم ورابطوا عدوي وعدوكم عن محمد بن كعب القرظي (وثالثها) أن المراد اصبروا على الجهاد عن زيد بن أسلم وقيل إن معنى رابطوا أي رابطوا الصلوات ومعناه انتظروها واحدة بعد واحدة لأن المرابطة لم تكن حينئذ روي ذلك عن علي بن أبي طالب عليه أفضل الصلوات وأكمل التحيات وعن جابر بن عبد الله وأبي سلمة ابن عبد الرحمن وروي عن النبي (ﷺ) أنه سئل عن أفضل الأعمال فقال اسباغ الوضوء في السبرات[1] ونقل الأقدام إلى الجماعات وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط وروي عن أبي جعفر الباقر (ع) أنه قال معناه اصبروا على المصائب وصابروا على عدوكم ورابطوا عدوكم وهو قريب من القول الأول وقوله ﴿ **واتقوا الله لعلكم تفلحون** ﴾ معناه واتقوا أن تخالفوا الله فيما يأمركم به لكي تفلحوا بنعيم الأبد وقيل معناه إتقوا عذاب الله بلزوم أمره واجتناب نهيه لكي تظفروا وتفوزوا بنيل المنية ودرك البغية وللوصول إلى النجح في الطلبة وذلك حقيقة الفلاح وهذه الآية تتضمن جميع ما يتناوله المكلف لأن قوله ﴿ **اصبروا** ﴾ يتناول لزوم العبادات واجتناب المحرمات وصابروا يتناول ما يتصل بالغير كمجاهدة الجن والانس وما

(١) السبرات جمع السبرة : الغداة الباردة .

هو أعظم منها من جهاد النفس ورابطوا يدخل فيه الدفاع عن المسلمين والذب عن الدين واتقوا الله يتناول الانتهاء عن جميع المناهي والزواجر والائتمار بجميع الأوامر ثم يتبع جميع ذلك الفلاح والنجاح .

هذا آخر المجلدة الثانية من كتاب مجمع البيان لعلوم القرآن

من المجلدات العشر من الأصل

وقد تصدى لتصحيحه والتعليق عليه العبدان المتمسكان بحبل الله المتين السيد هاشم الرسولي

المحلاّني والسيد فضل الله اليزدى الطباطبائي وفقهما الله

تعالى لمرضاته وعفى عن جرائم

أعمالهما بعفوه

وغفرانه

فهـرس المـجـلد الأول مـن مجمع البيان
في تفسير القرآن

وهـو حاو للجـزء الأول والثاني حسب تجزئة المصنف

وفي تفسير سورتي البقرة وآل عمران

٣ مقدمة البلاغي
٤٩ كلمتنا
٥١ ترجمة المؤلف
٥٩ كلمة في التفسير
٧٣ مقدمة الكتاب
٨٧ تفسير فاتحة الكتاب
١١١ سورة البقرة
١١٢ تفسير بسم الله الرحمن الرحيم آلم
١١٥ ذلك الكتاب لا ريب فيه
١١٩ الذين يؤمنون بالغيب
١٢٣ والذين يؤمنون بما أنزل إليك
١٢٤ أولئك على هدى من ربهم
١٢٥ إن الذين كفروا
١٢٩ ختم الله على قلوبهم
١٣١ ومن الناس من يقول آمنا
١٣٣ يخادعون الله والذين آمنوا
١٣٤ في قلوبهم مرض
١٣٦ وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض
١٣٨ وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس
١٣٩ وإذا لقوا الذين آمنوا
١٤٠ الله يستهزىء بهم
١٤٢ أُولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى
١٤٤ مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً
١٤٦ صُمٌّ بكم عمي فهم لا يرجعون
١٤٨ أو كصيب من السماء
١٥١ يكاد البرق يخطف أبصارهم
١٥٢ يا أيها الناس اعبدوا ربكم
١٥٤ الذي جعل لكم الأرض فراشاً
١٥٧ وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا
١٥٨ تفسير فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا
١٦٠ وبشر الذين آمنوا
١٦٣ إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلاً
١٦٨ الذين ينقضون عهد الله
١٧٠ كيف تكفرون بالله
١٧٢ هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً
١٧٤ وإذ قال ربك للملائكة
١٧٩ وعلَّم آدم الأسماء كلها

١٨٢ قالوا سبحانك لا علم لنا
١٨٤ قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم
١٨٧ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم
١٩٢ وقلنا يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة
١٩٦ فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه
١٩٩ فتلقى آدم من ربه كلمات
٢٠٢ قلنا اهبطوا منها جميعاً
٢٠٤ والذين كفروا وكذبوا بآياتنا
٢٠٥ يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي
٢٠٨ وآمنوا بما أنزلت مصدقاً لما معكم
٢١٠ ولا تلبسوا الحق بالباطل
٢١٢ وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة
٢١٤ أتأمرون الناس بالبر
٢١٥ واستعينوا بالصبر والصلاة
٢١٨ الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم
٢٢١ يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي
٢٢١ واتقوا يوماً لا تجزي نفس عن نفس شيئاً
٢٢٤ تفسير وإذ نجيناكم من آل فرعون
٢٢٧ وإذ فرقنا بكم البحر
٢٣٠ وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة
٢٣٣ ثم عفونا عنكم من بعد ذلك
٢٣٤ وإذ آتينا موسى الكتاب
٢٣٥ وإذ قال موسى لقومه
٢٣٩ وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك
٢٤١ ثم بعثناكم من بعد موتكم
٢٤٢ وظللنا عليكم الغمام
٢٤٤ وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية
٢٤٨ فبدل الذين ظلموا قولاً غير الذي قيل لهم
٢٤٩ وإذ استسقى موسى لقومه
٢٥١ وإذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد
٢٥٨ إن الذين آمنوا
٢٦١ وإذ أخذنا ميثاقكم
٢٦٢ ثم توليتم من بعد ذلك
٢٦٣ ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت
٢٦٥ فجعلناها نكالاً لما بين يديها
٢٦٦ وإذ قال موسى لقومه إلى قوله فذبحوها وما كادوا يفعلون
٢٧٦ وإذ قتلتم نفساً فادرأتم فيها
٢٧٨ ثم قست قلوبكم من بعد ذلك
٢٨٤ أفتطعمون أن يؤمنوا لكم
٢٨٥ وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا
٢٨٧ أولا يعلمون أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون
٢٨٨ تفسير ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب
٢٩١ فويل للذين يكتبون الكتاب
٢٩٣ وقالوا لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة
٢٩٤ بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته
٢٩٦ وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل

٢٩٩ وإذ أخذنا ميثاقكم
٣٠١ ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم
٣٠٤ أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة
٣٠٥ ولقد آتينا موسى الكتاب
٣٠٨ وقالوا قلوبنا غلف
٣١٠ ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم
٣١٢ بئسما اشتروا به أنفسهم
٣١٥ وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله
٣١٦ ولقد جاءكم موسى بالبينات
٣١٧ وإذ أخذنا ميثاقكم
٣١٩ قل إن كانت لكم الدار الآخرة
٣٢٠ ولن يتمنوه أبداً بما قدمت أيديهم
٣٢١ ولتجدنهم احرص الناس على حياة
٣٢٤ قل من كان عدواً لجبريل إلى قوله فإن الله عدوٌّ للكافرين
٣٢٦ ولقد أنزلنا إليك آيات بينات
٣٢٧ أو كلما عاهدوا عهداً
٣٢٨ ولما جاءهم رسول من عند الله
٣٣٠ واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان
٣٤٢ ولو أنهم آمنوا واتقوا
٣٤٣ يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا
٣٤٤ ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب
٣٤٥ ما ننسخ من آية أو ننسها
٣٤٩ ألم تعلم أن الله له ملك السماوات والأرض
٣٥٠ أم تريدون أن تسألوا رسولكم
٣٥٢ ودًّ كثير من أهل الكتاب
٣٥٤ وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة
٣٥٥ وقالوا لن يدخل الجنة
٣٥٦ بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن
٣٥٨ وقالت اليهود ليست النصارى على شيء
٣٥٩ ومن أظلم ممن منع مساجد الله ان يذكر فيها اسمه
٣٦٢ ولله المشرق والمغرب
٣٦٤ وقالوا اتخذ الله ولداً سبحانه
٣٦٦ بديع السماوات والأرض
٣٦٩ وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله
٣٧١ إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً
٣٧٢ ولن ترضى عنك اليهود
٣٧٤ الذين آتيناهم الكتاب
٣٧٥ يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم
٣٧٥ واتقوا يوماً لا تجزي نفس عن نفس شيئاً
٣٧٦ وإذا ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن
٣٨١ وإذ جعلنا البيت مثابة للناس
٣٨٥ وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلداً آمناً
٣٨٨ وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت
٣٩٢ ربنا واجعلنا مسلمين لك

٣٩٤ ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم
٣٩٥ ومن يرغب عن ملة إبراهيم
٣٩٧ إذ قال له ربه أسلم
٣٩٨ ووصى بها إبراهيم بنيه
٣٩٩ أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت
٤٠١ تلك أمة قد خلت
٤٠٢ وقالوا كونوا هوداً أو نصارى
٤٠٤ قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا
٤٠٥ فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به
٤٠٧ صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة
٤٠٨ قل أتحاجوننا في الله
٤٠٩ أم تقولون ان إبراهيم وإسماعيل
٤١١ تلك أمة قد خلت
٤١١ سيقول السفهاء من الناس
٤١٣ وكذلك جعلناكم أمة وسطا
٤١٨ قد نرى تقلب وجهك في السماء
٤٢١ ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب
٤٢٣ الذين آتيناهم الكتاب
٤٢٣ الحق من ربك
٤٢٤ ولكلٍ وجهة هو مولّيها
٤٢٦ ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام
٤٢٦ ومن حيث خرجت فولّ وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم
٤٢٨ كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم
٤٣٠ فاذكروني أذكركم
٤٣١ يا أيها الذين آمنوا
٤٣٢ ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله
٤٣٥ ولنبلونكم بشيء من الخوف
٤٣٦ الذين إذا أصابتهم مصيبة
٤٣٧ إن الصفا والمروة من شعائر الله
٤٤١ إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات
٤٤٢ إلا الذين تابوا وأصلحوا
٤٤٣ إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار
٤٤٥ وإلَهكم إلَه واحد
٤٤٦ إن في خلق السماوات والأرض
٤٥٢ ومن الناس من يتّخذ من دون الله
٤٥٥ إذ تبرّأ الذين اتبعوا إلى قوله وما هم بخارجين من النار
٤٥٨ .يا أيها الناس كلوا مما في الأرض
٤٦٠ إنما يأمركم بالسوء والفحشاء
٤٦١ وإذا قيل لهم اتّبعوا ما أنزل الله
٤٦٢ ومثل الذين كفروا
٤٦٥ يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم
٤٦٦ إنما حرَّم عليكم الميتة
٤٦٨ إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب
٤٧٠ أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى
٤٧١ ذلك بأن الله أنزل الكتاب بالحق
٤٧٢ ليس البرّ أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب
٤٧٨ يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى

٤٨١ ولكم في القصاص حياة
٤٨٢ كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت
٤٨٤ فمن بدله بعد ما سمعه
٤٨٤ فمن خاف من مرض جنفا

تمَّ الجزء الأول

٤٨٩ يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام
٤٩٠ أياماً معدودات فن كان مريضاً أو على سفر
٤٩٤ شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن
٤٩٩ وإذا سألك عبادي عني
٥٠١ أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم
٥٠٥ ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل
٥٠٧ يسألونك عن الأهلة
٥٠٩ وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم
٥١٠ واقتلوهم حيث ثقفتموهم
٥١٢ فإن انتهوا فإن الله غفور رحيم
٥١٢ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة
٥١٣ الشهر الحرام بالشهر الحرام
٥١٤ وأنفقوا في سبيل الله
٥١٦ وأتمّوا الحج والعمرة لله
٥٢٢ الحج أشهر معلومات
٥٢٥ ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلاً من ربكم
٥٢٧ ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس
٥٢٨ فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله
٥٢٩ ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة
٥٣٠ أولئك لهم نصيب مما كسبوا
٥٣١ واذكروا الله في أيام معدودات
٥٣٢ ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا
٥٣٤ وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة في الإثم
٥٣٥ ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله
٥٣٦ يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة
٥٣٧ فإن زللتم من بعد ما جاءتكم البينات
٥٣٧ هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام
٥٣٩ سل بني إسرائيل كم آتيناهم من آية
٥٤٠ زيّن للذين كفروا الحياة الدنيا
٥٤٢ كان الناس أمة واحدة
٥٤٤ أم حسبتم ان تدخلوا الجنة
٥٤٧ يسألونك ماذا ينفقون
٥٤٨ كتب عليكم القتال وهو كره لكم
٥٤٩ يسألونك عن الشهر الحارم قتال فيه
٥٥٣ إن الذنين آمنوا والذين هاجروا
٥٥٤ يسألونك عن الخمر والميسر إلى قوله إن الله عزيز حكيم
٥٥٩ ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمّن
٥٦١ ويسألونك عن المحيض

٥٦٤ نساؤكم حرث لكم
٥٦٥ ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم
٥٦٨ لا يؤاخذكم الله في اللغو في أيمانُكم
٥٦٩ الذين يؤلون من نسائهم إلى قوله فإن الله سميع عليم
٥٧١ والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء
٥٧٦ الطلاق مرتان
٥٧٩ فإن طلقها فلا تحل له من بعد
٥٨١ وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فامسكوهن بمعروف
٥٨٢ وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن
٥٨٤ والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين
٥٨٩ والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً
٥٩١ ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء
٥٩٤ لا جناح عليكم ان طلقتم النساء ما لم تمسّوهنّ
٥٩٦ وإن طلقتموهن من قبل ان تمسوهن
٥٩٨ حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى
٦٠٠ فإن خفتم فرجالاً أو ركباناً
٦٠١ والذين يتوفون منكُم ويذرون أزواجاً وصية لأزواجهم
٦٠٣ وللمطلقات متاع بالمعروف إلى قوله لعلكم تعقلون
٦٠٣ ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف
٦٠٦ وقاتلوا في سبيل الله
٦٠٦ من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً
٦٠٨ ألم تر إلى الملأ من بني إسرائيل
٦١١ وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكاً
٦١٣ وقال لهم نبيهم إن آية ملكه
٦١٥ فلما فصل طالوت بالجنود
٦١٨ ولما برزوا لجالوت وجنوده
٦١٩ فهزموهم بإذن الله
٦٢١ تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق
٦٢٢ تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض
٦٢٣ يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم
٦٢٥ الله لا إلّه إلا هو الحي القيوم
٦٢٩ لا إكراه في الدين
٦٣١ الله ولي الذين آمنوا
٦٣٣ ألم تر إلى الذي حاجَّ إبراهيم في ربه
٦٣٦ أو كالذي مرَّ على قرية وهي خاوية على عروشها
٦٤١ وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى
٦٤٥ مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله

٦٤٧ الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله
٦٤٧ قول معروف ومغفرة
٦٤٩ يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى
٦٥١ ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله
٦٥٣ أيودُّ أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب
٦٥٤ يا أيها الذين آمنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم
٦٥٧ الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء
٦٥٨ يؤتي الحكمة من يشاء
٦٥٩ وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر
٦٦٠ ان تبدوا الصدقات فنعمّا هي
٦٦٣ ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء
٦٦٥ للفقراء الذين أُحصروا
٦٦٧ الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار
٦٦٨ الذين يأكلون الربى لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس
٦٧١ يمحق الله الربى ويربي الصدقات
٦٧٢ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات
٦٧٣ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربى
٦٧٤ وان كان ذو عسرة فنظره إلى ميسرة
٦٧٦ واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله
٦٧٨ يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه
٦٨٥ وإن كنتم على سفر ولم تجدوا كاتباً فرهان مقبوضة
٦٨٦ لله ما في السماوات وما في الأرض
٦٨٨ آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه
٦٨٩ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها

٦٩٣ سورة آل عمران

٦٩٣ آلمٓ الله لا إلٓه إلا هو الحي القيوم إلى قوله في الأرض ولا في السماء
٦٩٧ هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء
٦٩٨ هو الذي أنزل عليك الكتاب
٧٠٢ ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا
٧٠٤ إن الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم
٧٠٤ كدأب آل فرعون والذين من قبلهم
٧٠٥ قل للذين كفروا ستغلبون
٧٠٧ قد كان لكم آية في فئتين التقتا
٧١٠ زين للناس حب الشهوات
٧١٢ قل اؤنبئكم بخير من ذلكم
٧١٣ الذين يقولون ربنا آمنا إلى قوله والمستغفرين بالأسحار
٧١٤ شهد الله أنه لا إلٓه إلا هو إلى قوله إن الله سريع الحساب
٧١٨ فإن حاجوك فقل اسلمت وجهي لله
٧١٩ إن الذين يكفرون بآيات الله إلى

قوله وما لهم من ناصرين
٧٢١ ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب إلى قوله ما كانوا يفترون
٧٢٣ فكيف إذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه
٧٢٤ قل اللهم مالك الملك إلى قوله وترزق من تشاء بغير حساب
٧٢٩ لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء
٧٣١ قل إن تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه يعلمه الله
٧٣١ يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً
٧٣٢ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني إلى قوله فإن الله لا يحب الكافرين
٧٣٤ إن الله اصطفى آدم ونوحاً إلى قوله والله سميع عليم
٧٣٦ إذ قالت امرأة عمران رب إني نذرت لك ما في بطني محرراً إلى قوله وإني أعيذها وذريتها من الشيطان الرجيم
٧٣٨ فتقبلها ربها بقبول حسن
٧٤٣ هنالك دعا زكريا ربه إلى قوله ونبيّاً من الصالحين
٧٤٤ قال رب أنّى يكون لي غلام
٧٤٥ قال رب اجعل لي آية
٧٤٥ وإذ قالت الملائكة يا مريم ان الله اصطفاك
٧٤٦ ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك
٧٤٨ إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه
٧٥٠ قالت رب أنّى يكون لي ولد
٧٥٠ ويعلمه الكتاب والحكمة إلى قوله إن كنتم مؤمنين
٧٥٤ ومصدقاً لما بين يدي من التوراة إلى قوله خير الماكرين
٧٥٨ إذ قال الله يا عيسى اني متوفيك
٧٦٠ فأما الذين كفروا فأعذبهم عذاباً شديداً إلى قوله والذكر الحكيم
٧٦١ إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم إلى قوله فنجعل لعنة الله على الكاذبين
٧٦٤ إن هذا لهو القصص الحق إلى قوله فإن الله عليم بالمفسدين
٧٦٥ قل يا أهل الكتاب
٧٦٧ يا أهل الكتاب لم تحاجّون في إبراهيم إلى قوله والله يعلم وأنتم لا تعلمون
٧٦٩ ما كان إبراهيم يهوديّاً ولا نصرانيّاً إلى قوله والله ولي المؤمنين
٧٧٠ ودّت طائفة من أهل الكتاب
٧٧١ يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله إلى قوله وأنتم تعلمون
٧٧٢ وقالت طائفة من أهل الكتاب إلى قوله والله ذو الفضل العظيم
٧٧٦ ومن أهل الكتاب من أن تأمنه بقنطار يؤدّه إليك إلى قوله فإن الله يحب المتقين

٧٧٨ إن الذين يشترون بعهد الله وإيمانهم ثمناً قليلاً
٧٧٩ وإن منهم لفريقاً يلوون ألسنتهم بالكتاب
٧٨٠ ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة إلى قوله بعد إذ أنتم مسلمون
٧٨٣ وإذ أخذ الله ميثاق النبيين إلى قوله فأولئك هم الفاسقون
٧٨٦ أفغير دين الله يبغون إلى قوله وهو في الآخرة من الخاسرين
٧٨٨ كيف يهدي الله قوماً كفروا بعد إيمانهم إلى قوله فإن الله غفور رحيم
٧٩٠ إن الذين كفروا بعد إيمانهم
٧٩١ إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار
٧٩٢ لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون
٧٩٣ كُلُّ الطعام كان حلاً لبني إسرائيل إلى قوله فأولئك هم الظالمون
٧٩٥ قل صدق الله فاتبعوا ملة إبراهيم حنيفاً
٧٩٦ إن أول بيت وضع للناس إلى قوله فإن الله غنيٌّ عن العالمين
٨٠٠ قل يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله إلى قوله وما الله بغافل عما تعملون
٨٠١ يا أيها الذين آمنوا إلى قوله فقد هدي إلى صراط مستقيم
٨٠٣ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حقَّ تقاته إلى قوله لعلّكم تهتدون
٨٠٦ ولْتكن منكم أمة يدعون إلى الخير إلى قوله وأولئك لهم عذاب عظيم
٨٠٨ يوم تبيضّ وجوه وتسودّ وجوه إلى قوله هم فيها خالدون
٨٠٩ تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق إلى قوله وإلى الله ترجع الأمور
٨١٠ كنتم خير أمة أُخرجت للناس
٨١٢ لن يضروكم إلا أذى إلى قوله وكانوا يعتدون
٨١٤ ليسوا سواء من أهل الكتاب إلى قوله وأُولئك من الصالحين
٨١٧ وما يفعلوا من خير فلن يكفروه
٨١٧ إن الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم إلى قوله ولكن أنفسهم يظلمون
٨١٩ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم
٨٢٠ ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم
٨٢٢ إن تمسسكم حسنة تسؤهم
٨٢٣ وإذ غدوت من أهلك إلى قوله وعلى الله فليتوكل المؤمنون
٨٢٦ ولقد نصركم الله ببدر إلى قوله وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم
٨٣٠ ليقطع طرفاً من الذين كفروا إلى قوله فإنهم ظالمون
٨٣٢ ولله ما في السماوات وما في الأرض

٨٣٣ يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربى أضعافاً مضاعفة إلى قوله لعلكم ترحمون
٨٣٥ وسارعوا إلى مغفرة ن ربكُم إلى قوله والله يحب المحسنين
٨٣٨ والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم إلى قوله ونعم أجر العاملين
٨٤١ قد خلت من قبلكم سنن إلى قوله وموعظة للمتقين
٨٤٢ ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إلى قوله والله لا يحب الظالمين
٨٤٥ وليمحِّصَ الله الذين آمنوا
٨٤٥ أم حسبتم أن تدخلوا الجنة إلى قوله وأنتم تنظرون
٨٤٧ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل
٨٥١ وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله
٨٥٢ وكأيّن من بني قاتل معه ربيُّون كثير إلى قوله والله يحب المحسنين
٨٥٥ يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا إلى قوله والله خير الناصرين
٨٥٦ سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب
٨٥٧ ولقد صدقكم الله وعده
٨٥٧ إذ تصعدون ولا تلوون على أحد إلى قوله والله عليم بذات الصدور
٨٦٤ إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان
٨٦٥ يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا إلى قوله لإلى الله تحشرون
٨٦٨ فبما رحمة من الله لنت لهم
٨٧٠ إن ينصركم الله فلا غالب لكُم
٨٧١ وما كان لنبي أن يغلّ
٨٧٤ أفمن اتبع رضوان الله
٨٧٥ لقد منَّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم
٨٧٦ أولما اصابتكم مصيبة قد أصبْتم مثليها
٨٧٧ وما أصابكم يوم التقى الجمعان إلى قوله والله أعلم بما يكتمون
٨٧٨ الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا
٨٧٩ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً إلى قوله إن الله لا يضيع أجر المؤمنين
٨٨٥ الذين استجابوا لله والرسول إلى قوله والله ذو فضل عظيم
٨٨٩ إنما ذلكم الشيطان يخوّف أولياءه
٨٩٠ ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر إلى قوله ولهم عذاب أليم
٨٩٢ ولا يحسبن الذين كفروا إنما نملي لهم خير لأنفسهم
٨٩٤ ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه
٨٩٦ ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم
٨٩٧ لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله

فقير ونحن أغنياء إلى قوله وإن الله ليس بظلام للعبيد
٨٩٩ الذين قالوا إن الله عهد إلينا إلى قوله والكتاب المنير
٩٠١ كل نفس ذائقة الموت
٩٠٢ لتبلون في أموالكم وأنفسكم
٩٠٤ وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب
٩٠٥ لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا
٩٠٧ ولله ملك السماوات والأرض
٩٠٧ إن في خلق السماوات والأرض إلى قوله إنك لا تخلف الميعاد
٩١٣ فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم
٩١٤ لا يغرنك تقلب الذين كفروا إلى قوله وما عند الله خير للأبرار
٩١٦ وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله
٩١٧ يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا

کتابخانه
بنیاد دایرة المعارف اسلامی

شماره ثبت ۳۵۴۳۹
رده‌بندی
تاریخ ۱۳۷۶/۴/۲۲